

السنة التاسعة - يوليو ١٩٧٣

المجلة

٧

طريق للناضحين الى الفكر الثوري المعاصر

- ◆ علاقة اللجان الانتاجية بالخطة القومية
- ◆ الهجوم الاستعماري على امتداد المنطقة
- ◆ الدخول الطقيلية
- ◆ سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلي

ملحق
الادب
والفن

مقطعات من حوار مع بريخت



الفهرس

العدد السابع - السنة الخامسة - يوليو ١٩٧٢

■ الهجوم الاستعماري على امتداد المنطقة « الإفتاحية »

١٠

■ الدخول الطفيلية :

- ١٢ - الراسالية الطفيلية : خصائصها ومخاطرها
- ٢٢ - ثورة برلين والراسالية الطفيلية
- ٢٧ - المد من الدخول الطفيلية في قطاع القنارات
- ٢٢ - دخول طفيلية تستغل أزمة المساكن
- ٢٥ - الدخول الطفيلية في تجارة الخضار والفاكهة

- ٤٠ - أحمد صباغ مسعد
- ٤٥ - منصور يسر
- ٥٢ - محمد جمال امام
- ٥٨ - د. كمال حبيب
- ٦٨ - د. عبد العظيم رمضان
- ٧٢ - د. يرمي عربي بوهري
- ٨٠ - صدى عبد الجواد
- ٨٦ - مجدى نصيف
- ٩٢ - لطفي فطيم
- علاقة اللجان الانتاجية بالقطعة القومية
- مسيئة تحت الاحتلال الاسرائيلي
- وضوح المفهوم النقابي والديمقراطية النقابية
- دور الجامعات العربية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية
- البرورجوازية المصرية الصغيرة قبل ثورة يوليو
- العلم والثقافة والثورة الوطنية
- يفسون العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد السوفيتي وامريكا
- بنغوليا : من مجتمع رعي الى مجتمع الشراكي
- المادية والمثالية في علم النفس

■ تقارير الشهر :

■ مكتبة الطفيلية :

- ١٢٧ - مذكرات سعد زغلول
- ١٢١ - مناقشات مفتوحة :
- ١٢٧ - وثائق : - الارض المحتلة ١٩٧٠

■ ملحق الادب والفن :

١٢٧

الطفيلية

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

ان « الطفيلية » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادنا ان تعامل الآراء الحرة على اختلافها هو رده الذي يستطيع ان يطور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا الهجوم نشع « الطفيلية » صفاتها لكل رأى لديه كلمة بنقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذي اطلقه بولنير في القرن الثامن عشر « قد اختلف - بحسب في الراى ولكن على استعداد لان ادفع حياتي ثمنا لحسبك في الدفاع عن راىك »

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٦٤ - ٥٩٠١٠
٥٩٥٦٠
الاشتراكات :

سنة بالبريد المادى ج.م.ع. - دول
الحساب بالبريد العربى ودول السودان
البيضاء ١٢٠ قرشا

د - محمد الحقيف

شارك في تأسيس المنظمة

وأمره تحريرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الافتتاحية

الهجوم الاستعماري على امتداد المنطقة

ربما بدأ عنوان هذه الافتتاحية - على الأقل « في الظاهر » - متناقضا مع الجو الدولي العام الذي بدأت تتأكد فيه ظواهر جديدة بحق، أبرزها تطور العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين أمريكا في اتجاه أجساد مسيغات عملية وبمحددة للعلاقات بين البلدين، تستبعد خطر المواجهة النووية بينهما، وتسمح بنمو علاقات اقتصادية وتجارية وعلمية، تسهم بدورها في تعزيز قضية السلم العالمي.

غير أن التناقض الظاهري هو مرفوع، في الواقع، لسبب بسيط: هو أن علم السياسة الاشتراكي لم يزعم في يوم من الأيام أن القضاء على أسباب النزاعات المسلحة بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي يمكن أن ينتكس بتفضيا التحرر الوطني أو يجمدها أو يحاصرها. ذلك أن نقطة البدء في الفكر الاشتراكي هو أن الامبريالية لا تتوقف من كونها عدوانية وتوسعية إلا إذا توقفت ضربات قلبها من الخفقان، أو إذا صفت كظاهرة تاريخية. والامبريالية قد دخلت مرحلة حادة من مراحل ازمتها العميقة، لكنها لم تصف بمدكظاهرة.

ومن هنا، فإن ما يعنى هذه الافتتاحية « بشكل خاص، هو أن يتبدد الوهم القائل بأن الامبريالية العالمية قد غيّرت، أو أنها - في سبيلها - إلى تغيير طبيعتها العدوانية. فمثل هذا الوهم لا يضر بتفضيا تحرير شعوب العالم الثالث، ويطورها على طريق التقدم الاجتماعي لحسب، بل أنه قد يسبب، في نحو اتجاها لا تقل خطرا تتراوح بين ظهور المغامرة من ناحية، ومن ناحية أخرى بين ظهور مواقف ذات طبيعة انهزامية واستسلامية مضمونها أنه لا تيل للدول الصغرى بمواجهة الامبريالية.

غير أن واقع الحال، يقول أن المرء، ليس في حاجة إلى أن يجهد نفسه في عمل حسابات مجردة، أو تحليلات نظرية، ليفقد بها الإحصاءات التي يمكن أن تروج عن التغييرات المزعومة، أو المحتملة في الطبيعة العدوانية للامبريالية، وعلى مقدماتها الامبريالية الأمريكية.

ذلك أن استعراض حصاد شهرين [مايو ويونيو ١٩٧٣] من الوقائع والأحداث في منطقة الشرق الأوسط، يغني عن كل تحليل أو اجتهاد.

فإذا بدأنا بإسرائيل، وهي المخفر الأمامي للامبريالية الأمريكية. فإن كل موافقة وتحركات قادتها وتصريحاتهم لا تترك مجالاً للشك في أنها لم تتراجع عن مواقفها العدوانية. بل على العكس، لقد دلت كل آيبي على أن هبتها الدائم هو الاحتفاظ بالأرض العربية المحتلة.

وإذا ما أردنا شهادا من «أهلها» فإن المصحف اليهودي جون كيمشي يكتب في الإفتتاح ستانفورد [٧٣/٥/١]:

« إن إسرائيل قد تحركت بالفعل الى مراكز استعداد للعمل في سيناء ومرتفعات الجولان ٠٠ وأن سلاح الطيران الاسرائيلي يقف في حالة تأهب كاملة ، وتقوم طائراته بالتدقيق في دوريات ، تم تعزيزها ، طوال الاربعة والعشرين ساعة » .
ثم يضيف : « انه عندما وصلت إسرائيل الى حالة الاستعداد اعلنت مصر بانها سوف تتحرك للعمل في اللحظة التي تتجاوز فيها مصر نقطة الاستعدادات التي لا عودة منها . ويمكن ان يضاف الى ذلك أن إسرائيل لم تكف بهذا ، وانما حشدت قوات هائلة في منطقة الجليل الأعلى عند حدود كل من سوريا ولبنان . ثم زادت على ذلك قيامها باعدادات وطلعات ، على الاراضي والشواطئ اللبنانية .

وفي ظل هذه الاستفزات الاسرائيلية ، اعلنت واشنطن في الشهر الماضي ، انها ستد اسرائيل بشباعتين طائرة غاتوم جديدة . وذلك لم يكن من قبيل الصدفة ان يعيد القادة العسكريون الاسرائيليون سيرة **أدولف هتلر** ، عندما يتحدثون ، وهم يعتمدون بالسلاح ، ويعلمون انهم سيوجهون ضربات وقائية من الجو والبحر ضد ليبيا . ثم يزيد الاميرال بنعيم قائد البحرية الاسرائيلية ، على ذلك ، تهديده بإرسال زوارقه البحرية لحرب أي بلد عربي يقع في حوض البحر المتوسط ، أو على البحر الأحمر .
أما الذين يحاولون ان يجدوا المبررات والأذرع للاستفزات الاسرائيلية فماتيفيسرون هذه الاستفزات العسكرية بأن إسرائيل تشعر بأن بعض دول المجاورة العربية - كصر وسوريا - ماضية - لا تزال - في الاستعداد لتحرير الأرض . لكن مثل هذه الأقوال يمكن تنفيذها - ببساطة - إذا استمعنا الى **جولدا مائير** وهي تتحدث عن مشكلة فلسطين - انها تعلن :

ب- ان حل مشكلة فلسطين لا يمكن ان يكون الا في الأردن .
- وانها تعارض إقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية للأردن . لان ذلك يجبر إسرائيل على العودة الى حدود ما قبل ١٩٦٧ .

خلاصة الموقف الاسرائيلي ، إذن ، تصفية قضية فلسطين ، ورفض العودة الى حدود ما قبل ٦ يونيو . مع ما يقتصر بهذا من أفعال عدوانية ، وتهديد بالعمل العسكري الوقائي إمتقادات على الدعم المتزايد من قبل رسالة السلاح الأمريكية .
وقبل ان نترك التشايط الأمريكي العدواني في هذا الجزء من الشرق الأوسط ، علينا ان نلفتت الى التطورات والأحداث الخطيرة التي ينظمها حلف الاطلنطي ، بالتعاون الكامل مع إسرائيل في جزيرة **قبرص** .
والواقع ، لقد وصل التدخل الاسرائيلي في الشؤون الداخلية لقبرص الى درجة خطيرة .

فمن ناحية ، ينشط رجال الكوماندوز الاسرائيليون ، في الجزيرة ، لمطاردة واغتيال رجال المقاومة الفلسطينية . وبالفعل ، قتلوا عددا منهم هناك .
ومن ناحية أخرى ، تنظم إسرائيل ، بالتعاون مع **الجنرال جريفاس** نشاطا تخريبيا يهدف الى الاطاحة بحكم **الرئيس مكاربوس** .
باختصار ، فإن إسرائيل - كما يذهب بحق بعض المعلقين - تستهدف من نشاطها في قبرص ان تحقق ما يلي :

١- ان تحمي مؤخرتها ، وأن تضمن حرية العمل للأسطول الأمريكي في البحر الأبيض . كما تضمنها لقوات شمال الاطلنطي ، وذلك في حالة وجود « ضرورة » .
لان تقدم هذه القوات المعون العسكري الى إسرائيل عند وقوع عدوان اسرائيلي على البلاد العربية .

٢- أما الهدف الثاني لتل أبيب ، فهو ان تصبح قبرص - بموتها الاستراتيجي الهام ، ومطاراتها ، وموانئها ، تحت السيطرة الكاملة لطف شمال الاطلنطي . وهذا يفسر التشايط الانتقالي المحسوم الذي يستهدف الاطاحة بنظام **مكاربوس** ، وإقامة نظام عسكري تابع وشبه فاشي .
وإذا كانت إسرائيل ، كموقع أمريكي متقدم في الشرق الأوسط ، تمثل الجناح الغربي للإمبريالية المالية - خصوصا الأمريكية - في حماية المصالح الإمبريالية (خصوصا النفطية منها) ، فإن الكارتل الدولي للبترول يمارس - في الوقت نفسه - نشاطات لا تقل عدوانية في منطقة الخليج العربي .

هناك تنشيط الامبريالية الامريكية لاقامة حلف سياسى وعسكرى جديد يضم دول منطقة الخليج .

وفى سبيل ذلك ، يتم تحريك ذلك الحلف الذى كانت قد دبت فيه كل مظاهر الموت والتحلل ، وتتمنى به حلف المساعدة المركزية [الفستق] . والذى كان يسمى بحلف بغداد [ايام حكم نوري السعيد] ويضم فى عضويته ايران وباكستان وتركيا وامريكا وبريطانيا .

والذى حدث هو انه فى مايو من هذا العام عقدت فى واشنطن دورة للجنة العسكرية للحلف المركزى ، وشهدتها وفود عسكرية من بريطانيا وامريكا وبقية الدول الاسيوية الاعضاء فى الحلف .

وفى شهر يونيو الماضى عقد اجتماع للحلف المركزى فى طهران . واذا اردنا ان نلخص نتائج هذا الاجتماع المشوه ، امكن القول ، بان الدول المشتركة فيه قد اتخذت قرارات تهدف اولا واخيراً الى حماية مصالح الاحتكارات الدولية للبترول ، وتأمينها ضد انتهاء شمول المنطقة العربية الى استعادة ثرواتها البترولية ، وبالتالى ردع أى محاولة ثورية من هذا القبيل ؛ يمكن ان تتم فى المستقبل ، وفى الوقت نفسه ، محاصرة أى محاولة من هذا القبيل تكون قد تبنت فى الماضى القريب [العراق] . - امسكنا بخططه وعلمنا ان نقول ان الانسحاب الاخير للحلف ، قد سبقته ، امسكنا بخططه من قبل الامبريالية الامريكية وعملاتها فى المنطقة . نذكر من هذه الاعمال على سبيل المثال ما يلى :

● النشاط العسكري الامريكى فى منطقة الخليج :

ويظهر هذا النشاط فى :

- دعم وتعزيز مواقع الاسطول الامريكى المراتب هناك .

- توسيع القاعدة العسكرية الامريكية فى البحرين .

- سعى الامريكان الى الاستيلاء على القاعدة العسكرية الانجليزية العتبية فى الشارقة .

- انشاء قواعد انتقالية على امتداد الالى من الاميل لحماية طرق مرور البترول .

● التفصيل الكيف الذى تخصص به الولايات المتحدة عددا من الدول هناك فى مقدمتها ايران :

واذا اخذنا ايران على سبيل المثال ، فقد عقدت مع الولايات المتحدة اتفاقية جديدة لتسليح تحصل بقتضاها على ٨٠ فائتوم جديدة ، و ١٠٠ طائرة تاذفة « ويذلك يصبح عدد تاذفات القتال المقتلة لدى ايران ٣٠٠ طائرة » - كما طلبت ايران ٥٠ طائرة نقل بالاضافة الى ٥٠ لديها . كما طلبت ٧٠٠ طائرة هليكوبتر من بينها ٢٢٠ طائرة مزودة بالدافع و ١٨ طائرة اس.س. المضادة للقواصات . بالاضافة الى ذلك تقوم ايران بشراء ٨٠٠ دبابة تشيقتين من بريطانيا ، بحيث تصل قوة الدبابات التى فى حوزة الجيش الايرانى الى ١٨٠٠ دبابة « راجع الهيرالد تريبيون الدولية : ١٤ - ٥ - ٧٣ » .

واذا سألنا لماذا كل هذا السلاح ؟ امكن ان نعرف على الفور ومن واقع تصريحات المسؤولين الايرانيين وهى تصريحات لا تحتل القاتول ، ان هذا السلاح يهدف الى :

١ - ان تكون ايران قوة رادعة ياخذها جيرانها ياخذ الجسد « الهيرالد تريبيون الدولية نفس العدد » .

٢ - ان تقوم ايران بدور حالى كحماية لستين فى الملة من احتياطى البترول فى العالم « نفس المصدر السابق » .

٣ - مقاومة أى حركة وطنية عربية تتقدم تحت شعار « نطق العرب للعرب » ، ولكن ، ايا كانت التفسيرات والتبريرات التى تقدم حول هذه الترسعة الهائلة من السلاح الامريكى الذى يكس فى ايران ، فانه استنادا الى هذا السلاح ، والى الدعم الامريكى ، تتكلم ايران بلهجة التهديد الى « بعض جاراتها العربية » ليس هذا

نحسب ، بل انهما تعطى لنفسها حرية الحركة في الاستيلاء على اراض عربية ليست لها . وما حديث جزر طنب الكبرى والصغرى وغيرها من الجزر بعيد . وهو الامر الذي دما صحيفة **الديلي تلغراف البريطانية** الى ان تعلق على ذلك بقولها : « لا يمكن ان يكون هناك أي خطأ في معرفة الدور الذي قامت به ايران » منذ ذلك الحين ، بارتدائها لباس القمصنة البحري ، والاستيلاء على جزر ذات قيمة استراتيجية بالقرب من مضيق هرمز » « ٧٣/٥ » .

ان هذه الوقائع التي ذكرناها كلها - كما نرى - وقع في شهرين - والتي تحدثت عنها بلفصها - من نشاطات واعداث الامبريالية العالمية والصهيونية والرجمية المحلية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، انما تبرهن على ما يلي :

س ان الامبريالية العالمية لم تخلص من طبيعتها العدوانية ، وينطبق هذا بشكل اخص على الامبريالية الامريكية .

ب ان نشاطها العدوانى في منطقة الشرق الاوسط ، سوف يتزايد ، ولمسوا فيضاض بشكل اخص ، ضد الدول العربية المتحررة ، التي تناهض من اجل الاستقلال السياسي ، ومن اجل تحرير ثرواتها القوية من قبضة الاحتكارات العالمية .

ج ان هذا النشاط العدوانى يمكن ان تتعدد صوره واشكاله ، من ضغوط عسكرية واقتصادية الى اخلال ذات طابع عدوانى ، فير ان الاتجاه الرئيسى لذلك النشاط سوف يظل مركزا على شرب الدول العربية المتحررة . وفى سبيل ذلك ، تستخدم الامبريالية اسلحة مخومة في مخيمتها :

١ - استغلال الصعوبات التي تفرضها الضرب مع اسرائيل على شعوب الدول العربية المتحررة . فمنا تحاول الدعايات الامبريالية ان تهمز ثقة الشعوب بكل منجزاتها الوطنية والاجتماعية ، ومن ثم وتروج - بكل سبيل - لشعار تغيير الهياكل الاقتصادية بهدف القضاء التدريجى على الركائز الاساسية للاستقلال الاقتصادى ، وفتح الطريق امام مخططات الاستعمار الجديد ، ليعاود سيرة المستعمرين القدامى في نهب ثروات المنطقة ، واعادة اشكال مقنعة وخفية من اشكال التبعية .

٢ - العمل المصوم على ابقاء الدول العربية المتحررة متباددة وبفككة ، حتى لا تكون منها قوة ضاربة ، نشطة ومبادرة في المعركة من اجل تحرير الارض المحتلة .

٣ - العمل على احياء القيادات القبلية القديمة ونفخ التراب عنها ، ودمعها الى مقدمة المسرح السياسى لتضطلع بادوار ، كانت حركة التحرر الوطنى العربية ، قد وضعت حدا لها منذ زمن بعيد .

من هنا ، فانه اذا ما قبلنا بتقييم حقيقى للهجة الامبريالية الحالية على منطقة الشرق الاوسط ، فسوف نرى انه من الخطأ ان نقل - لحظة واحدة - من فراوتها ومن ضرورها القريبه والبعيدة . ذلك ان واقع الحال يفرض على شعوب المنطقة وعلى الشعوب العربية في المحل الاول ان تخوض معركة - ستكون بالقطع - بعد معركة بيتنم ، احدى معالم العصر الحديث وواحدة من منعطفاته الكبرى .

فمنا اتنا نخطئ من ناحية اخرى ، اذا تصورنا ان قوى الامبريالية والصهيونية والرجمية تتحرك في فراغ . فليس في منطقة الشرق الاوسط فراغ على اى وجه . والتاريخ القريب للمنطقة يدل على اتها ليس ان يكون هناك مستقبل للاخلاف والفتوات العسكرية ، تماما ، كما لم يكن لها مستقبل خلال خمسة والعشرين سنة الماضية . ان حلف الستة قد اصطلحت به ثورة يوليو في مصر واجهزت عليه ثورة العراق ، كما سقطت اكثر من معاهدة فرضتها القوى الامبريالية او حاولت ان تفرضها .

ولما كان الامبرياليون عاجزين عن ان يستفيدوا من دروس التساريخ ، فاثمهم يفرضون ان ما عجزوا عن فرضه خلال ربع قرن من الزمان ، يستطيعون ان يفرضوه الان ، بعد ان قطعت حركة التحرر الوطنى شوطا هائلا ، وانزلت بالامبرياليين وعملاتهم هزائم متكررة .

ولقد يقال ان الامبرياليين والصهيونيين والرجعية المحلية في المنطقة تنحرك في الحاضر - من مواقع القوة - وهذا صحيح في الظاهر . والاصح من ذلك ان يقال انها رغم « جبروتها الظاهري » انها تسلك - وبشكل عام - تحارب معركتها الرئيسية والاحيرة في الشرق الاوسط . فلواقع ان المدوان الصهيوني في ه يونيو كان مخططا من قبل الامبريالية والصهيونية لاجهاض مثل ثورة يوليو التي ساحتل بعدها الحادي والعشرين في ٢٣ يوليو من هذا الشهر ، والواقع ، ايضا ان كل محاولات قمع الحركة الوطنية في منطقة الخليج ، وكل التهديدات والمؤامرات ، التي تفرخ والتي لا تزال في طريقها الى الظهور ، انها تطرح على ارضية حاضرة وتاريخية لا تسمح لها بان تثبت جذورها وان تؤدي ثمارها المرة . فالحركة الوطنية الديمقراطية في البلدان العربية ، كتسبب قوتها الكامنة من انهال على خلافت الحركات الوطنية الديمقراطية التقليدية - ذات مضمون اجتماعي عميق ، لا تتوقع من جذب ثوى الثورة الحقيقية الى صفوفها ، وهي القوى التي تبلط الطليقات الشعبية والوطنية .

هكذا ، وفي ظل الوعى الاجتماعى الذى يرهف ، اكثر فاكتر ، في صفوف الثورة العربية ، تدفع الامبريالية الابريكية وميلاتها الصراع في المنطقة بالكيبة التي تعبى - موضوعيا - وترص صفوف كل القوى القادرة على هزيمتها واجباط مخططاتها .

ولو اخذنا مثلا على ذلك ، ان حرب يونيو قد طرحت بقوة وحدة شعارات استخدام البترول في الحركة ، « نط العرب للعرب » نقول ان هذا المثل يكفى للتليل على ان الامبريالية والصهيونية - من حيث لم يقصد - تدفعان الحركة الوطنية العربية في اتجاه حسم قضية الثروات القومية المنهوبة . ربما يقرن بذلك من استعجاب تتحدد فيه الخطوط الفاصلة في كل بلدين قوى الشعوب وبين قوى الرجعية . واذا كان هذا الكلام يعنى - في التحليل الاخير - ان الامبريالية وميلاتها ليسوا اقوياء قوة كلية ومطلقة ، فانه يتعين علينا مرة اخرى ان نحذر من الوقوع في التناقض الساذج ، او رد الفعل الى العنوى فنجلس ساكنين في انتظار مجلة التاريخ . ذلك انه لما كانت الامبريالية واخوانها يخوضون في المنطقة العربية معاركهم الاخيرة الرئيسية والحاسمة ، فان اى محاولة للتهوين من الصعوبات والعقبات التي تواجه حركة التحرر الوطنى العربية يمكن ان يؤدي بها الى انتكاسات مريعة .

ثم يبقى بعد ذلك ، على الفصائل الطليعية لحركة التحرر الوطنى العربية ، على التنظيمات والاحزاب والهيئات الوطنية والتقدمية ، ان تكلف من اجل وحدة القوى الثورية ، ووفق استراتيجية واقعية ، تتخذ في الاعتبار ، الوضع الحالى لقوى الثورة العربية ، كما تأخذ بعين الاعتبار ايضا ويكل جدية ونظرة موضوعية معطيات الوضع الدولى الجديد .

وفي اعتقادنا ، ان هذه المعطيات ، هي في التحليل الاخير ، في مصلحة مصالحنا الوطنى والتحررى .

وفي اعتقادنا ايضا ، ان تطويع هذه المعطيات لخدمة معاركنا الوطنية والاجتماعية ، سوف يمكن حركة التحرر الوطنى العربية من ان تنتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم .

الان هذا كله ، يتطلب من الشعوب العربية يقظة غير هادية لحر الفكرية والذهابيات الاستعمارية ، التي مستحاولت في الايام القليلة ان تستغل المناخ الدولى الجديد ، لتبذر في نفوسنا بذور الاستسلام والياس ولتزر ثقتنا بقوتنا الذاتية ، ثم لتعزلنا من حلفائنا الثابتين والاستراتيجيين اسرة الدول الاشتراكية ومعسكر بلدان حركة التحرر الوطنى ، وقوى السلام والديمقراطية في العالم كله .

« الطليعة »

الدخول الطفيلية

هذه مساهمة في دراسة مشكلة «الدخول الطفيلية»
أن مواجهة الدخول الطفيلية ، والحد من
آثارها الضارة السياسية والاقتصادية
والاجتماعية ، كانت موضع اهتمام ، من قبل
اوساط الرأى العام منذ مدة ليست بالقصيرة .
وبالفعل فقبضات الأجهزة التشريعية والتنفيذية
تتعرض لهذه القضية منذ عام ١٩٧٢ .
وفي الاجتماع المشترك للجنة المركزية ومجلس
الشعب « أعلن الرئيس انور السادات في ٢٦
مارس ١٩٧٣ أن المجلس الشعبى نظرية في

الأسـمـالـية الطفيلية خصائصها ومخاطرها

كمال السيد

الشعب الى وضع التشريعات اللازمة في هذا
الصدد .
وبالفعل فقد اكدت لجنة الرد على برنامج
الحكومة في تقريرها في ٢ مايو ١٩٧٣ . أن
الدخول غير المشروعة التي تنشأ عن الاتجار في
السوق السوداء وعن أى نشاط آخر غير مشروع ،

الجلسة المشتركة التي عقدتها
اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي
العربي ومجلس الشعب في ٢٦
مارس ١٩٧٣ ، تحدث رئيس
الجمهورية عن اصحاب الدخول الطفيلية والذين
ظهرت عليهم فجة علامات الثراء ، ودعا مجلس

في

فى دراسة التحول الطفيلية . وتقول مناهية لان هذه المشكلة لم يسبق فيما نعلم - أن درست بكيفية منهجية وموضوعية ومتكاملة .

ومثل هذه الدراسة لابد وان تكون بالضرورة حصيلته مجهود كل الاقتصاديين والباحثين والكتاب الذين يضمون فى مركز اهتمامهم الرئيسى قضايا الوحدة الوطنية ، والدفاع عن القطاع العام ، وتأمين الشروط الداخلية والضرورية لأهراز النصر على العدو الإمبريالى الإمبريالى .

الدخول الطفيلية يجب أن يترجمها المجلس الى تشريعات . وعندما قرر الرئيس السادات ان يتولى رئاسة الحكومة الجديدة شرعت الحكومة فى اعداد طائفة من مشروعات القوانين وصفها المسؤولون بانها ترمى الى تحقيق عدالة أكبر فى توزيع اعباء المعركة . ومن المنتظر ان تتقدم الحكومة بهذه المشروعات الى مجلس الشعب فى اوائل شهر يوليو الجارى .

أما الدراسة التى تقدمها « الطفيلة » ، فهى - كما ذكرنا - فى مستهل المقدمة == مساهمة



بيانه للامة فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٧ ، وفيه تحدث عن العملات التى تقطع لحساب البعض فى الداخل والخارج من وارداتنا القمونية التى تبلغ ١٠٠ مليون جنيه بالعملة الصعبة سنوياً ، وفى المرة الثانية أعلن الرئيس فى لقائه مع رجال الجامعة فى ١٠ أكتوبر ١٩٧١ انه أسس بالتحقيق فى هسده العملات وكشف تلك الأمور المخجلة . وفى أغسطس من العام نفسه دعا رئيس الجمهورية الى تطهير الصوف من المخرفين والانتهازين ، وأكد فى يناير من عام ١٩٧٢ ان المرحلة الحالية من تطور بلادنا تقوم على ميدانين ، أولهما هو سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج ، والثانى هو عدم استغلال الإنسان للإنسان .

ولم يقتصر الأمر على إعلان المبادئ ، بل اتخذت بالفعل الإجراءات التى تكشف ردع الخارجين عليها . فقدمت قضية « الصيد » ، وأقيمت قضية « غرابوى وغيره » ، وكان كثير من

تحتاج الى مواجهة حاسمة من المضي الاشتراكي ، الذى يميز له قانون فرض الحراسة وتأمين سلامة الضمب ، أن يتخذ الإجراءات اللازمة فى حالة تضخم الثروات بطريقة غير مشروعة او لا يعرف مصدرها . واعدت اللجنة مصادر « التحسول الطفيلية والانتهازية » على النحو التالى : استغلال بعض المتمايلين مع القطاع العام لبعض العاملين فى هذا القطاع ممن تستهويهم سهولة الربح الاثم ، والمقاولات من الباطن ، والوساطة ، وتجارة الجبله واحتكارها لبعض السلع ، واستغلال الحصص المقررة للتوزيع . ثم دعت اللجنة الى « أهمية أن نمسك الألقى من رأسها لا من ذيلها » .

والواقع ان رئيس الجمهورية قد لفت النظر بكثر الى عمليات القلاعب واجتلاء ثروات غير مشروعة ، وفى مدى أسابيع ثلاثة ، أثار رئيس الجمهورية قضية العملات التى تفرض دون وجه حق على وارداتنا مرتين ، كانت الأولى منهما فى

عارضين خدماتهم « لتفادى الوضع » طبعاً بشرط
لكثر جزء لهم .

■ **والأخطر من كل هذا أن الطفيليين**
يستحوذون لأنفسهم على نصيب كبير من الدخل
القومي ، كان يمكن تخصيصه للاستثمار والترافى
الرأسمالى . ويتم هذا على حساب القطاعات
المنتجة ، الخاصة والعامة . والواقع أن خطر
الطفيليين يمتد لنصيب « الرأسماليين المنتجين »
فيكون جهودهم ونشاطهم ، ويقال من « دخولهم » ،
ويقطع أجزاء كبيرة من نصيبهم من الدخل
القومي . فالفائض الإقتصادى الفعلى للقطاع
الرأسمالى المنتج - وهو الفرق بين إنتاجه الفعلى
الجارى وبين استهلاكه الفعلى الجارى - والذي
يتطابق مع الأرباح والترافى الجارىين - يتم تحويل
جزء كبير منه لأغراض وإثراء الفئات الطفيلية ، مما
يشكل عبئاً على التراكم الرأسمالى لهذه
القطاعات . والنتيجة نفسها تتحقق بالنسبة لعدد من
الموارد الفائضة الذى يتوفر للدولة نتيجة مباشرة
انشطتها الاقتصادية ، وينجم عن الفرق بين
تكاليف وعوائد هذه الأنشطة ، إذ تقطع العناصر
الطفيلية بوسائل غير مشروعة جزءاً كبيراً من
فائض القطاع العام هذا ، وتحرم من إعادة
استثماره فى تجديد وتوسيع طاقته الانتاجية .

■ **وتضخم الدخول الطفيلية ، يؤدي**
الى « استهلاك مفرط » من قبل الجماعات التى
تتصل عليها والطمعنة على استثمار قوتها على
الاغتراف منها (٢) فالرأسمالى المنتج يحرص
كثيراً على دخله الذى بذل جهداً لا يتكسر فسى
الحصول عليه ، ويعمل على تنمية رأسماله
والتوسع فى الأصول المنتجة التى يملكها . أما
الطفيلى الذى لم يتعب فى الحصول على دخله ،
فلن يحرص كثيراً على عدم تجديده فسى
استهلاك زائد أو غير ضرورى . فالتدبير الذى
أوردت الصحف خبراً عن تقاضيه ٣٠٠ ألف دولار
مبولة فى إحدى السفقات ، لا يضيره كثيراً أن
يبدد ذات اليمين وذات الشمال ، ما حصل عليه
سهلاً . وموظف البنك الذى بدد على عشيقته ٩٣
الف جنيه اختلسها ، لا يهمه كثيراً نوع إنفاقه
ومجاله .

ان الثروات التى تتجمع فى أيدي العناصر
الطفيلية ، ومصدرها الأساسى هو التحويلات

■ **رفع تكاليف الإنتاج :** فالطابور الطويل مسن
السوداء والمعمامرة والمضاربين وتجار السوق
السوداء والمهربين ، يفرض لنفسه نصيباً يضاف
الى التكلفة الاجمالية للسلمة ، الامر الذى يقلل
هامش ربح المنتج ، ويحد من فرص توسيع مبيعاته ،
ويؤدى الى ارتفاع الاسعار ، الامر الذى يؤدي
بعوره الى تزايد خطر الاتجاهات التخضمية فى
الاقتصاد . إذ يصحبه عادة اصدان مزيد من
النفد .

ومن وجهة نظر المستهلك ، يؤدي نفسى ساط
الطفيليين الى تدهور القدرة الشرائية لدخله ،
وذلك تحت تأثير الرفع المفرط للأسعار والناجم عن
اضافة « تكاليف » الانتشطة الطفيلية على التكاليف
الكفية لإنتاج وتوزيع السلع . ويكفى أن نصلح
أن تجار السوق السوداء يبيعون بتر الكسوف -
وهو من الاقمشة الشعبية - بمبلغ ٢٥ قرشاً ، فى
حين أن الدولة التى تنتجه وتوزعه حددت له سعراً
يبلغ حوالى ١٦ قرشاً .

■ **تخصيق السوق المحلى وهو محفوف**
أصعباً : فالإضافات على الاسعار والتكاليف التى
يفرضها الطفيليون دون مبرر ، تستبعد اقساماً
مترابدة من المستهلكين الذين لا يستطيعون دفع
هذه الاسعار المرتفعة . وهى بذلك تكبل التنمية
بقيد حديدى قد يترق انفساسها . ذلك أن « آفة
الغذبية » فى بلدان العالم الثالث هى ضيق السوق
المحلى ، وهو المنفذ الأساسى لصناعاتها إذ أن
فرس اقتحام الاسواق الخارجية محدودة ، الامر
الذى يحد من إمكانيات التصنيع الذى لا بد له وأن
يستفيد من « وفورات الحجم الكبير » فى الإنتاج .

■ **عدم انتظام الإنتاج والتوزيع :** إذ يتوجسه
الجهد الأساسى للطفيليين نحو الاخلال بانتظام تدفق
السلع والمستلزمات والافعال « نبرة » فى مواد
موجودة فعلاً أو متاحة ، ويتم ذلك « بسحبها » من
السوق و « حبسها » عن هم فى حاجة إليها ، أو
تعطيل تدفقها ، مما يجبر القائمين على الإنتاج
والتوزيع على الرضوخ لخصوط الملامبيين من
الطفيليين . ففى فترة ماضية تمكن البعض من
تمطيل ورود شحنات من السلع الاستهلاكية
(خاصة كمية من الشاي كانت واردة من الهند) ،
فى حين كانوا قد شتموا بالفعل نفس السلع على
سفن فى ميناء بيروت ، ثم تقدموا للمستهلكين

(٢) حذرت لجنة الرد على برنامج الحكومة من « أننا لا يجب أن نسمح بنمو امارة من الاستهلاك فى الكماليات والنفقات
لنفذ الكمالية »

فحيث تكون الأسواق معزولة وغير منظمة ، كما هي الحال في البلاد المختلفة ، يجري البحث عن هذه الإرباح والعثور عليها بتشكيلة عجيبة من الطرق ، فالمصنعات التجارية ، واستغلال النقص المحلي ، والمؤقت في السلع المختلفة والمضاربة ، وعمليات التحكم ، ورسوم السمسة مقابل إيجاد الصلات بين المشتريين والبائعين - كل ذلك يحقق مكاسب كبيرة للمعاملين المهرة الذين يمارسون مثل تلك المعاملات ، والتضخم المزمع بصورة أو بأخرى في معظم البلاد المختلفة والذهب وغيره من الأشياء النفيسة ، يوفر مزيدا من الفرص للتجارة المربحة ، في حين أن الفرصة الدائمة للحصول على امتيازات مختلفة من الحكومة ، تجتذب باستثمار موارد وطاقات وبراعة رجال الاعمال ذوي الصلات والنفوذ . وهذه الطبقة تفتح ابوابها لانفسها افراد آخرين . ونتيجة لذلك فانها تمنح باستثمار بالقادمين الجدد ، من أبناء التجار الحالين والمائلات النبيلة ، والاعيان السابقين والملاحين الأكثر قدرة ومبادرة ، والحرفيين الذين اقتسمهم المنافسة ، وبائاس مختلفين حصلوا على قدر من التعليم ولم يحصلوا على فرصة لاستخدامه وما شابه . وحيث أن هذه المجموعة من الناس لا تسهم بشئ يستحق الذكر في الناتج الاجتماعي فانها تشكل الوجه الحضري المقابل للمعاطلين هيكلياً في القرى (٤) .

المخاطر الاجتماعية و السياسية

والواقع ان اتجاهات واهداف المناسبات الطفيلية ، تتناقض على طول المخطط مع الاختيارات الأساسية - الوطنية والاجتماعية - للقيادة السياسية . كما انها تعادى التطورات المشروعة للجماهير في السيطرة على مواردها ومقدراتها ، وتوجيهها الوجهة التي تخدم آمالها وتقضى باحتياجاتها . بل انها تتناقض مع « الاهداف القومية » الرأسمالية الوطنية المنتجة نفسها . وبيان ذلك على النحو التالي :

في المجال الوطني : ففي حين تؤيد الرأسمالية الوطنية استقلال السوق القومي لكي تأخذ فرصتها في الانتاج والتوزيع في مامن من المنافسة والمزاحمة الأجنبية ، فان العناصر الطفيلية ترتبط بالخارج بحكم « طبيعة » نشاطها واهدافها

والانقطاعات من فوائض القطاعات الانتاجية ، واساسا القطاع العام والرأسمالية المنتجة واستهلاك النهائي ، لا تتحول الى التصنيع والانتاج الصناعي ، بل تقتنز او تبتد أو تستغل في المضاربة . ففضلا عن عقلية استثمار الربح الموجودة لدى هذه العناصر والتي يدعمها توافر الظروف التي تمكنها من ذلك ، فان « النقود السهلة » او المكسب السهل يجعل منها مستهلكاتها لكافة انواع السلع والخدمات وبكميات تفوق القدرة الاستهلاكية للرجل العادي . ومن جانب آخر ، فانهم لو ارادوا استثمارها فانهم يفضلون « مجال التبادل » حيث استخدام النقود اكثر ربما بسبب دورتها السريعة وارتفاع غلتها في هذا المجال . كما انهم يفضلون ايضا شراء الاراضي والمقارات التي تدر ربما ، وكذلك اعمال المقاولات والمضاربة والاستيراد والتصدير واقراض النقود بالربا ، وهي كلها أنشطة يغلب عليها الطابع الطفيلي . وهذا الامر ليس وقفا على البلاد النامية وحدها . ففي فرنسا « تستحوذ المضاربة مثلا وهي نموذج للأنشطة الطفيلية على نسب كبيرة من الدخل القومي » وتتضح في التجارة (خاصة الدولية) وفي شراء واعادة بيع الاوراق المالية (الاسهم الخ) وقد أصبحت هذه المضاربة هدية في مجال المقارات . وفي الفترة الحالية تقدر ارباحا مالية التي استخلصها المضاربون من عمليات الاراضي والمقارات في منطقة باريس وحدها ، بما يزيد مرتين عن المنفق على التعليم القومي . ان رأس المال العقاري والإنشائي يمثل رسميا ما يزيد عن ٨٠ في المائة من ارصدة رأس المال . وكل هذا يحصل جانبا كبيرا من الانتاج كان يمكن تحويله الى موارد للمستقبل (الانفاق على المعدات وعلى البحث العلمي والتعليم) يتحول الى دخول طفيلية ، (٥) .

وتكمن خطورة النشاط الطفيلي في انه نشاط مغر وجذاب بسبب عوائده السهلة والكبيرة ، بالمقارنة مع ما يلاقه من يرفض في استثمار رأس ماله في نشاط انتاجي من نقص في الضمانات والمعدات وقلة الخدمات المساعدة للانتاج وضيق السوق ومنافسة السلع الأجنبية ، الخ وفي هذا يقول بول ا . يوان الاقتصادي الابرص المرموق « ليست التجارة في المنتجات الزراعية ، او مع المنتجين هي المصدر الوحيد للارباح المعسالية »

ومهلته لهم تنمية حجم أعمالهم وتضخم نشاطاتهم ليمسكوا بعد ذلك على السوق ويحققوا لها أهدافها ، وفي هذا يقول بيان النيابية السابق الإشارة إليه « لئلا ينظمه أجنبية في الخارج تنظم عملية التمويل منذ ٤ سنوات ، بواسطة شبكة تضم مندوبين في بلدان مختلفة » وأن هذه المنظمة تعطى تسهيلات لبعض هؤلاء التجار بطرق غير معاش ليزداد حجم نشاطهم ، فيتمكون من السيطرة على تجارة الجملة في وقت قصير » .

■ أن مجال نشاطات هذه الفئات يتعدى نطاق الاقتصاد إلى مجالات أخرى ، ربما كانت هي الهدف الأساسي . فقد نشر الامرام في ٢٧ مارس ١٩٧٢ « أن نشاط الشبكة تعدى عمليات تهريب النقد إلى نشاط أخطر من ذلك بكثير . أن عمليات التهريب لم تكن سوى ستار يخفي وراءه النشاط الآخر » . والواقع أن الشبكة الأخيرة « متعددة الجنسيات » فعلا ، فهي تضم ١٠٨ متبها نصلمهم ممن يحملون جنسية مصرية ، والباقي ٢٢ منهم أمريكيان ، ٦ للأن ، و ٥ إيطاليين ، و ٥ لبنانيين ، و ٤ كنديين ، و ٢ من كل من اليونان وبلجيكا ، وواحد من كل من هولندا ، وبريطانيا وفرنسا ، وجنوب افريقيا .

■ وفي المجال السياسي والاجتماعي : تهدف العناصر الطفيلية إلى ضرب انجازات نظام ٢٣ يوليو . فالعناصر المضاربة هي في واقع الامر « تضارب على النظام » بأن تستولى على ما تبذل الحكومة كثيرا من الجهود والتكاليف لتوفيرهم من ملج وممكّنات ، لسد حاجات الاسنهلاك والانتاج ، وتجسبه عنها ، لتفرض بمسد ذلك شروطها على المستهلك وعلى المنتج سواء كان رأسماليا خاصا ، أو قطاعا عاما .

لما المهريون ، فينتهكون الميثاق ، والوثائق السياسية الأساسية التي تقصر الاستيراد والتصرف في العملات الأجنبية على القطاع العام . وقضية التهريب الأخيرة التي تصفها النيابية بأنها « أخطر محاولة أجنبية بالضرر بالاقتصاد الوطني » وتوضح أن المخطط - كما تقول النيابية - يقوم على « التلاعب في عمليات استيراد السلع والبيضات الأجنبية باستغلال نظام الاستيراد بدون تحويل عملة لصالح بعض أفراد القطاع الخاص من التجار المنحرفين » وتقول هذه العمليات عن طريق الحصول على النقد الأجنبي الخاص بالهبات والمؤسسات الأجنبية في

- وتلتخص في الحصول على الريح السريع - ويحكم إيدولوجيتها التي ترى في البلدان الرأسمالية الغربية نموذجا أملا للمبادرات الفردية واجتاء الرياح بلا قيود . وهي في سعيها نحو الريح الكبير والسهل ، لا تتورع عن التعامل مع جهات أجنبية ، تتنافس أهدافها ومصلحتها مع مصالح البلاد . وبالفعل فقد كشفت قضية غيور وغرباوى عن عدد من الوقائع ذات الدلالة في هذا الصدد ، منها :

■ وجود شبكة دولية منظمة تخطط وتنفذ للاضرار بالاقتصاد القومي . فقد نشرت الامرام في ١٩ مارس ١٩٧٢ بيان النيابية الذي جاء فيه « كانت مباحث أمن الدولة خلال تمقيها لنشاط شبكة التهريب ، قد توافر لديها معلومات تؤكد أن هناك تخطيطا أجنبيا منظما وراء هذه الشبكات ، التي اتسع نشاطها فجأة بصورة لم تشهد البلاد من قبل » . وأكدت هذه المعلومات أن التخطيط لجأ إلى هذا الطريق ، بهدف ضرب الاقتصاد القومى » .

■ النيل من دور القطاع العام والسيطرة على السوق الداخلية ، والتستق في ذلك وراء الدعوة لتشجيع القطاع الخاص ، فقد جاء في نفس البيان « أن المخطط يبدأ بالدعوة إلى تشجيع القطاع الخاص ، ثم تتخذ هذه الدعوة كستار للهجوم على القطاع العام ، ولاطاء الفرصة للرأسمال الخاص للريح السريع عن طريق النشاط الطفيلي الذي لا يسهم في زيادة الانتاج ، بل يسعى إلى السيطرة على تجارة الجملة وعلى القسم الأكبر من تجارة التجزئة » . وذلك عن طريق قيام الرأسمال الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام المنتج والمستورد من ناحية ، وبين الشعب كمستهلك من ناحية أخرى . وبهذه الطريقة يتركز جانب من الخزون السلمي في أيدي هؤلاء اليمسطة ويعدما يظهر دورهم ، حيث تكون لهم السيطرة على السوق المحلية باحتكارهم السلع ، في حركة تصيد الاسعار ، وفي النهاية ، في خلق سوق سوداء ، بكل آثارها المخربة من ارتفاع تكاليف الانتاج ونفقات المعيشة » .

■ التعاون مع عناصر ليست بعيدة عن إسرائيل ، فالعبر أفنديا سالم المتهم الصهيوني في القضية ، والده أحد مؤسسي دولة إسرائيل وشقيقه صاحب بنك ديمسكونت في جنيف الذي تحول إليه الاموال المهربة . بل لقد ذهب الأمر إلى حد أن هذه الجهات الأجنبية قد اختارت نفرا من المصريين الذين أدركت أن الريح هو محركهم الاسامي

مصر) واستغلال مخدرات المصريين السذين يعملون في الخارج . والهدف هو حرمان مصر من النقد الاجنبي وسيطرة بعض افراد القطاع الخاص على السوق المحلي للتحكم في عملية الاسعار ، ومن النكبة في نظام القطاع العام كركيزة للنظام الاقتصادي .

ومن جانب آخر فان نشاط العناصر الطفيلية يقوم على تفويض الزمام جزء من القيادات الاقتصادية بالأهداف الاجتماعية التي تدافع عنها القيادة السياسية ، ويضعف من اخلاصهم للقوانين والقرارات التي اصدرتها . وكما تقول الية الكريمة : « ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ، فانه لا ينتظر ولاه المسئول المرتضى لأهداف الخطة أو قوانين الدولة » . ففضية التهريب ، مثلا تورط فيها رئيس قسم الاستيراد بدون تحويل عمله بالشركة العربية للتجارة الخارجية ، ووكيل عام جمارك الاسكندرية ، ومراقب جمارك المصودية ، ووكيله ، ورئيس قسم الكيماويات بالرقابة للصناعية . بل ان موظفا بينك القاهرة قام بتحويل مليون دولار لحساب أحد المتهمين .

وكنموذج لانتهاك قوانين الدولة ، تحت تأثير عمليات الفساد التي تقوم بها العناصر الطفيلية لنفر قليل من المسئولين عن الوحدات الاقتصادية ، كشفت الرقابة الادارية عن ان مسئولى الشركة المقارية المصرية خالفوا القرار الذى يقضى بعدم منح مقاولى القطاع الخاص أصلا تزيد عن ١٠٠ ألف جنيه ، وعهدوا الى أحد المقاولين بأعمال تقرب من مليون جنيه ، وصرفوا له دون وجه حق أكثر من نصف مليون جنيه ، حتى انهم استهلكوا رأس مال الشركة البالغ مليون وربع مليون جنيه ، وبلغت خسائرها أكثر من مليونين ٧٧٢ ألف جنيه . بل لقد اشترى هؤلاء المسئولون ٢٥ سيارة ثقل على حساب الشركة ، ثم قاموا بتمليكها للمقاول بالتقسيط ، وكان القسط اليومي للسيارة الواحدة هو ٣٥ مليا ، ثم ٣٥ مليا وأيس ٣٥ جنيتها .

ومن الملاحية الاجتماعية ، يعرقل نشاط العناصر الطفيلية جهود النظام لإعادة توزيع الدخل تحقيقا

للمعادلة الاجتماعية ، ويقوض نشاطه لمواجهة التفاوت الحاد في الدخل . ففى حين وضعت القيادة السياسية حدا أقصى وحدا أدنى للأجور - وأثير الرئيس السادات زيادة هذا الأخير - ووضعت نظاما للضرائب التصاعدية على الدخل ، فان العناصر الطفيلية تجمع بين إيداع دخولها هائلة لا تتمكن منها الدولة ، سواء بالقطاع جزء منها بالضرائب ، أو حتى بتعتيتها بفرض الاستثمار أو تحديد حجمها على أقل تقدير ، وذلك لان معظم هذه الدخل غير مشروعة وتتم بطرق سرية (٦) .

والإحتمل من ذلك كله ، ان النشاط الطفيلي يعارض تماما مع الأخذ بمنهج التخطيط . ذلك ان الاضافات المقتتلة التي يزيدها الطفيلون على الاسعار ، والتي تحددها الدولة بصورة تكفل أكبر قدر ممكن من التوازن بين العرض والطلب ، هذه الاضافات تنوق الجهود المبذولة لتخفيض الاسعار وأحكام الرقابة عليها ، وتعرقل استخدامها كرافعة اقتصادية في سياسة الانماء وكاداة اجتماعية لتظيم التوازن

ان لإيواح وفرض العناصر الطفيلية نفاقم جشعها وسعارها ، الامر الذى يقربها بفرض سيطرتها كاملة ، والقتل من المجالات الاقتصادية الى المجالات السياسية ، ومن ثم لا بدوان يتركز عداؤها على القيادة السياسية الوطنية لسببين : اولهما عدم رضاها عن الأهداف الاجتماعية لهذه القيادة ، والثانى هو ان القيادة السياسية قد دأبت اخلاصا منها لهذه الأهداف على ملاحقة هذه العناصر الطفيلية ، وقضية التهريب الأخيرة خير شاهد على هذه الملاحقة . ان القيادة السياسية تعمل على تصفية النشاط الطفيلي ومحاصرته في كل مجال يظهر فيه ، الامر الذى لا بدوان يفرى جانبا من أصصاب هذا النشاط - والغامرة والقائمة صفة أصاصية فيهم - الى اتخاذ موقف مصان وحناوى للنظام ، وإلى مباركة أى تحرك معارض له .

والمواقع ان العناصر الطفيلية يختلف موقفها من

[٥] اشترك من شركات البستول الأمريكية في مصر ، هابلون من شركة أوف شور وتاينكس ، وساتنالى ، ومن شركة هوكست الألمانية الغربية وكلفان من المدرسة الألمانية ومن رجال الإنتروشركات السهاية وغيرهم . ولقد بلغت مبيعات صادق فور وهذه في عامين ١٥ مليون دولار .

[٦] قال تقرير لجنة الرد على سياسات الحكومة « وقد اعطمت اللجنة على مذكرة لجهار تخطيط الاسعار مؤرخة في يناير ١٩٧٢ ، ويؤكد منها ان غلة الدخل التي تزيد على عشرة آلاف جنيه وهي ٢٢٧٦ أسرة ، يصل متوسط دخل الأسرة الواحدة منها الى ٣٢٢٠٠ جنيتها في السنة ولو صح هذا البيان ، وهو مصدر من جهة رسمية ، لكان معناه ان هناك تهريا من الضرائب ، لان هيرويسة الأيراد العام فيما زاد على عشرة آلاف جنيه تصل الى ٩٠ ٪ » .

وفضلا عن أن الأموال المستخفية هي هذه التجارة كانت مقترضة من بنك الدولة ، فوافق نقل كثيرا عن نتائج استئثار هذه الأموال ، فإن الشركات المنتجة كانت تمنح أثمانا لـسواء التجار ، وكانت مخازن هؤلاء شبه خالية إذ كانوا يكفلون تاجر التجزئة المتعامل معهم بشمل ما يسمحون له به ، من الشركات المنتجة مباشرة وأن يتولى هو عمليات النقل وخلافه . ومع ذلك فقد دأب هؤلاء على إقفاء السلع ، والتلاعب في حصص المحافظة بما كان يضاعف الانسجام لحسابهم ، وهو الأمر الذي جعل الدولة تقدر في أكتوبر ١٩٦٧ تأميم تجارة الجملة وقمرها على القطاع العام بعد مهلة قدرها سنة ونصف سنة .

وفي قطاع المقاولات : استقرى الطابع الطفيلي حتى تقلب على الطابع « المتج » الذي كان سائدا . فيه في البدء ، والواقع أن « المقاول نموذج الوسيط البالغ التطفل على عناصر الانتاج خاصة في مجال الانشاءات . فكل عملية من عمليات التشييد تتكون من عدة عمليات انتاجية مركبة تدخل فيها خامات وحرف متعددة ، وتخصصات فنية ، يعمل المقاول بما وسعه الجهد على نيل أقصى هائد من وراء كل منها ، على حدة ، ثم وراء العملية الكبيرة ككل (٧) ويعتمد المقاول على استغلال كل الأطراف وأساسا العمال . فقد كشفت الرقابة الادارية عن ان الشركة العقارية المصرية وهي شركة قطاع عام كانت تعمل للمقاول الخاص مبلغ ٣٠ قرشا لتسبقة متر مكعب من الاتربة ، وكان هذا الأخير يمد بنفس العمل الى مقاول من الباطن مقابل ١٦٥ قرشا ، وكان هذا بدوره يمد بالهبة الى عامل اجير مقابل ٤ قروش لا غير . وعلاوة على استغلال العمالة ، كان المقاولون يبالغون كثيرا في أسعار الخامات ، حتى ان التكلفة زادت في عام ١٩٦٥ بمقدار ٤٠ في المئة عن السنة التي قبلها ، في حين ان تكاليف السلع الاستهلاكية المستخدمة في القطاع لم تزد الا بنسبة ٨ في المائة وزادت الاجور بنسبة ٢٠ في المائة بما في ذلك التأمينات ومكافآت مجالس الادارة . ولقد ارتفعت عوائد حقوق التملك الى القيمة الاجمالية لتكاليف البناء والتشييد الى حوالي ضعف ما كانت عليه . وبالإضافة الى هذا اعتدوا مقاولو القطاع الخاص على اللاعاب في التلغيف ، فيكفي مثلا ان يقلل مقاول الطرق ٥ سنتيمترات من سبك طبقة الرصف على امتداد طريق طوله مئات الكيلومترات ، ليحصل على مبلغ خرافي لا يستحق

النظام من موقف باقي الطبقات ، فالعمال والملاحون وقد تحقق لهم عدد كبير من المكاسب يجدون أن مصالحهم في بقاء كل نظام وطني تقديروا والنود عنه . بل ان الرأسمالية الوطنية المنتجة ، ترى هي الأخرى ، مصالحها متفقة - بشكل عام - مع مثل هذا النظام ، وفي الحفاظ عليه واستمراره ، إذ تكفل لها متطلبات الوحدة الوطنية ، وهي إحدى عناصرها فرصة العمل والانتاج . وحتى اذا نشأت بين هذه الرأسمالية الوطنية المنتجة وبين طبقات الشعب الأخرى تناقضات أو خلافات ، فانه تكون موقوفة وثانوية وغير عداوية ويمكن حلها سلميا ، وفي إطار التحالف ، أما العناصر الطفيلية فتناقضها تام وعداوي مع أهداف الاجتماعية والوطنية ، الأمر الذي يجعل منها دعامة أساسية من دعائم الثورة المضادة ، ويستدعي حرصا وحذرا ورصدا لكافة تطوراتها ، أسد كافة الثغرات والفروص التي تتيح لها تحقيق أغراضها ، أو على الأقل تقييدها بمحاولة ذلك . وهي أغراض أقل ما يمكن أن توصف به هي انها معادية لما أجمعت عليه غالبية الأمة وعبرت عنه القيادة السياسية .

مجالات أساسية

حركة العناصر الطفيلية

وتتركز المجالات الأساسية للحصول على الدخول الطفيلية في بعض أنشطة القطاع الثالث والواقع أن لبعض جوانب هذا القطاع طابعا «طفيليا» وأعضاءه يهويضم كتلة من الأشخاص غير المنتجين مباشرة ، إذا لم نقل غير المنتجين بقاتا ، والمصادر الرئيسية للدخول الطفيلية تتمثل أساسا في : تجارة الجملة ، والمقاولات خاصة من الباطن ، والتوريد للقطاع العام ، والتهرب ، والمضاربة ، وتسهيل الاستيلاء على أموال الدولة . ففي تجارة الجملة : لم يكف الميسرون عليها بالربح الذي يستحقونه في مقابل خدماتهم في التوزيع ، ونقل النافع المكانية والزمانية ، ومنع الائتمان ، وإنما تلاعبوا في عرض السلع الموجودة فعلا - بما ضاعف الأسعار التي حددتها لها الدولة : رغم انها تسمح لهم بهامش ربح كبير . ففي تجارة الإقضية مثلا كان هناك ٢١٩ تاجرا يحتكرون بضائع سنوية قيمتها ١٢٠ مليون جنيه ، ويحققون ربحا مسموحا به من الجهات المختصة قدره ٢٥ مليون جنيه .

وخاططة طنت أنها تخرجها من نطاق تطبيق القانون
لاستناد عمليات لنفس المقاول تزيد عن النصاب
القانونى .

٥ - ساعدت الشركة المقاول على التهرب من
دفع الاشتراكات المستحقة لهيئة التأمينات
الاجتماعية وهى مبالغ كبيرة ، وبطرق -تفوية -

٦ - تم التلصق فى احدى العمليات على ١٥٠٠٠
طن ، وتمت المحاسبة على حوالى ٢٨٠٠ طن بعد
الاتفاق على تعديلات فى الرسومات والمواصفات ،
وفى هذا مصلحة كبيرة للمقاول . وأكدت اللجنة
ان وجه الخطورة فى ذلك يتمثل فى « ان الحكومة
والقطاع العام تقوم باسناد الاعمال لشركات
مقاولات القطاع العام بسهولة ، ونون تدقيق فى
الاسعار ، فلما منها انه لا داعى للكثير من هذه
اللفة طالما ان التعاقد يتم مع شركات قطاع عام ،
ثم تقوم معظم هذه الشركات فى اغلب الاحيان
باسناد هذه الاعمال الى مقاولى الباطن » .

وحول موضوع التلاعب فى اسناد المقاولات من
الباطن الى شركات خاصة أكد تقرير اخير للجان
المركزى للمحاسبات ما يلى :

« عدم سلامة اجراءات اسناد الاعمال للمقاولين،
وصرف مبالغ كبيرة للمقاولى الباطن ، دون مقابل
عن اعمال منفذة او توريدات ودون الحصول منهم
على الضمانات الكافية لتنفيذ التزاماتهم ، وهو ما
يؤدى حتما الى احتمال ضياع هذه الاموال فضلا
عن عدم الحصول على انصب الشروط والاسعار ،
ومن ناحية اخرى ، فانها تؤدى الى استخدام جانب
من الاموال العامة فى تمويل القطاع الخاص » .

التوريد للقطاع العام والحكومة : مع سيطرة
القطاع العام ، ونمو أجهزة الدولة ومؤسساتها
يصبح « الانفاق العام » هو الاساس فى النشاط
الاقتصادى ، ويغدو « حجم مشتريات القطاع العام
والدولة » هو المحدد الاساسى لعمليات الانتاج
والتسويق .

ورغم ان الدولة - بقطاعيها العام والحكومى -
هى المنتج ، والمستورد ، والموزع الرئيسى لمظم
السلع والمستزمات ، فقد نشأت ثمة من الموردين
للقطاع العام والحكومة ، فرضوا أنفسهم « دون
الوساطة » بين الشركات العامة والجهزة
الحكومية المنتجة والمستوردة للسلع ، وبين
مستخدمى هذه السلع سواء كانوا شركات
منتجة - معطها عامة - او مستهلكين نهائيين .

ولقد بلغ متوسط ما انفق على التشييد فى كل
عام من اعمار الضفة الاولى ١٨٠٠ مليون جنيه ،
قام القطاع الخاص ومقاولو الباطن بتتفيذ ٨٠ فى
المائة منها . وقام القطاع العام بالباقي اى ان
القطاع الخاص نفذ سنويا مقاولات بمبلغ ١٤٤
مليون جنيه ، تقدر نسبة الربح الحلال منها بـ ٢٠
فى المائة اى ٢٨٨ مليون جنيه ، تتضاعف بسبب
التلاعب وهو امر لا يستغنى عنه المقاولون .

وقد شاعت الاستمارة بمقاولى القطاع الخاص
هى بالرغم من قلة امكانياتهم وضعف قدراتهم الفنية،
بل وكانوا يمنحون « دفعات مقبلة » كبيرة يبدؤون
بها عملهم ، والسبب فى هذا ان اصحاب الشركات
التي اتمت او انضمت للقطاع العام والذين
اصبحوا مديريين ورؤساء لها بعد انتقالها للبلدية
العامة ، انشأوا باسماء عائلاتهم واقاربهم شركات
خاصة جهدوا لها - يهكم مناصبهم - بالمقاولات
حتى ان شركة فى القطاع اصدرت امرا مبانرا
لاحد المقاولين للقيام باعمال الحفر ، وحدد هذا
سعرها قدره ٢٥٠٠ جنيه للمتر المكعب - بدلا من ١٥٠
جنيه كانت محددة فى تقدير التكاليف - مما رفع
التكاليف من ٢٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه.
ونكرت لجنة قصى الحقائق فى موضوع ارتفاع
اسعار الحديد وتجارة الخردة التى شكلها مجلس
الشعب فى تقريرها بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٧٢ ان
شركة النحاس المصرية بالاسكندرية اسندت لشركة
مصر لاعمال الاسمنت المسلح - وهى قطاع عام -
احدى عمليات المقاولات وقامت هذه الاخيرة
باسنادها الى مقاول خاص من الباطن « بطرق
مليئة بالشك والريبة وسوء النية » وذكرى اللجنة
فى تقريرها الحقائق التالية :

١ - ان جملة العقود الخاصة بالعملية التى
تم فحصها كمثال حوالى ١٦ عقدا عن عمليات جمعتها
متشابهة والاخر مختلف ، وقد رمت جميعها على
نفس مقاول الباطن .

٢ - ان طريقة طرح المعطاءات او يسوها غريبة
ومخالفة لاصول .

٣ - ورغم ان القانون ينص على الا يزيد حجم
العمليات التى تسند لمقاول القطاع الخاص على
١٠٠ الف جنيه فى السنة فى مجموعها ، الا ان
احدى هذه العمليات وحدها تزيد على ٢٠٠ الف
جنيه فضلا عن مجموعها .

٤ - ورغم ان القانون ذاته ينص على عدم
تجزئة المعطاءات الا ان الشركة لجأت لطرق غريبة

الدخول الطفيلية

سنويا على التجار الثلاثة قدره مليون ونصفه مليون جنيه . ونصت على أن المقد غير قابل للتجزئة - رغم أنها رفضت أفراد سيجال - ثم عادت لتجزئته لتجار الثلاث كل على حدة . .

ولقد ذكر تقرير الجهاز المركزي للمحاسبات السابق الإشارة إليه أن « بعض الشركات تسند إلى موردين من القطاع الخاص ، القيام بالتوريدات بالطريق المباشر في معظم الحالات ، وتصرف بهم مبالغ كبيرة دون أن يقابل ذلك توريدات فعلية . وفي الحقيقة لا تخرج هذه المبالغ عن نمون من القطاع العام للقطاع الخاص ، لا يستند إلى أسس طبيعية في التعامل » .

التهرب : إذا كانت المقاولات قد بدأت منتجة ، ثم تغلب عليها الطفيلون ، فإن تهريب السلع إلى داخل البلاد ، وتخريب سيطرة الدولة على الاستيراد قد نشأ منذ البدء نشاطا طفيليا . ومخاطر هذا النشاط الطفيلي متعددة ، منها أنه يستورد سلعا من « سقط الثمار » في الخارج ، ليبيها لمن يؤمنون بتفوق الاجنبي بسعر يبلغ عدة أضعاف ثمن شرائها ، فضلا عن أن كثيرا منها يجرى من بلاد معادية لذا قد تكون الدولة قررت وقف التعامل معها . بل أن بعضه يجري من إسرائيل فعلا . والتهريب لا يسير في اتجاه واحد بمعنى أن السلع تجيء من الخارج وتنتهي العملية ، بل يصحبها عادة إخراج سلع مصرية أو ذهب أو نقد مصري في أضعاف الأحوال ، وذلك « سدادا » لثمن البضائع المجلوبة .

وبغلا عن أن هذا النشاط يمثل انكارا وتحديا لكل إنجازاتنا في مجال الصناعة - علما أن كثيرا منه سلع مصرية وضمت عليها علامات أجنبية في بيروت ثم أعيد تصديرها إلينا - فإن له أسوأ الأثر على أخلاقيات ومعنويات المواطنين . فهو من ناحية يقوض ثقة كثير من المواطنين في إجراءات الحشد والمواجهة و « تزويب الفوارق » وهي سياسة الدولة الملقة ، وذلك عندما يرون مدى الرواج الذي تحظى به السلع المهربة ، وكثرة عدد مشتريها خاصة ، وأن ثمن بعض منها يزيد عن دخل المواطن المادى عدة مرات (هناك جهازان تلبسون ثمنه ٢٠٠ جنيه وزجاجة بارفان ثمنها ٤٠٠ جنيه ، الخ) . كما أن المهربات أثر ضار في إثارة « التطلمات » غير السوية وتلبية انفساط استهلاكية شائكة لا تتفق بحال مع أوضاع بلدان العالم الثالث ، وهي توفر أيضا أرضية قوية « للقواية والإفساد » ، للحصول على أثمان هذه السلع . ومما يبين ضخامة هذه التجارة أنه في ٨

أن كل دورهم يتلخص في الاستيلاء على إنتاج إحدى الشركات العاملة ، لبيعه لشركة عامة أخرى أو للمستهلك النهائي بسعر يزيد أحيانا على أربعة أضعاف السعر الذي اشترؤوا به من الشركة العامة .

وحول هذا الموضوع قامت اللجنة التي شكلها مجلس الشعب لاستظهار الحقائق في موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة المختلفة ، بدراسة جيدة أكدت فيها أن « القنوات التي يقطع فيها الحديد رحلته من المصنع إلى المستهلك ، تمحصها أياد تتمتع بأكثير من المهارة والبراعة في خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء تحقق أرباحا طائلة لطلقة من المحتكرين والسماسرة ، يدفع المستهلك المادى من أفراد الشعب جزءا منها ، ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الأعظم منها » .

وقدرت اللجنة ، أن الحديد الذي يحصل عليه القطاع الخاص من الشركات العاملة بالأسعار الرسمية ، ليعيد بيعه للقطاع العام ، بسعر قدره حوالي ٢٥٠ في المائة من ثمن شرائه ، يحقق بهم ربحا قدره ١٥ مليون جنيه سنويا علما بأن هذا الجزء الذي يعاد بيعه ، هو الفائض لديهم يسد احتياجات العمليات التي يقومون بها ، وذلك لانهم يبالغون في مستلزماتها ، لبيهاوا بها يتبقى في السوق السوداء . والتلاعب في الأسعار التي يتم بها التوريد للقطاع العام كبير وجرع ، ويتم في الداخل والخارج . فقد ذكرت اللجنة نفسها أن شركة ستيليت الأمريكية ، اتفقت مع المؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية ، على توريد ٤٠ ألف طن ، مقابل عمولة قدرها ١٥٠٠ دولار عن الطن تقاسمها الوسيط مع مسئولين في المؤسسة . وقالت أن الرقابة الإدارية كشفت عن أن جهة أجنبية دفعت عمولة قدرها ١٨ في المائة لوسيط في استيراد كميات تبلغ مليون جنيه لجهة حكومية ، مقابل رفع الأسعار بنسب بين ٢٠ في المائة و ٤٠ في المائة . وبعد أن اوضحت اللجنة أن القطاع العام هو المنتج والمستورد الأساسي ، تساءلت عن الطريقة التي تصرف بها هذه الكميات الضخمة إلى السوق السوداء .

وفي موضوع خردة النحاس ذكرت للجنة أن شركة النحاس المصرية بالاستكندرية والشركة العامة للمعادن ، استبعدتا شركة سيجال - وهي قطاع عام من توريد الخردة عندما أرادت هذه الأفراد بالتوريد ، وأرست عطاء بالتوريد على ٢ تاجر قطاع خاص ، وبلغت قبة العطاء ٨٠٠ مليون جنيه - وكان تأمينه ربع مليون جنيه - يد ربحا

فبراير ١٩٧٢ ، صرح نائب رئيس الوزراء للاقتصاد والتجارة الخارجية ، بأن السلع الاستهلاكية التي دخلت بنظام الاستيراد بدون تحويل عملة ، بلغت في أربع سنوات ٨٠ مليون جنيه - باطنج لم يحسب في هذا الرقم السلع التي دخلت بطرق غير مشروعة . وقال أنه في نفس الفترة دخلت ٢٣ ألف سيارة وركب ثمنها ١٢٥ مليون جنيه .

وقد اتخذت تجارة تهريب السلع وتحدى سيطرة الدولة على الاستيراد ، طابعا دوليا تشترك فيه جهات اجنبية كثيرة خاصة الصفارات والشركات . واتخذ تحدى الميثاق في هذا الصدد طابعا عليا ، حاول به أصحاب هذه التجارة فرض عديم الشرعية ، ويجعله امرا واقعا يحدى سلطة الدولة واختيارات القيادة السياسية .

ومع ذلك لابد من التنبيه الى أن جزءا من الاقبال على « منتجات الاجنبي » ، يرجع الى عدم اهتمام بعض صناعاتنا بمستوى الجودة ، واعتمادها على أن المستهلك سيشتري انتاجها رغم أنه ، طالما أنه هو الانتاج الوحيد الموجود في السوق . ومع مراعاة ذلك يجب الاخذ بتوصية لجنة الرد على بيان الحكومة السابق الاشارة اليها والتي تقول : « اننا في هذه المرحلة وفي هذه الظروف التي ندرج فيها أننا لا نستطيع أن ندخل لهما مير الشعب العاملة كل ما تصبو اليه من حل لمشكلاتها والنهوض بمستوى معيشتها ، لا يمكن أن نسمح باستمرار الاتجار في السلع الكمالية المستوردة ، او المهرية ، تحت سبغ القانون وبصره . واذا كان القانون عاجزا عن مواجهة هذه الحالة ، فإن احترام سيادة القانون يقتضي تعديله . أن الامر لا يتعلق فقط بالحد من دخول تتولد بأساليب غير مشروعة ، بل أن الامر يتعلق بتهيئة الجو النفسي لشعب يجتاز أخطر مراحل حياته » .

المضاربة : وتعتمد اساسا على خلق « حرة » مفعلة ، ولا تتم فقط بالتأثير على مختلف العوامل المتضمنة في العرض (اقتناص واستيراد السلع ونقلها وازحاجها) ، بل تهافت ايضا الى التأثير في الطلب باساليب الانشاعات فضلا عن أن تسلمة ستخفي والدعوة الى تخزينها ، مما يضخم الطلب عليها ومن ثم ترتفع اسعارها . ومع أن الدولة في مصر تبذل قصارى جهدها لتوفر - بالانتاج أو الاستيراد - الكميات الكافية من السلع والمستهلكات لمواجهة الطلب الاستهلاكي والانتاجي وتطرحها بأسعار مناسبة - قد تقل عن ثمن انتاجها أو استيرادها - فإن المضاربين يستولون على ما وفرت الدولة ، سواء عن طريق بعض المسئولين في الوحدات الاقتصادية من خرابي الذمة ، أو بوسائل

اتباعهم لشرائها وتخزينها ، ثم إعادة عرصها بالاسمار التي يريدون . وكنموذج لهذا فقد وصل كيلو الجمالكه في السوق السوداء الى ٧ جنيهات في حين أن الدولة هي التي استوردته وطرحته لتبيع بأربعين قرشا ، كما أن متر الخشب الابيض الذي سمرته الدولة وباعته بحوالي ٢٣ جنيهات يباع في السوق السوداء ببيلج ١٢٠ جنيهات . والفريق أن لدى تجار السوق السوداء ما يكفي مجموع الطلب ويزيد عنه ، وأن الدولة هي أصلا التي جافت بهذه المستلزمات من الخارج .

يل ولا يجد المضاربون على الاسعار حرجا من « سرقة » ما استوردته الدولة ، بالمعنى المادني والحرمي والاخلاقي لكلمة سرقة ، لم يبيعوه بـدسعار مصانعه ، أي أنهم لا يريدون حتى دفع الاسعار الرخيصة نسبيا التي تحددها الدولة تمب لها ويفضون الاستيلاء عليها مجانا . وقد اوردت الصحف اخيرا بها تجار النخنان الذين استولوا على شخصه سيارة منه كانت قداسة لحساب إحدى شركات القطاع العام . وشبهها ٦٠ ألف جنيه . وفيها بفترة اخلس بعض المهنيين الموظفين في مصفورة للطاقم وباعوا العبة منها ببيلج ٦٠ جنيهات ، في حين أن الدولة حددت لها سعرا ٩٠ جنيهات .

الاستيلاء على اموال الدولة : والنماذج في هذا كثيرة ومتعددة . فقد دار نقاش طويل في مجلس الشعب حول مبلغ ٨ ملايين جنيه خسائر في مؤسسة السينما من جراء دفع مبالغ عن أعمال لم تتم . وكذلك حادثة « الصياد » الذي اختلس نصف مليون جنيه من بنك مصر (ديسمبر ١٩٧٢) ، وقبلها اختلس موظف في البنك الاهلي ٩٢ ألف جنيه (أكتوبر ١٩٧٢) ، وقبل ذلك اختلس صراف من أحد البنوك ٧٠ ألف جنيه لمشاركة صديق له في شراء عملة اجنبية واعادة بيعها ولكن الاخير مثله طمعا في المبلغ (سبتمبر ١٩٧٢) . وفيل دول بلغت الاختلاسات من بنك الاتحاد التجاري ١٢٦ ألف جنيه (يونيو ١٩٧٢) . كل هذه الاختلاسات جعلت الحكمة في قضية المصياح تعلن انها « نرى أن تناشد المسئولين عن الهيئات والمؤسسات المالية والوحدات الاقتصادية التابعة لها ، أن يولوها من الرعاية الحقيقية والاشراف الفعلي ما يتواءم مع خطر شانها على المركز الاقتصادي ، والثقة المالية للبلاد ، والمصلحة القومية للشعب ، لاسيما في المرحلة الاقتصادية التي يجتازها الوطن العزيز في نضاله التحرري وفي كناعه الجيد لرد العدوان الغاشم . واسترداد الارض السليبية من الوطن المرعى الكبير . وذلك بالعمل الجاد المستمر في

دون أن يؤدي دورا يذكر في « تسهيل » إنتاج أو توزيع السلع . والغاء هذه الجزية التي يفرضها الطفيليون على المستهلك ، أو على القطاعات الانتاجية - سواء كانت تابعة للقطاع العام أو الخاص - لن يعمل الإنتاج أو التسويق على التقيض من ذلك ، كما أنه لن يغير من خصائص السلع والمستلزمات أو فوائدها ، بل أن ماركس يؤكد أن الغاء نصيب وحصة ملاك أدوات الإنتاج من « الناتج » - مع أنه لدى هؤلاء ما يقدمونه على عكس الطفيليين الذين لا يقدمون شيئا على الإطلاق - لا يغير خصائص هذه الأدوات ، يقول في مقال « انخراط الاشياء في ظل الملكية الخاصة » ان « الأرض لا شأن لها بالربح ، فالأرض لا المقاري ، والألة لا شأن لها بالربح . فالأرض لا تمنى الربح المقاري إلا بالنسبة لبيالك العمالي » فهو يؤجر أرضه ويتلقى الربح : تلك سعة يمكن أن تفقد الأرض دون أن تفقد خصوبتها مثلا » (٩) . كما أن اتجلف في كتابه « الرد على دوهرنج » ، يصف ربع الحياة أو الربح المقاري بعكاس رأس المال بأنها « استهلاك لخدمات الغير دون خدمات مقابلة » .

وإذا كان العمل - كما تؤكد مؤلفينا السياسية - هو المصدر الأساسي للدخول والثروات ، كما أنه الأسلوب الأكثر عدلا لتوزيع الناتج القومي ، فإنه لا يكون هناك مجال للمباح لاتساع عاطلين لعمال ولا يسهمون بأي جهد في الإنتاج أو التوزيع ، بأن يشاركوا في اقتسام ثمرة جهد من يعملون - من القطاعات العام والخاص - ناهيك عن السماح لهم بالاستيلاء عن جزء من هذه الثمرة يزيد كثيرا عما يناله المنتجون الذين قاموا بالعمل كله . والحق أن ضخامة التحويلات التي تواجه القيادة السياسية ، في مجال التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة وسد احتياجات التحرير ، تتطلب أعلى انتاجية من كل انشاق للموارد المتاحة - وهي ثقل حتما عن تلبية مجموع الاحتياجات ، مما يجعلنا نطعي الأولوية لمعضلتها ونرجى البعض الآخر . ومن ثم فلا مجال لتبديد جزء منها على أناس لا يسهمون بشيء في العمل المشترك لتحقيق امداف الأمة الوطنية والاجتماعية ، ذلك أن السماح بهذا يرهق كثيرا من حماس ومبادرات جموع العاملين ويضعف من امكانيات تسيبهم لتحقيق الاختيارات الواضحة ، وهو شرط ضروري لاستكمال الفجوة القائمة بين الامال والامكانيات المادية لتحقيقها .»

حماية الاموال العامة ووسائل الانتاج والحفاظ عليها من جنبايات الاستيلاء التي تحدثت (٨) . واتخذت اشكالا وصورا مختلفا متطورة ومتغيرة . وإن سبيل الادارات العليا الى ذلك لا يكون الا بتدعيم أجهزة المراجعة والرقابة والتفتيش والاضراف بالعناصر الراعية المخصصة لعمها والمقدسة لواجباتها والمقدرة لمسئولياتها ، اذ لو كان شيء من هذا متوافرا ما وصل الاختلاس والاستيلاء على اموال بنك مصر الى هذا الرقم المذهل ال رهيب في حادثة واحدة . . وتؤكد احصائيات الأمن العام أن المبت بالاموال العامة يشكل اكبر نسبة من الجرائم ، اذ تبلغ في القاهرة ٢١,٥ في المائة من جملة الجرائم ، وعلى الاسكندرية ١٧,٢ في المائة ، وفي القليوبية ٢٨,٢ في المائة . وكان مجلس الشعب قد افش في ابريل ١٩٧٢ ، اقتراحا بمشروع قانون ينص على الحزم بالاعتماد على كل عضو مجلس ادارة او مدير او مستخدم بأحدى الشركات المساهمة او الجمعيات التعاونية او النقابية او احدى المؤسسات لعامة ، اذا اختلس واستولى بغير حق على مال بها او سهل ذلك للغير .

تصفية النشاط الطفيلي

قضية أساسية

من كل هذا ، يتضح « تعدد » فرص ومجالات الحصول على الارياح الطفيلية ، وتزايد أعداد من يبتغونها ويحاولونها لانفسهم هدفا وغاية ، الامر الذي يهدد كافة مشروعاتنا وخططنا أن نقصر عن تحقيق الامال المنوطة بها ، تحت تأثير تضخم الاعباء التي يفرضها الطفيليون الذين يشكل وجودهم ونشاطهم نوعا من « الغواية » للآخرين . ومن ثم تصبح قضية تصفية الأنشطة الطفيلية ، قضية أساسية تحقق اعتبارات « الرشد » وتوفر شروطه في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى ذلك . بجانب زيادة الانتاجية والاستغلال الرشيد للموارد المتاحة كطريق أساسي لتحقيق ما اعلنته الحكومة من اعتزالها العمل على تفضيخ الاسعار أو على الأقل تثبيتها ، يتبع الغاء «تصيب» العناصر الطفيلية امكانيات كبيرة ليروغ هذا الهدف . ذلك أنه من أهم عوامل تضخم الاسعار ، تلك الاضافات التي يفرضها لنفسه ذلك الحشد الغفير من الوسطاء والسماسرة والمضاربين والتلاعبين ،

(٨) في ١٩٦٩ بلغت قضايا الاموال العامة ٤٢٣١ قضية ارتفعت في ١٩٧٠ الى ٤٥٧٨ قضية .

(٩) كارل ماركس ، مختارات من المؤلفات الاولى ١٨٤٢ - ١٨٤٦ ، دار ميش للطفاعة والنشر .

ثورة ٢٣ يوليو

والرأسمالية

الطفيلية

عبد المنعم الغزالي

لقد

قذرت ثورة ٢٣ يوليو دائما قوز
الرأسمالية الوطنية ، على أساس
أنها الرأسمالية المنتجة ، وعلى
أساس أنه يمكن أن يكون لها
دورها المساعد في إنجاز خطة التنمية .

وفي نفس الوقت ، أعلنت ثورة يوليو دائما
تحفظاتها ضد الرأسمالية الكبيرة المستغلة وغير
المنتجة . يقول الرئيس أنور السادات : « لقد
أتمت الدولة بالرأسمالية الوطنية المسادية
للاستعمار باعتبارها إحدى قوى تحالف الشعب
العاملة ، كان تجرير الاقتصاد القومي من
السيطرة الأجنبية ، وضرب الإقطاع والرأسمالية
الكبيرة تقليصا لها من شبكة قهر واستغلال طالما
حاصرتها وشلت جهودها » .

والرأسمالية الوطنية - المنتجة - بحكم وضعها
كقوة منتجة - تتعارض مصالحها تماما مع
الرأسمالية الطفيلية ، هذه الرأسمالية التي تعمل
على تطويق الإقطاع العام بهدف تحقيق أعلى
معدل من الربح ، عن طريق احتكار السوق ،
والاستفادة من الاختناقات التي يمتلئ منها
اقتصاد بيئي نفسه وسط ظروف صعبة وقاسية مثل
ظروف بلادنا ، ظروف معركة التحرير ، وظروف
تنمية المجتمع » .

ولقد يدهشنا أن الرأسمالية الطفيلية نمت رغم
كل الإجراءات التي اتخذت لتصفية مواقع الترجمة
ورأس المال الكبير . لكن هذه الظاهرة ليست
جديدة على ثورة يوليو ، بل هي ، في الحقيقة ،
امتداد طبق لهذه الرأسمالية التي قاومت ثورة
يوليو بأساليب مختلفة وعديدة في كافة مراحل
تطورها . يقول ميثاق العمل الوطني - « إن
الشعب المصري وهو يجابه الثورة من أجل
التطور ، ويحاول تجميع المدخرات وتشجيعها
وتحريكها في اتجاه التنمية ، لم يغب عن ياله أن
الرأسمالية المحلية الكبيرة استغلت في ظروف
ثورات وطنية عديدة ، أن تحول نفائض الثورة إلى
أرباح لها ، لأنها - بامتلاكها للمدخرات القادرة
على العمل في التنمية - تستطيع أن تحتل لنفسها
مواقع الاحتكار التي تحصل منها على كل فوائد
التنمية » .

وقال جمال عبد الناصر - في خطاب له ، في
١٩٦٤ ، في السويس - « طبعا هناك أيضا طبقات
عندها تطامع ، .. عايز يبقى مستغل وعايز يبقى
رأسمالي وأنا بالقول النهاردة أن الرأسمالية
الوطنية وقطاع للرأسمالية الوطنية في بلدنا كبير
من .. ١٩٦٠ أكبر مما تصور . أزاى ، كل التنمية
وكل التجارة ، وكل الخطة .. قطاع الرأسمالية
الوطنية بيزيد وبيزلى في ايده فلوس كثير .. »

انعامها إلى إحياء طويلة . في ١٩٥٥ بينا استثمر في المباني ما يقمته ٤٧٢ مليون جنيه أي ٧٥% في المائة من مجموع الاستثمار الخاص ، فإن الاستثمار في الصناعة لم يتجاوز ٧ في المائة .

وفي ١٩٥٤ - بذات الدولة مجموعة من المحاولات لتقليل أضرار بعض المصانع الرأسمالية ، فأصدرت قرارات تستغنى بها عن بعض كسائر الرأسماليين في مجلس إدارات مجموعة من الشركات ، وخولت وزير الخزانة ، سلطة إصدار أذن خزانة ، وصناديق لتمويل الإنتاج في حدود ٤ مليون . وأنشأت مؤسستي التأمين والإضرار التي أصبحت فيها بعد مؤسسة التأمينات الاجتماعية ، وكذلك صناديق التأمين والمضاميات كنوع من الإضرار .

وتستمر الرأسمالية الكبيرة ، دون ياس ، في محاولة للاستيلاء على أي مكاسب وطنية حذقت على طريق يوليو . فبعد إعلان تصدير البنوك وشركات التأمين ، والوكالات التجارية ، وبعد إنشاء مجلس أعلى للتخطيط القومي ، وإنشاء المؤسسة الاقتصادية - (وكلها إجراءات لتحويل اقتصادنا الوطني من سيطرة رأس المال الأجنبي) اندفعت الرأسمالية الكبيرة تحاول الاستيلاء على هذه المقدرات الاقتصادية لفة سائفة . وفي هذا لاحظ عبد الناصر : « لما أعلننا تصدير الشركات البريطانية والفرنسية على طول أنزلوا على بعض ، وجه القيسوني وجايب كشف مقدم من الرأسماليين وكل واحد منهم عايز يخطف شركتين ثلاثة من الشركات المصرية . وأنا في هذا اليوم قلت له إن جميع هذه الشركات بتروح للقطاع العام ، وإن احنا لن نستطيع بأي حال من الأحوال ، أن نخلي الرأسماليين يزيقوا من تحكمهم بأن يأخذوا أيضا ممتلكات فرنسا وممتلكات إنجلترا » .

واستمر أحجام الرأسمالية عن أي مشاركة في أي جهد وطني ميول لتصنيع البلاد ، وتنمويل خطة للتنمية . ولم يقتصر موقفها على هذا الاحجام ، بل بدأت حربها ضد القطاع العام . وفي سبيل ذلك لجأت الرأسمالية الكبيرة إلى سحب الأموال من القطاع العام عن طريق عقود الإضرار والتوريد والمقاولات . فنتقرير البنك الأملي في ١٩٥٧ يرى أن : « خطة السنوات الخمس لا تعيد أن تكون خطة بغير موارد » . وهكذا نجد أن اكتشافات الأفراد والبنوك جميعها ، في ١٩٥٨ ، في رؤوس أموال الشركات الجديدة ، لم تتجاوز ١٤ مليون جنيه فقط ، بنسبة ١٢ في المائة من مجموع هذه الاستثمارات . وفي ١٩٥٩ - عندما أصدرت

بعض الناس في هذا القطاع عنده تطلعات أنه عايز يكون في وضع طبقى متميز ، زى ما كانت طبقة الرأسمالية وطبقة الاقطاع موجودة في الماضي ، هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجة ، والنهاردة شايف أن الظروف ساعدته ، والظروف ممكنه من أنه يعمل ثروة سميطة أو ثروة متوسطة . عايز يعمل رأسمالى . . أو عايز يعمل أقطاعى » .

الموقف قبل إجراءات

١٩٦٠ - ١٩٦١

عندما قامت ثورة يوليو ، سمعت إلى فتح المجال واسعا لإمام رأس المال المحلي ، ليشترك في تنمية الاقتصاد القومي ، وليتوجه برؤوس أمواله في مجال البناء الصناعى . وفي سبيل ذلك قدمت الدولة الكثير لتشجيع الرأسمالية ليجنب مضراتها الوطنية ، مثل رفع الرسوم الجمركية على المنتجات الصناعية المنافسة للصناعة المصرية المثيلة ، والغاء وخفض الرسوم على المواد الأولية ومعدات الإنتاج ، وخفض الضرائب على الأرباح غير الموزعة بنسبة ٥ في المائة ، وذلك إلى جانب إعفاءات ضريبية عديدة وإجراءات أخرى .

ورغم كل هذه الإجراءات حيست الرأسمالية الكبيرة أموالها عن الصناعة ، وعن تمويل أي خطة للتنمية عن الاستثمار في أي مشروع منتج . حتى أنه في عام ١٩٥٣ ، أصبحت الاستثمارات الرأسمالية الجديدة ١٩ مليونا من الجنيهات مقابل ٢ مليون جنيه في عام ١٩٥٢ ، وفي الوقت نفسه صارت المخدرات ٦٤ مليون جنيه . هي ١٩٥٣ ، مقابل ٥٨ مليون جنيه في ١٩٥٢ . وبلغت الودائع في البنوك ٢٢٣ مليونا مقابل ٢١٧ مليونا .

وكان اتجاه الرأسمالية ، منذ البداية ، هو الاستثمار في المجالات غير المنتجة ، حيث تتمدد المغامرة ، ويتحقق أعلى معدل من الربح ، فالبنك الاملورى ١٩٥٣ يرى أنه :

« بدلا من الدعوة إلى التصنيع لإيجاد عمل للفائض من الأيدى الزراعية يجدر بنا أن نحاول استئالة من جانبها الآخر بمعنى أنه يجب البدء بتنمية الزراعة للتماسا لتوسيع نطاق سوق لمنتجات الصناعية ، ليصبح التوسع الصناعى ممكنا » .

وفي ١٩٥٥ يرى أنه : « هناك بضعة دروس أهمها أن التصنيع عملية طويلة ومعقدة ويحتاج

الحكومة قانون تحديد الارياح للالزام الشركات بشراء سندات الدولة ، اعلنت الرأسمالية حرب البورصة .

وهكذا نجد الصورة قبل اجراءات ١٩٦٠ - ١٩٦١ - انفراد الرأسمالية بالسوق القومى وجنبا لارياح طائلة ، بلغت حوالى ٥٢ فى المائة فى النسيج ، ومن ٦٠ الى ٧٠ فى المائة فى المغاولات وتركيز استثماراتها فى المياليات المصرفية ، والمياليات ، والمقاولات ، والنقل ، والصناعات الاستهلاكية ، والتجارة الخارجية التى حوّلها الى مصدر للحصول على ارياح طائلة ، اغلبها غير مرئى ، ولتهريب الكثير من الثروات والمخدرات ، ثم ملامحة المصار للقطاع العام ، لاستنزاف اكبر قدر من امواله .

وفى خلال السنوات القليلة ، التى تلت التمهيد : من ١٩٥٧ حتى ١٩٥٩ ، ازدهرت الرأسمالية المصرية ازدهارا كبيرا ، وشهدت عصرها ذهبيا . وهنا برز الطابع الطفيلى للرأسمالية المحلية ، فبلغت الارياح التى حققتها الشركات المساهمة قبل التأميم ٤٤٤ مليوناً من الجنيهات فى ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ، بنسبة ٣٥ فى المائة من قيمة رأس المال الاسمى . وبرز الطابع الطفيلى ، أكثر ، فى قطاع المقاولات والانشاءات والذى بلغ حجم الاستثمارات فيه فى السنة الاولى ١٩٥٨ فى المائة من مجموع الاستثمارات . وحفقت الرأسمالية المحلية اقصى ربح احتكارى عن محاولات السيطرة على السوق ، لا عن طريق تطوير قوى الانتاج .

ولقد تنبه عبد الناصر الى هذه الظاهرة فقال : « لنا كنت اشعر بان احنا ممكن الجعف الثورى غير قائم ، الثورة بدأت تتعثر ، الرأسمالية المستغلة بدأت تفلذ ويدات تهرب وتتسلل الى نصف الرأسمالية المستغلة والرجعية قوشك ان يجمد الثورة او تلم الثورة الوطنية لصاحبها الخاص . وكنا فى نفس الوقت نجد ان الرجعية هنا تتسلل وتبدأ تاخذ مراكز على درجة كبيرة من الخطورة » .

اجراءات ١٩٦٠ و ١٩٦١

ضد الرأسمالية الطفيلية

وهكذا جاء عام ١٩٦٠ ، وكل جهود ثورة يوليو

للتطور بالثورة الوطنية الى مرحلة الثورة الاجتماعية بحاصرة بالراسمالية ، ومنسوبة لصالح قوى طفيلية - واقفة فى وجه أى تطور ثورى - يقول عبد الناصر : « اثن فى ١٩٦٠ كان من الواضح ان الثورة التى قامت سنة ١٩٥٢ على ان تكون ثورة سياسية ، وعلى ان تكون ثورة اجتماعية ، خلصت دورها فى الناحية السياسية ، ولم تستطع ان تنفع فى الناحية الاجتماعية . ولكن لا يمكن بمال من الاحوال ان تمنع النفع الثورى من وضع الثورة الاجتماعية موضع التنفيذ » .

وبدأت ثورة يوليو ، تشق طريقها نحو الثورة الاجتماعية ، بتوجيه ضربات الى هذه القوى الرأسمالية التى ازداد خطرها على الثورة ككل . وفى ١٩٦٠ ، ام كل من بنك مصر والاهلى ، وكلا الممتلكات البلجيكية . وبعد ذلك ، فى يوليو ١٩٦١ ، نقلت الى ملكية الدولة جميع البنوك ، وشركات التأمين ، والتجارة الخارجية ، ومجموعة كبيرة من الشركات الصناعية والتجارية ، ومؤسسات النقل ، والفنادق ، والمياه ، والاراضى العقارية . الخ . لقد جاء التأميم ، بعد ان ظن ان هذه الرأسمالية المحلية ليس فى الامكان ترويضها لصالح أى خطة تنمية وطنية ، فهى كما يرى الميثاق : « باعلاكلها للمخبرات القاصرة على العمل فى التنمية تستطيع ان تحصل لنفسها مواقع الاحتكار التى تحصل منها على كل فوائد هذه التنمية » .

وهذه هى النتائج التى وصل اليها ميثاق العمل الوطنى : فان « رأس المال فى تطوره الطبيعي فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يمد قادرا على ان يقود لانطلاق الاقتصادى فى زمن نهت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة ، اعتمادا على استغلال موارد الثروات فى المستمرات » .

« وان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لغوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » .

« والرأسمالية المحلية الكبيرة استطاعت ان تحول نتائج الثورة الى ارباح لها » .

« لقد كان هيبا لا فائدة منه ان يدفع الشعب تكاليف الحماية ليزيد ارباح حفنة من الرأسماليين » .

الخصول الطفيلية

رى وحفر ، تكون لغاوى القطاع الخاص السيدات والسيطرة .

ويستخدم مقاولو القطاع الخاص كل الامكانيات والنفقات المتصلة لصالحهم ، فهم يستفيدون مقدم المقاوله فى تنفيذ مشروعات اخرى فى مناطق غير المناطق المتناقصه على التنفيذ فيها ، ولا يهم الانهيار فى المواعيد . وفى المناقصات يحصلون على لكن معدلات ربح نتيجة التكتل والاتفاقات الخفية .

واذا تركنا مجال المقاولات الى مجال التجارة ، نجد هذه المجموعات الطفيلية تتسلق كل المكاسب الثورية وتحقق ارباحها احتكارية - فـ ٢٠٠٠ من بين ٦ آلاف تاجر جملة يربحون وخدمهم ٢٠٠ مليون جنيه فى السنة ، وفى سوق البضائع المبرجة نجد ٢٠٠ ملكا لهذا السوق يتعاملون فى ١٠ ملايين من الجنيهات .

قال عبد الصبور فى حديثه الى مؤثرين المصونين فى أغسطس ١٩٦٦ : « احنأ فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وهى اصعب مراحل العمل ، لو كنا وصلنا للاشتراكية كلنا والله يكون كويس . لكن وصلنا ماوصلناش . والله بالتواك ييد رأسمالية النهارده . من يبلش يطلع ناس يتعمل مليون واثنين مليون جنيه قدام عيني ، والله ناس قلقتين تملأ حيل . ولنا شايف المواضع ده لغاية ما خذلنا القرار بأن احنا تملأ هذه العملية فى ثلاث سنين » .

ثم أضاف : « اتكلمت النهارده الصبح ان فيه طبقة جديدة ، ويقول لكم ان فيه طبقات جديدة على طبقة واحدة .» فيه طبقة جديدة لا يقصد بها الرجبينون اللى بيتكلموا ويسينوا ، وهى طبقة المقاولين وتجان الجملة اللى بيتشتغلوا فى تجارة الجملة ، بيتشتغلوا فى ١٠٠ مليون جنيه . وبيتشتغل فيها تجان نصف الجملة .

« تاجر الجملة ممكن يكسب فى اليوم آلاف الجنيهات ، خلقنا رأسمالية جديدة ، بالنسبة لتجان الجملة ومقاولي القطاع الخاص اللى بيأخدوا ٦٠ فى المائة من مبادئ البلد ، وأنا تكلمت عن كدهن كده ، قلت فى خلال ثلاثين سنة تجارة الجملة كلها تكون تابعة للدولة ، والمقاولات تصل الى ٢٠ فى المائة للقطاع العام » .

« هو وفقا للميثاق نلعبا بنقول ان نية رأسمالية وطنية داخل قوى الشعب العاملة ، ولكن أنا فوج خطيتى اللى انا اتكلمت فيها فى مارس (مارس »

« ان ذلك يضع نتيجة بحققة امام ارادة الثورة الوطنية ، لا يمكن بغير الوصول اليها ان تحقق اهدافها . وهذه النتيجة هى ضرورة سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج ، وعلى حوجب غانضها طبقا لخطه محددة » .

ولم تلق الرأسمالية الطفيلية اسلحتها ، وأخذت تمارس نشاطها . يومئذ وأصاليب مغشيرة . مواصلة تحقيق احلامها الاستغلالية ، وتطاعنها من طريق تطوير القطاع العام ، ونهب المستهلكين من طريق السوق ويدات عناصر جديدة تظهر الى الوجود بعدد التأميم أثرت وانخمت وراحت تتسلق كل المكاسب المظلمة وهكذا . . . وفى ١٩٦٤ أكد عبد الناصر الله :

« ينبغي لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة ، نخل ان الامتيازات اثل لها ، بعد الطريقة القديمة . وعطينا ان تقاوم ملكا هتصلا الانصراف ، وبقرمه ، وثور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من أى سلاح ، يكون قد حصل عليه ، فإن هذا السلاح سوف يتجه - فى لحظتنا انه الفرصة - الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة » .

ان ما حذر منه عبد القاصر لحد ينمو على حساب التقدم محتفظا بطابعه الطفيلي ، الذى لثريا اليه فى الفقرات السابقة . . . وأبرز لملته هذا النمو الطفيلي نجدها فى قطاع المقاولات . . . وفى هذا القطاع استمر مقاولو القطاع الخاص ، بعد التأميم فى الحصول على جميع الارباح الزائدة ، هذه الارباح التى فقدها لقطاع العام نتيجة تمتد نظمه الادارية والمكتبية ولجهزته المالية والمحابسية . . . فى ١٩٦٦ . استطاع مقولان الباطن خلال ٥ سنوات من السيطرة على ٢٠ فى المائة من المتوسط من مشروعات شركات القطاع العام ، ووصلت النسبة الى ٧٠ فى المائة فى بعض الحالات . وفى الحساب الختامى ، كانت فيه المشروعات الانشائية التى تولوا تنفيذها ١٠٠ مليون جنيه من ٢٠٠ مليون جنيه تصرفها الدولة ، ومن ٧٠ ألف عامل بنام كان ٢٠ ألف عامل تكت سيطرة مقاولي الباطن ، ويحصل مقاول الباطن على ٢٠ فى المائة من اجور العمال ، وانذاره فترة مقاولي الباطن على سحب اكبر كمية من الخامات اللازمة لمعاملات الانشاء من الاسواق . فتجد مثلا ان ٢٢ من مقاولي الباطن للزجاج يسحبون ٩٠ فى المائة من انتاج الزجاج فى الاسواق . . . وفى مجال الزراعة وحيث ان ٧٠ فى المائة من عملياتها لصالح

المجهود الحربي والاستقرار في خطة تشييد البلاد - فانه سيترتب على هذه الأوضاع اختلالات وأزمات توجب توضيحات من المواطنين اسبابها مبهم في معركة المصير . ومن هنا فانه لا يجوز ، بأي حال ، ان يسمح لأي طبقة طفيلية ان تستغل هذه الاختناقات والازمات على حساب توضيحات بجموع تحالف قوى الشعب العامل . ان الرأسمالية الطفيلية وخاصة في قطاع المفاولات والتجارة ، سوف تحاول بكل وسائلها ان تقيد من الاختناقات ومن ضعف وتطلع بعض الطبقات لتحقق سيطرتها .

والمعركة الطويلة بين ثورة يوليو وبين الرأسمالية الطفيلية ، مازالت قائمة . وهي في نفس الوقت معركة تحالف قوى الشعب العامل من أجل بناء اقتصاد وطني ديمقراطي مستقل . ومن أجل تحرير الارض .

قال الرئيس ثور السادات في خطابه في ٢٤ يوليو ١٩٧٢ : « ان الدرس الاعظم الذي نستفيد من خبرة العشرين عاما الماضية ، هو ان الاستعمار واعوانه من الرجعيين يتربصون دائما بنضال الشعب ومنجزاته . يريدون الانقضاض عليها والارتداد بالجماهيم الى اشكال من التبعة والاستغلال ، وان سلاحنا قوى الشعب العامل واليقظة الدائمة والحرس على استقرار الثورة » .

١٩٦٦) ودى خطبة السويس انا اتكلمت بالذات في هذه الخطبة عن الرأسمالية التي زاد غناها ، وعدد الرأسماليين بيزيد النهرادة عن عدد يكن الرأسماليين اللى كانوا موجودين من قبل الثورة . وانا تكلمت في نفس الخطبة عن نقطتين بالذات : تجار الجملة والمقاولين طبعا أى رأسمالية مسفلة لا يمكن يحال ان تكون رأسمالية وطنية ويجب ان تصفى » .

وهكذا نجد ان قيادة يوليو وهي في صراع مستمر مع ما كان يسميه عبد الناصر « البروز الرأسمالي » قد فرقت بين الرأسمالية الطفيلية هذه الطبقة التي رفضت وترفض أى بعد اجتماعي للثورة - والتي لا تلمعن على ارباحها الطفيلية والاحتكارية مع أى بعد وطني ديمقراطي ثورة يوليو - وبين الرأسمالية الوطنية التي رأت قيادة يوليو ، انها وطنية ، بحكم تطلعاتها لبناء اقتصاد وطني مستقل ، وبحكم عدم تطورها الى مرحلة احتكار السوق ، وتكديس ارباحها عن طريق العمل الغير متبع .

وليس من شك في ان خطر الرأسمالية الطفيلية يزداد بصفة خاصة في ظروف المواجهة الشاملة لعدو الامبريالى الصهيونى . وذلك لان هذه الطبقة بحكم طفيليتها تسعى للانادة بن أى ازمات تسببها معركتنا مع العدو . واليوم وكل عمليات الانتاج والتجارة الخارجية ترجع لتوفير متطلبات

الحد من الدخول الطفيلية

في قطاع المقاولات

مهندس فوزى جيتي

فيه ، أساسا على الانتاج البدوي الحرفي ، البعيد عن الاساليب الصناعية في البناء ، ومن ثم سادت داخله علاقات انتاجية متخلفة ، حافظ ومين عليها المقاولون .

مقبل عام ١٩٦١ ، ومنذ ان بدأت تنفذ مشروعات ورأسمالية في بلادنا ، تزايد حجم الاعمال المطروحة للتنفيذ زيادة كبيرة ، وبرزت الحاجة الى تشييد أو اقامة منشآت ومشاريع ضخمة ومتنوعة ، من حيث الفن الهندسي .

وقد أدى هذا الى نمو دور المقاول العام الى درجة كبيرة ، وتطورت اشكال وأساليب تنفيذ الوحدات المشتغلة بأعمال المقاولات ، وتوسعت امكانياتها المادية والبشرية . ونمت في تطاسع المقاولات ، كما نمت في غيره من قطاعات الانتاج المادية ، القيم الاحتكارية المسيطرة على هذا النوع من فروع الانتاج .

وقد تحول معظم المقاولين الكبار وشركاتهم الى مجرد وسطاء حقلين في الاساس ، ويقوم خبراءهم وهم قليل العدد ، بدراسة عطاءات العملية المطروحة ، وعندما ترسم عليهم احدى العمليات ، تجزأ الى مجموعات عديدة من العمليات التي توزع على مقاولي الباطن من الصف الثاني الذين يقومون ، بدورهم ، بإعادة توزيعها مرة أخرى على مقاولي الصف الثالث وهكذا ، تتوالى عمليات التجزئة والتوزيع ، وتعدد حلقات

الصفات المميزة لقطاع المقاولات

يتصف قطاع المقاولات وهو أحد فروع الانتاج المادي الاساسية ، بمدد من الميزات التكنيكية والاقتصادية ، النابعة من الطبيعة الخاصة لمنتجاته وذلك من حيث انها ثابتة لارتباطها بالأرض او انها تكون جزءا لا يتجزأ منها (مثل المساكن ، والمصانع ، والطرق ، والانفاق ، والكبارى ... الخ) . ومن طبيعة أدوات انتاج هذا القطاع أن توجد دائما في حالة حركة مستمرة خلال حركة التشغيل (الانتاج) المتماثلة ، حيث انها لا بد أن تنتقل باستمرار من موقع الى آخر ، وذلك على عكس القطاعات الانتاجية الأخرى . وكذلك من طبيعة منتجات هذا القطاع أن يتطلب اخراجها الى حيز الوجود نفقات كبيرة نسبيا ، ومسحوبة على مدة طويلة زمنيا .

ويتحتم علينا أن نذكر ، بجانب تلك الميزات العامة سائفة الذكر ، السمات الخاصة التي يتصف بها تكوين هذا القطاع في بلادنا .

قطاع المقاولات قبل التأميم

ولعل أبرز تلك السمات الخاصة ، هي ان قطاع المقاولات في بلادنا كان وما يزال يعتمد التنفيذ

واسلوب الانتاج اليدوى، نقول كانت هذه المحاولة لبدون تؤدي الى زيادة باهظة فى التكاليف .
غير ان كل تلك المسائل لم تعد مبررا على الإطلاق لاستمرار تلك الظاهرة الخطيرة . فطامة الاعتماد على القطاع الخاص ، والتي تجسب التصدي لها نورا ، على ضوء تجريب السنوات الماضية وما قدمته من حلول بديلة للوضع القائم حاليا .

واذا اقتربنا من قطاع المقاولات فى مجرى التشييد الصناعى او على وجه التحديد فى مجال التركيبات الميكانيكية والكهربائية نجد العجب ، والدخول الطفيلية تزداد ارتفاعا .

فقد جرت العادة ، فيما يتعلق بتركيب لالات ، ان تقوم بها اقسام التركيب بشركات الاستيراد التي كانت تنقل البيوت الموردة للالات تجاريا فى مصر . ونظرا لان هذه الشركات يغلب عليها الطابع التجارى ، وهى مجرد امتداد لبيوت التوكيلات التجارية السابقة ، فانها ، فى العادة ، لا يتوفر لديها من المهندسين والعمال والفنيين ما يكفى لقيامها بأعمال التركيبات الفعلية . ونما جرت العادة على ان تعهد بها الى عدد من الفنيين المتخصصين ، وذلك كل فيما يخصه فيه . ثم تكنفى هى بالاشراف وتحصل المسؤولية ، نظير نسبة مئوية من التكاليف القطعية ، بالإضافة الى الربح الذى تحققه من عملية الوكالة التجسرية والاستيراد .

وهذا الوضع لم يتغير كثيرا بعد التأميم ، حيث بقيت أهم شركات المقاولات التى تقوم بتركيب المصانع والمرافق العامة تابعة لقطاع التجارة ، وذلك باستثناء بعض شركات تابعة لقطاع التشييد او الصناعة ، وشركتين أو ثلاثة ، أنشئت أخيرا فى قطاع الكهرباء مستفيدة من الخبرة الفنية ، التى حصلنا عليها بعد الانتهاء من أعمال تركيب محطة كهرباء السد العالى .

وتحت بظنا جدول يعطى الأرقام التقريبية فى عام ١٩٦٨ لحجم الأعمال والعمال ونسبة التنفيذ الذاتى لاهم الشركات التى تعمل فى التركيبات الميكانيكية والكهربائية وبالتالي فى قطاع التشييد الصناعى .

الوساطة ، لتصل فى نهاية المطاف ، للمنتج الحقيقى أى العمال والحرفيين . وهكذا سحوت معظم الشركات الكبيرة الى بنوك من نوع خاص ، بعيدة كل البعد ، عن عمليات الانتاج ، قايصة ، بدرجة أو أخرى ، على أغلب وحدات القطاع مستقلة بشدة القاعدة الواسعة من المنتجين الحقيقين من الحرفيين والعمال ، كل هذا تحت ستار فكرة القافلة .

وهكذا لم يسع المسيطرون على مصير هذا القطاع ، عامة ، الى تطوير وسائل انتاج الوحدات الاخرى المتعاونة معهم ، ذلك ان اساليب الانتاج السائدة والمتخلفة ، كانت تحقق لهم كبر قدر من الارباح .

عجز القطاع عن الوفاء الكامل

بلاهداف المحددة فى الخطه

ولعل من أهم المشكلات التى جابهت هذا القطاع الانتجلي الهام ، هى عجزه المستمر عن الوفاء بتنفيذ الاهداف المحددة له ، وان نسبة هامته من هذا العجز ، مرتبطة بالضعف فى تنفيذ أعمال المبانى والتشييدات التى تمثل وحدها حوالى نصف الاستثمارات المقررة فى الخطط السنوية المختلفة ، الأمر الذى كان له اثره فى تخلف تحقيق مختلف الاستثمارات الإجمالية المستهدفة ، وبالتالي ، عدم تحقيق الاهداف المقررة فى مختلف اطارات الخطط السنوية .

وفى مقدمة اسباب هذا التخلف ، ان وحدات القطاع العام للمقاولات لم تتمكن من القيام بالتنفيذ المباشر ، واتجهت فى تنفيذ أعمالها الى اقطاع الخاص ومقاولى الباطن ، ولقدت بذلك ، قدرتها على التحكم المباشر الفعلى فى تنفيذ برامج واهداف الخطه المقررة ، لانجاز أكبر قدر من الاهداف ، فى أقل وقت ممكن ، وبكفاءة مناسبة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن محاولة التشغيل المباشر (أو الذاتى) فى الشركات التى أممت ، فى ظل تخلف أسلوب الانتاج السائد ،

اسم الشركة	رقم الأعمال السلوى	نسبة التنفيذ الذاتى	عدد العاملين المؤقتين	عدد العاملين الدائمين
المر للمقاولات الميكانيكية والكهربائية	٢٢٠.٠٠٠.٠٠٠	٪ ٩٥	٨٥٠	٢٠
المر للتصوير والاستيراد	٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠	٪ ٥	٥.٢٢	٧
عامه الأعمال الهندسية	٤.٠٠٠.٠٠٠	٪ ٨٥	١٨٠	٢٠
المعاريف والهندسة	٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠	٪ ٢٥	١٨٠	١٢
مصر للبطان الهندسية	٢٥.٠٠٠.٠٠٠	٪ ١٥	—	١٠

وتؤدي هذه الأوضاع جميعها الى ارتفاع كبير في تكاليف أعمال التركيبات (الات والمصانع ... الخ) ، فحيث تمتد مستويات مقاولي الباطن من شركة القطاع العام ، الى مقاول تركيب متوسط ، الى مقاول تركيب متخصص ، الى رئيس عمال ، للتنفيذ على شكل مقاول (يلتزم هو فيها بأجور العمال المساعدين وغير الفنيين ... الخ) يتقلع كل من هؤلاء نسبة ارباح تيمتها لا تقل عن ٢٥ في المائة من التكلفة الفعلية للأعمال وقد تصل الى ١٠٠ في المائة من قيمتها ، وترتفع تبعاً لذلك تكاليف التركيب بشكل غير عادي .

وضع القطاع الخاص للمقاولات

لسل من اصعب وأعتقد الامور اليوم ، تحديد وحصر الدور الذي يقوم به القطاع الخاص في نشاطات الإنتاج ، وعلى الاخص ، في مجال مقاولات . وذلك ليس فقط لندرة البيئات والاحتياجات المتعلقة بهذا القطاع ، ولكن أيضا ، طبيعة الاشكال والاساليب التي يزاوّل بها أغلب مقاولي الباطن نشاطهم وهم المورد الفقري للقطاع الخاص .

فلقد استطاعت وحدات القطاع الخاص لمقاولات التي تبقت بعد قوانين التأميم ، رغم صغر حجم ما تملك من رأس مال وإمكانات ، ورغم الحد الاطلي لقيمة العمليات التي يمكن ان يسمند اليها ، نقول ١٠ استطاعت هذه الوحدات ان تنفذ بالفعل حوالي ٨٠ في المائة من تيمتها استثمارات خطة التنمية في قطاع المقاولات التي تبلغ ٧٧١ مليون جنيه والتي تمثل ٧ في المائة من مجموع استثمارات خطة التنمية الاولى ، بينما لم نفذ كل شركات القطاع العام سوى ٢٠ في المائة من قيمة هذه الاستثمارات سائلة الذكر .

وفي الحقيقة لم يمديكي ، عمليا ، ارجاع سبب هذه الظاهرة الى مجرد ضعف الكفاءة التنفيذية للقطاع العام وعجزه الموضوعي عن التنفيذ المباشر (الذاتي) فكل هذه المسائل يمكن ان تندرج تحت باب الاسباب الذاتية لتلك الظاهرة ، فما أسهل ان يحمل القطاع العام والمسؤولون عنه اسباب تلك الظاهرة .

ولكن هذا القول يطرح الثلاث نقاط التالية للمناقشة :

١ - السبب الاصيل وراء تلك الظاهرة يكمن فيما يلي :

1 - ان جانباً من الرأسمالية الكبيرة المستقلة ظلت بعد اجراءات يوليو ١٩٦١ ، محتفلة بجزء

ويتعين من الجدول ان مجموع العاملين بهذه الشركات والشركات المائلة بالقطاع لا يتجاوز المصرة الآتية عامل بين دائرتين ومئتين ، وأن عدد المهندسين لا يتجاوز المئات .

وهذا يعني ، ان مقاولات الباطن ما تزال تسيطر حاليًا على نسبة ضخمة من أعمال التركيبات الميكانيكية والكهربائية في قطاع التشييد الصناعي (كذلك في قطاع محطات القوى والمرافق من مياه ومجاري شبكات الكهرباء ... الخ) . ولكن الجديد في الامر هو نشأة جيل من العمال المزدربين ، وبعضهم على درجة عالية من الكفاءة ، ويحصلون على أجور مرتفعة . ولكن أوضاعهم لا تزال غير مستقرة ، بسبب انتقالهم من مقاول الى آخر ومن شركة الى أخرى ، حسب التغيير في العمليات المختلفة . ويضاف الى هذه الفئة من العمال المؤقتين ، فئة أخرى من العمال ذوي الخبرة الطويلة من الذين يعملون في اقسام الصيانة بالمرافق المختلفة ، ولا يحصلون - رغم خبرتهم الكبيرة - الا على أجور منخفضة نسبيا في الحدود التي تسمح بها اسواتح الماسميين الحكوميين . هؤلاء يعملون في غير اوقات عملهم الرسمية عند مقاول القطاع الخاص ، ويقومون بنسبة كبيرة من أعمال التركيبات الميكانيكية في قطاعات التشييد الصناعي .

ولقد ضلّت كل هذه العوامل السابقة الذكر على اختفاء ظاهرة التخصص : فحيثما شركات التركيبات التي تحدثنا عنها ، تقوم بكل انواع التركيبات الميكانيكية (تركيب مصانع ، محطات قوى وشبكات مياه وكهرباء ومرافق ... الخ) ، ولم يظهر أي اتجاه نحو تخصص كل منهما في نوع الاعمال المبينة ، على الرغم من ما في ذلك من فائدة محققة ، والسبب واضح :

فحيث لا تقوم الشركات بأعمال التركيب بقواها الذاتية ، بل تمهد بها الى المتاولين من الباطن ، لا تظهر لديها الحاجة للتخصص ، وحتى اذا كان ثمة تخصص ، فانه بين مقاولي الباطن في القطاع الخاص ، وحتى هؤلاء تدفعهم الرغبة في تحقيق اكبر ربح في أسرع وقت الى قبول جميع الاعمال التي تعرض عليهم . وفي حالة عدم توفر الخبرة لديهم يعمدون بها من الباطن الى مقاولين اصغر وأكثر منهم تخصصا .

وحتى بالنسبة للشركات التي تقوم بتنفيذ نسبة كبيرة من العمليات الموهودة بها اليها ، نقواها الذاتية ، فان طاقاتها التنفيذية لازالت أقل بكثير من الاعمال التي يعمد بها اليها ، وهذا يضطرها أحيانا الى الالتجاء الى مقاولي الباطن .

تمويل هذا النوع من النشاط الذى يتوفر فيه الربح الوفير ، المبين العوائق .

ج - تخلف علاقات الإنتاج داخل القطاع ساعدت وتساعد مقاولى الباطن على ربط العمال والحرفيين بهم . وتمكنهم بصور مختلفة من التهرب من تنفيذ الزايب الاجتماعية التى كلفتها للعمال قوانين ١٩٦١ . وهكذا يقل عبء وتكاليف العمالة على المستغلين بنشاط المقاولات ، بالإضافة الى عدم التزامهم بتطبيق قوانين العمل ، وذلك على العكس مما يتم بالنسبة للراسماليين المستغلين فى قطاع الصناعة مثلا حيث تقل الى حد كبير امكانيات التهرب او عدم الالتزام بالقوانين سالف الذكر .

٢ - هل هناك ضرورة لوجود القطاع الخاص للمقاولات :

وعند هذا الحد يحق لنا ان نتساءل عن ضرورة وجود القطاع الخاص للمقاولات . وقبل ان نجيب بالنفى او بالاجاب على هذا السؤال : نرى انهم الخطأ ان تكون وجهة النظر الاجتماعية والمقائدية ههنا فقط اللذان يحكمان الرد على هذا السؤال ، اذ ينبغي ان نضع فى الاعتبار الأساس الاقتصادى المتملق بالنتاجية هذا القطاع .

فالاشتراكية وهى تطالب بتصفية كل أشكال الاستغلال الرأسمالى الطبقى ، فانها تتميز ارضا بانها نظام للانتاج الاالى الكبير ، ومن ثم فهى تؤمم وسائل الانتاج الكبير القائم ، ثم تعمل فى نفس الوقت - على تحويل الانتاج الصغير الى انتاج كبير ، لكى تطور انتاج وانتاجية تلك الوحدات الصغيرة لصالح الاقتصاد القومى . ذلك ان وجود تلك الوحدات الصغيرة ذاتها مرتبط بالمستوى المتخلف لتطور قوى انتاجها . واذا كان هذا صحيحا بالنسبة للوحدات الانتاجية فى قطاع الصناعة ، فإنه لا ينسحب على الوحدات الصغيرة العاملة فى قطاع المقاولات . لان اغلب الوحدات لا تشغل بالانتاج المباشر ، وانما هى فى الأساس تعمل بالوساطة بين القطاع العام والمعمل والحرفيين .

ومن هنا فان دور تلك الوحدات ، فى قطاع المقاولات دور طبقى ، لا يمثل اى ضرورة موضوعية لانتاج او لتطوير انتاج ، وانتاجية قطاع المقاولات ، وبالتالي تصبح تصفية هذه الوحدات امرا يستحق الدراسة .

غير ان المسألة فى التطبيق لا تحل بهذه البساطة فالقطاع الخاص للمقاولات مازال يتحكم ويهيمن على مصير تنفيذ خطط التنمية ، ومثل هذا الوضع

من راسمالها بالاضافة الى ما لديها من خبرة مكتسبة تاريخيا فى التنظيم وإدارة المشروعات ، وقد وجدت تلك الفئة فى قطاع المقاولات والتوريدات العامة وتجارة الجملة ، تربة صالحة لاستثماراتها الطفيلية ، فوجهت وركزت بنشاطها على قطاع المقاولات ، وساعدها ودعم مركزها العناصر التصفية بها والتى انضمت للقطاع العام فى بعض شركاتها .

ب - وبجانب هؤلاء وجد مقاولو الباطن ، وكبار الحرفيين بأسلوب انتابهم الصغير والمتخلف ، ذلك الاسلوب القادر دائما على ان يولد عناصر راسمالية جديدة .

وهكذا تشكلت من هذه العناصر مع بقايا الراسمالية الكبيرة فئة طفيلية كبيرة ، هيات ، ولا شك ، للفرص الموضوعية لديهم مساوغة الراسمالية الطفيلية .

ومعنى هذا كله انه تنقل وراء هذا القطاع الخاص بوضعه الراهن قوى مازال لها وزن وتأثير كبير فعال .

ج - غير ان هذا السبب الاجتماعى لا يلقى وحده ليجرح هذه الفئات ، سالف الذكر . فهناك ايضا ، عامل الربح السهل ، ذلك انه يحتلهم من وراء ذلك الربح الوفير الذى يتم على حساب استنزاف موارد القطاع العام ، وحتى بعد ان حددت قانونا فرص الاستثمار امام رأس المال الخاص فى قطاع المقاولات ، استطاعت حفنة من اصحاب شركات القطاع الخاص للمقاولات ان تحقق صفلى ربح رسمى سنة ١٩٦٨ قدر به ٢٩ مليون جنيه .

٢ - طبيعة نشاط المقاولات ساعدت على نمو دور مقاولى الباطن :

ا - ان عمليات المقاولات لا تحتاج عادة الى رأس مال كبير دفعة واحدة . فتنفيذ عمليات ذات تيمة كبيرة يمكن ان يتم بقدر محدود من رأس المال . اذ يستطيع الماول ان ينفذ عمليات عديدة وكبيرة قد تبلغ قيمتها من خمسة الى عشرة امثال رأس ماله الخاص .

ب - والمقاول ، وخاصة مقاول الباطن غير مضطر لتجميع جانب من رأس ماله فى صورة الات ومعدات كى يقوم بالتنفيذ ، اى الانتاج . وهذا يشح له اكبر الفرص لتصفية مركزه فى انسب الظروف التى يحددها هو لنفسه ، من غير ان يعرض رأس ماله للاستثمار لاية مخاطر تذكر . ولهذا فان كثيرا من الراسماليين يغفلون حاليسا

دخول

طفايرة

تسفل

أزمة المساكن

ن ٠ ميلاد حنا

لم يعد مجزياً ، ومن ثم اتجهت هذه القطاعات الى تلك العقارات في المدن . أكثر من هذا ، فإن قطاعات من الرأسمالية في المدينة (مثل التجار وأصحاب الورش المختلفة) ، اتجهوا الى بناء العمارات تأمينا لجزء من رأس المال ضد التأميمات ، وذلك على طريقة المثل الانجليزى الشهير « لا تضع كل البيض في سلة واحدة » .

وقد لوحظ أن عددا كبيرا من فئة التجار وأصحاب الورش قد اكتسبوا خبرة ضخمة في ميدان البناء والتشييد ، حتى صار كثيرون منهم من محترفي عملية البناء ، كما سنوضح فيما بعد . يضاف الى ذلك أن قطاعات واسعة من أصحابي المهن الحرة (الاطباء والمهندسون والحاسبون . الخ) لم يجدوا أفضل من توظيف جزء من عائد العيادات والمكاتب ، في شكل عمارات سكنية كبيرة أو صغيرة ، تضمن لهم ولعائلاتهم دخلا ثابتا في حالة ضغور المهنة أو لسبب آخر .

على أية حال ، كان هناك تيار واضح يدفع رؤوس أموال وطنية ، من منابع مختلفة ، ولأسباب متباينة ، تطلب الأمان في ميدان الملكية العقارية لابتعادها عن ميدان التأمين ، وأن كانت هناك تشريعات تقلم أطرافها بين الحين والحين .

الثورة والمساكن

اتجه مملك الثورة من الملكية العقارية مسلكا في اتجاهين متوازيين :

أولا : تخفيض اجارات المساكن كل فترة زمنية كانت أولاها عام ١٩٥٢ ، إذ خفضت الإيجارات

بداية ثورة ١٩٥٢ ، كانت أصابع الاتهام تشير بشدة الى الاقطاع في الريف . ولم يكن مصالحة أن تكون قوانين الإصلاح الزراعى من أولى التشريعات الثورية . . ولما أمتت الشركات الصناعية والتجارية الكبيرة ضمرت الرأسمالية في ميادين الصناعة الكبيرة وفي مجال التوكيلات التجارية ، فاضمرت طبقات بواضحل نفوذ أخرى ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك شرائح اجتماعية أخرى قد ظهرت ونمت بل وترعرعت .

ومن بين هذه الشرائح فئة من ملاك العقارات الذين وجدوا المجال والأمان في هذا الاستثمار ، فغشوات فئات طفيلية من بينهم ، استغلت وجود أزمة الإسكان لتكوين أرباح باهظة ، واستطاعوا التحايل بمختلف الطرق على القوانين التي شرعت أساسا لمصلحة فئات القاعدة العريضة من محدودي الدخل .

رؤوس الاموال تحتفي في المباني

فيما هذا عقارات شركات التأمين وبعض الأفراد الذين وضعوا تحت الحراسة لسبب أو لآخر ، لم تفكر الثورة في تأميم العقارات والمباني ، وأغلب الظن أن ذلك كان نتيجة لتعقد مشاكل ادارة وصيانة العقارات عن طريق الاساليب البيروقراطية السائدة في دوائر الحكومة . فمع قوانين الإصلاح الزراعى ، اتجهت قطاعات من أصحاب رؤوس الاموال الى الاعتماد عن استثمار أموالها في شراء الأراضي الزراعية ، بل أن البعض قد اكتشف أن استثمار تملكه لمساكن واسعة نسبيا

وكان قد بنى في أوائل الخمسينات ، ضعف هذه القيمة ، بينما يصل إيجار وحدة سكنية مماثلة وقرية عشرة جنيهات لأنه قد جرى عليها تخفيض واحد . بينما أصبح إيجار نفس السكن تقريبا خمسة عشر جنيها (لأن الملك كان أكثر احتياطا ، ومقوما لتخفيضات عام ١٩٦٤) فأمر على كتابة العقود بإيجارات وهمية عالية .

وفي مبنى قريب حددت اللجنة إيجار المسكن بحوالي عشرين جنيها تطبيقا لقواعد تحديد الاجارات القانونية .

وهذه كلها شقق صالحة للسكن بدرجات متفاوتة ، وكلها تحدد إيجارها طبقا لقانون أو لآخر ، ولكنها متباينة القيمة الإيجارية حتى أنه يصل الفرق خمسة أضعاف أو يزيد .

ولذلك ابتكرت طريقة « خلو الرجل » ، يدفعه المستأجر الجديد تعويضا عن فرق الإيجار ، لعدد من السنوات ، ويتناسب هذا المبلغ كل من الملك والمستأجر القديم حسب الظروف والأحوال . ولم يكن العلاج فعلا ل إيقاف هذا النوع من الاستغلال . ذلك أنه عندما أصدرت الحكومة قوانين أو أوامر عسكرية تدين « خلو الرجل » ، سارع بعض الملك الى استخدام لفظ « الديكور » ، تحايلا على القوانين ووضعوا في السكن عدة كراس قديمة (استفادوا للشكل ، ونهروا من نص القانون . وفي ذلك ، كانت السيادة الحقيقية للقانون الاقتصادي على التشريع ، تمهيدا عن واقع اجتماعي سائد فرضته تشريعات لم تدرس دراسة متكاملة .

الشقق المفروشة

عندما ضيق التشريعات الخناق لحاصرة خلو الرجل ، اتجه عدد من الملك الى تحويل المساكن الى شقق مفروشة ، راج سوقها نتيجة العدد المتزايد من الخبراء الاجانب للشرايين الصناعية المختلفة ، وإلى رغبة ارباء العرب قضاء الصيف في مصر . وتحولت كثير من عمارات القاهرة والاسكندرية الى فنادق تزخر بالداخلين والخارجين وتجبل الرزق للملك النابهين . الذين أخذت أربابهم تنمض بطريقه لا تتنافى مع القواعد الاقتصادية المعروفة فحسب ، بل وتتفانى ، كما هو واضح ، مع مصالح السكان محدودي الدخل ، الذين ارمقتهم ظامرة كظاهرة « خلو الرجل » .

وفي محاولة للحد من هذه الظاهرة صدرت تشريعات لا تسمح بشقق مفروشة الا في حدود مسكن واحد للعقار الواحد وللمالك الواحد . غير أن عددا من الملك ، ما لبثوا أن اكتشفوا طريقا جديدة للتحايل . وشرأ للمزاد في حيون الزبائن

بمقدار ١٥ في المائة ، ثم عام ١٩٥٨ خفضت إيجارات المساكن ذاتها بمقدار ٢٠ في المائة وفي عام ١٩٦١ خفضت المساكن مرة أخرى بمقدار ٢٥ في المائة .

وكان هدف الحكومة من هذه التخفيضات التخفيف عن جموع الساكنين دون مساس باموال الخزنة العامة ، وتعويضا غير مبني عن الارتفاع المحسوس في الاسعار للمعيشة اليومية . وكان ذلك نجاحا سياسيا ملحوظا ، ولكنه ، بسبب تحايلات والاعيب كثير من الملك لم يؤد الى استقرار اقتصادي في قطاع الاسكان ، بل ترتب عليه العديد من المشاكل القانونية التي تشغل ساحات القضاء بوزارة .

ثانيا : تحديد القيمة الإيجارية ، كانت القيمة الإيجارية متروكة لما يسمى « العرض والطلب » ، أو الاتفاق الغير المتكافئ بين الساكن المحتاج وبين الملك المتحكم في سلعة نادرة . وقد ترتب من توالى تشريعات تخفيض الإيجارات ، ان توسع السلاخ مفاجسات التخفيضات ، فغالوا في القيم الإيجارية مما اضطر الحكومة للتفكير في تشريع يحدد القيمة الإيجارية فأصدرت عام ١٩٦٤ القانون رقم ٤٦ لعام ١٩٦٤ الذي يحدد العائديمقدار ٨ في المائة من تكلفة المبنى و ٥ في المائة من قيمة الأرض وقت الانشاء .

الا ان هذا التشريع كذلك لم يتمكن من تقديم حل مستقر ، وزاد عدد القضايا ، ونشطت مكاتب « الخبراء الهندسيون » ، وابتكر الملك مزيدا من الحيل واللاعيب للوصول الى أقصى الارباح والموائد .

تحيالات الملك

اطمأننا من الملك الى عدم تأميم العمارات ، وهربوا من التشريعات المفاجئة بالتخفيضات ، واستغالا لزمة المساكن ، اتجه الملك الى عديد من السبل للحصول على دخول محدودة أحيانا ، وفاحشة أحيانا أخرى . وذلك حسب الظروف والاوقات ، ووفقا لما يستشعرون من تشريعات وقوانين ، أو أوامر عسكرية تصدرها ، أو تنوى أن تصدرها الحكومة .

خلو الرجل والديكور

وهكذا ، فانه نتيجة لتشريعات المساكن ، ظهرت تناقضات واضحة في إيجارات الوحدات السكنية المتأصلة طبقا للقانون الذي تخضع له إيجار هذه الوحدة أو تلك ، وعلى سبيل المثال ، يبلغ إيجار وحدة سكنية في شبرا بنيت قبل الحرب فسي الثلاثينات جنيها ونصف . في حين يصل إيجار وحدة أخرى ، ماثلة ، في الطباق الذي يعلوه ،

القانونيين ، ودفعاً لبلذات السكان الشردين ؟
حروا العقود الوهمية مع الزوجة والأولاد
والاصدقاء المقربين .

المكاسب السريعة

بطريقة « إين بيع »

كان من نتيجة تحول قسم هام من رؤوس
الاموال من الريف ، ومن عائلات المكاتب
والعيادات ، كما سبق القول أن تكونت فئة جديدة ،
وجدت سوقاً رائجة لشراء العقارات المبنية . بعض
أفراد هذه الفئة من التجار الذين يستثمرون المجال
الذي يعطي العائد الأكبر ، والأسرع . والبهض
الأخر من جمعا ثروات من التحويلات ، أو من
أصحاب الورش التي تعمل في ميدان الانشاء
والتعمير . أن هؤلاء كلهم استهوهم عمليات شراء
أراضي المباني « اللقطة » في نواحي الميادين
وترسوا في مناقشة الخبراء المعماريين ، وخبروا
لما كن شراء مواد البناء الرخيصة ، وكونوا حولهم
طاقما من الصناع والبنائين ، حتى صاروا كاحسن
المقاولين المحترفين .

لقد اتفقت هذه المجموعة أبعاد اللعبة ، وتمرس
فيها % وعرفت طريق البنوك المقارية ، والرفع
بالاجل للموردين حتى يتم بيع العمارة . وفي خلال
هذه العملية ، يتحقق عائد ضخم وسريع قد يصل
أحيانا الى % ٥ في المائة من رأس المال الموظف ،
بعد استبعاد ديون البنوك والموردين ، إذ تنتقل
ديونهم للمالك الجديد الذي لا تسمح له ظروفه -
كمهني أو تاجر متفرغ لتجارة - بإدارة عملية
انشاء العمارة .

والذهل فعلا ، أن كل هذه الحركة من بيع ،
وشراء ، وعقود ، وسلفيات % الخ تتم في وضع
النهار ، بعيدا عن متناول أجهزة الضرائب حتى
ارتفع رأس المال سنة بعد سنة ، وعمارة تلو
عمارة .

كالت هذه لعبة الضمينيات ، وأوائل
الستينات ، حيث كان المشترون متوفرين % ولكن
مع استقرار رؤوس الاموال في شكل بناء
للمسارات ، ابتكرت مجموعة « الراسماليين
البنائين » خبراتهم في ميدان جديد %

آخر صيحة في عالم

الاستغلال الاسكاني

بدأت « موضة » تمليك الشقق على شاطئ
البحر في سيدى بشر بالإسكندرية ، إذ استهوت

كبار الموظفين فكرة شراء شقة لقضاء اجازة
الصيف شهرين ، ثم يؤجر شهرا أو بعض شهر
سدادا لصروفاتها % . وكانت أسعار الشقق
معقولة ، في البداية ، تطعى عائدا للمالك الأصلي
يصل الى % ٢٠ في المائة . ولكن مع نجاح الفكرة
ارتفعت أسعار الشقق الى ارقام فلكية تطعى عائدا
ضخما ، وسرعان ما انتقلت التقاليد الجديدة الى
القاهرة ، فتجمع الراسماليون - حتى الصناعيون
منهم - لبناء مجمعات ضخمة وعالية
المشروع « شقق خالية للتمليك » وفي حوار مع أحد
الشركاء في هذه المشاريع اذكرت أنه لا توجد
وسيلة مشروعة معروفة تطعى عائدا مثل هذه
المشاريع إذ تصل فيه نسبة الربح الى حوالى % ٥
في المائة سنويا أى أن رأس المال يتضاعف كل
سنتين تقريبا .

هنا يبدو كل شيء حلالا زلالا ، وفي وضع النهار :
عملية بيع وشراء عابدين . ولكن الوحدة السكنية
التي يكلف بناؤها خمسة آلاف جنيهه تباع بسبعة
وثمانية وربما عشرة آلاف . الملم هو اختيار
موقع رائع على النيل ، واجهات وطلاء ممتاز ،
ترتيب الغرفات ومقاسماتها ، من يستطيع أن يدفع
أكثر ، الامتصاص بالرخام والأضاءة المخفية ،
والقيشاني المستورد للحمامات .

والعجيب في الامر أن العناية بالاساسات
والخرسانات محدودة أن لم تكن معدومة . التوفير
في العظم والبذخ في اللحم والجلد « التشطيبات »
التي تفرى الزبائن . اما الهيكل الخرساني فلا
يهم ، لأنه لا أحد يراه . فقد تم البيع والشراء الحلال
ليكن عمر المقار محدودا ، لا بل قد ينهار بعد
سنوات ، الامر الذي يضر بالاقتصاد أشد الضرر .
ان هذا لا يهم ، فقد سدد صاحب المقار اموال
البنوك ، وحصل على الربح الصمد ليبقى عمارة
أخرى .

والاعجب من هذا وذاك ، أن أسعار المواد
اللازمة للبناء ، لم تعد تهيم - فالشترتون جاهزون ،
وقد دفعوا المقدم . وهم يلحون على استلام المسكن
المفروش . هنا ، أيضا ، يتم شراء ما يلزم لاعداد
المسكن من السوق السوداء ، وفي سبيل ذلك قد
تستخدم الرشوة للحصول على الحديد والأسمنت ،
بأى سعر - وذلك كسبا للوقت ، ومن أجل الانتقال
الى بناء عمارة أخرى ، وهكذا .

ويعد %

فان هذه صورة لفئات اجتماعية ، تكس دخلا
طفيلية خيالية . وهي في سعيها هذا ، تنهين من
اقرارات الضرائب ، وتحاول أن تستفيد من الثغرات
الموجودة في التشريعات ، مستغلة وجود أزمة في
الاسكان ، ووجود شرائح تستطيع أن تدفع أى
مبلغ مهما بدا هائلا وكبيرا %

الدخول

الطفيلية

في تجارة الخضر والفاكهة

محمد حلمي ياسين

والتجار الجشعون الذين يستغلون نقص المحاصيل ، ليحققوا ، عن طريق السوق السوداء ، أرباحا خيالية .

أما الحلول المقترحة دائما ، فهي زيادة وقعة الاراضى المنزرعة خضرا ، والتشديد على مراقبة الاسواق ، والالتزام بالتسعيرية .

وما أن تخف الازمة ، ويتوافر ما كان ناقصا من خضر أو فاكهة حتى تبدأ الحلول والقرارات ، ريثما تنفجر أزمة جديدة ، في أنواع أخرى من الخضر والفاكهة .

والامر الذى لا شك فيه ، أن هذه الازمات سوف تتوالى وتكرر ، طالما بقيت الأوضاع الراهنة في انتاج وتسويق للخضر والفاكهة قائمة .

فالخضر والفاكهة نتاج ملكية خاصة ، ولنتائجها يتم على أسس رأسمالية ، كما أن تسويقها يتم تحت السيطرة التامة لمجموعات من كبار التجار والوسطاء يحققون من وراء ذلك أرباحا مذهلة ، قد تزيد خلال فترات الازمات ولكنها تظل مسع ذلك عالية جدا ، وبشكل ثابت ، على مدار العام كله .

يحتاج الإنسان الى ان يثبت الأهمية الحيوية لتوافر الخضر والفاكهة باعتبارها مصدرا أساسيا من مصادر التغذية . ومع ذلك فلنفسد اعتدنا على أن نسمع - بكيفية دورية - عن وقوع أزمات تتمثل ، تارفي نقص نوع معين وأساسى من الخضر ، وثارة أخرى لم يرتفع سعره ارتفاعا يجمهه فوق مستوى وإمكانات المواطن المحدودة الدخل .

والى جانب هذه الازمات ، التى كثيرا ما تكون مفتعلة ، فقد بات من الثابت ، تقريبا - أن يقتزن نزول أى نوع من أنواع الخضر والفاكهة الى الاسواق - في بداية المواسم - بارتفاع ، مبالغ فيه ، لسعرها ، وأن يستمر ذلك فترة ليست بالقصيرة .

وعند حدوث أزمة من هذه الازمات ، يجد المواطن نفسه امام عدد متباين من التفسيرات والتوصيات ، كما تتمدد الاجراءات التى تقتدر لحل الازمة . وهكذا :

- فإن الاسباب قد تعود ، كما يقال - الى الاضرار التى أحدثتها تقلبات الجو ، والافات ،

ومكذا ، بسبب صغر حجم القطاع المسمم الزراعي ، المكون من (حدائق الاصلاح والاراضي المستصلحة) ، وبسبب عدم تطبيق ما دعا اليه الميثاق : من دعم الملكية الفردية للأرض - بالتعاون الزراعي على امتداد مراحل عملية الانتاج في الزراعة من بدايتها الى نهايتها ، الى ان يكون انتاج الخضر والفاكهة غير خاضع لخطة مرسومة ، ولان التعاونيات الزراعية لم يتم تنظيمها ، حتى الان على اساس انتاجية كما دعا الي ذلك ، برنامج العمل الوطني * نقول ان هذا كله قد أدى الى عدم خضوع انتاج الخضر والفاكهة لخطة مرسومة * تتوخى ، في الاساس ، مصلحة كثيرين من المنتجين الصغار ، كما تتوخى مصلحة الجياهير الغفيرة من المستهلكين .

ماذا عن التسويق ؟

فاذا انتقلنا من مجال انتاج الخضر والفاكهة الى مجال تسويقها ، وجدنا ، ان القطاع العام الزراعي يبيع محاصيله لتجار القطاع الخاص ، بواسطة مزادات يقيمها لهم .

لما كبار المزارعين فيقومون بتسويق محاصيلهم بإحدى طريقتين :

البعض ، ممن تتوافر لديهم امكانيات حراسة المحصول وجنبه ونقله للأسواق فيقوم بتسويق المحصول ، مقابل عمولة يدفعها للتاجر الكبير الذي يلعب دور الوسيط مقابل هذه العمولة .

واما البعض الآخر ، فيبيع المحصول للتاجر في بداية الطرح ، ويقوم التاجر بالحراسة والجني والنقل ثم التسويق * ويتم سداد ثمن المحصول على اساس دفع مقدم ثم انقضاء شهريه حتى تمام جني المحصول .

أما صغار المنتجين من زراعي الخضر والفاكهة هؤلاء فيقتنون تحت أشد صنوف الاستغلال من قبل كبار التجار والوسطاء .

ذلك انه يحكم حاجتهم الملحة الى النقود اللازمة لخدمة الزراعة واكمال المحصول ، يحصلون على بعض المبالغ الضئيلة ، من كبار التجار أو من وسطائهم ، وهذه المبالغ ، تحرر بها صكوك تلزمهم ، فيما بعد ، بتسليم المحصول الى التاجر الكبير - الذي يبيعه ويسترد نقوده ويسترد معها ايجار العموات والقلل ، الى جانب عمولاته المتعددة .

وعلى الرغم من ان الهدف من هذا المقال هو توضيح مصادر الدخول الطفيلية في تجارة الخضر والفاكهة - فانه يعمين علينا ، قبل ان نستعرض أسلوب تحقيق هذه الدخول ، ان نلقى نظرة شاملة على الأوضاع السائدة في عمليات انتاج وتسويق الخضر والفاكهة - لنثنين الجذور الحقيقية للمشكلة ، والتي بدون معالجتها - سوف تبقى المشكلة بلزمتها المتواليه ، التي تضر المنتج الصغير كما تضر جمهور المستهلكين - بل ستبقى ، بالتالي ، أربابها الطفيلية والخيالية التي تتدفق على جيوب حفنة من كبار التجار والوسطاء .

انتاج الخضر والفاكهة

وزنه في الاقتصاد الزراعي

استتعت رقعة الاراضي الزراعية المخصصة للحدائق والبساتين من ٩٤ ألف فدان عام ١٩٥٢ الى ١٧١ ألف فدان عام ٦٤ * ثم قفزت الى ٢٢٢ ألف فدان عام ١٩٧٢ . ويقدر انتاج الفاكهة عام ١٩٦٦ بنحو مليون و ٣٣٤ ألف طن قيمتها ٣٩٦ مليون جنيه . وفي عام ٦٦ قدرت مساحة الاراضي المنزرعة بالخضر في العروات الثلاثة (شتوية وصيفية ونبيلة) ٦٥٢ ألف فدان انتجت ٢٨٠٠٠ ألف طن ، قيمتها ٩٩ مليون و ٨٥٥ ألف جنيه (وصلت الان مساحة الاراضي المنزرعة خضرا الى ما يقرب من ٨٠٠ ألف فدان) * .

وفي عام ٦٦ ، بلغ اجمالي قيمة انتاج الخضر والفاكهة نحو ١٤٠ مليون جنيه ، وهو ما يمثل ١٦ في المائة من اجمالي قيمة الانتاج الزراعي كله .

وبعد قوانين تحديد الملكية الزراعية ، احتفظ الملاك الزراعيون بالحدائق في اطار المساحة المصريح بها لهم ولعائلاتهم ، واتجهوا الى استغلال اراضيهم على اساس زراعية ، سيما وراء تحقيق أكبر عائد ممكن ، مستفيدين الى أقصى حد مما تقدمه الجمعيات التعاونية الزراعية والبنوك الزراعية من قروض وخدمات .

ويتمتع زراعي الفاكهة ، من كبار الملاك واغنياء الريف بخدمات كثيرة - تقدمها لهم العمولة ، في صورة معدلات زائدة في التسميد ، ونحو ٣٠ في المائة من جملة ما يخص الزراعة من المبيدات المستعملة في مقاومة الآفات ، وذلك بالانسانه الى ضالة الضرائب المقررة على الاراضي المنزرعة حدائق .

٤ - انعدام الرقابة المنهجية على الاسواق ، خصوصا انعدام أى نوع من الرقابة المنظمة لجمهور المستهلكين .

وفى ظل هذه العوامل الازمة ، مجتمعة ، يفتح الطريق امام الوسطاء وجموعات من كبار التجار لتكوين ثروات ودخول طفيلية هائلة .

بل ان هذه الدخول ، تعتبر نموذجية فى عالم الدخول الطفيلية ، وتجسيدا حيا لها ، وذلك اذا ادخلنا فى الاعتبار :

١ - ان الدخل الطفيلي ، هو ذلك الدخل الذى يتحقق بأسلوب رهوى ، او بغير استغلال لجهد يوازيه .

٢ - ان هذا « الجهد » المبذول لم يسهم مساهمة فعالة فى الانتاج ، بل غالبا ما تنفذ شسكل الوساطة ، او المضاربة ، أو التلاعب ، فى استغلال السلع المتاحة لمواجهة مطالب المستهلكين .

٣ - ان الذين يسمعون الى تحقيق هذا النوع من الدخول ، يحرصون على عدم الخضوع لاية ضوابط تجارية ، او رقابية على تحديد الاسعار ، ويتبرهون من الضرائب ، بوسائل ما زال القانون الحالى قاصرا عن الاسماك بتلابيها .

دراسة على الطبيعة

ولو اننا اخذنا سوق الجملة للخضر والفاكهة بروض الفرج كنموذج ، على اعتبار انه أكبر سوق للجملة فى البلاد ، وأنه السوق الذى يمون اسواق القاهرة ومصناتها وباعتها الجائلين بالخضر والفاكهة ، فلمسوف تطلعننا الصورة التالية :

يوجد بالسوق (الذى تملكه الشركة العامة لاسواق الجملة التابعة لوزارة التموين) ٣٥٠ محلا يستأجرها نحو ٥٠٠ تاجر ، وذلك بسبب استئجار بعض التجار لنصف دكان فقط . وهؤلاء التجار من مستأجرى المحلات ، هم فقط التجار المصرح لهم بالعمل فى تجارة الخضر والفاكهة داخل السوق .

ولكن فى طرقات السوق وعلى ابواب المحلات ينتشر نحو ٣٥٠٠ « قباط » وهم التجار والوسطاء الذين يعملون بدون ترخيص ، ويقومون لحساب كبار التجار ، او لحسابهم الخاص ، بعمليات السوق السوداء ، ويوجد من بين هؤلاء القباطين

ولا يتجاوز نشاط القطاع العام فى مجال التسويق أكثر من ١ فى المائة من حجم المبيعات . حيث لا يوجد فى مجال تسويق الخضر والفاكهة غير شركتين من شركات القطاع العام : اولهما الشركة المصرية لتسويق الخضر والفاكهة وهى شركة حديثة لم يهر على انشائها أكثر من عام . والثانية الشركة العامة للحوم والتوريدات الغذائية . وتقوم الشركتان بتسويق احتياجاتهما من تجار القطاع الخاص والوسطاء ، وليس من مراكز الانتاج التى يملكها القطاع العام الزراعى - تلك المراكز التى تتبع أيضا انتاجها الى تجار القطاع الخاص ، الذين يعدون فبيعهونها الى شركتى القطاع العام ، محققين ربحا مجزيا فى كلتا الحالتين .

يضاف الى ذلك ، وجود عدد من « الجمعيات التعاونية التسويقية » التى هى ، فى حقيقتها جمعيات صورية ، فهى إما ان تكون مشكلة من تجار او وسطاء ، بسبب قيامها فى مدن لا تنتج الخضر أو الفاكهة . وإما ان تكون قد تحولت بعد تشكيلها ، الى مجرد اسم ، وترخيص ولافتة ، معلقة على مكان تم تاجيره فى السوق ، وهو مكان يستغله تاجر كبير ، مقابل دفع مبلغ كبير .

ومن المعروف ان كثيرين من الوسطاء وبعض كبار التجار ينحدرن فى ميدان الخضر والفاكهة فى ان يرفضوا ارادتهم على المنتج ، وعلى تاجر التجزئة ، والمستهلك يساعدهم فى ذلك :

١ - قصور الجمعيات التعاونية - بوضعها الرامن - من تحقيق ما دعا اليه الميثاق من ان تبدأ عملية التعاون الزراعى مع عملية تجبيع الاستغلال الزراعى ، ويساير عملية التحويل التى تحمى الفلاح ، وتحرره من المزايبين ، ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الأكبر من ناتج عمله ، وتصل به (عملية التعاون الزراعى) الى الحد الذى يمكنه من استعمال أحدث الآلات ، والوسائل العلمية لزيادة الانتاج ، حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة ، تمويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

٢ - قبية القطاع العام الزراعى عن عمليات الانتاج والتسويق ..

٣ - التطبيق الخاطئ لنظام التسعير الجبرى للخضر والفاكهة ، وهو النظام الذى تقوم به لجنة منقطعة الصلة بمراكز الانتاج ، الامر الذى ينعكس فى وضع تسعيرة غير واقعية .

العبوات ، مما يرفع تاجر التجزئة ، قيعا بعد ، الى رفع السعر على المستهلك لتعويض ما دفعه .

• ويلجأ التجار الى استخدام « القماطين » لتصريف ما لديهم من محاصيل ، ويشهد ههنا الاتجاه في فترات الانزلات ، وبشكل خاص ، عندما تكون التسعيرة المقررة للصنف غير واقعية .

فإذا كان السعر الواقعي للكثير من الطماطم هو ١٢ قرشا ، وجاءت التسعيرة ، لجعلته عشرة قروش فقط ، فإن التاجر الكبير يتخلص مما يرد اليه ببيعها الى القماطين بسعر ١٢ قرشا ويتولى القماط بيعه الى تجار التجزئة والباة الجائلين بسعر من ١٥ قرشا الى ١٧ قرشا ، وذلك حسب حالة السوق . وهؤلاء بدورهم يصلون بالسعر الى ٢٠ او ٢٥ قرشا .

ويتعرض صغار المزارعين للمعاملة الشاذة من جانب التجار وأعاونهم . فليس من حق المزارع الاطلاع على الميزان أو مراجعته . وليس من حقه أن يناقش الصل ، أن عليه أن يرضع بما لديه من محصول أمام التاجر وأعاونيه وهم يقدرون له الثمن ويخضعون للباة والسلفة والوهبة والوزنة .

وإذا كان المزارع قد حصل على سلفة من التاجر فلا يستطيع أن يذهب الى تاجر آخر ، إذ سرهان ما يبطلش به أعوان التاجر الاول ، ويعودونه الى محله .

ويستفيد التجار من ضعف الرقابة على حركة التعامل لكي يخفوا حجم عملياتهم الحقيقية . فليس باب السوق ، يقوم مندوب الشركة المامة للأسواق بعقد السيارات الداخلة . وكثيرا ما تكتب باسم محل اسماء التجار الدافية اليهم . وفي الجبل ، يتم قيد حركة التعامل في ورقة تسمى « البطايرة » ، وهذه الورقة يختص بها التاجر وكتابه . وليس نهاية اليوم ، يعاد تسجيل ما يراه التاجر في

من يتجاوز دخله اليومي مائة جنيه - ويسعى « القماط » في سبيل تأمين عمله الى الحصول على بطاقة عامل في محل من محلات السوق بأجر عشرين قرشا في اليوم . أو الى شراء محل من تاجر صغير - أو الى استثمار مساحة صغيرة داخل أحد المحلات ، بحيث يحسب الأجر على أساس (البطايرة الواحدة) وفي حالة حصوله على بطاقة العامل ، التي يصل ثمنها الى ثلاثة آلاف جنيه ، يقوم بإدارة المحل من الباطن بمبلغ شهري أو يومي يدفع لصاحب المحل الأصلي .

والعمولة المقررة رسميا مقابل البيع هي ٨ في المائة ، ولكن نظام العمل في السوق يرتفع بهذه العمولة الى ثلاثة أضعافها .

ففي الطماطم ، مثلا ، تحمل السيارة خمسة مئة ققص يأخذ التاجر قرشان « بياعة » على كل ققص . وهذا يعني عشرة جنيهات على كل سيارة طماطم . فإذا كان متوسط الحد الأدنى لما يرد للتاجر الكبير هو عشرة سيارات طماطم فهذا يعني مائة جنيه « بياعة » ، بالإضافة الى عمولة الـ ٨ في المائة وما يسمى بالوهبة ولو كانت المحل وإيجار الألفا ، وعلى ضوء هذا فإن بعض التجار الذين تصل اليهم خمسين سيارة طماطم يصل دخلهم الى ١٥٠٠ جنيه يوميا (١) .

وفي حالة البطيخ ، مثلا ، يتم احتساب البياعة والرضاصة (أي ترتيب البطيخ داخل الشادر) ، والخفارة ، بالإضافة الى العمولة المقررة .

وفي تجارة الخضر ، يحتسب على كل وزنة من قرشين الى ثلاثة .

ومن التقاليد المألوفة في السوق تخصيص جانب من محصول أية فاكهة أو خضر - في فترة بداية الموسم - بحدود متسايل يخضع للمنتج باسم « طعمة » ، كما يلجأ التجار الى زيادة الثمن عن طريق انتافس وزن العبوات المتعارف عليها ، أو زيادة القالف وغير ناضج داخل

[١] يحصل تاجر الجملة على مبلغ ٧٧٠٠٠ مقابل بيع سيارة طماطم وذلك على أساس عشرة جنيهات بياعة خمسة مئة ققص ، ٦٠ عمولة بواقع ٧٨٠٠٠ ج ٧٠٠٠ قيمة ١ / وهبة . وفي حالة انخفاض سعر الطماطم يحدث التغيير فقط في قيمة العمولة ، ويحصل التاجر على ٢٤ جنيه على بيع كل سيارة . وفي حالة البطيخ مثلا يحصل التاجر على جنيه مقابل رص كل مائة بطيخة أو ٢٥٠ مليا للخضر و ٢٥٠ مليا وهبة وعمولة جنيه . أي جنيهان ونصف مقابل كل رصة بطيخ . والسيارة عشرين رصة أي خمسين جنينا مقابل السيارة من البطيخ . وفي حالة خسار طماطم السيارة ٦ طن لنمنا ٢٥٠ ج يحصل التاجر على ٢٠٠ ج عمولة ، ١٠٠ بياعة . ٢٠٠ وهبة أي ٢٢٠٠ ج .

الدخول الطفيلية

الاراضي المزروعة خضروات وفاكهة ، والوصول بالنسبة للتسويق الى ربيع حجم التجارة المتداولة *

٢ - الغاء المزايدات التي يقيمها القطاع العام لبيع منتجاته وقص بيع هذه المنتجات على شركات القطاع العام العاملة في مجال التسويق *

٣ - تنفيذ مشروعات تشجيع زراعات الخضر والفاكهة وتشكيل جمعيات تعاونية لمزارعي الخضر والفاكهة ، خصوصا الصغار منهم *

٤ - زيادة النسب المخصصة للفروخ التي تصرف لمزارعي الخضر والفاكهة ، مع اشتراط تسليم المحصول للقطاع العام ودفع تعويض في حالة التهرب *

٥ - تمثيل مراكز الانتاج والتسويق في القطاع العام في لجان التسميرة ، ووضع دراسة واقعية لحالة السوق ، وذلك بالنسبة لكل محصول على امتداد موسم واطلة مدة سريان التسميرة *

٦ - انشاء عدد من الاسواق لتجار الجملة بالنسبة للخضر والفاكهة لكسر حلقة الاحتكار التي يفرضها كبار التجار والمقاطين ، وحل مشكلة صغار المقاطين بتحويلهم الى تجار محصلات ، وتأمين حرية المنتج في بيع سلخته ،

٧ - فرض رقابة ثابتة وشاملة على حركة التعامل ، بحيث تتمكن أجهزة الضرائب من الاطلاع على الدخول الحقيقية التي تهرب بمختلف الحيل والأساليب .

الدقتر ، وبذلك يصعب على الضرائب الوصول الى الحجم الحقيقي لتمامات كبار التجار *

أما بالنسبة للمقاطين ، والذين يتجاوز دخل ٣٥ واحدا منهم ٥٠ جنيهها يوميا على الأقل ، فلا توجد سجلات لديهم على الإطلاق *

ويستخدم التجار اشاريهم واتباعهم * ومهما بلغ حجم عملياتهم فليس أكثر من عامل او اثنين لدى التاجر الصغير وأربعة عمال للتاجر الكبير ، يتم قيدهم في التامينات *

ويستغل التجار والمقاطين الوضع الراهن في السوق ، ويقامون بشتى الوسائل انشاء اسواق جديدة خوفا من تشديد الرقابة خلال عملية اعادة القيد ، وتوزيع المحلات الجديدة ، وخطر هروب المزارع ببنيونه من سوق الى آخر *

خاتمة

ان تجارة الخضر والفاكهة من اهم قطاعات التجارة الداخلية * ومع ذلك ، مازال القطاع العام ، بعيدا جدا عن أن يأخذ الدور الذي حدهه الميثاق . وليس من سبيل لوقف النمو السرطاني للدخول الطفيلية في تجارة الخضر والفاكهة الا بسلسلة من الاجراءات في مقدمتها :

١ - دعم وتطوير دور القطاع العام في انتاج وتسويق الخضر والفاكهة ، من حيث زيادة رقعة

علاقة

اللجان

الانتاجية

بالخطة القومية

أحمد صادق سعد

على

اثر اتمام عمليات التأميم الكبرى ،
انتشرت في بعض المصانع
والوحدات الاقتصادية للقطاع العلم
مبادرات صادرة عن الهادة
تستهدف رفع الإنتاج كما وكيفا ، والتقليل من
الفاقد ، وتخفيض النفقات الخ * (١٩٦٤ -
١٩٦٨) . واتخذ أغلب هذه المبادرات شكل لجنة
سميت « باللجنة الإنتاجية » التي عبرت عن رغبة
العمال في أن يلعبوا دورا أكثر فعالية في الرفع
بالاقتصاد القومي الى مستوى أعلى ، كما عبر تكوين
هذه اللجان عن رأى بعض الأوساط في التنظيم
السياسي عن امكان توجيه رفة القطاع العلم نحو
بناء الاشتراكية .

وجاء القرار الجمهوري رقم ٢٨٠ الصادر في
٣٠-٣-١٩٦٩ ، فأعطى للجان الإنتاجية صفة
المؤسسات الرسمية داخل وحدات القطاع العام .
وحدد طريقة تشكيلها واختصاصاتها وسلطاتها .
ولترب على صدور هذا القرار أنه لم تعد هيئة
تملكها الدولة تقريبا الإ وفيها لجنة انتاجية .

وفي امكان اللجان الانتاجية - في نظر بعض
الأوساط السياسية - أن تعمى الجماهير في مختلف
المؤسسات العامة من أجل مساندة فلسفة التخطيط
القومي ، وبجر الزام الرجعية التي سارالت
تنادى - بصورة ظاهرة أو خفية - بالقضاء على
القطاع العلم . وكذلك في امكان هذه اللجان - من

الناحية النظرية البحتة حسب هؤلاء - أن تلعب
دورا كبيرا في المساهمة في وضع الخطة
الاقتصادية القومية وتنفيذها وتحقيق أهداف كل
وحدة ، ومتابعة هذا التنفيذ . ولكن هناك شرطا
لكي تتحول هذه الامكانيات النظرية الى حقيقة
ايجابية ملموسة ، وهو أن تزال أمام اللجان
الانتاجية تلك العوائق التي تكشف عنها تجربة
السنوات الماضية ، والتي جعلت فعالية تلك اللجان
تهبط الى مستوى يجعلها قليلة الفائدة في حقيقة
الامر في ذلك الميدان .

النتائج الإيجابية التي

حققتها اللجان الانتاجية

من المهم أن نسجل هنا أولا أهم النتائج
الإيجابية التي حققتها هذه اللجان ، إذ أن هذا قد
يمكننا بعد ذلك من استنتاج الامكانيات الكامنة
فيها بالنسبة لعمليات اعداد الخطة وتنفيذها .

١ - لا شك في أن اللجان الانتاجية حققت وبإل
أى شيء بعض التقدم للموس في الانتاج
والانضباط في العمل . ففي اجتماعات هذه اللجان
طرحت المشاكل التي تموق الانتاج أو تهدد بنوقه ،
ودرسست بصورة جماعية ، وتقدم الاعضاء بحلول
جزئية خاصة باستبدال خامة ناقصة بأخرى

متوفرة ، أو بإجراء تعديلات في خطوط الإنتاج
توفر العملة . . الخ .

وكذلك يمكن بواسطة اللجان الانتاجية ايجاد
بعض الانضباط الذاتي في صفوف العاملين ،
تستطيع به الوحدات الاقتصادية ان توفر على
نفسها جانباً من المشاكل التي تترسب لها عادة ،
والتي لا ترى الادارة من سبيل الى حلها عادة
سوى بمزيد من الضغط عن طريق التشديد في
تطبيق اللوائح او تفسيرها .

ب - وقد وجد اللجان الانتاجية فرصة اكبر
لتحفيز العاملين على المبادرة والابتكار .
فالامتحانات الجديدة تقدم الى اللجنة من طريق
بعض رؤساء الاقسام وتناقشه ، مما يحفظ
لاصحابها حقوقهم . والطيب الخاص بالكافة
التشجيعية في هذه الحالة يكسب قود اكبر عندما
يصدر من هيئة جماعية مثل اللجنة الانتاجية ،
خاصة بعد تنظيم لجنة الترشيح والابتكار بمقتضى
القرار الجمهوري رقم ٦١ لسنة ١٩٧١ (١) .

ج - ولكن اهم نتيجة ايجابية في تقديرنا هي
تعزيز مبدأ المشاركة في فهم المشاكل وحلها ، وفي
ادارة الوحدة والتخطيط على نطاق واسع ، بين
معنى التنظيمات الشبيهة وبين العناصر الادارية
العليا . ويقول " تعزيزاً " ، لأن هذا المبدأ لثير من
قبل عندما تقرر اشتراك عناصر منتخبة في مجالس
ادارة الوحدات . وهذا المبدأ هام في حد ذاته ،
وبصرف النظر عن فعالية تطبيقه وفائدة هذا
التطبيق ، إذ يدرس في اذهان العاملين بالقطاع
العام والجماهير العاملة عموماً ، ان ادارة
المنشآت الاقتصادية والتخطيط لعملها يجب ألا
يكون حقاً محصوراً على فئة المديرين دون سواهم ،
وليس سرا مستخفاً لا يستطيع العامل العادي
الوصول الى باطنه وان بذل في سبيله بعض
الجهد .

نواحي القصور والسيلبية

غير ان التجربة الماضية للجان الانتاجية في
علاقتها مع الخطه الاقتصادية القومية تقاس - في
الحقيقة - في ضوء اعتبارين اساسيين ، وهما
الذان يجب ان يكيفا مناخ العمل وظروفه كلها :

● الاعتبار الاول هو متطلبات القضية

الوطنية ، قضية استرجاع الارض العربية من
العدو الصهيوني .

● والاعتبار الثاني هو تصميم شعبنا على
تطوير البلاد نحو الاشتراكية .

والطوبى ان تكون اللجان الانتاجية جزءاً من
حركة جماهيرية واسعة ، تستقى منها الانهام
الاشتراكي والوطني ، وتثبت فيها بدورها التوجيه
والمعلومات . وليس من شك في ان اللجان
الانتاجية كانت - في الفترة الماضية - بعيدة كل
البعد عن هذا النموذج الذي تتطلبه الظروف
الراهنة :

أ - فرغم ان هذه اللجان مشكلة من المديرين
ومندوبي التنظيمات الشعبية ، الا ان الصلة بين
هؤلاء المندوبين وبين قواعد العاملين في الوحدات
الاقتصادية تكاد تكون مقطوعة في ميدان عمل هذه
اللجان على الاقل . فالمندوبون عدد قليل ،
والمناقشات تجرى وراء الابواب الموصدة ، ولا
شأن لباقي العاملين بها في اغلب الاحيان .

ب - وفي احيان كثيرة جدا ، تنقسم الاتجاهات
في اللجان الانتاجية اثناء عملها الى تيارين
رئيسيين : يضم الاول المديرين ، ويميل لاساس الى
رفع الانتاجية بزيادة الضغط على العمال وترقية
الوسائل الفنية للانتاج والاسراع بيقاع العمل
وتكثيفه . وفي اغلب الاحيان تدور المناقشات في
هذا الميدان بالمصطلحات الفنية ولا يشترك فيها
سوى القلة المؤهلة . . وهي من المديرين على
الاكثر .

ويمثل التيار الثاني الميل الى اثاره تحسين
احوال العاملين المادية كشرط اساسي ورفع المستوى
الانتاجية واثارة الحماس في نفوس العاملين ازاء
الانتاج ، وما اكثر ان تنقلب المناقشات حول هذا
المحور الى المطالبة بمزايا او رفع الظلم عن فئات
معينة ، اي تنتقل الى الارضية الغابية ويضم هذا
التيار الثاني - على الاغلب ايضا - مندوبي
التنظيمات الشعبية .

ونحن لا ننكر اهمية التكنولوجيا لزيادة
الانتاج ، ولا حق العاملين في التطلع الى ظروف
معيشية احسن ، ولكن الذي نريد ابرازه هنا هو
مصور اللجنة الانتاجية عن بلوغ الهدف المستود
اي ان تكون أداة توجيهية تلعب دوراً فعالاً في بناء
الصمود والاشراكية .

جـ - من الناحية اليسرى أن تناقش اللجنة الانتاجية خطة الوحدة قبل اقرارها . وإذا ناقشتها كلية ، فيكون هذا لاستكمال الشكليات ، وبعد أن تكون الخطة قد أثرت فعلا . وتجري المناقشات في ضوء اعتبارات الخامات والأرصدة والاعتمادات أو طلبات السوق ، دون أن يكون عليها أى انعكاس للخطة الاقتصادية القومية . وإذا ذكرت هذه الأخيرة ، فالأغلب لنقدنا ولبيان عيوبها - وهى موجودة دون شك - وبالأذات فى علاقاتها بالقيود أو المتطلبات المفروضة على الوحدة الاقتصادية (٢) .

الأسباب « الداخلية » للقصور

من المعروف أن شكل اللجان الانتاجية منتش في العديد من البلدان الاشتراكية ، وأنه أعد أعدتها فى أعداد الخطة الاقتصادية ومتابعتها لا على نطاق الوحدة فحسب ، بل على النطاق القومى أيضا . وقد أدى هذا الأسلوب إلى نتائج مأمرة تتمثل فى التقدم الذى أحرزته هذه البلاد اقتصاديا وسياسيا وعسكريا (٣) .

فما الذى دعا هذه اللجان الانتاجية لدينا إلى أن تقتصر عن الوصول إلى نفس النتائج ؟ ما هى الأسباب التى أدت إلى نواحي القصور والعللية التى ذكرناها قبل ؟

فى تفكيرنا أن هناك أسبابا تتعلق باللجان الانتاجية ذاتها وكيفية تكوينها (ونسبها أسبابا « داخلية ») وأخرى تتعلق بأسلوب التخطيط القومى فى بلادنا ومحتويات الخطة نفسها (ونسبها أسبابا « خارجية ») .

ويمكننا إجمال الأسباب الداخلية لقصور اللجان الانتاجية فى كونها ولدت وبقيت أجهزة بيروقراطية (٤) ، وكجزء من الجهاز البيروقراطى الذى يشرف على القطاع العام فى بلادنا :

١ - فاللجان الانتاجية أجهزة إدارية قبل أى شئ آخر ، بمعنى أنها تشكل بطريقة إدارية ، ومن أعلى . ورغم أن فيها مندوبين من الاقتصاد

الاشتراكى والنقابة ، إلا أن اللجنة ككل ليست لها صفة سياسية . والذى يسيطر عليها بصورة عامة هو التظاهر بالحياد إزاء للمشارك السياسى الداخلى (فى موضوع « اشتراكية القطاع العام » مثلا) والخارجية (فى موضوع أفضلية التجارة مع المسكر الاشتراكى عن المسكر الرأسمالى مثلا) . ولذلك فمن الطبيعى أن تفقد اللجنة الاتجاه الخطة الاقتصادية القومية ، وأن تحتفظ بمظهر الحياد الزائف إزاء « فلسفة » التخطيط العالم .

ب - لا تمارس اللجنة الانتاجية النقد الذاتى خوفا من أن تتخذ السلطة الادارية الاعلى هذه الفرصة فتجد البريرات لانتقاص طسى أشخاصها . وكذلك لا تستطيع هذه اللجنة ممارسة النقد إزاء المستويات الاعلى التى فى يدها السلطة تدافع بها عن نفسها . والملاحظ فى هذا الشأن أن النقد والنقد الذاتى عنصر مفقود تماما فى العلاقات الادارية المصرية ، ومن يطلق على التقارير الدورية أو الحسابات الختامية للشركات مثلا أن يجد أى خسارة أو تلفا أو هبوطا فى الانتاج يمدو إلى خطأ ما ارتكب . . بل أن سببه يعود دائما إلى فشل لا يتصل بدخل الوحدة . أما إذا كان هناك تقدم فى الانتاج أو استعمال موارد جديدة . الخ - أى تلميح إيجابية - فيرجع إلى نشاط العاملين أو قدرة الادارة العليا . الخ .

ومن الطبيعى أن اقتطاع جناح النقد والنقد الذاتى من نشاط اللجنة الانتاجية ينزع عنها الصفة العلمية ، وبالتالي القدرة الحقيقية على الابتداع والرقابة والمون الفعال على زيادة الانتاج ومتابعة الخطة .

ج - مندوبو التنظيمات الشعبية معزولون عن القاعدة ، فتستوجبهم البيروقراطية فى سهولة كبيرة . ولا يلغى الانعزال أن يكون المندوبون قد انتخبوا يوما أعضاء فى تلك التنظيمات .

فهؤلاء المندوبون لا سلطة تنفيذية لهم ، وحقيقة الامر أن حضورهم فى اجتماعات اللجان لا يعطيهم أكثر من صفة استشارية ، ويضطرون إلى أغلب

(٢) على عكس ما قصده الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله : « القطاع العام وبيروقراطية الإنتاج » - الطليعة - السنة ٧ - العدد ١٠ - أكتوبر ١٩٧١ - ص ٧٧ .
(٣) انظر ؟
T. WYRWA. « La gestion de l'entreprise socialiste ».

1970. - Paris — Pichon et Durand — Anzias.

وكذلك د . يوريس زابيلين : « كيف حقق الاتحاد السوفياتى الاستقلال الفنى والاقتصادى ؟ » - موسكو - نوفوسيبىرسك - ١٩٧١ .

(٤) انظر مصطفى عمار ، تجربة الميثاق للعاملين فى الادارة ، مجلة للعمل ، لسنة ٩ - العدد ١٠٠ - سبتمبر ١٩٧١ - ص ٣٣ ، ٣٨ .

الاحيان الى الموافقة على ما يرضه الجسائير
الادارى من اللجنة .

النقص قرصة يتهربون فيها من التعاون الحقيقي
مع هؤلاء المندوبين ، وذلك بتحويل المشاكل
البسيطة الى معضلات فنية عويصة لكي يغلقوا
ابواب حلها أمام زملائهم .

ويعود هذا الوضع أيضا الى أسباب اجتماعية
وسياسية عامة ، وخاصة الى نظم التعليم عندنا
التي تحرم العامل اليدوى الناصر من فرصة الترقى
النظرى أو العلمى بجهوده الذاتية ، فلا يمكنه أبى
حال من الاحوال أن ينتصب الى إحدى الكليات
العلمية أو النظرية دون التفرغ الكامل تقريباً . كما
أنه لا يوجد نظام الدراسة بالمراسلة التي تشمل
الشهادات المعترف بها . زد على ذلك صعوبات
التعليم بالفلسفة الاجتماعية فسي بعض
الكليات (الهندسة - الطب - العلوم .. الخ)
التي تزيد الأمور تعقيداً .

ومن الواضح أن استمرار هذا الوضع يمثل
عقبة كؤود في وجه عمل اللجنة الانتاجية إحدى
الروافع في يد فلسفة التخطيط الشامل .

هـ - ثم هناك اعتبار هام ، وهو أن أعضاء
اللجنة الانتاجية لا يجدون فائدة كبيرة في الاهتمام
بها . هي النسبة لمثلى الادارة يراها أغلبهم أنها
أحدى اللجان التي يعصرونها مثل لجنة الأمن
الصناعى والدفاع المدنى والتطوير والمتابعة
والخامات وشئون العاملين .. الخ . أما بالنسبة
لمندوبى التنظيمات الضمنية ، فيسركزون
اهتمامهم - كما قلنا - على الحوافز المادية ، وهي
تليدة ونادرة .

و خلاصة القول هنا أن عمل اللجان الانتاجية
يصاب بالبور إن لم يدفعه الى الامام الصمام
الذى يثيره الرأى السياسى ، والاحساس بشرف
العمل الطلىمى الوطنى الذى يجد مكافأة كبيرة في
التقدير الممنوى الذى يمنحه الناس للمناضل من
أجل الحق والتقدم .

الأسباب « الخارجية » للقصور

نقصد هنا أسباب القصور في أعمال اللجنة
الانتاجية العائدة الى فلسفة التخطيط كما هي
منتشرة في بلادنا ، وأساليب أعداد الخطة
وتنفيذها ، كما هي ممارسة حتى الآن .

ويرتكز بحثنا على ما يجب توافره في الخطة

ومندوبى التنظيمات الشعبية تستوعبهم
البيروقراطية للضعف القائدى الذى يتقضى في
صوف التنظيمات الجماهيرية السياسية والفنية
بصورة عامة وحادة . فإن المذهب الذى يشكل
محور تفكير هذه التنظيمات لا يحدد الموقف
السياسى من البيروقراطية والسلطة الادارية
الواسعة الا بصورة غامضة ، والأغلب أن تكون
لبنة باسم « التعاون مع الادارة الاشتراكية » .
ولذلك يتحول هؤلاء المندوبون فكراً شيئاً فشيئاً
عن قواعدهم التي انتخبهم جاهدين أن يتقربوا
ويتماثلوا مع الفئات العليا للمجتمع الادارى
المصرى ، وبهذا الشكل لا يعيدون يمثلون شرابيين
اتصال بالجماهير ، ويصبح ممكناً أن يهتموا
بالخطة - القومية أو الخاصة بالوحدة - دون أن
يكون لهذا الاهتمام صلة برأى القاعدة الشعبية .

وأخيراً « تدريب » مندوبى التنظيمات
الشعبية في اللجان الانتاجية بواسطة بعض
الهيئات (الاقتصاد الاشتراكى - الثقافة
العالمية - الاتحاد النقابى .. الخ) . غير أن
الجانب الأكبر من هذا التدريب ينصب على فكرة
سريمة (أكاد أقول قشورا) للملاحية الادارية الفنية
لعمل اللجنة الادارية (التخطيط - تكثيف
العمل - المحاسبة .. الخ) . أما معشواه
السياسى فيظل غامضاً ضبابياً . ويركز التدريب
أساساً على ضرورة التعاون الوثيق ، والانماج
المذهبي - مع الادارة في حين أنه يهمل أن الصلة
الخلاقة الحية مع القاعدة الجماهيرية هي الطريقة
الوحيدة لإبقاء عسارتها في عروق ممثليها (٥) .

زد على ذلك أن المندوب يعود - بعد التدريب -
الى نفس الجو الاجتماعى الذى لم يتغير عما يبين
أن القضية ليست أساساً قضية « تدريب » مؤقت ،
بل قضية اجراء تغييرات جذرية في تلك التنظيمات
وسماقتها القائدية ، وكذلك في المحتوى الفكرى
للالدارة وصفوتها بالقطاع العام .

ف - وتمثل بعض المشاكل الفنية صعوبة حقيقية
بالنسبة للجنة الانتاجية ، لان مندوبى التنظيمات
الشعبية لم يسعهم الحظ - أو بالأحرى الظروف
الاجتماعية المصرية - حتى يتحصلوا على الارضية
العلمية الكافية لاستيعاب تلك المشاكل . أضف الى
ذلك أن بعض أعضاء الادارة يجدون في هذا

(٥) طلاب الدكتور إبراهيم البرلس بتسييس التدريب للمديرين انفسهم - انظر « التعليم في الادارة العامة » -
مجلة الادارة - المجلد الثالث - أكتوبر ١٩٧٠ - ص ١٠٧ .

١- ضبط الخطة بمعركة التحرير *

ب - توضيح المهام السياسية والاجتماعية للخطة : كيف تحقق السيادة للطبقات الشعبية ؟ ماهى الطبقات التى تصعد الخطة «تدويرها» ؟ وما هى الطبقات التى تعمل الخطة على رفع شأنها ؟

ج - توضيح الهدف السياسى والاستراتيجى لسلسلة الخطط ، ووضع الخطة الحالية فى مكانها بالنسبة للسلسلة . ولا يمكن أن يكون هذا الهدف الاستراتيجى سوى الاشتراكية ، وبمعنى أكثر تحديدا جعل القطاع العام هو القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد والسياسة بمصر .

د - اشتراك الجماهير الواسعة فى مناقشة الخطة ، وإطلاق حرية الرأى فيها ، وتشجيع المناقشة والآراء المعارضة على التعبير عن نفسها . ومن المهم فى هذا الصدد ألا يقتفى بإصدار بيان وتلاوته فى الاجتماعات ، بل أن يستمع الى رأى الناس . .

وهن الناحية الأخرى ، فهما بذل من جهد فى سبيل جماهيرية الخطة ، فلن يكون لهذا الجهد الا اثر ضئيل اذا ظلت اللجان الانتخابية على حالتها من الاستيعاب البيروقراطى * وفى تقديرنا انه يجب تحويل اللجان الانتخابية الى مجالس شعبية منتخبة داخل الوحدات الاقتصادية .

ومن أهم أهداف مقرطة الإدارة واللجان الانتخابية :

١ - انتخاب أعضاء اللجان الانتخابية جميعا دون قيود ، لا القيود المتعلقة بالتمثيل ولا بعضوية الاتحاد الاشتراكى ،

ب - إعطاء استقلالية ومسنوية وسلطة إدارية للجان الانتخابية للرئيسية والفرعية .

ج - قوى الأعضاء المنتخبين فى مجالس الإدارة مسئوليات إدارية تنفيذية .

د - عدم فرض الجزاءات المنصوص عليها فى اللوائح الا بعد عرض الامر على « محاكم شعبية » المحلفون فيها منتخبون من العاملين خصيصا لهذا الغرض بصورة دورية سريعة (مرة كل سنة شهريو مثلا) .

والموقف منها حتى تتمكن اللجنة الانتخابية من فهمها والاعتماد عليهما كسلاح سياسى وفكرى فى معركة التحرير والبناء والاشتراكية ، وكمرشد يومى لعمل اللجنة لزيادة الانتاج ، والاستجابة لمطالب الجماهير ، وكمحرك قوى لاثارة الحماس وروح التضحية لدى هذه الجماهير .

والواقع الاليم أن الاعداد للخطة والاساليب المختلفة التى تستخدم فيه ، هذا كله يجرى حاليا بعيدا عن الجماهير العادية وممثليها فى التنظيمات الشعبية القاعدية . ولا يعود هذا فحصب الى أن الذين يقولون هذه الموضوعات من الفئتين فى الميدان - وهذا صواب - لأن الثقافة التخطيطية تكاد تكون منعدمة عند العامة ، وهذا موجود للأسف . بل أن السبب الاساسى فى اللمد بين الناس وبين الاعداد للخطة وعرضها يعود الى افتقار الموضوع للمصفة السياسية للخطة .

فقد تجرى مناقشة فى الأوساط الفنية العليا حول المبالغ الذى يخصص لشراء سيارات مستوردة مثلا ، وإذا لم يكن لفيد أن يوجه المبلغ لبناء أحد المصانع ، أو تجرى مناقشة أخرى حول بناء مصنع للنسيج أو آخر للراتنجات ، والمهم فى هذا الصدد أن ترجم هذه المناقشة الى معانيها السياسية : فهم يقوى هذا الاتجاه أو ذلك ممركتنا ضد العدو الصهيونى الاستعمارى ؟ من هى الطبقات الاجتماعية التى تقوى مراكزها ويزداد نفوذها على أجهزة الحكم بهذه الطريقة ، هذه هى المفاهيم السياسية - بصورة عامة - التى يجب أن تتوافر فى عرض الخطة حتى تفهما الجماهير وتعتمد عليها اللجان الانتخابية .

اتجاه الحلول

ولأن الخطة هى التعبير المركز للسياسة الداخلية والخارجية ، فلا بد من أن يثير الحديث عنها - وخاصة الحديث عن علاقتها بأحد الاجزة الادارية شبه السياسية وهى اللجنة الانتخابية - نقول لابد من أن يثير هذا الحديث قضايا عامة وواسعة *

١ - والقضية الاولى فى نظرنا هى جماهيرية الخطة وتسببها ، بمعنى ضرورة أن تكون الخطة موضوع مناقشة الكافة وأن تثار المناقشة وتدار على أسس سياسية . وهذا يقتضى :

سيناء

تحت الاحتلال الاسرائيلي

ممدوح يكن

وتقدم بعضهم الى الامام ، فاطلق عليهم سيل من الرصاص لم يتبينوا مصدره . وسارعوا بالاحتياط خلف سائر ويدأوا يتبادلون النيران مع العدو الاسرائيلي الذي وصل الى مشارف العريش . وبدأ الجنود الاسرائيليون يطلقون النيران على افراد الشعب حتى حل الظلام وتمتعت الرؤية .

وخلال يوم الثلاثاء السادس من يونيو قادم الامالى فى بمسالة قوات العدو الاسرائيلي التي كانت تفوقهم عددا وقوة ، وفى صباح يوم الأربعاء يونيو نجح العدو الاسرائيلي فى التمرکز على الطرق المؤدية الى العريش ، واشتبكت القوات الشعبية مع قوات العدو المتمركزة داخل جامع محطة العريش وفوق التلال المحيطة بالبلدة . وما لبثت المركبة ان انتقلت الى وسط البلدة وعلى الاخص فى ميدان التحرير حيث تقدم العدو الى الداخل بهدراعاته ودباباته وعربات المجنزرة . وكانت فرصة للشباب من افراد المقاومة الشعبية تساندتهم مجموعة من افراد الجيش لتشتيتهم العدو .

الايام الاولى لشهر يونيو المميزين من عام ١٩٦٧ كانت امالى سيناء على اعلى درجة الاستعداد لمساندة القوات المسلحة التي تحركت الى الحدود الشرقية لمصر ، واثم عقدت عدة معسكرات للتدريب على حمل السلاح والاسعاف والتفريخ . واثم عقدت عدة مؤتمرات سياسية تحت اشراف اللواء محمد عيد للنعم القرمانى محافظ سيناء اكدت كلها على « ان كل فرد فى سيناء يمتثل بنفسه جنديا فى القوات المسلحة (١) » .

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ بدأ العدوان الاسرائيلي يقصف مطارات مصر ومنها مطار العريش . واخذ الشباب مواقفه الفعلية فى حراسة المنشآت الحكومية والاماكن العامة . وتوجه الامالى الى قسم العريش حيث تسلموا بعض الاسلحة الخفيفة . وفى حوالى الساعة الخامسة والنصف اقتربت قوات العدو الاسرائيلي من مخينة العريش . وفور وصول هذا الخبر انتظم بعض الشباب على شكل مجموعات فدائية لملاقاة العدو .

فى

[١] سيناء أرض المعركة : من منشورات جمعية الشبان المسلمين .

ويروى عبد العزيز الغالي ذكرياته عن هذا اليوم في كتاب « سيناء أرض المعركة » فيقول :

« وعلى قمة بحري في الجانب الغربي من ميدان التحرير بالعريش كان يقبع ضابط مصري خلف مدفعه المضاد للدبابات » أخذ هذا الضابط تماونه بعض افراد المقاومة في تصديد ضربات ناجحة لافلول الدبابات المتجهة الى داخل البلدة حتى انه اعطى ست دبابات باصابات مباشرة مما ادّى الى توقف باقي الدبابات عن السير . ونزل على اثر ذلك افراد طاقم الدبابات الاخرى من ابراجهم لينتثروا في انحاء البلدة ، ويجدوا امامهم افراد المقاومة الشعبية تشبكت معهم بالسلح الابيض . وانطلق صوت ميكروفون من قيادة القبول الاسرائيلي ، يطلب من الضابط المصري ان يهلم نفسه ، ولكن الضابط لم يابه بأمرهم واخذ يسجل في هذه المنطقة اروع ملحمة بطولية شهدها ميدان التحرير بالعريش فقد كان بمدفعه ، يشد ازر المقاومة في الاشتباك مع دباباته . ولم يتوقف هذا الضابط البطل عن الضرب الا بعد ان لها العدو الاسرائيلي الى خديعة يفتال بها ، حيث ارمسل دبابتين من دباباته لضربه من الخلف فسقط شهيدا على مدفعه » .

وقاوم اهالي سيناء في ضراوة المعتدين الاسرائيليين . ومن ضمن الممارك التي خاضها الشعب في العريش في ذلك الوقت معركة « قمة المفواخرية » حيث اشتبكت الجاهيين مع قوات العدو وكبدته بعض الخسائر ، وتقدمت إحدى دبابات العدو الى التبة عبر أحد الشوارع الضيقة وهناك القى أحد أبناء سيناء قنبلة على الدبابة مما أسفر عن مصرع افرادها باستثناء اثنين ، استطاعا الفرار فتمتصتهما الجسامير وقتلت احدهما واسرت الثاني . وفي ميدان الشيخ جباره دارت معركة اخرى خسر فيها العدو بعض افراده .

وفي لحد المنازل بحي « المحاسنة » كان القائد الاسرائيلي **البريجادير هايي** مع فرقته يصوبون طلقات مدافعهم الرشاشة على بعض السكان ، فما كان من شباب المقاومة الوجوديين بهذه المنطقة الا ان التفوا حول هذا المنزل واشتبكوا مع قوة العدو بالسلح الابيض مما أسفر عن مصرع خمسة جنود اسرائيليين والضابط الاسرائيلي الكبير .

واستمر سكان العريش يقاومون المستعمرين الجدد حتى نفذت الذخيرة ، وسقطت عشرات القتلى والجرحى ، واخيرا تمكن الاسرائيليون من احتلال المدينة يوم الخميس ٨ يونيو ١٩٦٧ .

غير ان الشعب في سيناء لم يستسلم للاحتلال الاسرائيلي ، اذ رفض التعاون مع العدو الاسرائيلي ، وقام بعدة اضرابات ابرزها اضراب ١٩ أغسطس ١٩٦٧ ، ففي فجر ذلك اليوم كانت شوارع العريش مغطاة بالورق الابيض والمنشورات التي تدعو الشعب الى الاضراب وكانت منظمة « صوت العروبة » والخلايا التابعة لها قد قامت بالاعداد لهذا الاضراب والتخطيط له . فقامت إحدى مجموعات المنظمة بطبع المنشورات ووزعتها على المجموعات الاخرى وكانت كل مجموعة توزع بدورها على خلاياها ثم تتولى تلك الخلايا توزيع المنشورات في انحاء البلدة للدعوة للاضراب الشامل .

لكن لماذا اختير هذا اليوم ١٩ - ٨ - ١٩٦٧ للقيام بهذا الاضراب ؟

عرف الاهالي ان مجموعة من الصحفيين الاجانب ومراسلي وكالات الانباء سيوزرون العريش ، فقررنا القيام بالاضراب ليؤكدوا للشخصيات الاعلامية الاجنبية تصميمهم على تحرير اراضيهم . وحاولت السلطات الاسرائيلية ان تجبر التجار على فتح محالهم ، وان تجبر الاهالي على العمل ، لكنها فشلت في ذلك ، واكثر من ذلك ان المظاهرات طافت باحياء البلاد تهتف بالتصميم على التحرير ، ويسقط موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي ، وبحتمية زوال الاستعمار الاسرائيلي . واشتبك الاهالي مع جنود العدو الذي أخذ يطلق النار بطريقة مجنونة على السكان تحت تأثير الخسائر التي لحقت .

وفيما يلى نص المنشور الذي وزع على الاهالي :

« الى أبناء سيناء الاحرار .. »

من أجل تضامننا مع اخواننا في القدس وفي غزة وفي الضفة الغربية وفي كل قطعة من الارض المحتلة قررنا الدعوة الى القيام باضراب شامل في يوم السبت الموافق ١٩ - ٨ - ١٩٦٧ ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي الذي يحسب ان الشعب في سيناء قد استكان لبطشه وارهابه وأنه أصبح خائفا منه ومن احتلاله ، ولكنه لا يعلم ان شعب سيناء ثورة اذا ما انفجرت اخذت تقذف بالحمم والبراكيز ضد كل معتد اثم .

« ولذلك نناشدك ايها التاجر والعمال والموظف والفلاح بالا تتعاون مع العدو والعمل على اغلاق المحال التجارية وعدم التحول في شوارع او في ميادين المدينة تعبيراً عن الاحتجاج والاستنكار

مدرسة التجارة الثانوية (الصناعات سابقا) وشارع جندل *

واذا كانت هذه بعض الحوادث التي وقعت في العريش عقب عدوان يونيو الحزين ، فإن الحوادث لم تنته بعد ذلك ، بل قامت عدة اضرابات وتاوم الاهالي المحتلين الاسرائيليين ، ووقع البعض شهيدا ، واعتقلت السلطات الاسرائيلية البعض الآخر في سجونها الجديدة التي انشأتها في اراضي المحتلة *

ومن أبرز الاضرابات ، الاضراب الذي تم يوم استشهد الفريق اول عبد المنعم رياض ، حيث أقام الاهالي جنازة رمزية وأخذوا يهتفون بحياة الشهيد وبحتمية النصر وانتهاء العدوان مهما طال أمده .
ومن أبرز المظاهرات مظاهرة يوم الضيف ١٤-٢-١٩٦٩ التي قام بها طلبة وطالبات مدارس العريش تضامنا مع أشقائهم طلبة وطالبات غزة وتزعمت المظاهرة الطالبتان كاميليا قويدر ونجوى كمال حافظ * وتصدت قوات العدو للطالبات والطلبة ، لكن الهتافات تعالت : « ناصر .. ناصر .. ناصر » و « حطوا الخفق ع البيسان فليسط أبنا ايبان » و « تحيا سيناء حرة عربية » (٢) *

وقد تشكلت عدة جمعيات سرية ، ومنظمات مقاومة أبرزها « منظمة سيناء العربية » التي تامت بعدة عمليات عسكرية ناجحة اعترف بها العدو نفسه وخصوصا أبان حرب الاستنزاف التي شنتها قواتنا ضد العدو الاسرائيلي *

وقد شملت عمليات منظمة سيناء العربية كل ارض سيناء : شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . وكان يوم ٢٣ مارس ١٩٦٩ يوما هاما في تاريخ المنظمة إذ استخدم فدائيوها لأول مرة الصواريخ التي ضربوا بها مركز قيادة وادار العدو في منطقة البرج شرقى القنطرة بثمانية عشر كيلو مترا ، وبعد الضرب سمعت انفجارات متتالية في مخازن الذخيرة والودود ، وشوهد العدو وهو يخلى عددا من قتلاه وجرحاه *

على أن اجرا عملية قام بها فدائيو منظمة سيناء هي عملية ضرب مطار العريش ومستعمرة « فُحاحل سيناي » ، وذلك في يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٩ ، ويقع مطار العريش في موقع حساس ، كما أن الأماكن المحيطة به مكشوفة والورديات الاسرائيلية

لوجود المحتل الاسرائيلي بأرض سيناء * وإن الاسباب التي تدعونا الى الاضراب هي :

١ - وجود الاحتلال الاسرائيلي داخل سيناء رغبا عن ارادة اهلها *

٢ - تحويل العملة المصرية الى عملة اسرائيلية *

٣ - تهول جيش الدفاع الاسرائيلي بمدراسته ومجنزراته داخل البلدة والهجوم على المنازل وتفتيشها بغير حق *

٤ - نزول جنود الاحتلال وفتياته شبه عمارة بداخل البلدة *

٥ - اعتقال الشباب والرجال من أبناء البلدة وتعذيبهم في سجونهم ومعقلاتهم بدون نسب ارتكبوهم *

٦ - تضامنا مع اخواننا أبناء القدس والضفة الغربية في اضرابهم الشامل *

٧ - اعلان السخط امام الرأي العام العالي على الوجود الاسرائيلي * واخيرا نتمنى أن نكون يدا واحدة ضد عدو الله وعدوكم والله اكبر والنصر للعرب » (٢) *

امضاء

صوت العربية

لكن كيف قصرت السلطات الاسرائيلية بعد الاضراب ؟

١ - اعلنت نظام منع التجول واطلقت النار على كل من يخرج من منزله مما أدى الى مقتل ٣٠ شخصا من بينهم ٥ أطفال *

٢ - اعتقلت ما يزيد عن ١٥٠ شابا بتهمة الاشتراك في الاضراب وقامت بتعذيبهم على أحدث امهاليق التعذيب *

٣ - قطعت المياه عن المنازل *

٤ - نسفت بعض المنازل *

وخلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ ، مارست السلطات الاسرائيلية اشد انواع الارهاب ضد سكان العريش ، وقامت بتعذيب الاهالي وقتلت بعض السكان ومنهم الشهود سلاحة هتسى القار ، كما همرت حيا بأكمله ، وهو الحى الذى يقع بين

[٢] المرجع السابق

[٣] المرجع السابق

لثغرة تموله بصفة دائمة * ومن هنا تأتي أهمية العملية العسكرية * كذلك فإن مستعمرة « ناحل سيناء » تقع على بعد ٢ كيلومتر من مدينة العريش وهي محصنة تحصينا جيدا *

ويعتبر الشيخ حسين أول شهيد من شهداء منظمة سيناء العربية وقد صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ليلة الاثنين - الثلاثاء ١٣ - ١٤ سنة ١٩٧٠ *

في تلك الليلة خرجت جماعة من رجال منظمة سيناء تأخذ طريقها إلى قلب مواقع العدو في منطقة القنطرة على الضفة الشرقية للقناة * وكانت المهمة التي كلفت بها الجماعة هي نسف خطوط المواصلات ، وأنابيب المياه ، وزرع الألغام على مجموعة الدقات الموصلة إلى الطريق الرئيسي ونسف عدد من مشآت العدو في المنطقة * وكان الطريق أمامهم مغروشا بالمخاطر ، فالوت يترصص بهم في كل خطوة ، ولكنهم موال عملهم استطاعوا أن يقوموا بعملياتهم دون أن يسهط واحد نتيجة التنظيم الدقيق والتخطيط الجيد للعمليات والتنفيذ المطابق للتخطيط ، وأيضا لمعرفة هؤلاء الرجال بالأرض التي يتحركون فوقها *

وفي تلك الليلة كانت الجماعة قد بثت الغامبا ومتعجراتها الثقيلة ، كانت هذه الجماعة تضم بين أفرادها الشيخ حسين الذي أصبح أول شهيد يسقط من أبناء منظمة سيناء *

وانتهت الجماعة من العمل على الأهداف ، وانتقلت لزرع الألغام على الدقات الموصلة إلى الطريق الرئيسي لأحداث أكبر قدر من الخسائر في دوريات وأفراد العدو ، تحقيقا لهدف المنظمة ، وهو استنزاف العدو بدرجات متزايدة ، وإزعاجه بصفة مستمرة ، وخفض الروح المعنوية لقواته ، وإشعاره بأن الموت يترصد أفرادها في كل مكان ، وتكبيده خسائر مستمرة في المعدات والأفراد والمنشآت ، واتخذت كل مجموعة طريقها إلى الدق الذي سترزعه بالألغام ، طبقا للتخطيط السابق * واختار الشهيد الشيخ حسين أن يتقدم مجموعته كفر استطلاع لاكتشاف المنطقة ، ومن المعلوم أن من يقوم بهذا العمل هو أول من يلتقى بالعدو وأول من يصطدم به ويتعرض لنيرانه ، وبالفعل فقد فتح كمين مضاد لنيرانه ، وسقط الشيخ حسين في ميدان الشرف *

وكانت الأسابيع الأخيرة من شهر فبراير ، والأولى من شهر مارس أنشط أسابيع عمليات منظمة سيناء * فقد أصدرت المنظمة في ٢٥-٢٦-٦٩ بيانا أعلنت فيه مسئوليتها عن ٢٤ عملية عسكرية

ضد العدو في سيناء خلال الأسابيع القليلة الماضية على إصدار البيان * وقد وصلت هذه العمليات كل مناطق سيناء ووصلت إلى شرم الشيخ وساحل خليج العقبة ومنطقة القسيمة وتم فيها نسف عشرات من السيارات العسكرية للعدو ومخازن ذخيرته ودباباته وجسور السكك الحديدية ووسائل الاتصال التليفونية التي تستعملها قوات العدو *

وأعلن ناطق باسم المنظمة ، إن الغدائين العرب أنزلوا بالعدو خسائر جسيمة في الأفراد ، ثم أضاف أن المنظمة سوف تواصل نشاطها ، تصمده وتوسع نطاقه ضد العدو في كل شبر من أرض سيناء *

وأكد المتحدث الرسمي قيام تعاون وثيق بين منظمة سيناء العربية وبين منظمات المقاومة العاملة في قطاع غزة *

وقد أورد المتحدث باسم المنظمة تفاصيل العمليات التي قامت بها المنظمة في الفترة الأخيرة عن صدور البيان :

(أولا) في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨ تم نسف عربة جنزير على أحد الدقات جنوب رمانة (شرق بورفؤاد) وقتل جرح جميع ركبائها *

وفي اليوم التالي جرت ثلاث عمليات تم في الأولى نسف عربة (باور وأجن) تحمل جهازا لاسلكيا للعدو ، كانت تقوم بأعمال الداورية في منطقة الجونة على الشاطئ الشرقي لخليج السويس ودمرت تدميرا تاما وقتل سائق السيارة وأصيب ٢ آخرون بإصابات بالغة *

وفي العملية الثانية تم نسف عربة جيب اسرائيلية تدميرا تاما وقتل ضابط وجنديان كانوا بهاذلك في منطقة جنوب رأس مكامر على الطريق المؤدى إلى العريش *

لما العملية الثالثة التي جرت في نفس اليوم فتم فيها نسف مخزن ذخيرة للعدو في منطقة أم غزة في شرم المياه بجوار منطقة شرم الشيخ ، وقد استمرت التفجارات والحرائق ٤ ساعات ، ولم يستطع العدو السيطرة عليها *

(ثانيا) وفي ٢ يناير ١٩٦٩ تم نسف جسر السكة الحديد بمنطقة الخروبة بين العريش وغزة *

(ثالثا) في ٣ يناير تم نسف عربة جيب للعدو على أحد الدقات الساحلية شمال رمانة - ققادي الانفجار إلى قتل سائق السيارة وإصابة اثنين آخرين إصابات بالغة *

(رابعا) في ٧ يناير تم نسف عربة مجنزرة في منطقة وادي الغريب شمالي دهب على خليج

العربية • وقد أدى الانفجار الى تدمير العربية وقتل ٢ افراد كانوا بها ولم يستخدم العدو الطريق لفترة طويلة بعد الحادث •

(خامسا) فى ١٦ يناير تم نسف خط المياه الرئيسى الذى يمد محسركات العدو على الطريق بين الاسماعيلية والعريش فى ثلاثة مواقع •

(سادسا) فى ١٧ يناير جرت عمليتان : الاولى تم فيها تدمير عربية مدرعة للعدو وقتل جنديين واصابة خمسة افراد بجراح خطيرة وذلك على المدق الواصل بين الطريق الرئيسى وطريق العريش •

وفى العملية الثانية اقامت مجموعة من الغدائين شرقى القنطرة كمينا لسارتين للعدو محتلين بالجنود وتم تدميرهما كما تم تدمير بعض عربات النجدة وقدرت خسائر العدو بخمسة قتلى و١٠ جرحى •

(سابعا) وفى ١٨ يناير نسف الغدائون عربة جيب للعدو فى منطقة البرج شرقى القنطرة وقد أدى ذلك الى مقتل السائق وجندي آخر •

(ثامنا) وفى ٢١ يناير تم تدمير عربة ياوراجن أثناء مرورها فى وادى الطليعة شمال ابو زينة فى خليج السويس ، ونتج عن ذلك قتل ضابط وجندي واصابة ٤ جنود بجراح •

(تاسعا) وفى ٢٩ يناير نسف الغدائون عربة مدرعة للعدو جنوبى بالوطة على الطريق الشمالى • وقد قتل السائق واصيب ٣ جنود بجروح خطيرة •

(عاشرا) وفى اول فبراير تم تدمير عربة مدرعة للعدو كانت مكلفة بأعمال الدورية فى منطقة جنوب رمانة أثناء قيامها بالدورية ونتج عن ذلك قتل ثلاثة من الجنود وجرح ٣ آخرين •

(أحد عشر) وفى ٢ فبراير تمسك الجسر الرئيس بين رفح وغزة •

(اثنا عشر) وفى ٩ فبراير تم نسف عربة مدرعة كانت تسير على المدق الساحلى شمالى رمانة وقتل سائق السيارة ٢ جنود واصيب باقى ركاب السيارة بجراح خطيرة •

(ثالث عشر) وفى ١٢ فبراير اتام الغدائون كمينا لسارتين اسرائيليتين ادهاما سيارة صالون بها يستخدمه كبار القادة الاسرائيليين وذلك على طريق القنطرة - العريش • وقد تم تدمير العربية الصالون وقتل جميع ركابها إما العربية الثانية فقد لاند بالفرار •

(رابع عشر) وفى ١٣ فبراير قام بعض الافراد

بمعمل كباتن بالالغام على امتداد الضفة الشرقية للقناة نتج عنها نصف دبابة ٢ عربات مدرعة للعدو وقتل وجرح جميع ركابها •

(خامس عشر) وفى ١٩ فبراير جرت ثلاث عمليات تم فى الاولى نسف الكابال التليفونى الرئيسى فى منطقة جبل لىلى ، وفى الثانية نسفت عربة للعدو فى منطقة شمال الختمية وقتل وجرح كل من فيها • وفى العملية الثالثة تم نسف عربة احدى دوريات العدو فى منطقة شرق جبل الحلال وقتل السائق ، واصيب جنديان بجراح خطيرة •

(سادس عشر) وفى ٢٠ فبراير تم نسف عربة لورى للعدو فى منطقة وادى الدوير جنوب سيناء وبسج عن ذلك قتل وجرح ٧ جنود اسرائيليين •

(سابع عشر) وفى ٢٢ فبراير اقم كمين لدورية للعدو مكونة من دبابة وغربة مدرعة • وقد تم تعطيل الدبابة وتدمير العربية المدرعة وقتل جميع افراد العربية كما اصيب افراد الدبابة باصابات خطيرة •

(ثامن عشر) وفى ٢٣ فبراير جرت عمليتان اسفرت الاولى عن تدمير سيارة نافذة للجنود فى منطحة شمال البحيرات واصيب ٢ جنود باصابات خطيرة واسفرت العملية الثانية عن تدمير جراح اسرافلى وقتل سائقه فى منطقة شرم الشيخ أثناء محاولته تمديد الارض •

(تاسع عشر) وفى ٤ مارس تم تدمير عربتين مدرعتين فى المنطقة شرق البحيرات المرة فى كمين بالالغام • وقد أدى ذلك الى قتل وجرح ١١ جنديا اسرائيليا بينهم ضابط برتبة ملازم •

(عشرون) وفى ٦ مارس تم تدمير دبابتين للعدو تدميرا تاما : الاولى فى الساعة ٨ر٢٠ صباحا والثانية فى الساعة ١٢ر٣٥ من نفس اليوم نتيجة كمين الغام وضعت على طريق اقترابها ونتج عن ذلك قتل طاقم الدبابتين •

(واحد وعشرون) وفى ٨ مارس تم نسف عربة مدرعة على طريق رأس بند - غيرنفل جنوب سيناء وقد قتل السائق وضابط واصيب جنديان باصابات خطيرة • وعند حضور النجدة بقيادة الحاكم العسكرية لمنطقة ابورديس اصعدت عربته بلغم آخر وقتل ٢ افراد كانوا بها واستخدم العدو بعد تلك الطائرات الهليكوبتر فى اخلاء القتلى والجرحى •

(اثنان وعشرون) وفى ٩ مارس تم نسف عربة جيب للعدو فى منطقة القسيمة وقتل وجرح من فيها •

(ثلاث وعشرون) وفى ١٥ مارس تم تدمير سيارة نقل جنود فى الساعة العاشرة صباحا

لنتيجة الصفة لها بلقم * وقد تلج عن ذلك تدميرها وقتل ركاب كانوا بها *

(أربع وعشرون) وفي ٢٠ مارس تم نصف ٣٠ مقرا من شريط السكة الحديد داخل قطاع غزة *

(خامس وعشرون) وفي ٢٢ مارس تم تدمير نهاية للمدو كانت تقوم بأعمال الدورية بمنطقة شمال السويس * وقد قتل جميع طاقمها *

(سادس وعشرون) وفي ٢٣ مارس ضرب الفدائيون مركز قيادة للمدو ورادار بالصواريخ في منطقة البرج شرق القنطرة بحوالي ١٨ كيلو مترا * وقد سمعت على اثر ذلك عدة انفجارات متتالية وشهدت النيران تشتعل في مخازن للسفينة والوقود * كما شهد العدو يخلى عددا كبيرا من القتلى والجرحى *

وفي الساعة ٨.٣٠ من نفس اليوم قامت مجموعة أخرى بقصف مناطق الشئون الادارية ومخيمية المدن الثقيلة في منطقة عيون موسى بالضفة الشرقية لخليج السويس * وقد شهدت الانفجارات فوق مواقع للمدو من الضفة الغربية للخليج * واستمرت النيران مشتعلة في مناطق العدو لفترة طويلة *

(سابع وعشرون) وفي ٢٤ مارس تم نصف دبابية نجدة للمدو في الساعة الثالثة ودبابية أخرى في الساعة الثامنة والنصف وذلك نتيجة لاصطدامهما بالغام *

وقد أعلن المتحدث باسم المنظمة - الذي اذاع بيان هذه العمليات يوم ٢٥ مارس ١٩٦٩ - أن هناك تمسيتا كاملا في العمليات بين المجموعات الفدائية لمنظمة سيناء العربية * وبين ابطال المقاومة العربية في قطاع غزة *

واضاف المتحدث ان منظمة سيناء العربية ستواصل عملياتها ضد العدو وضد اعداءه * وقال اننا سنقاتل دفاعا عن صحارتنا ولن نسلم في شبر من ارض عربية ونحن على استعداد لان نبذل من دمائنا وارواحنا * مهما كانت المخاطر ومهما كان الشن * حتى يتم تحرير الارض صليمة لمصرينا وتحقيقا لكلمة الحق والعدل والسلام *

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه منظمة سيناء العربية تواصل النضال * كانت بقية جماهير سيناء تعتمد من مقاومتها وتحديها للمدو الاسرائيلي * وعلى سبيل المثال وفي يوم ١٣ أبريل ١٩٧١ وزعت احدى المنظمات الفدائية السرية التي شكلها أبناء سيناء منشورا تحت عنوان : « اخرجوا من بلادنا » تقول فيه بالحرف الواحد :

« ان على قوى البغي والعدوان ان تعلم بان

بقاءها على ارضين سيناء أصبح أمرا مستحيلا ، ان مطامع الصهيونية في الاحتفاظ بأي وجود لها على ارض سيناء هو امر مرفوض ، ان شعب سيناء المناضل - من بدو وحضر - الذي قدم قوافل الشهداء - دفاعا عن ارضه - قد عقد العزم اليوم على تدمير احلام الصهيونية العالمية على رمال سيناء الطاهرة * ان كل شبر من ارض سيناء سيتحول على ايدي ابنائها الى جحيم تحت اقدام المعتدين يزأل كيانهم ، وسيعلمون عندهم انهم امام امرين لا ثالث لهما اما الرحيل واما الهزيمة والانتحار *

ولم يكن هذا المنشور المؤرخ بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٧١ الاول او الاخير من نوعه ، كما انه ليس الا وسيلة من عشرات الوسائل التي استخدمها امالي سيناء في الدفاع عن ارضهم ورفضهم المطلق للوجود الصهيوني *

ومن الوسائل الاخرى التي استخدمها سكان سيناء المقاومة السلمية ورفض التعاون مع العدو الاسرائيلي بأي شكل من الاشكال *

وفي مواجهة هذه المقاربة الشبيهة الصلبة استخدمت السلطات الاسرائيلية ابشع اساليب البطش والارهاب لقمع السكان * وقد كشفت لجان التحقيق الدولية حكايات يشيب لها الولدان تؤكد ان الصهيونية تفوقت على ربيبتها النازية *

وفي جلسة يوم ٢٢ مارس ١٩٧٠ وامام السفير هـ س * لعمرو سنيق رئيس وفد سيلان الدائم في الامم المتحدة والسفير عبد الرحمن ابو فرج ممثل الصومال في المنظمة الدولية والبروفسور يوارت بوهني عضو الجمعية الفيدرالية اليوسلافية والاسناد المساعد بكلية الحقوق بجامعة لوبليانا * امام هؤلاء وغيرهم روى أبناء سيناء ، وابناء بلدنا غريب الحكايات *

قال الشاب محمد فرياس ان الجنود الاسرائيليين افقدوه رجولته بعملية استئصال دنيئة .. وقال الطبيب كمال ملك غبريال الذي كان يعمل في مستشفى العريش عندما جاء يوم ٥ يونيو * قال ان حالات الدخن زادت ، وارتفع عدد مرضى السكر والضغط واستمرت عمليات هدم المساكن فكانت الجثث تنقل الى المستشفى وكانت السلطات الاسرائيلية ترفض ان يقوم الطبيب المصري بتسجيل الاسماء او معرفة اسباب الوفاة * وفي ٤ أكتوبر سنة ١٩٦٧ احضروا جثة غلام واتضح ان اسمه صلاح الفار وقالوا له « ضع الجثة في المستشفى » واحضروا بعد ذلك ٤ اطفال اسرائيليين حديثي التخرج ليس بينهم جراح واحد * وكتب الدكتور كمال ملك غبريال الى

ويقوم الاعداء أحيانا بضرب الاسواق المحلية فيحبطون اللقائى ليجلب من المنتجات الزراعية والأتواع الغير صالحة عندهم ، ويقومون ببيعها داخل المناطق المحتلة مما يؤدي الى هبوط اسعار المنتجات المحلية والى ركودها .

ثانياً - المشاكل الصحية :

يوجد نقص كبير فى عدد الاطباء والمرضين والادوية والمواد الطبية التى ترتفع اسعارها . كذلك فان ارتفاع الاسمار يؤدي الى انتشار الامراض المعدية وخاصة مرض السل بين بدو سيناء .

ثالثاً - المشاكل التعليمية :

غيرت السلطات الاسرائيلية المناهج التعليمية فى المدارس بما يتلاءم مع المخطط التوسعى الاسرائيلى . ويوجد نقص كبير فى عدد المدارس والمدرسين الكفاء كذلك توجد مشاكل كبيرة فى الكتب والطبوعات المدرسية والكراسات .

رابعا - المشاكل الوجدية :

توجد مساجد متروكة ومهملة ليس لها ابواب ولا نوافذ ولا فرش وتحتاج الى تعمير واصلاح ولا يوجد لهذه المساجد رجال دين . ومن امثلة ذلك مسجد « الحاج سيد » برفح ومسجد الحطة ومسجد قسم الشيخ زويد ، ومسجد الحارون برفح الغربية ومسجد الاوقاف برفح سيناء ومسجد البلد بالشيخ زويد .

خامسا - مشكلة الأمن والاستيلاء على الاراضى :

تقوم السلطات الاسرائيلية بفرض نظام منع التجول فى اغلب الزايق ويحظر تحرك المواطنين الا فى ساعات قليلة ومناطق معينة . ودائما يتعرض المواطنون للقتل اذا خالفوا ذلك ومن تكتب له الحياة يوضع فى المعتقلات والسجون ويكون عرضة للامانة والتعذيب .

أما بخصوص انشاء المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء فيمكن القول أن امرائيل بدأت بعد حرب يونيو مباشرة فى تنفيذ مخطط مدروس للاستيطان اليهودى فى سيناء . ولقد تتابعت بمئات اسرائيلية بيولوجية وتعبينية على أرجاء سيناء ، وقامت بمسح مناطقها المختلفة ودراسة الحياة فيها وامكانيات معيشة المهاجرين اليهود أو المستوطنين الجدد على ارضها (٤) .

الصليب الاحمر ، وأبلغهم أنه قد بحث وباء فقد كان كمال الطبيب الوحيد فى المستشفى . وحملوا الى المستشفى بالاسلحة يهددون المرضى بالقتل اذا لم يتقدموا بمعلومات وهدموا غرفة العمليات ، وكثروا يقتلون المصابين من العريش الى غزة لسوء حالة مستشفى العريش على حساب صحة المرضى دون خوف على حياتهم . واتصل الطبيب بالصليب الاحمر فى فبراير سنة ١٩٦٨ ، وأبلغهم أن الحالة لا تطاق ، وأن أصوات المسجونين كان يسمعون من السجن القريب ، ورفضت السلطات الاسرائيلية أن يزور الطبيب المصابين منهم لأن الحرب تقتضى تحمل كل هذه الجرائم والسكوت عليها .

ويضيف بنا المقام لو اثبتنا جميع الوثائق التى عرضت على لجنة التحقيق الدولية ، والتى تشكل جرائم حقيقية بمقتضى القوانين الدولية والاعلان العالى لحقوق الانسان .

ومع ذلك فثمة جرائم أخرى ارتكبت بحق سكان سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى :

أولاً - جرائم اقتصادية واجتماعية :

وتتجلى فى رفع الاسعار والاستيلاء على الاراضى بالقوة ونهب المحاصيل الزراعية للسكان . ويقول آخر تقرير عن الاسعار هناك ما يلى بالحرف الواضح :

يعانى المواطنون العرب فى سيناء من غلاء وارتفاع الاسعار فى المواد الغذائية والتموينية ومن نقص كبير فى بعضها وخاصة الاقمشة .

وفى نفس الوقت تقوم السلطات الاسرائيلية باحضار الاسمدة الكيماوية والبلدية وتبيع سيارة السباد اليدوى ١٠ متر مكعب بـ ٣٠٠ ليرة وجوال سباد السوبر فوسفات المادى وزن ٦٠ كيلو بـ ١٥ ليرة وأحيانا بعشرين ليرة .

كذلك ترتفع اسعار الادوية والعلاجات والمبيدات الحشرية الخاصة بالنباتات والمزروعات على كافة أنواعها كما ترتفع اسعار استئجار الآلات الزراعية مما يحمل المزارع العربى تكاليف مرتفعة .

وعندما يتم نزع المحاصيل الزراعية لسدى المزارع العربى ، يتحكم الاعداء فى بيعها وتسويقها . فمعتدا يحتاجون هم اليها فى الداخل يقومون بجمعها بواسطة هيئات وجمعيات وشركات خاصة وباشتراطات خاصة ، ويفرض ذلك فرضا على المزارعين الذين يقيدون بأسعار تجعل قيمة الانتاج لا تغطي التكاليف التى انفقت على الزراعة .

قريبة أن تخضع تمامًا ثابتة على طول الساحل الذي يتحكم في الملاحة بين خليج العقبة .

ولم تكلف الخطه الاسرائيليه بالخطوة التي سميت عليها ببناء مستوطنات « الناحل » شبه عسكريه في شمال سيناء ، بل أعقب هذا النوع من الاستيطان نوع آخر من الاستيطان الخفي عند مدخل رفح على الحدود المصرية ، وهي نفس الوقت يخفى خط الاستيطان السيلحي الى شرم الشيخ ، ويمكن أن تتحدد خطة الاستيطان الاسرائيلي في شبه الجزيرة في ثلاثة أنواع وهي :

١ - استيطان الناحل على امتداد المحور الشمالي من سيناء .

٢ - استيطان مدني وزراعي عند مدخل رفح .
٣ - استيطان مدني وسيلحي في شرم الشيخ عند مضائق تيران .

و ذات صباح في أكتوبر ١٩٦٧ (٥) وبعد الحرب بأربعة شهور فوجئ البدي الذين يقعون عند بير مصطلق في شمال سيناء بمشهد غريب أشار انتباههم : طابور طويل من سيارات القتل العسكرية الاسرائيلية يتقدم على الطريق الشمالي ثم يتجه الى محطة السكة الحديد وينزل من السيارات مجموعات من كتائب « الناحل » الاسرائيلية وهم يحملون أمتعتهم ومعداتهم الى المنازل المهجورة ويماني محطة السكة الحديد ثم يقيمون حاجزا من الأسلاك حولها تمهيدا لاقامتهم فيها يصفه مؤقته ولكن مجموعات الناحل أخذت تضيف الى الجاني عدة انشاءات صغيرة ، وعندما سألهم أهالي سيناء عما يحدث كان جوابهم : لقد جئنا لنقيم معكم هنا .

وكانت هذه هي « ناحل يام » نواة اول مستعمرة اسرائيلية تبرز على أرض سيناء . وكان هذا هو نفس الاسلوب المختصر الذي اتبعه المستوطنون الاسرائيليون في جهات أخرى . وقد وضع الكولونيل « تسفي ليفانوف » قائد الناحل في سيناء خطة الاستيطان السريع بهذا الاسلوب لكي يكون ركيزة تقوم بعدها عمليات التوسع والانشاء لجاني المستوطنات .

وبالفعل انتقلت المجموعات الاسرائيلية من الناحل بعد شهور الى بيوت جديدة أقيمت لهم بالقرب من بحيرة البردويل على الطريق الرئيسي بين المريش والمنطرة . وكان الهدف العسكري واضحا في اختيار هذا الموقع بالذات مستعمرة « ناحل يام » لأنه يمكنها من الاشراف على جزء

ثم قامت بمئات عمليات تابعة للتجسمة المصرية مما ذلك بالذهاب الى سيناء وكانت مهمتها الاساسية اجراء دراسات حول امكانية الاستيطان في شبه الجزيرة . ولكن ندرة الارض الزراعية وعدم توافر المياه وقفت حائلا امام اجتذاب التيار الجماعي الاسرائيلي الى الاستيطان في سيناء مثل ما حدث من تدفق الحملات الاستيطانية الشعبية على مضية الجولان والضفة الغربية . وكان لابد من اسلوب آخر وهو الاعتماد على السلطات الاسرائيلية التي اخذت تخطط وتعد الترتيبات وترصد الخيانات بعد ٥ يونيو لاقامة « مستوطنات للناحل » : المستعمرات شبه العسكرية في الجزء الشمالي لسيناء . وكان الهدف بالطبع تأكيد الوجود الاسرائيلي وتركيزه في مناطق معينة .

ولكن ذلك لم يكن كافيا لتنفيذ خطة الاستيطان الاسرائيلي في سيناء بالشكل المطلوب . ووجدت السلطات الاسرائيلية أن المخطط الموضوع يتطلب فتح سيناء أمام الشركات المختلفة لبناء فنادق ومشروعات سياحية وخصوصا في واحة نويبع تكاليف هذه المشروعات الى ١٢ مليون ليرة اسرائيلية على أساس أن تساعد هذه الفنادق وهذه المشروعات السياحية في اثبات الوجود الاسرائيلي هناك بالإضافة الى الارباح المتوقعة من وراء تنشيط الحركة السياحية الى الاماكن المقدسة في سيناء مثل دير سانت كاترين .

وحتى تسهل السلطات الاسرائيلية تنفيذ الخطة للشركات وتجذبها الى المنطقة الجنوبية ، فقد نفذت مشروع الطريق السريع المرصوف الذي يربط ما بين ميناء ايلات وشم الشيخ ، ويمتد ١٢٠ ميلا بطول ساحل خليج العقبة . وتدفقت على المنطقة ذات صباح في سنة ١٩٦٨ جولدوزورات سلاح المهندسين الاسرائيليين وأدوات الرصف والشركات الاسرائيلية وأخذت تشق الطريق الجديد وسط الصغور وترصفه بعرض اتجاهين . وقد كانت اسرائيل تهدف أيضا من وراء شق هذا الطريق الى ربط خط الإمدادات البرية بين ايلات وشم الشيخ ، وتميزين مواقع قواتها بكل احتياجاتها العسكرية ، ومن قبل لم يكن هذا الطريق سوى « مدق صحراوي » ، ولذلك كانت القيادة الجنوبية الاسرائيلية تواجه صعوبات في تحريك قواتها وأمدادها على المحور الجنوبي ، وتضطر الى استخدام الدائرات الهليكوبتر في عمليات التموين والاعاشة ، ومن ناحية أخرى فإن اسرائيل

ولقد كان «التوكيد» وال«الضخ» على ضرورة وضع قدم الاستيطان الاسرائيلي بسرعة في سيناء وبالأذات على المحور الشمالي الساحلي ، وليس سرا انه منذ سنة ٧٠ أخذت الجهات الاسرائيلية المسئولة عن الاستيطان تددى المزيد من الاهتمام تجاه المنطقة الشمالية من سيناء ، وبذات منذ ذلك الوقت تخطط في صمت وتعمل في هدوء لإقامة ثلاث مستوطنات زراعية محمية هناك ، وهذا هو لخطر أنواع المستعمرات لانه يعنى تهديد المنطقة ، ويعتبر ذلك تحولا حاسما وله مغزى خطير ، بعد أن كان الاستيطان الاسرائيلي في سيناء يعتمد على مستعمرات الآين أو مستعمرات الناحل .

وقد اقيمت بالفعل اول مستعمرة من هذا النوع واسمها « مستوطنة منديل رفع » أو « بتصات - رفع » وتقع في القطاع الشمالي بالقرب من مدينة رفع .

هذه بعض ملامح التغيير الاسرائيلي في سيناء وهي تؤكد جميعا أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تريد الاستيطان الدائم في شبه الجزيرة ، وإذا كان المسئولون الاسرائيليون يختلفون في مدى اطباعهم في سيناء فسان اختلافاتهم تخفى ثوابيهم الحقيقية في عدم ترك شبه الجزيرة ، ولقد كان عزرا وايمان وزير المواصلات الاسرائيلي (والذي كان مدير العمليات بهينة اركان حرب الجيش الاسرائيلي) أكثر المسئولين صراحة أن قال يوم ١٦ - ٢ - ١٩٧٠ ما نصه بالحرف الواحد :

« وفيما يتعلق بمشروعات السلام التي اقترحها هؤلاء أو أولئك فانتى لا اعرف من جانبى سوى واحد منها هو مشروع **ليونور هيرتزل** وهو المشروع الوحيد الذى يمكنه أن يؤدى الى السلام » .

والمعروف أن مشروع هرتزل والذي رسمه في ص ٧١١ من مذكراته يعتمد من النيل الى الغرات ويشمل بالطبع سيناء بأسرها .

غير أن المعتدين الاسرائيليين يفسون دروس التاريخ التى تؤكد أنه فى مثل هذه المنطقة العربية ، التى تموج بحركة وطنية واجتماعية جبارة ، وينهض قومى لم يسبق له مثيل ، فان اسرائيل تتحرك في اتجاه معاكس للتاريخ ، لأنها انما تريد أن تفرض على الشعوب العربية نظاما استعماريا واستيطانيا تخفى التاريخ بسموته وافلاسه . وفى الواقع فان المعتدين الاسرائيليين انما يبنون احلامهم الامبراطورية فوق الرمال .

من المحور الشمالي ومراقبة الطريق «١» ويعتبر من أهم المحاور الثلاثة الرئيسية التى تعتمد عليها تحركات الجيش الاسرائيلي في سيناء ، وذلك بالاضافة الى هدف اقتصادى آخر وهو قرب المستعمرة من بحيرة البردويل الغنية بالاسماك حيث يقوم الاسرائيليون هناك بصيد كميات كافية من هذه الاسماك ، ويتم شحنها الى اسواق اسرائيل بسيارات نقل مبردة ، والغريب أن الشركات الاسرائيلية تقوم بدورها بتصدير جزء من تلك الكميات الى أوروبا ، ولذلك وضع المسئولون من انشاء المستعمرة واستيطانها هذه الميزة فى حسابهم ، واهتموا بأن تكون رواة سكانها من خريجي مدرسة صيد الاسماك .

وطبقا للترتيب الزمنى فقد ظهرت بعد ذلك مستعمرة « ناحال سيناء » فى اواخر سنة ١٩٦٧ ، وتقع بالقرب من العريش وعلى الطريق المؤدى الى مفترق طرق « بير لحفن » وبهذا تشرف على المحور الاسطفي سيناء .

وقد كانت هناك مزرعة نموذجية مصرية اقيمت لاستصلاح الاراضى فى المنطقة الشمالية ، واستغلت قيادة النحال وجود المزرعة ببيتها وحولتها الى مستوطنة « ناحال سيناء » ، لما غرض اسرائيل من وراء اقامتها فهو « دراسة اكانية توطين اللاجئين فى قرى سيناء حول مدينة العريش ، ثم يقوم الاسرائيليون فى هذه المستعمرة بالاعمال الزراعية ويسوقون انتاجهم بين هؤلاء اللاجئين وبين سكان العريش » .

وتجىء بعد ذلك ثالث المستعمرات الاسرائيلية فى شبه الجزيرة وهى مستعمرة « ناحال ركلا » التى ظهرت فى يونيو سنة ١٩٦٩ . وتقع هذه المستعمرة بالقرب من بلدة « الشيخ زويد » وعلى بعد عشرة كيلو مترات جنوب مفترق الطرق فى رفع وتشرف على الطريق المؤدى الى العريش .

ونواة هذه المستعمرة من أعضاء منظمة « بنى عكفا » الموالية للحزب الوطنى المدين ، وكان من المقرر عند انشائها أن تجيء بدلا منهم بعد فترة من الوقت مجموعة أخرى من حركة « بيطار » التابعة لحزب حيروت وبالفعل قدمت الى هناك هذه المجموعة والمستوطنات « ناحال ركلا » . وبذلك تكون المستعمرة الوحيدة التى استطاعت حركة بيطار ارسال مستوطنين اليها ، وقد وضعت السلطات العسكرية الاسرائيلية ٢٠٠ دونم تحت تصرف هذه المستعمرة لزراعة الخضروات الشتوية . ولكن مع الوقت ظهر أن هذه المزرعة لا تسد حاجة المستوطنين ولذلك كلفته السلطات بهمة الاعتناء بزراعة بيارة يرتقال كبيرة تصل مساحتها الى ٤٠٠ دونم .

مع
بدائية
دورة
نقابية
جديدة

المفهوم الواضح للعمل النقابي والديمقراطية النقابية

شرطان لدعم

الحركة النقابية

مقدم جمال امام

مفهوم العمل النقابي

تكون الاقتصاد العام لعمل مصر في ٢٠٠٣، يناير ١٩٥٧ .. في أعقاب معركة العدوان الثلاثي على مصر .. وبداية عملية تمصير الاقتصاد الوطني . وكان المد الوطني عاليا .. والرغبة عند جبهتي فئات الشعب في دعم الوحدة الوطنية من أجل مواجهة مؤامرات الاستعمار وبناء المجتمع المصري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وفي هذه الظروف كان على القيادات النقابية ان تبحث عن حل وسط يمكنها من القيام بمسؤولياتها النقابية دون الانزلاق الى بخاطر الصراع مع الطرف المقابل سواء كان الرأسمالية المحلية أو ادارة القطاع العام ، خوفا مما قد يؤدي اليه هذا

بعد أيام تبدأ دورة نقابية جديدة ، من المقرر ان تستمر لمدة ثلاث سنوات .. وتضم عددا اقل من النقابات ، مع ما سيصاحب هذا الدمج المتعجل من اشكالات . ورغم ان دورة نقابية مدتها سنتان قد فصلت الدورة الجديدة عن الدورة النقابية الشهيرة التي استمرت سبع سنوات (١٩٧١-٦٤) .. فان تركة المشاكل التي تركتها هذه الدورة الطويلة ما تزال مثقلة دون ما حلول جزئية .

وتتمثل هذه التركة في : مفهوم متميع للعمل النقابي - ضعف الاحساس بالديمقراطية النقابية - ضعف اشكال الاتصال التنظيمي بين المستويات النقابية المختلفة .

الصراع من تهديد للوحدة الوطنية أو لكران الاتحاد الوليد .

وفي ١٩٦١ بدأت مرحلة التحول الى الاشتراكية ، وصدر الميثاق الوطنى ، وبعدها بثلاث سنوات أجريت انتخابات الدورة النقابية « الشهيرة » فى ظل عملية تمج النقابات الصامة من ٥٩ نقابة الى ٢٧ فقط ، ولائحة جديدة للاتحاد العام . وكانت هناك نظرية يروج لها ، تقول انه فى ظل التحول الى الاشتراكية ، يتغير مفهوم العمل النقابى وأروليياته وتتقوى صصور الصراع مع الادارة . الخ . وعلى مدى هذه السنوات تميع مفهوم العمل النقابى . . ولم يعد واضحا ايام القواعد العمالية العريضة ، خاصة التى تدخل حديثا الى الحقل النقابى ، ما هو دور الحركة النقابية ومهامها . . فضعف وجودها ، وفضلت اعداد متزايدة من العمال اللجوء الى التنظيم السياسى لحل مشاكلهم .

ومن هنا نقول ان الخطوة الاولى فى استعادة الحركة النقابية لوضعها الصحيح ، هو إعادة صياغة مفهوم العمل النقابى والاتفاق عليه وجعله معروفا لكافة الجماهير العمالية .

وما يجب ان يوضع فى الاعتبار فى هذا الصدد ان اساس للعمل النقابى فى كافة المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية هو الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم وحماية مكاسبهم .

لقد قام التنظيم النقابى لهذا الغرض ، ورنيط به العمال بقدر نجاحه فى القيام بهذه المهمة ، ورمخت فى اذمانهم على مدى السنوات الطويلة ان هذه مهمته . ولا معنى ببناء المجتمع الاشتراكى أن تمسقط هذه المهمة من اعتبارها . . او تبعد عن أولويتها فى العمل النقابى . ففى المجتمعات التى سبقت على طريق التحول الى الاشتراكية ، ما تزال التنظيمات النقابية تضع فى مقدمة مهامها الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم ضد أى صورة من صور الانحراف البيروقراطى التى قد تحصلول اساءة تفسير القوانين والنظم بما يضر مصالح العمال وأوضاعهم ، كما تشارك هذه التنظيمات بدور مؤثر وفعال فى وضع كافة القوانين واللوائح العمالية .

وفى مجتمع ما يزال فى بداية مرحلة التحول الى الاشتراكية ، وعدد كبير من رجال الادارة فى المنشآت والهيئات المختلفة قضا سنوات عملهم الاولى فى ظل نظم وظروف عمل مختلفة ، لا يجب أن نتوقع أن يتغير المناخ داخل المنشآت بين يوم

واليلة بما يجعل حقوق العمال ومصالحهم صيانة ، وبما يضمن حسن تفسير وتطبيق القوانين والنظم الاشتراكية ، بحيث يتراجع الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم من أولويات العمل النقابى . هذا اذا وضعتا جانبا أن الرأسمالية الوطنية لها دورها المعترف به فى هذه المرحلة ، وأن كونها وطنية لن ينفى عنها السمات الاساسية لاية رأسمالية من حيث طريقة تعاملها مع العمال . والاعداد الكبيرة من المشاكل والقضايا المتعلقة بالفصل التمسقى والنقل التمتع والتوصيف والتسكين والعلاوات والترقيات ، فى القطاع العام والخاص ، والتى تثقل كاهل الاتحاد العام للعمال والنقابات العامة ، خير شاهد على أهمية هذه النقطة .

ولا يوجد سبب آخر لضعف ارتباط القواعد العمالية بالتنظيم النقابى والثقافتها حوله ، سوى ايماده طيلة تلك السنوات عن القيام بهذه المهمة الاصيلية ، خوفا مما قد يؤدى اليه قيامه بها من تفجر بعض أشكال الصراع مع الادارة .

ولن يستطيع التنظيم النقابى أن يقوم بالمهام الاخرى المطلوبة منه فى مرحلة التحول الى الاشتراكية ، الا اذا ضمن ارتباط القواعد العمالية به . والفروض أن وضعية التنظيم النقابى تختلف عن وضعية التنظيم السياسى ، من حيث كونه تنظيما مهنيا يضم فى عضويته كافة العاملين فى المنشآت المختلفة بما يجعله أوسع عضوية من التنظيم السياسى الذى يتطلب شروطا معينة فى أعضائه ، كما ان هذه العضوية قائمة على اساس اختياري . فاذا ما قشل التنظيم فى القيام بمهامه المهنية فى الدفاع عن حقوق الاعضاء ومصالحهم . . فإنه يفقد قوة الجذب وسط الجماهير العمالية ، ويتحول الى تنظيم ضعيف عضويا ناقذ التأثير على الجماهير العريضة .

الديمقراطية النقابية

ان عمق الوعي القومى والسياسى لدى القيادات النقابية ، وهى مسألة يتحمل مسئولية تأميمها النشاط النقابى للتنظيم السياسى ، قادرة على أن تجعلهم يقومون بواجباتهم دون اللجوء فى تفجير صراعات خطيرة تؤثر فى قوة وصلاية الوحدة الوطنية .

بعد ذلك تأتى مهام التنظيم النقابى الأخرى . . فى مجال الخدمات الثقافية والاجتماعية ومساهمتها فى النشاط القومى .

• فهو مطالب بتقديم خدمة ثقافية مستمرة ، في مجالات محور الامية (والتي يعانى منها الجزء الاكبر من القواعد العمالية) ، وفي التثقيف النقابى والقومى ،والذى يساعد الكوادر والقيادات النقابية على ان تواكب التطورات المستمرة فى امره الفنى والعامه . . ويتيح للحركة النقابية ان تكشف من بين قواعدها الكوادر المهترة ، الصالحة للتصعيد أو لتولى مسؤوليات معينة . وفى مجالات التدريب المهنى والفنى . ونحن نرى فى كثير من التنظيمات النقابية الاخرى . . ان ضرور برامج التثقيف النقابية المختلفة شرط هام لتصعيد الكادر النقابى الى مسؤوليات اصى او لتولى مسؤوليات النشاط الفنية . وفى عصر اصبح العلم فيه هو الوسيلة الاساسية لحسن الاداء ، فان الكوادر النقابية المصرية يجب ان تمد وتدريب على القيام بمسؤولياتهن النقابية دون الاعتماد على مجرد الخبرة والمعرفة العامة . . (الفهولة) .

• والتنظيم النقابى مطالب ايضا بتقديم خدمات اجتماعية لأعضائه فى شكل تنظيم الاستفادة من أوقات الفراغ والراحة . من خلال النشاط الرياضى والفنى والترفيهى والرحلات والمعسكرات الصيفية وغيرها .

• وفى الدول الاسكتندنافية على سبيل المثال ، تساهم التنظيمات النقابية فى تقديم خدمات اقتصادية لأعضائها من خلال مساهمتها الفعالة فى دعم وتطوير الحركة التعاونية ، الانتاجية والاستهلاكية والخدمات . ولبعض النقابات المصرية بدايات فى هذا المجال . . ولكنها عليلات فريدة تحتاج الى التنظيم والتخطيط بحيث تكون سندا لحركة تعاونية فعالة تدعم جهود القطاع العام الاشتراكى وتحد من سطوة واستغلال القطاع الخاص فى هذه المجالات .

• والتنظيم النقابى مطلوب منه ان يشارك بصورة فعالة فى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية . اذ تلجمع لديه محصلة خبرات اعضائه ورائهم ، وهم القوى الاساسية التى يعتمد عليها فى تنفيذ هذه الخطط ، ولهم رؤى عملية لاعاد هذا التنفيذ تنقدها فى اغلب الاحيان . القيادات التكنوقراطية المكتبية التى تتولى وضع الخطط ، وعندما تؤخذ آراء ومقترحات القواعد العمالية فى الاعتبار عند وضع هذه الخطط يقدم احساس لدى هذه القواعد بان هذه الخطط تتبع منهم ووضعت لمصلحتهم ، وبانهم مستولرون امام الوطن عن تنفيذها على الوجه الاكمل . والخطوة التالية فى هذا الصدد ، الاستفادة من تجربة بعض التنظيمات النقابية فى الدول الاشتراكية والتى تتحمل مسؤولية التنفيذ من خلال

التعاقد مع ادارة المنشآت على تنفيذ ما يخصها من الخطة على الوجه الاكمل فى مقابل امتيازات مادية ومنوعية لعمال المنشأة كنوع من الحوافز . وبهذا سيسجل بخون التنظيم النقابى مسئولوا عن تنظيم حالات انفعاله بالخطه ، ويصير ضرورة العمل على خفض تكلفة الانتاج وعوادمه وحسن استخدام موارده واتات وتحسين نوعيه الانتاج ، وما يقتضيه هذا من المشاركة فى برامج التدريب المهنى والعصر . كما يوفى التعليم الصناعى ايضا بالمشاركة الفعالة فى الرقابة على تنفيذ الخطه وكسكس المعوفين ومدرسين والمحربين وغيرهم . ويتضمن مسؤولية التنظيم فى هذا المجال دعم مشاركة العمال فى مجالس الادارت بحيث تصبح مشاركة فعالة وسير مظهرية تؤدى دورها فى خدمة الانتاج .

• ويتحمل التنظيم النقابى مسؤولية كبيرة فى مجال العمل السياسى لخدمة اهداف مراحل التحول الى الاشتراكية ، من خلال نشاطه الاعلامى والتثقيفى فى اطار الخطة العامة للقيادة السياسية فى هذا الصدد .

• والتنظيم النقابى المصرى دوره الاساسى فى دعم وحدة الحركة العمالية العالمية فى نضالها ضد الامبريالية والاستعمار والاستثمار الجديد والاحتكارات العالمية .

فى اطار هذه الخطوط العامة يمكن صياغة مفهوم واضح للعمل النقابى - يكون معروفا لدى القواعد العمالية ، ويصبح محكا ومقياسا لنشاط الكوادر والقيادات النقابية ، يقوم عملها على اساسها ، ويتم انتخابها من عده على قدر ما يؤهيه من عمل فى خدمة هذا المفهوم .

الديمقراطية النقابية

فى غيبة مفهوم واضح للعمل النقابى ، كان من الطبيعى ان تبذل عناصر معينة جهودها لكسكس الديمقراطية النقابية حتى لا تطغى الفرصة لقواعد العمالية لحسبتها وتقييدها ومشاركتها فى تعريف امور الحركة النقابية وتوجيهها الوجهة لصحيحة . وكانت النتيجة الحتمية لذلك تصاعف بنسبام القواعد العمالية بالحركة النقابية نشاطها .

ورغم ان اللوائح النقابية تنص على انعكاس جمعيات العمومية للجان النقابية والنقابات لامة والاتحاد العام فى مواعيد دورية معينة ، ان هذا الجانب الضرورى من النشاط النقابى هيل فى اغلب الاحيان .

ومشاركة القواعد العمالية بالرأى ، والنقد والتوجيه فى أعمال الحركة النقابية مسألة ضرورية

مستويات التنظيم المختلفة ، وأصبح تنظيماً مقطوع الإوصال ، يفقد قنوات توصيل تنظيمية بين القاعدة والقيادة والعكس . بل وصل الأمر الى حد أن تمتلئ النقابات العمالية من دفع حصص اشتراكاتها في الاتحاد العام للعمال .

والغرض أن يكون التنظيم النقابي وحدة عضوية ملتزمة ، سبل الاتصال بين مستوياتها المختلفة سلمية وميسرة ، بحيث يكون لدى القيادة الصورة الصحيحة عن آراء القواعد واتجاهاتها ، ولدى هذه القواعد صورة صحيحة مماثلة لأراء القيادة واتجاهاتها ، بحيث تكون تحركات القيادة قائمة على تصور صحيح لموقف الحركة النقابية الشاملة . وتكون القيادة قادرة على تحريك قواعدها المرتبطة بها على أساس من احساسها بأن تحركاتها نابعة من أرائها ومشاعرها .

ولن يتحقق هذا الا اذا كان هناك مناخ ديمقراطي فعلى يسمح بإقامة الاتصال هذه على الوجه الصحيح .

أن وجود تنظيم نقابي قوى وفعال ، ضرورة لا غنى عنها في كافة مراحل التحول الى الاشتراكية ، ومن أجل هذا نضع هذه الآراء أمام القابات النقابية الجيدة . . في محاولة مساهمة مشتركة لدعم الحركة النقابية وفعاليتها .

لتخلق تلاحم عضوي بين هذه القواعد وتنظيماتها النقابية ، ولتأمين مناخ يوقف اشكال الانصراف المختلفة ، ويضمن تصحيح مسار الحركة باستمرار ، ويكون قوة جذب لدعم العضوية النقابية .

ولا يكفى لتحقيق هذا مجرد اعتماد الجمعيات العمومية في مواعيدها . بل يجب البحث عن وسائل إضافية ، مثل ادخال نظام المنسوبيين النقابيين من الاقسام والورش الانتاجية داخل المنشآت الكبيرة ، وتشكيل لجان فرعية لهذه الاقسام (على سبيل المثال في شركة كبيرة كشركة المحلة للفزل والنسيج . . هل يحقق انتخاب مجلس ادارة للجنة من ١١ عضوا رابطة قوية بينهم وبين عشرات الالوف من عمالها ؟) . وكذلك الاخذ بنظام المجالس المركزية للنقابات العام في الاتحاد العام ، كمستوى وسط بين الجمعيات العمومية والمجالس التنفيذية . بالإضافة الى عقد المؤتمرات المختلفة على مدار السنة لمناقشة القضايا النوعية ذات الامة الفئوية والقومية لعمال المنشآت .

الصلة العضوية بين

مستويات التنظيم

كانت النتيجة الخطئية للمشكلتين السابقتين الإشارة اليهما ، أن ضعفت الصلة العضوية بين

دور الجامعات العربية

في التنمية

الاقتصادية

والاجتماعية

د. كاظم حبيب

استاذ مساعد كلية الادارة والاقتصاد
- الجامعة المستنصرية ببغداد

ظاهرتان اجتماعيتان :

تتأني اقطار الوطن العربي ، وهي جزء من مجموعة البلدان النامية من ظاهرتين اجتماعيتين بارزتين تؤثران سلبا على عملية النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي وتتلخصان في :

١ - ارتفاع مستقر في معدلات النمو السكانية وازدياد مواصل في قوة العمل المتوفرة . (الجدول ادناه يوضح الوضع السكاني لاقطار الوطن العربي ونسب النمو لكل منها ومعدل النمو لها مجتمعة (١) ، عليا بأن نسبة الزيادة السنوية الحاصلة في السكان في كل من الكويت ومحمية عجمان ناجمة بالاساس من الهجرة الي هاتين الامارتين من الاقطار العربية الاخرى بشكل خاص ، ومن عدد من البلدان الأجنبية ومن بينها ايران .

[١] التقافة العربية ٧١ تشرين الثاني - السنة الخامسة عشرة - المجلد ٦ بيروت ١٩٧١ ملف احصائي شامل حول اهم مؤثرات لبنان الاقتصادي والاجتماعي العربي - اعداد سليم نصر ب

نسبة الزيادة السنوية	عدد السكان بالآلاف	اسم البلد
٢٩	١٢٢٥٧	الجزائر
٣٧	١٩٠٤	ليبيا
٢٨	١٥٥٠٠	المغرب
٢٩	٥١٨٩	تونس
٢٥	٣٣٢٠٦	مصر
٢٨	١٥٢٨٩	السودان
٢٥	٤٩٥	غزة
٢٢	٩٥١٩	العراق
٢١	٢٢٢٨	الاردن
٢٥	٦٤٨	الكويت
٢٨	٢٦١٤	لبنان
٢٥	٦١٢٧	سوريا
٢٨	٥٠٧٤	المملكة العربية
٢٥	٦١٢	البحرين
٢٥	٦٠١	مسقط وعمان
٢٥	٢٠٠	محمية عجمان
٢١	٥٤٠٠	اليمن الشمالية
٢٢	١٩٩٧	اليمن الجنوبية
٢٨	١٢٠١٧٢	المجموع

تعبيره في المستوى الواطيء للنسائج القومي
الاجمالي ولصافي الدخل القومي ولحمل حصة
الفرد الواحد منها . والارقام التالية تشير بوضوح
الى مستوى التخلف في معدل حصة الفرد الواحد
من الناتج القومي الاجمالي (٣) :

الدولة	نسبة العاملين في العدد الاجمالي للسكان ١٩٦٨
الجزائر	٢٢٪
المغرب	٢٨٪
تونس	٢٤ر١٪
مصر	٢٠ر١٪
السودان	١٦ر٧٪
الاردن	٢٢ر٩٪
لبنان	٢٩ر١٪
العراق	٢٨ر٣٪
السعودية	٢١ر٨٪
السكوت	٣٩ر٤٪
اليجورين	٢٩ر٢٪

ان معدلات النمو السكانية العالية يمكن ان
تكون ظاهرة صحية لو كان الاقتصاد الوطني لكل
من هذه الاقطار قادرا على استيعاب الزيادة
المتنامية في قوة العمل المتاحة للتشغيل ، الا ان
طبيعة اقتصاديات هذه البلدان ما تزال عاجزة عن
استيعاب قوة العمل المتوفرة ، فنسبة العاملين في
عدد من الاقطار المربطوطة جدا بالمقارنة مع
عدد السكان فيها وتشير الارقام التالية الى هذه
الحقيقة بوضوح (٢) .

ونشير دراسات ودراسة التخطيط في العراق الى
ان نسبة البطالة ستزداد في العراق مثل خلال
العمرة القادمة حتى عام ١٩٨٠ الى حوالي مليون
نسمة . وان هذه الظاهرة لا تقتصر على العراق
فقط بل تشمل غالبية الاقطار العربية . وهي تشكل
خطورة على مستوى الدخل ومعدل حصة الفرد
الواحد معه ومعدلات التنمية اللاحقة كما تجلب
م معها مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية
جديدة لهذه الاقطار .

ب - ظاهره المرجيب الوعي المشوه لقوة العمل
وانتخلف في مستوى التعليم وانتشار الامية
والنقص البارز في الخواصر العلمية والكفاءات
وللمهارات الفنية والاختصاصات الاساسية الهامة
لمصلحة التنمية الاقتصادية . ان نسبة التغير في
التدريب النوعي لقوة العمل المتاحة للتنمية بطيئة
جدا كما ان اتجاهها ما يزال غير سليم مما يزيد
من عمق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي
تعاين منها اقطار الوطن العربي . ان ميزانية
التعليم في الاقطار العربية التي تشكل عبئا كبيرا
على الميزانية العامة والدخل القومي في المرحلة
الراهنة لا تساهم في الواقع في اعطاء مردود
مناسب لمستوى المصروفات وفي تعليم النشء بما
يقدم خدمة متوافقة مع المصروفات للمجتمع
والاقتصاد والوطن .

تخلف وتبعية :

ان الظاهرتين المذكورتين ناجهتان اساسا
من سببتين سلبيتين تميزان اقتصاديات الاقطار
العربية بصورة عامة وهما :

١ - التخلف الاقتصادي المتعدد الجوانب المتبلور
في التركيب الاقتصادي المشوه ، والتطور وحيد
الجانب وانعدام التعاون والتنسيق والتكامل
الاقتصادي فيما بين البلدان العربية ، كما يجد

ويستدل من الارقام اعلاه المستوى المنخفض
لمعدل حصة الفرد الواحد من الناتج القومي
الاجمالي وخاصة تلك الاقطار العربية التي لا
تمتلك موارد اولية اساسية كالنفط . وفي الوقت

الاقطار العربية والبلدان الصناعية الغربية لفترة
١٩٦٧ - ١٩٦٦ ، ٧٦ في المائة (٥) .

● بلغت نسبة صادرات النفط الخام لبعض
الاقطار العربية الى مجموع صادراتها في عام
١٩٦٨ كما يلي (٦) :

- ١ - ليبيا ٩٩٪ في المائة
- ٢ - العراق ٩٢٪ في المائة
- ٣ - الكويت ٩٤٪ في المائة
- ٤ - السعودية ٩٢٪ في المائة
- ٥ - الجزائر ٧٣٪ في المائة

ومن الجدير بالذكر أن القسم الاعظم من
المعاملات السبعة والقسم الاكبر من الموارد المالية
الموجهة لمناهج التنمية واليزانيات الاعتيادية متأتية
من هذه الصادرات وحيدة الجانب .

عاملان رئيسيان :

ان بروز وتطور الظواهر السلبية في
اقتصاديات الاقطار العربية يمتدثر نتائج طبيعي
لعاملين رئيسيين لمبا ولعميان دورهما الاساسي
في المجتمع العربي ، كما هي الحال في بقية
البلدان النامية وهذان العاملان هما :

١ - السيطرة الاستعمارية الطويلة والاستغلال
الامبريالي الشديد الذي عانت منه وما تزال تعاني
منه شعوب هذه الاقطار والنهب للتواصل لثرواتها
القومية وتقليص لقدراتها التراكيمية واضعاف
متعمد لحاقيات التنمية فيها ، اضافة الى السياسة
الاستعمارية التي انتهجت بهدف عرقلة الاستخدام
المقتلاني للموارد الاقتصادية المادية والبشرية
المتاحة وفي سبيل عرقلة عملية التنمية
الاقتصادية والاجتماعية في هذه الاقطار . ان
الدول الامبريالية بذلت وما تزال تبذل جهودها
لإبقاء الاقطار العربية تؤدي وظليتها الاقتصادية
والاجتماعية المتخلفة والتلبسة في اطار التقسيم
الدولي الرأسمالي للعمل .

ب - طبيعة العلاقات الانتاجية الاستغلالية
والمختلفة التي سادت او ما تزال تسود اقتصاديات
هذه البلدان . العلاقات الانتاجية شبه القطاعية
بشكل خاص التي اثرت وتؤثر بصورة هامة
وبالارتباط مع العامل الاول ، على بقاء مستوى

الذي يبلغ معدلها في الكويت ٣٢٢ دولارا في السنة
يبلغ معدلها في السودان ١١٠ دولارا فقط ، اي اننا
اذا استثنينا بعض الاقطار العربية المنتجة للنفط
والتي تنقسم بقلة السكان فتجد أن المعدل يتراوح
بين ١١٠ دولارا و ٢٨٠ دولارا سعدا لبيان وهو
مستوى اطمى جدا بالمقارنة مع عدد كبير من
البلدان المتطورة اقتصاديا والبلدان النامية .
وفيما يلي نورد ارقاما مقارنة للجدول اعلاه
بالنسبة لعدد آخر من البلدان (٤) .

ب - التنمية الاقتصادية التي تعاني منها
اقتصاديات الوطن العربي لاقتصاديات البلدان
الرأسمالية المتطورة اقتصاديا . وتتجسد هذه
السمة في واقع الدور الكبير الذي تلعبه التجارة
الخارجية - الصادرات والاستيرادات في نسبة
تركيب الدخل القومي لكل من هذه الاقطار العربية
ولجمل الوطن العربي . وعدا ذلك فان زيادة واحدة
او محصول زراعي واحد يكون النسبة الكبرى في
قيمة صادرات هذه الاقطار نحو الخارج ويمكننا
ملاحظة ذلك في الارقام التالية :

القطر	نسبة الفرد من النتائج القومية الاجمالية بالدولار لعام ١٩٦٩
البحرين	٢٩٠
البحرين	١٩٠
انغولا	٢١٠
ايران	٢٥٠
سليان	١٩٠
القطين	٢١٠
الارجنتين	١٠٠
غزوولا	١٠٠
تايوان	٥١٠
البرازيل	٢٧٠
المكسيك	٥٨٠
الاتحاد السوفياتي	١٢٠٠
المانيا الاتحادية	٢١٩٠
الملكة المتحدة	١٨٩٠
ايطاليا	١٤٠٠
تركيا	٢٥٠
يوغوسلافيا	٥٨٠

● بلغت نسبة معدل التبادل التجاري بين

U.N. Statistical Year Book 1970.

- (٤) راجع : اعمال مؤتمر الاقتصاديين العرب الثاني - بغداد - آذار - ١٩٦٩ - من منشورات اتحاد الاقتصاديين العرب - العلاقات التجارية العربية مع الدول الصناعية الغربية - الدكتور نعم المشاعر - صحيفة ١٩٦٦ - ١٢٧
(٦) راجع نفس المصدر السابق صفحة ١١٦

تطور القوى المنتجة في حالة تخلف شديدة وإلى مرحلة الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة لتجلب ورفع معدلات نموها .

ان هذا الواقع قد عمق من مستوى التفاوت القائم بين الاقطار العربية والبلدان المتطورة اقتصاديا ، كما أن الفجوة ستزداد اتساعا في المرحلة الراهنة واللاحقة حيث تلمب الثروة العلمية - التكنيكية الهائلة دورا كبيرا في تنمية اقتصاديات الزمطر المتقدمة ، انم تسارع الاقطار العربية ومعها كل البلدان النامية لاختيار الطريق السليم لتقليص الفجوة وتنمية اقتصادها القومي .

الجامعة .. أداة أساسية :

... ان الظواهر الاجتماعية السلبية التي تكونت عبر عشرات السنين كنتيجة منطقية للتخلف والتبعية الاقتصادية أصبحت الآن من أهم الأسباب المساعدة على استمرار حالة التخلف والتبعية الاقتصادية . لهذا فلا بد لنا أن نتمسك بدقه ووضوح الترابط العضوي والتفاعل المتبادل بين جميع سمات وظواهر التخلف الاقتصادي والاجتماعي في هذه البلدان . ان الهدف من ابرار هذا الترابط العضوي بلورة المهمة المركزية التي تتجابه هذه الاقطار في المرحلة الراهنة وفي السنوات العشر أو العشرين القادمة مثلا والتي تتلخص في ضرورة الاستثمار الراعي للإمكانيات والموارد الاقتصادية المادية والبشرية المتاحة لتعجيل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وفي انجاز هذه المهمة تلمب الجامعة دورا أساسيا وطليعا . ان الجامعة لم تعد في ظل الثورة العلمية - التكنيكية التي يمر بها العالم وفي واقع التخلف الشديد الذي تعاني منه اقتصاديات هذه

الاقطار ترفا أو مسألة ثانوية ، بل يجب أن تتحول إلى أداة أساسية فعالة في عملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية التقدمية . والجدير بالإشارة أن مستوى الفعالية والتأثير الإيجابي لجامعة يرتبط أولا وبذلك كل شيء بطبيعة وتركيب واتجاه التعليم العالي الجامعي في هذه الاقطار . ان ما يزيد في دور الجامعة ومهامها في البناء الاقتصادي والاجتماعي هو أن العلم في ظل الثورة العلمية - التكنيكية الحالية قد أصبح عاملا مباشرا في الإنتاج ، وجزءا حيويا من القوى المنتجة .

ظواهر سلبية :

من المعروف لدينا جميعا بأن الجامعات العربية الحديثة قد نشأت في ظل السيطرة الاستعمارية على الاقطار العربية وعلى أبسط المستعمرين ، ولذلك فقط استطاعوا أن يتحكموا بالبرنامج واتجاهات التدريس في هذه الجامعات فترة طويلة وبصورة مباشرة كما لعبوا دورهم في عزل الجامعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية المباشرة وعن ضرورات التنمية القومية فيها وما تزال تعاني جامعاتنا من آثار ونتائج تلك السيطرة المباشرة والتي تحتاج إلى تغيير ثوري فعلى في اتجاهات التدريس ومناهج هذه الجامعات .

ان الانعكاس البارز لهذا الواقع تجده في مظاهر عديدة سلبية تسود الجامعات العربية ومن أهمها ما يلي :

١ - اتجاهات التعليم غير المبرمجة والمنفصلة عن ضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتؤكد هذه الحقيقة الأرقام التالية (٧) :

جدول يوضح توزيع الطلبة النسبي حسب الفروع لبعض الاقطار العربية لعام ١٩٦٦

القطر	آداب وتربية وفنون جميلة	فنون وعلمز اجنبية	جوع الدراسات الانسانية	علوم وعلمز طبيه	علم وهندسة وزراعة	مجوع الدراسات العلمية
لبنان	٤٢	٤١	٨٢	٥	١٠	١٥
المغرب	٤٥	٣٧	٨٢	٦	١٢	١٩
سوريا	٤١	٣٦	٧٧	٧	١٢	١٩
تونس	٥٢	٢٤	٧٦	١٩	٥	٢٤
الجزائر	٣٠	٣٦	٥٦	١٨	٢٦	٤٤
مصر	٢١	٣٤	٥٥	٥	٣٩	٤٤

والجزائر من جهة ، والاقطار العربية الاخرى من جهة ثانية في مجالات الدراسات العلمية حيث ان وضعهما افضل من بقية الاقطار العربية رغم التباين بينهما في اتجاهات التركيز .

في مجالات الدراسات العلمية . وعلى العموم فلا تزال الدراسات الانسانية تمثل المركز الاول والحاسم في جميع الاقطار العربية . ورغم حصول تطور نسبي في اتجاهات الدراسة في العراق نلاحظ استمرار هذا الواقع ايضا في الوقت الحاضر . وتشير الارقام التالية بوضوح لهذه الحقيقة فقد بلغ عدد الطلبة المقبولين في الدراسات الانسانية في العراق في عام ٧٠ - ١٩٧١ (٦٧٠٤) طالبا وطالبة ، وبالنسبة للدراسات العلمية (٥٢٢٢) طالبا وطالبة أي بنسبة ٥٦ في المائة ، ٤٤ في المائة تقريبا . وهذا تطور ملموس وإيجابي بالنسبة للعراق (٨) .

ان اتجاهات التدريس هذه قد أدت الى بروز ظواهر غير سليمة وسلبية على الاقتصاد العربي نجملها فيما يلي :

١ - بروز نقص كبير في الكوادر والكفاءات الفنية لعدد مهم من الاختصاصات العلمية وخاصة التطبيقية منها التي يحتاجها تطور الاقتصاد الوطني في المرحلة الراهنة .

ب - بروز عطالة غير قليلة في الكوادر والكفاءات الفنية والإدارية لعدد مهم من الاختصاصات العلمية والانسانية النظرية التي يعجز الاقتصاد الوطني والمجتمع عن استيعابها والاستفادة منها في واقع ومستوى تطوره الراهن (٨) .

أنهاتين النتيجةتين تخلفان أمتنا زجاجية واختناقات كبيرة بالنسبة للاقتصاد الوطني ، كما أنها تعبر عن تغريب في الموارد المالية الموجهة والمستثمرة في

التنمية البشرية وعدم استخدام عقلاني لها الصلحة المجتمع بأسره . وقد ساهم في استمرار هذا الواقع دور القيم الاجتماعية القديمة والخلل الكبير في سلم الاجور الذي لا يساعد على دفع الشباب الى الدراسات المهنية التطبيقية ويشجعهم للتوجه نحو الجامعة مهما كانت الفروع التي تستنى لهم دراستها إذ أن الغاية الاساسية للنقسم الاكبر منهم هو الحصول على الشهادة مهما كانت هذه الشهادة حيث توغر لهم مركزا اجتماعيا افضل وراتبا أعلى .

٢ - التوزيع غير السليم للجامعات في اقطار الوطن العربي حيث نلاحظ أن مناطق واسعة ومكتظة بالسكان لكنها لا تمتلك جامعة علمية أو كليات علمية ، في حين تتمركز أكثر من جسامعة وعدد كبير من الكليات في عواصم هذه الاقطار وربما في بعض المدن . ومن الجدير بالإشارة أن تحسنا قد طرأ على واقع العراق في السنوات العشر الاخيرة ، علما بانها ما تزال دون المستوى المطلوب . ان هذا الواقع يؤثر على امكانيات تطوير هذه المناطق اقتصاديا واجتماعيا إضافة الى واقع نزوح الثمات من الخريجين من المناطق المختلفة الى العواصم العربية بسبب تخلف مناطقهم وعدم وجود فرص عمل حقيقية لهم أو لاسباب عديدة أخرى .

٣ - التوزيع غير السليم للطالبات المتحقيين بالجامعات المختلفة بالنسبة للتوزيع الاقليمي حيث تستحوذ بعض المدن الرئيسية وخاصة العواصم على حصة الأسد وتحاول في هذا الشأن أن نورد أرقابا عن التوزيع الاقليمي (٩) الطلبة المقبولين في جامعات العراق لعام ١٩٧٠ - ١٩٧١ لتبيان هذه الحقيقة ، ولعدم توفرها بالنسبة للعديد من الاقطار العربية الاخرى وهي ربما أفضل في عدد من الاقطار العربية الاخرى (١٠)

(٨) راجع مجلة « الطلبة » المصرية للمد [١١] ١٩٦٥ - القاهرة - منظمة الإهرام صحيفة ٢١ ٢٢

(٩) تارن ٦ التعليم الجامعي والمالي في العراق خلال العام ١٩٧٠ - ١٩٧١ المصدر السابق صحيفة ٦ ، راجع أيضا

التقارير د' محمد محمود الإمام - مدير مشروع المصنفون الفيضاني بم وزارة التخطيط أيضا .

اسم المحافظة	المجموع الكلي للطلبة المقبولين في جامعات العراق الرسمية والإقليمية لعام ٧١/٧٠ وتوزيعهم على المحافظات	توزيع اقسكان على المحافظات المراقبة نسبة	التوزيع النسبي للطلبة المقبولين في الجامعات على المحافظات	التوزيع النسبي للسكان على المحافظات %
بغداد	٥٤٧٤	٦٨٨٨١٩	٤٧٦	٢٨٥
نيوى	١٢٥١	٨٢٤٦٦	١١٧	٨٧
دهوك	٩٦	١٥٦٥٧٦	٨	١٧
اربيل	١٢١	٤١٨٩٠٢	١٨	٤٢
كركوك	٣٦٢	٥٢٢٨٦٧	٢٨	٧٥
السليمانية	١٦٣	٤٧١٨٥٦	١٢	٥٠
ديالى	٥٠٢	٤٤٤٨٤٤	٢٢	١٧
الأنبار	٢٨٨	٢٤٥٢٢٦	٢٨	٢٧
واسط	٢٠٢	٣٥٩٧٢٢	١٨	٢٨
بابل	٤٣٦	٥١٦٨٥٦	٢٧	٥٥
كربلاء	٢٤٤	٤٧٨٧٢٢	٢٧	٤٧
القادسية	٢٠٣	٤٠٨٣٩٤	٢٢	١٢
النجف	٥٩	١٤٧٦٦١	٥	١٢
ذي قار	٢٥٨	٥٢٤٢٥٦	٢٢	٥٦
ميسان	١٩٥	٣٥٤٠٠٤	١٧	٢٧
البصرة	١١٤٩	٧٩٧٣٧٦	١٠٥	٨٢
المجموع	١١٥٠٢	٩٤٤٠٠٠٦٨	١٠٥	١٠٥

ويتبين من الجدول السابق الوقائع التالية :

١ - استحوذ بغداد على ٤٧٦ في المائة من مجموع المقبولين للدراسة الجامعية في عام ١٩٧٠-١٩٧١ في حين بلغت نسبة سكان بغداد الى مجموع السكان ٢٨٥ في المائة فقط . كما أن المحافظات الثلاث بغداد ، الموصل ، البصرة قد استحوذت على ٦٩٣ في المائة من مجموع الطلبة المقبولين بنفس العام بينما بلغت نسبة السكان فيها الى مجموع السكان ٤٥٧ في المائة .

ب - وفي الوقت نفسه فقد كان نصيب المحافظات الاخرى وهي ثلاث عشرة محافظة ٢٠٧ في المائة من مجموع الطلبة المقبولين ، في حين تشكل نسبة من السكان تزيد على اضعاف نسبتها من المقبولين للدراسة الجامعية . ان هذا الواقع الذي يعكس تخطفا في التعليم يسير عن التخلف الاقتصادي والاجتماعي في هذه المناطق والتاثير السلبي لذلك على عملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي .

٤ - قلة عدد الطلبة الدارسين في الجامعات العربية بالنسبة الى مجموع السكان في هذه الاقطان . فحسب الأرقام المتوفرة لعام ١٩٦٦ بلغ عدد الطلبة الموجودين في الجامعات العربية ٣٠٠ غير الاجانب ، ٢٠٠٩٠ طالبا أو ما يعادل ٢٠٠ طالب لكل مائة ألف نسبة من السكان في حين بلغ معدله في الولايات المتحدة عشرة اضعاف هذا العدد (١٠) .

اما بالنسبة للعراق فقد بلغ معدله في عام ١٩٧٠-١٩٧١ (٤٥٦) طالبا لكل مائة ألف نسبة من السكان (١١) . وبالرغم من ان هذا العدد مايزال بعيدا عن حساجة وضروريات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العراق الا ان المشكلة الرئيسية هي ليست فقط في قلة العدد بل واساسا في اتجاهات التعليم الخاطئة اذ ان العدد سيكون مقبولا فعلا لو كانت اتجاه التعليم منسجما مع حاجات البلد الفعلية .

٥ - ان مشكلة التعليم في الاقطان العربية لا

(١٠) راجع : الثقافة العربية ٧١ - مصدر سابق صحيفة ١٠١

(١١) تاترن : التعليم الجامعي والمالري في العراق - مصدر سابق - صحيفة حول الطلبة

راجع ايضا : كتاب الجيب الإحصائي ١٩٧٠/١٩٦٠ وزارة التخطيط - الجهاز المركزي للإحصاء - بغداد - سنة ١٩٧٢ صحيفة ٢١ حول السكان

٧ - قلة عدد أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات العربية وارتفاع معدل حصة كل عضو في الهيئة إلى مجموع الطلبة الموجودين في هذه الجامعات . فقد بلغ معدل حصة العضو الواحد من الأساتذة الجامعيين في جامعات العراق في ع.س.س.م ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ١٩ طالباً وطالبة (١٢) . ان هذا العدد الكبير من الطلبة لكل عضو في الهيئة التدريسية يعتبر ارهاقاً كبيراً لأعضاء الهيئة التدريسية وللطلبة في آن واحد ، ويؤدي إلى تقليص قدرة الأساتذة على الاهتمام الجيد والضروري بطلبتهم وبمستوى التدريس والمفردات العلمية ، ان هذا الواقع يؤثر سلباً على مستوى واتجاه التعليم في الاقطار العربية ويتطلب منا دراسة واقعية مفصلة لدور الجامعات في عملية التنمية الشاملة في المرحلة الراهنة وتحديد مهامها الأساسية في الحاضر والمستقبل .

شرط موضوعي :

ان تطوير وتسريع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية تستهدف بواقع الحال زيادة حجم الانتاج المادي الاجمالي وتحسين وزيادة الخدمات التي تقدم لافراد المجتمع في سبيل اشباع متطلبات لحاجاتهم المادية والروحية وتحسين مستوى معيشتهم . الا ان القاعدة المادية لتطوير الثروة القومية وزيادة الدخل القومي وكذلك تطوير عملية الانتاج تعتمد بدورها على مستوى تطور عناصرها او شروط عملية الانتاج ونقص ذلك مستوى تطور القوى المنتجة اضافة الى طبيعة علاقات الانتاج السائدة التي تعمل في اطرافها القوى المنتجة بمحتواها . فتحسين وسائل الانتاج يعتبر الشرط الموضوعي الذي لابد منه لتنمية الانتاج ، كما ان تطور مستوى قوة العمل يعتبر الشرط الضروري لذلك اضافة الى الطرق والاساليب الحديثة التي ينبغي ان تستخدم في انتاج الثروات المادية . وكما هو معروف فان زيادة الانتاج تتم عن طريقين رئيسيين : - هما اما زيادة عدد العاملين المساهمين في الانتاج واما

تتحسين فيما ذكر اعلاه بل تمتد لتشمل قلة عدد الطالبات الدارسات في الجامعة الى مجموع الطلبة فيها ومع انه لم تتوفر لدينا ارقام عن الاقطار العربية الاخرى فان نسبة الطالبات في الجامعات العراقية الى مجموع الطلبة تعطي صورة عن الواقع في الاقطار العربية . ولقد بلغت النسبة في عام ٧٠ - ١٩٧١ (٢٢ في المائة) فقد اثن (٩٥٥٢) طالبة من مجموع ٤٢٥٨ طالبا ، علم بان نسبة الاناث الى الذكور في العراق لنفس العام بلغت ٩٦ في المائة (١٢) . ان هذه المشكلة ليست ناجمة من طبيعة الجامعات بل بطبيعة المشاكل الاجتماعية والتقاليد البالية الموروثة ، وان معالجتها ترتبط عضويًا بمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية .

٦ - تعاني المناهج الدراسية في الجامعات العربية من تخلف شديد وعدم انسجام مع التطورات الجديدة في مجالات العلم والتكنيك وفي مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما انها غير ملائمة لضرورات التطور السريع للاقتصاد الوطني . ان مشكلات مناهج التعليم العالي متباينة بالنسبة لخلاف الاقسام مع وجود المشكلات المشتركة التي تشمل جميع هذه الاقسام والفروع الدراسية اضافة الى واقع التخلف في اساليب للتدريس السائدة حالياً . وعدا ذلك فان الجامعات العربية التي تطورت في اطار علاقات اقتصادية واجتماعية متخلفة وتمت سيطرة اجنبية مهادية انكمست تأثيراتها وسماتها البارزة على واقع العلاقات في الجامعات وخاصة العلاقات بين الاساتذة والطلبة او بين الطلبة وادارات الجامعة او بين الاساتذة وهذه الادارات . ومن بين هذه المشاكل صلاحيات الاقسام العلمية ومسؤولياتها ومهامها ودورها في وضع وتنفيذ المناهج العلمية .

ان هذه المشكلات اضافة الى النقص البارز في الحياة الديمقراطية للجامعات هموما قد اثر وبمزال يؤثر على المستوى العلمي للجامعات والطلبة باتجاه سلبى .

(١٢) قارن : التعليم الجامعي والمالي في العراق - مصدر سابق صحيفة لأراجع كتاب الجيب الإحصائي - مصدر سابق صحيفة ٧

(١٣) قارن : التعليم الجامعي والمالي في العراق - مصدر سابق - صحيفة ٧ و ١٠
ملاحظة : تشير الدراسة الصادرة عن مركز البحوث التربوية والتنسيقية إلى أن معدل حصة عضو الهيئة التدريسية في الجامعات العراقية من الطلاب قد بلغ في عام ١٩٧٠/٦٦ (٢٢) طالباً وارتفع في عام ١٩٧١/١٩٧٢ إلى (٣٦) طالباً لكل عضو . في حين ان النسب المئوية على المستوى العالي في ١٥ طالباً لكل عضو . ومن الجدير بالملاحظة أن معدل حصة كل عضو من أعضاء الهيئة التدريسية في العراق من طلاب الجامعات هو ١٥ طالباً لكل عضو . ان هذا الاختلاف الضخم

راجع : عبد الجليل الزبيدي ودون الحيداني وعمار المالكي - دراسات في التعليم العالي في العراق من التكاثر العلمية للسنوات العشرة القادمة بحلول ١٩٧٢ - بغداد - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مركز البحوث التربوية والنفسية صحيفة ٢٤ - ٢٧ .

بتحسين انتاجية العمل للفرد الواحد وأما بالمرقبين مما أن زيادة الانتاج من خلال تحسين انتاجية العمل للفرد الواحد تؤدي ليس فقط الى اغناء الثروة القومية ، بل وكذلك الى تقليص تكاليف السلع المنتجة . أن تحسين انتاجية العمل ويرفع معدلات نموها تعتبر الأساس المادي لتسهيل عملية النمو الاقتصادي في اقتصاديات البلدان النامية ومنها العراق . الا أن هذه المشكلة مرتبطة اساساً بتناقضين هما :

أ - امكانيات الدولة على توجيه استثمارات مالية متزايدة لصالح تطوير التعليم العام والتعليم المهني والتعليم الجامعي ، إذ أن استثمارات للتعليم عالية جداً وتناقشها لا تأتي بسرعة وبفترة قصيرة بل تحتاج الى فترة زمنية طويلة في حين تعاني هذه البلدان من نقص بارز في الموارد المالية .

ب - وجود أعداد كبيرة من قوة العمل العاطلة عن العمل والتي تخلق مشكلة الخيار بين استخدام تكتيك عالي للحصول على انتاجية عالية ، أو استخدام مزيد من الأيدي العاملة لمعالجة ظاهرة البطالة المستفحلة في هذه الاقطار .

وعلى أي حال فإن إيجاد نوع من التوازن بين هاتين المسألتين أمر ضروري جداً في الاقطار العربية ، كما أن تحسين ورفع انتاجية العمل يعتمد ، وكذا الحال بالنسبة لعملية الانتاج ، على طبيعة ومستوى التطور في قوة العمل التي ترتبط بدور الجامعات والمعاهد العلمية والمهنية وباتجاهات وأسس التعليم العالي والجامعي وفي قدرتها في امداد الاقتصاد الوطني والحياة الاجتماعية بالكوادر والكفاءات العلمية بمختلف الفروع الضرورية باستمرار ، إضافة الى قدرتها في ربط الجامعة بالحياة الاقتصادية وبالانتاج المادي والخدمات المباشرة . وبالرغم من ارتفاع تكاليف التعليم وحاجة الدولة الى استثمارات عالية الا أن عائد هذه الاستثمارات للمجتمع تكون بدورها عالية جداً . فتشير الدراسة التي قام بها بيتيسية الى أن محصلة استثمار (٩٠٠٠) دولار في الجامعة تحلق ناتجاً من الخدمات محسوباً على أساس أجر هذا الشخص خلال حياته العاملة قدره (١٠٠٠٠٠) دولار بينما لو استثمر هذا المبلغ في أي مشروع آخر صناعي أو اداري فإنه لن يعطى أكثر من ٢٤ ألف دولار (١٤) .

ويط خط التعليم بخطة التنمية :

لا يمكن للجامعات أن تؤدي دورها الحقيقي

المؤه عنه في الموضوع السابق في تنمية القوى العاملة وتكوين الاختصاصيين الذين يحتاجهم المجتمعات النامية ما لم تأخذ الدولة على هامتها مهمة ربط خطة التعليم بما فيه التعليم العالي ، بخطة التنمية القومية الشاملة وما لم تلتزم هذه الخطة بمهمة توحيد نظام التعليم في جميع مراحله بالنسبة لقطر الواحد . فتخطيط التعليم عموماً والتعليم العالي بشكل خاص وفق متطلبات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب الاخذ بنظر الاعتبار مجموعة من الاهداف الأساسية من أهمها ما يلي :

أ - تلبية حاجات الاقتصاد الوطني والبناء الاجتماعي والثقافي وخاصة الفروع التقنية في الصناعة والانتاج .

ب - التوزيع العادل للصحيح لشبكة المعاهد الدراسية الاختصاصية العالية والثانوية على الاقاليم الاقتصادية .

ج - تأمين التماسك الأمثل في اعداد الاختصاصيين ذوي التحصيل العالي والثاني (١٥) .

د - توسيع المعاهد المهنية التطبيقية التابعة للجامعة وزيادة عدد الفنيين من النوع المتوسط للكفاءة والمهارة الفنية بحيث يساهمون بفعالية في عمليات التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن تكاليف اعداد مثل هذه الكوادر هي أقل بكثير من تخريج حملة الشهادات الجامعية .

هـ - تحسين مستوى التعليم الثانوي والمهني والجامعي وجعلها مراحل متكاملة بالنسبة لاهم الاختصاصات العلمية ومتدرجة ، ومن صياحات الاقتصاد الوطني والاهتمام بنوعية المناهج والمقررات التي تدرس في هذه المراحل التعليمية وتوحيد اسمها على الفصل وأحدث منجزات العلوم المختلفة بحيث تستلهم الجامعات والمعاهد تخريج شبيهة تحمل علوماً نظرية ، وتطبيقية بمستويات جيدة تساهم من خلالها في انجاز مهام وأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبسبب من حاجة الاقطار العربية الى المزيد من الكوادر الفنية بالعلوم النظرية لأن القرار وتطبيق الدراسة الجامعية بالمراسلة تصبح ضرورة موضوعية باتساع لوظائف ومستخدمات ومعال المؤسسات الاقتصادية وأجهزة الادارة والعامل والمنشآت المختلفة . أن هذا النوع من الدراسة لا يتطلب استثمارات مالية كبيرة ولكنه يساهم في توفير الكوادر المطلوبة وبمستويات جيدة أيضاً ، الا أن

(١٥) راجع : مجلة المنظمة المصرية القومية - العدد - ١٩٦٥/١١ صفحة ٢٨

(١٦) راجع : نواف سبائكين ، في: بيرسيليون تخطيط الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفياتي - ترجمة أحمد دباس - مطبعة وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧١ - الجزء الثاني - صفحة ٢٨

منها وتربية الكوادر الجديدة . ولذلك تطرح مهمة ايجاد جهاز مركزي للبحوث العلمية باختلاف اختصاصاتها يرتبط باعلى سلطة في الدولة وينسق البحوث العلمية في مختلف المجالات مع الجامعات ومراكز البحوث الفرعية والمؤسسات الاقتصادية ويحقق الترابط العضوي والتعاون المثمن والتكامل في نشاطاتها العلمية . ان مثل هذا الجهاز سيساهم في تحقيق مآثباته مراكز البحث العلمي والجامعات في الوقت الحاضر من انزال خطير عن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وبمعية عن احتياجات عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية الى درجة كبيرة . ان هذا الواقع يؤدي الان الى خسارة مزمنة في الموارد المالية والكفاءات العلمية وتكون نتائجه غير مسبوقة لصلحة الاقتصاد الوطني وربما نظرية بحثة عميدة عن الواقع المموس . ان هذا يمكن تجنبه اذا استغلنا خلال السنوات القادمة تطبيق ارتباط عضوي قانوني نشيط وفعال بين مؤسسات ومراكز البحث العلمي والجامعات العربية من جهة وبين المؤسسات الاقتصادية الزراعية والصناعية والتجارية واجهزة الادارة والخطيط من جهة اخرى ، وتجنيد الطلبة وطلبة الماجستير والباحثين لانجاز بحوث علمية تطبيقية مباشرة ومن حاجات تلك المؤسسات وارتباطها بايجاد الحلول العلمية لمشكلاتها القائمة . ان هذه الخطوة ستحقق اكبر العوائد الاقتصادية والمنافع المباشرة الكبيرة جدا وسيحقق الفرض من وجود مثل هذه المراكز والمؤسسات العلمية كما انها من الجانب الآخر ستحقق وتسهل للحواضر المحلية المباشرة للممارسين في البحث العلمي ، ان انجاز مثل هذه البحوث ذات الفائدة المباشرة للمؤسسات الاقتصادية والتي توفر لهم مجالاً مالية كبيرة لا بد ان تكون مرتبطة بمفوضات ومكافآت مادية وادبية تمنح للفاعلين بها .

مراعاة القصور الاقتصادي لكل بلد :

ان القيام بعملية تعاون وتنسيق فيما بين الاقطار العربية في مجال المناهج الدراسية ومفرداتها في مختلف مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي والمهني عن طريق اتقاد الجامعات العربية اضافة الى امكانية وضرورة انشاء معاهد تخصصية في بعض الفروع العلمية والتطبيقية والتي تحتاج الى استثمارات مالية كبيرة من جهة والى كوادر واختصاصيين علميين نادرين عالياً من جهة اخرى ، ان هذا الطريق يساهم في رفع مستوى عقلانية استخدام الموارد المالية والكوادر والاختصاصيين ، كما انه يحقق من ناحية اخرى تيسير التعاون والتفاهم بين الطلبة العرب الذين يدرسون في مثل هذه المعاهد والتي يتوجهون لها من مختلف الاقطار العربية . ان اقامة مثل هذه

القضية تعتمد ايضاً على هذه نواح منها : المناهج التي سوف تقرر ومفرداتها الاساسية ، اسلوب الاشراف على الطلبة الذين ينتسبون الى مثل هذه الدراسات ، ثم الامتحانات وطبيعة الشهادات التي سوف تمنح لهم والحوافز المالية التي ستربط بها .

و - ان من أهم الامس التي ينبغي ان تمتددا الجامعات العربية في نشاطها التعليمي المراهق واللاحق هو ربط الجامعات العربية بمختلف فروعها بمؤسسات الدول الاقتصادية والادارية وبمراكز البحوث العلمية . والهدف المتوخى من ذلك يتلخص في :

١ - ان العلوم النظرية التي يحصل عليها الطالب في سنى دراسته في الجامعة ، يمكن ان تترجم تجربة عملية العلوم النظرية اثناء الدراسة بمساعدة على رسوخ العلوم النظرية وعلى تفاعلها مع الناحية التطبيقية .

٢ - نقل العلوم النظرية من خلال فقرات التطبيق العملي للطلبة الى الاشخاص العاملين في مؤسسات الدولة المختلفة وفي ذلك فائدة مهمة بالنسبة للعاملين في هذه المؤسسات ممن لم يحصلوا على مثل ذلك من تعليم نظري .

٣ - ان الترابط المتفسوي بين الجامعات ومؤسسات الدولة الاقتصادية : المصانع والمزارع ووجهزة التخطيط والادارة والخدمات الاجتماعية ... ومراكز البحث العلمي يلعب دوره في تحقيق الفائدة المتبادلة بين الجامعة وهذه المؤسسات فبمقدور الجامعة الاسهام في البحوث والتجارب العلمية والدراسات الميدانية وبالتعاون مع تلك المؤسسات ولصلحتها مما يساعد على توجيه البحوث والدراسات بصورة سليمة تنسجم وحاجات المجتمع والاقتصاد الوطني المباشر ، كما انها تعطيلها حيوية واهتمام واحتمالات نجاح اكبر اضافة الى انها مستقلص الى حدود عمدة تكاليف مثل هذه البحوث والدراسات ، وتبعم ازواجية للقيام بها .

٤ - وبعدا ذلك فان الترابط بين الجامعات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وانجاز بحث مهمات تلك المؤسسات يوفر للاقتصاد الوطني موارد مالية كبيرة ويرفع من روح التعاون والمبادرة ويحقق مزيداً من التفاعل والتفاهم بين الجامعات والمجتمع واهداف المجتمع .

مشكلة تعدد مراكز البحث العلمي :

ان هذه المسألة تطرح في الواقع مشكلة اخرى تعاني منها البلدان النامية ومنها الاقطار العربية وهي تعدد مراكز البحث العلمي في كل قطر من هذه الاقطار بما يؤدي الى اهدار في الموارد وعدم تعبئة الكفاءات والاستفادة العقلانية

أن تقدير حركات مختلف القطاعات الاقتصادية للاقتصاديين من مهمة الاختصاصات المالية وخبرجي المهاد الفنية التالية الجامعات خلال السنوات العشرين القادمة لا يفصل عن تقديرات تطور مختلف هذه القطاعات الاقتصادية بن حيث خطط الاستثمار والانتاج والتوزيع فيها وحاجة مختلف أجهزة الدولة الأخرى إلى الإداريين . ولابد في هذا الشأن من تحقيق التناصب والتوازن المناسب في تطور هذه القطاعات من الموحى الاقتصادية والاجتماعية ، كما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار عدد الاختصاصيين والكوادر المختلفة الذين سيتخلون عن المساهمة في النشاطات الاقتصادية خلال نفس الفترة الزمنية ولأسباب مختلفة لكي يمكن إحلال اختصاصيين وكوادر فنية أخرى بدلا عنهم .

أن تخطيط التعليم المهني والعالي الذي يحتاج إلى تخطيط مناسب له في مجال التعليم العام من جهة وإلى تخطيط إقليمي وبميد المدى من جهة أخرى لابد أن يجد تعبيرة وتطبيقاته المباشرة في الحفظ الحمسي والسوي الذي تبحث في عدد الطلبة الذين يقبلون سنويا في مختلف العرور وعدد الإماءة الذين لابد من توفيرهم والبيات والأجهزة والمعدات والقاعات الضرورية لذك . أن استثمارات التعليم المهني والعالي العالي إذا ما صرفت في المراكز التي هي بأمر الحاجة لها فإن هذه الاستثمارات ستقتر إيجابيا كما أن مردودها على المدى البعيد سيحور خيرا جدا . أن الحط التي تحدث عنها لا يمكن أن تكون في ظرف البس السامية عموما ومنها الاقطار العربية دمية جدا ، إذ أن المسألة مرتبطة عضويا بمسئوى البهور النواطى للفوى المنتجه وبصعوبات وصع وتعيد بن هذه الخطأ أن الوجود المؤثرات الأساسية ذات المدى البعيد وجود الحط الخمسية الأكثر بلموسية ذات المدى القريب تساهم بإيجابية في تحقيق الكثير من الأهداف والمهام . أن بن هذه الخطط الموجهة مستاهم في تقليص احتمالات البطالة في الخريجين من حملة الشهادات الجامعية الذين لا تستوعبهم مؤسسات الاقتصاد الوطنى بسبب عدم الصبة لهم . أن هؤلاء كانوا الدولة مبالغ كبيرة لعين حصولهم على شهادة جامعية من جهة ولكنهم لا يساهمون في إنتاج الدخل القومى بل سيسهلون كجرا منه من جهة أخرى ، وهو عيب كبير على الاقتصاد الوطنى ، وينبى الإسراع في إيجاد الحلول العمليه هذه المشكلة . أن هذه المشكلة يمكن أن نجد حنولا واقعية لها من خلال إجراء تغيير حقيقى في واقع السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة فنى الاقطار العربية .

المهاد يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة التطور الاقتصادى في الاقطار العربية وطبيعة الموارد الاقتصادية المتوفرة فيها وضرورات أقالة مثل هذا المهد في هذا القطر أو ذاك وقدر ذلك القطر على رعايه وحماية وتطوير مثل هذا المهد إضافة إلى ضرورة توجيه الجهود العربية كلها لتحقيق هذا الهدف .

وليس من شك في أن تعاون الاقطار العربية من حد الجامعات والمهاد العلمية ومراكز البحث العلمى ستوفر موارد مالية كبيرة وطاقات علمية صممه توضع تحت تصرفها وتستفيد منها بصورة اقتصادية عقلانية وأن النتائج المترتبة على هذا التعاون ستكون كبيرة ولصحة عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في جميع الاقطار العربية التي تبدى استعدادا فاعليا للتعاون المثر في هذه المجالات .

الاستفادة من التجارب الأخرى :

وأخيرا فإن المرحلة الراهنة التي تمر بها الاقطار العربية تفرض عليها في مجال التعليم الجامعى والبحث العلمى إيداء المزيد من الاهتمام للاستفادة من خبرات وناجيات البلدان الأخرى وخاصة البلدان الاشتراكية في مجالات التعليم العام والمهني لتطوير مناهجنا واتجاه التعليم والبحث العلمى في الاقطار العربية .

أن السعى الجاد لتحقيق هذه الأهداف وفق الإمكانيات المتوفرة سيمكن الجامعة من تحقيق مهماتها على المدى البعيد بصورة أكيدة وكذلك وبشكل نمبى على المدى القريب .

وهو حق استراتيجية التنمية :

أن تخطيط التعليم المهني والجامعى يتطلب وضوحا في استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية اللاحقة لفترة العشرين سنة القادمة كما يتطلب حصرا دقيقا نسبيا للموارد المادية والبشرية المتوفرة . وفي ضوء هذا الحصر والتحديد ستتمكن أجهزة تخطيط التعليم رسم استراتيجية التعليم والتعلم والبحث العلمى والاخصاصات التي ينبغي تكوينها في الجامعات المختلفة ، وربط ذلك باستراتيجية التنمية القومية الشاملة . أن التوجه الأساسى في التخصصات المالية لقضايا التعليم المهني والجامعى يجب أن يكون في مراكز الثقل الرئيسى في استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية أولا وأن تستخدم هذه الموارد المالية والكفاءات المتوفرة بصورة اقتصادية عقلانية حقا بحيث يكون مردود الاستثمار فيها عاليا ولصحة المجتمع بأسره ذاتيا أى على الضد مما يجرى حاليا في جميع الاقطار العربية وأن تبايت نسب الهدر في الموارد المالية والكفاءات العلميه في كل من هذه الاقطار .

تاريخ البورجوازية المصرية الصغيرة قبل ثورة ٢٣ يوليو

الجناح التجارى والصناعى

د. عبد العظيم رمضان

تاريخ

البورجوازية الصغيرة فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تاريخ غامض لم تسط عليه بعد اضاءات كافية من المؤرخين والكتاب والمفكرين السببين : السبب الاول ، ان كتابة التاريخ المصرى بصفة عامة كانت منصفة ، الى مدة قريبة ، على الجانب السياسى منه دون الجانب الاقتصادى والاجتماعى ، حتى برزت مدرسة التفسير المادى للتاريخ لتولى هذا الجانب حقه من الاهتمام والتقدير . ثانيا ، ان الكتاب المثلين الذين تناولوا هذه الطبقة بالمعالجة حتى الان ، قد تناولوها ككل ، مع انها طبقة عريضة تشتمل على أجنحة عديدة مميزة يختلف النشاط الاقتصادى لكل منها عن نشاط الآخر ، وبالتالي تختلف حركته الاجتماعية والسياسية والفكرية عن حركة الآخر ، مما يحتم معالجة كل جناح على حدة ؛ ومن هنا كانت هذه الدراسة التى سستناول أحد هذه الأجنحة ، وهو الجناح التجارى والصناعى ، بالمعالجة .

ولما يتصل بالبورجوازية الصغيرة التجارية ، فيمكن القول ان تاريخ الدور الذى لعبته فى مصر فى الفترة الخاضعة للبحث ، تاريخ قصير لا يكاد يرجع الى ما قبل معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الأجنبية . والاسباب لذلك كثيرة :

اولها : ان ظروف السيطرة الاقتصادية الأجنبية على مصر ، وتركز النشاط الصناعى والتجارى أساسا فى يد العناصر الأجنبية فى ذلك الحين - حتى فى الأعمال الصغيرة والصناعات البسيطة -

تد جعلت من المستحيل على العناصر الوطنية الصغيرة النزول الى السوق الا بعد توفر قدر كاف من الاستقلال الوطنى يكفل لنشاطها الانتشار والنمو ، وهذا القدر لم يتوفر الا بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الأجنبية .

ثانيا : ان عيب مزاحمة العناصر الأجنبية فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة يقع - تاريخيا - على البورجوازية الكبيرة ، التى تعتبر الوريث الشرعى للرأسمالية الأجنبية ، ولا يقع على عاتق البورجوازية الصغيرة .

ثالثا : أنهىها يتصل بطبيعة الشعب المصرى ، فان التجارة بالذات ، لم تحتل أبدا فى نفسه الاحترام الكافى والتقدير المناسب - وقد تكون رواسب ذلك موجودة فى مجتمعنا الى الان - لقد عرف المصرى قديما - كما يقول الدكتور حافظ عفيفى - بأنه فلاخ يجب الارض . وعرف فى ادوار كثيرة من تاريخه بأنه محب للصناعة يقطن كثرا من فنونها . ولكن لم يعرف عنه قط ما عرف عن الفينيقي أو اليوناني أو العربى من أنه تاجر يحب التجارة ، ويتقن اساليبها ويعرف مواطنها . والحقيقة ان المصرى كان يكره التجارة حتى بلغت كرامته لها حدا يقرب من الازدياء والاحتقار ، وحتى انه لم يكن يشتغل بها من المصريين الا من ضاقت فى وجوههم سبل الرزق الأخرى . وحين كان المصرى يشتغل بالتجارة ، كان يجب العمل بها منفردا ، لأن « الشركة » كانت فى نظره تضيق « البركة » !

ولقد ترتب على ذلك عدة نتائج :

أولها: أن تجارة مصر الداخلية والخارجية لم تكن في أيدي سبيلها موانئ كانت في أيدي الغير . فقد كانت في مصر مئات الآلاف من التجار الأجانب والحرب فيهم الأرمني ، والتركي ، واليوناني ، والمالطي ، والنبرسي ، والعلباني ، والسوري ، والطرابلسي ، والتونسي ، وإنجاشترى ، والانجليزى والأيريكى ، الهندي ، والصيني ، والفارسي وجنسيات أخرى ، ولم يكن من بينهم من المصريين سوى عدد قليل .

ثانيها: أن البيوت التجارية المصرية القديمة التي كانت ناجحة ، أخذت تضمحل عندما انقصر رجالاتها الذين كانوا يتولون أمرها ، وحل محلهم أولادهم الذين تعلموا في مصر أو في أوروبا . فقد تولى هؤلاء عندما تولوا أمرها ، أن انصالحهم بالشر بملازمهم ووقوفهم بأنفسهم على جميع أنواع التعامل الخاصة بتجارهم ، لا يتفق مع مركزهم الاجتماعي ولا مع كرامتهم . وفي الوقت نفسه ، فإن معظم هؤلاء كانوا في الغالب من الذين سدت في وجوهم أبواب العمل في دواوين الحكومة .

أما النتيجة الثالثة: وهي أهم النتائج ، وإن كانت مترتبة عليها ، فهي أن البورجوازية التجارية الصغيرة كانت تمثل في مصر أقل الطبقات حيوياً . فقد قدر محمد طلعت حرب عدد أفرادها في حطابه الذي ألقاه يوم ١٦ سبتمبر ١٩٢٤ بـ ٢٧٦٠٠٠ أي بنسبة ١٦٦ من المشتغلين بالزراعة ، و ١ و ٢ من المشتغلين بالصناعات ، ومع ذلك فقد كان هذا العدد يضم الأجانب أيضاً .

هذا فيما يخص بالبورجوازية التجارية الصغيرة . أما فيما يخص بالبورجوازية الصناعية ، فلم تكن بأحسن حال من زميلتها . ولكن السبب الأساسي مختلف ، هو فتح أبواب مصر للمنتجات الأجنبية بعد اتفاقية سنة ١٨٤١ وتعير الرسوم الجمركية . وكانت إنجلترا قد عقدت مع تركيا معاهدة تجارية عام ١٨٢٨ في بطله ليمنح أفرقت إلغاء الاحتكار وحرية التجارة . ولكن محمد علي لم ينفذ ما ارتبطت به تركيا إلا بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ حيث أخذ ينفذ ما جاء في المعاهدة التجارية والمعاهدات الأخرى التي عقدت على نبطها مع فرنسا وبلجيكا وهولندا وبقية الدول الأوروبية من رسوم جمركية على الصادرات والواردات . ولكنه لم ينفذها دفعة واحدة ، وإنما أخذ ينفذها تدريجياً حتى سنة ١٨٤٧ ، وهي السنة التي تحددت فيها التعريفات الجمركية للعمل بها مرة أخرى ، وسارت الإدارة الجمركية على هذه التعريفات حتى سنة ١٨٥٥ . وقد قضت تلك التعريفات بأن السلع والبضائع المصرية يفتح عنها ٩ في المائة ، وإذا ما صدرت من الميناء يؤخذ عنها ٣ في المائة أخرى رسم تصدير ، أي أن السبله المصرية اذام وصلت إلى الموانئ ، كالاستكديريه دفع عنها ١٢ في المائة حتى تخرج إلى الأسواق الخارجية . وقد أرق ذلك الصانع المصري وحركة

صادراتها بطبيعة الحال ، لأنها أصبحت تتحمل ضريبة عالية وتصل إلى الأسواق ورسومها عالية من غير تفرقة بين الإنتاج الزراعي والصناعي . وكان من جراء ذلك أن ماتت الصناعة القوية لأن الواردات الأوروبية نافستها في السوق المحلية وكسبت هذه السوق ، إذ كانت الاتفاقات قد قضت بأن هذه الواردات الأوروبية وغيرها لا تزيد ضريبةها على ٥ في المائة ، وهذا وصلت إلى الميناء دفع عنها رسم ٢ في المائة ، وإذا نقلت داخل الاستكديريه حصل عنها رسم ٢ في المائة ، وبذلك فرقت المعاهدات بين الواردات والصادرات لصالح الأولى ، ودفعت الصادرات المصرية الثمن عدم انتشارها في السوق الخارجية .

وقد تحصن موقف الرسوم الجمركية بالنسبة للصادرات بمعاهدة ٢٩ أبريل ١٨٦١ التي عقدت بين تركيا وإنجلترا ، ثم مع بقية الدول الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وبلجيكا وهولندا وغيرها . وكانت مصر ملزمة بتنفيذ ما ورد بها ، إذ تقرر أن يحصل على البضائع المصرية المصدرة رسم جمركي قدره ٨ في المائة ، ثم يخفض هذا الرسم بنسبة ١ في المائة كل سنة حتى يصل في آخر الأمر إلى ١ في المائة ويصبح رسماً نهائياً للصادرات ، وأن يحدد رسم الوارد بمقدار ٨ في المائة بحسب ثمن السلع .

على أن الصناعة كادت قد ماتت في مصر ، وتحويت الصناعات الكبيرة إلى صناعات صغيرة ، وهجر العمال مصانع الدولة بعد إغلاقها ، وشرعوا ينشئون مصانع صغيرة تنفق على رأس المال والتوجيه . وقد حاول اسماعيل إحياء الصناعة المصرية ، ولكن ذلك كن محصوراً داخل نطاق محدود ، حتى إذا ما جاء الاحتلال حارساً للاحتكارات الأجنبية ، وخضعت الصناعة المصرية للسياسة الإنجليزية التي تقضي بأن تظل مصر بلداً زراعياً ، توفرت كافة الظروف التي عجلت بإضمحلال الحرف والصناعات أيضاً . فقد كتب اللورد كرومر في تقريره عن عام ١٩٠٥ يقول :

« من يقارن الحالة الراهنة بالحالة التي كانت منذ خمس عشرة سنة ، يرى بونا شامساً ورفقاً مدمشاً ، فالشوارع التي كانت مكتظة بديكائن أرباب الصناعات والحرف من غزالين وحسكة وصباغين وخياطين وصائغي أحذية .. الخ ، قد أصبحت الآن مزدحمة بما قام على أنقاض هذه الحال من القهقري والحوانيت الغاصة بالصناعات الأوروبية . أما الصانع المصري فتضاءل شأنه وانحطت كفايته على مر الزمن ، وأصبح ميالاً إلى الدعة ، نفوراً من بذل الجهد ، وفقد لديه الذوق الفني الذي طالما أخرج في النمر القديم المعجزات من مفاخر الصناعة ، وكانت إذا تأملت في عمله ، لقيته لا يفقه معنى الاقتان ، بل كان يقنع ويرضى بكم من قنرب الغاية » .

وكانت تلك هي الأسباب الرئيسية لاستمرارية
البرجوازية الصغيرة في ثورة ١٩١٩ .

وفي الفترة فيما بين الحربين العالميتين ، كان
الجنح الصناعي والتجاري من البرجوازية
المصرية حافظ يعقل في مصر أضعف أجهنتها
نفوذا ، وأقل طبقات الشعب وزنا وتأثيرا . فمن
ناحية البرجوازية الكبيرة ، فقد كانت هذه الطبقة
قليلة العدد حقا ، ولكنها كانت - على حد قول
الدكتور حافظ عفيفي - « كثيرة النفوذ بمالها
وبالتقاليد القديمة المرحية التي احتفظت لها بمكان
خاص رغم قلة عددها » . وأما الطبقات
الجماعية المبثلة في المال والفلاحين ، فهي وإن
كانت ضعيفة النفوذ ، إلا أنها كانت قوية بدمدها
إن كانت تضم أكثر من أربعة أخصاس سسكان
القطر .

ولقد ترتب على ضعف هذا الجنح من
البرجوازية الصغيرة أنه لم يستطع أن يمثل في
مصر ما كان يمثل في أوروبا وأمريكا ، وبالتالي
فلم يستطع أن يقوم بدوره التاريخي . لقد كان هذا
الجنح في أوروبا وأمريكا يمثل عصب الطبقة
الوسطى أو البرجوازية الصغيرة ، المكونة هناك
من التجار وأصحاب المصانع ورجال الأعمال
الحررة ، وكان مركز هذه الطبقة المتوسط بين
الطبقتين العليا والدنيا ، يجعلها تعادى بطبيعتها
التطرف السياسي سواء إلى اليمين أو إلى
اليسار . ومن ثم فقد كانت تمد السند الطبيعي
للحكم الديمقراطي الليبرالي ، وكبر نصيب
للحكومات الديمقراطية المعتدلة . أما في مصر ،
فإن عصب الطبقة الوسطى لم يكن صغار التجار
والصناع ، وإنما كان الموظفين وأرباب المهن
الحررة - وبمعنى آخر فإن الانتلجنسيا كانت هي
المبود الفقري في الطبقة البرجوازية الصغيرة ،
وكانت تمثل في مصر نفس الدور الذي تمثله الطبقة
الوسطى الأوروبية في مناصرة الديمقراطية
الليبرالية .

وتعتبر معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من إلغاء
الامتيازات الأجنبية في مصر نقطة التحول
الأساسية في حياة الجنح التجاري والصناعي من
البرجوازية الصغيرة . وهذه الحقيقة لم تلق
الاهتمام الكافي من الباحثين ، ربما بسبب أن
الحرب العالمية الثانية قد نشبت بعد إقصاء
الامتيازات الأجنبية بعامين تقريبا ، فلم يأخذ هذا
الحديث الكثير فرصه لشدات آثاره الاقتصادية
والاجتماعية منفصلة عن آثار الحرب العالمية
الثانية . ويمكن القول بأن المنح السياسي
، الاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تتم فيه
المناصر الأجنبية قد تغير بإبرام معاهدة ١٩٣٦
والإلغاء الامتيازات الأجنبية . فمن ناحية فقد
انتقلت حماية المصالح الأجنبية من يد بريطانيا إلى
يد مصر ، وهي الحماية التي كانت بريطانيا تحتفظ
فيها بيد مطلقة بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

على أن هذا العامل لم يكن وحسده ضيق
اضمحلال البرجوازية الصناعية الصغيرة في
مصر ، بل تحالفت معه عوامل أخرى . منها اتجاه
المصريين نحو الزراعة وشراء الأراضي بعد
استقرار حق الملكية في أواخر القرن التاسع
عشر . ثم إهمال الحكومة لتشجيع الصناعات في
عصر الاحتلال بسبب سياسة تخصيص مصر في
الزراعة ، هذا بالإضافة إلى نظام الرسوم
الجمرية على الواردات الذي كان يقوم على
أساس مالي يمت ، هو زيادة إيرادات الحكومة . فقد
كانت الرسوم - كما ذكرنا - واحدة قدرها ٨ في
المائة من قيمة جميع الواردات ، سواء كان هذا
الوارد من الضروريات أو الكماليات ، أو كان من
المواد اللازمة للصناعة المحلية ، أو من المواد
المصنوعة التي تتنافس المصنوعات المحلية . وهذا
أضفا إلى ذلك أن إزدياد الاتصال بمشاهير
الحضارة الأوروبية قد أثر في تغيير ذوق فئات
كثيرة من الشعب أخذ أفرادها يفضلون المصنوعات
الأوروبية ، كما أن نظام الطوائف الذي كان يحفظ
لطبقة الصناع مستواهم الفني ، كان قد أخسده
يضمحل حتى زال رسميا في ٩ نيسان ١٨٩٠ ،
عندما تقررت حرية الفرد في ممارسة « أي صنعة أو
حرفة أو فن أو تجارة » - لمرافق أسباب لتدهور
هذه الطبقة .

ولقد تبحت أول فرصة حقيقية للبرجوازية
الصغيرة الصناعية والتجارية في خلال الحرب
العالمية الأولى . فبقيا يختص بالجنح الصناعي ،
فإن اختلال التبادل التجاري وتعدر استيراد
المصنوعات ، وعودة كثير من الأسباب إلى
أوطانهم ، قد أتاح الفرصة لأفراد هذا الجنح ،
الذي كان يقضى عليه تماما ، للبروز إلى السوق .
فانتعشت صناعات الدباغة والأدوات الجلدية
والأثاث ، وكثرت معاصر الزيوت ومطاحن الغلال
وروش السبك والحداثة والصناعات الخفيفة .
ونشأت صناعات جديدة ، مثل صناعة الورق
والفخار والزجاج والمواد المختلفة من الحيوانات .
أما فيما يخص بالجنح التجاري ، فقد انتعشت
الحالة التجارية وارتفعت الأسعار ، وغتم أصحاب
الحوافيت الكثير من الأموال التي كانت الجيوش
البريطانية تنفقها في مصر ، وكثرت الأموال في
المدن والقرى . وبعبارة وجيزة ، استعادت
البرجوازية الصغيرة الصناعية والتجارية من
هذه الفرصة الفريدة للنهوض والتمويش مما
أسبابها من أسباب الجمود .

على أنه لم تكن تنتهي الحرب ، حتى أخذت
تعلى البضائع الأجنبية على السوق المصرية من
جديد ، فامتدت معظم الصناعات التي نشطت أو
قابت أثناء الحرب بسبب ضعف تجهيزها الفني
الناشئ من سرعة انبعاثها والنتائج من الرغبة في
الربح السريع . وعادت العناصر الأجنبية السبي
ممارسة سيطرتها على سوق التجارة الداخلية .

الجاليات في السوق الوطني المحلي عقلا وقلوبا ، هي الجالية الإيطالية التي خطب الدكتور أحمد ماهر في عام ١٩٤٠ يقول عنها : أنها « تراحم كل باب من أبواب ارتقاها » .

لقد كان تعداد الجالية الإيطالية في عام ١٩٢٧ يبلغ ٣٩,٥٣٥ من مجموع الأجانب البالغ عددهم ١٨٦,٥١٥ . وقد ارتفع هذا الرقم مع ازدياد النفوذ الفاشي في مصر إلى ٥٢,٢٧٢ في مسلم ١٩٣٩ . وكان أفراد هذه الجالية يتكلمون اللغة العربية كاملها ، ولا يختلف نظم حياتهم كثيرا عن نظام حياة المصريين ، ولهم في مصر مصالح كبرى وأموال ضخمة ، ويشتركون مع أبناء البلاد في مختلف الأعمال ، وبمعنى آخر أن هذه الجالية كانت تراحم البورجوازية المصرية الصغيرة بالذات في أرواقها . أما الآن ، فكان معظمهم من التجار وموظفي الشركات المالية ، وإن كان عددهم في عام ١٩٣٩ قليلا لا يتجاوز ١٨٠٠ شخص . وكانت مصالحهم في مصر قد تضاعفت تضاعفا شديدا بعد وقوع الحرب العالمية الأولى ، إذ لم يكنوا من أصحاب الامتيازات ، ولم يكن لديهم نصيب كبير في رؤوس الأموال الأجنبية الضخمة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن حكومة الوفد انتهزت فرصة الحرب للتحلص من العناصر الأجنبية الأخرى . فقد أخذت تقيم المراقبين في وجوه الأجانب المستوطنين الذين يرغبون في الحصول على تأشيرة عودة على جوازاتهم لسفر مؤقت خارج القطر . وكانت حكومة الوفد تبرر هذا التصرف بأنه بسبب دواعي الأمن ، وأنه لمسدة الحرب فقط ، على أن هذه الحجة لم تكن مقنعة تماما للإنجليز ، ذلك أن المراقبين قد لاحظوا في ذلك الحين أن هذا الرفض من جانب حكومة الوفد يعد انتهاكا لاتفاقية مونتري الخاصة بإلغاء الامتيازات في مصر ، إذ ورد بهذه الاتفاقية من : « الإبعاد أن الحكومة المصرية » ليس في نتائج أن تستعمل في فترة الانتقال حقها في إبعاد أجني خاضع لقضاء المحاكم المختلطة . إذا كان قد أقام في مصر خمس سنوات على الأقل ، أو أن ترفض دخوله في أراضيها إذا كان قد غارها مؤقتا ، إلا إذا كان قد حكم بإدانتة في جنائية أو في جنسية يعاقب عليها القانون لأكثر من ثلاثة أشهر ، أو يكون قد أتى أصلا من شأنها أن تؤدي إلى الاضطراب أو تخل بالنظام العام أو بالسكينة أو بالأداب أو بالصحة العامة ، أو يكون فقيرا وعالة على الدولة » .

وعلى كل حال ، فتتبدى الآثار التي أحدثتها الحرب العالمية الثانية متحلفة مع خسوف الاستقلال ، في نمو البورجوازية المصرية الصغيرة ، فيما تلاحظه من نمو القطاع الصناعي والتجاري على حساب قطاع الزراعة . ففي خلال ادة من ١٩٢٧-١٩٣٧ كانت الأيدي القابلة للعمل

ومن ناحية أخرى ، فقد أشرت أن حصر هيئاتها التشريعية التي كانت مقيدة بالامتيازات الأجنبية ، وصار في وسعها إخضاع النشاط الاقتصادي للأجني بالشرائب ، والتدخل فيه لمصلحة المصريين (كما حدث بالنسبة لقانون الشركات) . وقد أدركت الجاليات الأجنبية ذلك على الفور . فقد كتب أحد رؤساء الشركات الأجنبية في سنة ١٩٢٧ يقول : « أن معنى إلغاء الامتيازات الأجنبية عند المصريين هو إرهاب الأجانب بالشرائب ، وإبعادهم بقدر المستطاع عن النشاط المالي . ومعناه أيضا تدخل الحكومات المصرية في أعمال الشركات ، وإصرارها على إخراج الموظفين الأجانب الكفاء ، وإحلال المصريين مكانهم » . ومعنى ذلك البطالة بين الأجانب وارتباك الشركات الأجنبية .

ومما لا ريب فيه أنه كانت تتوافر في ذلك الحين العوامل التي تدفع العناصر الأجنبية إلى القلق والتوجس . فبالإضافة إلى تزايد الوعي القومي والوطني ، فإن الواقع الاقتصادي للبلاد في الثلاثينات كان يدفع دفعا حثيفا العناصر الوطنية ، خاصة العناصر المثقفة ، إلى التزول إلى السوق المحلية ومزاومة الأجانب في النشاط الاقتصادي . فلقد كانت المشكلة الأساسية التي نجمت عن الأزمة المالية في مطلع الثلاثينات هي مشكلة البطالة التي تركت الوفا من المتطلعين بدون عمل ، نظرا لامتناع الشركات الأجنبية عن توظيفهم من جانب ، ولعجز دواوين الحكومة المثقفة بالموظفين عن استيعابهم من جانب آخر . وعندئذ فقد بدأ أن الحال الوعيد للمشكلة - حين لم تصدر الحكومات التشريعات لإلزام الشركات الأجنبية بتوظيف المصريين - هو أن ينزل الشباب إلى غابة السوق المحلية ، يصارعون الأجانب واليهود على لقبه العيش ، ويحاولون عن طريق إقامة المشروعات الصغيرة ، التعويض عن الوظيفة المبيدة الخال ، والتي كان أمل الشباب فيها مقسودا في ذلك الوقت .

وفي هذه الظروف الدقيقة شبت الحرب المالية الثانية لتحدث تحولا في الموقف لصالح العناصر الوطنية ، ويمكن فهم المسألة على هذا النحو : إذا كانت العناصر الوطنية قد أفلتت من الحرب العالمية الأولى ، مع وجود الحماية البريطانية والامتيازات الأجنبية ، فإن فرصة هذه العناصر للنجاح في ظروف الاستقلال الوطني والتخضر من أغلال الامتيازات الأجنبية ، هي بلا ريب فرصة محققة وكبيرة . ويمكن القول أن الحرب العالمية الثانية قد دفعت بريح التغيير التي هبت منذ عام ١٩١٦ إلى التسارع . فمن ناحية فإن اندحار النافسة الخارجية ، متحالفا مع انقطاع ورود البضائع الأجنبية ، قد أتاح الفرصة للعناصر الوطنية لسد الفراغ . ومن ناحية أخرى ، فإن الحصر قد خلصت العناصر الوطنية من جالية تعد من أكبر

تزيد في مصر بمعدل ٥٠ ألف شخص في السنة ، يدخل منهم في الزراعة نحو ٤٠ ألف شخص ، في مقابل ٧ آلاف شخص للصناعة ، والفقر للتجارة والنقل والمهن . أي بالنسبة الآتية على التوالي ٨٧-١٢-٤٠ في المئة . وقد ارتفعت هذه النسبة من عام ١٩٢٧ - ١٩٤٧ لتصبح على النحو التالي: ٢١:٤٥ في المئة ، فقد بلغ معدل الزيادة السنوية للأيدي العاملة للعمل نحو ٩٠ ألف شخص تقريبا ، دخل منهم ميدان الزراعة ١٩ ألف شخص تقريبا ، في مقابل ١٨ ألف تقريبا في الصناعة و ٤١ ألفا تقريبا في التجارة .

وإذا نحن تناولنا عدد المنشآت الصناعية ، فأننا نلاحظ أن عددها قد ارتفع من ٧٠٠٠٠ منشأة في عام ١٩٢٧ إلى ٩٢٠٠٠ في عام ١٩٣٧ ثم ارتفع هذا الرقم إلى ١٢٩٠٠٠ منشأة في نهاية عام ١٩٤٤ ومن العدد الأخير كان يوجد ٢٢٢٢٠ مصنعا يشتغل بالانتاج ، والباقي يتولى الإصلاح والصيانة .

وإذا نحن اتخذنا أساسا لتقييم هذه المصانع الانتاجية حجم رأس مالها ، أو حجم عملها فأننا نجد أن عدد المصانع التي يمكن القول أنها مملوكة لأفراد من الطبقة البورجوازية الصغيرة هو ٢١٩٧٠ مصنعا رأس مال كل منها يقل عن ٥٠٠٠ جنيه مصري ، أو ٢١٦٥٢ مصنعا يعمل بكل منها أقل من خمسين شخصا . ويلاحظ تقارب الرتبين ، مما يشير إلى العلاقة الوثيقة بين العاملين .

وعلى كل حال ، فيعتبر تحديد حجم المصانع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة مسألة تقديرية تخضع لاعتبارات مختلفة . فقد قسم تقرير لجنة الصناعة والتجارة عام ١٩١٦ الصناعات المصرية إلى صغيرة وكبيرة ، فالصغيرة هي التي تقتصر على ورش يشتغل فيها عدد قليل من العمال ، وهي التي يزاولها أصحابها في حوائث ضيقة مع الاستعانة ببعض الصبية . أما الصناعات الكبيرة ، فهي الصناعات التي تتناول كميات وافرة من الخامات ويأبئها مصانع كبيرة تدار بالآلة الآلية مع استخدام عدد عظيم من العمال فيها . على أنه وفقا لأحصاء الانتاج الصناعي ، فإن المصانع الصغيرة هي التي تقل قيمة انتاجها السنوي عن ٥٠٠ جنيه ، والمتوسطة هي التي تتراوح قيمة انتاجها السنوي من ٥٠٠ إلى أقل من ١٠٠٠ جنيه ، أما الكبيرة فهي التي تزيد قيمة انتاجها السنوي عن ١٠٠٠ جنيه . ويلاحظ في هرعنا للموضوع أننا قد اتخذنا أساسا لتحديد حجم المصانع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ، حجم رأس مالها وعملاتها ، على اعتبار أن هذين العاملين يحددان من وجهة نظرنا عدد المصانع التي يدخل امتلاكها في نطاق مقدر البورجوازية الصغيرة . فالفرد الذي يستثمر أقل من ٥٠٠٠

جنيه في إقامة ورشة أو مصنع صغير لا يدخل في الطبقة البورجوازية الكبيرة على وجه التحقيق ، وإنما يدخل في البورجوازية الصغيرة . يدل على هذا الارتباط التقارب الشديد بين عدد المصانع التي تستثمر أقل من ٥٠٠٠ جنيه ، وعدد المصانع التي تستخدم أقل من ٥٠ عمالا كما ذكرنا حيث بلغ عدد الأولى ٢١٦٥٢ مصنعا ، وعدد الثانية ٢١٦٥٢ مصنعا .

على كل حال ، فإذا انتقلنا إلى الجناح التجاري ، فإن هذا الجناح قد نما نموا سرعيا أيضا . يدل على ذلك أن جملة المتاجر في عام ١٩٣٧ كان عددها ١٢٨١٧٥ متجرا ، تأسست غالبيتها (٦٦٥٤) في المائة في ١٩٢٨ و ١٩٣٧ ، بينما كان قد تأسس ١٦٧٥ في المائة فقط فيما بين سنتي ١٩١٨ ، ١٩٢٧ وكان ٧٢ في المائة منها قد تأسس فيما بين سنتي ١٩١٨ ، ١٩٢٧ ، أما الباقى وقدره ١٦١٩٨ في المائة فقد تأسس في سنوات سابقة أو لم يتبين سنة التأسيس بالنسبة له . وقد ارتفع هذا الرقم في عام ١٩٤٧ إلى ١٥١٤٢٣ متجرا ، كان منها عدد ١٤٧٨٤٥ ملكا للمصريين ، و ٣٥٧٨ ملكا للأجانب ، أي بنسبة ٩٧٨ : ٢٢ ؛ وهذا يبين غلبة العنصر المصري الساسية في هذا الميدان الذي كان وقفا على الأجانب .

على أن الحرب قد أسفرت عن نتيجة هامة بالنسبة للبورجوازية المصرية الصغيرة ، هي ظهور فئة قادرة منها استطاعت أن تشق طريقها بنجاح في ظل انعدام المنافسة الأجنبية ، وأن تبلغ حدا من الثراء يقرب مما تملكه الطبقة البورجوازية الكبيرة وأن تشاركها في الالتحاق أيضا ، وهذه الفئة هي التي يطلق على بعضهم اسم « اغنياء الحرب » . وقد عرف بعض أفرادها باسم « الملوك » في تخصصات نشاطهم الاقتصادي . فكان منهم « ملك الفواخ » ، وهو محمود إبراهيم الشببي بك ، وهو عسائى النشأة ، ارتقى من بلع طيور صغير إلى ملك الطيور ، فقد تمهد بتوريد الطيور إلى الجيوش البريطانية ، ثم ظفر بالتمهيد للجيش المصري والمستشفيات ، وأصبح موردا للقصور الملكية . وكان إبراهيم الشببي بك يملك اثني عشرة عمارة تدر عليه مئات الجنيهات شهريا ، عدا أمواله المودعة في البنوك ، وعدا نحو مائتي فدان اشتراها في الجيزة .

ومن هؤلاء الملوك « ملك اللحوم » وهو حسين عيسى ، الذي كان أبوه جزارا ، وأصبح بعد أن تسلم محل والده متمهدا للجيش والمدارس الحكومية ويمدها بالسجون . وكان في أثناء الحرب العالمية الثانية يقوم بتوريد الأغنام حية إلى الهنود في الجيش البريطاني ، ويتولون هم ذبحها بأسلوبهم الخاص .

المجتمع المصري من تغيرات بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الأجنبية ، وفي عام ١٩٥٠ كتب فيلسوف البورجوازية الصناعية ، الدكتور صبحي وحيدة يقول :

« فهذا الجيل ان شئت ، اول جيل يتكسب بمزاولة الصناعة ، ويواجه تكاليف الحياة المصرية دون ان تكون وراءه ثروة خاصة » .

وتلك هي البورجوازية الجديدة ، التي تتشابه اصولها مع اصول البورجوازية الأوروبية والتي أصبحت عصب الحياة الاقتصادية في مصر .

ومن هؤلاء أيضا « ملك الروائع » ومن حصة الشبراويشي ، الذي صنع نفسه بنفسه ، فقد عشق صناعة الروائع العطرية منذ صباه ، وكره ان يعمل موظفا ، واستطاع عن طريق محاولات صنع بعض الروائح العطرية ان يصبح منتجا كبيرا ، ويصدر منتجاته الى بعض الدول العربية وخصوصا السودان .

ومن هؤلاء الملوك أيضا « ملك الحلويات » محمد حسين الرشيدى الذى كان أبوه صاحب محل حلوى ، ولما كانت صناعة الحلوى مقصورة فى ذلك الحين على الاتراك ، فقد استقدم من تركيا صناعا مهرة ، واستخدمهم فى عمله ، وأصبحت لمصنع كبيرة ، ويملك بضخ عشرة عمارة ، وعزيتين أحدهما فى الاسماعيلية ، والأخرى فى الفيوم، هذا الى جانب ماله من أموال فى البنوك .

ثم هناك أيضا « ملك السيارات » حسين عبد الرحمن ، وهو عصامى أيضا بدأ بإنشاء جراج ، وكان امتلاك الجراجات قاصرا على الأجانب ، ثم اشترى سيارات للرحلات المدرسية ، وأخرى لنقل لثلاث المنازل ، واتسعت أعماله حتى أصبح يملك ثروة تقدر ببضع خمسين ألف جنيه .

ومن هؤلاء الملوك أيضا « ملك البنائين » محمد حسن السيد بك ، الذى عمل فى صباه بنساء ، واعتزم أن يكون مقاولا ، وكانت المقاولات محصورة فى يد الأجانب وبعض كبار المصريين ، ثم أصبح يملك ألوف الجنيهات .

ويمتثل من أهم الصناعيين الذى بناوا أنفسهم ، الحاج محمد سالم الذى أسس فى عام ١٩٢٧ ، شركة مصر للهندسة والسيارات ، ثم أنشأ مصنعا ضخما فى الاميرية شمال القاهرة ، كان يعمل به أكثر من ثمانمائة عامل ومهندس وموظف .

ولم تلبث العناصر الوطنية الصميمة أن أخذت تزحف بمشروعاتها التجارية على شوارع القاهرة وغيرها من المدن التجارية الكبرى ، التى كانت مصطفية بالصيغة الأوروبية واليهودية ، فاخذت تتلون باللون الوطنى شيئا فشيئا ، وتبرز الى جانب أسماء شيكوريل وشملا وبنزايون ودادو عيسى ، أسماء الطرابيشى ، والفندور ، ومحمد رزق ، ومحمد نور سالم ، والموادلى ، وشاهر ، ومئات من الاسماء المصرية الصميمة ، التى شقت طريقها بنجاح وسط المنافسة الأجنبية . وقد تزايد هذا المد الوطنى بعد ثورة ٢٣ يوليو حتى سقطت تماما سيطرة العناصر الأجنبية على السوق المحلية ، واستردت شوارع المدن الكبرى التجارية طابعها الوطنى الذى اقتطفته منذ الغزو الإحتلالى للرأسمالية الأوروبية .

ولقد كان إقبال العناصر الوطنية الصغيرة على الأعمال التجارية والصناعية ، أبرز ما طرأ على

مصادر البحث

وثائق رسمية

- ١ - الاتفاق الفئاسى بالفاء
الامتيازات فى مصر .
- ٢ - تقرير لجنة التجارة والصناعة
تعدادات سكان القطر
المصرى ١٩٢٧ - ١٩٢٧ .
- ٣ - المجلس الدائم لتربية الانتاج
القومى .

[دوريات]

- ٥ - آخر ساعة ١٩٢٧ .
- ٦ - الإنين ١٩٤١ .
- ٧ - الجمهورية ١٩٦٩ .
- ٨ - الصور ١٩٤٨ .
- ٩ - نشرات اقتصادية
البنك الأهلى المصرى ،
النشرة الاقتصادية ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .

[دراسات]

- ١٠ - د. جمال الدين محمد سعيد :
التطور الاقتصادى فى مصر
بند الكساد العالمى الكبير ،
الطبعة الاولى .
- ١١ - د. حافظ غنيم باشا : على
هش السبابة [١٩٢٨]
- ١٢ - د. رائد البراوى ومحمد
ممتازة : التطور الاقتصادى
فى مصر فى العصر الحديث
[١٩٤٤]
- ١٣ - د. محمد العظيم رمضان :
تطور الحركة الوطنية فى مصر
١٩١٨ - ١٩٣٦ [١٩٦٨]
- ١٤ - د. محمد عريان : مركز مصر
الاقتصادى [١٩٢٢]
- ١٥ - د. محمد طلعت حرب : علاج
مصر الاقتصادى ومشروع بنك
المصريين [١٩١١]

العلم
والتخلف

والثورة الوطنية

دكتور ر. برسي
وعربي بوعربي *

Technolog الذي يتسبب للرأسمالي أن يضع يده عليه ، فيستخرجون الذهب من الصخر أو يحولون القمح إلى ذهب أو ينتجون آيا من هذه السلع التي يبتاعها الناس . ولا بد للرأسمالي أن يدفع للعمال أجرا لقاء هذا العمل الذي يقومون به ، وهم يتعاونون به بعضا من هذه السلع التي ينتجونها ، بينما يمتلك - الرأسمالي نفسه - بقية السلع في صورة فضل (فائض) من القيمة ، يمثل جانباً من جهد العمال ، لا يتقاضون عنه أجرا يمسائق طبيعة العلاقات التي تنظم الانتاج الرأسمالي . ويذهب قسم من هذا الفضل - أو

أولى مبادئ الرأسمالية ، مسن من حيث هي نظام في علاقات الانتاج ، أن الرأسمالي يمسى ممعيا حقيقتا ، موصولا ، لا مادة فيه إلى ايجاد الطرائق الكفيلة بتحقيق المزيد من الارباح . والارباح حصة من نتاج العمل يتاح له استهلاكها من أى نشاط اقتصادى ناجح يهيمن عليه . ولكى يحقق الرأسمالي ربحا ، أى ربح ، يضمن عليه ، بادئ ذي بدء ، أن يستخدم العمال فى عملية الانتاج ، وأن يستخدمهم وفقا لقوى الانتاج التي يفيحها مستوى التطور العلم والثقافة

من

* الدكتور ر. برسي احد قادة الحركة الشعبية في جنوب افريقيا . * وقد كتب المقال خميسا لطليلة *

والى ذلك ثمة قوانين يجرى بها التاريخ ، قوانين نكتشفها بالنظر ، ويدرس التاريخ درساً لا تقوم عليه أسوأنا ومصالحنا ، كما أنه لا يدورس بالتمنن الذى ينفي وجود هذه القوانين ، لجرد أننا لا نحب من يعينهم الأمر الإطلاع عليها ، ولا - أيضاً - بالتمسك الذى يشوه فى نظر الناس ، المسارات التى اتخذتها أحداث التاريخ ، أو تشوه الدروس التى تسمح بتوجيه أعمالهم ، بما ينسجم ومعطيات هذه المسارات ، وتحظر أنفاق جهودهم وبنائهم فى متاهات مرفقة تحبط نتائج تلك الأحداث ، ذلك أن هذه القوانين إنما تظهر السبل التى يمكن معها للعمال والفلاحين والشعب العامل أن يمسكوا بمقاييد الحكم فى بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كما أمكن لهم أن يمسسجوا أصحاب السلطة فى أقطار أخرى عديدة .

يظهرنا العلم إذن ، يظهرنا نحن الشعب ، على المسالك التى يتاح لنا بها خلق عالم أفضل ولكن انسان يعيش فيه - لكن الرأسمالى عندما يرى الى العلم لا يأخذ منه الا ذلك القسط الذى يمينه على استغلال جهد العمال ، وجهد الفلاحين ، ويحقق له - من ثم - ربما اعظم - وهنا فأننا نجد فى الجامعات ومؤسسات البحث والمعاهد الفنية فى العالم الذى يمين الرأسمالى عليه ، أن العلم ينقسم الى الكيمياء ، وعلم الحياة ، والفيزياء ، والطب .. وما الى ذلك مما يسمى بالعلوم الطبيعية . ثم نجد ايضا ، أن بعض الحرية يتوفر فى الدرس والبحث بما يمكن العالم من اكتشاف قوانين الطبيعة . لكن علوم المجتمع كالنارسيخ والغاية والسياسة والاقتصاد والثروة وما إليها تخضع لصوابط اعظم تقييداً ، ونجد كل قانون طبيعى يبين بأن النظام الرأسمالى لا يبد أن يتراجع ، وأن حل محله علاقات فى الانتاج والاجتباع اشتراكية امرا يجرى تشويهه ، أو احقاؤه بل حظره ، فى بعض الأحوال ، حظراً باتاً . وعلى ذلك يمتثل انحصار الاشتراكية العلمية ، ويحظر دعائها قس أفريقيا الجنوبية وما شابهها من اقطار ، كما يمنع اعصام المؤتمر الوطنى الافريقى A.N.C. عن مخاطبة الشعب بحرية ، لا لشيء سوى أنهم قد اكتشفوا ان المنصرية والاستقلال يتنافيان وقوانين الطبيعة .

عالمان مختلفان

تقدم الرأسمالية ، إذن ، المال والوقت والتعليم والاجور المرتفعة وشيئا من الحرية لى يتنظر منهم اكتشاف قوانين الطبيعة على النحو الذى يمكن من

الباقى - فى تمويش الامتلاك الذى يصيب العدة والابنية والالات وما الى ذلك من رأس مال ثابت ، وذلك كيما يتم الحفاظ على زاد الزاد الرأسمالى وثروته الاصلية . ويذهب قسم آخر فى الاستهلاك الذى يتمتع به الرأسمالى شمسفصيا ، ويذهب قسم ثالث فى عملية تراكم رأس المال وذلك كله ان كانت حظوظ هذا الرأسمالى ازاء بقية الرأسماليين حظوظا صاعدة ولا تأخرت أصوله وانتهى امره الى الخروج من حلبة التنافس والسقوط الذى يعقبه من طبقة اصحاب العمل وسادة العمال الى طبقة العمال وعيوديتهم . فالرأسمالى يخضع بذلك الى نوعين من الصراع صراع اساسى يدور بينه وبينه وبقيّة أمثاله من الرأسماليين من جهة وبين عماله بشكل خاص وبقيّة العمال بشكل عام من جهة أخرى ، وصراع فرعى يدور بينه وبين اخصامه الرأسماليين أنفسهم . وما من سبيل يمكن له من البقاء او حتى الغلبة فى هذا الصراع الفرعى الا تحقيق المزيد من السيطرة على السوق التى يبيع فيها سلعه بالجوه الى اية وسيلة تقلل من تكاليف الانتاج ، سواء اكان ذلك عن طريق استخدام ثمار العلم ومكتشفات التقنية أو عن طريق اربهاب العمال وتقنين تضامهم ورفع اسعار المنتجات النهائية ، وحفض اسعار المواد الأولية واحداث التضخم النقدي واستخدام جهاز الدولة فى ذلك كله ، ناهيك عن الاستعمار ان كان الرأسمالى يمسك فى نطاق دولة متقدمة ، وما الى ذلك من اسباب .

فاذا أمكن للعلم ان يظهر للرأسمالى كيف يدور معاملته ، يحدد من العمال اقل ، أو كمية من التكاليف اصغر ، ظاهر الرأسمالى العلم وناصره . لأن العلم يؤدى بذلك الى استهلاك كمية من الارياح اعظم . وذلك هو المؤلف النفعى الذى يقوى وراء كل نظرة أو مياينة يتخذها أى رأسمالى يمين بمصلحته ، مسن حيث هو رأسمالى ، تجاه العلم وتقدم العلم ، وانفاق الدولة على سياسة العلم .

وفى مقصور العلم اجزال هذه الخدمة للرأسمالى ، لأن وظيفة العلم ماهى الا اكتشاف القواعد التى تجرى بموجبها الطبيعة ، والظرائق التى تعمل بها عملها ؛ أى اكتشاف ما يسمى بقوانين الطبيعة . فان نحن وفقنا على قوانين الطبيعة هذه ، اتبع لنا الانتفاع بها كى نحقق مآريا من مآرينا . تظهر قوانين الفيزياء ، مثلا ، كيف ينقل المياع الاذاعات ويينها بين المستمعين . كما تسمح لنا قوانين علم الحياة بأن نعرف كيف نزرع المزيد من الغذاء فى حقل من الحقول ، ويدرس الاطباء الطب كيما يقدرون على ابراء الماعلى .

بالعكس • كتب « أنجلز » لذلك يقول :
« إذا توفرت لاجتماع حاجة تقنية ، دفع ذلك
بالعلم الى الامام يأكثر مما تدفع به عشرات
الجامعات » •

فالعلم اذن يتبع الصناعة ، والاشتراكيون
الملميون واحزاب الاشتراكية العلمية علماء
السياسة • وهذا لباب الحقيقة العائلة : بأنهم
وجدت الصناعة وجدت احزاب الاشتراكية العلمية
ولكل من بريطانيا وأستراليا وأفريقيا الجنوبية
وكانخستان حزب ينادى بالاشتراكية العلمية •
لكن حيثما كانت الصناعة ضميمية ندر وجود
الاشتراكيين الملمين ، كما ندر وجود علماء
الطبيعة • وفي كانخستان الاشتراكية عدد من
الطلاب اكبر مما في افريقيا الجنوبية المنصمية ،
بالرغم من أن لهما مستويات متشابهة من الانتاج
الصناعي ومن عدد السكان • ومرد ذلك الى أن
كانخستان تعلم مواطنيها ، الى اقصى حد
مستطاع ، في حين ، يقتصر هذا على بعض القوم
في افريقيا الجنوبية ، مع ابقاء السود ، اما على
مستوى اضعف من التعليم أو بدون تعليم بتاتا •

ولسوف يظهر النماء المقل في كانخستان فوائد
نظامها التربوي والاجتماعي الافضل الذي يقدم
لجميع سكانها مستويات من المعيشة ارفع •

ويظهر الجدول (ص ٧٨) الى اي حد تنف أمم
افريقيا وراء الامم المتحدة وكيف أن لها من
المعلماء وطلاب العلم عددا أقل ، وانها تتفق على
البحث العلمي بكميات اثنى •

حياة أفضل

أهذه مشكلة ياترى ؟ وهل تظن افريقيا شأن بقية
الدول المتخلفة ضميعة الشأن في ميدان العلم ؟ أو
في وسع العلم أن يجعل الحياة أسهل ، مما هي
الآن عليه ، بالقياس الى العمال والمخالفين ؟ أو في
مقدورهم أن ينتجوا انتاجا اكبر بجهد أقل ؟ يظهر
الجدول (ص ٧٩) عدد العمال اللازم للقيام بأعمال
مماثلة في الصناعة والفلاحة على مدى عدد من
السنين •

يعنى هذا التقدم ، في ظل الرأسمالية ، تزايد
عدد العمال العاطلين عن العمل تزايداً دورياً يقع
بين الفينة والفينة على نحو يعمله انعدام التوازن
في نمو العلم والثقافة ، وقدرة الرأسمالي على
الاستفادة من هذا النماء في مجاله الخاص لتحقيق
المزيد من الارباح • كما يعنى ، تزايد العاطلين عن

اعانة الرأسمالية على استغلال جهد الناس
واستثمار أراضيهم وتشغيل الآلات والادوات
والآبنة التي تجتمع فيها جهد العمال في قيم
وحدوث • على أننا ننع هنا على ظاهرة مثيرة
فحيثما حققت الرأسمالية - نمواً - كافياً ، يتجلى
بوجود الكثير من العمال والعمال ، يلقي تشجيع
المعلم الطبيعي ، والبحث في العلوم الطبيعية ، كما
نلقى اضطهاد الاشتراكية العلمية ، وعلم الثورة الذي
ينطوي عليه هذا العلم • لكن حيثما لسم تحط
الرأسمالية بأكثر من معامل قليلة ، وانحصر امرها
في نطاق المواد الأولية ، نجد تشجيع العلم •
طبيعياً كان أم اجتماعياً ، وقد امتنع امتناعاً تاماً
ولئن تيددت مظاهر خداعة من تشجيع العلم ،
وضرة طلابه ، لم يغب عن نظر الثوري المثاقب
اقتصادها على أوليات المعرفة العلمية التي لا
تحمل خطراً ، وقشور البحث العلمى الذي يقتصر
على نواح تطبيقية ضيقة ومحددة لا تهدد مصالح
الاستعمار الجديد ، ولا تهدد القاعدة المادية التي
يستند اليها • وهى ظاهرة لا يصح أن تبقى بلا
درس أو تنبيه •

كان لغانا كلها ، مثلاً ، ٧٧٤ عالماً في طسول
البلاد وعرضها سنة ١٩٦٦ ، وقد انفتحت على
البحث العلمى في ذلك العام ١٥٠٠٠٠ جنيه ،
وكان لها ٥١٢٧ طالباً يدرسون في مختلف
جامعاتها • بينما انفتحت جامعة « بورنجهام » في
انكلترا ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه على البحث العلمى ،
وكان لها ٦٢٤٥ طالباً سنة ١٩٦٩ ، وخرجت ٧٥٧
عالمساً في تلك السنة وحدها • بذلك تركز في
تلك الجامعة الواقعة في قلب انكلترا الصناعي
مجهود علمى اكبر مما يذل في غانا كلها •

ولا يطلب العلم لذاته • يظهر الجدول (ص ٧٨) أنه
حيثما أقيمت معامل كبيرة ، ووجد كثير من عمال
الصناعة ، كثرت الجامعات وكثر الطلاب • تارن ،
مثلاً ، بين بريطانيا ونيجييريا اللتين تتمتعان بحجم
من السكان متشابه • تنتج بريطانيا كمية مسن
الفولان والطاقة الكهربائية كافية لظهار أنها تتمتع
بصناعة كبيرة وعمال كثيرين • وفيها أعداد من
الجامعات والطلاب جد كبيرة • أما نيجييريا فذات
صناعة صغيرة وعدد من الجامعات والطلاب جد
قليل • تارن كذلك بين افريقيا الجنوبية وأستراليا
وموزامبيق وكانخستان (التي تؤلف جزءاً مسن
اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية) وكلها
يخطى بمدد متقارب من السكان فتجد أنه حيثما
كانت الصناعة عظيمة الشأن كان المعلم عظيم
النشان ايضاً • وكثرة طلاب العلم ضرورة والعكس

ان كازخستان جمهورية في الاتحاد السوفياتي . ولقد كان فيها سنة ١٩١٨ ، قبل وصول الثورة الاشتراكية اليه ، اثنان وعشرون شخصا فقط قد اتموا تعليميا عاليا من اصل ستة ملايين نسمة ، ولم يك ثمة فولاذ ينتج ، لكن كان انتاج الكهرباء السنوي ١٢ مليون كيلواط ساعة . وكان ثمة نذر مبصر من النشاط الصناعي . فلما قامت الثورة اتجه الحزب الى ان يعلم الشعب طريقة في الحياة افضل . واليوم تحظى كازخستان بثلاثمائة ألف طالب من اصل اثنتي عشرة مليون نسمة ، اي بزيادة قدرها نحو ٧,٠٠٠ بالمائة ، يدرسون في جامعاتها ومعاهد التعليم العالي فيها ، وثمة ١٨,٠٠٠ عالم يقومون ببحوث علمية في مختلف المجالات ، كما ثبت الصناعة حذاء ذلك على النحوميين في الجدول (أ)

ولقد زاد عدد طلاب التعليم العالي في غنا خلال الخمس عشرة سنة الماضية من ٤ الى ٥٦ في كل مائة ألف نسمة من السكان ، بينما زاد عددها مثل هؤلاء الطلاب في كازخستان خلال الخمس عشرة سنة التي اعقبت الثورة من ١٣ الى ٢٥٠ في كل مائة ألف نسمة (ارتفع مجموع امثال هؤلاء في مطلع الحقبة المذكورة الى نحو ألف طالب لو اقل قليلا بمجرد وصول الثورة الى كازخستان) . وبينما استغرقت الولايات المتحدة ٤٥ سنة (من حوالي ١٩١٠ الى ١٩٥٥) لزيادة عدد طلاب التعليم العالي فيها من ٥٠٠ الى ٢٦٠٠ طالب في كل مائة ألف وحدة من السكان انجزت كازخستان ذلك في غضون ٢٥ سنة (من ١٩٤٠ الى ١٩٦٥) .

من الواضح ان انه بالإضافة الى المنافع الاخرى الناشئة عن الاخذ بالطريق الاشتراكي فان السبيل الذي اتبعته الاقطار الاشتراكية يحتاج الى دراسة فائقة الدقة شديدة العناية كما يحتاج الى ملامحة مع ظروف افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في مراحل نموها التاريخية المختلفة .

وقد يكون من المفيد ارسال البعث الى البلاد الاشتراكية ، لكن سوف يظل هذا المعوثن الى هذه البلاد قليلا بحيث لا يسمح لافريقيا بقاعدة علمية كافية تمكنها من النهوض السريع . فلابد ان من توسيع الصناعة فيها توسيعا سريعا لتوفير الأساس اللازم لنماء العلوم والحاجة الى العلوم . وكيف تتوسع الصناعة بدون نشر علم الاشتراكية وحشد اقصى الطاقات المتوفرة لزيادة سلطة العمال العمالية التنظيمية الفعالة .

العمل تضاييد مطلقا على مر السنين . لكنه يعني ، في ظل الاشتراكية ، المزيد من أيام الراحة والاستجمام ، بأجر كامل ، واستخدام لجميع الطاقات أيضا تام . وذلك على ما يتيح التخطيط الاشتراكي القائم على المبادئ الاشتراكية العلمية . ونمو العلوم متوازنا ، موجهة في صالح المجتمع ككل ، لا في صالح فريق منه يسمى وراء الرئح على حساب الآخرين . وشتان بين تقدم ارجح مثوه بطيء ، وبين تقدم متوازن صحي سريع . شتان بين عمال عاطلين عن العمل وعمال يتمتعون بالعمل ، لهذا كان من الضروري ان تنشأ حاجة الى تحقيق المزيد من العلم الحقيقي الفعال ، اي المزيد من العلم (علم قوانين الطبيعة) ومن (علم قوانين المجتمع) ، ومن (تنظيم المجتمع وتنظيم قوى الطبيعة في صالح كل المجتمع) .

ولا يكفي الحصول على المزيد من الجامعات كما يتوهم بعض الاقطار المستقلة حديثا شأن نيجيريا واوغندا ومالاي . يظهر الجدول (ص ٧٩) ان مدرسي الجامعات ، في هذه البلدان ، يأتون من اقطار تقع خارج افريقيا . ومن الاقطار الرأسمالية بصسورة رئيسية . وان قليلا من المدرسين قد تلقى تعليمه في الوطن ، حتى في الاقطار التي تمتعت بجامعات قديمة الانشاء نوعا نمو « مكيرير » MAKERERE مثلا . لكن معظم المدرسين في إنجلترا أو افريقيا الجنوبية انما يأتون من المواطن الاصلية لجامعات هذه البلدان حتى في الجامعات الجديدة . وممن الضروري ان نعلم بان يتعلم أطفالنا ، على ايدينا وايدى اصدقائنا ، لا على ايدي اعدائنا الرأسماليين الامبرياليين . ففي مجال البحث في قوانين الطبيعة لا نحظى الا بفتات الموائد ، وفي مجال قوانين المجتمع لا يقدم لنا الا الاسلحة الايديولوجية المعدة للارتداد الى صدورنا ، نحن بالذات أيضا . فلا غرابة ان ان يمتنع الاستاذ « ز . ك . ماثيوز » وكثير سواء في افريقيا الجنوبية من تعليم الشعب الافريقي ، وان يجري تبديلهم بمدرسين بيض ، أو بأخرين ، ممن يتفقون « والابارتيد » ، فلسفة الحكم الانفصالي السائدة هناك . ولا غرابة ان يطرح من جسد « ثشرنثيسكي » القديم : ما العمل ؟

والعلم ان نرى الى اصدقائنا ، ان نحذو حذو الاقطار التي يجري فيها تشجيع العلوم كلها وتشجيع هذه العلوم في خدمة الملايين ، ان ننظر بفكر مفتوح الى خبرات الاتحاد السوفياتي وبلغاريا وسواها من اقطار اشتراكية .

٥ - لتتفرس أثاث لثبات وماركس وأنجلز مولدات
منهج الاشتراكية العلمية في الدرس والتحليل
والتطبيق .

٦ - لما الإخطاء التي يتعين علينا تجنبها هي :

١ - لنتمتع عن استيراد العلم والملمس من
العالم الرأسمالي .

٢ - لنكف عن اتفاق ملايين من الاموال على
الجامعات التي تعلم حفنة صغيرة من العلماء
المختصين بميادين معينة قد رضى الاستثمار لنا بأن
نقبل عليها .

٣ - لنجنب فصل العلم ، (قوانين الطبيعة)
عن علم (قوانين المجتمع) .

٤ - العلم بلا صناعة كالشجر بلا ثمر .

تحقيق بنا أن الحقيقة بأن المهمة شاقة لكن في
الوسع إنجازها ، ولا مندوحة من أن يكون الطريق
السهل مسلكا - حتى في الأرجاء التي هي طبقة
عمالية جد صغيرة وعدد من الاشتراكيين العلميين
جد قليل - اذا ، اقيمت صلات وثيقة بعامل الاوطان
الاشتراكية .

خلاصة القول أن أسس التقدم الى الامام خمسة :

١ - لناخذ بالطريق الاشتراكي .
٢ - لنقيم المرى الوقتي بحمال العالم وخاصة
عمال الاقطار الاشتراكية .

٣ - لننمي الصناعة ولننشد تخرصات الاستثمار
والرجعية عن قدرتنا على التصنيع .

٤ - لنعلم العلوم الطبيعية للشعب كل الشعب
جميعا .

الجدول ٣ : ١

القطر	انتاج الحديد والقود بملايين الانسان	انتاج السكرية بملايين الكيلو واط الصافي	عدد السكان المام بملايين النسبة	عدد الجامعات	عدد طلاب الجامعات
بريطانيا	٣٦٠	٢٤٥٠٠	٥٤	٤٢	١٨٤٠٠٠
اسرائيل	٦٠	٢١٠٠٠	١٢	١٤	١٠٠٠٠٠
ايرلندا الجنوبية	٣٤	٢٢٠٠	١٨	١٤	٤٢٠٠٠
نيجييريا	٢٠	٤٢٠	٦١	٥	٨٠٠٠
إندونيسيا	٢٠	٢٢٠٠	٢٢	٦	١٤٠٠٠٠
إيرلندا	٥٠	٠	٣	١	١٢٠
مولديفيل	٥٠	١٥٠	١٥	٠	٠
كازخستان	٢٠	٢١٠٠٠	١٢	٢٦	١١٥٠٠٠

(١ . ١ . ١ . ١ . ١ . ١)

مصدر الإحصاءات اطلس أوكسفورد الاقتصادي ١٩٦٥ ، الكتاب السنوي لجامعات رابطة التسعوي البريطانية
١٩٦٨ ، كتاب السياسى السنوى ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .

الجدول ٣ : ب

(١ . ١ . ١ . ١ . ١ . ١)

القطر	عدد العلماء	عدد طلاب العلوم	أثاق الفلق على البحث والتماء بملايين الجنيهات
بريطانيا	٣٩٠٠	١٦٧٠	١٦
نيجييريا	٦٥	١٠	١٠
سكندا	٦٤٠	٩٧	٩
برتسوانا	٢٠٥	٤٩	٤
رواندا	٧٠	٨٢	٢
شعاريا	١٩٦٠٠	٢٦٢٦	١

مصدر الإحصاءات كتاب اليونسكو السنوى

الجدول ٢٠

عدد العمال الذين يقوم بعمل من الاعمال في الولايات المتحدة الأمريكية (١)	في الصناعة	في النقل
خلال سنوات ١٩٢٠ - ١٩٢٠	١٠٠	١٠٠
خلال سنوات ١٩٢٠ - ١٩٢٠	٧٥	٨٨
خلال سنوات ١٩٢٠ - ١٩٢٠	٦٠	٦٦
خلال سنوات ١٩٢٠ - ١٩٢٠	٤٨	٤٠

مصدر الإحصاءات : مجلة المسالم Scientific World
[وهي مجلة الاتحاد العالمي للعمال المستغلين بالعلم] العدد ٥ من المجلد ١٤ سنة ١٩٧٠ م

الجدول ٢١

القطر	الجامعة	عدد الطلاب	سنة تسييس الجامعة	عدد المؤلفين حملة الشهادات من الوطن أخرى
المملكة المتحدة	برمنغهم	١٢٠٠	١٨٨٠	١٠
المملكة المتحدة	أكسفورد	٣٧٠٠	١٢٠٠	١٢
المملكة المتحدة	بات	٥٠٠	١٩٦٦	٤
أفريقيا الجنوبية	كيپ تاون	٨٠٠	١٨٢٩	١٧
أفريقيا الجنوبية	بريتوريا	١٦٠٠	١٩١٠	٦
نيجيريا	غيدان	٦٠٠	١٩٤٨	٥٢
ملاوي	ملاوي	٢٠٠	١٩٦٤	٢٤
أوغندا	مكيوين	٢٠٠	١٩٢٢	٢٤

مصدر الإحصاءات : أطلس أكسفورد الاقتصادي ١٩٦٥ : السكاني السنوي لجامعات وإيطا الشيسوب البريطانية
١٩٦٨ : كتاب السياسات السنوي ١٩٦٨ : ١٩٦٨

مضمون العلاقات الاقتصادية والتجارية

بين

الاتحاد السوفيتي

والولايات المتحدة

حمدي عبدالجوان

وسعه الحد من العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وانما حاول ان يفرض ذلك على حلفائه ، لكن منذ محادثات القمة التي جرت في مايو من العام الماضي بين الزعماء السوفيت والرئيس نيكسون في موسكو ، والتي كانت نقطة تحول في العلاقات بين البلدين ، حدث تقدم هام في عدد من المسائل الهامة المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية والتجارية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

وكما هو معروف فقد تم الاتفاق في محادثات القمة في موسكو على « المبادئ الأساسية للعلاقات المتبادلة بين البلدين » ، وليس هناك من شك في ان تلك الوثيقة التي وقعها كل من ريخنفيلد ونيكسون ، تمثل أهمية كبيرة في انفتاح العلاقات بين البلدين بشكل عام وفي عودة العلاقات الاقتصادية والتجارية على وجه الخصوص الى حالتها الطبيعية ، وتنص المادة الاولى من هذه الوثيقة على ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة « ستنطلقان من تصميمهما المشترك على انه في العصر النووي ليس هناك من بديل لبناء

الفترة الأخيرة تغيرات على جانب كبير من الأهمية في العلاقات الدولية ، كان من أبرزها تسوية المشاكل التي خلفتها الحرب العالمية الثانية . وتشير تلك التغيرات الى تحول واضح ومتزايد من الحرب الباردة التي سادت العلاقات الدولية لأكثر من ربع قرن ، الى علاقات تقوم على مبادئ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وعلى تخفيف حدة التوتر الدولي وتطوير التعاون ذي المنفعة المتبادلة .

وتجبر حقائق المرحلة الحسابية من تطور العلاقات الدولية ، الدول الرأسمالية الرئيسية على تغيير موقفها من التجارة مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ، وإلى التخلي عن سياسة فرض القيود وإجراءات التمييز السابقة . وتجد هذه التغييرات تعبيراً لها كذلك في موقف أقوى البلدان الرأسمالية وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد كان هذا البلد حتى وقت قريب لا يبذل محسب كل مافي

علاقتهاً أكتفياً على أساس التماثل السلبي ،
والخلافاً في الإيديولوجية والنظية الاجتماعية
بين البلدين ليست عقبة أمام تطور العلاقات
المالية بينهما والثابتة على مبدأ السيادة
والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية
والمنفعة المتبادلة .

كما تشير المادة السابعة من هذه الوثيقة إلى
« أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة
يعتبران الصلات الاقتصادية والتجارية مقصرا
ضروريا هاما في تدعيم علاقاتهما المتبادلة ، ولذلك
فلهما سعيان بنشاط من أجل نمو هذه الصلات
وسيسهلان التعاون بين الهيئات والمؤسسات
والمنية في كلا البلدين ، وكذلك توقيع الاتفاقيات
والعقود المناسبة » .

أسباب تلك التغيرات

وتعارض هذه التغيرات مع الاتجاهات التي
سادت سياسة الولايات المتحدة خلال ربع القرن
الآخر . وذلك يدفعنا بالضرورة إلى التساؤل
عن سبب ذلك التغير في موقف الولايات المتحدة
الأمريكية .

يجب أن نشير في المحل الأول إلى أن الموقف
الجديد للولايات المتحدة كان النتيجة المنطقية
للتغيرات الموضوعية التي شهدتها العالم في الفترة
الآخيرة .

إن أحد السمات الرئيسية التي تميز الوضع
الدولي اليوم ، بما في ذلك مجال العلاقات
الاقتصادية الدولية ، تكمن في أن الإمبريالية
مجبرة على أن تكيف نفسها مع الظروف الجديدة
ظروف تطور الصراع بين التطلعين العالميين ،
تلك الظروف التي تجد فيها نفسها في مواجهة
تعاظم قوة الاشتراكية ، وانهيار النظام
الاستعماري للإمبريالية والهجوم الواسع النطاق
لحركة الطبقة العاملة العالمية ، ويستطيع المرء
أن يقول إن السبب الرئيسي لتغيير موقف
الولايات المتحدة فيما يخص بمسائل التجارة
والصلات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي إنما
يرجع إلى الأساس إلى التغيرات التاريخية في
الجال الدولي ، التي كانت نتيجة مباشرة لتأثير
العوامل الثلاث البارزة في عصرنا - الاشتراكية
العالمية وحركة الطبقة العاملة العالمية وحركة
التحرر الوطني .

إن التطور السريع للأجائيات الاقتصادية
والصلات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتي
وبلدان المعسكر الاشتراكي بشكل عام ، قد

أنتع العناصر البعيدة النفل في الولايات المتحدة
بان سياسة مرض القيود على التجارة مع البلدان
الاشتراكية لم تؤد إلى الشار التي كانت ترجوها
البلدان الرأسمالية التي فرضت تلك القيود .
وقد أكد ذلك كل تطور الأحداث في سنوات ما بعد
الحرب المالية الثانية وبشكل خاص مع أوأخر
الخمسينات وما بعدها مما دفع كثير من الدوائر
الأمريكية إلى إعادة النظر في تلك السياسة .

لقد حرمت الولايات المتحدة في وقت من
الأوقات تصدير الآلات إلى الاتحاد السوفيتي
نهائيا . غير أن الاتحاد السوفيتي اليوم لا يسد
حاجته لمعظم من مختلف أنواع الآلات والإجهزة
وعلى أساس الإنتاج المحلي ، ولكنه تطور كذلك
إلى مصدر رئيسي في علنا لكل تلك المنتجات .
وكان محروما أيضا تصدير سلع مثل التلس
والماس ، وغيرها من السلع إلى الاتحاد السوفيتي
غير أن الاتحاد السوفيتي لم يعد اليوم قادرا على
سد احتياجاته في التماس لحسب ولكنه يصدره
إلى البلدان الرأسمالية المتطورة ، كما أصبح
مصدرا رئيسيا للماس كذلك .

وبفضل التمساحات التي سجلها التطور
الاقتصادي للاتحاد السوفيتي ، وبفضل سياسة
الافتتاح في علاقاته الدولية التي اتبناها منذ
أواخر الخمسينات ، بدأت الغالبية العظمى ،
من الدول الرأسمالية المتطورة في تطوير علاقاتها
التجارية الطبيعية معه ، كما بدأت تعاونها معه
في مجالات العلم والتكنولوجيا وفي الشؤون
المالية والتقنية ، ومنحت الاتحاد السوفيتي
قروضا طويلة الأجل وبشروط مريحة للطرفين
وكان معنى تلك التطورات ، عزلة الولايات المتحدة
دون سواها من البلدان الرأسمالية المتطورة عن
سوق الاتحاد السوفيتي وأسواق البلدان
الاشتراكية الأخرى ، الأمر الذي حدث خلال
العقد الماضي .

وأخيرا ، وكما أشار تقرير نيكسون إلى
التكونجرس في مجلس الماضي ، فإن الولايات
المتحدة بدأت تترك ، أكثر وأكثر ، أنها خسرت
مواقمها الاحتكارية للأسواق المالية ، وللجالات
المالية والتقنية ، وادركت الصعوبات الناجمة
عن المعجز في ميزان المدفوعات ، ومشكلة
البطالة التي لا تجد حلا ، والنقص المتزايد في
المواد الخام ، والنتائج المريعة لتعاظم المنافسة بين
بلدان العالم الرأسمالي .

وبالمقارنة مع ذلك تبدو نجاسات البلدان
الاشتراكية ذات أثر بالغ . فتدعيم قوتها
الاقتصادية ، ونمو الإنتاج المطرد ، والإدارة

وأنتت مباحثات استأثرت ١٩٧٢ إلى توتبع سلسلة من الاتفاقيات الهامة بين الحكومتين حول التجارة ، وتسوية مشاكل المارة والتأجير ، ونظام تمويل التجارة وتسوية مشاكل الملاحة ، وغيرها من المشاكل ، وقد بينت الممارسة أن تلك الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية تتماشى تماماً مع روح الوثائق التاريخية التي وقعتها زملاء البلدين في مايو ١٩٧٢ .

وأهم الاتفاقيات التي تم توقيعها هي الاتفاقية التجارية التي وقعت في أكتوبر ١٩٧٢ ، والتي تنظم لأول مرة في تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية سلسلة واسعة من المسائل الاقتصادية والتجارية في العلاقات بين البلدين .

ويعتبر تطبيق مبدأ معاملة الدولة الأكثر رعاية من الجانبين من أهم جوانب الاتفاقية التجارية ، ووفقاً لهذا المبدأ لابد وأن يتمتع البلد الذي تتم معه التجارة بنفس الإكفايات والشروط التجارية التي تمنح للشركاء الآخرين ، وسوف يؤدي تطبيق ذلك إلى تخفيض الرسوم على السلع السوفيتية المصدرة إلى الولايات المتحدة من ٥٠ إلى ٧٠٪ وينص الاتفاق على أن يتعهد كل طرف بتشجيع أقالمة العلاقات الاقتصادية والتجارية الفعالة بين الهيئات التجارية والشركات في البلدين على أن يوسع في الاعتراف بالموارد والاحتياجات البعيدة الأذى لكل بلد إلى المواد الخام والمعدات والتكنولوجيا . وهذا مبدأ هام كذلك من وجهة نظر تأمين التطور السريع للتجارة بين البلدين .

وقد وافق الجانبان على أساس تعهدهما بخلق الظروف المواتية لتوسيع الصنقات التجارية على إنشاء بعثة تجارية سوفيتية في واشنطن ومكتب تجاري أمريكي في موسكو ، وكذلك على تقديم المساعدة لتشيط هيئات التجارة الخارجية السوفيتية في الولايات المتحدة ، والشركات الأمريكية في الاتحاد السوفيتي ، وخاصة من طريق فتح مكاتب لهذه الشركات في موسكو ، ويجدر بنا أن نذكر ، في هذه المناسبة أنه يجري إنشاء مركز تجاري بهدف توفير احتياجات ممثلي الشركات الأجنبية ، بما في ذلك الشركات الأمريكية في الاتحاد السوفيتي .

وتتوى الاتفاقية التجارية تقاطع أخرى هامة ستؤدي إلى توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين وتمتص الاتفاقية على رغبة الجانبين في توسيع نطاق التجارة بينهما خلال فترة سريان الاتفاقية وهي ثلاث سنوات إلى ثلاثة أضعاف على الأقل ، بالمقارنة مع السنوات الثلاث السابقة عليها ٦٩ - ١٩٧١ . ويعني ذلك من الناحية العملية أن تمل التجارة عام

المختلة للاقتصاد الذي لا يواجه أي أزمات ، أن كل ذلك يقع حوائر الأعمال في الغرب بأن الاتحاد السوفيتي ، والبلدان الاشتراكية الأخرى يمكن الاعتماد عليها في العلاقات التجارية . وفي ظل تلك الظروف اتضح لكثير من الأمريكيين أن سياسة التجارة الخارجية التي تتبعها حكومتهم نحو الاتحاد السوفيتي بالشكل الذي وضعت به في أعقاب الحرب العالمية الثانية لا تحل بأي حل من المشاكل الحقيقية التي تواجهها الولايات المتحدة ، بل وتكلفها الكثير . وسرعان ماوجد ذلك انعكاسه في تقارير وموقف عدد من المسؤولين في واشنطن . وقد أشار ب. فالينجان أحد مساعدي الرئيس الأمريكي إلى أن تجارة خلفاء الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية بلغت عملاً ثلاثين ضعفاً بالمقارنة مع الولايات المتحدة وخرج من ذلك بأنه قد حان الوقت لتغير الولايات المتحدة موقفها ، وتوسع من تجارتها مع هذه البلدان .

وذكر في الأسباب الرئيسية التي دفعت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة إلى تغيير موقفها من مشكلة التجارة والصلات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، ووضع هذه الأسباب في الاعتبار يكشف أن الأمر يتعلق بموايل موضوعية بعيدة الأثر ، وبأن هناك عوامل أسد أثرا وأكثر قوة من رغبات وقرارات أي حكومة أو طبقة . وذلك هي قوة العلاقات الاقتصادية الدولية التي أجبرت الولايات المتحدة في النهاية على إقامة علاقات تجارية واقتصادية متساوية مع الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الأخيرة .

اتساع الصلات الاقتصادية والتجارية

ماهى الخطوات العملية التي تم اتخاذها اليوم لتأتمتع وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية الطبيعية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ؟

لعبت لجنة التجارة السوفيتية الأمريكية المشتركة التي أنشئت خلال محادثات موسكو في مايو ١٩٧٢ دوراً هاماً في التوصل إلى نتائج هامة في العلاقات التجارية الاقتصادية بين البلدين . ويدخل في صلاحيات تلك اللجنة مناقشة كل المشاكل الاقتصادية والتجارية بين البلدين . وقد عقدت اللجنة دورتين خلال العام الماضي ، ناقشت خلالهما سلسلة من المشاكل ذات الأهمية للجانبين .

١٩٧٢ على الأقل إلى ما يتراوح بين ٥٠٠ - ٦٠٠ مليون دولار سنوياً .

شروط مفيدة للطرفين

وتحتل المسائل الخاصة بالتمويل المتبادل للتجارة والتي تم الاتفاق عليها بين البلدين أهمية كبيرة في تطور العلاقات الاقتصادية السوفيتية الأمريكية ، ولقد وفرت حكومة الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتي التواعد العامة في مجال تمويل الصادرات ووافق الاتحاد السوفيتي بدوره على أن يوفر للشركات الأمريكية تمويلًا مماثلاً أثناء بيع الآلات والمعدات السوفيتية ، كما هو الحال في الصادرات المماثلة إلى البلدان الرأسمالية الصناعية .

وقد وقعت أخيراً في واشنطن اتفاقيات حول عمليات التمويل طويلة الأجل لتشتري هيئات التجارة الخارجية السوفيتية الآلات والمعدات وخاصة لصنع السيارات كما ، ولصناعة البترول وغيرها من الصناعات .

وتصل مجموع المشتريات وفقاً لهذه الاتفاقيات ٢٢٥ مليون دولار . وتعتبر ذلك أول اتفاقيات حكومية حول عمليات الائتمان طويلة الأجل في تاريخ العلاقات الاقتصادية السوفيتية الأمريكية

ومما له دلالة أنه أثناء توقيع تلك الاتفاقيات قال المسؤولون في بنك التصدير والاستيراد الأمريكي الحكومي ، أن يوم التوقيع يوم «تاريخي» بالنسبة للبنك ، وأوضحوا أن البنك بهمارسنه لنفك العمليات الائتمانية قد بدأ يقوم بالرسالة الأساسية التي أنشئ من أجلها ، بناء على مبادرة الرئيس روزفلت ، وهي تمويل التجارة بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي .

ويجدر أن نشير كذلك إلى عدد من الملاحظات الأخرى : مدة القروض لشراء الآلات والمعدات لصانع سيارات كاملة ١٦ عاماً ، وتقدم أكثر من ٥٠ شركة أمريكية كبيرة ومتوسطة الآلات والمعدات ، على أساس القروض ، بينما سيتم تمويل التوريدات بمعيار من بنك الاستيراد والتصدير ، وذلك من قبل أحد البنوك التجارية الكبيرة كبنك «تيسنغ مانهاتن» في نيويورك وغيرها . ومن المفهوم أن يوافق الجانبان على مثل هذه المبادلات متدنياً يقران في التعاون الاقتصادي والتجاري على فترة طويلة ، وعلى ذلك ، فإن العلاقات الائتمانية التي تتركز على مبادئ المنفعة المتبادلة والمساواة التامة لا تؤدي بحسب إلى زيادة تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين

ولكنها تؤدي كذلك إلى تحسين العلاقات الدولية بشكل عام .

ومما بلغت النظر أن الصلات بين هيئات التجارة الخارجية السوفيتية والشركات الأمريكية في ظل الجو الجديد ، قد أوضحت أن التجارة بين البلدين يمكن أن تأخذ أبعاداً كبيرة . فنتيجة للعمل الواسع الذي قامت به حكومتا البلدين لتوفير ظروف أفضل لتطوير العلاقات التجارية المتبادلة زاد تبادل السلع خلال العام الماضي بين البلدين إلى ٥٢٨ مليون روبل مقابل ١٨٤ مليون روبل عام ١٩٧١ .

وعلى أساس العقود التي تم توقيعها أخيراً والعقود الموقعة بين هيئات التجارة الخارجية السوفيتية ورجال الأعمال الأمريكيين ، فإن البلدين سيجدان لهما كثيراً من السلع يمكن أن يبيعاها لبعضهما مصلحة التطور الاقتصادي .

ومن المعروف بشكل عام أن التجارة الخارجية السوفيتية التي تنمو بأطر عام بعد عام ، بلغت ٢٦٠٠٠ مليون روبل ، أو حوالي ٣٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٢ . ولكن نصدح حكماً على معدل التجارة الخارجية السوفيتية نستطيع أن نقول أن دورة البضائع السوفيتية لعام ١٩٧٢ بلغت من حيث الحجم ٢٠ ضعف ما كانت عليه قبل الحرب ، وبمثل هذا التطور ما كان ممكناً لولا مستوى تقدم القوى المنتجة في الاتحاد السوفيتي ، هذا التقدم الذي وفر إمكانيات جديدة نوعياً لتطور العلاقات الاقتصادية الخارجية .

وتتبع السلع السوفيتية بطلب واسع في الأسواق التقليدية للبلدان الاشتراكية والنامية ، وكذلك في أسواق البلدان الرأسمالية المتقدمة صناعات التي يوجد معها شعاون تجاري وعلمي وتكنولوجي واسع بالفعل ، ويوضع مصالح السوق الأمريكية في الاعتبار يمكن للاتحاد السوفيتي أن يزيد من إنتاج سلع للتصدير بهتم بها المشتري الأمريكي .

أشكال جديدة من التعاون

وفي نفس الوقت ، وفي سبيل تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية المتبادلة بين البلدين ، يجب الاستفادة بالإضافة إلى الأشكال التقليدية للتجارة ، من الأشكال الجديدة للعلاقات الاقتصادية المتبادلة من النظامين الاجتماعيين ، وفي هذا المجال توصل الجانبان ، في مؤتمر عقد أخيراً في واشنطن لخاتمة مسائل التجارة السوفيتية الأمريكية ، إلى نتيجة أنه بين أكثر

الطرق البشيرة لتطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين يمكن أن توضع الأشكال التالية في الاعتبار :

● التعاون المتبادل بين الهيئات السوفيتية والشركات والبنوك الأمريكية لتطوير بعض الموارد الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعي والخامات والمعادن غير الحديدية والأخشاب ، وصناعة الورق التي تهتم الشركات الأمريكية باستيرادها .

● استخدام أنماط مختلفة للتعاون في الإنتاج .

● التطوير المشترك للمعدات الانتاجية الحديثة

● تسجيل الاختراعات وبيعها بشكل مشترك

● التعاون المشترك في المشاريع الصناعية في بلد ثالث .

ومن الممكن أن تشارك الهيئات السوفيتية بدورها ، وعلى أساس المعاملة بالمثل ، في إنشاء مؤسسات في الولايات المتحدة في صناعات سجل فيها الاتحاد السوفيتي نجاحات معترف بها عالميا كالمعادن ، الكوك ، الحديد والصلب ، محطات توليد القوى ، خطوط نقل الطاقة الخ » وتنفذ مثل هذه المجمعات الضخمة المفيدة للطرفين سيسرع أساسا تويا لتوسيع التجارة السوفيتية الأمريكية .

ويوجد تعاون من نفس النوع بالفعل في علاقات الاتحاد السوفيتي مع عدد من دول غرب أوروبا . ومن الأمثلة على ذلك الاتفاقيات التي وقعت مع شركات وبنوك من ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا والهند لاستيراد الغاز الطبيعي من الاتحاد السوفيتي ، ولإستيراد الآلات والمعدات والآليات وغيرها من المواد اللازمة لصناعة الغاز السوفيتية وعلى أساس تمويل طويل الأجل . وهذه بعض الأرقام التي توضح نطاق تلك العمليات ، تصل مشتريات الاتحاد السوفيتي من المعدات والمواد اللازمة لصناعة الغاز إلى حوالي ١٥٠ مليون دولار . وسيصل ثمن الغاز المصدر إلى هذه البلدان خلال عشرين عاما إلى ٥٠٠ مليون دولار . ويوضح تحليل تلك العملية أنها مفيدة اقتصاديا للطرفين . وليس هناك من شك في أن تلك الاتفاقيات تساعد التطور الاقتصادي لكلا الجانبين

وكانت الاتفاقيات الخاصة بتوريد المعدات والتعاون الفني في بناء مصنع الصهر « كاستل »

والتي وقعت مع « سوفيغل دزيتل » عام ١٩٧٢ أول مثل لمشاركة الشركات الأمريكية في بناء المؤسسات الصناعية الضخمة في الاقتصاد السوفيتي . وفي أكتوبر ١٩٧٢ وقع عقد لتوريد المعدات لد أنابيب الغاز الضخمة مع شركة كاتربيلر ، كما وقعت عقود مماثلة مع شركات أمريكية أخرى . أن مجموع أذون التصدير التي أعطتها وزارة التجارة الأمريكية للشركات الأمريكية في النصف الثاني من عام ١٩٧١ ، وحده زادت عن ١٠٠٠ مليون دولار .

ويمكن تبين الفائدة المتبادلة ونطاق مثل هذا التعاون ، من الاتفاقيات التي وقعت أخيرا مع شركة أوكسيدنتل بتروليم الأمريكية . فطبقا لهذه الاتفاقية ستشتري الهيئات السوفيتية من الولايات المتحدة ، وعلى أساس تمويل طويل الأجل ، بما قيمته مئات الملايين من الدولارات من المعدات اللازمة لإنتاج كميات كبيرة من الأمونيا والكرباميد ، وبالإضافة إلى ذلك ، فبعد بناء ذلك المجمع سيشتري الاتحاد السوفيتي من أمريكا خلال عشرين عاما مليون طن من حامض السوبر فوسفوريك سنويا لإنتاج الأسمدة الفوسفورية ، وفي مقابل المعدات والحامض سيقوم بتوريد الأمونيا والكرباميد وكوريد البوتاسيوم التي تتوفر الظروف لاتصلها في الاتحاد السوفيتي وتقدر قيمة المجموع الكلي للسلع الداخلة في هذه العملية بما قيمته ٨٠٠ مليون دولار .

وسوف يستفيد الطرفان من هذه الاتفاقية كما تستحصل الزراعة السوفيتية نتيجة لتلقيها على أسمدة إضافية خاصة الأسمدة الفوسفورية ، وستطور قاعدة الصناعة الكيماوية السوفيتية كما تعتبر تلك الاتفاقية دفعة للتجارة السوفيتية الأمريكية . وتستفيد الولايات المتحدة هي الأخرى من الاتفاقية لأنها بدونها كانت ستشتري ماتحاجه من الأسمدة النيتروجينية وغيرها لا من الاتحاد السوفيتي وإنما من بلد آخر دون أن تصدر أسمدتها ، مما سيضر بميزان المخرجات الأمريكي . وقد كتبت مجلة نيوزويك الأمريكية تقول : أن هذا الاتفاق كان لمصلحة البلدين ينتهي الوضوح . أما فيما يخص بهيكل التجارة بين الاقتصاد السوفيتي والولايات المتحدة فمستورد الاتحاد السوفيتي أساسا من الولايات المتحدة ، الآلات والمعدات والمواد الخام المختلفة وكذلك السلع الاستهلاكية . ويهتم البلدان ، في نفس الوقت إلى جانب التعاون في الميدان الاقتصادي والتجاري ، بالتعاون في الميدان العلمي والتكنولوجي ، وقد بدأ توقيع عدد من الاتفاقيات

في ظروف انفراج العلاقات السوفيتية الامريكية
كما تؤيد العناصر البيئية المتطرفة والصهيونية
نفس السياسة المعادية للتعاون السوفيتي
الامريكي .

وليس من قبيل المصادفة ان يكون على رأس
المادين لسياسة التعاون السوفيتي الأمريكي
هــ هــ جاكسون عضو مجلس الشيوخ والوزير
الصلة بالتجمع العسكري الصناعي ، والذي لعب
دورا كبيرا في معارضة التصديق على اتفاقية
الحد من الاسلحة الاستراتيجية ، والسبب في
نفسه يتف اليوم كما تقول واشنطن بوست على
رأس المدافعين عن الحرب الباردة في الكونجرس
وخذ ان يوافق الكونجرس على الاتفاقية التجارية
المعقودة بين البلدين ، ومثل هذه القوى تحاول
استغلال هذه المعارضة لوضع بعض التحفظات
أو الشروط في طريق التعاون السوفيتي الأمريكي
ونشاط مثل هذه العناصر والقوى ، "بشر الدلق
لدى المهتمين بانفراج العلاقات السوفيتية
الامريكية " . حتى لقد حرج وليم روجرز وزير
الخارجية الامريكية ، بأنه اذا ماسادت مثل هذه
القوى السلبية فستؤدي الى انتكاسة خطيرة
لسياسة الولايات المتحدة الخارجية .

وعلى ذلك ، فان آمال تطور العلاقات
الاقتصادية والتجارية بين البلدين في المستقبل
القريب ، انما يتوقف في الحل الاول على
درجة نجاح الدوائر المؤيدة لانفراج العلاقات مع
الاتحاد السوفيتي في التغلب على مقاومة
الدوائر التي ما تزال تثبث بمصلحتها الخاصة
وسياسة الحرب الباردة التي عفا عليها الزمن .
هذا بينما تسبح الظروف الموضوعية الآن
بان تتطور علاقات التماسك بين البلدين ،
وذلك بالتيكبة التي تساعد على زيادة الانفراج
الدولي وصيانة السلام العالي .

للتعاون في هذا المجال بين لجنة الدولة للعلم
والتكنولوجيا بالاتحاد السوفيتي وشركات جنرال
الكهربك وجوى واوكسيد نثال بتروليم .

أنصار التفاهم المتبادل ومعارضوه

ان الصلات بين الشركات الامريكية وهيئات
التجارة الخارجية السوفيتية ، والمبادرات العديدة
والمقترحات التي تقدم بها الجانبان توضح ان
الظروف تتسع لمزيد من التعاون الاقتصادي
والتجاري على اسس طويل المدى .

ولكي يتحقق تقدم سريع في هذا المجال
من الضروري ان تترجم الاتفاقيات التي تم
توقيعها بين البلدين الى واقع عملي في التنفيذ
أي ان تخلق الظروف بالفعل لتطبيق مبدأ الدولة
الاكثر رعاية في العلاقات التجارية بين البلدين
ويطلب ذلك سرعة التصديق على الاتفاقية
التجارية في كلا البلدين ، اذ بدون التصديق على
تلك الاتفاقية لن يتم تنفيذ الاتفاقية الخاصة
بالامارة .

'ولميا يتعلق بموقف الاتحاد السوفيتي فانه
يتحسب لتنفيذ الاتفاقيات لانه يؤمن ان ذلك هو
الخطوة الاولى نحو تدعيم التعاون بين البلدين
وخلق جو سياسي افضل في العلاقات السوفيتية
الامريكية مما يسهل التقدم نحو الانفراج الدولي

لها في الولايات المتحدة ورغم التغيرات الهامة
التي حدثت بعد اجتماع القمة في موسكو . فلا
زال هناك دوائر مهمة تتمسك بالدفاع من
استمرار سياسة الحرب الباردة . وتتركز تلك
الدوائر في التجمع العسكري الصناعي الذي
يرتبط بطليبات الحرب ويخشي على تدهور ارباحه

منغوليا وتجربتها الخاصة

من مجتمع رعوى الى مجتمع اشتراكى

مجدى نصيف

من الاتحاد السوفيتى ، او حتى الالتصاق به ؟
لما اليوم ونتيجة لنمو العالم الاشتراكى وازدياد
نفوذه ، فلم يعد للتأخر الاجتماعى او الاقتصادى
ولا لحجم البلاد ، او حتى لبعدها الكبير جغرافيا
عن الدول الاشتراكية ، أهمية قصوى .

لقد كانت منغوليا قبل الثورة بلدا اقطاعيا
شديد التخلف ، يعمل كل سكانه بالرعى ، وكانت
الثورة الشعبية المنغولية عام ١٩٢١ ، نتيجة حتمية
للتفكك التحررى الطويل الذى خاضه الشعب
المنغولى ضد الاقطاع وضد الاستعمار ، وقد
تحققت هذه الثورة فى ظروف تاريخية جديدة
بالنسبة للعالم ، اذ فشلت ثورة أكتوبر الاشتراكية
فى روسيا مهدا جديدا فى تاريخ البشرية .

لقد اثبتت تجربة التطور غير الراسمالى فى
منغوليا ان القوانين العامة للثورة الاشتراكية
والبناء الاشتراكى ، يسرى منغوليا على البلدان
المتخلفة ذات التركيب الاقتصادية السابقة على

العديد من دول آسيا وافريقيا
بغير الاستعمار ، وعندما تقرا اليوم
ان هذه الدولة او تلك قد اختارت
طريق التطور غير الراسمالى ،

فاننا لا نصاب بالدهشة ، فقد أصبح اختيار ذلك
الطريق اليوم شيئا منطقيا وجزءا عاديا من
التطورات العالمية فى عالم اليوم . ولكن منذ
خمسین عاما كان الموقف مختلفا تمام الاختلاف ،
فالراسمالية فى عنوانها ، والاتحاد السوفيتى
هى البلد الوحيد الذى اختار بثورته الاشتراكية
طريقا جديدا ليطور حياة شعوبه ، والدول
الامبريالية تتدخل محاولة ابقائه ومحاصرته حتى
لا تبدأ مسيرة الاشتراكية وتزحف .

ولكن نظل « تجربة جمهورية منغوليا الشعبية »
من التجارب الاولى التى يجب ان تدرسها شعوب
دول العالم الثالث لاستفيد من خبرتها . فلقد
كان اختيار منغوليا لطريق التطور الراسمالى ،
يستمدى ظروفها خاصة مناسبة ، مثل القرب

المقت

الراسمالية. ولقد أصبحت الاشتراكية فى منغوليا الآن لبرا واقعا ، وفى نفس الوقت تقليل العديد من الدول النامية التى اختارت هذا السبيل مشاكل مشابهة لما واجهته منغوليا، ولهذا السبب فإن خبرة نصف قرن من التطور من الانقطاع الى الاشتراكية عبر طريق التطور غير الراسمالي يمكن أن تكون ذا فائدة كبيرة .

منغوليا قبل الثورة

يبتد تاريخ منغوليا مئات السنين ، ولكن التاريخ الحديث يبدأ بالدولة المنغولية الإقطاعية الموحدة التى تكونت من عدد من الولايات الصغيرة بواسطة اتحادات قبلية فى فجر القرن الثالث عشر . وقد امتدت هذه الوحدة القوية الى نحو قوى المجمع المنتجة ، وأعلن أن الامير تهموجين ممثل طلبة الإقطاعيين البارزة آنذاك هو « الخان الأعظم » للدولة المنغولية الموحدة تحت اسم « جنكيزخان » ، ذلك الوحش الضارى الذى اجتاحت جيوشه « ما وراء النهر » وسهول خوارزم ، وكانت غزواته امصارا مدمرا من خيل مطيرة لاتعرف التعب ، وجند مدرب لايمصرف الكلال ، وسيوف متقولة لاتعرف الرحمة ، وعلى رأسهم ماهلهم ذو الحجة الصراء ، وكلفت تلك حقبة من تاريخ البشرية يعز نظيرها ، فلتحتل الرحاة الى محاربين فى قسوة الطبيعة فى منغوليا التى تركوها مندمعين غربا وجنوبا . فما هى القوة التى المهتمم فجأة ؟ وكيف يظهر فاتح وقاهر نجاة من بين الرعاة البدو الرحل ويجيش الجيوش الحديثة — بمقاييس ذلك الزمن — من لاشيء ، ثم يغزو المدن الكبيرة ويحطم حضارات زاهية ؟ مازال هذا السؤال يحير علماء التاريخ، ولكن على أى الأحوال لقد ادخل جنكيزخان بعض التغييرات الهامة فى ادارة الدولة وبني جيشا جبارا ، وطور الثقافة وخاصة اللغة المنغولية المكتوبة .

ولم تؤد هذه الفتوحات الى شتية القوى المنتجة لمنغوليا ، فلقد ظل الرعى ، وبالتالي البناء الاقتصادي البدائى ، هو السمة الميزة لشكل النشاط الانتاجى ، ولم يتطور المجمع المنغولى رغم هذه الفتوحات والامبراطورية الشاسعة ، ولم يزد من كونه مجتمعا رعويا متخلفا . وإن كانت قد حظيت بطبيعة الحال القوى المنتجة لعددين الدول الاسيوية والاوربية .

وقد استمرت الحروب التى بداها جنكيزخان وواصلها ابنائه ، اربعين عاما ، وأدت الى تدمير الاقتصاد المنغولى التخلف اصلا، لان الايدى العاملة انضوت تحت لواء الجيوش المغولية

الغازية . وسرعان ما بدأت هذه الامبراطورية فى التفتك فى نهاية القرن نفسه ونتيجة للحروب بين « الخانات » . وما أن حلت نهاية القرن الثالث عشر ايضا — وفى عام ١٦٩١ على وجه التحديد،محتى غزا المنشوريين منغوليا واحتلوها فاصبحت منذ ذلك الوقت جزءا من الامبراطورية المنشورية المتخلفة سياسيا واقتصاديا ، وقد ادى هذا الاستعمار الجديد الى مزيد من استغلال منغوليا سياسيا واقتصاديا . وظلت منغوليا تحت سيطرة « المانشو » مايزيد على المائتى عام . وكانت هذه الفترة حاكم الفترات فى تاريخ الشعب المنغولى ، الذى لم يتوقف عن الثورة ضد الغزاة، فقد نهض « الارات » [الرعاة] فى انتفاضات بقيادة الامراء المنغوليين . وكانت النتيجة أن تحررت منغوليا ونشأت مملكة إقطاعية دينية عام ١٩١١ تساندتها روسيا القيصرية . وكان رئيس الدولة هو الرئيس الدينى فى نفس الوقت . واستمر استغلال « الارات » بواسطة الامراء الإقطاعيين المنغوليين وكهنة « اللاما » والنجار الصينيين الذين كانوا يسيطرون على التجار واستمر فى نفس الوقت كفاف الشعب المنغولى وخاصة بعد انتشار افكار ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، حتى قامت ثورة ١٩٢١ بقيادة « حزب الشعب الثورى المنغولى » .

■ فكيف كان التركيب الطبقي للمجتمع المنغولى قبل الثورة ؟

كان الرعى هو حرفة كل الشعب المنغولى ، وكانت تربية الماشية تعتمد فى تربيتها على الظروف المناخية السائدة . وكان الملاك الإقطاعيون هم اكبر مالكي الماشية ادهم كان يملك مثلها يملك الراعى المادى ١٧ مرة من الابقار و٢٧ مرة من الخراف، الماعز و٣٩ مرقع من الجبال ذات السنين و٥٥ مرة من الجباد . وكانت العلاقات الانتاجية فى المجتمع المنغولى الإقطاعى تعتمد على ملكية الامراء الإقطاعيين للأرض كلها ، ولرعى الماشية وملكية ابقان الأرض من « الارات » ولم يكن يسمح للرعاة باستخدام الاراعى الا باذن من الإقطاعى .

ولقد ثارت مناقشات عديدة ومازالت تتورحتى الآن بين علماء الاجتماع عن الملكية وخصائصها فى هذا المجتمع المنغولى الرعوى ، يقول البعض أن أساس الملكية هنا هو رعى الماشية ، بينما يقول البعض الآخر انها الراعى : أى الأرض بينما يضع فريق ثالث الماشية والأرض كعصرين متساويين فى العلاقات الانتاجية . وهناك خاضعية معينة فى ملكية الأرض فى منغوليا ، يجب أن نضعها فى الاعتبار ، فهى لم تكن تستخدم إلا كبراعى ، ولكن ليس معنى هذا انها لم تكن

قيام بعض الحركات الماركسستية-الشيوعية . وفي مارس ١٩٢١ تجسست هذه الحركات في تنظيم واحد هو «حزب الشعب الثوري المنغولي» الذي اسمه «سوخو باتور» البطل الوطني-الاسطوري للشعب المنغولي ، وقد أصبح هذا الحزب هو القوة المهيمنة والمنظمة للثوري ، وقام الحزب بقيادة طبقة «الارات» في كفاحها . وكان الموقف بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢١ معقدا للغاية ، فقد هاجمت الصين أراضي منغوليا بمساعدة العسكرية اليابانية ، وبذلك انتهى عهد منغوليا بالاستقلال الذي لم يدم طويلا . وفي نفس الوقت دخلت فرق الحرس الأبيض مقرابمة من الاتحاد السوفيتي امام الجيش الأحمر . وكانت كل هذه القوات تهاجم المنغوليين وتتهمهم وترقمهم هنا قام «حزب الشعب الثوري» وهو مالزال في بداية تكوينه ، بتنظيم جهايز «الارات» وقيادة الكفاح المسلح ضد هذه الجيوش الأجنبية ، وبدأت الاشتباكات المسلحة للجيش الشعبي الجديد الذي وقف إلى جانبه فرق الجيش الأحمر وتمكنت القوات الثورية من طرد كل قوات الاحتلال عن أراضي منغوليا ، ثم دخلت إلى العاصمة «أورجا» (التي أصبح اسمها أولان باتور) في ١١ يولية ١٩٢١ . وهكذا أصبحت منغوليا أول بلد في الشرق يلقى بنير المستعمر ، وإطاحت في نفس السوكت بحكم القطاعيين ، وبدأت مهمة تطوير هذا المجتمع الرعوي الذي ظل على بدامته قرون عديدة .

لقد كانت ثورة ١٩٢١ نقطة تحول في تاريخ الشعب المنغولي ، الذي حصل لأول مرة على استقلاله الحقيقي وانفصل من النظام الرأسمالي العالمي . وكان أول قرار تتخذه الحكومة الجديدة هو توسيع وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون مع روسيا السوفيتية : لقد كان هذا مسألة حياة أو موت بالنسبة للثورة الوليدة ، ثم بدأت بمعد ذلك في حل المشاكل السياسية والاجتماعية الناجمة عن مهام الثورة المادية للامبريالية وللانقطاع في نفس الوقت .

وقد بدأت الحكومة بتصفية جهاز الدولة القديم فسمت القوانين التي حررت «الأتقان» ، وحررت الارارات من الدين التراكمة عليهم للقطاعيين والشركات والتجار الأجانب والرايين : وفي نفس العام امتت التسليم ومحطلت الكهرباء ومصانع السلاح وخطوط التلغراف والتلفزيون وتحكمت الدولة أيضا في تجارة بعض اسنواع البضائع وأساسا اللحوم ، وقد خلقت كل هذه الإجراءات الظروف لتعميق الثورتين الجهايز .

وقد خاض راس المال الاجبي معارك ضارية دفاعا عن مواقفه ، وهكذا مات بين عامي ١٩٢١ .

أساس الملكية القطاعية . ففي الظروف الخاصة بهذا الاقتصاد «الرعوي» ، كانت الاراضي المملكة في المراعي لانفصل عن الماشية ، بمعنى ان انتاج افلاح ومرعي الماشية يعتمد أساسا على الأرض ، الفارق الوحيد ان الفلاح يأخذ انتاجه من الأرض مباشرة على شكل محاصيل زراعية : أما المراعي فيحصل على انتاجه من الأرض بشكل غير مباشر على شكل اللان ولحوم واصواف .

وبذلك كانت هناك طقتان : طبقة القطاعيين والامراء ثم طبقة «الارات» الذين كانوا لايمتلكون أرضا ، ولكنهم يمتلكون بعض رعوس الماشية التي ترمي في مراعي القطاعيين بعد اذن خاص وتظير مقابل يحصلون عليه . وكان هؤلاء «الارات» يوعون تحت أعباء ثقيلة ، ليس القطاعيين فقط ، بل كان معظم التجار الأجانب والرايين يقرضونهم بل وكثروا يقرضون القطاعيين الذين يحاولون تسديدها بقرض ضرائب على «الارات» . وهكذا افنتي الجييم على حساب «الارات» ، ولذلك كانوا هم جهايز كل الانتفاضات الثورية .

وكان هناك في منغوليا فئة أخرى لها تأثير كبير على تاريخ منغوليا وكانت مصالحها متشابهة تشاكا تايماح طبقة القطاعيين . هذه الفئة هي كهنة «الاما» ، كانت هذه الفئة تشكل جهازا عظيميا كاد يصل عدده الى مائة الف من الكهنة ، فقد كان اجباريا ان يصبح الابن الاكبر في كل عائلة راهبا بوذيا ، بينما كان بقية السكان لايزيد عددهم عن ٦٠٠ الف . وكان لهذا الجيش من الكهنة تأثيره على تطور المجتمع المنغولي وابقائه على هذا التخلف الشديد : على سبيل المثال فان منغوليا بلد غني بأرضه وثرواته ومع ذلك فقد كان الكهنة يحرمون فلاحه الأرض أو البحث عن الخبايا المعدنية ، وهكذا لم تعرف منغوليا الزراعة رغم وجود الاراضي الشاسعة الصالحة للزراعة . وحرموا كذلك توزيع الأرض ، وكانت بحيران منغوليا وانهارها توج باتواع عديدة من الاسماك ولكن كان صيدها محرما . وكان كهنة الاما ايضا هم الاطباء والدرسون والذين يقررون الزواج والطلاق لمعرفتهم بالنجوم . وتأكدت سلطة الكهنة بعد ثورة ١٩١١ حيث كان رئيس الدولة هو رئيس الكهنة .

ثورة أكتوبر وثورة منغوليا

وفي أكتوبر ١٩١٧ قامت ثورة أكتوبر في روسيا التي تجاور منغوليا ، فكان لانتشار افكارها تأثيرا ثوريا على تطور حركة التحرر الوطني بشكل عام ، وقد وجدت هذه الافكار تربة خصبة في الأرض المنغولية ، مما أدى إلى

تتويج قوة الانفصاليين وإزاحة كل التجانس الفرديين تقريبا وإغلاق الطريق أمام العناصر الرأسمالية ، وبهذا أغلقت كل الطرق أمام طريق التطور الرأسمالي الى الابد .

منغوليا وطريق التطور

غير الرأسمالي

وكان « حزب الشعب الثوري المنغولي » قد عقد مؤتمره الثالث عام ١٩٢٤ لمناقشة الطريق الذي يجب أن تسلكه البلاد لتطوير مجتمعا . وكان قانون التطور غير الرأسمالي في البلاد المتخلفة تدبأ تطبيقه لأول مرة في المناطق المتخلفة من الاقتصاد السوفيتي في كازاخستان وبعض المناطق المجاورة ، على أساس أن طريق التطور غير الرأسمالي هو جزء من العملية الثورية العالمية ، وعلى أنه مرحلة انتقالية في البلاد المتخلفة ، من علاقات ما قبل الرأسمالية الى الاشتراكية .

وحارب « حزب الشعب الثوري المنغولي » ما حكومته أولئك الذين حاولوا توجيه البلاد نحو الرأسمالية ، وفي نفس الوقت حارب أولئك الذين حاولوا « الإسراع بالثورة » عن طريق العنف ، وغرض الكوميونات الزراعية والمزارع الجماعية ، حين لم تكن الظروف الموضوعية قد نضجت بعدا لئلا هذه الاجراءات .

لقد قدم **ملركس** و**إنجلز** نظرية إمكانية انتصار البلدان المتحررة حديثا الى الاشتراكية متخطية الرأسمالية ، وربما هذه العملية بشكل مباشر بالثورة البروليتارية الاشتراكية في البلاد الصناعية المتطورة وبمساعدة الطبقة العاملة في البلاد المتخلفة أيضا . وكذا « أن أي أمة لا يمكنها أن تتخطى أي مرحلة من مراحل التطور الطبيعي أو تلغيا ببراسميج » . ولكن البلدان المتخلفة تستطيع اختصار عملية التطور اذا تخطت بلدان صناعية متطورة النظام الرأسمالي « بمعنى أن تستخدم القوى الصناعية المتسامرة كعكسية اجتماعية للمجتمع العالمي بأسره » .

وعندما طور لينين الماركسية في عصر الامبريالية ، طور أيضا البرنامج العملي لانتصار الاشتراكية في البلدان المتخلفة وقال في المؤتمر الثاني للدولية الشيوعية :

« هل يمكن أن نقبل الزعم بأن مرحلة الرأسمالية في تطور الاقتصاد القومي مرحلة حتمية بالنسبة لكل الشعوب المتخلفة التي تحرروا نفسها والتي تخطو أولى خطواتها في طريق

١٩٢٤ ازداد عدد المؤسسات الأجنبية التي انتجت في منغوليا وازداد عددها من خمسة بريطانية وأمريكية ٨٦٣ صينية في عام ١٩٢٢ الى ٦٢ بريطانية وأمريكية و ١٩٤٢ صينية في عام ١٩٢٤ . وبهذا كان لا بد من البدء في التفتيش على رأس المال التجاري الأجنبي ومحاصرتها إذ وقف عقبة أمام تطور القوى المنتجة ، ولم تكن هذه المعركة ممكنة قبلا ، ولكن اعتمادا على المساندة النشطة من الفلاحين الفقراء والمتوسطين الذين استفادوا من الاجراءات الاجتماعية عوجاء ذلك بإعلان الجمهورية وإقرار أول دستور ديموقراطي حرم الاتعاطيين من حقوقهم السياسية ومنح الشعب الكادح حق الانتخاب وثبت « الخورالات » للحمل والفلاحين بوصفها الأساس للنظام الجديد ، وهي المجالس القبلية للسوفييتات في الاتحاد السوفيتي - وإلى جانب هذا قام اتحاد الشبيبة الثوري والفتيات والمنظمات الأخرى التي انشئت تحت قيادة الحزب بدور كبير في اشراك الجماهير لتحقيق التحولات الديموقراطية الثورية .

وهنا لا بد من ذكر نقطة هامة ، وهي ان الإعداد للثورة المعادية للاقطاع قد استمر سنوات طويلة قضى فيها على العلاقات الإقطاعية على مراحل مما كان يمكن مصادرة ثروات الإقطاعيين الرئيسية ومواسيهم وتوزيعها على فقراء الرعاة وتأميم المراعي الا بعد اعدادهم للثورة المدنية للاقطاع ، ولم تبدأ هذه الإصلاحات الا عام ١٩٢٩ بينما لم يقض على الحكم الكهنوتي الا فيما بعد في عام ١٩٣٩ .

ولكن الشيء الأساسي ان السلطة أصبحت أساسها سلسلة من المجالس الكبيرة والصغيرة والمحلية ، وهي « الخورالات » . فقد كان « حزب الشعب الثوري المنغولي » في أساسه حزب فلاحين بنى الماركسية اللينينية كأساس ايدولوجي ، ومع نمو الطبقة العاملة المحلية تغير التركيب الاجتماعي لهذا الحزب وأصبح حزب عمال وفلاحين ، وفي عام ١٩٢٤ على سبيل المثال كان فقراء الرعاة يمثلون ٢/٣ أعضاء الحزب بينما العمال والموظفون والحرثيون يشكلون الثلث الباقي .

ولقد بدأت الدولة في توطيد دعائم استقلالها الاقتصادي ، فبدأت باحتكار التجارة الخارجية وتنظيم التعاون الاستهلاكي واتشأت البنك المركزي ، وبذلك أمكنها أن تقيم نظاما ماليا وتجاريا بعمونة الاتحاد السوفيتي ، وليكنها أيضا أن تنسج عبئها الوطنية وان تدفع الى الامم بالقطاع الحكومي والمواصلات ، وقد أدت سيطرة الدولة على المواقع الأساسية في الاقتصاد الى

التي كانت تستأددة عام ١٩٢٤ ؟ في ذلك الوقت لم يكن في منغوليا أية صناعة وبالتالي لم تكن هناك طبقة عاملة ، وكان المجتمع رعويا مغلظا لا يعتمد الا على تربية الماشية ، بينما كان الشعب في معظمه أميا .

لقد اعتمد الحزب على ثلاث عناصر أساسية :
أولا : قيادة « حزب الشعب الثوري » لطريق التطور غير الرأسمالي .

ثانياً : وجود سلطة الشعب الديمقراطية ممثلة في « الخورالات » .

ثالثاً : دعم الحركة الاشتراكية العمالية وإسنادها المساعدة الأخوية للاقتصاد السوفيتي الذي يتناغم حدود منغوليا .

مرحلة البناء الاشتراكي

وما إن حل عام ١٩٤٠ حتى كان الشعب المنغولي — وبمساعدة الاتحاد السوفيتي — قد أسس اقتصاداً وطنياً مستبهماً كل أنواع الاستغلال ، يعتمد على تربية الماشية بواسطة سفار المرين الذين وزعت عليهم الماشية . وفي نفس الوقت كان القطاع الحكومي قد أخذ يتسع ويعمل في مجالات مختلفة بعد أن أصبح هو القوة الموجهة للاقتصاد كله .

وفي هذا العام عقد « حزب الشعب الثوري » مؤتمره العاشر ، وقرر برنامج البناء الاشتراكي . لقد خلق هزيمة الغاشية الألمانية والعسكرية اليابانية ، ونشأة النظام الاشتراكي العمالي ، وتغير ميزان القوى بين الاشتراكية والرأسمالية خلق الظروف الملائمة لبناء الاشتراكية . وكما ينص دستور عام ١٩٤٠ « أن جمهورية الشعب المنغولية دولة مستقلة للشعب العامل (الرعاة والمهمل والخبراء) قضت على القهر الامبريالي والافطاعي ، وتكفل تطور البلاد غير الرأسمالي من أجل الانتقال الى الاشتراكية » .

والآن بعد أن أصبحت علاقات الإنتاج اشتراكية وأصبحت منغوليا دولة زراعية — صناعية — بها طبقة عاملة منظمة وقائدة وطبقة الفلاحين التعاونيين الى جانب المثقفين ، وبعد أن أصبحت الابديولوجية الاشتراكية هي أساس حياة الشعب المنغولي الروحية ، علينا أن نوضح خبرة منغوليا في طريق التطور غير الرأسمالي بعد أن نجحت في القضاء على التخلف الاقتصادي والثقافي والاجتماعي .

التقدم ؟ الاجابة على هذا السؤال بالثني « . وأكد أن البلدان الاقل تطوراً تستطيع بمعونة بروتيتاريا البلدان المتقدمة أن تصل الى الاشتراكية » . « يتخطى مرحلة التطور الرأسمالي » .

وثبتت تجربة منغوليا أن طريق التطور غير الرأسمالي وطريق التطور الاشتراكي هما نفس الهدف ، واتجاه مشترك في العمليات الاجتماعية والاقتصادية ، الفارق الوحيد هو أن طريق التطور غير الرأسمالي يمر عبر عدد من المراحل الوسيطة ، والنسب الاسلسي في ذلك أنه لم يكن هناك طبقة عاملة ، ولا طبقة بورجوازية .

وهنا يجب أن نذكر أن التطور غير الرأسمالي في البلاد المختلفة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور حركة التحرر الوطني فيها وتطور ثوراتها الوطنية الديمقراطية الى ثورات اشتراكية ، فهذان جانبان لعملية واحدة . فالتطور غير الرأسمالي هو في أساسه عملية ثورية من التطور المتسارع التدريجي لثورة التحرر الوطني الى ثورة اشتراكية ، وتشمل هذه العملية عدة مراحل وسيطة من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي حيث تحل مشاكل السلطة السياسية وطبعتها الطبقية ، والمشاكل الديمقراطية العامة ومهام التربية الابديولوجية والثقافية خلال اشكال انتفالية وليس بشكل مباشر . ويتوقف معدل الانتقال من علاقات ما قبل الرأسمالية الى العلاقات الاشتراكية في البلدان المختلفة على مستوى التطور الاقتصادي وحدة التناقضات الطبقية ، فكلما زاد تطور الصناعة وبالتالي ارتفعت نسبة الطبقة العاملة الى مجموع السكان ، ازدادت سرعة التحول وجذريته .

ولقد تميزت كل اجراءات تحويل علاقات ما قبل الرأسمالية في منغوليا بدراسة دعوية للتقاليد والعادات القومية ، واستخدمها « حزب الشعب الثوري المنغولي » لجذب مجموع السكان للنشاط السياسي ، ويلاحظ أن معدل تحول هذه العلاقات ابداً ما يكون بين الرعاة الرحل الذين كانوا يكونون كل سكان منغوليا ، حيث استلزم الامر عدداً من الاجراءات الإضافية ، إذ أن هذه العملية تتطلب أولاً استقرار الرعاة وضرورة العمل الثروي والتنظيمي بينهم على اوسع نطاق . ولكن لا يجب أن ننسى أن التحولات السياسية التي حدثت بالثورة وما بعدها ، كان لها اليد الطولى على الاصلاحات الاقتصادية ، إذ كفلت تطبيقها بشكل فعال .

ما هو الاساس الواقعي لاختيار « حزب الشعب الثوري المنغولي » طريق التطور غير الرأسمالي في الظروف الداخلية والعالية الصمية

ان تطلون منقوليا في هذا الطريق يشمل

اولا : في المجال السياسي :

دمجت منقوليا كل القوى الوطنية والتقدمية بعد الاستيلاء على السلطة ، ولبعدت كل العناصر الرجعية عن سلطة الدولة وعزلتها سياسيا .
وتقوى « حزب الشعب الثوري المنقولي » ، وأصبح حزبا ذا خبرة من خلال النضال السياسي ومن خلال ارتباطه بجمهير « الارات » الفقراء ، واسترشد بنظرية الاشتراكية العلمية ، ومقرط الحياة الاجتماعية والسياسية فومع بذلك من مساهمة الشعب من خلال « الفورات » في ادارة الدولة وفي الانتاج ، واستخدم السلطة السياسية لاجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية محدد .

ثانيا : في المجال الاقتصادي :

القضاء على سيطرة راس المال الاجنبي على اقتصاد البلاد ، والقضاء على علاقات ما قبل الرأسمالية بالفناء الاشكال المتخلفة مثل الفئانة وتطبيق اصلاحات زراعية جذرية لصالح فقراء « الارات » ، وتطوير مختلف اشكال التعاون في كل من التجارة والانتاج ، واقامة قطاع الدولة وتوسيعه ، والاسراع بتطوير الصناعة وتقنيده نشاط راس المال الخاص .

ثالثا : في الميدان الاجتماعي :

جذب الشعب العامل الى الحياة الاجتماعية والسياسة النشطة ، وتطوير الطبقة العاملة وتربيتها واعدادها لقيادة سائر قطاعات الشعب العامل ، واعداد هذه الطبقات لقبول قيادة الطبقة العاملة ، والتحسين المستمر لظروف معيشة الشعب العامل ومركزه الاجتماعي . وهنا يجب ان نركز ايضا على ضرورة اجراءات تحرير المرأة اذ صدرت القوانين التي تحررها من عبودية الرجل بمنع تعدد الزوجات ومنع الزواج قبل بلوغ السن المناسب ونظمت المؤسسات الثقافية والتعليمية لجذب النساء الى النشاط السياسي ولربطهن بالحياة الاجتماعية .

رابعا : في المجال ايدولوجي :

القضاء على الامية والتطوير الشامل للثقافة ، والصراع ضد الايدولوجيات المتخلفة ، ونشر الاشتراكية العلمية وتوضيحها للشعب العامل من واقع خبرته الذاتية ، والحفاظ على ايدولوجية الاشتراكية العلمية كقوة فعالة للتقدم الاجتماعي . فالاشتراكية هي النهاية الطبيعية والمنطقية لكل عملية تطور ثورات التحرر الوطني وطريق التطور غير الرأسمالي .

المادية والمثالية في علم النفس

لطفي فطيم

لقد شهدت صفحات مجلتى « الفكر المعاصر » و « الطليعة » خلال عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ جدلا حاميا وبحوثا لامعة وأفكارا جريئة فى موضوعات التفسير المادى لعلم النفس ، وعلم النفس والصراع الطبقي والعلاقة بين الايديولوجيا والانسان والمجتمع وعلم النفس فى ظل النظام الاشتراكى والماركسية والتعميل النفسى ، قام بالنصيب الاكبر فيها الاستاذ قنرى حفي وكاتب هذه السطور .

وفى رأى أن هذا الانفتاح على الفكر المادى فى علم النفس كان رد فعل مباشر للهزيمة ، ومحاولة لتلمس اسباب القوة والضعف فى نفسية الانسان المصرى . وهذه البحوث التى سبق الاشارة اليها تكون فى اعتقادى نواة الاتجاه المادى فى العلوم الانسانية فى مصر والشرق العربى .

ولقد كنت فى تلك الفترة مشغولا بكتابة الرسالة التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير فى علم النفس من كلية الاداب بجامعة عين شمس فى ابريل

يذكر القراء المهتمون بالعلوم الانسانية تلك المناقشات الحية المثمرة التى اشاعت صفحات مجلتى « الطليعة » و « الفكر المعاصر » بلمحات من التعمق فى فهم الانسان بمامة والانسان المصرى بخاصة .

ولم يكن غريبا أن يندلع هذا الاهتمام بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولم يكن غريبا كذلك ان يجرى هذا الاهتمام من جانب أساتذة علم النفس التقدميين فى مصر . ولقد بدأت هذه الفورة بالمقال الذى نشره الاستاذ الدكتور مصطفى زيور - رائد التحليل النفسى فى الشرق العربى - فى مجلة الفكر المعاصر فى ديسمبر ١٩٦٨ بعنوان « جدل الانسان بين الوجود والاغتراب » والذى اتبعه بعد ذلك بمقالين فى جريدة الاهرام بتاريخ ٩ - ٨ - ٦٩ ، ١٠ - ٨ - ٦٩ بعنوان « التفسير النفسى للمسلوك الاسرائيلى » .

١٩٧٢ . وكان موضوعها في الحقيقة هو علم النفس بين المادية والمثالية رغم أن عنوانها كان « الإدراك الحسى بين الفلسفة وطسم النفس المعاصرين » .

ولقد ناقشت الرسالة لجنة برياسة الاستاذ الدكتور سيد ضويى استاذ كرس علم النفس وعميد كلية الاداب بجامعة عين شمس والاستاذ الدكتور صلاح مخيمر استاذ علم النفس بكلية التربية بجامعة عين شمس والاستاذ الدكتور جابر عبد الحميد استاذ علم النفس المساعد بجامعة الأزهر .

وكانت المناقشة بحق هي صراع بين المثالية والمادية في علم النفس وكانت أيضا هي السبب في كتابة هذا المقال .

لقد كان موقفى واضحا منذ البداية « استقرت في نفسى فكرة ضرورة البدء من فلسفة في الانسان ونظرة نقدية الى علم النفس » . اذ لاحظت من قراءتى كره استاذة علم النفس المثاليين لما يسمى بالتفسير ، والاستناد الى اساس نظرى ، واتجاههم الى الفلسفة التجريبية . ولكنهم في مواجهة الانتصار الذى احرزته الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لصحوا بضرورة وجود اساس فلسفى لاتجاهاتهم في علم النفس . والجديد الذى اضيفه اليوم ، هو أن النظرية الميكولوجية لا يكفى أن تستند الى تفسير نظرى أو صيغة نظرية ، وإنما يجب أن تستند الى « فلسفة معينة في الانسان » .

ولقد بدأت بحثى في الإدراك الحسى وأنا أنوى اتباع الطريق التقليدى في الرسائل ، وهو وضع قضية ومعالجتها تجريبيا أو احصائيا والخروج من ذلك بعدة نتائج . ولكنى ما أن اتصمت للدراسة النظرية لموضوع الإدراك الحسى ، حتى ادركت أنني وقعت على مفتاح أساسى من مفاتيح الفهم المادى للنفس الانسانية .

لقد ظلت النفس الانسانية لغزا ، أو أن شئت لغة عصرية ، لغزا أقرب الى لغز الكلمات المتقاطعة . فصراع الانسان من أجل فهم من هو وما هو ، هي نفسها قصة محاولة الانسان اكتشاف أسرار الكون والتحكم فيه . وكلما احرز الانسان تقدما ما فى مجال كشف أسرار الطبيعة عاد بسرعة ليطبق هذا الكشف على اللغز الإبدى عاد ليضمسف حرفا جديدا في لغز الكلمات المتقاطعة .

وهكذا انعكست في فهم الانسان كافة الافكار ، والنظريات ، والمعادلات ، والاتات والمكينات التى حقق بها الانسان شيئا من فهم الكون . وكانت حركة الانسان من أجل فهم نفسه هي عدو متلاحق من الكشوف العلمية الى النفس الانسانية وبالعكس .. ولا يزال الامر كذلك حتى يومنا هذا .

وهكذا ظهرت في علم النفس كافة النظريات المستوحاة من الفلك ، والميكانيكا ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والبيولوجيا ، والطب بكافة فروعه ، وطبوم الرياضة ، والاحصاء ، والسيرناتيقا وعلم الكمبيوتر .. الخ .. الخ واضاعت كل نظرية حرفا أو كلمة الى لغز الكلمات المتقاطعة .

من هذا المنطلق بدأت في دراسة الإدراك الحسى مبتدئا بما رآه الفلاسفة فيها حتى آخر كلمة ادلت بها العلوم الطبيعية . اذ لما كان الانسان هو خلاصة تجربة الكون كان هو الكائن الوحيد المنوط به فهم أسرارها ، وهو لا يستطيع ذلك الا عن طريق حواسه وعقله ، ومن هنا كانت اللقطة على فهم الإدراك الحسى .. فكيف يتم ظهور الصورة الذهنية في العقل ؟ ما الذى يحدث منذ أن يثبه منبه حاسة من الحواس حتى تنبثق في عقله صورة أو فكرة للواقع أو لما بعد الواقع .. ذلك هو موضوع الإدراك الحسى .

لذلك لم يكن غريبا أن يدلى الفلاسفة وعلماء الطبيعة والرياضيات وعلماء النفس والمجتمع بدلوهم في هذا الامر .

ما هي العلاقة بين ما يوجد في العقل من صور للواقع ، وما يدخل الى المخ عن طريق الحواس من تنبهات في صورة تفاعلات أو موهجات أو صور مقبولة على شبكة العين ؟ وإذا كان ما يوجد بالعين بعيد الصلة أو مقطوعا بالواقع .. فما هي الحكاية ؟

هناك موقفان من هذه المشكلة .. القائلون بأن ما في العقل ، هو من العقل في الأساس وهؤلاء هم المثاليون على اختلاف أنواعهم ودرجاتهم .. والقائلون بأن ما في العقل هو انعكاس لنواقع بطريقة أو بأخرى وهؤلاء هم الماديون على اختلاف أنواعهم ودرجاتهم . وينتمى بحثنا الى هذا الفريق الأخير .

فما هي الإدراك وكيفية ارتباطه بشروط وجوده ، قضية مثارة أمام التفكير الانساني منذ بداية

الامبيريقية التي يبدو أننا حصلنا عليها عن طريقها ، بل وأعلنت بعض تلك النظريات أن العالم الذي ندركه هو مجرد مظهر وبحث عن مملكة أرقى ، في العالم الذي نعيش فيه .

نحن نتبنى في دراستنا هذه نظرية الانعكاس الغائلة ببساطة أن احساساتنا وأفكارنا هي بدرجة أو باخرى صور وانعكاسات للاشياء وللصفات وللقوانين في العالم المادى المحيط بنا . ان اعتبار احساساتنا صورا للعالم الخارجى ، والاعتراف بالحقائق الموضوعية واعتناق النظرية المادية في المعرفة هي كلها شيء واحد .

وانطلاقا من هذا الفهم ، فإن الإدراك الحسى يجب أن يكون أساس كافة العلوم . فالعلم لن يكون علما حقيقيا ، الا اذا انطلق من العالم المحسوس في اتجاهين : اتجاه الوعى الحسى ، واتجاه الحاجة الحسية . وما التاريخ كله ، الا تمهيد لكي يصبح الانسان موضوعا للسوى الحسى ، وأن تصبح حاجاته - كإنسان - هي حاجات طبيعية وحسية . وبالتالي ، فإن العلوم الطبيعية سوف تشمل بمرور الوقت علم الانسان مثلما يشمل علم الانسان العلوم الطبيعية ، لن يكون هناك الا علم واحد .

ولكن ، تواجهنا هنا المشكلة التلبدية في الإدراك : وهى « لا موضوع بغير ذات » . أى أن العالم المحرك ، ما كان ليذكر لولا الذات التي أدركته . ويفهم من تلك القضية أن العالم في نهاية الامر هو عالم ذاتى ، وأن وجوده يتوقف على الذات .

غير أننا نفهم تلك المسألة بشكل مختلف . فالإنسان - الذات - هو أولا وقبل كل شيء كائن طبيعى وبالقوى فهو يمتلك قوى طبيعية للحياة ، وهذه القوى توجد فيه كمبول وقدرات واستعدادات وغرائز . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فباعتباره كائنا موضوعيا ، طبيعيا ، حسيا ، فإنه يكون مخلوقا منفصلا معانيا محدودا ومشروطا ، شأنه في ذلك شأن الحيوان والنبات . أى أن موضوعات غرائزه ، توجد خارجه كموضوعات مستقلة عنه . ومع ذلك ، فإن هذه الموضوعات هي موضوعات يحتاجها ، موضوعات جوهرية لا غنى عنها لظهور قواه الجهرية وإثباتها .

فالقول بأن الانسان هو كائن طبيعى ، ملموس ، حى ، حساس ، موضوعى مطلقا ، بسالحيوية

البحث الفلسفى . فكان هناك اتجاه بوضع هذه المسألة ضمن موضوع الاحساس ، أى ضمن مسألة الحصول على الخبرة بالمعنى الاولى للكلمة ، يقلبه اتجاه آخر ، يضع هذه المسألة ضمن مسألة الحكم أى نشاط العقل .

والاتجاه الاول ، أميل الى سلوك الطريق السهل من حيث الربط بين الادراك الحسى ونفسولوجيا أجهزة الحس . فإذا كان الإدراك الحسى أمرا سلبيا أى مجرد تلقى ، فالأرجح أن يكون ناتجا عن تنبيه الحواس ، ولكن يتعين ، فى هذه الحالة ، أن نفسر كيف يأتى لنا الإدراك الحسى بمعرفة أو معتقدات عن العالم المحيط بنا .

أما الاتجاه الثانى فيحاول تقديم الاجابة على هذا التساؤل بارجاعه الإدراك الى نشاط العقل . ولكن تنشأ في وجهه عقبة هي كيف يتم الانتقال مما هو مادى أى الاحساسات الى ما هو عقلى أو لامادى . أى ببساطة كيف ينشأ الفكر من المادة .

ولا يؤثر الادراك الحسى فى رأينا مشكلة ، الا اذا افترض أن هناك بالضرورة ثغرة بين خبرتنا المستمرة ، وبين العالم الموضوعى الذى ندعى معرفته . فإذا كان الادراك الحسى مسألة ذاتية محضة ، فإنه يصبح لادعاءات المثاليين ما يبررها . أما اذا كان الادراك الحسى يعكس الواقع الموضوعى ، بدرجة أو باخرى ، فإنه يكون بذلك مقدمة للمعرفة وشرطا من شروطها .

ونحن نطلق في بحثنا ، ابتداء من افتراض أساسى وهو أن الانسان يدرك العالم من حوله عن طريق حواسه ادراكا صحيحا وموضوعيا . ولولا ذلك ، ما تمكنت البشرية من التعامل مع الطبيعة والسيطرة عليها . وستطلق على هذه المسألة ادراك الرجل المادى ، أو الموقف الشائع ، أو الادراك الواقعى . كما أن البيئة توجد مستقلة عن الاحساس والوعى ، والذات ، والانسان عموما ، فالاشياء والعالم والبيئة توجد مستقلة عنا ، وما الوعى والاحساسات الا صورة لهذا العالم الخارجى .

ان مشكلة نظريات الادراك فى علم النفس هي تبين كيف يصير الكائن الحى واعيا بذاته وبالعالم الخارجى . لقد رفضت الكثير من النظريات هذه البساطة المفترضة وطعنت فى شهادة العيون والأذان وألقت ظللا من الشك على المعرفة

الطبيعية ، يساوى القول بأنه له موضوعات حقيقية حسية كأهداف لوجوده أو لحياته . ذلك أنه لا يستطيع التعبير عن حياته إلا في موضوعات حسية حقيقية . فإن تكون موضوعيا طبيعيا حساسا ، وأن يكون لك في نفس الوقت موضوعات طبيعية حسية خارج ذلك ، أو أن تكون أنت ذاتك موضوعا طبيعيا وحسبيا لطرف ثالث كل هذه الأمور بمعنى واحد .

فالجرح مثلا حاجة طبيعية ، وهو بالتالي يحتاج لطبيعة خارج ذاته ، وموضوعا خارج ذاته حتى يستطيع أشباع نفسه ، حتى يسكن ويهدأ . الجرح هو حاجة مترتب بها لجسمي الى موضوع يوجد خارجه ، ولا غنى عنه لتكماله وللتعبير عن وجوده الجوهرى . والشمس . مثلا ، هي موضوع للنبات ، موضوع لا غنى عنه له يؤكد حياته تماما مثلما يكون النبات موضوعا للشمس ، باعتباره تعبيرا عن قوة الشمس في ايقاظ الحياة . أى عن قوة الشمس الجوهرية الموضوعية .

إن كائنا لا توجد طبيعته خارجه ، ليس كائنا موضوعيا ، ولا يقوم بأى دور في نظام الطبيعة . إن كائنا ليس له موضوع خارج ذاته ليس كائنا موضوعيا ، وإن كائنا ليس هو نفسه موضوعا لطرف ثالث ، ليس له وجود كموضوع ، أى ليست له صلات موضوعية ، لن يكون وجوده موضوعيا .

وهكذا نقبل على نظريات علم النفس في الإدراك بهذا الفهم لطبيعة الإنسان ، وصلاقة الذات بالموضوع .

وقد استعرضنا أهم النظريات السيكلوجية مبتدئين بالميكوفيزيقا ، مسارين بالشعطات ، ونظرية الأطار الرجمي وفكرة ثبات الإدراك ، والنظرة الدينامية ، ونظريات التعلم . واتضح لنا أن تتناول كل تلك النظريات بعيدا عن سياقها التاريخي ، وأساسها الفلسفي ، والظروف التي أدت الى نشأتها ، يجعلنا تقع في متاهة . إذ سندأ أماننا خضما متلاطمنا من النظريات المتناقضة ، والتي لا يمكن أن تكون كلها صحيحة ، فإذا اعتبرنا أن ما انتقنيته لنعرضه بتفصيل ، وما أشرنا إليه في أيجاز ، يمثل أهم وأشهر الاتجاهات السيكلوجية في الإدراك الحسي ، فإن يفوتنا أن نتبين مبلغ التباين بل وعدم الاتساق الموجود بينها ، كما لن يفوتنا أيضا ما تحويه نفس النظريات من استقصارات صيقة إيمانياً .

الحق ، أنه لا توجد نظرية واحدة تغطي جميع جوانب الإدراك ، كما أن التقدم الذى طرأ على مختلف الاتجاهات ، واتساع المعرفة بالموامل لاسامية في عملية الإدراك ، لا يدل بعد على أن هناك فى الافق شمة خطوطا رئيسية لنظرية وحيدة عريضة مدعومة بالحقائق ومتسقة منطقيا ، وتتمسم بالقدرة على تميم وتفسير مختلف الاساليب التى يبدو بها العالم .

وفي رأينا أن ذلك القصور الذى يعوق منظرو العالم البورجوازي مرجعه الى إفتقارهم الى نظرية موحدة في الطبيعة الاتسانية ، وإلى الطبيعة الطبقة لفكرهم وكذلك الى نظرتهم التجزئية .

وإن النظرية الاتمكاسية بربطها بين الإدراك والمهم والمعرفة من ناحية ، وربطها بين الذات والموضوع من ناحية أخرى ، بطريقة خلقة فتتح الطريق أمام نظرة أكثر شمولاً للإدراك الحسي بخاصة ، وعلم النفس بعامة .

وفي اعتقادنا أن علم النفس فى دول الممكن الاشتراكي لم يصل بعد الى الصيغة المادية الجدلية الشاملة لتفسير النفس الانسانية ، بل لقد عانى علم النفس فى الاتحاد السوفيتي أيضا من الصراع بين المادية والمثالية ، ويمكن تلخيص المراحل التى مر بها البحث السيكلوجي عموما فى الاتحاد السوفيتي الى خمس مراحل :

١ - المرحلة الأولى : ١٩١٧ - ١٩٢٤ وفيها كان النضال ضد المذاهب المثالية واستبعاد الافكار الروحانية والغيبية من علم النفس ، وإن كان ذلك قد تم باللجوء الى الافكار المادية الميكانيكية .

٢ - المرحلة الثانية : ١٩٢٤ - ١٩٣٠ وفيها سادت الافكار المادية المتبذلة التى تشتغل النفس الانسانية الى مادة .

٣ - المرحلة الثالثة : ١٩٣٠ - ١٩٣٦ وهى مرحلة انتقالية بين المادية والديالكتيكية وبده ظهور الافكار المتادية بالجدلية فى علم النفس ،

٤ - المرحلة الرابعة : ١٩٣٦ - ١٩٥٠ مرحلة انتصار الفكر الجدلى .

٥ - المرحلة الخامسة : من ١٩٥٠ حتى الآن وهى محاولة اخراج تاليف مبادئ جدلى لعلم النفس .

● سوريا ●

معركة مجلس الشعب
فى ظل الجبهة الوطنية

● اثيوبيا ●

تحرك من أجل المصالحة . .

● ايطاليا ●

الفاشيون الجدد
ومستقبل أحلامهم

● الأرجنتين ●

البيرونية . .
من الخمسينات إلى السبعينات



تقارير خاصة

■ هل يعود الهدوء إلى اليونان ؟

■ مؤتمر الأمن الأوروبي

رسالة بنجالايش :

بكاء .. تحت الظلم :



تقارير الشهر



■ جمهورية مصر العربية

الحركة النقابية •

انتخابات جديدة

تجرى الانتخابات للنقابات العمالية في الفترة من ٢٩ يونيو إلى ١٧ يوليو ١٩٧٢ وقد أصدر وزير القوى العاملة ورئيس الاتحاد العام للعمال ومكتب الاتصال السياسي والنقابي بوزارة القوى العاملة ، مجموعة من القرارات والتعليمات الخاصة بتنظيم هذه الانتخابات •

وأول هذه القرارات قرار الأمانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، بأن يحتفظ بصفة العامل لكل من بدأ حياته عاملاً وحصل على مؤهل حال وظل عضواً بنقائته العمالية ولم يجمع بينها وبين عضوية نقابة مهنته • وسوف يكون له الحق في الاختيار بين عضوية النقابة العمالية ، وبين الانضمام للنقابة المهنية وفق مؤهله • وجاء هذا القرار تفسيراً لقرار رئيس الاتحاد الاشتراكي في عام ١٩٦٨ حول شروط الاحتفاظ بصفة العامل لكل من بدأ حياته عاملاً •

كما أصدر وزير القوى العاملة قراراً - بعدم اشتراط التعريف السياسي للعامل بالنسبة للناخبين ، وكل من يحمل مؤهلاً جامعياً يكون له حق التصويت كاملاً ولا يجوز له ترشيح نفسه •

وقد أصدر كذلك قراراً باللائحة الجديدة للنقابات العامة • ووفقها تقرر أن تقوم اللجان النقابية باختيار مندوبين لها في جميع أقسام المؤسسة أو المنشأة ، ويكون المندوب حلقة اتصال بين القسم ومجلس إدارة اللجنة النقابية ويتولى المندوب بتحقيق أهداف اللجنة النقابية وفقاً لما يكلف به • وتضمنت اللائحة أن يتكون مجلس النقابة العامة من شعب تمثل الأنشطة الاقتصادية المختلفة ويجرى انتخاب ممثلي الشعب من بين ممثلي كل نشاط اقتصادي وفقاً للنسبة العددية لاهضائه • كما سيراعى التمثيل الجغرافي والنسبة العددية لممثلي كل شعبة •

وأصدر وزير القوى العاملة كذلك قراراً بإدماج النقابات العامة في ستة عشر نقابة بدلاً من ٢٧ نقابة عامة وهي : الزراعة - الكيماويات والبترول والنجار والمحجر - الصناعات الغذائية والتبغ - صناعة الغزل والنسيج وحلج وكبس القطن - الصناعات الهندسية الحديثة الكهربائية - البناء والأخشاب - التجارة - البنوك والتأمين والأعمال

المالية - السكك الحديدية - البريد والبرق والتليفون - المرافق العامة - النقل البري - أعمال النقل البحري والجوي - الاعلام والطباعة والنشر - الخدمات التعليمية والصحية - الخدمات الادارية والاجتماعية الشخصية والأنشطة الأخرى •

كما أصدر مكتب الاتصال السياسي والنقابي بوزارة القوى العاملة التعليمات الخاصة بإجراءات ترشيح وانتخابات أعضاء مجالس إدارة المنظمات النقابية علي مختلف مستوياتها ، حيث ستكون الانتخابات على ثلاث مراحل • وسوف تتضمن مستندات وطلبات الترشيح شهادات العضوية العاملة بالاتحاد الاشتراكي والتي ستقدم بعد الحصول عليها من الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي أو لجان المحافظات في كل مرحلة من المراحل الثلاث • وسوف يختار مجلس إدارة كل لجنة نقابية مندوبين اللجنة في الجمعية العمومية وفق النسب العددية بحيث لا يزيد عدد مندوبي اللجنة عن ٣٥ مندوباً • وتنتهي انتخابات جميع اللجان النقابية في الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ يونيو ، وجميع مجالس النقابات العامة في الفترة من ١٠ إلى ١٢ يوليو ، وبالنسبة لانتخاب أعضاء المجلس التنفيذي للاتحاد العام للعمال افتتح باب الترشيح يوم ١٦ يوليو ويقفل في نفس اليوم وتجرى الانتخابات يوم ١٧ يوليو • ومن المنتظر أن يتكون المجلس التنفيذي من ١٦ عضواً فقط بدلاً من ٢١ عضواً ، كما أنه لن تعقد جميعات عمومية للنقابات العامة ، ويقتصر على يوم لإجراء الانتخابات •

■ الجمهورية العربية السورية

المصالح الأمريكية

تعرض للضغط

قام الرئيس أنور السادات بزيارة للجمهورية العربية السورية في الفترة من (١٠ - ١٣) يونيو الماضي ، بدعوة من الرئيس الليبي معمر القذافي ، للاشتراك في الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة الذكرى الثلاثين لاجلاء القوات الأمريكية عن الأراضي الليبية •

والتي الرئيس أنور السادات كلمة في الاحتفال بهذه المناسبة ، تحدث فيها عن معاني ودلالات هذا اليوم ، وما يحمله من إشارات ، وكيف استطاع الشعب الليبي أن يواجه القوى

الامبريالية الامريكية المتواجدة في الاراضي العربية . الامر الذي تتطلبه طبيعة المعركة التي تخوضها الجماهير العربية اليوم ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية ، وذلك لوضع حد لنزيف الثروات القومية ، واطلاق القواعد العسكرية الاستعمارية الموجهة ضد مصالح شعوب المنطقة . والى هذا اشار الرئيس القذافي عندما قال :

ان لهذا اليوم معنى كبيرا ، هو انتصار شعب ليبيا الصغير على قوة كبيرة تمثل في امريكا التي تحطمت قواعدها فوق ارض ليبيا .. وان امريكا التي تتلقى الهزائم في كل مكان سالت تعربد في المنطقة العربية وتحتجز تماها لاسرائيل . وان امريكا تحتاج « لصفعة كبيرة على وجهها البارد » .

وكان من الطبيعي ، ان يتعرض الرئيس القذافي للاخطار المحيطة بالمقاومة الفلسطينية بقوله : ان ما يجري في لبنان ضد الشعب الفلسطيني وما قد يجري يشكل خطورة على القضية الفلسطينية ، لانه مخطط استعماري ، تتعاون فيه الانظمة الخائنة مع اسرائيل والاستعمار ..

تشريعات هامة في مجلس الشعب

اصدر مجلس الشعب في الفترة الاخيرة من دورته الحالية عددا من القوانين الهامة في مقدمتها :

١ - قانون باعفاء صغار الملاك ميسر يملكون ثلاثة افدنة ناقل .

٢ - قانون تنظيم الجامعات وغيره من القوانين المتعلقة برجال القضاء وموظفي المؤسسات العلمية .

وكان المجلس قد بدا في نظر تمثيل العمال في مجالس ادارات الشركات في القطاعين العام والخاص ولم ينته من مناقشته بعد .

ولا كانت قد دارت مناقشات هامة حول بعض هذه القوانين فقد رأت الطليعة ان ترجى تقديم تقريرها الشهري عن نشاط مجلس الشعب الى ما بعد انتهاء الدورتى شهر يوليو الجارى . وسوف تقدم الى القراء عرضا مفصلا لعدد من هذه القوانين والاجامسات التي تبلورت حولها في المجلس التشريعي .

الاستعمارية والرجعية ، وان يسترد نصرية تراب الوطن كله : « وان رفع العلم الليبي على قاعدة هويلس ، هو اتصال واستمرار لرفع العلم العربي المصري ، بالاسس ، على قاعدة بورسعيد . وحركة شعبكم العظيم هنا استمرار واتصال لمعركة السويس الجيدة ، وشباب الثورة الليبية في الفتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، اتصال واستمرار بل وتجديد لشباب الثورة المصرية في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وأعلن الرئيس معمر القذافي في خطابه امام الجماهير في هذه المناسبة قرار مجلس الثورة الليبي بتأييم الشركة الامريكية للبترول بنكر هنت ، وكذلك قرار مجلس الثورة الاعتراف بجمهورية المانيا الشرقية .

وكانت الحكومة الليبية قد منعت الشركة الامريكية في ٢٤ مايو الماضي ، من انتاج وتصدير النفط من ليبيا ، وذلك بسبب رفض الشركة مطالب الحكومة الليبية بوجوب تسويق النفط المصادرين شركة « بريتش بتروليم » البريطانية . وهي الشركة التي سبق ان اعلنت الحكومة الليبية تأييمها في ديسمبر ١٩٧١ ، كمقوية لبريطانيا على تواطؤها مع ايران في احتلال ثلاث جزر عربية في الخليج العربي في نوفمبر من نفس العام .

وقد احدث القرار الليبي ، بتأييم الشركة الامريكية للبترول ردود فعل عنيفة في الدوائر الامريكية والغربية موما ، وهددت الشركة بمصادرة البترول المستخرج من حقول الشركة ، والذي سسيتم نقله الى اى ميناء في العالم ، والحجز على ناقلات البترول التي تحمل هذا البترول الى تلك الموانئ .

والجدير بالذكر ان مساحة حقول امتياز الشركة الامريكية المؤممة تبلغ ٧٥٠ كيلومترا مربعا ، وان عدد الابار المنتجة اكثر من ١٠٠ بئر ، ويحتوي حقول الامتياز على ١١ الف مليون برميل ، ولم يستخرج منه سوى اقل من النصف ، كما ان هناك اكثر من ٥٥٠ مليون برميل ، تبلغ قيمتها اكثر من ٢٣ر٠٠٠ مليون دولار . الامر الذي يوضح مدى الخسارة التي لحقت بالشركة من جراء التأييم .

ويعتبر قرار مجلس الثورة الليبي بتأييم الشركة الامريكية للبترول ، في ذكرى تصفية مساعدة هويلس العسكرية الامريكية في ليبيا ، خطوة هامة وبداية على طريق مواجهة المصالح

سوريا

معركة مجلس الشعب

في ظل الجبهة الوطنية

افتتح الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، والأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ، في التاسع من شهر يونيو الماضي أولى جلسات مجلس الشعب الجديد في سوريا . ويعد المجلس الجديد ، أول مجلس للشعب ينتخب بالتصويت المباشر ، في ظل قيام الجبهة الوطنية التقدمية التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي .

وكانت نتائج الانتخابات العامة التي جرت في سوريا في ٥/٢٦ لاختيار ١٨٦ نائباً من بينهم : ٩٥ يمثلون العمال والفلاحين ، و ٩١ نائباً يمثلون القطاعات الأخرى ، قد أظهرت فوز القوائم الموحدة للجبهة الوطنية التقدمية في جميع الدوائر ، وبفارق كبير في الأصوات على اللوائح الأخرى للمرشحين المستقلين من مختلف الاجتسامات السياسية .

ولقد فازت الجبهة الوطنية التقدمية بثلثي المقاعد في مجلس الشعب الجديد ، وبين من توزيع المقاعد ، داخل مجلس الشعب ، أن حزب البعث العربي الاشتراكي ، قد حصل على ١١٦ مقعداً ، وحصل الحزب الشيوعي السوري على ٧ مقاعد ، وتنظيم الوحدويين الاشتراكيين على ٣ مقاعد ، وحركة الاشتراكيين العرب على ٢ مقاعد . أما بقية المقاعد فقد توزعت على النواب المستقلين ، كما حصل على بعض المقاعد أيضاً عدد من الذين اسبقوا في الاتحاد الاشتراكي المصري . وهذا ، وتسد مثل المرأة لى المجلس الجديد بخمس سوريات ينتمين الى حزبه البعث .

ويعد مجلس الشعب واحداً من الانجازات الهامة التي شهدتها سوريا في أعقاب حركة التصحيح التي قادها الرئيس حافظ الأسد في ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٠ ، وفي مقدمتها اقامة الجبهة الوطنية التقدمية ، وانتخابات مجالس الادارة المحلية ، ووضع الدستور الدائم .

وجاء في خطاب الرئيس حافظ الأسد في افتتاح

وانتا لث ثقت مكتوى الإيدئ ببقا المقاومة تدبج في لبنان بعد الأردن » .

هذا وتقدمت الرئيسان آتور السادات والرئيس معمر القذافي عدة اجتماعات للقيادة السياسية الموحدة بين مصر وليبيا ، ويحث خلالها الرئيسان أزمة الشرق الأوسط ، كما استعرض الرئيسان تفاصيل اممال لجان الوحدة الانداجية بين مصر وليبيا ، التي من المقرر ان تتم في الخريف القادم .

وقد ادلى الرئيس السادات بحديث للاذاعة والتلفزيون الليبي ، تناول فيه بعض القضايا الراهنة :

فحول موضوع الوحدة الانداجية بين مصر وليبيا قال الرئيس : لقد اتفقتا على ان نلتقى في اوائل يوليو القادم لاصدار جميع القوانين التي انجزتها لجان الوحدة ، واستعراض الخطوات المقبلة حتى الفتح من سبتمبر القادم . . . وانه لا بد لنا من جهد هنا وفي مصر في الرحلة المقبلة ، ولنل صدور القوانين وتوضيح الرؤية للمواطن المصري والعربي يكون الفاتحة لعملية تبدأ على اتساع البديلين لتوضيح كل المفاهيم .

وفيما يتعلق بالكنائية الحل السلمي لمشكلة الشرق الأوسط قال الرئيس : انه بدون معركة لن ننسحب اسرائيل ، ولن نحل القضية ، وان التحرك الدبلوماسي مستمر قبل المعركة وانهاءها وبمعها ، وان الاعلام الانهزامية هي التي تصور هذا التحرك على انه استجداء .

وبخصوص الموقف بعد تأميم شركة البترول الأمريكية في ليبيا قال الرئيس : « انه على امريكا ان تعرف انها لن تستطيع ان تحيي مصالحها اذا استمرت في هذا التحدي للامة العربية وفي تأييد اسرائيل بلا حساب . . . وان قرار التأميم الذي اتخذه العقيد القذافي يعتبر فتحاً لهذه المعركة . لمعركة المصالح الأمريكية في المنطقة العربية كلها .

وحول الثورة الثقافية التي تتم في ليبيا الان قال الرئيس : ان ثورة ليبيا تستجيب لتطلعات المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب العربي اليوم . . اما من صلاحية الثورة الثقافية لجماهير عربية أخرى ، فلابد من الانتظار بعض الوقت لكي تؤتي التجربة ثمارها في ليبيا ، حتى تكون مركز اشماع لن يريد ان يحذو حذوها . وفي كل الظروف فان مصر تنقف الى جانب ليبيا : قدرها واحد ومصيرها واحد .

المستوى التوسعي لتجميع الطاقات وتوحيدها ، ولابد من أن ينطلق ، هذا العمل وذاك ، من قناعة بأن الخطر الذي نواجهه خطر قومي ، وأن مجابهته لا تكون الا بجهد قومي يؤدي فيه كل لمصل من فصائل القوة العربية الشاملة دوره في المعركة .

•

الشرق الاوسط

تحرك على أكثر من جبهة

برغم محاولات متعددة لتجميد أزمة الشرق الاوسط ، وايقاف حركة الاحداث فيها عند حدود حالة اللامسلم واللاحرب ، فقد نجحت مصر ، بفضل جهود دبلوماسية واسعة ، في تحريك الوضع في الأزمة في أكثر من اتجاه ، وهكذا اتجهت الأنظار من جديد نحو الشرق الاوسط الذي شهد في الفترة الاخيرة اهتماما عالميا متزايدا يصعد المراقبون بعض معامله فيما يلي :

● سيكون الشرق الاوسط واحدا من النقاط الهامة التي سيدور حولها حوار القمة بين بريجنيف ونيكسون ، وقد تأكد ذلك أكثر من مرة سواء في البيانات الصادرة أو موسكوف أو واشنطن . وقد صاحب هذا التأكيد اعلان من سكرتاري امريكا في الاسم المتحدة يقول فيه أن الرئيس نيكسون لا يزال يرى استمرار الأولوية الكبرى لمشكلة الشرق الاوسط (الجارفيان ٢٠ - ٥ - ١٩٧٣) ، واعلانات متكررة من جيلنبر موسكو تؤكد فيها استمرار مساندتها التامة للقضية العربية .

● كان اجتماع القمة الافريقي انتصارا كبيرا لمصر على حد تعبير جريدة كومييا الفرنسية (٢١ - ٥ - ١٩٧٣) التي اكدت أن مصر « قد اختلفت معظم الدول الاعضاء في المنظمة بالدفاع عن وجهات النظر العربية في الامم المتحدة » .

● ويأتي التحرك الاوروبي الواسع اهتماما بقضية الشرق الاوسط تنويعا للجهد الدبلوماسي المصري من ناحية ، ومن ناحية أخرى تساكيدا لماخاوف أوروبا الغربية من تفجر أزمة الوقود وزيادة تمرداها ، بسبب أزمة الشرق الاوسط . . . ويمبر ميديتش وزير الخارجية الايطالية عن هذا الموقف ، بدعوته الحارة لإيجاد مخرج من أزمة الشرق الاوسط التي يصفها بأنها « البؤرة التي تكمن فيها

مجلس الشعب ، ان الصيغة الحالية الجيدة هي حصرية جهود بذلت في إطار رؤية واضحة لمصلحة الوطن ، وأنها جاءت متلائمة مع مقتضيات المرحلة لإزالة التمييز بها القطر . . وأضاف : أنه عندما يحين الوقت لتطوير هذه الصيغة سيكون التطوير متسجما مع مقتضيات المرحلة المقبلة ، وفي إطار نفس الرؤية الواضحة لمصلحة الوطن والشعب وذلك بالكيفية التي توفر للجبهة شمولا أوسع ، وقدره وفر ، على استيعاب جماهير الشعب وتطوير نضالها .

وحول موضوع الوحدة العربية قال الرئيس السوري : ان وحدتنا الوطنية هي طريقنا الطبيعي الى وحدتنا القومية ، وان وحدتنا الوطنية هي التي تجعلنا أكثر قرة وأكثر فاعلية في النضال ضد التجزئة ومن أجل الوحدة العربية . ولكي نحتز قدرتنا في هذا القطر على متابعة السير في هذا الاتجاه ، فاننا نواصل العمل لاستكمال بنائنا الداخلي ، بمزيد من الحرية ، ومزيد من الديمقراطية ، ومزيد من تنمية القدرة الخلاصية كل ذلك في إطار وحدتنا الوطنية التي تحمي إنجازاتنا .

وتعرض الرئيس السوري للأزمة بين سوريا ولبنان والجهود التي بذلتها سوريا لتصفية الأزمة بين السلطات اللبنانية والقائمة الفلسطينية « قلما أخفقت الجهود والمسامي لم يكن هناك بد من اللجوء الى الاجراء الذي يفترض ان من شأنه ان يساعد الى إعادة الامور الى اوضاعها الطبيعية » ، وهو يشير بذلك الى الاجراء الذي اتخذته سوريا بخلق الحدود مع لبنان .

وتحدث الرئيس السوري عن المحاولات من جانب الإمبريالية الأمريكية لاستغلال جو الانفراج الدولي على حساب الشعوب وقال : وأنها بالنسبة للمنطقة العربية تسمى الى استغلال الوهمساق الدولي ، لإيقاد الأمة العربية في دوامة الآراء المختلفة ، والاجتهادات والتفسيرات المتباينة ، لتتغنى بدورها في طريق مظلم ، يؤدي بها الى مهامات مشروعات الدول ، والعودة بالحلول ، التي تشل الإرادة الفاعلة ، وتنبع جميع القوى والطاقات ، وتحول دون العمل الإيجابي من أجل استعادة الحق العربي ، بل تؤدي الى تفقير القوى العربية ، وتعرض على ضربها بعضها بالبعض الآخر .

وقال : لابد من عمل حقيقي في كل قطر لتميز الجبهة الداخلية ، ولابد من عمل حقيقي على

تقارير الشهر

تأييداً قوياً في طلبها الخاص بالحصول على معاملة الدولة الأولى بالرعاية في السوق المشتركة (جوش كرونكيل ٨-٦-١٩٧٣) .

لكن بالرغم من ذلك كله ، فإنه يمكن ربط التحرك الألماني الغربي الجديد بالتحرك العام لأوروبا الغربية تجاه المشكلة . ومن الملاحظ أن صحيفة «فرانكفورتر الجيمين تسايتونج» (٢٧ - ٥ - ١٩٧٣) قد أكدت أن «يون تريد فسي المستقبل بالاتفاق مع حلفائها الأوروبيين أن تنتهج سياسة فعالة في الشرق الأوسط» .

ولعل هذا التحرك يمكن أن يرتبط أيضاً بالتصريح الذي أدلى به ميديشي وزير الخارجية الإيطالي : «لقد اتفقنا مع شركائنا في السوق الأوروبية المشتركة ، على أنه يتعين ، على أوروبا بصفة خاصة ، أن تلعب دوراً بنسب من أجل الوصول إلى حل لهذه الأزمة التي تشكل خطراً لا يمكن لأوروبا أن تتقبلها» . (١٠-٤-٥ - ١٩٧٣) .

غير أن المراقبين يلاحظون أنه سواء كانت محاولة التحرك من جانب ألمانيا الغربية منفردة ، أو أوروبا الغربية ككل ، فإن الأمر يتطلب تصميماً لموقف هذه القوى بصورة تمكنها من أن تلعب دوراً إيجابياً مقبولاً من جانب العرب .

فإذا مضينا في سرد الشواهد على تحرك الوضع في الشرق الأوسط تعترضنا علامة استفهام كبيرة ، تتمثل في صفقات السلاح الضخمة من الولايات المتحدة للسعودية والكويت . وقد أثارت هذه الصفقات كثيراً من الجدل سواء من حيث توقيتها أو من حيث ضخامتها ، مليارات دولار للسعودية ، و ٥٠٠ مليون دولار للكويت (٢٠٠ ألف من السكان) .

وقد حاولت إسرائيل جهد طائفتها أن تستغل هذه الصفقات لتحقيق هدفين محددين :

١ - الامراع في تسلم كميات الأسلحة التي سبق التعاقد عليها .

ب - خفض أسعار هذه الأسلحة (دافان الإسرائيلية ٣٠ مايو ١٩٧٣) .

لكن المراقبين يلاحظون ، أن هذه الصفقات قد أرسلت إلى السعودية والكويت في أعقاب صفقة سلاح هائلة لإيران حصلت بموجبها على «١٠٨ طائرة فانتوم» ، ١٠٠ طائرة طراز ف - ٥ ، ٧٠٠

أخطر النزاعات والأحداث» (في خطابه أمام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الإيطالي - ١٠ - ١ - ٣١ مايو ١٩٧٣) .

وتقول كوميلا الفرنسية : وأخيراً ففي استعانة مصر اليوم أن تعتمد على مساندة دبلوماسية فعالة من جانب فرنسا وبريطانيا ، وذلك بفضل الزيارات التي قام بها للدولتين حافظ أسمايل مستشار الرئيس السادات للامن القومي (٣١ - ٥ - ١٩٧٣) .

وقد انعكس ذلك بالفعل على موقف الدولتين خلال مناقشات مجلس الامن الأخيرة . حيث اتخذنا موقفاً أفضل بكثير من مواقفها السابقة .

ثم تأتي زيارة فيلي براينت لاسرائيل لتؤكد اهتمام أوروبا الغربية بأزمة الشرق الأوسط ، وبغض النظر عن التصريحات التي أدلى بها براينت خلال زيارته ، والتي نشرها البعض بأنها استمرار للأحساس بعقدة الذنب ، أو استمراراً لسياسة خاطئة قديمة . وعلى الرغم من أن جولد هاتير قد أوضحت لبرانت «أن إسرائيل ليست مهتمة بأن يقوم براينت بدور الوسيط في نزاع الشرق الأوسط (جوش كرونكيل البريطانية ٨ - ٦ - ١٩٧٣)» ، وعلى الرغم من أن العلاقات بين إسرائيل وألمانيا الغربية ، تتميز بوضوح سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الاقتصادية إذ تبلغ قيمة تجارة ألمانيا الغربية مع إسرائيل نحو ٣٣٠ مليون دولار . إلا أن المراقبين يلاحظون أن برانت قد صرح قبل زيارته لاسرائيل بقوله «أن التدخل في الشرق الأوسط أمر ممكن ، ولكنه غير أكيد» .

(دي هليت الألمانية ٦-٦-١٩٧٣) .

كذلك فقد صرح شيل للصحفيين ، بأنه قد ركز في محادثاته في واشنطن «على ضرورة التركيز لإيجاد تسوية سلمية لنزاع الشرق الأوسط ، والاستفادة من كل مبادرة للحل» وقال شيل «أن كل شيء قد بدأ يتحرك» (زود دويتشه تسايتونج الألمانية ٢٢ - ٥ - ١٩٧٣) .

وبرغم ما يبدو من تحسن طفيف في موقف ألمانيا الغربية ، فإن العرب لا يزالون يلاحظون أن التعويضات والمساعدات الألمانية الغربية لاسرائيل والتي تبلغ ٢٠ مليون جنيه سنوياً هي أحد دعائم الاقتصاد الإسرائيلي (التايمز ٨ - ٦ - ١٩٧٣) . بينما تصمم ألمانيا الشرقية على رفض دفع أية تمويلات لاسرائيل من حيث البدء ، كذلك يلاحظ المراقبون ، أن ألمانيا الغربية قد أيعت إسرائيل

على طلب مصر . وقد كان انعقاد المجلس في هذا الوقت بالذات وما صحبه وسبقه من تحرك بصرى واسع انطلاق وما شهدته جلسات المجلس من تأييد بلحق العربي ، ومن اقتراب بعض الدول من مواقع الفهم الصحيح لتحقيق الازمة واسبابها ، ثم تلك الحجة العاليه التي نظمتها عدة هيئات عاليه من بينها مجلس السلام العالمى ، وألتي تمثلت فى سبيل من البرقيات من أحزاب ومنظمات وجماعات من مختلف أنحاء العالم تطالب بتوقيف عقوبات على اسرائيل لارغامها على تنفيذ قرار مجلس الامن . . كان ذلك كله يمثل تحركا ايجابيا للموقف لصالح الحق العربى . .

وقبيل عقد المجلس لجلساته اذاعت وكالة نوفستى السوفيتية تعليقا هاما بعنوان : « على مجلس الامن أن يجعل اسرائيل تعترف بقرارات الامم المتحدة » . . وقد جاء فى هذا التعليق « وباعتبار مجلس الامن هو اهم أداة لصيانة وتدعيم السلام فى العالم اجمع ، فانه يملك الحق ليس فقط فى اصدار توصيات محددة . . . ولكن ايضا له الحق كى هو منصوص فى ميثاق الامم المتحدة فى حسم موضوع تطبيق عقوبات اقتصادية وسياسية ، على اعضاء المنظمة الذين يرفضون تنفيذ قراراته وقرارات الجمعية العامة » (نشرة نوفوستى السوفيتية ١ - ٦ - ١٩٧٣) .

وقد شهدت جلسات المجلس ادانات متتالية للموقف الاسرائيلى ، وشهدت حشدا افريقيا يمثل منظمة الوحدة الافريقية ، يؤيد ضرورة الانسحاب ، وشهدت مواقف متقدمة لبريطانيا وفرنسا . . وكان التركيز المصرى على ضرورة استصدار قرار من المجلس ينص بوضوح وبشكل قاطع على ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلت عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ . .

وفى مواجهة ذلك ، كانت المناورة الامريكية الاسرائيلية هى اعلان التمسك بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ لايزال افضل فيمد اجتماع بين سكالى ونيكسون كرر سكالى « الاعتقاد الامريكى بان قرار مجلس الامن ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ لايزال افضل اساس لاجراء تسوية سلمية » .

وأعلن إيه إيبان أمام الكنيست رفض اسرائيل لادخال أية تعديلات على القرار رقم ٢٤٢ ، علمبان اسرائيل وأمريكا هما اللتان عرقلتا حتى الآن تنفيذ هذا القرار .

طائرة هايبوكوبتر ، ٨٠٠ دبابة ، بالأسلحة الى وحدات برية عالية الكفاءة » (١٠ شباط الاسبانية ١٠ يونيو ١٩٧٣) .
وتقول صحيفة المانية غربية ان هدف أمريكا من اغراق هذه المنطقة بسلاتها هو « تشجيع انشاء نظام امن اقليمى جديد عن الخليج العربى ، تقوى فيه ايران مع الكويت والسعودية دور الحراس بشيء من التنسيق ، وترى أمريكا أن لهذا النظام أهميته السياسية الى جانب أهميته العسكرية وهى أهمية لن تظهر الا بعد عدة سنوات ، وأنه سوف يحد من النفوذ السوفيتى بشكل فعال وسوف يضمن تدفق البترول الى الغرب (دى هيلت - المانيا الغربية ٤ - ٦ - ١٩٧٣) .

بينما تقول جريدة واشنطن بوست الامريكية أن صفقات الأسلحة هذه « سوف تحقق فائدة كبيرة للولايات المتحدة ، إذ انها تساعد على تحسين ميزان الدفعات الامريكى ، وتساعد أيضا على توطيد العلاقات مع هذه الدول الثلاث التى تعد من أكبر الدول المصدرة للبترول فى العالم . . . ويزيد من احتمالات التوصل الى اتفاق بشأن أسعار البترول » (واشنطن بوست ٢٩ - ٥ - ١٩٧٣) .

وتنقل وكالة انباء الشرق الأوسط عن صحيفة « الشرق » البروتية انها تعتقد ان واشنطن بتقديهما صفقة الأسلحة الضخمة للسعودية والكويت انما تحقق هدفين أولهما تشييد صناعة السلاح الامريكية على حساب صناعة السلاح السوفيتى . . والثانى تطويق أية دعوة عربية لقاطعة المصالح الامريكية فى المنطقة (١٠ ش ١٠ - بيروت ٣٠ - ٥ - ١٩٧٣) .

ويرتبط ذلك بما نقلته نفس الوكالة من الكويت وفى نفس اليوم بأن عددا من النواب الكويتيين ، قد طالب فى جلسة مجلس الامم بمقاطعة الولايات المتحدة اقتصاديا بسبب تأييدها المستمر لاسرائيل وتزويدها بالأسلحة ، وطالب النواب بغرض رسوم جمركية عالية على البضائع الامريكية المستوردة وقال بعض النواب أن الولايات المتحدة تشجع الدول الصغيرة فى منطقة الخليج على شراء أسلحة من مخلفات حرب فيتنام ، وهى بذلك تدفع هذه الدول لزيادة انتاج النفط وبالتالي لتخفيض أسعاره (١٠ ش ١٠ - الكويت ٣٠ - ٥ - ١٩٧٣) .

● أما العلامة الميزة الاساسية فى تحرك الوضع فى الشرق الأوسط فهى عقد مجلس الامن لجلسته الخاصة لمناقشة أزمة الشرق الأوسط بنام

وباسم جبهة الاحزاب التقدمية يعقد كمالاً جنيلاط مؤتمر صحفياً يطلب فيه د. الحافظ، اما بتعديل حكومتها، أو الاستقالة. ويتقدم بأربعة عشر مطلباً تتركز في الأساس على أن تتولى الحكومة سلطاتها التي يكفلها لها الدستور اللبناني، بمعنى توسيع اختصاصات الحكومة، وتقليل نفوذ القصر الجمهوري. ويقول جنيلاط في مؤتمره الصحفي: «أنا نريد... من وراء حملة المشاركة - أن تتم المشاركة الحقيقية - أي توزيع الصلاحيات، وتنفيذ النظام الدستوري البرلماني، في روحه ونصه، وأعرافه وأهدافه». وهذا الانحراف عن الدستور وأعرافه، هو الذي كان السبب الرئيسي للآزمة القائمة» (الانوار ٨ يونيو ١٩٧٢).

ورشيد كرامي يؤكد، هو أيضاً، أنه «من المفيد التكرار بأن لبنان، يعتمد أن الصيريات الديمقراطية، وأصول النظام البرلماني، وتطبيق الدستور نصاً وروحاً - هي - بمجموعها - أهدافه تعمل في سبيلها». ويقول «استقالة الحكومة باتت مطلباً واضحاً» (الانوار ٧ يونيو ١٩٧٢). ويدخل صائب سلام الحركة هو أيضاً وشبههون يملن: أنه إذا كان النواب السنونيون ضد الحكومة فإن احتمال انسحاب وزراء حزبه من الحكومة يصبح وارداً (الانوار ١٠ يونيو ١٩٧٢).

ويواجه د. الحافظ هذا التيار مصمماً «أن يستقيل».

لكن هذا الصراع الذي تفجر في أعقاب الاشتباك المسلح بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية لا يمكن فهمه بغير الرجوع إلى الأسباب التي أضرعت بتفجيره... أي إلى الآزمة الأساسية.

لكن هذه الاشتباكات، بدورها، ثم ما تبهما من آزمة بين لبنان وسوريا، ثم الآزمة الداخلية في لبنان، لا يمكن فهمها بغير وضعها في إطارها الحقيقي.

فما هي إذن الخطوط الأساسية لهذا الإطار...

● ثمة مخطط أمريكي صهيوني يستهدف تصفية الوجود الفلسطيني، بتصفية طبيعته المنظمة والسليحة أي المقاومة الفلسطينية.

● أن المشاركة الأمريكية، في هذا المخطط، كانت - بغير شك - مشاركة ممتددة، لكنها تصاعدت في الفترة الأخيرة فأصبحت أكثر إيجابية وأكثر سفوراً... ويفسر البعض ذلك بأن المخطط الأمريكي الشامل يستوجب الآن مزيداً من التحرك ضد المقاومة، ويفسر البعض الآخر بأنه نتيجة

وكان د. محمد حسن الزيات قد تحدث أمام المجلس قائلا: «لقد اتينا إلى المجلس لنوجه سؤالاً وننتقل عليه رداً... وهذا الرد يجب أن يكون «لا» يعنيها المجلس عالية مدوية» «لا» هو ما يجب أن يكون رد المجلس على أسلوب الشر والأكراه. أن كلمة «لا» يجب أن تكون رد مجلس الأمن على سياسة الاغتصاب والابتزاز... ومضى الدكتور الزيات قائلاً: «أن الاسرائيليين يعتقدون أنه قد تم لهم الفتح، ومن ثم فيجب لهم جني ثمار العدوان أي حقوق الفتح... وإذا حالت مقاومة مصر والدول الأخرى دون هذا الحق... فإن هذه المقاومة يجب أن تظهر... أن الأراضي المحتلة يجب ألا يصدر فيها ما يكره السلام الاسرائيلي وإذا احتاج الفتح إلى مزيد من السلاح فيلزم إرضاءه فإنه يعلم من أين يحصل عليه».

وعندما بدأ المندوبان الأمريكي والاسرائيلي في المناورة حول ضرورة التمسك بقرار مجلس الأمن وعدم تعديله أو إصدار قرار جديد كان رد الدكتور الزيات وأعضاء نحن نريد قراراً ينص على كلمة الانسحاب من كل الأراضي التي احتلت عقب عدوان يونيو بوضوح وبحيث يكون هذا المعنى واضحاً في كل اللغات.

وتمضي مناقشات مجلس الأمن، لتعبر عن تحرك جديد في الموقف، لكن التحرك لا يعني غير أن القنبلة الزمنية لازالت تنتظر لحظة الانفجار.

لبنان... سوريا... المقاومة

لم يكن توقف طلقات الرصاص في شوارع بيروت بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية كافياً بذاته لإعادة الهدوء إلى المناخ السياسي في لبنان... بل لعله كان بداية متوقفة لصراع عنيف دار حول حكومة د. أمين الحافظ، وحول قدرتها على الاستمرار في الحكم.

ويكون انعقاد جلسة الثقة بغير نصاب... وانسحاب الوزيرين المثاليين لطائفة السنة، بداية للتهاب الموقف وتصاعده إلى النقطة الحرجة... ولم يكن الهجوم طائفياً، فقط، بل كان سياسياً أيضاً... ففائدة السكتل البرلمانيات بالاحزاب يتجمعون بعد خصام طويل، حول مطلب استقالة الوزارة.

المظاهرات الطلابية) فإن انحيازه التام للمقاومة خلال فترة الصدام قد أعطى لهذا الانحياز ثقلاً خاصاً بل ومغزى خاصاً أيضاً .

● مشكلة جنوب لبنان ، وما تفرضه من تعقيدات ، وما تتطلبه من اجراءات جزئية - اجماعية اعمار الجنوب ، لتحقيق كثافة سكانية تتواءم مخططات الصهيونية لافراغه من السكان .

مع ملاحظة ان الجنوب يمثل موقعا استراتيجيا بالغ الخطر في أية مواجهة مسلحة مع إسرائيل فهو معبر هام للمتحاربين ، سواء باتجاه القلب الى إسرائيل ، أو باتجاه القلب الى سوريا . كذلك فإن لإسرائيل مطامعها في مياه نهر الليطاني . وهي المطامع التي أخذت تطرح - بدون مواربة - وفي الأيام الأخيرة من قبل المسؤولين الإسرائيليين .

● ان الاقتصاد اللبناني يطابعه الخاص الذي يعتمد على : التسهيلات المصرفية لكثير من الاستثمارات والمعاملات الأجنبية والعربية عبر المنطقة كلها - الحركة السياحية الواسعة ودور مطار ومرفأ بيروت الاقتصادي - تجارة الترانزيت - فائض الانتاج الزراعي وخاصة التفاح - الاستثمارات الرأسمالية في لبنان (وتقوم أساساً على فروع أمريكية أو أوروبية) تصدر انتاجها أساساً الى السوق العربية . هذا الاقتصاد يفرض طباعاً يدعو الى الانفتاح ، وهو بحاجة دوماً الى ظروف هادئة ، ليس بالمعنى الشكلي للكلفة فقط ، وإنما هادئة بالمعنى الشامل أي من ناحية العلاقات مع مختلف اصحاب الاستثمارات ، والمصالح ، ومع الاسواق والمعايير الى الاسواق ، ومع المودعين بالمصارف والراغبين في السياحة ، الخ مشبعة بذلك مفهومًا تقيناه بعض القوى البورجوازية اللبنانية ينادى بهياد لبنان . . . «لبنان سويسرا الشرق» .

● ولقد ادى ذلك كله الى أن أصبحت الساحة اللبنانية منطقة مفتوحة بكل معنى الكلمة ، بمعنى أنها مفتوحة أمام تأثيرات خارجية متمسدة ، ومفتوحة أمام التأثيرات المالية والثقافية والاعلامية من مختلف الاتجاهات .

فإذا اتينا الى النقطة الثانية وهي الثقل العربي عامة ، وجدنا ان القوى العربية المختلفة تمتلك امتدادات إما اقتصادية أو سياسية أو فكرية داخل لبنان . ولقد كان انفتاح لبنان يمثل في كثير من الاحيان موئلاً هاماً للمستثمرين واصحاب الودائع العرب والسياسيين العرب يمينهم ويسارهم على السواء .

وكان ذلك الانفتاح بما يتيح من حرية الحركة

مترتبة على حرية الخرطوم التي قيل أنها كانت موجهة أساساً ضد بعض عناصر المخابرات الاميركية .

● ان هذا المخطط ، ما كان من الممكن أن يتحقق بمثل هذا الشكل الدامي دون اخطاء أو توريطات وقتت من كلا الطرفين . . . وليس ذلك محاولة لاضفاء طابع الخطأ المشترك على الطرفين المتصارعين ، وإنما لإثبات أنه وبرغم ايماننا بأن المخطط هو في الأساس مخطط صهيوني امبريالي ، الا أن اخطاء من هنا أو توريطات من هناك قد نعتت بالامور الى الموضع الحسرج الذي وصلت اليه .

● وأخيراً فإنه من الخطأ تصور أن هذا الصدام كان ملتقى بين طرفين هما الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية . ذلك أن اطرافاً أخرى ، قد تواجدت وأثرت على صورة الصدام ، وعلى نتائجه ، وعلى مستقبل الأحداث .

● هناك لبنان بطروفه المعقدة .

● وهناك مراكز الثقل العربية المختلفة التي تصب صفيها متوازنة أحياناً ، ومختلفة القوازن في أحيان أخرى ، باتجاه لبنان .

● وهناك ثالث الثقل السوري الذي تواجد بالضرورة في صورة الأحداث .

فإذا ما لفتنا نظرة على خصوصية الوضع في لبنان نجد مايلي :

● ان الاستعمار قد غرس في لبنان أوضاعاً طائفية ، تستفيد منها الرجعية وتغذيها وتستند اليها . لكن الطائفية سلاح ذو حدين ، بمعنى أنه إذا استخدم جانب منه ضد المقاومة . فإن جانباً آخر سوف ينحاز إما لتلقائياً أو بفعل عوامل تاريخية الى جانبها ، الامر الذي جعل من الصراع بين الجيش اللبناني والمقاومة صراعاً يهدف بقسم الشارح اللبناني فسي صراع طائفي . . البعض يخلع هذا والبعض يتحيز هناك .

● ان القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، برغم عجزها عن تصفية النزعات الطائفية أو التحكم فيها ، لكنها بتحالفها معا ، ثم بتحالفها مع المقاومة قد استطاعت ان تلعب في فترة الصدام دوراً ذا وزن هام . بمعنى أن الصدام المسلح ، في مايو ، قد هدد أيضاً بقسم الصف اللبناني الى قوى سياسية تؤيد المقاومة وقوى أخرى تعارضها .

فإذا وضعنا في الاعتبار أن اليسار اللبناني كان قد اكتسب مؤخرًا ثقلاً خاصاً في عدد من المعارك المطلوبة (عمال غندور - مزارعو التبغ -

ال فلسطينية في لبنان وفي جنوبه ، على الخصوص ، يمثل عمقا استراتيجيا للمجابهة السورية مع العدو .

قازا ارتبط ذلك كله ، بالجهود المصرية - السورية للخروج من حالة اللاسلم واللاحرب ، والعمل المكثف استعدادا لذلك لا يمكن القول أن مخططي صدامات مايو كانوا يستهدفون ارباك الساحة السورية والجهود المصرية - السورية للخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب .

ومع انتهاء الاشتباك المسلح برزت في الساحة اللبنانية آثار تلك الانحيات التي وقعت خلاله مع المقاومة أو ضدها . وهي انحيات سوف تترك أثرا بعيدا المدى على طبيعة حركة الاحداث المقبلة ، سواء بالنسبة للمقاومة الفلسطينية أو للسار ، والقوى التقدمية في لبنان . وهي القوى التي ساندت المقاومة الى حد انزال عناصر مسلحة الى ميدان المعركة تضامنا مع المقاومة . ولابد لهذا الالتزام الجبوي المتبادل من أن يترك أثرا هاما - ولو لفترة من الزمن - على طبيعة مواقف وانحيات كلا الطرفين . لكن القوى اللبنانية الأخرى ، تشرب بضرورة هذا التحالف ، فتبدأ هي الأخرى بمد يد لها للمقاومة ، وتقدم سلسلة من جلسات الحوار والتسقيق بين حزب الكتائب وبين المقاومة ، والتي تنتهي باصدار مشروع وثيقة عمل مشتركة (١٩٧٢) .

ويلاحظ المراقبون ، ان المقاومة الفلسطينية تسمى بدورها الى تحقيق اكبر قدر من التهيئة ، ويلمحون بوجه خاص الى مقال نشرته ، فلسطين الثورة ، الناطقة بلسان المقاومة الفلسطينية تقول فيه « ان التسليم بالسيادة اللبنانية والتسليم بشرعية الثورة الفلسطينية هما جناحان لطاسير واحد » . ويمضي المقال قائلا « هناك محاذير لا يجوز الانزلاق اليها » . واستخلاصا من تجاربنا في الأزمة الأخيرة ، يمكن تحديد هذه المحاذير بثلاث مسائل أولا : التوهم بأن هناك أي مراع بين السلطة اللبنانية أو السيادة اللبنانية من جهة وبين شرعية المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى . ثانيا : الاعتقاد بقيام أي تناقض بين بعض فئات الشعب اللبناني وبين المقاومة من جهة أخرى . ثالثا : اقتضار حماسيات لدى السلطات اللبنانية وقوات الثورة الفلسطينية أو قيام اوضاع معينة يمكن أن تؤدي الى الصدام . (فلسطين الثورة ٦ يونيو ١٩٧٢) .

وبين المحاذير الثلاثة ، أو بين « المآزق » الثلاثة تحاول المقاومة الفلسطينية أن تستدش بعض الاستقرار على أرض لبنان .

والتحركة ، ومن فترة على التأثير ليس في المحيط اللبناني وحده ، لسيلا الى اهتمام كل قوة ذات ثقل بأن يكون لها « موقع لقدم » على أرض لبنان . تمارس من خلالها نشاطا قد يكون موجها في الاساس الى خارج الحدود اللبنانية .

ولقد ظلت المصالح المصرية المتضاربة والمتباينة ، والثقل العربي المتضاد الاهداف يثقلان من حيث قوة ضغطهما نقطة اتزان حرجية فوق أرض لبنان ، بحيث كانت السلطة اللبنانية مضطرة الى الامساك بشعرة معاوية مع الجميع ، محاولة ارضاء الجميع ، أو على الأقل عدم اغضاب الجميع .

ويفرض هذا الموقف ظه حثي على دعاة « عزلة لبنان » والراغبين في أن يتطلع لبنان الى اوريا عبر البحر المتوسط وليس الى الداخل عبر المشكلات العربية المترامية حتى هؤلاء يدركون أن طبيعة الاقتصاد اللبناني تفتقر استثمار العلاقات مع السوق العربية والودائع العربية ، والمصالح العربية المختلفة ومن ثم فانها تضع ذلك في الاعتبار سواء عند تصيدد مواقف لبنان من القضايا العربية ، أو عند تضطيق علاقاته مع المقاومة الفلسطينية .

ثم تأتي بعد ذلك الى العنصر الثالث ، وهو العلاقة مع سوريا . وهي العلاقة التي تمتك تأثيرا خاصا ، وتاريخيا . باعتبار الصلات الوثيقة والخصاصة بين البلدين واقتصاديا باعتبار أن الحدود السورية ، والأجواء السورية منافذ حيوية للاقتصاد اللبناني ، واجتماعيا باعتبار التمازج الواسع بين الأمر والهجرة الواسعة بين البلدين ، وسياسيا بما يفرضه التأثير السوري التقليدي على السياسة اللبنانية من خلال . وبما اكتسبته سوريا مؤخرا من نفوذ في صفوف بعض القوى اللبنانية المؤثرة ، باحتضانها للعناصر المتهمه في قضية المكتب الثاني اللبناني ، والتي يبدو أنها عناصر ذات ثقل خاص .

كل ذلك يمكننا من فهم الموقف السوري المتحمس ، خلال صدامات مايو بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، لكننا وحتى نفهم الدوافع جميعا ، يجب أن نضع في الاعتبار أن خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان - في ظل وضعية الجيش اللبناني الحالية ، وأغراق الجنوب من سكانه ، وانحساعه عمليا للمخطط الصهيوني إنما يعني أن الاتجاه الى منطقة القلب من سوريا أي دمشق ، يكون قد أفرغ من قوى مستعدة للمقاومة بمعنى أن استقرار تواجد قوى المقاومة

التذكير لهؤلاء الضحايا في « يادفاشم » بأن
« قرا ببطء وانفعل بعض آيات من الزمور ١٠٣ »
وهي الآيات التي تقول :

« الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير
الرحمة »

« لا يحكم الى الابد ، ولا يحقد ابد الدهر »

« لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا
حسب آثامنا » .

والدلالة السياسية الاساسية لهذه البكائيات
التكفيرية يمكن الخروج بها عنسحبنا نفسها
— ونضع الزيارة كلها ومظاهرها ونتائجها — في
الاطر الجديد الذي احاطت به ألمانيا الغربية
سياستها تجاه الشرق الاوسط وهو اطار
« الحياء » بين العرب واسرائيل .

وهذا الاطار الجديد قد لقي في الواقع ترحيبا
وحفاوة في كثير من الدوائر العربية باعتباره
« تحولا » مؤاتيا في سياسة حكومة بون جعلها
القرب الى الموقف العربي مما كانت من قبل .
ونلك على اساس قاعدة ان من لا يؤيد اسرائيل
تايدا كاملا ومطلقا فهو ليس ضد العرب .

وحتى لا يذهب الانسان مذاهب شتى في تفسير
معنى الحياء ، فان الواجب ان نضع املنا اقوال
« المستشار » نفسه وما قاله مضيفوه من
المستولين الاسرائيليين . وهذا ما قاله برانت :
« ان اهتمام ألمانيا الغربية » واضح ، اننا نريد
ان نرى تسوية سلمية يتفاوض بشأنها ويقبلها
اولئك المعنيون مباشرة » .

ثم قال : « انني اشعر بان اسرائيل وجيرانها
ينبغي ان يجرؤوا محادثات معا حول امن حدودهم ،
بل وينبغي أيضا ان يجرؤوا محادثات حول الامكانيات
العظيمة للتعاون الاقليمي » .

وقد اشار بعض المراقبين الى المحاولات الذي
بذلها المسئولون الاسرائيليون لاستغلال تصريحات
المستشار :

فقد صرح امبايليان وزير خارجية اسرائيل ، قبل
يومين من بداية زيارة برانت :

« ان موقف ألمانيا الغربية اقرب المواقف الى
اسرائيل بعد الولايات المتحدة » .

وهكذا يمكن القول بان عناصر الموقف الألماني
الغربي من أزمة الشرق الاوسط هي : المفاوضات
الباشرة — الحدود الآمنة — التعاون الاقليمي .

بل لقد اضافت جولدا مائير رئيسة الوزراء
امام برانت :

« اما لبنان ذاته فان ازمته الداخلية تتصاعد ..
وتظل تتصاعد حتى تستقيل الحكومة » .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فانه من الامر
المفطوح به ، انه لم يعد يوسع أي بلد عربي في
دائرة المواجهة مع اسرائيل ان يعيش مشاكله
وازماته وأحداثه الهامة داخل حدوده الخاصة .

وهذه الحقيقة التي تأكدت بعد عدوان يونيو
تنطبق بالكامل على لبنان - والدليل على ذلك ان
المستولين في ليبيا ، قد وجدوا انفسهم مطالبين بان
يحددوا مواقف من بعض الاحداث الداخلية في
لبنان - كما ان العلاقة بين السلطة وبين المقاومة
كانت موضع دراسة واهتمام ملحوظين انعكسا في
البيان المشترك الذي صدر عقب لقاء الرئيسين
السادات وحافظ الأسد .

■ اسرائيل

المزيج الجديد من

الميثولوجيا والسياسة

كل من حاول ان يتابع زيارة هيلي برانت
مستشار ألمانيا الغربية لاسرائيل — من ٧ الى
١١ يونيو الماضي — من خلال صحافة المغرب
سوف يلاحظ بسهولة ان تغطيتها للزيارة تميزت
بطابع « ميثولوجي » فيه اهتمام مفرط بالاساطير
وبالجوانب « الخفية » من المشاعر « الجرمانية »
في طرف و « اليهودية » في طرف آخر . واظهرت
صحف المغرب زيارة مستشار حكومة بون لنعل
أبيب كما لو كانت في الاساس زيارة للتكفير ،
ولغيت زيارة رجل دولة اوروبي لدولة في الشرق
الاوسط تربطها علاقات دبلوماسية منذ نحو ١٠
سنوات [بالتحديد عام ١٩٦٤] وتربطها من قبلها
علاقات اعمق .. علاقات تمويل وتسليح المائى
غربي لاسرائيل بارقام فلكية .

ومع ذلك فان هذا الطابع « الميثولوجي » نفسه
الذي اضاف على الزيارة لم يكن عديم الدلالة
السياسية . فلقد كتبت صحيفة « انترناشيونال
هيرالد تريبيون » الأمريكية تصف رحلة برانت
لاسرائيل فقالت : انه بدأ الرحلة « بصلاة صامئة
دامت دقيقة واحدة » على ذكرى المائين السنة
من اليهود الذي قتلهم هتلر .. وقالت ان
« المستشار » اشترك في حفل عند النصب

— تقارير الشهر —

لأرغامها على دفع تعويضات لإسرائيل على غرار ما فعلت ألمانيا الاتحادية .. فإن اشتداد الحجة بعد زيارة برانت بالتحديد يعنى ان تنسيق السياسة الخارجية لألمانيا الغربية وإسرائيل يضى خطوات أبعد .

■ تبنت ألمانيا الغربية بصورة مباشرة وأكثر وضوحاً من ذي قبل مشروع ضم إسرائيل — عضواً منفصلاً — إلى السوق الأوروبية المشتركة (والواقع ان برانت يقبى هذا المشروع بالتحديد منذ نوفمبر ١٩٦٧) .

ويرى الراقبون ان هذه الملامح الثلاثة ليست سوى مؤشرات تنقصها التفاصيل ، وان تطور الاحداث فى المستقبل كليل بأن يوضح كل أبعاد الصورة .

■ أثيوبيا

تحرك من أجل المصالحة .

أنهى مؤتمر القمة الأفريقى فى اديس أبابا ، أعماله فى ٣٠ مايو الماضى ، دون أن تتحقق توقعات — أو آمال — بعض المحللين الغربيين والأمريكيين ، بتصدع كيان منظمة الوحدة الأفريقية . وكانت مبررات توقعاتهم — أو آمالهم — هذه تستند الى عدد من الخلافات المتفجرة التى طرحت نفسها أمام المؤتمر ، والتى تابعمها الرأى العام الأفريقى باهتمام واضح .

فقبل انعقاد المؤتمر — وأثناءه — تقدمت ليبيا بمذكره تطالب فيها ، بعد أن ذكرت أعضاء المؤتمر بأوجه القارنة بين مواقف المساندة التى تقفها الدول العربية من قضايا تحرير القارة وتطورها ، وبين مواقف « بعض دول القارة من الكيان الصهيونى » . ولذلك طالبت بمقاطعة جماعة عربية افريقية للعلاقات الدبلوماسية بإسرائيل ، وينقل مقر المنظمة من اديس أبابا الى القاهرة . هذا بالإضافة الى المشاكل المتفجرة بين أوغندا — تنزانيا ، الفيبيا « الصومال » ، سوريدي — رواندا ، بسبب ما أصبح يسمى « بمشاكل الحدود » .

على أن عدداً من المهتمين بالشئون الأفريقية وبناتر منظمة الوحدة نفسها ، كانت تتوقع أن

« ان جمهورية ألمانيا الاتحادية وإسرائيل تلقان على نحو ما على جانب واحد من الضفود . وسوف نعلم جيراننا هذا الدرس » .

ويرى الراقبون ان المسألة أثناء زيارة المستشار الألماني لم تكن مجرد تصريحات وتصريحات متبادلة

فالواقع ان الجانبين — الألماني الغربي والإسرائيلى — حرصا بشدة على اعتبار زيارة برانت لإسرائيل « حدثاً تاريخياً » . ولما كانت كذلك فما كان يمكن ان تنقضى فى محادثات الزيارات الرسمية التقليدية . ولأن الزيارة « تاريخية » فانها لا نقل أهمية من أحداث تاريخية سابقة فى تاريخ العلاقات بين ألمانيا الغربية وإسرائيل ؛

— توقيع اتفاقية التعويضات (التى بلغت نحو ٣٥٠ مليون مارك) عام ١٩٥٣ ، وقد دفعت على مدى ١٢ عاماً .

— الاتفاقات السرية على مدى السنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ بين بون وتل أبيب ، وكان أهم ما كشف منها فيما بعد اتفاقيات المساعدات العسكرية ، والتسلح ، واتفاقيات المساعدات الاقتصادية التى بلغ محلها ١٦٠ مليون مارك سنوياً (خارج اطر التعويضات) .

— اتفاق لتبادل العلاقات الدبلوماسية الذى تم التوصل اليه بينهما فى مايو ١٩٦٥ . وعلى اثره حصلت إسرائيل على قرض آخر طويل الأجل قيمته ١٦٠ مليون مارك .

وعلى كل تلك « الاحداث التاريخية » السابقة فإن النتائج لا تملن فوراً ومباشرة . ومع ذلك فهناك مؤشرات الى طبيعتها ؛

□ سافر شمعون بيريز وزير النقل الإسرائيلى الى ألمانيا الغربية . وبيريز هو نفسه الذى عقد نحو ١١ اجتماعاً سرياً عام ١٩٦٥ — وكان وقتها وزيراً للمالية — مع فرانز جوزيف شتراوس وزير الخلاء الألماني الغربى آنذ . وهى الاجتماعات التى مهدت لاجتماع بن جوريون مع المستشار الألماني الأسبق كونراد أديناور وأسفر عن صفقة الأسلحة السرية من ألمانيا الغربية لإسرائيل .

□ شنت إسرائيل حملة دعائية ضارية ضد ألمانيا الديمقراطية (ووصفها إبا إيان بأنها أشد دول الكتلة الشرقية عداء لإسرائيل) وأعلن ان إسرائيل ستصوت ضد عضوية ألمانيا الديمقراطية فى الأمم المتحدة . وإذا كان المفهوم ان السبب الرئيسى وراء هذه الحملة هو رفض المساندة الديمقراطية الرضوخ لاضغوط الصهيونية العالمية

وعلى الرغم من محاولة الصحافة الاسرائيلية الظهور بمظهر الاعصاب الهائكة بشأن هذا القرار ، الا ان اذاعة اسرائيل لم تضيف ان القرار « تحذير لا يمكن تجاهله » ويعتقد المراقبون بأهمية تخطي المنظمة - في هذا المجال - توقعت المعلقين الاسرائيليين والغربيين وآمالهم ، حيث امكن تهدئة الموقف رغم حدة المناقشات بين المتدربين الليسي والاثيوبي . ويذكر الصحفيون الذين حضروا المؤتمر ان الجهد العربي الذي بذله الرؤساء آثور السادات وهوارى يومدين وجعفر تميرى قد حقق نتائجه .

ومن الجدير بالذكر ، ان المؤتمر الذي كان يمكن ان يتفعل في اطار « الاحتفالات » ، ساد جو من العمل الهرق ، نظرا للمشاكل التي مازالت تعاني منها القارة ، سواء في مجال التحرر الوطني أو في مجال الخلافات الثنائية . فبرغم مرور ١٠ سنوات على حياة المنظمة الا أن عددا من الدول الافريقية وخاصة في جنوب القارة ، مازال خاضعا للنظم الاستعمارية والعنصرية ، كما أن مشاكل عدم التوصل الى تساوون واسع في المجال الاقتصادي عاقت اتخاذ موقف موحد يحقق مصالح دول القارة ، بشأن التجارة في المواد الخام ، وعدم ارتفاع اسعارها بالقدر الممثل لارتفاع اسعار السلع المصنعة . وقد اتخذ المؤتمر قرارا بادانة سياسة بعض الدول في حلف الاطلنطي لتقليصها مساعدات عسكرية الى أنظمة حكم الاقليات ، واكد من جديد مساندته ودعمه لحركات الكفاح الوطني المسلح من أجل الاستقلال وحسد النظم العنصرية .

اما في المجال الاقتصادي ، فقد اصدر المؤتمر ميثاقا اقتصاديا تناول قضايا التساوون الاقتصادي بين دول القارة باعتباره « الطريق الوحيد للوحدة » . وهي القضايا التي تأخذ اهتماما كائفا خلال السنوات العشر الماضية ، بسبب كثرة المشاكل السياسية . ويستهدف الميثاق الاقتصادي دعم موقف الدول الافريقية خلال مفاوضاتها القادمة حول العلاقات التجارية مع السوق الاوربية المشتركة .

اما بخصوص المشاكل الثنائية ، فقد فوجئ المؤتمر « بالدرج الودية » التي اظهرها الرئيس عيدي لهمين تجاه الرئيس التزاني جوليوس نيريري ، والتي أدت الى تصفية كثير من حالة التوتر التي سادت علاقات البلدين ، منذ تولى عيدي لهمين السلطة . وجدير بالذكر هنا ، أن عيدي لهمين قد حرص ، قبل عملية التهيئة هذه ، على الاشادة بالدور البارز الذي لعبه نيريري في مجال

يهتم المؤتمر بضرورة تحديد تصور عام لدور ومهام المنظمة في العقد الثاني وطبيعة بعض المهام التي طرحتها على نفسها من قبل ولم تتمكن ، لاكثر من اعتبار - من انجازها . ومن هذه الزاوية يتحدث بعض المهتمين عما أسموه « ببعض جوانب الفصور » .

ومن الملاحظ ، أن عددا من المعلقين السياسيين الغربيين والاسرائيليين ، كانوا يحرصون - قبل انعقاد المؤتمر - الى الترويج لشعار « ضرورة ان يناقش المؤتمر القضايا الافريقية فقط » . وكان هدفهم من وراء ذلك ، هو استبعاد - أو على الأقل التقليل من أهمية - مناقشة مشكلة الشرق الاوسط . وكان هؤلاء المعلقون يضعون هي اعتبارهم - في هذا الصدد - اتجاه الاحداث في الشهور القليلة السابقة على انعقاد المؤتمر . وأبرزها اقدام ٦ دول افريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

ويرى المراقبون الافريقيون ، أن مشكلة الشرق الاوسط ، كانت تطرح نفسها بالاح ، لا باعتبارها قضية تهم الدول العربية الاعضاء في المنظمة فحسب ، بل ولأنها « تمس امن القارة واستقلالها » . وقد دفع ذلك بعض المعلقين الوطنيين في افريقيا الى الكتابة في المسكنة بنهمهم « مشكلة شمال شرق افريقيا » .

وقد اصدر المؤتمر قرارا هاما بشأن الشرق الاوسط عبر فيه رؤساء الدول الافريقية عن قلقهم البالغ بسبب استسمرار الاحتلال الاسرائيلي « للأراضي العربية » وأضاف أنه « يندد بشدة بموقف اسرائيل السلبي وأعمالها الارهابية وعرقلتها للجهود الرامية للتوصل الى ايجاد حل عادل ومنصف للمشكلة وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » وطالب « مرة أخرى بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضي الافريقية والعربية المحتلة » وأعلن المؤتمر « ان موقف اسرائيل قد يدفع الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية الى أن تتخذ على المستوى الافريقي بصورة فردية أو جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل تشهيا مع المبادئ الواردة في ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة » . وعين المؤتمر وزراء خارجية نيجيريا وتشاد وتنزانيا وغينيا والجزائر « ليتحدثوا في هذه المسألة أمام مجلس الامن نيابة عن المنظمة » . ويعتبر المراقبون قرار المنظمة هذا « خطوة بتقدمة بوصوله الى صيغة اتفاق تتضمن تهديد اسرائيل بالعقوبة » .

— تقارير الشهر —

الجديدة» التي تطلق على حزبه، فقد صرح في آخر مؤتمر صحفي له قائلا: «لننا فاشيين جدد، نحن فاشيون، و... باسمنا» «أى وكفى؟» وإذا كان جورجيو جيراني في الواقع الفاشيين الذين ظهروا بالاعتبارات في مدن إيطاليا وألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، ويشاركهم أحلامهم العقيمة، إلا أنه يختلف عنهم باعتمادهم على قاعدة واسعة من الشباب المسلحين، والمصممين على خوض المارك من أجل الاستيلاء على السلطة. فقد بلغ عدد أعضاء الحزب الفاشي الجديد ريمائة ألف عضو في سجلاته الرسمية، وصوت له في آخر انتخابات نيابية جرت في إيطاليا العام الماضي ثلاثة ملايين ناخب. وهو يصدر عددا من الصحف، ويوجد صدى لآفكاره حتى في أشهر صحف إيطالي، وأكثرها رواجاً. وللحزب أيضاً نوابه وممثلاته الحاصلة بالشباب، وأخذ يمتد نشاطه في الحياة السياسية الإيطالية معتمداً على التأييد الفارحي وخاصة من الأنظمة الإسبانية والبرتغالية واليونانية. وتهدف «الفرقة الاجتماعية الإيطالية» تحت شعار «النظام الجديد» إلى إلغاء كل دور سياسي لقوى اليسار في إيطاليا، عن طريق الاحتواء التدريجي لقوى الوسط، وتحصل على مساعدات مالية ضخمة من أصحاب الاحتكارات الكبرى في إيطاليا، ولكنها لم تحقق أجماع أقطاب الصناعة الإيطالية حول شعاراتها.

وقاعدة الحزب الفاشي الجديد، هم تلك الأعداد الهائلة من قطاعات من العاطلين ذوي الوعي الاجتماعي المشوه ومن البعيدين قلوباً عن الفاشية العمالية. وهذه القطاعات تقف — في كثير من الأحيان — المواقف التي تفصلها عن العمال المنظمين في مذابهم. ومن ثم فانتسابها السياسي إلى الطبقة العاملة ضعيف.

ومن ثم نقد انضمام إلى هذا الحزب على أمل أن يحقق لهم حياة أفضل بعد أن نفذوا كل أمل في النظام القائم، كما يعتمد الحزب في عضويته على بعض الشباب المثقف من حملة الشهادات الذين تخرجوا حديثاً من الجامعة، ولم يجفوا المهمل المتناسب الذي يرضى لموجهم. واستغل الفاشيون الانهيار الاقتصادي والسياسي في البلاد لأثارة نفقة هذه الفئات من الشعب وعبأتهم لمصلحتهم في حرب ضد النظام القائم.

وساعد على انتشار الأفكار الفاشية، وتزايد هذه الاضطرابات في الفترة الأخيرة المعجز الواضح للحكومة في مواجهة هذه الاضطرابات الأمر الذي أصبح يهدد استمرارها في حكم البلاد. فالحكومة الإيطالية الحالية المشكلة من

الوحدة الأفريقية، بل وأشاد بدور الرئيس الراحل السابق ميلتون أوبوتي الذي يقف لأن في تنزانيا.

كذلك تمكن المؤتمر من نخطي المشكلة الحادة التي أثبتت بين إثيوبيا والصومال بسبب منطقة «أوجادين» التي تعتبرها الصومال «منطقة وطنية» ينبغي حلها باستعادة الصومال لها. وشكل المؤتمر بعد أن وجه نداء إلى الرئيس الصومالي محمد زياد يرى لحضور المؤتمر وحضره، شكل لجنة لمناقشة الموضوع، وقررت نتائج أعمالها على مؤتمر القمة القادم الذي قرر المؤتمر عقده في مقديشو (عاصمة الصومال) في يونيو ١٩٧٤. كما أحال المؤتمر إلى لجنة أخرى، مناقشة مشكلة الحدود بين بوروندي ورواندا. وبعداً يميل بعض المراقبين إلى القول بأن خبراً من نتائج هذا المؤتمر كانت تأكيداً جديداً على سدة الفصلة على القيسام بدور فمسا في مجر «الوساطة» و «المصالحة».

■ إيطاليا

الفاشيون الجدد

ومستقبل أحلامهم

أحداث العنف التي تقع في المدن الإيطالية كل يوم، ونزاعها على الصفات الأولى من الصحف الأوربية أصبحت تثير قلق الرأي العام الإيطالي والأوربي، فاصوات انفجارات القنابل، واضرابات الطلبة والشباب، والسطو على القطارات، وحوادث الاغتيل أصبحت من الأمور التي أعاد القارئ عليها. وتحولت بذلك المدن الإيطالية الهادئة إلى أعنف بلدان أوربا الغربية وأكثرها تمزقا ورعباً. وآخر هذه الحوادث وقع منذ أيام في مدينة ميلانو، فقد انفجرت قنبلة في أحد شوارع المدينة قتلت أربعة وخزعت نهاية أشخاص حالة أربعة منهم خطيرة... والغريب أن هذه الحوادث الدموية — كما أكدت أجهزة الأمن هناك — تحمل رقبا أسود واحداً وهو: «الحركة الاجتماعية الإيطالية» أي الحزب الفاشي بزعامة جورجيو جيراني.

وهذا الزعيم الحزبي، الذي يتحدث في كل مناسبة بفخر شديد عن تعاونه مع التيار الفاشي أيام موسوليني، يذهب إلى رفض منه «الفاشية

« إجراءات قمعية » ، كما تضمن المرسوم إلغاء المحكمة الخاصة بالأعمال التخريبية - التي كانت الحكومة العسكرية السابقة قد شكلتها لضرب معارضيهما . كما أمر الرئيس الجديد بتدمير ملفات البوليس السياسي عن المناضلين التقدميين والديمقراطيين .

وفي حفل تنصيبه التي كلبية تعهد فيها بإنهاء نهج الأجانب لقروات البلاد ، وأجراء إصلاحات اقتصادية بعيدة المدى ، واضفاء الشرعية على الأحزاب المعارضة ، وإعادة العلاقات مع الدول الاشتراكية . وبالفعل أعاد العلاقات مع كوبا ، بل أن رئيسها دورتيكوس حضر احتفالات التنصيب ، حتى قبل إعادة العلاقات بين البلدين ، واشترك معه في هذا الرئيس ألفيندي رئيس شيلي ، ووليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي الذي استقبل بفقر كبير من الرسميين . أما المواطنون ، فقد حيرا روجرز بالقاء الأحجار على شيراتون وتحطيم واجهته للتعبير عن تقديرهم لأمريكا .

ورسم هذه الإجراءات والتصريحات ، فسان الجماعات الثورية العسكرية مثل جيش الشعب الثوري ، والقوات المسلحة الثورية ، والقوات المسلحة البيرونية ، أعلنت أنها « ستواصل العمل ضد العسكريين والرأسماليين المحليين والأجانب » ، وحذرت من المهادنة مع الولايات المتحدة ورأس المال الكبير والعسكريين ، بل وذهبت بعض جماعاتها إلى تأكيد « أن الحكومة الجديدة لا تستطيع ولا تريد - بحكم تركيبها وسماثلها - قيادة وتوجيه سياسة النضال الثوري للطينة العاملة والشعب العامل الذي سيواصل نضاله » ، وقالت ، انها لن تنهаж الحكومة ، بما لم تنهаж هذه الشعب ، وتحاول قمع فرق حرب العصابات . وأكدت انها ستستمر في كراهية المشروعات الاستغلالية الأجنبية والمحلية والقوى المضادة وستصر على تسامح المشروعات الأمريكية والأوروبية ، وأجراء إصلاح زراعي حقيقي . وحتى الآن ، لم يتعرض الرئيس الجديد للحركات الثورية مباشرة ، وأن كان المجلس الأعلى للحركة العدلية - حزب الرئيس الجديد - وقد أعلن في ٢ يونيو الماضي ، أنه يعرف أين تكمن الأوليغارشية والامبريالية ، وأنه مصمم على أخذ السلطة ، ولكن هذا يقتضي النظام والانضباط . كما أعلن كامبورا « أن قواعد اللعبة قد أصبحت واضحة » ، لقدصوتنا من أجل أسلوب للديمقراطية، ولكني يتمتع الجميع بأكبر قدر من الحرية ، وتقليدنا جهاز القمع . ومن ثم على الجميع أن يتصرفوا علانية » .

ومع ذلك ، فإن هذه التصريحات لا ترضى الجماعات الثورية ، ومنها الأجهزة اليسارية من الحركة

الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الليبرالي والحزب الاشتراكي الديمقراطي تجد صعوبات حقيقية في الاستمرار ، في حكم البلاد ، من خلال صيغة التيمين الوسط وذلك نظرا لصعوبة حصولها على أكثرية في البرلمان حول عدة مشاريع قوانين ، خصوصا فيما يتعلق بالخطط الاقتصادية المقترح للخروج من الأزمة التي تعاني منها البلاد لمحالة علاج البطالة التي بلغ ضحاياها مليون شاب . ثم تأتي بعد ذلك مشكلة ارتفاع الاسعار المستتر ، ثم القلق من تدهور الليرة الإيطالية ، وتزايد الاضرابات التي تشمل مرافق كثيرة في البلاد . ويزيد الأمر خطورة أعمال العنف التي تزايدت هذه الأيام . ويمتدح سكرتير الحزب الاشتراكي بمجز الحكومة عن مواجهة هذه الأعمال بقوله : « ان التيار الغاشي ليس سببا في الأزمة الإيطالية بل نتيجة لها » .

■ الأرجنتين

البيروقراطية :

من الخمسينات إلى السبعينات

أكدت رويتر ووكالة الأنباء الفرنسية ، أن خلافا نشب بين بيرون وهكتور كامبورا الرئيس الجديد للأرجنتين ، تجلت دلائله في أن بيرون لم يحضر حفل الاستقبال الذي أقامه الجنرال فرانكو تكريما لكامبورا بمناسبة زيارته لأسبانيا ، كما أنه لم يكن بين مستقبله عند وصوله ، رغم أن كامبورا جاء خصيصا لاصطحاب بيرون في عودته « الظافرة » إلى بلاده .

وقسرت الوكالتان هذا بأن بيرون لم يعد قائما بشعار « السلطة لبيرون والحكم لكامبورا » ، نولك بداية الخلافات على القمة . أما في القاعدة ، فالشباب البيروني يطلب باتجاه اشتراكي واضح ومحدد ، ويرفض الخلط عن تنظيماته المسلحة ، ويطلب المزيد من الإجراءات الديمقراطية والاجتماعية ، رغم أن كامبورا حقق خطوات كبيرة في الفترة القصيرة التي انتقلت منذ تنصيبه في ٢٥ مايو الماضي . ففي يوم ٢٦ مايو - أي اليوم التالي - أصدر قرارا بالعمو عن المسجونين والمعتقلين السياسيين .

وبعد تنصيبه بثلاثة أيام ، وقع مرسوما بالغاء القوانين المقيدة للحريات ومنها القانون رقم ١٧٤٠ الخاص بتحرير الشيوعية ، وبعض الإجراءات الأخرى التي تعد - في نظر الحكومة الجديدة -

تقارير الشهر

أساس التوسع في تصدير اللحوم والحيوب و تراكم الارصدات من العملات الاجنبية ، وبدء عمليات التصنيع ، وتدفق الالوف من سكان الريف الى المدن . وقد اعتمد بيروت كثيرا على هؤلاء بكل ماكانوا يتميزون به من نقص في الوعي الاجتماعي ولم يحاول المساس بأسس النظام القائم - حينذاك - على مهيمنة اصحاب الائتلافات (الائتلافات الشاسعة) والبرجوازية الكبيرة التي سكنت على النظام ، واعتقادها - ان طابعه الاصلاحي يطمس وعي الجماهير .

ولكن ازاء اشتداد المشاكل الاقتصادية ، وشيوع التناقضات داخل الحركة البيرونية قروا الاطاحة به ، وسهل لهم هذا ان النظام لم يحدث تحويلات هيكلية تسد الطريق على الثورة المضادة .

غير ان البيرونية تصود اليوم في ظروف مختلفة . ففي فترة حكم بيروت السابقة ، كان الدولار يساوي ١٦ بيزو ، اما اليوم فيساوي ١٦٠٠ بيزو . كما يزداد عبء الضرائب فقد ارتفعت هذه من ٦.٥٨ مليون دولار في ٧٠ الى ١١١١١ مليون في ١٩٧٢ ، في حين تزايد الانفاق الحكومي من ٨١٤٨ مليون الى ٢٠٦٦٢ مليون ، وبين ١٩٦٠ و ١٩٧٢ زادت نفقات المعيشة حوالي عشرين مرة ، في حين انخفضت الاجور حتى اصبحت في ١٩٧٣ تقل بنسبة ٨٠ في المائة عنها في ١٩٥٤ . هذا ، في الوقت الذي تنافى فيه الوعي الاجتماعي ، خاصة بين الشباب ، بل لقد وصل هذا الوعي الى قسوس الكنيسة .

من هنا ، فان التصديبات التي تواجهها الحكومة الجديدة تكمن في المجال الاقتصادي ، وهذا ما تربيته الطبقة العاملة والجماعات الثورية ، بل ان المعسكرين يعتمدون عليه اذا ارادوا ان يعودوا من جديد . والمسؤال هو : هل يستطيع قادة البيرونية الاستجابة للظروف الجديدة ومعالجة مطالب القواعد الشعبية لحركتهم - واجراء التحولات الاجتماعية والاقتصادية الاساسية التي تحول دون اتصائهم مرة اخرى ؟

ان الطريق الى هذا ، لا يمر ابدا بمهادنة الطبقات الرجعية المحلية المتعاونة مع الامبريالية والمهيمنة اقتصاديا . لاسيما بعد ان اعلنت الجماعات الثورية انها سوف تقف بالرصاد لأي محاولة من هذا النوع .

البيرونية ، نفسها ، خاصة فصائلها المسلحة ، وتنظيمات الشباب فيها . الامر الذي جعل بيروت يدعوا من منها الى السيطرة على حركة الشباب ومنع التطرف . كما تحرك الاتحاد العام للعمال - بقيادته الحالية القوية الاساسية للبيرونية - وعقد مؤتمرا غير عادي ، رفع فيه بعض قاداته شعار « لا بالانكي ولا الماركسية ، وانما البيرونية » . ومما يزيد من قلق الجماعات الثورية حديث كامبورا عن اتاحة الفرصة لرأس المال المحلي ، والرقابة على رأس المال الاجنبي وليس الغنى ، وتعيين رئيس الاتحاد الاقتصادي الوطني (تنظيم ارباب الاعمال) وزيرا للمالية ، وهو يهودي مهاجر ممن يقولون عنهم انهم « عصاميون » تمكن من تحقيق ثروات هائلة ويدعوا الى اعطاء الفرصة لرأس المال المحلي . وبالفعل لقد اعتدلت الاوضاع في البورصة بعد تصليب الرئيس الجديد ، بل لقد اكدت صحيفة « الكرونستاكوم سيال » ان التفاؤل اصبح مسيطرا عليها ، وان ارباب الاعمال يقولون كثيرا من جوانب البيرونية . وكان اتحاد ارباب الاعمال ، قد اعد برنامجا « للاصلاح الاقتصادي » ناقشه قبل الانتخابات مع ممثلي الاحزاب الرئيسية - خاصة البيرونيين - وعلن المتحدث باسمه : « ان شعبنا يشترك في الثروة اقل غفل ، ولا يمكن ان نتنظر منه مزيدا من التضحيات » . ومما يؤكد التوتر بين الحكومة الجديدة والجماعات الثورية ، ان القوات المسلحة البيرونية قتلت احد قادة اتحاد العمال - وهو سكرتير عام نقابة صناعة السيارات ، وقالت انه في خدمة المخابرات الامريكية .

ويرى بعض المراقبين ان بيرونية الخمسينات - وهي نموذج للاصلاحية وفكرية البرجوازية الصغيرة تجد صعوبة الان ، اي في السبعينات . ذلك ان محاولتها الابقاء على الاوضاع على ما هي عليه - اي ترك الملكية الخاصة للبرجوازية الكبيرة وكبار ملاك الارض - وتقييد - رأس المال الاجنبي وليس الغنى - لا يمكن ان تستمر طويلا ، لانها لا تقدم حلا للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة بل هي لا ترضي المستفيدين منها . وقد تبين بيروت عند عودته في اكتوبر الماضي ، ان الشباب البيروني نفسه ، يامل في نظام اشتراكي ثوري ، ومن ثم تعددت تصريحاته عن الاحتكارات ، ومعاداة الشركات متعددة التوسيمات ، ومنهاضة الدكتاتورية ، ولكن هذه التصريحات - خفت - اخيرا - وحل محلها الدعوة الى النظام . والواقع ان النظام البيروني السابق تشكل في اطار اقتصادي واجتماعي معين - عقب الحرب العالمية الثانية - تميز بالازدهار الاقتصادي النسي على

■ الولايات المتحدة الأمريكية

خطوات جديدة للتعاون الدولي

يجمع المراقبون السياسيون في مختلف البلدان على أن محادثات القبة السوفيتية الأمريكية التي جرت في واشنطن بين الزعيمين **ليونيد بريجنيف** و **ريتشارد نيكسون** تعتبر أسهما جديدا في تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة وفي زيادة الانفتاح والتعاون الدولي .

وكان **ليونيد بريجنيف** قد وصل إلى واشنطن في ١٦ يونيو في زيارة للولايات المتحدة بناء على دعوة الرئيس **نيكسون** ، لمواصلة الحوار الذي بدأه الزعيمان في موسكو في مايو ١٩٧٢ . وعند وصوله إلى الولايات المتحدة صرح **بريجنيف** : « بأن محادثات القبة التي بدأت في موسكو في العام الماضي قد وضعت أساسا طيبا للعلاقات السليمة بين البلدين . ونحن نعتبر زيارتنا للولايات المتحدة ومحادثتنا مع الرئيس **نيكسون** تعبيرا عن تصميمنا المشترك على اتخاذ المزيد من الخطوات في العمل الذي بدأناه سويا » .

وجاءت الزيارة ، فحققت توقعات **بريجنيف** ، فخلال المحادثات استعرض الزعيمان ما تم إنجازه على طريق انفتاح العلاقات والتعاون بينهما خلال الفترة التي انقضت منذ مايو ١٩٧٢ . وأعلنا ارتياحهما إلى النتائج التي تم تحقيقها في هذا المضمار . وكشفت لهما تجربة التعاون — خلال العام الماضي — عن أهمية اتخاذ خطوات جديدة في نفس الإنجاز . وكللت جهود البلدين بتوقيع عدد من الاتفاقيات الهامة التي تفتح آفاقا أرحب للتعاون السوفيتي الأمريكي . وقد اشتركت **واشنطن بوست** في « أن الاتفاقيات التي تم توقيعها في واشنطن ، تختم تدعيم وتوسيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة » . وواصل الزعيمان حوارهما الذي بدأ — منذ عام مضى — حول القضايا الهامة في العلاقات الدولية والتي تؤثر على مصالح الدولتين ومصالح كل البشرية ، وإمكنهما التوصل إلى اتفاق في وجهات النظر حول بعض القضايا المتعلقة بالوضع الدولي وتدعيم السلام في العالم .

وتم التوصل إلى عدد من الاتفاقيات لتوسيع التعاون بين البلدين في مجال الصلات والتبادل ، والنقل ، والزراعة ، واستكشاف المحيطات ، ولقد بدأ التعاون في مجال الصلات والتبادل

بين البلدين منذ عام ١٩٥٨ . غير أن الاتفاقية الجديدة اتفاقية طويلة المدى سيبرى مفعولها حتى ١٩٧٩ ، تشيا مع رغبة البلدين في التعاون على مدى طويل ، ولكي تكون متنسقة مع الاتفاقيات التي تم التوصل إليها في المجالات الأخرى . لقد وضعت الاتفاقية الأخيرة لئلا التعاون — في هذا المجال — انطلاقا من مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة . كما تتفق الإجراءات التي ترتبط بها مع الدساتير واللوائح والقوانين في كلا البلدين .

وتستهدف اتفاقية الصلات والتبادل ، تطوير العلاقات الشاملة بين البلدين ، واضعة في اعتبارها الإنشائية السبع للتعاون في مختلف المجالات التي وقعت في موسكو ، في مايو الماضي في واشنطن أخيرا ، ونص الاتفاقية الجديدة على إجراءات توسيع وتسهيل الصلات ، والتبادل والتعاون في مجال العلوم والتعليم والفن والأفلام والراديو والتلفزيون وتبادل الكتب العلمية والثقافية والمعارض والسباحة وتبادل الفنون والطبوعات واللوائح . وقد أشار **ستيفنز** المسئول بوزارة الخارجية الأمريكية عن التبادل مع الاتحاد السوفيتي ، إلى أن الاتفاقية الجديدة تتيح فرصا أكبر للتبادل كما توسعه من ذي قبل ، مما يؤدي إلى زيادة التفاهم التبادل وأطراد تحسين العلاقات بين البلدين .

وجاءت اتفاقية التعاون في مجال النقل نتيجة لتوسيع التعاون العلمي والتكنيكي بين البلدين ، خلال الفترة الأخيرة ، حيث نشأت مشاكل متعلقة بالنقل ويكرر الجهود من أجل حل تلك المشاكل . ومن أجل تبائل المعلومات والأخصائين وتطوير التنفيذ المشترك للمشاريع الخاصة بالنقل البري والبحري والجوي بحيث يمكن الاستفادة من خبرة كل من البلدين ، ومن تعاونها المشترك . وتستهدف الاتفاقية الأخيرة في هذا المجال توفير الجهود القوية من طريق التعاون وتبادل الخبرات والمعلومات .

أما الاتفاقية الخاصة باستكشاف المحيطات فقد كانت ثمرة التعاون المشترك بين المختصين في البلدين ، والذي بدأ عام ١٩٥٨ . ويجري الآن توسيع ذلك التعاون الذي ستوضع نتائجه تحت تصرف كل البلدان ليكون ذا فائدة للبشرية بأسرها .

وتعالج الاتفاقية الرابطة الخاصة بالزراعة وتوسيع التعاون في مجال الزراعة وتربية الماشية وتبادل الخبرات في مجالات الري وحفظ التربة واستصلاح الأراضي وغيرها من المجالات . ويفضل الجهود المشتركة التي بذلت خلال العام الماضي ، يمكن التوصل إلى اجتباع القبة في

■ الكوميكون

منجزات عامين من برنامج

التكامل الاقتصادي

في الوقت الذي تتوالى فيه الازمات النقدية على « النظام النقدي العالمي » للغرب كله ، وبينما تأخذ قيمة الدولار الأمريكي في التدهور تحت ضغوط المضاربات في اسواق الذهب ، وفي اسواق الاوراق المالية في العالم الغربي تتجمع مجموعة الدول الاشتراكية باستقرار كبير في نظامها النقدي . سواء في ذلك احوالها النقدية الداخلية — كل على حدة — أو في علاقاتها النقدية المشتركة .

ولا شك ان الوضع النقدي — سواء في الغرب أو في الشرق — هو انعكاس لوضع الاقتصاد العالمي وطبيعة العلاقات المالية والقيدية في ظل التنظيمين الماليين المختلفين .

ومن هنا تكسب أهمية كبيرة عملية التواء الضوء على الدورة السابعة والعشرين لمجلس العموم الاقتصادي للتبادل (« السيميا » — أو « الكوميكون » كما يسمونه في الغرب) وهو الهيئة الاقتصادية التي يتم في إطارها تنسيق الأنشطة الاقتصادية والمالية والتجارية والتندية لمجموعة الدول الاشتراكية فيما بينها ، وأيضاً بينها وبين دول العالم الأخرى ، وخاصة الدول النامية التي تربطها علاقات تعاون ومساعدة وثيقة مع العالم الاشتراكي .

وقد عقدت هذه الدورة — على مستوى رؤساء الحكومات في براغ بين ٥ و ٨ يونيو الماضي ، وناقشت خلالها — بصورة شاملة — المسائل المتعلقة بتنفيذ البرنامج الشامل لتحقيق مزيد من القومع وتحسين التعاون والتنسيق للتكامل الاقتصادي الاشتراكي بين دول المجلس .

ويمكن القول بان هذا البرنامج يلقي اهتماماً كبيراً على المستوى العالمي ، وليس داخل مجلس العموم الاقتصادي للتبادل وحده ، لأنه يشكل تجربة جديدة في العمل الجماعي للدول الاشتراكية ، ومرحلة ملياً في تقسيم العمل الاشتراكي بين هذه الدول في مرحلة هامة من تطورها الاقتصادي والتكنولوجي .

وقد تحدثت دول المجلس — في الدورة الأخيرة — هدف التعاون بينها في إطار برنامج التكامل بأنه « ضرورة تطوير التعاون الاقتصادي بين دول المجلس نحو أقصى استفادة من إمكانيات التكامل الاقتصادي الاشتراكي ، على أساس أن

واشنتن إلى اتفاقيات جديدة نحو حل القضايا المتعلقة بالسلام والأمن الدولي وأهمها القضايا المتعلقة بنزع السلاح .

وتوصل الطرفان ، إلى اتفاقية حول التعاون العلمي والتكنيكي في مجال الاستخدام السلمي للطاقة الذرية . وتهدف تلك الاتفاقية إلى زيادة التعاون في هذا المجال لصالح الشعبين ولصالح كل البشرية . وسيوسع البلدان نتيجة لهذا الاتفاق من تعاونهما في مجال الأحكام وتطوير واستخدام الطاقة الذرية ، بهدف تطوير موارد الطاقة . وسوف تنشأ لجنة مشتركة للتعاون في مجال الاستخدام السلمي للطاقة الذرية .

ووقع الزميمان وثيقة خاصة بالمبادئ الأساسية لمفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية . وأكد الجانبان ان مزيداً من العمل في هذا المجال سيكون أسهلها هماً في الحد من خطر اندلاع حرب نووية وتدعيم السلام العالمي . واتفق الطرفان على ان يبذل خلال العام القادم جهوداً من أجل التوصل إلى اتفاق دائم حول إجراءات الحد من الأسلحة الاستراتيجية للتوقيع عليه عام ١٩٧٤ .

كما وقع الزميمان اتفاقية خاصة بتجنب نشوب الحرب النووية والازمات العسكرية التي قد تؤدي إلى صدام بينهما . وأشارت الاتفاقية إلى تمهد كل من الدولتين بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في أي ظرف كان ، ومحاولة إجراء مشاورات بين الطرفين في حالة وجود أي خطر من هذا القبيل .

« ان محادثات القمة السوفيتية الأمريكية في واشنطن وما سيطرت عليها من نتائج ستساعد ، كما يقول رئيس الجمعية الوطنية في تازانيا ، على تخفيف حدة التوتر وإبعاد خطر حرب عالمية جديدة » . وشعوب أفريقيا التي لها مصلحة حيوية في السلام تشعر بالارتياح إزاء هذه الحادثات . ففي ظل الأمن الدولي وحده سيكون لدى دول أفريقيا الفتية إمكانية لتدعيم استقلالها السياسي والاقتصادي وتقدمها »

ويشير الراقبون السياسيون إلى ان المحادثات ستفتح أفقاً رغبة أمام تطور العلاقات الدولية في اتجاه أمن وسلام كل البلدان ، وهذا يتوقف على مدى قدرة البلد المعني من تطويع العلاقات الدولية الجديدة لخدمة أهدافه الوطنية والقومية . وقد أشار بريجنيف إلى ذلك فقال : « إذا كنا نبنى بالجهود المشتركة صرحاً جديداً من العلاقات السلمية فالتأثير لا ننوي على الإطلاق تحويله إلى صرح بمنزل من العالم الخارجي . اننا نريد ان يكون هذا الصرح الرحب مفتوحاً لكل من يميل إلى تعزيز سلام ومساعدة البشر » .

هذا يضمن المزيد من تقوية الإمكانات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية والقادرة الدفاعية للدول أعضاء المجلس » .

والواقع أنه منذ بدء تنفيذ برنامج التكامل الاقتصادي الاشتراكي حققت مجموعة الدول الاشتراكية نتائج ومجريات هامة . لقد انتقلت من مشروعات خطط التنمية الاقتصادية الخمسية الى خطط التنمية الخمسية المنسقة ، مع تطبيق نتائج المشاورات حول المشكلات الرئيسية الاقتصادية والعلمية والتكنيكية ، كل هذا - في نسج واحد - مع خطط التنمية الطويلة الأجل . وقد كشفت الدورة السابعة والعشرون للمجلس - بها أذيع خلال مناقشتها وفي بياناتها الختامية - عن جوانب تفصيلية عديدة عن إنجازات مجموعة الدول الاشتراكية في إطار هذا البرنامج الشامل الهام . ومن أبرز ما كشفه بيان الدورة أن الدخل القومي الإجمالي للدول الأعضاء ككل زاد خلال عام ١٩٧٢ بنسبة ١١,٣٦ ٪ بالمقارنة بما كان عليه عام ١٩٧٠ ، كما زاد الانتاج الصناعي - في هذه الدول - بنسبة تفوق ١٥ ٪ مقابل نسبة زيادة الإنتاج الصناعي في دول الغرب الرأسمالية ككل التي بلغت خلال الفترة نفسها ٨,٨٣ ٪ .

وخلال عام ١٩٧٢ بلغت قيمة التجارة الخارجية لدول المجموعة الاشتراكية مع العالم الخارجي ٦٨,٤٠٠ مليون رول بزيادة ١٠,٢٤ ٪ ، بينما بلغت زيادة قيمة التجارة بين الدول الاشتراكية أعضاء المجلس فيها بينها ١٠,٢٤ ٪ .

ومن أبرز الأرقام التي تضمنها بيان الدورة الـ ٢٧ للمجلس أن حجم السلع المصنعة الاستهلاكية المتبادلة بين الدول الأعضاء ارتفع خلال ١٩٧١ - ١٩٧٢ بنسبة ٢٦,٣٥ ٪ ما عكس اهتمام دول المجموعة الاشتراكية بشكل خاص بإشباع حاجات الجماهير وطلبها على السلع ذات الجودة العالية .

وفي المجال النقدي ، فإن حجم التسيويات المالية الإجمالية - التي قامت بها بنوك الدول الأعضاء في المجلس - من طريق الروبل القابل للتحويل [وهو العملة المشتركة التي تجرى بها المبادلات المالية بين الدول الاشتراكية] زاد بنسبة ١٠ ٪ عما كان عليه عام ١٩٧١ . وقد أكد البيان الختامي للدورة ، أن الدول الأعضاء ، وكذلك هيئات المجلس وأجهزته ، نفذت عددا من الإجراءات التي دعمت الاستقرار النقدي والملاقات المالية بين الدول الأعضاء . وقد انعكس ذلك ، في زيادة الحجم الكلي لمعاملات التحويل النقدي مع بنوك الدول الأخرى - غير

الأعضاء - بنسبة ١٥,٢ ٪ في عام ١٩٧٢ عنها كانت عليه عام ١٩٧١ .

والواقع أن دورة براج لم تقتصر على تقسيم نتائج ما تم تنفيذه من البرنامج الشامل للتكامل الاقتصادي الاشتراكي للمجموعة الاشتراكية ، بل أنها تضمنت مناقشات وإجراءات لتجديد أساليب إزالة العقبات ، واتخاذ التدابير لزيادة إمكانات التعاون لصالح كل من البلدان الاشتراكية على حدة ، وتطور المجموعة ككل .

وقد ظهرت ، فعلا ، مجالات جديدة لاهتمام المجلس خلال هذه الدورة ، وكان أبرزها حماية البيئة وتحسينها ، وما يتعلق بها من مسائل استغلال المصادر الطبيعية . وقد أوصت الدورة كل الدول الأعضاء بالاستمرار في دعم التعاون على أوسع نطاق بينها وبين جميع الدول المعنية والمنظمات الدولية فيما يتعلق بمشكلات البيئة .

وأصدرت دورة رؤساء الحكومات تعليقاتها إلى لجنة التعاون العلمي والفني التابعة للمجلس - وضع وتنفيذ الإجراءات المتعلقة بالتعاون في مجال حماية البيئة ، ومراعاة التنسيق مع الإجراءات المتبعة على المستوى الأوروبي ككل .

أن النجاح الذي تحقق والذي يمكن أن يتحقق مستقبل البرنامج التكاملي الاقتصادي الاشتراكي لا يتفصل بأي حال من المواقف الدولي الصام ، خاصة وقد أصبحت المنافسة الاقتصادية بين العاملين الاشتراكي والرأسمالي هما أبرز سمات .. ولهذا فإن هذا البرنامج يمكن أن يعد الوسيلة الأساسية في مواجهة تحدي المنافسة بين الاشتراكية والرأسمالية ، فمن خلاله يتم رسم صورة المستقبل الاقتصادي للعالم الاشتراكي على خلفية من سياسة التعايش السلمي التي يعززها العالم الاشتراكي بنجاح في العالم وخاصة في أوروبا .

■ علوم :

ندوة السكان والتنمية

دراسات جادة عن مشكلة خطيرة

في الندوة العالمية عن السكان والتنمية التي عقدت في القاهرة من ٤ الى ١٤ يونيو الماضي والتي افتتحها د . هيب القانبر حاكم نائب رئيس الوزراء لشؤون الثقافة والأعلام ، أكد بول بيروش استاذ التاريخ الاقتصادي بجامعة جنيف ، الارتباط الوثيق بين الزيادة الديمغرافية والتصنيع في العالم الثالث . وأوضح أن نمو الطلب على

تقارير التمسح

المشتغلين من ٩,٩ في المائة في ١٩٠٠ الى ٩,٢ في ١٩٢٠ الى ٧,٢ في المائة في ١٩٥٠ .

أما ريفيه ديجون الخبير الزراعي الفرنسي ، مشهور ، بالمعهد الزراعي القومي في باريس ، فيوضح في بحثه للندوة أن سبعة مليارات نسمة ستمثل بالنسبة لمستقبل البشرية في القرن الحالي لخطر تهديد وأشد ، وتعتبر ذخيرا بكارثه يصعب تلافيها . ويقول أنه يتعين تخفيض معدل المواليد والتزايد السكاني في البلاد المتطورة - قبل البلاد النامية - باعتبار أن الأولى هي المستهلك الأساسي للمواد الغذائية ، إذ ينق ٢١٠ مواطن في الولايات المتحدة ، أكثر مما ينفق ٥٦٠ مليوناً هندياً بحوالي ٢٥ مرة . ويقول « في بلدان العالم الثالث الرأسمالية ، لن يكفل الرخاء المتوقع كبح جهاج التزايد السكاني ، رغم أن الرخاء قد قل ذلك في البلدان المتطورة . ولكن الصين وفيقندم ، تبيان لنا أن العمل السياسي ، يستطيع هو أيضاً أن يخفض - وحتى بصورة أسرع - معدل المواليد ، إذا تم في إطار نظام صارم ملزم للجميع »

ويقول ، أن عدد من يمانون من سوء التغذية عدد هائل ، قدر في ١٩٧٢ بما يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ مليون نسمة ، أما أكثر الجرائم أليال في عصرنا الراهن ، فهي تلك التي تهتل في وجود عشرات الملايين من الأطفال في البلدان الفقيرة ، لا يستطيعون ولن يستطيعوا في العقود القادمة - بسبب النقص الواضح في البروتين اللازم لتغذيتهم - بلوغ النمر الطبيعي لنجم الخبز هذا . إذا استمر التفاوت الحالي »

ونذرة القاهرة هذه هي الأولى من ٤ ندوات عالية ، ستمقد الثلاث الباقية في هوبولولوس وستوكهولم وأمستردام ، وذلك تمهيداً للمؤتمر العالمي للسكان الذي ستنظمه الاسم المتحدة في يوغاوست في ١٩٧٤ . وقد عقدت الندوة تنفيذاً لتوصية لجنة السكان التابعة للأمم المتحدة ، في دورتها السادسة عشرة ، والتي أيدتها المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، وهي تعتبر جزءاً من نشاطات السنة الدولية للسكان وهي سنة ١٩٧٤ .

ولقد تركزت ندوة القاهرة على بحث العلاقة بين السكان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على أسس علمية ، ولكل لفهم المشاكل التي تثور في هذا الصدد ، وبحث إمكانية وضع خطة صالحة للسكان . أما الندوات الثلاث الأخرى فستبحث على الترتيب : الموارد والبيئة ، والسكان والاسرة ، والسكان والحقوق الإنمائية .

وقد وضعت مكتاتارية الأمم المتحدة ، تقديراتها لعدد سكان العالم في الفترة المقبلة ، تبين منها أنه سيصل على أساس الفرض المتوسط الى ١,٢ مليار نسمة في عام ٢١٢٥ وفي الفرض الأعلى الى

مبلغ التصنيع الناجم من التزايد السكاني محدود ، لأن عمليات التصنيع اعتمدت في هذه البلدان ، أساساً على أسلوب بحال الواردات . وقال أنه رغم النمو السريع للصناعة (حوالي ٥,٢ في المائة سنوياً) فإنها لم تنص إلا جانباً محدوداً من الفائض السكاني الزراعي . فقد زاد هذا الفائض بمقدار ٨١ مليون نسمة بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ ، امتصت الصناعة ١٠ في المائة منها فمسيب ، وفيما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ امتصت الصناعة ما بين ١٠ و ١٢ في المائة من فائض السكان الزراعيين . في حين أن نسبة الإمتصاص في أوربا وصلت في العشرين سنة الأولى للتصنيع فيها (بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠) ما بين ٤ في المائة ، و ١٠ في المائة في بعض البلدان ، أي بمتوسط قدره ٥٠ في المائة . والفرق في قدرة الصناعة على امتصاص الفائض الزراعي بين بلدان العالم الثالث وبين بلدان أوربا ، لا يرجع كما يقول بيروش ، إلى ارتفاع معدل النمو والانتاجية في البلدان الأخيرة عنها في الأولى ، وإنما يرجع إلى ضخامة النمو الديمجرافي في بلدان العالم الثالث ، الأمر الذي يدفع الرقم المطلق للفائض السكاني .

ولقد ارتفع عدد السكان العالميين في الصناعة في العالم الثلاثين ٣٢ مليوناً في ١٩٥٠ ، إلى ٤٦ مليوناً في ١٩٦٠ ، إلى ٦٧ مليوناً في ١٩٧٠ ، أي أنه ارتفع من ٧,٢ في المائة من مجموع العالميين في ١٩٥٠ الى حوالي ١٠ في المائة في ١٩٧٠ ، والنسبة الأخيرة تعادل نسبة من كانوا يعملون في الصناعة في هذه البلدان في ١٩٠٠ . وفي هذا يقول بيروش « من المستحيل تحليل مشاكل التصنيع في العالم الثالث بصورة موضوعية ، دون التعرض لظاهرة الاستثمار التي سمت معظم بلدانه واستمرت حتى سنوات ١٩٥٠ - ١٩٦٠ . فقد أدى افتقاد الاستقلال السياسي ، إلى عدم إقامة حماية جمركية تمنع التوسع في استيراد السلع المصنوعة . وفي الفترة من ١٩٠٠ ، حتى نهاية الحرب العالمية ، كانت الحماية الجمركية قوية للغاية في الدول المتطورة ، وضعيفة جداً في البلدان التي تسلك طريق التنمية . فقد بلغت الضرائب على الواردات المصنوعة في البلاد المتطورة - وهي قادرة أصلاً على مواجهة المنافسة - ما بين ٢٠ و ٤٠ في المائة ، في حين لم تتجاوز في بلدان العالم الثالث ٢ - ٦ في المائة . واستمرت عملية القضاء على التصنيع وتوقيفه ، والتي تعرضت لها بلدان العالم الثالث ، في القرن ١٩ ، حتى الخمسينات ، ومن جرائها انخفضت نسبة العاملين في الصناعة من مجموع السكان

المعيشة ، ظاهراً أن حجم السكان يلعب دوراً كبيراً في تحديد مستوى المعيشة الفردى . أن الدخل القومى وحده ليس مقياساً صالحاً للتطور الاقتصادى ، وإنما المؤشر الحقيقى هو متوسط دخل الفرد الذى يضع فى اعتباره حجم السكان ومعدل نموه .

وتوضح تقديرات الدخل القومى فى مصر ، منذ بداية القرن الحالى ، أنه على الرغم من زيادة اجمالى الدخل القومى من عام إلى عام فإن هذه الزيادة تقصر عن مواجبة زيادة السكان وتتناقض معها . ونتيجة لهذا يتجه الدخل الفردى على الدول ، الى البقاء راکداً .

فلقد تزايد الدخل القومى (بالاسعار الجارية) من ٨٠٠ مليون جنيه فى ٥٢ - ١٩٥٢ الى ٢٥٠٨ ملايين جنيه فى ٦٩ - ١٩٧٠ ، أى بزيادته فمرها ٢١١ فى المائة وخلال نفس الفترة ارتفع دخل الفرد ، بالاسعار الجارية أيضاً ، من ٢٧ جنيهاً الى ٧٦٫٢ جنيه أى بزيادة قدرها ١٠٥ فى المائة بحسب .

كما أوضحت سكرتارية الأمم المتحدة فى تقرير لها عن زيادة السكان والتعليم أن ضغط السكان يؤدى الى تدور كى وكيفية فى التعليم ، ويوقى مساهمة التعليم فى تحقيق العدالة الاجتماعية . فغالبية الموارد التى كان يمكن تخصيصها للمساواة فى التعليم بين الولد والبنت ، وبين سكان المدن وسكان الريف وبين الأغنياء والفقراء ، لتلهمها خطط توفير الحد الأدنى من التسهيلات التعليمية ، لمواجهة - أو محاولة مواجهة - الاعداد المتزايدة سريعاً من الاطفال فى سن التعليم . أما المراحل اللاحقة ، فتلبقى معقدة على القدرة المادية . ويقول تقرير سكرتارية الأمم المتحدة هذا ، أن الابحاث التى تمت فى عدة بلدان ، تبين أنه عندما يرتبط الفقر بكم حجم الأسرة ، يؤدى الى الحد من فرص تعليم الاطفال ، وزيادة معارفهم ، وتنمية قدراتهم العلمية . ولقد تبين أن البلاد التى تزيد نسبة معرفة القراءة والكتابة فيها عن ٨٥ فى المائة ، ينخفض معدل المواليد فيها عن ٢٠ فى الاف ، أما البلاد التى تقل نسبة معرفة القراءة والكتابة فيها عن ٤٠ فى المائة ، فإن معدل المواليد يرتفع عن ٤٠ فى الاف .

وتوضح تجربة اليابان أن للتطور الاقتصادى وانتشار التعليم فى الريف يؤدى الى انخفاض معدل المواليد واضطراب هذا الانخفاض . وتؤكد سكرتارية الأمم المتحدة فى تقريرها هذا على ضرورة :

■ بحث التطور السكانى ومشاكله ، ليس فقط بالمقارنة بين البلدان والدول ، وإنما بالمقارنة بين

١٦ ملياراً فى عام ١١٢٥ . وفى الفرض الأدنى الى ١٩ مليار نسمة . أما من حيث توزيع هؤلاء على البلدان المتطورة والتنمية ، فحسب الفرض المتوسط فيحصل سكان الاولى الى ١٩ مليار نسمة وسكان الثانية الى ١٠٫٥٥ مليار ، ويصل الرقم الاخير حسب التقديرين الاكبر والاقل على التوالى الى ١٤٤ مليار و ١٩٩ مليار . أما سكان البلاد المتقدمة فهو ثابت تقريباً فى الفرض الثلاثة .

وقد أعد الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء تقريراً عن زيادة السكان وتحديدها لتتنبه ، لكذلك فيه أن زيادة الاستهلاك ، الناجمة عن زيادة السكان تذهب بمعظم الانتاج ، ولا تبقى الكثير منه للاستثمار . إذ قدر متوسط الاتفاق على السلع الاستهلاكية فى مصر خلال الفترة من ٦٨ - ١٩٦٩ الى ٦٩ - ١٩٧٠ بحوالى ٦٦ فى المئة من الدخل القومى ، فى حين بلغ نصيب التكوين الرأسمالى ١٤٫٢ فى المائة من الدخل القومى فى ٦٩ - ٧٠ ، ومع ضرورة الاعتماد على الموارد المحلية ، لابد من تطوير سياسة حازمة للاختار وتأكيد أهمية هذه السياسة بالنسبة للفرد والامة والمجتمع فى الحاضر والمستقبل على حد سواء ولكن الاستهلاك عبقة كؤود امام ذلك .

كما أن الاستهلاك الحكومى الذى يمثل الخدمات العامة التى تقدمها الدولة للفرد ، يتضخم من جراء التزايد السكانى ومن جراء سياسة الدولة نحو العملة والتزامها بتوفير فرصها ، ومن ثم يقل حجم الانفاق الاستهلاكى .

أما الواردات فعلى الرغم من تناقص نصيب سلع الاستهلاك فيها لحساب سلع الانتاج ، فإن نصيب الاولى مايزال كبيراً . فصحة السواد الغذائية ، والمشروبات لوحدها ، بلغت حوالى الربع من واردات ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، فارتفعت الى حوالى ٤٠ فى المائة فى ٦٧ - ١٩٦٨ ، ثم عادت فانخفضت فى ٦٨ - ٦٩ الى حوالى ٣٠ فى المائة وارتفعت واردات الغزل والنسيج والاحذية من ٢١ فى المائة فى ٦١ - ١٩٦٢ الى حوالى ٦ فى المائة فى ٦٥ - ٦٦ وانخفضت الى ٢٩ فى المائة فى ٦٧ - ١٩٦٨ لترتفع من جديد الى ٥ فى المائة فى ٦٨ - ٦٩ .

ويقول تقرير الجهاز « لا شك ان المستوى المنخفض لدخل القومى للفرد فى البلدان النامية ، انعكس للقدرة الانتاجية المنخفضة الناجمة عن الزيادة المضطردة فى السكان بالإضافة الى الموارد الاقتصادية المحدودة فى هذه البلدان . وتلك هى الاسباب الرئيسية للتأخر .

وربما تبين مقارنة متوسط دخل الفرد فى مصر مع بعض البلدان الاخرى ، كم هو منخفض مستوى

تقارير التنمية

صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط فى مصر
وصح الحقائق التالية :

■ ان زيادة السكان ليست قضية عالمية ؛ فاول ما يجب تنقيده هو الفكرة التى يروج لها الاستعمار مبررى ، من ان العالم مهدد بانفجار سكاني . يردى الى ان تضيق الارض بين عليها من البشر . ومن ثم يقضى الى تصارعهم على موارد الغذاء ، وما يمكن ان يصعب ذلك من كوارث . وحجته فى ذلك ان الفترة التى يتضاعف فيها عدد سكان العالم تناقصت من ٢٠ سنة الى ٤٥ ، ولابد على هذا يكفى ، ان تضع فى مواجهة الزيادة السكانية معدلات النمو التكنولوجى . فخلال قرنين من الزمان (فيما بين ١٦٥٠ و ١٨٥٠) لم يشهد العالم الا ثورة تكنولوجية واحدة هى استخدام طاقة البشر . ثم تلا ذلك فى النصف الثانى من القرن الماضى اكتشاف المحرك ذى الاحتراق الداخلى واستخدام منتجات البترول ثم استخدام الكهرباء والعالم الماضى مسرح لثورة تكنولوجية صحمه لم تقبل نتائجه بعد ، وان كان من ثمراتها الاولى استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية ، وبهذه استخدام الطاقة الشمسية ، والتقدم المثير للصناعات الالكترونية . يضاف الى ذلك انه وهو للاحصائيات الدولية ، ذاتها ، كان معدل النمو الاقتصادى فى العالم فى الستينات حوالى ٤ فى المائة فى حين كان معدل زيادة السكان على نفس المستوى لا يزيد عن ١,٩ فى المائة .

وحتى دا قصيرا النظر على موضوع افول العدى وحده ، فسوف نجد ان مستقبل البشرية ليس عظيما ، والشواهد كثيرة تؤكد انه لا يوجد مشكلة تنص فى الغذاء على المدى الطويل . فغاية الاغنية والزراعة تبين اخصاباها وجود اكثر من ١٢٠٠ مليون اكر من الاراضى الصالحة لزراعة غير مزروعة حاليا . ويمكن ان نضيف آفاق ازالة ملوحة مياه البحر بتكلفة معقولة اقتصاديا . وبحيث يمكن زراعة اجزاء كبيرة من الصحارى . كما ان موارد البحار لم يستعمل منها حتى الان الا الاسماك . وان الطحالب مثلا غنية بالبروتين . كما يمكن تحضير بعض المواد الغذائية كيميائيا ، اما فى الاجل القصير فان أزمة الحبوب الغذائية مثلا ، وهى أزمة اسعار ، ليست أزمة خيرات . وخلاصة القول هى انه على المستوى العالمى لا توجد مشكلة تصعب سكاني ، وانما توجد مشكلة سوء توزيع موارد فى الوقت نفسه . سبب ونتيجة لطائفة الفوارق الشديدة فى درجة النمو الاقتصادى . فالمجتمع البشرى كالمجتمع فى كل دولة يمكنه ان ينمى موارده باكثر مما ينمو عنه

المجموعات السكانية المختلفة داخل البلاد الواحد . ذلك ان معدلات الخصوبة ، مثلا ، ليست بمعسوية بين الطبقات فى البلد الواحد . فالتفاوت بين المجموعات الاجتماعية فى الوضع الاجتماعى والدخول وحرص الثقافة والحصول على المعلومات ، وكذلك فى القيم والتقاليد ، والنظر الى التعليم واهميته ، ينعكس عادة فى مسنوخه ومواقفه من مختلف القضايا . وفى ضوء هذا من الخطا وضع سياسة تعليمية موحدة ومتشابهة للجميع . ان التجديد التعليمى لابد له اذا اراد ان يؤثر على ديناميكية السكان ، من ان يهتم اكثر بالمجموعات الاقل حظوة وفرصة ، مثل شباب الريف ، والبنات ، والشباب الذى لم يلتحق بمدارس ، والذين تركوا المدارس قبل الاوان ، والشباب المهاجرين للمدن .

■ لابد من برامج التجديد التعليمى لكى تواجه التحدى السكانى من ان يكون جزءا لا يتجزأ من برامج تنمية متكاملة .

فمثلا ، محاولة غرس السلوك الرشيد والمسئول خلال التعليم ، ربما لا تحقق النتائج المرجوة ، اذا غفلت الهياكل الاجتماعية ، والقواعد السلوكية الثقافية ، الى غير روج التقدم والتغيير . ومن ثم فان تفضيل الخصوبة المرتفعة ، يصعب تحقيقه عن طريق مجهود مزول للسياسة التعليمية وحدها .

■ ان محاولة التأثير على ديناميكيات السكان خدش الوسائل والطرق التعليمية ، لا تقتصر على نظام المدارس الرسمية . فلقد اتضح من عدة بلدان ان نظام المدارس الرسمية يؤدى عمله ، على خير وجه ، عندما لا تكون المشاكل الديمجرافية حادة ، اى بين الطبقات الثرية والمتوسطة فى المناطق الحضرية ، ولكن نطاقها وجودتها ، تكون اقل اقناعا بين تلك القطاعات من المجتمع التى تعتبر المساهم . بل السبب الاول للنمو السكانى السريع . كما اوضح تقرير المؤتمر الاسيوى الثانى للمسنين « ان الجانب الاعظم من مصروفات التعليم كرسرت لقطاع المدارس الرسمية ، ولكن هناك اعداد كبيرة خارج هذا القطاع . وهم غاية فى الاهمية ، ليس فقط من وجهة نظر اسماهم فى الخصوبة السكانية ، وانما ايضا باعتبارهم مساهمين المحتملين فى اقتصاد البلاد . » ثم ان حقيقة ان النسبة من الناتج القومى الاجمالى او اجمالى انفاق الدولة المخصص للتعليم فى بعض البلدان محدودة أصلا ، تؤكد أهمية التركيز على الطاقات والاكانيات التعليمية للمعاهد والمؤسسات الواقعة خارج نظام المدارس الرسمية .

وفى البحث الذى اعده الدكتور اسماعيل

سكانه ، لسو تفاوتت الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لذلك .

■ كثافة السكان ليست هي سبب التخلف : والبيانات الاحصائية تدحض فكرة الاستعمار عن أن كثرة السكان تؤثر التخلف ، وما يصحبه من جهل وفقر ومرض ، فالبلاد الأكثر اكتظاظا هي الأكثر تقدما ، في حين أن كثافة السكان في معظم البلاد المتخلفة ضعيفة نسبيا . والواقع أنه من الناحية النظرية على الأقل كل انسان يعمل ينتج بالضرورة ما يزيد عن استهلاكه الضروري . ومن ثم ، فالمشكلة السكانية توضع في وضعها الصحيح ليس بنسبة عدد السكان الى الموارد الغذائية المتاحة . وانما بنسبة عدد السكان الى وسائل الانتاج المتاحة لهم . أو بمقايير أخرى ، قدرة المجتمع على توفير العمل المنتج لكل القادرين ، وقصور المجتمعات التي تسمى بالنامية عن توفير وسائل الانتاج اللازمة لتضمين كل العمالة المتاحة ، ليس مرجعه كثرة الابدئ العاملة ، وانما مرجعه ظاهرة التخلف الاقتصادي والاجتماعي التي فرضها النهب الاستعماري والهيكلة الاجتماعية الذي مسح تاريخيا بأن تفرغ طبقات غير منتجة على قمة الهرم الاجتماعي تستولي على معظم الدخل القومي وتبدده في استهلاك ترفي .

ولكن تبقى بعد ذلك ، مشكلة خاصة لا بد من التنويه بها ، لأنها ، تمثل جوهر مشكلة السكان في عدد من البلاد النامية ، ألا وهي نسبة عدد السكان الذين هم دون سن العمل الى مجموع السكان . فهؤلاء ليسوا جزءا من قوة العمل ، وبالتالي لا يكلأ أن تذهب لهم فرص العمل ، بل يتعين على

المجتمع أن يعملهم حتى يبلغوا من العمر . فمن هم دون الخامسة عشره تنبع سببهم في مصر مثلا ١٤ في المائة ، في حين ينبع في فرنسا ٢٥ في المائة من . بـ ٢٢ في المائة .

■ القضية «سياسية» هي في الأساس تحقيق علاقته سليه بين معدل النمو الاقتصادي وبين معدل زيادة السكان خلال مرحلة التنمية : بمعصيه السكانية توجد في البلاد الكثيرة السكان نسبيا التي بدأت مرحلة التنمية . ومقاربة أخرى لا وجود لمشكلة سكانية في البلاد المتخلفة التي بقيت بصفة عامة على تخلفها . كما أنه لا توجد مشكلة سكانية في البلاد التي وصلت الى مرحلة التقدم اللهم الا اذا رأينا في انخفاض معدل زيادة السكان مشكلة تحتاج الى علاج . ان اختلال التوازن السكاني لا يظهر الا في البلاد التي بدأت التنمية وعسارت فيها بخطى ثابتة . ذلك ان اول أثر عكسه التنمية على مستوى معيشة الافراد هو الأثر الصحي المتمثل في انخفاض معدل الوفيات . ولما كانت جهود التنمية في مراحلها الاولى فان ارتفاع متوسط دخل الفرد لا يصل بعد الى الحد الذي ينخفض معه معدل المواليد تلقائيا . ومن هنا يحدث الانفجار السكاني

وإذا كان من الصعبية يمكن ان نقدم الخطوط العامة لجميع الأبحاث التي قدمت لمؤتمر ، فإن هذا لا ينفي أن مجموع الأبحاث التي أقيمت في المؤتمر ، تعتبر مساهمة لها قيمتها في قضية يتوقف عليها مستقبل الجنس البشري بأسره ، هي تستحق فعلا ترجيحها كاملة للاستفادة منها في معاهدتنا ومراكز الأبحاث القائمة لدينا .

• • •

هل يعود الهدوء الى اليونان

ملوك قد تولوا حكم البلاد ، واحد مهم فقط حكم طوال حياته الى أن مات . ولقد اختارت القوى الصليبية في القرن التاسع عشر ، اختيارا عشوائيا ، ابن ملك الدانمرك وقتئذ ، ونصبته ملكا على اليونان ، باسم جورج الاول ليخلف أوتو البافاري الذي كان قد أرغم على التنازل من العرش . ومنذ ذلك الوقت ، قتل أول ملوك اليونان ، ومات الثاني بعد أن عضه قرده المدلل ، والأربعة الآخرون قتلوا فترة من حيلاتهم في المنفى .



أبلغ الملك قسطنطين بقرار عزله عن العرش ، بعد أن احتفل بعيد ميلاده الثالث والثلاثين بيوم واحد . وتولى الجنرال بابادوبولوس رئاسة الجمهورية [بشكل مؤقت] ، كما جاء في اعلان تبليغ الجمهورية .

وهكذا ، انتهت الملكية الألمانية الدانيمركية التي حكمت اليونان ، حوالي نصف قرن ، وازيل اسم ملك آخر ، من الملوك الحاكمين في أوروبا . ومنذ أن حصلت اليونان على استقلالها من الدولة العثمانية في عام ١٨٣٢ ، فإن سيطرة



الملك قسطنطين



جورج بابادوبولوس

ان المرحلة الجديدة التي يعيشها شعب اليونان هي شيء آخر يختلف عما عرفه في الماضي ، فمقاعدة القتال وطنية ، ولكن الحكومة التي يناضل الشعب ضدها هي حكومة دولية ، ان شعب اليونان لا يحارب جورج بابادوبولوس وستيليانوس باتاكوس نلقبه ، بل يحارب أمريكا ، ان أمريكا هي المظلة السياسية للحكم العسكري في اليونان . ومن المعروف ان تيودوراكيس كان قد ترك اليونان بعد ان تعرض للسجن طوال ثلاث سنوات واختار باريس موطنًا مؤقتًا حتى تستقر الامور في بلاده .

وثمة رأى آخر ظهر في الندوة العالمية التي

والملك الآن ؟ وهو يغير عرش ، يعيش في منفاه بابلطاليا حزينًا خاصة بعد ان وصفته اذاعة اثينا بالفاظ جارحة ، والقريبين منه لا يتوقعون منه اكثر من الصمت والحزن ، فهو يعيش حياة هائنة في فيلته الانيقة مع زوجته وأطفاله الثلاثة الذين ولد لاصغرهم في روما ، واصدقاء الملك تسنططين لديهم الانطباع بان الملك كان يمشي معظم وقته مع أسرته في حوض السباحة ، ولا يرضيه في وضع خطة تعيده بالقوة الى العرش الذي فقدته في اثينا . .

ان المتابعين للاحداث السياسية في اليونان يؤكدون ان رئيس الوزراء اليسوناني **جسورج بابا دبولوس** قد استبعد الملك بنجاح وبمناسبة نافذة ، باستغلال المحاولة الفاشلة التي قام بها ضباط البصرية . ويرى المراقبون في هذا استكمالًا لتشاطله السياسي الداخلي الذي بدأه منذ عام ، عندما بدأ يصوب شريكه للسياسة باستخدام البروتوكول . فلقد نزع شارات الملكية من علامات رقب القوات المسلحة ، وقام بالغاء القلائد الشرفية التي كانت تعلن يوم رأس السنة الميلادية .

والسؤال الآن هو الى أي مدى استجاب الرأي العام للتغيير الجديد ؟

كان رد الفعل لما حدث هائلاً جداً ، بل سارت الحياة كما كانت كان شيئاً لم يحدث ، لقد أحيل أربعة من كبار الضباط الى المعاش وأوقفت إحدى الصحف اثينا عن الصدور ووجه دعوة الى سكان اثينا لحضور اجتماع في ميدان أومونيا وذلك للاحتفال باملان الجمهورية الرئيسية . وعلى الرغم من ان المستولين اذاعوا ان عدد الحاضرين في هذا الاجتماع بلغ ثلاثين الفا ، إلا ان المراسلين الذين يتابعون الاحداث هناك قدروا عددهم بما لا يزيد عن أربعة آلاف .

واذا كان من الصعب ، ان تجد انستيا ياسف لما حدث في اليونان ، إلا ان الغالب على الناس هو شعور « اللامبالاة » . وقد جاء قرار إيقاف العمل بدستور ١٩٦٨ ، وانتهاء الملكية والوعد بانتخابات قبل نهاية سنة ١٩٧٤ . على خلفية من الاضطرابات أصبحت تهدد النظام القائم رغم أساليب التمع التي استخدمتها القادة اليونانيون خلال فترة حكمهم الماضية . ومن بين ما كتب تعبيراً عن هذه الفترة التي يعيشها شعب اليسونان ، كلمات **تيودوراكيس** موسيقار اثينا وثانيها السابق في البرلمان ، عندما رار بيروت في الشهر الماضي والتقى بالشعب اليوناني فقد تلى :

العالم — بأن يعلن طالب الوظيفة تبرأ من أي فرد من أفراد أسرته ينتمي لأحدى المنظمات المعادية لحكومة اليونان ، ولقد بدأ تطبيق هذا القانون على جميع طلبة الوظائف سواء في الحكومة أو المرافق العامة أو البنوك ، ويسمح القانون فرصة التوظف من أي شخص يمكن أن يكون قد شارك في أي وقت في مسيرة أو حفل أو معرض فني أو حتى رقصة شعبية نظمتها إحدى الجياعات المناهضة للحكومة .

وبيل كثير من المحللين إلى أن بربطوا بين تطور الأوضاع في اليونان وبين استراتيجيات حلف الاطلسي . فمن المعروف أن اليونان عضو في الحلف وقاعدة عسكرية له . ويشير هؤلاء المحللون إلى أن الانقلاب الذي وقع في ٢٠ إبريل ١٩٦٧ ، وهو الذي نفذ تحت اسم الشرطة « بروميثيوس » قد تم بإشراف حلف الاطلسي لمواجهة احتمال نشوب حرب بين اليونان وبين أي دولة شيوعية . وقبل في ذلك الوقت انخلة حلف الاطلسي كانت تقضي بالمبادرة إلى اعتقال كل اليساريين في اليونان ، وذلك حال نشوب تلك الحرب .

أما إعلان الجمهورية بالنسبة لرجل الشارع في اليونان ، فهو ليس سوى مشكلة فرعية ، بالقياس إلى المشكلات الملحة التي تواجهه كل يوم ، والتي ساهمت في ثورته على نظام الحكم العسكري ، ومع الاعتراف بالنتائج الذي حققته البلاد في مجال السياحة (٢٠٠.٠٠٠ ٢٧٣ مسائح في العام الماضي) ولا في مقدرة الحكومة في اجتذاب رأس المال الأجنبي في السنوات الأخيرة . إن البلاد تعاني من التضخم الحاد ، لقد ارتفعت الأسعار خلال ١٢ شهرا بنسبة ٢٥ في المائة . كذلك لن يهدئ إعلان الجمهورية من مخاوف نظام الحكم مع الكنيسة ، التي تعترض كثيرا على بعض إجراءات الحكومة ، من الاساقفة المنتهرة الذين يشكلون الجمع الكنسي ، يوجد سبعة عرقوا بأن لهم آراء تعارض رأى كبير الاساقفة الذي يحظى برضاء نظام الحكم .

لهذا قولت جمهورية بايادولوس من الكثيرين من اليونانيين بالسخرية والتشكك ، لقد أثار الاستفتاء الذي سيجرى بعد تسونين للتصديق على مرسومه الشوري ، فكثيرات الارهاب الذي استخدم من أجل استفتاء التعديلات الدستورية عام ١٩٦٨ عندما حصلت مخططات مجلس الثورة بوافقة ٩٢٪ من الناخبين نتيجة الضغط على الناخبين من الشرطة ومراقبتها لميلات التصويت

مصطفى سناني

عقدت في مدينة آمن بالماتيا الديمقراطية عقد مناقشة الإشكال الجديدة للخطر الفاشي ، ولقد أشير إلى أن ما هو قائم في اليونان دكتاتورية فاشية عسكرية ، لها كل السمات المميزة للفاشية التقليدية تقريبا وذلك بعد أن « حل البرلمان » ، وجميع الأحزاب السياسية ، ومعلم تقاليد العمال وبعد أن فرضت حالة الطوارئ وشكلت المحاكم العسكرية ، ولجأت إلى أساليب التعذيب الشبيهة بالأساليب التي كانت تتبعها محكم التفتيش . ومع ذلك ، فقد قيل أيضا أن نظام الحكم يفتقر إلى إحدى السمات المميزة للفاشية ، وهي المنظمات الفاشية الجماهيرية ، وقد فشلت المحاولات التي بذلت لإنشاء منظمة للشباب ، لأن الشباب رفض الانضمام إليها .

ولكن .. هل تعبر هذه الآراء عن حقيقة الوضع السياسي في الداخل ؟ .. ؟

إن تصريحات المسؤولين توضح إلى حد كبير ما يجري هناك ، فيبعد مرور ست سنوات على الانقلاب ، يفت زعيمه جورج بايادولوس في ديسمبر الماضي ليعلم إلغاء الأحكام العرفية في مدينة سالونيك — فقط — وهي أول مرة يعلن فيها رفع الأحكام العرفية في أي مدينة يونانية ، منذ أن أعلنت بعد الانقلاب العسكري في إبريل ١٩٦٧ ، أي أن الشعب اليوناني يعيش في ظل الأحكام العرفية منذ ست سنوات باستثناء أهالي سالونيك ١٠٠ . وفي نفس اليوم يصرح رئيس الوزراء بأنه أصدر قرارا بإجراء محاكمات لأول مرة لحوالي ٦٠٠ مجرمين سياسيين كانوا معتقلين منذ نجاح الانقلاب العسكري .

وقبل هذا التصريح بأسبوع واحد ، أعلن الجنرال ستيفانوس باتاكوس نائب رئيس الوزراء وأحد قادة الانقلاب العسكري أنه لا يتوقع إجراء أية انتخابات برلمانية في اليونان في المستقبل القريب « لأن الشعب لم يتأهل لهذه الانتخابات حتى الآن » .. !!

ويرى المراقبون أن الهدوء الذي تراه في الشارع اليوناني يرتبط بأغرب القوانين والإجراءات مثال ذلك أقرب قانون للتوظيف صدر في العام الماضي ، ويعبر أيضا عن مدى عدم استقرار النظام ، ومدى خوفه من الجاهيل ، أن القانون الجديد يحتم على كل طالب وظيفة حكومية أن يعلن رسميا استنكاره للآراء السياسية التي يدين بها أي قريب له إذا كان هذا القريب من المنتمين لأصحاب الجياعات المناهضة للحكومة . لا ويتقضى هذا القانون — وهو الأول من نوعه في

مؤتمر الأمن الأوربي .. خطوة للأمام

تقرير

خاص

أوروبية للامن الجاعى تقدم بها الاتحاد السوفيتى خلال مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى الذى انعقد فى برلين من ٢٥ يناير الى ١٨ فبراير من ذلك العام . وتضمن مشروع المعاهدة عددا من المبادئ الاساسية التى يجب ان تحكم العلاقة بين شطرى القارة ، من أهمها :

● التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

● حظر استخدام القوة ، أو التهديد باستخدامها فى العلاقات بين هذه الدول .

● حل المشكلات التى تنشأ بينها بالطرق السلمية .

● الاتفاق على التدابير الجاعية التى يمكن اتخاذها لمواجهة العدوان الذى يقع ضد أية دولة أوروبية .

وعلى الرغم من أن الدول الامبريالية قد رفضت هذه المعاهدة المقترحة ، إلا أن الاتحاد السوفيتى ، عاد فى يوليو من نفس العام طلبا مقدا اجتماع اوروبى شامل لمناقشة هذه القضية . وتكررت بعد ذلك المقترحات ، سواء من جانب الاتحاد السوفيتى أو غيره من الدول الاشتراكية ، بحيث أصبحت مسألة اقرار الامن الاوروبى سياسة ثابتة للمعسكر الاشتراكى فى مقابل سياسة الرغش التى اتبعتها الدول الامبريالية ازاء هذه المسألة .

ويرصد المراقبون على الجانب الآخر عام ١٩٦٩ باعتبارها السنة التى شهدت بدء الانعطاف من جانب دول الغرب نحو الاستجابة لنداءات البلدان الاشتراكية . وفى هذه السنة وصل الحزب الاشتراكى الديموقراطى برحلة قبلى برالنت الى الحكم فى ألمانيا الغربية ، وبدأ بشكل جاد سياسة الانفتاح على الشرق ، بكل ما تمخض عنه من تطورات .

وفى ١٢ أكتوبر من نفس السنة ، أعلنت فرنسا لأول مرة تأييدها الرسمى الصريح لمعقد مؤتمر عام للامن الاوروبى ، وتبهما المجلس الوزارى لحلف الاطالعى إلى ديسبرل معلنا تأييده لانعقاد

تبدأ فى هلسنكى ، بعد يومين ، اجتماعات وزراء خارجية الدول الاربع والى ثلاثين المزمع اشتراكها فى مؤتمر الامن الاوروبى المنتظر . ومن المعروف ، أن الدعوة لاجتماع هذا المؤتمر ، قد وجهت الى اثنين وثلاثين دولة أوروبية ، بما فيها الاتحاد السوفيتى ، ودولتان غير أوروبيتين هما : كندا والولايات المتحدة الأمريكية . ومن المعروف أيضا أن محاولات اقحام اليابان على المؤتمر قد باءت بالفشل .

وتأتى اجتماعات وزراء خارجية الدول الأربع والثلاثين ، بعد نحو ثلثية أشهر من الحادثات التمهيدية المكثفة التى بدأت فى نوفمبر عام ١٩٧٢ ، ويتوقع المراقبون أن تستمر الجولة الاولى من هذه الاجتماعات ثمانية أيام ، ويتوقعون أيضا أن يتمكن وزراء الخارجية ، فى اجتماعاتهم تلك ، من تهيئة المناخ صامبا لانعقاد مؤتمر القمة للامن الاوروبى خلال هذا الصيف ، أو فى الخريف القادم على الاكثر ، وذلك بتخليل ما يمكن تذليله من عقبات ، وتحديد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بوضوح ، يتيح للمؤتمر احرار اتصى نجاحات ممكنة .

ويرى كثير من المراقبين ، أن مؤتمر الامن الاوروبى المرتقب وإن يكن انتصارا استراتيجيا هاما للدول الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى بل ولكل القوى المحبة للسلام فى أوروبا ، إلا أنه لم يكن انتصارا سهلا ، فقد ظلت تفشى الامن الاوروبى ، لفترة طويلة ، مكتومة الانفاس ، تحت وطأة الحرب الباردة التى كان يشنها المعسكر الامبريالى ضد الانظمة القائمة فى الدول الاشتراكية بأمل استغلالها ، ولسكن صمود هذه الدول فى وجه مؤامرات الامبريالية المعالية ، بل وتزايد قدرتها على التأثير الفاسد ، ساهم فى دفع الواقع الاوروبى والعالمى الى اوضاع لا يمكن تجاهلها الا بنين قاذح ، وهو الامر الذى اجبر المعسكر الامبريالى على أن ينحو نحو أكثر واقعية فى التعامل مع موسكو وغيرها من العواصم الأوروبية الاشتراكية .

ويرصد المراقبون أولى المبادرات التى صدرت عن البلدان الاشتراكية ، فى موضوع الامن الاوروبى عام ١٩٥٤ : على شكل مشروع معاهدة

[أغسطس ١٩٧٠] والماتيا الديمقراطية ١ نوفمبر ١٩٧٠ [ويوانسدا] ديسمبر ١٩٧٠ [وتشيكوسلوفاكيا] يونيو ١٩٧٢ . وذلك فضلا عن الاتفاق الرباعي حول برلين الغربية [سبتمبر ١٩٧١] .

ويؤكد كثير من المراقبين ، على أن محادثات هلسنكي التمهيدية قد نجحت في تخفيف الكثير من العقبات التي طرحت لبحث أثناءها ، فيما عدا مشكلتين ، سوف يتعين على مؤتمر وزراء الخارجية أن يصل بشأنهما إلى قرار وهما :

أولا : اصرار المطلة على السماح للدول العربية المطلة على البحر الأبيض بالاشتراك في المؤتمر رغم معارضة كثير من الدول الأوروبية لهذا الطلب ومن بينها الاتحاد السوفيتي .

ثانيا : اصرار بعض الدول الأوروبية الغربية على الربط بين محادثات هلسنكي للدول الأوروبية وبين محادثات خفض التبادل للقوات في وسط أوروبا التي تجري في فينا .

وينظر كثير من المراقبين إلى المشكلة الثانية باعتبارها الصخرة التي يمكن أن تحطم فوقها الجهود الضمنية التي بذلت في سبيل انقضاء المؤتمر . فإذا ما تم الربط بين محادثات الأمن الأوروبي وبين محادثات خفض التبادل للقوات والأسلحة في وسط أوروبا ، فقد يعني ذلك أن يتأجل انعقاد مؤتمر الأمن الأوروبي إلى أجل غير مسمى ، نظرا لما يكتنف مسألة خفض التبادل من صعوبات فنية وسياسية بالغة التعقيد . ولذلك ، فليس هناك مفر من الضغط على الدول التي تنادي بالربط بين المسألتين للتخلي عن عنادها ، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتم إلا بجهود مشتركة من جانب الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة معا .

وأيا ما كان الأمر ، فإن الرأي السائد بين المراقبين الآن هو أن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي لن ينتهي إلى حل جميع المشكلات الكبرى المعلقة بين الشرق والغرب . ولكنه سيساعد بلا شك على إزالة مزيد من الراسب المعلقة بوج العلاقات في فترة ما بعد الحرب ، كما أنه قد يوفق في وضع أساس للتعاون السلمي بين مختلف الدول والتكتلات في أوروبا .

بحقنا أمنية الزعيم السوفيتي **ليونيد بريجنيف** التي أعاد التأكيد عليها في خطاب الاحتفال بعيد أول مايو عام ١٩٧٣ قائلا « أننا ندعو إلى التفاهل على ماضي أوروبا المصمى ليس لكي ننساه ، ولكن لكي لا يتكرر مرة أخرى على الإطلاق » .

عبد اللطيف حنفي

المؤتمر من حيث المبدأ ، ومقتما وجهة نظره من الضمانات المطلوبة له .

ويشير المراقبون كذلك إلى أثر تطورات العلاقة بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي في دفع الولايات المتحدة إلى التجاوب مع فكرة عقد مؤتمر عام للأمن الأوربي . وهكذا ، تفتت الموقف المعتد الذي كانت تتخذه الدول الغربية ، وأصبحت ولا مفر أمامها من الجلوس إلى مائدة المفاوضات .

وإذا مسح أن بعض المراقبين ، من ذوي النوايا البسيطة ، أو أصحاب الذاكرة الضعيفة ، يتناسون هذا السياق التاريخي لتطورات قضية الأمن الأوروبي ، يحاولون تصوير ما يحدث الآن على أنه تنازل من جانب المعسكر الاشتراكي من مواقفه الأيديولوجية ، فإن المؤكد أنهم يفعلون ما سبق أن فعلته الدول الغربية قبل أن يضطرها الواقع إلى الانصياع لمتطلباته .

ومعها ، فقد أسفرت محادثات **هلسنكي** التمهيدية عن برنامج عمل من أربع نقاط أساسية سوف تطرح أمام مؤتمر وزراء الخارجية المقبل :

النقطة الأولى : هي تحديد المبادئ العامة التي تحكم العلاقات بين الدول الأوروبية .

النقطة الثانية : هي توسيع التعاون الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي على أساس المساواة وكذلك التعاون في مسألة حماية البيئة .

لها النقطة الثالثة : فهي توسيع التعاون الثقافي ، وتبادل المعلومات والابتكار ، والعلاقات بين الهيئات والأفراد ، والمسماحة الفردية والجماعية .

النقطة الرابعة : وتشمل بحث الأشكال التنظيمية التي سوف يعتمد عليها لتعزيز نجاح تدابير الأمن الأوروبي التي يتفق عليها .

ويرى المراقبون ، أن البلدان الاشتراكية قد نجحت ليس فقط في انتزاع اعتراف البلدان الغربية بضرورة انعقاد مؤتمر عام للأمن الأوروبي ، وإنما - أيضا - في تأكيد ، أن حجر الزاوية في أي نظام لأمن القارة هو الاعتراف بالحدود القائمة فيها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية باعتبارها حدودا تاريخية غير قابلة للتعديل . ولعل هذا ما اكتنه عليها سلسلة المعاهدات التي عقدت بين ألمانيا الغربية وكل من الاتحاد السوفيتي

مسألة بيجوريش

دكا .. تحت المطر

دكا : من د. رفعت السيد :

باكستان الى الهند ، والى باكستان اتي من الهند مسلمون . لكنهم مسلمون من قومية مختلفة عن البنجال - ويتكلمون لغة اخرى - هي الوردية وبدأت بين الجماعتين خلافات .

● وعندما قامت باكستان من جناحين تفصل بينهما مسافة الف ميل ، كان الغرب (الاقل عدداً) هو السيد المتحكم ، وتسهلاً لتحكمه استخدم المسلمين الوافدين من المتحدثين بالوردية كأداة للضغط على المسلمين البنجال .

● وتحكم الغرب في شرق باكستان من خلال سلطة الدولة ، ٢٢ أسرة اقطاعية معظمها من البنجال (الغرب) وقليل منهم ارديون .

● وفي البداية كانت الجماهير في البنجال تؤيد قيام باكستان ، ثم ما لبثت ان فوجئت بان شرق باكستان (٧٥ نسمة + ٧٠ في المائة من حصة كل باكستان من العملات الصعبة) قد تحول الى مزرعة تستغلها ٢٢ أسرة من البنجال . وبدأ القلق ، وجوبت المعارضة بوحشية لا مثيل لها .

● ولان البنجال هم الاكثر عدداً لغد تيلور نضالهم في المطالبة بالديمقراطية والضيافة البرلمانية . فالبرلمان سيكلف لهم ٦٠ في المائة من المقاعد . وهكذا أصبحت الديمقراطية مطلباً سياسياً قومياً بما .

● وفي ١٩٥٨ وضع مشروع الدستور . وقبل الانتخابات ، قام الحاكم العسكري لشرق باكستان ايوب خان بانقلاب استولى فيه على السلطة في باكستان كلها . ووقف السنشور والغنى الانتخابات . ومع حكم « ايوب خان » بدأ التدخل الامريكى يتزايد ، وانتهت الاستفتاءات والخبراء ، كل شيء أصبح في يد أمريكا ، حتى الكتب الدراسية كان يعدها مؤلفون امريكيون ويطبعونها في أمريكا . ويتبسم كل من يروى القصة ، عندما يذكر ان « يحيى خان » قال في مؤتمر صحفي عقده في أمريكا عام ١٩٦١ : « لا تخشوا شيئاً ، فعلى اذا فقدت أمريكا كل قراعتها

كانت سيول المطر تنهال بوحشية بينما الحياة تمضي دون اي تردد ، سائقو « الريكشا » مدفوعون عرباتهم صائعين بجهودهم الاتساعى مسيل المواصلات الاساسية في هذه المدينة الضخمة . الناس يسيرون يهدوء وسيول المطر تهطل اجسادهم نصف العارية . المتسولين يستوقفونك - تحت المطر ايضا - ليواصلوا حاجهم .

ثم مظاهرة ضخمة تحمل العصي وتهتف لمجيب الرحمن وتلوح بعصيتها في وجه الرجعية . وكانت المظاهرة مجرد رد على مظاهرة أخرى نظمتها احزاب المعارضة ضد « المؤتمر الاسيوى للسلام » . وكبقدمه للمظاهرات المعارضة اعلن « مولانا يار شاني » رئيس حزب « عوامى ياولى » صياحه عن الطام .

وتحت المطر تمضي الحياة دون توقف . وتطوف المظاهرات مؤيدة او معارضة ، وتسأل عن السبب . لكن الاجابة لا بد وان تكون طويلة .

● لنبدأ القصة من اولها .

هكذا اصبر كل انسان حاولت ان تناقشه ، او ان استمع اليه ، لا احد من ممثلى الاحزاب او الجماعات مؤيدة او معارضة يريد ان يعضى مباشرة الى الاحداث الراهنة . الكل مصموم على ان يبدأوا من البداية ، فلنبدأ معهم محاولين ان نلخص بعض الحقائق عن تاريخ المشكلة :

● لقد تكونت البذور الاساسية للمشكلة مع تقسيم شبه القارة الهندية ، على اساس دينى وليس على اساس قومى . وكانت خطة الاستثمار هي ضرب الديانتين الاساسيتين الاسلام والهندوسية بعضهما البعض . وتكونت الهند وباكستان وبقيت معهما وبداخلها مشكلات قومية معقدة .

● وبعد التقسيم ، كان ٧٥ في المائة من سكان باكستان مسلمون و ٢٥ في المائة هندوس . وبدأت بين الجماعتين اضطرابات ومذابح . وبدأت افواج من الهجرة : ٥ مليون هندوس هاجروا من



حبيب الروين

على « يحيى خان » للتوصل الى تسوية • وكلنت أمريكا تغذى هذا الاحساس • وتهد لهم جبال الامل • موعمة اياهم انها غير راضية هن سياسة « يحيى خان » لانه يتقرب من « الاتحاد السوفييتى » ونمد بالضغط عليه • لسكن التعلق بالامل من الضغط الأمريكى تهدد فى اللحظة الحرجة وتخلت أمريكا عن وعدها •

واكتمل الاعداد للمذبحة • وخانت أمريكا وعدها • وفجأة • ومع فجر ٢٥ مارس اغتيل « حبيب الرحمن » • وخرجت الدبابات الى شوارع دكا لتطلق النيران على كل شيء • ولم يكن بإمكان اكواخ البوص ان تسمى اهدا من نيرانها وقتل الكثيرون • ويؤكد كل من حدثنى ان القتلى فى هذا اليوم وحده بلغ ٢٥٠٠ قتيل •

واسقط فى يد « عوامى ليچ » « فالامل الوامى » فى أمريكا تهدد • والقائد قبض عليه • والمذبحة تطيح بكل من تجده فى شوارع دكا • وشعرت الجماهير بالضيق • فالامل فى أمريكا منع القيادة من أى استعداد • ولم يكن بإمكان الاجساد البشرية ان تصمد أمام الدبابات • ولم يكن بى سبيل سوى الهجرة الجماعية الى الهند •

أذهب الى الهند • وعد مسلح

خشرة ملايين هاجروا هرباً من المأساة • وفى البداية كان الهرب تعبيرا عن الضيق وفقدان الاتجاه • وبعد ذلك استمادت القيادة • زمام المبادرة • وبمساعدة الهند والاصدقاء الآخرين • تحول الهرب الى مقاومة • ففى الهند لم يكن هناك الملجأ الامن والطعام قطع وانما كان هناك الصلاح أيضا •

فى المناطق الاخرى فى آسيا • فليسوف يبقى لها مكان مفتوح على الدوام من باكستان •

● وفى هذه الاثناء • كان البنجالايون يخوضون معركة محورها الحفاظ على لغتهم وقرميتهم • وفى محاولة لطمس هذه القومية • حاولت شرب باكستان ان تفرض عليهم اللغة العربية بحجة انها لغة الاسلام • لكن الفكرة استحالة تنفيذها • ثم حاولت ان تفرض عليهم اللغة الاردية بحجة انها تكتب بأحرف عربية ومن ثم فهى الاقرب الى لغة الاسلام • ورفض البنجالايون ذلك فى مظاهرات دامية • واتخذت منهم بلغتهم وأغانهم وترائهم طابعا شديدا الحساسية •

وكان القهر يتشد طابعا اقتصاديا ايضا فمطمئ السلع الاساسية كانت تباع فى شرق باكستان بضعف ثمنها فى غرب باكستان • كل ثروات شرق باكستان كانت تمنح لتفتقر جبر الف ميل كاملة حتى تصل الى غرب باكستان •

● وكان الموقف يتدهور فى باكستان كلها • فقتلى ايوب خان من السلطة « قيصى خان » • واجرى « يحيى خان » انتخابات عامة نتج عنها ان حصل حزب « عوامى ليچ » (الشيخ حبيب الرحمن) على ١٧٢ مقعدا من ١٧٥ مقعدا كانت مخصصة لشرق باكستان • وهكذا حصل على الاغلبية المطلقة لخادم برلمان كل باكستان (٣٠٠ مقعد) • واسقط فى يد الجيبح فالانتخابات دقمت بالجمهوريين فى شرق باكستان الى موقع يستطيون حقه التحكم فى باكستان كلها • وطلب « يحيى خان » المفاوضات • واستمرت المفاوضات شهرين • ثم بدأت المذبحة :

ويهدوء شديد يضى محدثى (أحد قادة عوامى ليچ) قائلا • كانوا يستغلون فترة الشهور لتخزين قواهم • وسعد ترسانة ضخمة من الاسلحة • وكنا نعرف ذلك • وندعو الى اضرابات عمالية منع تفريغ شحنات الاسلحة • وحتى ٢٤ مارس كنا لا نزال نأمل فى امكانية التوصل الى تسوية • وكنا نلج فى ضرورة التوصل الى تسوية •

وأسأل : لماذا كانوا يتلقون بالامل الوامى • وبينما كل الظواهر كانت تؤكد ان مذبحة رهيبة يجرى اعدادها ؟

ويجيبنى على السؤال أحد القادة المتحالفين مع « عوامى ليچ » • • كان الكثير من قادة « عوامى ليچ » يتطلعون الى الولايات المتحدة • لكن تضغط

— تقارير الشهر —

وفي المعارضة أيضا في أقصى اليسار - ضمن تجمعات وإحزاب ذات اتجاه صيني ، تنهم كل ما حدث بشأنه مؤامرة هندية - مسوقية - استعمارية .

وهناك - في المقابل - حزب الشعب الوطني (ناسيونل عوامي بارتى) ، وقد انقسم بمقد الحرب الهندية الباكستانية الأولى ٥٥ إلى جناح معتدل يقوده « مظفر أحمد » ، وهو يؤيد مجيب الرحمن . وجناح آخر يقوده « مولانا برشاني » وهو يمارض الحكومة الراهنة ، فهو ضد أى تدخل هندي ٥٥ وله ميل صينية أيضا .

وفي قمة التحالف الوطني ، يقف حزب « عوامي ليغ » وهو الحزب الحاكم بزعامة « الشيخ مجيب الرحمن » . ويقول حلفاء الحزب أنه ليس حزبا منظما بالمعنى المفهوم ، وإنما هو مجرد « زعيم وطني ذو نفوذ تومي جارف » وجماهير واسعة غير منظمة وهو يمثل أساسا فئات الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة .

وهناك أيضا « الحزب الوطني الاشتراكي » وهو انقسام من « عوامي ليغ » قام أساسا في الجناح الطلابي للحزب بعد الاستقلال . ويقول البعض أن هذا الحزب بالرغم مما يكسوه من سمعة يسارية إلا أن بعض قادته مشكوك في علاقتهم بالمشاورات الأمريكية .

وهناك الحزب الشيوعي ، وهو يمتلك نفوذا لا بأس به ، وخاصة وسط المثقفين . ويمتلك أيضا منظمة فلاحية قوية إلى حد ما . ويمكن القول إنه حليف قوى لمجيب الرحمن .

وفي الانتخابات التي جرت مؤخرا حصل « عوامي ليغ » على كل مقاعد البرلمان بغير استثناء .

وتلعب رغم التحالف ، علامات اختلاف في الجبهة المتحالفة ، وأن كان الجميع يصوغون تحالفهم على أسس واضحة .

الأسس الأربعة

« التاميم » ، « العلمانية » ، « الديمقراطية » ، « الاشتراكية » تلك هي الأسس الأربع التي حددتها الحكومة برنابجا لها ، والتي تلقى جميع التحفظين حولها ٥٥ والتي تمنح الأحزاب المتحالفة تأييدا لحكومة « الشيخ مجيب الرحمن » على

جميع تصاعد حملة القمع ، تزايدت الهجرة . أما الأسر التي لم تكن تستطيع الهجرة فقد كانت تبحث بأحد أبنائها « ذهب إلى الهند ٥٥ وعد مصححا » بغير ملاح لا يمكن للامتنان أن يواجه المسألة .

وفي الهند وحدها تدريب على السلاح ٥٥٥٥٥ مقاتل ، وعادوا ببنادقهم ومدافعهم الرشاشة ليواجهوا جنود « البيجاب » .

ومع تصاعد حملات الإرهاب ومع المجابهة المسلحة بين الشعبين بدأت الدعوة للانفصال تتوسع . وحتى بعض الجماعات الإسلامية المنغمرة التي كانت تعارض الانفصال في البداية على أساس أنه أضعاف للوحدة الإسلامية ، بدأت هي أيضا تقاوم البيجاب معلنة أن هؤلاء الذين يرتكبون كل هذه المذابح لا يمكن أن يكونوا مسلمين بحق ٥٥

وترسخت الكراهية للجيش « البنجابية » . وعندما دخلت جيوش الهند ، كانت الألوف من الجنود المسلمين يشاركونها . هي مصابة « البنجاب » . ووجد البنجاب أنفسهم في بحر من السداء الكامل ، حتى الأطفال البنجال كانوا يجرسون في الأعراس بحثا عن مضايبة « البنجاب » ليرشوا القوات الهندية إليها ٥٥

ويذت الصورة غريبة بعض الشيء .

فمنذ اقل من عشرين عاما كان المسلمون والهندوس يتبادلون المذابح ، أما اليوم فالمسلمون البنجابيون يقودون الهندوس إلى مواقع « البنجاب » .

واقامت الدولة الجديدة

ولم يكن قيامها نهاية للمتعاب ، بل وربما كان مجرد بداية لها فالبنجابيون الذين عاشوا مأساة الضهاد طويل ، يمزجون فخرهم غير المحدود بدولتهم الفتية ، برغبة عارمة في تغيير كل شيء سريعا . وتبدأ عملية الصراع والتحالفات بين مجموعة كبيرة من الأحزاب .

في المعارضة تقف مجموعة الأحزاب والجماعات ذات الاتجاه الإسلامي الصرف « مسلم ليغ » و « جامعات اسلام » ، وهي ضد تدخل الهند ، وضد الانفصال ، وقد صدر قرار بحريم نشاطها ، لكنها لا زالت تمارس نشاطها على أية حال .

أساسها .. ورغم أن سفينة التحالف تمضي في هدوء إلا أن البعض له بعض تحفظات :

● أنهم يؤيدون إجراءات الشيخ مجيب في تأميم البنوك وشركات التأمين وصناعات الجوت والسكر والنسيج ، لكنهم يلاحظون أنه بعد التأميم ، يظل المديرين السابقون لهذه المؤسسات في مواقع الإدارة العليا ، الأمر الذي يمكنهم من خدح مصالحهم الخاصة ، وتخريب اقتصاد الدولة .

● وهم يؤيدون الإصلاح الزراعي الذي نص على أن الحد الأقصى للملكية الاسرة من الأراضي الزراعية هو ١٠٠ بييجا (٧٥ بييجا ٥ هكتار) لكنهم يلاحظون أن السلطة لم تشرع بعد في الاستيلاء على الأراضي الزائدة ، ولم تبدأ بعد في الاستيلاء على الأراضي الزائدة ، ولم تعلن بعد عن خطتها للتصرف في هذه الأراضي الزائدة .

● وهم يشعرون أن تطبيق البرنامج مسألة صعبة ، وتتطلب مزيداً من توحيد الجهود ، ومزيداً من مشاركة القوى المختلفة في السلطة .

● وهم يلحون أن تفضي الكثير من الفساد والرشوة ، وخاصة بين كوادر حزب « صوامي ليج » .

« بنجا باندو » .. مجيب :

أي « صديق الشعب » مجيب هكذا تردّد صيحة الجماهير في كل مكان ، والأحزاب المتحالفة ، مع « بنجا باندو » تعرب عن خفيّتها من تعاضد دور الغد ، وأن كانت تضارب في صلة تأييده . لكن ملاحظاتهم عديدة .

« بنجا باندو » وحده يحكم ، وحده اختار الوزراء ، ومن صفوف حزبه فقط .

و « بنجا باندو » يصيح بقيام أحزاب مختلفة ، لكن لا يعطى لها منها أية فرصة للمشاركة وعندما سألت أحد قادة حزب « عوامي پارتي » من الجناح المتحالف مع الشيخ مجيب الرحمن .. ألا يتشاور معكم ؟ قال « أنه يفعل ، لكنه لم يأخذ برأينا ولا مرة واحدة » .

وفي الانتخابات اكتسح حزبه كل المقاعد ، وهم يقولون أن ثمة ضغطاً قد وقع ، ويقولون أنه في ثلاثين دائرة على الأقل لم تجر انتخابات حقيقية ، فالعنصر المسلمة من رجال الشيخ مجيب احتلت مراكز التصويت مرغبة الجماهير بقوة السلاح على التصويت لرشى « بنجا باندو » .

ومع ذلك تمضي الحياة في خضم المشاكل المعقدة ، تماماً كما تمضي تحت سيول الأمطار .

وفي الاجتماع الجماهيري الضخم (٦٠٠٠ شخص) الذي أقيم احتفالاً بمنح المجلس العالي للسلام ميدالية جوليوس كوري الذهبية للسلام إلى الشيخ مجيب الرحمن ، وعندما وقفت الألوف تحية للنشيد القومي لبنجلاديش ، وبينما مجموعة من الفتيات تتشدد مع نغمات الموسيقى الهادئة ، كلمات النشيد التي صاغها الشاعر الهندي « طانجور » « يا أرض البنجال الذهبية .. لكم أحبك » ، وبينما الجميع مستغرقون وقفاً في جو يشبه الحلم مع نغمات أكثر النشيد القومية في العالم هدوءاً وعذوبة ، تسلم طفل صغير ، نصف هار ، حالي القدمين ، تكسو جسده النجيل قطرات المطر الذي كان يهمر خارج المراقب ، تسلم في برادة إلى مقبلة الصفوف الحاملة ، ووقف في هدوء متشداً مع الفتيات « يا أرض البنجال الصبية .. لكم أحبك .. سماءك وهوّاك يعزّان بهنّان على أوتار قلبى » .

وكان ذلك تليخيساً لكل شيء ..

مذكرات سعد زغلول

مكتبة
الطلعة

لعل أهم ما تثيره دراسة مصطفى النحاس
جيو لمذكرات سعد زغلول هو قضية المنهج ..
ودور — كاتب التاريخ — تجاه الحقائق والأحداث
التاريخية . ذلك أن البعض يتصور أن التاريخ
— بسبب كونه قد أصبح تاريخاً — هو أرض
مستباحة ، يمكنه أن يبرح فيها كما يشاء ،
مقدماً ما شاء من افتراضات أو استنتاجات ، أو
بالدقة ما يشاء من « قرارات » ، مستخدماً
عصا الخرس تارة ، وصفارة الحكم تارة
أخرى ، ضد أناس طواهم الزمن ولم يعد بإمكان
أى منهم أن يعترض أو يحتج .

كذلك يتصور البعض ، أن كاتب التاريخ
يمكنه أن « يؤلف » الحقيقة التي يريد ،
بانتقاص « نص » من هنا ، وقصة من هناك ،
ويتجاهل كل ما لا ينسجم مع هواه ، مكوناً من
هذه التوصلات المجتررة « الحقيقة » التي يريد ،
أو التي يزعها .

لكن « الحقيقة » لا تكون « حقيقة » إلا إذا
قدمت كاملة ، وفي إطارها الموضوعي ، ينطبق
ذلك على التاريخ وعلى غيره من العلوم

دراسة :

مصطفى النحاس جبر

عرض وتحليل :

د. رفعت السعيد

النشأ :

كتاب روز اليوسف

يونيو ١٩٧٢

الاجتماعية ؟ كما انه يتطبق على كل مجال يجرى فيه البحث عن الحقيقة .

غير ان بعض « كتب التاريخ » ينتزع اجزاء من الحقيقة ، ويتجاهل اجزاء أخرى ، لاعبا دور « المونتاج » فى الفيلم السينمائى ، محاولا بذلك ان يبرز نفسه وفكره وارادته على الحدث التاريخى ، ناسيا ان « اجتراره » الحقيقة ، ولوى عنها ، وما الى ذلك من محاولات تطويعها لتتوافق مع فكر المؤلف ، لا يضر غير الزيف .

فإذا ما حاولنا تصفح دراسة مصطفى النحاس جيز لذكرات سعد زغول وجدنا انفسنا امام عدة أسئلة :

■ لماذا لم توضع هذه المذكرات فى اطارها الموضوعى ، أى فى اطار الحدث التاريخى الذى حاولت ان تسجله ؟

■ على أى اساس تم اختيار المقتنيات من هذه المذكرات ؟ وما هو القدر الذى اظهر والقدر الذى اخفى منها ؟

■ لماذا يكتف الكاتب نفسه عناء تحرير ما لا يمكن تويره ، واضعا نفسه وكتابه بين رهي تناقضات حادة .. ؟

فحتى ، عندما يورد سعد زغول فى مذكراته مبادرات تدل على تضاليه على الجباهير ، وانفصاله عنها ، وهن تضايها ، بل وادانته لها مثل « ان الصناع والفعلة لا يشتركون فى الثورة الا بما يسهل عليهم سيل النهب والسلب » فان المؤلف يجد لزما عليه ان يبرر هذا القول قائلا : « ونحن نعلم ان وقوع الجباهير تحت وطأة الفقر والجهل يجعل من المصعب عليها التحرك تلقائيا فى اغلب الاحيان وفق مصالحها الحقيقية التاريخية » . [ص ١٧] .

ناسيا فى غمرة دفاعه ، ان « الصناع والفعلة » كانوا ، فى هذه الفترة بالذات ، وبرغم ضعف وعيهم الطبقي ، وبرغم ضالة ثقلم الاجتماعى والسياسى ، يمارسون تضالا طبقيما واضحا المعالم تبطل فى سلسلة اضطرابات عمال الترام والسكك الحديدية ، والدخان والترزية وغيرها ، وفى تزايد التنظيمات النقابية والعمالية ، والمصحفة العمالية التى لمعت دورا لا يأس به فى ايقاظ الراى العام ، وفى تحديد معالم الصراع المصرى العام ضد الاحتلال الانجليزى وضد السيطرة الاجنبية على اقتصاديات البلاد .

وعندما يقرن سعد زغول فى مذكراته منطلقا

من موقف طبقي ؟ متفرق فى رجعته « ان العامة من كل شعب لهم ايمان تخالف صوالجهم ، وافكارا تلتمح مع مفاعهم ، وشبهوات اذا لطق العنان لها ، افستت الاخلاق » .. عندها يشن غول هذا الهجوم على « الشعب المصرى » نان مصطفى النحاس جبر لا يملك ازاء هذه الصراحة ، فى العدا لحركة الجباهير ، الا ان يتفلسف بدافعا حتى عن هذا الموقف قائلا : ان هذا التحديد تحديد عام يربط بين الوعى وبين الجباهير ، ولا يرى الكم مجردا بل يربطه بالكيف . ان الايمان بالجباهير عند سعد يصبح بهذا المعنى ايمانا بالجباهير الواعية ، وليس ايمانا بالكل الهائلة المخضلة التى يتلقها « ارباب الجرائد » [ص ١٠] .

فإذا علمنا انه يعنى « بأرباب الجرائد » مصطفى كليل ، ومحمد فريد ، ورجال الحزب الوطنى ، أمكننا ان نحدد مدى السقطه التى تردى فيها المؤلف ، وهو يحاول ان يشترك سعد هجومه على حركة الشعب المصرى الواعية التى تحركت تحت قيادة الحزب الوطنى . فى ذلك الحين .

وعلى اية حال ، فانه يكفى انه بينما كان رجال الحزب الوطنى من « أرباب الجرائد » يقاومون الاحتلال ما وسعتهم المقاومة ، ويحاولون ايقاظ الشعب قدر طاقتهم ، وبرغم أخطاءه ارتكبوها ايضا .. فان مصطفى النحاس جبر يقاقر بان سعد زغول قد خرج من تحليله للطبقات فى المجتمع المصرى فى مطلع القرن الى نتيجة تقول انه ليس فى « جميع هذه الطبقات قوة الاعتقاد على النفس التى هى منبع الحياة للامم » .

ولم يكتف الكاتب بالتبرير ، بل انه مضى فى دفاعه غير الموضوعى ليحمل الكلمات أكثر مما تحتمل .. ولنتابل مثلا واحدا من بين عشرات من الامثلة يمكن ان نلتقطها حتى القارىء المتعجل ..

يقول المؤلف : « وعلى الرغم مما ذهب اليه سعد ، من انتقاز الحركة الوطنية المصرية ، الى الوعى الذاتى ، والحركة المستقلة ، فانه ينتهى الى اليأس بل يدعو الى قيام تنظيم سياسى قائم يقول [وعندى ان احسن ما ترشد اليه هذه الامة فى الظروف الحاضرة وغيرها ان تقوم عنها طائفة ، يكون همها نشر الحقائق بينها ، ودعوة الناس الى الايمان بها » .

[أين فكرة التنظيم السياسى القائد ؟] ثم يعمى الكاتب قائلا : « أيا شروط هذا التنظيم هند سعد فهم قياه بتربية الكوادر والقيادات

الجماعية .. والميزة الأخيرة هي مشكلة الترجمة عبارة وردت في مذكرات سعد تقول « بترية الكساعات الشخصية بين الأفراد » . [ص ٢١] .

الا يثبت ذلك على الدهشة ؟ ماذا مضى المؤلف على هذا الخط — وقد مضى بالفعل — في تأويل الكلمات واضفاء معان لم تكن لتصور يخلد صاحبها ، ولا يمكن أن تحتملها الكلمات الأصلية فإن من حقنا أن نستشعر الخطر على الحقيقة ذاتها .

وحتى عندما يسجل سعد بنفسه اعترافا يحدد طبيعة موقف القوى الوطنية منه في هذه الفترة قائلا للمستشار الإنجليزي : « ان قوسى يسعدون نحوى سهم المثلث ، بدوى اثنى متحد معكم على اضعاف شأنهم وتضييق مهمهم » فإن الكاتب يعتبر ذلك مناورة بارعة حاكها سعد زغلول في حواراه مع ممثل الاحتلال الإنجليزي [ص ٩٦] .

ثم يضى سعد زغلول ، مقديا لفلوب كشف حساب بما قدمه من خدمات للانجليز « كيف ساع للسير جورست أن يتصور ذلك ، وقد قدمت من الانجليز من تعين وكيلا لدراسة القانون والصنائع ، وعسدا كبيرا من المدرسين في مدرستى الصنائع والمهندسخانة في العام الماضي ولم تقل هذا العام وظيفة يلقى ان يرتى انجليزى اليها ثم يمتعه من ذلك » . لكن الكاتب لا يجد ما يعلق به على ذلك الا قوله : « واسلوب سعد في ادارة الصوار والصراع مع المستنصر الانجليزى العتيق هو اسلوب من يتسم بالبراعة والفكاه » [ص ٩٦] .

وهكذا يضى الكاتب ، مبررا كل خطأ ، محاولا ان يثبت ان « الزعيم » لم يخطئ ، ولم يكن من الممكن له ان يخطئ ، حتى ولو انهم صحف الحزب الوطنى « بالحماقة والسفاهة » وحتى لو وصف قادة هذا الحزب بانهم مجرد « ارباب جرائد » ، وحتى لو انهم الامة المصرية كلها بانها « امة غافلة لا لاهية او مستغفلة بالسفاسف والهزائيات » [ص ١١٨] .

بل وحتى عندما يشغل سعد نفسه بالسفاسف قائلا « كيف قد لحت لورثدى بانها ذات يوم من اقتراب ميد الجلوس — الخديوى — ان يلفت نظر الخديوى الى ، لان كل اخواتي عندهم علامات شرف راقية ، وليس لى منها الا نيشان صغير لا يلقى ان يحمله صدر وزير » . [ص ١٢٢] .

ثم يضى القارىء ، باحسا عن أفكار سعد

فلا يجدها ، أو باحسا عن الجذبة القرائية وترباطه فيفتقد ، ذلك ان عملية « المنتج » التى قام بها المؤلف لأفكار سعد وللأحداث التاريخية ، قد تمت بصورة مغلفة بحيث افقدت الموضوع موضوعيته ، وقصادت القارىء من متاحة الى اخرى .

وبعد .. فإن أحد لا يشكك في زعامة سعد زغلول ، بل ان احدا لا يملك الحق في ذلك ، فهى زعامة شسايخة برغم كل ما شسايها من أخطاء ، غير ان الكاتب الذى قدمه لنا مصطفى النحاس جبر ليس دفاعا جيدا عن سعد الذى لا يحتاج الى دفاع .. ولا شرحا لمواقفه التى تحتاج الى مزيد من الشرح [.. بل هو من فرط اسرافه غير الموضوعى في تبرير كل موقف ، بل وكل خطأ ، قد جعل القارىء يخرج من متاهات كتبه ، محاطا بعشرات من غلايات الاستهزاء ، حول سعد ، وحول مواقفه ، خاصة في فترة مشاركته في الوزارات المعيلة للاحتلال — قبل ثورة ١٩١٩ — تارة وزيرا للمعارف العمومية وتارة أخرى وزيرا للحقانية .

وبعد هذا الحديث عن المنهج تبقى بعض تساؤلات ..

● هل من السهل على كاتب التاريخ ان يتهم الحزب الوطنى كله .. بانه كان في تبضة الخديوى ؟ وبأن الخديوى بعد هرب فريد من البلاد سيطر على الحزب .. ؟ واصبح رجسا الحزب هم رجال الخديوى ؟ [ص ٢٧١] .

● وهل يمكن ببساطة اتهام رجل مثل الشيخ عبد العزيز جاويش بانه عنصر مشهود ؟ [ص ٢٧١] .

● وهل صحيح ان جورست كان مغتالبا ومتعيجا خلال أحداث الفتنة الطائفية ضد الرجعيين من الاقباط ؟ ام انه كان المرض على الفتنة ؟ [ص ١٦٧] .

واسئلة اخرى كثيرة توحى من كثرتها بان المؤلف كان في حيلة من امره ؟ او انه لم يكن مهتبا الا بشيء واحد فقط هو عملية « المنتج » مستهدفا ابراز جانب واحد من الصورة ..

لكن لماذا لاجد مصطفى النحاس جبر نفسه في اصدار هذا الكتاب .. ؟ انه يجيب على ذلك في مقدمة الكتاب عندما يقول : « سؤال هنا يعترض .. لماذا الدفاع عن سعد زغلول .. وما هى قضية سعد زغلول الآن ؟ والاجابة ان الدفاع عن سعد يمثل دفاعا عن مصر وشعب

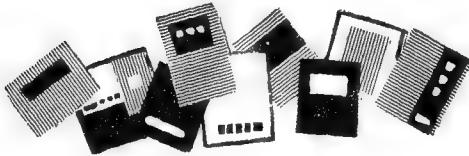
الامر ، لكن شعبتنا مصر « عباله وفلاحيه وطلبتنه وجموعه الكادحة تلقت النداء وحولته الى ثورة . وربما لم يكن سعد راضيا عن كل حركتها .. عن ثورتها العنيفة . ولعله في بعض الاحيان قد اذان العنف الثوري ، ودعا شعبه الى الهدوء ، وإلى العمل « بالوسائل المشروعة » . لكن الجاهيل المصرية تهرجت على نداء « الزعيم » ورفضته واستمرت في ثورتها وهي تهتف باسم هذا « الزعيم » .

وربما بدا الامر مخالفا ، لكنه كان تعبيرا واقعيا وحيا عن طبيعة الحركة الثورية التي كانت توج بها مصر ..

لقد كانت مصر « تظوب شوقا الى الثورة » ، كما وضعها كروبر . وعندما قال سعد « لا » تردد صوت الملايين خلفه ، لكن صوت الملايين كان يحمل معنى آخر غير الذي اراده الزعيم . ومع ذلك ، فقد كانت مصر من الوفاء بحيث حفظت لسعد مكانة خاصة في قلبها ، مكانة اعتقد انها ليست بحاجة الى « دراسة » متعجلة .. وغير موضوعية كي تتأكد .

مصر الذي اختار وحقق زعامته .. وان الهجوم على سعد بعد المائدة التاريخية التي احتفلها لايعني الا الهجوم على المصريين وانهالهم بالسذاجة .

.. السذاجة .. نفس اللفظ الذي اتهم به سعد شعب بلاده يوما ما .. لكننا ، مع ذلك ، نشارك مصطفى النحاس جبر احساسه بضرورة الدفاع عن سعد كزعيم وطني .. قاد واحدة من اهم الثورات الوطنية المصرية ، لكننا لا نشاركه منهجه في الدفاع غير المنهجى وغير الموضوعى ، ولا نشاركه تأويله للالفاظ والباس الكلمات معان غير مماثلها الاصلية .. بمعنى اننا نعتقد ان سعد بنقله الوطني والتاريخي ليس بحاجة الى « تزويق » او « مكياج » حتى يقدمه لمواطنيه .. فلنقدمه كما هو .. زعيم برجوازي وطني ، خاض غمار المساومة مع قوات الاحتلال حتى افضته المساومة ، وعاش تجربة المهانة حتى بداها العقيم ، ثم اتمسح في بوتقة النضال المصري فتمرد ، رفع راية العصيان ضد الاحتلال وان كان قد رفعها في حيرة وتردد في بادئ



مناقشات مفتوحة



تحتوى من المبادئ العميقة والاصيلة فى التنظيم الزراعى الكثير التى لم تتح له فرصة حقيقية للتطبيق .

للم يكن الوقت أن ندرك بصراحة جيدا أن الزراعة المصرية فى حاجة الى ايدولوجية جديدة تسمى عدة نقاط هى :

● من أبرز سمات المجتمع المصرى منذ آلاف السنين .. أنه مجتمع الفلاحين هذا المجتمع - الان - الذى يحتوى على قوة هائلة من البشر يتمثلون فى :

- ١٨٧ مليون نسمة .

- يقطنون ٤٠٤٠ قرية بـ ٢٨٢٨١ عزبة .

- به نصف القوى العاملة فى مصر .

- ينتج ٥٥ فى المائة من الانتاج القومى الحقيقى .

- به حركة تعاونية تضم ٣ ملايين مزارع .

معنى ذلك أن مشاكل هذا المجتمع - الفلاحين - تعتبر بحق انعكاس لمشاكل المجتمع المصرى كله ...

● مصر الان بلغت اقصى طاقتها فى استغلال اراضيها للزراعة بالمفهوم التقليدى القديم اعلى متوسط انتاج لمحاصيل الزراعية التقليدية - القطن - القمح - الخبز - الارز ، استغلال منها الارض

حل المشكلة الزراعية فى مصر تعاونيا

كتب المهندس الزراعى بالادارة العامة للتقاوى عبد العزيز عبد الرحيم الزعويلي من « السياسة الزراعية فى مصر ٥٥ » وقد طسرح فى تعليقه عددا من القضايا ، من بينها قضية خلق زراعة تعاونية كحل لمشاكل الزراعة فى مصر ، وقد كتب يقول :

فى تصورى لقضية الزراعة فى مصر أنها ليست فى حاجة الى قانون يحل محل قانون قائم او سياسة تحل محل سياسة قائمة ولكنها فى الصميم قضية الزراعة المصرية الاصيلية والمريقة على وادى النيل تلك المهنة الخالدة التى تستنبت من الارض كل اسرارها ومنتجة العمل الجاد فيها قضاء على الجوع والتخلف البشرى والفقر والمرض وكل ما تجزع منه الانسانية ..

لقد قدمت ثورتنا العظيمة للزراعة المصرية :

● قانون اصلاح الزراعى ١٩٥٢ م.

● الميثاق الوطنى ١٩٦٢

● بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨

● برنامج العمل الوطنى ١٩٧١ م.

الزراعة المصرية على مدار السنة بالكامل ٥٠٠
تجديد له معنى له لشباب العمل الانساني ٠ في
مواجهة هذه القضية في اعتقادي الوعى بها في
الحقيقة هي مقدمة الادراك الإيجابي الفعيل لما
ينبغي أن نرفضه من الزراعة المصرية يوضعها
الحالي وما نقله بتحفظات ٠ وذلك بطرح نقط
الضنف من جديد وحاوله الاجابة عليها ينطلق
المعلم والابن يحريه الفكر وحقوق الانسان على
الارض وادانة الروح الكواكبية والسلوك الهيجي
والمغواشي والدعوة الى قيم العلم والصناعة
والانفتاح على تجارب دول متقدمة سبقتنا في هذا
المجال « الزراعة المتقدمة » فنحن مع التقدم بغير
شك نأخذ القيمة ونستلمهم الشكل ٥٠١

الحالمة ماسة الى أن نستوعب بعمق حركة
تطور التاريخ ونناضل لاعداد أنفسنا اعدادا علميا
لكي نهضم كل اسيل في الجديد ٥٠ ان تجارب
البلدان الاشتراكية مثل بلغاريا - المجر - والتي
كانت مثلا للتخلف الزراعي في يوم من الأيام ينبغي
أن تكون دليلنا الى التقدم المصرية والديمقراطية
في هذا المجال ٥٠١

● ان لشبكة الزراعية هنا على ارض مصر
ليست مجرد « عدم المعدل » في توزيع الارض
الزراعية لحسب بل ان مشكلتنا هي أنه حتى
مجموع هذه الاراضي لو وزعناها بالمعدل فانه لا
يكنى الا لحياء لا تختلف كثيرا عن الحياة المتسمة
الرأنة التي يحياها أغلب الناس ٥٥٥

ان نحن محققون الى « تعاونيات زراعية
تلقائية » تكف بالنسبة الى حجم الانتاج في سياق
مع زيادة السكان الريمي ٥٥ في سياق لتعويض
سنوات التخلف ٥٥ في سياق مع البطون الضاوية
والجورمة ٥٥ الى متى ؟؟

● ان شبكة التعاونيات ٤٢٥٥ تعاونية -
التي تبا مملكة هذا المجتمع هي بغير شك تغفل
فعليا البطيء في عقول ووجدان الفلاح المصري
لذلك يجب أن تفرق بين الكم والكيف بين معنى
الجمعية بطونه ورملة وبين منهجها العلمي
والانسانى بلصحه وبديه ٥٥ فان ما نحتاج اليه
جنبنا الى جنب مع الجرارات والمباني والموتورات
والمبيدات والنقاوى الموجودة بالجمعية هو انهج
العلمي والانسانى الذى يتجاوز أسوار الجمعية
الى العلوم الانسانية وحياة البشر « الانسان
التعلمي وكيف نبنيه ؟؟ » وخصوصا وأن كنا لا
ننكر حقائق التاريخ هو « التعاون » فتعاونيتنا
الزراعية المصرية الآن تحتاج الى حركة والحركة
تحتاج الى محرك والمحرك هنا يحتاج الى قدرة
تحريك ٥٥ من هو المسئول عن قدرة التحريك ؟؟

● ان حريتنا القادمة تعتمد على قوة كل الشعب
التي تكن في قوته الأساسية في الفلاحين ٥٥ هنا

يظهر تَوَن « التعاونيات الزراعية المصرية »
القواعد الثابتة في الريف والتي يجب أن تفرخ
النقوى الثورية رجال وشباب ونساء تحرك الوطنية
الاصيلة ٥٥ فالتفاح المصري منذ آلاف السنين على
ضفاف النيل في الوادي الاغصر الضصيب قبل
التحدى وتخطاه ٥٥ ورضعت أمامه المصاعب
والاشواك ولكنه شق طريقه خلالها حتى أصبح
جزءا من تركيبه المزاجي والنفسى أن يتحرك أشد
الحركة ويكشف من معدنه القوى كلها زاد التحدى
الذى يواجهه والتي تجلت في محاربة الاقطاع في
« كفسور جسم » و « بهوت » « وكفر عسما »
و « ابنود » و « شلش » فالتساؤل الذى يحتاج الى
اجابة ٥٥ هل تعاونيتنا الزراعية المصرية
يوضعها الراهن والحالي تقوم بتفويخ القوى
الثورية الرجال والشباب والنساء والتي تحركه
الوطنية الاصيلة النابعة من ريف مصر ٥٥ ثواب
مصر ٥٥ هلين مصر ؟؟

هل أى طلاء جديد لهذا النظام القائم في زراعتنا
المصرية على واقع من يمكن أن يقدم الحل ؟؟

الم يحسن الوقت ان نقول بصراحة أن العمل
الزراعى الثورى والجاد لا يزال في حاجة شديدة
وبساسة وملحة الى :

اولا : نظرة أكثر صفقا لمشاكل الفلاحين اليومية
والمسترة يوما بعد يوم والتي لم تجد حلا الى
الآن ٥٥٥

ثانيا : تحليل علمى لمقدمات قيام واستمرار هذه
المشاكل الى الآن ٥

ثالثا : أين الطريق ؟ ٥٥ ما هو الفعل ؟ ٥٥ من
أجل الخروج بالزراعة المصرية من الكفاف الى
الكفاية ٥٥

فمثلا ماذا تصحنا لمعالجة التقهت في الارض
الزراعية المصرية ؟؟

نظرة سريعة الى الارقام نرى :

- عدد المكلفات ٣٥ مليون مكلفة في ج ٥٠م ٥

- يوجد ٣ ملايين مكلفة اقل من ٣ لفنة ٥

معنى ذلك :

انه يوجد على الارض المصرية أكثر من ٣٥
مليون مزرعة اقل من ٣ افنة ٥ هذا كما أثبتت لفة
الارقام على الورق ٥ أما الواقع الفعلي فهو أعمق
بكثير مما تقديمه إحصائيات الملكية فهناك في حدود
الارقام المبررة عن التقهت أنواع أخرى من التقهت
٥٥ فمثلا :

- ممالك لفدان على أكثر من قطعة ٥٥

— ملكة بوجه ما يملكه على قطع صغيرة *

— حائز يقسم الأرض على أولاده فظاهريا حائز
واحد والحقيقة أنها مقسمة أكثر ...

أما التفسير الخطير للأرض الزراعية فيرجع
إلى :

قديمًا : هذه الظاهرة ترجع إلى أواخر القرن
الماضي وبذلك يصدر الثلاثة السعيدية ١٨٥٨ فقد
إباحة هذه الثلاثة لمستغل الأرض الحق لمسي
تأجيرها أو رهنها أو بيعها ٢٠ أى إباحة الملكية
الغربية في الأرض الزراعية المصرية ...

بذلك كان التمييز والتمويل للمزارع المصري
هو الأرابي وكان التسلط والكرهاج والأرهاب على
الفلاح المصري من جانب كبار الملاك والقطاعيين *
الأمن الذي أدى في الحالة الأولى إلى انتزاع
الأرض منه وهروبه من مراكز التسلط والأرهاب
في الحالة الثانية مما أدى إلى هدم تجمعاته وكيانه
وتشتته وتفتتت ملكيته إلى وحدات صغيرة
مبعثرة *

حديثًا : يمكن القول أن قانون الإصلاح
الزراعي والذي اعتد على توزيع الأرض على
الفلاحين الكادحين والمحمدين خلق من المزارع
الصغيرة - ٣ أفنة - التي وزعت عليهم هذا
التفتتت بشماكله العديدة *

— عادات وتقاليده المجتمع المصري والتوارث
المستمر في حق الإرث تقسيم للمزارع الكبيرة إلى
صغيرة عاما بعد عام *

— عمليات الشراء والبيع للأرض الزراعية
المصرية ، ستظل هذه الحالة ما بقيت الملكية
الزراعية الغربية *

هنا يجب أن نتساءل ١٠ ماذا قدمت سياستها
الزراعية إذا كانت لنا سياسة فعلا لمعالجة مشكلة
التفتتت الخطيرة على الأرض المصرية ؟؟

— هل نظام الدورة الزراعية والذي طبق في
مصر منذ أكثر من ١٠٠ سنة بطريقة منتظمة وأن
دلت المراجع على أنها منذ عهد الرومان حل هذه
المشكلة ؟؟

— هل مشروع تنظيم الانتاج الزراعي الذي طبق
عام ٦٣ - ١٩٦٤ في محافظة كفر الشيخ وبني
سوف حل هذه المشكلة ؟؟

— هل قوانين الورق والظل التي صغرت قديما
أو حديثا ، والتي وضعت الحل الكائى والشافى
أن الألوان لها أن تطبق وتحل هذه المشكلة ؟؟

— هل توزيع الأرض الزراعية على المهندسين
الزراعيين حل مشكلة تفتتت الأرض الزراعية ؟؟
هل كل هذا قدم الحل والبحث بجدية عن حل
ملم ومحاسن لهذه المشكلة ؟ وإلى متى ؟؟ يتوقف
هذا التفتتت المستمر والذي فرض على الأرض
الزراعية المصرية *

— مشاكل يومية ومستمرة يوما بعد يوم *
— خلق علاقات انتاج على الأرض الزراعية
مريضة تهدر عمل الفلاحين المصريين وتسوق
الانطلاق نحو الأفاق التي لابد من إزديادها حتى
يتحقق النهوض الشامل بالزراعة المصرية *

فإذا كنا جادين حقا في تطوير الزراعة المصرية
وتحويلها من زراعة الكفاف إلى زراعة الكفاية على
أساس العلم والتخطيط يجب أن :

● نحرس ونناقش التجارب والدراستات التي
قدمت في هذا المجال حتى الآن لكي نعرف على
جوانبها الإيجابية فنندمجها ونطورها وأن نعرف
جوانبها السلبية فمعالجها ونفص على أسبابها ..

● أن نضع قوانين الظل والورق موضع
التقيد والتطبيق بجدية ويوجد في قوانين الإصلاح
الزراعي من عام ١٩٥٢ علاج لهذه الحالة *

● يجب أن نعى جيدا أن توزيع الأرض على
المصريين في قانون الإصلاح الزراعي ليس غاية في
حد ذاته ، أن الغاية الحقيقية هي الوصول بالزراعة
المصرية إلى مرحلة الكفاية لمجتمع الفلاحين
المصريين الكادحين * فتوزيع الأرض خطوة أولى
نحو هذه الغاية ، لأن الفلاحين على هذه
الخطوة مستحيل وترك الفلاح لنفسه ولنشألة
أفنية ، ولنظام مسئول عن تطوره ونقسمه -
التعاونيات الزراعية - مريض لا تكفى لاجتهاديه
إلى هذا العالم الحديث المتطور من حوله ، والذي
تزايد حاجاته ويرتفع مستواه يوما بعد يوم *

● يجب أن نلغى كلمة مكلفة القديسية
قدم « محمد علي » وأن نضع رقم ٢٥ مليون
مزرعة بين أقواس في قاموس الزراعة المصرية
الحديثة ونحولها إلى ٢٥ ألف مزرعة ١٠٠ بذلك
ننظم العمل على مساحات كبيرة من الأرض تضم
مستحلات كثيرة وصغيرة حتى نتسكن من إزالة كلمة
مستحيل تحويل الزراعة المصرية الراهنة بلحجم
ودنما الآن إلى زراعة حديثة متقدمة ومتطورة *
اليس من حقنا أن نتساءل إذا كان لدينا سياسة
زراعية ترد بصراحة على سؤالين :

أولهما : لماذا لم تستطع الزراعة المصرية
نظامها ووضعها الراهن والحالى أن تغير من
السمات والمشاكل اليومية والمستمرة للفلاح
المصري وكما وضعها برنامج العمل الوطنى ؟؟

ثانيهما : لماذا لم يظهر أثر واضح لزيادة عدد الفاعلة الزراعيين الثوريين ، والجادين على حل مشاكل الفلاحين وتطوير مجتمهم . على عكس ما حدث في المجتمعات الأوروبية وكما هو مفروض أن يحدث .. ماهو السبب ؟؟



وكتب عمر عبد المنعم حمودة - ليسانس حقوق عن :

فكرنا المعاصر بين الأصالة والتجديد

قضية الفكر العربي المعاصر بين الأصالة والتجديد من أهم القضايا المثارة الآن في ساحات المناقشة والدراسة تحت عناوين عديدة باحثة عن الوضوح والتجديد ، وعلى الأخص وأن فكرنا يمر بمرحلة حساسة وثقافية تفرض عليه أن يكشف بجلاء عن هويته القومية فكرا وثقافة ، والذات أسيذة لهذا الفكر ، سواء كان ثراثا أم حديثا وماسرا .

والفكر العربي منذ مطلع المصور الحديث مع فجر يطلعه ، تنازعته تيارات شتى اختلفت وتباينت ، شكلت ملامه وكونت بنيانه . هذه التيارات ينتمي بعضها إلى التراث العربي القديم ممثلا في التعبير أدبا وفكرا عن السرى والتوحيدى وابن خلدون والمتنبي وغيرهم ، وبعضها الأخر ينتمي إلى الفكر الأوربي الحديث ابتداء من عصر النهضة الأوروبية إلى يومنا هذا . وثالثها يأخذ بكل توفيق من التراث والفكر الأوربي في قضايا ومشكلاته .

البعض من تيار الفكر السلفى يرى أن الفكر الإسلامى هو سفينة النجاة والتعبير الحقيقي عن شخصيتنا القومية وأنه الفكر العربي المتمسم بالأصالة والعمق مقصرا في ذلك على تحقيقس التراث ونشر كتيبه ومصنفاته .

ومما لاشك فيه أننا لا ولن نستطيع أن نقطع الصلة بيننا وبين تراثنا القديم كلبية . فهو نقطة بدء لما وصل إليه فكرنا اليوم كما أنه حلقة من حلقات التطور . الا أنه ينبغي علينا أن نضع التراث في موضعه السليم من تطورنا بمعنى أنه يجب ألا نأخذ كل ما ورد في التراث على أنه مسلمات وجديهايات لا تقبل المناقشة أو الجدل . لكن المطلوب هو أن نأخذ زمام المبادرة بالانتقاء الحلى والموضوعى للأفكار والمواقف الجديرة بالأحياء والقبول من

العصر الذى تعيش فيه . وأنى لارى ما قاله الفيلسوف الانجليزى الراحل راسل بالنسبة للفكر العربى من «أن أمجاد العرب لأصنعها أدبها ولا شعرها ولا فنها ولا علومها ولا جمال لغتها فحسب بل أن عطمة العرب وتقديمهم يصنعهم أيضا أولئك الذين يملكون الاستقلال الثقافى ويمارسون النقد الذكى لأن هذا هو ثروة أى شعب وسر قوته الخالدة التى تمكنه من تحقيق الاستقلال الفعلى والاكتفاء الذاتى » . وهذا الرأى هو بيمينه ما انصرف إليه لوبون ، وبروكلمان ، وبارتولد فى نظرتهم إلى الفكر العربى القديم . فكروا العربى المعاصر مطلب بأن يخلق ويبدع فكرا وأدبا من خلال معاناة أصيلة تمير عن واقعه ومشكلاته ، وعليه أن يجتهد كما اجتهد السلف فيما عن له من تضاييا غرضها عليه واقعه فاعمل أهله العقل وميطروا على أفكارهم فى ضوء مناهج العقل والمنطق .

وفى التراث العربى والإسلامى نجد فكرة جديرة بالأخذ بها كأساس لصياغة الفكرية والميساسية والاجتماعية ، هذه الفكرة هي فكرة الاجتهاد ، لأنها كتبت فى حقيقة امرها أصديق تعبير عن الفكر التقدمى فى الإسلام تلك الفكرة التى عرفها الفكر الفلسفى والدينى ولم تقتصر على نطاق الدراسات الفقهية بل امتدت إلى التربة الإسلامية والعربية ، لتعكس كل مظاهر التحويل فى حياة الفكر العربى والإسلامى . وأساس فكر الاجتهاد أن «الوقائع متجددة والنصوص محدودة» على حد تعبیر الفقيه الإسلامى الكبير الكسائى .

ونجد فى التراث العربى فلسفيا مدرسة فلسفية قامت عند المعتزلة سادت نظرتها العقلانية إلى الامور وأكدت حرية الفرد فى فكره وسلوكه والدعوة إلى مشاركة الفرد فى حياة المجتمع . مثل هذه الافكار والمواقف هو ما تريد بهمة من التراث العربى فيما يدل على الاتجاهات العقلية المجتهدة عند العرب .

وإذا كان الفكر العربى يعانى من النيبسول والضعف والاضمحلال فإن ذلك من جمعه إلى وقوعه فى أسر الفكر السلفى بمتناصرة السلفية دون الإيجابية وهون النزوع إلى التجديد والابتكار بما يرمى دعائم فكر قديمى معاصر يبرز قسماات الذات القومية والعربية كما فعل جيل الرواد أرتباطا بالتراث من ناحية ، والفكر الغربى الحديث من ناحية أخرى ..

اننا إذا أردنا تجديد الفكر العربى فليتنا أن نرفض مدارس الشرح على المتن ، وأحياء الكتب الصغراء بأعادة تحقيقها فحسب ، بل يستلزم الأمر

الكشف عن كل المواقف المتضالية في فكرنا على من
المصور استجابة لنطاق التطور وروح العصر *

أما التجديد والمعاصرة وهو الشق الثاني من
القضية فينصرف الى الإبداع الفنى والفكرى
والثقافى ارتباطا بثقافة العصر وتجاريه بواسطتهما
للوامع العربى فى قضايا ومشكلاته * فعلى الادب
العربى المعاصر كإداة من أدوات الفكر المعبر عنه
ألا يقف عند حدود الماضى أو يتجمد فى نطاق
الخاص وإنما عليه أن يستشرف آفاق المستقبل
المنشود *

ولن يكون هناك تجسيد ومعاصرة دون أن
يتخلص العقل العربى من أوهام المؤسسة
الإستعمارية المختلفة ، ودون تحطيم للسلاسل
الحديدية التى يولد بها فكرنا ونهثها منذ مجئنا
الى الدنيا .. *

والمعاصرة والتجديد تعنى بالدرجة الاولى أن
يعنى الإنسان العربى والمصرى بالذات بناء جديدا
تتوافر فيه كل سمات الإنسان المعاصر * فبغير هذا
الإنسان لن تكون هناك ثقافة ولا حضارة على
الأرض العربية *



المواقف من خريجي المدارس الفنية المتوسطة بعد التعريف الجديد للعامل

وكتب عبد الرحمن محمد خير :

ومنظورة الا أنه لم يتطرق البحث أو النقاش إليها
فى يوم من الأيام مما جعلها تحدث أثرها المدمر فى
صنوف فئة يبلغ تعدادها حوالى السبعمائة ألف
وتزداد سنويا بمعدل مائة ألف من خريجي المدارس
الفنية (تجارية ، صناعية ، زراعية) ومراكز
التدريب المهني ومعاهد أعداد الفنيين * فما هى
هذه العوامل ؟

أولا : الإحساس بالفرقة سواء على المستوى
الأعلى أو الأدنى أو الفئالي ، وتمسدد مستويات
هذه التفرقة عجيبة ، ولكن الذى
يرسخها ويزيدها السلم الوظيفي ولوائح العاملين،
ففى مستواها الأعلى نجد أن الفارق بين سنوات
الدراسة لا يزيد عن أربع سنوات بين حامل
الشهادة المتوسطة والمالية وفى بعض الأحوال
سنتين وثلاث سنوات (خريجى معاهد أعداد
الفنيين ومراكز تدريب الصناع الحربية) ومع هذا
فإن فارق الاجر ١٠ جنيهات علاوة على ميزة الأبدل
للمهندسين ٩ جنيهات أى ١٩ جنيها بين المتقاربين
سنا ودراسة والمكابر بلصمهم بالعمل الواحدى
الإشراف والمعاملات الفنية الدقيقة * وبالنسبة

بعد التعريف الجديد للعامل الذى حسم موقف
الذين يسمح لهم بقيادة العمال فى نقاباتهم « الا
يكونوا أعضاء فى نقابات مهنية أو من ذوى
المؤهلات العالية » برز سؤال يقول ما هو الموقف
من خريجي المدارس الفنية المتوسطة بعد التعريف
الجديد للعامل ؟ ويلوح لى أن طرح هذا السؤال
يجرى فى وقته بعد تصاعد حركة المطالبات
بالانضمام لنقابة « المهن الهندسية » بين خريجي
المدارس الثانوية الصناعية أضواء بأخوانهم من
خريجي المدارس التجارية والصناعية الذين سمح
لهم بالانضمام لنقابات مهنية *

وهنا ينبغي أن نتساءل عن سر هذا الاصراع
المتيد على الانضمام الى النقابات المهنية من
خريجي المدارس الفنية المتوسطة ؟ !! والنظرة
الفاحصة تجد أن هناك الكثير من العوامل تتداخل
لتجعل مسألة دخول النقابات المهنية قضية مصر
بالنسبة لهذه ولقاء الضوم على هذه العوامل قد
يجعل أمر انزالتها سهلا بالنسبة لن يردون خدمة
الحركة العمالية * وإن كانت هذه العوامل مرتبة

والأجور وتوزيع الأرباح واستغلال النشيب الباقية
منها في مشاريع الإسكان والتنمية العمالية .
٢ - مشاكل التأمين الصحي وعلاج العمال
وعدم وجود ما يكفل مشاركة العمال في توجيه
سياسته .

ويظهر خريجو المدارس الفنية إلى أنفسهم
كضحايا وظلمين ، ويحاولون دخول نقابات
المهنيين جريا وراء الدلالات وميزات العلاج
والإسكان والترفيه . التي توفرها هذه النقابات
لمنضمين إليها .

والسؤال الآن ما موقف اتحاد العمال بعد أن
حسم مسألة (الصفة العمالية) وحصرها فيمن لا
يحملون مؤهلات عالية أو مضمينين لنقابات مهنية
من هذه الأعداد الهائلة من خريجي المدارس
الفنية ؟

تصري هو أن يقوم هذا الاتحاد بعمل ضخم
على جانبين أولهما : برنامج عمل محدد يبين فيه
المطالب العمالية المشروعة على أن تناقشه كل
القواعد العمالية بما يعطى هذه العناصر النسبة
الفرصة لتمرير من خلال مناقشة هذا البرنامج
وتنتج في الصفوف الواسعة للطبقة العمالية
يفكر موحّد حول كل قضايا العمل والعمال
- وتستعيد من خلال هذا ثقتها بنفسها
واحساسها بالانتماء لهذا الكم الهائل من جماهير
العمال وما يمكن أن تصفه نوعيتها المتميزة فنيا
وعلميا وثقافيا في هذه الجبهة العريضة بلتحمة
بمحا محرك لها .

والثاني : القيام بحملة توعية مكثفة ومركزة
داخل صفوف هذه الفئات لاشعارها بانتمائها
العضوى للطبقة العاملة وما يمكن أن تؤديه لها
ودعيا لثقتها واعتزازها بنفسها احساسا بقيمة
العمل والعمال في مجتمعنا النامي . . ومحاولة
توجيه كل الجهد المهدر من اجل الانضمام لنقابات
مهنية إلى عمل جاد داخل النقابات العمالية .

أن هذا المنبع الهائل للطائفة الشابة المتفتحة
بالامل لهمو كسب هائل للحركة العمالية اذا احسن
توجيهه واكتساب ثقته انه الفهم الجديد الذي
تحتاجه الحركة النقابية لولايتها من مرض تصلب
الشرابين الذي تعيش اليوم مرحلة متقدمة من
مرحلة . . ان الفرصة قد اعطيت لهذا السكم
الهائل من الشباب للدخول في الحركة النقابية
وانماها وقيادتها في كل مستوياتها بعد تحريرها
من سيطرة فئات المهنيين ، وعليه ان يستغل هذه
الفرصة المتاحة للدفاع عن مصالحهم فحسين
مصالح الفئات العريضة من العمال من خلال
منظمات نقابية قوية بقتل الملايين الذين يمثلهم . .
ولكن الواجب أولا على اتحاد عام العمال وتذمى
النقابيين لاجل الأرض خصبة حتى نتجح فيها
عملية استنبات هذه البذور وتفتح براعمها المليئة
بالامل .

للدرجة فارق درجتين وما يحملن فارق العداوة
وقرص الترقية المتاحة لهذا دون ذلك ويصيح هذا
الفارق تائما طوال سنى الخيبة متجليا في نوعيات
ومسميات وظائف كل منهم وهذا يولد لدى خريجي
المدارس الفنية احساسا بالظلم الفادح يفرغونه في
اتجاه سلبى هو محاولة الانضمام لنقابات المهنيين
في محاولة الحصول على امتيازاتهم اما الاحساس
بالتفرقة على الصنوف الاثنى والمقابل فينتج من
محاولة بعض رؤساء العمال والملاحظين من غير
المؤهلين احاطة هذه الفئة الشابة بسياج من عدم
الثقة وتلقبهم بالافندية لعزلهم عن أخوانهم العمال
خشية من المنافسة على الدرجات الوظيفية وتستغل
في هذا الكثير من الامساك بالعادة الثقافية مع
مثل الطبقة العاملة المصرية وتنمى جهات الادارة
هذه الامساك في محاولة لمنع تطعيم العمال
بالعناصر الواعية المتفتحة وتزريق صفوهم ودعما
لهذه الفئات الى الهروب من العمل بين العمل
نتيجة للاحساس بالفقر والاضطهاد بما يهدر
بما يؤده الفئات من خبرات نظرية وعملية بعيدا عن
مصالح العمل والعمال الى الاهتمام بالأوضاع
الوظيفية .

ثانيا : التطلعات الموجودة لدى بعض العناصر
ضعف الاحساس بقيمة العمل : ان بريق العمل
المكثبي والقباب الاستاذية والافندية ما زالت تحدث
تأثيرها في ميثاقنا المتخلفة مما يولد دائما لدى
الكثيرين من خريجي المدارس الفنية للخروج من
ظروف العمل هذه التي وضعتهم فيها نسبة
المجور دون رغبة منهم فيحاول الكثير منهم
الهروب الى العمل المكثبي مع ما في هذا من ضياع
لما اكتسبوه من معارف عملية ونظرية يستتبع هذا
اللجوء الى نقابات الافندية هروبا من اوساط
العمال . . وهذا مؤشر من مؤشرات الخطة خاصة
في مجتمع المفروض فيه أنه يتحول نحو
الاشتراكية .

ثالثا : ضعف الحركة العمالية : ان ضعف
الحركة العمالية - التناثري - التناثري عن
سيطرة العديد من المهنيين على مواقع القيادة فيها
والذين لا تربطهم بالطبقة العمالية اية رابطة
مصلحية (تزيد على مصالحهم الذاتية في استغلال
اموال النقابات العمالية لحسابهم) زيادة على بقية
القيادات العمالية الغير واعية والتي اتمسكت
الصلة بينها وبين حياة القاعدة العمالية واصبح
العمل النقابي لديهم عمل مكثبي يتممون من خلاله
بكل ما حملوا به أيام اراؤا أن يكونوا افندية - كل
هذه الاسباب أدت الى عجز قيادة الحركة العمالية
عن تبني قضايا عديدة تمس مصالح العمال مثل .

١ - قضية أيام الجمع وحرمان العمال من
اجرها بعد تطبيق لوائح التأمين الجديدة سنة
١٩٦٤ .

٢ - قضية بدل طبيعة العمل ومسائل الحوافز



عن الأرض المحتلة

١٩٧٠

التخويف والارهاب
والاعمال الانتقامية
والاعتقال الموقت

تنشر «الطلیمة» فی هذا العدد وثیقة «التخويف والارهاب والاعمال الانتقامية» وهذه الوثیقة جزء من الوثائق التي اعدتها «The Arab Women's Information Committee» واصدرها «معهد الدراسات الفلسطينية - بيروت» ، یونیو ١٩٧١ تحت عنوان «العرب تحت الاحتلال الاسرائیلی : ١٩٧٠» وهي الوثائق التي بدأت «الطلیمة» نشرها فی أبريل الماضي ، التي كانت تكشف عن ظاهرة الرفض والتمرد الشعبية داخل الاراضی المحتلة وعن اعمال البطش الاسرائیلی ضد اقتصادیات وممتلكات العرب وتغيير طلبیها العربی .

وتكشف الوثیقة التي تنشرها «الطلیمة» فی هذا العدد ، عن اعمال الانتقام البشعة التي تمارسها السلطات الاسرائیلیة ضد العربی .»



« جميع إجراءات التوقيف والرهاب محظورة » .
 « الاموال الانتقامية ضد الأشخاص الوافعين تحت الجنسية وممتلكاتهم محظورة »

[المادة ٢٢ من معاهدة جنيف الرابعة]
 « لا يجوز ان يتعرض أي شخص للقبض أو الاعتقال التعسفي »
 [المادة الخامسة من ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٦٦ بشأن حقوق المدنية والسياسية]
 أصدر الحاكم العسكري للفضة العربية المحتلة والحاكم العسكري لقطاع غزة وسيناء أوامرهما إلى على رابع الحادي عشر من يمتيه من دخول المختلين لمدة ستة شهور بعد من تاريخ انتهاء امر سائل اسبر الضل به لمدة عام . كما ان الحامي يقضي أيضا لامر آخر بتخفيض اقلية لمدة تسعة شهور . وقد رفض الحاكم العسكري بالمختلطين والمختلطين ، دخول الحامي إلى أي من سجون المختلطين ، ولقضاء من مخالطة أي من موكليه ، الا اذا حصل على إذن خاص في كل حالة على حدة »

[الاتفاقات : ٢ يناير ١٩٧٠]

التي التقى في القدس على ١٥ من اصحاب المجال الجارية المجاورة ليهودان «بجازة» ، بالقرين من كتيبة الترامنكس .
 [جبروسايم بوست : ٢ يناير ١٩٧٠]
 قامت سلطات الاحتلال بمخيمات بحث واعتقال واسعة في غزة عقب الانذار الذي وقع في الشبكة الكهربائية التي تربط بين شركة كهرباء غزة وبين شبكة الكهرباء الإسرائيلية .
 [الاتفاقات : ٦ يناير ١٩٧٠]
 منذ ثلاثة شهور التي التقى على ١٢ شخصاً من اربعة بتهمة تسكين منظمة غير مشروعة . وقد اعترض المختلون بأن نشاط منظمهم يقتصر على مساعدة شعبا الاحتلال والعرب ، وقد رفضت السلطات المحتلة تمتع الحجز الإداري لمدة ثلاثة شهور بدلاً من ان تقدم للحاكمة . وكان من بين المختلطين شاب في السادسة عشرة ، هو واسم عبد الفتاح عداد ، لم يوجه اليه أي اتهام .

[الاتفاقات : ٩ يناير ١٩٧٠]
 اختلج عدد من اعتداء أحد المختلطين « ردهم حسن سراير » هو الاسويح الخافي في مسجد السكروم للاشياء في مساعدتهم لمخيمات :
 [جبروسايم بوست : ١١ يناير ١٩٧٠]
 كتب راقبه الحامي حدة غزة من طريق الحكومة العسكرية الى رئيس

الجنهورية « والي زايين السكروا »
 والمتحدث الرسمي باسم السكيتية ، وزير الدفاع شكلياً من ان ولده محجز في السجن ، وان سلطات الشرطة قد استولت على ممتلكاته الشخصية ، ومن بينها سيارة وميرة نقل وسنابل ومبالغ وبسطة . وقد اعتقل على ٢٥ سنة « نجل السيد الطلي في ٨ ديسمبر للاشتباه في تهريب لمال من الأردن الى قطاع غزة لصالح منظمات الخفية وتهريب أمواله الخاصة خارج القطاع . [جبروسايم بوست : ١١ يناير ١٩٧٠]
 طرح السيد مور عثبان « رئيس المجلس المحلي لمجد الكروم لمصلحة جبروسايم بوست بقوله : « اننا نعرض بتقريب إلى الموقف تجاه مسجد الكروم وسكنها » . ويأمل هذا في التفتيش الأكثر تفصيلاً للقرابين في نطج الحدود على الطرق . ولكن من الشك من صليات التفتيش ، ولكن من الشك بالجملة الموجه ضد ٢٨٠٠ من القرابين بسبب ١٢ شخصاً - خمسة منهم بتسبب محاولات تخريبية جرت بتسبب شيرين وسيمه من المختبين بالمتصل الملج » .

[جبروسايم بوست : ١٢ يناير ١٩٧٠]
 طرح تقارير شمسو جازيت ، المستول من تنسيق النشاطات في المناطق الخاضعة للإدارة الإسرائيلية ، في ١٢ يناير أنه : « من بين ٣٠٠٠ من المختلطين لاتناهم أو مساعدتهم منظمة فتح ، هناك بعض الإبراهيم » . وعندما سأل احدثم « كم مددم ؟ » قال الجنرال : « اذا زاد مددم من ١٠٠ فانه يكون كثيراً جدا » . وأصاب السوء جزيت ان بعض مخابرات الأمن المروعة قد جرت في السجن دون محاكمة .

[جبروسايم بوست : ١٤ يناير ١٩٧٠]
 قتل أحد الدالين واعتقل ٢٠ آخرين في ٦ يناير في قرية قرية من بيت نجار شالي حرو .
 [جبروسايم بوست : ١٤ يناير ١٩٧٠]
 التي التقى على عدد كبير من السكان المحليين في غزة عقب اعتكاف أدى الى قتل سائق التاكسي موسى يوسف .
 [جبروسايم بوست : ١٤ يناير ١٩٧٠]
 أجرت قوات الأمن تفتيشاً في المنطقة المجاورة للشارع الرئيسي بغزة واعتقلت عدداً من المشويين عقب هجوم بالغاليل البدوية على سيارة إسرائيلية مدنية في الشارع الرئيسي من المدينة في ١٦ يناير .

[جبروسايم بوست : ١٨ يناير ١٩٧٠]
 أجرت قوات الأمن تفتيشاً واعتقلت عدداً من الأشخاص لاستجوابهم عقب هجوم بالغاليل البدوية على سمسيرة

مصرية في غزة في ١٧ يناير ١٩٧٠ [جبروسايم بوست : ١٨ يناير ١٩٧٠]
 اعتقل ١٢ رجلاً من طيرة ورجلان من قرية خبية المجاورة للاشتباه في هياهم بسلسلة من الاممال التخريبية في منطقة كثار سلبا .

[جبروسايم بوست : ٢٢ يناير ١٩٧٠]
 رفضت الحكومة العسكرية عدداً من الطلبات التي تقدم بها السكان المحليون للسباح لهم بإعادة بناء مسكنهم ، التي نسبت لاختفهم للثلاثين . ولهم إعادة بناء سوى منزل واحد بعد ان كانت قوات الأمن قد دمرت .
 [جبروسايم بوست : ٢٢ يناير ١٩٧٠]
 أصدرت محكمة الصلح بل انبي امرا بالتحقيق على ليلي يوسف الاسير لمدة ١٥ يوما بعد هدمها من قريش ، بتهمة الاتصال بممثلي إحدى المنظمات المعادية في الخارج .

[دافار : ٢٧ يناير ١٩٧٠]
 انقط البوليه عدداً من المشويين عقب هجوم بالغاليل على سمسيرة إسرائيلية لثلث الفود جنوب غزة . [جبروسايم بوست : ٢٧ يناير ١٩٧٠]
 أعلنت قوات الأمن في نابلس في ٢٩ يناير بالشيخ الأحمر بيتي اثنين من المختلطين ككلا قد اعتقل منذ ثلاثة اسابيع للاشتباه في انتمائهما لأحدى المنظمات المعادية . واليشان احدثا السعد مطيح أبو زينات ، ٤٥ سنة ، يحي راس العين ، والأخضر بلكه مطا الله شاك ، ٢٥ سنة ، وموظف بجمعية الشبان المسيحية ويعيم يحي الرج .

[ها آرتس : ٢٩ يناير ١٩٧٠]
 اعتقل عدد غير محدد من المشويين لاستجوابهم في نابلس عقب الفاء قتيلة بدوية على إحدى السيارات العسكرية . [جبروسايم بوست : ٣٠ يناير ١٩٧٠]
 برحت السلطات الإسرائيلية حشر التجول على مسكر البريج عقب تسبب إحدى السيارات العسكرية الإسرائيلية بالقرين من المسكر ، وجيمت جيمع شوب المسكر وأخت تطلق النار فوق رؤوسهم ، مما أدى إلى إصابة أربعة منهم .

[القهار : ٢ فبراير ١٩٧٠]
 اعتقلت سلطات الأمن إبراهيم أبو فريب ، ٢٨ سنة ، وليام أبو يده ، ٣٠ سنة ، وسعد طيات ، ٢١ سنة ، أثناء تنقيبها لمسكر التصريفات لاجئين في الاسويح الخافي للاشتباه في انهم قادة الفرع المحلي لتيطة التصريفات الفلسطينية .
 [جبروسايم بوست : ٥ فبراير ١٩٧٠]
 أجريت صليات تفتيش شاملة في قرية

في الشهر على رافع كاهد محايي النافع من المهيدين بالقيام بمخيمات المقاومة في الأراضي المحتلة .

شيلارد وفيلا أنه قد تم التوصل إلى اتفاق على بعض الأشخاص ، بعد تالين من مقتل أحد رجال شرطة الحدود بواسطة أحد الترك الخدمية بالقرب من القرية .
[جيروساليم بوست ١٢ فبراير ١٩٧٠]
احتلت ١٤ من المسكرين في القدس
أن يُحضر بمسكن البقعة بالقرب من تالين ، وهو ميد الرزوف سلاح ورعان ، قد التل الجيش عليه في الشهر الماضي للاشتباه في هويته لأحدى مجموعات الدلائيل .

[رؤيف ، القهار ١١ فبراير ١٩٧٠]
صدر أمر بالتحفظ الإداري على مبنى نوح أبو حبيب لمدة عام آخر بعد احتلاله بمالته لفترة خمسة لدة عام ، وللمعلم عن سبب لصعود هذا الأمر .

[الاتحاد ١٤ فبراير ١٩٧٠]
احتفل جنود أصدى السيارات العسكرية جميع المرة بنبطلة شوارع عبر الخطاب بنزة على أحياء محاولة لاثاء قبيلة بدوية على السيارة .
[جيروساليم بوست ١٣ فبراير ١٩٧٠]
أصدرت سلطات البوليس لاسرا بتحديد حالة عبدالحميد أبو عيسى في طيبة لمدة ستة شهور ، عقب انتهاء فترة تحديد أخايته السبعة . لمدة عام .

[الاتحاد ١٤ فبراير ١٩٧٠]
أجاحت إحدى الداوريات العسكرية في ١٣ فبراير وتوفي جماعة من الأشخاص في بستان جنوبي دير البلق أثناء فترة حظر التجول بالنبطلة . وحصد حاولت المجموعة أن تهرب عنتمها لاجتياز الداورية ونجحوا . وبعد أن أطلقت الداورية بضع طلقات التحذير لتحت نيرانها عليهم ، مما أدى إلى مصرع سيدة وأسيرة سيدة أخرى .

[جيروساليم بوست ١٥ فبراير ١٩٧٠]
أعلنت القيادة العسكرية في مدينة غزة المحتلة ، أن القوات الإسرائيلية قد قتلت مايز سبيل عربي في الزاوية عشرة من ميره ، وأصيب ثلاثة آخرين ، يوم السبت الماضي أثناء اختلاطها النار على أحد المشيعين كان يحاول الهروب .
وقال المتحدث عسكري أن الجنود لغوا نيرانهم بعد أن وكفوا عن الأشخاص المشتبه بهم وبعد أن أمروه بالوقوف .
وقد أصيب مجرب السبيل لإصابة وجرحهم من العرب ، وبزواصمات طلقة ، وجرح الخمدت العسكري أن الثامن منهم كانوا من الأطفال .

[وكالات الأنباء ، فيلي سستار ١٥ فبراير ١٩٧٠]
أصدرت السلطات أوامر عسكرية تحظر على عشرة من المحين المترب الأشخاص في التفتية العلية للمحين دخول الأراضي المحتلة . وإذا استطاع أحدكم أن يحصل على تصريح خالص لكنه يلزمه تصريح آخر من المصلاكم

المعسكرى الخاص أكابله موكب في أي من سجون الأراضي المحتلة . وحسبذا التصريح الأخير ليكن الحصول عليه عادة . والمحين العرب المشرة الذين يسلمهم الأمر العسكري هم : حسنا ، تقسلا ، ٤ وسيري جريس ، ومحمد ، بحرى ، وعلى رافع ، وحسنى عرافى ، ونراج سائلن ، وميداعالحايد درويش ، وكابل ظاهر ، وحسن نمرال ، ويحيى الجويش .

[الاتحاد ١٧ فبراير ١٩٧٠]
احتل ٢١ من العرب الإسرائيليين أثناء البحث من مجموعات من الفلسطينيين في التنباطم إلى الدلائيل ، أهداهما في الجبل النعوى ، والأخرى في الناصرة .
ومن بين هؤلاء المحتلين سيدة واحدة ، وبهذا بلغت جملة العرب الإسرائيليين المحتجزين لاعتقالات خاصة بالأمن ١٧٠ شخصا .

[جيروساليم بوست ٢٢ فبراير ١٩٧٠]
لقرست القوات الإسرائيلية حظر التجول إلى أجل غير محدد في حيرون اليوم وأستجوبت عشرات من السكان العرب بحثا عن الدلائيل الذين أطلقوا النار على سفارة اترييس بمحلة السالحين الأمريكين في ٢٤ نبراي .
[هيرالد تريبيون ٢٥ فبراير ١٩٧٠]

أطلقت قوات الأمن النار على شخص انتكك حظر التجول لفرته تقسلا في تركويا بالقرب من حيرون في حوالي الخامسة من بعد ظهر ٢٤ فبراير .
[جيروساليم بوست ٢٥ فبراير ١٩٧٠]
من بين الذين قتلهم أوامر الحجز الإداري همسى المراسى الذى كان محتلا لدة عامين ونصف .

[الاتحاد ٢٧ فبراير ١٩٧٠]
حدد قائدو بوردهاى جور ، قداه القطاع التسالى ، أقالبة الشاهر محمود فرويش بمنزلة أثناء الليل ، مع هجوم مخادرة بعينة حيا . وصدرت إليه الأوامر بتقديم نفسه للشرطة فى الزاوية مساء يوميا . و- مسح للشرطة بزيارته في أى وقت أثناء الليل . ويستمر العمل بهذه الأوامر لدة ستة شهور .
وسا يذكر أن محدود درويش محدد الإلانة حاليا لدة تسعة شهور تنتهى في أول مارس .

[الاتحاد ٢٧ فبراير ١٩٧٠]
قتلت إحدى الماكن في ٢٧ فبراير بحدشوار حبس صمى أبو عروق ، ٦٠ سنة ، وصاحب مدرسة لتفيدة السيارات فى معلولة ، والهللحق حسن أبو رحال ٢٢ سنة ، لدة ١٥ يوما أخرى لكل منهما . وكان الرجلان قد التل الجيش لهما في الأسبوع الماضي لاجتبات متعلقة بالأمن .

[جيروساليم بوست ٢٧ فبراير ١٩٧٠]
احتفل مشرون شلبا من طولسكم بتبنة تخريب أسلاك التليفون . وقالت

الشركات أن التليفون قد أمكروا بالتهابات الموجبة لهم .

[الاتحاد ٢٧ فبراير ١٩٧٠]
اعتقل ١١ شلبا من غزة للاشتباه في تقديمهم للقبيل البدوية أو لتطبيعهم للدلائيل بهذا العمل أثناء هجوم على سيارتين إسرائيليتين .
[جيروساليم بوست ٢٨ مارس ١٩٧٠]
تتواتر القوات الأمن التفتية عند سكان حي السجامة بشرق غزة عقب انبساط قبيلة في ٢ مارس . فلتطيرتها وجرمت سائق إحدى السيارات العسكرية .

[جيروساليم بوست ٢٩ مارس ١٩٧٠]
القت قوات الشرطة عند منتصف ليلة ٢ نبراي ١٩٧٠ القبض على أربعة من مدرسي مدرسة حطرق مالدا الإبتدائية في بينهم ثلاثة من أبناء كمال ملسا . هم بدر حاج ، ووطسلا الزلفى وعائلى بشتاى . أما الرابع فمسلح بمصباح ليد من القدس المحتلة .

[الاتحاد ٦ مارس ١٩٧٠]
احتل خمس المحورى من التسلسل العربية في ١٠ يناير ١٩٧٠ ووضعت الحجز الإداري لدة ثلاثة شهور في سجن رامبون . ولم يفتق معه ولهمواجه بأى اتهام .

[الاتحاد ٦ مارس ١٩٧٠]
القت قوات الأمن في غزة القبض على عدد من الأشخاص المشتبه في انتمش وشعوا شحنة من المتفجرات في مكتب العمل في جباليا في ٦ مارس .
[جيروساليم بوست ٦ مارس ١٩٧٠]
أطلقت إحدى دوريات الجيش النار على رجل في خان يونس فأردته قتلا . في ١١ مارس فتمما خرق قرار حظر التجول الذى كان قد فرض من قبل على الخينة .

[جيروساليم بوست ١٢ مارس ١٩٧٠]
لشرت صحيفة الدستور الأردنية في ١٢ مارس نلا من بعض الدلائيل من القدس فوهم أن القوات الإسرائيلية قد لجأت خلال الأيام القليلة الماضية إلى استخدام أساليب الإرهاب ضد العرب المحين في المى اليهودي من المدينة للقبلة المحتلة لتعليم على هيرمسلاكم وتلك الصعبة ، أن هذه الأساليب فصنت وشع عدد من الشلعات الناسفة في المنطقة مما أدى إلى تلف وتدمير عدد من المنازل . وأضاحت الصعبة أن سلطات الاحتلال قد أقيمت معدة كبرا من المباني تهيدا لتوطين العائلات اليهودية في المى .
وجدير بالذكر أن إيهال آلون ، نائب رئيسة الوزراء الإسرائيلى ، وأمرته وعدد من حراسه يعيشون الآن في الخندة .

[رؤيف ، ديلي سستار ١٢ مارس ١٩٧٠]
قتل الجنود الإسرائيليون شلبا عربيا

ويعتبروا أنهم في ١٤ مارس في القدس
الوقوف منها يرتبط بذلك الحشد
الدوريات العسكرية ، وقد أمان هذا
متمدد عسكري إسرائيلي في غزة

١٥ مارس :
واضاح المتحدث ان للدورية كانت
قد انضمت بعض الأشخاص يتسكنون
بالقرب من إحدى الجبلات في غزة .
وعندما أبرعهم بالتوقف وأظهار أوراقتهم
الشخصية لأنوا. للفرار به ، وقامت
الدورية بمطارقتهم وأطلقت بندقية
مطلقت في الهواء فحلقوا لهم قبل ان
قتل مواثنا عربيا في الثانية والعشرين
وتخرج رجال آخر .
[الاتحاد ١٢ ، على ستار ١٦ ،
مارس ١٩٧٠ .]

امتثلت قوات الابن في قطاع غزة
٢٥ من الدلائيل الذين يتنمون الى الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين ، من بينهم
٢٨ من طلاب المدرسة العليا ببيت شكتا .
منهم بطلنة طلابية تابعة للجبهة الشعبية .
وامتثل اثنان آخران من التمددانيين
في القطاع خلال عطلة نهاية الاسبوع .
وأي خنازينس التي التفت اليهم على خمسة
اعضاء باحدى ميجولات الدلائيل .
[جبروسايلم بومست ١٧ مارس ١٩٧٠]
اعتقل أربعة أشخاص في غزة في ٢٢
مارس في معتقل جليلين للثلاث فيها
القبائل البدوية .

[جبروسايلم بومست ٢٣ مارس ١٩٧٠]
تم تم أوران الحجز الإداري لمعظم
المسيحيون اليساريين الذين احتجزوا
طوال أكثر من عام لمدة عام أكثر .
وقد نقل هؤلاء المسجونون اليساريون
مؤخرا إلى سجون كمار يونس الذي
أن ٢٨٠ مسجونين سجنيا - أما
المسجونون الآخرون الذين كانوا في
سجون كمار يونس فقد نقلوا إلى سجون
جديدة في بيرسبع .

[الاتحاد ٢٤ مارس ١٩٧٠]
امتثل عدد من الأشخاص في غزة
في ٢٥ مارس عقب حادث الغاء فتيلة
بدوية على سيارة نقل .

[جبروسايلم بومست ٢٦ مارس ١٩٧٠]
في ٢١ مارس ١٩٧٠ نقل ميدانكريم
كاسميايل حركوش من كمار كمار ، الذي
نقل في الحجز الإداري منذ ١٩٦٩ سجنيا
في ١٩٦٦ ، أما بتجديد اعتقاله . وكان
الأمر الذي صدر باعتقاله في ١٩٦٦ .
صدر بعد التراجع عنه بعد تقبضه
لأسبوع سنوات في السجن . وقد اعتقل
وتنقل لرئيسه التفاوض مع السلطات .
كان اعتقل بصلبي ومؤاد حركوش من
كمار كمار بدورهما ، أحدهما بأمر لحجزه
اداريا والآخر حتى تقبضه للمحاكمة .
[الاتحاد ٢٧ مارس ١٩٧٠]
أعلنت لرئيسه دوريات الابن التسلل
على أحد السكان المحليين تاروند تيتلا
في ٢٧ مارس عتقها . الفتح - غرار - حيدر

التجول في شارع تيسلا بئرلست « وكان
غضبة هذا الحادث خلقت في السليمة
والعشرين ، هو وليد جودت جلوس ،
كاند رنفي الأمان لادر بالقوف وحاول
الهرب على دراجته البخارية . وقامت
الذرة بمطارقته بطرقة قصيرة في شارع
مجاور وأطلقت عليه النار بقل
(جبروسايلم بومست ٢٩ مارس ١٩٧٠)
اعتقل شخص شومد يلقى بقتيلة
بدوية على سيارة إسرائيلية في غزة
وبعض المشجعين الآخرين .

[جبروسايلم بومست ٢٩ مارس ١٩٧٠]
اعتقل ثلاثون شخصا بضمير انهم
من الدلائيل خلال عملية تشويط يريوت
تاميا وبيت هانوم شمالي قطاع غزة
في ٢٨ مارس :
[جبروسايلم بومست ٢٩ مارس ١٩٧٠]
تمتوز قوات الابن عددا من المشجعين
وتواصل التحقيق معهم في ثلاثة من
حوادث الغاء القنابل اليدوية في غزة
منذ يوم ٢٨ مارس .

[جبروسايلم بومست ٣ أبريل ١٩٧٠]
امتثلت إحدى الدوريات العسكرية
النار على شاب في الثلاثين من سكان
بيت هانوم شمالي قطاع غزة فقتله في
أول أبريل : وكان هذا الشخص قد
سود في بيت هانوم في التاتياتو للتصدي
أي بعد تصدق ساعة من مريان حطر
التجول أثناء الليل . وقد تعامل هذه
الشخص الاوار التي مسدودت اليه
بالقوف ، على الرغم من الطلقات التي
أطلقت في الهواء على سبيل التحذير .
وقد قتل نمضا حاور ان يجري هاربا .

[جبروسايلم بومست ٣٠ أبريل ١٩٧٠]
بلغ العدد الرئيس للمعتقلين اداريا
لدة عام ٢٢٦ شخصا ، ولم يعلن عدد
الذين اعتقلوا اداريا لفرات . اصل
على الرغم من ان هناك ثلاث من الحالات
التي تمت فيها فترة اعتقالهم التي تراوح
بين شهر واحد وثلاثة أو سقشهور .
وقد أمان وزير الدفاع انه ليست هناك
حاجة الى تحديد فترات الاعتقال ، لان
هناك بالفعل عددا من اللجان العسكرية
التي يستطيع المعتقلون ان يظلوا اليها .
ومع ذلك ليس هناك مؤشر إلى ان
هذه اللجان قد اتخذت اجراء ما ولو
في حالة واحدة .

[الاتحاد ٣ أبريل ١٩٧٠]
تبدو لحة من التصليل والتمسالات
الذاتية الكائنة وراء اعتقال إسرائيل
للعرب في الحديث الذي اذاعه رايدر
إسرائيل مع السيد شلومو هليل وزير
البوليس .

وقد كانت اجابات الوزير على الاسئلة
المباشرة مدعشة اذا ما فكر المسره
انه كان عليه ان يدافع عن الاعتقال
بغير محاكمة ، وهو ما كان اليهود
يجربونه طوال الوقت منسجا كان
بشخصياتهم - شخصياتهم - على - الاعتقال

اليزنيلتي « وقال السيد هليل ان هناك
في الوقت الحالي أكثر من ٢٢٠٠
مسجون معتقلين باعتبارات حساسية
بالان . وان ما يقرب من ١٠٠٠ شخص
قد احتجزوا على لمة التحقيق ، لفرات
طويلة أو قصيرة منذ يونيو ١٩٦٧ :
ومن بين هذا العدد اربعة اطفال الان
بغصة ثلاث من اعتقلوا « اداريا »
ويبدو ان من المعلومات التي امكن
الحصول عليها من مصادر أخرى انحووا
من ثلاثة أشخاص المعتقلين الب - ٢٢٠٠
بعضون فترات العقوبة التي وقمت عليهم
بعد محاكمات جرت أمام الحاكم ، وان
مقسم معتقلون يقترى على هذه المحاكمات
امحالات الخمس اثنى من حالات
لم بيت فيها بعد . هؤلاء جميعا ليسا
عدا ١٢٠ عربيا من الزاهي العربية
المحطة أو ما ورامها ، وليسوا من
داخل القطاع لنسبا .

[الاتحاد ٦ أبريل ١٩٧٠]
اصابت إحدى الدوريات العسكرية
شابا في منطقة الشيخ زويد شمالي
سبها في ٥ أبريل عندما رقت بميجورة
من مخفي حطر التجول الانتال لامين
الدورية بالقوف .

[جبروسايلم بومست ٦ أبريل ١٩٧٠]
مسد جون من المرحوم قرية تلران
العربية اقرن باصلاحت المسببة الادمية
الى اخذ افعال استغرافية منبهة ضد
سكانها في معتقل مثل ثلاثة من شباب
القرية هم رشاد راغي بشارة - ٢١
سنة - ويدر مسين - ١٩ سنة - وريكات
سليم شداد - ١٩ سنة - وقد وصلت
إلى مسكينة رشاد راغي بشارة بأنه
« زعيم الخلية الارهابية » ، ومع ذلك
لمن المعروف لآباء القرية جميعا ان
رشاد مختلفا عاليا . وقد أمان الاطباء
انه بخلاف عتليا عندما اخذه والسبه
للعلاج ، كفتة يمكن لشخص مختلفا عاليا
ان يكون زميا لطيلة ارهابية ؟ وقال
أحد الترويين ان الشبلا الثلاثة قد
أخذوا في الترية ثم اميدوا جيشا .
ووصلة قرري أكثر إحدى هذه الجلف
تتلا : « كانت يداه فوق صدره ورتده
بلمسا بسجده ، وقد تبست لراماه »
وكانت هناك أكثر كديت على رأسه .

[الاتحاد ٧ أبريل ١٩٧٠]
اعتقل مروان مبري حركوش بيسجوب
على ايدي سلميخان مسجوده غلح «
أحد موثلي وزارة الترية والتعليم :
وكان السبب في اعتقاله اشاعة تقول
بأن الطالب واثني مشطرف « اما السبب
في مثل هذا العمل فهو اشاعة الخوفا
بين جبابير الطلاب . ولعله كان من
الاضل ان يشغل موفنو وزارة الترية
والتعليم انتمس بالتحقيق في الموقف
التعليمي اليائس الذي ترتب اليه بعض
الادرس في المناطق العربية .

[الاتحاد ٧ أبريل ١٩٧٠]

الاعتداء مدد من آليات الدفن الشريفة
في احتفال الانتصار الذي وقع في محل
لحد الحطام بشارع بورميسيد في ٧
أبريل.

[جيروساليم بوست ، ٩ أبريل ١٩٧٠]
قتل بمحاكمة ديلي الإرجير ، وهو
مخرب في السادسة والثلاثين ، في حي
السامية في ٢٢ أبريل عندما جاسل
لأوامر إحدى الداوريات العسكرية
وحاول أن يجرى هربا .

[جيروساليم بوست ، ١٣ أبريل ١٩٧٠]
[ملحوظة : صطلق المسعفة الإسرائيلية
لفظ مخرب على رجال المقاومة]

ذكر المتحدث اسرائيلي أن قوات الأمن
بمدينة غزة قد أطلقت النار على أحد
السكان العرب يقتله عندما حاول
الهرب بعد أن استفوتته هذه القوات
وطلبت إليه اظهار اوراقه الشخصية .
[انتفاضةبنيال هيرالد تريبيون ، ١٣

أبريل ١٩٧٠]

ذكر ميد القتال رجاء في خطاب
الى الكتلة الشيوعية في الكنيست انه
قد وضع تحت الحجر الإداري سجين
رامون بنز ١٠ نولبر ١٩٦٩ . وأضاف
انه قد اعتقل بسبب رفض التصان
مع سلطات الاحتلال في غزة .

[إلتقاء ، ١٧ أبريل ١٩٧٠]

القتل مدد غير معروف من سكان
غزة جنون لاستجوابهم خلال الوبين
الماضين بشأن واقعة إطلاق النار
على ممر قيادة الحاكم العسكري ليلة ١
أبريل .

جيروساليم بوست ، ٢٢ أبريل ١٩٧٠
قتل اثنان من سكان ريف في ٢٠ أبريل
حيث لم يستجيبوا لأوامر الداوريات
العسكرية الاسرائيلية ، وقد وقع
المصادن في منطقة حظر التجول خارج
الدية .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ أبريل ١٩٧٠]
نشرت صحيفة هآرتس ان لسلات
سيدات من دير اليلج قد اعتقلن وتدين
للمحاكمة مع اشراف في غزة ودير اليلج
أحدثجا على مثل أربعة من الدعاتين .

[الاعتداء ، ٢٢ أبريل ١٩٧٠]

حتى ٢٢ أبريل كان أكثر من خمسين
من سكان مدينة نابلس لازالوا محتجزين
بشأن الهجوم الذي وقع بالتقابل اليدوية
في ٢٢ أبريل . وكان قد ارتج في ١٥٠٠
آخرين من قبل بعد استجوابهم .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ أبريل ١٩٧٠]
زعم المتحدث عسكري في ٢٤ أبريل
أن القوات الاسرائيلية قد قتلت الفتي
على الالاد العسكري للجهة الشيعية
لتحرير المسلمين بقطاع غزة . وأضاف
المتحدث ان ١٢ من الدعاتين قد تتلوا
واعقل خمسين آخرين خلال حيلة ضد
الدعاتين في غزة خلال الأيام التالية
المالية .
[ديلي ستار ، ٢٥ أبريل ١٩٧٠]

نشرت صحيفة الفستور الأردنية في
٢٥ أبريل نقلا عن بعض القاضين من
نابلس ، بالصفة الغربية المحتلةلأردن،
قولهم ان السلطات الاسرائيلية قد
اعتقلت أكثر من ١٠٠ عربي بالدية .

وقالت ان حيلة الاعتقال جاءت عقب
القاء فتيلة يدوية في ٢٢ أبريل على
سيارة لوبوس تحمل اسرائيليين الى
الجهة لتطور احتفال السابريين بعد
الفتح على جبل جارييم .

وأعلنت الصحيفة ان عدد من
المحل التورية من مكان الانتصار قد
أغلقت واعتقل أصحابها .

وذكرت الصحيفة على لسان هؤلاء
القاضين أيضا أن الحاكم العسكري
الاسرائيلي في نابلس قد اتخذ عددا من
الاجراءات التأديبية من بينها فرض حظر
التجول في بعض الاحياء والحد من
تحركات السكان .

[الاعتداء ، ٢٨ أبريل ١٩٧٠]

اعتقل السيد طير اليرس ، حدة
غزة السابق ، لاستجوابه ، وكان
الريس قد احتقل لفترة قصيرة بعد حرب
الأيام الستة مباشرة ، بعد أن رفض
التعاون مع الاسرائيليين . وتقولوكالة
الاتباء الاسرائيلية انه الآن يشفي في
علاقته بالمستشفيات الدوائية وبالسلطات
المصرية . كما ان الفتي يقتل أيضا على
أحد القضاة المحليين للاعتداء فيعوانه
مع إحدى المتطلبات غير المشروعة .

[دافار ، ٢٨ أبريل ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الأمن عشرات من
الاشخاص لاستجوابهم في احتفال انتصار
فتيلة يدوية في ٢ مايو في نابلس
وكان ارمون شخصا لا يزالون محتجزين
في اليلة المنسية .

[جيروساليم بوست ، ٥ مايو ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة الفستور الأردنية ان
السلطات تبغ الفلاحين السرب في
بسطقتي اريحا والموجة من الوصول
الى حفرهم في الصباح ، بهدف الضغط
عليهم للتحلي عن ارضهم .

[اب ، ديلي ستار ، ٢٥ مارس ١٩٧٠]
نشرت صحيفة الفستور الأردنية
في ٤ مايو ان الاسرائيليين قد التوا
الفتي على كثيرين من الشمال العرب
في قطاع غزة بعد أن وزعت منشورات
تدعو العرب الى التوقف عن العمل في
المشروعات الاسرائيلية .

وقالت الصحيفة نقلا عن بعض القاضين
من القطاع المحتل ان المنشورات تهم
سياسة تشجيع العرب بقتل تخضم
المجهود العربي الاسرائيلي .

[زويتر ، ديلي ستار ، ٥ مايو ١٩٧٠]
نشرت صحيفة الدفاع الأردنية ان
سلطات الاحتلال في غزة بلغا للمطامير
التي لفتها من الاراضي المحتلة قد أطلقت

التيتران من التوتلة داخل القلن لركلة
السكان في الرجل هنا .

وتضيف القطاع ان الجنود الاسرائيليين
قد هاجموا مكان مسكرات المناري
والبرج وبيت راس بسلطة غزة كاجراء
انتقامي ضد جوده المقاومة الفلسطينية.
وقد تسفوا سبعة منازل واعتقلوا
سكانها . وأطلق الجنود النار فوق
الوافد داخلالاحياء السكنية وأرغهم
على هجر منازلهم . وقد صرح ١٥
شخصا نجيحة لهذه الاميال الراحلية .
وتوبيت إحدى السيدات مختربةجراحيا.
[الوكالة الفرنسية ، لوبوست ، ٧

مايو ١٩٧٠]

اعتقل خمسة اشخاص في غزة
اشبه في حفرهم لأحدى المتطلبات
غير المشروعة .

كما اعتقل عدد من المشوبين في
أعقاب انتصار فتيلة يدوية فيخانيونس .

[جيروساليم بوست ، ٧ مايو ١٩٧٠]

في الامراج في ٧ مايو من سناءالذراء
ومى تلبذة في المشرين ، يتكاتفرا
١٠٠,٠٠٠ ليلة اسرائيلية . وكانت
الفتاة قد احتجزت لمدة نحو خمسةسهر
للاشياء في قبيلها بأعمال فخرية .

[جيروساليم بوست ، ٨ مايو ١٩٧٠]

التي البوليس القضي على فلسطين
في اليوم الثالث للبطاخرات التيوقعت
خارج مدارس غزة تعلقا مع الفخونيين
الغرب المحتجزين في السجون الاسرائيلية
[زويتر ، ديلي ستار ، ٨ مايو ١٩٧٠]

اعتقل حصن شكري القضي السابق
في جيرون ، في اولها اسبوع الماضي
كما اعتقل خمسة طلاب من بيت جالا
للاشياء في تبليم بنشاط فخرين

[هآرتس ، ١٠ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية
نحو خمسين عربيا عقب هجومبالتقابل
اليدوية على اثنين من المطاعم في القطاع
الاردني المحتل من القدس في اليلة
المالية . وقد اصيب تسعة من
الاسرائيليين بجروح طفيلة .

وخرج يتحدث عسكري في ١٠ مايو
ان فتلة قد انتجرت في ربع واصيب
عربان . وبدأت السلطات الاسرائيلية
مالية فتفتش في المنطقة . وكشف
الحدث ايضا ان هناك ستة من
الاحتياطيين العرب الجوهي محتجزون في
اسرائيل اثر اشتباك مع القوات
الاسرائيلية في داري الارض يوم ٢٠ مايو .

[القهار ، ١١ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الأمن في نابلس في ١٣
مايو عدد من الاشخاص بعد انتصار
فتيلة يدوية بشارع الفزالي .

[جيروساليم بوست ، ١٤ مايو ١٩٧٠]
التي البوليس الاسرائيلي القضي على
المرعبة ابنة ساري بعد ان تفتي
بزلها . كما اعتقلوا أيضا فيفتجها

بعد تليفزيونية مؤجلة ، ولقد أجتهد الاثنان
لعدة ١٥ يوما .

[الاتحاد ١٩ مايو ١٩٧٠]

تم التراجع من مدير الرئيس ، حدة
غزة السابق الذي احتفظه تسوات
الذين يندد كسر بعض ، بكثافة قدرداها
«...» ليرة اسرائيلية ، وقد انرج

مته في ١٥ مايو .

[جيروصايم بوست ٢٢ مايو ١٩٧٠]
جرت بعض الانتخابات في غزة مشب
هجوم للقبائل البدوية على جنينفهم
الشؤون الداخلية بالحكومة العسكرية .
وقد ابرت السلطات بتحديد اتفاقية
شبان من القصف الحظية بعد ان العرج
هنين من الجبل الاداري لغزاتصهوقه ،
وهؤلاء الشبان هم : حياة خيرى كوتووذ
الحشني ، ونريد الطويل ، ونجيبالطاني ،
وياسين فراسي ، وخضر صليبي ،
وصعد دنيس ، ويصوب فرح ، وجويل
الشتير .

[الاتحاد ٢٥ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت السلطات حوالي ١٠٠ شخصاً
خلال الشهور الماضية بتهمة الانتماء
الى منظمات المقاومة .

[الاتحاد ٢٦ مايو ١٩٧٠]

قال ديان وزير الدفاع رداً على
سؤال في الكنيست ان جلة همدان
المحتجزين المخطط عليهم ادرايا حتى
أبريل ١٩٧٠ بلثت ١٢٨٨ شخصاً ،
من بينهم ٢٧ من المواطنين الاسرائيليين .
وان الحد الاقصى لدة كل من اوابسر
الاعتقال هذه في عام واحد تجلب
للتجديد الى عدد غير محدود من المرات
[هـا ارض ٢٧ مايو ١٩٧٠ ،
والقوة الجوية لوكالة التليفزيون
اليهودية ٢٨ مايو ١٩٧٠]

غزة بخدمة غزة في ظلم كمالليلة
الثانية على التوالي ، عقب لست
الدائنين الفلسطينيين لحد ابراج الكبرياء
ذات الصفت العالي الواقعة في منطقة
كوبوتز ناجال مور .

وقد نرخت السلطات الاسرائيلية ،
بعد هذا الحادث ، حظر التجول في
المدنية واعتقلت خمسين شخصاً .
واستدعت الحاكم العسكري رئيس المجلس
البلدي العربي وحضره تحليلاماروحمله
مسئولية هذه الامال .

ونكرت صحيفة النشور ان الموقف
في غزة يتوتر للغاية ، خاصة وان
رئيس المجلس البلدي قد قال للحاكم
العسكري : « ان هذه المحاولات التي
هي رد على احتلالكم لهذه الاراضي
ونبئني ان تحلوا قبل ان يصبح الموقف
اكثر خطرا » .

[الوكالة الفرنسية ٤ يونيو ، ٢٨
مايو ١٩٧٠]

وهنت سلطات الاحتلال الاسرائيلية
ملاح الذين يحد من القصف تحت الحجز
الاداري واخلفته الى سجن دابون .
[الاتحاد ٢٩ مايو ١٩٧٠]

اعتقلت داوودية ضمن قسوات الذين
الاسرائيلية الثار على عودة مسمر
سليمان طرابز ، احد السكان العرب
من مدينة راج ، في الثقلية والخمسين ،
منقلته . وكان ضحية هذا الحادث قد
رئيس الاستجابة لاوراس الداوودية في ٢٩
مايو .

وسا يذكر ان التحرك بدون تصريح
منوع في راج بعد حلول الظلام ، وكان
حظر التجول اثناء الليل لايزال مفعولاً
به في المنطقة عنما وقع الحادث .
[جيروصايم بوست ٢١ مايو ١٩٧٠]

صرح بعض المسؤولين في ٢١ مايو
ان قوات الائن الاسرائيلية قد القت
التيض على مشرات من العرب المشبه
في انتقام اليمنطبات الدائنين في
الشفة الغربية للاردن التي تخططوا
اسرائيل ، واصاب هؤلاء المسؤولين
ان كيات كبيرة من الأسلحة والمتجرات
قد ضبطت خلال الحيلة التجرت مؤخرًا ،
ونكر اكثر من عشرين من المشجوبين
الذين امتلكوا في السارية للجنين
انهم قد امتلكوا قبل ان يستطيعوا
القيام بأي صل من نشاطات المقاومة .

وقال المسؤولون ان عشرات آخرين
من بينهم ٢١ من المعتقلين في منطقة
حبرون قد اضرخوا بعقوبهم يحدد من
الاصحاب الدائنية ، من بينها اطلاق
الثر على مقر قيادة الحكم العسكري
في حبرون وعلى مشرات عسكرية
ارويفر : فيلي ستر ، اول يونيو ١٩٧٠
تم استحوذ اكثر من ١٥٠ من سكان
غرب الجليل بشأن الانتفاجرات الضخمة
التي وقعت نهارا وبالقرب منها في ٢
يونيو . وقد اطلق البوليس سراح اكثر
من ٦٠ شخصاً بعد لقاءات قصيرة ،
والإزال التحقيق مسرعا مع الآخرين .
[جيروصايم بوست ٤ يونيو ١٩٧٠]
الى القضي على ١٥ شخصاً بعد
وقت قليل من وقوع انتجار في جراج
يلكه يهودي في وادي الجسور ، في
الشمال الغربي من مدينة القدس ، يوم
٢ يونيو . وقد فرج هن ١٠ منهم في
٢ يونيو ، بينما لايزال الخمسة الاخرين
محتجزين حتى الآن .
[جيروصايم بوست ٤ يونيو ١٩٧٠]

لقت قوات الائن مؤخرًا القبض على
١٤ شخصاً يشتبه في قيامهم باعمال
تفريبية في قطاع غزة . وقد اعلن هذا
تحدثت عسكري اسرائيل في ٢ يونيو .
وجه في تصريحاته ان ١٢ منهم اعضاء
بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ليا
الائتان الاخران هما من بدو سنياء .
[جيروصايم بوست ٤ يونيو ١٩٧٠]
القت سلطات الاحتلال في الضفة
الغربية القبض على السيدة صارة حرب
من بيت لحم ، وهي ام لسة من الاطفال
معد وحدتها من زيارة الى عمان .
[الاتحاد ٥ يونيو ١٩٧٠]

لبشت قوات الائن الاسرائيلية الزهاد
العرب في المناطق المحتلة انها لن تسمح
بأي اضرابات او مظاهرات ، حتى ولو
كانت سلمية ، بمناسبة ذكرى حمررب
الامام السدة .
[القشرة اليومية لوكالة التليفزيون
اليهودية ٥ يونيو ١٩٧٠]

اعلن اذاع اسرائيل ان أحد رجال
الشرطة قد اصيب عندما التفت قبلة
بجودة في القدس الدائنية في ٥ يونيو .
وقال الراديو ان قوات الائن كانت تقوم
بعمليات تشييط للمنطقة ، وقد جرت بعض
الاعتقالات بعد الهجوم الذي وقع حوالي
الساعة السابعة والنصف مساء بالتوقيت
الحلي .

[ديلي ستار ٦ يونيو ١٩٧٠]

قدم شلومو هيلل وزير الشرطة
الاسرائيلي تقريراً الى الكنيست من قبل
وزارته ، وقد اعلن ان عدد المعتقلين
السليبيين في الارض المحتلة يبلغ ٣٥٠٠
من بينهم ٢٢٤ من العرب الاسرائيليين ،
منهم ٢٤ محتجلاً ادرايا . وكان وزير
الدفاع قد امان في الاسبوع الماضي
ان عدد المعتقلين ادرايا في الاراضي
المحتلة يبلغ ١٢٩٢ محتلاً . وقد طلب
وزير الشرطة زيادة عدد البشور من
تصليط ان تصوب اعدادا اكبر من
المسجونين .

[الاتحاد ٩ يونيو ١٩٧٠]

قتل رجل في الثقلية والثلاثين من ابناء
غزة وجهج أربعة اخرون مسلحاً لقت
داوودية عسكرية الثار على مجموعة من
الشبيبيين العربيين في الثقلية من مساء
٩ يونيو . وقد وقع الحادث بعد وقوع
الانتجار على قتلما من الحدية بالقرب من
بهدان فلسطين . وقد اندلعت داوودية
عسكرية الى مكان الحادث ووصلت في
الوقت المناسب لتري حددا من الاشخاص
بهمرين . وعنها صدرت اليهم الاوامر
بالنزه لم يستجيبوا لمقتضى الداوودية
عليهم نيرانها .

[جيروصايم بوست ١١ يونيو ١٩٧٠]

قتل رجل ممن في بيت حانون ،
واسيت اضراب في الثلاثين امسيات
بالغة في ١٠ يونيو ، عندما تمتحدث
الداوريات العسكرية عليها نيرانها . وقد
لاقت الجنود الذين كغوا في داوودية
بمناطق حظر التجول بعض الأشخاص
الذين اعتبروا لهم وامسحروا اليهم
امرا بالوقوف . وعندما بدأ هؤلاء
يجرون هارين اطلقت قوات الائن نيرانها

[جيروصايم بوست ١٢ يونيو ١٩٧٠]

اطلقت احدى الداوويات العسكرية
الثر على رجل من غزة قتلته بالقرب من
كوبوتز كيموس في الثالثة والنصف من
سباح ١٠ يونيو وقد طلبت الداوودية من
البدائية ان يعزفه ، وعندما لم يستجيب

لقد الآن أطلقت عليه التار. وثقلته .

[جيروصايلم بوست ، ٢١ يونيو

١٩٧٠ .]

حسبت قوات الامن عملية تشييد

واسعة النطاق واقتلت الجيش على عدد

من اصحاب العمل الثورية في حبرون

في ٢١ يونيو عقب هجوم بالتفان اليدوية

على سيارة اتوبيس سياحية مابرة .

[جيروصايلم بوست ، ٢٢ يونيو

١٩٧٠ .]

منذ اكثر من شهر نسفت سلطات

الاحتلال منزل احمد مسافر ابراهيم

في قرية طيبة بالقرب من جنين واعتقلته

هو وزوجته وولده ابراهيم ، ١٥ سنة ،

واودعهم سجونا بشفقة في الضفة

الغربية . أما بقية الاطفال الذين تتراوح

اعمارهم بين ٣ و ١٤ عاما فقد وضعهم

السلطات في خيمة من القش ، ولم

يجرؤ احد على الاعتراض .

[الاتحاد ، ٢٣ يونيو ١٩٧٠ .]

اعتقلت قوات الامن بعض الأشخاص

المشتبه بهم عقب هجوم بالبنجرات على

طابور من الرجال المنتظرين خارج مكتب

العمل الحلي في غزة في ٢٨ يونيو .

[جيروصايلم بوست ، ٢٩ يونيو

١٩٧٠ .]

اعتقل عدد من الأشخاص في الشيخ

ندون وابو سنان عقب هجوم لتدريب

احد ابراج الكتيبة في غرب الجليل .

[دافار ، أول يوليو ١٩٧٠ .]

اقتلت قوات الامن الجيش على عدد

من الأشخاص المشتبه بهم في غزة عقب

هجوم بالذخائر اليدوية على سيارة تابعة

للسلطات الحكومية المدنية في ٣٠ يونيو

[جيروصايلم بوست ، أول يوليو

١٩٧٠ .]

قتلت إحدى السيدات من سكان طخا

غزة بمدينة غزة في ٩ يونيو بواسطة

طلعات المظلكة إحدى الدوريات العسكرية

بالقرب من ميدان الحديثة .

على حوالي الساعة التاسعة والربع

اكتشفت الدورية عددا من الأشخاص

المشبه بهم يتكئون فرار خطر الدورية .

وعندما رفضوا الامتثال للامر الذي منول

الهمم بالوقوف اضطر اوريهم التشعب

نعتت الدورية ثيرانها ، وقتلت السيدة

[جيروصايلم بوست ، أول يوليو

١٩٧٠ .]

اقتلت قوات الامن بالشبح الاصغر

منزل الحاج كامل ابوشيس في حبرون

الذي كان قد اعتقل منذ اكثر من شهر .

[هارارس ، أول يوليو ١٩٧٠ .]

اقتلت قوات الامن في السجاية

مدينة غزة للقيام بعملية تشييد حاية ،

واعقلت عددا من المشبه بهم عقب

هجوم بالذخائر اليدوية على سيارة

اتوبيس مزدحمة بالركاب في غزة في

أول يوليو .

[جيروصايلم بوست ، ٢ يوليو

١٩٧٠ .]

اعتقل عدد من الأشخاص في الضفة

الغربية بتمه العيام بالسيارات الثقيلة ،

وكان من بين المحتجز الدكتور محمد

فوشة من رام الله .

[الجارديان ، ٢ يوليو ١٩٧٠ .]

كثرت صحيفة المفسور الأردنية في

مجلد أن القوات الإسرائيلية قد اعتقلت

٤٠ من الطلاب العرب ، من بينهم ثلثات

في منطقة بيت لحم مؤخرا بينما كانوا

يؤدون اجتماعات الدوايمة التاتوية .

وقالت الصحيفة أن القوات الاسرائيلية

أشارت على خاصة كانت تجري فيها

الاستعدادات واقتلت الطلاب إلى الفراج

استجوابهم . وكثرت الصحيفة أيضا

أن الاسرائيليين قد اعتقلوا مؤخرا الدكتور

احمد خله ، مخبر مستشفي الأراضي

العقلية في بيت لحم ، بينما كان يقوم

بإجراء جراحة . وهو الآن يسجن

مريئد .

[هارارس ، ٢ يوليو ١٩٧٠ .]

تحت مدة اعتقالات في غزة اثر هجوم

بالتفان اليدوية على سيارة اتوبيس

مزدحمة بالركاب في ٥ يوليو .

[جيروصايلم بوست ، ٦ يوليو

١٩٧٠ .]

كان أربعة أشخاص لازالوا في الحبس

في ١٢ يوليو بسبب الهجوم بالتفان

على بلاج اشرف في اليوم السابق .

[جيروصايلم بوست ، ١٣ يوليو

١٩٧٠ .]

وضع عدد من الأشخاص في الحبس

لاستجوابهم عقب هجوم بالذخائر اليدوية

على سيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب في

غزة في ١٢ يوليو .

[جيروصايلم بوست ، ١٣ يوليو

١٩٧٠ .]

قتلت إحدى الداوريات سيدة في غزة

منها رفضت الامعان لابر بالتوقف أثناء

خطر الدورية .

[لوموند ، ١٤ يوليو ١٩٧٠ .]

اعتقلت قوات الامن مؤخرا مجموعة

من ١٤ طالبا بالدرسة المهنية التابعة

لوكالة القوت والتشغيل التابعة للامم

المتحدة في غزة . وقد لقي الجيش على

مجموعة اخرى بمسك التسيارات

اللاجئين . واقتلت قوات الامن هناك

على سبعة أشخاص لثبان ، بينهم

ثلاثة من النساء ، كلهم من اعضاء

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

[جيروصايلم بوست ، ١٥ يوليو

١٩٧٠ .]

اطلق الرصاص على بدوي غاصيب في

المعركة والنصف مساء ١٦ يوليو عندما

شرد وهو يسير لثاء خطر الدورية .

وقد طليت اليه إحدى الداوريات العسكرية

الوقت ، واطلقت النار في الهواء

للاذثار عندما رفض الاستجابة . وعندما

اخذ يحدو ماريا لطلق احد الجنود النار

على ساحة قاصيه .

[جيروصايلم بوست ، ١٧ يوليو

١٩٧٠ .]

نشرت صحيفة المفسور الأردنية أن

حوالي ٢٠٠٠ من الجنود الاسرائيليين

يستخدم عدد كبير من الدبابات وماتراتر

الاستطلاع يتوهم أن بواحدة من أكبر

عمليات التفتيش في مناطق غزة والعريش

وسبناه بحثا عن الثنائيين . وقد اصدت

أوبر بمنع الدورية في المناطق المحتلة .

واقامت المجيبة أن سلطات الاحتلال

قد اعتقلت نحو ١٥٠ من البوي من ابناء

العريش وسبناه وتقتلهم بواسطة طائرات

البيكوتير الى معسكرات الاعتقل في

غزة .

[الفهار ، ١٧ يوليو ١٩٧٠ .]

كثرت صحيفة لنج ان قرية بيت نوروك

بمنطقة نابلس قد حوسرت والتي الجيش

على أربعة أشخاص فيها . أما السبب

يكون أن اسم القرية قد « ذكر ببساطة »

في برنامج اذاعي لاداعة لنج .

[الفهار ، ١٧ يوليو ١٩٧٠ .]

اشرت صحيفة لنج التي تسرد في

مجلد أن سلطات الاحتلال الاسرائيلية

قد حاصرت قرية بيت حبرون ، بالقرب

من نابلس ، واقتلت الجيش على أربعة

اشخاص بتمه انهم على علاقة بالثنائيين

الفلسطينيين .

[لوروفت ، ١٧ يوليو ١٩٧٠ .]

اكتبت صحيفة الفراع الأردنية في ٢٢

يوليو سلطات الاحتلال الاسرائيلية في

الضفة الغربية بمنزل قرية كثار راي

بمنطقة جنين ، واغلاق جميع الطرق

المؤدية اليها . وشغل من ذلك منذ قامت

قوات الاحتلال الاسرائيلية بأجراء تفتيش

واسع النطاق لكافة المنازل والتأكدت

كافة مجال القرية في نهاء المدرسة

للحس اوريهم الشخصية . وقد اعتقل

نتيجة لذلك ١١ شخصا .

[رويار ، النهار ، ٢٢ يوليو ١٩٧٠ .]

اقتلت قوات الامن الاسرائيلية حلا

تجريا ولكنه حسين مسطري امد في

قرية بالقرب من رام الله بعد القاء

الجيش عليه .

[هارارس ، ١٩ يوليو ١٩٧٠ .]

اعتقلت مسجونان ٢٢ يوليو

لاحدائهما شيئا واغلاقها بالان في

حكمة نابلس العسكرية .

[جيروصايلم بوست ، ٢٣ يوليو

١٩٧٠ .]

اعتقل البولييس عددا من الأشخاص

في ٢٢ يوليو من بينهم عدد من مؤنلي

الاستشفي ، للاشتباه في تورطهم في

جريمة قتل أحد السكان بقرية .

[جيروصايلم بوست ، ٢٤ يوليو

١٩٧٠ .]

اطلقت صحيفة الفراع الأردنية أن

القوات الاسرائيلية قد اقررت النار في

أكثر اشجار الزيتون والوكاه بمنطقة

غزة . واتهمت المجيبة بالثنائيين

في قطاع غزة بمساهمتهم من الهجمات

التي تجري بالذخائر على المناطق العربية

المزدحمة واتهام الثنائيين العرب بهذه

الهجمات . واقتلت المجيبة أن الاسرائيليين

قد قتلوا ١٠٠ من اعضاء حزب حيروت

والجندين المتأهلين لتسليح الترخيم
وقالت الصحيفة ان هذه العناصر قد
تابت تحت اثرات الخبايا الإسرائيلية
بأنه سيج تاتيل يدوية خلال شهرين
على الحدود المصرية في مدن القطاع ،
وما أدى الى قتل ١٨ شخصا على الأقل
وأصابه عشرات آخرين بينهم نساء
وأطفال .

[رويتر ، خلي سمار ، ٢٤ يوليو
١٩٧٠]
التي توات الات الإسرائيلية التي
على تسعة من الطلاب بالفرصة المئوية
لوكة الافة في غزة في أوائل هذا
الاسبوع بتمه التكم بأعمال فخرية
هذه السلطات .

[هاريس ، ٢٩ يوليو ١٩٧٠]
التي التي في لرمية من الشبان
في نابلس ، تراوح أعمارهم بين ١٨
و٢٢ مايا يوم ٢٩ يوليو لوزيمهم
متشورات تنطوي على تعرض همد
السلطات . وكان اتان من المعتقلين من
تلاميذ المدارس الثانوية .

[جيروصايلم بوست ، ٣٠ يوليو
١٩٧٠]
ابتد جيس بتمه اشخاص لاستجوابهم
عقب هجوم بالتقابل الجوية على سيارة
للثلاث من الأرثاليين من اللد .
[جيروصايلم بوست ، ٣ أغسطس
١٩٧٠]

التي القبض في مخبئة غزة على ٢٧
من الدنايين ، بن أعضاء قوات التحرير
الشعبية ، الجناح العسكري للجهبة
الشعبية لتحرير فلسطين ، كما اعتقل
سبعة دنايين آخرين من أعضاء الجبهة
الشعبية في مسكر التصيرات للجنين
بالغرب من دير الحج .

[جيروصايلم بوست ، ٩ أغسطس
١٩٧٠]
حالت مخيلة القطاع الأردنية في ٧
أغسطس ان القوات الإسرائيلية قد
أعطت في اليوم السابق ١٩ شخصا
على الأقل من بين يشبه في تعاونهم مع
مخاطي اغتابة العرب في عملية تنهش
واسعة بمدينة البيرة ، قبلي القدس .
كما ذكرت الصحيفة ان السلطات
الإسرائيلية قد التت أيضا التصاريح
التي كانت قد اعطتها لسكران المدينة
لوزارة اثارهم في السلة الشرقية ،
ومنعت الزوار القادمين من عمان من
الدخول .

[رويتر ، خلي سمار ، ٨ أغسطس
١٩٧٠]
أعلنت قوات الات الإسرائيلية ١٥
شابا كانوا يعدون للتليام بمظاهرات في
قطاع غزة ضد وقف الحلال النار . كما
اذيع أيضا ان هذه القوات قد تفتت
على ٢٢ من المرفين خلال الايام القليلة
الماضية .

لا اقشرة اليومية وكالة التفراف
اليهودية ، ١٠ أغسطس ١٩٧٠]
أعلنت سلطات الاحتلال في غزة ٢٤
من الدنايين في مسكر التصيرات
للجنين .

[الاتحاد ، ١١ أغسطس ١٩٧٠]
حاصر الوبس قرية تاران وتلم بمخلة
اعتقالات جسامية ، كما تلم ينتهش
جميع الداخلين الى القرية او الخارجين
منها . وقد كان هذا عقب الانفجار الذي
وقع في مستوطنة سايلايم بالقرب من
لران .

[الاتحاد ، ١١ أغسطس ١٩٧٠]
قام لفراد احدى الداوريات الإسرائيلية
باعتقال عدد من الأشخاص في رعب في
١٢ أغسطس عقب هجوم على احدى
الداوريات .
وحاصرت قوات الات في السجاية
بغرق غزة واعتقلت عدة اشخاص عقب
هجوم على احدى السيارات المدنية
الإسرائيلية حوالي الساعة الثانية بعد
الظهر .

[جيروصايلم بوست ، ١٢ أغسطس
١٩٧٠]
في ١٢ أغسطس كان عدد غير
معروف من سكان السلة الغربية
لايزالون رهن التحقيق بيشان واقصى
القاء قتال في حيرون ولبنان يوم ١١
أغسطس .

[جيروصايلم بوست ، ١٢ أغسطس
١٩٧٠]
اعتقل عدد من الأشخاص في ٣
سبتمبر في خان يونس عقب القاء قنبلة
يدوية على سيارة اتوبس مؤحمة
مراكيب .

[جيروصايلم بوست ، ٤ سبتمبر
١٩٧٠]
اعتقل ثلاثة اشخاص في ٣ سبتمبر
بعد القاء قنبلة يدوية في مبنى بربع .

[جيروصايلم بوست ، ٤ سبتمبر
١٩٧٠]
أغلقت الطرقات داخل بوابة حيرون
في القدس الشرقية بواسطة قوات الات
على المور والتي التيش على ٢٠ شخصا
بعد القاء قنبلة يدوية من داخل مسور
الدينة القديمة امس .

[جيروصايلم بوست ، ٧ سبتمبر
١٩٧٠]
قتل بحصلان من قطاع غزة في ٥
سبتمبر بالقرب من كيبوتز دير ايتزوك
[جيروصايلم بوست ، ٨ سبتمبر
١٩٧٠]

اعتقل عدد من الأشخاص في خان
يونس في ٦ سبتمبر عقب انفجار وقع
أمام مكتب المثل .
[جيروصايلم بوست ، ٨ سبتمبر
١٩٧٠]
جددت قوات الاحتلال الإسرائيلية لبرا

بتحديد الآلة كل من رمزي خمي وثمن
رمزي وجبل شديدة لدة عام كابل .
[الاتحاد ، ٨ سبتمبر ١٩٧٠]
يجري استجواب عدد غير محروول
من الأشخاص في القدس . وقد التي
التيش عليهم بالقرب من البوابة الجديدة
وقد انتجلا قنبلة يدوية في ٨ سبتمبر .

[جيروصايلم بوست ، ٩ سبتمبر
١٩٧٠]

مرح يتحدث عسكري بأن ثلاثة من
السكان العرب بقطاع غزة الذي تحتله
إسرائيل قد أسيروا في ١١ سبتمبر على
أردى داورية إسرائيلية كانت قد طلبت
اليوم أن يظهرأ أرقامهم الشخصية .
وقد لاحتدث ان الثلاثة لم يوافقوا
عندما طلب اليهم ذلك وحاولوا الهرب .

[رويتر ، خلي سمار ، ١٢ سبتمبر
١٩٧٠]
بلغ عدد المعتقلين العرب في إسرائيل
في منتصف أغسطس ٣٤٠٤ اشخاص .
وهذا الحد لا يشمل الجنود السوريين
والمصريين الذين يماولون كاسرى حربا .
وان كان يقتل على نحو ١٢٠ من
العرب الإسرائيلييين ، وقد ادين نحو
نصف هذا العدد ومضرت خدم أحكام
لترتيبهم أصلا ضد كين إسرائيل ،
ويقرر ان عددا يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠
من المعتقلين ينشون الى الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين . ويخضع ١٨٠ عربي
لقوانين الحجز الإداري ، التي تسند
إسماها الى عهد الانتداب البريطاني .

وقد وصف وزير الشرطة الإسرائيلي هذه
الدنايين بأنها « وقائية وليست عقابية »
وأضاف ان الشخصين يمكن أن يقتل
طالما ان هناك خطر ان يزدى الانراج
عنه الى مزيد من التعريض أو الاثارة أو
النفذ . وهناك لجنة تستعرض كل حالة
من هذه الحالات كل ستة شهور .

وهناك ١٠٠٠ عربي آخرين يعتد أنهم
قد اعتقلوا مؤخرا ، وهم محسوسون في
انتظار البدء في محاكبتهم .

[العارفين ، ١٢ سبتمبر ١٩٧٠]
أعلنت قوات الات عدة اشخاص
ماترب من المخرج الشمالي لقطاع غزة
عقب هجوم بالتقابل الجوية على سيارة
دايمة للإدارة المدنية في ١٧ أغسطس .
ولم رعب أطلقت القوات الإسرائيلية
النار على شخص فلسطيني في ١٦
أغسطس عندما شوهد وهو يتنك جتر
التجول وام يتوقف عندما طلب اليه ذلك
[جيروصايلم بوست ، ١٨ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقل عدد من الأشخاص في خان
يونس في ٢٤ أغسطس عقب تفريق
الخط الحديدي شمالي المدينة .

[جيروصايلم بوست ، ١٨ أغسطس
١٩٧٠]
تحقتت قوات الات بعدد من الأشخاص
لاستجوابهم بيشان تغيير سيارة نقلهم

من قراة لوكس لاجون الى مونتلاشيرات
بمدينة نادانيا في ١٩ أغسطس . ولم
تذبح أية تصيلات من الانفصاليين
لنوم .

[جيروسالم بوست ٢١ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقلت قوات الابن عدة اشخاص في
رفع حطب التفاح من طابئة للسياه
واخذت اضرارا طابئة بالاشكات الحيلة
بما في ٢١ أغسطس .

[جيروسالم بوست ٢٢ أغسطس
١٩٧٠]

لحرت سطلت الاحتلال بمعدية لثابة
تصمة من شباب القدس العربية المحتلة
بعد ان اذبح منهم من الجول الاداري
لحد مقاومة . ومع ذ حياة خبيو
وتنول المثلثي واريد الطويل . ولعم
جلالي . ويسين قواسي . وشفر
مسلبي . وسين فلدسي . ووقوب
فرح . وجبل الشقيرات .

[الاتحاد ٢٥ أغسطس ١٩٧٠]
اعتقلت قوات الابن عدة من الاشخاص
في غزة في ٢٤ أغسطس عقب هجوم
بالقنابل اليدوية على سيارة للشرطة في

[جيروسالم بوست ٢٥ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقل البوليس عدداً من الانفصاليين
في غزة في ٢٥ أغسطس بعد القضاء
تيلة يدوية في لثاب مكتب تسجيل
الزيكات بالمعركة الخفية .

[جيروسالم بوست ٢٦ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقل عدد من الانفصاليين عقب هجوم
بالقنابل اليدوية على سيارة للشرطة في
راح في ٢٧ أغسطس .

[جيروسالم بوست ٢٨ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقلت سطلت الابن عدداً من
الاشخاص في غزة بوسى ٢٨ و ٢٩
أغسطس عقب تفريق الخط التصديدي
في غزة .

[جيروسالم بوست ٢٩ أغسطس
١٩٧٠]

اعتقل عدد من الانفصاليين في غزة في
أول سبتمبر عندما انفجرت تيلة يدوية
بمسوار مبنى الإدارة امنية للشرطة
المسكونة لطاع غزة .

[جيروسالم بوست ٢ سبتمبر
١٩٧٠]

اعتقل عدد غير معروف من السكان
العرب بالصفة القربية وطاع غزة خلال
محلة نهاية الاسبوع لثاب سسني وله
احدى عمليات الابن - وصرح المتحدث
باسم وزارة الدفاع لجيروسالم بوست
الليلة المسلية بان الاعتقالات كانت
« روتينية » بينما رفضت دورا الابن
ان تتسبب من أي مزيد من التصيلات .
وقد بلغ عدد المعتقلين في الضفة الغربية

في ٢٢ سبتمبر بكتمة مشرقات ٣ معتقلين
في منطلي نابلس وقلبية .
[جيروسالم بوست ١٣ سبتمبر
١٩٧٠]

لطلق لحد جنود الاحتلال الاسرائيليين
النسار على حساب عرب في الرابطة
والطريق فامسكة اصابة طلة اثناء
داوية راجلة بيدان فلسطين . وبغزة
بعد التفريق . وكان التسلب قد طعن
الجندي الاسرائيلي فجأة جزل ان يطلق
الاخير النار عليه . وقد شارك عدد من
الجنود الذين كانوا على مقربة في إطلاق
النار بدورهم . مما أدى الى اصابة
سبي في لحد المعقرة لم يابث ان تولي
بعد ذلك . كما اصيب شاب آخر في
الكثبة والعشرين وتل الى المستشفى .

[جيروسالم بوست ١٤ سبتمبر
١٩٧٠]

اصيب رجل في الخمسين من راح
في السابعة ١٣٠ من صبا ١٩ سبتمبر
وكان اثنان آخران قد اصيبا في الخيبة
والصف والمصادفة عشرة على التوالي
في ١٨ سبتمبر . وكان الرجل الثلاثة
قد التوا بالداوريات المسكونة اثناء
سيرهم في الشوارع واطلقت عليهم النيران
لرغمهم الابتلال قوامها بالوقوف .

[جيروسالم بوست ١٤ سبتمبر
١٩٧٠]

اعتقل عدد من الانفصاليين في غزة في
١٩ سبتمبر بعد تفريق برج للسكوياد
بالقرب من مصلح كرمي لتبلة الموالح .
[جيروسالم بوست ١٤ سبتمبر
١٩٧٠]

اعتقلت قوات الابن في غزة عدداً
من الانفصاليين في ٢١ سبتمبر بعد الغاء
تيلة يدوية على سيارة مسكونة بمسكن
جباليا .

[جيروسالم بوست ٢٢ سبتمبر
١٩٧٠]

اعتقلت شرطة الاحتلال الاسرائيلي
مشرقات من عرب القدس لاسجوابهم بعد
هجوم بالقنابل اليدوية على مطعم لدعين
بالقدس الغربية واصابة عدد من الزبائن
في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٠]

اعتقلت سطلت الاحتلال الاسرائيلية
عدداً من الانفصاليين من مسكن الشاملية
بعد حادث اثناء تيلة يدوية على داوية
اسرائيلية . وكانت الداوية قد قصت
نيرانها على النور على المسكن فقتلت
سبنتين ورجلا واحداً كما اصابت لرمة
آكرين بجراح خطيرة .

[الاتحاد ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠]
اشكتت القوات الاسرائيلية مع
المتظاهرين الذين قفوا بالاجاز في ٢٩
سبتمبر عندما عيز مشرقات الاثاف من
العرب في الراغوا الحطة وبعض العرب
في امرايل من حزنهم لوفاة الرئيس
ميد التامير .

وقد اشكتت حشوداً في الشاحنة
والخمسين بمسكنات الشاملية للجنين
بقطاع غزة . عندما قصت الترات التلو
بعد ان رفض المتظاهرون ان يذروا ١٤
واستحووا في اذلة الماريس . ولذمة
الاجبار . وفي القدس اصيب عدد من
المتظاهرين . ورجال الشرطة . واصابت
طابئة ٤ عندما انفجرت قوات الابن
السلطة بالحمى ٤ استندما مدافع الماء
محسود قاذبي الحجاز من الشباب
خارج جدران الحطة القديمة .

وقد وقع الاشتباك مع البوليس بالزيم
من بوابة جهودم التي تؤدي الى الحطة
السورة القديمة ٤ عندما بدأ نحو ٢٠٠
من المتظاهرين في القضاء الطوب على
البوليس الاسرائيلي .

كانت تميزوات من رجال الجيش في
سيارات تصل لثاب رتبه الشهد ولكنها
لم تتدخل . وقد التي الجيش على حوالي
١٤ من الانفصاليين من بينهم بعض
النشيط .

[روفين ٢ خيلي تفاح ٢ اولى اكتوبر
١٩٧٠]

اطلعت النار على حشدة التفتك حنن
التحول في غزة فاصيبت بجراح طابئة
في ٢ اكتوبر . وكانت احدي الداوريات
المسكونة قد لاحتت حشداً يدرك في
الطال ومضت مسكونة . وعندما بدأت
ارارة تجرى قصت الداوية ليرالها ٢
لصايفها في سكتها .

[جيروسالم بوست ٢ اكتوبر
١٩٧٠]

اعتقل عدة اشخاص في غزة عقب
انفجار ناطق زيكوت ٤ صاحب احدا
محات التليزيون .

[جيروسالم بوست ٢ اكتوبر
١٩٧٠]

اعتقلت قوات الابن في خان بولس
مؤخراً حشداً يدعي حطب سراي ٤
زعمت انه قد حل محل ابن صبه كاند
للجبهة القومية العربية فلسطين ٤ في
المخلة الوسطى من قطاع غزة . وقد
اتت عملية اخرى . وقوات الابن في
خان بولس ٤ في الاسبوع الماضي ٤
التي القبي على مجموعة من خمسة
اراد من اضاء الجبهة القومية لتحرير
فلسطين .

[جيروسالم بوست ١٤ اكتوبر
١٩٧٠]

طرد الاسرائيليون ناطر مدرسة باحدى
قرى الدروز وسكتلة من مدرستهم
بمدرستهم الجولان السورية المحتلة ٤
بدوي حوضهم للزور على الشسبة
في مسجدة جنسالية للرئيس المصري
عبد التامير .
وقالت المصادر الرسمية العسكرية ٤
ان خمسة آخرين من سكان مجل شمين
قد اعتقلوا لاسجوابهم بشأن ملائمة

باجلئ الملكة • وشرك نحو ٥٠٠ من الفرزيون في مخامرة ثلث لثاء الاحجار وزعت القسم الاسرائيلي • وحضنت بشعارات معادية لاسرائيل • وقد تلبث القوات الاسرائيلية بتفريق المتظاهرين [ألبا • طلي ستار • ١٥ أكتوبر ١٩٧٠]
 النسي السيد محمد اسماعيل موسى كية من الكويت ان يفتح قضية تجلب اسماعيل •
 فقد ذهب نجله الى الكويت في عام ١٩٦٤ • وذلك الى السفعة الغربية على حرب يربو ويحمل بعد الاحتلال على بطلنة شخصية عسكرية • واعتقل في ١٩٦٨ حيث قال في السجن لمدة عشرة شهور • وصل الى الزمارة بعد ان اخرج منه ولكنه اعتقل في ٢٦ فبراير ١٩٧٠ مرة اخرى ولا يزال في السجن حتى الآن •

[الاتحاد • ١٦ أكتوبر ١٩٧٠]

شاهدت احدي الداوريات العسكرية جديدة غير معروفة • وسط جماعة من الانكشاف المرميين على كسطي حسان يونس في نحو السامة الفاسفة والتصف بعد مودع حظر التجول • وقد ذكر انهم قد اطلقوا صهيرة الى المجموعة ثم اطلقوا بضع طلقات في الهواء للتحير قبل ان يطلقوا النار على السيدة التي شرمت في الجوى • وقد قتلت السيدة وانتدبت الانكشاف الآخرين بعد قليل لاستجوابهم •

[١٩٧٠]

تليد الانباء ان عصدا من الانكشاف قد اعتقلوا في ٢ أكتوبر في بلي سحيلة وهي قرية صغيرة بالقرب من خان يونس عقب حادث اللاء تليد يدوية في داورية عسكرية بالقرب من مدرسة جباليا الإبدائية •

[جيروساليم بوست • ٢٥ أكتوبر ١٩٧٠]

القت قوات الابن الجيش على ٢٠ من طالب المدرسة العليا في نابلس لاستجوابهم بيشان توزيح منشورات معادية لاسرائيل •

[هاريس • ٢٥ أكتوبر ١٩٧٠]
 اعتقلت قوات الابن نحو ٧٠ شخصا من السفعة الغربية مؤخرا للانشاء في هوسيتم للمنظمات الازهابية وتيسليم • عمل خريبية • وقد اعتقل خمسون منهم في نابلس والبالون في حبرون •

[جيروساليم بوست • ٢٦ أكتوبر ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الابن عددا من الانكشاف في ٢٧ أكتوبر بالقرب من معسكر جباليا للاجئين في قطاع غزة بعد اللاء تليد يدوية في سيارة عسكرية •

[جيروساليم بوست • ٢٨ أكتوبر ١٩٧٠]

كان نحو ٢٠٠ عرب لا يزالون محتجزين

ليلة لاجن عقب الانفجار المتزوج في محطة الانبوس المركزية نحو ابيب في ٦ نوفمبر • وقد اعتقل نحو ١٢٨ غربيا بعد وقوع الانفجار مباشرة • والتي الجيش على بعضهم طليغا فالتية مسدة في ايدي قوات الابن • ولكن اقليم اعتقلوا لانه قد تصادف وجودهم • في محطة الانبوس لو • بالقرب بنها وقت وقوع الحادث • وقد تطوع الكثيرون من هذه الفئة الاخيرة بيشليم لتقسيم الى البوليس • طليا لصيقتهم من مجموعات من الشباب المتهوس كانت تحاول ان تصيب من نفسها سلطة لصاية القانون [جيروساليم بوست • ٨ نوفمبر ١٩٧٠]

اعتقل البوليس عدة انكشاف لاستجوابهم في ١٢ نوفمبر بعد انفجار حربية ملاي بالمتجرات في ميدان المدينة بفترة •

[جيروساليم بوست • ١٣ نوفمبر ١٩٧٠]

تليد الانباء ان ١٥ أصابة اخرى بالكوليرا قد ظهرت في قطاع غزة خلال الوبين الماضيين • وقد اعلنت السلطات انها لا تقيم تطعيم سكان القطاع •

[القشرة اليومية وكالة الترلاف اليبردية • ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠]

اعتقلت قوات الابن في قطاع غزة عشرات من دنايي فتح خلال الاسام الطيلة الماضية • وكان تلك المجموعة بين هؤلاء الذين تم اعتقالهم •

[جيروساليم بوست • ٢٧ نوفمبر ١٩٧٠]

تلقى اثنان من المهابين حيا على رافع وحشد الحاج اوامر بتحديد اقليمها • تعدد نطاق حركتها في مناطق اقليمها • • وشتمت هذه الابرار من المستحيل على المهابين الدفاع عن • وكليها في اسرائيل والاراضي المحتلة •

[الاتحاد • ٢٧ نوفمبر ١٩٧٠]

[جيروساليم بوست • ٢ ديسمبر ١٩٧٠]

قتل رجل • واصيبت سيدة أصابة خطيرة • برماس داورية اسرائيلية • في بيت لجة كسالي قطاع غزة • في سامة بكرة في صباح اول ديسمبر • وقد وقع الحادث في الرابطة والتصف سميها • إذ رات الداورية شحان بتركان ناسوتكتيها • وعلمها تجاهلا الج • فتح الضود لبرانهم • ولم يكن التجول مخطورا في هذه السامة •

[جيروساليم بوست • ٩ ديسمبر ١٩٧٠]

شاهدت احدي الداوريات رجلا في الفاسفة والسني في المائرة من مساه ٧ ديسمبر بالقرب من معسكر جباليا للاجئين الذي يقيم فيه • وقد شاهدته الداورية فابوته بالتوتف • وهلم انه قد

حاول الهرب • وقد اطلقت الداورية عليه الرصاصه اسامة طليفا •

[جيروساليم بوست • ١١ ديسمبر ١٩٧٠]

اعتدل عدد من الانكشاف في غزة في ١٠ ديسمبر عقب هجوم بالفتائل اليدوية على سيارة انبوس مزفحة الكاب في حي السجامة •

وقد اصيبت شخص من معسكر جباليا بفترة أصابة طليفا في ١٤ ديسمبر بفتلة من احدي الداوريات العسكرية • وقد سمان ان الداورية قد شحامت واعترضت ان حركته مربية • طليت اليه ان يتوقف • وعلمها تجاهل الامر فتحو عليه النيران •

[جيروساليم بوست • ١٥ ديسمبر ١٩٧٠]

شاهدت افراد احدي الداوريات العسكرية في غزة رجولين بمسيران من منطقة وقع فيها الانفجار حاد صر بانه خالوية وعددا من المحال التجارية المجاورة غابرها بالتوتف • واذ لم يخللا للامر فتح الجود النار عليها ناصيب احدها • وهو شاب في الثالثة عشرة • أصابة خطيرة • وقد اصيبت زميله بدوره وهو في السابعة والثشرين • ووصت جراحه بانها معتدلة •

[جيروساليم بوست • ١٦ ديسمبر ١٩٧٠]

اعلنت الحكومة العسكرية في ١٩ ديسمبر ان جزءا من الطريق الرئيسي بمدينة غزة قد اُغلق بالتسبة لمرور العرب • وضع هذا الجزء الذي يبلغ طوله ٣٠٠ متر بين مكاتب العسكرية العسكرية وبين مكاتب الادارة المدنية بشارع عين الخطر • وقد اصبح على جميع السيارات التي يملكها العرب ان تدور حول هذه المنطقة حتى اشمان آخر •

[جيروساليم بوست • ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠]

القت احدي الداوريات العسكرية الجيش في اوائل هذا الشهر على فريق من اربعة من رجال فتح كان يعاول عبور صحراء باران في ظهور الجبال • متجهيا صوب قطاع غزة • وقد وقع اللغام بين مسافة نحو ٥٠ كيلومترا جنوب نسيحاج رادون • وكان الطريق يثيضاة وقد شياح فتح المروفين لادارة الابن • وقد كان « مطروبا » بفتح بعض الوقت • كما لقي الجيش على ١٤ ارحابيا آخرين في قطاع غزة خلال النصف الاخير من نوفمبر • وكان من بينهم ثلاثة من قادة ما يسمى « بالجبهة الشعبية الديمقراطية » • وكان هؤلاء القادة الثلاثة يدورهم في تامة • المطلوبين • الذين تبعت عنهم قوات الابن منذ مدة طويلة •

[جيروساليم بوست • ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠]

المليحة

الادب
والفن

ملحق

- ملقوس للحب والحياة على المسرح الانجليزي
- رجل البوليس : نجم فوق العادة
- في أحدث أفلام هوليوود



شكسبير



تينسى ويليامز

في هذا العدد :

- ☐ مقتطفات من حوار مع بريخت
- ☐ « قصة قصيرة » لحظة يتلقى الجرح بالرماد
- ☐ رسالة لندن
- ☐ رسالة باريس
- ☐ الادب والفن في شهر

بريخت

مقتطفات
من حوار
مع



فاروق عبد القادر

هذه علاقة من المصالحات
التي لازالت ملتفة بالفصوص
في تاريخ الادب المعاصر ،
علاقة لم تبدأ جوانبها في
التكشف الا بعد انقضاء أكثر
من ربع قرن على مصرع احد
طرفيها ، وأكثر من عشر
سنوات على موت الآخر .
انها المصاحبة بين برتولت
بريخت (١٨٩٨ - ١٩٥٦)
والدافد والمفكر والتر بنجامين
(١٨٩٢ - ١٩٤٠) .
صحيح ان العالم كله قد
عُرف بريخت . عُرف
مسيرته وكتابه النظرية
واسمه ، لكن قليلين هم
الذين يعرفون بنجامين والدور
الذي كان يمكن ان يلعبه في
تطوير النقد الماركسي جنبا
الى جنب مع لوكاتشي وبلوش
وغيرهم .





أبايت

الشمعي عندما يستعيد الناس ذاته يميل إلى أن يؤكد لا القرارات الضخمة التي تصنع المجرى الرئيس للتاريخ لكنه يؤكد المتأخر وغير القابل للنقاش *

ويؤكد بنجامين الحواري من بريخت يصل من طرح سؤال حول المسرح للشمعي إلى وضع ضغط نظري يؤمن بها في تاريخ الدراما ، فقد رأى بنجامين تشابها بين كتاب الحراما الباروكية (٤) في القرن العشرين من الجانب الآخر ، من حيث أن الدراما الباروكية تنزع إلى سوداوية والاكتفاء باستخدام الشارات والرموز الغامضة ، ثم هذه التشابه في استخدام المونتاج كما رجع في أعمال إيزنشتين وبريخت * ورأى بنجامين في المونتاج الشكل الفني البناء والفصل للتعبير والاستمارة من حيث هو القدرة على الربط بين غير التشابه في كل واحد * ويسمى « المصور بمسرحي » ولهم جديدين * وجانب كبير من كتاباته بنجامين النقطة يدور حول فكرة « العصف » من حيث هي الصورة الأساسية للصحة المسرحية في العينة المستأجرة الجديدة * ويعتبر أدب بوليفين برومست - على سبيل المثال - رسائل لحماية الذات ضد صدمات الحياة العنيفة ، هذه الحماية للذات لا يحتاجها الفنان الثوري ، على العكس ، أنه يرحب بأحداث هذه العصفه شرط أن يتحول من هنا يرى بنجامين أن المونتاج - أي القدرة على استيعاب التشابه والارتباطات المتأخرة والخفية في غير التشابه - هو المدد الرئيس للتصور الفني في عصر التكنولوجيا *

بشأن مجرى « من جديد مظالم » لهذا يفكر بنظرون يتجاوز التشكال الطبيعي المباشر كي يقدم كل صور التشكال الاجتماعي للإنسانية بأمرها ، حينئذ تكتسب صلات مثل الحرية والقدرة على البقاء والاستمرار أهمية أكبر من أهمية البطولة ، وتصبح درامات بريخت وأشعاره رفيقا أنصبا ملائما للصور المنظمة ، لأن أبطاله - أو صمته الكلمة - يتميزون أول ما يتميزون بالكتابة وسعة الحياة *

عن المسرح الشمعي

والمرح للشمعي نتاج تصور تاريخي ، ومحاولات بريخت في إعادة كتابة أعمال شكسبير ومارلو إنما هي تجارب حول ما إذا كان الحدث التاريخي وتناوله الأدبي يمكن أن يتغيرا إذا ما أعيد تقييم العمليات التاريخية التي انتهت بها دراما بريخت في أمثلة من الحتمية الخارجية ، وتشأهه ينسب الأرض تحت القدم هؤلاء « للتسائيل المشائين » الذين يملكون كل آمالهم على حتمية تاريخية قائمة لا ريب فيها * يقول بنجامين مسترجعا دراسته حول « الحتمية التاريخ » : « إن الأمر يمكن أن يحدث على هذا النحو لكنه يمكن أن يحدث على نحو آخر ، وهذا هو الاتجاه الأساسي إن يريد أن يكتب للمسرح الشمعي ، وأمكانية أن يكون التاريخ مختلفا عما كان لابد أن تثبت في المخرج الاحساس بأن التاريخ العاصم يمكن أن يكون مختلفا كذلك * أن التاريخ بين يديك مهما بدت إمكاناتك قليلة هينة - وهكذا * * فإن كاتب المسرح

المصمم و « شائق اليأس » التي تعلم منها الكتاب الاشتراكيون * وما هو سره عند كائنا هو يأسه ، وما هو جديد ليس التكتيك فقط ، لكنه مختلف الزان الفهم والافراك التي يعبر عنها * ويصف بريخت منطلق كائنا بأنه منطلق رجل مسقطه محصلات اليسرورجوانية الصغرة ، لكه حتى وهو منسحق تمت المحلات لا يكف عن طرح الأمثلة ، ولأن حكمه ، وحكمته - كما يقول بنجامين من جالي جالي بكل سرحية بريخت ، « الأصابع أو الأصابع » (٣) * هي حكمة الرجل الذي يظن بين ثقافات لوجود المكان الوحيد الذي يمكنها أن تجد به خلا .. أعنى حياة الإنسان * أبطال كائنا مسوقون تمت المحلات ، لكنهم رغم ذلك يظلون جاليا لجانب أبطال الآخرين - مثل ليوبولد بلوم - أوليسيس - بين « الرجل الحكاء لهذه الأيام الجديدة السوء » ، أما بؤله - فنجما وضام للجمعات الكبيرة - يبدأ بريخت * وعلى حين صب لسكاتش هجره على ألب القرن العشرين ، لأنه لا يقدم شخصيات متكاملة * ، أشار بريخت إلى أن انتفاء الطابع الإنساني من الإنسان لن يوقف بالأسلحة من الصماعة ولكن بالاندماج فيها * ويشير بنجامين إلى جالي جالي فيرى أنه « ليس مخلصا لجور ثابت مفرد لكنه استعداد دائم لتقبل جهر جديد * * » أن الأيام الجديدة المسببة تعم الشخصيات الإنسانية ونسقط عنها ما ميزها وتحويلها إلى شخصية جديدة (٤) عند كائنا أو كثر عند بريخت) ، يبدأ بريخت وبنجامين بهذا الإنسان المهمل وشبههاته قرباته على استعداداته سماته الضائعة ، إنما

١٣] الإنسان هو الإنسان * مسرحية بريخت الثالثة بعد * يمثل * كيت في ١٩١٨ ، وقُرئت للمرة الأولى في ١٩٢٢ * و « في أهراس المدن » سكيت في ١٩٢١ ، وقُرئت في ١٩٢٢ * - كتبها في ١٩٣١ * وهذه المسرحية تبدأ سلسلة أعماله التي يبدو فيها متأثرا بالفكر الماركسي ، فبطلها الإنسان إليه أنسان عادي يتحول إلى أداة من أدوات الحرب ، ويلقب بريخت بـ « تفكيره التفاضلي على أن الإنسان نتاج الظروف الاجتماعية » ، وأنه يمكن أن يشكل على الصورة التي أراد له *

١٤] الدراما الباروكية : استخدمت كلمة [الباروك] للمرة الأولى كي تدل على طراز معماري معين ساد من أواخر القرن السادس عشر إلى أوائل الثامن عشر ، وتشير إلى أهم خصائصه : الاهتمام بالزخرفة البليغة الغريبة ، الإفراط في التوازن ، القوض ، اصطفاك الأشكال المنحرفة والمثلوية * * الخ - ثم فعلت الكلمة مجال المسرح لتعني خصائص معينة ، غالباً على الباروكي انفعالي أو عاطفة مشوبة لكنه لا زال محافظاً بالجلال المناسوي التقليدي ، ويرجع مؤرخو المسرح أن تكوين البطل الباروكي من الاحساس بالمعنية وإدراك عدم جدوة الحياة إنما يرجع لسببين : تقدم العلوم وخاصة علم الفلك الذي ألهب أن الأرض ليست مركز الكون ، ثم خيال النول الحديثة وما تبعها من نقل حاسم لأهمية البطل * *



كاما

عن الفن والسياسة

استطاع بريخت ، في أواخر حياته - مع شخصه النظري ورائع خيبرته لعملية - أن يوضح الحدود بين الفن والسياسة ، أما بنجامين فقد رأى مسرحه قبل أن يصل إلى جماليات جديدة تقوم على أسس مادية . كانت اتجاهات بريخت الأولى مشتركة ببسكاتور والمستقبلين الروس ، من هنا كان تدمير المسرح القائم على الوهم يعني الهجوم المباشر على البرجوازية ، حتى عرض ستاسلانسكي كانت تعتبر عرضها ببرجوازية ، وأن تكون خمد البرجوازية - أي بروانتريا - فهذا يعني شيئا واحدا هو أن تكشف للبيئة وأنت تعرضها ، أن تكشف الحقيقة عارية (على حد تعبير استقبلين الروس) أن الفن لون من ألوان الحياة وليس شيئا منفصلا بالعموم وخشبة المسرح - بالتالي - يجب أن تكون أشبه شيء بصلع تبدو كل ألائه واضحة للعين . ولكن .. عن طريق استخدام المونتاج كما رأينا - يمكن إقامة الروابط السياسية التي لا يمكن رؤيتها على نحو مباشر ، وعن طريق الفن الطبيعي ذي الطابع اليساري في العشرينيات والثلاثينيات ساد الاعتقاد بسان الهجوم على - الوهم أو العرض - نفسه يمثل عملا سياسيا تقديريا ، وعن هذا الطريق يمكن للسياسة أن تدخل مباشرة إلى الفن ، ولألا هذا الاعتقاد يؤثر في الفكر الراديكالي واليساري حول علم الجمال حتى الآن . وكان تطور بنجامين وصولاً إلى هذه النقطة تطوراً متقدراً ، بدأ على أنه نموحي تلمحا في ذلك السنين ، بدأ ليسوقا جماليا يربط بين الجمال والتشابه الفنية لتحل محلها التكتولوجيا الجديدة . كان بنجامين أي شيء ٩٤ يكون ثوريا طبعيا ، كان طبعيا ولكن على طريقة إليوت (الذي كان يتردد في كثير .. فكتشاف إليوت للشعراء الميتافيزيقيين يدفع من نفس الأصول التي ينتعش عنها اهتمام بنجامين بالفن الدراما البروكية ، وكان كنه له يعجب بقدرة إليوت على المبالغة والتعاطف واستخدم الرمز واكتشافه الروابط بين

الدراما الأوروبية بالظلال ، حيث يصعب الرجل الحكيم ، المجرى من العاطفة ، هو البطل ، يقرر بنجامين : فيمكننا أن نعتبر المسرح القصص أكثر درامية من الممارات الأفلاطونية ، لكن هذا لا يهتم أن يكون هذا المسرح أقل منها اهتماما بالفلسفة .

ونلاحظ الآن تطور ملامح الحكيم عند بريخت ، من جاسي - جاسي في « الإنسان هو الإنسان » إلى أزدك في « دائرة العباشرين التسوفية » ، وماتي في « السيد بوتشلا » . نجد الحكيم عند بريخت هو الرجل الذي عانى كثيرا وارتمل كثيرا ورأى كثيرا ، وهو الذي يغير دوره كي يلائم ظروفه - أنه - بكلمات بنجامين : « خشبة مسرح فارغة نضع المصور الأول عليها تتألف من لبطل » . من خلال هذا « الفارغ » « الطبع » ، « القادر على التوافق » فلن يفسد مبادئه مونتاج - مثل الأخراب أو كسر الأيهام وتبادل الألوان - يمكن أن تقوم دورها - مثل هذه الوسيلة استخدمها ت . س . في « الليوت في قصيصته سيطرة » الأرض الخراب » . هي صورة المرفاع الأعمى تيريزايس الذي رأى كل شيء من قبل ، والذي يشهد كل شيء يربح كل شيء من جديد ، لكنه الآن حكيم روائي تقليدي يتحدث لغة سوقية ساخرة ، ولا يستطيع أن يورث الأجيال التالية عليه سوى المقاطع الأولى من اللغة انوية - الأوروبية . كما حكما بريخت أو رجسالة المكتوب فهم على لنفيس ، ممثلون حياة وحما : جالي ماتي يحيى درسه ويمسك على موقفه ، ومن أجل قدرته على التوافق - بل بسبب هذه القدرة - يثبت أنه الشخصانية الإنسانية الوحيدة في المسرحية . كذلك يستطيع القاصي المصطلح « ألدك » أن يقيم ميزان العدالة ساعة مسرحية واحدة ، بل أن جاليليو - رغم أنه ليس من حامة الشعب - قدم على الطلعة الثانية من المسرحية (التي لم يقرأها بنجامين) نقدا ذاتيا له ولكل الطامع من عصر النهضة إلى العصر الحالي .

ومن أجل تأكيد وجهة نظره ، رجع بنجامين إلى ما قبل الدراما البروكية الإلانية ، إلى هذه الأشكال من الدراما التي ظهر فيها مبدأ المونتاج للمسرة الأولى ، ووجدنا حيث يوجد نوع من الذكاء البشري يقوم بالتعليق على العرض - بعبارة أخرى : أنه يوجد حيث لا يكون العرض مكملا في ذاته لكنه مفتوح لموازنته بالحياة التي يصدر عنها ويمثلها ، حيث يستطيع الممثلون في أية لحظة أن يتنقلوا خارج أنفسهم ، ويقدروا أنفسهم كمثلين .

هذه أخرى .. تلعب الثقافة الصينية دورها في تفكير الرجلين ، فيشهر بنجامين إلى تفكير المسرح الصيني في أن يجعل « ما يعرض على المسرح بعيدا عن الأثر » ، ويؤكد بين بريخت لهذا التفكير ، لم يضع تخفيضا مريعا لطريق برعي في تاريخ المسرح : فهو يعتقد أن المسرح الأوروبي كان يمارس دائما أن يهرب من الدراما « الخلفة » التي تصعبها التراجييديا الإغريقية ، ويثبت عن درم ، لا تراجييديا - هذا الطريق الفرعي يقدونا من مسرحيات الأسرار (٥) في المصور الوسطى إلى الدراما البروكية الإلانية ، عبر بعض مشاهد من شكسبير وقسم من غلوست لوتجوت - لسي ستريونج . ويصل بنا إلى بريخت والمسرح القصص .

ويخلص بنجامين من كتابات لوكاتش الأوس ما يمينه على اقامة دعائم نظرية تشير إلى اتجاه مخالف لنظرية لوكاتش التائبة عن الدراما - لوكاتش - المهم و « باجوري الرئاسي للتاريخ » - يعتقد أن الطرق المرسية أما لا تكون موجودة أو تكون غير جذرية بالانتماء ، من هنا هذا البطل التراجيديا عنده تدمير الإرادة ، أي هراع بين ممثلين إختلافين ، كلاهما كئي وشامل ، وهذه أن يحقق أرائته ضد كل العقبات ، فهذا الصديق من كدها ومنذته جميعا . ويلاحظ بنجامين أن « لوكاتش كتب قبل عشرين سنة أن الأفلاطون قد تعرف على الطبيعة غير الدراما لاطي صورة من صور الإنسان ، أي الإنسان الحكيم ، لكنه جاء به - رغم ذلك - وأرقله - في محاوراته - على خبنة المسرح - هي هكذا .. يبدأ تاريخ بنجامين ، البديل ،

ثم يأتي رأي **بنجامين** في الصلصلة والصفحة ليكشف عن تطوره الثاني . فهو - في أحد مقالاته - يصف الصفح (الصفحة) المروية في المصاحف على (التجديد) بأنها تقوم بعملية «محو وإزالة على نطاق واسع» ، أنها لا تكتفي بتعيين الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية المختلفة ، وبين الكاتب والشاعر ، وبين الدارس الأكاديمي وكاتب الذوق العام ، ولكنها أيضا تتعامل مع الانفصال بين القاريء والكاتب ، فالتكان الذي يسمه فيه استخدام الكلمة - أي الصفح - هو نفس التكان الذي يجب أن يسمه فيه عملية انتقال الكلمة ، ولعل صف الحائط في ثورة الصين الثقافية ، والمصاحفات ، والمختصرات ، والأوراق المطبوعة على الروليت للطلاب الفرنسيين (غيرهم) في ١٩٦٨ قد حلت شيئا مما طالب به **بنجامين** ، وكذلك .. فكل من الانكار لمصرح الشوارع وراق الأتاركة الجواله ما يؤكد وجهة نظره - هو وبريخت في الصرح -

لكن **جاسمينا** و**ديليكا** لهما يمكن أن ينفخا خطر الوروف عند جانب واحد . **بنجامين** يرى أن ملكية الشعب لوسائل إنتاج الفن إنما سيؤدي إلى إحد كل الأشكال التقليدية للفن التي تضع لحدود بين المؤلف والمجهر ، بين الملكة والتاجر ، ويرادف **بنجامين** بين تلك الهالة التي تعطي بالعمل الفني وبين الملكة ، كما يرافف بين الإنتاج إلى الفن وجه البروليتاري ، وبالمطبع .. ولكن للبروليتاري أن تمتص جهد البروليتاري وتدمر استخدامه ، وتكونه رافقة (أو ملحية) أن كان هذا ضروريا (يقتصر **بنجامين** الملكية

الجماعية الوسيطة للإنتاج ، وحين في هذا شرة جفود ، لكن ما كان يحفز في هذا الاقتراح هو احتمال أن يؤدي إلى خلق أشكال فنية جديدة . أن تعيين الوسيطة هو تماما تعيين الفن . بعبارة أخرى : هناك تطابق بين الوسيطة والفن ، يعد أن انهار الشكل التقليدي بين الشكل والضمير ، وأصبح الشكل في ذاته صلا سياسيا .

وهكذا .. بانضمام الشكل داخل المضمون ، فإن هذا يؤدي إلى تقييد لدى الذي يمكن أن يبلغه الشكل ، لكن **بنجامين** - لأنه كان ابن المرحلة الأولى من العصر التكنولوجي الحديث ، حين كان لتكتيك ما (مثل الفوتومونتاج) أثر سياسي مباشر - كان يميل أحيانا إلى أن يفصل التكتيك من حيث هو مؤثر سياسي في ذاته - متجاهلا أن تعيين التكنولوجيا إنما يشمل علاقات الإنتاج كما يشمل وسائل الإنتاج إلى كل واحد . و**بنجامين** - في نفس الوقت - كان يبعد «الإشهاد» الوسيطة القوية ، ويطالبنا بصلته التاريخية بأن نخوض المعركة من أجل الماضي وشحيا للماضي ، وقد حاول أن يجل هذا التناقض عن طريق مفهوم «الحضور الآن» ، بمعنى أن الزمن يلف مكاننا على حين يلتقي للماضي والمستقبل ، لا لقاء متناهما ، لكنه لقاء متفرج في الماضي .

كان هذا المفهوم - بالإضافة المفهوم عن «ضرورة استمرار الأتية» - هاما الفكران الرئيسيان اللتان سالتا فكر **بنجامين** في سنواته الأخيرة . هذا المفهوم الأخير يعني قدرتنا على التدخل في الأحداث - سواء كنا سياسيين أو مثقفين - من أجل «حق الطريق بالفترة أمام اتصال تقدم التاريخ» ، وهي فكرة

هامة في نشوء التراث الثقافي والتطوير الديموقراطي لحيات الاجتماعية ، وفيها يتقاطع رابط بين هذه الفكر والصورة الاشتراكية الثورية فإن **بنجامين** يلتقي مع لوكاتش ومؤلفه هيلم «التاريخ والوعي الطبقي» الذي تأثر به تأثيرا كبيرا . ولعل هذه الأفكار نفسها هي حاصنها برخت في عقيدة مثقفة بالثقافة بعد صرح **بنجامين** :

«ضرورة الإنهاء هي ما كنت تستمتع بها ..

جالسا إلى مائدة الشطرنج .. في ظل شجرة الكمثرى ..

لكن الحق الذي انتزعك بعيدا عن كتبك وأونائك

لم يسلط صريحا لجرده مرآة ؟ ..

وقد كتب بلوش عن انتصار **بنجامين** فقال أنه لول من الانخراط مع الحياة لم يكن غريبا عليه أن نلتفتا قوله : «على أقل تقدير ، لا سيطرة لأحد على رجل بيت ..» ، ويمزج مسائل كتب برهنت في قصيدة أخرى يرى سيدي : «حين ندهمت في النهاية إلى طريق لا يمكن اجتيازه

سمعنا أنك عبرته إلى آخر .. واجتزت إلى بعيد ..

التحرر **بنجامين** في يورث - يو على الحدود الفرنسية الإسبانية في سبتمبر ١٩٤٠ حين عرف أنه سيستسلم إلى الجنديين في اليوم التالي . وقال برهنت حين بلغه هذا موه : «هذه أول خسارة أبغها هنر بالأيدي اللاتي ..

• • من الحوار



٢٧ سبتمبر ١٩٣٤ :

وحينما تخالفي في ضوء النظرية الماركسية ، وفي الوقت الحالي فإن معظم هذه الامتيازات تلتقي حوالا فكرة واحدة في الفكر الفلسفي التحليلي ، لكن الشكوك تراوده حوالا هذا الموضوع ، فهو يتساءل : هل سيتقل الجيمور هذا الشكل على ماله من عناصر ماضية كما هي «البئات الثلاثة» ؟ هذا الشك يرد على مسلمات ينصت من الأفكار : الأولى أن برهنت كلما ازداد اهتمامه بقضايا وإنسانيات النضال الطبقي للبروليتاريات ازداد تشككه حول إمكانية استخدام أسلوب ساخر في الكتابة لكن خطأ هذه للشكوك - ذات الطبيعة الفعلية إلى حد كبير - هي التمسك بالأسلوب الأخرى من الشكوك سيؤدي إلى سوء الفهم

واسم «توي» ، وهي تسمع تساليل لحايات المثقفين ، أغلب الفن أن تحدثها مستوحى الصين برقة فرغ بالقل من نموذج مصغر لهذا العمل الأخير ، لكنه - من الناحية الأخرى - يشغول بتطوير مخرجات أفكار ودراسات قديمة . على حين كان برهنت يستمتع - عند الانتشاء - أن يكتب ملاحظاته وأفكاره عن المسرح للحمس ، فإن إنكارا أخرى - صائفة من نفس الامتيازات - قد التصمت برامته لكتابات لينين ، والاتجاهات العلمية للبرجيزيين ، وأدى هذا إلى توسيع الانكار الحصد للدراسة . قلت هذه الأفكار تقليدية عتقنات ، تبدو له مرة تمت فكرة رئيسية ، وأخرى تحت فكرة أخرى ، فهي حين تخالفي في ضوء النطق غير الأسطوي ،

قبل عدة أعوام ، أشار برهنت في حوار له معي إلى تلك الصورة المفهومة التي تشبه في الوقت الحالي من وضع أي خطط محددة ، وكان هو البادع بالانتارة إلى أن المصير الرئيسي مواصلته من موقفه بقدر موه سوف من المهاجرين ، وما دام لا يتعرف - على وجه الصريح - بأن للشي يمكن أن يكون بصلا ملأنا للخط والمخارعة ، فهو يرضى . من حيث لهذا هذا الأمر في حالته هو ' أن خطه نيك لا يعد من فترة الهجرة ، ومن ثم فالمهمة لحد لفخافين : هلكت - من ناحية بعض الأعمال الأخيرة بحاجة لكمال من بينها - أرتسوري أوى ، وهو لعل ساخر يروي مصود هنر إلى السلسلة على طريقة رواية للبري في عصر النهضة ، ورواية طويلة

تلك الشراكة - على المستوى الإنساني - تدور حول العناصر ذات الطبيعة الغلبة والتشابهية في الفن . تلك العناصر التي من شأنها إحيانا وعلى نحو جزئي - أن تجعل الفن ملاما قاروما لنوع الحفل . وكان عهد بيرخت البيورالي فياضة حيلة التشريعية على الدعاية لمواجهة المجهود به . مرة بعد مرة - إلى الاشتغال والحكاية الرمزية ، حيث تصوم العناصر الفنية بالغا ملاحدا للأشعر .

عده اليهود المرتبطة بالاشتغال أو الحكاية الرمزية هي التي تبدو إلى في صورة أكثر أصالة وأدائية في فكرة الشعر النطقي . وخلال الحوار حاولت أن أفسر بيرخت أن هذا الشعر لا يلقى القبول عند جمهور بيرخيزي ، لكن عند جمهور بروليتاري يفرح فيه لأنه لا يجد نفسه في تلك الأصابع الأخرى لبيرخت ذات الأظفار البيوريزي بعض الشيء ، وقت له : « إذا نجحت قصيدتنا التعليمية في أن تأخذ تعصبا للمركسية في جانيتها ، فإن أعماله الأولى لن تصفع من القضية بنفس الدرجة » .

٤ أكتوبر :

بالأمس مضى بيرخت إلى لندن ؟ أفران أن كان جودري يمثل أخراة خاصة في هذا المصعد أم أن بيرخت قد أصبح لديه تعاطفا لهذا الاتجاه عن ذي قبل : « إن صحرائته (وهو يسميها « اليوم المستر على الفروسة ») تتضح الآن في الحوار أكثر وأكثر ، وتدمج في الحلية بعض الإشارات التي تعبر عن الحضور ، فهو مولوج بوجه خاص باستخدم كلمة Wörstchen »

أي سيجي من النوع الصغين ؟ ليصف بها كل ما يرويه . كنت أفرد « الجرميات العذب » ، لهذا بان ملهم اختارني لما أفرد ، وعنده معلولا عن حالتي النفسية فيهر

الطبية ، والتفكير على وجهة نظره كسلي لي . كيف أنه يرضى مرهبا طويلا لي شيابه (وأخضع أن المثل طان كاشنا فترة طويلة قبل ظهور أعراضه) ، وأن مرضه بدأ حين عرفت واحد من زملائه على المدرسة مطوعة لشعويان فسي البياتو ، دون أن تكون لديه القدرة على الاحتياج ، وهكذا فهو يمتدنان لمستشفيات وشيوخا تأثروا سينا على الصحة ، لكنه لم يكن ليعلم وسيلة أخرى لهاية قراءات في مد لي مستويين هذه القصص الجاهل لديه اتذالك من أي عمل يعتبر أنه لا يقيم استشارة وأخضاة ، فهو يصفه بأنه « Kump » أي كلمة مخشيرة أو متخيلة ؟ متخيلة .

رايت بعض تخطيط في مقابلة من سلام كثيرة ، لم تكن المتسامية مسقوفة ، وكنت أسمع وأسمع على حين كانت سلام أخرى فيها لأسفل ، وعند منبسط من منبسطات لاسلم ليقنت أنني وصلت القوية وانقضت أمام نظاري أراض واسعة معتمة ، ورايت رجالا آخرين يقفون على شيء آخر ، وفجأة أصاب الدماء واحدا منهم مانكب على وجهه وهو ، ثم انتشر الدوار . مهري آخرون من هذه الذرى إلى الأعماق ، وحين أصابني الدوار استيقظت من حمي .

٢٢ يونيو رصحت لي بيرخت .

كان بيرخت يتحدث عن روصه وأصالة الاتجاه الإنساني لكن من دانتس وليرجيل ووصفهما الكلاسيكي للجهنم ، ويقول عنه : « أنه يستطيع أن تستمتع براحته في الهواء الطلق » .

ثم تحدث عن كراهيته للصعب بنفسه ، كراهية وردها عن جهة ، وأشار إلى أن هؤلاء الذين انتقلوا

إتكار ماركس النظرية وتولوا إدارتها ليس أن يتحولوا إلى طبانة أكثريكية ، فاللاركسية تسلم نفسها بسهولة « للشراح والمفسرين » .

لقد بلغ صبرا الآن مائة عام فإذا ترى ؟ « عنه هذه الكلمة للقلب (الحوار) . »

« إن الدولة يجب أن تتلاشى ، ومن الذي يقول هذا ؟ » « انه الدولة » . « واضح أنه كان يعني الاتحاد السوفيتي فقط » « وهو أخذ وجهه هيئة مكررة - وهو يخصص الدولة ، ونظر نظرة جاذبية غريبة إلى مصادر وهي وهو يقول بلسانها : « أعرف للني يجب أن تتلاشى » .

ودار الحوار حول الروايب السوفيتية الجديدة ، وكنا قد توكلنا من قراءتها ، ثم تطرق الحديث إلى الشعر وترجمته من اللغات المختلفة التي يكتب بها في الاتحاد السوفيتي

وقال بيرخت : « لا شك أن الشعراء هناك يعمون باتوات عصبية فالقصيدة التي لا يتصل إليها اسم ستألف تتخذ ذليلا على سمو » .

٢٩ يونيو :

تحدث بيرخت معتن الحشر للنصي ، وأشار إلى أن بعض المسرحيات التي يعطيها الأطفال تعبر فيها أخطاء الأدماء بدور عميل الأعراب ، وتضيف طالبا ملجبا إلى العرض ، وفي من هذا يمكن أن يحدث في عروض فرق الأتار من الدرجة الثالثة ، فأخبرت لي التي

شهدت عرضا مسرحية « السيد » في خليف ، كان الملك بلدي - التاج فيها على نحو مغفل وملتو ، فأوصي لي هذا المشهد ببدائية إكثار من المسرح للنص تطورت فيها بعد كدله إشار بيرخت إلى اللحظة التي بدأ فيها المسرح للنص . يلح على كرهه عند هذا للمرة الأولى أثناء زيارات مسرحية و أفراد الساتر ، فسي ميونيخ كان العروض أنتمثل الحركة في هذه المسرحية حوالي ثلاثة أرباع الساعة ، ولم يستطع بيرخت أن يذير حركة الجهود على المسرح ، كذلك لم يستطع مساعده في الإخراج أن يملأ شيئا ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم

شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

واضح : « ما حكايه هؤلاء الجنود ؟ مالذي . حدث هم ؟ » ورد فالنتين : « بدت لهم شاحون ، أنهم خائفون ، هذا كل شيء » ، حينئذ استدار بيرخت نحو أصفاته المقربين (كارل فالنتين) وكان يشهد البريلة وماله في رأس

١ يوليو :

كلما اشرت إلى ما يجري في روسيا بدت ملاحظات بيرخت مشتركة دائما ، تصاحبا معا إذا كان أروالد لا زال سجنيا (في ألمانيا - الثانية

تساوى لا زال جاسا) ، فكان رد بيرخت : « إذا كان لا يزال قادرا على الجلوس فهو جالس »

وبالأمس ، أشار جيتل ستيفان إلى أن تريسنكي . لم يعد « على قيد الحياة »

٢ يوليو :

في حوان حول بوليفر الفلية المناصرة تيسل بيرخت : « أكتا

تعرف .. انني لست خبيرة من يوافق
المجتمع ، لكنني ضد الكائن غير
الاجتماعي .

٢١ يوليو :

ان اعمال لوكتاش وكريست
وغيرهما تمسب بريخت منفصلا
كثيرة ، وهو يعتقد ان على المرء الا
يتأقلمها الى الصعيد الفكري
نظرة السؤال الى الصعيد السياسي
فلم يستطع بريخت ان يتجنب صراحة
في ان الاقتصاد الاشتراكي ليس بحاجة
للخرب ، لهذا فهو يرفضها ، وما
تعتبره طبيعة الشعب الروسي المحبة
للسلام ، الا صيغة هذه المجازفة ، لا
يمكن كوام الاقتصاد الاشتراكي في بلد
واحد ، واعادة التصحيح لابد ان تكون
بلازويكيا الروسية مراحل السى
الرواء ، الى مراحل من التطور
التاريخي قد تم تخطوها ، من بينها
مرحلة الحكم الملكي ، وروسيا الان
يحكمها شخص واحد ، لا يتكره الا
سوى البلاء والجحش ، كانت
محاورتة سرعان ما انطلقت .
واضيف : في هذا السياق ، ان
بريخت قال انه نتيجة تلك المولية
الاولى لاني ساركس والوجل فقدما
اتصالهما الفاعل بحركة الطبيعة
العالم ، وانها كشيء بالاقبال
تصالح - بسعة شخسية وغير قابلة
للثبات - الى بعض الزعماء ، كذلك
لم يكن مصادفة ، وان كان شيئا
يؤسف له - ان تحول اتجزل في نهاية
حياته الى العلوم الطبيعية .
وقال بريخت ان - بولا - كون
كان اعظم الادباء حينه في الاتحاد
السوفييتي ، وان بريخت وهمايكا كانا
الشاعرين اللاتنيين فقط اللذين
يرجعهما كون . (كان بريخت بشير
ايعانا الى وجود شخص مدافع عنه
في اللجنة المركزية) .

٢٥ يوليو :

صباح الاسباء ، جاء بريخت الى
هجرتي ليقرا نصيبته من ستالين
بفنون : - حديث الفلاح الى
ثوره (١) ، وفي البداية لم
يتكشف لي معناه العام ، ثم برزت
في راسي صورة ستالين ، لكنني لم
اجز على النطق بها ، وكان هذا
التأثير هو ما يهبط بريخت الى ياقته
في النطق كما اشار في حوارنا الذي
في هذا الحوار اكد بريخت - بين ما
اكدته الجوانب الاجسادية
للصبيحة - كانت القصيدة كرويا
لستالين الذي يرى بريخت انه على
جانبين من المباداة والانتقاد ،
وبالاسافة لهذا .. فان اختيار منهاج

متمميس لتكمير ستالين لم يكن
مفروضا علي بريخت ، القامد في
الغنى يتلقى ومول الجوين الاصح
لانه يتلقى التطورات التي تحدث داخل
روسيا ويتابع كتابات تروتسكي بها ،
وهذا يثبت انه كانت لديه شكوك ،
وشكوك ميرتشي الحقيقة - تتطلب
لها اكثر حذرا في تقييم ما يحدث
بروسيا . هذا التشكك سمح به
حسب الماركسية التقليدية ، واذا
ثبتت صمته يوما حتم الوقوف ضد
هذا النظام . علنا ومن مواراة .
قال بريخت : - ولكن - لحسن
الحظ او المصد لله - افتر ما تحدث
من هذين البهريين - فان الشكوك لم
تتحول - بعد - الى يقين ، ولا مير
لان تقييم علي اساس هذه الشكوك
سياسة مثل سياسة تروتسكي لا
شك في وجود عصابات اجرامية تعمل
داخل روسيا ، ترى اشراها الضارة
بين الحين والحين . ثم لكنا
بريخت الى اننا - نحن الان - قد
تأثرا نأرا خاصا بالكتبات التي
علينا بها في بلاندا .. علنا ان
يلمع ثمن المؤلف الذي اغتفناه ،
نحن مخذون بالجراح والتدبير
وطيوسى ان تكون الكتس
حسابية . . .

وقرب المساء ، وجئت بريخت في
الصحبة اقرا د راس المال . . . قال :
حسن ان تقرأ ماركس الان ، في
وقت لم يعد أحد يقرأه من . خاصة
في بلاندا . فاجبت بانى افضل
دراسة المؤلفين الذين يلهون الجدل
حين تنتهي د مودتهم ، ثم مضينا
نناقش السياسة الادبية الروسية ،
ولدت - بشيرا لوكتاش وجاسيور
وكريلا - هؤلاء الناس ليس لديهم
شئ في بلادهم يكتسب عنه . . .
(وحاليا : مع هؤلاء الناس لا
تستطيع ان تنبذ دولة) ، قال
بريخت : - الاثر - بالآخر - هو
ان الدولة على كل ما تستطيع ان تقيم معهم
معهم ، لكن لا تستطيع ان تقيم معهم
جماعة ، انهم - وانما الامور -
اجعاء الانتاج ، لان الانتاج يجطلم
في حالة غير مريحة ، فالانتاج هو
ما لا يمكن توقيه ، وهم لا يريسون
الانتاج بل يريسون ممارسة السيطرة
على غيرهم الناس ، وكل عمل من
اعمالهم التقنية ينطوي على تعذيب لا
يمكن اغفله ، ثم انتقل بنا
الحديث - لا الذكر كيرب - الى
روايات جوتة ، لم يكن بريخت يعرف
من رواياته غير رواية واحدة هي
د صلات انتقائية ، وقال ان ما
يسميه فيها هو بلاغة جوتة وتكلفه ،
وحين اخبرته بان جوتة كتب هذه
الرواية وقد تجاوز الستين دهنش

دمعية واضعة ، ثم قال ان هذا
الكتاب عمل عظيم لانه لا شيء فيه ضد
التقدم ، في حين ان كل الدراما
اللاتنية - حتى الاعمال المتطورة
منها - ضد التقدم ، وحين قلت ان هذا
هو الرواية استقبلت استقبالا سيئا
لحين نشرت طبعها الاولى اجاب
بريخت : - اننى سعيد لسيما هذا ،
نحن الان لان شبيفسوس ، وبالسيوة
غيره ان مالا يطبق احتمال له
الان بوجه خاص فهو هذا الاستقلال
ضيق الاقل ، وليس هناك مكان آخر
وجدت فيه مثل هذه الحن المستقلة
للابح الاثني ، والحن المستقلة في
عصر النهضة انما كانت دولا في
مدن . ولوكتاش الثاني بالاختيار
لهذا فهو قارع بلا جهر غس
الاطلاق . . .

٢٢ يوليو :

قال بريخت الليلة الماضية : - لم
يعد لدى شئ في ان الفضال ضد
الانديولوجية قد أصبح انديولوجية
جديدة . . .

٢٩ يوليو :

قرا على بريخت فقرات من مقال
جدلى - جزء من صواره مسع
لوكتاش - كان يمدد انقرا
شئ ، والكلمة ، ورائتي راس حول
نشره ، خصوصها وان سرع
لوكتاش هناك في القبة ، كان نوما
في الوقت الحالي ، فاجبت بانني لا
الوفد ، فلهذا امور تتطرق
استطيع ان اتدله المتبحر هذا
بالسلطة ، وعليه ان تستثير برأي
واحد من هؤلاء الذين في التمة ..
الذين لك اعتقاد بينهم ؟ اجاب
بريخت : - لا اعتقاد لى بينهم ،
حتى اهل موسكو ليسوا اعتقادهم ،
انهم موثي . . .

٣ أغسطس :

في مساء ٢٩ يونيو ، حين كنا
في الصحبة ، دار بيننا حوار حول
امكانية ان تضم مجموعة بريخت
المعربة الجديدة بعض قصائده
من اغاني الاطفال ، وابتدأت
مناقشتي لهذا الاقتراح ، وقت ان
المقالة من القصائد السياسية
والقصائد الخاصة في المجموعة
ستعمل تجربة المني بولو كى كتابتها
وقلنا ، هذه المقالة ستل قيمتها
كبيرا اذا ضمت المجموعة ستايات
مناقشة من القصائد ، حين قلت هذا
ربما كنت اشير الى ذلك الجانب

الضخ في الشخصية بريخت ، والذي كان يوشع كل شيء الخطر قبل أن يتحقق ، قال بريخت : « أعرف أنهم سيولون عنى اننى مجنون . ولكن حين يكتل تاريخ عمدا هذا إلى أيدي المتكبل ، فستتلك معه أسباب جنونى ، والأوقات التى لحياها الآن ستكون المستقرة الخلقية التى يبدو أمامها جنونى ، كلما أروده أن يقول الناس : « هنى ! له كان جوتونا معتدلا » . قال بريخت أن مجموعته الشعرية الجديدة ستعبر عن اكتشافه لهذا الاعتدال ، وستعبر كذلك عن استمرار الحياة رغم وجود خطر ، وسيكون هناك أطفال دائما من حقهم علينا أن نخشى لهم ، ثم أضاف - فى عطف متوقع لما كان يسمح له بالظهور - حاجته لإضافة أغاني الأمثال فى مجموعته « أشعار من اللحن » ، قال بريخت : « يوبى ألا تهدل أى شيء نى نسالنا ضد كل هؤلاء ، ان ما يخطون له ليس بالفرح المين ، الفكر هذا دائما أنهم يخطون الثلاثين ألف مستأقبة ، يشمون تخطيط أشباه موهبة ، يربطون برودة ، ولا شيء

يراقهم ، وهم يؤمنون أن يكتروا كل شيء ، كل خلية حية تتكلم تمتد شرايتهم . بهذا يجب علينا أن نكر فى كل شيء ، انهم يجهضون الاجنة نى أرحام الانهت . ولا يجب أن نهمل نحن الأطفال مهسا كان السبب . « حين كان بريخت يتحدث على هذا النحو شعرت بقوة تجلحنى ، ليست أقل من قوة الفاشيين » عنى انها قوة تنبع عن عمق فى التاريخ ليسدون الحق الذى تنبع عنه الفاشية . كان شعورا غائرا ومفصلا وجديدا بالنسبة لى ثم اتخذت الفكر بريخت اتجاهها لفر زاه من حدة هذا الشعور : « انهم يخطون لنبار يرجع بنا إلى العصر الجليلي مرة أخرى ، انهم لم يستولوا على بيتي وبركة أسبكي وميائتي قط ، لكنهم انتزعوا أيضا ممرضى وميهرى ، وأنا حيث ألق الان لا أستطيع أن أعترف - من حيث إنبدأ - بأن شكبير كان موهوبا أكثر منى ، ان شكبير لم يكن يستطيع أن يكتب ويضع أروافه فى نرج مكتبه لكن بما أستطيع اننا كانت شخص موهبة تنضم أمامه ،

أوائل أغسطس :

دنى روسيا لمة ديكتاتورية تمارس لحكم البروليتاريا . وعلينا ألا نزالا نقابت بمسائل لمسالمات البروليتاريا ، بمعنى انها تصارل الوصول إلى رفاق بين البروليتاريا واللاحين مع اهتمام خاص بمصالح الطبقة الأولى ، « بعدها بإيام تحدثت للعاملين » ، وتصور هذا الأمر كأننا خرافيا نلتقطه الشياطين اهراق البعاز : سمكة ذات تروى أو غير ذلك من الكائنات العجيبة .

٢٥ أغسطس :

حكمة من حكم بريخت : « لا تبدأ بالاشياء الطيبة فى الماضي ، بل أبدأ بالاشياء السيئة فى الحاضر » .

109

عصر شعراء البيت الذي بدأه الفاروق
في منتصف القرن الماضي ثم عاصر المرحل
الكلاسيكية - شوقي وحافظ وطهري -
ثم شهد ظهور المدرسة الرومانتيكية التي
عرفت باسم مدرسة ابولو في الثلاثينات
ثم عاصر البوذية الشعبية الحديثة وهو
التي مازال الجدل محتدما حولها رغم

يُسمح لأقدام شعرائها ، ورؤسهم
الضامير على التصنيف ، فالك تجد شقة
لا تسك فيها إذا أوتيت أن تحب
بواحدة من هذه المدارس بشكل نهائي
لأن كل المدارس فتقلعه تقريباً بعدا
عن كل المدرس الحديث ، والمدرسة تتغير

مترجمة الشعر الحديث • بإطبع سبتنج
رأيت تنظر الى هذا الكرم الهائل من الشعر
الذي يذكره أحيانا بالبحراني وأحيانا
أخرى بالبهاء زهير وربما بالعجاس بن
الاحتف فتقول يأنه من شعراء البيت
الذي ارتكبه والى متى بعد على

والإتجاه ، وقد تُؤخذ بهذا اللفظ من
الإنسان الإنساني ، التي تتجلى في

الاجتماعية والتي تجلي في
الوجدانيات وشعر الناس الاجتماعيا
تقول ربما كان رومانتيكيا . وقد تكون
النظرة ساذجا فتقول هذا واضح وليس
شاعر ولكنه غير منصف بلا شك اذا
اكتفيت بأحد هذه الأوصاف دون أن
تجاوزها وقد تكون أشد انصافا لو أنك

تجاهلها وقد تكون أشد انصافاً لو أنك
 جمعت هذه الاوصاف جميعاً وأعطيتها
 للشاعر على الجندى . وقد يتصور المرء
 أن هذا الشاعر لم يطرأ رفته تد ادراك شهره
 عصره ، وأصطلي لكنه موضوعاً بريحا

تأمله مثل المرأة أو الطبيعة
يمكن الحقيقة ان الضمائر كان
واكب بالضمائر بالغ الرصافة كل ما
جرى على ارض وطنه منذ التمهيد

تَجَمُّعْتُمْوْا مِنْ كُلِّ جَنْسٍ وَامَّةٍ ۝
وَلَوْ لِحِفْظِ السَّخْمِ هَلْ حَفِظَ السَّلَامُ ؟

والأفما بال الشمام دهاؤه *
تسبيل وأنتم عن ملاحه هم

وكان يدين إلى كتاب سيرة محمد
الاستعمار الفرنسي، ولا شك أن وطنيته
ومحبه الحق بالظلم الاجتماعي الذي
تتنامينه الطبقات الغلبت على شعره من أجل
ألمة صورية لنفسه بل شعره صرحه أيضا
ويوما كان يراه في القاتل جرحته
أشعره شعره خالها من السوء الخبيث الضمير
في تلك الكائنات التي كان جنبا
بالوصول إليها ، ولا كان تطلعه بشك
في تلك التي تهربت الضمير ، هذه
الظورية التي تطلعت تعتمد على اليد
الخارجية الألوكةات أخلاقه وعقله فهذا
الجنس يتبع وطن أن الشاعر في
الجنس يتبع وطن أن التشديد الألبس
والانتماء الوطني فوق ما حصل
بالفعل في حياته ، وإذا كانت صفاته
النفسية قد ظلت شجرة ما من هذا العصر
تلقا عليها جنودا بعدم اهتمام القادة به
وانتماء كبيرين ولا شك أن النضال الأبي
ستطو بأضافة قريته التي توارثها
الشعري ولو أن لجنة تألفت لإصدار
مقتضيات من شعر الإسلام في الجند
توثيقه اختيارا لفعل نابعه في الوطنية
والجنديات والمساواة الاجتماعية مغلة
التي من شعر الجندي

محمد إبراهيم أبو ستة

مهرجــــــــــــــــان کان ۷۳

عقد في الفترة من ١٠ الى ٢٥ مايو مهرجان كان السينمائي الدولي الفرنسي السادس والعشرين . وقد تشكلت لجنة الحكم برئاسة الممثلة انجريد بيرجمان (٥٠) فليغا من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٦١) وعضوية الكاتبة البريطانية لورنس داريل والمخرج الامريكى سيندى بولاك وجان ديونوى ورونولفاينثيرا وابوريسلاف ميتشالك وفرانسوا توريه وليفو بيستلى وروبرت روجو بيستينسكى الى جانب روبرت انزكو وصاهويل لاشيرو والكسندر مارين لانفلام المصيرة .

الافلام الطويلة

مرحبا في مسابقة الإعلام (الطولية) ٢٠٠٤
 فيليبينا بن ٢، دولة ٤، وصرح جويس بريس
 السكرتير التنفيذي للمهرجان أن
 إدارة المهرجان تتحمل مسؤولية اختيار
 الإعلام لمرحلة ٢، لأن رفعت تحفظ
 الزمارة الخارجية الرئيسية والمساربات
 الأجنبية لم تكن يحدث في الماضي - وأنها
 اختارت هذا الإعلام بن ٢٠٠٤ فيلم
 بدلت بها ٢، دولة ٤. وقد أقرت
 الولايات المتحدة الأمريكية بخسبة الملاحة
 وأعطاهل باريمسة الملاحة وفرنسا الملاحة
 والمثل بن فيليبينا وأستراليا وإيطاليا
 بنغليين وكل من كندا وسويسرا والبرتغال
 والاتحاد السوفيتي والمجر وبولندا بيلم
 واحد على النحو التالي:

الولايات المتحدة الأمريكية :

- ١ - خيال المآته أخراج جبري شافير
- ٢ - أنجيل العهد الجديد أخراج دانيال جرين
- ٣ - آثار أشعة جايا على زهرات الخريزيت أخراج بول ثومان
- ٤ - جبري أخراج ارثر بارون
- ٥ - أنثرا حليد الزرقاء أخراج جيمس ولبي حوربي

- ٦ - نريد كولونيات اخراج مساريو
موشيلي
 - ٧ - ألمانيا البيضاء اخراج لويجي زابا
 - ٨ - فيلم من الحب والفوضى الخراج
لينا ورتولر
 - ٩ - هابلت اخراج كارميلو بيني
- قرنس :
- ١٠ - الام والمعاذرة اخراج هانز اوستاشي

ومختذا والدان ترك والمجر ومصر على النحو
التالى :

11-20

- ٢٥ - الراس اخراج امل بورچيه
٢٦ - حظ سو اخراج حان بول نوروك
الولايات اتخدده الابريكية ■
٢٧ - عني النشاء اخراج رينكافروكس
■ كندا:
٢٨ - بالابلوك اخراج بوريسلاف بوجار
■ الدانيمرك:
٢٩ - سكابتين ٧٢ اخراج كلوس ويك
■ اجر:
٣٠ - ١٨١٢ اخراج شاندور
رايبيتو شلار
■ مصر:
٣١ - حوار اخراج كمال الشينخ

خارج المسابقة

مرض خارج المفاصل ه الام مليلة
من ه دول هي الولايات المتحدة الأمريكية
ومرئسا وبريطانيا والسويد وكندا على
النها التالي :

الولايات المتحدة الأمريكية :

- ٣٢ - سيدة نفى الشار الحزين
أخراجه ميدنى نور
فرنيسا :

٢٢ - الليلة الأمريكية اخراج
رئيسه: د. د. د.

10

- ٢٤ - بيت الدمية اخراج حوزيف لوزي

53

- ۲۵ - مساجد و هیئات اخراج انجمن
بررسی
کند :

- 57

١١ - الكوكب المنوحش اخراج ربنه لالو
... لاتن نوبو

المادة ١٤

- ١٢ - الولیمة الجبیری اخراج ملرکو
مباری

۱۳۔ بالہ جن و

لینسای انفرسون

71-1-1

- اسبانيا :
- ١٥ - أما والدائب اخراج كلرولوس سوراً
- ١٦ - الصورة الاخرى اخراج انتوني

1998

بلجیکا :

- ١٧ - جميلة اخراج اندريه ديلفو
١٨ - الخرب البعيد اخراج هانك مرييل
■ هكذا :

۱۹ - ولاد خطاب

- سويسرا :
٢٠ - الدعوة اضراج كلود جوريتا
■ البرتغال :

٢١ - مع القدر

الإيمان بالله

- ۲۲ - بیتونی ۷۳ اخراج فرینش کاردوش

١٠٠٠

٢٤ - المصحح آخر

- ## الافلام القصيرة

الأفلام القصيرة

٧ افلام من ٦ دول ١ بثها اشتركت في
مسابقة الافلام الطويلة ايضا . وهذه
الافلام هي غيلان من فرنسا وغيلم واحد
من كل من الولايات المتحدة الامريكية



« سوء تعارف » .. الجائزة الكبرى

وذلك « لرؤيته العمدية للمجتمع الاستوفاكى .
التيلم الفرنسى « الام والعاهرة » وذلك
« لخلاصه وحساسيته فى التعبير غير
التلدى »
جائزة اللجنة العليا الفنية للسيتما
الفرنسية
التيلم السويدى « سراج وهيمات »

شهادة تقدير

الديلم الامريكى « رؤيا الثانية »
جائزة المركز الكاثوليكي الدولي للمسينما
والفيلمون

اليوم العربي « خيال الماته »
مع الانتصرة إلى أهمية اليوم العربي
« آثار اشاعة حبا الى زميرات
العربيت » واليوم الشبلي « الصلاة
لم تدع كالمات »
جائزة الحركة الانجيلي الدولي للصنما
والفيلقزيون
السلام السويسري « الدعوة »
مع الانتصرة إلى أهمية اليوم العربي
« خيال الماته »
وقد كانت جوائز الهيئات فاصلة على
الامم المعلقة وراسلت اسبوع التصاد
اليوم برنامج دراسات وثائق فقط

جائزة خاصة :
 انيلم الفرنسي « الكوكب المتوحش »
 جائزة لجنة التحكيم الخاصة [منافسة]
 النديم البولندي « الصحة »
 الفيلم السويسري « الدعوة »
جائزة العمل الأول
 الفيلم الأمريكي « جيري »
جائزة احسن ممثلة
 الممثلة الأمريكية جوان وود وارد من
 دورها في فيلم « آثار الشعة جاماعلى
 «عربات الحرب»

جائزة أحمد بن ميثل

الممثل الإيطالي جيان كارلو جيليني
عن دوره في فيلم « فيلم من الحب
والقوשי »

الجائزة الكبرى للأفلام القصيرة

الفيلم الكندي « بالبلوك »
 جائزة لجنة التحكيم للأفلام القصيرة
 الفيلم المجري « ١٨١٢ »
 مع الإشارة إلى فئة عدد الإثلام
 القصيرة التي عرضت في المهرجان،
 وغرورة الزيد من الاعتماد بهذا النوع
 المؤثر من الأفلام
 جائزة الاتحاد الدولي للفصحين
 السينمائيين « منافسة »
 الفيلم الفرنسي « الولية الكبرى »

١٩٤٨] حيث عرض نيلا اعد هنرى
لأجلوا يتفهم مقتضات من اللهه منذ
عام ١٩١٦ ، وقد حضر الحفل وزير
الثقافة البلجيكي .
واحتفل المنيايك الفرنسي بحضور
المرح الأيريكى فرانك كبرى الى الهجران
وقرر اعد اللهه وهو « امراة
الممجازات » .

السوق الدولي

هرش في السوق الدولي للسبينا نحو
٢٥٠ ليما من مختلف دول العالم من
بينها الفيلم الكويتي « يس، يايسر »
إخراج خالد الصديق والفيلم الجزائري
« ديسبر » إخراج محمد الأخضر جابيا.
وقد كان من بين أهم الأعلام التي هرشت
في السوق الفيلم البولندي « الزواج »
إخراج اندريه فايدا.

المستفيضة الفرنسية

لأول مرة أقيم في إطار المهرجان معرض للطبوعات السنائية باسم « المعرض الأول للطبوعات السنائية الفرنسية ». وقد تضمن المعرض العديد من الكتب وأهم الجولات السنائية الفرنسية .

**المسابقة الدولية الاولى
للملصقات السينمائية**

ولاول مرة اقام المهرجان بمسابقة
للخلفيات السينمائية باسم « المسابقة
الدولية الاولى للقصص السينمائية »
وقد اشترك في المسابقة نحو ٥٥ ملحق
من مختلف دول العالم ، وتنافسوا
في مسابقة السينمائية والبيان وابطالها الحائزة

نتائج المهرجان

فازت الولايات المتحدة الأمريكية بثلاث
جوائز ولبنان بجائزتين وكل من بريطانيا
وابيغاليا وسويسرا وكندا وبولندا والمجر
بجائزة واحدة قسمت لجنة التحكيم
الحائزة الكبرى وجائزتها الخاصة ولم
تمنح جائزة للأفراج . وفيما يلي النص
الكامل لجوائز المهرجان وجوائز الهنات:
الحائزة الكبرى : متفصلة : وجوائز

الفيلم الأمريكي « خيال الماتنه »
 الفيلم البريطاني « سوء تصرف »
 مع الإشارة إلى أداء جين صالان
 وآل بانسون في الفيلم.
 الأول وإداء مفرقة
 ميازي في الفيلم الثاني .
 جائزة كبرى خاصة من لجنة التحكيم :
 الفيلم الفرنسي « الام والساحرة »



وكلمات مضیئة

تحتفل الأوساط الأدبية في العالم بالذكرى الخامسة بعد المائة لميلاد الأديب الروسي الصالحى ، ورائد « الواقعية الاشتراكية » فى الأدب : مكسيم جوركى . .

ويكن تقيس حياة يكسيم جوركي ،
الذي ولد في ٢٨ مارس ١٨٦٨ ،
كلمات طليقة : طلبة باسمة ، واصدام
بمخاضا منذ البداية ، وتقلب بين
اصحال عديدة ، وتضع طويل بين
الغن والثكب . قال له الرجل الطبيب
حينما ظهر سفيحة كان يحمل بها : « انتج
ميك ، ولا تشغى في الدنيا كالنحلة ،
واقرأ الكتب ، ولا تشغى اجدى لك من
الفرادة » . ووصى الفتى التسخمة ،
حاصل الانتاقي بجماعة في مدينة قازان
لكتب تكتب ، بالفتح بجملة اخرى
انضال النيساى . كانت الجملة تخرج
في خلط من الفرق والمذاهب والاتجاهات
النيساى : اعضاء الجماعات المرمية
المؤتمنين بخلقها من طريق الاشتبا
المردية ، واهضاء العطفات المرمسية
الذورية ، واهباع توسلتي اثنائين بفرقه
والفتوى والتمودة الى الريف والبداوة
والغامريزوالتوازيين والجرسيروال
البويس القيسى . ظل ليجوركي باخنيو
يعمل حمالا على رصيف الشتر اثناء النهار ،
ويقرأ في ساعات الليل ، ثم حذا الخريف
وتوقف العمل ، ووجد جوركي نفسه

بلا مل ولا باوى ولا طلم ، هي ليلة
خريف ، كان يربط من الصبي والبرد
قرب ماهرة جريجه ثبتت بلمه من
بلاذ ، واقد رفينا فاستنسه ، ثم
تصد الى قارب مطرب في الضلعي
ابصتيا به من الريح والمطر ، حيث نانا
مجاورين ، وكانت هي تشغفني مطول
الليل ونصمه الى صمرا غير وحن
كامل صير لتفثته وتسجيم انما هو
يربجت بين ذرفها من شدة الصبي ..
وبقول لي قصة ملقا لي هذا اللقاء :
« انه حسن مخيرة الصغر ان الذي
كنت اشفق نفسي بالذئب ...
في مستقبل الاستمالة كلها ، واعلم
بالقورات السيسية واعدة نظيم المتج
والدارا كتب الفلاسفة والمفكرين الى يخل
الي ان مولانا التسليم لاجلهم ،
تنتهي ماهرة يلفروها ابراهيم والجبتي
الذمت من جسدها وانفلسا قبل ان
يأخر في مساعدتها ، وبالكث تافرا
الى لو كرت ... »

وتنقلت به الحياة ، فعمل عابلاً في
مخبز ، ثم سافر إلى الريف حيث عرف

وجه الحياة هناك : استقلال الانسانيين
وكبار الملك للخليجين ، وانكسار هذا
القيم على حياة الفلاحين ومخلفاتهم
المتصلة بالحدود والجنح والصراع مع
الرزق القليل ، ومن القرية خرج طراد
الى مدينة تورينكا حيث عمل حارسا
احملة السكك الحديدية ، رأى بمينيه
كيف يشترك مدير المحطة مع بوليتي في
سرقة اجولة القيق ، وبعدما بدأ جولته
الواسعة في انحاء روسيا عاد هدف
سوى معركة ومناخ العتيبي ، يميل
الى ميل بقاءه ، ويسير على قدميه ،
يراقق النشربين والصمعيك والبوليتيين
وشاذان الاثاق ، يلتقي عتيبي على مستعمرة
ويصطرن في وجهه الال الصغرى
والخصيفات والتجارب ، الى جانب
النولجا سار ، فتلقي الدون واوكراين
الظرف والوفات ، واستقر عند الطواف
الطويل والوقت عتيبي حيث عمل في
مرحلة لتلك المحيطة وانغمس في
الرفقة الثورية السرية للعمال والفتيان
المدينة . ودا جوكي رحله مع الكتابة

كتب قصته القصيرة الأولى : ماكار

٥ السحب تتجمع فوق صلابة البحر
العريضة ، وتزيد العاصمة الثائر يخلق
طائرا كالقرب بين السحب . الحائلة
والأبواب الغاضبة . انه يطير ، ويجنحه
يشق الأمواج ، وبالأجنح الار . يمزق
وجه السحب ، انه يصيح والصحة تصفي

سرا بين موسكو وبيرسبرج للمشاركة في منع ثورة ١٩٠٥ ، والتي بدلت في الكثير بأعمال الاضراب السياسي العام ثم الانتفاضة المسلحة في شهر ديسمبر في موسكو وبيرسبرج ، لكن القوى الرجعية تبكت أخيراً من أبعاد الثورة وضحاها برهشية ، ففر جوركي إلى إيطاليا .

وفي ١٩٠٦ أخرج جوركي روايته الشهيرة « الأم » التي تعد ملحمة تاريخية لنضال الشعب الروسي من العسك والفلانين والمتخلفين الثوريين في أعقاب نقل ثورة ١٩٠٥ ، وتصور حركته وصرخه المستمر وهو يستعجم فزاد من جديد قبل أن يطلق في أكتوبر ١٩١٧ كالثقافة بفتح مبرات فنون طريفة من العمودية والاستغلال والاستبداد . في « الأم » لم يعد الشعب الروسي هو ذلك الشعب الإيكم الصلبت عند تولستوي ، أو المسيح الشهيد عند تسوتسيفسكي ، أو الذليل اليائس عند تشيخوف ، بل أصبح أفراد الشعب هذه جوركي أبطالاً إيجابيين مرسومي أهدافهم ، ويكادون من أجل مستقبل أفضل وحياة جديدة بتحرره من العداة والكرامة والموت والخلوف .

وفي أثنى ، كانت حياة جوركي مليئة بالنشاط السياسي والانتاج الأدبي خاصة خلال سنوات الردة الرجعية — ١٩٠٦ — ١٩١٠ وما سبقتها من التشنجات خلبية داخل صفوف الثورة انتقد جوركي بشدة أولئك اللذين الذين قفلوا من الثورة والكثاف ضد القيصرية وجو التمييز النعسي وروح التشاكي التي شاعت في « ادب تلك الفترة » . وطوال أعوام التي لم تنقطع مخالبته لزملائه اللوريين في الخارج والاتصال بهم في الداخل ، كما قتال مع الزعيم لينين عدة مرات وشتيت بينها صداقة وطيدة وتوفّر له خلال أبحاثه في إيطاليا أن يكتب دراساته في تاريخ الأدب الروسي كما كتب الجزء الأول من سيرته الذاتية بعنوان « طفولتي » وسورا أبيه من تولستوي وتشيخوف وغيرهما من الأبياء الروس ، كذلك بعض الأعمال الروائية والنقصية .

وماذ جوركي إلى وطنه في ١٩١٢ بعد صدور عفو عام من اللتين ، وتم جوركي وتلازم مجهود كبير لمفسح عمليات

التعمر المضللة حول «الزنب العائبة» الأولى التي راح سبقتها أكثر من ثمانية ملايين روسي ، ثم قامت الثورة الاشتراكية في أكتوبر ١٩١٧ ، وتم اسقاط القيصرية وإعلان انتصار الاشتراكية وبدأية عصر جديد في التاريخ . وانتخب جوركي عضواً في مجلس سوفييتات العمال والفلاحين والفقود في بتروجراد ، وأسندت إليه مهمة بناء وتنظيم الحركة الثقافية في البلاد في عهدا الجديد ، فتولى الاشتراك على مجلة « الحياة الجديدة » وأصدر عديد من الصحف والمجلات ، وأنشأ دور النشر الخاصة بالأدب العامية وآداب الفهميات المختلفة في الاتحاد السوفيتي ، والمساهمة في تطوير آدابها وفنونها الشعبية .

وقد بجل جوركي جهدا كبيرا في جمع التراث القوي واتخاذ الإجراءات الضرورية أثناء الثورة الحادة والتدخل الإبريالي من أجل اتخاذ الأعمال الفنية والتصف النافذة والائر الحضارية والمسارح ودور السينما والكليات . ولم تكن بداية الثورة الثقافية أمرا سهلا على أعقاب انتصار الثورة الاشتراكية وظروف الحرب الأهلية والتدخل الإبريالي ، وقد اضطرم جوركي وجساريين المتطرفين الألمان والذين دعوا إلى « الثقافة البروليتارية » ونيد وتحطيم التراث الإنساني في الأدب والفن لأنه فرائ مجتمعات اقطاعية ورأسالية ، وأنه يجب على الطبقة العاملة ألا تتعلم شيئا من اليورجوازية بل عليها أن تحطم الماضي كله وتبنى لغاتها الجديدة ، كما سلكت هذه الدعوات أيضا عند جماعة الخطرين اللوضويين في الطبقة بعمم اشتراك الملمانو الخفاء ، القداى في بناء الاشتراكية وعدم اللغة بالثنتين والفاء دراسة التفرخ واداب اللغة ... الخ .

كل جوركي يتلقى مع لينين في ضرورة الوشوف بجزم ضد تلك الدعوات اليسارية اللوضوية لاثنا بكسر على المركسية مضبوينا كيمسة بنظرة لكل ما أبعثه الجحرة والثلاثة الإنسانية في الماضي ، ويؤكد أن المجتمع الاشتراكي الجديد لا يمكن أن يتم من طريق عدم وأعداد التطور الوحيي المجتمع بل يجب الاستفادة من التراث الثقافي الذي يلفسون عناصر ويطور للثقافة الديمقراطية والشعبية التي انتجتها الطبقات الاجتماعية في بداية ظهورها كتوة تورية إيجابية ، والنظر إلى هذا

التراث الثقافي يمين الأناك والمفسره في ضوء المنهج الاشتراكي العلمي من شأنه أن يساهم الاستفادة منه ، وأن يخلق طرازا جديدا من الثقافة الاشتراكية . وسامت مسعة جوركي كثيرا نتيجة الجهد الذي بذله في السنوات الأخيرة فصار إلى إيطاليا للرعاة والمصالح ومن هناك ظل يتابع أحداث وطنه والاشتراك على النشاط الثقافي وتوجيه الأدباء الشبان . وقد مكث خلال هذه الفترة على كلية الجزء الثالث من سيرته الذاتية وكان قد سبق له أن أصدر الجزء الثاني منها بعنوان « بين الناس » في ١٩١٦ ، كذلك كتب بعض الأعمال الروائية والمرحجة في هذه الفترة ، وفي عام ١٩٢٨ عاد جوركي إلى وطنه مستغلبه الصاعبر والدولة استغلا حارا بامتباره الوجهة الإيجابية والتنية للثورة الروسية .

وقد كان من أثر الثورة الروسية أنها طرحت مهابا جديدة أمام الكتاب والفنانين ولم تعد الواقعية الانتقادية القصبة مسالحة للنصير من واقع وحيات المجتمع الجديد ، وأصبح من الضروري الإهداء إلى طريفة جديدة للتعبير تتلام مع الاحتياجات والفطليات الجديدة ، وكانت الثقافة الاشتراكية هي إلى جهة النظر الجمالية لطيفة العمال والفلاحين في الأدب واللن ، للتعبير من الحقيقة الموضوعية وتجسيد ملامحها الحية في تطورها ، وبها تمكن من صور الحياة والعمل الثوري من أجل تغيير المجتمع . يقول جوركي : « أن الواقعية الاشتراكية نظر إلى الوجود على أنه نعل وخصير الوجود تشاملا بجدعا عليها نمو المواهب الفردية نوا لتتفرد حتى يستطيع أن يظهر ذوى الطبيعة ويستيقظ بلياقة على الأرض ، ويحمل منها مكانا رائعا لسكنى الجنس البشري » .

وكالم جوركي في سنواته الأخيرة ضد خطر الثورة والغاشية الذي أخذ ينمو ويستبد في أوروبا ، ورفع صوته محذرا من طبيعة هذا الخطر قبل أن يتبته إليه الكثيرين بسنوات عديدة . وفي ١٨ يونيو ١٩٣٦ لفظ بكسيم جوركي أنملة الأخيرة مبتارا برشه الشديد ، وأن لهذا الطب الكبير أن يبدأ ، ليعيش بعدها في سفير الإنسانية التي طمأ أحبا والتي أبيه في خدمتها والدفاع عنها .

وليع أمين .

«أرض السب» (اليهودية)

رواية سوفيتية ضد الصهيونية

هذه العلاقة بين الإيديولوجية النازية والأهداف الصهيونية تندرج للشباب حاييم ولغراء روايته كذلك - حين تتحول في التطبيق إلى تفاهم بين قادة النازية والصهيونية - في أرض اليماد يقول نصي أوتاي ، الذي كفل حاييم بإيداعه ، أن البرغر ادلر وسيدار جوللمان مديري أكبر بنوك إيطاليا يتعاونان مع موسوليني .. يقول له نصي وهو يحاوره : « اعتنينا رومانيون ؟ كلا ، أنتها يهوديان ، بئنا فليما ، وبئنا نطلب بالمول المصروفه وبالنسيبة .. فلان اسحق لايي على رأس المكتب الإيطالي المشهور للمحرمات العسكرية » الانسادو ، « والآن .. » اذرى اى رؤوس تفكر ايها الإيطالي الشاب ؟ « « وهم حاييم ، كما يقول الملك - من التجمعات الزخام التي يرأسها سيمون سولومون في فلسطين هم صورة من التمسك الشداء والبيئة « ولهم كذلك أن وراءها جميعا « رؤوس » بكثرة بل « بطول » الذي لاتصمى لآييه لهم حاييم هذا واستبد به اللزع .

واكتشف حاييم أولديتر اكتشافات أخرى برومة في « أرض اليماد » اكتشف أنهم قساة غلاظ الطوبى إلى أبعد الحدود وقد كذلك أراحه . وهي نداء بوائنة لعبت على الانتصار ، وحين لاحظ له أول عزمة للعرب ، ترك حاييم أرض اليماد إلى غير عودة .

يقول الناقد الروسي في نهاية مرغه : يصعب في حقل هذا الأخير مرض كل أحداث الرواية وشخصياتها القاتونية .. يكفي القول الآن أن يري كورسيتوف استطاع أن يكتب رواية جيدة وعكبة صالحة دين الصهيونية » .

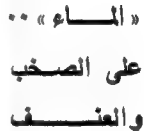
أو أمكب حتى الموت . لا يمتنى نازيا بليس التمسك إلى أو فاشيا بليس التمسك الآخر ، أرجو أن نتمنى ، أنني لآعلق أية آمال على قولة اليهود القوية التي يدعوها الصهيونيون من فوق أسطح المنازل فلما لا أوبن بوجود ملكوت على الأرض كل ما أريده هو أن احفظ بجلاي على هذه الأيام الخفية » .

هذا الشاب الذي بصفتهم بانه رجل ضعيف ، يقوم برحلة بحرية طويلة حتى شواطئ « أرض اليماد » ، وينجو من الموت بعد أن أصيب بالتهود ، وأقام ايلا في قبرص ، هذا الشاب - حاييم فولديتر - أصبح شاهدا على النشاط المحرم الذي تقوم به المصليات الصهيونية فوق ظهر الباهرة التي تفلل اليهود من أوروبا ، ثم إلى فلسطين . أنهم بلا وسايا على الإطلاق ، لا يتورمون من شيء ولا يتمفنون . وفي قبرص - في بيت زعيم اليهود الذي آواه أثناء مرضه شهد حاييم وصول يمحوت « لجنة العمل » الصهيونية إلى فلسطين بأش اليم برسلة . كان الميسموت يتمسكت في الانتصاع على النحو التالي : « ألكروا كليت هرزل حين قال كليا أزداجات المذبح هناك كليا التريت لحظة حل مشكلة مجرة صميتا إلى فلسطين ، لو لم يكن خطر بوجود .. لاخرمنا نحن ، والذين يرفضون وجهة النظر هذه لايقمن بطلها سوى مخامر مقله والنسائية وثالثة يؤخر تحقيق حلم الآباء والإجداد . « ولنا أقول أنه لولا النازية وتفسيريتها المتصورة بالاستطاعت الانجليزية المساعدة ن اخوتنا وأخواتنا أن يعرفوا الطريق إلى أرض اليماد » .

● نشرت مجلة « الكور » الأدبية التي تصدر في موسكو رواية لروائي سولتي شاب هو يوري كولمستيفوف بعنوان « أرض اليماد » ، وأثارت الرواية اهتماما واسعا لأنها تعرض بجرأة قضية الصهيونية ، طبيعتها العنصرية وعملاتها المالبيرانية ، وكراهيتها للانسان .

من هذه الرواية كتب الناقد السوفيتي اناتولي جروموف ، يقول : « إن المصوبات التي تواجه كاتبا يريد التعبير عن مثل هذه القضية يتكبد روائى مصوبات مختلفة ، واسطع ان تصور مشرات الأسئلة التي لابد وجهها الكاتب لنفسه من أين يبدأ ؟ وأية مرحلة من مراحل تطور هذه القضية جذرية بالاهتمام أكثر من غيرها ؟ وكيف أوازن بين الوهمس والتاريخ ومصادر الإبطل ؟ « وقبل كل شيء ، فلان الموضوع الذي اختاره الكاتب يتطلب درجة من المعرفة بالتاريخ والجغرافيا والمسيحية والفلسفة ، كذلك الفلاسفة النشوية والنشوية والدينية ل هؤلاء الناس الذين اختارهم ليكونوا موضوعه الأدبي .

إذا وضعنا هذه المصوبات واحدة إلى جوار الأخرى استطعنا أن نقرر مدى الجهد الذي بذله الروائي الشاب يوري كولمستيفوف . له أشغل أن يبدأ بتلك الفترة المضطربة أعظم الاضطراب في تاريخ أوروبا .. حين بدأت المانيا النازية « تظم البلاد واحدة بعد واحدة » وقرر حاييم فولديتر ، وهو شاب روماني من أصل يهودي ، أن يهاجر من رومانيا إلى فلسطين . لم يكن حاييم صادرا من أية فواع دينية أو إيديولوجية ، كان يمسألة يريه أن يثقف حياته . يقول حاييم لمدني روماني في مثل مره : « إذا جاء خطر إلى منا فلنا وائق أنني سأسأل أو أشتق



- 178 -

طقوس الحب والحياة على المسرح الانجليزى

صبرى حافظ

..وقلت نلأبدأ بهذا الجنس المسرحى الهجوئى .. لكن كيف يمكن أن اختصار واحدة أو اثنين من بين أكثر من عشر مسرحيات من هذا النوع وهذه تعرض على المسرح هنا .. وبدأت أبحث عن تجانس آخر ، وقلت فلأخذ من سبعة عروض المسرحية بقاياها .. وكان بين هذه المسرحيات الشيلية [الرابى] ثلاث مسرحيات تجاوز ما تقدم من عروضها آلاف عروض وفى [هير - لمر] و [آره كلكتا] و [بصصوع المسيح أعظم نجم] وبدأت بمسرحية [قسمر] ليس لقط لأنها أطول هذه المسرحيات عرضاً فقد تجاوز ما تقدم منها ١٧٠٠ عرضاً ، ولكن أيضاً لآتى كنت قد سمعت وقرأت عنها من قبل كثيراً .. وذهبت إلى مسرح شالفسبرى الذى تعرض فيه مسرحية [شعر] و لأول وهلة فاجأتني أسرار الدخول .. كنت قد سمعت من أرباع أسعار المسرح فى إنجلترا لكنى لم أكن أصور أن هذا يعنى أنك تحتاج إلى أكثر من جنيه لتحصل على تذكرة فى أعلى أعلى المسرح !

ما إن دخلت إلى المسرح حتى شعرت بأنك غريب وسط هذا الجوهر من

بنسبة اقتراب میده السوى .. كانت هناك [ريتشارد الثاني] و [سبدان سن بيرونا] و [رويسو رچوليت] وقراءات من الشعر الشكسبيرى . وكان هناك عدد من المسرحيات الشهيرة التى شهقنا بعضها فى القاهرة مثل [بيت القمية] لآسن و [يرما] لدوركا ، ومسرحيات لوجين أونيل [الإمبراطور هونز] و [فينسى ويليز . ومسرحية تدريبية لأربابل ، هى أ طقوس من أجل التآكل الأسود] فضلاً عن أكثر من عشر مسرحيات من تلك النوع الذى يدعوها مدنا بالمسرح الشابل الذى يسمى هنا بالمسرحيات الموسيقية بينما بحسب بعضنا أن سطق على نفسه اسم [Regue] ويوشك هذا الاسم أن يصبح حساً مسرحها له خصائصه المتبيزة كالإحناى التى عرفناها من قبل من كوميدىا وقراجيدىا وغارس ويطوفرادا وبيرلييسك ونسرها .. والرفيو هو ميل مسرحى يتكون من مزيج من الحوار والرقص والفناء ويستهدف عادة السخيفة الناشئة من الأحداث أو المصادات أو الإنكار السائدة .. وينطوى دالاً على نعمة من التذلل الحاد .. وتحت هذا الجنس المسرحى الجسد تتدرج عدة مسرحيات تجاوزت شهرتها العالم الغربى وسمعت عنها قبل أن آجى إلى إنجلترا

فى لندن ٢٦ مسرحاً كبيراً و ١٤ مسرحاً تدريبياً وثلاثاً للمسرح وثلاثاً بمسرح الهواء ، فضلاً عن ١٢ مسرحاً فى ضواحي لندن - فاهرك من المسارح المتعددة فى أكسفورد وكمبريدج ولينز ومانشستر وغيرها من المدن الكبيرة والصغيرة - هذا من لندن وحدها ، لكن من سمين مسرحاً أو عرضاً تقدم على خشبة المسرح اللندنى وحده خيل لفة . كيف يمكن لغيره أن تحلف إلى هذا العالم ؟ ما هى أهم المسرحيات التى تعرض على خشبة المسرح اللندنى هذه الأيام ؟ أودأ سؤالى غربياً : كيف يمكن لشخص أن يحيط بكل مايمرض على المسرح اللندنى مما كانت درجة اهتمامه بالمسرح ؟ .. ولكن ثمة جولة أسبوعية هبة أن تجيب على سؤل سؤالك هذا هى [ماذا فى لندن الآن أو] ماذا يقدم فى لندن] يبعث من هذه الجولة ، ووجعت فيها تفاصيل مقدم فى كل هذه المسارح العديدة التى لعصبتها قبل سطور .. ومع التفاصيل بدأ الاختيار صعباً .. كان هناك موسم لاسال مولير تقبى الكوميدي ترانسيز على المسرح اللندنى بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على وفاة مولير فى [الاولديتريا] وكان هناك اخراج جديد [لكمت] فى [الاولديت] ومسرحيات عديدة لشكسبير

الشهيد والفتيان الصغار 7 بآك اجنيى
 الى عالم من الشهيد الينج بنسبه ،
 المحتشد من حفل خلس به ، بفسير
 بضمومية هذا الحفل ولا يعبا بالظلمين
 على ماله من لىالى الذين لاتزال فكرتهم
 من المسرح مفرقة بعباية الطنوس الافريقية
 القلبية ، ان مفهومهم من المسرح جد
 مختلف .. انه اقرب الى جامعة الرقص
 منه الى المسرح التقليدى .

والمرحبة كلها هي محاولة هذا
 الجيل للتعبير عن نفسه ، بليغاهم
 الخاص وبصوره الخاص واسلوبه
 الخاص . وهي لذلك توشك الا تكون
 مسرحية بالمعنى الذي لفتاه للمسرحيات
 .. انها احتفال ذاتي خلص من احتفالات
 هذا الجيل الجديد من الشباب . لا
 تحسن ان ابطالها يخفون بانفسهم ،
 وانهم يمتدحون بالعرض ويعمل وكثير
 لا يصلون ولا يثقلون بسل يستحقون
 بالعرض ويشارسون مبره طقسا بين
 طقس حياتهم وبهجتهم واحتجاجهم بها ،
 ولهذا فكله شغال تملك معها في ملتقى
 ليلى لشهيد هذا الجيل وليس في مسرح
 الوصفي الصانعة تفرق ، والرقص
 واللفاف الطقائين بدوران .. فالمسرحية
 فريدة دائما ان تعرض لك بهذه التفتحة
 وهذه الطقائية التي تلني بها احساسك
 بآك . انما هي مسرحى برموس ، ولكن
 فلتايتها هذه هي التلقائية المنظمة او
 الطقائية المحسوبة . التي تعدد توازنا
 دقيقا بين تزويجها الى ايديك بهذه
 التلقائية المتصرة ، ورغبنا في الحفاظ
 على جبايات العرض المسرحي الجديد
 الذي نذهب .. وعلى خط هذا التوازن
 الخفيل بوز المسرحية ، برقصاتها
 ولقائها وبمساعدتها التثيلية ذاتالطابع
 الاليسودي ، واضعرا احسانها التي تصور
 كلها حول محور واحد هو اليفت من
 ميود ديتونيوسن جسيدي يتطلق من
 الاحتفال بمرح جسيدي كسا انثلى
 المسرح اليوناني والمسرح الاوروبي كله .
 من احتفالات فيوديسيوس القديم ،
 والجيود الجديد الذي تقدم المسرحية
 مسلوكتها في محرابه اقرب الى كلية
 الزكواج البدائية .. ومسلمات الربة
 له تعود على الاتساع الزخبي المبرسج
 المعنى ، وتقتن من [المسرح] طوطبا
 لهذه الحياة الجديدة .

لكن بما الذي تطوون عليه هذه



شكسبير

الخاصة فيه لا يعدي ثلثان جسدك ذاته .
 انه القوي الوحيد الذي لك مطلق الحرية
 فيه .. تستطيع ان تستمتع به ، تالجه ،
 تدمره ، تحافظ عليه ، كما تشاء . وبهذا
 الجسد وداخله وهذه تستطيع ان تبارس
 ثورتك واحتجاجك وقهرتك وكل شيء .
 ولذلك فان اعنف تهجم وتعمك الى المسرحية
 هو على هؤلاء الذين يريدون ان يمشوا
 نطلق قوائيمهم واوابيرهم ونواهيهم الى
 داخل هذا الجسد نفسه .. ان اعنف
 ما توجهه المسرحية من هجوم هو لصاحبي
 حرب فبقائم الذين يسوقون التشبيب
 الايركي اليها بقرويين بذلك مصير
 جسده ، او بالآخر حاكين على هذا
 الجسد بالاعدام ، او على الاقل بالرحل
 من العربة التي يبنى سارلسها بالنسبة
 ولنفسه . ثم تذكر هذا المعنى مرة اخرى
 باختلافها الشديد بالحب كتيبة من اسمي
 قدم الحياة ولجدها بالتشبيب .. والعيب
 عند [هير] والجنس شيء واحد ..
 والآخر ان الحب والجنس وجهان
 يختفان لجوهر واحد هو الحياة ، الحياة
 اللينة بالحب والسلم والتقاليد والسعادة
 الحياة التي تطم [هير] ببساطة جديدة
 لها لتتقن معها بدائية العشرة الزنبية
 يتحسر .. ولا أقول بتخطي .. التشبيب
 الاوروبي . ومن هذا فان [هير] كطلم
 تشير كثيرا الى الروح الزنبي ، اوائلي
 بقلة الروح الزنبي في افوار الشباب .
 رويبا لهذا تحرس [هير] على ان
 يكون بين فريق جيلها عدد كبير من
 الرنوج والزنجيات ، تصرع من خلال
 المزاجية الدائنة في مساعدته الصيب
 والجنس بينهم وبين بقية الشباب الاوروبيين
 فكرتها من ضرورة التفاف بين تلك العشرة
 الاوروبية التي اوشك ان تصاحبها على الملأ
 وهذه وتضمخ الطابع الحسايني فيها ان
 يفتي في طبها الذي اصابه الضعف
 والرهو منذ زمن طويل . وبين تلك
 العشرة الزنبية التي تتجر حسا
 وتوجها وتلفاتية ، والتي تستطيع تدفقا
 الحسى ان يظل الجسد الاوروبي الشبان
 من مبالى الايمان على الملأ وهذه ،
 حتى اوشك ان يصفى من طريته بالحب
 وبالحياة كتيبة جسيدي بل اي شيء
 آخر .

هذا ما تطوون عليه في امسكدي
 مسلمات هذه المسرحية الجديدة .. انها
 تطوون بطابعها على تعبير اللق للتل وعلى .

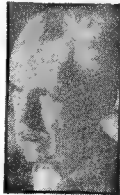
فريق بالكثير من التقيم والوافسات
الإنسانية . وعلى صص توى بالنتائج
ترب منه اغنياء الخفية . ولكن
سترق الشمس ، وموتها الى الجبور
لرفض مهم على ابداع هذه الافنية
الساخنة المتخللة بما . ولم يلب هذه
الدعوة - ليلة أن شاهدت المسرحية -
سوى عدد قليل من الشباب الصغار .
هذا العدد الطيل من الشباب الذين
صعدوا الى المسرح وواصلوا الرقص مع
فريق المسرحية ، هم الذين استطاعوا
أن يخفروا الحايض وأن يندفخوا في حلم
[هير] ولق واقعا بما . . وإذا أشر
عد هؤلاء الشباب الضليل الى شيء
فإن أن الدعوة التي تدعو اليها [هير]
تدل خبي سنوات لاتزال دعوة صعبة ،
منظر أثيرا ولكن بيهل شديد . ولن
تستطيع سوى الأيام وحدها أن تحكم على
هذه الدعوة أو عليها .

بعد مسرحية [هير] شهدت [أوه
كلكتا] . . وهي رايد آخر من نفس
النوع . . ولأيد من اليدانة إن الصير
الى أنه ليس ثمة أي علاقة بين بعد أو
قريب بين اسم المسرحية وبين اليدانة
البندية المعروفة بهذا الاسم . . ولكنه
بعد اسم لا معنى له كما أن اسم
[هير] هو الآخر اسم لا معنى له
ولا علاقة مباشرة بنه وبين المسرحية . .
وإن أن الالفنية الاساسية في المسرحية
اسمها [أوه كلكتا] كما أن الالفنية
الاساسية في [هير] اسمها هي الأخير
[هير] إلا أن الاسم في حد ذاته لا معنى
له . . وقد تناولت المسرحية لتسهيله
الاسم هذه في داخلها مؤكدة على أنه
مجرد اسم لا معنى له . هذه فقط ملاحظة
عابرة أردت أن ابيها قبل أن اتحدث
عن المسرحية ذاتها . وهي مسرحية
لا تستطيع فهمها جيدا بغير فهم [هير
لأما صير بعض الخطوط التي طرحتها
إلى [هير] الى ثيلها ، وتقالى في ذلك
الى حد الشط أحيانا ، والإبدال
أخرى . وإذا كنت قد اكتفيت بتحويل
إلى [هير] لأنه قد سبق أن كتب عليها
في العربية عدة مرات وعرضت هذه
التكاثرات العربية لاعدائها . فانه لابد
هل أي تحليل لمحتوى [أوه كلكتا]
أو لمحا أن اتحدث من جزئيات العرض
وتسليها ، لأنني أظن أن احدا لم

يكب من قبل بالعربية - بالطبع - عن
هذه المسرحية .

ومسرحية [أوه كلكتا] مكونة من
تصلين يتكون أولهما من ثمانية مشاهد
وثانيهما من ستة مشاهد والمشاهد كلها
- كما في [هير] - من النوع
الابيسودي . . كل مشهد يوشك أن
يكون مستقلا ، يوحى بمضمون ارتبطه
بالمشاهد السابقة أو اللاحقة شيء من
الفتك . ولكنه بشرك بدورما في بلورة
المحتوى العام للمسرحية وفي مسابقة
المناف واحدات التفكير الذي يتنبه .
ولكل مشهد من هذه المشاهد عنوان
خاص به . ولنبدا بالمشهد الأول وعنوانه
[خلق اليب] وهو عبارة عن رقصه
لكل فريق المسرحية على انغام الالفية
العرض الاساسية [أوه كلكتا] وحسم
يرتدون أرواب الحياض التقليدية ويبدلون
بالترديد في تعرية أجسادهم ويستعبر
هذا المعنى الترويعي من التصادم مع
اللبب بتشكيلات الحركة والاشارة جباليا
حتى ينشئ المشهد بالمعنى الكليل بعد
خلق هذه الثياب وحركة الجميع على
المسرح حرايا كما ولدتهم أمهاتهم ودونما
حتى ورقة اللوت . وبعد الانظام تظهر
خلال استخدام خاص للارتوس المسرحي
بسمى [بالثافة الملوحة] بعض الصور
والرسوم التي تبدل لظهور لائفه المشهد
التالي بعنوان [الاحاتل الملية] وهو
مشهد تشويي خالص لا رقص فيه ولا لغاء
بتم بلباسي تنشئ الى القرون الوسطى ،
يدور بين ثياب استرج لغاة الى قلعة
من قلاع هذا العصر وحاول بفخذه يا

أن يقدما الى الحلق وإن يتزحزح ليلها
وبعدى عليها . . وعندما يمل صرخ التنا
وتسب وتعرى ، وبغاة يديه الشاب
هو الآخر الى كرمي بيند يترافى
الاحاتل ويحل مطبا نوع من المصارحة
التي تكلف من التناقض بين الرغبة
الحقيقية وما يترفعه عليها المجتمع من
كرايح . وتكشف عن الجانب اللذيذ في
هذه الاحاتل التي يفرغ منها المجتمع
بقايتها بملك حتى تتحلل للرد ذلك
المسألة الداخلية التي تنفخ على
التوازات الدقيقة بين رغباته الطبيعية
وما يبنى عليه أن يسلك في المجتمع
حتى يعض باهتمام هذا المجتمع له .
وبعد هذا يبدأ المشهد الثالث بصورة
للشاعر الإنجليزي جون دون [١٥٧٢ -
١٦٣١] محتفا بيلك مقتصة من شعره
ولكن يشر من التحويل . . وفنون هذا
المشهد - مع مبرسته تلك - لطيفه
الى الفرائس) والشهد كله مدارة من
اعداد لاحدي صالصال جون دون تنبها
تلك الخرسة التي تصعد منها هذه
الصيدة وهي مارية ثيابا وبسطة
على [صولا] في زاوية المشهد . في
محولة من المسرحية لأن تكشف ، حتى
في نمى لهذا الشاعر الإنجليزي اللاهوتي
الذي رسم كائنا والحق كتسبيس بلاط
جيس الاول وباحاتل اشجاره بالطلت
الاخلاقية والصولات الصوتية التي تعد
من اعظم الاتسار الميتافيزيقية في القرن
السابع عشر ، أن تكشف حتى في نص
من هذا الشاعر بعدا جنسيا وانحسا . .
وإذا كان الامر كذلك ، فلابد كما يقول
عنوان المشهد الرابع أن [تهبب كمل
الاجابات الصادقة] وهو مشهد تشويي
بين اسيرين تزود أحدهما الآخرى لا
ويكشف الخسد من طريق السمية في
الموار واللب بالدلالات الزوجية للكلبات
والكليات من البعد الجنسي خلف واجهة
التبليات التقليدية والاحاتل الرئيسية
ومن أن الكثير من التقاليد الأوروبية
تنشئ على نزعت جنسية تم اجلها
أو تحويلها . أما المشهد الخامس فهو
مشهد غنائي موانئه [حاتية على لحمة
خطبات] وهو عبارة عن خمسة سطلين
كل منهما يقيم اعدادا غائيا خطاب
الخطبات التي ترسلها الى محروين ابواب
المساكن في الصحف وتعرض لاشكال الفراء
أو هي خمسة اصوات في اغنية واحدة



يوجيس
اوليس

المشهد الخامس [أربعة إلى خمسة]

وهو مشهد يعتمد أساساً على مسرحي الناس السعدي التي تقدم بعض المشاهد البيروقراطية لازمة من المصاحدين الذين يتناولون التطبيق الساخر عليها ، وبعد ذلك يأتي المشهد الأخير من المسرحية وهو عبارة عن رخصة غنائية تفكر رخصة [هـ] الأخيرة بعنوان ' هيا .. بما ' ، وهي رخصة تؤديها مجموعة من المسرحية ومثلها وهم عرايا تانبا ، وتدعو فيها الجمهور إلى أن يتخطى كل التواضع وأن يعبر عن رغباته وشواشه بتحرر من انطلاق .

بعد هذا العرض السريع لمسرحية

[أوه .. كلكا] نخص إلى هذه المسرحية ابتداءً من مسرحية [هـ] لأنها تدعو بطلها إلى الحب والجنس وتحاول أن تجعلها المحور الأساسي للعبة العلم التي تشهدها المسرحية . وإذا كانت [هـ] تعالج دعوتها من زاوية معارضة نتميز كثيراً طمعة الصبر وفصلياه السياسية والاجتماعية لمن [أوه .. كلكا] تتناول دعوتها من زاوية بيروقراطية حاسنة ، تستفيد من كتابات المخرجين دي ساد وتعليقه ، لكنها تتناول كل شيء تستغفنه أو تستغفنه منه من وجهة نظر بيروقراطية خالصة ، وهذا الاتجاه الواحدي من التفرقة والمطلق هو ما يجعل [أوه .. كلكا] يرغم كل ما فيها من مريوننديس لجمال الجسد الانساني ويستهه أبل قبة وتناثر من [هـ] وأهل منها خشية والثرة والخيال ، وقد لاحظت أن المرح

في [هـ] رغم تدلوها ١٧٠٠ عرض كان مبطناً من آخره ، بينما كان المسرح في [أوه كلكا] يرغم كسل هذه المشيئة ، ورغم أنها تجاوزت أبعاد عرض مط كاتيه بتاعة كثيرة شاعرة .. اعني هذا أن الاقل ما تتراد على المسرح المسرحي كإثارة ذات ديمقراطية ومهنة ومهنة .. لاني أيضاً حين حاولت أن أصطل على فكرة مسرحية [بيربا] ثم اصطل الحصول عليها إلا بشق النفس ، ولم اصطلح طواول مشاهدتي هذا العرض أن ألت من التسلية المقارنة بين [بيربا] هذه وثق التي شهدت على المسرح المصري قبل سنوات ، لكن ذلك قصة أخرى كما يقولون .



تيفيسي
وليامل

التي تتلخص معها الانغماس كما يقول نكاد الصنادي تيفسي ، والذي سجد لأكثر مشاهد المسرحية شاعرية وجبلاً وهو مشهد [واحد لواحد] وهو عبارة عن رخصة باليه لرائضين - راقص ورقصة - هارين لملبا ، وتكون الرخصة حول الرجل والمرأة في مختلف درجاتها ومستوياتها وبعد ذلك يجيء المشهد الثالث بعنوان [الحديقة المثيرة للحوار] وهو من أكثر مشاهد المسرحية ابتذالاً وسقوطاً ، وربما أرادت المسرحية بجد هذا المشهد ومباشرته أن تكرر شاعرية الرخصة السليقة وأن تؤكد أن الحياة تنطوي على الضمير والاندفاع في وقت واحد ، أنه مشهد من صفة جنسية في المحمل ومن التفاهات الخشنة بها والتي تتناول مدى ومقدار الطلاقة التي يبللها الكائن البشري في هذا الجسد لكنه يتم بطريقة سوفية وبعد متعاطفية المشاهد السوفية في هذا الفصل ، فالمشهد الرابع وهو بعنوان [حتى نمرض] محاولة [لانتل سوفية من هذا المشهد] وأن كان هناك ما يشهد إلى مباح المسرحية وما يمتعه قدرًا من التبرير ، إنه من امرأة مجوز ما أن تجد فرصة الحديث بصراحة حتى تطلق رغباتها. المكونة خلد فتاة السن والاحترام ، والتسوية إلى تجربة المشاهدة في هذا السن ، إلى هذا وليس في المشهد ما يثير التنوير ، لكن ما أن تبدأ هذه الاثبات في التحقق وتتساءل المسرحيات ويتحول المشهد إلى أيقاع كوميدي. ضاحك حتى طمس بعض الجزيئات المثيرة للتفرغ ، بعد ذلك يأتي

حنواليا [هنزي المرحز] وفي التمس

الأول من المشهد تتصرف على خمسة خطوات من الخطوات التي ترسل إلى [هنزي المرحز] في الثلاثينات من هذا القرن ، أما في القسم الثاني من المشهد ويؤديه نفس الممثلين ، فنتناول على خمس خطوات أخرى ثقافاً [هنزي المرحز] عام ١٩٧٢ .. ومن خلال الهوية التكميلية بين طليعة لغة ولهجة ومشاكل خطوات الثلاثينات وخطابات السبعينات .. تبرز المسرحية الاتجاه نمو العري في المجتمع الأوروبي ونمو الصراحة في معالجة قضايا الحب والجنس فيه .. وفي المشهد السادس [اسم القاتل : اسم الموعول] وهو عنوان مستبعد من قواعد النحو يجد محاضرة في طراز غريب من أنواع المحالات الجنسية ومن بعض مظاهر الانحراف والشذو في هذا المجال ، أما المشهد السابع [ملابئ الإمبراطورة الجديدة] فإنه يؤكد أن يكون تكراراً لما يريد أن يقوله مشهد الخطوات ولكن بشكل آخر .. أنه يقف عثرة بين ملابئ اللصرون الوسطى وملابئ الإمبراطورة الجديدة .. أي امرأة التمتع الثابت من القرن العشرين. وهو لا يترك أن ملابئ الإمبراطورة القديمة كانت مثيرة للفرار كملابئ الإمبراطورة الجديدة ، بل ربما يدل إلى أن الملابئ القديمة كانت أكثر اقتراباً بذكر ما كتبت أكثر مبالاة في الاحتشام . ولكن الملابئ الجديدة منه أكثر صراحة ومباشرة وباطلح دريا . وبعد هذا يجيء المشهد الأخير في هذا الفصل ، وهو مشهد يؤكد أن يكون بلورة غنائية استعراضية لكل ما الطوط عليه الشهادت النضيق من تعجبه ، فهو استعراض كامل العري مصحوب بأغنية [أكان الأمر طليعاً لنسبة لك أيضاً] يتم فيه مزج شعري بين الرقص والباليه واليتوبيم والفلك ، وينتهي به الفصل الأول من المسرحية .

ويبدأ الفصل الثاني بلثنية راقصة أخرى عنوانها [التفتي .. حالا] وهو مشهد يتصاعد فيه ابتاع المسرحية نحو المزيد من الصراحة الصرفة في التكلت والحركات بوشك معها أن يكون نوعاً من عروض البيروقراطية ، لكنه نوع خاص لا يترك على الأثر قدر ما يقه إلى الاهتمام بالتشكيلات الجارية المعرية



الفيلم الفرنسي « الوليمة الكبرى »

سمير فريضة

من بين أهم الأفلام التي عرضت في مسابقة مهرجان كان هذا العام ، والذي حضرته في الفترة من ١٠ إلى ٢٥ مايو الماضي الأفلام الإيطالية « نريد كولونيات » و « ألمانيا البيضاء » و « فيلم عن الحب والفوضى » والفيلم الأمريكي « الكتراجلين الزرقاء » والفيلم الفرنسي « الوليمة الكبرى » والفيلم الإسباني « آنا والمذابح » .

الشباب الذي يدعو من العيزاء • ومن خلال المكون على قمة رجل مجهول تال وسرقت ثروته الصغيرة البائسة خمسة آلاف دولار تترك إلى أي مدى لا يتم رجل البوليس بتير الترتية ، فمثلا يشك الطبيب في البداية أن الرجل قد اندهن بيشساجر بهم جون فلا ان هذا يعنى له لا توجد جريمة • وبالتالي تسبح لرحمتي في الترتية • وبأني رجل المباحث اتفق هارف • وتبين بالفعل أن الرجل قد قتل ونى شهيد بارع على اغنية صياخرة ترى جون وهو يرقدى حلة مثل حلة هارف • ولكن المخرج يظل مستهبة الشهد حذبا بنيه بلطلة تصصور جون يخرج إلى الطريق العام وقد نسي أن يردى البطون !

وبدا رحلة جون وهارف بحثا حسن القاتل • وفي أحد تجمعات العيزاء يفضح بدى اختلاف كل منهما من الآخر • جون يلجأ إلى المقلب • وهارف يلجأ إلى العنف • ولكن النتيجة أن العنف لم يولد

النوعوية يوشوح لا يتول الشك • وبدور سول احدى محاولات الفوضويين لافثيل موسوليني في عهد الفاشية في إيطاليا .

الكتراجلين الزرقاء

كان « الكتراجلين الزرقاء » أول أفلام الموسيقار جينس وليم جوتشيو [٢٧ سنة] والذي كتب له الموسيقى وصوره كونراد هال أحد اعظم المصورين في هوليوود اليوم هو أهم فيلم امريكى في مسابقة كان هذا العام رغم أن الولايات المتحدة كانت صاحبة العدد الأكبر من الأفلام • له اعداد أصيل لمسيتها الواقعية الجديدة في هوليوود • والتي بدلت في ظل أزمة الشركات الكبرى ، وانتشار شركات الإنتاج الصغيرة • يبدأ الفيلم على قسمة الطريق السحراوي في ولاية أريزونا الأمريكية حيث ترى شرمان جون وزير يتكلم من ثزمة حائلة للتسلط حذبا يوقظ احدى السيلرات • ويفضح صاحبها

أما الأفلام الإيطالية الثلاث فتتني إلى الواقعية الإيطالية على اختلاف أساليبها واتجاهاتها • الأول « نريد كولونيات » الذي كتبه وأخرجه بارسين موشسيلي كوميديا سياسية عن التوى الفاشية التي حاولت السيطرة على إيطاليا من جديد • وإن كتبت لا أفضل معالجة للوشومات الجادة بللوب سباجر • وخاصة بالنسبة لوشوح مثل هذايفيل الواقع الإيطالى اليوم • والفيلم الثانى « ألمانيا البيضاء » يكشف بجرأة من استغلال الأليام [أصحاب المصانع الهياض] لبارفى • وهو أحدث أفلام لويجى زابا أحد مخرجي الواقعية الجديدة في إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية • والفيلم الثالث « فيلم من الحب والفوضى » هو الفيلم الثانى للمخرجة لينا روبرلر التي شاهدت فيلمها الأول « جيمى الصليب المخرج في شره » فى مهرجان كان العام الماضى • وفى الفيلم الجديد تبدو وجهة نظر روبرلر



الفيلم الأمريكي « الكتراجلين الزرقاء »

رجل البوليس : نجم فوق العادة في أحدث أفلام هوليوود

عالم فيراري ، فهو يكن نفس الموثق طوال الفيلم إلى درجة تدعو إلى الملل ، كما أنه لا يخلو من نزعة تجارية واضحة تستل في أمانة بجراحة بين أربعة من كبار نجوم أديا اليوم ، وهم الإيطاليين بارشيليو ماستروني وأوجو تونازي ، والترينسيو ميشيل سكولي ومبابي توريه .

آنا والفتاب

وفي الفيلم الإسباني « آنا والفتاب » أحدث الفلم كارلوس سورا الذي يمثل بأ يمكن أن نطلق عليه السبيل الجديدة في إسبانيا ، وهو في الحقيقة سبيلنا محدودة الجدة إلى أقصى درجة ، نشاهد « نظرية » أخرى نسبة إلى فيلم بازولين المشهور « لمن خلال المربية » الشابة آنا التي تذهب لرعاية أطفال إحدى العائلات البرجوازية ويكتشف سورا من مدى انهيار ، بل وضوح هذه العائلة التي تعبر عن الوجودية الإنسانية الفاسدة : أم مصابة بالصرع ، وشقيقة ابنها رجل أعدمه سوري والاخر يهرب جوع إلى لسانه وارتداء اللباس العسكرية ، والثالث وهو المتزوج ووالد الأطفال سبق إلى درجة ممارسة العادة السرية طوال الفيلم . وفي المشهد الأخير نتر آنا سفرة التلال ، ولكن الإخوة الثلاثة يحاصرونها في الراص : فتمسكها الرجل الحق ، ويخس الصوفي شعرها الطويل الناعم ، ويطلق الكاث النار عليها ، وتوت آنا التي أجدت شغل دورها جيرالدين شابلن .

درايما . وهنا كانت المفاجأة : مشهد طويل جدا يمكننا أن نعتبره دخيلا على الدراما من ناحية ، كما أنه يفسد الروح التقنية التي تميز بها الفيلم من ناحية أخرى ، إذ تعود إلى الطريق الصحراوي من جديد حيث ترى جون وحده يمارس عمله ، وفجأة تدر نفس السيارة التي أوقفها مع زير في البداية ، ويوقفها جون ، ثم يسمح لراكبها بالمرور ، وبعد لحظات يكشف جون أن قسيده السيارة قد نسى معه رخصة القيادة ، وعندنا سرع وراءه يطلق عليه زميل السائق النار فيردبه سلا ، وتتعالى حسده والحركة المليئة وهو يرفع رخصه القيادة بيده ، وهكذا يتوصل رجل البوليس إلى مصبح جديد ، ونتم فوق المادة .

الوليمة الكبرى

أما الفيلم الفرنسي « الوليمة الكبرى » فهو أحدث أفلام ثنائ السينما الإيطالي ماركو فيراري ، وفيه يقدم صورة أخرى من عالمه العنسي الذي يتجاوز الواقع إلى الكاريكاتير حيث ترى طوال الفيلم أربعة رجال من مجس مختلفة متحمسون في ليللا صغيرة ، ويكاثون ويمارسون الجنس مع امرأة واحدة ، ييمونون الواحد بعد الآخر وتبقى المرأة وحدها في النهاية وسط مضجعة بحيرة من اللحوم المتلة في الحديقة ، والكاتب تومى . وليس هذا الفيلم أفضل ما يعبر عن

إلى معونة الحقيقة ، إذ تظن أن إحدى العتبات تحت ضغط حاريف بالقوة على صحتها أن تدعى كليا أنها تعرف بوب زيمكو الفيلم يمثل الرجل المجور وسرقة الدولارات . وفي أحد البليات الصغيرة حيث يدخل جون وحاريف بعد موعد افلاق البار نذكر أن هناك علاقة محقدة بين فتاة البار التي تعلم بالاندل في هوليوود وبين حاريف ، وأن مسألة الجامعة تكن ظف مشوره البراق .

وفي إحدى جولاتها يتعرف جسون وزير على بوب زيمكو وسط مجموعة من راكبي الموتوسيكلات حيث تجري مطاردة طويلة بالموتوسيكلات تنتهي بمصرع عدد كبير من الشباب ، ونحن لا نعرف هل كان بينهم بوب زيمكو أم لا . وهل هو عملا الخلق أم لا . وقد كان من الممكن للذبل أن ينتهي عند هذا الحد ، وبعد أن عبر من طبيعة العنف المستشري في المجتمع الأمريكي بشكل خاص . ولكن الفيلم يتابع اكتشاف الجريمة حيث يمتد رجل مجور شبه مجنون أنه القاتل ، ويعترف زير لجون أنه سرق الدولارات واستمرى مراجعة محكمة « الكتراجلين الزرقاء » . ويصاحب زير بحلة مستعيرة يؤدي إلى المطلق النار على رجل برية وقتله ، فيضطر جون إلى تمل زيمله . ومع مشهد يسور جون في وادي المعلقة ، وهو أحد الأماكن الشهيرة في أفلام الغرب قام الناس من متاعدهم لتتهددا لخيانة المصالة على أسفلى أن الفيلم قد انتهى . وقد انتهى بالفصيل

لحظة

يمتلئ الجرح بالرماد

محمد المنسي قنديل

تنتكز منها كمية فوق العادة - لكن « جزيرة الرزق » الثالثة وسط الكهف، بعدها من أعلى خط التلقيم السرخسي وخط العصر في انحداره المكسر . جزيرة كبيرة لا تقسمها الخطوط السطحية ثالث لا أريد شيئاً . قليل من الراحة وبيت بعيد عن الميون . وجزيرة الرزق بعمق بالنزوات وطعم الأحلام الملوثة . أصابت أنها ستمحى ثروتها للأطفال . اعترضت . قلت لها « أن التمسك بالمقام بجسد أشرار مسننل . كنت تكرهني بحق عندما أبذل طبيعة الانسباء الحادة .. »

لم تكن تعلم أنها طموحة . تلك النوع من الطبوح الخبيث . لكن خط التلقيم في الثالثة خط العصر . وعندما يترج عرقها حتى يفسد الكفا إلى تسخين ، يفتشى حوامل الزواج المرضي واللام المنيرة . وينتهي حاداً بفتورها بصرا . وهي تسمي : نحو لك سريماً . حتى أنني كنت أخشى عليها من توهج الشهب الساطع المناجر . بعدها تتحول السماء إلى قتل أسود قاس . وتتسع لبسليتها . المعذبة وأنا أفيهما أن في جانبها خطوطاً بمدد التجارب المظلمة الساقية . ولعل لي أهم تلك الخطوط الخشيلة . قلت لها « تلك الأضلاع الخشنة إلى أعلى تمنى الزادة القوية » وكذا لعل ذلك ..

ورغم أنها ثالث أكثر من مرة أنها تفسر ببدى قصر عمرها وأن هناك برها خبيثاً يلتمس لحظاتها الطفلة . ورغم ذلك كان خط المبر طويلاً . بعد من منتصف حافة الكف تقريبا ويستدير بتحميا على حافة سيقاة اليد . وعندما يصل إلى حد الزمخ يتكسر إلى شرط صغيرة ما طبع أن ضحى . عبرها كان طويلاً جداً . لكفه منقطع . بمنظر بالدموات المؤسفة . كانت تسملي من لحظات المرض والياس الغريب . إلا أن الخط كان يصل شبيهاً أشبه بالرقاء الدائم . شيئاً من جيرة الثورين وهو يرب للرة الأخيرة ...

أحياناً . كانت تود أن تكرر بفردما . لكنها ظلت دائماً حاجزة من انخراط أي موقف حاد . لم تحب ولم تفر . وكان خط الإنكار وهو يند عرقها بأعلى الكف غائراً ، لكنه يتعصب الخطوط . فيبدأ قاعة متكررة . رقصة غريبة فوق خيط رابع . أحييتي ... ؟ ... لم تحبني ... ؟ ... لا لأرى . لعلها أيضاً لم تدر . كانت ألامها نوعاً من التفوج المزدق . يقول الخط الفلاني أنها عرفت الكثير . وتقول الخطوط المنيرة المتشعبة أنها كم تألت بهذا الكثير . قلت لها ضحكاً . ستكون لك ذروة كبيرة . لم تعرف أبداً حية التفجود الفعلية . وكانت تحبني بالغنى عندما

١
بلى اللزامة القدامى . حاولت أن أزيل من فوق جسك تقوش السطن سيدوني وأرسم لوقها . لأن تواريخهم وأخبار الانتصارات وأثار البصبات الغائرة كتبت تغطي كل مساء متعباً اسم والعطش . ولقد طلت جسك . كله أبحث من مكان خال . أكون عليه التصاريح . أي التصار هزيل . لكنني لم أجد . واكتشيت لحظتها أن جسك كان معها ومجوزاً كالمصنوع . كنت أنا أكن ملوكاً وانسهم خطاً . وكان الأرميل الذي ورائه عن جدى صعدا ويطلبوا .

٢
كانت يدعها كثيرة الخطوط . أخبرني أنها ذات من الحياة الكثير . ولها رغم الإحصاء الواسعة لم ينتج لها ما ولو مرة واحدة - أن تختار بحرية مطلقة . لم تحبني كثيراً . لكني أحببت كل عضو من أعضائها بطريقة تتعصب نوعاً ما من الهوس الصولي . لم يكن في وجهها المستطيل ولا في جبينها التاسع ولا حتى في مينيها الخشيتين اللتين ما يوحى ببدى مرارة هذه التجارب . لعلها اختزلت في يداه كل الأثر . وما هذه الخطوط إلا شلوات لأحلام المجهشة والشتات الغريبة ..



قال الجندي الذي وقف دائماً لحراسة الكوبري ..

— شتوح الغاء الغنايل فقط ..
 خشكت بهلفه ولم يثابر المجوز ..
 أبسك الكلب في حنان بالغ .. أقصف
 يلف الجبل حول بطنه .. برة وانين
 وثلاثة .. والكلب مستسلم في سرور ..
 غلست خشكة الجندي .. قال بيرو ..
 لماذا ! .. لأجاب المجوز ..

— الأيام غدارة .. كل شيء غدار
 والله ..

يذا الجندي كلباً .. هارود المجوز
 سألني من الوقت .. أجيته صحيحاً فلم
 يخطئ أي تغيير .. قلت أعاني من بعض

غاية في الحزن .. قال لي ..
 — لا تنق بأحد .. انظر إلى [القطار
 إلى أحد القنوب] لقد خسرت كل شيء
 .. سألني من الوقت .. نظرت سريعاً
 إلى ساعتي وفكرت الوقت خطأ .. لم
 يلحظ أو يبال .. وأصل القول ..

— المسببة أننا لا تعود الحزن ..
 ولا نستطيع التخلص منه .. يعني دائماً
 كذا .. المجوز .. أشار إلى الحجر الجيري
 تحت قدميه .. كان للحجر نفس حجم
 الكلب الصغير تقريباً .. سأكنسه عن

ميسره ..
 — ياه .. زحزحهم ويروحن .. ناكل .. سويلا
 وتنام .. سويلا ..

منديا كعول نظراتها إلى بيرو كالثلج ..
 وكان الثلاثة أسعد أربابها .. أفضلت
 ضاحكة أنها ابتست لنفسها هكذا
 الصباح في المرأة وثاقراً ما تكون
 مسجدة .. كان في الكف أشياء أخرى
 كثيرة .. من الأولاد فلا .. من الأتراء
 الأصحاء .. لحظت السفن والسرقة ..
 لكنني لم أخبرها بشيء .. كنت فقط أود
 لو أرى شيئاً يخصني .. يهزني وحدي ..
 لكنني تبت خلال التجمعات الطاعة ..

في منتصف السكوير .. شاعنت
 كالمجوز .. كانت المدينة ساكنة ..
 كسروهم جميعاً بين الحظير العتيق المترين ..

المتاعب وانتظر الظلم حتى يذهب في
مجيءه . لم تكن متأكدًا من أن حزني
سوف يهدأ . لكنه لم يكن أبهى إلا
الإنسان .

عاد الجندي سيره النقص فوق
الكوبري . بدأ الرجل يلك الأطراف الآخر
من الجبل حول الحجر . رجع السكب
رأسه وقد تدلى لسنته . توقف معنى
المرة والوقت تحليقت غامضة . هاد
الجندي وترقيم بسرعة . هذا زمن
حرب لا ينشئ . توقف بجانبه وتساءل
يسود .

— ألا تشعر بالخوف . قد يظهر
شيءه ويظل يرمي طوال الليل .
هه . . .
خيل لي أن الظلم يدخل المحطة
وأن مجيئه . لم أتحرك . انتهى المجوز
من ريب الجبل . حسده لتأكد من
مفاته . أخذ يداعب الكتب في حبه .
فرض أسبغه خلف أنفه وفتح أبيه .
لفز الكتب فوق صدره بزم في جوار .
زعم الجندي .

لماذا لا تنهني . . .
هل المجوز الكتب وفهمه على
هالجز الكوبري . فراجع الكتب وقد
أفرجه سكن الماء الخرب وهو يقتر
هن مويجات مختلطة . انحلت يسدا
المجوز . ساكني من الوقت ليسرة
التلفظ فلم أليه . كان يسك الكتب
يكتنا يديه والحجر على الأرض . قال
موسلا .

— سامداني . . لربما الحجر . .
ربحت . رغبتي الجندي . أوشك
المجوز أن يهني .
— أنتا غير فاهمين . . ليس هناك
مسر . .

جميع المرة . لم يتحرك الجندي .
اتزل المجوز الكتب . هو زيله مسرورا .
راجع المجوز الحجر ووضعه أولا على
السور . عاد ورجع الكتب . ويبدو أن
الكتب في هذه اللحظة نطقت بهم كل
فيه . ابتدأ الجندي . دخل الظلم
المحطة بالميل . فتح المجوز الحجر .
بوقت الكتب عندما جذب الحبل على
حين فرغ . موزي مواء يهتروا والواء
يتر كاسقوط . اسير الشهد عدة ثوان
لأن الحبل كان طويلا . طفا السكب
لحظة قصيرة جدا ثم غاص فجأة .
دون صوت . ولم يظهر . توقف الجندي
وهو يميل ظهري . خيل لي أن المجوز
يهني . لكنني حين نظرت إلى وجهه
لم أجد أي شعير . مسكر الظلم
للبراة الأخيرة . أسرمت أجرى لسكني
كنت والتسما من أنني لن أستطيع
للحائي به .

الكوبري الطويل المنحوس يمسك بين
شعبي النهر . النهر الدائر الخطبوط
السنان عند السلال الأول والتسلا
البثني والثالث . المستقيم الكتب .

ألفاض بلا تذب . الزاخر بالظلمات
المسني تدل . يسر تحته خاشيا .
والكوبري ينتج كشاهد الفشن .
نعم حوله أنبل وبع ليراني في زمجرات
خنيفة . . .

كان الصراسي يمسدين . . وكفت
الشمس بعيدة . . وكان الله ألد
يمدا . .

المسور الطواهي يتسد كليا ألد
الكوبري . . يملو ويتقوس ويهبط .
أصمته المتنامية الرتيبة بلونها الأخضر
الغام تظلم من الحاجز الأتني . ككت
اللبسات البشيرة . . لبست الرجال
المعبين وهم يهتزون السير . والشتاق
الصنار . والتأكلين النهر المتطرين
أيدا . والتسوة الخائلات . وهنيل
رديدة الجنود الفشن . كل هذه
اللبسات زالت أخضره الغام وأملته
لحة خاصة . فيها الظلم من مسدا
الحديد والكثير من دله الحياة . .
الرهسان الضيقان يمسكين بالسون
الأيضي والأسود . يهصران أرضية
الكوبري من كل جانب . الأرضية
نفسها رغم مسلتها الشديد لا فيسد
لأمة الوجه كما يجب . ككت مينة
تحت وطأة الصمت . تركها صباح
اليوم الفات بقرينة مخففة . فصل على
طول ابتدادها كل الأبحار وبثنا الفوارق
المعدنية الملوثة الجوانب .



من لعبة الفشة البهني لا يوجد إلا
الظلم من الأبحار المتفارة . مقلها
هنير . لكن ما ينفى الأرضية حسا
هو خصائص السورق السبيل ومق
اللائعات الكوبية باليوبية . ككت تحمل
كليات خنية وأشعة العروق . لكها
أثرة ما تزلت . أكثر ما دحسها
الادغام القاسية المطردة والادغام الخفية
المطردة . . لم تعد نرا على الانلاق .
هناك أيضا يقع خيفة من الدم ذاتية .
في جهالة الأرضية . لكن ذلك لم ينع
الذباب من أن يسط عليها بلا حيلة
للريح أو للحراس .

في المنتصف تتكاثف طعم الأبحار . تظهر
الوانها وأشكالها المتزوعة . . الزلط
السفير الأصفر . قطع الأبحار الجبرية
بلونها المظلا . شمسها مع البسلا

الاشود . أطرافها حادة وتسلكها
خشن . أجزاء من ثواب طوب البشاء
الاصفر وقد تفتت فوق الأرضية ككتها
جرح يزنز . قطع التزيمد الأبحراني
القام وقد عقد زووه السابل . بين كل
هذه التوازع . سواي في الوسط أو
أعلى الرصيف . شطرت السوارق
المعدنية الملوثة الجوانب ككتها ميون
مصلنة .

وسوف يأتي السماء . حالا أو لينا
يمد . ولن تضاء المتابع . مسباتي
التكلسون المضمون الظهور . ياتون
بالأمر ويذهبون بالأمر . يهجون هذه
الأبحار والتوازع ككتها يهجون هارا .
لن يلقوا في النهر . لائم لا يودون
دعركه . يظل مويجات الفائلة .
نفس المطالع المعينة الرأس . يربونه
عكدا . شقشا مثارا . يستسليا
كالكث . سرف يهللن الأصهار الس
أياكي لا يعرنا مسوي العراس .
وسيمتدون . العراسر والتكلسون .
أنهم قد أغوا كل شيء وأعادوا للكوبري
نظامه الزائنة .

الكلية . يسر يوسف . منتصفة
الطريق نحو الفاع الخلم ونحو المساء
المن

— قالت لي لائحة . .

— كلا . . سوف نترك هنا . .
كما مرتين من كثرة النزول والاحتجاز
نظرت لي أعلى حيث فتحة البئر .
الساء . التي شطبتها ونفطى القلعة
ونفطى بحر كليا . بعيدة مائدة اللون
مجرد دائرة بضاء باهتة . قالت وهي
تستند للجدار الحجري المصن . .

الجزء الباقى من البئر مظلم خشن
والسلام ولغة ولا سور لها .
الرجل ذو الشرب الضخم ساؤل
ينغم زوجته إليه . يبدأ لي ألبسها
بدرجة ما . الزوجة الصغيرة مرموية
من خشونة ومن جهالة الأبحار . نظرت
الرجل إلى وتوقف منتظرا . .
— لم نرقي بأهنية يمد لا خشك . .
أريد ولدا . .

خشكت الزوجة برود ليله بلين .
لكت وأصل فمها . .
قالت وهي تمدل فخلات شعرها .
— ياه . كم كان الأمر يمتها .
لا أدري لم طاولكم . .

كما تصمد سلم القلعة سواي . لم
خلال البوابات الحجرية . فراجع جنبه
تبر الرائي التركي في المسد . تقابل
سوت الفاتمة المرمعة المتلافة ومخون
القطم الجبهة . الباتسون بالخشون
السباح ككلاذب . الطيور المطردة .
الحرس المراقبون . يتنمو هنه والبعون
طيس يدي وألبي بها . ونس أبلت
القلعة تجرى مسوف النيل حتى تطبق
ياخر الموصلات وأخر قرض للبعيل

وكانت تلكت المبحنة . فتلحظ الأرجح زوجتي
فارتبك في البكاء . تحول فسر الوجوه
في كومة بن الاختساب المحترقة والقلعة
الى مرابيط غامضة والسباح الى
مويباتر تابل جنتنا ببلامة جاذبية ..
فلت لقاء ..

== سوف انزل النصف البالي من
الليس ..

نظرت الى بي دةسة فلسية ..
وحبك ..

وحتى ..
لم تلتفتي .. ترك الرجل زوجته
ومعالي في قالا .. يا اعدتي لم يعد ..
هون ان يكمل .. صرت الى الفتنة
الضيقه . فنبئت ان التقت وارى مينيتها
ليل ان اعيد .. ارى كيمير وجهها ..
كنت واقفا بطريقه مبهمه من انها لا تجني
.. لذا لم كنت ..

بصيتي رعدة واتا لول الس لمر فرجة .
لصاعدت من تقي الى عيني واحسنت
بالردية الى البكاء . حببت الدرجة
الثانية والثالثة والرابعة واصبحت
بكلتي داخل البئر . وهدى كما لم تكن
من قبل . فبه شوم يصلى من الفتنة
ويولد الضحك الدرج الاول . لما بعد
ذلك تلا فيه . فكل تليل شخبيل دريدوية
بمعامري واتا النصف الجدار . تتعلم
اجسره تحت اسمي كالحالب .
اهبط فرجة بفرجة . سوف تثير في
الن .. قبل كنتي بلا مبالاة واخذتها
الى انقيس سياسي فلسي . شكير
بين الزوجة المني . صر عليها شعور
الحمل ودرج خلقتا كبيرا . ينظر
يوم في ظلم الليل . وفاني الاموام
المعك . سبعة اموام . مشرون علما
و زال الليل يعيش . تحرق الشمس
بهيمه الخطيرة وتشر عفونة الاسماك .
وانا اعيد . قد لا يكون هناك طريق
للعودة . اصبح صوت انثاس اصداء
موحشة ترددها الجدران الازيمية
اصبح ديبيا اعدائي خلط غريب يخلق

حولي لم يوقني الى حيث لا اعلم ..
لم اعد بعلمية الشمس . هذا التلام
هو جمل السنوات المجهول كلبا .
وهذه الارضى التراتي تسكن لاختادها
الفران . اعيد الدرج هاجزا عن الدم .
والهواء الرائد يرسل داخلي احصاها
والشقيقة . يزيد من تواجد وجهي
ومن خولي من دائرة الضوء المبهمة
بن السماء التي لا لون لها ومن حليف
لها الحراس السبعة ..

عرفت مينيا الثانية بن لم ارقصاها
الآن لكنتي احصيتها بشكل ابكي .
احسنت بايمك وسدانه . المسئلة
الى عيني والى في انتظارى ..
انتي صيقت للنهاية ريبا لكنتي المودة
لو انني توفقت في الاختساب التقي ريبا
سلطت .. ريبا ليجهت حتى ترحلي خطوة



القادمين الجدد . زادت سرعة هبوطي .
اشعر بانه يقترب . بناء الليل الضديم
عنيدا حلت جزار يوسف للمرة الاولى
بعدها غير التيل بجراء واذازت وطاة
الجاني ..

انتهى الجزء البالي من السراج .
اصبح الماء اباسي . لم اره جسدا .
جلست على الحانة الجبرية ومسدت
بدي يحد . ظلت تنفوس في الفراغ
الظلم حتى است السطح البليد .
ازدعت . امحرت المياه صوتا خلقتا .
كانت ايقظتها من الموت . ارجعت بدي
سرعا . لو انني بكيت الان فلان يراني
احد . لن تراني هي ولا الزوجة الخالقة
ولا السباح . لن يرى العرس دموي .
انزوت في الجدار اكثر . اصيحت
شبيلا . شيلا لدرجة التلاتي . بدأ
الهواء في التحرك وموجلت الماء تسير
انينا خلقتا . فكت عيني لو لم انشعب
لهبست . لم انهي . صرخت .
تكتبت . ازاد صمتي . لا ادرى
كان يوسف اباسي . جالسا وسط الماء
الراكد الاسن عاريا . يسدو جسده
الابيض النعيم شاحبا لدرجة الزرقه .
شليا يده الى صدره كوما ساليه حتى
اوشكت ركبانه ان تلبسا فته . وحيدا
وسط فراغ البئر . ميتا حيا . يسكن
في تحب خالت ..

ملجاني بنظر المرأة . ضحك صغي
وهو ينغمها عبر الباب لللال
== افنت انها ضحكة . لسكن هذا
افضل نوع للتحقق من امثلك ..
ضحك المرأة . بكت تجمد وجهها
ككت كبيرة السن ايها . رد صديقي
الليالي . سمعت صوت قفاده وهو
يهد سرعا . ظلت تجلي في ميتة .
لم تكن تسخر ولا فك . سكرت بديل .
قلت كلية او كلتين من الشقة .
سألتي من امني به ضحك بصوت
بسطوط . جلست على حافة السرير وهي
تقول ..

== ليس متفحا ما يشرب ..
واتا اسير خلال ورد الليل . فلبست
في خلوصي الاليمان الجملة . اعدتني
اني هاجز من الحلج ومن الرقية فير

التحول = اومطاني اني مقم بذكريات
المسيرة وورق الزهر الجاني ويسلها
السجى ..

ضحك المرأة حين راتني اهل كومي
الشاي . كلفت قد خلعت لوبيا الخرجي
ورسمت بعناية فوق مقدم جاني السرير
بسمها الداخلي رث . جابا كاجزاء
جسده التي تظهر من خلاله . هكذا
اذن . انشأت القاري الصغيرة المونة
ودعا بعضنا بنذ شعور ويزقت صورنا
هذا الصباح . اكبر ما بقي منها ..
جلست المرأة على حافة سريرى وهي
ترافضني بطرف مينها . تصالني ان
ككت هي المرة الاولى .. هكذا
لن تحسر الشمس من اضمالي المعارية
وتسكني رمادا مضمعا . سالت من
اسمها . قالت اسما ما .. زينا ..
سالت من سينا . قالت ريبا ..
زينا . سالت من بلديا . صليت تليل
حتى عاودت السؤال . اجابت بقتنه
كلتا طعنتي ..

== لنا من السوس ..
توقلت اسمي وهي تحاول مرتجلة
ان تترك ازرار الشمس . سالت من
كل جسدها فوق السرير . بدأ لغداها
الضحيان يوشكن ان يسرقا الشمس
الرب . قلت سالا .. لا . واصبحت
بالهامة . رعدت الاسم مرة اخرى .
نظرت لعمى جبهة للمرة الاولى بنذ
يداني الليل . سألتي بشك ..

== هل انت من السوس ..

لبيت ذلك . ضحك حتى لاك تني ..
ككت خط قد رابت السوس . مرتنا
صورها الغير ملونة ككت خط اعاني
من حلة خاصة هبة في الخصوصم
مزمها انها تركتي . وقتت بها وطبعت
بها . لكها تركتي . قالت كوبرا من
الاصيب التي لم تكتفي . وكاكت
السوس هنك . خلف مشرات
الكولتورات المصراوية الموحشة . خلفه
الاسلاك والامام والفلبات المنجورة .
ابعد ما تكون من غرني بالقدور الثاني
من سروري الشخصية الذي اشيرته
بالقصيد . لم تكن اكثر من حيلة خالصة
بها التاكيد من الاحياء المتكسر والنتس
للقرار . التليل من التساه الجويات
والاطفال المتكلى اليسو . لكنتي تلك
ايها ..

== هل تني السوسيين شيئا
خالت ..
ككت خالصة من ان يزيه العنبر
معد التجميد في وجهها . قاله
بصره ..

== الباني خط . السوسيين تني
بغايا لا طعم له ..
ككت لفتني ان تراني عاريا . تبحلا ..
ككت اكرو تقصى العمري القيقول اختاره
الحديد للاباج . وسالي وكسوها الشعر

الفرح به كنت أظن أن تتلصص
لأنها بلا شك قد مررت الكثير من رجال
السويس والامان الأخرى .

قلت متأسبا فجأة .

— لم أعرف السويس جيدا .

كنت أكتب اننى كلما تناولت طعاما
فى الصباح . فى المساء . أوشكت
أن أرى . ذلك الصديق منسا حاول
أن يلا جرحى بالرمح وأه من حدة .
كنت أعرف السويس جيدا . ظلت أحببت
للمرة الأولى . ظلما انتهى كل شيء
فجأة . وأن المسابيح الخائنة والزجاج
الازرق والزيجات السريعة والمبسم الفنون
الجنسية . والوجود الوجود الوجود .
اللاهك . فنت المهرين . لحظت
الحب الميت . الصورة التى كتبت آخر
ما مررت . عرفت جيدا . كانت
تضاريس الشوارع فى تجميد الزمن
عزق لحظى المرأة . والبيوت التى خدمتها
الفتيل فى ملاحى واستلقى التى لوحتها
السجلى . كفى اليومية وشماى
اصطناعى البارد .

وجدت المرأة تيسر سكة بالصورة .
تألمها بنس الهدوء السافر . أصغى
الرب . خلقتها من دما . خلقت فى
هيمه .

— نداء حلو

كنت مفتونا

— من أين أتيت بها

أجابت ببساطة

— كنت تحت الوسادة

كنت قد مررتا هذه الصباح .
فطمت أرمسى هذه المساح . فقلت
أهتامة التصوير الزائلة . أدت نظرى
وحسبت انه يكفى أن أكل شحشيه .
أفرا جرائد اليوم بلا اهتمام . أنسم
نوما ميفلا دون أن أطم . انتظر
العملاء . و . . . ولكن الصورة
والسويس . والمرأة المموج مستندة على
وسائفى . ثالثة فوق مبريزى لزلات
قادرة على الكلام .

— لا تكن كئيبا لهذه الدرجة .
أظنى أن النور ومال بجائى . . هذه
أولى تجاركي .
ليس كذلك . . .

٧

قلت التيارات جتى إلى أملى .
كانت مبهمة ومفردة حتى انما
استطاعت الطوف . وكانت أصابع يدا
مفترسة مة نابضة على حدة من طين
الناع والخشب الرخوة . لكن الماء
أذاب كل شيء وبنت أصابع جتى ممتوسة
م نابضة على شيء .

لمست الشمس الماء والشسلى .
وثلت جتى طافية فوق المسطح شاحبة

زواه . يسرب الماء حول أعضائها
التحية ويملأها بله . نظيفة كسا
لم تكن من قبل . علقا بقدحها فضع
من الاشب النهرية وغسوس المصفاك
ترانقنا فى رحلة السفر الطويل .

يسير النهر وصير جتى نحو المصب
البعيد . يبران بالثبطان الموحشة .
تتحلق المد الصغيرة فى جتى بيلامه
دون أن تتحرك طليا . وحلى . فديا
— كانت تمسك كل تلك الأشياء .
تتشها بلهفة الممر القصير وحررة
الساعات الوجيزة . فها تضى لاسم
الموت . فها تضى الأحلام وليسا
مفرد طائر مقصوص الجناح كئيب يمشى
جنى بلا متبل .



وجه جتى دائيا للماء — للماء
المتية المتناحية البمد كئيبا كئيبا
مزموم الم . أزرق الشفتين زرقا حلكة
بورجنه لائر حب الشهاب شلوا الماء
وعطفها الشمس . المحققان مطبقان
على فراغ . بقية الجسد الظاهر
سلم ناصع . للجروح فى الظفر طويلة
متجاوزة . زال لوننا وما فيها من دما
نبئت كئيبا شفاء مغفورة ربما .

فخيب الشمس ولانى جتى من
السفر . لانى من ميور الشواوير
التي تنكها والتى طيت فى دما بانها
الرائف . بسكتها المتكرى الميون .
الذاتى لسة السواط . وأرقام جيا
الفرط طيت جتى بيت صير وسط
الخضرة . ليست به غرابت داخلية ولا
هواجز . مجرد صالة واسعة تضم كل
العاجلات البوية والكتب وقصاصات
المشايخ الموزلة . توامل جتى السفر .
تندت ملاحها وحدة خولها . يسككها
ماء طوما وحيدا مايرا .

وفى يوم ما . دفع النهر جتى قرب
الشفاير . لم يكن أحد هناك . وثلت
تقترب حتى التصفت كتفها اليسرى
بلسان طينى مجسد . ففهما النهر

فكرواوت الصفا . أصبحت كئيبا كئيبا
واحدة لا يفرها سوى اللون . كان
فى اللبن ألاح وبنور وجنر مختلفة
لكن ذلك لم ينجح جتى نبضة واحدة .
ظل لوننا يزداد قتلة وأعضاها زواه
غسورا . ويوما بعد يوم . تصبح
الوردة الزيادة تحت الجلد كئيبا حروف
مبهمة . . . حاولت التيارات دفع
جتى إلى منتصف النهر . وظل اللبن
بلصعا بها لفترة . حتى أذاب الماء —
كفاعة — كل شيء .

طوال هذا السفر لم ير أحد جتى .
أو أن أحدا رآها ولم ير إلا اهتماما
ولقد حاول أبو جتى وأم جتى البحث
عنها . ذهبوا إلى أصنام البوليس
والمستشفيات . وسألا الإصدقاء لكن
الجميع التزوا السبت . التزوا صعا
بخلنا كئيبا يخفون عارا أو عريسة .
وعاد والدا جتى عوزون فوق العادة .
تألم الفرة الساكنة والكتب الكثيرة
والراديو نصف المسمم الفارغ البطاريات
سألا أوراق جتى . يهرهون المنسة
الصغيرة ويمسها المعلقة على مسمار
نوق الحائط . والذء القديم جنبه
المعد . فذكر فجأة حزنا المشكر
وهما يريان جتى تقرا وتكتب وترد
الكلام المحطور . فنكرا فرحنيها مند
مجرى كل صباح فتدنا يريان جتى
مازالت فى الفراش تلمسها لعلة
النوش ولا يبعجها نول الفلار . عجبت
على ذنبيها المتعين آلا الفكرات
والذبايت الصغيرة فلتزوا فى لحد
الزكان عاجزين — معا — من البكاء .
ومن بعيد تمل صوت فيروز وهى تضى
.. دالنا فتنى فيروز من بعيد — ربما
رأسيهما وانصتا معا . وكان فى
نبرها العبة شرة من الرءا وشى من
السوى . . .

دارت دوايت النهر بجتى . دارت
جتى حول صخرة لائقة . هلت بها
ثم واصلت الطوف بيله . اقربا لصب
وأصبحت تيارات نارية فى الزمن .
لكنه فى منتصف يوم ما . انشعبت
بطن جتى . ظلت غسرات العفونة
تلوها وضغط جدارها المنفس المثل
حتى انفجرت . خلال هذه الرحلة وجتى
تتكلم من الداخل . . . بيها البحر
يسراوة نامة . يحولها إلى خيزيرى .
حتى أن بطن جتى انفتح . وثلت
كانها برهة مبهمة ثم غاصت فساءة
حتى أن الهواء زام فى رضى وأغشى
النهر لفته السائلة . حتى أن الفسة
المشرقية والأرض البوز لم تظفرا بشيء
حتى أن الأسماك شمرت بالانشاز
للمرة الأولى ماوجدت . حتى أن التاع
كان مظلما مظلما . باردا باردا . . .
تاسيا تاسيا . . .

مطابع الأعصر، رام المنارة

الثورة .. البرنامج .. والوحدة الوطنية

التهرب من الضريبة .. والدخول الطفيلية

دور الاستثمارات الامبريالية في تهديد عروبة الخليج

تحول العلاقات السوفيتية الأمريكية: أسبابه وآفاقه

المجلة

العدد الثامن - السنة التاسعة - أغسطس ١٩٧٣.

٢١ عاما على ثورة يوليو :
التورة «البرنامج» الوحدة الوطنية : «الاستراتيجية»

مناقشات حول مستقبل القطاع العام :

- [تقارير مجلس الشعب وتعليقات]
- ١١ - تقرير في موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الفردة المخططة
 - ٢٤ ● من تقي المقاتل الى نفسي الطول
 - ٢٨ - تقرير عن الشركة المصرية لاستصلاح الأراضي الثور
 - فتح مجالات جديدة ورفع معدلات الاداء
 - ٣٠ - تقرير من الشركة المصرية للطباعة والنشر
 - ٢٢ ● المشكلة .. وأصل المشكلة
 - ٢٩ - تقرير عن الشركة المصرية العامة للمباني الزينية
 - ٤١ ● تنفيذ جديد لمواجهة مشاكل قطاع
 - ٤٧ - المقاولات على الطبيعة
 - ٥٢ - تقرير من شركة السكر والتقطير المصرية
 - ٦٠ ● خطة شاملة لتطوير صناعة السكر
 - ٦٢ - ملاحظات عامة للجنة الفطسة والموازنة
 - ٦٦ ● ملاحظات وتعليق الطبيعة : القطاع العام .. الى أين ؟

- ٧٣ ● دور الاستثمارات الإبراهيمية في تهديد عروبة الخليج
- ٧٨ ● مشاكل الحركة العمالية في بنجلاديش
- ٨٤ ● تحول العلاقات السوفيتية الأمريكية : اسبابه وآثاره
- ٩٢ ● أوروبا : من « المراجعة » الى الأمن والقانون
- ١٠١ ● التهريب من الفرية .. والفشل الطفيلية

تقارير الشهر وتعليقات :

مكتبة الطبيعة :

وثائق : الإهمال الإسرائيلي في الأرض المحتلة

ملحق الأدب والفن :

الطليعة

طريق المتضالين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

إن [الطليعة] مجلدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وهبه الذي يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرة أصيلة

من هذا المفهوم ننسج « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلية يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المهيمن الذي أطلقه فولتير في القرن الثامن عشر [قد اختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد لأن ادفع حياتي ثبنا لحقك في الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الإهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٩٢ - ٥٩٠١٠
٥٩٠٦٠

الاشتراكات :

لجنة بالبريد المعادي ج ٥٠٠ - دول
اتحاد البريد العربي ودول السدار
البيضاء ١٢٠ قرقيا

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس الطلبة
واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الافتتاحية

٢١ عاما على ثورة يوليو الثورة .. البرنامج والوحدة الوطنية

ربما لا تتجاوز الحقيقة ، اذا قلنا ، أن الاحتفالات بعيد ثورة ٢٢ يوليو قد اكتسبت أهمية خاصة منذ وقوع العدوان الإسرائيلي الأمريكي في يونيو ١٩٦٧ .
ذلك أن هذه الاحتفالات إنما تؤكد ، المرة بعد المرة ، على عدد من القضايا الهامة ، في مقدمتها :

١ - أن مخطط القضاء على ثورة ٢٢ يوليو عن طريق الغزو العسكري واحتلال الأرض قد باء بالفشل - أو - على الأقل - لم يحقق كل أهدافه الرئيسية .

٢ - أن هذا الفشل لم يكن وليد المصادفات السعيدة بقدر ما كان محصلة نضال طويل ، خاضته ثورة يوليو على جبهتين : جبهة الحركة الوطنية المصادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية ، وجبهة التنمية الاقتصادية المستقلة لتحقيق التقدم الاجتماعي . وبفضل ما تحقق من مكاسب على هاتين الجبهتين ، كسبت مصر الثقاف ومساعدة كل قوى الثورة والتحرر في البلاد العربية ، كما كسبت دعم ومساعدة المعسكر الاشتراكي ، وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وتأييد معسكر بلدان حركة التحرر الوطني ، وجميع المناضلين من أجل السلم والديمقراطية في العالم .

وواقع الحال ، أن ثورة يوليو قد سلكت خلال مسيرتها ، منذ عام ١٩٥٢ ، طريقا شاقا شديدة الوعورة . إذ لم تنقطع الممارك المفروضة على الشعب خارجيا وداخليا ، أن من قبل الإمبرياليين والمستعمرين الجدد والصهيانية ، أو من قبل الاقطاعيين والراسخين الكبار .

وعلى امتداد تلك الطرق الشاقة والوعرة ، تعرضت ثورة يوليو أيضا ، لآزمات كان من الممكن أن تطيح بها ، كما أطاحت - من قبل - لآزمات أخرى ، بفورات وطنية وتقدمية - أخرى - في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .. نعم ، كان من الممكن أن يحدث هذا ، لولا أن قيادة ثورة يوليو وثقت - بشكل عام - في سياستها الداخلية والخارجية عند مواقع لم تتخل عنها أو تغيرها .

وهذه المواقع ، تمثلها المبادئ التي صاغتها ثورة يوليو في شكل برنامج سياسي واقتصادي ، واجتماعي تضمنه ميثاق العمل الوطني . وصحيح أن هذا البرنامج قد وضع تحت شعارات عامة واستراتيجية : الحرية - الاشتراكية - الوحدة ، إلا أنه تضمن أيضا نقاطا محددة أهمها :

١ - الدفاع عن الاستقلال السياسي . وجوهر هذا الدفاع هو النضال الاجتماعي الجسور ضد الإمبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية

٢ - الاستقلال الاقتصادي هو دعامة الاستقلال السياسي ، ويتمركز الاستقلال الاقتصادي من خلال التنمية التي يقودها قطاع علم توى ، يملك وسائل الإنتاج الرئيسية .

٣ - وعلى طريق التنمية الاقتصادية يتمين تشديد اليقظة ، لان التنمية المستقلة اعداء معينين ، هم : المستعمرون الجدد الذين يتخفون تحت اقنعة سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية ، ثم تلك القوى الاجتماعية القديمة التي تريد أن تنكس ببرجيزات الثورة ، او تلك القوى الجديدة التي تريد أن تستحوذ لنفسها على ثمارها .

٤ - وطريق التنمية المستقلة هو طريق التخطيط العلمى الشامل ، وانهاض البحث العلمى وتطوير التعليم على امس عصري ، وتوسيع قاعدته الشعبية ، والقضاء على عار الامية .

٥ - والتنمية فى الميثاق هدف ووسيلة فى آن واحد . وهدفها أن تنتهى ثمرات البناء الاقتصادى والاجتماعى الى ايدى الفلاحين والعمال ، ووسيلتها تمكين هذه الطبقات والقوى الاجتماعية ، صاحبة المصلحة فى النحول الاجتماعى من المشاركة ، بكيفية متزايدة وحقيقية ، فى السلطة ، فى اطار تنظيم يمثل تحالفها مع المثقفين ، والجنود والمراسمالية الوطنية .

٦ - ثم طرح البرنامج على الشعب المصرى ان يعمل من أجل تحقيق الوحدة العربية ، ويحدد أن الوحدة العربية عملية ثورية فى المحل الاول تتطلب تشديد النضال لتصفية كل الوان النفوذ الامبريالى وعلاقات التبعية الاستعمارية ، والعلاقات الاجتماعية المتخلفة ، والقواعد العسكرية فى العالم العربى .

٧ - وفى الوقت نفسه حدد البرنامج مهام مصر النضالية فى المجال الدولى :

الدفاع عن السلم العالمى ، ودفع خطر الحروب النووية ، والقضاء على العنصرية ، والتضامن مع كل قوى التحرر المعادية للامبريالية ، والتعاون مع جميع الدول على أساس احترام الاستقلال والنفعة المتبادلة .

هذا البرنامج الذى تضمنه الميثاق ، لا تكمن اهميته فى أن بعض فقراته كان قد بدأ بتنفيذها فعلا وحسب ، وانما تكمن اهميته الحقيقية ، فى أنه يمثل الحد الأدنى من مطالب مرحلة تاريخية يأكملها هى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديموقراطية ، او مرحلة الانتقال من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى ، وذلك اذا استخدمنا التعبير المداول فى بيانات واحاديث قيادات يوليو .

ولما كان هذا البرنامج واضحا فى فقراته بحيث لا يحتمل التأويل ، فقد نجح فى استقطاب القوى الوطنية والتقدمية على اختلاف مدارسها الفكرية . فقد رأت فيه محفلا الى وحدة وطنية سليمة ، أساسها وحدة العمل والنضال . ثم رأت انه ، اذا مادعيت الجاهيل الشعبية الى وضعه موضع التنفيذ . فمندد يمكن ان تنشأ افضل الظروف ، لكى تحمل ، عن طريق الحوار ، هذه المشكلات التى تتمدد فيها وجهات النظر والمواقف بتعدد الفكرسات والمنطلقات الاجتماعية .

وتن تعلم أن قيادة ثورة يوليو قد خاضت - خصوصا منذ عام ١٩٦١ - معارك وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ . ومن خلال هذه المعارك اضافت اليه ، وطورته . وذلك فى اتجاه أن تزداد فقراته تفصيلا وتحديدا . ولكن هذه الاضافة او التطوير لم تكن - على أى حال - فى اتجاه مراجعته او الانتكاس عليه . وهذا الموقف من جانب قيادة الثورة ، لم يكن مرجعه ، الى أن البرنامج الذى تضمنه ميثاق العمل الوطنى نص مقدس أو كتاب منزل لا يمكن تغييره . بل أن التمسك بالبرنامج يرجع الى سببين :

الأول : هو أن مهام « مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية » لم تكن قد اكتملت ، أي أن معدلات التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي التي حددها البرنامج لم يكن قد تم تجاوزها بعد ، أو لم تكن قد تحققت بالكامل ، وهذه القضية كان قد تحدث عنها جمال عبد الناصر ، مع طلاب البعثات ، عندما أشار الى أن مرحلة الانتقال في مصر تسير ببطء ، وأنها محتاجة وقتاً طويلاً مما حدث في بلاد أخرى .

الثاني : هو أن الحياة نفسها أثبتت لقادة ثورة يوليو سلامة الخطوط العامة للبرنامج الذي طرحه «الميثاق» . وعلى سبيل المثال : عندما حدثت هزيمة يونيو ، كانت توقعات الأعداء الأمريكيين والاسرائيليين أن يسقط نظام يوليو في مصر لكن هذا لم يتم . وذلك لاستناده - أساساً - الى قاعدة اجتماعية واسعة تولت صد الهجوم عن النظام (٩ ، ١٠ يونيو ٥٥٠ الخ) . ومثال آخر : عندما فرضت المعركة مع العدو الاسرائيلي مضاعفة الجهد في العمل لزيادة الانتاج المحلي ، اعترف كل النسلين الثراء - بما في ذلك بعض الذين تشككوا في جدوى إقامة القطاع العام ، بأنه لو لم يتم هذا القطاع لتعرضت البلاد لصعوبات وآلام مضاعفة

بالطبع ، فإن تنفيذ البرنامج الذي طرحه الميثاق لم يتم وفق توقيت معين ، ولم يسر - دائماً - بدون عقبات أو عثرات في الاداء . فلو اتع أن عدداً من أوجه القصور في الاداء قد شاب تطبيقه ، وذلك لأكثر من سبب ذاتي وموضوعي :
فأما الاسباب الذاتية فهي مقدماتها :

١ - أن التنظيمات السياسية والنقابية - والجمهورية عموماً - لم توفرن دائماً في حشد الجماهير وحفزها بأكثر الطرق ديموقراطية الى أن تأخذ بيديها قضية التنفيذ ، أو قضية التطبيق الضال للبرنامج .

٢ - أن بعض القوى الاجتماعية الداخلة في اطار الطبقات الشعبية والوطنية المتحالفة ، كانت - بدافع المصلحة الذاتية الضيقة - تسعى دائماً لتستحوذ لنفسها عن نصيب الأسد من الدخل القومي .

من هنا حديث عبد الناصر عن الطبقة الجديدة والبروز الرأسمالي ، واشترة الرئيس المساسلات الى الطلياعيين والبريوقراطيين .
وأما الاسباب الموضوعية فنذكر منها :

١ - النشاط المجهوم لقوى الاستعمار الجديد والصهيونية ، هذا النشاط الذي يأخذ شكل حرب ايدولوجية هدفها التشكيك في المنطلقات الوطنية والاجتماعية الرئيسية لثورة يوليو . وبالطبع يدخل تحت هذا النشاط أيضاً الدمايات التي تبثها بقايا الطبقات المخلوعة ، والقوى المهادية للتقدم .

٢ - أن الحياة تطرح على كل ثورة طائفة من القضايا المعقدة والمتشابكة بطبيعتها ، ومن قبيل هذه المشاكل :

- مشكلة حل التناقض بين احترام المشروعية وسيادة القانون من ناحية ، وبين تأمين تقدم الثورة من ناحية أخرى .

- مشكلة حل التناقض بين الثبات أقصى الثبات على المبادئ التي تحكم مسيرة الثورة ، وبين ما يقتضيه تغيير الظروف من المرونة المطلوبة في التطبيق .
وعلى سبيل المثال : في مواجهة هذين النوعين من المشكلات ، اعتقد البعض ، وتصرف ، من منطلق أن سيادة القانون تتعارض مع استمرار الثورة . وفي الوقت نفسه ، ذهب البعض الآخر الى أن تقنين الثورة مرادف لتجميدها وخلق صفتها .

نقول : إنه تحت تأثير تلك الصعوبات الذاتية والموضوعية - وغيرها - تحسوس الميثاق ، وبالأخص الجزء الخاص بالبرنامج لأكثر من محنة شديدة . وفي الواقع ، فقد بدأت عقب النكسة محاولات تدعو الى التخلي أو المعدول عن البرنامج الذي طرحته

قيادة الثورة في الميثاق . وكانت هذه المحاولات . من الخطورة والضراوة ، بحيث أن جمال عبد الناصر رأى أن يتصدى لها بتقديم برنامج ٣٠ مارس ، وما سبق تقديمه من حوار واسع حر ، أكد على النقابات الأساسية لبرنامج الثورة كما تضمنه الميثاق ثم أضاف البيان حصيلة التجربة منذ صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، والتي تلتخص في فقدان الممارسة الديمقراطية ، وتم كل ذلك في إطار ما طرحه معركة تحرير الأرض من مهام .

ولقد ظلت محاولات تحريف البرنامج مستفحلة لا تنقطع ، وعادت تطل برأسها من جديد بعد رحيل عبد الناصر . إلا أن الرئيس السادات واجهها سو أيضا بطرح « برنامج العمل الوطني » الذي قدمه الى المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي في ١٩٧١ . وتبنت أهمية هذا البرنامج في أمرين :

الاول : أنه لا ينطلق من الميثاق فحسب ، بل يبدأ من حيث انتهى بيان ٣٠ مارس .
الثاني : أنه قدم حصيلة التجارب السابقة مصفاة في شكل برامج ، فيها تفصيل وتحديد ، وإضافات ، تشكل - في الجوهر - امتدادا لكثير من نقاط البرنامج في الميثاق (بنسب القسرية - التماسك الانتاجي - المجمعات الصناعية - تحديد دور كل قطاع من القطاعات الاقتصادية) .

أكثر من هذا ، يمكن القول أيضا بان حديث الرئيس السادات في ١١ يونيو ١٩٧١ تدحرج برنامجا سياسيا واقتصاديا - يتطابق حتى في صياغة معظم نقاطه مع البرنامج الذي قدمه ميثاق العمل الوطني . مثل :
(التأكيد على الدور القيادي للقطاع العام - استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة .. الخ) .

هنا يتساءل المرء - ويحق - فهل معنى التقييد أو الالتزام باحترام البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي تجميد الميثاق وتحيته ؟
الإجابة - طبعاً - بالنفي . فالواقع أن الميثاق يتكون من قسمين رئيسيين :
- فالفصول الثلاثة الاولى فيه تحول - بشكل عام - أن تضع الأساس الفكري والنظري لمسيرة ثورة يوليو بعد عام ١٩٦٦ .

- في الفصول اللاحقة - فتحاول أيضا - بشكل عام - تحديد المبادئ التي تحكم البرنامج ، ثم تضع « نقاطا » أكثر تحديدا لهذا البرنامج .
وليس من شك في أن القسم الاول من الميثاق ، يمكن أن يكون مدخلا الى الحوار الفكري العميق ، بل ويايا للاجتهاد - حول طائفة كبيرة من القضايا :
مثلا العلاقة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية - تقييم منهج التجربة والخطأ - تراث النضال الشعبي وتقييمه - متغيرات عالم اليوم والجديد فيها - سلم القيم الروحية والأخلاقية في عصر ثورة العلم والتكنولوجيا - الاستثمار الجديد بعد الستينيات - المفهوم المعقد لقوى الثورة وقوى الثورة المضادة بعد ١٩٦٧ .. وهكذا .

مثل هذا الحوار مطلوب ، وهام ، في هذا القسم من الميثاق . ويمكن أن يؤدي الحوار المر - مع تعدد زوايا الرؤية - بين قوى الثورة الى صياغات خلاقة ، بل وأكثر استجابة لمتطلبات المرحلة - التي نعيشها ، صياغات تدعم وحدة العمل والفكر بين القوى .

الا أن الوصول الى هذه الوحدة مرهون - في اعتقادنا - بالتبصير أشد التمسك بالقيم الثابتة من الميثاق (مبادئ البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي) وحمايتها من أية محاولة لاجتزائه أو تعديله ، ويمكن أن تتسلل تحديبات الاجتهاد المزهم .
فالقاعدة تقول أنه « لا اجتهاد حيث يوجد نص » .

وعلى سبيل المثال :

- إذا نص الميثاق في برنامجيه على أن الصناعة الثقيلة « هي دون شك القاعدة الحاتية للمكان الاقتصادي الشامخ » فلماجال في النظرية أو التطبيق - مع وجود

هذا النص في البرنامج - لاعتبار الصناعات الخفيفة هي القاعدة الثابتة - ولذلك لم يكن من الصفة أن يتضمن بيان الرئيس السلدات في ١١ يونيو في البرنامج الذي قدمه عبارة تكاد أن تكون متطابقة لعبارة الميثاق وهي : « استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة فهي وحدها الكفيلة بأن يكون اقتصادنا اقتصادا صناعيا من الدرجة الأولى » . وهذا وحده هو المقياس الحقيقي للتقدم » .
- وإذا نص الميثاق في برنامجه - مرة أخرى - على أن الاستمانة برأس المال الاجنبي مقبولة .

« في العمليات الضرورية ، خصوصا ، تلك التي تقتضي خبرات جديدة يصعب توفيرها في المجال الوطني » ، فليس مقبولا - بعد ذلك على أي وجه - أن يفتح باب « الاجتهاد » لو « التجديد » ليحيى رأس المال الاجنبي بدون قيد أو شرط . ذلك أن الميثاق قد وضع بما لا يحتمل الاجتهاد ضوابط للاستمانة برأس المال الاجنبي عندما قال :

« ان الاولوية الاولى للمعونات غير المشروطة »
« والمكانة الثانية للقروض غير المشروطة » .

- وإذا نص الميثاق ، بالنسبة للقطاع الخاص ، على أنه لا بد من توفير الحماية التي تكفل له أداء دوره ، فليس من المقبول ، أن يفتح باب « الاجتهاد » ليمطى حقوقا غير محدودة لرأس المال الخاص . فالميثاق قد نص بما لا يحتمل الاجتهاد على ضرورة أن يقوم رأس المال الخاص بدوره الفصالي :

١- في خطة للتنمية .

٢- ومن أجل التقدم .

٣- وتمت قيادة القطاع العام .

وهكذا ، نستطيع ان نمضي شوطا طويلا في ايراد الامثلة التي تؤكد على أن جملة من الصعوبات التي اعترضت طريق ثورة يوليو مردها الى تجاوز هذه النقطة أو تلك ، أو اجتياز أو تجميد هذه الفترة أو تلك من فقرات البرنامج .
والذي نريد ان نؤكد - وهو أمر يدهى - أن مصركة تصفية العدوان الاسرائيلي الامريكي تتطلب الوحدة كل الوحدة بين الطبقات الوطنية والشعبية ، وبين كافة القوى الوطنية والتقدمية . وأن هذه الوحدة سوف تصان وتتعزز بقدر ما تؤسس ، على قاعدة واضحة ملموسة ، وهذه القاعدة هي الحد الأدنى من البرنامج الوطني والاجتماعي كما جاء في ميثاق العمل الوطني . وما أضيف اليه من النقاط البرنامجية الأخرى التي وردت في بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطني .

واعتقائنا ، بعد ذلك ، أن كل نهجنا تحرره بالدنا في تنفيذ هذا البرنامج اصلحه الطبقات الشعبية ، واعتمادا على حركتها الواعية ، نقول أن مثل هذا النجاح لا يقل أثرا عن كسب معركة رئيسية وحاسمة في مساحة الحرب ضد العدو الاسرائيلي . ذلك لأن تنفيذ هذا البرنامج - على هذا الوجه - كفيل بأن يعزز القوة الذاتية للبلاد ، ويرحم حول شعبنا أوسع جبهة من الحلفاء والصديقاء ، ويدفع - بالتالي - العدو الى حافة اليأس الكامل من ائزال الهزيمة بثورة يوليو والنظام الذي أقامته . فإذا ما وصل العدو الى النقطة التي يتبين فيها استحالة « الغزو من الداخل » ، واستحالة أن يفرط الشعب المصري في اعدائه الاجتماعية تحت ضغط الاحتلال ، عند ذلك سيكون في وضعنا أن نقول : أن مصر قد قطعت شوطا حاسما نحو احراز النصر النهائي .

« الطليعة »

مناقشات

حول

مسائل

القطاع العام



تقارير
مجلس الشعب
وتعليقات

هذه الدراسة الجديدة التي تقدمها الطليعة عن القطاع العام ليست أول دراساتها من هذا الموضوع - ففي أغسطس ١٩٦٥ قدمنا دراسة « الوضع الراهن للقطاع العام » وفي أغسطس ١٩٦٦ قدمنا « قضايا التنمية والتخطيط في مصر » وفي نوفمبر ١٩٦٩ قدمنا « الرقابة على القطاع العام - مشاكل الفكر والتطبيق » *

وتنطلق الطليعة في اهتمامها بقضايا القطاع العام من موقف مبدئي ، هو ان القطاع العام قام ليكون الركيزة الأساسية للاستقلال الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ، وأن قاعدته اتسعت وتوطدت في المعارك ضد الاستعمار الجديد ، وضد الاحتكارات الدولية .

لذلك : اهتمت الطليعة بالجهد الكبير والبناء الذي بذلته بعض لجان تقصي الحقائق ولجنة الخطة والموازنة في مجلس الشعب ، عندها ركزت اهتمامها على الموقوفات التي تقف في طريق تقدم القطاع العام وتطوره . ومن هنا بادرت الطليعة الى نشر النصوص الكاملة لعدد من هذه التقارير ، ثم ساهم كتابها بالتعليق على كل تقرير منها . ثم نمت الطليعة في نهاية التقارير لتعطيها الشامل الذي يطرح ، من الزوايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، قضية الحفاظ على القطاع العام والدفاع عنه ، وتأمين دوره باعتباره القطاع الذي يجب أن يقود التطور الاقتصادي في البلاد .

تقرير لجنة استظهار الحقائق في موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة الخردة المختلفة



٤ - محمد سيد خليل أبو ستيرة
٥ - محمد خليل حافظ

أعضاء

وقد شرحت اللجنة في القيام بالمهمة التي نيطت بها ، مبدئة بشركة مصانع النحاس المصرية بالاسكندرية ، وعقدت مع المسؤولين بها اجتماعين في يومي ٤ و ٥ - ١٢ - ١٩٧٢ ، ثم قابلت اللجنة بزيارة مصانع الشركة لتلصف بنفسها على أحوالها .

ثم اجتمعت اللجنة يوم ٢٠ - ١٢ - ١٩٧٢ بالمسؤولين بشركة الحديد والصلب ، وزارت مصانعها .

ثم اجتمعت اللجنة بالسيد رئيس مجلس ادارة الشركة الاهلية للصناعات المعدنية والمسؤولين بها في يوم ٢٧ - ١٢ - ١٩٧٢ .

واجتمعت أيضاً بالسيد رئيس مجلس ادارة شركة الدلقا للصلب في يوم ٤ - ٢ - ١٩٧٣ . وعقدت اللجنة اجتماعها في يوم ٤ - ٣ - ١٩٧٣ بمسئول عن الشركة العامة للمعادن .

ثم دعت اللجنة أصحاب مصانع السحب التابعة للقطاع الخاص ، وعقدت معهم اجتماعاً

أصدر المجلس بجلسته المقررة صباح يوم الاحد الموافق ٢٦ - ١١ - ١٩٧٢ قراراً بتشكيل لجنة لاستظهار الحقائق فيها يختص بالاسباب التي تؤدي الى ارتفاع أسعار الحديد المختلفة

في السوق وفيما يتعلق بتجارة الخردة ، ونظام تسويقها ، وتأثير ذلك على الاسعار ، وهو موضوع السؤال الذي تقدم به السيد الدكتور مهندس محمود احمد القاضي عضو المجلس الى السيد وزير الصناعة والبتترول والشرورة المعدنية .

وقد أحال المجلس ، في ذات الجلسة ، السؤال واجابة السيد الدكتور الوزير عنه والتعليقات التي دارت في الجلسة بشأنه .

وقد صدر القرار بتشكيل اللجنة على الوجه التالي من السادة :

١ - الدكتور مهندس محمود احمد القاضي رئيساً

٢ - عبد القادر البحراوي

٣ - محمد عبد الرحمن قرقورة

يوم ١٢ - ٢ - ١٩٧٣ نشطت خلاله أحوال هذه المصانع والمشكلات التي تواجهها .

ثم عقدت اللجنة اجتماعاً يوم ١٣ - ٢ - ١٩٧٣ مع تجار الحديد المتفاعدين مع شركة الحديد والصلب للوقوف على المشكلات المتعلقة بتجارة الحديد .

ثم قامت اللجنة يوم ٣١ - ٢ - ١٩٧٣ بزيارة الشركة العربية المتحدة للشحن والتفريغ بالإسكندرية ، وكذلك الجمعية التصانوية الانتاجية لعمال فرقة القطن بالإسكندرية ، وأطلعت على نظم العمالة واللوائح الخاصة بها في كل من الشركة والجمعية .

ثم أنعت اللجنة اجتماعاتها ، بقاء مع تجار الحديد المتفاعدين مع شركة الحديد والصلب ، بحضور المسؤولين من الشركة للتعرف على وجهات نظر الطرفين في ٩ - ٤ - ١٩٧٣ ، ولقاء في ذات التاريخ مع السيد رئيس مجلس إدارة الشركة المصرية لتجارة المسادن (سيجال) للوقوف على خطوات وأجراءات الشركة إزاء قراضة النحاس .

ثم اجتمعت اللجنة يوم ٢٢ - ٤ - ١٩٧٣ لوضع تقريرها وتعيينه توصياتها .
واللجنة تورد تقريرها فيما يلي :

من العلوم أن الحديد سواء منه المستعمل في الخرسانة المسلحة (المبروم) أو الاصناف الأخرى المستعملة في الإنشاءات المعدنية (الزوايا والمكرات والصاج وخلافه) يباع في السوق السوداء بأسعار تعادل أضعاف الثمن الأصلي الذي يجب أن يتاج به هذه الاصناف هذه حقيقة واضحة وثابتة .

وهنا ينهض سؤالان ؟

(أ) كيف تتسرب هذه الكميات إلى السوق السوداء ؟

(ثانياً) كيف تصل الأسعار إلى الأرقام المرتفعة التي يباع بها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين فإن البحث سوف يقودنا حتى إلى النقاط التالية :

١ - انتاج هذه الاصناف من الحديد وظروف هذا الانتاج وتكلفته .

٢ - طرق توزيع هذه الاصناف وبيعها ومتابعة ذلك من المصنع حتى تصل إلى المستهلك الحقيقي .

إن السوق السوداء تنشأ عن أمرين :

(أ) الندرة .

(ب) سوء التوزيع .

هذان العاملان مجتمعان ، ولو أيهما يمكن أن يخلق سوقاً سوداء في أي سلعة من السلع إلا

أن الأمر يكون شديد الخطورة إذا اقتربت الندرة بسوء التوزيع فيصل الأمر إلى مدهاء ، وقد تبين للجنة أنه في بعض الحالات يرجع السبب إلى الندرة مع سوء التوزيع إلا أنه في بعضها يرجع السبب إلى سوء التوزيع وحده . على أنه قد تبين للجنة أن القوات التي يقطع فيها الحديد رحلته ، من المصنع إلى المستهلك ، تنوات تتسع أحياناً وتضيق أحياناً أخرى ، في مسيرة تحدها أباد تتمتع بالكثير من المهارة والبراعة في خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء ، تحقق أرباحاً طائلة لطائفة من المحتكرين والسباسرة ، يدفع المستهلك العادي من أفراد الشعب جزءاً منها ، ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الأعظم .

ولعله يحسن أن نقسم الموضوع إلى جزئين :

١ - الحديد المبروم (المستعمل في أعمال البناء) .

٢ - باقي أصناف الحديد (كالبنايا والمكرات والصاج وخلافه) .

الحديد المستعمل في أعمال

البناء (الحديد المبروم)

الشركات المنتجة لهذا النوع من الحديد هي شركة الحديد والصلب المصرية والدلتا للصلب والأهلية للصناعات المعدنية والنحاس المصرية .

وتقوم معظم هذه الشركات بإنتاج حديد التسليح منذ أكثر من عشرين عاماً بمعدات انتاجية كان قد تم شرائها قديماً في الاسلوبا زالت تعتمد عليها الشركات الثلاث (غير شركة الحديد والصلب المصرية) حتى الآن ، وقد أصبحت هذه المعدات في حالة يستحيل معها زيادة الانتاج ، كما أنها تعمل بطرق انتاج عتيقة وغير اقتصادية ، ولم تعد موجودة أو مستعملة في أية بقعة من بقاع العالم المتقدم الآن ، ذلك لأنها تعتمد على الجهود المعنوية خلافاً للطرق الحديثة الأوتوماتيكية فينتج من ذلك أن العمالة وبالتالي تكاليف الانتاج تصبح مرتفعة بشكل كبير عن مثيلاتها في المصانع الحديثة ، كل هذا بالإضافة إلى عناصر الانتاج الأخرى على النحو الذي سيأتي ذكره في هذا التقرير ، وبفضل كل ما ذكر فإن الكميات المروضة في النهاية لا تفي بحاجة المستهلك المحلي من هذا النوع من الحديد ، ويرجع ذلك

الأولى : المصانع التي تنتج حديد التسليح عندما تباع هذه الاصناف الفائقة الصنع أو التالفة بأسعار تزيد ٥٠ في المائة عن الاصناف الجيدة الصالحة للاستعمال ، ولت الأمر يقصر على فرق السعر بل أن الأذى والأمر هو أنها اصناف غير مطابقة للمواصفات تباع لإعادة سحبها وبيعها واستعمالها في مبان لن تكمل عمرها الاقتصادي بسبب العيوب الموجودة في الحديد المستعمل فيها وهو أمر سيظهر أثره حتما في المستقبل ويشكل خطرا على المبانى التي يستخدم فيها .

الثانية : المصانع المملوكة للقطاع الخاص والتي تعيد سحب هذه الاصناف وبيعها بأسعار عالية محققة ربحا كبيرا (الى جانب كميات اخرى من الخردة تقطع الى شرائح ثم يعاد سحبها بما فيها من عيوب خطيرة) .

وعلى الرغم من أنه غير مسموح لمصانع القطاع الخاص أن تقوم بإنتاج حديد التسليح إلا أنها تقوم بذلك مخالفة هذا الحظر ، والمفروض أن تنتج أصنافا أخرى كالخوص مثلا .

لذلك وينما لكل تلاعب فإن اللجنة تقترح في هذا الخصوص أحد لبرين :

(أ) فرض رقابة صارمة على هذه المصانع لالتزامها بإنتاج الاصناف التي تصدها لها الحكومة مع فرض التسعير الجبرى على هذه الاصناف .

(ب) ألا يسمح لهذه المصانع بالبيع مباشرة في السوق بل تسلم لها كميات محددة من مختلف مصانع القطاع العام ثم تسلمها بالتالى وتسحوية حسب الطلب الى إحدى شركات القطاع العام لتقوم ببيعها على أن يكون ذلك نظير مبلغ معلوم يدفع لها عن كل طن مع عمل حساب المبالغ في عمليات التصنيع على أن تمنح علاوات لجودة الإنتاج تشجيعا على تحسينه . وبهذا يمد هذا التنبؤ الذى يغذى السوق السوداء ، كما أن ذلك سيساعد على تخفيض أسعار الخردة كما سيأتى شرحه فيما يلى :

تجارة خردة الحديد :

يسوقنا الحديث السابق الى دراسة تجارة خردة الحديد ، وقد اتضح للجنة عند مراجعتها لكيفية تسويق هذا النوع من الخردة أن مصادرها ثلاثة :

كما ذكر السيد وزير الصناعة في المجلس - الى الانشاءات التي تقام في المدن والريف دون تراخيص بناء وازدياد احتياجات القوات المسلحة وقيام الدولة بمشروعات صناعية تستخدم كميات كبيرة من هذا الحديد ، مثل مشروع كهربية الريف ومجمع الحديد والصلب واحتياجات السكة الحديد . وتمتد الشركات المنتجة لحديد التسليح أساسا على خردة الحديد ، فانتاج المصانع حاليا بلغ ٢٢٠ ألف طن سنويا وهو ما يحتاج الى حوالي ٢٤٠ ألف طن خردة حديد وزهر بصفة أساسية مع بعض اضافات أخرى بسيطة بن مستلزمات الإنتاج ، وقد اعتمدت المصانع حتى عام ١٩٦٢ اعتمادا كليا على إنتاج حديد التسليح على الخردة المحلية ، ولكن منذ بداية عام ١٩٦٢ بدأنا تصفد خردة من الخارج بمعدل ٨٠ ألف طن سنويا ، وكان هذا الرقم يزيد وينقص طبقا لما يتاح من امكانيات .

أسباب ارتفاع أسعار

منتجات الصلب ومخلفاته

نظرا لعدم كفاية الخردة في الاسواق المحلية كما أن كميات الخردة المستوردة بدأت هي الأخرى في النقصان مما دعا المصانع الى التفاهات على الخردة المحلية ، فنتج من ذلك ارتفاع في أسعارها خصوصا وأنها غير كافية ، وهكذا أخذت أسعار الخردة في الارتفاع مما زاد في تكلفة حديد التسليح . ولما كانت أسعاره محددة فإن المصانع تفسر عندما تباع بسعر ٨٠ جنيها للطن - وهو السعر الصافى بعد استبعاد رسم اللزخ - وفقره خضبة جنيها من كل طن ، ولذلك - ومن المؤسف - أن الشركات أخذت تلجأ الى إنتاج بعض منتجات غير مسمرة لبيعها كما تشاء ولتعويز الخسارة في المنتجات المسمرة ، وهذه الاصناف يسمرها المرتفع هي أحد الثقوب الكبيرة والخطيرة التي ينساب منها حديد التسليح الى السوق السوداء الى جانب ثقوب أخرى سنذكرها .

اذن فقد أخذت ولا زالت هذه المصانع تنتج اصنافا غير كاملة التصنيع ، وارتفعت نسبتها عن المعتاد لأنها أوفر ربحا ، وتباع هذه الاصناف لمصنع القطاع الخاص التي تقوم بسحبها وبيعها بأسعار فاحشة الارتفاع . فكان السوق السوداء من هذه الناحية مصدرها جهتان :

(ا) خردة مستوردة من الخارج .
(ب) خردة محلية مشتتة من القطاع العام أو الحكومة .

(ج) خردة محلية مشتتة من تجار الخردة .

الخردة المستوردة

يتم شرائها من طريق لجان بمعرفة المؤسسات الحكومية ، ولهذا النوع من الخردة قصص تقرب من الخيال فهي تحتوي على أجزاء كثيرة غالية الثمن كالحديد الصالح لإعادة التصنيع وقطع الغيار التي يمكن إعادة بيعها بأسعار مرتفعة تبلغ أضعاف ثمن الخردة العادية ، وتقوم الشركات المنتجة بفرز هذه الاصناف وبيعها لتجار القطاع الخاص إلا أن الأمر الغريب هو أن هذه الشركات تبني هذه الاصناف بطريقة يشوبها الكثير من الشك إذ أنها لا تتبع في ذلك القواعد القانونية على الإطلاق ، ففي إحدى هذه الشركات (شركة مصانع النحاس المصرية بالإسكندرية) يتم البيع بطريق الممارسة المشوبة بالشك فيما عدا مرة أو مرتين في السنة السابقة كلها تم البيع من طريق المزاد ، وحتى هذا المزاد تحوّلته الشبهات فقد اتضحت للجنة أن الشركة تبني بسعر تقدره هي لتاجر معين ، وحتى هذا التقدير لا يتم عن طريق لجان مع أن المفروض أن يتم تقدير مجتبي من طريق لجنة فنية ثم يطرّح في مزاد علني أو بظاريب مغلقة . والشركتان الباقيتان تقومان إلى جانب ما تقدم ببيع هذه الخردة المستوردة التي تحتوي على أشياء ثمينة بطريقة أقرب ، إذ أنهما تقومان بإبداء هذه الخردة بخردة محلية وهي صلبة بيع بلا شك ، وكان يجيبان تتم بالطريق السليم ، فالخردة المحلية مصحدة للسعر ، أما المستوردة فتختلف قيمتها حسب ما بها من أشياء ثمينة ، وتتم هذه المبادلة بدهوى تشجيع الحصول على كميات أكبر من الخردة لسد حاجة الصناع مع أن ذلك يكون ممكناً أيضاً بإتباع الطرق السليمة .

كما أن عملية المبادلة تؤدي إلى ارتفاع أسعار الخردة المحلية وهو الأمر الذي حدث ويحدث حتى الآن ، وكل هذه أمور تثير فعلا الكثير من الشك ، ولعلّه يجدر باللجنة أن تذكر أنها عند مراجعتها للمقات هذه العمليات في إحدى الشركات وجدت أن عملية بيع أو شراء الخردة بمشترات الألوف بن الجنيهات كانت تتم

على ورقة من أوراق كراسات التسلايد ، باستهتار بالغ وأجراءات غريبة لا تقتضيه بالقوانين أو اللوائح أو حتى بالذوق السليم . وفي حقيقة الأمر فإن عمليات شراء الخردة نفسها هي الفوضى بينها ، وفي جو هذه الفوضى يعلم الله ما يمكن أن يحدث وما هو حادث بالفعل ، وقد لاحظت اللجنة أن هذه الشركات تبني أو تشتري الخردة من تاجر معين باستمرار ، وقد يستعين هذا التاجر ببعض الوسماء على سبيل التعمية إلا أن الكفاية والخاصة تعلم أن حقيقة الأمر هي أن تاجرا واحدا هو الذي يحتكر هذه العملية مع كل شركة من هذه الشركات مؤديا ذلك إلى أشد ما يمكن أن تؤدي إليه مثل هذه العملية الاحتكارية . فمن الناحية النظرية قد يقال أن هذه الشركات تسمح لمن يشاء بتوريد الخردة إليها إلا أن طرقا معينة ومعتمدة تتبع للجلل ذلك مجرد أمر نظري .

وقد يقال إنها خبرة طويلة لدى هؤلاء التجار المحتكرين إلا أن هذا الصغير - بالنسبة لشركة مصانع النحاس بالإسكندرية قد تولى ، غير أن ابنه ، وهو شاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر - مما يقطع بعدم خبرته - ، لا يزال يحتكر العمل مع هذه الشركة وليس هذا بسبب الخبرة طبعاً بل هو راجع لأسباب أخرى ورثها عن والده ولا زالت هذه الأسباب تجعل منه أحد أمراء الاحتكار في هذا المجتمع الاشتراكي الذي يجب أن يسقط هؤلاء الأمراء مهما كان الثمن ، تدعياً لثقة الناس في نظامنا الاشتراكي .

ويمكن إيجاز ما يحدث في تجارة الخردة على النحو التالي :

(ا) عملية توريد الخردة المحلية . . احتكار محض .

(ب) أسعار شراء هذه الخردة . . فيها تلاعب مستمر .

(ج) عملية بيع الاصناف الثمينة الداخلة في الخردة المستوردة أو خردة للقطاع العام لا تتم طبقاً للقواعد القانونية مما يؤدي إلى حدوث تلاعب مستمر فيها .

(د) عملية المبادلة بخردة محلية بدلاً من خردة مستوردة ، هي عملية بيع مقننة يحدث عن طريقها تلاعب كبير كما تؤدي إلى ارتفاع أسعار الخردة في السوق المحلية .

(هـ) نقل الخردة المستوردة لا يتم بالطريق السليم مما يساعد على قيام عمليات استبدال في الطريق .

وتلقت اللجنة رداً على خطابها بتاريخ ٢١ - ٢ - ١٩٧٢ نصه كالآتي :
« السيد الدكتور رئيس لجنة استظهار
الحقائق مجلس الشعب :

تحية طيبة وبعد ، رداً على خطابكم الصادر
برقم ٩٧٤ بتاريخ ٦ - ٣ - ١٩٧٢ نتشرف بأن
نرفق لسيادتكم بيان الخردة المفروزة المستفنى
عنها والمباعة خلال الخمس السنوات الماضية
علما بأن الشركة كانت تقوم بهذه العمليات عندما
تتوافر ظروف فرز الخردة المستوردة أو الخردة
الحالية في بعض الأوقات وتقوم بسداد فرق
الرسم الجمركية عن الخردة المستوردة المباعة
الى مصلحة الجمارك وفقاً للاتفاق معها بهذا
الشان . هذا وقد كان بيع الخردة المستفنى
عنها في أوائل السنوات الخمس الماضية
بالمزايدة استهدافاً للتصرف على الشروط
والأسعار المناسبة ، ونقد أيضاً أنه خلال
السنتين الماضيتين ضعف الوارد من الخردة
المستوردة ، ولذلك فإن عمليات البيع زادت
بالنسبة للخردة الحالية ، وكان يتم التصرف
فيها بالمعاملة وبأنسب الشروط أما نقداً أو
بالبادلة بحديد خردة في بعض الأوقات »
برجاء الإحاطة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
أعضاء

رئيس مجلس الإدارة

ومن هذا الخطاب ينضخ صدق ما وصلت
اليه اللجنة من أن البيع لم يكن يتم بالمزاد أو
حتى بالمعاملة السليمة فهي ممارسات صورية
ومضحكة ويتم البيع لشخص معين بمسلفة
مستمرة أو لبعض شركاته أو وسطائه في بعض
الحالات للتمتية . وحقيقة الأمر أن هذه الشركة
قامت بالبيع عن طريق مزاد لا يوحى بالثقة ،
ولكن حتى ذلك تم مرة واحدة فقط في خمس
سنوات في بداية التعامل في هذه الأصناف .

الحديد الذي يعاد

سجبه ونظام بيعه

تبيع شركة الحديد والصلب والشركات
الثلاث الأخرى لمصانع القطاع الخاص أصنافاً
غير تامة الصنع أو أصنافاً من عوادم الدرفلة
وذلك بأسعار أعلى من الأصناف الكاملة الصنع
كما بين التقرير قبل ذلك إلا أن هذه العملية

وقد جاء في رد السيد وزير الصناعة عن
السؤال الموج لسيدته من الدكتور محمود
أحمد القاضي عضو المجلس بجلسته ٢٦ نوفمبر
سنة ١٩٧٢ ما يلي :

« وقد اتضح لنا أن الأساليب المتبعة في
أحدى الشركات قد لا تكون هي أصح الأساليب
وأكثرها بعداً عن الشبهات ولذلك فقد طلبت
المؤسسة المعدنية - وهي المؤسسة المختصة
بالإشراف على هذه الشركات - بعض
الإيضاحات عما يقبع بشأن شراء الخردة ونقلها
لهذه الشركة فإذا تبين لنا من البيانات أن ثمة
أساليب معينة تتبعها الشركة في معاملاتها
فستحال المسألة برمتها الى جهات التحقيق
(النيابة الإدارية - ثم النيابة العامة إذا اقتضى
الأمر ذلك) »
ورغم أن هذه العمليات في شركة مصانع
النحاس بالإسكندرية وغيرها من الشركات
المنتجة للحديد لا يشوبها الشك فقط بل هي
غارقة في ذلك إلا أن شيئاً ما لم يحصل
للتحقيق .

وقد قامت اللجنة بفحص ملفات هذه
العمليات لدى شركتين من هذه الشركات كما
طلبت بيانات من جميع الشركات عن هذه الأوقات
وقد أفادت الشركات اللجنة بما طلبته ، ولما تبين
للجنة من فحص الملفات والبيانات عدم سلامة
الطرق التي يتم بها بيع الأصناف المفروزة من
الخردة وأن إحدى هذه الشركات (الشركة
الأهلية للصناعات المعدنية) لم تقم بالبيع بالمزاد
غير مرة واحدة وبطريقة غير سليمة فإن اللجنة
رأت - وكمثال - وقطعاً للشك باليقين أن ترسل
خطاباً لهذه الشركة صريحاً في معناه نصه
كالآتي :

« السيد رئيس مجلس إدارة الشركة الأهلية
للصناعات المعدنية

إبو زعل - قليوبية

تحية طيبة وبعد ، فأرجو التكرم بوافاة
اللجنة بمحاضر قرارات بيع لوطات الخردة
المفروزة التي تمت خلال السنوات الخمس
الماضية ، أو بيان طريقة البيع .

ونأمل أن تصل في أسرع وقت
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
تحريراً في ٥ - ٢ - ١٩٧٢

رئيس اللجنة

أعضاء

د . مهندس محمود أحمد القاضي

بالاستمرار في إستيراد الخردة من الخارج لتكملة احتياجات هذه المصانع وتوزيعها عليها حسب طاقاتها الانتاجية ، لأن ذلك أفضل من استيراد حديد التسليح من ناحية توفير العملات الصعبة ، كما توصي اللجنة بتوحيد الجهة التي تحدد الكميات التي تسلم من مخلفات المصانع الى مصانع القطاع الخاص لاعادة سميها على أن تحدد حسب إمكانيات الإنتاج الموجودة بهذه المصانع الأخيرة طبقاً لاسس عادلة وأسعار موحدة .

الصديد غير التام الصنع وميزانية الشركات

وقد قامت اللجنة بمراجعة موازنات الأرباح والخسائر للشركات المنتجة للصديد عن السنوات الخمس الماضية ، ولاحظت اللجنة أنه لو استبعد فارق سعر بيع هذه الانصاف غير القابلة للصنع او عوائد الدخل التي تباع لمصانع المسبك لكانت شركات الحديد كلها تكاد تكون خاسرة مما يدل على أنها تحقق معظم أرباحها عن طريق بيع هذه الانصاف بأسعار مرتفعة يدفعها المستهلك في نهاية الامر ، والمستهلك هنا هو افراد الشعب أحياناً والحكومة والقطاع العام في معظم الأحيان .

ويتضح من ذلك أن مواقف هذه الشركات في حاجة لمراجعة ، وأن مصانعها في حاجة الى تجديد بما يسير العصر الحديث والتقدم العلمي السريع الذي يجري في العالم من حولنا ، فليس معقولاً أن تستمر هذه المصانع في الإنتاج بمعدات بدائية تكاد تكون مستهلكة في معظم الأحيان ويدفع اقتصادنا القومي الثمن غالياً في نهاية الامر .

إن المصانع تحتجز دائماً قسماً سنوياً للأهلاك (woppsadep) يحدد على أساس عمر الآلات والمباني وغيرها وعند تجديد عمر الآلات يدخل في ذلك عامل هام لاقصى درجات الأهمية ، وهو احتياال حدوث تطور علمي يؤدي الى تغيير في الآلات بحيث قد تصبح الآلات القائمة بالمصنع غير الاقتصادية وغير قادرة على المنافسة ، وهنا يحسن استبدالها بغيرها من الآلات الحديثة ، مع أنها قد تكون قادرة على الإنتاج ، ولكن الميزة هنا ليست بالإنتاج في حد ذاته ، وإنما بالكفاءة

أيضاً تتم بطريقة أكثر غرابة وأكثر مدعاة للشك من عملية بيع وشراء الخردة ، فكل مصنع من هذه المصانع يبيع هذه الانصاف بأسعار يحددها بمفرته وهي تختلف من مصنع ، الى مصنع ، ويصل هذا الاختلاف الى فارق ملموس رغم أن الانصاف لا تكاد تختلف من مصنع لمصنع وهذه الكميات تتفاوت عليها بشدة مصانع القطاع الخاص مما يفسح مجالاً للتلاعب عند بيعها ، ومن الغريب أنه لا يوجد ضابط للكميات التي تسلم لكل من مصانع القطاع الخاص ، وللتحديد السعر مما يؤكد خطورة هذا الوضع ، وتود اللجنة ان تشير هنا الى أن اصحاب هذه المصانع قد أصبحوا في غالبيتهم يملكون ثروات ضخمة عن طريق تعاملهم مع هذه الشركات ، والاتجار في هذه الانصاف .

إن عملية بيع وشراء الخردة المحلية وصعبة بيع انصاف الحديد غير المسمر ، لمصانع القطاع الخاص ، لها مثل للتسيب الموجود في بعض مؤسساتنا ، بل أن اللجنة بالاجماع قد دهمت كل الدهشة للأسلوب القبيح في هذه العمليات ، وتوصي اللجنة بأن تحال هذه العمليات برمتها للهيئة العامة للتحقيق فيها فوراً مع اتخاذ الإجراءات الفورية لإيجاد المسؤولين بهذه الشركات مؤقلاً حتى ينتهي التحقيق في هذه الأمور ، كما توصي اللجنة أن تتولى وزارة الصناعة حساب الكمية اللازمة لكل مصنع من المصانع التابعة لها من الخردة المحلية - في حدود الكميات المتاحة بالسوق - بالتنسيق مع المصانع كلها ، ولا يسمح لأي مصنع بشراء أكثر من الكمية التي سيتحدد له حتى لا تحدث منافسة بين هذه المصانع في شراء الخردة ، مما يترتب عليه ارتفاع أسعارها ، ومن الجدير أن علينا يستوفي أي مصنع من المصانع الكمية المحددة له فستتجه الخردة تلقائياً لمصنع آخر لأنها الجهات الوحيدة المستهلكة لها ، كما يجب تثبيت سعر الخردة بشكل قاطع لا يسمح بالتلاعب أحياناً الآن .

كما توصي اللجنة بوجود بيع الانصاف المقروزة ، أن وجدت ، في مزادات علنية مع عدم ربط البيع بعملية توريد خردة ، حاجة لتوزيع مورد الخردة ، إذ أن الخردة لابد أن تصل في نهاية الامر الى المصانع . كما توصي اللجنة بإيقاف جميع عمليات المبادلة أو المقايضة حتى يتم الفصل تماماً بين توريد الخردة واستلام أي بديل لها ، كما توصي اللجنة

السلعية التي ثبت في العروض ، وهي أيضا الموكل اليها عمليات التعاقد والتفويض . ومثل ذلك ما تكشفه الرقابة الإدارية من أهد الحالات والتي ثبت تقاضى بعض المسؤولين لعمولات احتجرت لهم بالخارج عن عمليات استيراد الخردة ، من أن أحد المتهمين كان يشغل وظيفة المدير المالى والتجارى للمؤسسة ، وفى نفس الوقت كان رئيسا لجهاز تنسيق الخردة بحكم وظيفته وضمن المكلفين بالتفاوض والتعاقد والإشراف على التنفيذ .

٥ - كما يتردد أن بعض المتفاوضين لجأوا الى رفع سعر الواردات موضوع التفاوض أو خفض سعر المنتجات والحاصلات المتعاقد على تصديرها من ج ع م . بغية زيادة حجم العمولات المستحقة لهم .

٦ - كما لجأ بعض المتفاوضين الى اتمام التعاقدات عن طريق الوسطاء أو وكلاء الموردين - الذين يحصلون على عمولات عن تلك الصفقات - الامر الذى يؤدي الى رفع سعر المواد موضوع التعاقد نتيجة لاضافة هذه العمولات على السعر . وقد ثبت للرقابة الإدارية أن شركة ستيليت الامريكى عندما تعاقدت مع المؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية على توريد كمية من الخردة (الكتل) بلغت ٤٠ ألف طن كانت قد انفلتت مع الوسيط الذى تعاقدت خلاله المؤسسة المصرية على عمولة قدرها ١٥ دولار عن كل طن . وقد اتضح أن الوسيط قد تقاسم العمولة مع بعض المتهمين من العاملين بالمؤسسة .

٧- نظرا لان هذه العمولات تتم بين طرفين كلاهما مستفيد ، ورغم أن هذه الوقائع تشكل جرائم جنائية ، محيطة فى الاستغلال والرشوة والتلاعب فى عمليات الاستيراد أو التصدير مما يقع ضرره على الدولة الا أنه يصعب السير فى اجراءات الضبط قبل مرتكبها نظرا لان شقا هاما من جوانب الاثبات يتواجد بالخارج سواء بالبنوك أو الشركات الاجنبية الامر الذى يتيح لهؤلاء المستفيدين الافلات من طائلة القانون .

٨ - الا ان فى أكتوبر ١٩٦٩ أمكن للرقابة الادارية اثبات تقاضى بعض كبار العاملين بالمؤسسة المصرية العامة للصناعات المعدنية وشركاتها لعمولات حوزت لهم بحسابات ، عن بارقام سرية ببعض البنوك الاجنبية ، عن عمليات استيراد الخردة اللازمة لشركات المؤسسة ، وأمكن اعادة الاموال السويدة بالحسابات المصرية لهؤلاء العاملين فى بنوك

الموجودة فى هذا الانتاج ، حتى يكون انتاجا اقتصاديا ومنافسا ، والا تحمل الاقتصاد القومى عبئا ثقيلا نتيجة تشغيل آلات مختلفة وغير اقتصادية كما هو حادث بالنسبة لهذه المصانع ومثيلاتها .

شراء الخردة المستوردة :

وقد قامت اللجنة بدراسة عملية شراء الخردة المستوردة واتضح لها أنها لا تتم بالطريقة السليمة ولملح من الاوفق أن تورد اللجنة هنا ما جاء فى تقرير الرقابة الادارية عن التلاعب فى التعاقدات الخارجية والتي كانت عقود الخردة مثلا سريا لها ، لما حدث فيها من الحراف .

وقد جاء فى تقرير الرقابة الإدارية ما يلى :

التلاعب فى التعاقدات الخارجية :

١ - بالنسبة للصنف والمعدات التى يتقرون شراؤها من الخارج ، فانه يتم استيرادها إما بمعرفة الشركات التجارية المتخصصة أو تتولى المصالح أو البيئات أو الشركات استيرادها بمعرفة مباشرة .

٢ - يتم الشراء من الخارج إما بواسطة طلب عروض من الموردين الاجانب واختيار انسبها أو عن طريق افراد لجان يكون لها الصلاحيات للبت فى عمليات الشراء وتنفيذها ، أو عن طريق طرح العملية فى مناقصة عالمية .

٣ - تبيح النظم التجارية المعمول بها فى الخارج دفع عمولات للمعامل أو مستودعيهم وخاصة فى التعاملات التجارية ذات القيمة المرتفعة ، ويعتبر ذلك ابرا مشروعا فى عديد من الدول الاجنبية تحذره وتشجعه وتسمى اليه ، رواجها لبيع السلعة مع اعطاء الضمان الكفى بوضع الأموال فى حسابات سرية يصعب على جهات الامن الكشف عنها .

٤ - فى ضوء ذلك ، أصبح ملموسا أن غالبية الصفقات التى تتم بين الوحدات الاقتصادية أو القطاع الحكومى فى الجمهورية العربية المتحدة وبين الموردين أو المستوردين الاجانب تخصص فيها عمولات يتقاضاها المتفاوضون الذين تكلفهم الدولة بانجاز هذه الصفقات - وغالبا ما تحجز هذه العمولات فى أحد البنوك الاجنبية فى حسابات سرية - وقد ساعد على ذلك أن قمة الأجهزة المتحركة فى التفاوض تكون هى أحيانا المشتركة فى المجالس

سويسرا ، والتي بلغت حوالى ١٨٠ الف دولار .

٩ - كما قلقت الرقابة الادارية بمتابعة عمليات استيراد هجمات ومعدات ، تقدر قيمتها بحوالى مليون جم ، من احدى الشركات المالية لصالح احدى الجهات الحكومية ، وكشفت المتابعة من حصول بعض العاملين على عمولات بلغت حوالى ١٨ فى المائة من حجم التعاقد ، احتجرت لهم بالخارج نظير رفع الاسعار ينسب لتترواح بين ٢٠ و ٤٠ فى المائة .

واللجنة تدهش للطريقة التى انتهت بها الامر !! فكيف بلغت هؤلاء الافراد من القناب !!! وهل يبلغ الى ١٨٠ ألف دولار هو كل المبلغ المدفوع !!!

ان اللجنة هنا ايضا توصي بان يحال هذا الامر للمدعى العام الاشرافى لانسكمله وحرب تلك الايدى العابثة باقتصاد البلاد وازراق الشعب .

اصناف الحديد الاخرى

والمقصود بها جميع اصناف الحديد غير حديد التسليح وهذه الاصناف تقوم بانتاجها شركة الحديد والصلب المصرية الى جانب كميات اخرى تستورد من الخارج من الاصناف التى لا يتم صنعها محليا . وهذه الاصناف توزع على النحو التالى :

١ - بعض الكميات توزع عن طريق تجار الحديد وان كانت الكميات التى تتاح لهم قد قلت كثيرا فى السنتين الاخيرتين .

٢ - كميات تصرف لشركات القطاع العام (مقاولات او غيرها) .

٣ - كميات تصرف لجهات حكومية ، او لشوارع معينة .

٤ - كميات تصرف للورش التى تشتغل فى تصنيع الحديد .

ومن هذه الكميات ما يتسرب الى السوق السوداء لان ما يصرف لعمليات المقاولات يتجاوز فى معظم الاحيان ما تحتاجه هذه العمليات فى حقيقة امرها ، فيتسرب الفائض للسوق السوداء ، كما سيأتى شرحه فى هذا التقرير ، اما الكميات التى تصرف للورش فهى لا تقدر ايضا على اساس سليم ، بل ان جزءا من هذه الورش لا وجود له الا على الورق ، كما ان بعض هذه الورش لا يقوم بتصنيع ما يصرف لها من الحديد ، بل انها تحقق ربحا سهلا

واكبر عن طريق الاتجار فيه ، واحيانا لا تكاد تستلمه من شركة الحديد والصلب بل تبنيه لبعض الوسطاء بارياب كبيرة ، وهكذا تتمدد عمليات التداول فى الحديد ، حتى يصل الى المستهلك الحقيقى ، وفى كل دورة من دورات هذا التداول ترتفع اسعاره لتصل الى ارقام خيالية قد تكون اربعة اضعاف للشئ الاصلى فى بعض الحالات ، وقد اوجدت هذه الحلقة من التوزيع السيئ طبقة كبيرة من السماسرة والوسطاء لا يهبها الا الكسب باى طريق ، ولا يعالج هذا الامر غير احكام التوزيع بما لا يسمح بالتداول مع فرض التسعير الجبرى على كل اصناف الحديد وفرض عقاب رادع على من يخالف هذه التسعيرة واعتبارها جريمة ضد الشعب مع اعادة حصر الورش من جديد ويطب كميات لها تحد بمعرفة لجان فنية مع تشكيل لجان لتتار الطموح فى هذه التقديرات ، هذا بالإضافة الى متابعة مستمرة من اجهزة الرقابة الصناعية لهذه الورش للتأكد من جدية عملها من وقت لآخر .

وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات مع تجار الحديد ومع المسئولين فى شركة الحديد والصلب وقد اتضح للجنة من المواجهة ان سعر الحديد فى السوق السوداء كان ينخفض كلما سلطت الشركة كمية منه للتجار كما لاحظت اللجنة ان انتاج هذه الاصناف بالإضافة الى ما يتم استيراده يمكن ان يكفى حاجة البلاد بل ما كاف فعلا ، فيكون منشأ السوق السوداء انزهو سوء التوزيع التى تقمده بعض الجهات بل وتفعله لخلق سوق سوداء تعود عليها بالربح الحرام ، وقد وافق المسئولون عن البيع بشركة الحديد والصلب على أن تسليم كميات معقولة للتجار كلها سمحت ظروف الانتاج مع فرض التسعير الجبرى سيكون عاملا هاما لخفض الاسعار والعودة بها الى الوضع الطبيعى .

شركات المقاولات التابعة

للقطاع العام ومقاولى الباطن

تبين للجنة ان الحديد باتواحه المختلفة يتسرب الى السوق السوداء من ثغوب عديدة لعل أهمها هو قطاع المقاولات وتتم عمليات هذا القطاع على النحو التالى :

١ - عمليات يتم التعاقد عليها بين الجهات الحكومية وشركات القطاع العام من ناحية ،

وقامت اللجنة بفحص هذه العملية من جميع النواحي ، وانددت بموافقة رئيس المجلس السيد المهندس محمد نادر البارودي وبعمل سيادته مديرا بشركة راكتا بالاسكندرية خبريا لها لفحص هذه العملية ، فقام سيادته بفحصها من جميع النواحي وتقدم لها بقرار كامل عن هذه العملية .

وقد تبين للجنة من هذا التقرير مدى ما يحدث في عمليات مقاولات الباطن من مخالفات وتجاوزات بل وانحرافات توجزها اللجنة في النقاط التالية ، تاركة التفاصيل لتقرير المهندس القدير ، فقد أثبتت الدراسة سوء تقدير كميات الحديد مما يؤكد ما ذهبت إليه فسي استنتاجاتها ، كما أثبت هذا التقرير كيف تنتقل عمليات المقاولات من شركات المقاولات التابعة للقطاع العام الى مقاولي الباطن بطرق ملتوية بالشك والريبة وسوء النية .^{١٠} وقد كشف التقرير على مايتى :

(ا) جملة العقود الخاصة بالعملية التي تم فحصها كمثال ، حوالى ستة عشر عقدا ، عن عمليات بعضها متشابهة والاخر مختلف ، وقد رست جميعها على نفس مقاول الباطن .

(ب) طريقة طرح المعطيات او رسوها غريبة ومخالفة للاصول .

(ج) رغم أن القانون ينص على ألا يزيد حجم المبيعات التي تستند لمقاول القطاع الخاص على ١٠٠.٠٠٠ جنيه في العام الواحد في مجموعها ، الا أن إحدى هذه العمليات وحدها تزيد على مائتى ألف جنيه فضلا عن مجموعها .

(د) ورغم أن القانون ذاته ينص على عدم تجزئة المعطيات الا أن الشركة لجأت لطرق غريبة وخاطئة ظلت أنها تخرجها من نطاق تطبيق القانون لاسناد عمليات لنفس المقاول تزيد على النصاب القانوني .

(هـ) ساعدت الشركة المقاول على التهرب من دفع الاشتراكات المستحقة لهيئة التأمينات الاجتماعية وهي مبالغ كبيرة بموطلق ملتوية .

(و) تم التماطل في إحدى العمليات على ١٥٠.٠ طن ، وتمت المحاسبة عن حوالى ٢٨.٠ طن بعد الاتفاق على تعديلات في الرسومات والوصفات ، وفي هذا مصلحة كبيرة للمقاول تنتج عن تغيير تخانات الحديد ، ومقاسات القطاعات ، علما بأن الاسعار قد تختلف في هذه الاحوال بغرقى كبيرة ، وتحقيقه بذلك ربحا كبيرا للمقاول .

وبعض مقاولي القطاع الخاص مباشرة من ناحية اخرى .

٢ - عمليات يتم التعاقد عليها بين نفس الجهات السابقة وبين شركات مقاولات قطاع عام ، وهذه الاخيرة تقوم باسناد معظمها من الباطن الى مقاولي القطاع الخاص .

وكما ذكر التقرير قبل ذلك فان شركة الحديد والصلب او جهات الاسكان تقوم بصرف الكميات المطلوبة لمثل هذه العمليات منبعا لتقديرات الجهات الحكومية او القطاع العام ، وهي كميات غالبا ما يبالغ فيها الى حد بعيد عن طريق الخط أحيانا ، وعن طريق الممد أحيانا اخرى ، وتسلم هذه الكميات لمقاولي القطاع الخاص او الباطن الذين يقومون بتصنيع جزء منها للعمل ، والفائض يترسب للسوق السوداء بأسعار مرتفعة ، وهذه الكميات بهذا السعر الرخيص من اصناف لا يستعملها الا الحكومة او القطاع العام فهي بالضرورة ستعود لهذه الجهات في بعض توريدات او مقاولات اخرى بهذه الاسعار الضخمة ، وتعتقد اللجنة أن ما تضره الحكومة او شركات القطاع العام عن هذا الطريق يصل الى مبلغ يتراوح بين عشرة وعشرين مليوناً من الجنيهات في العام الواحد ، إذ أن حجم مبيعات شركة الحديد والصلب وحدها حوالى ٤٠ مليوناً من الجنيهات .

فلو تصورنا أن حوالى ربع هذه الكمية فقط وهو تقدير متواضع للغاية يعاد بيعه للحكومة والقطاع العام بسعر يعادل ٢٥٠ في المائة من سعره الاصلي ، لكانت الخسارة لا تقل عن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات يمكن تلقيها لو أحكم التسليم وتم تقدير الكميات تقديرا سليما ودقيقا .

واللجنة تقترح أن تكلف جهة هيئة المراجعة المستمرة لعمليات الحكومة والقطاع العام للتأكد من سلامة التقديرات ومطابقتها للواقع ، وأن يكون العقاب رادعا إذا ثبت العمد في سوء التقدير لهذه الكميات إذ أنها حتما ستتزلزلي السوق السوداء .

فحص إحدى عمليات المقاول

وقد اختارت اللجنة - على سبيل المثال - إحدى عمليات المقاول المسندة من شركة مصانع النحاس المصرية لشركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح بالاسكندرية وهي عملية « حنبر البقي »

وهكذا يتضح كيف تنتقل الأعمال الى مقبولى الباطن ونحن نظن أن الغائب بها هو القطاع العام وما هو الا الظن خاطيء *

وجه الخطوة

ان الحكومة والقطاع العام تقوم باستناد الاعمال لشركات مقاولات القطاع العام بسهولة ودون تدقيق فى الاسعار ، فلما سها انه لاداعى للكثير من الدقة طالما ان التعاقد يتم مع شركات قطاع عام ، ثم تقوم معظم هذه الشركات فى اغلب الاحيان باستند هذه الاعمال الى مقابولى الباطن بطرق مشابهة للسبل الذى لوضحته اللجنة وقد اباح القرار الجبهرى بالقانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢ استناد عمليات لشركات المقاولات بتكليف دون طرحها فى مناقصات عامة ، وقرى اللجنة وجوب الفاء هذه القواعد والا يكون استناد الاعمال الا عن طريق المناقصات مع التقيد بشروطها وانقراماتها تماما * كما توىى اللجنة بضرورة الالتزام بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠ لسنة ١٩٦١ والمعدل بالقرار رقم ١٠٤٩ لسنة ١٩٦٢ وخصوصا ما نص عليه من حظر تجزئة المعطيات بقية اسنادها الى مقابولى القطاع الخاص تهربا من الحد الاتصى المنصوص عليه فى هذه القرارات وهو مبلغ المائة الف جنيه فى العام *

كما توىى اللجنة بتعديل لائحة المناقصات والمزايدات ، فقد صدرت عام ١٩٥٧ قبل صدور القوانين الاشتراكية ، وبالتالي أصبحت أحكامها لا تتفق وسيادة القطاع العام والمزايدات صمم التعامل معه *

خردة النحاس (القراضة)

لما كان قرار المجلس ان تدرس اللجنة الى جانب اصهار الحديد وارتفاعها موضوع تجارة الاتواع المختلفة من الخردة فقد رات اللجنة استكمالا للبحث ان تدرس موضوع خردة النحاس وهو ما افاره للعضو الدكتور محمود احمد القاضى فى سؤاله الوجه الدكتور وزير الصناعة *

وقد اتضح للجنة انه موضوع على جانب كبرى من الاهمية وانه جانب هام من جوانب تجارة الخردة تتم فيه عمليات احتكارية

واستغلالية اكبر مما يتم فى خردة الحديد ، وتعتبر اللجنة هذا الجزء من التقرير مكملا للتقرير الذى سبق ان تقدمت به لانتاج الصناعى للمجلس الموقر ، وهو جزء ضرورى يتعرض لهذا الموضوع من زاوية غير الزوايا التى تتناولها لجنة الانتاج الصناعى فى تقريرها المشار اليه ، وتوجد اللجنة ملاحظاتها فى تجارة هذا النوع من الخردة فيما يلى :

تقوم كل من شركة مصانع النحاس المصرية والشركة العامة للمعادن (وسنرمز لسلاولى بشركة الاسكندرية وللثانية بشركة القاهرة فى هذا التقرير) وحدهما بانتاج النحاس ويعتمد انتاجهما على خردة النحاس التى يتم الحصول عليها من السوق المحلية ، والتى كان يقوم بتوريدها للمصنعين تجار معينون احتفلوا بل واحتكروا هذا العمل لمدة طويلة ، وهم لا يزدبون على ستة افراد يتدرجون فى حجم الكمية الموردة من كل منهم ، الا انه عندما عين المهندس مراد نور الدين رئيسا للشركة المصرية لتجارة المعادن (سيجال) وكان قبل ذلك مديرا للشركة العامة للمعادن التى تعمل فى انتاج النحاس ، طلب الى الشركتين اللتين تنتجان النحاس والالومنيوم ، ان تقولى شركة سيجال تسويق منتجاتهما ، حيث ان سيجال كانت تقوم بتسويق المنتجات المعضية المختلفة ، ولكن الشركتين صممتا على ان تقوم سيجال بتوريد خردة نحاس مقابل ما يتم تسليمه لها من منتجات لان هذا ، فى رأى الشركتين ، هو السبيل الوحيد للحصول على الخردة (اى مبادلتها بالمنتجات) ، وتم الاتفاق فعلا فى سنة ١٩٦٩ بين الشركة العامة للمعادن - شركة القاهرة - وشركة سيجال - وبمقتضى هذا العقد قامت شركة سيجال بتوريد القراضة بمفردها ، وفى ابريل سنة ١٩٧٠ تم الاتفاق بين سيجال وكل من الشركة العامة للمعادن ومصانع النحاس بالاسكندرية على ان تقوم سيجال مشتركة مع بعض التجار بتوريد القراضة مضاصفة للشركتين لمدة سنة وسارت الامور الى ان اصبح الوضع فى سنة ١٩٧٢ كالآتى :

١ - عقد سيجال مع شركة القاهرة بالاشتراك مع التجار ينتهى فى ٣٠ - ٦ - ١٩٧٢ *

٢ - عقد سيجال مع شركة الاسكندرية بالاشتراك مع التجار ينتهى فى ٣١ - ٨ - ١٩٧٢ *

٣ - في شهر ٦ سنة ١٩٧٢ طلبت شركة سيجال قصر المحمد عليها دون التجار في خطاب لها بتاريخ ٢١ - ٥ - ١٩٧٢ حتى يتسنى لها تنظيم السوق ، أو أنها ترفض تجديد العقد ، فرفضت الشركتان ، وأرسلت شركة القاهرة لشركة سيجال خطابا في ٤ - ٦ - ١٩٧٢ «تسجيل عليها الشكر على قيامها بتنفيذ تمهيداتها وتوريداتها وحسن توزيع سيجال لمنتجات هذه الشركة» .

الا ان الشركة ثالث في خطابها بـ «سيجال» ذلك فانا نرى صون على الحفاظ على صيغة التعامل الحالية التي تضمن لنا أكثر من مصدر لتوريد الخامات » .

وفعلنا لم الاتفاق على انتهاء العقد وتسوية الحساب واخطرت شركة القاهرة سيجال بأمرها على عدم قصر التعامل معها قائلا مرة أخرى :

« كما ان اعتبارنا على أكثر من مصدر لتوريد الخامات ضيقا لانتظام انتاجنا وبناء على ذلك فقد قررنا فتح باب التعاقد على توريد احتياجاتنا خلال الأشهر الستة القادمة اعتبارا من ١ - ٧ - ١٩٧٢ أمام كبار تجار الصنف وندهوكم الى التقدم بمرحلتكم وفقا للشروط المرفقة في موعد غايته ٢٥ - ٦ - ١٩٧٢ » .

وفعلنا طرحت شركة القاهرة المطاء بنحوي مناسبة أولها « نرغب الشركة في التعاقد على توريد من ٩٠٠ - ١٠٠٠ طن قراضة خلال المدة ويمكن للمورد التقدم بتوريد جزء من هذه الكمية بحيث لا يقل التعاقد عن ١٢٠ طنا » .

وتقدمت سيجال في المناقصة ورست عليها ، وتم التعاقد معها وحدها لمدة ستة شهور تبدأ من ١ - ٧ - ١٩٧٢ الى ٣١ - ١٢ - ١٩٧٢ .

٤ - حيث ان عقد سيجال مع شركة النحاس بالاسكندرية بالاشتراك مع التجار لم يكن قد انتهى الا انه لن يكون أمام هذه الشركة عند نهايته الا ان تتعاقد مع سيجال بفرقة كما فعلت زميلتها بالقاهرة ، وكما تصر سيجال ، حتى يمكن أن تتحكم في سعر الخرقة » .

وهنا بدأت المؤامرة

ينص عقد سيجال مع شركة الاسكندرية على ان يتم توريد الخرقة مناصفة الى النصف من

سيجال والنصف من النجار ، على انه لو ورد التجار كميات تزيد على اصبحتهم فانها تضاف لرصيد سيجال بطريقة تلقائية مع عمل الحساب اللازم . . . لراد بعض التجار أخراج سيجال لإظهارها بمظهر العاجز عن التوريد ، تمهيدا لإخراجها من العملية والأفراد بها ، (الامر الذي تم فعلا بعد ذلك فاشترى تاجران ميدان كميات كبيرة من القراضة بأسعار مرتفعة وقبها بحجزها ليهما حتى تمجيز سيجال عن التوريد لشركة القاهرة التي كانت سيجال في هذا الوقت المورد الوحيد لها ، رغم أن سيجال قبلت الشراء بسعر مرتفع نوعا ما ، الا أنها لم تستطع جمع الكمية المطلوبة حيث أنها كانت مخزونة لدى هذين التاجرين ، والغريب انهما امتنعا من توريدها لشركة الاسكندرية - الا فانها تضاف لرصيد سيجال حسب العقد ، وهنا تم اتفاق مريب وغريب بينهم ببيع شركة الاسكندرية ، ثم بمقتضاها ان وردت الكميات الإضافية لهذه الشركة بأسعار اقارب للتاجرين ، وذلك بالإضافة لأحكام العقد ، ودفعت الشركة لهم قيمتها ، ولو كانت هذه الشركة قد صممت على ان يتم التوريد من التجار أنفسهم لاضيفت لسيجال ، بل ولكن هناك فاض يتيسر لسيجال توريده لشركة القاهرة الا ان شركة الاسكندرية قبلت بعبء حاجتها الماسة للقراضة - وهو امر مشكوك فيه - وكانت بذلك مساعدة لهذين التاجرين المحتكرين على أخراج شركة سيجال وإظهارها بمظهر العاجز عن التوريد ، حتى يكون هناك مبرر لإلغاء عقودها أو عدم تجديدها ، علما بأنها قامت بالتوريد من سنة ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٧٢ بنجاح ، الا ان الجديد في الامر هو ان هذين التاجرين وعيلاءهما داخل شركة الاسكندرية ، أحصوا بنهاية عهدهم عندنا صممت سيجال على الانفراد بالمقد في شهر يونيو سنة ١٩٧٢ وقبلت شركة القاهرة ذلك وتعاقدت فعلا منفردة مع سيجال وحدها .

الا ان المؤامرة كانت في حاجة لمزيد من الحبكة . . .

وتمت هذه الحبكة بأخراج المهندس مراد نور الدين من رئاسة شركة سيجال ، في ظروف غريبة لم تكن متوقعة ، وكان ذلك في ٢٢ - ٨ - ١٩٧٢ قبل انتهاء عقد سيجال مع شركة الاسكندرية ، والذي ينتهي في ٣١ - ٨ - ١٩٧٢ وليت الامر توقف عند هذا الحد . . . بل راحت الاقاويل تروج بأنه خرج بسبب عملية خردة النحاس . . . ثم حين رئيس جديد لسيجال . . .

(ب) « تقسم العرض المعلن افتتاح مظاربه بتاريخ ١٥ - ١٠ - ١٩٧٢ هو الكمية التي تقدرونها لنا ضمن الكمية المطروحة وحسب التي ترونه أصح للمصانع وللصالح العام أن كمية تساوى أحد اخواننا الكبار وهذا للعلم ، وكانت الحجة في الرفض انهما غير مطابقين للشروط ، وقد جاء في محضر لجنة الفحص انهما لم يلتزما بأى بند من بنود العقد ، مع ان المعطاء بهذه الصورة ممناه تبول كافة الشروط ، طالما لم يبد مقدم المعطاء أية تحفظات بشأنها . الا أن الشركتين لم تتناقشهما ولم تمارسهما مع انهما من قدماء الموردين للفراسة لكلتا الشركتين ، وتمت المناقشة والممارسة مع أصحاب المعطاء الذي طالب بتغيير معظم بنود المناقصة المهمة وتم فلما تعديلها والتماقد بعد التعديل مع تجار ثلاثة في عقد واحد وبقيمة محددة لكل منهم - وهو ما يعتبر تجزئة للعملية دون أدنى شك - وهكذا صار توقيع عقدا احتكار كبير قيمته كما ذكر التقرير ثمانية ملايين من الجنيهات وبعده لا يقل عن المليون ونصف المليون من الجنيهات كل عام ، وأضيف اليه أيضا شرط لم يكن موجودا في المناقصة بزيادة أن العقد قابل للامتداد لسنوات أخرى ، هكذا بكل بساطة واقتدار »

وبدأ التجار في مباشرة احتكارهم وامتنع تسليم المنتجات للحرفيين الا بشروط استغلالية فضجوا بالشكوى التي وصلت الى مجلسكم الموقر في لجنة الاقتراحات والشكاوى ، التي لحلتها الى لجنة الانتاج الصناعي . وفي هذه اللجنة ألقى السيد الدكتور وزير الصناعة السابق العقد المدهش الغريب ولكن ، ومع الاسف ، دون تحقيق ، ودون تحديد مسئولية ، الامر الذي تطالب به اللجنة وترجو المجلس الموقر أن يوافق على احالة أوراق هذه العملية كلها الى المدعى العام الاشتراكي ليلقى المخطيء جزاء خطئه وحتى لا يتكرر مثل هذا الامر مرة أخرى ، فان عناصر الزبيدة تما هذا الموضوع ويحيطه الخطا من كل جانب . لقد صرح أحد هؤلاء التجار في لجان رسمية وفي اجتماعات عامة بأنه على استعداد ادفعوا انفاق مليون من الجنيهات للقضاء على سيجال وأنه سيستفيد ما يثقله بعد ذلك . واللجنة تتسامح . كيف يمكن أن يقال هذا القول في مجتمعنا الاشتراكي ويمر الامر من الكرام وتكتفى بالغناء العقد ويقلت المخطئون ليكرروا ما فعلوه في صون

أفلا يبعد عن هذه العملية التي اطاحت في ظنه وفيما يشاح بمن سلفه ؟ . وفلما قرر الرئيس الجديد أن يبعد عن هذه العملية بالكامل موثرا جنب الحكمة من وجهة نظره ، تاركا الميدان لاحتكار رهيب ، يسانره ثلاثة من التجار مشتركين يعاونهم عملاء لهم في داخل هذه الشركات .

المناقصة الكبرى

طوال هذه الشهور كانت شركة الاسكندرية تباشر غواية مريبة لشركة القاهرة انتهت الى اقناعها بالاشتراك معها في امر ظاهره القانون وباطنه احتكار مليء بالاستغلال الفاسح ، وانفقت الشركتان على طرح مناقصة مشتركة لتوريد خرده النحاس وبالتالي استلام منتجات النحاس والالومنيوم . مناقصة قيمتها ، فيما وشراء حوالي ثمانية ملايين من الجنيهات غير قابلة للتجزئة (الامر الذي كانت شركة القاهرة ترفضه بدعوى رغبها الشديدة في عدم قصر توريد الخرذة على مصدر واحد لضمان استمرار التوريد) ، تأميناها بحال ربع مليون من الجنيهات ، وشروطها شاذة تضالفت الميثاق والقانون ويعجز كل انسان عن التقمص اليها ، غير افراد معينين ينقص كتابة أسمائهم في المناقصة نفسها . هذا كله بعد أن تم الاطمينان الى أن سيجال لن تقدم الى هذه المناقصة بعد تغيير رئيسها - وهو ما حدث بالفعل . وتقدمت ثلاثة عروض كالآتي :

الاول : وهو العرض الذي قيل ، وقد تقسم به ثلاثة من التجار المشار اليهم في هذا التقرير - اثنان منهم بنسبة ٤٠ في المائة لكل منهما . والثالث بنسبة ٢٠ في المائة من العملية ، وقد أبدوا تحفظات على جميع شروط المناقصة تقريبا (كما هو واضح في عطائهم وفي محضر لجنة الفحص) ولكن التماقد قد تم معهم وبشروط محملة غير ما ورد في شروط المناقصة المطروحة .

الثاني والثالث : وقد تم رفضهما دون مناقشة مع مقدميهما ونصهما كالآتي :

(١) « نفيدكم باستعدادنا للارتباط بمكم بالمطاء المحدد له ١٥ - ١٠ - ١٩٧٢ من توريد القراضة بالكمية التي تحدونها لنا »

ينتج عنها تعطيل المرافق الحيوية في البلاد ، كما أنها تمثل خسائر هائلة كبيرة للدولة ، فإن الكابلات التي يتم تركيبها بدلا من المسروقات قيمتها أعلى بكثير من الخردة ، إلى جانب كون بعضها مستوردا ، وحتى المصنع محلي فإن خاماته مستوردة ، وتذهب هذه المسروقات إلى الخردة الموردة لمصانع القطاع العام . ورغم هذا جيدا جميع المشتغلين بهذه المصانع .

وترى اللجنة أن علاج هذه المشاكل يكمن في الآتي :

١ - تفتح الشركات الصناعية أبوابها لأي مورد للخردة مع تحديد السعر المناسب بدون أي حصة تشجيعية ، أو خلاقه ، أي بدون ارتباط بالانتاج ، وسيؤدي هذا الإجراء إلى أن الخردة تستل للمصانع عن طريق تجارها الأصليين دون وسطاء يتحكمون في الأسعار ويتلاعبون بها ، ويمضون ذلك عن طريق رفع أسعار المنتجات ويمولون مرتكبي الجرائم والمقات من سارقي الكابلات .

٢ - تقوم الشركات بتحديد انتاجها ، على أساس الخردة المتاحة فعلا ، وإن تستكمل احتياجاتها من طريق الاستيراد طبقا للامكانيات المتاحة للدولة ، وستأتي الخردة الحقيقية بلا شك للمصانع ، إذ أنها المستهلك الوحيد لها تقريبا .

٣ - يجب تخطيط الانتاج من اقراص النحاس الأحمر والأصفر و اقراص الألومنيوم ومواسير النحاس وشبكات النحاس من ناحية المقاسات والكميات حسب احتياجات السوق الفعلية لا حسب الأسهل انتاجا والارخص تكلفة .

٤ - تقوم جهة واحدة تابعة للقطاع العام بتوزيع الانتاج ومقاساته المختلفة منعا للتلاعب وخسائر للمدالة .

خاتمة

إن اللجنة وهي تشرف بتقديره بتقريرها للجلسة لترجو أن تكون قد وفقت في أمس جوانب هذا الموضوع ، وأن تكون قد أعطت بصيصا من الضوء يساعد على كشف بعض الميوب التي يعاني منها اقتصادنا الوطني في هذه الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد في

آخرى أشد وأخطر طالما أن يد المقاب لا تصل إليهم .

بعد قيام وزير

الصناعة بالغاء العقد

الفي السيد الدكتور وزير الصناعة السابق المقدر وأصدر قرارات بذلك - ووضع أسما جديدة لتوزيع حردة النحاس والاستلام المنتجات - أقرب إلى المنطق والعدالة ، إلا أن هذا النظام يلقي مقاومة كبيرة من التجار المحتكرين ومواريهم ، فهم لا يزالون يمارسون نشاطا كبيرا في هذه العملية بأساليب جديدة يبتكرونها كل يوم وما زالت الشكاوى تتوالى على اللجنة من الحرفيين وصغار الصناع ، والتجار شاكين من الحيل الجديد المختلفة التي تتكرر كل يوم ومن أن هناك من يساعد على ذلك داخل هذه الشركات .

إلا أن اللجنة ببها في ختام هذا الجزء من التقرير أن تشير إلى أن قرار السيد الدكتور وزير الصناعة لم يمالح تنظيم انتاج هذين الصنعتين ، فإن المصانع قد تمويت على ربط انتاجها بتوريد الخردة ، نظروف تاريخية ، وهي أن التجار كانوا يجمعون القراضة ويقومون بتشغيلها لحسابهم إلى اقراص النحاس الأحمر لدى المستثمرين ، وفي أوائل الستينات عندما بدأت الآواني الألومنيوم في الانتشار استغنى التجار عن جزء مما يوردونه من القراضة وباعوه للشركات . وفي النصف

الثاني من الستينات أصبح التجار يبيعون الخردة للشركات ويشترون مقابلها اقراض نحاس احمر والألومنيوم (وكان هذا الأسلوب بناء على طلب الشركات لأظهار حجم نشاط أكبر) ثم تطور الأمر إلى النظام الحالي ، وفي هذا النظام تعدد الشركات احتياجاتها من القراضة ، دون أي مراعاة لامكانية الحصول عليها ، وهل هي كمية متاحة أو لا ؟ ومن المعلوم أن كميات الخردة في تناقص مستمر ، وأن الشركات عند تحديدها لهذه الكميات الضخمة فإنما تدفع ثمن الخردة إلى أمور عديدة ، فالأمر يرتفع أسعار الخردة الأمر الذي يفرى الفلاح فيبيع الآواني النحاسية نصف جدية تحت تأثير أغراء السعر المرتفع ، كما أن هذه الأسعار المفرطة تدفع إلى عمليات خطيرة وهي سرقة كابلات التليفونات وأسلاك الكهرباء وهي أمور

النقد الا اذا كان هو نفسه فى الاتجاه الصائب، واللجنة ترجو ان تكون قد وفقت الى صائب الاتجاه ، وان اللجنة وفاء بقصدها تجد لزاما عليها ان تشيد بما للقطاع العام من افضال على التقدم الاقتصادى الحادث الان فى بلدنا والذى يتبدل فى المصود الرائع لشعبنا العظيم امام قوى العدوان .

واللجنة تشرف برفع تقريرها الى المجلس الموقر برجاه الموافقة عليه والمسه ونسى التوفيق .

رئيس اللجنة الخاصة
دكتور مهندس
محمود أحمد القافى

معركتين كبيرتين : الاولى ضد العدوان العربائلى ، والثانية ضد عوامل التخلف الاقتصادى ، حتى تنطلق خطط التنمية الاقتصادية فى طريق خال من العيوب والمعثرات لنبنى لبلدنا مستقبلا مشرفا تنطلق اليه ، واقتصادا سليما ثابت الاركان يتولى القطاع العام فيه دوره القيادى العظيم الذى نص عليه انفسنر بقوله « ويلقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات ويحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية » وعلينا نحن بالنقد البناء اتاحة المجال امامه لكى يقوم بدوره الضرورى فى المجتمع الجديد ، والنقد البناء ليس بالامر السهل ، على انه يظل ايسر من المماناة الثورية، وهو بعد خير دور تستطيع ان تقوم به اللجنة فى تقريرها هذا . على ان المره يحسن

من تقصى الحقائق الى تقصى الحلول

محمد حلمى ياسين

تقدم المجلس التشريعى - هذه الوثيقة الهامة التى يمكن ، بل ويجب ان تكون منطلقا لاستكمال الاجراءات السياسية ، والتشريعات اللازمة والضرورية لمواجهة أية اخطار يمكن ان تحدث بالاقتصاد القومى . خصوصا تلك الاخطار التى تتهدد الدور القيادى للقطاع العام . وعمل لجنة تقصى الحقائق يختلف عن عمل لجنة الخطة والموازنة فى دراستها للوضع المالى لشركات القطاع العام التى تحقق خسارة .

فلجنة الخطة والميزانية قد قصرت بحثها من خلال جلسات الاستماع على مشكلات الانتاج ، من حيث توفير المواد الاولية والبدايل والالات اللازمة ، والاعتبارات المطلوبة ، والاستثمارات بانواعها ، والمعمالة والاسعار ، وذلك دون ان يبدى بحثها لىغضى ما يمكن ان يوجد من انحرافات تساعد على تفاقم الخسارة فى تلك الشركات .

ولكن لجنة تقصى الحقائق قد سعت - الى جانب دراسة حالة الانتاج وامكانياته وكفاءته - الى

يعتبر تقرير اللجنة البرلمانية التى شكلها مجلس الشعب ، فى نوفمبر ١٩٧٢ - لاستظهار الحقائق فى موضوع ارتفاع اسعار الحديد وتجارة الخردة - وثيقة على اكبر قدر من الاهمية .

فمن خلال دراسة وسائل انتاج وتوزيع سلعة تباع فى السوق السوداء بأسعار تعادل اضعاف شنها الاصلى الذى يجب ان تباع به .

وبعد دراسة ميدانية لنشاط عدد من الشركات التابعة للقطاع العام . النتيجة لسلطة موضوع التحقيق - وامتداد بحث اللجنة ليشمل احدى شركات المقاولات الكبرى التى تدخل السلعة فى استخدامها .

وبالاستناد الى نتائج عمل أجهزة الرقابة الادارية وما توصلت اليه هذه الاجهزة ، من أدلة قاطعة ضد فزائة تصرفات بعض القائمين على امور الشركات والمؤسسات . نقول : بالاستناد الى ذلك كله - استطاعت لجنة تقصى الحقائق ، ان

مناقشات حول مستقبل القطاع العام

المجالس السلمية التي تبت في القروض . وهي أيضا المراكز إليها عناية التعاقد والتفويض .

وعلى الرغم مما توصلت إليه النيابة الإدارية ، من أدلة قاطعة ، على عمليات تم فيها دفع عمولات في بنوك أجنبية ، فإنه - في بعض الحالات - بقي الأشخاص الذين تقاضوا هذه العمولات دون حساب .

٥ - كشفت اللجنة عن دور بعض مصانع القطاع الخاص ، في خلق السوق السوداء واستنزاف موارد الدولة والقطاع العام .

فبعض هذه المصانع والورش ، موجود على الورق فقط ، ليصرف حصته ثم يديرها إلى السوق السوداء . والبعض الآخر ، لا يتروم بتصنيع الحصة المسلمة إليه أو جزء منها .

وبالرغم من أن انتاج حديد التسليح محظور على مصانع القطاع الخاص ، فإن هذه المصانع تقوم بانتاجه دون حساب أو رقابة على الأسعار التي يبيع بها .

وقد تلت اللجنة أن ما تخسره الحكومة والقطاع العام من هذا الطريق مبلغ يتراوح ما بين عشرة إلى عشرين مليوناً من الجنيهات سنوياً .

٦ - كشفت اللجنة عن الدور الذي يلعبه بعض كبار التجار والمحتكرين من المقاملين مع القطاع العام . فمن مضاربة غير مشروعة لفرض الأسعار التي تضمن لهم أرباحاً خيالية ، إلى إشاعة الفساد والتسيب داخل قيادات الشركات والمؤسسات ، إلى استخدام نفوذهم لتسهيل حصولهم على مخامير غير مشروعة ، بل ولضرب شركات أخرى من شركات القطاع العام . وعلى الرغم من النتائج الهامة التي توصلت إليها لجنة تقصي الحقائق خلال عملها - وما استطاعت كشفه من حالات التسيب والملاقات المشبوهة بين بعض العاملين في القطاع الخاص وبين بعض العناصر القيادية في القطاع العام - على الرغم من ذلك ، فإن تقرير اللجنة كان يمكن أن يزداد شراً وعمقاً لو عالجته اللجنة الموضوع من زاويتين أخريين :

١ - دور المنظمات واللجان الشعبية .

٢ - دور القطاع الخاص وحدوده .

فالملاحظ أن التقرير ، على كثرة ما ورد فيه ، من اجتماعات مع المسؤولين عن الشركات موضوع

كفص حالات التسيب والانصراف ومناصب السوق السوداء وقنوات وممارب الحصول على الثروات الطائلة باستنزاف موارد الدولة والقطاع العام لحساب مجموعات من أصحاب مصانع وورش القطاع الخاص ، متعاونين في ذلك مع بعض المحتكرين في المؤسسات والشركات .

وإذا جاز لنا أن نوجز أهم ما توصلت إليه اللجنة من حقائق ، (مع التحفظ بشأن بعض القضايا التي وردت تحت عنوان قراضة النحاس) ، لوجدناها على النحو التالي :

١ - أن بعض الشركات تعمل بطرق انتاج عتيقة وغير الاقتصادية - وهي طرق لم تعد موجودة أو مستعملة في أية بقعة من بقاع العالم المتقدم - وتكليف انتاجها مرتفعة بشكل كبير عن مثيلاتها في العالم .

٢ - أن بعض الشركات والنظم واللوائح المطبقة حالياً في القطاع العام - مثل لائحة المزايدات والمناقصات ، قد صدرت منذ عام ١٩٥٧ قبل صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، وبالتالي ، أصبحت أحكامها لا تتفق مع سياسة القطاع العام - ولا مع ازدياد حجم التعامل الذي يجريه .

٣ - أن بعض شركات القطاع العام يتحاييل لتلافيف حول القوانين والقرارات المنظمة لعملها . فالمشركات المنتجة لحديد التسليح المسمر ، تنتج أصنافاً غير تامة الصنع ، وتبيعها لمصانع القطاع الخاص بأسعار تزيد بنحو ٥٠ في المائة عن أسعار الأنواع التامة الصنع .

وبعض شركات القطاع العام في قطاع المحاولات تكتب مضالفت صارفة لقرارات الجمهوري رقم ١٠٢٢ لعام ١٩٦١ والمعدل بالقرار رقم ١٠٤٩ لعام ١٩٦٢ ، بشأن حجم العمليات التي تستند إلى مقاولي القطاع الخاص ، بما لا يزيد على مجموعها ، عن ١٠٠ ألف جنيه في العام الواحد . فتلجأ بعض الشركات إلى تجزئة المعاداة ، بغية استنادها إلى مقاولي القطاع الخاص ، تهريباً من أحد الأقسام المقر . بل أن أحد مقاولي القطاع الخاص قد حصل على عملية بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه دفعة واحدة .

٤ - أيدت اللجنة ما توصلت إليه النيابة الإدارية بالنسبة لمركبة التصاققات الخارجية - من أن لمة الأجهزة المتصكة في التفاوض مع الشركات والمؤسسات الأجنبية تكون هي أحياناً المشتركة في

التقصي ، لم يرد فيه أي ذكر للمنظمات السياسية والنقابية في هذه الشركة .

فلمحة تقصي الحقائق لم تورد في تقريرها ما يفيد أنها التقت بلجان الاتحاد الاشتراكي ، أو اللجان النقابية ، أو الأعضاء المنتخبين في مجالس الإدارات ، أو لجان الانتاج في هذه الشركات .

وهذه اللجان كلها ، وبحكم وضعها في مواقع العمل ، تتجمع لديها كثرة من الوثائق والتصريفات . وأن الاستماع إليها ، ومناقشتها ، ودراسة الاقتراحات التي تقدمها ، كان لابد وأن يضع أمام لجنة تقصي الحقائق ، ما تستكمل به بحثها ، أو ما يبين لها الطريق الى مزيد من استكمال الصورة ، واستكشاف أعماق المشكلة .

ومثل هذا العمل من جانب اللجنة التي تمثل المجلس التشريعي كان سيعطي ولا شك دفعة كبيرة للمنظمات الشعبية في تلك المؤسسات ، كما أنه كان سيتيح للجنة أن تدرس على الطبيعة العلاقات بين الإدارات وهذه اللجان ، على ضوء موقف هذه اللجان من السبلات . وذلك على قدر قياسها بواجباتها السياسية ، أو النقابية في مراقبة الجهاز الإداري والتنفيذي .

وأياً ما كان الموضوع الذي مازال يشوب فهم مسئولية هذه اللجان ، ودورها في الوحدات الانتاجية والمسمى الدائم من جانب بعض إدارات الانتاج الى جعل هذه اللجان مجرد صورة باهتة ، فإن كثيراً من هذه اللجان ، أو عناصر منها ترفع صوتها بالنقد ولكنها تستطيع تعالو التنبيه . ولكن الرد في الغالب ، من جانب العناصر البيروقراطية المنحرفة التي تخشى من الرقابة السياسية والشمعية ، يكون الاستطهاد لقيادات العمل السياسى والنقابى والتشهير بها .

وفي اقتراحات اللجنة أيضاً لم يرد ذكر لما يتعين على هذه اللجان القيام به دفاعاً عن المال العام ، ومن أجل حماية الانتاج وتطويره . فذلك أن أية قوانين ، أو قواعد ، أو قرارات ، لن يضمن لها التنفيذ الحقيقي داخل المؤسسات والشركات دون رعاية فعالة من لجان الاتحاد الاشتراكي ، ولجان نقابية ، ولجان انتاج ، وأعضاء مجالس الإدارة المنتخبين .

وقد أثبتت تجربة عدد من الوحدات الانتاجية ان هذه اللجان ، استطاعت ، عندما لجأت اليها الإدارة ، أن تقدم حلولاً لكثير من مشكلات

الانتاج ، وأن تقلل الخسائر ، وأن تستفيد من المخلفات ، وأن توقف أيضاً كثيراً من الانحرافات وأن تكشف الكثير من اللوائح والنظم البالية التي تفتح الثغرات أمام المنحرفين .

والحاجة اليوم ماسة ، أكبر من أي وقت ، لتنشيط دور هذه اللجان ، ودعمها ، وتحديد مجال نشاطها ، وحمايتها من الاضطهاد ، ومناعتها بالتجديد الشامل للوائح المالية والإدارية .

دور القطاع الخاص

وعلى الرغم من كل ما كشفته اللجنة فسي تقريرها من سبلات ، فإن اللجنة لم تقع في شرك الحملات المفرغة التي تشن ضد القطاع العام ومصالحاته وكفاءته ، تلك الحملات التي تهدف - في نهاية الامر - الى تصفية القطاع العام وترويضه - بشكل أو بآخر - ليخدم القطاع الخاص .

ولقد حرصت اللجنة ، في نهاية تقريرها ، على أن تضيد بفضل القطاع العام على التقدم الاقتصادي ، الحادث الآن في بلادنا ، والذي يمثل في الصمود الرائع لشعبنا أمام قوى العدوان . وعبرت اللجنة عن تطلعيها الى مستقبل يتحقق فيه اقتصاد سليم ، ثابت الأركان ، يتولى القطاع العام فيه ، دوره القيادي الحقيقي الذي نص عليه الدستور .

وإذا كانت اللجنة - بحكم مهمتها التي حددتها لها المجلس - قد كشفت عن دور بعض جهات معينة في القطاع الخاص في نهب موارد الدولة ، والقطاع العام ، وفي مخالفة اللوائح ، وخلق السوق السوداء ، فإن الامر في اعتقادنا يتطلب أن نؤكد أن هذه الاعمال والأنشطة الغير مشروعة ليست طارئة أو محدودة الاثر ولكنها تستفحل ، وتوجه الى كفاف من شركات القطاع العام التي تتعامل مع القطاع الخاص .

وفي تقديرنا ، ان الوقائع التي كشفتها اللجنة ، كان لابد وأن تجعلنا نستزجج الدور الذي حدده ميثاق العمل الوطني للقطاع الخاص في الانتاج والتجارة .

وكلنا نعلم ، أن الميثاق أكد على القطاع الخاص ودوره الهام في الانتاج من أجل التقدم ولابد من توفير الحماية له حتى يكفل له أداء دوره .

مناقشات حول مستقبل القطاع العام

القطاع الخاص - وأما الضجة التي تثار حول هذه القضية ، فهي مفعلة ، ومدها التغطية على نشاطات ضارة بالاقتصاد القومي في مجموعه - ولابد من الإشارة هنا ، الى أن العناصر الطفيلية والنفعية - في داخل القطاع الخاص - لا تنفك من شن هجماتها ضد القطاع العام ، تارة للاجهااء بفشله وتمثره ، وتارة أخرى للمعمل على تطويته ، أو تطويمه لمصلحتها الانانية والضيقة .

من هنا ، فإن هذا التقرير البالغ الأهمية ، والذي أصدرته لجنة تقصى الحقائق ، لابد وأن يحفز الجهات المسؤولة الى :

أولاً : دراسة شاملة للقوانين واللوائح المالية والإدارية التي تحكم نشاط القطاع العام ، وذلك لسد الثغرات التي تنسب منها موارد الدولة الى حصة من المضاربين والسماسرة والوسطاء اصحاب السوق السوداء .

ثانياً : اصدار التشريعات اللازمة التي تحدد اطار نشاط القطاع الخاص ، ومجالات عمله ، وذلك بما يضمن مساهمة هذا القطاع في زيادة الانتاج ، وانجاح أية خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وهذا الدور الذي حدده الميثاق بحق الملكية الشخصية في الصناعات المتوسطة والخفيفة ، والمشاركة في تجارة الصادرات بنسبة لا تزيد عن الربع ، بالإضافة الى ثلاثة ارباع التجارة الداخلية ، ولكن بشرط اساسي هو أن يكون تحت سيطرة القطاع العام وقيادته وكما طالب الميثاق القطاع الخاص أن يحدد نفسه وأن يشق طريقاً من الجهد الخلاق .

وهكذا ، فإن ما جاء بالميثاق يفترض أن تعد الخطط والتشريعات اللازمة ، لتحديد مجالات النشاط للقطاع الخاص ، وأسلوب احكام الرقابة على نشاطه بواسطة القطاع العام .

ولكن مما يؤسف له ، أنه بدلا من أن تكون القضية الأساسية هي احكام رقابة القطاع العام وسيطرته على تنفيذ خطة التنمية ، وقيام القطاع الخاص بدوره الذي رسمه له الميثاق ، تتحول القضية الى محاولات للحد من صلاحيات القطاع العام ، وتبذل جهود مبالغ فيها عن ضرورة وضع الضمانات اللازمة لنمو القطاع الخاص . ونحن نقول « مبالغيات » ليس هناك ما يبررها ، وذلك بسبب بسيط ، وهو أنه لا توجد عوائق ضد نمو

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة العربية لاستصلاح الأراضي البور

الأراضي البور حضرهما من جانب قطاع
استصلاح الأراضي :

• السيد وكيل الوزارة المختص بالشركة •

• السيد رئيس مجلس إدارة مؤسسة
استصلاح الأراضي •

• السيد رئيس وأعضاء مجلس إدارة
الشركة •

• بعض السادة الفنيين من الوزارة
والمؤسسة والشركة •

كما حضرهما مندوبون من وزارة المالية
والاقتصاد والتجارة الخارجية والجهاز
المركزي للمحاسبات •

ومن واقع المناقشة التي تمت والبيانات
المقدمة من الشركة العربية لاستصلاح الأراضي
البور تعرض اللجنة هذا التقرير عن الشركة في
النقاط التالية :

● تطور نشاط الشركة •

● نتائج أعمال الشركة •

لاحظت لجنة الخطة والموازنة عند بحث
موازنة السنة المالية ١٩٧٢ أن الشركة العربية
لاستصلاح الأراضي البور قد أدرج بموازنتها
التخطيطة مبلغ ١١٢ ألف جنيه كقائض مقدر
لأعمالها الجارية في مقابل حيز مقدر لتلك
الأعمال في السنة المالية ٧١-١٩٧٢ يبلغ ٧٨
ألف جنيه • وضمانا لعدم امتداد الخسارة
المقدرة المذكورة إلى أعمال ١٧٩٢ رأت اللجنة
أن تتعرف على المعوقات الخارجية والداخلية
التي يتعرض لها انعاج هذه الشركة بهدف تبادل
الرأي فيما يمكن الوصول اليه مع الشركة من
وسائل تساعد على إزالة هذه المعوقات وتطوير
نشاطها ورفع كفاية الأداء بها •

وعلى الرغم من أن الشركات بصفة عامة لا
تحصل على إعانة سد حيز جاري من الخزائنة
العامة ، شأن الهيئات والمؤسسات ، إلا أن
تحقق حيز جاري بالشركات يحرم الخزائنة
العامة من مصدر من مصادر تمويلها العام وهو
قائض أرباح القطاع العام • ومن هنا كانت
أهمية بحث أوضاع الشركات التي بها حيز
جاري عن تشغيلها •

ولهذا عقدت لجنة الخطة والموازنة اجتماعا
مع المسؤولين من الشركة العربية لاستصلاح

● مشاكل انتاج الشركة وجهود ادارتها في التغلب عليها .

● توصيات لجنة الخطة والموازنة .

تطور نشاط الشركة

١٩٧٢-٧١ عند احصاء ربحها الى الثالث حيث بلغ ٤٨ ألف جنيه ، وهو متضخم بالفائدة التي احتسبتها الشركة على رأس المال غير المدفوع من المؤسسة بمبلغ ٢٢ ألف جنيه على النحو صالف الذكر . وعلى الرغم من عدم مشاركة اللجنة الشركة في احتساب فائدة على رأس المال غير المدفوع نظرا لتمتعها بسيووت خدية كبيرة تبلغ حوالى النصف مليون جنيه فى المتوسط خلال الأربع سنين الاخيرة وان دفع باقى رأس المال مستفيد من سيولة الشركة بدون مجبر فى الوقت الذى يحرم غيرها من سيولة مطلوبة بالحاج لها ، رغم هذا فان هناك صافى ربح للشركة بعد خصم الفوائد (حوالى ١٥ ألف جنيه) يعنى أن الشركة بذلت جهدا طيبا لتحويل عجزها الجارى فى موازنتها التخطيطية وتدره ٧٨ ألف جنيه الى ربح ، أى أن تحقيقه جهدها يبلغ ٩٣ ألف جنيه (٧٨ + ١٥) ، وعلى أية حال ستظهر نتائج الشركة عن السنة التالية ١٩٧٢-٧١ المبتدئة حتى (١٢-١٩٧٢) بعد فحص المؤسسة لها عن قريب ان شاء الله .

مشاكل اقتناج الشركة

وجهود ادارتها فى التغلب عليها

١ - نقص حجم العمل المسند الى الشركة بما لا يتناسب مع الطاقة الانتاجية لها .

وقد تطلبت الشركة على ذلك بأن حصلت على تعاقدات جديدة خارج نطاق الاستصلاح مثل :

(١) بنسائ محطات الدواجن لمراجعة التوسع فى الانتاج الحيوانى .

انشئت الشركة بالقرار الجمهورى رقم ١٠١٦ لسنة ١٩٦٤ والذى يقضى بأن يكون رأس مال الشركة مليون جنيه تساهم به المؤسسة المصرية العاية لاستصلاح الاراضى بالكمن على أن يسدد فى مدة اقصاها خمس سنوات من تاريخ الانشاء - أى من ١-٧-١٩٦٤ - والا « تحتم » أن تتحمل المؤسسة بفائدة قدرها ٦ فى المائة عن الجزء غير المدفوع من رأس المال بعد انقضاء فترة الخمس سنوات . ولما كن ما سدد من رأس المال يبلغ ٨٧٠ ألف جنيه وكان الباقي ١٣٠ ألف جنيه لم تسدده المؤسسة منذ تاريخ استحقاقه ١-٧-١٩٦٩ لهذا فقد صدر قرار مجلس ادارة الشركة بالجلسة السابقة بتاريخ ٢٥-٦-١٩٧٢ بتحميل المؤسسة بالفائدة المستحقة للشركة وقدرها ٣٢٤ ألف جنيه عن السنة من أول يوليو ١٩٦٩ حتى ٣٠-٦-١٩٧٢ .

نتائج أعمال الشركة

بلغ صافى ربح الشركة قبل الضرائب على النحو التالى :

ومن الجدول التالى يتبين ثبات صافى الربح تقريبا فى السنوات من ٦٨-١٩٦٩ حتى ٧٠-١٩٧١ حول ١٥٥ ألف جنيه ، أما سنة

صافى الربح			السنة المالية
نسبته للإيراد	نسبته لرأس المال المستثمر	النسبة بالألف جنيه	
٢٤٩	٢٠٠٧	٢١	١٩٦٨/٧
٢٤٩	٢٤٨	١٥٥	١٩٦٩/٨
٢٧٧	٢٤٩	١٥٧	١٩٧٠/٦٩
٢٨٩	٢٥٥	١٥٤	١٩٧١/٧٠
٢٨٩	لم يوضح	٤٨	١٩٧٢/٧١ [مركز مالى حتى ٣٠/٦/١٩٧٢] تقديرى

قبل الاستلام بما يتطلب ضرورة ايجاد سيولة دائمة لدى الشركة .

٧ - تأخر صرف مستحقات الشركة قبل الفيسر ، وضرورة الدفع المقدم الوارد بالبند (٦) مما يؤثر على السيولة النقدية الخاصة بالشركة .

٨ - عدم تمويض الشركة عن الاضرار الناتجة عن قصف بعض وحداتها أثناء افعال المجهود الحربى التى كلفت الشركة بتنفيذها وتبلغ حوالى ٦٠ ألف جنيه .

٩ - قلة الاستثمارات المخصصة لاجل المعدات المهلكة وعدم توافر قطع الغيار اللازمة لها ، وعدم توافر الاعتمادات اللازمة .
لذلك وفى ضوء ما تقدم توصى لجنة الخطة والموازنة بما يلى :

- انشاء مركز صيانة للالات الروسية - العاملة فى مجال استصلاح الاراضى وغيرها - تتركز فيه خبرة محربة على نفس النسوع من الاصمولى .

- مراعاة افضل الاسعار عند شراء الاصول ، بما يحقق صالح الاقتصاد القومى .
- تمويض الشركة عن وحداتها التى دمرت أثناء افعال العدوان .

رئيس اللجنة
د . محمد ابو اسماعيل

(ب) انشاء المصارف المغطاة المسندة من قبل وزارة الرى والهيئات التابعة لها .

(ج) افعال الصرف الصحى .

(د) افعال المجهود الحربى .

٢ - عدم استكمال ارمال الشركة المصرح به وقدره مليون جنيه .

وقد واجهت الشركة ذلك بالحصول على قروض من الجهاز المصرفى . ولا تمانى الشركة حالياً من عجز فى السيولة .

٣ - لا تزال فئات اسناد الاعمال من الجهات محددة وفقاً لاسعار ما قبل سنة ١٩٦٧ - وذلك رغم الارتفاع الملحوظ فى اسعار المواد خلال تلك الفترة ، مما اثر على فائض افعال الشركة .

٤ - عدم توافر المواد الخام فى السوق مما يؤدى احياناً الى تعطيل عمليات التشغيل .

٥ - ارتفاع قيمة معدات القرض الروسى عن مثيلاتها فى السوق وذلك نتيجة لاضافة علاوة المويل بنسبة ٢٥ فى المائة من قيمة هذه المعدات بالاضافة الى ارتفاع قيمة الرسوم الجمركية والمصروفات الاخرى واحتياج تلك المعدات الى الكثير من مصروفات الصيانة اللازمة لها .

٦ - اشتراط اغلب موردى القطاع العام الدفع المقدم لقيمة المستلزمات اللازمة للتشغيل

فتح مجالات جديدة ورفع معدلات الاداء



مهندس حسين طلعت

استكمال رأس مال الشركة الى مليون جنيه ، طبقاً لقرار انشائها ، فقد تمتعت الشركة بسيولة نقدية بلغت نصف مليون من الجنيهات - أى بنسبة ٥٧ فى المائة من رأسمالها المدفوع (ويقدر بمبلغ ٨٧.٠ ألف جنيه) .

كما يلاحظ ان ارباح عام ٧١ - ٧٢ ، تضمنت للفوائد على الجزء غير المدفوع من رأس المال

يشير تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة العربية لاستصلاح الاراضى البورالى انخفاض ارباح الشركة الى ٤٨ ألف جنيه عن عام ٧١ - ٧٢ . فى حين ان متوسط ارباحها خلال الثلاث سنوات السابقة بلغ ١٥٥ ألف جنيه ، ولا يعزو التقرير هذا الانخفاض الى عدم تمتع الشركة بالسيولة النقدية اللازمة . بل على العكس ، فانه على الرغم من عدم

ايتروول ، وانشاء الطرق . واقامة المنشآت الصناعية .. الخ .

وفي ظروف بلادنا يمكن أن تقوم مثل هذه الشركات بعمليات التطهير السنوية للرياحيات والترع والمصارف الرئيسية التي تستخدم فيها الكرات . ومثل هذه العمليات يمكن أن تشكل مصادر للارياح لا يستهان بها بالإضافة الى تزايد المبالغ المخصصة للاتفك عليها سنويا .

وقد يكون من اسباب نقص حجم العمالة الموكولة الى الشركة ، ارتفاع اسعار عطاءاتها عن غيرها من شركات القطاع العام أو مقاولي القطاع الخاص . وغالبا ما يكون سبب هذا الارتفاع الى ان شركات المقاولات في القطاع العام تسند نسبة لا يستهان بها من هباتها الى مقاولي القطاع الخاص من الياطن - وهي ظاهرة متفشية في قطاع المقاولات والتشييد والاستصلاح ، الامر الذي يحتم على هذه الشركة ومثيلاتها احتساب نسبة مئوية لارياحها تصاف الى نسبة ارياح مقاولي القطاع الخاص ، مما يؤدي بالضرورة الى ارتفاع اسعارها عن المتوسط العام .

ومن أهم الأسباب التي يمكن أن تخفف من ارياح الشركة انخفاض معدلات الاداء للعمليات المختلفة مما يجب أن تكون عليه . وأسباب ذلك ترجع أساسا الى انخفاض مستوى التدريب بالنسبة للعمالة الفنية . كما يشكل ضعف مستوى التشغيل والصيانة للمعدات اعباء اضافية على نفقات الشركة بسبب تزايد معدلات استهلاك الآلات والمعدات ، مما يزيد بالضرورة من حجم الاستشارات السنوية دون عائد مجز يقابلها .

وتعتبر دقة المتابعة الفنية والمالية وكفاءة الرقابة من أهم عوامل نجاح التنفيذ ، خاصة في المشروعات المكثفة في المناطق اليعيدة عن السمران . والملاحظ أن غالبية مؤسسات وشركات وهيئات القطاع العام لا تولى اجهزة المتابعة عناية واهتمامها اللازم . وغالبا ما تتحول اجهزة المتابعة الى كيانات شبه عاجزة يلقب على بياناتها وتقاريرها عدم الدقة والمحايدة والضعف ، الامر الذي يؤول الى اجهزة القيادية امكانية تلافى الخسائر قبل استحقاقها .

وغالبا ما يشكل تضخم العمالة الغير فنية عبئا مرفعا على ميزانية الشركات ويمثل ذلك في تضخم بند الاجور بما لا يتناسب مع حجم اعمال الشركة مما يتطلب ضرورة تحويل العمالة الغير الفنية الى عمالة فنية منتجة عن طريق التدريب الموسمي المنتظم ، وبيع الترفقات والمعدات الفائضة عن التدريب والانتاج .

وقدره ١٤ ألفا من الجنيهات . فاذا استنزلت قيمة هذه الفوائد البالغة ٢٢ ألفا من الجنيهات ، يصل صافي ارياح الشركة الى ١٥ ألفا من الجنيهات .

وبمراجعة الجدول ، يلاحظ أن نسبة صافي الارياح الى رأس المال لعام ٦٧ - ٦٨ لم تتجاوز ٧٠ في المائة الامر الذي يمكن تفسيره على ضوء الظروف الاقتصادية التي مرت بها البلاد عقب العدوان الاسرائيلي . وفي الايام الثلاثة التالية حققت الشركة صافي ارياح بالنسبة الى رأس المال بمتوسط ٨٢ في المائة ، مما يدل على ثبات مركز الشركة المالي ، على الرغم من عدم استكمالها لرأس المال المدفوع من المؤسسة .

ويتضح من مقابلة اوجه النشاط التي طرقتها الشركة ، خارج مجال الاستصلاح ان مشروعات التوسع في اقامة محطات الدواجن ، والصرف المنطى ، واعمال الصرف الصحي ، تعتبر من المجالات المضطربة للتزايد سنويا ، الامر الذي يمكن الشركة من التوسع في اعمالها ، وتحقيق ارياح لا تقل عما حققت في السنوات الثلاث السابقة - الا أنه قد تكون الشركة قد التزمت بالقيام بعمليات معينة اقتضت ضرورة اقتراضها من الجهاز المصرفي . وفي هذه الحالة فإنه ربما يحدث عند تأخير تنفيذ هذه العمليات ، لسبب أو لآخر ، أن تسد الشركة فوائد هذه القروض ، مما يترتب عليه أن تؤثر هذه الفوائد على ارياح الشركة بوجه هام .

وقد عزت الشركة أسباب الانخفاض في ارياحها الى عوامل عدة :

اولها - نقص العمل المسند اليها بما لا يتناسب مع طاقتها الانتاجية - وبشكل عام ، واجهت شركات استصلاح الاراضي هذه الصعوبات اثر الانكماش في معدلات السنوية لاستصلاح الاراضي الجديدة ، بالتركيز على استكمال النواقص في المساحات السابق استصلاحها .

ونظرا لان هذه الشركات بطبيعة تكوينها قد تخصصت أساسا في عمليات استصلاح الاراضي ، فقد كان من الصعب عليها أن تتحول عن ميدان نشاطها التقليدي الى ميادين أخرى . وهنا ، لابد وأن يعاد النظر في طبيعة تكوين هذه الشركات ، من حيث الخبرات والتجهيز ، كي تمكن من القيام بعمليات أكثر تنوعا في مجالات التعمير والانشاء . ويمكن أن نسوق أمثلة على ذلك ، تشمل في شركات المقاولات في البلدان المتطورة اقتصاديا ، والتي تشمل نشاطها - بالإضافة الى الاستصلاح - أعمالا أخرى ، مثل مد أنابيب

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة المصرية للطباعة والنشر

تمس شكل هذه الشركة سواء من حيث المجمع أو الاختصاص أو التسمية ، ولا زالت الشركة حتى الآن غير مستقرة وفي قطاع لا يمت لنشاطها بصله . فهي كما سنرى شات في احضان قطاع المتخلفة ثم الت الى قطاع التوزيع والتجارة الداخلية . وقد تساءلت لجنة الخطة والموازنة وشاركتها ممثلو المؤسسة المشرفة عليها عن اسباب عدم ضم الشركة الى قطاع الصناعة لتشريف عليها هيئة المطابع الاميرية باعتبارها ذات نشاط مشابه لها ، وإن في نواحيهما مما ما يساعد على الاستفادة من طاقة الطباعة الممولة من الاموال العلمية والتي يجب ان توفر لها الدولة حجم العمل المناسب ، وهو كما سنرى لب مشكلة الشركة .

وتعتبر الشركة المصرية للطباعة والنشر شركة تحت التأسيس بدأت مزاوله نشاطها منذ ١ - ٧ - ١٩٧٠ الا أن هناك مرحلة هامة سبقت انشاء الشركة وتصل اتصالا مباشرا وماديا بوضع الشركة الجديد مما يستلزم مرهما موجزا لهذه المرحلة لأن ايضاحها يلقي الضوء على كثير من المشكلات التي صادفتها الشركة المصرية منذ بدء نشاطها . ولغيا بلى عرض موجز لهذه المرحلة التاريخية :

- بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٦٢ صدر قرار مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للابناء والنشر والتوزيع والطباعة بالموافقة على قبول تنازل كل من المبيدين عيد الواحد حافظ الوكيل وعبد

تبيين للجنة الخطة والموازنة عند بحث موازنة السنة المالية ١٩٧٢ أن الشركة المصرية للطباعة والنشر تتوقع في موازنتها التخطيطية أن يتحقق فائض قدره ٧٢ ألف جنيه وهي نتيجة تحتاج الى ايمان . نظرا لأن موازنة الدولة كانت تتحمل اعانة مباشرة سد الميزن الجارى الشركة من الاموال التي تجميعها الحزاة العامة للتنمية . قدرها ٨٢ ألف جنيه في كل من السنتين الماليتين ٧٠ - ١٩٧١ و٧١ - ١٩٧٢ . وقد تبين للجنة الخطة ضرورة التوقف على اصحاب هذا التحول . ولهذا تمت بنساقشة المسؤولين عن الشركة سواء عن الوزارة او المؤسسة او الشركة ذاتها . ومن واقع هذه المناقشة أعدت لجنة الخطة والموازنة دراسة لظروف الشركة على النحو التالي :

- تطور الشركة .
- نتائج النشاط الجارى .
- مشاكل الشركة .
- حلول مشاكل الشركة من وجهة نظرهما .
- توصيات لجنة الخطة .

تطور الشركة

يتبين من العرض الذى قدمته الشركة فيما بعد كيفية انشاء الشركة والاشتمالات والانفصالات عنها . يصدر سنة عشر قوارا

المجلات الاعلامية - وكانت الشركة تصدر في ذلك الوقت مجلة الإذاعة والتلفزيون فقط - الى وزارة الارشاد القومي .

- وفي ٥ - ٤ - ١٩٦٩ اصدر مجلس ادارة المؤسسة امعلا للقرار اللجنة الوزارية للصالح الاقتصادي والمالي والقوات المعتمدة للجنة الفنية المشكلة لحراسة المطابع ، القرارات التالية :

١ - انشاء مطبعة ثقافية تضم فروع الساحل والمبينة نقلا من شركة دار الكاتب العربي .

٢ - نقل نشاط النشر من شركة دار الكاتب العربي الى المؤسسة .

٣ - تشكيل لجنة ادارية للتصرف في وحدات المطابع المتبقية من شركة دار الكاتب العربي .

- في ١٠ ابريل ١٩٦٩ وتقيذا لقرار المؤسسة المشار اليه آنفا صدر قرار السيد وزير الثقافة رقم ٩١ لسنة ١٩٦٩ بتشكيل لجنة ادارية مهمتها التصرف في باقي فروع المطابع عن طريق توزيعها أو تحديد قيمتها وتم تحديد رئيسها بالتفاتي السعيدين ووزير الثقافة والفنانه .

- في ١٥ - ٧ - ١٩٦٩ صدر قرار السيد الدكتور وزير الثقافة رقم ٢٠٥ بتشكيل لجنة للإشراف على فروع الطباعة التابعة لشركة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر وتحديد طريقة التصرف فيها والجهات التي ستؤول اليها وتقويض اللجنة في اتخاذ القرارات اللازمة في هذا الشأن في ضوء قرارات اللجنة الوزارية للصالح المالي والاقتصادي في ٥ - ٢ - ١٩٦٨ وما اعتمدته من قرارات اللجنة الفنية التي شكلت لهذا الغرض وباشرت اللجنة أعمالها منذ ذلك التاريخ .

- في ٢٢ - ٩ - ١٩٦٩ صدر القرار الجمهوري رقم ٧٨١ لسنة ٦٩ بإنشاء الهيئة العامة للتأليف والنشر بدلا من مؤسسة التأليف والنشر .

- اتعت لجنة الإشراف أعمالها ورهعت تقريراً بذلك اليكل من السيدين وزير الخزانه ووزير الثقافة ينتجها أعمالها والتي انتهت الى التوصية باستمرار فروع المطابع المتبقية كوحدة اقتصادية .

- باشرت وحدات المطابع المتبقية من شركة دار الكاتب العربي عملها خلال الفترة من ١ - ٧ - ١٩٦٩ وحتى ٣٠ - ٦ - ١٩٧٠ تحت

إشراف وزارة الثقافة .

- صدرت توصية اللجنة الوزارية لشئون الاقتصاد والخطة في جالستها بتاريخ

عيد العزيز أمين عن ملكيتهما لشركة الدار القومية للطباعة والنشر الى المؤسسة بما لها وما عليها .

وفي ٢ - ١٢ - ١٩٦٣ صدر قرار المؤسسة المذكورة بالوافقة على انشاء الدار القومية للطباعة والنشر برأس مال قدره مليون جنيه على أن تساهم المؤسسة في الزيادة في رأس المال بالكامل وعلى أن تشمل الشركة الانشطة التالية ويكون كل نشاط وحدة مستقلة اداريا وماليا :

- ١ - نشاط التأليف والترجمة والنشر .
- ٢ - نشاط الطباعة .
- ٣ - نشاط المجلات .
- ٤ - نشاط المكتبات .

كانت الشركة مكونة أصاصاً من فرعين هما : فرع الساحل ومقره ١٥٧ شارع عبيد بالساحل .

فرع الصحافة ومقره ١١ شارع الصحافة بببلاق .

- وفي ٧ - ٢ - ١٩٦٤ تم شراء مطبعة الاتحاد المصري للطباعة ومقرها ١٤ شارع صبرى الظاهر من الحراسة العامة للطوارئ كما ضمت الى الدار القومية .

- وفي ١ - ١٠ - ١٩٦٤ تم شراء منشأتى شركة تروس خلتشادوريان والمهد المصري لفرن الطباعة من الحراسة العامة للطوارئ كما ضمت الى الدار القومية .

١ - مطبعة مصر ومقرها ٤٠ شارع نوبار - عابدين - القاهرة .

٢ - مطبعة ر - ماتوسيان ومقرها شارع وابور السعدوى - ساحل روض الفرج .

- في ٢٥ - ١٢ - ١٩٦٦ صدر قرار الجمعية العمومية لتأسيس المؤسسة المصرية للتأليف والنشر برئاسة السيد وزير الثقافة في ذلك الوقت ويخفى بالآتي :

١ - ضم شركتى دار القلم والدار المصرية للتأليف والترجمة الى شركة الدار القومية للطباعة والنشر وتغيير مسمى الأخيرة الى شركة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

٢ - فصل نشاط التوزيع بما يشمله من مكتبات في كل من الشركات الثلاث وضبه الى الشركة القومية لتوزيع . وبذلك اقتصر نشاط الشركة على الآتي :

- ١ - الطباعة .
- ٢ - النشر .

إصدار المجلات الاعلامية .

- في ٣ - ٧ - ١٩٦٧ نقل نشاط إصدار

غربيا عنه . وفى تعدد المجالس والقيادات تعدد لانهاط السلوك التى يجب أن تسود فى ظل مفاهيم كل مجلس أو قيادة . وكل هذا يجعل لجنة الخططة والموازنة تطرح سؤالا هاما حول معايير تشكيل القطاع الواحد من اجهزة تحلق امداف القطاع ، باعتبارها ادوات تكتيكية تحقق استراتيجية القطاع فى الاجل القصير والطويل . ولاشك أن فى سيادة نظام المجالس القومية ما يساعد على تحقيق الاستقرار للادوات الادارية التى يستخدمها القطاع فى ادارة نشاطه .

نتائج النشاط التجارى

حققت الشركة خسائر فى سنتى ٧٠-٧١ و٧١-٧٢ قدرها ٧٧ ألف جنيه و١٨١ ألف جنيه بينما قدر لسنة ٧٢ فائض قدره حوالى ٧٢ ألف جنيه ويوصح المرفق (١) مقارنة النشاط الجارى فى السنتين ٧٠ - ٧١ + ٧٢ - ٧٢ الفلمينين بالمقدر لسنة ١٩٧٢ ، ومنه يتضح مايلي:

● ازدياد الاجور بحوالى ٤٨ ألف جنيه بين موازنة ٧٠ - ٧١ + ١٩٧٢ بما يعادل ١فى المائة من اجور ٧٠-٧١ ومن المنتظر زيادة ذلك لو دفعت العلالة بالكامل خاصة وأن العمال يطالبون بها على اساس ان الشركة تحت التأسيس .

● ان نسبة المستلزمات السلمية الفعلية تصل الى حوالى ٥١ فى المائة من ايرادات النشاط الجارى بينما ان المقدر ٤٧ فى المائة وهى نسبة لن تتحقق فى ظل ظروف الرقابة الحالية على التشغيل . فاذا اخذت النسب الفعلية كأساس فإن الربح المقدر ينخفض بحوالى ٣٠ ألف جنيه .

● ان المصروفات التحويلية التخصيصية وعلى الاخص مصروفات السنوات المسابقة عامل هام فى تغيير النتيجة النهائية للتشغيل . فعلى الرغم من ان المنصرف الفعلى فى سنة ٧٠ - ٧١ بلغ ٥٥ ألف جنيه قابله ٢٢٧ ألف جنيه فى ٧١ - ٧٢ فان المقدر لسنة ٧٢ يبلغ ٢٢ ألف جنيه . فاذا رويحت ظروف الشركة فقد يصل هذا الرقم الى ما يعادل متوسط نسبة هذه المصروفات الى ايرادات التشغيل فى السنتين السابقتين وقدره ١٦١ ألف جنيه .

١ - ٧٠ - ٦٩ وتقضى بنقل وحدات المطابع التجارية المتبقية من شركة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر من قطاع الثقافة الى قطاع التموين واتشاء شركة جديدة تتبع المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والاعصان والكيماويات على ان يوصع تحت تصرف الشركة الجديدة مبلغ لتدبير السيولة النقدية اللازمة لها وتحديد العمالة الزائدة عن حاجة التشغيل بالشركة .

- فى ٥ - ٧٠ - ١٩٧٠ صدر قرار السيد الدكتور وزير الخزانة رقم ١٢٠ بتشكيل لجنة للاشراف على جرد ونقل وتسليم وحدات المطابع التجارية لشركة دار الكاتب العربى الى المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والاعصان والكيماويات على أن يكون تاريخ التسليم ١ - ٧٠ - ١٩٧٠ .

- فى ٢٨ - ٩ - ١٩٧٠ صدر قرار السيد وزير التموين رقم ٣٠٦ بتحويل اللجنة المشكلة بقرار وزير الخزانة رقم ١٢٠ الهام الاتية :

١ - تقييم أصول الوحدات المنقولة للشركة الجديدة .

٢ - تحديد الالتزامات التى ستنقل الى الشركة الجديدة على ضوء قيمة الاصول المنقولة .

٣ - دراسة السيولة اللازمة وتحديد رأس مال الشركة الجديدة .

٤ - تحديد المبالاة الزائدة عن حاجة التشغيل بالشركة المذكورة .

- فى ١٥ - ٥ - ١٩٧١ أتمت اللجنة أعمالها وقدمت تقريرها للجهات المعنية وأصدر السيد وزير التموين والتجارة الداخلية القرار رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٢ باعتماد ما انتهت اليه لجنة التقييم من توصيات وأبلغت وزارة الخزانة بذلك التى وافقت فى ١٢ - ١٢ - ١٩٧٢ على سداد فائض الالتزامات الى جهات استحقاقها وفقا لما تضمنته توصيات هذه اللجنة .

وفى خلال هذه الفترة دفعت وزارة الخزانة مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه على دفعتين تحت حساب رأس المال .

- فى ٢١ أغسطس ١٩٧٢ صدر قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ١٠٢٢ لسنة ١٩٧٢ بتشكيل مجلس الإدارة الصالى .

وتلاحظ لجنة الخططة والموازنة من العرض السابق أن وضع هذه الشركة لم يستقر بعد و لن يستقر فى ظل تواجدتها بقطاع غريب عنها ولا بد وأن يغلظها فى نهاية الامر باعتبارها جسما

مباشرة لتعدد توالى المجالس الإدارية على الشركة .

— نتيجة لما قامت به وزارة الثقافة لدى انشاء المطبعة الثقافية سلبها من شركة دار الكتاب العربى واختيارها لافكا واصلح العناصر المعالية ، بجانب النقص فى كثير من التخصصات اللازمة سواء على المستوى الفنى او الادارى ، تمنى الشركة من تحملها باعباء عمالة غير ملائمة . وتشير الشركة الى أن عدد نوى المؤهلات العليا يقتصر على ٢٧ عاملا فقط ومن مجموع العاملين البالغ عددهم ١٥٥٠ عاملا وأن الشركة رغم أن بها عدداً غير قليل من الآلات لايجد بها مهندس واحد .

— رسوب المال فى فئاتهم الوظيفية نتيجة عدم ترقيةهم منذ مدة طويلة — أيام كئوفى الدار القومية ثم دار الكاتب العربى — وعدم حصولهم على علاوة كاملة خلال العشر سنوات الماضية ، وقد أدى ذلك الى عدم بذل الجهد الكافى وقد ترتب على ذلك ايضا مشاكل للادارة بصفة مستمرة اثرت على الانتاج .

— نتيجة عدم انسياب المواد الخام فى الوقت المناسب والتزام الشركة قبل الميلاد بمواعيد محددة لتسليم المطبوعات تضطر الى التشغيل الاضافى بما يزيد فى التكلفة .

هذا وقد أعدت الشركة حصرا بالمعالة التى يمكن الاستغناء عنها تمهيدا لاتخاذ اجراءات نقلها بمعونة الوزارة والمؤسسة تخفيفا لعبء المعالة من ناحية وامكان احلال التخصصات المطلوبة بجزء من تكلفتها من ناحية أخرى .

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة أن ظروف تشغيل المبال فى الشركة قد جعل جزءا كبيرا من العاملين يعمل فى القطاع الخاص لزيادة دخله ، ولهذا اثره على الشركة من ناحيتين :

● عدم اهتمام العاملين بالشركة بالعمل فيها وانخفاض درجة الولاء للشركة .

● اقناع اسرار العمل للقطاع الخاص مما يتيح له التقدم بمناقضاته بأسعار اقل من القطاع العام .

● بمساعدة القطاع الخاص فى خفض تكلفة المعالة لديه وبالتالي ينافس القطاع العام منافسة غير سليمة ، لانه لا يدفع تأمينات عن هؤلاء العاملين ، بجانب أن الاجر المدفوع عن القطاع الخاص يدفع مقابل انتاج اقتصادى لا دخل فيه للموالى الاجتماعية التى تراعى نظم الاجور فى القطاع العام كتحمل اجر المهندسين ونظام العلاج الطبى أى أن الخرم فى النهاية

مما تقدم يتبين أن الشركة سوف تحقق خسارة عن أعمال سنة ٧٢ قدرها ١٢٢ ألف جنيه على النحو التالى :

الف جنيه

٢٥	زيادة فى الاجور لو نفعت المعالوة بالكامل
٢٠	زيادة المصاريف السلعية
١٢٩	زيادة التحويلات التخصمية
١٩٤	إجمالي الزيادات فى المصروفات
٧٢	الرقم المقدّر للربح
	الخسارة التقديرية لسنة ١٩٧٢ لو تحقق رقم الاعمال بالكامل
١٢٢	

ولعل هذا هو واحدا بالشركة الى أن تتظلم من أن وزارة المالية والاقتصاد لم تدرج ضمن الموازنة التخطيطية للسنة المالية ١٩٧٢ الاعانة المعتادة وقدرها ٨٢ ألف جنيه .

مشاكل الشركة

أوضحت الشركة مشاكلها فى المجالات المختلفة ، وقد كان لندوبى الجهاز المركزى للحسابات تعليقات عليها . وفيما يلى تفاصيل المشاكل :

اولا — الصعاب المرتبطة بالنواحى الإنتاجية :

١ — الآلات :

الآلات الموجودة بالشركة هى عبارة عن المنبى من الآلات التى كانت تمتلكها الهيئات والشركات والطابع الخاصة التى اندمجت فى شركة دار الكاتب العربى ، والتى استولت المؤسسة المصرية للتأليف والنشر (للهيئة العامة للكتاب حاليا) على خيرها وأحدها لانشاء المطبعة الثقافية .

ومعظم هذه الآلات قديم جدا يرجع عمر بعضها الى سنة ١٩٢٠ مما كان سببا فى انخفاض معدلات انتاجها وارتفاع تكاليف صيانتها الى جانب توقف بعضها من حين لآخر لعدم توفر قطع الغيار وبالتالى انخفاض الطاقة الطابعة للشركة .

٢ — المعالة :

— تبلغ نسبة تكلفة المعالة الى ايرادات التشغيل حوالى ٤٤ فى المائة وهى نسبة غير اقتصادية ومرتفعة اذا ما قورنت بالانشطة المماثلة فى القطاع العام والخاص ، وهى نتيجة

يحتله المال العام ، حيث لا تتقابل الاجور مع الانتاج الاقتصادي اللازم لاستيعابها •

٣ - الخامات

(وتبذل ٥٢ في المائة من التكاليف بينما النسبة المعتادة هي ٢٥ في المائة) كما تمثل قيمة الورق ٨٥ في المائة من قيمة المستلزمات التي تعتمد عليها المطابع ومن هذه النسبة تنضج أهميتها لاستقرار الانتاج وزيادته • وتحصل الشركة على الورق اللازم لها اما عن طريق ما تخصصه لها الدولة من نقد أجنبي للاستيراد من الخارج ، أو الحصة المحددة لها عن طريق شركات الانتاج المحلية •

وبالنسبة للطريق الأول فالحصة النقدية محددة جدا نتيجة للظروف الحالية إذ لم تتجاوز خلال السنة المالية ٧١-٧٢ مئلي ١٠٥٠٠ جنيه من قيمة قدرها ١٠٢ ألف جنيه طلبتها الشركة •

أما بالنسبة للطريق الثاني فالحصة المقررة محسوبة على أساس متوسط رقم الاعمال خلال الثلاث سنوات السابقة على انشاء الشركة • وقد تضاعف هذا الرقم تقريبا دون زيادة هذه الحصة • وقد أدى هذا الى أن الشركة حصلت على الكميات الإضافية التي غطت رقم أعمالها المتزايد من الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية عن طريق لجنة الورق وبالمعاونة المستمرة من السيد رئيس المؤسسة •

كما أن عدم توافر الخامات المساعدة الأخرى بالاسواق مثل الغراء والصمغ والدويارة والسلك وخلافه وعدم توافر السيولة بالشركة يؤدي الى عدم القدرة على التخزين والشراء أولا بأول وبأسعار تزيد أحيانا من السعر الرسمي لكي تتمكن من التنفيذ في المواعيد المحددة • وهذا يؤدي الى ارتفاع تكلفة الانتاج •

وقد اوضح مندوب الجهاز المركزي للمحاسبات أن حقيقة ارتفاع نسبة الخامات الى التكاليف ترجع الى احوال القائمين على الرقابة على صرف الخامات ذاتها بما يزيد في حالات كثيرة من ٣٠ في المائة من اللازم للتشغيل فضلا ، وأن آتون الصرف المدسلة لا تستعمل بالخاص • وقد وعد المسئولون بساؤسسة بدراسة طريقة صرف الخامات ومراجعتها مع التشغيل •

وترى لجنة الخطة والموازنة أن جميع الاعمال التي تتم بالمطبعة - أي ليست بالاتاق - المستمر النمطي ، الذي ينتج مقدما في انقطار

الطلب بعد ذلك - يمكن أن تخضع لنظام رقابي حقيق لو أمكن للشركة مسك حسابات تكلفة الاوامر مدعما بنظام تكاليف محيارية • وهو أمر كلفت الشركة قد بدأت تبارسه سنة ١٩٦٨ ثم عدلت عنه بعد ذلك دون مبرر •

كما أنه قد تبين للجنة أن طريقة توزيع خامات الطباعة على مختلف المطابع من ورق وورصاص والوان تتجان الى انتساب لخصان عدم المتاجرة فيها في السوق السوداء ، ثم يتحمل المستهلك عبء ذلك في النهاية في شكل زيادة تكاليف الثقافة المقروءة وخاصة على ابنائنا في الجامعات

٤ - تعدد فروع الشركة :

نشاط الشركة موزع على ستة فروع ، وبجانب تشتت هذه الفروع في أماكن متفرقة فإن كلا منها لا يمثل وحدة انتاجية كاملة وبالتالي يوجد زيادة في الاعياء المالية وتكرار لبعض الوظائف فضلا عن أن هذه الفروع هي ميان معظمها مستأجر وقديم ويحتاج الى صيانة مستمرة مما يؤدي الى عمل الشركة بنقلاات تزيد عن النفقات العادية •

ثانيا : الصعاب التي تبطئ بالموافق التسويقية :

تختلف طبيعة نشاط الشركة عن باقي الشركات الانتاجية الأخرى إذ انها لا تنتج منتجا نهائيا يعرض للبيع بالاسواق ، بل انها تقوم بتنفيذ ما يطلب منها من أعمال الطباعة أي تعمل في نظام يسي بالتشغيل حسب الطلبات • وتوضح الشركة أنها تعاني في سبيل ذلك منافسة غير متكافئة من الوحدات الاقتصادية المثيلة ، فالمؤسسات الصحفية توسعت أخيرا في أعمال الطباعة التجارية واستخدمت أحدث الآلات ومالها من امكانيات لا تتوافر للشركة ، ومطابع القطاع الخاص لها أساليبها التي لا يمكن للشركة أن تسلكها • ثم اوضحت الشركة بأن وزارة المالية والاقتصاد اعطت صورة من صور الرعاية والتفضيل لهيئة المطابع الأميرية بإصدار المنشور رقم ١٠ لسنة ١٩٧٣ بأوامر كافة الجهات الحكومية والهيئات العامة ووحدات الادارة المحلية بطبع مطبوعاتها بالهيئة بل ونقل الاعتمادات الخاصة بالمطبوعات من ميزانية هذه الجهات الى ميزانية الهيئة •

وقد اوضحت الشركة أنها حاولت السير في نفس السبيل فعملت على استصدار توصيات من اللجنة الاستشارية للمؤسسات التموينية بقبام كافة المؤسسات والشركات التموينية بطبع مطبوعاتها بالتركتين التابعتين لوزارة الشؤون إلا أنه على الرغم من الجهود المتواصلة من

د - تمدر أحلال آلات جديدة بدلا من تلك التي أصبحت في حكم المستهلكة وإدخال المستحدث من آلات الطباعة والتصوير مما تنفق عليه الشركة .

وتلاحظ لجنة الخطة والموازنة أنه كان يمكن للشركة أن تستخدم مبلغ الـ ٢٠٠ ألف جنيه كإسماح دائر بجانب الدفعات القسمة التي تأخذها من العملاء ، خاصة وأن القطاع الخاص لا تتوفر له نفس الإمكانيات المتاحة للشركة .

الحلول المقترحة لمواجهة الصعاب

من وجهة نظر الشركة

رغم الجهود التي تبذلها الشركة في الدفع بجملة الانتاج ورغم الماونة المشكورة لها من جانب وزارة التموين والتجارة الداخلية والمؤسسة فهي مازالت في حاجة الى المزيد منها لكي تتمكن من تحقيق الاهداف المنشودة .

وفيما يلي المقترحات التي تقدمت بها الشركة لآمكان قيامها بمزاولة نشاطها بصورة اقتصادية :

١ - استصدار القرار المناسب الذي يلزم كافة المؤسسات والشركات التموينية بطبع كافة ما يلزمها من مطبوعات وطبع وإكياس وحلقة بالشركة اسوة بقرار السيد وزير المالية والاقتصاد الصادر لصالح هيئة المطابع الاميرية وبذلك يزيد رقم اعمالها الى الحد الذي يغطي نفقاتها ثم تحقيق فائض مناسب .

ب - تخصيص كمية من الورق بما يتناسب مع رقم الاعمال المستورد والذي لا يجب أن يقل عن ثلاثة ملايين جنيه وتبلغ هذه الكمية حوالي ٥٠٠٠ طن .

ج - زيادة الحصصة النقدية المخصصة للشركة لآمكان استيراد قطع غيار المآلات ولتنفيذ خطة خمسية لاستبدال الآلات القديمة بأخرى متطورة وحديثة .

د - العمل على تخفيف هيء العمالة ونقل العناصر التي يمكن الاستغناء عنها الى جهات أخرى لآمكان تزويد الشركة ببعض التخصصات والكفاءات التي تحتاجها .

هـ - سداد باقي رأس المال الذي حددته لجنة التقييم مع الاسراع في صرف دفعة عاجلة لا تقل قيمتها عن ١٠٠ ألف جنيه لكي تتمكن

السيد رئيس المؤسسة ومن جانب الشركة لوضع هذه التوصيات موضع التنفيذ الكامل فان بعض الشركات التموينية لم تستجب لهذه التوصيات الاستيعابية الواجبة .

هذا وقد أوضح سئل الجهاز المركزي للمسابقات أن الشركة تعترض عن تنفيذ بعض الطلبات .

ثالثا - الصعاب المرتبطة بالرواحى التمويلية :

بناء على قرار وزير التموين رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٧٠ بقيام لجنة التقييم المشكلة بقرار وزير الخزانة رقم ١٢٠ لسنة ١٩٧٠ - بدراسة أوضاع السيولة على أساس الأصول والالتزامات وتعيد رأس المال اللازم للشركة في ضوء مكونات الأصول والالتزامات ودورة الانتاج ومتطلبات النشاط بوجه عام فقد صممت لجنة التقييم تقريرها قيمة رأس المال المطلوب والسيولة اللازمة للشركة حتى تتمكن من مراولة نشاطها بكفاءة ودون معوقات مالية بمبلغ ١٠٠٧٨٠٠٠ ألف جنيه ممتلا في :

جانبه

١٩٧٢٢٦ فيه الأصول الكلية اللازمة للانتاج ٥٠٧٨٠٠ قيمة المال الصالح الواجب نواله
٢٠٥٧٨٥٤ بخلاف الفرق بين القيمة الاستيعابية للأصول
وتبينها الدفوية على أن يتم سداد قيمة
الدين الأول والاالى مباشرة ويصرف البلد
الثالث حسب احتياجات التجديدات مستقبلا .

وقد أوضحت الشركة أنه على الرغم من اعتماد وزارة المالية والاقتصاد تقرير لجنة التقييم المشار إليه فان المبلغ الذي سدد للشركة - وقد مضى على تكوينها أكثر من سنتين - اقتصر على ٢٠٠ الف جنيه فقط ، وقد استعمل جانب كبير منه في سداد بعض التزامات الشركة التي لها صفة الاستعمال .
وترى الشركة أن افتقارها الى السيولة اللازمة يؤدى الى :

١ - القصور فيما يجب أن يكون عليه المخزون . بل تكاد الشركة أن تحصل على مستلزمات انتاجها أولا بأول . وهى سياسة خاطئة ولكنها مضطرة لانتاجها .
ب - اضطراب الشركة لتسحب على المكشوف من البنوك لتمويل عمليات شراء المستلزمات السلمية بما يكيدها فوائد دون مبرر .
ج - أثر ذلك على سمعة الشركة التجارية إذ يشترط الموردون الدفع المقدم دائما .

توصيات لجنة الخطة والموازنة

رئيس اللجنة
د. أحمد أبو اسماعيل

سنوات المقارنة وتطور القيم		١٩٧١/٧٠ فعلى		٧٢/٧١ (١٢ شهر) فعلى		١٩٧٢ تقديري	
نسب تحليلية %		نسب تحليلية %		نسب تحليلية %		نسب تحليلية %	
إيرادات النشاط الجارى	القيمة بالآلى	إيرادات سنة	بالآلى	إيرادات سنة	القيمة بالآلى	إيرادات سنة	إيرادات سنة
مخصصات الاستغادات الجارية	القيمة بالآلى	إيرادات سنة	بالآلى	إيرادات سنة	القيمة بالآلى	إيرادات سنة	إيرادات سنة
	جنيه		جنيه		جنيه		جنيه
	٧١/٧٠		٧١/٧٠		٧١/٧٠		٧١/٧٠
إيرادات النشاط الجارى	١٠٣٤	١٠٠	١٢٧٥	١٢٢	١٠٠	١٠٠	١٢٧٥
مخصصات الاستغادات الجارية	٤٧٧	٤٦	٥١٢	٤٤٠	٥٢٥	٣٧	٤١٠
الإيجور	٥٢٠	٥١	٦٤٧	٦٥١	٦٧١	٤٧	٦١٦
المخصصات الجارية	٦١	٥	٧٦	٧٥	٦٥	٤	٦١
المخصصات المسبقة	٤٦	٤	٥٦	٤٤	٤٧	٢	٤٦
المخصصات القديمة	٥٥	٥	٦٣٧	٦٢٩	٦٢٩	٣	٦٣٧
التقويضات الجارية	٦٩٢	٦٨	١٠١٦	١٠١٦	٨٠٥	١	٨٠٥
التقويضات المتخصصة الجارية	١١٩٦	١١٩	١٥٢٨	١٥٢٨	١٣٢٠	٥	١٣٢٠
مجموع المخصصات الجارية	٧٧	٧	١٨١	١٨١	١٤٤	٥	١٤٤
إجمالي الاستغادات الجارية							
مخصصات العمليات الجارية [١]							
مخصصات العمليات الجارية [١]							

- 38 -

المشكلة ..

وأصل المشكلة



• رفعت السعيد

الشعب بطريق غير مشروع ؟ وهؤلاء التعاملون ماذا بقى لهم من حقوق تجاه الدولة ؟

أقول ان التقرير قد وضع يده « برفق شديد » على الأسباب ، لكنه .. قال كلمته رمش ، هل هذا يكفى ؟ بل وهل يكفى ما اقترحه أيضا - برفق شديد - فى النهاية بأن « أضعف الإيمان بالنسبة لهذه الشركة هو إعطاؤها فرصة للبقاء ، دون تصفية لمدة سنة » ؟

حسنا .. وماذا عن هذه « المخالفات » الجسيمة ؟ ماذا عن هؤلاء الذين أقشوا أسرار العمل ، وليس لديهم الولاء الكافى لشركتهم ، ولا الحرص الكافى على أموالها ، ولا الامانة فى الرقابة على استخدام الخامات . وكل هذه أوصاف « مهذبة لأعمال تدرج بشكل مباشر تحت طائلة القانون » وتصل بأصحابها ليس فقط الى المسائلة الادارية وإنما أيضا الى المسائلة القانونية .

والسؤال الملح الآن هو ماذا كان رد الفعل لدى المسئولين فى المؤسسة التى تتبعها هذه الشركة ؟ هل تحركوا ؟ هل تجاملوا هذه المخالفات الخطيرة التى أوردتها تقرير أقرته أعلى سلطة تشريعية فى البلاد ؟ وهؤلاء المسئولين عن الشركة ، مديرها وأهل الحل والربط فيها ألم يتحرك ضمير واحد منهم استنصر المسئولية ، أو حتى - دونما

برفق شديد وضعت لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب يدها على المشكلة وأسبابها ، وعددت هذه الأسباب فيما يلى :

● عدم اهتمام العاملين بالشركة بالعمل فيها ، وعدم توفر الولاء الكافى للشركة ولا الحرص الواجب على أموالها .

● إقضاء أسرار العمل للمنافسين من القطاع الخاص مما يتيح له التقدم بمناقضاته بأسعار أقل من القطاع العام .

● العمل لدى القطاع الخاص ، بما يساعد القطاع الخاص على خفض تكلفة العمالة لديه ، فهو لا يدفع عنهم تأمينات اجتماعية ولا يتحمل قبلهم أية مسؤوليات .

● عدم الامانة فى الرقابة على استخدام الخامات .

● الإعتذار عن طلبيات كان بإمكان الشركة اتتمامها .

ولنتأمل هذه الأسباب ، ثم لنسأل انفسنا ماذابقى للشركة المصرية للطباعة والنشر .. ؟ أى وحدة إنتاجية تابعة للقطاع العام المملوك للشعب ، ألى هى مجرد « ثقب » تستنزف من خلاله أموال

حاجة الى ضمير - استثمر الخوف والخطر فقدم استقالته؟ فيما اعتقد لاشء من ذلك قد حدث ..

وهذا الخطر الأكبر ... هنا الكارثة الحقيقية .

أن تكون هناك مخالفات صارخة ، فهذه مصيبة ، لكن أن تكتشف المخالفات ، ويشار إليها ، وتتحدد التهم بواسطة السلطة التشريعية ، ثم لا يتحرك أحد فهذه كارثة . لأن معناها أننا نضيء للنور الاخرى أمام المخطئين .

لكننا لا نطالب بالعقاب فقط وانما نطالب بالبحث من أصل المشكلة .. وأصل المشكلة بعيد ، بعيد منذ أن اعتبرت الثقافة في مصر ترثا ، واعتبر النشر تجارة ، مقياسها الوحيد الربح ، ومنذ أن اعتبر العامل الماهر عبثا على ميزانية الشركة والالات غير الحديثة شيئا غير مرغوب فيه في حين أن العامل الفني والالات غير الحديثة ثروات ما أشد حاجتنا إليها .

والذى حدث هو أن مؤسسة التاليف والنشر ، وقعت - منذ البداية - فريسة لبعض المشاجرين بالنشر ، الذين طالبوا - وبالعجب - بتأميم أنفسهم (وربما كانت مصر هي البلد الوحيد في العالم الذى طالب فيه المنتجون الراسماليون بتأميم شركاتهم) . ودخلت هذه الشركات بأعبائها ثقلا فوق كاهل القطاع العام ، وتربع أصحابها قادة لشركاته .. ثم تطورت الأمور ، وزادت الاعباء ، أو بالذقة زادت الاخطاء .. وألقى اللوم ليس على سوء الإدارة ، ولا على سوء التخطيط ، ولا سوء الاختيار ، ولا سوء التوزيع ، وانما على اللوم على « الكتاب الجاد » ، وكان الكتاب الجاد سلعة بائسة - ناسين أن المشاجرين بأكثر الكتب جدية - سواء في مصر أو لبنان - هم أكثر الناس رجحا ، ناسين أن تجربة مؤسسات النشر البيروتية وما تمنيه من أرباح طائلة من نشر الكتب الجادة ولكننا مصريين بلذات تدحض كل دعاويهم .

المهم ، لقد ألقى اللوم على « الكتاب الجاد » ، وتقرر أن مصر - ٢٥ مليونا من البشر - وأن مصر بكل قطها الحضارى والثقافى العربى والاسلامى ، ويكل تراثها الفكرى ، ويكل كتابها وشعراتها ومؤرخيها وأدبائها ، هؤلاء الذين يهتدون نروا

حقيقية تصيبها مؤسسات النشر اللبنانية ، تستجدى منهم انتاجهم لتشره وتناجر به وتربح أرباحا خيالية ، تقرر أن كل ذلك - مصر بكتابها وثقافتها وبتراثها - أقل من طائعات دار نشر حكومية واحدة . ومن ثم تقرر تضيق نشاط هذه الدار .

وصفيت المؤسسة المصرية للتاليف والنشر ، وامتنعنى منها كل من له نفوذ أو بعض نفوذ ليقى فى الهيئة العامة للتاليف والنشر . ونبيذ الباقون - ١٥٥٠ من العاملين - ومهم آلاتهم غير الحديثة ، نبذوا الى الشركة موضوع الحديث ، فماذا تريدون منهم بعد أن نبذتموهم ؟ !

واحسرت الالاباب فى البحث عن جهة يملق برقبته هذا العبء الرهيب (ومرة أخرى يشعر الانسان بالامس وهو يحس أن عسال طباعة قننين وخبراء فى فن طباعة ونشر الكتاب ، وآلات طباعة قادرة على العمل ، يمكنها أن تكون عبثا فى مجتمع متحضر أو حتى شبه متحضر) .

وأخيرا ، ألقى هذا العبء على عاتق قطاع لا يستطيع أن يقول لا ، هو قطاع التمويل والتجارة الداخلية ، لكن لماذا « التمويل » بالذات ؟ ربما لأن الثقافة غذاء للروح ؟ ! لكن ذلك افتراض حسن النية ، والاقترب الى المنطق هو أن البعض قرر أن الطباعة والنشر تجارة فحسب ، وهى حتى تجارة داخلية ليست بحاجة الى تصدير . والامر فى اعتقادى يشبه الحاق جميع الحديد والصيب بوزارة السياحة ، باعتبار أن حلوان منطقة سياحية . وهكذا ومنذ البداية دارت العجة فى الاتجاه الخاطيء . وأسرع الكتاب بانتاجهم الى بيروت ، وتاجر العاملون النبونون بولائهم لشركتهم ، وباعوا اسرارها وارتكبوا ما هو أكثر من ذلك .. وكسب الكتاب .. وكسب الصاملون النبونون ، وخسرت مصر .. وخسر تراثها الثقافى والحضارى ..

والآن .. فإن العلاج يتطلب ليس الشسدة وحدها - وهى ضرورية - وانما أيضا علاج المشكلة من جذرها ، ولعلنا ونحن نبحث عن العلاج أن نتلمس - دوما - الخطر الذى تشكله محاولات القطاع الخاص افساد القطاع العام والتطفل عليه .

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن الشركة المصرية العامة للمباني الريفية

من بيانات ، تقدم لجنة الخطة والموازنة
دراساتها للشركة ، ونظرا الى أن ما دار في
جلسات الاستماع قد مس بعض جوانب قطاع
المقاولات فقد أقررت اللجنة لطرف القطاع
دراسة مستقلة عن الشركة .
وبهذا يتضمن هذا التقرير ما يلي :
- ملاحظات عامة عن قطاع المقاولات .
- دراسة عن الشركة المصرية العامة للمباني
الريفية وتحتوي على :
• تطور تكوين الشركة ونشاطها .
• نتيجة نشاط الشركة .

مشاكل الشركة التي

تسببت في خسائرها

- العمالة الزائدة .
- قصور أصول الشركة .
- لخطاء اختيار مواقع المصانع والورش
الانتاجية .
- ظروف تشغيل الشركة .
- اتساع رقعة أعمال الشركة .

ملخص توصيات اللجنة

ملاحظات عامة عن قطاع المقاولات ظهرت
للجنة الخطة والموازنة عند دراسة
الشركة المصرية العامة للمباني الريفية
كان نصيب قطاع المقاولات من الشركات

تبين للجنة الخطة والموازنة عند دراسة الشركات
الخاسرة أن الشركة المصرية العامة للمباني
الريفية يقدر في موازنتها التخطيطية عجز قدره
١٢٠ ألف جنيه في السنة المالية ٧١ - ١٩٧٢ .
ولهذا طليت من المسؤولين عن الشركة توضيح
أسباب هذا العجز الجارى ، فمعدت لهذا
الغرض اجتماعين ، الأول مع المسؤولين بقطاع
المقاولات والشركة للتعرف على نشاط الشركة
ومعوقات الاداء فيه ، أما الثانى فكان خلاصا
بالتقابات العمالية وقيادات الاتحاد الاشتراكي
للوقوف على آرائهم على حل المشاكل التي تواجه
الشركة .

وقد حضر الاجتماع الاول عن قطاع

المقاولات :

- السيد وكيل وزارة الاسكان لشئون
المؤسسات .

- السيد رئيس مجلس ادارة المؤسسة
المصرية العامة للمقاولات المباني .

- رئيس وأعضاء مجلس ادارة الشركة .

- بعض الفنيين من وزارة الاسكان
والمؤسسة والشركة .

كما حضر الاجتماع أيضا ممثلون عن
الجهاز المركزي للمحاسبات ووزارة المالية
والاقتصاد والتجارة الخارجية

أما الاجتماع الثانى فقد تم بحضور ممثلى
قطاع المقاولات وممثلى التنظيمات السياسية
والنقابية والعمالية بالشركة .

ومن واقع جلسات الاستماع والتقارير التي
قدمت من المخصمين عن نشاط الشركة وما طلب

مصرها يمكن أن تتحكم فيه الحكومة •

● عدم تنميط المباني التي تؤدي الغرض الواحد حتى الآن ، ولهذا يمكن أن تزداد تكلفة مبنى بعدا للسكان الإداري من جهة لأخرى حسب الجهة ذاتها لأنها هي التي تصدد المواصفات والنصومات والرسومات عن طريق مكاتب خاصة •

ولئن كان هذا التنميط لا يدخل في صميم عمل المقاولات - كما أوضحت مؤسسة المباس ، وأنها لا تتدخل في شيء إلا عندما ترى ارتفاعا في الأسعار فتخرج إلى بحث أسباب المغالاة في المواصفات أو في المواد التي تستخدم في المباني ، إلا أن وزارة الإسكان مسئولة عن وضع حد قاطع للمواصفات الإسكان الإداري والأعمال المشتركة في المصانع وغيرها سواء من حيث المواد أو التصميم أو الأسعار • ولعل في هذا ما ييسر على الدولة تطبيق ما تشير إليه في موازنة البرامج والأداء • وقد تبين للجنة أن لدى أجهزة وزارة الإسكان ومؤسسة المباني معايير سعرية محددة على أساس مواصفات مشتركة يمكن من طريقها تحديد تكاليف المباني والإنشاءات وما ييسر عملية توزيع أعمال المباني والإنشاءات الخاصة بالقطاع العام على شركات هذا القطاع حسب طاقاتها وترك ألباقى للقطاع الخاص • ويكون التفاضل بين شركات مقاولات القطاع العام في مجال استيعاب الطاقات المتبادلة للبيادر الاقتصادية المتاحة لكل شركة وبالتالي في تخفيض تكاليف الإنتاج ، ومن هنا يتباين ربح كل شركة حسب ضيقها لتكاليفها ومدى استيعابها للموارد الاقتصادية في الإنتاج بكفاءة •

● نقص القيادة الوسيطة بين الملاحظ والمهندس في هذا القطاع ، مما يشير إلى خلل هيكل في التعليم الفني ، ويرجع البعض هذه المشكلة إلى إلغاء نظام التعليم الذي كان يخرج هذا النوع من الفنيين والذي كان يمثل في مدارس الفنون والصناعات •

ولهذا ترى اللجنة أنه لو أعد نظام يضمن تخريج المهارة الفنية الوسيطة ، فإن مشكلة نقص القيادات الوسيطة يمكن حلها خاصة عندما تكفل لهم لأئحة للأجور ترعى إعطاءهم الحوافز الكافية بما في ذلك • بدل للمواضع ، وذلك شأن طبيعة المقاولات باعتبارها صناعة منتقلة •

● اتجسأ العامل حاليا إلى عدم توريث مهنته لأبنائه فتوفر التعليم العام المجاني •

الخاسرة شركة واحدة جاءت إليه من قطاع آخر ، إذ تيمت لمؤسسة مقاولات المباني الشركة المصرية العامة للمباني الرفيعة نقلا من المؤسسة العامة لاستصلاح الأراضي •

ومن مناقشة الشركة عن الظروف التي أدت إلى ظهور خسائر بها ، تبين أن هناك ملاحظات خاصة بالقطاع كله أثرت على الشركة ذاتها ، وماذا تنظر لجنة الخطة والموازنة للوضع من زاوية تخطيطية وموازنية ، فقد أن استبهرات الخطة السنوية - بجانب الأعمال المأهولة في اعتيادات القوات المسلحة بالموازنة العادية وموازنة الطوارئ - تتضمن أعمالا للمباني لتعوى بين جدرانها آلات ومعدات انتاجية تستورد وتكلف الاقتصاد القومي الكثير •

ولئن كانت لجنة الخطة والموازنة قد سبق لها - عند الرد على بيان السيد وزير الخزائنة من موازنة ١٩٧٢ - طلب تدعيم قطاع المقاولات للوفاء بصمم الاعباء الملقاة عليه ، فإنها تؤكد في التقرير المعروض ضرورة ترابط عمليات تنفيذ الخطة ، نظرا إلى أن عدم التزام الإجراءات للتنفيذ يؤدي إلى إطالة مدة انشاء المباني وبالتالي تعريض الآلات التي تكون قد وردت فعلا ، لعمول التعرية والجو وبالتالي لاقتصاد كفاءتها • ومن الاممباب الرئيسية التي تؤدي إلى عدم تنفيذ حجم العمل المقرر في الموازنات التقديرية لشركات المقاولات أو اضمحاض سيولتها نجد ما يلي :

● تأخر شركات المقاولات في الحصول على حجم العمل المناسب سواء عن طريق الاسناد أو بالمناقصة العامة •

● تنفيذ أعمال للوزارات والمصالح دون أن يكون لهذه الأخيرة اعتمادات كافية لسداد مستحققات الشركات مما يزيد من أزمة السيولة لدى شركات المقاولات ، ويلقى على الخزائنة العامة عبء تصفية هذه الديونيات ويصعب من مهمتها في التوازن النقدي •

● قصور المخصص المخصص للشركات من مواد البناء مثل الاسمنت والخشب والحديد ، مما يطيل من مدة تنفيذ الأعمال ويزيد من تحميل الأصول بفوائدها ما قبل التشغيل وبالتالي يرفع قيمة الأصول دون ما مقابل انتاجي ، فيزيد عبء الاملاك على التشغيل ، وفي النهاية تتحقق خسائر ليس للوحدات الانتاجية دخل فيها • كما أن هذا لا يساعد الشركات على تدوير معداتها بالمعدل المناسب •

● زيادة عمليات الجهود الحربية ترفع الاسعار في الزلط والرمال ، على الرغم من أن

● لا زالت بعض حسابات السنوات السابقة لبعض شركات المقاولات لم تعتمد بعد ، مما يؤثر على نفسية العاملين .

● هناك بعض الورش التابعة للقطاع العام لا تستغل بالدرجة الكافية لنقص تنسيق نشاط وحدات القطاع العام كوحدة متكاملة . فهناك مثلاً ورش نجارة تابعة للقطاع العام يمكن أن تمد انماطاً جاهزة ويتفق عليها وتباع للقطاع العام أو القطاع الخاص .

● هناك ازدواج في الأصول التي تؤدي الغرض الواحد ، شركات استصلاح الأراضي مثلاً تصنع ما تنتجه شركة المباني الريفية بعد احتاحتها بقطاع المقاولات .

● عدم كفاية الأموال المخصصة للطاقة الانتاجية بشركات المقاولات ، إذ الفروض أن تشتري معدات المقاولات بما يناسب طاقات القطاع . وقد كان لنقص تلك الأموال أثره على القطاع بأن كان يشتري من مقدم ثمن المباني أصولاً انتاجية ليعمل بها ، وكان يعني هذا بطء في التشغيل .

● العبء الكبير الواقع على سهولة قطاع المقاولات نتيجة دفعه ثمن الاسمنت والحديد مقدماً ثم استلام البضاعة بعد تاريخ الدفع وشهور ، مما يزيد من أزمة السيولة في القطاع وبالتالي تحمله بفوائد الاقتراض لتسهيل التشغيل .

وتوصي اللجنة بأن يكون هناك تنسيق بين أجهزة إنتاج الاسمنت والحديد وشركات المباني بحيث يتفادى حدوث أزمة سيولة كان يتم الدفع وقت الاستلام أو قبله بأسبوع مثلاً .

ومن الظروف السابقة يتبين أن قطاع المباني عصب رئيسي للقطاعات كلها لما يشكله عنصر الانشاءات والتشييد من أهمية بها ، ويحتاج الامر الى انشاء وحدة لتنسيق تنفيذ مشروعات الخطة . ولئن كانت وزارة التخطيط حالياً تقوم بإعداد موازن سليمة ، فإن الامر يتطلب أكثر من مجرد الموازن السلعية للدخول في اجراءات اعدادات التوازن وسهولة انسياب السلع من مواقع انتاجها الى مواقع مستلزماتها أو استهلاكها . وإن الظروف القادمة - وهي ظروف الحرب - تقضي منا قبل أي شيء أن نجهز أنفسنا بمثل هذا الأسلوب الذي يضمن عدم تواجد اختناق في ظل وفرة المواد ذاتها نتيجة لعدم احكام ترابط إجراءات التنفيذ .

● اتجاه العامل الى هجر قطاع المقاولات الى قطاعات بها أجر أعلى أو في الخارج وعلى الاخص في ليبيا .

● نظرا الى اعتماد الدولة على استيراد معداتها الانتاجية من دول الكتلة الشرقية ، وكانت الخبرات المحلية لصيانة هذه المعدات ما زالت قاصرة عن بلوغ مستوى الجودة المناسب ، لهذا فمن الرأي أن يتولى قطاع التعاريم بالاشتراك مع قطاعات الإنتاج الأخرى تنظيم تدريب منظم لصيانة هذه المعدات الانتاجية ، لتفغيز السوق بالمهارة المناسبة في هذا المجال .

● نظرا الى أن النظام الحاسبي الموحد يوجب اهلاك الأصول على أساس القسط الثابت ، سواء اشتركت بعض هذه الأصول في الإنتاج من عدمه ، فإن عبء اهلاك يرفع من تكاليف الإنتاج حسب نصيب الأصول التي لم تشترك في العملية الانتاجية فعلاً . لهذا فانه من الرأي أن يعاد النظر في هذا الأسلوب بحيث لا تتحمل الشركة بعبء اهلاك معدات لم يكن لها رأى في شرائها ولم تشترك في الإنتاج لسوء حالها أو لعدم توفر الخبرة اللازمة لإدارتها أو صيانتها ، أو لم تشترك في الإنتاج كلية .

● عدم دراسة المشروعات دراسة وافية ، إذ بعد أن تقرب بقاولة البناء من الانتهاء بالبياض ، وينتهي دور الصقائل ، تواجه الشركات بأمر تشغيل اضافي ، مما يؤدي الى ترك السقائل وعدة الشغل لفترة والبحث عن سقائل جديدة لاعمال تنشأ لأول مرة .

● انخفاض الأصول اللازمة لعمل الشركات وضرورة زيادة الاستثمارات ، وذلك بالنسبة لمستلزمات الإنتاج المستوردة من الخارج في الآونة الأخيرة لزيادة الأسعار .

● عدم ملائمة نظام دفع الاجور الذي تقرره اللاتمة الحالية مع عمل المقاولات حيث لا يراعى الاجر كفاءة العامل في استخدام الخدمات وعدم امداد اللون وخلافه . وقد ظهر من الحديث مع المختصين بمقاولات المباني أنه يجب أن تكون معدلات ربط الاجر بالانتاج هي المعدلات التي تكون في صالح اتمام الانتاج بأقل تكلفة واجود صنعة ، وهي التي تتخذ أساساً في عمليات التكاليف المعيارية الموجودة حالياً بمؤسسة المباني . وهذه المعدلات تعمل كل سنتين عن الاعمال المتكررة وتشمل اللون والمصنعية .

دراسة عن الشركة المصرية العامة للحسابات الريفية وأسباب عجزها

أولاً - تطور تكوين الشركة ونشاطها :

أنشئت الشركة بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٤٥٦ لسنة ١٩٦٤ ، وتبعت للمؤسسة المصرية العامة لاستصلاح الأراضي ، بهدف إقامة المبانى والمنشآت في الأراضي المستصلحة التي تقوم بها شركات استصلاح الأراضي .
وفي عام ١٩٦٥ صدر قرار السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي رقم ٢٢ لسنة ١٩٦٥ بنقل مصانع المنتجات الخرسانية وورش النجارة والكريتل القائمة لمديرية التحرير بمساحتها وموجوداتها إلى الشركة ، ونقل معها عدد ٨٢٨ عاملاً ، تبلغ أجورهم السنوية حوالي ربع مليون جنيه منها عمالة زائدة قدرت آنذاك بمبلغ ٦٧٥ ألف جنيه عن حاجة المصانع وجزء منها مرضى ، وأن كانت الشركة قد تمكنت من التخلص من ٧٥ في المئة من العمالة الزائدة حالياً .

وفي إبريل ١٩٦٩ صدر القرار الجمهوري رقم ٤٥٤ لسنة ١٩٦٩ بنقل تسمية الشركة من مؤسسة استصلاح الأراضي إلى مؤسسة مقاولات المبانى . ونتيجة لهذا بدأت الشركة تغير من تخصصها القاصر على مبانى وإنشاءات الأراضي المستصلحة وانطلقت إلى مجال مقاولات المبانى والمنشآت العامة بجانب نشاط فرعى آخر يتجه لها تخصص أصولها الإنتاجية ، وبذلك فنشاط الشركة حالياً موزع بين نشاط مقاولات ونشاط من الورش الإنتاجية

ويمثل الأخير حوالي ثلث الأول ويتنقل نشاط الورش في تصنيع :

● اعمدة الانارة الخرسانية (وتزداد الحاجة اليه في عملية انارة قرى الجمهورية) .

● المواشير الاسمنتية المسددة والعادية (ويواجه حالة ضعف في الطلب لمناخسة شركة مسجورات الشديدة والقطاع الخاص واعتماد استصلاح الاراضى على التشغيل الذاتى) .

● البلاط بانواعه .

● الطوب الاسمنتى المفرغ .

● اعمال نجارة .

● اعمال الكريتل .

وفي ٦ - ١ - ١٩٧١ صدرت تعليمات السيد وزير الاسكان والتشييد بنقل ورش النجارة والكريتل وما يتبعها من عاملين ومخزون ملهى من الشركة الى كل من شركتى الجمهورية للمقاولات واطلس للمقاولات .

وقد تم صدور قرار النقل فجأة . ويصاحب فترة انتقال الورش من جهة الى أخرى ضعف في الانتاج نتيجة للبليلة التي تصاحب عملية النقل (قبل النقل وبعد) ، وقد تم هذا بعد أن بدأت الشركة فى ايجاد حجم عمل يناسب طاقة الورشتين السابقتين بدلا من الضخائر التي كانتا تصبها للشركة .

نتيجة نشاط الشركة

يتبين من دراسة الموقف المالى للشركة منذ بدء نشاط الشركة فى سنة ١٩٦٥ حتى ٣٠ - ٦ - ١٩٧١ ما يلى :

الخصارة	الربح	مشتق	ايراد	
الف جنيه	الف جنيه	الف جنيه	الف جنيه	من نشاط مقاولات المبانى
٢٧٦	٩٧	٥٢٢٢٢	٥٢٢٩	من نشاط الورش
—	—	٢٢٦١٤	٢٢٢٨	
٢٧٦	٩٧	٧٢٨٢٦	٧٢٧٧	
١٠.٠٤	—	١٠.٠٤	—	مصرفات عمومية
١٠٢٨٠	٩٧	٨٩٥٠	٧٢٧٧	
		١٢٨٢	١٢٨٢	صافي الخصارة

التحرير لتمكن مواجهة التحول الجديد في المجال الذي تخدمه الشركة بعيدا عن استصلاح الأراضي ، ولهذا اضطرت الشركة الى صرف بدل سفر للمال الذين ينتقلون ، وهو أمر كبد الشركة الكثير أيضا .

وقد أثار عمال الشركة قضيتين هامتين ؟
القضية الأولى أنهم نقلوا الى الشركة من مديرية التحرير دون أن يكونوا مؤهلين لهذا الإجراء ، وهذا يستدعي التوصية بأن تراعى الحكومة ضرورة أعداد الكادر العام للحكومة بحيث يرتبط فيه الاجر بالانتاج وأن يطبق نظام توصيف الوظائف بدقة بحيث يعمل تحريك العمالة بين الحكومة وفروعها أو بينها وبين الشركات .

القضية الثانية أن عمال الشركة كانوا مطالبون بأن تتحمل باقي قطاعات الإنتاج خسارة الشركة بحيث يأخذون علاواتهم كاملة مثلهم ، لأنهم لم يكونوا مسؤولين عن التنظيم الذي وجدوا أنفسهم تحت ظلاله ، والواقع أن هذا الموقف يوجب التوصية بالاهتمام بالبعد الاقتصادي للانتاج وأنه من معين نتائج عمل الشركة الواحدة يأخذ عمال الشركة علاواتهم وأرباحهم دون امتداد اليد الى عرق وكلاء الشركات الأخرى . وأن مسؤولية إدارة كل شركة ولجان الانتاج فيها واللجان السياسية وكل هذه التنظيمات هي أولا وأخيرا زيادة انتاج الشركة وخفض تكلفتها ، لأن الانتاج وحده هو لعمدة المعركة وسداها . فكل يدور في فك واحد هو :

- الانتاج للشركة بأقل تكلفة .
 - ولأن الانتاج هو عصب المعركة الوحيد .
 - ومن الانتاج يأخذ العاملون نصيبهم .
- هذا هو الولاء الحقيقي للوطن وللمقمة العيش أيضا .

ويرتبط بسبب العمالة أيضا أثر الاجور على الموقف التناقص مع القطاع الخاص إذ تطالب الشركة بأن تعامل في التأمينات مثل معاملة القطاع الخاص ، فبدلا من دفع ما يقرب من ٢٠ في المائة من الاجر تدفع النسبة المخصصة للقطاع الخاص وهي ٥٠ في المائة من قيمة الفاولة ، كما تطالب أيضا بمساواة القطاع الخاص بالقطاع العام بالنسبة لتحمل أجور المهندسين .

وتوصي اللجنة في هذا المجال بالألا تتحمل شركات القطاع العام بأجور المهندسين لأن هذا عبء اجتماعي واقع على مراكز انتاجية وتقييم أعمالها بمعايير اقتصادية وليست اجتماعية

مشاكل الشركة التي

تسببت في خسائرها

يظهر من بيانات الشركة أنه يمكن أجال تحليل هذه الخسائر على النحو التالي :

— الاجور الزائدة عن الفترة كلها حتى نهاية الف جنيه سنة ٧١/٧٠	٤٥٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
— فائدة راس المال	١٣٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
— زيادة معدلات الاستهلاك	٢٦٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
— غرامات تأخير لعدم توفر مواد البناء	٥٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
— اسباب اخرى	٩٠٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
	٢٧٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
	١٠١٨٣								

وفيما يلي تفصيل ما تقدم ؛
١ - العمالة الزائدة :

نقلت السورح الانتاجية بمساحلتها وموجوداتها ومخزونها السلمي الراكد من هيئة مديرية التحرير الى الشركة عام ١٩٦٥ ، عقب انشاء الشركة مباشرة . وقد بلغ عدد العاملين المنقولين ٨٧٨ عمالا تكلفت الشركة بأجورهم التي تبلغ حوالي ٢٠٠ ألف جنيه سنويا منها ٦٧ر٥ ألف جنيه تكلفة عمالة زائدة محددة بمعرفة اللجنة التي شكلتها المؤسسة العامة لاستصلاح الأراضي . وبذلك تحمل الانتاج بأجور زائدة تصل الى ٤٥٠ ألف جنيه عن السنوات حتى ٧٠ - ٧١ ، وقد نقل من هؤلاء العمال جزء مع ورشتي التجارة والكريمال بحيث أصبح الباقى بالشركة ٢٨٥ عمالا منهم ١٥ في المائة فنيين فقط . وركزت مشاكل هؤلاء العمال في أنهم كانوا معينين على أساس خدمات وفي ظل قانون يعطى علاوات ويدلات دون ربط الاجر بالانتاج وهو قانون العاملين للدولة . وقد كانوا يحصلون على بدل طبيعة عمل تتراوح بين ٣٥ في المائة (للورش) ، ٤٠ في المائة (للمزارع) كما كان بهم عدد غير قليل مريض بأعراض مستعصية . وبذلك كان من الصعب نقلهم الى جهات أخرى ليس بها بدل طبيعة عمل . وإزاء عبء العمالة نهجت الشركة على نقل العمال الى مواقع مختلفة للعمل بها (مع احتفاظهم بمساكنهم المجانية في مديرية التحرير) الا أنه كان يواجه العمال انخفاض بدل طبيعة العمل ، بجانب أن أصبح المقر الحالي للشركة هو القاهرة بدلا من مديرية

ويكون عندئذ من واجب الدولة أن توفر صندوقاً خاصاً لهذا الغرض • ولكن تمويله من طريق مشاركة جزئية بين مواقع العمل وبين الحكومة ذاتها •

كما توصي بضرورة تشديد الرقابة على مقاولي المبانئ الذين تتعامل معهم أجهزة القطاع العام وربط صرفيات الحكومة لهم بما يلزمونه من دفع اجور المجددين وتأمينات اجتماعية • ويقتد في هذا انشاء نظام لتبادل المعلومات بين أجهزة الضرائب والتأمينات وقطاع المقاولات •

٢ - قصور اصول الشركة :

منك تركيبة خاصة لاصول شركات المقاولات لم تراع عند انشاء شركة المبانئ الريفية • فقد كانت عدة المقاولات تمثل ٢٠ في المائة من الاصول وهي نسبة قليلة للغاية • بينما أن اسطول النقل كان يعادل ٥٠ في المائة من الاصول وهو اكبر من احتياجات النشاط •

كذلك فقد تصدلت الشركة بقروض اجنبية لتمويل معدات ومهمات فرضت على الشركة اذ كانت خاصة بالنقل وهي لا تحتاج الى زيادة فيه • ولم يكن لها ورش تصليح أو خبيرة لادارتها • كما لم تكن قطع غيارها متوفرة • ولهذا زاد العبء على الشركة من حيث التوائد واقساط الاملاك بوقد بلغت هذه الاعباء حتى ٢٠ - ١٩٧١ مبلغ ١٨٠ ألف جنيه • ونظرا لعدم ملائمة هذه الاصول باعت الشركة ما لم تحتاجه بالتدريج لتصبح الاصول متائلة مع الهيكل المطلوب لاعمال الشركة • والى أن حدث هذا كانت الشركة قد تحملت عبئا ثقلكامها •

بل أن نوعية الاصل ذاته تحتاج الى مراعاة لظروف العمل • فاعمال الشركة مثلا كانت تحتاج الى طوب وراط في أماكن مختلفة • • وكان المورض أن تكون السيارات معدة لمواجهة هذه الحال • لكن لم تكن حمولة الميسيرات الموجودة - التي تم شراؤها بقرض اجنبي - حمولة اقتصادية بحيث يكون الوقت الضائع مع « المشاوير » أقل ما يمكن - اذ العكس كانت الحمولة أقل من المطلوب • ولهذا وجدت الشركة أنه من الواجب التخلص من مثل هذه السيارات • كذلك لم تكن الشركة بحاجة الى اصول كالكامحات والبلوبوزرات في مجال المبانئ الريفية • حيث أن حاجاتها الى تهيد الاراضى كانت قاصرة على مساحات صغيرة • هذا فضلا عن عدم ملائمة السيارات لطبيعة الاراضى التي يتم فيها بناء المنازل الريفية • حيث كانت الطفلة تسبب زيادة املاك السيسيرات بمعدل جعل ٥٠ في المائة منها

قد تأثرت انتاجيته في زمن قصير في الوقت الذي لم تتوفر فيه خبرة الاصلاح والصيانة •

٣ - اخطاء اختيار مواقع المصانع والورش الانتاجية :

ويضاف الى ما تقدم أن مواقع انشاء المصانع والورش الانتاجية التابعة للشركة لم يراع في اختيارها افضل المواقع اقتصادا في النفقات • فورشه النجارة مثلا اقيمت في مديرية التحرير لا في الاسكندرية حيث تتميز بالعمالة المتخصصة وبعدم تحمل اعباء نقل الخامات الى المصنع ثم نقل المنتج الى أماكن المبانئ الريفية • وفضلا عن اعباء النقل كان يصاحب هذا اعباء بدلات السفر والانتقال •

كذلك فإن مصنع الطوب المفرغ اقيم في مديرية التحرير لمامل تاريخى بحت حيث انشئ سنة ١٩٥٦ كهية لريكية لهيئة ابيس • وان كان المصنع ينقله الكثير من قطع غيار وخلافه وبذلك كان لابد من أن يستعوضوا قيمة الهدية من اللوازم التي تشتري لتشغيل المصنع • وعلى الرغم من هذه الثغرة في طرق التمويل • فإن نقل الطوب الى جميع الجهات يعتبر مكلفا لدرجة كبيرة • اذ أن المحيط الذي يمكن أن يتم فيه النقل لا يزيد على ٦٠ كيلو • أو أقل بحيث يتنافس أسعار الطوب في نفس مواقع اقامة المبانئ الريفية • ولكي تتخلص الشركة من عيوب الموقع • نقلت المصنع الى قرب الهرم ومع هذا فالاختيار غير موفق اقتصاديا لانه يلقى على من يشغله عبء توفير نقل العمال من وإلى المصنع أو توفير مساكن لهم ومرافق صحية وتعليمية وخلافه •

٤ - ظروف تشغيل الشركة :

إذا كانت الشركة تقوم بإنشاء المبانئ سواء قبل الاستصلاح أو الاستزراع • وبذلك كان رجالها هم أول من يدخل المنطقة لتمييزها بدون مرافق • هي بهذا الوضع فتمتير اداة أساسية من أدوات تهيئة المواقع الانتاجية التي يتعين أن تتكفل بها الدولة دون تحميل عبئها على شركات الاستصلاح • وظروف الخطوة الاولى في التعمير • كانت تكاليف المقومات الأساسية للحياة في هذه المناطق مرتفعة لدرجة كبيرة • وقد أعطت الشركة لهذا مثلا حدا هو أن تكلفه المتر المكعب من المياه كان يصل الى جنيهين للمبانئ وللشرب على حد سواء •

٥ - اتساع رقعة أعمال الشركة :

نظرا لتعدد أماكن البناء • كانت تتعثر عدة الشغل مما تصعب معه الرقابة على التشغيل

- تجديد اصول الشركة *
- تعزيزها بالقيادة الفنية الوسيطة *
- التوسع في الإنتاج عن طريق مد النشاط الى الخارج طالما كان هذا لا يعيق تنفيذ المشروعات المحلية *
- نقل باقي الاصول التي لا تستفيد منها الشركة بالدرجة القصوى وعلى الاخص مصنع الطوب الذي يمثل طاقة انتاجية معطلة *
- تكوين صندوق خاص لتمويل المجتدين مع تمويله مشاركة بين الدولة ومواقع الانتاج في القطاعين العام والخاص بنسبة من رقم الاعمال *
- المساواة بين شركات القطاع العام والقطاع الخاص فيما يتعلق بمسبة التأمينات *
- التركيز على البعد الاقتصادي للانتاج *
- البدء في اعداد لائحة اجور خاصة بظروف المقاولات *

رئيس اللجنة

د. احمد ابو اسماعيل

ويؤدى الى فقد المعدات * ولهذا فان الشركة بعد اعتمادها من الارتباط باستصلاح الاراضى أصبحت تركز عملها في ثلاث مواقع هي :

- القاهرة لاتمام الامكان الصناعى *
- الاسكندرية لاعمال المجهود الحبرى *
- عمليات تشطيط قديمة ، في بعض مناطق القاهرة والاسكندرية *

ومن الطبيعى انه كلما تركز العمل كلما أمكن الاشراف على التشغيل والاقبال من الاسراف والفقد والضياع *

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن ظروف انشاء الشركة وهيكلمعداتنا والاهياء التي تحملتها في سبيل تطوير مناخ عمال كانوا مهينين للعمل في ظل كادر لا يراعى الانتاجية كمقابل للعمل ، كل هذا أدى الى خسارة الشركة ، وهى الآن بدأت تقف على رجليها وتحقق فائضا *

وفيما يلى مالمخص لتوصيات اللجنة :

- اعفاء الشركة من عبء فوائد واملاك الاصول التي لم تكن في حاجة اليها . *

تقليد جديد لمواجهة مشاكل قطاع المقاولات على الطبيعة



مهندسين

ملاحظات اللجنة تحت عناوين رئيسية تمثل المقومات الاساسية للانتاج :

١- حجم الاعمال :

تشكى بعض الشركات من أن حجم الاعمال التي تتمتع اليها لا يتناسب مع حجم العمالة الموجودة بها ، مما يجعلها تشكى باستمرار من العمالة الزائدة التي تشكل عبئا على ميزانيتها ، خاصة وأن جزءا من هذه العمالة يفرض عليها من لجنة القوى العاملة *

والواقع انه بينما تشكى بعض الشركات من قلة حجم أعمالها ، نجد شركات أخرى متضمة بالاعمال

كانت محاولة لجنة الضخمة والموازنة بمجلس الشعب دراسة المشاكل المروضة عليها دراسة واقعية على الطبيعة ، مع محاولة الاتصال بجميع اطراف المشكلة لتمثل تقليدا مقبدا ، لانه بغض النظر عن النتائج المبلية لهذه الدراسة ، فان مواجهة الواقعية تعطيها ابعادا لا يمكن توفرها لعمل مكتبى يعتمد على التقارير الرسمية وحدها *

ولقد كان من نتائج بحث وضع الشركة موضوع الدراسة ، أن تطرق البحث ليشمل قطاع المقاولات ككل ، باعتباره الاطار العام الذى تعيش الشركة فى نطاقه ، وتتناول بمشاكله . وقد وضمت اللجنة يدعا على بعض مشاكل هذا القطاع ، ونحن هنا ، فى مناقشتنا لهذا التقرير ، سوف نستعرض

٢ - المون والخامات :

وتشكو شركات المقاولات من نقص الخامات والمون التي تحصل عليها . وهي شكوى عامة وتتخلص في :

١ - أن ما يصرح به للشركات من المون الأساسية « الحديد والأسمنت » وغيرها من المواد التي يحصل عليها بأنونات ، هذه الكميات لا تتفق عادة مع حجم الأعمال المسندة إليها .

٢ - كما أن الجدول الزمني لموصول هذه المون الى مواقع العمل لا يتفق والبرنامج الزمني مستبعد .

٣ - الارتفاع المستمر في اسعار بعض الخامات وهي تخفض للعرض والطلب وتضطر الشركات في كثير من الأحيان الى شرائها من السوق السوداء لعدم تواجدها بسجلات القطاع العام .

وللتغلب على هذه المشكلة ، لابد من وجود تنسيق بين الجهات المنتجة للمواد الخام والشركات المستخدمة لها ، بحيث يتوافق ورود هذه الخامات الى مواقع العمليات مع الجدول الزمني للتنفيذ . ومن جانب آخر بحيث لا يحدث تكسر للخامات في شركة ، بينما غيرها تعاني من النقص منها . وكل هذا يعود بنا الى ضرورة التخطيط العلمي على نطاق الدولة جميعها .

٤ - العمالة :

ولقد قدمت اللجنة جوانب من هذه القضية دون جوانب أخرى . كما أننا نختلف معها في بعض الجوانب التي مستها ، وفي هذا ، توجد قضيتان الأولى هي الفنيون وفد ممثها اللجنة باعتبار أن نقطة الضعف فيها هو غلظ أو نقص القيادة الوسيطة بين المهندس والملاحظ رغم كونها قضية جزئية تصالحا .

والواقع أنه قبل التعرض الى النقص في الكادر الفني داخل قطاع المقاولات نرى من المفيد طرح قضيتين هامتين :

الأولى : أن هناك تناقضا بين الفنيين من جانب وبين الإداريين من جانب آخر . هذا التناقض يبعثه الشعور بعدم المساواة . فمعركة الترقية واتساع حركة البناء والتصنيع خلعت بالفنيين الى مكان الصدارة في المشروعات ، وأصبحوا هم

الى الدرجة التي ترفض أو تعترض فيها عن قبول مشروعات تعرض عليها .

ولا سبيل الى مثل هذا الموقف المتناقض داخل قطاع المقاولات الا بعملية تنسيق تشمل شركات القطاع جميعها .

وفي الوقت الذي تشكو فيه بعض الشركات من قلة حجم الأعمال ، قايما على امكانياتها البشرية والمادية ، فإن شركات القطاع ، جميعها ، تشكو من ظاهرة عدم استقرار حجم المشروعات بها لفترة زمنية طويلة نسبيا . والسبب هذا ، واضح ، وهو عدم وجود خطة للدولة تحدد مشروعاتها ، وبالتالي حجم الأعمال المطلوبة خلال فترة الخطة ، خيس سنوات أو عشر سنوات * . أو حتى ثلاث سنوات . ولمسوف يظل قطاع المقاولات عرضة لعدم الاستقرار النسبي لحجم الأعمال ، طالما ظلت الدولة مفتقدة التخطيط العلمي الشامل .

٦ - التمويل والسيولة النقدية :

ومن المشاكل الأساسية في هذا القطاع مشكلة التمويل بوتوفير السيولة الكافية التي تمكن الشركة من الوفاء بالتزاماتها . ومن المناظر المألوفة ، أن نجد العمل في مشروع ما قد توقف والسبب : رد بسيط للغاية : أن ميزانية هذا العام قد استنفدت ، ويتعين على الشركة ، في هذه الحالة أن تحتفظ بمسداها وخفرائها وملاحظيها وموظفيها العاملين بهذا المشروع دون عمل لحين يرصد في الميزانية مبالغ أخرى للمشروع .

والغريب في الامر ، أن هذه المشروعات ملك للقطاع العام والحكومي ، ومفترض أنها مدروسة ، ومقدر إجمالي تكاليفها ، وهي غالبا ما تكون كذلك . وهنا يجب أن نصل الى حل يضمن أن يستمر العمل في المشروع ، طالما قد تقرر ، وبدا العمل في تنفيذه ، حتى ولو استنفدت المبالغ المرصودة في الميزانية الحالية . وذلك بأن يسمح لأحد البنوك بأن يحول الشركات بضمان ما يتم تنفيذه حسب المستخلصات ، ثم تقوم الجهة صاحبة المشروع بمسداد ما دفعه البنك نظير موهلة تحددها الدولة ، وبهذا تضمن ألا يتوقف العمل في أي مشروع طالما بدأ الا حين الانتهاء منه . وبذلك نحقق أكثر من هدف : الأول أن يستخدم المشروع في الغرض المخصص له في أسرع وقت ، والثاني : ألا تتحمل المعدات والمهيات بعض الوقت ، مما يزيد من تكلفة الإنتاج أو يسبب خسائر لبعض الشركات .

قراراً صائباً ، ففي ذلك التاريخ كانت عمليات الاستثمار منتشرة وبمیزانيات ضخمة ، وكان حجم ما فيها من أعمال انشائية مساكن ومنشآت ومبانٍ ادارية ومرافق وخلافه ، يستوعب طاقة أكثر من شركة مقاولات ، والدليل على ذلك ، أنه خلال الفترة من ١٩٦٤-١٩٦٨ ، لم تكن شركة المياني الريفية - وحدها - داخل مناسط الاستثمار ، وإنما تواجدت شركات أخرى مثل شركة النصر (حصن عائم) وشركة النيل وشركة الاسكندرية وغيرها ... وذلك لضخامة حجم المشروعات المطروحة وارتباطها بفترة زمنية يجب أن ينتهي العمل خلالها .

ولم يكن القرار الجمهوري الصادر في عام ١٩٦٩ ينقل تسمية الشركة من مؤسسة استثمار الاراضى الى مؤسسة مقاولات المبانى غيراً لطبيعتها ، وإنما ما فعله هو أنه أفسح أمامها المجال ، وكان هذا منطقياً ومتبعياً مع الانكماش فى عمليات الاستثمار وقلة حجم الاعمال الانشائية المطروحة فى ميزانية عام ١٩٦٩ وما بعدها .

أى أن حركة تطور الشركة كان يسبب فى خط تنازلى ، ولم يكن فى حجم الاعمال المطروحة بين عامى ١٩٦٤-١٩٦٨ ما يمنعها من العمل بكامل طاقتها الانتاجية ، ولا ما يمنعها من تحقيق أرباح .

٢ - وفى عام ١٩٦٥ صدر قرار السيد نائب رئيس الوزراء ووزير استثمار الاراضى بضم ورش النجارة والكتيالت بمالهما ، وكذلك مصانع المنتجات الخرسانية التى تصنع أعبدة الإتارة الخرسانية والمواسير الاسمنتية المسلحة والصلابة ، ومصنع الطوب الاسمنى المفرغ ومصنع البلاط .

ونحن نرى أن هذا الضم كان من إنسانه خاطئاً ، لا لأن المصانع بها عمالة زائدة ، أو أنه لم يكن لديها (طلبيات) تستوعب طاقتها الانتاجية ، ليس هذا أو ذاك ، وإنما لأن هذه المصانع ذات طابع انتلجى مختلف تماماً عن طابع وأسلوب العمل بالمقاولات . ولو أن ضم هذه المصانع كان الهدف منه هو توفير احتياجات الشركة فى عملياتها ، أو حتى تغذية احتياجات قطاع استثمار الاراضى ، لاسكن قبول هذا الضم ولو:

السلطة الحقيقية داخل القطاع وبغذى هذا التناقض اختلاف نظرة كل منهما فى مدى التقيد بالروتين إزاء مشاكل التنفيذ .

ثانياً : والأمر الأهم هو أن غالبية من الفنيين ليسوا على وفاق فكري مع تتصل الدولة والقطاع العام ويفضلون لو أن قطاع المقاولات كان قطاعاً خاصاً .

فبعد أكثر من عشر سنوات من التأييم وتكوين القطاع العام ، مازال التناقض الفكرى قائماً ، بل لعله ازداد حدة . ولا ينبع هذا التناقض من موقف طبقي ، إذ تنتمى الاغلبية العظمى من الفنيين الى الطبقات الشعبية والوطنية ذات المصلحة الاكيدة فى تطور القطاع العام ونجاحه . وإنما ينبع التناقض من نواقص عديدة تشوب العمل داخل القطاع ، وتطلعات ذاتية لا يقدر روتين العمل بالقطاع على اشباعها . أى أننا بعد أكثر من عشر سنوات من قيام القطاع العام نجد أنه لم ينجح فى حل التناقض بين الفنيين والتكنيكيين وبين القطاع العام ، وهى قضية هامة جداً وتحتاج الى دراسة أكثر وأشمل من هذا التلخيص السريع .

وإذا انتقلنا الى الجانب العملى ، فلاننا نجد نقصاً فى الفنيين عمومياً ، أحد أسبابه تجنيد عدد كبير من الخريجين . أما رفع مستوى كفاءة القيادات المتوسطة فلن يثأتى حلها إلا بسم سياسة ثابتة للقيام بدورات تدريبية جادة .

لما العمالة غير الفنية ، فنحن نعانى منها اليوم نقصاً ملحوظاً وارتفاعاً فى أجورها ، نظراً لهجرة أو سفر عدد كبير من العمال الى بعض البلاد العربية .

ملاحظات حول أوضاع الشركة

المصرية العامة للمباني الريفية

ولقد ناقشت اللجنة أوضاع الشركة وذلك لتبين أسباب المعز بالميزانية وفى سبيل ذلك استعرضت تطور تكوين الشركة وفشاطها وبهنا هنا إيداء بعض الملاحظات :

١ - أن تكوين الشركة عام ١٩٦٤ ، بهدف اقامة المبانى والمنشآت فى الاراضى المستصلحة ، كان

والثاني : هو الاحتفاظ بأسطول النقل مع حسن استخدامه وتكثيله ، وهو ما لم يحدث . فلا الشركة تخلصت مما زاد عن حاجتها في الوقت المناسب ، وهو مازال جديدا . ولا هي أحسنت استخدامه . فقد استخدمت الشركة موردين من الباطن لتوريد الرمل والزلط لعملياتها المختلفة . أما القول بأن حمولة هذه العربات كانت غير اقتصادية ، وأن المسافات من المحاجر إلى مواقع العمليات كانت بعيدة فهي كلها أسباب غير واقعية ومردود عليها ، إذ أن حمولة عربات القطاع الخاص الذي كان يورد الرمل والزلط لم تكن تزيد عن حمولة عربات الشركة .

بهذا تصبح الشركة بالنسبة لهذا السبب المتعلق بالاصول مسئولة مسئولية كاملة لا يمكن إغفالها منها . ذلك أن حسن التصرف في أسطول النقل والقدرة على الاستفادة منه إلى أقصى حد ممكن ، هو مسئولية الشركة في الملل الاول ، يضاف إلى ذلك أن الشركة كان قد أسند إليها - خلال هذه الفترة - أعمال كثيرة داخل منطقة الاستصلاح .

٤ - وتقدم الشركة سببا آخر للمحج في الميزانية هو اتساع رقعة أعمال الشركة (مما يصعب معه الرقابة على التشغيل ويؤدي إلى فقد العدة) .

على أن مثل هذا السبب يمكن أن يكون صحيحا لو أن عمليات الشركة كانت صغيرة الحجم ومتناثرة ، وفي نفس الوقت مفروضة عليها ، أما إذا كانت العمليات كبيرة الحجم وشبه مركزة رغم تمددها ووجودها في مناطق مختلفة - وهو شيء طبيعي في مجال المقاولات - حيث تسمى الشركات إلى مواقع العمل ، فإن الميب في هذا الوقت يصبح عيبا في إدارة الشركة وليس ناتجا عن طبيعة العمليات المسندة إليها .

وفي هذا الموقع من حديثنا ، نحب أن نعلق على سمي الشركة التي تركز أعمالها بالقاهرة والاسكندرية مجردة ذلك بقولها (من الطبيعي أنه كلما تركز العمل كلما يكن الإشراف على التشغيل والإقلال من الأسراف والفقد والضياع) . وهذا صحيح ، غير أنه يجب أن نضع في الاعتبار ، أن القاهرة والاسكندرية متضعة بشركات المقاولات . ولو فكرت كل شركة في أن تستكين بالقاهرة والاسكندرية ، تحت أية حجة ، لكان معنى ذلك ترك بقية المحافظات دون عمران وبناء . أنه اتجاه يحقق الراحة لقيادة الشركة وموظفيها ، إذ من المؤكد ، أن ظروف العمل ، في كثير من

لبعض الوقت ، ولكن على الشركة بالضرورة أن تكون منتجاتها في جودة ومستوى أسعار المنتجات المشابهة لمصانع أخرى . غير أن الواقع كان عكس ذلك ، الأمر الذي دفع بعض شركات الاستصلاح إلى الاعتماد على نفسها حسب اعتراف التقرير نفسه . ويترد الشركة ذلك بقولها أنه لم يكن تكون أسعار منتجاتها منافسة لأسعار مثيلاتها لايد وأن يكون محيط النقل لا يزيد عن ٦٠ كيلومترا .

وهذا المبرر ليس كافيا لارتفاع أسعار منتجات الشركة لأن العبرة أولا بالتكلفة الحقيقية داخل المصنع ، ومن جانب آخر فإن جميع أعمال الشركة كانت في محيط لا يزيد كثيرا عن هذه المسافة بالنسبة لمديرية التحرير ، فمعظم عمليات الشركة في الفترة من ٦٤ - ٦٨ كانت في مديرية التحرير وشمال التحرير والنوبارية ومريوط .

ولقد استمر هذا الوضع الخاطئ حتى عام ١٩٧١ ، حين صدرت تعليمات وزير الاسكان بنقل ورشتي النجارة والكريتال لشركتي الجمهورية وأطلق لهماقولات . وهذا القرار ولو أنه صمغ الوضع بالنسبة لشركة المباني الريفية بالنسبة للورشتين ، إلا أنه كرر نفس الخطأ السابق ، إذ ضمهها إلى شركتي مقاولات أيضا .

أما مصانع المنتجات الخرسانية ، فبغض النظر عن نقلها إلى الهرم ، فإن استمرار تجميعها لشركة مقاولات ليس في صالح الانتاج ، ومن المفيد والأفضل أن تضم هذه المصانع وكذلك الورشة إلى جهات متخصصة في نفس النوع من العمل .

٣ - أصول الشركة :

ولقد أثارت الشركة أن أصولها يوم أنشئت لم تكن وفق التكوين المتعار لشركات المقاولات حيث بلغت نسبة أسطول النقل بها ٥٠ في المائة من الأصول .

وكان المفروض أمام هذا الخلل في أصول الشركة أن يواجه بأحد حلين :

الاول : هو الاستغناء عن العدد الفائض وببمه إلى شركات كانت في مميس الحاجة إليها ، والعودة بذلك بأصول الشركة إلى الوضع الطبيعي .

ثالثيا : والاقتراح الثانى الذى قيمته الشركة هو اغنائها من دفع أجور المجندين ، مساواة بالقطاع الخاص . ومن الواضح أن اللجنة لم تقتنع بهذا الاقتراح وقدمت بجيلا عنه اقتراحا صائبا وان كان يحتاج الى دراسة وتطوير ، وهو تكوين صندوق خاص لهذا الغرض تموله الدولة والشركات .

ومن الممكن لو أخذ بهذا ، أن يكون اشتراك الشركات بنسب تتفق مع حجم العمليات المسندة أو مع حجم العمالة ، أو حجم العمليات التى تم تنفيذها خلال العام ، أو وفقا لاي مقياس آخر . وبذلك تساهم الشركات كل بحسب حجمها وطاقاتها الانتاجية وميزانية أعمالها .

تلك هى بعض ملاحظاتنا عن دراسة اللجنة لشكله الشركة المصرية للمباني الريفية وأحب أن انوه فى الختام مرة أخرى أن الانتقال الى الواقع الحى للمشاكل وحاوله دراستها هو تقليد مفيد وصحى ، وفى نفس الوقت هو اقرب الاساليب الى وضع اليد على وجهات النظر المتعددة ورؤية المشاكل من زوايا عديدة مما يمكن أن يساعد على الوصول الى حلول واقعية صحيحة .

المحافظات ، وكثير من مواقع العمل ليست سهلة وتحتاج الى جهود صادقة ، ولكنها ضرورية . وكان أوفق لو أنها ركزت أعمالها فى محافظة من المحافظات الفقيرة بالشركات مثل محافظات الصعيد .

كما أن العميرة بالتركيز فى أعمال المقاولات هو أن تكون العملية صالحة فى ذاتها لتشكل مشروعا بذاته .

٥ - وفى نهاية مناقشة تقرير لجنة الموازنة نلتقى ببعض الاقتراحات يهمنى أن نعلق عليها :

اولا : الاقتراح الخاص بمطالبة الشركة بأن تعامل معاملة القطاع الخاص بالنسبة للمقاولات . والذى نمب أن نشير اليه هنا ، هو أن نسبة التأمينات الاجتماعية - بغض النظر عن قيمتها - تمسب دائما نسبة ضمن دراسة أسعار أى عملية . أى أن أسعار الشركة تتضمن دائما التزاماتها تجاه التأمينات الاجتماعية ، وبذلك لا تمثل عبئا اضافيا على ميزانية الشركة ، أو أنها تخص جزءا من ربحها .

تقرير لجنة الخطة والموازنة عن شركة السكر والتقطير المصرية

السيد مدير عام موازنة المؤسسات
الاقتصادية .

السيد مدير الادارة المركزية للموازنة .
الباحث المختص بالشركة .

ومن جانب الجهاز المركزى للمحاسبات :
المختصون بالجهاز عن مراجعة الشركة
وتقييم أدائها .

اما الاجتماع الثانى فقد تم مع ممثلى
التنظيمات السياسية والنقابية والعمالية
بالشركة حضره ممثلو قطاع الصناعة المشار
اليهم ، بهدف تبيان آراء العاملين فى ظروف
الانتاج والمحوقات التى تهمتهم سيره ، وآراء
العاملين فى كيفية الوصول الى تحقيق اهداف
الشركة .

وتعرض اللجنة تقريرها عن دراسة ظروف
الانتاج بالشركة من واقع جلسات الاستماع
التي تمت والتقارير المقدمة من المختصين عن
الشركة واسباب وجود المعجز الجارى بميلاتها
لسنة ١٩٧٢ على النحو التالى :

- تطور تكوين الشركة .
- منتجات الشركة ومصانعها وعلاقتها
بالخزانة العامة وأهمية الصادرات فى سد
المعجز .

- انخفاض الاعتمادات المخصصة للاحتلال
والتهديد .
- نقص الاستثمارات الجديدة .

لاحظت اللجنة عند دراستها للموازنة العامة
للدولة من السنة المالية ١٩٧٣ أن بعض شركات
القطاع العام بها معجز جارى ، مما يقلل من
الفوائض التى تؤول الى الخزانة العامة . ومن
هذه الشركات شركة السكر التى يقدر عجزها
فى الموازنة المشار اليها ب ٥٠٠ ألف جنيه ولما
كانت هذه الصناعة من الصناعات الاساسية فى
مصر ، فقد رأت اللجنة تقضى الاسباب التى أدت
الى ظهور هذا المعجز ، حتى يمكن المشاركة فى
علاج هذا الوضع ، وإزالة العقبات التى تمنع
نشاط هذه الشركة المريقة .

لذلك عقدت اللجنة اجتماعين بتاريخ ٢-٢
و ٢١-٣-٧٣ خصص الاول لدراسة اسباب
المعجز . وحضره من جانب قطاع الصناعة :

السيد وكيل أول وزارة الصناعة لشئون
المؤسسات .

السيد رئيس مجلس ادارة مؤسسة
المصناعات الغذائية .

السيد نائب رئيس مجلس ادارة شركة السكر
والتقطير المصرية .

بعض السادة الفنيين بوزارة الصناعة
والمؤسسة والشركة .

ومن جانب وزارة المالية والاقتصاد
والقجارة الخارجية :

السيد وكيل الوزارة لشئون الموازنة
العامة .

١ - المنتجات :

لاشك في أن صناعة السكر تعتبر الصناعة الرئيسية للشركة ، إلا أن هناك بعض الصناعات الثانوية التي تقوم بها الشركة إلى جانب صناعة السكر والتي تعتمد أساساً على مخلفات صناعة السكر مثل المصاهن والولاس ، وهذه الصناعات الثانوية هي :

١ - صناعة التقطير ، وتضم :

أ - الكحول .

ب - الخل .

ج - ثاني أكسيد الكربون .

د - حامض الخليك النقي .

هـ - الخميرة الجافة .

٢ - صناعة الطيور ومستحضرات التجميل .

٣ - صناعة الخشب الحبيبي

٤ - صناعة لب الورق .

٥ - صناعة الكيماويات (المذيبات والملصقات) .

وسيتضح من العرض الوارد بعد أن المعجز الجاري يرجع إلى صناعة السكر ذاتها ، بينما تصامم الصناعات الثانوية في تغطية هذا المعجز ، بل أنها تجعل الشركة تحقق فائضاً من عملياتها الجارية .

ب - مصانع الشركة :

ويعمل حالياً في صناعة السكر سبعة مصانع ، تقوم ستة منها باستخلاص السكر من القصب وهي :

١ - مصنع أبي ترقاص ، وطاقته القصوى ٦٠ ألف طن سنوياً .

٢ - « نهج حمادي » ، ويعتبر من أكبر مصانع السكر في العالم ، وتبلغ طاقته الإنتاجية ١٤٠ ألف طن سنوياً .

٣ - مصنع سكر أرمنت ، وهو أقدم مصانع السكر ، وطاقته ١٠٠ ألف طن سنوياً .

٤ - مصنع كوم أمبو ، وستبلغ طاقة هذا المصنع بعد استكمال التوسعات اللازمة له ١٥٠ ألف طن .

٥ - مصنع قوص ، وستبلغ طاقته الانتاجية بعد استكمال الخط الثالث فيه ١٥٠ ألف طن .

٦ - مصنع أخف وتبلغ طاقته الإنتاجية ١٠٠ ألف طن سكر سنوياً .

لما مصنع تكرير السكر بالحوامدية ، فقد أنشئ عام ١٨٨١ ، وتبلغ طاقته الانتاجية في الوقت الحالي ١٠٠ طن سكر مكرر يومياً ، أي ما يعادل ٣٠ ألف طن سنوياً تقريباً .

- خلاف الشركة مع الخزانة العامة عن تمويضاها عن بنود في التكاليف لم تراخ من قبل .

- عدم توافر السيولة المالية الكافية للشركة .

- توصيات اللجنة .

أولاً - تطور تكوين شركة السكر والتقطير المصرية :

عرفت صناعة السكر في مصر عام ١٨٥٥ عندما أنشأت الدائرة السنوية مصانع لانتاج السكر الخام وكان يتم تكريره في مرسيليا وترينتا وغيرها من مدن جنوب أوروبا . وفي عام ١٨٨١ تأسست شركة محابمة فرنسية بلجيكية قامت بإنشاء مصانع التكرير بالحوامدية وفي عام ١٨٩٧ تم اندماج مصانع التكرير بالحوامدية في مصانع السكر القاشية وتحت اسم الشركة العامة لمصانع السكر والتكرير المصرية . وقد تولت الشركة الجديدة إنشاء مصانع السكر في أبي ترقاص ونهج حمادي وكوم أمبو بالإضافة إلى مصنع أرمنت الذي كان قائماً وقتئذ .

وفي عام ١٩٥٦ تم تصدير الشركة وأصبح فيها مصنع التقطير بالحوامدية (والذي بدأ إنتاجه عام ١٩٤٩) وتعدل اسمها إلى الاسم الحالي « شركة السكر والتقطير المصرية » .

وفي عام ١٩٦١ تم تأميم الشركة بالكامل وأصبحت من شركات القطاع العام التي تتبع المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية . وقد أصبحت في شركة السكر والتقطير المصرية شركة النصر لصناعة السكر ولبب الورق بتاريخ ١٧ - ١٩٦٦ كما ضمت إليها مصانع الشيرابوشى والطيور بتاريخ ١٦ - ٦٧ كما أدمجت بها شركة الكيماويات العضوية عام ١٩٦٩ .

ولقد ترتب على اندماج شركة النصر لصناعة السكر ولبب الورق ، ومشروع دشنا في شركة السكر والتقطير المصرية وجود معز من أجل ، بلغ في ميزانية ٧٠ - ١٩٧١ ، ١٠ مليون جنيه ، ويمثل هذا المعز الرجل خسارة صافي تقييم أصول الشركة المشار إليها ومشروع دشنا ، ولقد رأت الشركة أملاك هذا المعز على مدى ثلاث سنوات ابتداء من سنة ٧٠ - ١٩٧١ .

ثانياً - منتجات الشركة ومصانعها وعلاقتها بالخزانة العامة وأهمية التصدير في سدد المعجز :

• ويبين الجدول التالي تطور انتاج وتصدين واستيراد السكر والمبيعات المحلية منه •

تطور الانتاج والمبيعات المحلية والصادرات

السنة المالية	الانتاج	الاستيراد	جملة الموارد	المبيعات المحلية	الصادرات	جملة الاستخدامات	المالكي
	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن	الف طن
١٩٦٨/٦٧	٢٨٨	٤٢	٤٢٦	٤٤	٤٧٠	[٢٩]	٤٧٠
١٩٦٩/٦٨	٤٦١	٨٦	٥٤٧	٨١	٥٥٢	[٥]	٥٥٢
١٩٧٠/٦٩	٥٤٦	٦٦	٦١٢	٧٩	٥٩٦	١٦	٥٩٦
١٩٧١/٧٠	٥٩١	٧٧	٦٦٨	٨٤	٦٢٩	٣٩	٦٢٩
١٩٧٢/٧١	٥٩٢	٥٢	٦٤٤	٥٧٢	٦٢٧	١٩	٦٢٧

وفيما يلي بيان من سنتي ٧٠/٦٩ و ٧٢/٧١ بحجم الانتاج والمبيعات المحلية والصادرات للمنتجات الرئيسية المختلفة للشركة •

البيسان	الوحدة في الانتاج	المبيعات المحلية	الصادرات	اجمالي المبيعات
١ - الموالس :				
٧٠/٦٩	الف طن	٢٦٢	٢٣٢	٩٩٤
٧١/٧٠	"	٢٥٥	٢٥٥	١٥١٩
٢ - منتجات التطهير :				
أ [الكحول]	مليون لتر	٢٠٥	٢٣٠	٢٦٠
٧٠/٦٩	"	٢١٢	٢٠٠	٢٠٠
٧١/٧٠	"	٢١٢	٢٠٠	٢٠٠
ب [الخل]	"	٢٠	٢٠	١٠٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	١٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	١٢٠
ج [نالي أكسيد الكربون]	مليون كجم	١٠٨	١٠٨	١٠٨
٧٠/٦٩	"	١٠٨	١١٦	١١٦
٧١/٧٠	"	١٠٨	١١٦	١١٦
د [هابض الفلوك التلجي]	"	١٠٨	٢١٥	٢١٥
٧٠/٦٩	"	١٠٨	٢٢٥	٢٢٥
٧١/٧٠	"	١٠٨	٢٢٥	٢٢٥
هـ [الفبيرة الهائلة]	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠
اجمالي منتجات التطهير	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠
٣ - المطور ومستحضرات التجميل	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠
٤ - صناعة الخشب الحبيبي	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠
٥ - صناعة لب الورق :	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠
٦ - صناعة الكيماويات :	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧٠/٦٩	"	٢٠	٢٠	٢٠
٧١/٧٠	"	٢٠	٢٠	٢٠

مناقشات حول مستقبل القطاع العام

البطاقات بجميع اسئلهها بواقع ١٦ جنيهًا للملح
على أن تحصل الحكومة بقيمة هذا التخفيض .
وتقوم الهيئة العامة للسلع التموينية بسداد
هذه الفروق إلى الشركة يوم ٢٥ من الشهر
التالي للبيع .

٢ - فروق زيادة أسعار شراء القصب من
المزارعين :

ورغبة في معاونة المزارعين وزيادة دخولهم
قررت الحكومة بتاريخ ١٥ - ٢ - ١٩٦٥ رفع
السعر الذي تشتري به الشركة القصب من
المزارعين على أن تحصل الحكومة بقيمة هذه
الزيادة بواقع ٢٨٤ مليًا عن كل طن من القصب
الذي يحتوي على نسبة ناتج سكر قدرها ١٠٠
في المائة ثم زيد إلى ٥٨٤ مليًا ابتداءً من موسم
١٩٧٢ .

وتسدد هذه الفروق عن طريق خصمها من
رسوم الإنتاج المستحقة على السكر .
هذا وقد قررت اللجنة الوزارية للخط
والاقتصاد جلسة ١٢ - ١٢ - ١٩٦٧ أن يؤخذ
في الاعتبار أية إجراءات حكومية من شأنها
التأثير على سعر القصب .

٣ - فروق أسعار الخيش :

نظرا للزيادات الكبيرة التي طرأت على
أسعار الخيش فقد قررت لجنة الشؤون العليا أن
تتعمل الحكومة الفرق بين الأسعار الجارية
وبين متوسط أسعار استيراد الخيش خلال الأدة
من ١ - ١ - ١٩٥٩ حتى نهاية فبراير سنة
١٩٦٠ .

هذا وقد قررت اللجنة الوزارية للخط
والاقتصاد بجلسته ١٢ - ١٢ - ١٩٦٧ أن يؤخذ
في الاعتبار أي تغيير في أسعار المبوات
مستقبلا .

وقد أخطرت الشركة أخيرا بأن هذه الفروق
ستراجع وتسدد عن طريق الهيئة العامة للسلع
التموينية .

٤ - فرق الكاليف :

نظرا لأن أسعار بيع السكر لم تطرا عليها أية
زيادة لصالح الصناعة لأكثر من عشرين عاما ،
ورغم الزيادات المضطردة في أسعار المستلزمات
وتكلفة المباله ، فقد قررت اللجنة الوزارية
للخط والاقتصاد بتاريخ ١٢ - ١٢ - ١٩٦٧ أن
تدفع الحكومة للشركة عن كل طن من السكر
بياع محليا مبلغ ثلاثة جنيهات و ٩٥٦ مليًا
اعتمادا من ١ - ٧ - ١٩٦٧ .

وبلاحظ من جدول تطور إجمالي الإنتاج
والمبيعات ما يلي :

١ - أن إنتاج السكر قد حقق أكبر معدلات
نمو له في الأعوام ٦٨ - ٦٩ و ٦٩ - ٧٠
و ٧٠ - ٧١ ، إذ تبلغ معدلات النمو هذه على
التوالي ١٩ في المائة و ١٨.٥ في المائة و ١٠ في
المائة . حيث كان أعلى معدل نمو له الثلاث
سنوات التالية ٤.٤ في المائة .

٢ - ارتباط معدل نمو المبيعات المحلية ،
وبالتالي معدل نمو الاستهلاك بمادتين أساسيتين
(على اعتبار أن السكر سلعة اقتصادية غير
روئية) وهي : ١ - معدل نمو السكان ب -
معدل نمو دخل الفرد .

٣ - التساوي بين الكميات المستوردة من
السكر والمصدرة منه تقريبا .

٣ - علاقة الشركة بالخزانة العامة :

تشابه مصلحة الخزانة العامة مع عمليات
الشركة صيرها وإيرادا ، فهي تورد الخزانة
العامة مبالغ في أشكال متعددة هي :

- رسوم إنتاج .

- اتاوات .

- فروق أسعار الخزانة .

- فروق البطاقات .

وفيما يلي تطور حصة الخزانة العامة

من صناعة السكر (بالمليون جنيه) : في

الخمس سنوات ٦٧ - ٦٨ حتى ٧١ - ٧٢

(نهاية يونيو) .

السنة المالية	رسم	إنتاج	اتساعة	الاسعار	الفروق	البطاقات	إجمالي
٦٨/٦٧	١٢.٠	٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	١٢.٨	١٢.٨
٦٩/٦٨	١٢.٠	٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	١٢.٨	١٢.٨
٧٠/٦٩	١٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	١٢.٨	١٢.٨
٧١/٧٠	٢.٨	١٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	١٢.٨	١٢.٨
٧٢/٧١	٢.٨	١٢.٨	٢.٨	٢.٨	٢.٨	١٢.٨	١٢.٨

كما أن الخزانة العامة تصمد للشركة مبالغ
كالتزامات عليها صدرت بقرارات من مجلس
الوزراء ووزارة التموين واللجنة الوزارية
للخط والاقتصاد وذلك على النحو الآتي :

١ - فروق تخفيض سعر بيع سكر البطاقات :

بتاريخ ٥ - ٧ - ١٩٥٩ رأت الحكومة التمييز
على المستهلكين فقررت تخفيض أسعار بيع سكر

ومما يسترعى النظر أن اللجنة الوزارية قد اتخذت هذا القرار بعد أن ناقشت التقارير المقدمة إليها من اللجان التي شكلت لدراسة ثمن التكلفة والتي استغرق بحثها حوالى الثمانية شهور .

٥ - فروق النقل بالسكة الحديد :

نظرا لأن ثمن التكلفة الذى اعتمدته اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد لم يتضمن فروق النقل بالسكة الحديد المترتبة على قيام الهيئة العامة للسكك الحديدية بإلغاء اتفاقية سنة ١٩٥٤ التى كانت تعطى للشركة امتيازات خاصة باعتبارها من أكبر عملاء الهيئة . فقد قررت اللجنة الوزارية أن تحصل الحكومة بفروق فئات النقل المترتبة على إلغاء الاتفاقية بالمقدّم ذكرها .

٦ - فوائد الخزانة العامة :

ولما كان ثمن التكلفة الذى اعتمدته اللجنة الوزارية للخطة والاقتصاد لم يتضمن فوائد المبالغ التى سبق أن حصلت عليها الشركة من وزارة الخزانة عن طريق المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية . فقد قررت اللجنة بجلسته ١٣ - ١٢ - ١٩٦٧ ما نصه :

« تدفع الحكومة فوائد الخزانة على الاموال التى قدمتها وزارة الخزانة أو تقدمها مستقبلا للشركة وذلك على أساس أنها عنصر تكلفة لم يؤخذ فى الاعتبار » .

وتلاحظ لجنة الخطه والموازنة أن تصدّد الفروق يستدعى تعدد لجان بحث هذه الفروق وتمطيل تدفق السيولة اللازمة للشركة لعين الانتهاء من تقارير لجان الفروق المذكورة . ولهذا توصي لجنة الخطه والموازنة بإعادة النظر فى كل هذه الفروق بحيث يكون هناك أساس محدد لتمويض الشركة عن خسارتها فى التشغيل والبيع بسعر محدد ، ويماد النظر فى هذا الأساس كل ثلاث سنوات .

د - مساهمة الشركة فى حصيله النقد الاجنبى وعلاقته بعجز ١٩٧٣ :

كانت الشركة تساهم فى امداد الخزانة العامة بالعملاء الاجنبية ، إذ أن الطاقة المستقلة فى مصنع التكرير بالحوامدية نتيجة لتكرير السكر المنتج محليا كانت تقل عن ٨٠ فى

المائة من الطاقة الانتاجية للمصنع ، لذا كانت تلتجأ الشركة الى استيراد سكر خام غير مكرر لتكريره فى الحوامدية ، ثم تعيد تصديره من جديد وتكسب الشركة من جراء هذه العملية ما لا يقل عن ٢٠ جنيها من العملات الاجنبية عن كل طن .

وكانت هناك اتفاقية بين الشركة وبين وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية تدفع بمقتضاها الشركة الى وزارة الاقتصاد ٦٠ ألف جنيه نتيجة تصدير بعض منتجات الشركة الى الخارج ، على أن يترك للشركة باقى حصيلة صادراتها لتستخدمه فى شراء ما تحتاجه من مستلزمات للانتاج بالعملة الاجنبية .

واستمر هذا الوضع حتى العام الماضى حيث ارتفعت أسعار السكر الخام المالية على النحو التالي :

سعر السكر الخام فى ١٥ فبراير من كل عام	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣
	٢٩	٩٥	٢٨٩	٤٢٥٦	٧٣٤٦	٨٠٥٩
(السعر بالجنية الاسترلينى)						

ولقد أدى ارتفاع الاسعار المالية بهذا الشكل الى توقف دول الاتفاقيات عن توريد السكر لتكريره . كذلك أصدر السيد وزير التموين والتجارة الداخلية قرارا بمنع تصدير السكر الى الخارج .

ونتيجة لهذين العاملين ، فقدت الشركة المصدر الاساسى للعملاء الحرة التى كانت تستخدمها فى استيراد مستلزمات الانتاج .

وقد قامت لجنة الخطه والموازنة بمناقشة المسؤولين فى امكانية تمويض ما سلف من نقص فى العملة الاجنبية ، فأوضحوا بأنه جرى أخيرا بعض التعديلات فى القرارات الحكومية مما سيتيح لهم استيراد سكر لتكريره وتفايد العجز المقدّر فى الموازنة التخطيطية لسنة ١٩٧٣ .

ثالثا - انخفاض الاعتمادات المخصصة للشركة بقرض الاحلال والتجديد :

ترى الشركة ان الاعتمادات التى تدرج فى موازنتها من أجل الاحلال والتجديد هى

مناقشات حول مستقبل القطاع العام

الاحلال والتجديد المدرج بالخطة الخمسية
المعدّمة ٧٢ - ١٩٧٧ :

(بالالف جنيه)

السنة	محلى	اجنبى	جملة
١٩٧٢	٥٠	٢٧٦	٤٢٦
١٩٧٤	١٠٠	٢٧٦	٤٧٦
١٩٧٥	١٥٠	٢٠٠	٤٥٠
١٩٧٦	٤٥٩	٢٢٤	٦٨٣
١٩٧٧	٤٨٣	١٥٠	٦٣٣
اجمالى المعدد بالخطة			
	١٢٤٢	٤٣٦	١٦٧٨
بما يجب اعتماده			
	٩٦١٤	٧,٧٢	١٦٦٨٧

ويلاحظ من هذا البيان أن هناك بوناً شاسعاً بين احتياجات الشركة الفعلية وبين ما يدرج لها من اعتمادات بغرض الاحلال والتجديد ، الامر الذى يكون له انعكاسه على تكاليف الإنتاج يدفعها نحو الزيادة .

رابعاً - نقص الاستثمارات الجديدة :

يعتبر تزايد الاستهلاك من السكر دالة لعمالين أساسيين كما سبق وهما معدل نمو السكان ومعدل نمو دخل الفرد الحقيقى ، ولقد كان متوسط معدل النمو السنوى للبييعات المحلية من السكر فى السنوات الخمس ٦٧ - ٧٢ هو ٧,٥ فى المائة .

ولقد تأملت الشركة بمعدل دراسات حول معدل تزايد استهلاك السكر وقدرته بـ ٨ فى المائة سنوياً ، وقامت بتقدير الاستهلاك السنوى من السكر حتى عام ١٩٨٢ .

وطبقاً لخطة الشركة فى استكمال المصانع الجديدة مثل خط ثالث كوم أمبو ، وقوص ، ومصنع دشنا ، ستكون الطاقة الانتاجية لمصانعها هى ٨٠٠ ألف طن مما يؤدى الى عدم ملاحقة الإنتاج الحلقى للاستهلاك ، وهو ما يدفعنا الى الاستيراد ، كما تظهره الصورة التالية :

اعتبارات منخفضة ولا تكفى للحفاظ على الطاقة الانتاجية الحالية لمصانعها فقد خصص لها فى السنوات الخمس الماضية المبالغ التالية :

السنة	محلى	اجنبى	جملة
١٩٦٨/٧	—	—	—
١٩٦٩/٨	٢٨٤	—	٢٨٤
١٩٧٠/٩	٥٤٨	٢٢١	٧٦٩
١٩٧١/٧٠	٧٠	—	٧٠
١٩٧٢/٧١	١٥٠	٢٢٢	٤٧٢
اجمالى السنوات الخمس			
	١١٥٢	٥٤٢	١٦٩٥
١٩٧٢	٥٠	٣٨١	٤٣١

ولقد ذكر المسئولون من الشركة أنها طلبت من الخزائنة مليون جنيه لشراء معدات انتاجية من الخارج لتخفيض نسبة السكر فى المصاهر المتخلف من العملية الانتاجية بما يترتب عليه زيادة انتاج السكر بـ ١٠ آلاف طن كل سنة ، فبمئذ تزداد عن مليون جنيه ، الا أن هذا الطلب ، لم يجد القبول وان كانت وزارة الخزائنة ترى أن اولوية تخصيص الاعتمادات فى يد قطاع الصناعة كله .

كذلك فان الاعتمادات المدرجة للشركة بالخطة الخمسية المعدمة (٧٢ - ٧٧) فى هذا المجال تعتبر اعتمادات منخفضة لا تفى باحتياجات التجديد للشركة .

فعلى اساس ان القيمة الاستبدالية للموجودات الثابتة للشركة تقدر بحوالى ٢٥٠ مليون جنيه ، واذا كانت هذه الاصول فى حاجة الى احلال وتجديد بنسبة ٤ فى المائة سنوياً بن قيمتها الاستبدالية ، فان المبالغ المطلوبة سنوياً بهذا الشأن يجب أن تكون فى حدود ١٠ ملايين جنيه ، نصفها بالعملات المحلية ، والاخر بالعملات الاجنبية . ولكننا اذا نظرنا الى الاحلال والتجديد المدرج فى الخطة الخمسية ٧٢ - ٧٧ لوجدناه على النحو التالى :

انتاج واستهلاك السكر في السنوات ١٩٧٢ حتى ١٩٨٢
في حالة تنفيذ برنامج الشركة للاستثمارات
(بحسب مصانع البليتا)

السنة	الاستهلاك بالآلاف طن (على أساس زيادة سنوية) (ZA)	طاقة الانتاج	المخازن او المعجز	ملاحظات
١٩٧٢/٧١	٥٧٢	٦٥٥	٢٧	
١٩٧٣	٦١٩	٦٥٥	١٩٥	
١٩٧٤	٦٦٨	٦٥٥	١٨٥	١٨ تم خط ثالث كوم امير
١٩٧٥	٧٢٢	٧٥٥	٢٢٥	» خط ثالث قوس
١٩٧٦	٧٨٥	٧٥٥	٣٥٥	» خط اول دشفا
١٩٧٧	٨٤٢	٨٥٥	٤٢٥	» خط ثالث دشفا
١٩٧٨	٩١٥	٨٥٥	١١٥	
١٩٧٩	٩٨٢	٨٥٥	١٨٢	
١٩٨٥	١٥٦٢	٨٥٥	٣٦٢	
١٩٨١	١١٤٧	٨٥٥	٣٤٧	
١٩٨٢	١٢٣٩	٨٥٥	٤٣٩	

(بغلاف الصناعات الاخرى مثل الخشب الحبيبي ولب الورق والتقطير والكيماويات) بينما تبلغ المبالغ الممتدة في الخطة الخمسية لهذه المشروعات ٢٤٥٠ مليون جنيه .

السنة	الاستثمارات المطلوبة طبقا لبرنامج الشركة	الاستثمارات المتعددة بالخطة الخمسية
١٩٧٣	جنيه ٩	جنيه ٤
١٩٧٤	٩	٢
١٩٧٥	٧	٥
١٩٧٦	٥	٧
١٩٧٧	٥	٨
٢٢٥	٢٤٥	

وعدم اعتماد الاستثمارات المطلوبة طبقا لبرنامج الشركة سوف يؤدي الى زيادة المعجز في الانتاج عن الاستهلاك المبيمن بالجدول السابق .

ولما كان الانتاج ، حتى بعد استكمال مصنع دشفا ، سوف يقل عن الاستهلاك في عام ١٩٧٧ بما يقدر بـ ٤٢ ألف طن ، وبـ ٢٦٢ ألف طن سنة ١٩٨٠ .

ملاحظات :

- طاقة انتاج المصانع القائمة ٦٥٥ ألف طن عند التشغيل الكامل .
- تصل الطاقة الى ٧٥٥ ألف طن بعد تشغيل خط ثالث كوم امير وخط ثالث قوس .
- بتشغيل مصنع دشفا بالطاقة الكاملة عام ١٩٧٨ تصبح طاقة المصانع ٨٥٥ ألف طن .
- يبلغ معجز الانتاج عن الاستهلاك كالاتي :
 ١ - ١٩ ألف طن في عام ١٩٧٣
 ٢ - ٤٢ ألف طن في عام ١٩٧٧
 ٣ - ٤٣٩ ألف طن في عام ١٩٨٢
- هذا مع الاخذ في الاعتبار انه حتى يمكن تنفيذ برنامج الانتاج المذكور يجب ان تقسم استثمارات المشروعات الجديدة والتكبيلية للخمسة سنوات القادمة طبقا لبرنامج الزمن الموضوع من الشركة :

الاستثمارات اللازمة

٥١٥٥	تشغيل خط ثالث قوس عام ١٩٧٥
٢٥٥٥	تشغيل خط ثالث كوم امير عام ١٩٧٤
١٥٦٥٥	البدء في انتاج مصنع دشفا عام ١٩٧٦
٩٢١٤	الاضلاع والتجهيزات
٣٢٤٦٤	

أى أن الاستثمارات المطلوبة للسنوات الخمس القادمة تبلغ ٣٢٤٦٤ مليون جنيه

اساس ثلثي القرن ١٩٢٨م ٤٠٠ ، ولقد حدثت زيادة مختلفة في كثير من بنود التكاليف مثل اسعار شراء القصب واسعار الخيش وتكاليف النقل عوضت الشركة عن معظمها حتى اصبحت تتقاضى اليوم حوالي ٥٨ جنيه لكل طن سكر يباع محليا من - افتاحتها تدخل فيه الفروق السابق ذكرها - الا ان الشركة تذكر ان هناك بنودا اخرى في تكاليف الانتاج لم تعرض عنها مثل الاجور نتيجة رفع الحد الأدنى للأجور واعطاء العاملين بدل طبيعة عمل ، الامر الذي حمل الشركة ٨٠٠ ألف جنيه اضافية نتيجة للمساهمة العامة للدولة ، كذلك تزايدت تكاليف مواد التشحيم والتعبئة ، والشركة الان في مفاوضات مع الحكومة في هذا الشأن .

ساجسا - عدم توافر السيولة المالية الكافية للشركة :

تتميز الصناعات الغذائية ، لاسيما تلك التي تعتمد على المنتجات الزراعية ، بأمر هام وهو موسمية الانتاج . ويصدق هذا الوضع على صناعة السكر ، إذ تعمل مصانع السكر - بخلاف مصنع التكرير - مدة أربعة أشهر كل عام فقط حيث يتوافر محصول القصب . بينما يمتد تسويق السكر طوال العام ، ويعني ذلك أنه لا بد من توافر قدر كبير من الاموال السائلة التي يمكن تحويلها الى النقد في الاوقات التي يتركز فيها تشغيل المصانع ، الى ابد من توافر نسبة سيولة مرتفعة لدى الشركة .

لكننا اذا نظرنا الى المركز المالي للشركة في ٣٠ - ٧١ نجد ان نسبة التداول تبلغ ١١٩ر ١١٩ في المائة تقابل ١٢٠ر في المائة في عام ١٩٧٠ ، وان نسبة السيولة تبلغ ٣ر في ١٩٧١ مقابل ٤ر في عام ١٩٧٠ ، وان نسبة السيولة الصريحة تبلغ في العاشرين ١٩٧٠

ولاشك ان هذه النسب ، بالمقارنة لظروف شركة السكر والتقطير المصرية ، هي نسب منخفضة ، ولعل من اسباب انخفاضها هو ارتفاع نسبة القروض الى اجمالي رأس المال المملوك وإلى مجموع الاموال المستثمرة لدى الشركة مما يجعلها اعباء كبيرة سواء في سداد الاقساط او تحمل الفوائد .

نسبة القروض طويلة الاجل في ٣٠ - ٧١ تبلغ أكثر من ١٠٠ في المائة من رأس المال المملوك للشركة ، ٢٨ في المائة من اجمالي رأس المال المستثمر ، واذا اضيفت معاملة الحكومة الى القروض طويلة الاجل لبلغت نسبتها معا ٤١ في المائة من رأس المال المستثمر .

ولقد كان من نتيجة نقص السيولة لدى الشركة تجاؤها الى البنوك التجارية للاقتراض

وعلى اساس ان مساحة القصب المزروعة فعلا في عام ٧٠ - ١٩٧١ تبلغ ١٣٦ ألف فدان تعطي اربعة مليون طن قصب بمتوسط محصول للفدان ٢٨ طنا تقريبا ، ونتيجة لزراعة هذه المساحة كان انتاج السكر ٥٩١ ألف طن .

واذا ما علم انه يمكن زيادة المساحة المزروعة قصب الى ٢٧٠ ألف فدان ، كما يمكن زيادة محصول الفدان الى حوالي ٦٠ طنا ، فان الامر يتطلب زيادة الطاقة الانتاجية لمصانع السكر عن ٨٠٠ ألف طن سنويا ، وهو المستوى الذي سوف تبلغه شركة السكر بعد استكمال المشروعات الجديدة التي بدئ فيها فعلا .

وتأتي هذه الزيادة في الانتاج عن طريق الموافقة فورا على طرح مناقصة عالمية لتنفيذ مصنع سكر الدلتا بطاقة ١٥٠ ألف طن سكر سنويا ، ومن ثم يمكن الارتفاع بمستوى الانتاج الى ٩٥٠ ألف طن تقريبا ، وهو ما يكفي بالتأكيد لاحتياجات الاستهلاك المحلي في عام ١٩٨٠ .

ولقد رد مندوبو الحكومة على سؤال حول الطاقة التي يمكن استغلالها لو استكملت المصانع القائمة ، وتم بناء مصنع البلبينا ، فأكدوا ان كل احتياجات سوف تعمل بكامل طاقتها لانها سوف تجد المواد الخام (القصب) التي تكفي لتشغيلها اذا ما زرعت كل المساحة التي يمكن ان تزرع بالقصب ، ووفر قطاع الري المياه اللازمة - حيث يحتاج فدان القصب من ٢٠ الى ٢٥ ألف م^٣ من المياه في السنة - ووفر قطاع الصرف المصارف اللازمة لهذه المساحة ، كذلك أكد مندوبو الحكومة على ضرورة توفير وسائل النقل المناسبة ، لانه من الضروري نقل القصب خلال ١٢٠ يوما فقط .

وفي هذا المجال ، ذكر مندوبو الصناعة انه لو استكمل مصنع السكر كما كان واردا في الخطة الخمسية الثانية لكان من الممكن لمصر ان تنتج في عام ١٩٧٠ ما يساوي مليون طن من السكر يخصص منها للاستهلاك المحلي ما يقرب من ٦٠٠ ألف طن ، ويصدر ٤٠٠ ألف طن للخارج تقدر قيمتها ب ٥٠ مليون جنيه ، وتوافرت لدينا كميات كبيرة من التوالا كان يمكن استخدامها في اغراض شتى .

لكنه بسبب ضعف الاستثمارات التي خصصت للشركة لم يتم تحقيق هذه الاهداف .

خامسا - خلاف الشركة مع الخزنة العامة عن تعويضها عن بنود في التكاليف لم قواع من قبل :

ذكرت الشركة انه كان هناك اتفاقية بينها وبين الحكومة منذ أكثر من عشرين سنة بتعويض بتثبيت ثمن السكر الذي تتقاضاه الشركة على

بحيث كانت نتيجة ذلك ظهور مبلغ ٢,٨٩٢ مليون جنيه سحب على المكشوف في موازنة ١٩٧١.

خلاصة الدراسة السابقة

يمكن أن نخلص - مما سبق - إلى أن السبب الرئيسي لظهور العجز المرحل في ميزانية ٧٠ - هو الضخامة الفائقة من تقييم صافي أصول شركة النصر لصناعة السكر وبن الورق ومشروع دشنا وشركة السكر والتقطير المصرية ، أما الأسباب التي أدت إلى أن تتوقع الشركة ضخامة في موازنة ١٩٧٢ يسعدار نصف مليون جنيه فيمكن تحديدها في نوع دول الاتفاقيات عن توريد السكر الخام ، بسبب ارتفاع الأسعار العالمية ، وسدور قرار يقضى بمنع تصدير السكر إلى الخارج ، الأمر الذي يحرم الشركة من أهم مصادرها للحصول على العملات الأجنبية لتسييرها ، اجتراء سكر خام وتكريره وإعادة تصديره ، غير أنه قد أوضحت الشركة أن الحكومة سبيل تدارك هذا الموقف حالياً وأنها ستقاضي تحقق ضخامة فعلية في نهاية السنة المالية ١٩٧٢.

توصيات اللجنة

في ضوء الدراسة المقدمة تولى لجنة الخطة والموازنة بالاتي :

١ - ضرورة السماح للشركة باستيراد السكر الخام لتكريره محلياً وإعادة تصديره للاستفادة من فروق الأسعار العالمية وذلك في ضوء الظروف الدولية وطاقة التكرير المحلية ، حتى يمكن توفير العملات الأجنبية للشركة ، وتسيير عمليات التمويل لها .

٢ - ضرورة اجراء الدراسات اللازمة لتحميد تكلفة انتاج الحن من السكر في ضوء

الزيادة التي حدثت في الاجور وبعض مستلزمات الانتاج الاخرى ، حتى يمكن تحديد ما يجب أن تتقاضاه الشركة عن كل طن تنتجه من السكر وتحصيل صندوق موازنة الاسعار بالفرق .

٣ - ضرورة التوسع في زراعة القصب وتشجيع الزراع على زراعته ، ورفع انتاجية الفدان منه وذلك عن طريق :

- توفير مياه الري اللازمة له .

- الارتفاع بكفاءة الصرف .

- زيادة التسميد .

- تحسين سلالات القصب .

- دراسة تكاليف انتاج القصب بالنسبة للزراع في ضوء الظروف السالفة ، لضمان سعر يحقق لهم عائداً مجز يشجعهم على الاستثمار والتوسع في الزراعة .

٤ - ضرورة دراسة مشروع مصنع البليتا ، والموافقة على طرح مناقصة عالمية لتنفيذه لمواجهة العجز المتوقع في الانتاج في المستقبل القريب .

٥ - ضرورة توفير الاعتبارات اللازمة للحلال والتجديد حتى يمكن الحفاظ على طاقة المصانع الانتاجية ، وتوفير الاستثمارات اللازمة لاستكمال خطوط الانتاج في مصانع كوم لمبو وقوس ودشنا ومشروعات الشركة الاخرى .

٦ - ضرورة توفير الاموال المطلوبة لشراء بعض المعدات الانتاجية اللازمة لتخفيض نسبة السكر في المولاس مما يترتب عليه زيادة حجم انتاج السكر بأكثر من مليون جنيه سنوياً ، علماً بأن هذه المعدات تتكلف مليون جنيه .

رئيس اللجنة

د . احمد ابو اسماعيل

خطة شاملة

لتطوير صناعة السكر

كامل السبد

إعادة توزيع العنصر ، التي تدخل ضمنه يمكن جداً لهذه السلع من جانب ، وتقفز باستهلاك فئات من السكان إلى معدلات خيالية الارتفاع ، من جانب آخر .

ومن ثم فإن ارتفاع الاستهلاك من ٧٢٥ ألف طن

المعدل المتوقع للزيادة السنوية في استهلاك السكر وهو ٨ في المائة معدل معقول للغاية وليس فيه أي إفراط أو تبذير ، خاصة إذا ما أخذنا في اعتبارنا ارتفاع معدل الزيادة السكاني (والطفل منذ اليوم الأول لولده مستهلك نهم للسكر) وعمليات

أجريت تجربة للجمع التعاوني لزراعات القصب - بما يتيح استخدام المكينات والأساليب العلمية وتحقيق وفورات الحجم الكبير - خفضت تكاليف الإنتاج بنسبة ألفين تقريباً ، وليس هناك ما يمنع من دراسة تجارب الإقطاعيين والراسمالية الزراعية ، فتفتيش يوسف كمال في نجع حمادى بشركة الاراضى التى كان يملكها اليهود والأجانب ، توافرت لها امكانيات اقامة التسهيلات الانتاجية ، واستخدام معدات الإنتاج الكبير على أسس حديثة مما جعل عائدها يفوق كثيراً عائده صغار زراعى القصب الذين كانوا يستخدمون وسائل بدائية يتقرب بها الاثناج الصغرى ، وبالطبع فان هدف مثل هذه الدراسة هو الارتفاع بالانتاج كما ونوعاً ، وليس الصودة الى العلاقات الاجتماعية المختلفة .

ان التجميع هو الطريق الوحيد لنفخ تكاليف الإنتاج والتسويق بما يزيد كثيراً من العائد الذى يحصل عليه المزارعون ، وللقضاء على كسافة شكواهم من سوء طرق محاسبتهم ، الخ . وإذا ما ارتفع عائد زراعة القصب ، فسيحول اليه المزارعون بلا جهد يذكر ودونما أى ضغوط (فشلت خطة تحويل ٢٢ ألف فدان فى تنا لزراعة القصب رغم كل ما بذل فيها من جهد) وليس هناك أى جرمى من وضع خطط لانشاء مصانع السكر ، والتوسع فى المصانع القائمة ، طالما ان منتجى المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة - القصب - يحصلون دفع الغرامات على استمرار فى زراعته والا أنفقنا مواريدنا على انشاء مصانع تعرف مقدماً أنها قد تعطل كلياً أو جزئياً .

■ باذا ضمننا زراعة المساحات اللازمة من القصب نجى ضرورة تخصيص الاستثمارات اللازمة لانتامة مصانع جديدة للمسكر حتى يبلغ مجموع الطاقة الانتاجية حجماً يكفى احتياجات الاستهلاك المحلى أو يزيد . وبالإضافة الى هذا لا بد من تخصيص الارصدة الضرورية لتجديد واحلال المصانع القائمة ، والتي انشء معظمها فى القرن الماضى (بدأت فى ١٨٨٥) ذلك لأن النسبة الغالبة من معدات مصانع السكر الاساسية ، ابوقرقاص نجع حمادى وكيم أمبو زارمت ، بالية ومستهلكة وانتاجيتها أقل مما يمكن الحصول عليه بعد تجديدها . وكما يقول التقرير فان « القصب الاستبدالية للموجودات الثابتة لشركة السكر تقدر بحوالى ٢٥ مليون جنيه . وإذا كانت هذه المائة سنوياً من قيمتها الاستبدالية ، فان المبالغ المطلوبة سنوياً ، بهذا الشأن ، يجب أن تكون فى حدود ١٠ مليون جنيه » . لكن المخصص لذلك فعلا

فى ٧١ - ٧٢ الى ١٢٢٩ ألف طن فى ١٩٨٢ بعد فى إطار الضروريات الاساسية ، طبعاً مع بذل كل الجهد اللازم للحد من الاستهلاك المفرط لدى البعض ، حتى لا يذهب كل الجهد الذى تبذله الدولة - وبأموال الشعب كله - لتوفير هذه السلعة الى أصحاب الدخول الكبيرة القادريين على التهام واستهلاك كميات تفوق كثيراً ما فى مقدور وزير التموين ان مقررات بطاقات التموين تحدد حسب الوضع الاجتماعى للأسرة ، وان مقررات بعض الاسر وصل الى ٨٢٠ أقة شهرياً) .

وواضح ان زيادة الانتاج من ٦٠٠ ألف طن الى ٨٠٠ ألف فى نفس الفترة ، تنقص عن ملاحظة نمو الاستهلاك ، اذ سيسجل الفرق بينهما فى ١٩٨٢ الى ٤٢٩ ألف طن . فإذا تم اكمال هذا النقص بالاستيراد ، فان ذلك سيتكلف نحو ٢٥ مليون جنيه استرلينى بحسب أسعار ١٩٧٢ وهى ٨٠.٥ جنيه استرلينى للطن (كان فى ١٩٧٠ ، ٢٨.٩ جنيه للطن) .

■ وصناعة السكر فى مصر صناعة عريقة (١١٨ سنة) وكبيرة فعلاً (نجع حمادى من أكبر مصانع السكر فى العالم) الا ان المشكلة الاساسية هى فى عدم وجود خطة واحدة متكاملة لتطوير صناعة السكر تتعلق بإطارها عملية انتاج واستهلاك السكر الثلاثة الاساسيين وهم زراعى القصب أو منتجو المادة الخام ، وأدوات انتاج السكر وطرائق الصنع ، والسوق الاستهلاكية له .

■ فمشكلة الزراعة تنحصر فى انخفاض العائد ، بفعل ارتفاع تكاليف زراعة القصب ، والتلاعب فى عمليات محاسبتهم على انتاجهم ، ونقص التسهيلات خاصة النقل التى تفسد جزءاً منه ، ورفض أسعاره ، مما دفع زراعى كثيرين خاصة فى محافظة ثنا - الوطن الاساسى للقصب - الى الانصراف عن زراعته والتحول الى محاصيل أخرى أكثر جراً ، الامر الذى أدى الى تشييل النسبة الغالبة من المصانع بأقل من طاقاتها الانتاجية ، فى وقت يتزايد فيه استخدام السكر واستهلاكه . وقد كان لمجلس الضعيف مناقشات واسعة حول هذه القضايا قبل ان يقض دورته الثانية .

وكثيرة هى ومتعددة مشاكل الزراعة من عدم وجود شبكات الصرف مما يرفع منسوب المياه الجوفية ويقلل انتاجية الارضى ، الى عدم وجود تقاوى جيدة أو عدم الإقبال عليها الى نقص الأسمدة وارتفاع أجور العاملين ، الخ . لكل هذا وتكثر غيره فان خطة لانهاض صناعة السكر لتسد احتياجاتنا واتكون مجالاً للتصدير ، لا بد وان تشمل مجال زراعة القصب . وفى نجع حمادى

استخدامها في أغراض شتى ، لكنه بسبب ضعف الاستثمارات التي خصصت للشركة لم يتم تحقيق هذه الأهداف .

■ وضع خطة للاستهلاك تحد من عمليات التبدية التي يتبعها البعض تضخم دخولهم ، وفي الوقت نفسه تيسر على صغار المستثمرين الحصول على ما يمد استهلاكهم ضروريا بأسعار معقولة .

أما ملاحظتنا على مقترحات اللجنة ، فهي مع صحتها ، تظل في دائرة الطول الفرعية لشكله مترابطة الأطراف فليس هناك من ينكر الضرورات الأيضية التي أوصت بها وهي : ضرورة السماح للشركة باستيراد السكر الخام لتكريره وإعادة تصديره للاستفادة من فروق الأسعار ، وضرورة دراسة تكلفة انتاج الطن من السكر ، وضرورة التوسع في زراعة القصب ، وضرورة دراسة مشروع مصنع البليتا ولكن ربما تعين أن نصيب أهم ضرورتين وهما :

● ضرورة أن يتم ذلك وغيره في إطار خطة متكاملة لتطوير صناعة السكر .

● ضرورة بيان طريقة تنفيذ المقترحات السابقة فيس يكفي أن نضع توصيات ، وإنما يضمن أيضا الإرشاد إلى طرق تحقيقها ..

يتراوح بين ٤٢٦ ألف جنيه في ١٩٧٣ و ٦٣٢ ألف جنيه في ١٩٧٧ . ومعنى هذا أننا « نأكل » رأسمانا ونهمل كل القوانين التي توضح ضرورة تخصص الموارد اللازمة لتكرار الانتاج على أسس موسعة ، أي تخصيص جزء من العائد لإعادة الانتاج على نطاق أكبر ، ولكننا لا نفعل هذا ، بل أننا لا تخصص الأموال اللازمة لمجرد تكرار الانتاج وليس توسيعه .

فإذا علمنا أن حصيلة الخزنة العامة من صناعة السكر قد زادت من ١٧٩ مليون جنيه في ٦٧ - ٦٨ إلى ٤٦٢ مليون في ٧١ - ٧٢ ، بل بين أن صناعة السكر صناعة مربحة للدولة ، وإنها تستحق تخصيص جزء من مكاسبها لمعالجة تطويرها ، وذلك يتفق تماما مع اعتبارات الرشيد والحساب الاقتصادي ، لأن التطوير سيؤدي حائدا أكبر ، وفي هذا يقول التقرير « لو استكمل مصنع السكر كما كان واردا في الخطة الخمسية الثانية لكان من الممكن لصن أن تنتج في عام ١٩٧٠ ما يماثل مليون طن من السكر ، يخصص منها بالاستهلاك المحلي ما يقرب من ٦٠٠ ألف طن ، ويصدر ٤٠٠ ألف طن للخارج تقدر قيمتها بـ ٥٠ مليون جنيه ، وتتوافر لدينا كميات كبيرة من المولاس كان يمكن

ملاحظات عامة للجنة الخطة والموازنة

تعرض أولا بآول على المجلس - كلما توافرت البيانات - دراسة لبعض الشركات الخاسرة من واقع البيانات التي قدمتها لتسد الشركات والمؤسسات والوزارات المشرفة عليها ، وقد تبين من واقع هذه الدراسة ، أن الشركات الخاسرة تشترك في عناصر واحدة تسبب تضخم خساراتها بجانب انفراد كل منها بظروف خاصة ، وأد توضح اللجنة الظروف المشتركة للخسارة وتوصياتها إزاء كل منها ، فإنها تترك دراسة كل شركة لتقرير منفصل .

العناصر المشتركة بين الشركات الخاسرة

١ - الخلل الهيكلي في تمويل رأس المال ؛ جرت العادة في الشركات المساهمة بالقطاع الخاص أن يجمع رأس المال من المساهمين حتى يستطيع الشركة أن تشقري به أصولها الثابتة

لاحظت لجنة الخطة والموازنة أن صافي عائد شركات القطاع العام بلغ ٢٩ في المائة من رأس المال المستثمر في السنة المالية ٧٠ - ٧١ ، وبمعكس هذا الوضع على ميزانية الدولة ، إذ بلغ صافي فائض المؤسسات العامة في سنة ١٩٧٣ - ٨٠ ٤٠ مليون جنيه ، كما لاحظت اللجنة عند دراستها للموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٣ أن بعض شركات القطاع العام بها عجز جاري . ولئن لم تأخذ هذه الشركات اعانة من الخزنة العامة بطرق مباشرة إلا أن هذا العجز الجاري يقلل من الفوائض التي تؤول إلى الخزنة العامة ، ولهذا رأت لجنة الخطة والموازنة ضرورة دراسة نتائج شركات القطاع العام وأخفقت لنفسها استوفيين ، أولهما : دراسة الشركات الخاسرة من واقع الموازنة التقديرية لسنتي ٧١ - ٧٢ ، وثانيهما : إجراء مسح شامل لنفسه شركات القطاع العام كله . فإت اللجنة أن

المداولة وبحث يتم التوازن المالي على أساس تعامل رأس المال الذي تديره الحكومة في شكل مساهمة مع الأصول القائمة للشركة ، وأن تأخذ مساهمة الحكومة نفس خصائص المساهمة في شركات القطاع الخاص وتحصل الحكومة بنتائج تخطيطها للموارد الاقتصادية للبلد ، بالتساوي مع مساهمة القطاع الخاص .

٢ - اظهار عيب مساهمة المؤسسة أو الخزنة العامة ضمن التكلفة :

تتولى الدولة تخطيط الاستثمار على المستوى القومي ، فحدد المشروع الاستثماري ثم تلهم له القوة العاملة والموارد الاقتصادية لتنفيذه ... ثم تسال الحكومة ادارة الشركة عن نتائج استخدامها للموارد البشرية والاقتصادية في تحقيق اهداف المشروع الاستثماري ، وكفصلا ذات نسبية المساهمة (بوضعها العالي) أو القروض المحلية والاجنبية في تمويل اصول المشروع كلما زاد العيب عليه . ونظرا الى ان هدف الربحية ليس وحده المعيار الذي يؤخذ به عند وضع اولوية المشروعات الاستثمارية التي تنفذ ، وأن هدف تكامل المشروعات من بين المعايير الملحوظة في هذا الشأن ، وذلك بجانب المعايير الاجتماعية والسياسية الاخرى .

ولهذا فان لجنة الخطة والموازنة توصي بإبعاد فوائد رأس المال الذي تديره الحكومة عن منطقة الإعفاء في حساب العمليات الجارية حتى لا تدخل ضمن تكاليف الإنتاج ، وجملة الفائدة ضمن منطقة توزيع دخل الشركة ، وذلك على أساس ان الأموال التي تديرها الحكومة للشركات هي من قبيل المساهمة .

٣ - خلل العلاقة السعرية بين مراحل الإنتاج :

نتيجة لتدخل الدولة في الاسعار وتربط كل صناعة بالآخرى وعدم وجود فرض بديلة تحمي المنشأة المشتريه من تحكم المنشأة البائعة أو العكس وجدت لجنة الخطة والموازنة ان الاسعار التي تفرض على بعض الشركات لا تبقى لها ملبس تجاريا كافيا تغطي به مصاريفها .

ولهذا توصي اللجنة بامرين : اولهما داسة الاسعار التي تحول بها الصناعات لبعضها البعض متجاهلا بحيث لا تغطي صناعة على الاخرى ، وثانيهما تمديد مسؤولية العاملين عن

وتسيير دولاب عملها . كما قد تقتصر الشركة قروضها طويلة الاجل لاستعمال الأموال اللازمة لاصولها الثابتة والحد الاساسي للزخم الممارسة العمل . وبذلك فانها تحتفظ بتوازن مالي اذا دبرت من الأموال ما يتناسب مع طول بقاء الأصول الثابتة في الإنتاج .

لكن في غياب سوق نشطة للوراق المالية ، لا تستطيع شركات القطاع العام ان تدبر الأموال اللازمة لنشاطها بالسهولة التي تواجهها شركات القطاع الخاص . ولهذا تعدم الخزنة العامة - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - الى تدبير الأموال المطلوبة للشركات وتقديرها لها في شكل مساهمات أو قروض . وتعامل الخزنة العامة المساهمة نفس معاملة القروض حتى عام ١٩٦٧ من حيث تحمل الشركة بالفائدة والالتزام بسداد اقساط المساهمات والقروض . وعلى الرغم من ان الأموال التي تديرها الخزنة العامة للشركات كمساهمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - ابتداء من السنة المالية ١٩٦٧ - ١٩٦٨ يقع عبئها على المؤسسة المشرقة عليها ، الا انه لا زالت المساهمات قبل سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ تعامل نفس المعاملة القديمة . وتظهر خطورة هذه المعاملة على شركات القطاع العام من ان انتاجها يحمل بفائدة المساهمات قبل السنة المالية ١٩٦٧ - ١٩٦٨ الى جانب ان ارباحها بعد خصم الفوائد المذكورة - يحتجز جزء منها لسداد اقساط المساهمة . وهو امر رغم انه غير منطقي الا ان ممكن الخطورة فيه يظهر في خفض سيولة الشركات بمقدار ما تدفعه من فائدة وقسط استهلاك المساهمة .

ولا يقتصر الامر على ذلك فقط ، بل ان ما تدبره الخزنة العامة لشركات القطاع العام من أموال طويلة الاجل ، سواء في شكل مساهمات أو قروض ، اقل مما يلزم لمواجهة الاصول الثابتة وعناصر الاصول الاخرى التي لها نفس خصائص الاصول الثابتة وأهمها طول البقاء في الشركة . ولهذا تلجأ تلك الشركات الى البتوك القجرية للاقتراض منها قروضا قصيرة الاجل لتمويل عجز التمويل في رأس المال اللازم لاحتياجات طويلة الاجل للشركة . ويحمل هذا الوضع الانتاج باعباء باهظة ، تظهر شركات القطاع العام بمظهر العجز .

ولهذا توصي لجنة الخطة والموازنة بأن تصبح الخزنة العلمية الخلل الهيكلي في تمويل رأس المال بأن تحقق التوازن المالي للشركة وتضمن التوازن النقدي لاصولها وخصومها

بدأ اللجنة تكل وطأة عبء الجيش الشعبي على بعض الشركات رغم أنها خاسرة في حين لا تتحمل شركات أخرى متنافسة مثل هذا العبء . ولهذا توصي اللجنة بإنشاء صندوق لتمويل الجيش الشعبي يتحمل باعبائه الشركات عن طريق مساهمة كل شركة من شركات القطاع العام ينسبة من إيرادات نشاطها الجاري أو من إجمالي أرباحها ، وتدفق نفقات الجيش الشعبي المكلف بصيانة وأمن بعض الوحدات من أموال ذلك الصندوق .

٦ - تحمل بعض الشركات الخسارة بأعباء الطوارئ دون استعواض :

وقد رأت اللجنة أن بعض الشركات وخاصة شركات الملاحة تصدر لها أوامر برحلات معينة فتقدم عليها رغم أنها خاسرة دون استعواض ، كما أن بعض الشركات الأخرى لا يجد كفايتها من مستلزمات الإنتاج للظروف العسكرية التي تمر بها .

وتوصي اللجنة بأن يتحمل صندوق الطوارئ بخسائر هذه الظروف الطارئة ، أو تتحمل الجهة التي أصدرت قرارها الطارئ بخسارة العمليات المترتبة على هذا القرار .

٧ - تحمل الشركات باعباء التوطن الحضارى الأساسى :

لاحظت اللجنة أن بعض الشركات يتحمل باعباء شبكات مياه وطرق وكهربية وأسكان عمالى وتوفير وسائل مواصلات مناسبة للعاملين بالشركة وتهينة مرافق تعليمية وصحية مختلفة لهم ، وكل هذه مرافق من المفروض أن توفرها الحكومة لشركات القطاع العام بحيث لا يتحمل الإنتاج إلا بالكلفة اللازمة لممارسة الإنتاج بصفة مباشرة ، وبحيث تستفيد من النتائج التي تسأل عنها الشركة كل مرافق التوطن الحضارى الأساسى .

ولهذا توصي اللجنة بأن يراعى في تقييم شركات القطاع العام استبعاد مرافق التوطن الحضارى من أصول الشركات .

٩ - عدم اعطاء الشركات المصدرة حصص ثابتة من النقد الأجنبى الذى لديمه :

رأت اللجنة أن بعض الشركات الخاسرة تواجه صعوبة في شراء مستلزماتها الاجنبية

ربحية الشركة اذ أن السعر الذى تفرضه الدولة ينتج ما على أساس اعتبارات اجتماعية أو اقتصادية هو الأساس الذى تحسب عليه أرباح العاملين . ولابد في جميع الأحوال أن يكون هناك سعر تقديرى تحسب على أساسه أرباح جميع العاملين في كافة الشركات .

٤ - عدم التركيز على البعد الإنتاجى في بعض الشركات الخاسرة :

تعتقد بعض الشركات أنها خلقت لتأدية خدمات ، بغض النظر عن بعدها الاقتصادى ، وإن التطبيق الاشتراكى ينبغي أن يوفر للعاملين في الشركات كلها مستوى واحدا من الميزات الاجرية بغض النظر عن نتائج كل شركة ، وهذه الفترة مصير خلل في الحافز على الإنتاج ، ولهذا ترى اللجنة معالجة هذا الوضع في اطار يركز على البعد الإنتاجى كفى العمل الاشتراكى .

على انه نظرا الى طبيعة تسعير المنتجات وتغير اسعار مستلزماتها ، وبمراعاة طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تسود المناخ الاقتصادى المصرى ، لكل هذا نجد وقع بعض هذه الظروف على شركات القطاع العام يختلف من شركة الى أخرى ، بحيث تظهر بعض الشركات عجزا جاريا في الوقت الذى تظهر فيه الأخرى فائضا جاريا ، ولا يكون للعاملين فيها يد في كلا الحالتين .

ومن ثم توصي لجنة الخطة والموازنة في هذا الشأن بما يلى :

١ - يأخذ شعار الأجر حسب الإنتاج سبيلا الى التطبيق باستخدام نظام أجرية تختلف بحسب طبيعة كل نشاط .

ب - استخدام نظام الاسعار التقديرية السابق الإشارة إليها في بند ٢ ، وربما يتم تطبيق هذا النظام تؤخذ نسبة من أرباح الشركات الكافية لتدفع في صندوق مشترك للأرباح يوزع منه على جميع الشركات ، الرابع منها والخاس على أساس النظام الجارى ويفترض أن تكون هذه النسبة ٥٠ في المائة من الربح القابل للتوزيع على العمال حاليا .

٥ - تحميل الشركات بعبء الجيش الشعبي :

الاستثمارية لا تغطي لعنصر استبدال الأصول
الأهمية الواجبة ، كما أن قسط استهلاك
الأصول يحدد على أساس القيمة الدفترية لها
يقض النظر عن ارتفاع أسعارها عند إحلالها ،
ولا يراعى أثر ارتفاع أسعار الأصول إلا عندما
تحقق الشركة ربحاً تقتضيه من الربح نسبة
ه في الملة لمواجهة ارتفاع أسعار الأصول .

وأزاء ما تلاحظه اللجنة من الارتفاع المستمر
لأسعار الأصول ، وخاصة في ظروف عالية
بدات فيها العملات الأجنبية المعلقة تتهاوى
وتترنح أمام التضخم المالى العالمى ، فإنها
توصى باعتبار أن ارتفاع أسعار الأصول عيب
ينبغي تحمله في جميع الأحوال سواء سمحت
الأيام به من عدمه . كما توصي اللجنة بأن
يعتبر الإهلاك مصدر تمويل لمصندوق يخصص
لإستبدال أصول كل قطاع ، ويتم تمويل
التوسعات والإنشاءات الجديدة في القطاع عن
طريق المدخرات التي توفرها الخزنة العامة
للاستثمارات الجديدة وذلك ضماناً للحفاظ على
رأس المال القومي .

١١ - اعتماد الشركات على مصادر تمويل
أجنبية مرفقة التكاليف :

تبين للجنة أن أسعار بعض الدول ليست في
حقيقة الأمر أقل الأسعار عيلاً على الإنتاج ،
ونظراً إلى أننا نتفق على نصدر بحيث نستعوض
العملة الأجنبية التي أغرقت في الأصول
الإنتاجية فإن عيب التمويل من تلك الدول يمرق
من هدف التصدير (أى هدف الاستعاضة من
الخارج) ، كما أنه من ناحية أخرى يسمح بوجود
منافسة بين الإنتاج المحلى والإنتاج الأجنبي
المهرب .

ولهذا توصي لجنة الخطة والموازنة بعدم
شراء الأصول الثابتة إلا بخصم الأسعار عيلاً
على الإنتاج سواء من دول الإنفاقات أو دول
العملات الحرة ، إذ أن اللون الذى تأخذ التجارة
الخارجية هو الصالح الاقتصادي العام أص
قبل أى شيء آخر .

رئيس اللجنة
د . أحمد أبو اسماعيل

المناسبة لكي تنافس في السوق المحلى او
الخارجى او حتى في استعاض اصولها التي
تهلك في الإنتاج .

وتوصي اللجنة بأن يحدد لكل شركة هدف
تصديرى ويكون لها حصتان : الأولى بالنسبة
للهدف وتتحدد على ضوء انتاجها في السنوات
الماضية والثانية بنسبة أعلى وتؤخذ من الزيادة
عن الهدف المخطط لها لتمويل التوسعات
والاحلال ومسرلزمات التسويق الخارجى .

وبالنسبة للشركات التي لا تصدر انتاجها
للخارج نظراً لاستنفاده في السوق المحلية ،
كجبل للاستيراد ، توصي اللجنة بتحديد حصة
من النقد الأجنبى لها كمنسبة من رقم اعمالها
تؤخذ من النقد الأجنبى لياقى القطاعات ويكون
لها حرية التصرف والإيداع الخارجى في حدود
أطار عام تضعه الحكومة .

٩ - عدم التنسيق بين شركات الإنتاج
وشركات التوزيع :

تتولى بعض شركات القطاع العام إنتاج
بعض مستلزمات الإنتاج لشركات قطاع عام
أخرى ، ونتيجة لعدم احكام الرابطة بين المنتج
ومستخدم انتاجه من القطاع العام ، يتدخل
القطاع الخاص بإيجاد طلبية تزيد من أعيام
الصناعة برفع الأسعار على المستهلك الأخير .

ويحدث نفس الشيء بالنسبة لشركات
الاستيراد بالنسبة للسلع الرئيسية دون
الاهتمام بالربط بين شركات الإنتاج والاستيراد
من ناحية وبين الشركات التي تستخدم إنتاج
الشركات الأخرى واستيرادها من ناحية
أخرى .

ولهذا توصي لجنة الخطة والموازنة باحكام
الرابطة الإنتاجية على مستوى القطاع العام كله
لإتمام اصحاب المحول الطفلية عن خلق
المستهلك النهائي بما تفرقه من الأسعار عليه .

١٥ - انخفاض الاستثمار الذى يشايل
الاحلال والتجديد :

لاحظت اللجنة أن أولوية تخصيص الموارد

ملاحظات وتعليق «الطليعة» على الدراسة

القطاع العام . . الى أين ؟

للنضال سواء في معركة التحرير الوطني أو في معركة التقدم الاجتماعي ؟

وإذا كانت لجنة الخطة والموازنة قد كشفت فقط عن عشر شركات مختلفة لأنها شركات خاسرة ، فمن الضروري أن نضع في اعتبارنا من البداية هاتين الحقيقتين :

الأولى - أن الخسارة ليست هي بالضرورة عنوان الخلل . فمن الممكن أن تتصل شركة ما بخسارة محسوبة اقتصاديا ومطلوبة اجتماعيا ، مثلما هي الحال في شركات تنتج أو توزع السلع الضرورية مثل السكر والخبز واللبن والزيت والطحين والاقمشة الشعبية . وعندئذ يكون من الواجب أن تتدخل الدولة صراحة لدعم هذه السلع الضرورية وأن توضع سياسة أسعار شاملة لجميع السلع تقيم علاقة سليمة بين أسعار السلع الضرورية وأسعار السلع غير الضرورية بحيث تحفظ التوازن فيما بين دخول الأفراد والأسعار وتسمح للدولة بحسن توزيع الموارد القومية فيما بين الإنتاج والاستهلاك .

الثانية - أن الخسارة ليست هي بالضرورة المعيار الوحيد للخلل . فمن الممكن - كما تقول اللجنة نفسها - ألا تكون هناك خسارة على الإطلاق ، أو يكون ببعض شركات القطاع العام

القطاع العام في مصر انجاز عظيم من انجازات معارك التحرير الوطني التي خاضتها ثورة يوليو ، وقاعدة لا غنى عنها للتقوية الشاملة المضطلة ، وأساس لكل أمل في إمكانية التحول الاشتراكي في المستقبل . ويكفي أنه يقدم نحو ٩٠ في المائة من حجم الانتاج القومي فيما عدا الزراعة ، ويزود البلاد بما يزيد عن ٩٠ في المائة من حجم الادخار المستثمر ، ويمثل بالتالي قاعدة الصمود في اقتصادنا الوطني . لذلك نحرص على القطاع العام ، ونحرص بالتالي على معالجة مشاكله بروح توفير الظروف المواتية لنجاحه .

وقد قامت لجنة الخطة والموازنة بجلوس الشعب بدراسة هامة لعدد من شركات القطاع العام ، اختارتها في ضوء معيار معين هو كونها « شركات خاسرة » من واقع الموازنة التقديرية لسنة ٧١ - ٧٢ . وقد ظهر أن عدد هذه الشركات لا يتجاوز العشرة . كما قدمت لجنة استظهار الحقائق في موضوع ارتفاع أسعار الحديد وتجارة المفردة تقريراً بالغ الأهمية يضيف جوانب عديدة إلى الصورة التي عنيت بها لجنة الخطة والموازنة . والتقريران جميعاً تقدمان للقطاع العام صورة تفرع بشدة ناقوس الخطر وتطرح بالتالي هذا السؤال بالتحديد : الى أين يسير القطاع العام الذي تسلفت به كل الآمال بوصفه عنصراً حاسماً

- الظروف التاريخية لنشأة القطاع العام .
- الظروف الخاصة باختلال التنمية المخططة .
- الظروف الناجمة عن الهزيمة العسكرية .

أولاً - أن القطاع العام ما زال يحمل بصمات نشأته الأولى . فالشركات التي أُنعت قد نقلت في أغلب الأحوال إلى القطاع العام محملة بأعباء ماضية الرأسمالية ، مثل : انعدام أو قصور رأسياتها - قبح الآلات وخطوط الإنتاج - ارتفاع نفقات الصيانة والإصلاح - العقيلة الرأسمالية في الإدارة - عدم كفاءة العمالة وارتفاع تكلفتها . وفي الوقت ذاته فإن بعض الشركات التي أنشئت حديثاً قد اقتضت الميدان على عجل وبلا زاد كلف ، مثل : إنشاء بعض الشركات بلا نشاط واضح معلوم - انعدام الخبرة في النشاط الاقتصادي المميز - انعدام أو نقص الخبرة الإدارية والتنظيمية - عدم تدبير رأس المال الكافي - تحميل الشركات بأعباء التوظيف الحضاري الاسمي من شبكات مياه وطرق وكهربة واسكان ومرافلات وتلميع وصحة - العمالة الزائدة نتيجة للتوسع العفوي في التشغيل لاعتمادات اجتماعية أو سياسية أو انتهازية - ارتفاع التكلفة - كثرة تغيير الإدارات - تعدد حالات الحل والفصل والاندماج .

وينعكس ذلك كله في صورة ارتفاع كل من التكلفة الرأسمالية والتكلفة الجارية ، ولحياسنا زيادة المصروفات عن الإيرادات ، ومن الأصل فضل مشكلة التمويل أو الخلل الهيكلي في التمويل مشكلة خطيرة حقا . فأغلب الشركات لا تستطيع تدبير الاموال اللازمة لنشاطها ، ومن ثم تدخلت الخزنة العامة وأمدتها بالاموال في صورة مسامحات أو قروض ، تدر على الخزنة أرباحاً وفوائد ، أعباءاً مما شديدة الوطأة على الشركات . فقلنا بالتالي من أجل توفير السيولة إلى البنوك التجارية ، وتحصل منها على قروض قصيرة الاجل لتمويل استثماراتها وهي اقترضت وصليات طويلة الاجل . وهكذا تزداد المشكلة تعقيداً .

ثانياً : أن القطاع العام قد تحمل أيضاً بأعباء فائضة نتيجة لعدم احكام عملية التنمية المخططة . فلقد بدأ القطاع العام تاريخياً قبل ان تبدأ أول خطة خمسية . ولقد بدأت الخطة نفسها في عام ١٩٦٠ بوصفها شريحة نصفية من خطة عشرية للتنمية الشاملة بهدف مضاعفة الدخل القومي . لكن سرعان ما أهدر مفهوم التخطيط والتنمية المخططة بعد انهيار الخطة الخمسية الأولى

مجرد عجز جار ، بل وقد لاتحصل الشركات على اعانة من الخزنة العامة بطريقة مباشرة - ومع ذلك تكون الشركات مختلة . بل يمكن القول أيضاً بأن أغلب شركات القطاع العام تشكل بشكل أو بآخر من كل ما اعتبرت اللجنة أسباباً عامة للفخسارة لدى عشر شركات فحسب ، وذلك من غير أن تحقق تلك الشركات أية خسارة - وبعضها على العكس بالغ النجاح بمعيار الأرباح . ولذلك فإن مشكلة القطاع العام ليست هي أبداً في وجود عشر شركات أو أقل تحقق خسارة من بين نحو ٤٠٠ شركة .

إن الشركات للرابحة كالشركات الخامرة يجب أن تخضع لدراسة واحدة في ضوء معيار شامل من **كفاءة القطاع العام** - دراسة تبحث لماذا تحققت هذه الخسارة بالذات ولماذا تحقق هذا الفائض بالذات ، بل تبحث أيضاً متى وكيف يجب أن تحقق الخسارة ، وأسلوب زيادة الفائض ، وكيف يجب أن يتحقق أقصى فائض ممكن . فمن غير المقبول أن القطاع العام الذي يمثل رموس أموال مستثمرة تجتمع بفضل التأميم ويفضل التنمية لا تقل عن ١٧٠٠ مليون جنيه ، هذا القطاع العام يقدم فائضاً صافياً يقدر في ميزانية عام ٧٣ بنحو ٤.٨ مليون جنيه فقط ، بمعدل ٢.٤ في المائة من رأس المال المستثمر . فمن هو الرأسمالي الذي يمكن أن يكتفي بمائد صاف يبلغ ٢.٤ في المائة لرأسماله ؟ هناك بالطبع مكاسب مادية أخرى يحققها القطاع العام للمجتمع ، في صورة ضرائب وتسليمات واحتياطيات . لكن تبقى مع ذلك حقيقة أن الفائض الصافي ضئيل لا يقيه رأسمالي لأمواله . فلماذا يقبله المجتمع للقطاع العام ؟

إن مبدأ تحقيق أقصى فائض ممكن يجب أن يكون في القطاع العام هو الشرع المقابل لبدا تحقيق أقصى ربح ممكن في القطاع الخاص ، فمن المؤكد أن تحقيق أقصى فائض ممكن في القطاع العام هو خطوة حاسمة نحو تحقيق أقصى اشباع ممكن للمجاهير . من أجل هذا تؤكد على ضرورة رفع كفاءة القطاع العام .

مشاكل القطاع العام

إن لجنة الخطة والموازنة عندما درست أسباب الخسارة في عشر شركات ، قد تبينت فيما بينها ظروفاً مشتركة بالإضافة إلى الظروف الخاصة التي تنفرد بها كل شركة منها . وتشكلت الظروف المشتركة من أسباب عامة تنوق النشاط الواجب للقطاع العام وتنخفض من كفاءته . وإذا حللنا هذه الأسباب ، أو المشاكل وجئناها قلع تحت العناوين التالية :

هجرة هذا التضخم المستورد على المواطن المستهلك تحملت الخزنة الملمة بأعباء فروق الأسعار وهي في ارتفاع لا يتوقف .

وإذا تنعدم المركزية في القطاع العام نتيجة لغياب الخطط ، تحاول كل شركة أن تحل مشاكلها بنفسها ، ومن ثم تهدأ عمليا في أن تحل محل المخطط المركزي في اتخاذ قرارات لها انعكاسها على الاقتصاد القومي كله ويكون من شأنها أن تزيد من الاختلال الموجود أصلا . فمثلا عندما تقوم شركة لإنتاج اللبن المبستر والاعنية بغير أن تكون لها حظائر الماشية الخاصة بها أو ترتب لها كميات اللبن اللازمة لإنتاجها ، ثم يفرض عليها أن تبيع اللبن للمستهلكين بأقل من سعر شرائه ، فلسوف تواجه هذه الشركة مشكلة عدم توفر اللبن ثم مشكلة ارتفاع الطاقة الكاملة . . ومن ثم تتضاعف تكلفة الإنتاج عليها ، فتبحث الشركة عن منتجات بديلة تخفف من حدة الضسارة . هذا بينما القطاع الخاص حر في تحديد سعر الشراء وسعر البيع .

وبالمثل ، فعندما يكون الإنتاج الرئيسي للشركة سببا في خسارتها ، بينما توجد إلى جوارها منتجات ثانوية مريحة تساهم في تقطيع الضسارة ، فلسوف نجد الشركة تبيعها أحيانا غريزيا للتوسع في إنتاج المنتجات الثانوية على حساب الناتج الرئيسي : سواء كان هو السكر أو الثلج أو الأقمشة الشعبية أو الحديد .

ومع مضي الزمن تتفاقم كل مشكلة قائمة . فالسكر مثلا يزيد استهلاكه بمعدل ٨ ٪ سنويا على الأقل . وإذا كان انتاجنا الحالي (٦٠ ألف طن) يعادل استهلاكنا الحالي (٥٦ ألف طن) فلا بد أن نشهد في السنوات القليلة المقبلة عجزا في الإنتاج عن الاستهلاك ، ونفكر لجنة الخطة والموازنة عما أنه لو كانت استكملت مصانع السكر كما وردت في الخطة الخمسية الثانية لكان يمكن إنتاج مليون طن من السكر في عام ١٩٧٠ ، وما يسمح بتصدير فائض تغطي حصيلته في عام واحد كل ما كان استثمر في خمس سنوات . وبالطبع فإن مثل هذا التوسع في الصناعة كان يقتضي توسعا مماثلا في زراعة قصب السكر .

وليس هذا كله بالجديد الذي نكتشفه اليوم . فمنذ خمس سنوات وبالتحديد في سبتمبر ١٩٦٨ كتبت (الطليعة) دراسة شاملة عن (التعبئة الاقتصادية) جاء فيها ما يلي بالحرف :

« يمكن القول بأن القطاع العام يعاني من ثلاث ظواهر خطيرة هي : الطاقات المملطة بدائله »

مباشرة . . وأصبح من المألوف أن تبدو صورة الاقتصاد القومي تملؤها الغترات . فبدلا من التطوير الزراعي للاقتصاد ، وتغلب أسلوب التطوير المعوي بكل ما يحمل من سلبيات . وإذا كان التطور المعوي للاقتصاد رأسمالي مسكوما في النهاية بقوانين السوق وفي مقدمتها قانون الربح ، فما الذي يمكن أن يحكم التطور المعوي لقطاع عام في بلد نام ؟ لا شيء اللهم إلا قرارات المديرين بالمعنى الواسع لكلمة المدير . وبدلا من أن يعني القطاع العام مركزية القرار والتوجيه بفضل التخطيط تفكك على العكس أوصل القطاع العام نفسه وتتفارب تصرفاته . إذ تنتشر وتتفاقم وتسد ظاهرة اندماج التنسيق بين وحدات ومؤسسات القطاع العام . فلا تنسيق بين شركات الإنتاج وشركات التجارة الخارجية ، لا تنسيق بين شركات الإنتاج وشركات التوزيع الداخلي . لا تنسيق بين شركات الإنتاج بعضها البعض . وبذلك نشهد ظاهرة عدم أحكام الصلة بين المنتج وبين من يستخدم منتجاته . ولا يعني هذا كله سوى عدم القدرة على استخدام الموارد المحدودة المتاحة للمجتمع الاستخدام الأمثل ، وهو ما يصل إلى حد تضبيب هذه الموارد وتبديدها . ومن ثم تغفل العلاقة الصورية بين مراحل تداول السلعة الواحدة من المستورد أو المنتج إلى المستهلك . فلا حماية للمشتري من البائع ، والأسعار التي تفرض على بعض الشركات لا تبقى لها هامشا للربح . لكن كل شركة ملزمة مع ذلك بأن تبيع تمييزا عن نجاحها . ومن ثم يحتسم سببا الأسعار ، ويتدخل الوسطاء من القطاع الخاص ليرفعوا بدورهم السعر على المستهلك الأخير . وفي مثل هذه الظروف يسهل على القطاع الخاص أن يهزم القطاع العام في ظل المنافسة في السوق . وتبدأ بعض شركات القطاع العام بطلب بأن تعامل معاملة القطاع الخاص الناجح ، من حيث الأسعار أو القايمة الاجتماعية . ويأخذ البنك حييصة بجدوى وجود القطاع العام نفسه .

وفي خيبة التخطيط المركزي للقطاع العام ، تشدد وطأة تأثيرات السوق الخارجية على الاقتصاد القومي . وبالأذات فإننا نستخدم بحقيقة خطيرة هي التأثير المستمر والمزايدي للسوق الرأسمالية العالية على اقتصادنا . ويمثل هذا التأثير بصفة خاصة في انعكاس التضخم الرأسمالي على سوقنا في صورة ارتفاع أسعار مستلزمات الإنتاج ومواد الاستهلاك المستوردة وارتفاع أسعار المنتجات المحلية بدورها . بدرجة أكبر نتيجة لارتفاع نسبية المستلزمات السلعية الأجنبية فيها . فإذا ما أزلت الحولة ارتفع من

استظهر الحقائق بوضوح صارخ عن العلاقة المريبة بين القطاع العام والقطاع الخاص ، والتي تنلخص من الجانبين في سياسة مهيمنة تتمثل بدقة في : «خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء تحقق أرباحها طائلة لقطاع من المحتكرين والسماسرة يدفع المستهلك العادي من أفراد الشعب جزءا منها ويدفع القطاع العام والحكومة الجزء الأعظم» .

ففي مجالات انتاج وتسويق السلع الرئيسية والضرورية مثل الحديد والنحاس والخشب والورق والإتاحة الشعبية تتدخل مجموعات من الوسطاء مهمتهم التوسط بين القطاع العام والقطاع الخاص ، أو بين القطاع العام والدولة ، أو بين القطاع العام والقطاع الخاص - سواء في صورة عمليات توزيع الضامات أو في صورة عمليات التوريدات والمعاملات . وفي كل حالة من حالات الوساطة يستغل الوسطاء حقيقة عدم احكام الصلة بين المنتج والمستهلك أو بين المنتج والموزع أو بين المستورد والموزع والمستهلك . ومن ثم يتدخلون للوساطة والتقريب بين الطرفين ، ويصبح كل المطلوب هو السيطرة على عملية التسويق - ولو حددت قنوات التوزيع وتضاعلت مرات تداول السلعة من وسط الى وسط ، وترتفع الاسعار في كل مرة بمقدار ربح كل وسط . ولكن الربح الكلي في النهاية مضمون نظرا لقيام القطاع العام بخلق احتكار معين لمجموعة محدودة من الوسطاء ، مستغلا واقع نقص السلعة في السوق . وكما يذكر التقرير فإنه نتيجة لذلك « خلقت طبقة من السماسرة والوسطاء لا يهملها الا الكسب بأي طريق » . وهي طبقة طفيلية تعيش حالة على المنتجين في كل من القطاع العام والقطاع الخاص .

ونقص السلعة في السوق أمر يمكن أن يحدث عمليا نتيجة لزيادة الطلب عن العرض ، ومن الممكن عندئذ أن يتصدى التخطيط المركزي لتنظيم هذا النقص عن طريق تراخيص تحكم استخدام السلطة وتتحكم في سعرها حتى لا يرتفع . لكننا في السوق نجد شتى الحوادث لافساد مفعول مثل هذا التخطيط المركزي بهدف نقل السلعة الى السوق السوداء .

فإذا كان الحديد المستخدم في الخرسانة المسلحة مثلا تلصقا في السوق ، فالسبب في ذلك في الواقع : ١ - أن كثيرا من المباني تقام دون تراخيص بناء . ٢ - أن شركات الحديد تخرس في انتاجه نتيجة لتسعيده للمستهلكين ، فحجم عن انتاجه بالقدر الكافي .

وضعف انتاجية العمل البشري ، وعدم كفاءة قياداته . وكل هذا يدفع الى أن يجري الانتاج بنسبة عالية من الضياع والتبديد للموارد الانتاجية المحدودة . وهو ما يتمكس فورا في صورة تشوه هيكل نفقات الانتاج وارتفاع اسعار السلع الصناعية ، سميا وراء ربح اداري مفعول لا ربما اقتصاديا طبيعيا - مما يسمح بالتشكيك من ثم في كفاءة التصنيع وجدوى القطاع العام أصلا . وفي هذه الظروف لابد أن نلاحظ حالة من التضخم المكبوت حالت دون انفجار آثاره الفالاحية ظاهرتان خطيرتان هما : البطالة الكامنة التي تحول دون ارتفاع الاجور ، ورقابة الدولة على الاسعار . ولهذا فإن أي دعوة في الحل لفتح اقتصادنا وتحرير الاسعار هي دعوة بالغة الخطورة على الاقتصاد القومي .

ثالثا - أن القطاع العام محمل بعد ذلك كله باعباء اضافية طارئة ناجمة عن الهزيمة العسكرية وما تلاها من جهود هائلة للصدوم . بالطبع لسننا نذكر هنا الأنشطة التي توقفت أو انخفضت نتيجة للحرب واحتلال الارض ، ولا الاستثمارات التي كان يجب أن تخصص للتنمية لكنها وجهت لأغراض الدفاع . وإنما نذكر فحصب النتائج الملموسة على نشاط الشركات التي تحولت بصفة عامة باعباء الطوارئ بلا تمويش وباعباء الجيش الشعبي ، وبمخاطر عدم توفر مستلزمات انتاجها أو تسخير منتجاتها لصالح الدفاع . ولقد لامت الشركات جميعا تأثير الحرب على الاستثمارات التي خفضت ، وبخاصة ما يلزم منها للإحلال والتجديد ، وهذا كله مرتبط بالعبء الثقيل الواقع على كل من الواردات والصادرات نتيجة للمعدون المستمر حتى الآن .

القطاع العام والقطاع الخاص

ولو كان القطاع العام بحيث يعمل وحده في اقتصادنا القومي لأمكن بسهولة محاصرة الجوانب السلبية للقطاع العام . لكن هذا القطاع العام يعمل بجانبه قطاع خاص ينفرد تقريبا بقطاع الزراعة ويبتل ٢٥ في المائة من قطاع الصناعة ويسيطر على أكثر من ٧٥ في المائة من قطاع التجارة الداخلية . وهذا القطاع الخاص متعبر من اللوائح والقيود التي تنظم عمل القطاع العام من هنا تبدو خطورة الاوضاع الراعنة داخل القطاع العام ، هذه الاوضاع التي تهدد اليوم بتحويله من قطاع قائد للقطاع الخاص الى قطاع تابع للقطاع الخاص . وهنا يكشف تقرير لجنة

إن السوق السوداء تقوم الآن على الشعور العام بنقص السلعة ، سواء كان نقصها حقيقيا أو مفتعلا . وفي كلتا الحالتين يحدث سوء التوزيع عن عمد : يحدث في الأولى لمضاعفة الشعور بالنقص ، بينما يحدث في الثانية لافتعال نقص أفتعلا . وبالفعل فإن افتعال الأزمات في الخبائث الرئيسية والسلع الضرورية يتم ببراعة فائقة بحيث أن بعض الإدارات الحكومية والقطاع العام تستخدم عادة كأدوات يتم تحريكها فوق رقعة السوق السوداء . إن الإفساد الذي تمارسه مجموعة الوسطاء والسماسرة - المسلحة بثروات ضخمة متكسبة وأرباح طائلة متجددة - يهدون من الوسائل ما يجعلهم يملكونه بالقطاع العام نفسه . وفي الواقع فإن القلة الفاسدة داخل القطاع العام تستطيع بالفعل - من خلال لجان البيت والإدارات التجارية - أن تسخر إمكانيات القطاع العام ونظمه لخدمة مجموعة من الوسطاء والسماسرة ، مما يشكل في الحقيقة عملية تصفية سرية للقطاع العام ، وهذه أمثلة لها :

١ - عندما لا يجد القطاع العام مستلزمات الإنتاج ، ويتمثل بالثاني مفاوضات إنتاجية هائلة ، بينما يجد القطاع الخاص مستلزمات الإنتاج ولو بسعر مرتفع .

٢ - عندما تضع الدولة نظاما لتسعير المنتجات والسلع لمصلحة المستهلك ، فيصبح التسعير مبررا لخفض الإنتاج والسماح بالقتل بإنتاج بديل أو ثانوي يتولاها القطاع العام والقطاع الخاص ، لكنه غير مسعر .

٣ - عندما يتم نقل النشاط سرا من القطاع العام إلى القطاع الخاص ، وذلك بسرقة التوكيلات المتاحة للقطاع العام أو ترسيب الخامات التي ينتجها أو يستوردها أو المغالاة في تسعير منتجات القطاع العام أو المشاء إمراره إلى القطاع الخاص .

وتغل التجارة الخارجية هي القناة الربحية التي تتسع لمرو أكبر العمولات ، الأمر الذي يقترن عملا بالإضرار الشائع على التعامل مع الدول الرأسمالية . ويذكر تقرير الرقابة الإدارية عن التلاعب في التيسقات الخارجية أن « غالبية الصفقات التي تتم بين الوحدات الاقتصادية أو القطاع الحكومي وبين الموردين أو المستوردين الأجانب تخص في بعضها عمولات يتقاضاها المتفاوضون الذين يتكلمهم الجولة بانجاز مذبذ الصفقات » كما يتردد أن بعض المتفاوضين

لكن إذا كان هذا الحديد النادر موجودا مع ذلك في السوق السوداء ، فالسبب في ذلك : ١ - أن شركات الحديد تفضل أن تنتج منتجات غير مسعرة لتربح منها ، تجعلها في صورة حديد غير كامل التصنيع ، أو تالف تبينه بدورها لمصانع القطاع الخاص التي تقوم من ثم بسمجه وببعض كمديد تسليح بأسعار فائضة في سوقها السوداء . ٢ - وأن ما يصرف من حديد تسليح في صورة تراخيص رسمية لعمليات المقاولات يتجاوز في معظم الأحيان ما تحتاجه هذه العمليات في حقيقة أمرها . ومن ثم يتسرب الزائد إلى السوق السوداء .

وهكذا تخلق السوق السوداء بنفس الكمية الموجودة أصلا في السوق البيضاء . يكفي أن تنتقل السلعة من القطاع العام إلى الوسيط ، لتنتقل من السوق البيضاء إلى السوق السوداء .

وهذه السوق السوداء سوق خاصة ، يوشع فيها القطاع العام في خدمة القطاع الخاص ، أعني في خدمة مجموعة من الطفيليين من سماسرة ووسطاء - وذلك من خلال قنوات لا تنقصها المشروعية مثل :

١ - أن تباع شركات الحديد ما لديها من خردة للقطاع الخاص بطريقة المباشرة ، وأن تفصل الشركات المستوردة للخردة نفس الشيء تحت اسم مبادلة الخردة المستوردة بخردة محلية .

٢ - أن تربط شركات إنتاج الحديد بيع الحديد للقطاع الخاص بتوريد الخردة منه بحصة تشجيع مورد الخردة .

ويتم هذا بالنسبة لسلعة ناقصة فعلا مثل حديد التسليح . فالسوق السوداء هنا تقسم في حصة ندرة السلعة . لكن كيف نقصر وجود السوق السوداء في سلعة متوفرة بالفعل ؟ هنا تخلق السوق السوداء بفعل النقص المفتعل نتيجة سوء التوزيع الذي يفشل عمدا في أغلب الأحوال . فالحدود اللازمة للانشاءات المعدنية كلف بحاجة البلاد . ومع ذلك فإنه يتسرب للسوق السوداء ، لأن ما يصرف لعمليات المقاولات أكبر مما تحتاجه فعلا ، ولأن بعض الزرش ذات الخصص موجودة على الورق فقط . والادعى من كل ذلك أن أغلب أصناف هذا الحديد لا يستعملها في النهاية إلا الحكومة والقطاع العام - إذ تعود إليهما في توريدات أو مقاولات لكن بإسهملي السوق السوداء .

الادارات الحكومية وأجهزة الدولة وتبادلات الشركات قبل التأميم وتحولت لمشركة بعض العاملين في الادارة الى مناسية انتخابية هامة وحسب. وفي النهاية لم يقدم القطاع العام نموذجا جديدا لاسلوب الانتاج يكون هو النقيض والبديل لاسلوب الانتاج الرأسمالي. ويضاف من هذا الوضع اننا بلد يسوده اسلوب الانتاج الصغير وتنتشر فيه بورجوازية صغيرة شديدة التطلع والقلق .

وبالطبع فإن القطاع العام لا يعيش في فراغ منعزلا عن الحياة في مصر . ولهذا تتأكد اليوم أكثر من ذي قبل أهمية توفير الظروف الخارجية التي تسمح بنجاح القطاع العام . ويتأتى في مقدمتها :

أولا - التأكيد على أهمية ودور التنمية المخططة :

نظرا لأن الخطة هي التنظيم السليم لقطاع اقتصادي مملوك ملكية عامة والا خضع لقوانين السوق للرأسمالية ، فإنا لن نعمل من الانحياز على ضرورة القيام بتنمية مخططة ذات استراتيجية طويلة الابد تتضمن الاعداد الاقتصادية والاجتماعية المدونة وتنفذ طبقا لخطة عشرية أو خمسية ويمرض مشروعها على المؤتمر القومي للاقتصاد الاشتراكي لاقراءه ، ويصدر بعد موافقة مجلس الشعب بقرار من رئيس الجمهورية ويقدم عنها وزير التخطيط الى رئيس الجمهورية تقارير دورية لتلبية التنفيذ وتقارير سنوية ، وتبلغ التقارير جميعا الى مجلس الشعب بعد اعتمادها من رئيس الجمهورية .»

مثل هذه التنمية المخططة التي تتخذ صورة الخطة ، ثم مرة في نهاية كل سنة مالية للتصديق وإقرارها يجب أن تستهدف ما يلي :

- أ - مضاعفة الدخل القومي كل عشر سنوات على الأكثر .
- ب - دعم التحولات الاجتماعية وحماية المكاسب التي تحققت للعاملين .
- ج - تعزيز مكانة القطاع العام بوصفه قائدا للاقتصاد القومي .

يلجأون الى رفع سعر الواردات موضوع التفاوض بغية زيادة حجم المبيعات المستحقة لهم . كما يلجأ بعض المتفاوضين الى اتمام التماققات عن طريق الوسيط أو وكلاء الموردين الذين يحصلون على عمولات عن تلك الصفقات ، الأمر الذي يؤدي الى رفع سعر المواد . ثم يتقاسم الوسيط العمولة مع المتفاوضين باسم الدولة . ولقد وصلت للعمولة أحيانا في صفقات مينة الى ١٨ في المائة من حجم التماقذ . وكل هذا لا يلبث أن ينعكس على أسعار القطاع العام وأسعار السوق الداخلية ، وينظم الجميع الى صفوف الحملة على القطاع العام .

هكذا يتم بالفعل استنزاف القطاع العام واقتصاص الفائض الذي يتولعه الشعب منه . وينحدر معدل الفائض المحقق الى ٢٤ في المائة من رأس المال المستثمر . وتحقق الشركات خسائر كبيرة ، تخفيها أو تكشفها على حسب مصلحتها الخاصة . ومن ثم تصل الحملة على القطاع العام الى غايتها عندما تملن الدعوة لتصفية القطاع العام من خلال التنظيم السياسي تشد أزد رتابة تحت التصفية في صورة بيع القطاع العام في السوق أو في صورة الاندماج والتصفية القانونية . ويتفكك القطاع العام الى وحدات متفرقة تصارع كل منها على حدة من أجل البقاء بغض النظر عن الوسيلة .

مصير القطاع العام

لهذا يتساءل الشعب عن مصير هذا القطاع العام :

ومنذ خمس سنوات إبرزت الحراسة القسرية وضعتها (الطليعة) عن (التنمية الاقتصادية) ما يتعرض له القطاع العام من مخاطر قاتلة :

« على الرغم من أن الأساس المادي للقطاع العام هو الملكية العامة لمجموع الشعب ، وعلى الرغم من وضع مبدأ مشاركة العاملين في الادارة وفي ثمار الانتاج ، مما كان يصلح أساسا لظهور ونمو علاقات انتاج جديدة داخل هذا القطاع تتقود بالضرورة الى الاشتراكية نجد أن شيئا من القصور أصاب هذا الأساس . فتم التأكيد على ملكية الدولة ، وتم اختيار القيادات في القطاع العام من بين

الاشتراكية على أن النجاح مضمون كلما كانت التنظيمات السياسية (الحزب) هناك مشغولة بصفة دائمة وبطريقة محددة بمشاكل زيادة الانتاجية ، فلا يكفي اليوم أن يكون المدير اخصائيا كفواً أو رجل ادارة صالحا ، وانما المسألة الجوهرية هي أن تكون ادارة الانتاج ادارة سياسية ، ادارة تسمى أهداف المجتمع وتقتصر لها وتحشد كل قواها من أجل تحقيقها . ولذلك لا يكفي أن تقتصر تنظيمات الحزب هناك على كشف وتسجيل النواقص في الاقتصاد القومي ، من غير أن تفعل هي نفسها كل ما هو ضروري من أجل تصحيحها . بل أن تجتهد الحزب هناك تستطيع أن تقدم تصورا طويلا المدى لعدد من الاجراءات السياسية والتنظيمية والفنية تكفل حل أهم مشاكل تنمية الانتاج على مستوى المدينة أو القسم أو الحي أو الوحدة الاقتصادية .

ومن الطبيعي أن رقابة الجماهير على القطاع العام من خلال التنظيم السياسي تشد أزر رقابة العاملين فيه أنفسهم وتمرّز امكانيات ديمقراطية الانتاج كجزء لا يتجزأ من عملية احشاء الديمقراطية على جهاز الدولة والقطاع العام . وعلى سبيل المثال فإن انمقاد جمعية عمومية لكل مصنع ولكل شركة مرة كل ثلاثة شهور لمراقبة تنفيذ الخطة ، ثم مرة في نهاية كل سنة مالية للتصديق على الحساب الختامي للميزانية وحساب الخسائر والارباح ولانتخاب ممثلين العاملين في مجال الادارة - هو امر حيوي في تجسيد المصلحة المشتركة لمجموع العاملين في استمرار ونجاح القطاع العام .

أن القطاع العام يجب أن يساند بوضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (أقر مجلس الشعب في دورته الأخيرة قانون اصدار الخطة) ومن ثم ضمن نطلق الي أن تطرح الخطة حتى تساعد التنظيم السياسي ومجموع العاملين على أن يشاركون مشاركة فعالة في تحقيق الرقابة عليه .

3 - مواصلة التنمية الشاملة للاقتصاد والتأكيد على دور الصناعة في زيادة الدخل القومي والاعتماد على التصنيع الثقيل .

هـ - اتباع سياسة صليمة لتشجيع الرأسمالية الوطنية المرتبطة بالتنمية المخططة .

و - إعادة تنظيم الانتاج الصغير والحرقي عن طريق التعاون لا فادته من حيايا الانتاج الكبير .

ز - تصفية الأنشطة الرأسمالية الطفيلية .

ولقد آن الاوان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة في الوقت نفسه برفع كفاءة التخطيط واساليبه واجهزته . وفيما يلي أمثلة لذلك : الربط المناسب بين التخطيط والرقابة غير المباشرة عن طريق السوق - التنسيق بين الاستثمارات الرأسمالية وبين تخصيص استخدام الموارد الذاتية - احكام طرق محاسبة التكاليف ومخصصات الاستهلاك وحساب الربح - انشاء بنك استثمار لممارسة الرقابة على تنفيذ الاستثمارات .

ثانيا - التأكيد على أهمية ودور العمل السياسي :

فنظرا لان السياسة هي الاشتغال العام بمصالح الناس ، ونظرا لان مصالح الناس هي في الأساس مصالح اقتصادية ، فإن الاقتصاد هو صميم السياسة . أن الانتاج عمل سياسي ، والتوزيع عمل سياسي ، والاستهلاك عمل سياسي . ولذلك فإن القطاع العام يجب أن يكون محور العمل السياسي كله .

أن ادارة القطاع العام لا يمكن أن تكون ادارة رأسمالية بل ادارة اشتراكية بمحجرين اشتراكيين . ولقد قلت التجربية في البلاد

دور الإستثمارات الامبريالية في تهديد عروبة الخليج

حزبي محمد

المحرر بجريدة الثورة العراقية

جلبت ، فيما بعد ، الثراء والأموال الطائلة
للمستعمرين ، والخراب والظفر والمرص لشعبنا
العربي هناك .

تاريخ السيطرة الاستعمارية

لقد ظلت هذه المنطقة منذ التحرير العربي التام
لها خارج نطاق السيطرة الاستعمارية حتى مطلع
القرن السادس عشر الذي شهد أولى البوادر
الاستعمارية الغربية على يد البرتغاليين ضد
غزوهم البحرين عام ١٥١٤ م ، ثم بدأ الصراع بين
الدول الاستعمارية الكبرى للسيطرة على المنطقة ،
وهي البرتغال وهولندا وفرنسا وإنجلترا وروسيا
القيصرية . وكان قيام شركة الهند الشرقية
البريطانية المؤسسة عام ١٦٠٠ في الهند ، بفتح
فرع لها في منطقة الخليج العربي بداية التغلغل
الاقتصادي الاستعماري البريطاني ، مهما يكن من

منطقة الخليج العربي محور
الصراع الدولي في الشرق الاوسط
سياسياً واقتصادياً ، وقد تنازعت
القوى الدولية العظمى السيطرة

تعتبر

عليها منذ القدم ، وتمتاز هذه المنطقة في عصرنا
الحالي ، بمركزها الاستراتيجي الهام ، وموقعها
المسكري المزاييد الامة ، وموانئها البحرية
والجوية المؤدية الى أرجاء العالم ، وثروتها
النفطية الهائلة ومضرونها الاحتياطي الكبير فيها .

ولقد تعرضت هذه المنطقة العربية الى غزو
العديد من الدول الاستعمارية ، فكان المكتشفون
البرتغاليون في القرن السادس عشر ، والشركات
التجارية البريطانية والفرنسية والهولندية الممثلة
للاستعمار الأوروبي الغربي في القرنين السابع عشر
والثامن عشر ، وثرايد نفوذ الاساطيل الروسية
والفرنسية والبريطانية خلال القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر ، وسعت هذه الدول الاستعمارية
الى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية التي

امتيازات واستثمارات

في مثل هذه الظروف استطاعت شركات النفط الاحتكارية المالية والبريطانية بوجه خاص ان تنتزع اتفاقات امتيازية لاستغلال الثروة النفطية ، فتم لها السيطرة على النفط العراقي بامتيازات ١٩٢٥ و ١٩٢٧ و ١٩٢٨ (امتت شركة نفط العراق عام ١٩٧٢ واستمديت شركة نفط الموصل واصبحت ملكا للعراق في الاول من اذار ١٩٧٣) وعلى نفط البحرين عام ١٩٢٥ وعلى نفط مسقط وعمان عام ١٩٣٠ ونفط السعودية وأبو ظبي عام ١٩٣٣ والنفط الكويتي عام ١٩٣٤ ونفط قطر عام ١٩٣٨ ونفط الاراضي المحايدة بين الكويت والسعودية عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وعلى المناطق البحرية عام ١٩٥٢ ، واليوم تسيطر على الثروة النفطية في الخليج العربي (٣٢) شركة نفطية احتكارية مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالكارتل النفطي العالمي ٥٠ هذا وقد بلغت الرساميل الامريكية المستثمرة في نفط الخليج ٥٠٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٠ أما البريطانية فتقدر بـ ٢٠٠٠ مليون دولار لنفس السنة .

وخضعت الاتفاقيات الامتيازية النفطية لاعتبارات السياسة الاستعمارية الدولية وليس لاعتبارات سيادة البلدان واستقلالها و ارادة الجماهير ، وهكذا نشأت قطاعات نفط اجنبية داخل ابرار الخليج العربي معزولة تماما عن الاقتصاد الوطني ، وقد لاحظ ذلك تقرير الامم المتحدة الصادر حول امتيازات النفط الذي جاء فيه :

« تمنح بنود هذه الامتيازات للشركات الاجنبية حرية العمل ، وتجعلها منعزلة تماما عن اقتصاد دول الشرق الاوسط ، فكميات الانتاج تحددها الشركات بموجب اعتبارات عالمية لا بموجب الظروف المحلية . وبالإضافة الى ذلك فان الشركات نفسها هي التي تقدم وتمتلك وسائل النقل ، سواء كانت خطوط انابيب أو ناقلات ، من اجل نقل بترول الشرق الاوسط الى اسواقه ، وهذه الشركات هي التي تسيطر على هذه الاسواق ، سواء في غربي أوروبا أو في الاماكن الاخرى من العالم ، وتعود العجلات الصعبة الناتجة عن عمليات بيع البترول الى تلك الشركات التي تحتفظ

أمر قان الاستعمار البريطاني ، مختلفاً وراء شركة الهند الشرقية المؤسسة عام ١٦٠٠ ، أخذ يهدد للسيطرة على هذه البلاد في القرن السابع عشر ، وتحسن مواطىء أقدامه - ويخطط لأهدافه العدوانية في خبث ودهاء ووفق منهجه التقليدي « فرق تسد » ٥٥ وكان أساس الحكم في عمان هو اختيار الامام الصالح ، وقد ظلت الامامة قائمة على هذا الاساس منذ النصف الاول من القرن الهجري الثاني ، أو القرن الثامن الميلادي حين ظهر الاباضيون أصحاب المذهب الديني الاسلامي المتشدد ٥ ولم يكن لديهم من يأس أن يخلو مقعد الامامة حين لا يوجد الرجل الصالح ٥ لكنه في القرن السابع عشر ، ومن بعد تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية ، أخذت مظاهر الضعف والتفكك في الوحدة الوطنية العمانية تبدو ، وتيسر المداخل الاستعمارية البريطانية ٥٥ » (١) .

سياسة « التجزئة »

كان المخططون الاستعماريون يفكرون دوماً في أحكام السيطرة الاحتكارية على هذه المنطقة الغنية والجمية ، لذلك كانت إحدى الوسائل التي اتبعتها بريطانيا الاستعمارية للاستمرار في نهب خيرات مستعمراتها التي احتلتها بالقوة ، سياسة « التجزئة » ، فقد قسمت ساحل عمان « الذي أطلقت عليه اسم ساحل القراصنة » الذي لم يكن يتجاوز عدد سكانه بضعة آلاف الى امارات صغيرة ، ونصبت على كل امارة شيخ قبيلة ليحكمها ، واستغلت الخلافات القبلية والمعارضة ففزتها ضمن تكتيك « فرق تسد » الاستعماري ، وخلقت السلطات البريطانية خلافات جديدة لم تكن موجودة من قبل ، وهي « خلافات الحدود » يصد أقامة الكيانات السياسية الهزيلة ، وبذلك استطاعت بريطانيا احكام قبضتها على هذه المنطقة الاستراتيجية وتعزيز جودها ، ولقد اتبعت أيضا أسلوب فرض المعاهدات والاتفاقيات العسكرية وغيرها ٥ وكانت معاهدة اذار ١٨٩٣ المفروضة على شيخ ساحل عمان ، والتي عرفت ، بعد ذلك ، بالمعاهدة المانعة ، غريبة في بنودها وشروطها التي كتلت لبريطانيا كل الحقوق في التصرف بهذه الامارات ، وفي عام ١٨٩٩ فرضت اتفاقية مماثلة على الكويت ، وبذلك اكملت حلقة « مستعمراتها » في الخليج العربي ، الذي تحول الى « بحيرة انجليزية » تدر ارباحها استعمارية على الامبراطورية البريطانية الاستعمارية ٥

(١) الدكتور سيد توفيق ، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي ، القاهرة ٢٥٢ *
(٢) مجلة دراسات عربية العدد ٤٥ ص ١٦٧ (حقيقة النفط العربي الدكتور عاطف سليمان) *

بنصيب كبير منها * وعلى ذلك فإن تأثير العمليات البترولية على الدول المنتجة في الشرق الأوسط هو ، إلى حد بعيد ، تأثير غير مباشر ، والمنافع التي تجنيها تلك الدول محدودة * »

مدينة الموصل

بها جيشها في الكرت والسمارة في العراق ، وأرادت اغراء فرنسا لبذل مجهود كبير وأوسع في الشرق الأدنى ، فوعدها بمنطقة واسعة منه ، ولكن هذا الامل لم يتحقق بسبب تعرج الموقف الفرنسي في الميدان الأوربي ، والحاجة التي تركزت جهود فرنسا فيه ، وبهذا وقع عليه الحرب في الميدان الآسيوي على عاتق انجلترا التي أدركت بعد أن لاحت طلائع « الانتصار » أن استبقاء الموصل في منطقة انتدابها أمر لا يذمعه (٢) .

وكانت انجلترا الاستعمارية قد استغلت قضية الموصل لفرض اتفاقياتها الجائرة المجهقة بحق شعبنا وخصوصا امتيازات النفط ، لقد أقر مجلس الوزراء العراقي في ١٢ ايار ١٩٢٣ مايلي :

أولاً : أن الحكومة العراقية لا تعترف بالامتياز الذي تدعيه شركة النفط التركية * .

ثانياً : تفوض الحكومة العراقية الى ساسون افندي (وزير المالية آنذاك) المفاوضة أثناء بقاءه في لندن ، ومع الشركات المقدمة لطلب امتياز النفط في العراق * .

وكان هذا الموقف يهدد مصالح بريطانيا من الأساس ، ويشجع الشركات الامريكية في موقفها من عدم الاعتراف شرعية امتياز شركة النفط التركية لعام ١٩١٤ * .

وبلغ ضغط الحكومة البريطانية ذروته عندما وصلت مدينة الموصل لجنة التحقيق الخاصة بعمية الامم في يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ ، وشرعت باستجواب الاهلين حول مستقبل ولاية الموصل ، واخذت اللجنة المذكورة توجه الاسئلة الى المحمد الساسي البريطاني حول الموضوع ، وتدخل في شئون البلاد الداخلية بشكل سافر ، ولم تكف بريطانيا بهذا التهديد بالانقطاع « ولاية » الموصل وسلطانها عن العراق في حالة رفضه تصديق امتياز النفط ، بل ذهبت الى رفض تصديق القانون الاساسي العراقي الذي سبق ان صادق عليه المجلس التأميني العراقي في ١٠ تموز ١٩٢٤ ، الا ان السلطات البريطانية وافقت على تصديقه بعد ثلاثة ايام من تصديق اتفاقية البترول وفي مثل هذا الجو المشحون بالقلق وقعت اتفاقية النفط العراقية البريطانية ٣ .

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الظاهرة الاقتصادية الخطيرة أن تحصل الشركات الاحتكارية على سلاح قوى تعارب به تطلعات شعبنا في منطقة الخليج العربي للتخلص من رقة الاختيار والاستغلال اليشمين ، وتاريخ المنطقة الحديث ملء بالشواهد الصارخة على سلوك الشركات الاحتكارية الرأسمالية التي تسعى صرعية الخليج وتجزئة المنطقة وتفتيتها وزرع اجناس اجنبية فيها * فالضغط الذي مارسته الدول الاستعمارية - جامعية شركات النفط الاحتكارية - بعد الحرب العالمية الاولى لفصل مدينة « الموصل » عن العراق أحد الشواهد التاريخية على ذلك * ونجد في المذكرات المتبادلة بين فرنسا وانجلترا في لندن عام ١٩١٩ حول الاتفاق على فصل مدينة الموصل مايلي :

أولاً ، تحتفظ فرنسا بالجزء الأكبر من سوريا ، وجانب كبير من جنوبي الاناضول ومنطقة الموصل في العراق * .

ثانياً : يتكون نصيب انجلترا من مساحة تمتد من أقصى جنوبي سوريا ثم الى العراق حيث تنتشر على شكل مروحة لتشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا ويشمل النصيب كذلك ثغرى حيفا وعكا * .

ثالثاً : وهناك جزء آخر يشمل جانباً من فلسطين احتفظ به لاقامة نظام دولي خاص به * .

وفي هذا الاتفاق أمر يستولف النظر وتقصده به ادخال الموصل - المنطقة النفطية - في « دائرة النفوذ الفرنسي في الوقت الذي كانت بريطانيا تسعى الى حكر المنطقة العربية كلها بين يديها * . ولعل تحليل ذلك أن بريطانيا بعد الهزيمة التي متى

تغذية الخلافات الإقليمية

كانت قضية « الموصل » نموذجاً صارخاً على السلوك الاحتكاري الذي انتهجته شركات النفط الاحتكارية ضد الأمة العربية وفي منطقة الخليج العربي ، بونتيجة لسياسة « التجزئة » الاستعمارية وإقامة الحدود المصطنعة في الوطن العربي برزت الى الوجود مشكلات عديدة بين العراق والكويت والسعودية وأبو ظبي والبحرين .. الخ . كان هدفها تغذية النزعة الاقليمية وتحريكها في الظروف التي تفتقارها الدول الاستعمارية لحماية مصالحها . وفي كثير من الاحيان كانت المشكلات التي تنفلق بين امارتين ، مثلاً ، هي في الحقيقة مشكلات مصالح الدول الاستعمارية المتنافسة . لقد حدث صدام مسلح أكثر من مرة على الحدود بين السعودية وأبو ظبي بسبب التنارع على واحة البريمي الغنية بالنفط .. وذهب ضحية الصدام العديد من العرب بينما كانت المشكلة في الواقع نتيجة التنافس بين شركات نفطية امريكية تستغل نفط السعودية وشركات نفطية بريطانية تستغل نفط أبو ظبي

تفريس الخليج العربي

ولم تكف الشركات الاحتكارية بتفريث وحدة منطقة الخليج العربي الى كيانات متعددة وخلق المشكلات الدائمة فيما بينها ، فحسب ، بل سمت الى « مسح » عروبة الخليج .. ودفعت عشرات الالاف من البشر على اختلاف جنسياتهم وعسلى الاخص الايرانيين الى الهجرة الى هذه المنطقة والاستيطان فيها

فالاستعمار الاجلوامريكي يقدم لإيران كل أشكال العون والمساعدات العسكرية والمالية والاقتصادية والسياسية ، بالحقيقة ، التي ينبغي ان توجهها الانظمة العربية في المنطقة الى أن هدف لغزو البشرى في الخليج المسمى لا يختلف عن هدف غزو مئات الالوف من يهود العالم الى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، فالخطفان الاستعماريان يسميان الى تفريث وحدة التراب العربي ، وتكوين نقاط وتؤوب على بقية الوطن العربي .

من الواضح ان إيران تعتمد الى انتهاج شتى السبل بهدف استيطان الايرانيين في المنطقة .

فيدخل عند تجيز مئ الايرانيين بجوازات سفر مزورة ، فضلاً عن افواج المتسللين الايرانيين المتدفقة يومياً على امتداد الشاطئ العربي للخليج ، ومع ذلك لا يشكل عدد الايرانيين المتجنسين بجنسية دول وامارات الخليج العربي الا نسبة ضئيلة بالقيااس لعدد الايرانيين المتسللين او الذين يحصلون جوازات سفر مزورة . وباستثناء الكويت يشكل الايرانيون حوالي نصف سكان الخليج العربي ، وللدقة حوالي نصف مليون ايراني مقابل ٦٠٠ ألف عربي في الخليج . وتزداد خطورة هذه النسبة اذا عرفنا ان حوالي ٩٠ في المائة من المتسللين الايرانيين يظلون سنوات عديدة دون عائلاتهم التي تركوها وراءهم في إيران ، ويوصلنا هذا الى حقيقة خطيرة ، هي ان هؤلاء المتسللين معهم الا طليعة متقدمة لعدد كبير من المتسللين هم عائلاتهم وأقاربهم .

تسلل غريب

وتبين الاحصاءات الرسمية ضخامة التسلل الايراني الى منطقة الخليج العربي رغم قناعتنا بأن هذه الاحصاءات لا تعكس كل الواقع المر ٠٠ ففي احصاء امسدرته وزارة الميسل والشسئون الاجتماعية في الكويت عام ١٩٦٣ جاء ان عدد الايرانيين يزيد هن ٣٠ ألف نسمة وقسدر نفس الاحصاء ان هذا العدد قد زاد عام ١٩٦٣ بنسبة ٩٣ في المائة عما كان عليه الحال في عام ١٩٦٢ . ويبلغ عدد الايرانيين الان أكثر من مائسة ألف شخص ٠٠ وهم في تزايد مستمر ، وفي البحرين يشكلون أكثر من ٥٠ في المائة . اما في امارة دبي فتبلغ نسبة الايرانيين الى مجموع السكان حوالي الثلثين وفي امارة أبو ظبي أكثر من الثلث . وتشير نشرات الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الى انه في عام ١٩٦٣ بلغ عدد الايرانيين في قطر ٤٦ الفا و ٥٠٦ نسمة منهم ٤٧٧٨ يحملون جوازات سفر ايرانية و ١٥ الفا و ٧٦٧ ايرانياً بخسراً بجوازات سفر عربية مزورة ، ولذلك فان نسبة الايرانيين تشكل ٩٦ في المائة من مجموع السكان الذين لا يتجاوزون ٧٠ ألف نسمة . وتساعد القوانين والقرارات والاجراءات التي تتبعها دوائر الهجرة والجوازات في دول وامارات الخليج العربي وخاصة في قطر ، على تسهيل تسلل الايرانيين .

الانضمام الى الاطلس العربية وإتهم عرباً ؟؟
 وكان القصد من هذا الاستفتاء تثبيت كـ "قاعدة" تستخدم في الظروف المناسبة عندما تخرج خطة جعل الإيرانيين أغلبية في إحدى مناطق الخليج وفقاً لخطة القزويني المنظم ، إضافة الى استخدام القوة والاحتلال العسكري للأراضي العربية .

وإزاء هذا الخطر الذي يهدد عروبة الخليج والسكان العرب بتشريدهم وتحويلهم الى لاجئين ، لا بد من اعتبار قضية الخليج العربي الوجه الآخر لقضية فلسطين . فالأخطار التي تهدد الوطن العربي واحدة ، وهي التآمر على وحدة الوطن وثقافته وتكريس تجزئته لكي تسهل السيطرة عليه وبالتالي نهب خيراته وثرواته وفي مقدمتها النفط . وبالتالي فإن مسغولية التصدي لهذا المخطط الإمبريالي - الصهيوني - الرعوي تقع على عاتق القسوى الوطنية والقومية التقدمية العربية كافة والدول العربية المتحدة ، ومن المؤكد أن هناك إجراءات يمكن بواسطتها الحد من خطن تزايد الهجمة الإيرانية بمنعها وفتح الابواب على مصراعها أمام الهجرة العربية وخصوصاً من الدول الكثيفة السكان كمصر ولبنان والجزائر الخ . للوصول الى موازنة ، على الأقل ، في عدد السكان القاطنين في الامارات . ويتطلب الامر تشريع عدد من القوانين التي تمدد وتقيّد دخول الاجانب الى المنطقة ووضع عقوبات صارمة تصل الى حد الموت على كل متسلل .

ومن هنا تتضح خطورة الاستيطان البشري الإيراني ، والسنوات الاخيرة مليئة بالاحداث التي تؤكد الاهداف العدوانية التوسعية . وكان احتلال الجزر العربية الثلاث أحد الأدلة الواضحة الملموسة للمشروع التوسعي الإيراني .

ما تقدم يتضح لنا بجله أن الدول الإستعمارية استثمرت ومازالت المصالح الإيرانية في الخليج العربي لغرض تحقيق أهدافها الاحتكارية ، لذلك يستهدف التخطيط الإمبريالي الاجنبي بالتعاون مع الرجعية الإيرانية تثبيت الاستيطان البشري الاجنبي وخصوصاً الإيراني لتحقيق الأغراض التالية :

أولاً : محاربة حركة الثورة العربية بكل الأساليب الإستعمارية الرجعية ، ومنها التصدي للمواطنين العرب عند التعبير عن مشاعرهم في مناسبات وطنية أو قومية .

ثانياً : تحقيق الحلم الإمبراطوري الإيراني القديم بأخضاع المنطقة العربية تحت سيطرته ، لقد ظلت ايران تطالب بالبحرين على أنها جزء من أراضيها رغم الحقائق التي تثبت عروبتها الى أن أجرت الامم المتحدة بالاتفاق مع بريطانيا وايران استفتاء تحت اشراف أحد مبعوثيها وخرجت الامم المتحدة بالنتيجة وهي أن سكان البحرين يريدون

مشاكل الحركة العمالية

في بنجلاديش

أنيل موخارجي *

المليون من عدد السكان البالغ حوالي ٧٥ مليوناً . وفي الحقيقة فإن بلادنا متخلفة تخلفاً واضحاً بالنسبة للصناعات ، ليس فيها ما يمكن أن نسميه صناعة أساسية أو صناعة ثقيلة ، والصناعات الرئيسية فيها هي صناعات الجوت والنسيج ، فحوالي ١٢٥ ألف عامل يعملون في صناعة الجوت ، وحوالي ٦٠ ألفاً في صناعة النسيج ، وثمة صناعات أخرى يعمل بها عدد كبير من العمال بينها صناعات السكر والكبريت والوبرك والمجائر ٥٠ ألف ، وهناك أيضاً حوالي ٢٥ ألف عامل يعملون في صناعات درفلة الحديد وتشكيله ، ومن بينهم أيضاً عمال السكك الحديدية ، أما مصنع الصلب في شيتاجونج فهو في الحقيقة مصنع لدرفلة الصلب فقط ولا تتجاوز قدرته الانتاجية ١٠٠ ألف طن ويستخدم ٢٥٠٠ عامل .

وهناك ، بطبيعة الحال ، عمال آخرون الى جانب عمال الصناعة : فمزارع الشاي تستخدم حوالي ١٢٥ ألف عامل ، وثمة آخرون يعملون في مصانع اعداد الجوت ، وأعمال الخدم ، ودفع عربات الريكشا ، وغيرهم ، يبلغ عددهم رقماً

الطبقة العاملة في بنجلاديش

في النضال من أجل التحرر جنباً الى جنب الطلاب والفلاحين وغيرهم من قطاعات المجتمع . وقد أعلنت الجمهورية الشعبية في بنجلاديش عزمها على اقامة الاشتراكية في البلاد ، وقامت - كخطوة في هذا الاتجاه - بتأميم الصناعات الوطنية الكبرى .

ساهمت

وحسب الأرقام الرسمية ، فإن نسبة الصناعات المؤتممة تبلغ ٨٥ في المائة من مجموع الصناعات في البلاد ، وقد أدركت الحكومة أيضاً أنها ستتخذ الخطوات الضرورية من أجل مشاركة ممثلي العمال في الادارة ، وستقيم نظاماً للمشاركة في الارباح . وفي ظل هذه الظروف ، فإن هناك اعتباراً عاماً بالطبقة العاملة في بلادنا ، لأن نجاح سياسة الحكومة في التأميم ، والسير بالبلاد في طريق الاشتراكية إنما يعتمد - الى حد كبير - على مستوى الوعي والتنظيم للطبقة العاملة .

وبالارقام ، فإن نسبة العمال الصناعيين الى مجموع السكان نسبة تافهة ، فعددهم لا يتجاوز

* أنيل موخارجي أحد قادة الحركة العمالية والقومية في بنجلاديش ، وقيد كتيب هذا المقال خصيصاً لجلسة « الطلبة »

يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ ألفاً ٠ هؤلاء جميعاً بالإضافة الى حوالي ٤٠٠ ألف عامل زراعي يعملون في ارض يملكها آخرون ٠

وقد نظم عدد من النقابات بين العمال الصناعيين ، كما ان هناك منظمات قليلة بين عمال الريكشا والجوت ومزارع الشاي ، أما بقية العمال الاخرين فغير منظمين على الاطلاق ٠

وتاريخ الحركة النقابية في بلادنا متميز الى حد بعيد ٠ ففي ١٩٤٧ ، حين أصبحت بلادنا جزءاً من باكستان بعد تقسيم الهند ، لجأت حكومة الراجطة الإسلامية (Muslim League) آنذاك الى اجراءات قهر عنيف ، وضمت حداً لكل الانشطة المالية النقابية ٠ وفي ذلك الوقت ، كان عدد المصانع لا يكاد يذكر في البلاد كلها ، لكنها كانت تضم معظم العناصر الديموقراطية والتقدمية التي تستطيع القيام بأعمال العمل النقابي ، وكثير منهم كانوا من الهندوس وكانوا متسلمين ووطنيين ، وبالتالي ٠ وفي هذا المناخ الطائفي ، وجدت حكومة الراجطة الإسلامية الفرصة لقمع الحركة النقابية الديموقراطية ٠

ولكن من ذلك ٠٠ فقد ساد الشعور بين العمال المسلمين بأن حكومة الراجطة الإسلامية ستنتج في حل مشاكل المسلمين ، ولما كانت باكستان دولة اسلامية ، فلم يكن لديهم شعور بوجود مشاكل في حياتهم ٠

وبعد قيام باكستان مباشرة ، جاء من كلكتا الى شرق باكستان عدد من الزعماء المسلمين للنقابيين الذين كانوا مؤيدين للبريطانيين والملايك المحافظين ، من بينهم « افتاب علي » ، « وفايز احمد » ، و « زمسان » ، و « دكتور كاليك » وغيرهم ، وكان العمل النقابي عندهم مجرد وسيلة لكسب العيش ، ووسيلة لجمع المال أو تحقيق النجاح الشخصي ، ويتأيّد ودعم كاملين من الحكومة الباكستانية ، بدأت هذه العناصر عملاً نقابياً جديداً في البلاد ٠ وكانت السمة المميزة لنقاباتهم هي انتقاء ٠ وتكوين عديدين الجماعات المأجورة من بين العمال ، وظيفتها ضرب بقية العمال وأرغامهم على تأييد نقابات هؤلاء الناس ، وعدم معارضة دفع « الاتاوات » التي يحددونها ، وساد الشعور بالقهر والمجبر بين العمال الخائفين على فقد العمل أو التعرض لإيذاء المأجورين أو قهر الشرطة ٠

المستشارون الأمريكيون

وعلى أي حال ، فلم يكن ممكناً قهر سطح العمال

ومعارضتهم لاستقلال الملك وأرهابهم أكثر من خمس سنوات أو ستة ، وفي نفس الوقت كان الأميركيون الأمريكيون قد استطاعوا أن يشقوا طريقهم الى بلادنا ، فكانت كل قطاعات الحكومة - ومن بينها قطاع العمل - يدار وفقاً لتوجيهات « المستشارين » ، الذين عقدوا الصلات مع الزعماء النقابيين الذين أشرنا اليهم أيضاً ٠ ونظم « الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة » (IOEFCU) عملية إرسال عدد من هنا الى أمريكا كي « يتلقوا تدريباً » ، وكان يحضر أيضاً عدد من المعلمين الى هنا كي يقوموا بحركة نقابية جديدة ٠ وأصبحت دولارات الأمريكيين هي الهدف الرئيسي لهؤلاء « الزعماء » المزعومين ٠ وإلى جانب ابتزاز « الاتاوات » من العمال بتهديدتهم بفقدان العمل أو الاعتقال ، أوحى القمريش لأرهاب المأجورين ، فإن دولارات الأمريكيين قد حوت هؤلاء الزعماء النقابيين الى الأثرى ، وحولت نقاباتهم الى ادارات بيروقراطية ٠

وكان العمال يشعرون بمواجهة هؤلاء الزعماء وجهاً لوجه ، فاعتادوا تقديم شكواهم الى مأجوري النقابات ، وكانوا يضابطون هؤلاء الزعماء دائماً « بيا سيدي » ٠

بعد ذلك حدث تغيير آخر في طريقة أداء هذه النقابات لوظائفها ، فبدأت تعتمد عن المطالب الاقتصادي للعمال ، بل وتدعو أحياناً للأضرابات من أجل تحقيقها ، وتنتج - في نفس الوقت - الدعاية بأن تبني الحركة النقابية لاية مطالب تومية أو سياسية إنما هي ضد مصالح العمال ، فعلى العمال دائماً أن يبتعدوا عن السياسة ٠

وبالطبع ، لم تنجح هذه المحاولة لإبعاد العمال عن السياسة الوطنية ٠ ولكن ساد اتجاه نحو الاهتمام بالذات ومشاكل الأجور داخل النقابات التي يديرها زعماء نقابيون واقعون تحت تأثير الأميركيين الأمريكيين ، ويمدون كل البعد ، عن الوعي الطبقي الثوري ، الوعي بضرورة النضال من أجل القضاء على عبودية الأجر ٠

ووددت مصداقية واسعة من جانب العمال في حركة التحرر الوطني منذ سنة ١٩٦٦ بسوجه خاص ٠ وانضم العمال منذ ذلك الحين الى حركة النضال الوطني جنباً لجنب الطلبة والفلاحين والشباب وغيرهم ٠ لكن هذه المشاركة كانت - بسوجه عام - بتأثير الدافع الوطني ، لا كطبيعة عاملة واعية بنضالها الطبقي ٠

وبعد تحرر البلاد ، طرد الزعماء النقابيين القدامى الذين كانوا أدوات في أيدي الأمريكيين ،

لأن كثيرين منهم - نظراً لمعارضتهم لحركة التحرر - كانوا أعداء في نظر العمال ، وبالإضافة لذلك ، فقد فقد هؤلاء الزعماء حماية الحكومة .

والآن .. فإن الفرصة مواتية تماماً للنقابات التقدمية والديموقراطية كي تقوم بدورها بين العمال . لكن لهذه النقابات أيضاً خلافاتها الحزبية والسياسية ، أنهم ليسوا مهتمين بتنظيم العمال في نقابات ، قدر اهتمامهم بأن يجعلوا هذه النقابات تحت سيطرة أحزابهم التي ينتمون إليها . بل ويريد بعضهم أن يجعل النقابة تحت نفوذه الشخصي . وكنتيجة لهذا ، هناك أكثر من ستة اتحادات لنقابات العمال ، وفي مصانع كثيرة تتنافس أكثر من نقابة واحدة . وفيما يلي نقدم تعريفا موجزا بالاتحادات العمالية الستة التي تمارس شيئاً من التأثير بين العمال .

● **عصبة العمل الوطني :** (National Labour League) فرع من « رابطة عوامي » ، وأن كان هذا بشكل غير مباشر ، لكنها تحت حماية الحكومة . وقد أصبح هذا الاتحاد هو الأوسع انتشاراً وتأثيراً بين العمال نظراً للتأييد الواسع الذي يلقيه حزب « رابطة عوامي » في البلاد كلها ، وقد حاول جناح في قيادة هذا الاتحاد ضمه إلى « الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة » ، في حين حاول جناح آخر ضمه إلى « الاتحاد العالي لنقابات العمال » (WFTU) ، وأخيراً ، تم الاتفاق على أن يقوم هذا الاتحاد على أساس القومية البنغالية فقط دون ضمه إلى أي اتحاد دولي للنقابات ، وهكذا خيرا شعاره من « يا عمال العالم .. اتحدوا » إلى « يا عمال بنجلاديش .. اتحدوا .. » .

ورغم أن عصبة العمل الوطني تؤيد حرقياً سياسة الحكومة في تأميم الصناعة وزيادة الإنتاج ، فإن نشاطاتها تتحول شيئاً فشيئاً إلى عقبات أمام تنفيذ هذه السياسة ، فزعماؤها يلجأون دائماً لزيادة مطالبهم الاقتصادية ، ويهددون بالاضراب كوسيلة وحيدة لفرض وده سيطرتهم على العمال ، وعلى هذا النحو فإن عصبة العمل تنافس غيرها من المنظمات النقابية التي لا تؤمن بسياسة الحكومة في التأميم ، وتعتقد أن واجب الطبقة العاملة هو الوقوف ضد هذه السياسة لا تأييدها .

ويهدف زعماء عصبة العمل لأن يجعلوا كل عمال البلاد ينضمون إليهم مهما كانت الوسيلة ، قتلوا إلى سياسة « استعراض القوة » بل واستخدام القوة من أجل ضمان تأييد العمال ، وهم لا يترددون في تهديد « بل واغتيال - العمال

الذين يتجهون لمنظمات أخرى ، ولهذا الهدف ضمو إلى صفوفهم هؤلاء العمال الذين مارسوا عمليات الابتزاز في السابق ، وهؤلاء مستعدون لارتكاب كل الأعمال غير المشروعة لفرض مصالحهم الشخصية . وقد حدث - في عدة حالات - أن اشترك عدد من هذه العناصر مع مديري المصانع المزممة غير المخلصين في سرقة الآلات والمواد وغير ذلك من أعمال التخريب .

● **لال باهيني :** (Lal Bahini)

أنشأت عصبة العمل فرقة من المتطوعين باسم « لال باهيني » ، تضم - بالإضافة لبعض عمال المصانع - عدداً من الشباب غير العاملين يحومون حولها . أما العمال المنضمون إلى « لال باهيني » فلا يعملون ، لكن مصالمتهم تدفع لهم أجورهم بانتظام ، لأن من المفهوم أن « لال باهيني » تحت حماية الحكومة ، وإنما يمكن أن تثير الشغب في أي وقت ، فإن المسؤولين في المصانع يتجنبون إثارة العقبات والمشاكل . ولأن المصانع مملوكة للحكومة ، فإن المديرين لا يشعرون بأزائها بأي مصلحة شخصية أو مسئولية ، وهناك تقريباً اقتناع كامل للمديرين الذين يؤمنون بسياسة التأميم ولديهم احساس بالأمان في المسئولية أو المبادرة ، والمساعدين لركوب الخطر من أجل تنفيذ هذه السياسة . والسبب هو ، أن عدداً كبيراً من هؤلاء المديرين أما أنهم موظفون ذوي درجات كبيرة في الحكومة ، أو ملاك سابقون للمصانع .

والآن أصبحت « لال باهيني » قوة غاشمة مجنونة ، يتجاوز ضررها العمال إلى أفراد الشعب ، فأحياناً يقوم أعضاؤها بمسئولية رجال الشرطة ، ويقهرون الناس ، ويخربون القوافل ، ويقدمون حلول المشاكل على هواهم ، والنتيجة : أما أن لا يتحمس رجال البوليس للقيام بواجباتهم ويفضلون تحاشي الاصطدام بهم ، وأما أن تتشأ المشاكل بين الجانبين - ونظراً لميلك أعضاء « لال باهيني » لا يحس العمال الماديون حساساً خاصاً للإنتاج .

● **الاتحاد المركزي لنقابات بنجلاديش :**

(Bangladesh Trade Union Centre)

من حيث الشعبية والنفوذ بين العمال يأتي الاتحاد المركزي ثانياً لعصبة العمل ، رغم القوة الواسعة القائمة بين المنظمين من حيث النفوذ والدعم الجاهيز . ويضم هذا الاتحاد أعضاء من حزب عوامي القومى (National Awami Party) والحزب الشيوعى .

فروق طفيفة

● **اقتصاد « شراميك » في بنجلاديش :**
(Bangla Shramik Federation) وهو أيضا جماعة مالية مدمجة ، تابع للحزب الشيوعي الماركسي اللينيني بنجلاديش ونشاطه مشابه لنشاط اتحاد شراميك في الهند ، والفرق الطفيف بين اللينينيين ينحصر في أن هذا الأخير يعتبر من الضروري وجود معارضة فعالة لسياسة التأميم مادامت الرأسمالية موجودة في البلاد ، ووعاؤه يعتقدون أن الرأسمالية ستظل هنا ، ومن ثم ، فلا بد من قيام الجمهورية الشعبية أولا ، وحينئذ فقط ، يمكن أن يكون ثمة تأميم . وكلا التنظيمين يتبع سياسة القوة وتهديد العمال - مثل عصبة العمل - وكلاهما لا يؤمن بالحركة النقابية الديمقراطية .

● **بانجسوكتا شراميك (اتحاد العمال)**
(United Workers' Federation) يتبع الحزب الاشتراكي الثوري ، أما في التطبيق فمن الصعب إدراك فرق بين سياسته وسياسة اتحاد شراميك في الهند . لكن نفوذه قليل بين العمال .

● **اتحاد مساجدور (Majdoor Federation)**
بعض مجبي السلطة ، وبعض النقابيين الباحثين عن مصالحهم الشفعية ، والمؤمنين بالعمل الاقتصادي وحده ، وقلة من النقابيين المحافظين يطيرون هذا التنظيم . ليس لهم تجربة سياسية محددة ، ولا موقف لهم ، مع أو ضد سياسة التأميم ، هدفهم الوحيد هو ضمان شيء من التأييد لانفسهم عن طريق تحقيق بعض مطالب للعمال ورفع مطالب بمبالغ فيها .

وعلى وجه العموم ، فالموقف هو أن اتحادا واحدا من بين اتحادات نقابات العمال هو الذي يقوم بجهود نشيط لدعم سياسة الحكومة في تأميم الصناعة ، لقد أخذ على عاتقه هذا التأييد كمثل للعمال في نضالهم الطبقي وكهدف قومي في الوقت نفسه . ورغم أن أكبر الاتحادات النقابية مؤيد للحكومة ، وتحمي الحكومة والحزب الحاكم ، إلا أن تأييده لسياسة التأميم لا يتجاوز بعض البيانات اللفظية ، أما في التطبيق فهو يشجع سياسة المطالب الاقتصادية بين العمال وبقيّة المنظمات بحيث يبقى العمال - مباشرة أو على نحو غير مباشر - غارقين في أسى هذه المطالب ويجب أن نلاحظ أن اتحاد « شراميك » في بنجلاديش ، واتحاد شراميك في الهند ، واتحاد العمال ، واتحاد مساجدور نشطون معا في اتجاه تعزيز المطالب الاقتصادية .

إن الاهتمام الرئيسي لهذه المنظمة هو دعم سياسة التأميم ، وتوحيد وتنظيم الطبقة العاملة ، لهذا يتبنى المطالبة بمشاركة العمال في إدارة المؤسسات . وفي الحقيقة ، فإن التنظيم النقابي الوحيد في البلاد الذي يحد العمال على الوقوف وراء سياسة التأميم وإدارة مصاتهم - بإشراف نقاباتهم - بطريقة يمكنها أن تبدأ بزيادة الانتاج والدخل ، ورغم أن الحكومة لم تقم بإيادرة خاصة تدل على اهتمام بهذا الأمر ، إلا أن النشاط المنظم للعمال في أي مصنع يمكنه أن يضمن عيون الحكومة ، والتقليل من المعبات البيروقراطية .

إن أهداف اتحاد النقابات تتركز حول : تنظيم العمال وحشدهم من أجل تأييد سياسة الحكومة في تأميم الصناعة ، والقضاء على المقبات للبيروقراطية ، والتقدم نحو محاولة الحكومة ومشاركتها بمشاركة كاملة من أجل تحقيق هذه الأهداف ، كما يقوم الاتحاد بجهود للانضمام إلى « الاتحاد العالمي لنقابات العمال ، وقد انضمت إليه بالفعل بعض النقابات المتعلقة بصناعات خاصة .

● اقتصاد « شراميك » في البنجال : (Bangla Shramik Federation)

زعيماء هذا التنظيم جماعة من الماويين المنتمين للحزب الشيوعي (اللينيني) في بنجلاديش ، وهم يعتبرون الحكومة الحالية في بنجلاديش حكومة رأسمالية ، وهي بالتالي لا تريد ولا تستطيع أن تمضي في سياسة التأميم . وبالتالي لهم فإن أي جهد في هذا الاتجاه إنما هو تحريف ومراجعة وخيانة للحركة الثورية للطبقة العاملة ، وسياسة ليلية للرأسمالية ، ويؤمن هؤلاء الزعماء بخبرة الاطاحة بالحكومة ، وقيام جمهورية شعبية تحت قيادة الطبقة العاملة ، وبالتالي تطبيق سياسة التأميم .

وعن ثم فإن أسلوبهم في العمل يتركز حول تقنية سخط العمال بكل الوسائل ، خاصة رفع أكبر قدر ممكن من المطالب الاقتصادية ، وتعويق الإدارة للمؤسسات المؤممة . وهم قادرون على أن يجذروا بعض الاستجابية بين العمال بالنظر إلى الفقر والازمات الاقتصادية ، وسيطرة المطالب الاقتصادية على جماهير العمال . كما أن أحد الأنشطة الرئيسية لهؤلاء الزعماء هو بث الدعايات المضادة للهند ، والاتحاد السوفيتي بين العمال .

الانتمائية ، وايقاظ الفتن الدينية والطائفية ، بين الهندوس والمسلمين ، وبين البنجاليين وغير البنجاليين مما أدى الى موت مئات العمال في هذه الاضطرابات .

والآن ، وباستثناء « الاتحاد المركزي لنقابات بنجلاديش » تتمد كل الاتحادات الاخرى الى تقنية المشاعر الاقليمية المتطرفة بين العمال من أجل دهم نفوذها ، حتى صبية المدن والتقطيعات المادية تنافس فيما بينها في هذا الصدد . وطبيعي أن يكون للعمال من أهل المنطقة صوت أكثر ارتفاعا في المصنع ، ولرابطة عوامي نفوذها في كل المناطق الريفية ، وعلى هذا النحو تستغل عصبية العمل هذين الاعتبارين في كل مكان تقريبا . وتتمد - من أجل السيطرة على نقابة في مصنع ما - الى التحالف مع العمال من أهل المنطقة من أجل تسجيل العمال من المناطق الاخرى في نقاباتهم عن طريق التهديد وبمعاونة العمال المحليين ، وخلال الشهور الستة الأخيرة ، لقي ما لا يقل عن ثلاثمائة عامل مصرعهم نتيجة الصراعات بين أهل المنطقة والأغراب في مصانع حرس عليها اتحادات العمال .

كما أن هناك أمثلة للتنافس بين زعماء ذوي نفوذ في نفس الاتحاد وهذه الأمثلة ترتدي طابع الصراع بين العمال المحليين وغيرهم ، لأن كلا من هؤلاء الزعماء ، يحاول أن يبقى نفوذه بين جماعات العمال فيلجأ منافسوه الى الجماعات الاخرى . وفي بعض المصانع يلجأ المديرون - بدوافع انانية محضة الى تمريض الاتحادات على الانهباك في هذه الصراعات التي تضر بقضية الطبقة العاملة وانتاجها .

التخريب الاقتصادي

لوحظ أخيرا أن بعض اصحاب الاعمال المسابقين ، وبعض كبار تجار البجوت وبعض كبار الموظفين ، يلجأون الى خلق صراعات اقليمية بين العمال من أجل تخريب سياسة التأييم وثابت أن المصانع المؤمنة لا تحقق ربحا . كما أن اتباع الرابطة الاسلامية (Muslim League) وجماعة الاسلام (Jammatul Islami) يستغلونها أيضا كوسيلة لخلق حالة من الفوضى في البلاد . وفي الحقيقة فإن الدعاوى الدينية لم تعد الآن مشكلة تتعلق بمصالح قطاع ضئيل من الشعب ، لكنها أصبحت عقبة كبيرة في سبيل تطور البلاد كلها .

ومن الناحية الاخرى ، فإن نفوذ الطبقة العاملة قد أضفت منه هذه الأنشطة المعادية للشعب ،

وليس بين هذه التنظيمات منظمة نقود العمال على أساس ديمقراطي ، وهناك حاجة الى بذل الجهد لبناء حركة نقابية ديمقراطية فعليه .

والاستثناء الوحيد هو « الاتحاد المركزي لنقابات بنجلاديش » فله نقابة واحدة في المصنع الواحد ، وتفسير الأمور على نحو ديمقراطي وانتخابات سنوية سليمة في النقابات ، ويقوم الاتحاد بحملات كي تكون في كل مصنع نقابة واحدة ، من أجل إنهاء الفرقة وإقامة الوحدة بين العمال ، وحتى الآن لم يستطع الاتحاد أن يجتذب أي تنظيم نقابي آخر لهذا الهدف ، كما أن الحكومة تبدو لا مبالية .

وقد اثرت الى الصدمات التي تقع بين العمال هذه الصدمات نتيجة محاولات اجبار العمال على الانضمام لاتحاد معين . وفي هذه الصدمات جرح بعض العمال وقتل آخرون . والان يهدد العمال خطر آخر ، هو اثاره نزعات الاختلافات الاقليمية والجغرافية بينهم .

أن الطبقة العاملة في بلاندا حديثة التكوين الى حد كبير ، والعائلات العمالية لا تكاد توجد على الاطلاق ، والعمال الذين عملوا في المصانع منذ تزيد على خمسة عشر عاما عدد قليل جدا لا يكاد يذكر ، ولكل عامل تقريبا روابطه بالقرية لازالت قائمة ، ومحظيهم أبناء فلاحين فقراء ومهضمين . في بنجلاديش - في الحقيقة - هي بنغال الريف واقتصادا يقوم على الزراعة ، والطبقة العاملة بدورها ليست بعيدة عن التأثير بمختلف مظاهر التطلف والتعصب وضيق الافق التي تصود في مجتمع زراعي اقطاعي . ثم هي محرومة من مزايا التعليم ، وقد جاء العمال الى المصانع بهذه الاتهامات الريفية نفسها ، وفي علاقاتهم بالآخرين يظنون مرتبطين بجماعاتهم الاقليمية . وأحيانا تتخذ صراعاتهم طابعا اقليميا ، وبالإضافة لذلك ، فإن مصانع كثيرة قد انشئت على مسافات قريبة من المدن ، في المناطق الريفية . وفي كل أنحاء البلاد - وخاصة في المناطق الريفية - يصود الفقر المدقع ، وتغص القرية بالعمال الزراعيين ، وهم عاطلون معظم الوقت ، ونخلهم لا يكاد يذكر ويدفعهم ذلك الى أن يشتغلوا كعمال ، فقرات العمال الشرائية في أسواقهم الريفية تثير بينهم الحسد والغيرة .

كل هذا يضع أساس الصراعات الاقليمية بين « أهل المنطقة والأغراب » ، أو بين « أهل شيناجونج وأهل نواخال » الخ . . . وانشاء فترة حكم باكستان ، كانت الحكومة والمليونيرات من غير البنجاليين يمدون الى أسسرة الصراعات

لكن الحركة النقابية لازالت فى مرحلة بدائية فى بلادنا .

وكما لم يكن نظام التفرغ السياسى معروفاً فى الأحزاب السياسية أو فى الحركة النقابية فليس هناك نظام لجمع الاشتراكات من أعضاء الاتحاد اللهم الا اذا أرغموا أرغاماً على الدفع . والعمال يبدون تأييدهم لاتحاد نقابى ما بأن يظلوا متعلقين بالحزب السياسى الذى يتبعه الاتحاد . وتظل الرغبة فى قيام طبقة عاملة موحدة، بحركة نقابية موحدة مقصورة على الأعضاء ذوى الخبرة والتجربة وليس عددهم بالكثير . وبالتالى ، سينقضى وقت طويل قبل أن تنمو حركة نقابية ديموقراطية . تستطيع التغلب على العقبات المختلفة ، وتصلبغ بصيغة وطنية ودولية .

والدليل الوحيد على الامل هو الشجاعة والثقة بالنفس فى النضال من أجل التحرر . ان العمال بحاجة الى حلول سريعة لمشاكلهم ، وهم بالتالى يوافقون الى الحركة . ومن الناحية الأخرى ، فإن هناك رغبة قوية بينهم من أجل معرفة الأمور وفهمها ، وهم تواقون بوجه خاص لأن يعرفوا كل شيء عما يجرى فى العالم . . . عن الاشتراكية . وعن الاتحاد الموقفى ، وعن الدولة الاشتراكية . وكلما اتبحت فرصة معرفة الأهمية الحقيقية لدعم سياسة التأميم وزيادة الإنتاج ، كلما بدا لديهم الحماس ، وقام العمال انفسهم بالمبادرة ، وتعمل المسئولية .

ولذلك الاضطرابات الإقليمية المتكررة . انها تعبير عن حاجة جماهير الناس الى الوعى السياسى أكثر منها تعبيراً عن مصادر الضيق . صحيح أن الوضع الاقتصادى للطبقة العاملة فى بلادنا سيء الى درجة كبيرة ، لكن ظروف حياتهم افضل - على نحو نسبى - من حياة ٨٠ فى المائة من أهل البلاد . وفى ظل هذه الظروف ، فإن الانشغال الدائم للطبقة العاملة بمطالبها الاقتصادية لا يخلق لدى أفرادها شعوراً بالتعاطف والتعاون مع غيرهم من الفئات المسحوقة فى المجتمع .

وباستثناء « الاتحاد المركزى لنقابات بنجلاديش » فإن الآخرين ممن يعملون بالحركة النقابية لا يبدون الاهتمام الكافى بمشاكل الطبقة العاملة ، ولا يعملون محور نشاطهم هذه المشاكل ، فهدفهم الوحيد هو استخدام الطبقة العاملة لتحقيق مكاسب فردية أو حزبية ، وتنظيمهم لأجل هذه المكاسب ، ليس هدفهم أن يكون رخاء العمال ومصالح البلاد فوق أى اعتبار ، ولا تنمية وعيهم الطبقي ، ولا تعليمهم سياسياً بهدف خلق طبقة عملة موحدة ومنظمة .

ان تنظيم وتوحيد الطبقة العاملة فى بنجلاديش ، وتنمية وعيها الطبقي ، وحشد لها قياد سياسة التأميم التى اعلنتها الحكومة هى المهام التى تواجه العاملين فى الحركة النقابية

التحول في العلاقات السوفيتية الأمريكية

أسبابه

وآفاقه

حمدي عبد الجوان

انتهاء الحرب الباردة ، وإعادة السلام الى فيتنام
ولاوس ، وتجري محاولات للتوصل الى تسوية
للحرب في كمبوديا .

وتطورت العلاقات في أوروبا ، في اتجاه تصفية
اثر الحرب العالمية الثانية . وبدأ عهد من السلام
والتعاون بين مختلف بلدان القارة . وكان توقيع
سلسلة من المعاهدات بين الدول الأوروبية وبين
الاتحاد السوفيتي ، ونجاح المرحلة الأولى من
مؤتمر هلسنكي خطوات هامة على هذا الطريق .
وهكذا تفتح التحولات التي تجري في اتجاه تسوية
الموضع الدولي آفاقا ملائمة ، لتخفيف حدة التوتر
ولتسوية المشاكل الدولية التي لم تحل بعد .

لقد بدأ يتبلور بين البلدين اتجاه واضح من أجل
الحوار البناء والبحث عن مجالات يمكن التوصل
الى اتفاق بشأنها ، أو التعاون فيها . وإذا ما
وضعنا في اعتبارنا دور كل من الدولتين الكبيرتين
في السياسة الدولية ، وكذلك التوتر الذي ساد
العلاقات بينهما لربيع ثرين ، لامتكنا أن نقدر الى أي
حد حدث بالفعل تغير نحو الأفضل .

لكن اعداء الانفراج الدولي يواصلون جهودهم
من أجل محاولة القاء ظلال من الشك على تلك

التحول الملموس في العلاقات
السوفيتية الأمريكية مكانا بارزا
بين الأحداث الدولية خلال العام
الآخر . لقد أصبح هذا التحول ،

يحتل

واضح المعالم ، بعد محادثات القمة التي جرت في
موسكو في مايو ١٩٧٢ وبعد الاتفاقيات التي وقعت بين
البلدين ، نتيجة لتلك المحادثات . ثم جاءت
محادثات القمة في واشنطن ، في يونيو ١٩٧٣ ،
لتمطي لوجز التحول دفعة جديدة ، وإبعادا أكبر .
في النهاية : إن الزندين ، بل ولتمتد بوضوح الى
مجال العلاقات الدولية بأسرها .

ويدات التحولات في العلاقات السوفيتية
الأمريكية تجد لها صدق في كثير من المجالات .
فقد أدت الى تغيرات جوهرية في قضية تعزيز
العلامات القائمة على تظليل الأسلوب السلمي
والتفاهم بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات
المتحدة الأمريكية ، وفي تطوير التعاون الواسع
الناسم على المنفعة المتبادلة بين البلدين ، في مختلف
المجالات .

وترتب على هذا التحول ، تحسن واضح في
المنح السلمي الدولي ، قتم اتوصل الى اتفاقية

السوفيتية الامريكية فهامة ومعقدة لانها مسألة تخفى العلاقات بين دولتين كانتا لوقت طويل في نظر الرأي العام المالي تجسيدا لنظامين اجتماعيين متعارضين: هما الاشتراكية والرأسمالية.

واذا ما اخفنا في اعتبارنا طبيعة التناقضات بين النظامين - وبالتالي - بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة ، لوجدنا أنفسنا مدغوعين الى التساؤل : ما الذي أدى الى هذه التحولات في العلاقات بين البلدين ، هذه العلاقات التي كانت ، لأكثر من ربع قرن ، مسرحا لنزاعات حادة ؟

للجابة على هذا السؤال ، من المهم أن نرى في المحل الاول أن التغيرات في العلاقات السوفيتية الامريكية هي نتيجة طبيعية للتغيرات الموضوعية الرئيسية التي حدثت في عالمنا في الفترة الأخيرة .

فمن المعروف أن توازن القوى على نطاق العالم يواصل تغيره لصالح الاشتراكية ، وتؤثر تلك التغيرات في توازن القوى الدولية على كل نواحي الحياة الاجتماعية في عالمنا المعاصر كما تؤثر على سياسة جميع الحكومات ، بما في ذلك حكومات الدول الامبريالية الكبرى . أن كثيرا من القسما الهامة للامبريالية المعاصرة ، يمكن تفسيرها بأنها قد اجبرت على أن تكيف نفسها مع الظروف الجديدة ، ظروف تناظم الصراع بين النظامين .

وتلك هي أحد الخصائص الرئيسية للموضع العالمي اليوم . أن الاحداث الدولية ، خلال الفترة الأخيرة ، بما في ذلك العلاقات السوفيتية الامريكية توحى بتلك النتائج وتوضح أن التغير في علاقات القوى ليست افتراضا مجردا ، وإنما هو حقيقة ملموسة تؤدي بالفعل الى تغيرات ايجابية هامة في الوضع الدولي . أن التحول الهام في ميزان القوى العالمي والظروف الجديدة الخوائية التي يتيحها ، يلعب الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطني دورا كبيرا في تحقيقها من خلال جهودهم المتفانية .

وقد لقت الاحداث الدولية الاخيرة ضسودا ساطعا على الفوارق الاساسية بين الاشتراكية وبين الامبريالية من حيث نمو قواها . وليس هناك شك في أن أي تغير في علاقات القوى لصالح الامبريالية ما كان يمكن أن يؤدي الا الى زيادة التوتر لا الى تخفيفه ، وكان سيضعف الامبريالية في مطالعها العدوانية . وعلى العكس ، فإن تغير علاقات القوى لصالح الاشتراكية قد ساعد على

التغيرات . فتراهم يقولون - مثلا - أن فترات زوبان الجليد في العلاقات السوفيتية الامريكية ، مائة ما تكرر ليمض الوقت كما حدث في الماضي خلال الحرب العالمية الثانية . لكن هذه الفترات ، كما يزعمون ، كانت قصيرة العمر وسرعان ما اضمحلت فترات من التوتر الحاد والخطر .

بالطبع هناك شيء من الصحة في هذا الكلام . ولكننا هنا ، لسنا بصدد الحديث ، عن « مناخ سياسي عام » يتحكم في العلاقات بين الدول . ومن هنا ، فمن الصحيح أيضا أن التغيرات الحقيقية ، نحو الافضل ، تمثل شيئا أكثر من مجرد زوبان الجليد في المناخ السياسي . . . ذلك أن التغيرات في العلاقات السوفيتية الامريكية ، والتي اضعفت منذ العام الماضي قد تميزت ووجدت تعبيراتها ، لا في مناخ سياسي افضل ، وإنما في تفاهم ملموس تبرز في اتفاقيات حول عدد من المسائل الهامة . وتأتي في مقدمة تلك الاتفاقيات وثيقة « المبادئ

الاساسية للعلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة » التي تضع تلك المبادئ وفق قواعد القانون الدولي . واهم تلك القواعد ، هو الانقناع الذي حدثته الوثيقة ، بأنه في العصر الذي يمثل مجدا لتعاضد السلسل الاساسي الوحيد الواقعي للمحافظة على العلاقات بين البلدين .

وبالإضافة الى هذه الوثيقة ، وقعت عدة اتفاقيات أخرى ، حول تحريم التجارب النووية ، وتخزينها ، والحد من سباق الاسلحة الاستراتيجية ، وحماية البيئة ، وتوسيع العلاقات التجارية والاقتصادية ، ومنع الحرب النووية ، واستخدام السلطة الذرية للأغراض السلمية ، وتوسيع التعاون في الزراعة ، واستكشاف المحيطات ، والنقل ، والمواصلات ، والتبادل ، ومواصلة بذل الجهود من أجل التوصل الى اتفاق حول نزع السلاح .

على أن هذه التغيرات الهامة في مجال العلاقات السوفيتية الامريكية ، والتسلسل التي ستترتب عليها ، إنما تتخطى حدود العلاقات بين البلدين . ذلك انه على درجة تطور العلاقات ، بين اكبر دولة اشتراكية وبين اكبر دولة رأسمالية ، تتوقف بدرجة كبيرة إمكانية منع الحرب ، والمحافظة على السلام وتدعيمه على كوكبنا . أن تطور العلاقات بين البلدين مشكلة تؤثر على المصالح الحيوية لكل الشعوب ، ويدفعنا ذلك الى محاولة فهم أوسع للعلاقات السوفيتية الامريكية . لسباب تلك التغيرات واتفاق تطور تلك العلاقات في المستقبل .

اسباب القول في العلاقات

السوفيتية الامريكية

لما اسباب التغيرات التي طرأت على العلاقات

تقدم قضية السلام والامن الدولى . ويتضح ذلك من التحسن الملموس للوضع فى أوروبا وعودة العلاقات السوفيتية الامريكية الى حالتها الطبيعية .

وهكذا فان التغيرات الايجابية فى الوضع الدولى ، إنما هي نتيجة طبيعية لا لتوازن القوى العالى فحسب ، وإنما للسياسة الخارجية الواضحة والمثبتة للدول الاشتراكية ، التى تربط بين الردع الحازم لتحركات الامبريالية العدوانية ، وبين السياسة البناءة لتقديم السلام وتطوير التعاون الدولى . وتكمن قوة هذا الخط ، فى أنه فى الوقت الذى يمبر فيه عن المصالح الحيوية للنظام الاشتراكى ، يضع فى اعتباره ، بشكل واتى ، الاخطار الكامنة فى الوضع السياسى ، فى عالم اليوم وكذلك الامكانيات الكامنة فيه . ولقد كان الهدف الدائم للسياسة الخارجية للدول الاشتراكية هو تحقيق السلام وتوطيده . لانه فى ظل علاقات سلمية يستطيع النظام الاشتراكى أن يدمج مواقفه الاقتصادية والاجتماعية ويبرهن على النظرية القائلة بأن هذا النظام يستطيع أن يدخل فى منافسة حقيقية يتفوق فيها على النظام الرأسمالى . ومع ذلك فإن الرغبة الطيبة لم تكن كافية لتحقيق تلك الاهداف إنما كان لابد من توفر شروط معينة تبلورت فى الفترة الاخيرة ، فعلى أساس تلك الشروط - فحسب - يمكن تحقيق تحسين حقيقى وهام فى الوضع الدولى ، أى على أساس رغبة واتفاق الدول الرأسمالية فى أن تقيم علاقاتها مع العالم الاشتراكى على أساس مبادئ التعايش السلمى .

وإذا كان عديد من الدول الامبريالية يتحول الى موقع المشاركة فى الجهود المبذولة من أجل الحد من خطر الحرب وانفراج الوضع الدولى ، فإن ذلك لا يرجع الى تغير الطبيعة الطبقية لسياسة تلك الدول ، لهذا ما لا يمكن أن يحدث على الاطلاق . لكن الشيء الذى تغير هو العالم الذى يعيش فيه الامبرياليون ، وأصبح حتما عليهم أن يكيفوا سياستهم الداخلية والخارجية مع الحقائق الموضوعية للوضع الراهن فى عالمنا .

ولا تشذ الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة عن هذه القاعدة . فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، انبثت لإقسام الإيداع نظرا فى تلك الطبقة ، أن الاعتماد على تحقيق انتصار عسكرى على أسيرة الدول الاشتراكية لم يعد أساسا يمكن أن تكفى عليه سياستها ، وإن حربا نووية ستكون فى الواقع انتصارا لأمريكا . وقد أوضح مجرى تطور الحرب فى فيتنام ، أن الولايات المتحدة لا يمكنها ، فى الظروف القائمة ، أن تأمل فى تحقيق

النجاح ، حتى فى الحروب « المحققة » أو « الحلية » التى ارتكزت عليها الاستراتيجية السياسية والعسكرية الامريكية منذ نهاية الخمسينات . وبشكل عام ، فإن مجرى الاحداث وأخصى الستينات وبداية السبعينات قد أجبر عن تلك الاسس التى وضعت فى سنوات الحرب الباردة .

ونحن نعلم أنه كان من بين تلك الاسس ، الاعتماد على قوة السلاح ، كإداة رئيسية للسياسة الخارجية . ولما كانت الولايات المتحدة قد فشلت فى الاحتفاظ باحتكارها لهذه القوة ، وظهرت القوة الدفاعية الموازية للاتحاد السوفيتى ، فقد تحدثت ملامح وضع جديد لم تعد ترتبط فيه زيادة بناء القوة العسكرية بالضرورة بزيادة القوة السياسية . وكما يقول هنرى كيسنجر مستشار الرئيس ليكسون لشئون الامن القومى ، فإن ترجمة القوة العسكرية الى نفوذ سياسى أمر يزداد صعوبة فى عالم اليوم .

على أن الامر لا يقف - فحسب - عند هذا الواقع وهو أنه ظل توازن القوى العالى السلى تتناقص إمكانية استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية لتحقيق أهداف سياسية . وإنما يرتبط بذلك ، أيضا ، جانب من الجوانب الهامة لازمة الاسس التقليدية للسياسة الخارجية الامريكية ؛ ذلك أن السياسة الخارجية الامريكية التى تشكلت فى سنوات ما بعد الحرب ، لم تعد تقادر على مواجهة تحديات المشاكل الواقعية التى تواجه الولايات المتحدة فى الوضع الراهن . فهذه السياسة ظلت تستند على مقدمة منطقية بسيطة ، وهى أن الشيوعية التى يمثلها فى المجال الدولى فى المحل الاول الاتحاد السوفيتى ، هى مصدر كل المتاعب ، وأنه لذلك ، يمكن ضمان مصالح الولايات المتحدة - الى حد كبير - كلما استطاعت السياسة الامريكية ، والقوة العسكرية الامريكية ، مواجهة هذا العدو « واحترائه » فى المدى القصير ، وتحطيمه فى المدى الطويل .

ورغم ذلك ، فإن مجرى الاحداث يكشف بشكل متزايد عن عدم جدوى هذه السياسة ، وأصبح من الصعوبة بدرجة تكبر القيام اللوم على « الغزاة الشيوعية » فى التغيرات السياسية والاجتماعية العميقة التى تحدث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والتى تؤدى الى تقويض سيطرة رأس المال الأمريكى هناك . وبدأت تتبلور اخطار جديدة على مصالح الامبريالية الامريكية نتيجة لتفافم تناقضاتها مع حلفائها فى غرب أوروبا واليابان ، ثم لزيادة هذه التناقضات بسبب حدة المنافسة فى

الأسواق المالية وفي المجال المالي والنفسي» ، وحتى أكثر العنصر تحجرا في الولايات المتحدة ، لم تعد ترى في هذه الاخطار « أصبح موصوفاً أو تعتبر زيادة الاستعداد العسكري والمصارف المسلحة طريقاً لمواجهة تلك الاخطار .

لقد أدى الوضع العالمي الجديد ، الى انضاح عدم جدوى المبدأ المصوم للشيوعية ولم يعد إبقاء أكبر الاضرار بالاحرار السوفييتي والبلشيان الاشتراكية هو الهدف الحاصل للسياسة الخارجية الامريكية - في نظر اقسام مؤثرة في الطبقة الحاكمة الامريكية .

ولا يعني ذلك بالطبع ، أن الاحتكارات الامريكية قد راجعت مفهوماً من الافكار الاشتراكية والشيوعية ، أن شيئاً من هذا القليل لم يحدث . لكن حقائق الحياة الصلدة علمت الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة أن الاستئثار الكلي على معاداة الشيوعية ، لم يمكن البورجوازية الامريكية من أن تسمى نفسها من اخطار أخرى ، بينما أضرت هذه السياسة الهمستورية بمصالحها الطبقة الى حد عميق . وبدأت اقسام من البورجوازية الحاكمة الامريكية ترى أن تبديد جزء كبير من الموارد القومية على سباق التسليح والمغامرات العسكرية إنما يؤدي الى اضعاف مواقع الولايات المتحدة في صراعها ضد البلدان الرأسمالية الاخرى ، ويقودها الى اضطرابات مالية وثقافية ، ويضعف أسس تأثيرها الاقتصادي والسياسي في العالم . وقد اعترف بهذه الحقيقة ، بلباقة ، لاندرو جاكوبسون الرئيس السابق لبيتك أمريكا أكبر بنك في العالم الرأسمالي ، وذلك في اجتماع لاجتماع لجان الكونجرس ، فقد لخص نصيحته لكل المعتدين في العالم بقوله : إذا أردتم أن تحقوا أرباحاً ، وإذا أردتم أن يكون العالم لكم ، لا تهدموا طلائعكم في مؤسسات عسكرية لا يجدوى منها - اقيموا مثال اليابان والمانيا ما بعد الحرب ولكن عدوانيتكم الاقتصادية .

ولم يكن ذلك مجرد شعور شخصي ، ولكنه أصبح الشعور المتزايد في عالم الأعمال ، أي بين البورجوازية الحاكمة ، مما دفع ريتشارد يارنت أحد المختصين البارزين في الشؤون الخارجية ، الى أن يخرج بنتيجة أنه منذ منتصف الستينيات بدأت تكاليف المحافظة على النظام الاستعماري تفوق الفوائد المترتبة عليه ، وأن زعماء مختلفين يمثلون كلية من « مقاييس اقتصادية » يصلون الى

نتيجة أن تحقيق المصالح القومية بمساعدة القوات المسلحة ربما يشكل تهرباً لمدتهم وأرباحهم .

وهذا التصريح - يجسد - بعض - « طائر دهكري » الذي بدأ يتشكل بين قطاعات واسعة من البورجوازية الاحتكارية الامريكية ، على أن هناك قطاعات أخرى ، بينها ، قدافع عن وجهه نظر معارضته تماماً وتفض عيوبها عن حقائق الواقع خاصة عن الحقائق التي تتعارض مع مصالحها المادية المعالجة . ومن بين تلك الاحتكارات تلك التي لها مصلحة مباشرة بالطلبية العسكرية ، والتي تشكل المورد الفقري للجمع العسكري الصناعي في الولايات المتحدة ، وهم قوة كبيرة لها نفوذ (١) . ورغم أن النفوذ السياسي للجمع العسكري الصناعي ، يفوق بدرجة كبيرة ، الوزن الاقتصادي النسبي للاحتكارات المعنية ، فإن تلك الاحتكارات ، وهي تحاول أن تفرض على كل الطبقة الحاكمة الامريكية سياسة تناسبها إنما تدخل في صدام مباشر مع كثير من المجموعات الأخرى ذات النفوذ في رأس المال الاحتكاري الامريكي .

وفي خلال السنوات الاخيرة اتخذ الصدام بين تلك المصالح اشكالا واضحة لا ترتبط - فحسب - بمصاعب السياسة الخارجية ، وإنما ترتبط أيضاً بتفاقم كثير من المشاكل الأخرى . واهم تلك المشاكل ، في المجال الاقتصادي التضخم والبطالة ، وعجز ميزان المدفوعات ، والمركز الضعيف للدولار ، والمصاعب في الأسواق المالية ، وفي المجال الاجتماعي : الفقر في أقصى دولة رأسمالية في العالم ، ومشاكل التزنج الذين يتمرخسون لاضطهاد وحشي ، وازمة المدن الكبرى ، وارتفاع معدل الجرائم و « التدهور الخلقي » ، وازدياد « معارضة الجيل الشاب » للقيم البورجوازية التقليدية ..

إن نقات كل تلك المشكلات ، وما يرتبط عليها من تعاضل لضعف الكاديسين ، والصعوبات الديموقراطية ، كان له أثره الخطير - دون شك - على آراء قسم كبير من أوساط الرأي العام الامريكي بالنسبة للسياسة الخارجية ..

في المحل الأول ، ضعفت ثقة الرأي العام في تفوق المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الامريكية ، وفي طريقة الحياة الامريكية ، وهو ما يثيرت به الولايات المتحدة

[١] راجع في هذا الصدد : مكتبة الطليعة في العدد الثاني من المجلة .

كتب جافين أنه يشك في حكمة اتفاق ١٩٧٠ م.
مليون دولار في العام على العمليات العسكرية في
فيتنام، وهو الأمر الذي ينزل أضراراً بالغة
بالاقتصاد الأمريكي، وللوضع الداخلي عموماً.

يوجد هذا الرأي حتى متزايداً في الدوائر
الحاكمة في الولايات المتحدة ويتحول إلى طرحت
هام في الوضع السياسي، وخاصة بعد أن طرحت
حرب فيتنام الطويلة والدامية على سطح المجتمع
الأمريكي المشاكل العميقة للسياسة الأمريكية،
وزادت من حدة الصراع الداخلي، بدرجة جعلت
القبائل واسعة متباعدة من الرأي العام، وكثيراً من
مبغلي الطبقة الحاكمة يدركون، بل ويعلمون، أنه
لا بد من التغيير.

إن كل ذلك قد بدأ يتحول، ويخرج، خلال
انتخابات عام ١٩٦٨، فلفد وعد نيكسون خلال
هذه الحملة الانتخابية، لا بانتهاء سريع للحرب في
فيتنام، وإنما تعهد بإعادة النظر في خط السياسة
الخارجية الأمريكية. ولكن نيكسون أن إعادة
النظر هذه ستتطلب في اتجاه الحد من «تورط»
الولايات المتحدة والالتزامات الخارجية و«الانتقال
من عصر المواجهة إلى عصر المفاوضات» مع
الاعداء، وخاصة مع الاتحاد السوفيتي.

وعند تحليل الأسباب التغييرات المحددة في
السياسة الأمريكية، والتي دفعت بها في اتجاه
انفراج العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتي،
من المفيد أن تشير إلى العوامل الذاتية، وخاصة،
سعى فيكون لأن يسجل نجاحات هامة في مجال
السياسة الخارجية تمهيداً للانتخابات الرئاسية في
١٩٧٢. ولا ينكر أحد أن نيكسون كان يريد أن
يشغل المعركة الانتخابية بنجاحات كبيرة لصالحه.
ويعتبر تحقيق انفراج مع الاتحاد السوفيتي
نجاحاً كبيراً. في نظر أوساط الرأي العام
الأمريكي. ويعزى نجاح نيكسون في الانتخابات
الأخيرة بدرجة كبيرة - دون شك - إلى ارتياح
الناخبين الأمريكيين من محادثات موسكو
والاتفاقيات التي ترتبت عليها مع الاتحاد
السوفيتي.

لكن الإشارة إلى أهمية العوامل الذاتية يترك
السؤال الرئيسي دون جواب :

ماذا يلجأ زعماء الولايات المتحدة في سعيهم لكسب
شعبية في الانتخابات إلى سياسة انفراج - في
العلاقات مع الاتحاد السوفيتي - وتخليف حدة
القول الدولي ؟ وفيه في الوقت الذي كان صانعو
السياسة الأمريكية منذ خمسة عشر عاماً معتمدين
يسعون إلى كتب التأييد الانتخابي بطريقة

لحشرات السميتين، واستخدمته الدعاية الأمريكية
في الدفاع عن ادعاء الولايات المتحدة الحق في
«غرس» مثلاً في جميع أنحاء العالم حتى ولو
كان ذلك بمساعدة القوات المسلحة. وفي ظروف
نمو الحركة النيموقراطية والجمهورية المعادية
للحرب في الولايات المتحدة، أصبح من الصعوبة
يمكن حقن الرأي العام بهذه الأفكار. وكما كتب
البرويسور هاتكر، أحد المتخصصين البارزين في
المشاكل السياسية والاجتماعية في الولايات
المتحدة، فإن معظم الأمريكيين لم يصدقوا
يصيدون، أن القدر قد أتى على كاملهم نشر
الرأسمالية والمسيحية ودستور الولايات المتحدة
في جميع أنحاء العالم، والواقع أن أعداداً
متزايدة من الأمريكيين، تعتقد بأن نوع الحياة
التي يهيمنها في بلادهم، يصعب أن تكون صالحة
للتصدير للبلدان الأخرى.

وهناك موضوع آخر يشغل تفكير ملايين
الأمريكيين : هل يمكن لبلادهم، وهل يسمين عليها
أن تستمر في انقراض موارد ضخمة على منافع
التسلح ومغامرات السياسة الخارجية بدلاً من
استخدامها لحل المشاكل الداخلية الملحة ؟ وامتدت
المناقشات حول الأولويات السياسية التي ترتبت،
على ذلك، لا إلى أوساط الرأي العام فحسب، وإنما
إلى جزء كبير من الدوائر الحاكمة كذلك.

وبدا بعض المتحدثين الرسميين باسم الدوائر
الحاكمة، يبدون إرتياحاً في المفاهيم السياسية
القديمة، ويطالب بموقف جديد من مفاهيم
السياسة القديمة، بما في ذلك المفاهيم المتعلقة
بالأمن القومي والاعتراف بأن القوة والنفوذ
الدولي للولايات المتحدة تتطلب - في المجال الأول -
اهتماماً باستقرار مؤخرتها، وبالأوضاع داخل
الولايات المتحدة نفسها، ويستطيع أن نستشهد
في هذا الخصوص بالجنرال ل. جافين أحد كبار
المتخصصين في الشؤون العسكرية. وأحد
الشخصيات العامة، أنه يتساءل : ما هو مصدر
القوة في عالمنا ؟ هل يمكن أن تقاس بالأسلحة ؟
يعد الفرق العسكرية ؟ ويوجد حملات الطائرات
استشهد للعمل في أي وقت ؟ أو هل تستند على

الرضاء الاقتصادي ؟ ليس هناك من سبيل أمامنا
سوى إعادة النظر في كل القيم التي كانت تحكمنا،
وهي المستقبل لا بد أن تطلق الإستراتيجية
الأمريكية بشكل متزايد مما يحدث في داخل
البلاد. ويخرج جافين في نهاية المطاف بالنتيجة
التالية : إن طبيعة النزاعات والصراع في عالمنا
تعرض لتغيير كبير. ويبدو أن نتيجة النزاعات
المقبلة، ستعتمد في مجال الاقتصاد، وظروف
الحياة الداخلية للشعب في مجال التطور
العلمي والتكنولوجي، وليس هذا السبب

مختلفة ، وفي مجال مختلف تماما ، عن طريق
الاستناد مع الاتحاد السوفيتي ، ومن خلال معاداة
الشيوعية ، وعبر سياق التسليح .

من الواضح ان الدور الرئيسي قد لعبته العوامل
الموضوعية ، أو تلك التغيرات الهامة التي حدثت في
العالم وفي الولايات المتحدة نفسها في الفترة
الاجبرية .

اتفاق تطور العلاقات

الامريكية السوفيتية

أصبحت أسباب التغيرات التي بدأت تتبلور في
موقف الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة من
بعض المسائل الهامة في السياسة الخارجية ، بما
في ذلك مسألة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، في
مجاله تثير اهتمام قطاعات واسعة من الرأي العام
في العالم ، وتوضح تلك المسألة قد يقدم مقلتها
لمسألة أخرى وهي مدى ثبات تلك التغييرات
واسيما راسها .

يرجع السبب الرئيسي في التغيرات نحو انفراج
العلاقات الامريكية السوفيتية ، والاتجاه نحو
تخفيف حدة التوتر والتعاون الدولي الى عوامل
موضوعية بعيدة المدى ، وبالتالي ، فان لتلك
التغيرات أفاقا واسعة ويرجع السبب في نجاح
السياسة السوفيتية الخارجية - في الفترة
الاجبرية - الى انها تصب في الاعتبار ، الاتجاهات
السائدة في تطور الأحداث العالمية ، والامكانيات
الجديدة التي تفتحها أمام الفضال من أجل تدعيم
السلام والامن الدولي .

ومن المفيد ان نرى ان الاتفاق القائمة في هذا
المجال ، وخاصة في مجال العلاقات الامريكية
السوفيتية تعددها في المحل الاول الاجابة على هذا
السؤال : هل هناك مجالات تتلقى فيها مصالح
الدولتين ؟ فإذا لم يكن هناك مثل هذه المجالات قلن
تتخطى تلك التطورات ، بعض التجسن في
العلاقات الدبلوماسية ، مهما بذل من جهد . أما
إذا وجدت تلك المجالات التي تطابق فيها مصالح
الدولتين ، فسيصبح هناك أمل في الانفراج ،
وتحسين العلاقات من أجل تطوير التصاون ،
والتغيرات التي طرأت على العلاقات الامريكية
السوفيتية إنما تعكس حقيقة موضوعية ، وهي :
انه رغم الخلافات الاماسية في الطبيعة الطبقة
والنظام الاجتماعي ، ورغم التناقضات السياسية
الواسعة بين البلدين ، حول كثير من القضايا
الهامة ، فقد ظهرت مجالات يمكن ان تلتقي فيها
مصالحهما النقاء واضحا .

ان أحد هذه المجالات التي تلتقي فيها مصالح

الدولتين هو منع الحرب النووية . ذلك ان مسألة
منع الحرب جديدة أصبحت في الظروف الصاعدة
مسألة تشغل اهتمام الجانبين ، ومجرد ادراك ذلك
انما قد يفتح إمكانات واسعة لتحسين العلاقات
بينهما ، حيث ان على مثل تلك الحرب ، لا يتطلب
خسب الاتفاق على ادانة المحاولات النووية
لاشغالها ، وإنما يتطلب كذلك تحسينا هادفا لكل
نظام العلاقات الدولية .

ففي غالم ، يسود التوتر ، يمكن للنشازات
العسكرية ان تتحول ، وعلى غير رغبة من الدول ،
الى تصعيد الأحداث تفض في ظله القوى المتنازعة
السيطرة على الموقف ، ويصبح وقوع الكارثة أمرا
لا يمكن تجنبه . ولهذا السبب ، تحاول الحكومة
السوفيتية ، ان تقدم في سياستها السلمية الى
أبعد من مجرد ادانة خطر الحرب النووية من جانب
جميع الدول . انها تستهدف انزال كل بذور النزاع
العسكري ، والقامة أنظمة فعالة للامن الجماعي في
أوروبا وآسيا ، والاتفاق على اجراءات لتطوير
النظام والتعاون الدولي .

ويظهر سياق التسليح مجالا هاما آخر تلتقي فيه
مصالح الدولتين الكبيرتين . ان جهود الاتحاد
السوفيتي ضد سياق التسليح ، ومن أجل نزع
السلح ليس أمرا جديدا في السياسة الخارجية
السوفيتية ، بل انه يعكس المصالح الحيوية
للاشتراك التي تطالب بتركيز القوى على المهام
الحوية لقيادة المجتمع الجديد .

لكن الامر ليس يمثل هذه السهولة ، فيما يتعلق
بالولايات المتحدة . ويرجع ذلك الى ان قسما هاما
من الطبقة الحاكمة ، وتمثله الاحتكارات التي تخدم
جهاز الحرب لها مصلحة في سياق التسليح ، هذا
بالاضافة الى ان الامبريالية الامريكية كلن
يرادوها ، لفترة طويلة ، الأمل في التفوق
العسكري على الاتحاد السوفيتي ، وتخطي لزمتهما
الاقتصادية عن طريق زيادة سياق التسليح .

وطالبا ساد هذا الرأي بين الدوائر الحاكمة فلا
يمكن ان يكون هناك أمل في اتفاق حول الحد من
سياق التسليح . غير ان الدوائر الحاكمة في
الولايات المتحدة ، في ظل ظروف الوضع الدولي
الرائح ، قد خابت آمالها في التفوق العسكري على
الاتحاد السوفيتي ، ان تخطى أزمة الرأسمالية
الاقتصادية ، من خلال سياق التسليح ، واكتشفت
الدوائر الحاكمة ان النفقات العسكرية للهائلة ، في
الوقت الذي تؤدي فيه الى تحقيق ارباح خيالية
لاحتكارات السلاح ، إنما تمارس تأثيرا مدمرا على
الاقتصاد الامريكي ، وقد وصلت تلك النفقات في
سنوات ما بعد الحرب ارقاما خيالية ، فبلغت
مقداره 1000 مليار دولار في 1962 . وكان ذلك -

الخط العام للسياسة السوفيتية نحو تدعيم السلام والامن الدولى وتوسيع التعاون مع كل البلدان .

ويمكننا ان نخرج من ذلك بنتيجة ان انفراج العلاقات الامريكية السوفيتية ، وتطورها يجد فرصا بوضوعية واسعة . وما حدث فى المصالح الماشى من تقدم ، يستمر خطوة على هذا الطريق . واذا ما سار البلدان حقا ، كما يقول بروجينيف ، فى الطريق الذى رسمته المحادثات المشتركة واجتماعى القمة فى موسكو ووشنطن فمن المتوقع ان تحقق العلاقات السوفيتية الامريكية خطوات هامة جديدة لصالح شعبي البلدين ولصالح السلام العالمى .

وسوف تلعب الاتفاقات التى تم التوصل اليها بين البلدين خلال اجتماعى القمة فى موسكو ووشنطن دورها الايجابى الكامل اذا ما تم تنفيذها بدقة ، وبيروجينيف ، الفهم حول المسائل الاخرى . وعلى ميعال المثال فان الاتفاق حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية سيكتسب قيمة كبيرة اذا ما اصبح الاتفاق المؤقت حول الاسلحة الهجومية اتفاقا دائما . واذا ما اصبح الانتقال من الحد من الاسلحة الى تحقيقها ، واذا لم تبذل محاولات لزيادة سياق التسلح فى المجالات التى لم تشملها الاتفاقيات .

وينطبق نفس الشيء ، على الاتفاقيات الاخرى ، بما فيها الاتفاقية الاقتصادية . وانه لشيء حسن ان تستهدف ازالة العوائق المصطنعة فى التجارة التى وضعت فى سنوات الحرب الباردة ، لكن حتى بعد ان تصبح تلك الاتفاقيات فاعلة تماما ، ستكون هناك حاجة الى جهد كبير من اجل اتصالات جادة بين البلدين للتوصل الى مستوى فى التعاون فى تلك المجالات يتفق ومستوى امكانيات البلدين .

وباختصار ، فلابد من تطوير ما تم التوصل اليه ، مع العمل على تنفيذ روح الاتفاقيات وليس نصوصها فحسب . ومن هذه الزاوية ، فان اهم نتيجة للتغيرات التى تجرى لم تكن الاتفاقيات نفسها ، وانما الخطوات التى تحققت والتى توفر امكانيات مواتية لتحويل جثرى من علاقات الحرب الباردة الى علاقات التعايش السلمى الحقيقية بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

ولا بد من توضيح ذلك ، لانه فى الوقت الذى توجد فيه امكانيات كبيرة لتطوير التغيرات الجديدة ، توجد كذلك اخطار جدية تعترض سبيل تطور العلاقات السوفيتية الامريكية .

البعيدة المدى ، والوخيمة ، حتى على اغمى قولة راسمالية قادى التضخم ، وزيادة الضرائب ، وتقلص السوق الداخلى ، واضعاف قدرة الولايات المتحدة على المنافسة وتفاقم المشاكل الداخلية .

ثم ادى ذلك كله الى زيادة ادراك قطاعات اوسع فى الولايات المتحدة بان الحد من سياق التسلح انما يتفق مع المصالح الوطنية . وهذا التغيير فى النظرة للامور - اذا ما وجد تعبيره له فى السياسة الرسمية - سيفتح مجالا لا لائقاء المصالح واتفاقات متبادلة ومفيدة للجانبين .

ويمتد مجال التعاون الاقتصادى ، والعلمى ، والتكنيكى ، والثقافى ، كذلك لحد مجالات التقاء المصالح بين الدولتين . واتساع امكانيات البلدين الذى لا حدود له ، شاهد على وجود امكانيات ضخمة فى هذا المجال . والجدير بالذكر ان الجهود الاولى التى بذلت عام ١٩٧٢ قد حققت زيادة ملموسة فى التجارة بين البلدين . وتم توقيع عدد من العقود الخاصة بتوريد مصانع ووسائل امريكية الى الاتحاد السوفيتى ، وفراء امريكا للسلع السوفيتية والمستحدثات التكنولوجية . ولا يفت الامر عند هذا الحد ، وانما يتعداه الى المناقشات التى تهجرى للتوصل الى اشكال مبشرة من الصلات الاقتصادية ، والقائمة مشاريع ضخمة مشتركة ، والتعاون فى الانتاج والعلوم والتكنيك ، وفى حل عدد من المسائل الهامة ، وفى جميع هذه المجالات تفتح آفاق مبشرة لفوائد ملموسة ومتبادلة للدولتين .

وهكذا نرى ، ان هناك مجالات لمصالح مشتركة بين انولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وان هذه المجالات توفر اساسا راسخا لانفراج العلاقات والتعاون الواسع بينهما فى مختلف الميادين .

ولا بد ان نشير الى ان المصالح المشتركة بين البلدين لا تؤدى الى الاضرار بالبلدان والشعوب الاخرى . وعلى العكس من ذلك ، فان سياسة الاتحاد السوفيتى تطلق من ان تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ، سيكون ذا فائدة للشعوب الاخرى ، كما سيساهم فى دعم السلام العالمى . وينطبق ذلك على جميع مجالات التعاون السوفيتى الامريكى التى تعرضنا لها من قبل . ان منع قيام حرب عالمية وتحسين الوضع الدولى والحد من سياق التسلح والجهود المشتركة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والتكنيكية انما يتفق - فى التحليل النهائى - مع مصالح الشعوب ، مع مصالح كل الشعوب والدول . وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لا يمكن ان يكون هدفا للسياسة السوفيتية فى حد ذاته . ان ذلك يعتبر جزءا من

المتأزمة؟ وتأثيره المموس على تطور العلاقات الأمريكية السوفيتية. وقد كشف العدوان الأمريكي في فيتنام عن ذلك بشكل واضح. فقد أدى تصعيد الحرب، عام ١٩٦٥، إلى توجيه ضربة حادة لاتجاهات الانفراج وهي الاتجاهات التي كانت قد بدأت تتبلور حينذاك، وحالت الحرب الفيتنامية خلال مجرى تطورها دون انفراج الوضع الدولي لأنها كانت تهدد دائما بتفانق الأوضاع. ولقد أدى انتهاء الحرب في فيتنام إلى موجة من التفاضل في إمكان أن يؤثر ذلك على مزيد من تحسن الوضع الدولي وتدعيم السلام.

ومازال الوضع المعقد في الشرق الأوسط، واستمرار معاناة الولايات المتحدة للمعوان الاسرائيلي على البلدان العربية يحمل اخطار زيادة الوضع الدولي تعقيدا بل ويهدد بتدهوره، اذا ما تفانقت الأوضاع. وليس هناك شك في أن تسوية أزمة الشرق الأوسط على أساس قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، يدفع بتحصين الوضع الدولي خطوات إلى الامام. ويتوقف الكثير في هذا المجال على موقف وسياسة الولايات المتحدة.

إن انفراج العلاقات الأمريكية السوفيتية، يتطلب مصلحا سياسيا دوليا مواتيا، فالأزمات السياسية والنزاعات العسكرية واستمرار بؤر التوتر لا يمكن إلا أن تقف عتبة في طريق تطور تلك العلاقات.

وباختصار... فإن تطور العلاقات الأمريكية السوفيتية يتوقف بدرجة كبيرة على مستوى التخلص من آثار وأسس الحرب الباردة ومفهوماتها، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولا يرجع السبب في ذلك إلى أن الدولتين تنتميان إلى نظامين اجتماعيين مختلفين، فذلك حقيقة واضحة، يترتب عليها أن علاقات الاتحاد السوفيتي بالولايات المتحدة، وبغيرها من البلدان الرأسمالية مستقل، علاقات صراع مهما تقدمت عملية الانفراج الدولي. والمشكلة التي تواجه العالم هي الاشكال التي يتخذه هذا الصراع وتتراوح تلك الاشكال، من الصدام المسلح، وسباق التسلح، والنزاعات الحادة إلى التمايش السلمي الذي يرتبط في ظله الصراع الإيديولوجي بين النظامين والتنافس بينهما في مختلف المجالات، بالتعاون المتعدد الجوانب، وتحل في ظله الخلافات المحتومة عن طريق المحادثات، ويحل محل سباق التسلح سياسة الحد من الأسلحة.

وأشكال الصراع لها أهمية كبيرة في هذا المجال كذلك، وربما يدور الصراع حول الاختلاف بين الحرب والسلام، وبين تبديد موارد مادية ضخمة في سباق التسلح والنزاعات العسكرية، والتنافس البناء المفيد لكل الشعوب.

وعندما نتحدث عن الاخطار التي تواجه تطور العلاقات السوفيتية الأمريكية، فإننا نمنع بذلك، على وجه التحديد، مؤامرات تلك القوى التي لها مصلحة في زيادة التوتر وزيادة سباق التسلح في الولايات المتحدة، والتي تتمثل أساسا في التجمع العسكري الصناعي واليمين المتطرف والدوائر الصهيونية الخ. لكل تلك القوى لم تلق السلاح بعد، وهي ما تزال تبتذل جهودا مضنية لمقاومة التصديق على الاتفاقيات التي تم التوصل إليها.

وسيمارس مجرى الاحداث السياسية في المناطق المختلفة من العالم، خاصة في تلك المناطق

أوربنا

من « المواجهة »

الى « الامن والتعاون »

أحمد عبد العليم

فى

المؤتمر . انه حدث تاريخى بكل معنى الكلمة ، سيكون دون شك مقدمة لتطورات بعيدة المدى . ولقد كان الرئيس تيتو على صواب تماما حين قال قبل انعقاد المؤتمر ببضعة شهور انه « من الخطأ ان يعتقد أحد أن مواقف متعارضة ، كذلك التى ما تزال قائمة اليوم فى أوربا ، يمكن التوفيق بينها وتسويتها خلال مؤتمر واحد » . ولكن هذا على وجه التحديد هو السبب الذى يجعل هذا المؤتمر ضروريا ضرورة مطلقة ، (١) .

ان هذا المؤتمر هو أحد الشواهد الجديدة التى نتابع الآن على المسرح الدولى ، والتى تنبئ بان سبعينيات هذا القرن ستحتل تاريخ المسالم باعتبارها نقطة تحول فى العلاقات الدولية . وأن سبب الحرب الباردة التى خيمت على العلاقات بين المعسكرين العالميين آخذة الآن فى الانقضاء .

السابع من شهر يوليو الماضى ، انتهت المرحلة الاولى من مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى ، التى عقدت فى هلسنكى عاصمة فنلندا . وشارك فيها وزراء خارجية ٣٢ دولة اوروبية ووزيرا خارجية الولايات المتحدة وكندا . وجاء فى البيان الصادر فى ختام اجتماعات هلسنكى : ان المرحلة الثانية للمؤتمر ستعقد فى جنيف يوم ١٨ سبتمبر القادم ، ويتم خلالها مواصلة بحث الموضوعات المدرجة فى جدول الاعمال ، ووضع الوثائق النهائية للمؤتمر .

واذا كانت المرحلة الاولى من المؤتمر لم تسفر عن نتائج باهرة ، وكشفت عن أن الشقة بين المواقف ما تزال متسمة ، فإن هذا لا يقلل على الاطلاق من الاهمية التاريخية لانعقاد هذا

[١] انظر حديث الرئيس تيتو مع الصحافة اليوغوسلافية دورا جاتكويتش فى ٢٢ فبراير الماضى ، المنشور فى Questions Actuelles du Socialisme, Mars-Avril 1975.

الأمريكية، ليس في نهاية المطاف سوى وجه واحد - وأن كان بالغ الأهمية - لواقع عالمي جديد، واقع صنعتية التغيرات التي تتابعتم على مسرح العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - هو الواقع، هو المحصلة النهائية لافضل ورموز أفعال القوى المؤثرة في مجال يشمل العالم كله.

ولكي يكون ما نقصده هنا واضحا، لابد أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال: لماذا يتحقق هذا التمسك في العلاقات السوفيتية الأمريكية الآن في النصف الأول من السبعينيات؟ أن الاتحاد السوفيتي يسمى منذ عام ١٩١٧ إلى إقامة علاقات طبيعية - اقتصادية وسياسية - مع كل دول العالم. ولقد كان لينين هو الذي صاغ - في السنوات الأولى بعد مولد الدولة السوفيتية - أسس التمايز السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة. كان لينين يقول: «أن أي سلام سيفتح أمامنا طريقا أرحب وأوسع مائة مرة». وكان هو الذي دعا إلى إقامة علاقات اقتصادية وتجارية مع دول الغرب الرأسمالي. كان يقول: «لا بد أن نتاجر مع الدول الرأسمالية طالما ظلت موجودة» (٢)، وكانت الدول الرأسمالية هي التي انتهجت سياسة الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري ضد الاتحاد السوفيتي ثم ضد الدول الاشتراكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. في عام ١٩١٧ - بعد انتصار ثورة لكتوير الاشتراكية في روسيا - كان ونستون تشرشل يقول: «لا بد من القضاء على الوليد في مهده»، ولم يكن تاريخ الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩١٧، إلا كفاحا متصلا ضد محاولات الرأسمالية العالمية للجهاز على الدولة الاشتراكية الأولى في العالم، ابتداء من حرب التدخل الأجنبي ضد روسيا السوفيتية في الأعوام ١٩١٨ - ١٩٢١، إلى اتفاقية ميونيخ في عام ١٩٣٨ التي فتحت الطريق إلى العدوان الهتلري على الاتحاد السوفيتي، إلى العدوان نفسه في يونيو ١٩٤١، إلى ميسات «الردع النووي المشلول» و«الإحتواء» التي تبناها حلف الأطلسي ضد الدول الاشتراكية. ومن هنا يقتضينا الانصاف أن نقول إن السمي إلى التمايز السلمي وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية مع كل دول العالم، كان خطأ ثابتا في السياسة الخارجية السوفيتية، وأن ما نشهده اليوم من تطورات في علاقات الاتحاد السوفيتي بالدول المتحددة وغيرها من الدول الرأسمالية، لا يمكن تصوريه بآبائه تحل من جانب الاتحاد السوفيتي عن

وإن أخطار المواجهة بينهما تتراجع أمام بؤايز مرحلة جديدة تتأكد فيها الواقعية السياسية، ويتنقل خلالها بالتدرج مركز القتل في الصراع بين النظامين إلى مجالات المنافسة الاقتصادية والاجتماعية والديبلوماسية.

وقد يكفي أن نتذكر، أن أوروبا هي القارة التي انفلج منها لهيب أكبر صراعين مسلمين في التاريخ، والتي تتواجه فوق أراضيها القوات المسلحة لكبر حلفين سياسيين وعسكريين عرهما العالم، وأنها القارة التي يجري عبرها خط الحدود الفاصل بين المسلمين، والتي تضم ثلاث قوى ذرية من خمس قوى ذرية في العالم. يكفي أن نتذكر هذا كله لكي نذكر ما ينطوي عليه تخفيف حدة التوتر في أوروبا، وكفالة الأمن والتعاون فيها، من آثار بالغة الأهمية على العلاقات الدولية، وعلى أمن وسلام العالم كله. وفي هذا المنسوء ينبغي أن يكون تقييمنا لتوتر الأمن الأوروبي، وجلس ٣٢ دولة أوروبية من البرقي والأوروبي، وبمهما الولايات المتحدة وكندا. حول نافذة مفاوضات واحدة، لأول مرة في التاريخ، للاتفاق على أسس كفالة الأمن الأوروبي والمبادئ التي تحكم التعاون المتساوي والاقتصادي بين دول القارة والضمانات التي تكفل استمرار هذا التعاون.

واقع عالمي جديد

ينوح هذا المؤتمر في الواقع سلسلة من التطورات الهامة في العلاقات الدولية. وهو يأتي - شأن كل حدث هام في عصرنا - نتيجة لتفاعل عوامل تشمل المسرح العالمي كله. أنه يعبر عن حقائق واقع عالمي جديد. من مستوى معين بلغه توازن القوى العالمية - ومن هنا فمن الخطأ أن ننظر إليه، كما يفعل البعض، كمجرد شدة بين «التقارب» أو «الوفاق» بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. فإذا كان من الصحيح أن للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي دور حاسم في الأمن الأوروبي والأمن العالمي كله، باعتبارهما الدولتين اللتين تقفان على رأس المسلمين وتملك كل منهما، القوة الاستراتيجية الأساسية للدفاع عن النظام الذي تنتمي إليه، فليس معنى ذلك، أنهما تتحركان في فراغ، أي بمعزل عن ميزان شامل للقوى العالمية، أو لفا نستطيع أن نغفل وجود قوى أخرى لها مصالح مؤثرة. ومن هنا، فإن التمسك في العلاقات السوفيتية

المبادرات السوفيتية في

قضية الأمن الاوربي

هكذا ناضل الاتحاد السوفيتي منذ وجوده من أجل علاقات دولية جديدة تقوم على مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

وإذا كان هناك اليوم من يمز عليهم الاعتراف بالحقيقة أو يصعب عليهم فهمها ، فيصالحون تصوير نتائج مؤتمر القمة الامريكى - السوفيتي الأخير أو انعدام مؤتمر الأمن الاوربي على أنها أدلة تشهد بانتهاء التناقضات و زوال الخصومة الايديولوجية بين النظامين المعادين ، ويسارعون بدق « نواقيس الخطر » تحذيرا من نتائج « سياسة الوفاق بين الشيوعية والراسمالية » ، فإن التاريخ يصبح عندهم هو الفصيل الذى نستطيع أن ننبئ فى ضوءه حقيقة ما يجرى فى العالم الآن من أحداث ، وهل هى هزيمة « المبادئ » الدول الاشتراكية أم أنها - على العكس - انتصار لها .

وحين نعود الى التاريخ ، سنجد أن قضية الأمن الاوربي ، وتوسيع التعاون بين دول أوربا ، كانت هدفا ثابتا للسياسة الخارجية السوفيتية . لقد كان لينين هو الذى صاغ المقترحات التى تقدم بها الوفد السوفيتي الى مؤتمر تخفيف حدة التوتر الذى عقد فى جنوا فى عام ١٩٢٢ . وكانت هذه المقترحات تدعو الى نيل استخدام القوة فى العلاقات بين الدول الاوربية والاعتراف بالحدود الاقليمية والسياسية القائمة ، والتوصل الى اتفاقيات للقيام بمشروعات مشتركة فى مقدمتها مشروع لاستغلال موارد الطاقة يقوم على خطة موحدة للتكهربة وإعادة تنظيم المواصلات الدولية والارتفاع بكفاءتها (١) . وتحدث شيشينين رئيس الوفد السوفيتي فى ذلك المؤتمر عن « إمكانية بل ضرورة التعاون الاقتصادي بين الدول التى تمثل الامم المختلفة للملكية » . وقد حظت الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدء المشاورات التمهيدية لمؤتمر الأمن والتعاون الاوربي لدى هلسنكى فى توفير من العام الماضى ، بالمقترحات التى تشتمل الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاوربية من أجل كفاءة الأمن الاوربي وإقامة نظم للأمن الجباى فى أوربا :

« مواثيق الايديولوجية » وبأنه يتضمن « المبادئ » على منبج « الوفاق » ومغاضمه . وإذا كانت الدول الراسمالية تضطر اليوم الى قبول مبدأ التعايش السلمي فى علاقاتها مع الدول الاشتراكية ، فإن هذا يعنى أن ثمة واقع جديد يتأخذ فى العالم الآن ، وأن هذا الواقع لم يعد يسمح للدول الامبريالية أن تملئ مشيئتها فى العلاقات الدولية ، ويفرض عليها أن تقبل تدريجيا ما ظلت ترفضه منذ أكثر من نصف قرن .

ولعله يكفينا هنا - تأكيداً لهذه الحقيقة - أن نقارن ما كان يقوله يول هنرى سميث فى الخمسينيات باعتباره سكرتيراً عاماً لحلف الاطلسي ، حين كان يطالب « بمصارية فكرة التعايش السلمي بأى ثمن » ويصلها بانها « مناورة شيوعية خطيرة » ، أما كاتيفوله هنرى كيسنجر عن التعايش السلمي فى عام ١٩٥٧ حين كتب يقول « ان القادة السوفيت لجأوا الى التعايش السلمي لانه يعد فى نظرهم لكلاً تكتيكاً هجومياً واضعاً وسيلة لهم الكيان القائم بوسيلة أخرى غير الحرب الشاملة » (٢) ، يكفى أن نقارن هذه الاقوال والكثير من أمثاله بالوثيقة التى وقعها الرئيس ريتشارد نيكسون - باسم الدولة الامبريالية الاولى فى العالم - مع ليونيد بريجنيف فى مايو ١٩٧٢ ، والتى تؤكد صراحة مبدأ التعايش السلمي . تقول وثيقة « مبادئ » العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي « ان الجانبين » ينطلقان من اعتقادهما المشترك بأنه ليس هناك أساس يمكن أن تقوم عليه العلاقات بينهما فى العصر الذى سوى لتعايش السلمي » . وريب التت هذه المقاربة التاريخية بعض الضوء على حقيقة ما يشهده العالم الآن من أحداث ، أدات رؤس البعض الى الحد الذى جعلهم يتلمسون أسبابها فى « صفة مريبة » عقدا الاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة . والواقع أن خطورة هذا النزاع من « التحليلات » لا يقتصر على طمس حقيقة هذه التغيرات ، وإظهار الولايات المتحدة بمظهر القوة التى تستطيع دائماً أن تملئ ارادتها ، وتجهز الآخرين على « التخلي هن المبادئ » وتملك بيدها مفتاح حل كل المشكلات ، وإنما يمتد - وهذا ممكن الخطر الحقيقي - الى محاولة تبديل كل أمل متقدده القوى المتكسفة من أجل السرية والتقدم على الاتحاد السوفيتي - باعتباره حليفاً طبيعياً لها فى هذا الكفاح .

لدول حلف وأرسى بيانا من « السلام والأمن والتعاون في أوروبا » حددت فيه المبادئ الأساسية للأمن الأوروبي والعلاقات بين دول القارة على النحو التالي :

- احترام الحدود القائمة ورفض أية مطالب اقليمية تتقدم بها دولة أوروبية الى دولة أوروبية اخرى .

- نبذ استخدام القوة وحل جميع المسائل المختلف عليها بين الدول الأوروبية بالوسائل السلمية والسياسية وحدها .

- التعاضد السلمي بين الدول ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة و تنمية علاقات حسن الجوار على أساس مبادئ الاستقلال والسيدة الوطنية والمساواة والمثقة المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

- تنمية العلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين الدول .

- العمل بكل الوسائل على حل قضية نزاع السلاح بوجه عام والسلاح الذري بوجه خاص .

- مساعدة هيئة الامم المتحدة .

هذا جانب من مبادرات الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية في قضية الأمن الأوروبي ، وهي تشهد جميعا أن الأمن الأوروبي كان مطلباً قاتلاً تلح عليه السياسة الخارجية لهذه الدول ، وأن هذا المطلب قلل يقابل بالأعراض والتجاهل من دول حلف الاطلنطي ، التي كانت تصب الدعوة لعقد مؤتمر للأمن الأوروبي بأنه حلم لا طائل وراءه ، وظلت تضع في سبيله شتى العراقيل ، الى أن بدأت في أواخر العام الماضي المشاورات التمهيدية لعقد المؤتمر بعد سلسلة من التطورات الهامة في العلاقات الدولية .

موقف فرنسا

كان في مقبلة هذه التطورات بلا شك ، التغير في السياسة الخارجية الفرنسية ، بعد أن بدأ الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول في التنازع سياسة تقوم على الاستقلال عن السياسة الأمريكية ، وتمثلت هذه السياسة المستقلة في مواقف هامة كان من أبرزها الانسحاب من المنظمة العسكرية لحلف الاطلنطي ، وتوثيق علاقات فرنسا بالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، والاعتراف بالصين الشعبية ، وإدانة العدوان على فيتنام والمطالبة بانسحاب القوات الامريكية من

■ في فبراير ١٩٥٤ قدمت الحكومة السوفيتية . في الاجتماع الذي عقده وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا في برلين ، اقتراحا بعقد « معاهدة أوروبية شاملة للأمن الجماعي في أوروبا » . ورفضت الدول الغربية الثلاث هذا الاقتراح .

■ في نوفمبر ١٩٥٤ اقترح الاتحاد السوفيتي عقد مؤتمر تشترك فيه كل دول أوروبا لمناقشة اقامة نظام للأمن الجماعي في أوروبا . ورفضت دول حلف الاطلنطي الاشتراك في هذا المؤتمر .

■ في نوفمبر ١٩٥٥ اقترحت الحكومة السوفيتية عقد ميثاق عدم اعتداء بين دول حلفي وأرسى والاطنطي كخطوة تمهيدية نحو عقد معاهدة أوروبية شاملة تكفل الأمن الجماعي في القارة . ورفضت دول حلف الاطلنطي هذا الاقتراح .

■ في يوليو ١٩٦٦ اقترحت اللجنة الاستشارية لدول حلف وأرسى عقد مؤتمر عام للأمن والتعاون الأوروبي . ولكل البيان الصادر عن اجتماع اللجنة أن الاعتراف بالحدود التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية في أوروبا ، بما في ذلك خط حدود « الأودر - نيس » بين بولندا وألمانيا الاتحادية ، وخط الحدود بين الدولتين الألمانييتين ، هو أساس إقامة سلام دائم في أوروبا .

■ في أكتوبر ١٩٦٩ قدمت دول حلف وأرسى جدول أعمال مقترح للمؤتمر الأمن الأوروبي ، ثم عادت في يونيو ١٩٧٠ لمقمت مقترحات عملية قالت فيها أنه بعد الاتصالات التي أجريت بشأن المؤتمر فإنها تقترح أن تكون الدول التي تشترك فيه هي كل دول أوروبا ، بما فيها الدولتين الألمانييتين ، ومعها الولايات المتحدة وكندا . واقرحت أن يتضمن جدول أعمال المؤتمر النقاط الآتية :

١ - كفالة الأمن الأوروبي ونبذ التهديد باستخدام القوة أو استخدامها في العلاقات بين الدول الأوروبية .

٢ - توسيع العلاقات التجارية والاقتصادية والعلمية والفنية والثقافية على أساس المساواة وبما يكفل تنمية التعاون السياسي بين الدول الأوروبية .

٣ - قيام المؤتمر الأوروبي الشامل بإنشاء هيئة دائمة تتولى مناقشة مشكلات الأمن والتعاون في أوروبا .

■ في يناير ١٩٧٢ أصدرت اللجنة الاستشارية

مهدت لعقد مؤتمر الأمن الأوروبي السياسي التي أنهيتها حكومة فيلي برانت - قائد شيل الانتلافية بعد قولها الحكم في ألمانيا الاتحادية في خريف عام ١٩٦٩ . ومن أبرز جوانب هذه السياسة سعيها الى تخفيف حدة التوتر انطلاقا من الاعتراف بالواقع السياسي ، والاتجاه الى تحسين العلاقات مع الدول الاشتراكية . وكان من أهم ما أسفرت عنه سياسة الاقتراح على الشرق « ، هذه توقيع معاهدة موسكو بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا الاتحادية في أغسطس عام ١٩٧٠ ، وبمقتضى هذه المعاهدة ، تعهدت ألمانيا الاتحادية « أن تحترم دون تحفظ السلامة الإقليمية لكل الدول الأوروبية بحدودها القائمة الآن » . وأعلنت أنها « ليس لها أي مطالب الإقليمية لدى أية دولة . ولا تزع المطالبات يمثل هذه المطالب في المستقبل » ، وأنها تحترم « حدود كل الدول الأوروبية كما هي قائمة في اليوم الذي وقعت فيه هذه المعاهدة بما في ذلك خط حدود الأورو - نيس باعتبارها خط حدود جمهورية بولندا الشعبية والحدود بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية » .

وفي ٧ ديسمبر ١٩٧٠ وقعت ألمانيا الاتحادية مع بولندا معاهدة اعترفت فيها بخط حدود الأورو - نيس باعتبارها خط الحدود بين الدولتين ، ونصت هذه المعاهدة على أن « مناعة الحدود واحترام السلامة الإقليمية لكل الدول وسيادتها بحدودها القائمة الآن هما الشرط الأساس للسلام » .

وفي الاجتماعات التي عقدها ليونيد بريجنيف وفيلي برانت خلال زيارة المستشار الألماني للاتحاد السوفيتي في سبتمبر ١٩٧١ ، أكد الجانبان ضرورة العمل على إزالة التوتر في وسط أوروبا ، واتفقا على أن من بين شروط تحقيق هذا الهدف إقامة علاقات على قدم المساواة بين جمهوريتي ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية بما يتماشى مع قواعد القانون الدولي ويعمل بقبول الدولتين اللابنتين في الأمم المتحدة .

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٧٢ ، وقعت في برلين عاصمة ألمانيا الديمقراطية « معاهدة المايء » التي تحكم العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية . وكان توقيع هذه المعاهدة صفقة جديدة في العلاقات بين الدولتين ، إذ نصت مادتها الأولى أن علاقتهما تقوم « على أساس المساواة بين البلدين » ، كما نصت على احترام خط الحدود بين الدولتين اللابنتين « سواء في الحاضر أو في المستقبل » . والدولتين « تحل كل المسائل المختلف عليها بالطرق السلمية ، وإن يمتنسا عن التهديد باستخدام القوة » .

لهذا الصيغة ، وحظر تصدير الأسلحة الى إسرائيل بعد عدوانها على الدول العربية . وكان للعلاقات التي نشأت بين الاتحاد السوفيتي وفرنسا دور هام في تقديم نموذج جديد للعلاقات بين الدول الأوروبية ، حتى لقد وصفت العلاقات السوفيتية - الفرنسية بأنها « معمل للتعايش السلمي » . ففي أكتوبر ١٩٧٠ زار الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو الاتحاد السوفيتي ، وتمخضت هذه الزيارة عن توقيع « بروتوكول للمشاورات السياسية بين الدولتين » . وتلت ذلك زيارة بريجنيف لفرنسا في عام ١٩٧١ ، والتي أسفرت عن توقيع وثيقة « مبادئ التعاون بين فرنسا والاتحاد السوفيتي » في ٣٠ أكتوبر ١٩٧١ . ونصت هذه الوثيقة على أن الاتحاد السوفيتي وفرنسا « سيرتبان علاقتهما القائمة في كل المجالات بصورة تجعل منهما نموذجا يحتذى في التعاون بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة » . كما جاء في البيان المشترك الذي صدر في ختام هذه الزيارة أن « الجانبين يمتندان أنه من المهم أن يحقق المؤتمر الأوروبي الشامل كل الآمال التي يعقدها الرأي العام عليه وأن يسفر عن نتائج ملموسة في المسائل التي يبحثها » . وهما يبرهان عن إلهما في أن تجري الأعمال التحضيرية للمؤتمر بطريقة تؤدي الى عقده في عام ١٩٧٢ . وفي المؤتمر القومي للحزب الفرنسي الحاكم - اتحاد الديمقراطيين للدفاع عن الجمهورية - الذي عقد في مدينة ستراسبورج خلال الفترة بين ١٩ و ٢١ نوفمبر ١٩٧١ قدم تقرير يسمون « دور فرنسا في العالم » . وتحدث هذا التقرير عن أهمية عقد مؤتمر الأمن الأوربي ، ثم أضاف « يبدو أن الطريق أصبح الآن مهيدا للتخصير مؤتمر أوربي شامل ليبحث قضية الأمن » . وهو المؤتمر الذي تلح دول الشرق على عقده منذ عدة سنوات . وفي يناير الماضي عقد بريجنيف وبومبيدو اجتماعهما الثالث في مينسك عاصمة روسيا البيضاء ، وكان من أهم الموضوعات في المباحثات بينهما مشاورات هلسنكي لتمهيد لعقد مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي .

وفي مجال العلاقات الاقتصادية والعلمية والفنية بين البلدين أنشئت لجنة مشتركة تتولى مناقشة مشكلات هذا التعاون . ويكفي أن نذكر هنا أن التجارة بين فرنسا والاتحاد السوفيتي زادت بنسبة ٢٥٠ في المائة خلال الفترة بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٦٩ .

سياسة « الاقتراح على

الشرق » في ألمانيا الاتحادية

كذلك كان من التطورات البالغة الأهمية التي

وفي مايو ١٩٧٣ - وأن بريجيتف ألمانيا الاتحادية - وجاء في البيان الذي صدر في ختام مباحثاته مع فيلي برانت أن الجانبين «بمضاً بالتفصيل المشاكل المتعلقة بإعداد لعمد مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي وعقد والتي أصبحت تحتل مكان الصدارة في السياسة الأوروبية» وأعبأ عن أهمها في أن تنتهي المشاورات المتعددة الأطراف في هلسنكي قريباً - وأن يدعى المؤتمر إلى الانقاد في وقت قريب وعلى مستوى يتفق مع الأهمية الدولية لهذا اللقاء - وأكد الجانبان «عزمهما الكليل على الاسهام في نجاح المؤتمر بغية خلق أساس قوى للسلام والأمن والتعاون في أوروبا» - كما عقيت خلال هذه الزيارة «اتفاقية لتطوير التعاون الاقتصادي والصناعي والفني» بين البلدين بآخرى للتعاون الثقافي وبروتوكول للمواصلات الجوية .

وفي يونيو ١٩٧٣ وقعت ألمانيا الاتحادية مع جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية اعترفت فيها بالحدود التشيكوسلوفاكية القائمة ببطلان « اتفاقية ميونيخ » التي كانت لألمانيا الهتلرية قد ضمت بمقتضاها اقليم السويد التشيكوسلوفاكي اليها .

ولقد كان توقيع هذه المعاهدات - كما وصف بحق - حدثاً تاريخياً . كان بمثابة أقرار بالنتائج التي أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية في أوروبا ، وهزيمة للقوى الإقليمية الرجعية في ألمانيا الاتحادية ، التي ظلت طيلة فترة تربو على العشرين عاماً ترفض الاعتراف بهذه النتائج وتحلم بتصفية النظام الاشتراكي في ألمانيا الديموقراطية وإعادة الحدود الألمانية إلى حدود الرايخ الألماني في عام ١٩٣٧ .

الاتفاق الرباعي

بشان برلين الغربية

وفي ٣ سبتمبر ١٩٧١ ، وقعت الدول الأربع الكبرى الاتفاق الرباعي بشأن برلين الغربية ، واعترفت الدول الغربية الثلاث في هذه الاتفاقية لأول مرة بأن العلاقة بين الدولتين الألمانيتين تقوم على سيادة كل منهما على أراضيها ، كما اعترفت بالمركز الخاص لبرلين الغربية باعتبارها لا تشكل جزءاً من أراضي ألمانيا الاتحادية . وبهذا حسمت مشكلة من أخطر المشاكل النواية المعلقة ، وصفت بؤرة من أخطر بؤر الاحتكاك والتوتر في أوروبا .

موقف الولايات المتحدة

ظلت الولايات المتحدة تتجاهل طويلاً دعوة الدول الاشتراكية ومقترحاتها لعقد مؤتمر الأمن

الأوروبي ، وكانت ترى في هذه المقترحات خطراً مباشراً على سياسة « مراكز القوة » التي تنتهجها وعلى تماسك حلف الأطلسي . والواقع أن أهم ما كان يقلق الولايات المتحدة في تلك الفترة - وهو ما عير عنه صراحة هنري كيسنجر - هو أن تبدأ دول أوروبا الغربية منفردة في تنمية علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى في أوروبا ، دون أن تضع رقيبات واشنطن موضع الاعتبار . ومع اتساع نطاق حركة الدعوة إلى عقد المؤتمر وتزايد ضغط الرأي العام الأوروبي ، بدأت الولايات المتحدة تلجأ إلى تكتيكات جديدة ، لا تقوم على رفض المؤتمر صراحة ، وإنما تجعل انعقاده مرهوناً بشروط معينة منها تسوية مشكلة برلين الغربية ، والتقدم في مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وفي دورة مجلس حلف الأطلسي التي عقدها في بروكسل في أواخر عام ١٩٧١ ، بدأ الخلاف واضحاً بين الدول التي تؤيد سياسة السوفييت الأمريكية والدول الأخرى (فرنسا ودول اسكندنافيا) التي كانت تدعو إلى التمهيد لعقد المؤتمر .

وقد عكس البيان في ختام الدورة هذه الخلافات بين الدول الأعضاء ، وكان بمثابة حل وسط يوفق بين الاتجاهين المتعارضين . فقد ذكر البيان أن شبة حاجة إلى تنطيط الاتصالات الثنائية مع الدول الأخرى المعنية بمبدأ المؤتمر ولكنه عاد ليشترط مرة أخرى تسوية مشكلة برلين الغربية قبل البدء في الاعداد للمؤتمر .

وكانت أول بادرة تشير إلى تغير جاد في الموقف الأمريكي من هذه القضية ، هي ما ورد بتقرير الرئيس الأمريكي إلى الكونجرس في ٩ فبراير ١٩٧٢ . فقد أبد هذا التقرير في جزئه المنعوت « السياسة الخارجية للولايات المتحدة سبق السبعينيات » عقد المؤتمر إلا أنه اشترط أن يسبق هذا الانعقاد « اعداد مئان » ، وأكد ضرورة التنسيق بين مواقف الدول الغربية قبل بدء المشاورات التمهيدية للمؤتمر .

وأخيراً ، أعلن البيان الذي صدر في ختام مصادات القيمة السوفيتية - الأمريكية في موسكو في مايو ١٩٧٢ استعداد الجانبين « للاسهام في تخفيف حدة التوتر في أوروبا ، وعقد مؤتمر شامل لألمن الأوروبي » .

كيف نفسى هذه التغيرات ؟

هذه هي أهم التطورات التي سبقت بدء

امتلاك الاتحاد السوفيتي لأسلحة استراتيجية قوية ومتقدمة «تقارب أسلحتنا من حيث العدد والقدرة وتزيد عليها في بعض الأنواع» (٥) .

على أنه يكون من الخطأ أن نعتبر هذا التغير في ميزان القوى العسكرية العالمية ، عاملاً منفصلاً عن مجرى التطور الاجتماعي والاقتصادي في البلاد الاشتراكية - ذلك أن تطور القدرة العسكرية ، في ظروف الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة ، أصبح يرتبط الآن أكثر من أي وقت مضى بالتقدم الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي العام - ونجاح الدول الاشتراكية في تطوير قدرتها الدفاعية إلى هذا الحد الرادع هو دليل على قدرة الاشتراكية كنظام اجتماعي على الانتصار في المنافسة الاقتصادية بين النظامين الحاليين - ولعله يمكننا تأكيداً لهذه الحقيقة أن نورد الإحصائية التالية عن تطور نصيب المناطق الاقتصادية الهامة في الإنتاج الصناعي العالمي :

النسبة المئوية لنصيب المناطق الصناعية الكبرى في الإنتاج الصناعي العالمي

عام ١٩٦٨	عام ١٩٦٧	
٢١	١٦	بلاد مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة [٦]
٢٧	٢٨	الولايات المتحدة
٢٠	٢٥	أوروبا الغربية
٦	١٢	ألمانيا الغربية [٧]
٥٤	٢	اليابان

وفي عام ١٩٦٩ ارتفعت نسبة بلاد مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة في الإنتاج الصناعي العالمي إلى ٢٢ في المائة من الإنتاج الصناعي العالمي - كما أصبح الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٧٠ يحتل المركز الأول في العالم في عدد من المنتجات الصناعية الأساسية منها الصلب والحديد الخام وفحم الكوك والغازات والجرارات .

تدهور مركز الولايات المتحدة

في الاقتصاد الرأسمالي العالمي

وفي مواجهة هذا النمو المتزايد في المركز الاقتصادي العالمي للدول الاشتراكية ، شهد التطور الاقتصادي للبلاد الرأسمالية خلال الفترة التي

المشاورات التمهيدية لمؤتمر الأمن والتعاون الابري في نوفمبر ١٩٧٢ ، ثم بدء المرحلة الأولى للمؤتمر في أوائل الشهر الماضي - فما هي حقيقة العوامل التي تقف وراء هذه التغيرات ؟ لماذا تقبل دول حلف الاطلسي اليوم ما ظلت ترفضه منذ نهاية الحرب العالمية ؟ لماذا قبلت حكومة فيلي برانت في ألمانيا الاتحادية - مثلاً - الإقرار بنتائج الحرب العالمية الثانية وهو المطلب الذي كان محل إنكار ومجوم من كل الحكومات الألمانية الغربية السابقة ابتداء من أديناور إلى إيرهارد إلى كيسنجر ...

ميزان جديد للقوى العالمية

ربما استطعنا أن نجد جانباً من الإجابة على الأسئلة السابقة فيما كتبه فالتر شيل وزير خارجية ألمانيا الاتحادية في صحيفة «شتوتنجاشر تسايتونج» في ٣ ديسمبر ١٩٧١ - كتب فالتر شيل يقول «إن الذين ما زالوا يريدون أن يتركوا مسألة الحدود ، مفتوحة ، مهما كان من تغير الظروف ، عليهم أن يوضحوا لأنفسهم ماذا يأملون في تحقيقه من وراء ذلك طالما أن تغيير الحدود بالوسائل العنيفة لم يعد ممكناً » - والواقع أن هذه الحقيقة ، حقيقة تغير ميزان القوى العسكرية في العالم لصالح الدول الاشتراكية ، لم تعد محل جدل بين قادة الدول الرأسمالية ومفكرها الاستراتيجيين - لقد انقضى العصر الذي كانت الامبريالية الأمريكية تستطيع أن تتصرف فيه متمدة على نفوقها الاستراتيجي على الاتحاد السوفيتي - انقضى العصر الذي كانت تملك فيه من النفوق العسكري ما يجعلها تحلم بإعادة عجلة التاريخ إلى الوراء بقوة السلاح وتصفية الكاسب التي حققتها الاشتراكية العالمية - «إننا نملك الآن سلاحاً لن يقتصر على أحداث ثورة في الحرب بل هو قادر على أن يغير مجرى التاريخ التساريخ والحضارة» .. هكذا كان يتحدث الرئيس الأمريكي هاري ترومان بعد توقيع القنبلة الذرية الأمريكية الأولى في عام ١٩٤٥ ، هكذا كان يحلم «بالتغيير مجرى التاريخ والحضارة» - فلنقارن هذا التصريح بما قاله الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في تقريره إلى الكونجرس في ١٨ فبراير ١٩٧٠ - يقول الرئيس الأمريكي في هذا التقرير أن من الحقائق التي لا يمكن تجاهلها في السبعينيات

US Foreign Policy for the 1970's. A Report to the Congress by Richard Nixon. (٥)
President of the United States, February 1970, Washington 1970, p. 119.

(٦) يضم مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة الاتحاد السوفيتي وبيلاريا وتشيكوسلافيا والمجر ورومانيا وألمانيا الديمقراطية وبولندا .

(٧) النسبة المئوية لعام ١٩٦٧ لا يتاحتها .

انقضت منذ الحرب العالمية الثانية تغيرات عميقة في ميزان القوى بين الدول الرأسمالية ، أسفرت من تدهور متزايد لمركز الرأسمالية الأمريكية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، تدهور كان من شأنه أن يهدد بصورة خطيرة قيادتها الصناعية في العالم الرأسمالي ، وينهي سيطرتها الطويلة على المركز الاول في تصدير السلع الصناعية . لقد كان والتر ليبمان المعلق السياسي الأمريكي الشهير - على حق تماماً حين كتبتقول : أن الولايات المتحدة تتعامل الآن مع خصم يتساوى معها في القوة العسكرية ومع شركاء يتساوون معها في القوة الاقتصادية . ثم يؤكد بعد ذلك أن هذا شيء جديد تماماً على الولايات المتحدة التي ظلت طيلة مائة عام غير مضطربة تواجه المشكلة الانسانية القديمة : مشكلة ان تعيش في عالم ليست أركانها هي القانون الوحيد فيه : (أ) .

وتبين الاحصائية التالية للمؤثرات الاقتصادية للدول الرأسمالية الاساسية في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ، هذا التدهور النسبي في مركز الولايات المتحدة :

لقد ادى النمو غير المتكافئ للرأسمالية في البلاد المختلفة - كما يتضح من الاحصائية السابقة - الى اضعاف التفوق الاقتصادي لرأس المال الاحتكاري الأمريكي بصورة متزايدة ، اذ كانت اقتصاديات البلاد الرأسمالية الاخرى تنمو بمعدل أسرع من معدل نمو اقتصاد الولايات المتحدة (فيما عدا بريطانيا التي أصبحت الآن المرض الزمن في النظام الامبريالي العالمي) . وازاء ذلك كانت قدرة الولايات المتحدة على املاء أركانها على السدول الرأسمالية ، تنقص باستمرار . وهذه حقيقة لم تعد الدوائر الحاكمة

في الولايات المتحدة تجد مناصباً من الاعتراف بها ، فقد كتب الرئيس نيكسون نفسه هو الذي قال في بيانه عن تخفيض قيمة الدولار في ٨ ديسمبر ١٩٧١ :

« لقد أصبح لدينا الآن عالم جديد ، عالم أصبحت توجد فيه بلا من دولة قوية واحدة ، دول أوروبا واليابان وآسيا وكندا وأمريكا الشمالية . . . من هذه الدول منافس قوي للآخر ، ونتيجة لذلك كان من الضروري في هذه اللقاءات أن يتم التفاوض بين دول متساوية القوة فيما يتعلق بمصالحها ، (٩) .

ومع تقلص نصيب الولايات المتحدة من صادرات العالم الرأسمالي (من ٢٢,٨ في المئة في سنة ١٩٤٨ الى ١٥,٥ في المائة في سنة ١٩٦٩) وزيادة نصيب دول أوروبا الغربية واليابان في سنة ١٩٤٨ الى ١٥,٥ في المائة في سنة ١٩٦٩ ، أخذ الميزان التجاري للولايات المتحدة في التدهور المستمر ، فعلى حين كان الفائض في الميزان التجاري الأمريكي في عام ١٩٦٤ يبلغ حوالي ٧,٣ مليار دولار ، شهد عام ١٩٧١ عجزاً في الميزان التجاري يقدر بنحو ١,١ مليار دولار .

أما العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي فقد أخذ يتفاقم مع تفاقم السياسة العدوانية للامبريالية الأمريكية ، ومع تزايد النفقات العسكرية للمحافظة على حلف الاطلنطي والاحلاف العسكرية الاخرى ودعمها والمساعدات التي تقدم الى الطبقات الحاكمة والانتظمة المحلية والقوات المسلحة في البلدان الموالية والحليفة ، ومع تصدير الاحتكارات

الولايات المتحدة	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا الغربية	إيطاليا	اليابان
النسبة المئوية من الإنتاج الصناعي للعالم الرأسمالي .					
١٩٤٨	٥٣,٨	١١,٨	٢,٨	٢,٨	١,٨
١٩٥٨	٤٦,١	٩,٨	٨,٨	٢,٨	٢,٨
١٩٦٨	٤٤,٢	٧,٨	٤,٨	٢,٨	٧,٨
النسبة المئوية من صادرات العالم الرأسمالي					
١٩٤٨	٢٣,٨	١٢,٨	٣,٨	٢,٨	١,٨
١٩٥٨	١٨,٨	٩,٨	٥,٨	٢,٨	٢,٨
١٩٦٨	١٦,٨	٧,٨	٦,٨	١١,٨	٢,٨

التقريبية جاتياً متزايداً من عتده الاعباء * والواقع أن هذا هو الذى يفسر انتقال التركيز فى السياسة الخارجية الامريكية الى مشاكل اوربا الغربية والتحالف الاطلنطى * فرسائل الرئيس الامريكى الى الكونجرس تلح على العلاقات مع اوربا الغربية باعتبارها « حجر الزاوية » فى السياسة الامريكية ، وهنرى كيسنجر يؤكد أن عام ١٩٧٢ هو « عام اوربا » ويعمل عن انتهاء الولايات المتحدة الى اعادة ترتيب علاقاتها مع حلفائها الغربيين على اساس « ميثاق الاطلنطى الجديد » يقوم على « المشاركة الراشدة » (Nature Partnership)

• • وليس لذلك كله من معنى سوى أن الولايات المتحدة تتجه الآن نحو ايجاد حلول اوربية لمشكلة المجزأ الزمن فى ميزان مدفوعاتهما ، وأنها تريد أن تلقى على اوربا الغربية المزيد من الاعباء فى الاستراتيجية العسكرية لحلف الاطلنطى ، أى انها تريد أن تحكم قبضتها على اوربا بأموال الاوربيين أنفسهم * ويحدث هذا فى نفس الوقت الذى يتضح فيه أمام الاوربيين أنفسهم عقم سياسة المواجهة العسكرية ، وتتهادى فيه عن انقشاع السحب الباردة المزاعم عن « السياسة الصوانية الشيوعية » و « التهديد السوفيتى » ، ويتسع فيه نطاق حركة الجماهير الاوربية من أجل الأمن والسلام والتعاون فى اوربا وتخفيض الميزانيات العسكرية ، ويتصاعد نضالها من أجل رفع مستوى المعيشة •

وإذا كانت الأزمة الداخلية فى الولايات المتحدة قد أسفرت عن هذه الآثار فى العلاقات الامريكية - الاوربية الغربية وفى داخل حلف الاطلنطى ، فقد انعكست فى الولايات المتحدة نفسها فى صورة ضغط متزايد من الكونجرس ومن الراى العام الامريكى كوسيلة للتغلب على العجز فى ميزان المدفوعات • وكأن هذا بلا شك أحد الاسباب القوية التى جعلت الولايات المتحدة تقبل الدخول فى المشاورات التمهيدية لخفض القوات العسكرية فى اوربا ، وتوافق فى النهاية على تغيير موقفها من انعقاد مؤتمر الأمن الاوربي •

ان الذى تريد أن تخلص اليه من كل ما تقدم هو أن انعقاد مؤتمر الأمن الاوربي كان ثمرة لتغيرات عالية عميقة الاثر فى مقمعتها : تغير الميزان العالمى للقوى العسكرية ، والضعف المتزايد للامبريالية العالمية أمام انتصارات الدول الاشتراكية والعركة التحريرية العالية ونضال كل القوى المحبة للسلام ، وتدهور فى مركز الولايات المتحدة فى العالم الرأسمالى ، واحترام التناقضات بين الدول الرأسمالية • أنه اهتمام تمتد جذوره عميقة فى واقع عالمى جديد ، ويشير تحولات كبرى فى العلاقات الدولية •

الامريكية لرأس المال الى الخارج • وهكذا تحولت الفاض الكبير الذى كان يحققه ميزان المدفوعات الامريكى فى السنوات الاولى التالية للحرب العالمية الثانية الى عجز اثناء الحرب الكورية ، ثم أخذ هذا العجز فى الازدياد بصورة حادة فى اواخر الخمسينيات واثاء الحرب البعثانية حتى بلغ حوالى ٣٠ مليار دولار فى عام ١٩٧١ • وكانت هذه الجذور الحقيقية لازمة الدولار التى تهدد النظام النقدي فى العالم الرأسمالى كله بالفوضى ، والتى تحاول الولايات المتحدة القاء عبئها على الدول الرأسمالية الاخرى فى اوربا الغربية واليابان ، وهكذا اشتعلت نيران « حرب العملات » والحرب التجارية بين اوربا الغربية واليابان وبين الولايات المتحدة ، وزادت ضراوة للتناقضات الاقتصادية والسياسية بين الدول الرأسمالية •

التناقضات الامبريالية

وازمة حلف الاطلنطى

ولقد كان من الطبيعي أن يؤدى هذا الانحدار النسبى فى القوة الاقتصادية للرأسمالية الامريكية ، الى زيادة فى حدة التناقضات بين الدول الرأسمالية ، وإلى تمايز ترويجى فى مواقفها ، اتاح للمقوى الواقعية فى الدول الرأسمالية فرصة الاسهام الإيجابى فى خدمة قضية السلام والأمن فى العالم • وربما كانت الميزة الكبرى للرئيس الفرنسى الراحل شارل ديغول ، أنه كان أول من أدرك بين زعماء اوربا الغربية ضرورة التكيف مع مقتضيات الواقع الجديد ، وحاول أن يشق لفرنسا طريقاً جديداً • بعيداً عن السيطرة الامريكية - يتفق مع الظروف المتغيرة • ومن هنا بدأت دول اوربا الغربية فى توسيع علاقاتها الاقتصادية مع البلاد الاشتراكية وإلى تعميق علاقاتها السياسية معها • متعددة محلياً وبالتدريج عن سياسة المواجهة التى ينتهجها حلف الاطلنطى •

ومع تعمق التناقضات بين الدول الامبريالية وازدياد حداثها ، تعرضت علاقة « السيطرة والخضوع » التى ظلت لسنوات طويلة هى طابع العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها فى حلف الاطلنطى لازمة خفيفة • فى نفس السمرت

الذى أخذ فيه حد من دول اوربا الغربية فى الاستفادة من الفرص المتزايدة المتاحة لها لانتهاج سياسة تتفق مع مصالحها الخاصة ، كان تفاهم الازمة الداخلية فى الولايات المتحدة يجبر الدوائر الحاكمة فى واشنطن على البحث عن الوسائل التى يمكن أن تخفف بها الاعباء الباهظة سياستها الخارجية وتحمل حلفائها فى اوربا

التهرب

الضريبي

والدخول الطفيلية

حسن محمد العزيباوى

مدير عام بصلحة الضرائب

- ١ -

التهرب الضريبي

من الفاحية النظرية

أولاً : التهرب من الضرائب ، هو التخلص من الالتزام بدفعها ، بوسيلة من الوسائل . ونظراً ليعترب على هذا التهرب من آثار اجتماعية ومالية ، فقد أصبحت الرقابة الضريبية ضرورة لمكافحة التهرب حتى لا يعتاز التهرب على الامين ، كما أصبحت ضرورة مالية لضمان تحصيل مستحقات الدولة من الضرائب ، كاملة ، لمواجهة مشروعاتها ، ونفقاتها ، وتنفيذ برامجها .

ثانياً - دلالاته أو مظاهر حدوثه :

١ - بالنسبة للفرد أهم دلالاته مظاهر الاثراء الملحوظ استمالة أو اكتنازا الذى لا يتفق مع المركز الضريبي للممول .

٢ - بالنسبة للدولة ، عدم تناسب الحصيلة مع الدخل القومي بصفة عامة ، أو عدم تناسب حصيلة أى نشاط أو مهنة ، بصفة خاصة ، مع حصيلة

هناك أكثر من وسيلة يتم بها التخلص من الضريبة . وهذا التهرب يتم :

● اما ينقل عبء الضريبة الى آخر ..

● او عن طريق تعويض الضريبة ، بالتجاء المنتج الى ادخال تحسينات وخفض تكاليف الانتاج .

● او عن طريق التمويل الراسمالي بخفض قيمة رأس المال الخاضع للضريبة ، بحيث تكون نسبة صافي الربح ، قبل وبعد فرض الضريبة ، واحدة .

وهي هذه الطرق الثلاث ، لا تخسر الدولة شيئاً : فالضريبة تدفع سواء تحصيلها من فرضت عليه - أو بقل عبئاً - أو لتحملها المشتري أو البائع .

وهي بحثنا هذا ، سوف تعرض بصورة أخرى من صور التخلص من الضريبة ، وهي التهرب الضريبي ، وذلك لما لها من أثر خطير على الدولة والمجتمع من ناحية ، ولاتصالها بالسلوك الاخلاقي العام من ناحية أخرى .

صحيح ، أو عند تحديد الوعاء بتقدير المال باقلاً من قيمته أو عند التحصيل بانخفاض الأموال المطلوب التنفيذ عليها . وهذا ما سنعرض له ، عملياً ، في القسم الثاني من البحث .

٢ - النوع الثاني : يقسم التهرب إلى داخلي ودولي ؛

١ - التهرب الداخلي يتم داخل حدود الدولة .

ب - التهرب الدولي أو الخارجي يتم في حالة نقل رؤوس الأموال والإيرادات من دولة لأخرى .

رابعاً - أسبابه : ترجع أسباب التهرب إلى أربعة عوامل رئيسية :

١ - العامل الأول : يرجع للتشريع الضريبي في اسمه وصياغته ومن صور الأسباب التي ترجع إلى هذا العامل :

١ - المبالغة في رفع سعر الضرائب أو ازدواجها .

ب - التمييز في سعر الضرائب بين الفئات ؛ أو المناطق ، أو أنواع النشاط ، لذلك كانت أول خطوة للإصلاح الضريبي في الكثير من الدول إلغاء هذا التمييز .

ج - المغالاة في تعدد الضرائب بما يزيد من تكلفة التحصيل من جهة ويوجد ثغرات للتهرب من ناحية أخرى لسوء الصياغة .

د - ضعف الجزاءات الضريبية ، أو صعوبة الالتجاء إليها ، لضعف وطول إجراءاتها . لذلك ينادى الكثيرون بأن يكون الجزاء ، بطريقة إدارية وثقافية ، وهو ما اتجه إليه الرأي في التعديلات الضريبية الأخيرة كوسيلة للالتزام بتقديم الأقرار .

٢ - العامل الثاني : يرجع للإدارة المالية ، ومن هذا :

١ - مبالغة موظفي الضرائب في التقديرات والالتجاء للتفسير الجزافي الذي لا يستند إلى أساس مقنع أو يصلح دليلاً أمام القضاء .

ب - عدم المساواة في التطبيق بما يضيف ثمة ويشعر الممول المأمّن بالظلم الذي يدفعه للتهرب .

ج - تعقيد الإجراءات الإدارية ، أو التنظيم الضريبي ، بما يؤدي إلى بث روح الكراهية والتهرب .

د - التأخير في الفحص والربط يؤدي للتهرب ،

الضريبة على أرباح الأموال المستثمرة فيها ، أو إيراد العاملين بها . وهنا تظهر أهمية نجاح التجربة الرائدة للمأموريات النوعية التي اتجه إليها التنظيم الضريبي أخيراً بجمهورية مصر العربية ، والتي تفتحص فيها كل مأمورية بالقاهرة والإسكندرية بأنماط معينة من النشاط الاقتصادي .

ثالثاً - صور التهرب من الضرائب :

١ - النوع الأول : مشروع وغير مشروع :

التهرب المشروع أي غير المخالف للقانون ، ويسمى تجنب الضريبة أو تفاديها ويتم هذه الصورة بوسيلتين :

الأولى سلبية ، والثانية ايجابية .

١ - الوسيلة السلبية هي الامتناع عن التصرف الموجب للضريبة ، أو النشاط الخاص لها ، وهذا الامتناع قد يكون مقصوداً من المشرع لمحاربة عادة سيئة ، أو القضاء على نشاط غير مرغوب فيه مثل تصاخي الضمور .

ب - أما الإيجابية فهي الإفادة من ثغرات في القانون للتخلص من الضريبة - على أساس عدم توافر شروط الواقعة المنشئة للضريبة أو الانتفاع بها برتبته القانون من إعفاءات ، فقتحه الأموال إلى فواحي الاستثمار المعفاة ، كالاستغلال الزراعي ، أو السندات المعفاة أو غير ذلك .

وكمثال عملي لهذه الثغرات ، ما تضمنته مشروعات الضرائب التي أقرها مجلس الشعب ، لمكافحة التهرب في حالة الإرباح المحققة من تقسيم الأراضي وبمبها للبناء . إذ يشترط القانون الحالي ، ضرورة القيام بالأعمال التمهيدية في أراضي التقسيم لأخصائها للضريبة . وتصاديا للضريبة اتجه الملاك إلى إجراء التقسيم ، دون القيام بهذه الأعمال ، وبالتالي لا يخضعون للضريبة . لذلك عمد المشرع إلى مسد هذه الثغرة بحذف هذا الشرط للأخصاء .

ج - ويستند التهرب المشروع ، أو تجنب الضريبة ، إلى قاعدة قديمة تعطي للممول حق تنظيم مله وفروقه . بحيث يدفع أقل ضريبة ولكن بشرط عدم مخالفة القوانين . ولذلك عمد المشرع دائماً لسد هذه الثغرات لتحقيق صالح الخزنة من ناحية وللمعادلة الضريبية من ناحية أخرى - بحيث لا يستفيد من هذه الثغرات إلا القادر على الدراسة أو الاستعانة بالخبراء القادرين على كشف هذه الثغرات والاستفادة منها .

التهرب غير المشروع وهو الذي يتضمن مخالفة قوانين الضرائب . ويندرج تحت هذه الصورة كل طرق الغش المالي ، سواء بالاختفاء ، أو الصورية ، أو التلاعب بالحسابات أو ازدواجها . ومواءم الغش بعدم تقديم الأقرار أو تقديم أقرار غير

سواء كان ذلك نتيجة نهج القوة أو التراضي في العمل .

٣ - العامل الثالث : العامل النفسي أو الاخلاقي :
اذ يرجع التهريب غالبا الى نفسية الممول ونظرته الى الضريبة والمجتمع والدولة ، فالممول الامين غير التهريب ، ينظر الى مصلحة الجماعة ، لا الى مصلحته الفردية . بينما التهريب ، ينظر الى مصلحته الخاصة ، ويعتقد انه يحظى الحولة لكثير مما يأخذ . وقد يكون للتطور التاريخي للضرائب دخل في ذلك . ولكن ، رغم التطور الديمقراطي ، وخاصة في غواشي فرض الضرائب ، لم يتخلص خبثيون من المولدين من هذا المسلك ، وخاصة اذا كانت سياسة الانفاق غير رشيدة أو غير واضحة أو مقنعة للممول بحيث يلصق آثارها بالنسبة لما يقدم له من خدمات أو بقيام مشروعات ناجحة .^{١٠}

٤ - العامل الرابع والاخير : الظروف الاجتماعية والاقتصادية وأهمها :

عدم الاستقرار ، وارتفاع الاسعار ، والازمات الاقتصادية وانتشار التجارة الدولية ، والمناطق الحرة ، فكل ذلك يؤثر على مدى انتشار التهريب .

خامسا - مدى التهريب : وعلى أساس متقدم يتوقف مدى التهريب على الآتي :

١ - مدى النضج السياسي للممولين نتيجة لظروف سياسية خارجية أو داخلية .

٢ - مدى مستوى الثقافة الضريبية والمستوى الاخلاقي .

٣ - مدى دقة الانظمة الضريبية ، تشريعيها وإداريها ، سواء من حيث المصمم ، أو وهام الضريبة ، أو كفاءة الادارة المنفذة أو الاجراءات .^{١١}

٤ - الظروف الاقتصادية والاجتماعية والاثار الايجابية للرشيده سياسة الانفاق .

سادسا - آثار التهريب : للتهريب آثار على كل من الدولة والمولين والمجتمع :

١ - بالنسبة للدولة :

يضي الخزانة ضروا مباشرا بضرباسع استحقاقاتها الضريبية وبالتالي أرتباك ميزانيتها .^{١٢}

٢ - بالنسبة للممولين :

يؤدي لعدم العدالة في توزيع العبء الضريبي فيتسبب له الأذى ويتهرب منه غيرهم ، فتلجأ الدولة

أزاد التزاماتها المالية الزيادة الضرائب وبالتالي لزيادة العبء على الامناء .^{١٣}

٣ - بالنسبة للمجتمع :

من الناحية الاقتصادية تتعطل المشروعات لنقص الموارد كما انه من الناحية الاجتماعية يؤدي لانتشار القش وضعف الاخلاق وتفكك المجتمع .
سابعا - صور عامة للتهريب من بعض أنواع الضرائب :

التهريب في الضرائب غير المباشرة من صورها :

أ - اخفاء المادة الخرويض عليها الضريبة ، أو تهريبها من الرسوم الجمركية مثلا .

ب - استعمال قانونين : الحقيقية لغرض التعامل والثانية للاغراض الضريبية .

التهريب في الضرائب المباشرة

١ - بالنسبة للضرائب على الاجور يقل التهريب ، خاصة اذا كانت الدولة تدفعها . أما بالنسبة للمقطاع الخاص فيتم التهريب اما مباشرة لعدم الخصم ، أو بطريقة غير مباشرة بمنح مزايا عينية أو نقدية .

٢ - ضريبة المهن غير التجارية أكثر الضرائب تهريبا وذلك لصعوبة مراقبتها . ومن هنا لجأ الشرع المصري الى خصم نسبة عن كل ما يدفع من القطاع العام لممولي المهن غير التجارية تحت حساب الضريبة ، ويتم التهريب من هذه الضريبة بالتلاعب في الدفاتر أو عدم امساكها وعدم اعطاء ايصالات أو منح ومكافآت واتعاب صورية .

٣ - ضريبة الارباح التجارية يتم التهريب بطرق كثيرة منها :
أ - عدم امساك الدفاتر أو التلاعب فيها ، أو امساك دفاتر مزدوجة ، الأولى حقيقية للممول ، والثانية صورية للضرائب .

ب - الامتناع عن تقديمها .

ج - اخفاء بعض أوجه النشاط أو بعض العمليات .

د - تصفية المنشأة قبل الخصم .^{١٤}

هـ - هروب الممول للخارج أو تهريب أمواله .

و - تكوين شركات صورية سواء مع الممران أمته ، أو مع العاملين لديه .

ز - المبالغة في حساب التكاليف أو التلاعب في جرد بضاعة آخر المادة .

٤ - ضريبة القيم المنقولة تخضع من المنبع فيصعب التهريب فيها .^{١٥}

٥ - ضريبة التركات يتم التهرب منها بالتصرف قبل الوفاة أو من طريق الحساب المشترك أو بإخفاء الأموال المنقولة أو إخضاع ديون وهمية على التركة أو إخفاء حقوقها لدى الغير .»

ثامنا - طرق مكافحة التهرب :

١ - وسائل داخلية أهمها :

أ - دقة صياغة التشريعات الضريبية ووضوحها .

ب - إعطاء الإدارة الضريبية قانونا حق الاطلاع على دفاتر ووثائق الممول ، أو الغير ، ممن يتعامل معهم . بما يمكنها من اكتشاف المخالفات الضريبية .

ج - تقديم اقرار مؤيد باليمين ، فبعض التشريعات تلزم الممول بتقديم اقرار مؤيد باليمين . وهذا الاجراء اذا لم يكن له اثره النفسى أو الدينى عند البعض فإنه يمسرخص الحائث فيه لحقوبة اليمين الكاذب من الناحية الجنائية .

د - التلغيع بواسطة الغير : فبعض التشريعات تلجأ الى اباحة تلقى الاخطارات والتبليغات من الغير ، ومنح مكافآت ارشاد ، اذا ثبت الغش نتيجة التبليغ . ويلحق بذلك ما تلجأ اليه بعض التشريعات من اذاعة اقرارات الممولين (مثل الولايات المتحدة الامريكية) لتحملهم على الصدق خشية التشهير بهم وكشف شتمهم .

هـ - الجبائية فى المنبع : فقد رأينا أن اقل الضرائب تهربا ، نتيجة لحجز الضريبة من المنبع ، هى ضرائب المرتبات والاجور ، وبصفة خاصة لموظفى الحكومة ، وكذلك الضرائب على القيم المنقولة المحلية ، حيث تحجز عند صرف الارباح . ويتبع النظام الانجليزى حجز الضريبة من المنبع ، فلا يحصل صاحب الايراد عليه الا بعد اقتطاع الضريبة . ولهذا اتجهت وزارة المالية والاقتصاد الى مكافحة هذا التهرب على ضوء الشعار الذى رفعه الدكتور بيد العزيز حجازى وهو شعار المواطن الملتزم الذى يقوم بتفديده على أساس الحجز من المنبع والتعامل بالبطاقة الضريبية ، فلا حق للمول فى الحصول على أى مقابلة أو تعهد أو سلمة أو تقديم خدمة مالية كالتوريدات بدون بطاقة ضريبية ، موضح بها رقم ملفه ومدى التزامه بالقانون الضريبى . وبذلك تحقق ثلاثة أهداف : الاول حصر المجتمع الضريبى ، والثانى ضمان المورد المالى ، من ناحية ، والثالث تخفيف العبء الضريبى آخر الصام على الممول بأن يمدد تحت الحصار جزءا من الضريبة خلال قيامه بنشاطه .»

و - رفع كفاية الأداء المنفذة : بحيث تحقق صحة التقدير وفى هذا ما يطمئن الامين ويشجعه على الاحتفاظ بأمانته ويحمل المنصرف على صحة الاقرار .

ويلحق بذلك تبسيط الاجراءات ، والبعد عن الروتين وحسن معاملة المولين .

ز - حق الدولة فى أخذ الاموال بالقيمة التى تدرها الممول فى اقراره كالتسليم الجمرى أو التركات .

ح - نشر الوعى الضريبى والقاء محاضرات وندوات فى كل وسط ضريبى أو مهنى أو نقابى لتوضيح الاجراءات والنظم والاحكام .

ط - توقيع الجزاء على المتهربين مع النظر فى تحديد الجزاء طبقا لنظرية الحدية ، فبالضخ الضريبى يحدث اذا كانت المنفعة الحدية لمبلغ الضريبة المهربة اكبر من ضرر الجزاء أو العقاب . لذلك يراعى أن يكون الجزاء رادعا ، وقد يكون ماليا أو بدنيا ، وقد يكون غرامة جنائية أو تعويضا للغرانة ، أو يجمع بينهما .

ى - تشديد بعض التصرفات ، كالتسجيل بدون شهادة تركات ، أو فتح الخزائن بدون حضور مندوب المصلحة .

ك - واخيرا نشير الى أهم وسائل مكافحة التهرب ، وهى دور خبراء الضرائب من محاسبين ومحامين فى مكافحة التهرب ، سواء فى توعية المولين ، أو فى الاعتماد على جهودهم فى تنظيم الدفاتر التجارية والاقرارات الضريبية ، مع تنظيم هذه الجهود تشريعا لالزامهم باعتماد الاقرارات والدفاتر وتحديد مسؤوليتهم عنها مع تعزيز ذلك بانزام المولين بمسك الدفاتر .

٢ - وسائل دولية :

فقد يكون التهرب الضريبى دوليا ، اذا تعدى نشاطه الشخصى حدود الدولة وأخفى بعض هذا النشاط ، أو اذا فرضت الضريبة على شخص ، أو باشر نشاطا خاضعا للضريبة ، وأقلت بأمواله خارج الدولة تخلصا من الضريبة .

ويتم مكافحة هذا النوع من التهرب بوسائل منها :

١ - إلزام الممول بالاقرار عن أمواله وممتلكاته بالخارج .

٢ - فرض رقابة على الصرف الاجنبى فتضطر

التنسيق الضريبي في مصر

أولاً : الأجهزة المختصة بمكافحة التهريب :

١ - رغبة في مكافحة التهريب ، تضمن البشام التنظيمي لمصلحة الضرائب ، شأنها في ذلك شأن إدارات الضرائب في مختلف الدول ، قسماً شاملاً لمكافحة التهريب من الضرائب وقد تم إنشاء هذا القسم عام ١٩٤٧ وتطور فأصبح إدارة عامة ، وذلك علاوة على واجبات مأموريات الضرائب ، كل في اختصاصها ، من التمرير لمصر المسؤولين وتجميع البيانات من حقيقة نشاطهم . وتضمن إدارة مكافحة التهريب التنسيق الشعمب الآتية :

- ١ - شعبة المكافحة ويتمها وحدتا البحوث والفحص .
- ٢ - شعبة التجسس ويتمها وحدتا المطابقة والاضطرابات .
- ٣ - شعبة المغادرة والتحويل ويتمها وحدتا الأجانب والمواطنين .
- ٤ - قسم شرطة المباحث ، وقد توقف عمله بالمصلحة إذ اتجه الرأي لإنشاء قسم خاص للرقابة التامة على مستوى وزارة المالية والاقتصاد . ومنعزس أولاً إلى اختصاصات هذه الأقسام ثم نعرض طرق التهريب الضريبية على ضوء الدراسات والتعليمات وطرق التمرير بالضريبة لختلف الضرائب وأخيراً للصوص الضريبية وجزاء ارتكاب جرائم التهريب .»

١ - شعبة المكافحة :

وتختص بتعميق البلاغات الهامة ، وتقوم به في سبيل ذلك - بسؤال المبلغين ، كما قد تقوم باستصدار الآذن برفع الدعوى العمومية والمقتضين وفحص المضبوطات . أما الحالات قليلة الأهمية ، فتعنيها للمأموريات لتحقيقها بنفسها ، وفي الحالات التي تثيرها بنفسها ، تقوم بمراقبة البحوث بالاتصال بالمأمورية أو تطلع على الملف وتقارن ما جاء بالتبليغ أو الاضطراب أو ما نجم لها من بيانات على ما ورد باقرار الممول وتقرير الفحص وتطبيق الخلاف بوسائلها المختلفة وتقرير المأمورية المختصة بنتائج البحث لمراجعتها عند المصاحبة .

مكافحة المبلغين والموسمين :

على أساس استعادة الخسارة من التبليغ

الاموال للبقاء داخل الدولة فلا يتخرج الا بالذمها وبعد التحقق من سداد الضرائب .

٢ - فرض الرقابة على الممول المغادر حتى يتم محاسبته وتحصيل الضرائب .

٣ - تجنب الانحواج الدولي ، من طريق الاتفاقات الدولية ، وتبادل المعلومات من المولين الخاصين للضرائب في كل منها . وأشهر هذه المعاهدات بين فرنسا والسويد . وقد اهتمت بذلك من قبل عصبة الأمم ، وماعدت لجنة الخبراء الفنيين سنة ١٩٢٥ مشروع معاهدة للمساعدة الإدارية في الربط ، وأشري للمساعدة في التحصيل .

وقد أعد المؤتمر الضريبي الدولي الثالث عشر الذي عقد في مدريد سنة ١٩٥٩ بحثاً عن الرقابة الضريبية بين فيه :

١ - مظاهرها القانونية من حيث ظروفها ، ومدها في التصديق الصحيح للضريبة ، وصوميتها ، وقيامها على حسن النية ، ومتى تبدأ ، أو متى تنتهي ، وحدودها .

ب - السلطة المخولة للإدارة الضريبية ، وطبيعتها ، وخاصة بالنسبة لمق الاطلاع والزيرة والتفتيش وأين ومتى يتم .

ج - الآثار القانونية للإجراءات ، وهل يوقف البدء فيها حق الممول في الاقرار من تلقاء نفسه ، وهل يعتبر قاطعاً للتقادم .

د - المظاهر النفسية للرقابة الضريبية ، وعلاقتها بالنضج السياسي ، والوعي الضريبي والمستوى الخلقي .

وأوضح التقرير تأثير نفسية الممول بإجراءات الفحص ، وسلوك الفاحصين ، وأثر عدم معالجة نقص القوانين ، وعدم تطبيق الجزاءات الضريبية في فقدان الثقة ، وانتشار حالات التهريب ، وضرورة العمل على التغلب على روح العداء بين الممول والإدارة وتوفير الثقة بينهما .

هـ - المظاهر الاقتصادية للرقابة من حيث أثرها لتحقيق المساواة بين الأفراد في الفحص والضريبة المستعقة .

وأخيراً أوجى المؤتمر بالآتي :

١ - الاهتمام بتقفيف الممول ضريبياً وتشجيعه على القيام راضياً بواجبه الضريبي مع توفر الثقة عند الفحص .

ب - ضرورة الفحص بسرعة وكيفية لتسائي عدم إمكان تحصيل الضريبة وقت استحقاقها أو سوء توزيع العبء الضريبي نتيجة لتأخر الفحص والتهريب .»

الرقابة على إيرادات المصريين بالخارج :

يتم بالاتفاق مع الجوازات عند طلبهم الحصول على جواز سفر عاوى ، أو تجديده ، فيرسل للمصلحة صور القرارات الواردة المالية لهم ، وترسل هذه البيانات للمأموريات لأخذها فى الحساب عند محاسبتهم .»

محاسبة الفائزين الاجانب :

تخطر الجوازات المصلحة بأسمائهم قون وصولهم ، وعلى المأموريات المختصة اتخاذ اللازم لمحاسبتهم فوراً على ضوء العقد المبرم معهم .

٣ - شعبة التجميع :

وتتلقى بيانات القطاع العام والبنوك وأجهزة الحكومة وتوزعها على المأموريات المختصة . وتحقق المتابعة من اخذ هذه البيانات فى الاعتبار سواء فى اقرار الممول ، أو فى تقرير فحص . كما تعد حملات اطلاع فى بعض الحالات الهامة فى المصارف والمؤسسات ومصادر الانتاج ، والتوزيع ، وتجمع البيانات من الجريدة الرسمية والوقائع من الصحف ، وتزود بها المأموريات . وترد اليها البيانات من الجهات التالية :

١ - ادارات التوريد والمستشفيات العامة بالوزارات والمصالح والقطاع العام .

٢ - الجمارك بالنسبة للمستوردين والمصدريين .

٣ - الداخلية بالنسبة لقضايا التهريب للنقدية والمضنوعات .»

ثانياً : التعليمات التنفيذية بشأن مكافحة التهريب :

أوضحت تعليمات مصلحة الضرائب المنشورة بمجموعة التعليمات التنظيمية والتنفيذية وسائل التهريب فى كل ضريبة ، كما بينت واجبات مأموريات للضرائب لمكافحة كل وسيلة ، بما يسد الطريق على المتهربين . ولا يتعمد المقام لنشر تفصيلاتها ولن شاء الرجوع إليها .

ثالثاً : الى جانب ما أوضحناه بشأن وجود جهاز لمكافحة التهريب ، ضمن البناء التنظيمى لمصلحة الضرائب ، وأصدر المصلحة تعليمات توضح وسائل التهريب وطرق مكافحتها ، حرص المشرع الضريبي المصرى ، على أن يضمن تشريعاته نصوصاً ، لكافة اصدار ربط اضافى فى حالة

والارتباك فى حالات التهريب من الضرائب تقوم المصلحة بصرف مكافآت لمن يطلب ذلك من المبلنين والرشدين من غير موظفى مصلحة الضرائب وتحدد المكافأة بنسبة ١٠ فى المائة للمبلغ و ١٥ فى المائة للمرشد من مقدار فروق الضرائب والرسوم التى حصلتها الخزنة العامة ، بضفة نهائية ، كتنشئة للتليغ أو الارشاد . وإذا اجتمعت الصفتان هـ من شدا ، ويعتبر مبلغا كل من أدلى ببيانات ، أو معلومات تؤدى للكشف عن حالات التهريب .»

٢ - شعبة المغادرة والتحويل :

وتقوم باعداد نشرة على جميع المأموريات فى حالات المغادرة والتحويل للتحقق من سداد مستحقات مصلحة الضرائب قبل الموافقة على التصريح للممول بالسفر أو تحويل الاموال وذلك بناء على الاتفاق الذى تم مع مصلحة الجوازات والجنسية ومراقبة الملاح .

بالنسبة للمغادرة : ينقسم الممولون الى اربع فئات :

١ - طالبوا المغادرة نهائياً بالنسبة للاجانب ، وطلبوا الهجرة بالنسبة للمصريين . ويجب ان يصل رد المصلحة للجوازات خلال فترة ١٥ الى ٢٥ يوماً .»

٢ - طالبو السفر للخارج من المصريين مع المودة أو للعمل ويتم الرد خلال ٤٨ ساعة .

٣ - طالبو المصمول على تذاكر مرور مع المودة ويتم الرد خلال ٤٨ ساعة .

٤ - الاجانب الميمدون أو المكثرون بالسفر ويتم انشر عنهم ، واتخاذ اللازم فى حينه .»

وبالنسبة لتحويل الاموال :

يشترط البنك عند التحويل تقديم شهادة من مصلحة الضرائب (ادارة التهريب) بموافقتها على التحويل . ويقدم الطلب من الممول للمأمورية التى يقع فيها محل اقامته ، أو مركز أعماله ، فى حدود اختصاصها . وتوقع رسم الشهادة والبحث والجمعة ١٥٠٠ ل.أ عليها للجهة التى تبثته وترسله للمكافأة للنشر . ويعتبر عدم رد أى جهة فى الموعد المحدد موافقة منها على التحويل . وتمسك كل مأمورية سجلاً لهذه الطلبات ، وكل جهة بالمصلحة تخشى مغادرة ممول تخطر المكافأة التى تتولى بدورها اخطار الجوازات لادراج اسمه فى كشف المنوعين من السفر .»

إعفاء الممول لحقيقة نشاطه أو لتمكين موظفيه من الإطلاع على دقائق المنشأة أو دققت الغير أو لتزيت جزاءات وتمويضات على المتهربين :

١ - نص القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٢٩ الخاص بالضرائب على الثروة المنقولة والأرباح التجارية ونسب العمل أعطى للمصلحة في م ٤٧ مكرر حق الربط الإضافي تضمنت المواد ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ حق الإطلاع ، ونصت المادة ٨١ بضرورة التبليغ عن أي غش ضريبي وأخيرا نصت المواد ٨٥ مكرر ١ ، ٢ ، ٣ على الجزاءات في الجرائم الضريبية .

٢ - بالنسبة للضريبة العامة على الأيراد نصت المواد ٢١ مكرر ١ ، ٢ ، ٣ على الجزاءات الضريبية وأجرائاتها .

٣ - بالنسبة لضريبة التركات ورسم الأيلولة نصت المادتين ٣٤ ، ٣٥ من القانون وأخفاء عناصر التركة .

٤ - بالنسبة لرسم الدفعة تضمنت المواد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ جزاء مخالفة قانون الدفعة رقم ٢٢٤ لسنة ١٩٥٥ .

وأخيرا : بالرغم مما ذكرناه ألفا في الفقرات الثلاث السابقة لضمان عدم التهرب ، تحل الإحصاءات والوقائع إن نسبة التهرب من الضرائب في القطاع الخاص لازالت كبيرة . وإذا كان تقرير البنك الدولي للانشاء والتعمير في بحثه عن المخالفة الضريبية قد تضمن أن نسبة التهرب في الدول الجرمانية من ١٠-١٥ في المائة وفي دول أمريكا اللاتينية من ٣٠-٤٠ في المائة فهي في جمهورية مصر العربية أكثر من ٥٠ في المائة ، بل يصل إلى ٩٠ في المائة في بعض أنواع النشاط . بمعنى أن هذا القطاع لا يقوم بدوره كاملا ، سواء في المساهمة بصفة عامة في تمويل الخزنة لمواجهة مشروعاته أو في القيام بصفة خاصة بدوره في المرحلة الحرجة التي تحتاجها للبلاد ، أي مرحلة مواجهة الشائط . وهذا ما دعا الحكومة ومجلس الشعب إلى المطالبة بمكافحة التهرب ، وتحقيق المساواة في تحمل الإعباء الضريبية وعدالة توزيعها .

ومن ثم فقد أقر مجلس الشعب رغبة الحكومة في اتباع سياسة ضريبية جديدة تضمنت الاتي بصفة خاصة :

١ - إلحاح من المنبع بالنسبة للضرائب على الأرباح التجارية والصناعية سواء عن طريق الخصم مما يضاف من الحكومات وهيئاتها إلى

المقاولين أو الموردين ومن في حكمهم ، أو عن طريق الإضافة لما يدفع من الممولين عند توزيع السلع التي تنتجها المؤسسات الصناعية ووحداها الاقتصادية - كما أضاف أحيانا جديدة بشأن إخضاع التصرفات العقارية لأكثر من مرة خلال ١٠ سنوات ومكافحة الشركات العمومية سواء بين الأسرة الواحدة أو بين رب العمل الحقيقي وعماله وأتاربه ، وأخيرا أضاف لأحكام المادة ٧٧ مكرر بشأن الخصم من المنبع بالنسبة للخاصين للملئ غير التجارية مؤسسات ومنشآت خاصة ، ورتب جزاء على المخالفين لأحكامها .

٢ - تعديل المرسوم بقانون رقم ٧ بخصم الممولين بالزلم الجهات التي يصدها وزير المالية والاقتصاد بعدم التعامل إلا بدم تقديم بطاقة الممول الضريبية أمكانا لحصر الممولين ، كما ألزم هذه الجهات في نفس الوقت بإخطار مصلحة الضرائب بمعاملاتها مع كل ممول كل ثلاثة شهور .

٣ - تعديل جزاء عدم تقديم الأقرار ، والزام المخالف بأداء مبلغ ٢٠ جنيهها بدلا من تصدير محاضر ، مكافئة للتهرب بعدم تقديم الأقرار حيث لا يتجاوز نسبة من يقدم الأقرار من الممولين ٣٥ في المائة من الخاصين للضرائب سواء في الضرائب الأرباح التجارية أو غير التجارية أو في الضريبة العامة على الأيراد .

٤ - تعديل قانون رسوم الدفعة وتكليف مصلحة الضرائب العقارية بتحصيل رسوم الدفعة على الإيصالات من المالك مع الضرائب العقارية مما ثبت عدم دفع الإيصالات أو استعمال الإيصالات المدموجة .

٥ - تكليف الضرائب العقارية بتحصيل الضريبة العامة على الأيراد المستمقة على من يزيد صافي دخله من العقارات عن ١٢٠٠ جنيه مع الضرائب العقارية تحت الحساب .

وإذا كان البعض قد أبدى عدم موافقته على هذه التشريعات يصح أن القوانين الحالية تكفل عدم التهرب ، ملقيا اللوم على الجهاز الضريبي ، فأننى دون أن أتصدى في هذا المجال للدفاع عن هذا الجهاز الذى يعمل في ظروف قاسية ، وحتى لا اضطر في معرض ذلك إلىلقاء اللوم على الممولين غير الملتزمين بواجباتهم ، أكتفى بالإشارة لسا أوضحت من أسباب رئيسية للتهرب في القسم الأول ، خاصة أننى أثار هذا البحث كإحداث فحسب ، وليس بصفتي مديرا لمصلحة الضرائب ، كما أحرص أمام كل بحث في هذا المجال ببيان إحصائيتين هامتين :

٤ - الدكتور جمال العظفي :

يرى أن الدخل الطفيلية تعبير عن الدخول التي تتشد الكسب السريع استفلا للظروف وتعتبر خطرا على الاهداف الاشتراكية ، وهو يميز بين ثلاثة أنواع من الدخول :

١ - دخول غير مشروعة : تشكل جريمة وتعالج بقوانين الحراسة وحماية الاموال العامة .

٢ - دخل طفيلي ، وهو دخل يتحقق على حساب القطاع العام فهو طفيلي من هذه الناحية ، وهو أيضا انتهازي بمعنى أن يستغل ظروف المعركة وعدم توفر بعض الحاجات بمقادير كافية لتحقيق أرباح كبيرة دون مساهمة في الابعاء الضريبية .

وميدان هذه الدخول غالبا أعمال الوساطة في توزيع سلع ومنتجات القطاع العام والمنفعة والتوريدات .

ج - دخول متهربة وهي نوعان :

١ - نوع يخضع للقانون ولا يتناوله الحصر وتكلفت بهذا الحصر وشمول المجتمع الضريبي تمديدات القوانين الضريبية الجديدة بشأن البطاقة الضريبية والحجز من المنبع .

٢ - والنوع الثاني لا يمتد اليه القانون الصالي مثل شقق التملك ، ومن هنا يشملها التعديل الضريبي الأخير .

٣ - وأخيرا نعرض ما ورد بشأن هذه الدخول بالقرير الاقتصادي عن عدالة توزيع اعباء المعركة اذ تضمن انه يقصد بالدخول الطفيلية في مقام عدالة توزيع اعباء المعركة الدخول التي تأتي بعد جهد أو عمل متفلة على غيرها من الدخول متهربة من الضريبة مثل الاتجار في السوق السوداء والاتجار في أدوات الاستيراد وعمليات الوساطة غير الشرعية وغيرها من عمليات الاتجار المتهربة من الضرائب والمخالفة للمبدأ الاشتراكي من كل بحسب قدرته الى كل بحسب أرباحه .

من هذا العرض يتبين كما ذكرنا في المقدمة ، أن الدخل الطفيلية هي الدخول الناتجة من انتهاز الظروف الاقتصادية واستغلالها لتحقيق أرباح تعرب من الضريبة ولا تساهم أو تتحمل بنصيبها من الابعاء الضريبية ، ومجالها الأساسي توزيع السلع النادرة أو تخزينها توصلا لرفع سعرها ، أو التلاعب بانود الاستيراد والتصدير وشقق التملك والاتجار في السيارات والمعارات .

الاول : عدد من تقدموا باقرارات ضريبية سنة ١٩٧٢ من المولين الخاضعين مع العلم بأن اجمالي سنة ١٩٧٢ لا تختلف عن ذلك كثيرا .

الثاني : بيان انواع النشاط الخاضعة لضريبة الارياح التجارية وحصيلتها في سنة شهر من ٧٢-٧١ الى ٢١-١٢-١٩٧٢ مقارنة بمسدد المولين ومتوسط ما تحمله كل منهم في هذه الفترة .

وما في الجدول من البيانات تعطي ان اية فكرة عن حجم المعاملات في أي نشاط من هذه الأنشطة ، عن نسبة التهرب الضريبي ، ومدى جسامتها . وتجعله يطالب ومحاسبه كل ممول تسول له نفسه التهرب من الضرائب كما يعامل من يخلس اموال الدولة .

- ٣ -

وأخيرا ، نصل الى ختام بحثنا ، بإيضاح المقصود بالدخول الطفيلية وهو تعبير جديد في الفقه الضريبي المصري نشأ من وحى ظروف المعركة وتحقيق كثيرين لارياح كبيرة لا تسهم بدورها في تحمل الابعاء الضريبية ، كثيرا ، من الدخول وتكرر ذكره في بيان الحكومة وفي تقارير لجان مجلس الشعب ردا على بيان الحكومة .

ومن المعلوم لغة أن لفظ طفيلي هو الذي يعيش حالة على غيره ، سواء كان حيوانا أو نباتا . ومن هنا اشتق هذا التعبير لأن أصحاب هذه الدخول يعيشون حالة على المجتمع ويمتصون دمائه دون أن يساهموا في مقومات حياته ، ومن خلال المناقشات التي دارت حول هذا التعبير في الندوات والمقالات الصحفية نعرض بعض الآراء بشأنه :

١ - الدكتور أحمد أبو اسماعيل :

يعرف الدخل الطفيلي بأنه الدخل المتهرب بوسائل ظاهرة ، أو مستترة ، والذي يعيش صاحبه على حساب المجتمع دون مشاركة في الابعاء .

٢ - الدكتور فؤاد هاشم :

يضيف الى ما سبق أن الدخل الطفيلي قد يكون دخلا غير مشروع أصلا في ظل ظروف السوق ويؤدي للاثراء ، وأن « كثر » يسمى هذه الدخول بالارياح القدورية .

٣ - الدكتور أحمد المرشدي :

يرى أن صفة الطفيلي تعني الشيء الذي ليس له أصل ، وأن ذلك يرتبط بالاطار الفكري للمجتمع .

■ جمهورية مصر العربية :

صيف دراسة وعمل فكري

للقيادات السياسية والتشريعية

في مؤتمر مشترك ضم اللجنة المركزية للاعداد الاشتراكي والهيئة البرلمانية لمجلس الشعب ، انتهى الرئيس أنور السادات خطاب الاحتفال بالميد الحادي والعشرين لثورة يوليو .

وقد تضمن خطاب الرئيس ٤ فقرات رئيسية :

١ - ففي مقدمة الخطاب ، قدم الرئيس عرضا مريما للآثار العربية والدولية التي أحدثها في المنطقة قيام ثورة يوليو ، فحدد أنها كانت قوة دافعة لحركة التحرر الوطني في البلاد العربية ، كما أنها برزت بذور فكر اجتماعي جديد في مستقبل القيم المتخللة .

وبعد أن رسم الرئيس الخطوط الرئيسية لتتحولات التي أحدثتها الثورة في الداخل ، أشار إلى أن بلادنا تواجه صمويات جمة مصدرها الأساسي الاحتلال الواقع على الأرض والسياسة التي تدمر هذا الاحتلال مادي وعسكريا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ - وعرض الرئيس ، بتفصيل لسياسة العداء الأمريكية طوال مرحلة باكها لها بدأت قبل العدوان ، ففي ١٩٦٥ ضغطت أمريكا على مصر مطالبة بتخفيض الجيش المصري . وبعد عدوان ١٩٦٧ حال الموقف الأمريكي بين المجتمع الدولي وبين أن يصل إلى قرار ، أو إجراء حاسم يرم به إسرائيل على الانسحاب . وأوضح الرئيس أن محصلة الموقف الأمريكي تتلخص في تجميد القضية تمهيدا لتصفيتها وتبكي إسرائيل من فرض الأمر الواقع : الاحتلال وضم الأرض .

٣ - وفي الفقرة الثالثة من الخطاب ، أشار الرئيس إلى أن سياسة مصر لتصفية العدوان في مواجهة الحلف الأمريكي الإسرائيلي ، تتحرك على ثلاثة محاور رئيسية :

المحور الأول : القوة الذاتية المصرية ، وهذا أوضح الرئيس كيف أن حركة الجماهير المصرية ، وموقف المواطن المصري المادي ، هي التي تشكل أساس الصمود . وفي الوقت نفسه أشار بالاستعداد إلى الانضمام إلى أن حجم العمل الداخلي الذي تم خلال ٦ سنوات منذ بدء العدوان يبين أن القوة الذاتية

على الجبهات العسكرية والاقتصادية ما فئنت تتدعم . وذلك على الرغم من أن البلاد تدخل حالة مأثرة من الاجهاد ينكمس أثرها على الخدمات المقدمة إلى الناس ، وفي الوقت نفسه أكد الرئيس ، على أن الدولة ماضية في سياسة تنضف تفرسها المعركة ، فبدات بالاستغناء عن امقيران الكماليات . بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، فبدات تقيد استهلاك بعض الضرورات (الزيت) .

المحور الثاني : هو « الامكانيات العربية المأثرة » ، وأوضح الرئيس أن البلاد العربية توجد نعت ابدتها امكانيات مأثرة تتماثل في ثرواتها البنزوية وفي أرصدها الموجودة في البنوك الأجنبية (٥٠ مليار جنيه) ، غير أن هذه الامكانيات لم تسخدم بعد في معركة المواجهة .

وعن العلاقات مع الدول العربية حدد الرئيس أن سياسة مصر يحكمها البدا التالي : الترحيب بكل تعاون عربي ، وتنسيق بين القوى العربية على امتداد مناطقها الجغرافية ، وتباين أنظمتها السياسية والارتفاع فوق الصراعات والخلافات .

وعندما انتقل إلى الحديث عن العلاقات مع ليبيا أكد الرئيس أنه ميئفته وتقديره الكبير للدور الذي لعبته الثورة الليبية بقيادة معمر القذافي ، ومع تمسك مصر بالوحدة مع ليبيا ، إلا أن موقف مصر في بناء دولة الوحدة الكاملة مع ليبيا يطق من أضد دروس الماضي بين الإعتبار ، ومن التدرج ، ومراعاة عنصر الزمن ، ومراعاة الحساسيات والاختلاف في المستويات الحصارية والاقتصادية ، وأن ما يهم مصر هو دراسة ضمانات استقرار ونجاح الوحدة .

وعن المقاومة الفلسطينية استنكر الرئيس حل محاولات التصفية التي تعرضت - ولأزانت - تعرض لها - المقاومة ، وأكد أن النظام في مصر « يطلق من تأييد كامل غير محسود ولا مشروط لقوى المقاومة الفلسطينية » .

المحور الثالث في حركة مصر لتصفية العدوان يمثله الدعم السياسي والعسكري السوفيتي . وبعد أن أشار الرئيس إلى أن العلاقات السوفيتية المصرية برت بعدد من المراحل المختلفة . حدد أن هذه العلاقات تحكمها .

١ - أن الصديق مهما حدث منه فإن اختلافاتنا يجب أن تظل اختلافات الإصديقاء .

٢ - تئين للمساعدات التي قيمها الاتصاف السوفيتي لبلادنا في وقت المحنة ثقينا كبيرا .

ونتائجها ، وفي وضع الازمة الفكرية ، المصرة للميثاق ، مستثمر جنب الى جنب مع دراسات اخرى هامة ذات طابع فكري وسياسي عن ضمانات قيام دولة الوحدة بين مصر وليبيا .

ولما كانت جميع هذه القضايا الفكرية والسياسية ستكون محل تركيز الاتحاد الاشمل الى مجلس الشعب والقيادات العليا التنفيذية ، فقد حذر الرئيس من ان يتوهم انسان - او يحسب الايهام - بان مجموع هذا العمل معناه نهج الممركة ولكد الرئيس انه يمثل في الواقع نوعا من الحشد في اتجاهها .

■ مصر - ليبيا :

٧ مبررات + ٧ تحفظات

... والمهم هو المضمون

يتوقع المراقبون ان يتم في اول سبتمبر القادم صدور « اعلان الوحدة » بين مصر وليبيا . على ان يعقب ذلك صدور عدد من الاجراءات والتشريعات التي تحقق الاهداف التي ستقر باعلان الوحدة .

وكانت مصر وليبيا ، قد شهدتا خلال الاسابيع القليلة الماضية عددا من الاحداث والمساقفات الهامة حول قضية الوحدة .

فقد اكد الرئيس ثور السادات في خطابه في الاحتفال بالغيد الحادي والعشرين لثورة يوليو - اهمية الوحدة وضرورتها ، وابتدى حربه الكبير على الاستفادة من « دروس الوحدة مع سوريا » التي تتلخص في ان « جوهر الوحدة » هو الهم بخصي النظر عن شكلها الدستوري ، ويوسع الاختلافات الواقعية في الاعتبار بمعنى « مراعاة عنصر الزمن والسياسات الاقليمية » ، واهمية « وضع الاساس والدراسات من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليب على 'الحقيبات الادارية' » وفي هذا المجال اصناف الرئيس : ان ضمان استمرار الوحدة بدم يمامها هو أيضا مسئوليتنا التاريخية ازاء انفسنا وازاء الشعب الليبي وازاء العرب جميعا وازاء الحركة الدائرة مع عدونا وازاء اجيالنا المقبلة كلها . ومام الرئيس السادات بتوضيح تفاصيل زيارة الرئيس القذافي في اواخر يونيو الى القاهرة والمحادثات

وتحدث الرئيس عن اهم المشاكل التي يقرص لها التعاون المصري السوفيتي ، فاشار الى ان هي مقدمة هذه المشاكل قضية « الوفاق الدولي » . وهنا ذكر الرئيس ان الرفيق بريجنيف اكد للمستشار حافظ اسماعيل ثبات موقف الاتحاد السوفيتي واستقراره في مناصرة ودعم القوة العربية . كما اضاف الرئيس الى ان « .. الاصفاء السوفيت حريصون على عدم عزل انفسهم عن حركات التحرر الوطني » .

وانهى الرئيس كلامه عن المساود الثلاثة التي تتحرك عليها مصر في مواجهة العدوان بقوله : ان المطلوب هو مزيد من الجهد وانفعبة على جميع هذه الجبهات : القوة الذاتية ، والقوة العربية ، والدعم السوفيتي .

وقد ختم الرئيس خطابه بدعوة المؤتمر المشترك من اللجنة المركزية والهيئة البرلمانية الى ان نخرج خلال هذا الصيف في دراسة عدد من القضايا الهامة هي :

- التغييرات التي طرأت على قوتنا الذاتية .
- التغييرات التي طرأت على الظروف العالمية المحيطة بنا
- مامو تأثيرها على المنطقة العربية
- ما هي النتائج المترتبة على هذه التغييرات
- كيف نستخدمها لتكون اضافة لقوتنا الذاتية والى القوة العربية .
- وكيف نستفيد من هذا كله لتحقيق الهدف الرئيسي وهو تحرير الارض
- وكان الرئيس في مستهل كلامه قد اشار الى انه اقترح على اللجنة المركزية تأجيل المؤتمر القومي العام الى شهر سبتمبر . حتى تمت الدراسات اللازمة حول النقاط التي طرحها الرئيس على الاجتماع المشترك . وحتى يكون هنالك تصور واضح يساعد المؤتمر العام على اتخاذ قراراته .
- ويرى المراقبون بالاضافة الى ما تقدم من فضايل مطروحة للدراسة فان الفترة القادمة ستشهد صملا متوقعا وراسما على الجبهة الفكرية . وهذا ما وضع في اجتماع اللجنة المركزية في ١٦ - ٧ عنديا أعلن الرئيس عن اعداد ورقة فكرية تضع تفسيرا لميثاق تجنبة الغموض من ناحية ، كما نجنيه - من ناحية اخرى - الجنوح به نحو تفسيرات مذهبية مينة .

ويضيف المراقبون ايضا ان هذا الجهد الذي سيبدل في دراسة التغييرات الدولية بثل انصبها

تقارير التنوير

القاهرة حيث تم ترتيب حضور ١٠٠ عضو من المسيرة لمقابلة الرئيس السادات الذي أكد أهمية ضرورة الوحدة وأوضح أهمية أن تقوم الجماهير الليبية برفض استقلالية الرئيس القذافي وأرجاعه إلى « موقع المسئولية » حيث أن استمرار وجوده في قيادة دولة الوحدة بشرط من شروط قيامها^{١٥}

وقد اتجهت الجماهير الليبية ، إلى مقر إقامة الرئيس القذافي تطالبه بالعدول عن الاستقالة وهي خطابه في ٢٢ يوليو الذي حيا فيه الثورة المصرية والشعب المصري ، أشار إلى أنه استقال لأنه وجد نفسه لا يستطيع أن يستمر في تحمل مسئولية القيادة لأن له آراء خاصة في بعض أسس قيام الوحدة^{١٦} ، وخاصة في قضايا الحركة والميثاق والأثرية الإسلامية والثورة الشعبية ، وأضاف أن موقفه وآراءه الشخصية يجب أن تكون منفصلة عن قضية الوحدة « التي يجب أن تقوم بأي حال وعلى أية صورة » وأمام أصرار الجماهير على ضرورة العدول عن الاستقالة أوضح أنه عدل إلى حين تتيقن الوحدة ليحدد بعدها موقفه^{١٧}،

ومعروف أن الرأي العام في مصر وليبيا والرأي العام العربي كله ، كان قد تابع بساكنهم كبير ، مناقشات الوحدة « التي جرت على المستوى الرسمي » والمأم في القاهرة - على امتداد ١٧ يوما قضاهما الرئيس معمر القذافي في زيارة مصر ، وقعد هذه الزيارة أطول مدة قضاهما الرئيس الليبي خارج ليبيا منذ قيام ثورة « الفاتح من سبتمبر » في عام ١٩٦٩ ؛ مما أكد لدى المراقبين مدى أهمية المناقشات التي اتخذت طابعا من الحوار الصريح أضفى مناحا من الحيوية السياسية تؤمن الدوائر التقليدية العربية بضرورته وفوائده^{١٨}

ويركز المراقبون العرب في تقييمهم نتائج هذه المناقشات والآراء التي أبديت حول المشاكل القانونية والدستورية والاقتصادية والسياسية ، يركزون على أهمية الاتفاق على منهج واحد يقول بضرورة طرح كل التصورات والتفصيلات في « إطار وحدوي » تثار فيه وجهات النظر المختلفة من أجل ضمان قيام وحدة سلمية تضمن إمام اختصار الزمن ، على أن ذلك لا يمتنع ضرورة الاتفاق التام مقدما - على كل التفاصيل^{١٩} ، وإنما يعني أهمية تحقيق بدايات عملية - سياسية واقتصادية ودستورية - تلعب نطاقها بشكل مبسط كاتمهك رابعية تحديد المفاهيم والرؤية التي يؤمن المراقبون العرب بأهميتها من خلال حوار ديمقراطي يوفر مناخا من « الحد الشعبي الوحدوي » يدعم ويحيى كل إجراء المد^{٢٠}

التي أجراها حول الوحدة والتي انتهت إلى عرض تصورات ثلاثة يقول الأول ببرنامج متدرج أهم معاملة إجراء استفتاء في أول سبتمبر القادم على إعلان دستوري يتضمن قيام الوحدة بين مصر وليبيا على أساس المبادئ الواردة في بيان بنغازي وبيان طرابلس - ويقول للتصور الثاني بإلاخ بنظام الاتحاد الاشتراكي بحيث يستقنى على مشروع الدستور وعلى إعلان دستور مؤقت ملحق به يتضمن قواعد نظام الحكم في المرحلة الانتقالية - ويقول للتصور الثالث بأنه يجب قبل الوصول إلى الشكل النهائي للوحدة الاندماجية ، أن يتم الاتفاق بين الدولتين على سياسة خارجية وعربية موحدة وعلى سياسة موحدة خاصة بالحرمة . وقد انتهى الأمر إلى إقرار صحيفة معدلة للتصور الأول أفرغت في شكل مشروع قرار يصدر من القيادة السياسية في شكل إعلان دستوري للوحدة بين مصر وليبيا ويص على ١٨ مادة تعدد نظام الحكم ومؤسساته وأصدار موازنة واحدة وتصريفة جبرية موحدة^{٢١} ،

وبعد الموافقة المبدئية على هذا المشروع ، جرت مناقشات طويلة حول عدد من القضايا الفكرية ، عاد بعدها الرئيس القذافي إلى ليبيا وتم الاتفاق على ضرورة متابعة التفاوض حول القضايا التي لم يتفق الاتفاق حولها^{٢٢} ،

وبعد أن عاد الرئيس القذافي إلى ليبيا أذاع راديو طرابلس في النصف الثاني من يوليو الماضي ، نيا إعداد الترتيبات لقيام « مسيرة شعبية » تبدأ من الحدود الغربية الليبية لتمر بالبلاد حيث ينضم إليها أعداد أخرى من جبهات الشعب الليبي لتتجمع جميعها عند الحدود مع مصر في الطريق إلى القاهرة حاملة وثيقة مكتوبة يدعاه المرأة الليبية « تطالب بالوحدة الاندماجية في موعدها » ، وقد أبدت القاهرة استعدادا لاستقبال « ممثلين المسيرة » حيث يصعب - لأكثر من اعتبار لمل أهمها ظروف المواجهة مع العدو - توفير ضمانات نجاح المسيرة دون مضاعفات في أكثر من مجال ، وقام الاتحاد الاشتراكي في مصر بإعداد مناقشات عن الوحدة فجري في مسكن برهسي مطروح مع أعضاء المسيرة وقيادات من الاتحاد الاشتراكي وقد تبادل الرئيسان السادات والقذافي الخطابات حول « المسيرة » وهاجأ الرئيس القذافي الرأي العام في البلدين - في خطابه للرئيس السادات - بأنه « مستعجل » ، كما أنه دعا جهاير المسيرة إلى العمل بأوامر الرئيس السادات ووصل الزائد مصطفى الخروبي عضو مجلس الثورة الليبي إلى

بالذات ، بعد قوة جذب مؤثرة « لاملل عربية خبت الجذوة فى قلوبها » . ضامسا : ان الوحدة سوف تعطى لجهة المواجهة مع العدو ، عمقا يبرز على موازين القوى الاستراتيجية والتكتيكية . سادسا : ان وجود « الدولة الجديدة » فى « صميم ازمة الطاقة وازمة النفط الدولى » ، سوف يفرلها كثيرا من عناصر المبادرة . سابعاً : تلبية دواعى الوحدة العربية وحاجتها الى « دولة نواة فى ظل عالم الكيانات الكبيرة » .

أما الاتجاه الذى يرى ضرورة « قيام الوحدة على خطوات متدرجة » ، فيستند الى عدد من الاسباب يمكن رصدنا فى : أولا : الصراخ بين الدعوة لقيام وجود المؤسسات وسيادة القانون « فى مصر » وبين الدعوة لقيام وجود « الثورة الثقافية » او « الثورة الشعبية » فى ليبيا . ثانياً : الاختلاف القائم بين المستوى الاقتصادى للتطور والدخل فى مصر ولى ليبيا . ثالثاً : دواعى مفهوم « النظريه الثالثه » التى يدعو لها الرئيس القذافى ، فى نفس الوقت الذى يقوم فيه العمل الوطنى فى مصر على اساس « الميثاق » . رابعاً : الحساسيات التى ينبغى ان تصفى فيها بين المصريين والليبيين والتى تحتاج لدراسة جذورها الطبقيه « و » واختلاف السلوك . خامساً : ان العمل الوطنى العنصرى لحركة التحرر الوطنى سواء فى مصر او فى اعالم العربى كله ، تتطلب عدم الدخول فى معارك لا يبرز لها سواء ضد « الماركسيه » او ضد الاقتصاد السوفيتى . سادساً : ان الاسلام — كما فى الدستور المصرى — « مصدر رئيسى » للتفريع وليس « المصدر الوحيد » ، كما ان النظرة اليه والعمل وفق مبادئه ينبغى ان تسم نسي اطار « عقلانى » . سابعاً : تحديد اولويات اساسيه فى العمل السياسى الخارجى وفق « طاقات واقعيه وعلمي » ، يتجنب « الانكسار والتعرض الزائد على جبهة تمتد من ايرلندا الى الفلبين » .

ويعتقد المراقبون الذين تابعوا عن قرب مجريات « مناقشات الوحدة » التى تمت فى القاهرة ، ان القضية الحوريه التى يمكن استخلاصها من ضرورة الاتفاق على « مضمون الوحدة » : هل هى مجرد تجميع لدولتين عرييين بينها من دواعى « التوحيد » اكثر من دواعى « التباعد » ؟ ام هو اهمية قيام « دولة واحدة ثوريه تطلق من آخر ما وصلت اليه ثورة ٢٢ يوليو من اجابيات ومكاسب » ؟ . يرى هؤلاء المراقبون ان الاجابة على هذا السؤال تقتضى اول

ويعتقد الدوائر الوطنيه والتقدميه العربيه ، بانه على عكس ما قد يتصور احد من ان ظروف وواقع ما بعد يونيو ١٩٦٧ ، يمكن ان تشكل عقيه نحو تحقيق اية وحدة بين دولتين عرييين او اكثر . تؤمن هذه الدوائر بان العمل الموحد من اجل « قضية تحرير الارض » هو « المحل » الصحفى الصحيح تأكيدا لمحيقة ان المنطلق الوسطى هو انسب بداية « للانطلاق القومى » وخلق « مناخ » المد الشعبى والوحدوى .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس انور السادات قد قدم عملية المناقشات الواسعة التى جرت فى القاهرة فيما بين اواخر يونيو واولل سبتمبر الماضيين ، بالدعوة الى « حوار عميق فى مختلف مؤسساتنا وقياداتنا » نريده بما يحدته الحرية والصراحة لان ما نعرض له اليوم من مصادات يستلزم منا ان نعطى لكل امر قيمته وان نمنع فى بحث كل ما يتعلق به حرصا على المستقبل .

ويمكن رصد اتجاهين اساسيين سادا مناقشات الوحدة . يرى الاتجاه الاول ضرورة قيام « الوحدة الاندماجية » فى موعدها (اول سبتمبر) وذلك بإلغاء الشخصيه الدوليه لكل من مصر وليبيا وفهم شخصيه دوليه واحدة هى دولة الوحدة على ان يتم تصفيه الخلافات من خلال المراسمة اليوميه لوحده . اما الاتجاه الثانى فيرى ضرورة قيام الوحدة — فى موعدها ايضا — على خطوات متدرجة يتم خلالها تصفيه الخلافات . حرصا على « سلامه » الوحدة وضمانا « لنجاحها »

وتستند وجهه النظر الداعيه الى قيام الوحدة الاندماجية « فورا وفى موعدها » ، الى عدد من الاسباب كان محمد حسنين هيكل قد اوجزها فى مقاله ويمكن رصدنا فى : أولا : ان هناك مائلا كاملا بين المنطلقات الاساسيه للثورة المصريه والثورة الليبيه . حيث تصب جميعا فى « مجرى التيار الواسع للناصريه » . ويؤكد الليبيون منا ان « ثورة الفاتح من سبتمبر » امتداد لثورة يوليو . ثانياً : قيام الاتصال الجغرافى كصفيه واقعيه بين البلدين ، وذلك يعطى احدى ثغرات « تجربه الوحدة مع سوريا » حيث لم يكن يوجد اتصال جغرافى بينهما . ثالثاً : تكامل المصلحة حيث لحر امكانيات انتاجيه هائلة لا يمكن بكل طاقتها نظرا لعدم توفر الاموال اللازمه للاستثمارات ، بينما تتوفر لدى ليبيا بكل هذه الاموال فى نفس الوقت الذى يمد يده « تبع الثروة » لديها « محدود المصر » . رابعاً : ان قيام « دولة الوحدة » فى الظروف المربيه الراهنة

أهمية العمل من أجل تحقيق حد من «الوفاق العربي بين الدول العربية» ، تفرغته ظروف مواجهته متطلبات الحركة ، ويفيد ذلك بضرورة تضيق «جبهات الهجوم التي فتحتها ليبيا مع عدد من البلاد العربية» .

وقد اجمع عدد من ممثلي الرأي العام المصري ، على أن مقومات النجاح للوحدة «مقابلة» ، ينبغي أن تقوم على أسس «مرونة وتدرجيه» مع الحصر على تجسرية مصر التي تتضمن «المؤسسات وسيادة القانون» وفي نفس الوقت الحرص على مراعاة «اجتهادات والمخاطر» تجربة ليبيا . وأكدت في نفس الوقت ضرورة الاستفادة من تجربة «الوحدة مع سوريا» .

ويرى المراقبون المؤيدون للوحدة - سواء على مستوى «الاندماج» أم مستوى «الاتحاد» - أن قيام لقاءات واسعة ومتعددة بين ممثلي مختلف فئات الشعب في مصر وفي ليبيا ، أمر ضروري يفتح الطريق أمام تحقيق مهمة «إزالة همهة» حساسيات والتقريب بين التكوين المصري والنفس لكل منهما عن طريق مباشر ومعلن . ويرى هؤلاء المراقبون أن الخلافات التي طرحتها «منساقشات الوحدة» قد تمت بهدف «الحل» على تقريب المفاهيم وبحثها لضمان قيام وحدة سليمة . وتجمع الاوساط السياسية اهتمت في البلدان على أن يبدأ الوحدة لا خيلاف عليه . وأن أية تصورات مختلفة «لتفاصيل» مسألة «يمكن» معالجتها طالما أن الايمان بأهمية الوحدة ولعاليها في الطرفين الراهنة حقيقة مسلم بها .

■ مجلس الشعب :

كم من العمل في مجلس الإدارة ؟

في خلال الفصل التشريعي الاول من دور الانعقاد العادي الثاني لمجلس الشعب تقدم عضو المجلس د . محمود احمد القاضى بمشروع قانون بشأن الشروط الواجب توافرها في المنتخبين والمرشحين عن العاملين في شركات القطاع العام ، أو الخاص ، والجمعيات ، لعضوية مجالس ادارتها .

، وأول ما تعرض له هذا المشروع هو تعديل الطريقة التي نظم بها قرار رئيس الجمهورية رقم

في المستوى الاقتصادي والتبادل الحضاري واختلاف نظم التعليم ومؤسسات البنية بين البلدين . وفي هذا الإطار ، أشار المصريون إلى أن «الميثاق» هو نتاج التجربة المصرية ، هذا لم يكن هناك خلاف حوله ، فما هي مبررات النصرة إلى النظرية الثالثة ؟ ، ومن هنا أبدى عدد من المصريين معفظاتهم وبخاصة حول تجرية «جنان الثورة الثقافية» في ليبيا . وبالإضافة إلى ضرورة «تقلانية الدولة» ، أشار المصريون إلى «إخاطر التمسك بالحرفية وكيف أن التمسك بالحرفية جهد الفكر وجمد المسلمين» . وفي مجال «مسئور التشريع» أشاروا إلى أن الاعتبارات الواقعية والعملية تقتضى عدم التمسك بمسود واحد مع التسليم بوجود «مسود رئيسي» هو «الاسلام» بمفهوم «أن الروح إلى نفع وراء النص ينبغي أن تحقق التطور الطوبى» . وفي مجال الموقف من الماركسية والماركسيين العرب ، أشار عبد الرحمن الشرفاوى رئيس تحرير «روز اليوسف» إلى «أننا نعيش مرحلة جميع كل قوى الوطن وحشدها على طريق التحرير» ، وأن يجب أن يتجمع كل الذين تلقى صياغتهم في محبرة الاستعمار والأمبريالية والصهيونية . والخطأ الخالد الذي وقع فيه بعض زعماء التحرر الوطنى هو شن حرب صليبية ضد القوى الماركسية وهي قوى حليفة بطبيعتها . فإذا بهم يدركون بعد هوات الأوان أنهم يضعفون الجبهة التي يتحركون فيها ويخربون القوى التي تمثل مصباحيهم في المعركة ودفع حركة التحرر . وبخصوص أهمية علاقات «الصداقة والصيوان» : سيج لاتحاد السوفيتى ، أشار المصريون إلى أنه ليس صحيحا أن الأمة العربية تستطيع أن تخرج من الخلف سون مساعدة الاتحاد السوفيتى . ولم يقدم أيها احد المساعدة سوى الاتحاد السوفيتى لأن الدول الراسمالية تعمل على بقاء هذه المنطقة نواصلة استغلالها . أما الاتحاد السوفيتى فهو الدولة التي يصنع نظامها الاقتصادي بمساعدة الدول المنصبة وأمانا الامثلة كثيرة على ذلك . رجيد بانذكر أن قيادات التنظيم النسائى في مصر قد أجرت حوارا واسما مع الرئيس القذافى دار معطيه حول تمسورات كل طرف عن وضعية المرأة في دولة الوحدة وحقوقها . وقد أشارت المصريات إلى هذا الخصوص إلى «ضرورة أن تسمى الوحدة بالنسبة للمرأة إضافة جديدة لمكتسباتها الهامة وحقوقها الواسعة التي حققتها لها الثورة المصرية» . وقد أوضح الرئيس الليبى في هذا الخصوص وجهة نظره التي تقول بهذه الحقوق مع التسليم بالفوارق بين الرجل والمرأة في نفس الوقت .

وقد أشار ممثلو الرأي العام المصري ، إلى

تقارير الشهور

جديدة لضمان تجديد مجالس الإدارة في مدة أقصاها أربع سنوات حيث أن القرار الجمهوري لم يكن قد نص على حد أقصى لبقاء تشكيل تلك المجالس وضرورة إعادة انتخابها ، مكتفيا بتحديد حد أدنى فحسب لمدة العضوية ، وكما تذكر المذكرة الإيضاحية : « مما كان يمكن أن يترتب عليه ، استمرار بقاء تلك المجالس بذات تشكيلها لأجل غير معلوم ، مع ما في ذلك من ضرر مؤكد لعدم تجديدها في فترات دورية معقولة رجوعا لرأي الناخبين » .

وقد أحال مجلس الشعب مجلسته المنعقدة في ١٦-١٧٧٣ المشروع بقانون ، بعد الموافقة المبدئية عليه ، إلى لجنة مشتركة من اللجنة التشريعية ومكتب لجنة القوى العاملة ، وذلك لإعادة صياغته . وقد رأت اللجنة - كما جاء في التقرير المقدم من هذه جهات العطف في رئيس اللجنة المشتركة : « إعادة صياغة بعض نصوص الاقتراح بمشروع قانون المذكور ، بما يحقق الغرض الذي قصد إليه ، وبما يتفق وأحكام الدستور في شأن تمثيل العمال في مجالس إدارة وحدات القطاع العام والشركات المساهمة والجمعيات المؤسسات الخاصة » .

وقد جاء تعديل المادة الثالثة على النحو التالي : « يقوم الناخبون بانتخاب نصف عدد أعضاء مجلس الإدارة من بين المرشحين من العمال » .

ويقصد بالعمال في حكم هذه المادة ، من يؤدي عملا ذهنيا أو يدويا ، في الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الخدمات الأخرى ، ويعيش من دخله الناتج عن هذا العمل ، ولا يحق له الانضمام إلى نقابة مهنية ، ولا يكون من خريجي الجامعات أو المعاهد العليا أو الكليات العسكرية .

« ويستثنى من ذلك من بدأ حياته عاملا ، وحصل على مؤهل جامعي وبقى في نقابته العمالية دون أن ينضم إلى نقابة مهنية » .

وأما المادة الثامنة فقد عدلت لتصبح : « مدة عضوية الأعضاء المنتخبين في مجالس الإدارة سنتان ، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية لاعتبارات تتعلق بالصالح القومي العامة ، من هذه المدة لفترة لا تتجاوز سنتين » (٢)

وفي جلسة مجلس الشعب المنعقدة في ١٧ يونيو

٢٤٢٤ لسنة ١٩٧١ عملية الترشيح لمجالس الإدارة في القطاع العام ، أو الخاص ، والجمعيات التعاونية . فقد جمل هذا القرار - المادة الثانية منه - الترشيح من حق لجان الاتحاد الاشتراكي واللجان النقابية ، وأن يتم من بين أعضاء هذه اللجان . ووفق ما جاء بالمذكرة الإيضاحية لمشروع القانون ، فقد حذفت المادة الثانية واستبدلت بالمادة الثالثة في المشروع - تقول المذكرة الإيضاحية :

« ولما كانت طبيعة العمل في مجالس الإدارة تختلف تماما عنها في الوحدات النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكي ، مما قد يحتاج الأمر معه إلى نوعية أخرى للأعضاء . كما أنه لما كان في قيام اللجان المذكورة بالترشيح من بين أعضائها ، ما يضيق من دائرة الاختيار على الناخبين علاوة على ما يترتب عليه من آثار داخل هذه اللجان الضيقة الحدود - كذلك لما كان الترشيح بهذه الطريقة قد لا يجعل المنتخبين يمارسون عملهم في مجالس إدارة الشركات ، بنظرة مجردة بعيدة عما تعلمه عليهم طبيعة عضويتهم للجان الاتحاد الاشتراكي واللجان النقابية » .

فإنه لكل هذه الأسباب وحتى يكون مجال الاختيار لمجالس الإدارة أوسع وأعم ، قد حذفت هذا المشروع المادة الثانية من القرار الجمهوري المشار إليه برمتها ، وذلك باستبدالها بالمادة الثالثة من ذات القرار (١)

كما نصت المادة الثالثة من المشروع أيضا ، على وجوب أن يكون نصف الأعضاء المنتخبين على الأقل من العمال . وهو ما لم يسبق النص عليه في القرار الجمهوري ٢٤٢٤ . وذلك كما تقول المذكرة الإيضاحية : « عملا لحكم الفقرة الثانية من المادة ٢٦ من الدستور التي أوجبت أن يكون تمثيل العمال في مجالس إدارة وحدات القطاع العام في حدود خمسين في المائة من عدد أعضاء هذه المجالس » . وكما ترى المذكرة الإيضاحية فإنه : « يغير فرض هذا القيد ، يصبح من المحتمل أن يكون جميع الأعضاء المنتخبين لمجالس الإدارة من بين العاملين الذين لا ينطبق عليهم وصف العامل » .

كما أضاف المشروع في مادته الثامنة فقرة

[١] المادة الثالثة : « يقوم الناخبون بانتخاب أربعة أعضاء من بين المرشحين بشرط أن يكون اثنان منهم على الأقل من العمال ، ويجب مراعاة هذه النسبة في جميع الأحوال المخصوص عليها في المادة السابقة من هذا القانون » .

[٢] كانت المادة الثانية : في نص المشروع القديم من د. القاضي : « لا تقل مدة العضوية في مجلس الإدارة للأعضاء المنتخبين من سنتين ولا تزيد على أربع سنوات » .

١٩٧٣ دار نقاش حول المشروع بقانون المقدم من اللجنة المشتركة .

ورحول المادة الثالثة بدأ الحوار - فاقترح د. السيد علي السيد - حذف الفقرتين الثانية والثالثة من المادة ، لانه كما يرى البعد بالقوانين عن التعاريف ، وتركها للفقه ، وذلك لان التعاريف لا تكاد تستقر . لانها اذا وضعت في نطاق القوانين فانها تعرق القوانين في تطوره او في ذاته . وقال د. محمود القاضي - ان هذا الكلام يتعارض مع نص المادة ٨٧ فقرة ثانية من الدستور التي تنص على « ويبين القانون تعريف العامل والفلاح » . حقيقة لقد ورد النص على ذلك في قانون مجلس الشغب ولكن المادة ٨٧ من الدستور اوردت فقرة مستقلة بذلك ، ورأى انه يجب ان يشتمل القانون على تعريف العامل والفلاح ، حتى يكون القانون واضحا وصريحا - وذلك كما اتبع بالنسبة لقانون مجلس الشعب الذي صدر في الدورة الماضية وحتى لا يترك للاتحاد الاشتراكي او للقرارات السياسية .

وتحدث د. جمال العطيبي فقال انه لا بد وان تضمن المادة طريقا للوصول الى تعريف العامل - وحتى لو أخذنا برأي د. السيد علي السيد . وتعريف العامل هو نفسه التعريف الذي ورد في قانون مجلس الشعب ، وهو تعريف سياسي ، اذا ما استثنينا المبارة الاخيرة وهي «دون أن ينضم الى نقابة مهنية» ، والتفسير السليم للتعريف بالعامل ، يقضي بأن يظل العامل الذي حصل على مؤهل عال أثناء الخدمة - في نقابته العمالية متمتعا بصفة العامل ، ويجب الا ينضم الى نقابة مهنية ، ولهذا ففى الترشيحات النقابية الاخيرة ، اضيفت هذه العبارة ، وهي عبارة تفسيرية أكثر منها عبارة تورد حكما جديدا ، ورأى ، أن تكون هناك وسيلة ، يشكل أو يآخر لتعريف العامل ، والملاحظة التي يبدونها الأعضاء ، وهي قولهم : لماذا لا تحدد عدد الأعضاء المنتخبين ، ولماذا لا نقول أربعة ونقول النصف ؟ ذلك لان تحديد أعضاء مجلس الادارة في القانون الحالي وارد في قانون القطاع العام .

ويقول د. جمال العطيبي - أن « اقتراح د. القاضي ، يقول بضرورة أن يكون نصفهم ، أي اثنان فقط من العمال بالمعنى الضيق . ولكن ما المقصود من أن يصل العمال الى عضوية مجلس الادارة ؟ ان الموظفين بحكم ما في ايديهم من سلطة داخل الشركة يستطيعون أن يصلوا الى مجلس الادارة ويوقعوا على العمال فرصة تمثيلهم تمثيلا حقيقيا ، وقد انتهت لجنة القوى العاملة الى أكثر من هذا ، فقالت ان جميع المنتخبين في مجلس الادارة يكونون من العمال . وكانت لهم حجة دستورية

وأردت في المادة ٢٦ من الدستور - الفقرة الثانية - ونصها : « ويكون تمثيل العمال في مجالس ادارة وحدات القطاع العام في حدود خمسين في المائة من عدد أعضاء هذه المجالس » .

وعن صياغة المادة ٢٦ في الدستور قال د. جمال العطيبي « انني احترف ان الصياغة التي وردت في الدستور في هذا الشان معيبة ، ومن اجل هذا ، قلت « الله اعلم » ومن ثم يذهب د. جمال العطيبي الى أن معنى كلمة « في حدود » لغويا هو أنه يمكن أن ينقص العدد عن ٥٠ في المائة ولكن لا يزيد على هذه النسبة وأقول ان هذا النص معيب دستوريا ، ولكنه لا يعيننا في شيء ، فمن الممكن أن تصل الى ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٠ في المائة وليس هناك ما يقينا ، لان مبدأ تمثيل العمال في مجلس الادارة هو مبدأ وارد في الميثاق » .

واحتدم الحوار والنقاش حول هذه النقطة . فاشارة العضو محمد محمد عطية الى : أن الثورة قد أعطت حقاً العمال والفلاحين وحددت لهم ملا يقل عن ٥٠ في المائة من مقاعد التنظيمات المختلفة . . . وهو يرى أن نص المادة ٢٦ من الدستور ، واضح ولا ليس فيه ، بتخصيص ٥٠ في المائة من عضوية هذه المجالس للعمال . وقال ان القانون اذا استهدف الاقل من نسبة الـ ٥٠ في المائة : فبمعنى ذلك انه يقصد اضعاف حقوق العمال التي منحها لهم الدولة ؟ ولا يمكن طبقا للمادة ٥٩ من الدستور التي تنص على أن « حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها والحفاظ عليها ، واجب وطني طبقا للقانون » أن نتهاون في هذا الموضوع اطلاقا وأصر على أن يكون الأربعة المرشحين من العمال .

أما العضو مصطفى كامل مراد - فقد فرق بين نوعين من وحدات القطاع العام : - « فهناك الوحدات التي يغلب عليها الطابع اليدوي : مثل المصانع ، وهناك الوحدات التي يغلب عليها الطابع الذهني مثل البنوك وشركات التأمين ، فلا يوجد بمثل هذه الوحدات سوى اخواننا السعاة . من هذا يتضح أن وحدات القطاع العام ليست بحاجة في نسبة العمال في قضايتهم » . وقد رأى ضرورة الأخذ بمشروع القانون لانه يحقق العدالة اذ يقضي بأن يكون ٥٠ في المائة من الاربعة المنتخبين على الأقل من العمال » .

وتحدث العضو احمد طه أحمد - عن فلسفة الثورة ومشروع اللجنة عن اشراك العمال في مجلس الادارة فقال :

« انني ارى أن صياغة هذه المادة يجب أن تستند الى الفلسفة التي استهدفها مشروع اللجنة واستهدفها الثورة من اشراك العمال في مجالس الادارة بتحقيق هدفين أساسيين : اولهما : أن

— تقاریر الشهر —

الغيرها ، وهي التي لا تخضع لنظام العاملين في
التطوع العام ، فانها قد رأت استبعاد من يكون
مفوضاً في ممارسة كل أو بعض سلطات
الإدارة (٣) .

وهكذا عدلت المادة الثالثة من الاقتراح بمشروع قانون وأصبحت كالآتي :

« المادة الثالثة : يقوم الناخبون بانتخاب نصف عدد أعضاء مجلس الإدارة من بين العاملين ، على أن يكون خمسين في المائة منهم « على الأقل » من العمال . وذلك في الجهات التي تمارس نشاطا انتاجيا في الصناعة أو الزراعة » .

« ويقصد بالسامل في حكم هذه المادة من يؤدي عملا في الانتاج الصناعي أو الزراعى تغلب عليه الصفة الفنية اليدوية » .
« ويفصل وزير القوى العاملة في أى خلاف ينشأ في هذا الشأن » .

« ويدعى رئيس اللجنة النقابية بالوحدة وأمين الاتحاد الاشتراكي بها ، لحضور اجتماعات مجالس ادارتها ، دون أن يكون لها صوت محدود في المداولات .. »

■ ایسٹن :

جنید _____ ادا :

هل هو الازمسة؟

أم المخرج من الازمة ؟

لبنان بلد يعيش على التوازن ، بل ان البعض يتصور أنه يعيش من أجل التوازن ، والتوازن اللبناني لعبة صعبة بقدر ما هي ضرورية .
(الجارديان ١٣ - ٦ - ١٩٧٣)

كل ذلك أصبح معروفا ، ربما الى درجة انه أصبح محتما أن يضاف صراحة الى الكتب المدرسية في الجغرافيا السياسية . لكن التوازن الذي صارت عليه لبنان منذ استئثارها بهز الانعنف .

134

لأن أحد الأطراف الأساسية بل والضرورية في لعبة التوازن ، قد غير منذ سنوات طويلة موقعه بشكل راديكالي ، إذ هجر المواقع الطائفية وهو

الاقتراح « يقوم الناخبون بانتخاب عدد لا يقل عن نصف العدد الكلي لمجلس الإدارة من بين المرشحين ». ذلك لانتنا نعلم جميعا أننا نحن العمال نضع دائما تحت سيطرة الرؤساء قسري المصانع والمؤسسات والبنوك ، فإذا ما رشح الرئيس لابد أن نجعله .

«ورد د جمال الطيفي وقال : اننا نستطيع
 بيعتنا نحن العمال ان نتقّب أثره فعلا ، ولكن
 التأثير والضغوط التي نراها يومياً هي أشفاء
 الانتخابات بصفة خاصة - تجعلنا جميعاً نتمسك
 بالعدل الذي كلّفه موافق الثورة ، ومن هنا قلنا
 ونعلن جميعاً لصحة مصر لا لصحة فرد معين ،
 ونعلن كى ما نرجوه هو ان نحافظ على المكاسب
 الثورية ، كما قلنا عبد التّواص قد قال
 رحمه الله : يجب على العمال ان يمتسكوا بهذه
 المكاسب حتى لا نضيع من ايديهم » .

وبعد قفل باب المناقشة أعيد المشروع بقانون إلى اللجنة المشتركة في مكتب اللجنة التشريعية ولجنة الشؤون العامة لدراسته في ضوء ما أثير من مناقشات . وكما قال رئيس المجلس : « إن هذا الاقتراح بمشروع قانون قديمه - محمود القافى لمصلحة العمال أنفسهم - إلا أنني أشعر أن بعض الآخرة من العمال غير مرتاحين ، فهل هناك مانع من اعادته إلى اللجنة ؟ »

وانتهت اللجنة الى تعديلات هامة في المشروع بقانون - فأولا : ارتأت اللجنة وجوب التمييز بين التعريف السياسي للتعامل في قانون الاقتصاد الاشتراكي وفي قانون مجلس الشعب وبين تعريف التعامل وفق قانون العمل وهو الذي يحكم الترشية لمعضية مجالس ادارة الشركات .

ثانياً : إتاحة الفرصة للعمال بالمعنى الضيق ، وهم الذين يشاركون مباشرة في الإنتاج ويؤدون أعمالاً تغلب عليها الصفة الفنية اليدوية ، للوصول إلى عضوية مجالس الإدارة .

ثالثا : أن ينص على دعوة رئيس اللجنة النقابية وأمين وحدة الاتحاد الاشتراكي لهضور اجتماعات مجلس الإدارة وذلك دعا للتعاون بين كل الجهات التمثيلية في الوحدة الاقتصادية .

وأبعا : إضافة قيد جديد على حق التشريع يمنع مظنة التأثير على سلامة تمثيل العاملين ، وذلك بأن يستبعد من حق التشريع شاغلي وظائف الإدارة العليا والمفوضين بتوقيع الجزاء إذا كان الأمر يتعلق بشركات القطاع العام أما بالنسبة

١٤ - لا يكون من شاغلي وظائف الإدارة العليا أو من الموظفين في توقييع الجراء في الوحدات الاقتصادية التابعة للقطاع العام ، والا يكون مفوضاً في كل أو بعض سلطات الإدارة في باقي الجهات الخاضعة لأحكام هذا القانون .

● أن الرأي العام اللبناني والعربي يخشى من جولة ثانية ضد المقاومة الفلسطينية .

● ثم تساهل جنيلاط عن مصدر الاعتراض على توليه وزارة الداخلية ومن أين يأتي من أمريكا ، أو من إسرائيل ، أو من السعودية ؟ (راديو بيروت - ٢٥ - ٦ - ١٩٧٢) .

ومن ناحية أخرى ، أعلن كرامي في حديث صحفي « أصر على استناد الداخلية إلى جنيلاط ، وإذا أرادوا الراحة فليسلطوه وزارة الدفاع أيضا » (الانوار ٢٦ يونيو ١٩٧٢) .

وتصور البعض أن « الفتى » على جنيلاط يأتي من القصر الجمهوري^{١٠} لكن الرئيس فرنجة أعلن لعدد من النواب أننا لا أصبح « فتى » على أحد ، وخصوصا على السيد جنيلاط اذا اسندت اليه وزارة الداخلية ، ثم اتضح أن مصدر « الفتى » هو الأحرار (شمعون) والكتائب (الجميل) (الانوار ٢٧ يونيو ١٩٧٢) وخروجاً من المأزق عرض على جنيلاط وزارة الدولة للشؤون العربية واللسطينية فرفضها . ثم عرضت عليه وزارة الاشغال فاعتبرها هائلة له . وتردد أن جنيلاط ينوي اعلان عزوله عن الاشتراك في الوزارة حتى ولو وافق « المنتمين » على إعطائه وزارة الداخلية « لأن المعلومات التي توفرت من خلال الاتصالات التي أجراها ، ولدت لديه قناعة بأن الاشتراك في الحكومة ، ولو اسندت اليه وزارة الداخلية ، لا يعني بآية حال « رحلة شهر عسل » بل رحلة محفوفة بالمصاهي (الانوار ٢٧ يونيو ١٩٧٢) .

ومرة أخرى تتحرك ضغوط كثيرة . حركة القومية ، أصدرت بياناً أعلنت فيه تمسكها بمطلب استناد وزارة الداخلية لجنيلاط ، وعدم التعاون مع أية حكومة لا تحقق هذا المطلب .^{١١} ودان الاتفاق أصدرت بياناً بتوقيع المفتي حسن خالد جاء فيه أن جنيلاط « أخ كريم ورجل كبير من رجالات البلاد وأصحاب الرأي والمدور السياسي فيها » .

ثم أصدرت جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بياناً أعلنت فيه «^{١٢} أن استناد وزارة الداخلية لاستناد كمال جنيلاط ، ليست قضية شخصية تهم جنيلاط نفسه ، بل هي قضية وطنية وديمقراطية ، تهم جماهير لبنان الواسعة التي أعلنت رأيها صريحاً بضرورة اعتماد سياسة إيجابية واضحة مع المقاومة الفلسطينية ، تقوم على أساس توفير عناصر الثقة بتطبيق الاتفاقيات الموقودة ، وتصفية ذبيل الاحزات الاخيرة ، واعتماد سياسة دفاعية وطنية ، ومن أجل تثبيت الحقوق والحريات الديمقراطية والاجتماعية ، وعودة العلاقات مع الدول العربية الشقيقة إلى

يتجه يساراً ، ولبنان المحافظ ، الطائفي ، ذو الاقتصاد الحر . والواجهة الليبرالية البراقة ، والصحافة الحرة ، والسجون الخشالية من السياسيين ، عاش طوال حياته المستقلة يتقن لعبة التوازن بين اطراف اليمين وحدهم ، فإذاً يحدث لو انصاع أحد هذه الاطراف يساراً ؟^{١٣} تلك هي العقدة اللبنانية الآن .»

جنيلاط ينامز يساراً ، فعلها بالأمس ، ثم هو يؤكدنا اليوم ، وهكذا فلا مناص من اعضاء طابع سياسي ، وغير طائفي ، على امية التوازن ، وهذا يختل التوازن ذاته .

وعندما استقالت وزارة المحافظ ، أو بالذقة اجبرت على الاستقالة ، بدأت الحركة حول اختيار مرشح للرئاسة ، وبدأت مشاورات عديدة وتقدمت عدة ترشيحات وشيخ كرامي مدعوماً من جنيلاط وجبهة النضال والباقي (حركة النوعية) ، لكن شمعون يمتنح على كرامي ويرشح صائب سلام ويمتنح الجميع على سالم ، فيرشح بسدوره سليمان العلي (الانوار ٢٦ يونيو ١٩٧٢) .

ويحاول الرئيس فرنجة أن يتخلص من كل هذه الاعتراضات فيفكر في ترشيح شخصية خسر سياسية لقولى رئاسة الوزارة ، ويمنح جنيلاط « أن اختيار شخصية خسر سياسية لا يحل المشكلة بل يزيدا تعقيدا . وربما أدى الى عودة المقاطعة التي واجهتها حكومة الدكتور المحافظ » (الانوار ٢٦ يونيو ١٩٧٢) .^{١٤} وأخيراً نصح جنيلاط في أن يجمع قوى سياسية هامة تؤيد ترشيح تقي الدين الصلح ، الذي كلف بتشكيل الوزارة في أعقاب زيارة قام بها جنيلاط للقصر الجمهوري (الصباح ٢٨ يونيو - ٥ يوليو ١٩٧٢) .

لكن النجاح في اختيار مرشح لرئاسة الوزارة لم يكن نهاية المشكلة بل كان مجرد تصديد لبدايتها .

● جنيلاط أم لا ؟

فقد أعلنت جبهة النضال ، وجبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، وجبهة المشاركة مع الثورة الفلسطينية مطلباً محدداً^{١٥} جنيلاط وزير للداخلية واعترض البعض على ذلك ، وفي تصريح صحفي أعلن جنيلاط :

● أن موضوع وزارة الداخلية لا يتعلق به شخصياً ، ولكن القوى الوطنية والتقدمية رشحته لتحمل مسئولية هذا المنصب في الظروف الراهنة .

● أن الداخلية هي أكثر الوزارات حساسية ، لأنها مفتاح الازمة مع الفلسطينيين ، والازمة الخارجية مع سوريا والعراق بشكل خاص ، ومع سائر دول العالم العربي .

● التهديد بالعسكر ..

ووصل الوضع الى مخنق خطير ، وبدأت المناصر القريبة من القصر الجمهوري تلوح بوزارة عسكرية ما لم يتفق الساسة وصرح طوني فرنچية نائب شمال لبنان والابن الاكبر للرئيس فرنجية « ان تاليف وزارة عسكرية يمكن ان يكون العلاج الاخير » ذلك انه اذا كان على المرء ان يختار بين تدمير الدولة وبين تشكيل حكومة عسكرية ، فائتي افضل شخصيا لا تتعرض الدولة للدمار ، وسوف نعطى السلطة للجند حتى يهاضفوا على لبنان ، (وكالة الانباء الفرنسية - بيروت - ٢٩ - ٦ - ١٩٧٢)

لكن الضغوط على ارض التوازنات لم تكن داخلية فحسب .. فقد ترددت شائعات قوية عن ضغوط خارجية بعضها عربي وبعضها غير عربي تلح على منع جنيطلاط من الاشتراك في الوزارة . كذلك فقد كانت المشاورات تجري في ظل تهديد اسرائيلي واضح تمثل في حشود اسرائيلية كبيرة ،

حالتها الطبيعية ، كذلك أصدرت حركة الصحوه (مجموعة من الشخصيات السنية) بيانا تطالب فيه بإسناد منصب وزير الداخلية لجنيطلاط ، لان المصلحة الوطنية تحتم ذلك ، (وكالة الانباء الفرنسية - بيروت - ٢٩ يونيو ١٩٧٢)

واستمر شمعون والجميل يمارضان ، بل ان شمعون زاد الطين بان صرح بأنه ضد اشتراك جنيطلاط في الحكومة أصلا ، لانه لاشتركي ، وضد نظام الاقتصاد الحر ، ولا يؤمن بالنظام البرلماني .

(١٠ ش - ١ - بيروت - ٣٠ - ٦ - ١٩٧٢)

وصائط سلام أعلن انه في موقف المتفرج ، لما جنيطلاط فقد رد على كل ذلك ردا لا يمكن الا ان يصدر من جنيطلاط « أفضل الكرسي الهزاز في منزلي على كرسي الوزارة » (الانوار ٢٩ يونيو ١٩٧٢)

تعليق

أرصدة الحرب في الخارج هل تترك في مهب العواصف ؟

ولقد تبكت البلدان الراسيالية المتطورة أيضا بمك المصارف العملاقة التي قامت بها ، والتي تنمجا شبكة واسعة من الفروع تغطي العالم كله ، او معظمه ، من ان تقع اولى الامر في البلدان القارية بأبداع مهيبة صادرات ومعاملات ملأهم في هذه البنوك ، بهجة استثمارها بطريقة مفسونة وممتشع على هذا ان عملة هذه البلدان المتطورة - وبالتالي البنوك التي تقف وراءها - كانت هي اساس نظام النقد الدولي والمعاملات التجارية الخارجية ، ومن ثم كان من اليسر اقناع البلدان القارية ترك ارصدها في البنوك العملاقة لتسوية معاملاتها ، استيرادا وتصديرا .

وفي الدول المنتجة للبتروال التي تحصل على ارصدة ضخمة من صادراتها منه ، « لا تستخدم هذه الأرصدة في زيادة الانتاجية اولى رهنهسيو مبيعات الشعب » كما يقول باران الاقتصادي الايريني المعروف .

وغاقت ارصدة دول البتروال المكتنز في البنوك الاجنبية هذا سيسيستر في التزايد ، بفعل زيادة ضخامة مائداتها ، بالمقارنة مع قدراتها الاستهلاكية - وهي محدودة بقدره اصحاب الحضرة والدخول الكبيرة منها على الاستهلاك . وبحكم ان قدراتها على التغطية محدودة ، بسبب ضيق سوفها المحلي ، وعدم وجود فرص حقيقية لها في الاسواق الخارجية . ثم يسبب نقص المهارات البشرية والافتقار أو اواستثمارات الانتاجية

وقد تكون فوالدهذه ارصدة التي تدعمها البنوك الراسيالية معقولة [صل الى ٢٨] ، لكن هناك عوامل اخرى تنصف هذه التوائد بل وتؤدي في نهاية المطاف الى تفضيى قيمة

بدا هؤلاء امريكا وشركاها ، ودور العلاقات الخاصة بها ، يخلصون من ارصدهم من الدولارات ، او على الاقل يوقعون ترايذاها ، حتى لا تتجمد ثرواتهم في عملة يضطرون لتدهورها مما يبدد جزءا من هذه الثروات .

وما يحدث لدولار الايركي ليس « حالة خاصة » فمن قبل حدث للجنبة الاسترليني ، بل ولين الياباني والمارك الألماني ، بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية ، مما يؤكد ان ازدهارها الحالي ليس بنبؤة مما يلاقيه الدولار . ذلك ان قوانين التبو الراسيالي واظماته الدورية ، تجعل من تدهور قيمة عملات هذه الدول قدرا محتوما .

وتعتمد التجارب لابن وايد وان يدفع كل من يحفظ براسيالية في شكل ارصدة من عملات الدول الغربية وفي بنوكها الى اعادة التفكير في سلامة تصرفه هذا ومدى رشدته . والواقع ان تقسيم العمل الدولي الذي غرست به الدول الراسيالية المتطورة لنفسها دور التاجر ، ثم دور الصانع ، واخيرادور الاخرى على النطاق المالي ، اعتمد في الاساس علىخداع البلدان القارية وسلبها قوتها ، والانتفاص منه ، بكل صور الملاعب والتحايل . وقام على فكرة ان دور هذه البلدان الاخيرة هو ان تكون مجرد « زبون » ، او « عميل » للمراكز التجارية والصناعية والمالية في الغرب الخضم .

ومما سهل هذا ، ان موارد البلدان القارية من السلع والكرات ، كانت « تنقل » الى البلدان المتطورة حيث تجري عليها مختلف المعاملات التجارية والصناعية بمك ان مراكز وشبكات التوزيع والتصنيع والتبويل الاساسية كانت قارية في هذه الاخيرة .

تقارير الشهر

٢ يوليو ١٩٧٣) ، وبيدو خطر الحكومة العسكرية محيياً بالمجتمع .. وتجرى محاولات جديدة .

١ = ٢

ويمكن جنباذ تخليه عن المطالبة بأى منصب وزارى ، مقابل تعيين ثلاثة وزراء من انصاره ، واحد عن حزبه ، واثنان عن جبهة النضال . وتصدر جبهة النضال وجبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بياناً تملن فيه أن جنباذ يتخلى عن المطالبة بوزارة الداخلية بشرطين أن يتعهد الرئيس المكلف بتشكيل الوزارة بما يلى :

- التمهيد بعدم ضرب المقاومة الفلسطينية .
- التمهيد بعدم ضرب الحركة الوطنية .

● سحب قانون الاحزاب والجمعيات من مجلس النواب .

● انشاء مجلس اعلى لقيادة الجيش لتحقيق الدونز (الاتار ٢ يوليو ١٩٧٣) .

فى مقابل القطاع الاوسط والمقوقب . وكانت هذه الحشود قريبة ، الى حد أنها كانت تشاهد بالعين المجردة . كذلك فقد نشطت الزوارق والقطع البحرية الصهيونية حيث اقتربت الى مسافة ستة كيلو مترات من الساحل اللبائى فى مقابل بلدة النعمة ، وتحت حراسة الطائرات المروحية (المحر ٢٥ يونيو ١٩٧٣) .

وفى المقابل فان هناك ضغوطاً محاكسة .. بل الى البعض قد فسر استمرار غلق الحدود السورية - اللبائية على أنه ضغط لصالح جنباذ . ووصل الامر الى حد أنهم فسروا تصريحاً لجنباذ على أنه تهديد بأن الحدود لن تفتح الا اذا أصبح هو وزيراً للداخلية . واضطر جنباذ الى أن يفسر تصريحه قائلاً انه كان يعنى أن هناك حاجة ملحة الى محاور وطنية فى الحكومة قادرة على الحوار مع الدول العربية . (الانوار ٣٠ يونيو ١٩٧٣) .

ويتزامن الوضع حتى يكتب محرر الانوار الياس رياضى « بهزل السياسيون فيطل العسكر » (الانوار

أن الإيرادات السنوية للثروة استثمرت بصورة منتجة بمرور تحصيلها ، فان الزيادة الاجمالية فى الدخل فى فترة السنوات التسع، كانت لابد وان تصل الى مايقرب من ٣ مليارات دولار . وذلك بالاناسة الى المفهوم التراكمى لرأس المال .

□ بخلاف التجميد ، فما اسهل أن تمنح الدول المتقدمة البلدان النامية من استخدام ارضتها ، ولاتلك هذه الأخيرة وسائل فعالة للضغط للحيولة دون هذا . وكذا لمكترتجيد بريطانيا لأرصدة مصر وغيرها من الدول عندما واجهت بريطانيا أزمة العرب ، وعندما اختلفت مع هذه الدول . وقد قدمت الولايات المتحدة مشروها بفرغى قيد على حق الدول ذات القوتلى فى سحب او استخدام ارضتها . □ ان مشروعات الولايات المتحدة وكندا لاتنح الدول العربية باستثمار اموالها فى مشروعات تقام فى هذين الدولتين ، لالتفريق من الامر كثيراً . فان تكون للدول العربية اى سيطرة فعليه على هذه المشروعات ، كسب ان معظم ثمرتها ستذهب الى أمريكا وكندا . ومما يزيد الامر مسخوة هو ان جزءاً عظيماً من هذه الاموال لاتتبعها الحكومات العربية ، بل هى ملكية شخصية افراد .

والحل — بعد ذلك — هو ان تشرع الدول العربية المائكة لهذه الثروات فى استثمارها فى بلادها . لكن هذا العمل مرادف تماماً لقولنا : ان على البلاد العربية التى لم تصب بعد استقلالها الاقتصادى ، أن تنهب ، وان تفرض الجهاد الاكبر من اجل أن تهك فى بيدها زمام توجيه اقتصادها القومى بما يبرز استقلالها السياسى ، وبما يضمن تطورها فى جميع المجالات .

١٠ ل

وقدرة راس المال الاساسى المردع فى هذه البنوك ، واهم هذه الموارد :

□ تدهور قيمة عملات البلدان الرأسمالية وتفضيئها رسمياً — وارصدة الدول المصدرة للثروة مكونة منها — مما يودى فى نهاية المطاف الى تفضيئ القوة الشرائية لهذه الارصدة . وعلى سبيل المثال قد فتحت الدول العربية من جراء آخر تفضيئ فى الاسرائيلى حوالى ٥٠ مليون دولار وتقول المصارف الفرنسية ان ليبيا فتحت بسبب تفضيئ الدولار حوالى ٢٥ مليون دولار (مع ملاحظة ان ليبيا تختلف عن الدول التى تنهب ثرواتها البترولية ، بسبب النهج الوطنى الذى يلتزمه قادتها) .

□ التقييم وارتفاع الاسعار المستير فى الدول المتطورة ، مما يبطء مرة اخرى بالقدرة الشرائية لتلك الارصدة فى حين انها لو كانت مستمرة فى اصول انتاجية لزاوت قيمتها او على الاقل لا انخفضت . ناهيك عن الدخل الذى يستدره هذه الاصول .

□ ان الدول المتطورة تستفيد كثيراً من استثمار هذه القوتلى ، بما يدر عليها ارباحاً تزيد كثيراً مما تدفعه كفوائد لامتصاصها . لقد انعكست الآلة ، فبعد أن كانت الدول الايربالية تصعد راس المال المالى الى الدول المتلفة ، أصبحت تصوره من بعض هذه الدول لاستثماره بمفردها وفى مشروعاتها .

ويقدر باران أن دول البترول فى الشرق الاوسط حصلت على ٣ مليارات دولار فى تسع سنوات حتى ١٩٥٤ . وانهالوا استفادتها فى استثمارات منتجة ، لزام الدخل الجارى هذه الدول مما هو عليه حوالى مليار دولار ، وعلاوة على ذلك

ولعل هذه الشروط تخص البرفاج الذي كان يزج جنيفلا المتسكة به كوزير للداخلية ، ولعلها تمثل أيضا السبب الحقيقي في اعتراض الآخرين عليه .

المهم ان الازمة بدت وكأنها قد حلت ، وأعلن بالفعل مشروع التشكيل الوزاري في ٢ يوليو متضمنا ترشيح بهيج ثقي الدين (من حزب جنيفلا) وزيرا للداخلية .

ويرفض الآخرون منح أى من أصبار جنيفلا وزارة الداخلية . وتعود الازمة من جديد . لكن « ثقي الدين الصلح » وهو الرجل الذي وصفوه بأنه ظل ينتظر الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، وأنه يحفر الجبل بآخرة (الصبيح ٢٨ يونيو ٥ يوليو ١٩٧٣) لا يستسلم بسهولة . وتمضي أيام أربعة ، ويعين فيها تشكيل وزاري جديد يتضمن نفس الخطوط الأساسية وأنها أن بهيج ثقي الدين ظل وزيرا للداخلية .

ومكذا فإن الكثيرين الذين صوروا جنيفلا على أنه « الازمة » ربما أحسوا اليوم أنه هو وحده الذي يستطيع أن يصحح حوله توليفة هي رغم تمايز أطرافها ، وتقدم منازيرها تمثل مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية في لبنان ، من حيث أنها تمثل التجمع والتقارب حول برامج لا حول طوائف . هذه التوليفة تضم الدروز ، الكثير من التيارات والتجمعات الإسلامية ، والحزب الاشتراكي التقدمي ، بجهة الفضال ، بجهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، المقاومة الفلسطينية ، اليسار اللبناني ، بعض الأنظمة العربية بحيث يجعل من نفسه « المخرج الوحيد من الازمة » ، لأن جنيفلا تدرك أصول اللعبة السياسية وهي أن المخرج للبنان هو أوسع جبهة وطنية ضد الاستعمار والصهيونية .

■ العراق :

الكرار من الارهاب الى التآمر

في ٨ يوليو ١٩٧٣ نشرت الاوبزير البريطانية مقالا عن الاوضاع في العراق بقلم جافلين يافج جاء في مقدمته :

« مهدد حثيثا من السيفاحين السيلبيين ، بشوكل المستقبل الذهبي للشعب العراقي الى حمام من الدم والطين . ويمتد حزب البعث الاشتراكي الحاكم ، الذي تولى حكم البلاد منذ خمسة أعوام ، يعتبر أول حكومة تقوم منذ ثورة عام ١٩٥٨ ،

باجداث تطويع ملحوظ في البلاد ، وظل الاجل الضعيف سائدا في العراق حتى حاول واحد أو اثنان من القراصنة السيلبيين تعزيز صفو البلاد من جديد ، ولحظ من شأنها . وينبغي أن يستنى للبعث الذي هزته هذه المحاولة ، وأن كانت لم تلحق به الضرر ، الاستمرار في طريقه التقدمي ، وهناك أشياء أعظم ينبغي تحقيقها للعراق لتلحق بكثير ما يمكن لجبر الامن المتد (وهو زعيم المؤامرة) أن يصلح به » .

ويشير مقال الاوبزير بذلك الى سلسلة الاحداث المثيرة التي بدأت بعملية الاغتيال التي دبرها فاطم كزار مدير الامن العام السابق في العراق ضد الفريق حماد شهاب وزير الدفاع العراقي . وكان فاطم كزار بيك في يده سلطة هائلة يفرد بها ، وكانت له صلاحيات التصرف في أشياء كثيرة ، ليس فقط كمحور قيادة فرع الحزب ببغداد ، أو باعتباره المسئول العسكري في منطقة بغداد ، ولكن باعتباره - قبل كل شيء - سلطة الامن الحاكمة في العراق كله .

وقبل الاحداث المثيرة ، لهذه الحركة الانقلابية ، كان فاطم كزار يتصرف بأسلوب بعيد عن سياسة الوحدة الوطنية . فهو يقتل عناصر من الحزب الشيوعي العراقي والقوى التقدمية ، وعناصر كردية دون علم قيادة حزب البعث أو أوامر منها . وهو يقوم بأعمال فردية دون استشارة أحد ، رغم خطورة هذه الاعمال وتناقضها مع الخط السياسي لمجلس الثورة وقيادة حزب البعث . وفي دائرة الامن العام كان الكزار يتصرف كشخصية مستقلة يضم اليها قواعد وعناصر تدعى له شخصيا ، بينما استبعد عناصر حزبية عديدة حتى لا تطلع على تصرفاته ، ويكون الامر في يده وفي يد العناصر المؤيدة لشخصه والمتعلقة من استمرارية بقائه مديرا للامن العام .

ومنذ ستة أشهر ، وقبل محاولة الكزار الانقلابية ، ودوائر حزب البعث العراقي تنتظر مؤامرة تخيط خيطها الضائرات الامريكية ضد العراق ، وخاصة بعد اجتماع طهران . وكانت المفاجأة أن تهب رياح المؤامرة من داخل حزب البعث ، ومن دائرة الامن العام ، حيث كان الكزار يمارس صلاحيات تديري وقتل عناصر تقدمية وطنية ، ويشير بذلك دائما الشكوك حول إمكانية نجاح الجبهة الوطنية التقدمية في العراق . هذا يغسر موقف جريدة التأخي العراقية (لسان حال الحزب الكرديستاني) عقب تخفيف الحكم الصادر ضد عبد الحافي السمرائي ، حين اعربت عن اغتباطها بذلك لأن السمرائي كان له دور ايجابي من أجل تسوية المسألة الكردية وإبرام

تساوي الشهور

منحت صلاحيات عديدة في نفس الوقت لمجلس الوزراء .

وفي نفس الوقت ، الذي كانت تصفى فيه المؤامرة الانقلابية ، أكدت انباء بغداد ان الرئيس البكر وصدام حسين اتفقا على انتهاء سياسة انفتاح داخلي وخارجي وخاصة مع الاكراد والاحزاب اليسارية والقوى القومية داخل العراق . وكذلك ممارسة سياسة انفتاح عربي وانفراج مع الدول المجاورة .

وبدأت معالم هذا الانفراج بالاتفاق الذي توصل اليه حزب البعث مع الحزب الشيوعي ، وتوقيعها على بيان مشترك في السابغ عشر من يوليو ملين اتفاق الحزبين على ميثاق العمل الوطني وقواعد العمل في الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .

وقد جاء في البيان المشترك : « ان مسيرة الحركة الثورية في العراق وفي انحاء عديدة من الوطن العربي قد دلت بشكل قاطع على ان من أبرز عوامل صعود هذه الحركة وبأسرها ووعيا لاهمية التعاون والتحالف بين فصائلها الوطنية في جبهة موحدة ، كما ان من أبرز عوامل هزائنها ونكساتها هبوط وعيها بهذه الحقيقة المهمة ونزوع فصائلها الى تغليب التناقضات الثانوية فيما بينها على التناقض الرئيسي والقائم بينها من جهة ، وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى » .

شسيلي :

انقلاب الديابات الخمس

خمس ديابات وأقل من مئتي هندي . . وفيما عدا ذلك لانيان ولا برنامج ولا أسماء ولا حتى رسالة تايد واحدة من دائرة عسكرية أو دائرة مدنية . هذا ما أطلق عليه اسم « محاولة الانقلاب » التي قامت في شسيلي في ٢٩ يونيو الماضي . وربما تكون الصدمة وحدها هي التي مكنت «انقلاب الديابات الخمس» من الوصول الى القصر الجمهوري وسط العاصمة سننجاو واحتلاله . أو في الحقيقة دخوله والمكوث بداخله ما لا يزيد على ٣ ساعات .

والواقع انه حتى اللحظات التي بدأت فيها القوة التي قامت بهذه المحاولة تطلق النيران على قوات الحكومة والحرس الجمهوري لم يكن هناك تصون كامل لعملية انقلابية . وبدأ كان الامر لا يتجاوز حدود التمرد الجزئي بين مجموعة صغيرة تنتمي لاحدى فرق المدرعات .

ولما اذا عولت العملية على انها كانت تستهدف بالفعل قلب نظام الحكم ، فان علامات استهتاهم لا وبالاحرى علامات تعجب كثيرة تتناثر حولها من جميع الجوانب !

الاتفاقية العراقية الكردية في ١١ مارس ١٩٧٠ .
الا انها - في الوقت نفسه - ابدت ارتياحها للاجراءات التي اتخذت ضد ناظم الكزار مدير الامن العراقي السابق الذي تم اعدامه ، على اساس ان تصرفات الكزار ومعاونيه - كما قالت الجريدة - قد علقت تقدم البلاد في عدة مجالات ، وان هذه الطغمة كانت قد أصبحت دولة داخل الدولة .

وقد كانت مؤامرة الكزار تستهدف اغتيال الرئيس البكر عند عودته من بولندا ومعه صدام حسين وبجموعة من قادة الحزب والوزراء وقادة الحزب الشيوعي وقادة الحركة الكردية - واثناء الاحداث المثيرة . وعندما كان الكزار ومعه رعايته ، وهو محاصر باربمائه فلاح في منطقة البدعة الصحراوية شرقي يعقوبه ، املى بالملك شرويه - وهي استئذاف المارك ضد الاكراد ، طرد بعض قادة البعث ، وقف التحالف مع الحزب الشيوعي العراقي . ثم اضاف شرطا رابعا للتمويه وهو اشراك جيش العراق في المعركة ضد اسرائيل .

وبعد تصفية المجموعة الانقلابية بقيادة الكزار وباعدامه هو وخمسة وثلاثون آخرون من بينهم المسئول العسكري في حزب البعث محمد فاضل ، اتخذ حزب البعث مجموعة من القرارات فسي اجتماع استثنائي للمؤتمر القطري للحزب في ٨ يونيو الماضي :

فولاً : تخويل القيادة القطرية الصلاحيات اللازمة لمعالجة الآثار الناجمة عن العاصفة الاجرامية الاخيرة .
ثانياً : الاعداد للانتخابات الحزبية في القطر خلال اربعة اشهر اعتباراً من تاريخ انعقاد الاجتماع .
ثالثاً : رفع التوصية الى القيادة القومية للحزب للاعداد للانتخابات الحزبية في عموم الحزب خلال ستة اشهر من تاريخ انعقاد الاجتماع .
رابعاً : بعد اجراء الانتخابات الحزبية في القطر وعقد المؤتمر القطري الثامن خلال فترة الاشهر الاربعة المشار اليها يجري انتخاب قيادة قطرية موسعة للحزب ينتخب عنها مكتب سياسي .

وفي ١٢ يوليو - اعلن مجلس قيادة الثورة في العراق بعض تعديلات مهمة في بعض مواد الدستور المؤقت وسعت من صلاحيات رئيس الجمهورية . وهكذا أصبح رئيس الجمهورية .

« هو رئيس الدولة ، والقائد المأم للقوات المسلحة ، ويتولى السلطة التنفيذية مباشرة ، أو بواسطة مجلس الوزراء » .

وبمقتضى هذه التعديلات ، يصبح رئيس الجمهورية هو رئيس الوزراء ، وهو الذي يدعو مجلس الوزراء للاجتماع ويرأس جلساته . كما

الديمقراطية التي تتمتع المعارضة في ظلها بحرية الحركة . . وحتى بوسائل تتجاوز كثيرا كل الاشكال المتاحة في أي مجتمع يأخذ بالتسيبة الاشتراكية .

ويفسر هذا أيضا لماذا عادت المعارضة بعد فشل المحاولة مباشرة تضع العراقيل في وجه حكومة الليندي ، فتقول دون موافقة البرلمان — الذي تسيطر فيه على الاغلبية — على اعلان حالة الطوارئ ، وتثير في وجه الليندي اعتراضات دستورية خطيرة على سماحه للأعمال باهتلال المصانع ، وهو الاجراء الذي دعا اليه اثر وقوع المحاولة لكي يحمي العمال بانفسهم وبسلاحهم مكاسبهم الاشتراكية ضد العناصر الفاشستية التي تريد الانتصار عليها ، بل قد رفضت المعارضة يد الليندي التي مدت اليها للاشتراك في التشكيل الوزاري الذي كونه بعد محاولة الانقلاب . فقد رشع اثنان من رجال الحزب المسيحي الديمقراطي للمشاركة في الوزارة — هما فيليب هيريرا ، رجل الاقتصاد الشهير ومدير بنك التنمية لعموم امريكا وفرناندو كاسترو مدير الصامعة الكاثوليكية في شيلي . وكلا الرجلين رفض . الاول بحجة تفرغه للعمل مع الامم المتحدة في مشروع انشاء جامعة عالمية ، والثاني اعلن مباشرة « ان الحزب لم يسمح له » .

اما ذلك اليمين الفاشستي الذي ظن انه يستطيع الانتفاش على السلطة لتقويض البرنامج الاشتراكي وتقويض الاسس الديمقراطية القائمة — والتي تتمسك بها حتى المعارضة — فانه لم يكن يتحرك بهذا الانقلاب ضد الليندي لأول مرة . فهو مسئول عن صرع الجنرال شسنايدر قائد القوات المسلحة الشيلية وصديق الليندي الشخصي في اعقاب تولي الزعيم الاشتراكي الرئاسة في اكتوبر عام ١٩٧٠ . ولم يكن اغتيال الجنرال شفايدر حادثا اقل خطورة من « انقلاب الدبابات الخمس » .

كما ان اليمين الفاشستي تحرك ضد الليندي في عديد من المصاولات التخريبية في مناسقات الاقطاعيين السابقين في ريف شيلي . وظهرت بصيحات الخطبة الرئيسية لنشاط اليمين الفاشستي — وهي منظمة « الوطن والحرة » — على عدد من الاضرابات النفطية ، وخاصة اضراب اصحاب سيارات النقل في اواخر الشهر الماضي . وهو الاضراب الذي اطلق عليه اسم « اضراب رجال الاعمال » او « اضراب الرؤساء » والذي استهدف شل حركة نقل المواد الغذائية في جميع انحاء شيلي لاصطناع موقف « تجويع » في البلاد . وظهرت بصيحات المنظمة نفسها على اضراب منجم « التينيت » وهو اضعف منجم للححاس تحت الارض في العالم كله .

ولو ان « اعقاب الدبابات الخمس » قد وقع بنفس حزمه وبخطيئه ومناورته في أي من دول امريكا اللاتينية الاخرى — في معظمها — لأمكن فعلا ان يسقط الحكومة ويقيم سلطة عسكرية محلها . ولكن كما ان اتصال الدبابات الخمس الى القصر الجمهوري لكي تتوالى رسائل التسايد للانقلاب من هنا وهناك ، بل ربما اصدرت وزارة الخارجية الامريكية بيان اعتراف رسمي بالحكومة الجديدة .

اما في شيلي والتقاليد الديمقراطية الليبرالية راسخة فيها رسوخا شديدا وسجلها السياسي خال على مدى أكثر من نصف قرن من أي محاولة انقلاب عسكرية ، وماضي القوات المسلحة يؤكد ارتباطها الكامل بالحكومة البرلمانية المنتخبة ، فان الامر يختلف تماما . وربما لايعرف الكثيرون انه بعد وقت قصير من بدء المحاولة الاخيرة في . مستنجوا كان المتحدث باسم حزب المعارضة الرئيسي في شيلي وهو الحزب المسيحي الديمقراطي يعلن تأييده « للحكومة الدستورية » ويدعو اتباع الحزب « للبقاء في منازلهم » .

وعندما خرجت المظاهرات الضخمة المؤيدة للاشتراكية وللرئيس سلفادور الليندي تهدف « الليندي . . الشعب يدافع عنك » تانه لم يحدث مكان يحدث اثناء المظاهرات السابقة من اشباك بين عناصر الحكومة وعناصر المعارضة . وانما سارت مظاهرات التأييد لا لليندي والانقلاب اليساري الحاكم وللبرنامج الاشتراكي لايتهاذا احد ولا تصدى لها مظاهرات مضادة .

والنتيجة ؟

النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذه الفرائط هي ان عناصر من خارج اطار الحكومة ومن خارج اطار المعارضة البرلمانية تماما هي التي كانت قد دبرت لهذا الانقلاب الفاشل . وهي التي تصور لها تصور حساباتها ان في شيلي أيضا يمكن لخمس دبابات واقل من مائتي جندي ان يفرغوا حكومة عسكرية . وبالتحديد فان العناصر التي دبرت هذه المحاولة هي بالفعل وكما وصفتها الرئيس الليندي قبل وقوعها عدة اسابيع بأنها « فاشستية » . فهذا وحده يفسر وقوف المعارضة البرلمانية ضد المحاولة منذ البداية . لم يكن ذلك حيا في الليندي او رغبة في استئثار حكومة الاتحاد المسيحي او رضاء فاجئا عن البرنامج الاشتراكي لهذه الحكومة . فان المعارضة تعمل لاحراج الحكومة واستقاطها وتعمل بكل جهد لعرقلة البرنامج الاشتراكي بكل الوسائل داخل البرلمان وخارجه ، وتلجأ أيضا للمظاهرات العنيفة . ولكنها ادركت ان محاولة الانقلاب العسكرية موجهة لا ضد الليندي وضد الاشتراكية فحسب ، بل انها بطبيعتها الفاشستية موجهة ضد

— تقارير الشؤون —

بمقدار ٥٠ في المائة ، وذلك في محاولة تستهدف في الأساس وقف تدفق الدولارات لشراء المارك الألماني (إذ تدفق إليها حوالي ٦ مليارات دولار في ٩ أيام ابتداء من أول فبراير) وذلك باعتبار المارك عملة تزداد مكانتها الدولية وتقدم ، وللمراهنة على رفع سعره - بعد شرائه - مما يجعل إعادة بيعه تحقق ربحاً كبيراً ، وللتخلص من الدولار الذي بات عملة غير مرغوب فيها .

إن ألمانيا الغربية التي لعبت الدور الأساسي في دعم الدولار في أزمتها الأخيرة ، أضحت تقبل بقرارها هذا ، من مدى مساندتها للدولار ، ومن مساهمتها في امتصاص الفائض الكبير الموجود منه في العالم (يقدر بحوالي ٨٠ مليار دولار) ، كما تستهدف منع التضخم ، وارتفاع الأسعار الذي قد ينجم عن تدفق هذا الفيض من الدولارات ، والحيلولة دون تسرب كميات كبيرة من الماركات إلى الخارج ، وهي في هذا تضحي بإحتيال نقص صادراتها بسبب ارتفاع قيمة المارك ، مما يجعل القوة الشرائية للماركات الأخرى في السوق الألماني ومن السلع الألمانية أقل من ذي قبل .

ورفع سعر المارك لمنع تدفق الدولارات ، ليس هو الإجراء الوحيد الذي تتبناه دول أوروبا للتخلص من الملة الأمريكية - وأنها يصاحبه إجراء آخر هو تزايد استثمار فائضها من الدولارات في إنشاء مشروعات داخل الولايات المتحدة ، حيث مكانة الدولار - هناك - أكثر استقراراً منها في الخارج ، ثم للتخلص من اللجوء الجبركية والسياسة الحماية التي بدأت الولايات المتحدة في اتباعها للحد من الواردات الأوروبية إليها . كما أن ألمانيا الاتحادية تريد ، بذلك - أن تستفيد من المزايا التي تتاح للمشروعات المحلية في الولايات المتحدة . وفي هذا لاحظت « النيويورك » وحذرت من « غزو أوروبي يائس للاستيلاء موجه إلى الشركات الأمريكية » . ويريد الاقتصاديون ، كمنادج للشركات الأوروبية التي اقتضت السوق الأمريكية بصورة أثرت على حركة التعامل فيه ، أسماء شركات تسبقه الهولندية وبايبر الألمانية وفيليس الهولندية وبريتش أوكسجين الإنجليزية ، وغيرها .

والواقع أن الحكومات الأوروبية التي كانت تفرض من قبل قيوداً على تحويل العملات منها ، خاصة الدولارات ، رأت أنه من الأفضل إرساله إلى المكان الذي يصبح فيه أكثر جزم . كما إن الولايات المتحدة المشغولة بتحصين ميزان مدفوعاتها ، لا تعارض في دخول رؤوس الأموال إليها لتوضيح الميزان فيه .

وبالعمل بدأت حركة عكسية من الاستثمارات ورؤوس الأموال الضخمة تتجه من أوروبا إلى

والحقيقة أن محاولات أعداء الاشتراكية في شيلى لم تنقطع منذ انتخاب الحكومة الاشتراكية عن السعي إلى خلق حالة من « الإنستيا الشعبي » بالفتح كافة الوسائل لأحداث حالة من الفوضى ، حتى ولو أثار ذلك خطر نفوس حرب أهلية في شيلى . وقد فشلت العناصر المعادية للاشتراكية في أحداث انقسام بين صفوف الطبقة العاملة التي يستند إليها في الأساس تنفيذ البرنامج الاشتراكي لحكومة الاقتصاد الشعبي ، برغم مصاعب حقيقية ، ذات طابع اقتصادي أساساً تواجهها الحكومة .

ولعل تماسك الطبقة العاملة الشيلية وتمسكها بالملكيات الاشتراكية وأصرارها على المضي في تنفيذ برنامج التنمية الاشتراكية هو عامل القوة الرئيسي لحكومة الليندي التي تواجه مؤامرات اليمين الفاشستي ومناورات اليمين البرلماني في وقت واحد .

ويدرك الليندي هذه الحقيقة بوضوح تام ، وهو ما انعكس في أول بيان له إثر قيام محاولة الانقلاب الأخيرة . لقد وجه نداءه إلى العمال بأن يجروا مكاسبهم وحقوقهم ومستقبلهم . وانعكس بعد ذلك في مؤتمر صحفي عقده للمراسلين الأجانب في سنتياغو يوم ٧ يوليو إذ أعلن أن حكومته « لن تتنازل في المبادئ » وقال « أننا لن نخلى أبداً عن برنامج التغيير الاجتماعي والاقتصادي » .

وبالعمل فإنه بقوة تأييد الطبقة العاملة ووحدة صفوفها وراء الليندي والبرنامج الاشتراكي - ممثلة في الأحزاب اليسارية وخاصة الحزبين الشيوعي والاشتراكي - تواصل حكومة الليندي التغلب على المصاعب الداخلية . وكان تأكيد استنادها إلى هذا التأييد الجماهيري العريض وأضما في اقتدامها على إلغاء حالة الطوارئ الجزئية التي كانت قد أعلنتها في أعقاب محاولة الانقلاب .

وكان الليندي كان يقول للمعارضة البرلمانية - بعد أن سحق محاولة المعارضة الفاشستية - لسناً في حاجة إلى حالة الطوارئ فواصل مسيرتنا إلى الاشتراكية . ولن يجزو اليمين الفاشستي على تكرار المحاولة .

■ ألمانيا الاتحادية :

أعلام أوروبية ترقق

فوق شركات أمريكية

أعلنت ألمانيا الاتحادية رفع سعر صلتها بالنسبة لعملة البلدان الأخرى - أو معدل تبادلها معها -

مليار لسويسرا ، ٧٦٥ مليون دولار لمانيا الغربية و ٣٤٠ مليوناً لبليجيكا ولوكسمبرج ، و ٣١٥ مليوناً لفرنسا ، و ٢٣٠ مليوناً للسويد ، و ١١٠ ملايين لاطاليا ، ونصف هذه الاستثمارات في الصناعات التحويلية ، وربعها في البترول ، وحوالي الخس في البنوك والتأمين ، و ٤ في المائة منها في التجارة .

وقد بدأت ألمانيا الاتحادية استثماراتها متأخرة ، ولكنها تضاعفت ٤ مرات بعد ١٩٦٠ ، خاصة في شركات الكيماويات وصناعة السيارات . أما بريطانيا فهي على الدوام صاحبة أكبر استثمارات ، خاصة في البترول بفضل استثمار شركة بريتش بتروليم . وتتركز الاستثمارات الهولندية في البترول بفضل شركة شل ، والسويسرية في المواد الغذائية بفضل شركة نستله وشركات الدواء (سيبيا ، جايبي ،

أمريكا ، وذلك على النقيض مما حدث بعد الحرب الثانية ، ولقد ازدادت هذه الحركة في الستينات ، حتى وصلت الاستثمارات الأوروبية في الولايات المتحدة إلى ١٠ مليار دولار في نهاية ١٩٧١ .

والاستثمار الأوربي في أمريكا قصة تحديية تتكرر . ففي القرن الماضي ، لعبت المخردرات البريطانية والألمانية والفرنسية دوراً هاماً في إنشاء شركات السمك الحديدية والتليفونات في الولايات المتحدة وغيرها من المشروعات التي احتاجت إلى رؤوس أموال ضخمة . خير أن هذه الاستثمارات صفت فيسبداً ، فقد اضطرت بريطانيا لبيع الأسهم التي يملكها رعاياها في الشركات الأمريكية للحصول على الدولارات اللازمة لدفع ديون الحرب . أما الأسهم الألمانية فقد صودرت ، كما استهلكت سندات السمك الحديدية وغيرها ، حتى وصلت الاستثمارات الأوروبية بعد ١٩٤٥ إلى حوالي ٣٠٠ مليون دولار فقط . ولكن في السنوات الأخيرة تزايدت هذه الاستثمارات سريعاً ، حتى بلغت مليار دولار في السنة - خاصة بين ١٩٦٢ و ١٩٧١ ، والواقع أن معدل الزيادة والفوائد في أمريكا يفرض المستثمرين الأوروبيين ، كما أن التخفيضات المتتالية في سعر الدولار وإنه وول سنريت قد جعلت عابلية الأوراق المالية الأمريكية مغرية . وقد استفاد الأوروبيون كثيراً من التوسعات الأمريكية في الستينات ، وتمكنوا من تصدير كميات ضخمة من أنظمتها إلى أمريكا ، حتى لقد زادت صادرات بعض الشركات الأوروبية عن ١٠٠ مليون دولار لكل منها سنوياً . صودرت شركة هيشلبن بـ ٢٥٠ مليون دولار في ١٩٧٢) . وعندئذ بدأت الولايات المتحدة في فرض قيود على الاستيراد ، وللاقتات من هذا ، وبلاستفادة من خبرة السوق المشتركة ، والتركز الرأسمالي الذي نجم عنه ، أنشأت أوروبا شركات ضخمة تترافق عليها رأياتها في الولايات المتحدة ، خاصة في المنتجات الكيماوية والمعدنية .

وكما فعل الأمريكيون في أوروبا ، من قبل بدأت هذه الأخيرة في إنشاء فروع تجارية لشركاتها في أمريكا لإنشاء المخازن اللازمة والقيام بالعمليات الاعلانية وتقديم خدمات ما بعد البيع . ولم يقتصر هذا على الشركات العملاقة وحدها ، بل قامت به مئات الشركات من كل الأحجام . وبعد ذلك بدأت مرحلة إنشاء الشركات الانتاجية في أمريكا برؤوس أموال أوروبية . أما العشرة مليارات دولار التي تستثمرها أوروبا في الولايات المتحدة فموزعة على النحو التالي :

٥٠٤ مليار لبريطانيا ، ٢٠٢٥ مليار لهولندا ، ٢٠٤

تعليق

في برلين ٠٠ شسباب العالم يتهم الامير ياليه

في اغسطس عام ١٩٥١ ، انعقد في برلين الشرقية عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية المهرجان العالمي الثالث للشباب والطلبة الذي ينظمه اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي واتحاد العالم للطلاب ، وأعداد المهرجان شعاراً لمناسبات الظروف الدولية التي كانت سائدة آنذاك «الشباب يناضل من أجل السلام و ضد خطر حرب جديدة » . يربها كان الدمار الذي سببه أكثر من ٥٠ ألف طن من القنابل القوية على برلين الشرقية أثناء الحرب الثانية ما يزال يكتس وجه المدينة الدوب ، ويوماً ابفسبداً لم يكن قد مضى على تأسيس ألمانيا الديمقراطية نفسها سوى عامين فقط ، وكانت الدولة الفتية لم تزل تحت المصراع الذي حاول الغرب الايربالي أن يفرضه عليها من أول لحظة . ويكر الآن انفسهم كيف طرزم من الاضال مشاريع التضامن التي جعلها الشباب الديمقراطي اليهم من شباب ٢٧ دولة في كل الدول التي يمكن أن تشترك في المهرجان الثالث .

ومثل كل الايام والظواهر في دنياها من توتوق المهرجانات من الحركة والتبو بالبحرور . وعقد المهرجان الرابع في بوخارست عام ١٩٥٢ ، والخاص في وارسو [١٩٥٥] ، والسامو في موسكو [١٩٥٧] والسابع في فيينا [١٩٥٩] والثامن في هلسنكي [١٩٦٢] والتاسع في صوفيا [١٩٦٨] وفي هذا العام [١٩٧٢] يعود المهرجان العالمي للشباب والطلبة إلى الاعتقاد خلال الفترة من ٢٨ يوليو إلى ٥ اغسطس الحالي في ظل ظروف دولية مميزة . وتقديرى ، انه يمكن مصادفة أن تبادر منظمة الشباب الاثاني الحر إلى طلب انعقاد المهرجان المباشر في العاصمة الاثانية برلين ، وأن تبادل اللجنة التحضيرية المالية للمهرجان يودرها إلى الموافقة

تقارير الشهر

والواقع أن تزايد الاستثمارات الأوروبية ، وانتقال رؤوس الأموال منها إلى أمريكا ، لا يؤدي إلى تحس ميراث المدفوعات في هذه الأخيرة ، لأن الاستثمارات الأوروبية زادت في العشر سنوات الأخيرة بمقدار ٢٦ مليار دولار ، جاء الثلث منها من الخارج (حوالي ٢٦ مليار أي ٢٥٠ مليون دولار سنويا) .

وكان الباقي تمويلا ذاتيا من أرباح وقرابات الشركات الأوروبية في أمريكا . ليس هذا فقط ، بل أن هذه الشركات ترسل إلى البلدان الأوروبية الأم أرباحا سنوية وصلت إلى ٧٥٠ مليون دولار في ١٩٧١ (٥٥٠ مليون في العام السابق) ، الأمر الذي يزيد من أزمة ميزان المدفوعات الأمريكي . ولا تقتصر الشركات الأوروبية على التجارة والصناعة ، بل تمتد إلى البنوك وشركات التأمين .

هرفمان ، لابرولش ؟ ، وحسب تقرير لوزارة التجارة الأمريكية ، لا توجد أي صناعة أمريكية لا تستثمر فيها الأموال الأوروبية ، التي تسيطر تماما على إنتاج النيكل والدواء .

وفي البدء كانت أرباح الشركات الأوروبية أقل من أرباح الشركات الأمريكية ، ولكن الفرق بينهما أخذ في التناقص ، ففي ١٩٦٢ كان المائد في الصناعة الأمريكية حوالي ١١ في المائة ، وكان بالنسبة للمصنوعات الأجنبية الصناعية يقل عن ٦ في المائة . ولكن في ١٩٧١ ، أصبح الفرقان على التوالي : هما ١٠ في المائة و ٨ في المائة . لم ير أن وولفد الأوربيين أكثر من هذا ، إذا أضفنا إليها فوائد الجيوب التي تحتسب على رؤوس الأموال الممنوحة لفرع الشركات الأوروبية في أمريكا ، مما يدفع المائد عن ٩ في المائة .

المهرجان بشكل على الدعوة إلى المساهمة في بنامبستشي شمس في ملو في بسم للشهد القنباسي الشاب فان تروى . ومن الجدير بالإنتباه أيضا أن بعضي الضامان مع نضال الشعوب العربية يوم كل من أيام المهرجان بكس ماهدت في المهرجان التاسع بصوفيا حيث كان اليوم مشتركا مع بنية حركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وأن نكلا فلام هذا اليوم (٢٠ يوليو) ندوة فكرية وسياسية حول القضية الهندية ونفراطها في القتال من أجل السلم والتقدم الجناسي .

ولعل لك ردأ يجرى في زمانه ومكانه الماسبيين ، تماما على دعائيت الدوائر الإمبريالية والصورة المشوهة التي تقدمها من الصلات بين القسولين الاصطناعي ، و « التواهي الإيديولوجي » بهدف تغطية الزنا هي ، واضطرابها إلى الاصطناع لسياسة التعميش السلسي . ومن جانب آخر يهدف أرباك قوى القوة العالمية وتزوير وحدتها ونضالها كلها أمكن . وتقدير أن المهرجان الفاتر بها سيقه من أعمال تحفيرة وماسيترب عليه من نالاج هو شهادةقيدة بيهرة الفتيك التي تنمى قوى الثورة الاشتراكية في السلم لدهر الإمبريالية ، وتنادي اضطرابها المروحة . فقد كتبشاعر شيلي العظيم بابلو نيرودا تحية لمرجان الشبيبة الفتاة عام ١٩٥١ قال فيها « أن السلام سوف يبل العالم كله بالورد . لقد بدأت برأعي زهره فعلا ، في برلين وبكابل فونها » . كتب نيرودا ذلك رغم كثرة زخات الرصاص المصادف التي رماها تتالان من فوهات البنادق الآلية في أيدي شرطة برلين الغربية على المظاهرات السلمية التي كانت تقوم بها وها المهرجان . والآن أرفقت الإمبريالية على قبول التواهي السلسي في مناطق كثيرة في كوريا وفيتنام وأوروبا ، وحيا سيجري اليوم الذي تمت فيه مذبحة السلم إلى ذلك البلدان التي بازت تعاني ويلات العدوان الإمبريالي ، وهكذا فلم تكن كلمات نيرودا العظيم رجيا بالنسب ، ولاتأولا تارفيقا كسولا بحمية النصر ولحني مجرد خيال جالغ للشاعر مرهف ، ولكنها كانت نبوة ملهمة ، وكما نقول لنا ادبيات الاشتراكية فإن النبوة العلمية حقيقة .

عبد اللطيف حنفي

على هذا الطلب ، فالمهرجان يأتي وقد فكتت جمهورية ألمانيا الديمقراطية من فكتت الحصار الذي حاول الغرب الإمبريالي أن يفرضه عليها ، وهضمت على اعتراف عالمي واسع القطان وأصبح من المنظر أن تأخذ عضوية الأمم المتحدة على قدم المساواة هي وألمانيا الغربية في الدورة القادمة للجمعية العامة ومن ناحية أخرى فإن الاستمرار في برلين يمكن أن يكون ندما لقمية محلفه الحصار الاشتراكي من التنازلات لصالح الأمن والسلام في القارة الأوروبية . وما من شك أن انعقاد مهرجان بهذا الحجم حيث يجمع على أربي جمهورية ألمانيا الديمقراطية أكثر من ٨٠ ألف شاب يطولون الشباب الديمقراطي والتقدمي في ١٥ دولة ، ويمثل أكثر من ٥٠ منظمة دولية وشعبية ملايين عابرة وقارية واقعية مع مليون ونصف مليون من أعضاء منظمة الشباب الألماني الحر هو تتويج لاتصنار الدولة الألمانية الاشتراكية على الحصار الإمبريالي وهو في نفس الوقت استفار لإوسع قطصاصات الشباب والكهسا فاعليه حول ما إهرته فاعليا الأمن والسلام في أوروبا من تقدم .

ومن الأمور ذات الأهمية أن التركيب الفكري والنسبي الفرود المشتركة في المهرجان يأتي مواكبا تماما لمخطة البلدان الاشتراكية ، وكل القوى الحية للسلام ومختلفا مع دنايسها خلال السنوات الماضية . على العمل لنضواء أوسع جهة عامة مصابية للإمبريالية . فهو يضم نرودا من الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين ، والماسبيين ، والليبراليين ، والديمقراطيين ، يلتقون جميعا عند نقطة اتفاق وحسورية ، هي العداء للإمبريالية بأغلبها المسلوقة بها أصاب عابقا ، وبالعصية ، ومادة نصية في المستقبل من ويلات الأمم . ولقد جدت كل الأعمال التحفيرة للمهرجان في القنباس الديمقراطي وفي كثير من البلدان الأخرى نكت شعار الشباب بنهم الإمبريالية [كما أن الحصار الساسي الذي اختارته للمهرجان الحقبة التحفيرة العالمية يمكن نفس الاتجاه السابق] من أجل التضامن الأخادي للديمقراطية ، وفي صيل السلم والمصادقة [

ويعني المهرجان أهمية هائلة للسلام لشعوب الهند الصينية وبعضها يوما للضامان مع الشعب الفيتنامي « اليوم أكثر من أي وقت مضى التعصير مأخوذة الإمبريالية » ويتبنى

المبيعات محليا وتحقيق الأرباح • وكانت أوروبا هي الوسيلة للخروج من الطريق المسدود • واستفاد الأمريكيون كثيرا من الطلب الأوربي على معدات التجهيز وإعادة التعمير وتوسع الاستهلاك • كما أتاح لهم مشروع مارشال التوسع في التصدير • وعندما أخذت أوروبا بسياسة الحماية الجبركية ، انشأت أمريكا مصانعها بها • وتحولت أسواق التصدير الى قواعد إنتاج • ولكن المزايا التي استفادت منها في أوروبا بدأت تنقلص ، مما يقلل احتمالات مواصلة التوسع في السبعينات • لقد بلغت استثمارات أمريكا ذروتها في ١٩٦٥ ، ثم أخذت تقل بعد ذلك • ويؤكد رجال الصناعة في ألمانيا الغربية أن تكاليف إنشاء المصانع الأمريكية في ألمانيا ، تزيد عنها في أمريكا ، ليس فقط لأسباب تقنية - مثل سعر مارك • وتخفيض سعر الدولار - وإنما لزيادة الأجور والمواد الخام ، وفرض القيود على التبادل من قبل حكومات أوروبا • وكانت ألمانيا آخر هذه الدول التي فرضت ، في ٦ فبراير الماضي الرقابة على التبادل ، مما عاق الشركات الأمريكية عن القيام باستثمارات جديدة بها • أما فرنسا فتطبق ، منذ زمن طويل سياسة رقابة متشددة مما يسفر عن انخفاض استثمارات أمريكا بها عن مثيلاتها في إنجلترا وألمانيا الاقتصادية • ومع ذلك فإن الشركات الأمريكية العاملة : في أوروبا ، تدين بحوالي من ٢٠ الى ٥٠ في المئة من أرباحها الى فروعها الأوروبية • ويؤكد هوج ستيفنسون في كتابه « الصدام المقبل » أن عدد الشركات الأمريكية التي تزيد استثماراتها في الخارج عنها في الداخل ، أو على الأقل تساوها ، يتزايد ويقول : أنه من بين هذه الشركات استاندرد أوليل أسو ، وشركة التلغراف والتليفون الدولية وسنجر ، وكولجيب - بالوليف ، وموبيل أوليل ، وناشونال كاش ريجستر ، كورن برودكتس كوربوريشن وسبيرى راند •

والواقع أن لأمريكا ما يمكنها من الضغط على شركاتها الأوروبية بطريقة مؤثرة ، ليس فقط من الناحية الاقتصادية فحسب ، وإنما أيضا السياسية والعسكرية • وقد طالب نيكسون في خطابه أمام الكونجرس « بتحرير الولايات المتحدة من الالتزامات » التي تفرضها عليها حماية أوروبا بمظلة ذرية وبقوات ضخمة وتساهل قائلا : « هل يتفق ميدا وحده الاطلسي حول مسائل الدفاع والأمن مع السياسة الاقتصادية التي يتزايد طابعها الإقليمي للسوق المشتركة ؟ » • وبطريقة غير مباشرة ودت لجنة بروكسل - قيادة السوق المشتركة - فقالت : « أنه لا بد من الذهاب الى

ولا يعني كل هذا أن تصدير رأس المال الأمريكي الى أوروبا قد توقف • إذ تقدر جلة الاستثمارات الأمريكية فيها بنحو ٩٠ مليار دولار في ١٩٧١ ، كما وصلت الزيادة منها في هذا العام الى ٧,٨ مليار (مقابل ٧,٢ في العام السابق لذلك) وزعت على النحو التالي : ٩٥٠ مليونا أرسلت الى بريطانيا ، وبدا وصلت الاستثمارات الأمريكية فيها الى ٧,٨ مليار دولار • كما أرسل للسوق المشتركة في العام نفسه ١,٨ مليار دولار ليصل اجمالي الاستثمارات الأمريكية فيها الى ١٢,٦ مليار دولار ، وأرسل ٤٠٠ مليون دولار لباقي أوروبا الغربية ليصل اجمالي الى ١٥ مليار دولار ، ووزع الباقي بين كندا لتصل استثمارات أمريكا فيها الى ٢٤ مليارا ، واليابان (١,٨ مليار) واستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا (٩,٨ مليار) وأمريكا الجنوبية ونصف الكرة الغربي (١,٥ مليار) والى المناطق الأخرى (١,٩ مليار) • ومبلغ الـ ٧,٨ مليار هذا من الاستثمارات الجديدة ، لم يخرج كله من الولايات المتحدة ، بل خرج منها ٤,٨ مليار فقط • أما الباقي ، وهو يزيد عن ٣ مليارات الدولار فكان من أرباح الشركات الأمريكية في الخارج التي أعيد استثمارها • وقد وزع اجمالي المبلغ على النحو التالي : ٢,٥ مليار في البترول ، ٢,٩ مليار في الصناعات التحويلية والباقي في الصناعات الأخرى والخدمات وتوزيع الاستثمارات الأمريكية في بلدان أوروبا له دلالة • ففي بريطانيا استثمر ٢,٢ مليار في البترول و ٥,٤ مليار في الصناعة التحويلية ، وفي السوق المشتركة استثمر ٢,٩ مليار في البترول ، و ٨,٤ مليار في الصناعة التحويلية •

وتسيطر على هذه الاستثمارات حفنة قليلة من الشركات الأمريكية المملوكة • ففي ١٩٦٧ كان ٤٠ في المائة من كل الاستثمارات الأمريكية في فرنسا وألمانيا وبريطانيا مملوكا لستاندرد أوليل أوف نيوجرسي وجنرال موتورز وفورد • وكان ثلثا الاستثمارات الأمريكية في كل أوروبا الغربية في أيدي ٢٠ شركة ، وفي ١٩٦٩ كان ٤٠ في المائة من استثمارات أمريكا مملوكا لخمسة شركات ، و ٤٠ في المائة أخرى مملوكا لخمسة وعشرين شركة • ومع ذلك فإن شركات أمريكية كثيرة تقيم مصانع لها في أوروبا ، فبين يوليو ١٩٦٠ وديسمبر ١٩٦٦ ، أقامت ٢٥٠ شركة أمريكية للصناعات التحويلية ٣٠٠ وحدة إنتاج تابعة لها في أوروبا • والواقع أن التسلل الأمريكي الى أوروبا ، نشأ عن حقيقة أن الازدهار الصناعي في الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية سرعان ما أدى الى تشبع السوق المحلي ، وأصبح من الصعب زيادة

تصريح مرتضى دبالو وزير منطقة غرب افريقيا لبعثة الاقتصادية للأمم المتحدة الذي قال :

« اذ لم تحل المشكلة خلال الشهرين القادمين فسيموت قرابة ٦ ملايين افريقي في هذه المنطقة من بين ٢٥ مليوناً يقطنونها لولا تقتصر المشكلة على هذا الان » اذ ستمتد على مدى سنوات قادمة فيقول « بين لاردينويس » رئيس المكتب الزراعى للسوق الاوروبية المشتركة :

« ان المنطقة الحصابة في غرب افريقيا تواجه مأساة لا يمكن قياس حجمها ولا مداها الان ! » وتقول احصائيات « منظمة الاغذية والزراعة » التابعة للأمم المتحدة « ان ست دول ، على الاقل ، قد هانت من القحط وهى : تشاد - ومالي - وموريتانيا - والنيجر - والسنغال - وفوتنا العليا ، وفقدت نصف دخلها القومى هذا العام » الخسارة الحقيقية بطبيعة الحال هى الانسان : يقول جورج دورس المتحدث باسم منظمة الاغذية والزراعة (الفاو) :

« فى بعض الاماكن لا يوجد طعام بالمرة ، ويترك الافاق قراهم بحثاً عن الماء والطعام ، تاركين خلفهم الشيوخ والمرضى والاطفال ، وتوجه الملايين الى المدن فى انتظار جارية الماء ، وفى بعض مناطق الكارثة تجد بقرة مينة كل مائة متر . لقد تحولت الاراضى الزراعية والمراعى الخضراء الغنية الى ارض قاحلة ، أما الانهار التى كانت تجرى لتروى هذه الاراضى فقد جفت أو تحولت الى بعض الاماكن الى مستنقعات آسفة . ان حوالى ٤٠ فى المائة من الماشية فى النيجر ومالي وتشاد وفوتنا العليا والسنغال قد نفقت ووصلت هذه النسبة الى ٨٠ فى المائة فى موريتانيا . »

وحتى فى داكار ، عاصمة السنغال - التى تعتبر إحدى مدن افريقيا المزدهرة ، تجمع الناس فى شوارعها بحثاً عن الماء ، وهناك جموع من تقويم الفسائر البشرية ، فهناك من ماتوا من العطش والجوع ، وهناك من ماتوا من سوء التغذية والوبئة .

المشكلة ايضا ، ان القحط قد اصاب منطقة غير قادرة على مواجهته ، فكل الدول الست باستثناء موريتانيا والسنغال ، فى آخر قائمة الدول المختلفة فى العالم كله التى وضعتها الامم المتحدة ، اذ لا يزيد دخل الفرد فى أى من هذه الدول عن ٦٠ الى ١٠٠ دولار سنوياً .

الغريب ، ان هذا الموضوع ليس مفاجئاً ولا جديداً ، اذ سبق أن تنبأ الخبراء بهذه الوجهة من القحط فى آسيا وافريقيا . فقد بدأ الامر منذ خمس سنوات حين انخفض منسوب سقوط الاطوار بشكل محسوس ، واستمر هذا الانخفاض حتى هذا العام

المناقشات القادمة - بين الولايات المتحدة وبين الدول اوروبية التسمية الاعضاء فى السوق . كما ينهب الناس الى الكنيسة ، حيث كل الخاطئين سواء . وعلى الرغم من تأكيدات قادة أوروبا على فضل أمريكا على أوروبا ، فإن مصالح بلادهم لها الاعتيار الاول ، وليس هناك مجال للمجاملة فى هذا الصدد . فالرئيس بومبيدو الذى أوضح ، فى آخر لقاء قمة أوروبى فى أكتوبر الماضى « ان أوروبا تحررت من الجيوش الاجنبية بفضل مساهمة الجنود الامريكيين ، واعادت التعمير بالقروض الامريكية ، ويجب ألا تدخل فى نزاع مع الولايات المتحدة » ، هو الرئيس الذى يتشدد مندوبيه ، أكثر من غيرهم . فى المفاوضات مع الولايات المتحدة ، ويرفضون تقديم التنازلات التى كان شركائهم الاوروبيون الاخرون يقبلون القيام بها . والتطورات الاخيرة تبين ان هؤلاء الشركاء قد بدأوا بدورهم يتشددون . وزيادة سعر المارك الالمانى بداية هذا الفريق ، الذى سيتجرأ آخرون ويتبعونه . وسيندفع الى السطح مرة أخرى الشعور القديم للاروبيين الذى استمر حتى الحرب الاولى ، ثم خبا عندما بدأ « زمن أمريكا » ، وهو شعورهم بأنهم أكثر أصالة وأرقى ثقافة وحضارة .»

علوم :

اللقط : مأساة

لا يمكن قياس حجمها ولا مداها الآن

فى الوقت الذى تحور فيه سفينة الفضاء الامريكية « سكاي لاب » حول الارض معلنة انتصار العقل البشرى على الفضاء الخارجى ، تحتاج اراضى آسيا وافريقيا موجة من الجفاف لم تشهد البشرية له مثيلاً من قبل .

فقد اجتاحت الجفاف اراضى الهند ، ويواجه ٢٠٠ مليون هندي مجاعة خطيرة فى الشهور القادمة ، بعد ان نلقت مآسيتهم ، وانتهت محاصيلهم . والقحط ليس مقصوراً على الهند ولكنه اجتاحت عدداً من دول جنوب شرقى آسيا ابتداءً من بنجلاديش ، وسرى لانكا (جزيرة سيلان) ، وحتى الفلبين فى الشرق . وكذلك أجزاء من الصين . وأمتد الامر الى غرب افريقيا التى اجتاحتها أسوأ جفاف أصابها منذ ستين عاماً ، فتحولت المحاصيل الى رماد والاشجار الى هياكل والمراعى الخضراء الى صحارى . ويمكننا ان نعرف حجم المشكلة من

هل يمكن أن يمنع العلم مثل هذا القحط الآن وفي المستقبل؟

نعم بكل تأكيد .. ولكن المشكلة أن البشرية لا يمكنها أن ترتب كوكبها وتلك الفوضى سائنة . أن برامج القضاء التي يصرف عليها بلايين الدولارات يمكنها أن تقدم بعض الحلول . والولايات المتحدة الأمريكية قدمت بعض الحلول ، ولكنها فُصلت أن تستخدمها للدمار في فييتنام ، وأنا هنا أتحدث عن الإخيار التي تتألفها وكالات الإنهاء من أسقاط الأمطار في غور جواسمها لمعرفة تقدم الثوار الفيتناميين ، أن هذا التقدم العلمي كان يمكن أن يستخدم لانقاذ غرب إفريقيا بدلا من إحراق فييتنام .

على أي الاحوال ، يقول الخبراء أنه يجب أن تتخذ إجراءات طوارئ لحل المشاكل التي سببها القحط بصفة عاجلة الآن . أما منع القحط في المستقبل فلا يمكن أن يتم إلا بصفة طويلة المدى . وقد اقترح خبراء منظمة الأغذية والزراعة اتخاذ الإجراءات التالية :

١ - رصد الاحوال الجوية في المناطق المختلفة من العالم وخاصة المعرضة لهذه الكوارث ، باستخدام الأقمار الصناعية والطائرات .
٢ - إنشاء نظم خاص لجمع الحبوب لمساعدة المناطق المنكوبة قبل حدوث القحط حتى يمكن إنقاذ الأزمة .

٣ - يقول الخبراء أن هناك تفسيرين علميين لتفسير موجة القحط والجفاف التي اجتاحت آسيا وإفريقيا . التفسير الأول يقول أن هذه الموجة بدأت في أواخر الخمسينات من الصين ، ثم إلى الهند ، ثم امتدت في بداية السبعينات إلى غرب إفريقيا . التفسير الثاني ، يحذر منه العلماء ويخشونه ، أنه يقول : أن الصحراء تزحف تدريجيا إلى الجنوب في منطقة غرب إفريقيا وأن ذلك بدأ منذ عدة سنوات . ويجب اتخاذ خطوات تكنولوجية لوقف هذا الزحف .

٤ - إنشاء بنك دولي للأغذية لانقاذ السحول المنكوبة بالقحط والجفاف مباشرة ، حتى تصل ما تقدمه الدول من مساعدات وذلك لانقاذ الموقف قبل تفاقمه .

ألا أن الامر سوف يستغرق عدة سنوات حتى تقف هذه الدول الست على قدميها مرة أخرى . ولكن ماذا لو أصابها القحط مرة أخرى ، لهذا يتنادى الخبراء بضرورة تنفيذ اقتراحاتهم . المسألة الهامة أن هذه الاقتراحات يجب أن تتقدمها الهيئات العالمية والمنظمات التابعة للأمم المتحدة فهذه الدول وحدها لا يمكن أن تفكر في تنفيذ اقتراح واحد منها !

الذي حدثت فيه المسألة - ومنظمة (الفاو) لها ممثلوها في كل دول المنطقة ، وكانوا قد أرسلوا تقارير بنقص المحاصيل والأغذية ، منذ سبتمبر من العام الماضي ، وكانوا قد حذروا أيضا من أن المنطقة سيصيبها قحط شديد هذا العام ، لم تشهد منذ ستين عاما . ولكن أجدنا لم يستمع إلى هذه النداءات إلا بعد أن حدثت المجاعة بالفعل . يقول راييموند شيفلين ممثل الفاو في مكتب المنطقة :

... كانت استجابة الدول للنداءات بطيئة ، ربما لأن المسألة حدثت بشكل تدريجي منذ خمسة أعوام ، وربما بسبب العزة القومية ، ولكن حين أذعنا نداء في مارس الماضي كان الوقت متأخرا . تقول تقارير منظمة (الفاو) أن انتاج الحبوب قد هبط بنسبة ٦٠ في المائة في السنغال أقل الدول الست تأثرا بالكارثة ، أما الدول الخمس الأخرى فلم يسأل عنها انتاج بالرة ! وقد استنفد السكان محصولهم المخزون من الحبوب ، وهم يحاربون الآن من أجل البقاء ، بعد أن التهموا حتى البذور التي كانوا يمدونها للزراعة في العام القادم . ومعنى هذا استمرار القحط لأعوام قادمة . أما الرعاة الذين كانوا ينتقلون في المنطقة فقد اضطروا إلى ذبح ماشيتهم ليرووا عطشهم يشرب دماثها ، وكانوا يطبخون دوث الجمال في كفاهم من أجل البقاء !

والمشكلة الموصلة ليست في وصول مساعدات . فقد قدمت السوق المشتركة بما قيمته ٢٠ مليون دولار ، وفرضا دفعة مقدارها ٦ ملايين دولار ، والولايات المتحدة الأمريكية ١٥٦ ألف طن من فائض الحبوب لديها . المشكلة أن كل هذه المساعدات تكسدت في موانئ المنطقة التي تمثل حق زجاجة ، فالحاجة الرئيسية لهذه المساعدات في الداخل ، حيث السكان الذين يمانون القحط . ذلك أن شبكة المواصلات الداخلية خفيفة أصلا ، ويحتاج الأمر إلى إقامة جسر جوي إلى الداخل .

وقد بدأت الأمطار الأولى في السقوط ، ولكن البعض أن هذا بداية انفراج المشكلة . والحقيقة أن هذا القحط مصيب للكتلة في هذه الدول ربما لعشر سنوات قادمة كما يقدر الخبراء . والواقع أن هذه الأمطار سوف تزيد الأمر سوءا الآن لسببين : أن الماشية والناس العطش يشربون حتى الموت . ومن ناحية أخرى سوف تزيد من مشكلة المواصلات ، حيث تتحول الطرق إلى برك طينية تعوق السيارات .

ونتيجة لنقص البروتين ، الذي كان أصلا مشكلة هوجبة من مشاكل إفريقيا ، فإن عشرات الآلاف من الأطفال مقدر لهم أن ينمو مصابين بنقص غذائي وجشائي .

الصناعة في مصر :

نموها وتوزيعها وهيكلها

عقبة
الطنجة

منذ الحرب العالمية الثانية أخذ موضوع النمو الاقتصادي بصورة ملحة ، واتجه الاهتمام إلى المتاحيس التي تبكّن البحث من تحديد مكان دولة ما في مسار النمو ، واستعمل لهذا الغرض نصيب الفرد من الانتاج القومي ومعدلات زيادة السكان والايمة والمبالاة ومستوى المعيشة واستهلاك الطاقة الخ . ويلاحظ أن مصر تتميز في وقت واحد بسمات البلد النامي وغير النامي معا . ويركز هذا البحث على الصناعة المصرية لتحديد ما اذا كانت قريبة من مرحلة الانطلاق في التنمية او انها في طور أكثر تقدما ، وهذا باعتبار الصناعة عنصرا أساسيا للنمو الاقتصادي .»

ولهذا الموضوع نواح عديدة ، ولكن الكتاب اكتفى بمؤشرات معينة هي نمو الصناعة وتوزيع فرومها [كدليل على اقتراب البلاد من الاكتفاء الذاتي من جهة) ، والتوزيع الجغرافي للمصانع (كدليل على القدرة على استغلال الموارد القومية وخدمة السوق الداخلية والخارجية [، والتركيز الصناعي من حيث وصوله إلى المستوى العالي حجما وتركيبا .»

وكذلك امار، الكتاب بعض الاهتمام إلى ما بين الصناعة والحالة السكانية من علاقة ، ليحدد ما اذا كانت المنشآت الصناعية تقدم فرصا متساوية لتشغيل العمالة في مختلف أجزاء البلاد .» ودرس التركيز المحلي للصناعات في مختلف المراكز بحثا

تأليف :

ك . مايكل ياربور
أستاذان الجغرافيا
بجامعة (ايدان) بنيجيريا

عرض وتحليل :

أحمد صادق سعد

الناشر :

بريجر - نيويورك - ١٩٧٢

بمعنى متقوفاً « لأقطاب النمو » سواء كان صنعوا تلقائياً أو كنتيجة لسياسة رسمية تستهدف موازنة مركزى الصناعات التحويلية الكبيرين فى القاهرة والإسكندرية .

وقد وصل البحث الى النتائج الآتية : لقد سبق مصر أمها كثيرة على التقدم الصناعى من الناحية التاريخية ، اذ ان محمد على افتتح سياسة واعية تهافت الى التصنيع فى الربع الاول من القرن الماضى ، غير أن عدداً من العوامل لعبت دوراً فى افساد هذه التجربة ، ومنها صعوبة المهمة وندرة المواد الخام المحلية ، والافتقار الى الفئة المتعلمة حينذاك التى تستطيع ادارة المنشآت الصناعية ، ثم القيود التى فرضت على محمد على بسبب تبعيته اسبانيا الى الامبراطورية العثمانية .

وقد اغرى المركز الاستراتيجى المصرى بين آسيا وافريقيا الدول الاجنبية بالتدخل فى شئوننا بعد ذلك . وبدأت بالاحتلال البريطانى ثمرة تركز فيها الاهتمام على حل المشاكل الزراعية والمالية ، فى حين أن الهيكل الفكرى لثمة كان يرتفع بسبب انتشار التعليم واتقاة الجامعات . ولكن السيطرة الاجنبية كانت تتبنى مذهب الاقتصاد الحر مما جعل مصر على وضع المستعمرة من الناحية الاقتصادية ، وهو وضع لم يزدهر فيه سوى نوع معين ومحدود من الصناعات المتخصصة جنباً الى جنب العديد من الصناعات الوروش الصغيرة التى تخدم الاسواق المحلية المنفصلة .

ويظهر التوزيع الجغرافى للصناعات المصرية مثل هذا المزيج . فالمصانع التى تسد الاحتياجات اليومية للسكان منتشرة بشكل واسع ، وخاصة تلك التى بها خدمة عمال نائل ، أما تلك الصناعات التى تخدم الاحتياجات المتخصصة ، فهى مركزة بشكل ملحوظ فى المصافظين الحضريين القاهرة والإسكندرية . وتوجد لدى مصر العليا والسويس أو المناطق الصحراوية البعيدة بعض المصانع الكبيرة المعتمدة على المواد الخام المحلية ، ولكن هذا هو الاستثناء . والصناعة النسيجية منشآت هامة فى الدلتا ومصر الوسطى ، وهى تبين تركيزاً مكانياً كبيراً فى مختلف مراحل التحويل الصناعى . أما صناعة مواد البناء وهى تغلق واسع (الطوب والاسمنت الخ) فهى تبدو مركزة تركيزاً اكبر من اللازم فى المراكز الحضرية الكبرى ، وإن كان هذا يعود على الاغلب الى أن سكان الريف يستعملون مواد بناء لا تنتج فى تلك المصانع .

وفى السنوات الاولى الخمسة للتوجيه الحكومى للتنمية الصناعية - اى من عام ١٩٥٧ الى ١٩٦٣ - لم يظهر تغير كبير فى الاسلوب العام للتوزيع الجغرافى الصناعى . وإذا كانت بعض الاستثمارات الكبرى قد تمت فى السويس وأسوان وادفو وغيرها ، فإن القوى العامة المتجهة الى

التركيز الصناعى شطت بصورة خاصة حول تلك الانواع من الصناعات والهيكل الحجومى والتركيز للصناعة المصرية . واتضح أن نمط التركيب الصناعى المصرى يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذلك المرتبط بالدول المتخلفة التى تعتمد على اكبر حد على نوع واحد من فروع الصناعة ، وفى الوقت نفسه يبدو أن الصناعة المصرية فيها نسبة عالية من الصناعات الغذائية واعمال النسيج ، فمعنى مستوى متدن على المقاييس الدولية المبنية على نسبة العمال فى هذه الصناعات . ويوحى الهيكل الحجومى المصرى بالاقتصاد المزدوج ، اذ ان المصانع الكبيرة جداً حجماً ورأسالاً تمثل جنباً الى جنب المنشآت القزمية ذات الراسمال الضعيف ، وكذلك يتواجد مستويان متوازيان للتقنية كما هو مبين من دراسة نسبة الراسمال للعمال الواحد فى مختلف الفروع الصناعية . وتتمت المارنة لدرجة التركيز الراسمالى بين مصر والمملكة المتحدة ، فظهرت أن الصناعة الانجليزية مركزة اكثر من المصرية فى صناعات السابون والطوب ووطن الفصح والخايز ، فى حين أن مصر مفتوحة تقنياً فى الفروع الصناعية الأخرى .

واتجهت الدراسة بعد ذلك الى موضوعات انماط التركيب والهيكل الحجومى والتركيز للصناعة المصرية . واتضح أن نمط التركيب الصناعى المصرى يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذلك المرتبط بالدول المتخلفة التى تعتمد على اكبر حد على نوع واحد من فروع الصناعة ، وفى الوقت نفسه يبدو أن الصناعة المصرية فيها نسبة عالية من الصناعات الغذائية واعمال النسيج ، فمعنى مستوى متدن على المقاييس الدولية المبنية على نسبة العمال فى هذه الصناعات . ويوحى الهيكل الحجومى المصرى بالاقتصاد المزدوج ، اذ ان المصانع الكبيرة جداً حجماً ورأسالاً تمثل جنباً الى جنب المنشآت القزمية ذات الراسمال الضعيف ، وكذلك يتواجد مستويان متوازيان للتقنية كما هو مبين من دراسة نسبة الراسمال للعمال الواحد فى مختلف الفروع الصناعية . وتتمت المارنة لدرجة التركيز الراسمالى بين مصر والمملكة المتحدة ، فظهرت أن الصناعة الانجليزية مركزة اكثر من المصرية فى صناعات السابون والطوب ووطن الفصح والخايز ، فى حين أن مصر مفتوحة تقنياً فى الفروع الصناعية الأخرى .

وقد وصل الكاتب الى نتيجتين من دراسته للعلاقة بين الصناعة والحالة السكانية فى مصر . اما الاولى فهى أن اعتبارات السوق وحدها وجهت دون شك منشئ الصناعات القائمة الى اختيار الامتعة القريبة من القاهرة والإسكندرية ووسط الدلتا . والنتيجة الثانية هى العلاقة ملكاتيات التوزيع التى تقدها الصناعة للسكان ، وهنا لم يلاحظ فرقاً كبيراً بين مختلف المراكز الصناعية .

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى تحليل النمو الصناعى ومكانته فى ضوء المفهوم القائل « انقطاب النمو » ، وخاصة اهتمام هذه الفكرة بالبحث عن الطاقات الرابطة الامامية (اى من حيث توريد المواد الخام) والخلفية (اى تقديم المنتجات نصف المشغولة) بين المصانع وبعضها . ومن هذه الزاوية لم يبد أن هناك قطباً جديداً قد نما بعد القاهرة والإسكندرية . فقد توفرت نمو السويس منذ حرب ١٩٦٧ ، وإذا كان عدد سكان مدينة أسوان زاد دون شك ، واستثمرت فيها بمبالغ كبيرة فى فروع صناعية شتى ، فظهر الكاتب اثباتاً على أن هذه الاستثمارات لم تخطيطها لتساع وتخدم بعضها بعضاً . وفيما يتعلق بالاستقبل ، فقد بدا أن

الثانية ، وهذا يعنى استقرار حجم وتكسأت البورجوازية الصناعية التوسعة ، وضمتها الاقتصادى - وبالتالي السياسى - مع الملاحظة أن الصناعة الكبيرة فى يد الدولة أى عدم وجود بورجوازية صناعية كبيرة مستقلة فى بلاندا . وإذا كانت الصناعة المصرية الكبيرة قد تقدمت فى القطاع العلم منذ ١٩٦٣ ، وإذا كانت الطبقة الوسطى قد استفادت من هذا الوضع فى الميادين التجارية والزراعية بالتالى ، فلا نعتقد أن تغييرا كبيرا جرى منذ ذلك التاريخ على اوضاع الصناعة المصرية التوسعة ، وكذلك لم تخط المصانع الصغيرة والورش شواها فى طريق التقدم مستوى التطور الى انخفاض الاجور فى القطاع التقنى والاى ، بل ظلت الى درجة كبيرة على الاساليب الحرفية . ويعود تاخرها الحالى فى الخاص - والى اتساع البطالة الفتحة والراكدة فى سوق العمالة الريفية ، كما يعود الى عدم قيام الاتحاد الاشتراكى بتعبئة العدد الهائل من اصحاب تلك المصانع والورش الحرفية فى اتجاه تكوين الجمعيات التعاونية الانتاجية المستقلة من السيطرة الادارية الرسمية : وهذه مهمة نصالية من المستبعد أن يكتب لها القيام طالما بقيت الاعمال السياسية فى هذا المجال متشعبة بظلمة من الروح الابوية والنظرة البيروقراطية .

الناحية الثانية: أن المركز الادارى فى القاهرة وضع خاتمة على كل الشبكة الهيكلية المساندة للاقتصاد المصرى ، فالطريق ومخطط الجارى المائية والاتصالات السلكية واللاسلكية الحديدية تنفرع من العاصمة ، والحياة السياسية والثقافية مجمعة فيها . ولذلك ، فكون القاهرة الكبرى هى قطب النمو الصناعى الرئيسى جزء من اوضاع عامة ناتجة من سيطرة البيروقراطية الشاملة ، ولم يكن للمحاولات الخجولة لارساء بذور الادارات المحلية تاثير يذكر على هذه الاوضاع ، خاصة وأن تلك المحاولات تمت . . . بضمون بيروقراطى ايضا ، ومن هنا ينبع تاكيدنا على أن نجاح التحول الصناعى لبلاندا يتوقف على نجاح التحول الاشتراكى اساسا .

مصر الدنيا سه بها فيها الدلتا ومثلثة القناة ، والقاهرة والتركيب الصناعى الممتد بنهسا الى حلوان والنتين - مسوف تنمو الى قطب صناعى واحد ، ويمكن مقارنة هذا القطب المقبل بالمنطقة الصناعية الموجودة فى جنوب إنجلترا ووسطها ، وقد تكون مثلها مستقلة من ناحيتى الموارد ونصريف المنتجات . كما أن أسوان تستطيع أن تتطور الى ما يماثلها إذا اقيمت فيها مع الزمن المشروعات الرابطة المميزة لتركيب صناعى متكامل .

وفى ختام دراسته، استنتج المؤلف بنفسه أن مصر اكتسبت الى درجة كبيرة المهارات الصناعية والتقنية المتنوعة والضرورى توافرها حتى نعتبر دولة متطورة، غير أن الذى تفقر اليه هو الطلب الداخلى والخارجى الفعل لاستغلال طاقاتها الكبيرة . فمصر متطورة من الناحية الصناعية ، ويبقى أن يلاحق باقى اقتصادها بساعات الصناعية .

رغم أن اغلب المعطيات المدروسة فى الكتاب تترك عند سنة ١٩٦٣ - أى فى نهاية مرحلة التاهيمات الكبرى - فإنه يقدم مادة غزيرة وقسمة للغاية تفيد فى تقديم صورة جزئية للاقتصاد المصرى ، ويقول «جزئية» لأن الوضع الصناعى المصرى لا يمكن أن يدرس بصورة سليمة الا بالارتباط بعناصر اقتصادية أخرى ، وخاصة حالة الزراعة والتجارة فى بلاندا .

وإذا اكتفينا بالتعليق على ذلك المجال المتخصص الذى اختاره البروفيسور يساريور، فيهنسا أن نبرز ناحيتين يجب الشاء المزيد من الضوء عليهما فى الثروة الرأنة :

الاولى : أن النشاط الصناعى - او التحويلى بمعنى ادق - مركز بصر على طرفى السلم الحصى : فعدد كبير من المصانع والورش الصغيرة والقرية ذات المستوى الفنى والاى المنخفض من جهة ، وعدد صغير من المصانع الكبيرة ذات الراسمال المركز والانتاج المتقدم من جهة أخرى ، ويسكاد لايوجد شيء ذو وزن بين النشاط الحرفى الاول وبين المصانع الحديثة

من المجلات
السبئية



ماذا قالوا عن لقاء القمة الأمريكى السوفيتى

المتحدة والاتحاد السوفيتى ودبلوماسية « الوفاق الدولى » بشكل عام .
ومن وسط الطوفان الهائل من المقالات

تناولت صحافة العالم كله بالتعليق - على نطاق واسع - لقاء القمة الأمريكى السوفيتى الاخيرى واشطن ، والاتفاقيات التى وقعت بين الولايات

والتعليقات من صحف ومجلات الشرق والغرب ، وكذلك صحافة « العالم الثالث » ، يمكن الخروج بملاحظات رئيسية قد يكون من المفيد طرحها قبل الدخول في جولة وسط مختارات من هذه التعليقات من المجالات التالية :

● فيما يهنا نحن * * أي فيما يتعلق بالدرجة الأولى بأزمة الشرق الأوسط ، يلاحظ أن هناك ضربا من « مؤامرة صمت » حول مغزى ماتشيزم البيان المشترك بين بريجنيف ونيكسون عنها ، وهي فكرة لكث اختلاف الجانبين واستمرار كل منهما على موقفه : الجانب السوفيتي على تأييده للقضية العربية والمزاعم بمساعدة العرب ضحايا العدوان على إزالة هذا العنوان - تأكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، والجانب الأمريكي على تأييده لإسرائيل ورفضه كل سبيل - إلا المفاوضات المتبادلة بين العرب والإسرائيليين - نحو تسوية - أي كانت - في الشرق الأوسط .

وبعيدا عن الصحافة المعقناتية - سواء في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية - أو خارجها - فإن أي من الصحف والمجلات العالمية لم تشأ أن تركز جزءا من جهدها في موضع التعليق الموضوعي على ما يتعلق بالشرق الأوسط في البيان المشترك لبريجنيف ونيكسون أو غير ذلك من جوانب الاتفاقات التي أسفر عنها لقاءهما .

● محاولة ظاهرة لفجأة من جانب عدد كبير من صحف الغرب لاستغلال « مخاوف » الصين في الهجوم على سياسة الاتحاد السوفيتي في السعي إلى أقرار السلام مع الولايات المتحدة وأوروبا وإشغال الهارت في هذه المحاولة اعتبرت هذه الصحف على نطاق الصين نفسه في تصوير الأشياء . ومن خلال منطلق الصين - واتهاماتها بعيدت صحف كثيرة - ربما كان أكثرها الصحف البريطانية بالذات - إلى مواصلة ترديد نغمة عدم الثقة بالسياسة الخارجية السوفيتية مهما كانت تبديها موسكو من نوايا حسنة تجاه السلام والضمون الدولي والتعايش السلمي والمخاضة السلمية .

● انطلاق التعليقات الغربية في اجتهادات فردية وذاتية شديدة التنوع والاختلاف ، مما يكشف غياب عنصر « المبدأ » في السياسة الخارجية للدول وللحوادث التي تثير عنها هذه التعليقات . في الوقت الذي تنطلق فيه السياسة السوفيتية من مبادئ محددة من سياسة التعايش السلمي وتدور في إطار أيديولوجية وعملية فيها الحدود واضحة بين الصراع الإيديولوجي والحرب الباردة .

● ادراك صحافة العالم الثالث الوطنية - التي

انتقينا الصحافة الهندية كنموذج لها - لاهمية سياسة التعايش السلمي لقضايا العالم الثالث ، وفي مقدمتها قضايا التحرر الوطني والاستقلال الاقتصادي والتنمية - ومن هنا مناقشة صحافة العالم الثالث ، لمعيد من التساؤلات المحرطة بـ « السياسة » « الوفاق الدولي » وتأثيراتها على مسيرة الاشتراكية والعلاقات بين دول العالم الاشتراكي ودول العالم النامي .

لقد كتبت صحيفة « يانغريت » الهندية تعليقاً مطولاً بعنوان « التفاهم الأمريكي السوفيتي ليس ضد الدول الصغيرة » قالت فيه :

« صحيح أن البين المشترك الأمريكي السوفيتي وغيره من البيانات لا يعد بأي تحسن فوري في غرب آسيا (المقصود الشرق الأوسط) أو كمبوديا ، وغيرها من المناطق المعقدة التي تسودها الصراعات والتوترات بما في ذلك شبه القارة الهندية ، ومطقتة الخليج الفارسي (العربي) . ولكن فيما يتعلق بالتهديد بوقوع كارثة نوية ، فإن هذا التهديد يتلاشى سريعا . إن الاتفاق السوفيتي الأمريكي لمنع الحرب النووية - بالإضافة إلى الاتفاقية على مبادئ التفاوض من أجل مزيد من الحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية ومهادنة الحد من الصواريخ المضادة للصواريخ التي وقعت في موسكو في العلم الماضي ، وعلاوة على الوعد باتفاقية بشأن الأسلحة الكيميائية - فإنها لا يمكن إلا أن تبرز السلام العالي .

إن السلام العالي - بمعنى السلام في كل منطقة من العالم مأخوذة على حدة - ليس منظورا يعد . ولأنك أن أوروبا قطعت نموها كبيرا على الطريق نحو سلام دائم ، ولكنه لا يمكن أن يقال ذلك عن كل أجزاء آسيا وأفريقيا ، حيث تستخدم القوى الإمبريالية القوة ، أو تشجع على استغلالها .

ومع ذلك فإن السلام الاقليمي يمكن أيضا أن يتدعم كنتيجة فرعية للتفاهم السوفيتي الأمريكي ، طالما بشرط أن تمتلك القوى الاقليمية - والعمل في صنفها - القوة العسكرية والسياسية الملائمة .

إن الدعاية الصينية القائلة بأن الدولتين الأكبر تتآمران ضد الامم الصغر مجرد لغو أجوف .

المؤكد أن الدول الكبرى قادرة على التآمر ضد الامم الصغيرة ، ولكن حتى إذا تحيضا جانبا طبيعة السياسة الخارجية السوفيتية القائمة على المبادئ - فإن اختلافاتها مع السياسة الأمريكية على المسائل الاقليمية تغلق الطريق في وجه أي تواطؤ .

وبالإضافة إلى هذا ، فإن الاتحاد السوفيتي كدولة اشتراكية يعتبر كل الدول النامية حلفاءه

الممكنين ، كما أنه مقصور تهما من اطماع السيطرة .. ولهذا فان القيادة السوفيتية لن تتأمر ضد الامم الاصغر . والاتحاد السوفيتي مشغل حقا في استراتيجيته كبرى لبناء أنظمة للامن الاقليمي تقوم على التفاهم السياسى والتعاون الاقتصادى والسياسى . وتثبتت الجهود السوفيتية نهائيا فى قارة أوروبا ، وكذلك فى امريكا وكندا .

ونتناول « باترويت » فى تعليقها ذلك السؤال الذى غالبا مايتردد من جانب القوى التى تبدى تحفظات معينة ازاء التفاهم الامريكى السوفيتي وهو السؤال : من الذى سيكسب أكثر الاتحاد السوفيتي ، أم الولايات المتحدة ؟

وتجيب الصحفية ، الهندية قائلة : « حسنا ، إن الاتحاد السوفيتي يعتقد أنه سيكسب أكثر على المدى البعيد ، وأن الاشتراكية فى النهاية سوف تنتصر فى ظروف التعليل السلمى . وما اذا كان هذا الزعم يمكن أن تثبت صحته أم لا ، فانه ليست هناك وسيلة لحضه .

» وربما سيفقد هذا النوع من الاسئلة مغزاه سرهما وسيبدو لا محل له فى عالم يرفض يوميا سياسة المصا الخليطة فى الاقتصاد ، كما فى السياسة . وباستطاعة المراء أن ينتظر ليمتدح النهار عندما يأتى المساء .

والظاهرة الاساسية فى تمحيبات صحف الغرب على لقاء اللقية وعلى اتفاقياته والنتائج التى أسفر عنها ، اتراف هذه الصحف - حتى أكثرها مخالفة فى محاولة النيل من السياسة الخارجية السوفيتية بالتشكيك فى نواياها ، او باظهار موسكو وكأنها فى مركز الضعف - بأن اتفاقيات الوفاق ودبلوماسية لقاءات القمة لن تحول دون استمرار الصراع الانديولوجى بين النظامين الاجتماعيين فى العالم : الاشتراكية والراسمالية .

وقد كتبت مجلة « ليكونوميست » البريطانية التى لا يمكن اعتبارها معبرة عن أى اتجاه مالى لموسكو تقول : « ليس فى النهج الذى يسلكه بريجنيف حاليا ما يدعو للاعتقاد بأن الصراع بين الماركسية والديمقراطية الليبرالية قد انتهى ..» .

وفى المقابل فان أكثر ما يختلف عليه الصحف الغربية فى أمر دبلوماسية لقاءات القمة وسياسة « الوفاق » ككل ، هو اختلافها - حسبها - تمركز كل منها عنه من اتجاهات ومصالح - على تفهيم موقف الاتحاد السوفيتي ، وما اذا كان مصماه للسلام مجرد مناورة على الغرب أم سياسة سلمية مخلصه أم انتهاجا لمارية ثابتة فى عقيدته الماركسية . ويمكن هذا الاختلاف بوضوح فى التعليقات التالية :

كتبت مجلة « اكسپريس » الفرنسية مقالا ركزت

فيه اهتمامها على الاتفاق الامريكى السوفيتي الخاص بمنع الحرب الذرية . قالت فيه :

« إن وجود أى سوء تفاهم فى العصر النووي يمكن أن يؤدى الى فناء العالم . لقد عاش العالم مدة ربع قرن فى ظل هذا التهديد ، وفى يوم الجمعة الماضى (المقصود يوم توقيع الاتفاق) تمهدت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي رسميا بابعاد خطر هذا التهديد وذلك فى الاتفاق التاريخي الذى عقد بينهما . ويصم الاتفاق الذى وقعه كل من نيكسون وبريجنيف فى البيت الابيض على أن الدولتين العملاقتين سوف تلجان على الفور الى اجراء المشاورات فى حالة ما اذا طرأ أى تهديد بوقوع نزاع ليس فقط بينهما ، ولكن أيضا بين حلفائهما . فهل يعد ذلك بمثابة « يالقا » جديدة ؟ ليس الامر كذلك بالتحديد . فان اتفاق يالقا الذى وقع عام ١٩٤٥ قد قسم العالم الى مناطق نفوذ . اما الاتفاق الذى وقع يوم الجمعة الماضى ، فقد جعل من الكرملين وواشنطن حراسا على السلام فى العالم .

« ما الذى تغير اذن ؟ للوهلة الاولى لا نلاحظ تغييرا كبيرا . ف نظام المشاورات المستمرة ، وخط التيلون الصاخن كقنا قامين قبل الاجتماع وما تزال الاحلاف العسكرية الموجودة حاليا - مثل حلف الاطلسي وحلف وارسو قائمة - ومن الممكن أن تتحرك اذا ما نشب نزاع لا حل له . ان السلام التام لن يسود العالم فى القريب العاجل .

« وجدير بنا - حتى نتيبن ان شئ شيئا قد تغير على وجه الارض ان نتذكر ان مثل هذا التصريح عن الميلاىء كان ضروريا من الوهم منذ خمسة وعشرين عاما ، أى قبل حرب كوريبا أو أزمة كوبا . ويمد هذا التصريح من أهم ما صدر اثناء الزيارة التى قام بها بريجنيف « رسول السلام » لواشنطن .

« لقد جاء بريجنيف الى الولايات المتحدة لى يتباحث مع نيكسون « على قدم المساواة » . ومنذ الدقيقة الاولى فى الزيارة بدأ بريجنيف واتقا من نفسه ويبتسما . وقد أعطى لحديثه وللملابين من مشاهدى التلفزيون انطبعا بأنه مسئول جاد بمثل دولة كبرى .

ونتاولت صحيفة « جيسايت دو لوزان » السويسرية بالنقد الشكوك التى تثيرها كثير من الدوائر فى الغرب حول حسن نوايا الاقتصاد السوفيتي من دور سياسته الخارجية . وقالت فى أسلوب محدد ومرجع :

« منذ أن بدأت المحادثات بين الرئيس الامريكى نيكسون والسكترير العام للحزب الشيوعى السوفيتي .. أراد الزعيمان أن يطمئنا بقية دول العالم بشأن نواياهما . واذا كنا قد فعلنا ذلك بالباح ، فان هدفهما لم يكن مجرد اظهار

مسؤولتهما الخاصة تجاه الإنسانية بأكملها أمام العالم كله ، وإنما أيضا محاولة تبييد مشاعر عدم الثقة والشكوك التي تثيرها دبلوماسية لقاء القمة بين الدولتين الأعظم » .

« وثمة تناقض ظاهر بين هذه الجهود وهذه الرغبة في ابداء حسن النية » فالتحالف ضد الحرب الذي تقوم عليه العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ينبغي أن يحظى بمساندة كل دولة من دول العالم ، وجميع الشعوب التي تقطن هذه الدول * فعملية الإبادة النووية ممكنة من الناحية الفنية * فمن ذا الذي يمكنه أن ينظم من أن الدول التي تملك الأسلحة وتستطيع أن تحول العالم إلى رماد تتفاوض بشأن الأمن وتعمل بصفة عامة على توسيع نطاق علاقات التعاون والثقة » .

وفي خط الاهتمام بأوروبا في الاتفاقيات الأمريكية السوفيتية التي أسفر عنها لقاء واشنطن بين نيكسون وبريجنيف . قالت صحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية :

« لقد قبل الغرب اليوم ضحييا استمرار الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية » وهو قبول وجد تعبيره الرجز في السلسلة الأخيرة من المعاهدات التي وقعتا ألمانيا الغربية مع الاتحاد السوفيتي وبلندا وألمانيا الشرقية . وبينما لا يمكن أن يستبعد تماما احتمال تقدم الجيوش السوفيتية ضد أوروبا الغربية ، فإن الأوروبيين الغربيين أنفسهم يدون مقتنعين بأن موسكو تريد التجارة مع أوروبا الغربية وتريد الحصول على التكنولوجيا منها ، أكثر مما تريد غزوها عسكريا » .

« ولكنه لا ينبغي الافتراض بأن الصراع الأيديولوجي قد انتهى سواء في الولايات المتحدة أو في أوروبا ، فإن المنافسة والصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سوف تستمر سواء بسبب اختلافاتهما الأيديولوجية أو بسبب تصادم مصالحهما الوطنية على أجزاء مختلفة من هذا العالم » ولكن الشيء الذي تتركه الدولتان الآن بوضوح أكثر - وربما باخلاص أكثر من قبل - هو ضرورة وضع حدود على المدى الذي يذهب اليه صراعهما ، وأن التعاون في مجالات المصلحة المشتركة سوف يفيدها ، ليس الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي فحسب بل والعالم أجمع » .

وقالت صحيفة « صن » البريطانية « أن هناك أسبابا تشجع على الاعتقاد بوجود رغبة حقيقية في السلام » ذلك أن تصريحات بريجنيف خالية من أي نغمة دعائية ولا ينبغي أن يحول الحذر الزائد بيننا وبين أن نهدئ الصدأ » .

وفي مجلة « نيوزويك » الأمريكية كتب كبير مراسليها أرنو دي بور شجريف « وجهة نظر عن الوفاق » قال فيها :

« بينما أجرت موسكو تغييرا هاما في أساليبها فان مخططي السياسة يقولون أن الأهداف التي يسعى إليها الكرملين منذ أوائل الخمسينات لم تتغير :

« ولقد حققت موسكو من الناحية العملية اثنين من أهدافها الجيوبوليتيكية الرئيسية ، وهما تفوق عسكري في الأسلحة التقليدية في أوروبا على الولايات المتحدة وحلفائها * » واعتراف بقبضة موسكو على أوروبا الشرقية » .

« والأهداف التالية للكرملين هي انسحاب القوات الأمريكية من أوروبا وإنهاء حلف الاطلنطي * وميتحقق هذا - طبقا لما يتصوره الكرملين - نتيجة ضغوط داخلية في الولايات المتحدة وشكوك أوروبية متزايدة حول إمكانية الاعتماد على أمريكا » .

« أما هدف الكرملين الرابع - وهو وضع القدرة الانتاجية للغرب في خدمة الاتحاد السوفيتي - فهو أيضا يسير في الطريق المرسوم له إلى حد كبير » أن تحليل زيارة بريجنيف الأخيرة لألمانيا الغربية يبين أن الروس خرجوا من المساومة الاقتصادية بنصيب أفضل » .

وحتى ذلك الاهتمام بالجوانب الشخصية في بريجنيف الذي فاضت به سطور التعليقات في صحف ومجلات أمريكا كان لا يخفى دلالة في معظم الأحوال على الأثر التي تركته زيارة بريجنيف * ووصل الأمر إلى حد المقارنة بين سلوك بريجنيف ونيكسون والوصول إلى نتائج في صف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي .

وقد كتبت مجلة « تايم » الأمريكية تقول :

« كان من بين النتائج حدوث تسابيح في التصرفات بين الضيف والضيف * كان نيكسون الذي تطلّره شخصية ووترجيف يبدو مغلوبا على أمره وقلقا وحريصا على الالتزام بالبرنامج ، أما بريجنيف الذي بقي خارج دائرة الجمهور لأسباب تتعلق بالأمن ، فقد تصرف عندما كان يجدهمورا بطريقة ودية * كان ينهز كل فرصة ليتحدث مع الصحفيين ويختلط بالناس ويثرثر ويبسّح . وحدث في بعض اللحظات أن وجد رئيس الولايات المتحدة نفسه وقد قوارى جانبا ، وهو ما علق عليه نيكسون في إحدى المناسبات بقوله : « إن بريجنيف هو أشهر سياسي في هذه القاعة » .

« وخارج دائرة الكاميرات والجماهير ، كان بريجنيف يعود إلى الدور المألوف ، دور المساوم المتين الذي راهن على تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لصالح الاقتصاد السوفيتي » .

الارهاب الاسرائيلى فى الارض المحتلة

وثائق

فى الاعداد السابقة نشرت « الطليعة » وثائق « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلى » وفى هذا العدد تقدم « الطليعة » وثيقة جديدة عن « الارهاب الاسرائيلى فى الارض المحتلة » .

ان أهمية هذه الوثيقة هى انها قد جرى اعدادها وتجميع كل ما بها من معلومات فى داخل الارض المحتلة وداخل اسرائيل ذاتها .. وانها أيضا تحكى وقائع مدعومة بالاسماء والحقائق والتواريخ .

لقد بذل اصحاب هذه الوثيقة جهودا كبيرة ، وتعرضوا لمخاطر حقيقية وهم يجمعون هذه الوقائع ويتقصون الاسماء والمعلومات والحقائق ، ثم وهم يهربونها الى خارج اسرائيل ..

ان « الطليعة » تقدم للرأى العام العالمى هذه الوثيقة ليس فقط كدليل ادانة للاحتلال الاسرائيلى ، وانما - وهذا هو المهم - تعبيراً عن بطولة سكان الارض المحتلة فى مواجهتهم للاحتلال ورفضهم له .



● قائم حبة آله أبو قحقر :

من القدس ، مبره ١٨ سنة ، اعتقله الاسرائيليون في ١٥ مارس ١٩٦٦ وسموا عليه التعذيب الرأنا . وفي يوم ٢٢ مارس ١٩٦٦ ، بلغ التعذيب الوضى مداه ، فقد ظل الزبانية يهيمونه بعضى غليظة (رجل كرسى) من ملحق النهر الى غروب الشمس ، وانتهت الضرب على راسى تاسم وغلوله تعطيه تحطيا وقبل ان يطلع نجر اليوم الثاني (٢٤ مارس ١٩٦٦) كان تاسم يحلى سكرات الموت من غرط التعذيب . ولم يشفوا طلى زوجته المسكنة التى استدمعوا قبل بزوغ النهار ، وظلوا يثبوا الاسراع باعداد قبر تحتى فيه زوجها ، وعقبها تسلمت الزوجة حلم زوجها بين الحصى والموت ، وحملت بين فراصها ، لم تسلمح ان تلتفت الى بنى شلتان المخلطين سوى ثلاثة الماظ هس يهاى حشرة الموت .

قال تاسم وهو يلفظ الروح : آه آه ! عدوني ا موتوني ! »

● محمد عيد القادر الحصرى :

من قرية ادنى جبل الخليل ، مات من شدة التعذيب أثناء وجوده فى سجن الخليل ، ولم يرحم الجنود الاسرائيليون سيفوخته ، إذ ان عين القادر ملغى من العمر خمسة وستين مائسا ، وظلوا يهيمونه الى ان لفظ انفسه الأخيرة بين ايدي جلاديه ..

● رالف بوراس :

من البرية ، اعتقله الاسرائيليون مرتين ولدة ثلاثة عشر شهرا .. وقد نلوه من سجن الى سجن الى رام الله والزبلة وهرند ونابلس .. وفى السجن طمنوه بتعذيب حام ، وريطوه بجبل ملغى من سفك قرية التعذيب ، وراخوا يهيمونه غربا يملأ على اصفاته التافسلة حتى لقد ازمى ولا يزال تبار الضرب والتمتد حتى واحة على جسده .

● شاكور الطراز :

فى ٢١ يناير ١٩٧٠ ، سلبت السلطات الاسرائيلية جثة شاكور الفراز ، الذى كان مسجوناً فى سجن نابلس ، وادعت هذه السلطات ان شاكور وجد متحولا فى زبائنه ، بان اثنين من زملائه المسجونين قتلا ، ولم يتعقد هذا الادعاء احدا ومساذا الاعتقاد بين الناس ان شاكور القرائنات من شدة الضرب والتعذيب اللذين لاقاهما فى السجن .

ولدت فكت وكالة انباء رويتر فى ذلك الوقت ان جمعية الهلال الاحمر الفلسطينى طلبت من جمعية الصليب الاحمر الدولى التحقيق فى مقتل شاكور الفراز واثنين آخرين من زملائه ما : تاسم أبو خضر ومحمد حسن الجباس . وجدير بالذكر ايضا ان محدثا يلمس

حركة التحرر الفلسطينى ٢ فتح ٢ كان قد سبق ان اعلن ان هؤلاء الشبان الثلاثة من اعضاء فتح .

● ثلاثة من الشبان الفلسطينيين :

يهمى ادهم : صايل الملوخ : كانوا قد همروا نهر الأردن حادين الى بلدتهم التى كانوا قد غادروها فى حرب يونيو ١٩٦٧ . ولدت اصويوا فى طريقهم الى موطنهم بجرّاح بسهولة أثناء اجتيازهم حفلا من اللغام .

وتقدم الاسرائيليون يمدون - كسا يدعون - يد المساعدة اليهم وعلموهم الى مستشفى الهداسا ، وادخلوا فى روعهم انهم مهددون بخطر الموت وان جراحهم ستزمن بشر بعض اطرافهم . ولما اجريت لهم عمليات جراحية بتررو انتاهها سالى ادهم ، كيا بقرو ساقا لكل من الاثنين الآخرين .

وفى ٢٧ مارس ١٩٧٠ اعتقل الاسرائيليون الشبان الثلاثة - بعد ان اتموه من الحركة - الى جسر اللتقى ، والواهم وراء نهر الأردن ، ليمودوا من حيث اتوا ، وبذلك يمدونهم من الذعبل الى ميسط راسهم . واكد الشبان الثلاثة للصحيين فى حسان ان اصابتهم فى ارجلهم كتكت بسيطة ، وانها لم تكن تستدعى بشر سيجتازهم وبثت هذه الاتوال السيدة فرسيدة الملوخ : والدة صايل الملوخ - اهدم هؤلاء الشبان الثلاثة - وقالت فى ١٦ ابريل ١٩٧٠ انها رأت مهنيا هؤلاء الشبان الثلاثة ، ومن بينهم ولدا على مستشفى الهداسا ، قبل اجراء العملية الجراحية ومدها ، وكسرت ان الاسرائيليون سموا على قطع ارجلهم هؤلاء الشبان ، على الرغم من جميع المحاولات التى بذلت لانتقام من ذلك .

- علي محمد سليمان ابوبليل (راسلة)
- محمد سليمان أبو كيل (١٧ سنة)
- مريم محمد موسى ابوبليل (١٠ سنة)
- مريم محمد فخران ابوبليل (٥٨ سنة)
- فاطمة على أبو كيل (٥٠ سنة)

هؤلاء من قرية لفتا ، ولهم قطعة ارض عند مشرف القدس فى حى الشيخ بجرّاح . ولقد استولى الاسرائيليون على اراضيهم بقوة وشروها فى تنفيذ اعمال بناء بها فاعترض هؤلاء الخمسة على ذلك وقاموا الفاصمين ، الذين لم يتورعوا من ضربهم بقصد الزهاب ، وساقوهم الى السجن على الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٨ . وفى اليوم التالى ١١ - ١٦ - ١٩٦٨ اطلقوا سراهم فانتقلوا الى ارفهم حيث وجدوا الاسرائيليين قد احتلوا .

● محمد عبد الرحمن عرياق :

من قرية محلول قرب الخليل ، وقد اعتقله الاسرائيليون لمدة شهرين ثم اطلقوا سراحه ، نأذا به قد فقد متله ، بينما

كتلت هناك آثار هيلة جراحية اجريت كانه يمشى ، ولم تلتئم جراحها بعد . . . لذلك تقيصت هذه الجراح . وما ينكر ان هذه العملية اجريت لحد مد الرجن عريان نتيجة التعذيب الوحشى الذى سبه عليه الشبان فى اسرائيل .

● عبد الله ابو ساكات :

من قرية بتي نعيم فى جبل المكبر ، اعتنسا الاسرائيليون فى ١٠ حزيران يونيو ١٩٦٧ . وبهذا احتلال الاسرائيليون ليدة القرية ، لا ياكيد يد يوم واحد دون اعتقال او تهويل بسبب وبغير سبب . وبقي ان ما يتركب من خمس سبب قرية بتي نعيم ، او بعض ابق حوالى الكى نسبة من (نائبا) ، اضفوا الى الرجل والتزوج الى الضفة الشرقية لنهر الأردن بسبب هذه الصلات المستمرة . وتسل سكان القرية يفتكرون لك اساءة كبرى لاشخاص طيلوا الى درجة انهم ماتوا ، لقتوا عولهم او رطلوا من منازلهم الى حيث تفرغ احد منهم فيها ، ومن بين اهالى القرية الذين سبب عليهم الاسرائيليون التعذيب الوحشى عبد الله ابو ساكات ، الذى طبل الى حد انه لده الرمي داخلوه المستشفى من باب الاجراء الشكى ، وعرضا حرس تحت المستشفى فى ١٦ سبتمبر « ايلول » ٦٧ على جبلها بديرا لئلا اصبح عبد الله ابو ساكات « جينا » :

● محمود عبد العليم الطرايرة :

هو ايضا من قرية بتي نعيم ، ولدت حله الاسرائيليون مع ابيه عبد العليم فى طارة طيوكيت والواهم فى ٢١ ديسمبر ١٩٦٧ فى سجن الخليل بحيث انتهكت عليها عمليات التعذيب الرأنا ، واضطر السامعون الى ابروا سبيل الاب لتكتم لم يطلخوا سراج ابنه الا بعد ان اصيب بمادة دائية فى « السهم » :

● جمعة حسن مطيرة :

هو ايضا من قرية بتي نعيم . ولدت اعتقله الاسرائيليون فى ٢٦ مارس ١٩٦٨ ، وانتهالوا عليه فى السجن غربا وطعيا وقتبا خضر لهم ان يطلخوا سراحه ، رطوا سبانه الى كيل حار ، وريطوا الحمار الى سيرة واربوا سائق السيارة بياض سيرته فمطلقت وفى اسرائيل الحار ، بينما اخذ جمعة حسن مطيرة الى الزطام بالمجازرة من خلفا ، وعرضا افسى عليه نكوا اساره ، وتروكه بين الحياة والموت

● عبد العزيز منصور :

من ام صناعيت صعدا رجال الجيش الاسرائيلى الساعة للثامنة مساء ١١ يونيو ١٩٦٨ ، طلى من المختار ان يدلم على بيت عبد العزيز منصور ، وهو رجل زراعى مبره ٥٨ سنة . واخذوا عبد العزيز منصور على سيرايمه العسكرية ، وانصرفوا ، وفى اليوم التالى ، ذهب

المختار: إلى الأثرلة للسؤال عنه لتصلوه
حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر هبط
العزيز منصور قائد الوحي من شديدة
التعذيب ، بينما يترك الدم من فيه وإذنيه
وحمل المختار الضحية إلى المستشفى
الكويتي الجديد ، فترفت المستشفى
بمعالجته بحجة أنه مصاب في رأسه ،
وتصنعه بإدخاله مستشفى بيت لحم ،
ولإزاله ميدان المزير منصور في مستشفى
بيت لحم مصاباً بالجنون !

- محمود عبد السلام سالم [مدرس]
- اسماعيل الصايك [مدرس]
- زوجة اسماعيل الصايك
- حسن نهر أبو سليم
- عبد الله صالح عبيد
- علي محمد عبيد
- عبد الله محمد أبو احمد
- احمد عبد الله خليل

هؤلاء من قرية تلمنة [من احيال القدس]
التي احتلها الاسرائيليون في ٢٧ يونيو
١٩٦٧ . وقد اعتقلهم الاسرائيليون بعد
احتلالهم لتريتم بحوالي ثلاثة اسابيع
وزوجوا بهم في السجن ، حيث خربوهم
بالبسائط والمخمي ، وعذبوهم مذابحاً شديداً
ولم يكتفوا بذلك ، بل سلطوهم كل سلا
يملكون من شاة ومضاع وتعود ا .

■ محمد يوسف :

لاجاء ، في الثمانين من عمره ، فقام
في مسكن بسخم البريج بقطاع غزة وتبعها
الجنود الاسرائيليون لنفس مسكن الشيخ
المعز ويسكن أخرى للاجئين في هذا
المخيم ، فأكبروا اصحابها باخلاقها واتصاع
الجيش معاًدا محمد يوسف الذي وفغان
يقادر المسكن الذي عاش فيه عقدين
عاباً . وهنا قدم الاسرائيليون لاسكن
على راسها حياه فقيرة لونه تحت الانتفاص

■ ربيع القري :

من القدس ، اعتقله الاسرائيليون في
١٩٦٨ [١٩٦٨] . وبعد يومين
نصفوا منزله الذي يقيم به في بيت حنينا
وصعدت الجيوش المجاورة لئلا يفرق
القرى بسبب هذا التنصت . وفي السجن
اقبل التعذيب على يقين القوي الرأنا
لقد اجبروه على كرسى كهربائي، وورطوا
يديه بالسلك متصله بالكهرباء ، فغشت
أحداها ، وأصيب بترنيز شديدي معده
ثم ألوا عليه سحلاً مليناً بالفلوورات ،
وأشترت مبيعات التعذيب لثلاثة ايام
متتالية دون انتفاع .

■ خليل عبد الزواق :

من تلمذا ، متشوا بيته بعد الاحتلال
بأسابيع قليلة ، وانتزعو منه الخيخار
وأعتقلوا ولديه يوسف ومحمد بمحطة

أثماً بتمارون مع النذائين ، وضامن
الاسرائيليون خليل عبد الزواق على أنهم
سوف يمدون إليه الخبز الذي انتزعوه
منه اذا تعاون معهم ، ولكنه رفض بصرار
ولإزاله الخبز بلدي الاسرائيليين ، كما
لإزاله ولاده في السجن بعتيان التعذيب
دون محاكمة .

■ رشيد حسن رشيد :

من قرية « دورا القراع » من احيال
رام الله ، اعتقله الاسرائيليون في اواخر
سنة ١٩٦٧ بتهمة انه قدم الطعام للندائين
ولما لم يجدوا أدلة كافية كنى لحاكمته
اطلقوا سراحه ، ولكنه خرج مصعباً من
شدة التعذيب يعاني ألماً شديداً في ظهره
وهو لا يستطيع الحركة حتى الآن .

■ قاسم أبو خضرا :

من عكا ، اعتقله الاسرائيليون في ٤
نوفمبر ١٩٦٦ ، عندها قدم إلى عكا
في قارب لبناني ، واعتقلوا بعد ذلك
بأسيوط في ١٢ نوفمبر ١٩٦٦ فسجنوه
هناهم أبو خضرا ثم أطلقوا سراحها بولدت
بما تقيم في السجن من شدة التعذيب
وأدعى الاسرائيليون انه انتصر . ورفض
الاسرائيليون طلباً تقدم به شكوى الرئيس
لجودا ماثير رئيسة الوزراء والعضء
بجلس الكنيست من أجل انتداب لجنة
للتحقيق في اسباب وفاته .

وقال لبيسون حاكم الصلح في
مستوطنة يتاح نيكيا بتاريخ ٢٩ فيسبر
١٩٦٦ ان قاسم اندرس شفا أثناء اعتقاله
ولكنه لم يذكر أين كان معتقلاً . بينما
قال غسان دافيد الضابط الذي احتل
قاسم أبو خضرا ان هذا الأخير أصيب
بعض ناري أطلقه الضابط عليه عندها
اعتقله وقال شاهد يدمي فضل يونس
أمام محكمة الد العسكرية الإسرائيلية
بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٧٠ بأولي بالفرقة
الواحد ٢ ٢ وأبنا زينا وفائد زورنا
قاسم أبو خضرا يوت من شدة التعذيب
وجسمه ملفوف بالقطن والثباتي .

■ إبراهيم الفاروق :

من نابلس ، وقد اعتقله الاسرائيليون
أثر اشتباك بين الدائنين والجنود في قرية
بيت غوريك إلى الشرق من نابلس . وكان
أهله يمتنعون انه استشهد في ذلك
الاشتباك ، إلى ان تبين لهم انه لم يقتل
وانتهجوا في أحد المستشفيات الإسرائيلية
ولما سالت حالته الصحية طليت السلطات
الإسرائيلية إلى أهله ان يسلموه ،
فحضرُوا وأخلوه معهم وهو بين الحياة
والموت بسبب كسر أصابع يديه .
وتبانت الروايات بشأن هذا الكسر ، فمن
قال انه من أثر وصامة أصابت رأسه
لنثار المرحلة ، ومن قال انه جاء نتيجة
للضرب والتعذيب في السجن وقد نطه
أهله إلى مستشفى الخالصم الخيرية
الاسلامية في حالة يرثى لها .

■ تميم الشهب :

تسليطي شوي ، أودع سجن
شقة بأمر اداري . وفي ١٢ يناير ١٩٧٠
اعتقله بالسجناء الاسرائيليون وغيره
غريباً مبرحاً لم تفتق ادارة السجن أي
إجراء ، أخذ المعتن من بل توليات معهم
وأدعت ان الذي غربه رجل مجنون ،
وأشرب جميع السجناء العرب في ذلك
السجن احتجاجاً على هذا الاعتداء .

■ عصام الحجازي :

رج به في سجن بيت لحد حيث لإزاله
حيساً . ولقد عذب من طريق المساء
السجاري في لحد ، ولإزاله آثار هذا
التعذيب بأني على جسمه في مواضع
محتلة .

■ شريف علي شعور :

نصفوا بيته ، وسجنوه في زنزانة
بسجن نابلس ، حيث عذب إلى فرحة انه
أصيب بانتهال مصبي . وبعد ذلك نقلوه
إلى سجن الرملة حيث لإزاله موجوداً .
بما تقيم في :
أودع سجن شقة حيث تعرض لآلان
من التعذيب إلى حد انه أصيب بمرض
خفيف .

■ نادر العصفوري :

يقسم سجن نابلس في الزنزانة رقم
[١] ، والجانب الأيسر من صفه مقفول
وحظنا كنيسة مختفان ، أباً إلهاء
متمردان من وطأة الرقائ الذي ربطوا
به نراهم إلى جدار الحجر .

■ عبد الله خالد الفايص :

جرح في فخذه الأيسر ، ولقد انطق
لنقرة من الرقت .

■ عبد الله هلال طمية :

جرح في فخذه ، ثم أصيب بشلل فيه ،
ولقد بصره نتيجة التعذيب .

■ أحمد محمد الهدهد :

نقد النطق نتيجة التعذيب إلى مائة
في سجن الرملة ، وكان الاسرائيليون
قد حكموا عليه بالسجن خمسة عشر اياماً
وأبقي في السجن ملين اصحاب خلاصها
تأثر التعذيب الوأنا . وفي ١٥ أغسطس
١٩٧٠ ايدوه إلى الفقة الشرقية لنهر
الأردن غائد النهر والسلم بينما تحطمت
جميع أسنانه .

■ أصفاء سلامة :

من نابلس ، أصيب بشلل في إحدى
يديه ، وسحب كمية كبيرة من فيه ،
وأنتابه مرض شديد حتى أصبح على وشك
الموت .

■ محمود حسن حمدان :

من حطول ، ويبلغ من العمر خمسة
وعشرين عاماً تقريباً ، وكان موجوداً في
بيته في حطول صباح يوم ٢٤ أكتوبر

١٩٦٩ ف هاجموا قنصلية تروية بن جنود الاحتلال الاسرائيلي ، غيب محمود ليلتهم مستغفبا سلاحه ، وقتل منهم سابطا برتبة ملازم ومجرجين آخرين من جنس الحدود ، واضطر في نهاية الامر لتسليم نفسه ، فسأته الى السجن حيث هنبره هذابا اليها الذي اعتاده ليمبره

● حسين شرعبي :

فسوا في شرحه اتوبوا جرحى فيه امه حتى اذا انتقل بطنه جاء الجنود ليلوا بطنه باقدهم فيخرج الماه من فيه والله.

وكناول بريلون رديه بجلج يثقل من شغل الفرقة لا ثم يهاقرون عليه فربا بالحمى ، وبالكلت الى بطنه .

● سليمان برغلي شواشين :

من قرية بطة بويل الخليل ، ظلوا يبرونه الى ان تحلبت شلوعه وضف بمره ، لبروه من بلايمه ووشوه في كس كبر بهادفه عدد من الضباط ، وراج حراس السجن يهرون الضبط ، فتوجه وتبرق لدمه . ولقد اضمرت لجنة الضابط الاصر الدولية بهذا الحادث في ٢٩ ابريل سنة ١٩٦٩ ، ولم تات اللجنة ولا اظه حتى اليوم ردا من اللجنة .

● سليمان خلف العويري :

من الخليل ، ووشوه في كس ويسطوا الكس ارضا ، وراج الجنود الاسرائيليين بطلان الكس بما هواء بملسليصيم ، فقتضيت شلوعه واضرانه ، ولا يزال مصابا الى يومنا هذا بفرس في سجن الخليل .

● انور جابر :

اعقلوه ، واهي في السجن فترة هائي فيها جميع سنوف المسذاب ، ثم ابعده الى الفلة الشرقية لنهر الاردن . ومن انواع التعذيب التي تعرض لها اتهم مروا على جسمه بهار كبرياتى مرات كثيرة ، وكثيرا ماكنوا بريلون رديه بويل مقل في سدة الفرقة ، وبنهالون عليه فربا بفسهم من البلاستيك ، وكاوايونون رجليه بجلج ويهرون فوق الارض

● يعقوب عبيدي :

من رام الله ، عكث في سجن صرند ٥٥ يوما ، ثم تنزل الى سجن الاسفوكية بالقدس ولقد ملوه في السجن بابل ان يلقطوا منه اعترافا ، وهاقروا ان يهودا ببروا لتدليه الى القضاء وامداد حكم عليه فلما جوزوا عن ذلك اطلقوا سراحه بالوا به الى الفلة الشرقية لنهر الاردن وفي الفلة الشرقية اخذ يعقوب عبيدي برى سنوف التعذيب التي ماتاما ، فقال ان الاسرائيليين كنوا يشرهون ياسددهم وبالمى على اعناله الفلسطينية وعلى كليله وايجروه على الملى حائي القديين

توق ارض بليلة بالاشواك والمجاعة الى ان ادبت ندياه وتكفنا .

● احمد مسعود :

تنقل بين السجون ليلى المذاب الوانا ولايزال يصل على جسمه آثار التعذيب الذي انزله به الاسرائيليين . ولقد فربوه فربا مبرحا كيا فربوا جسمه واضرانه للصدبات الكبرياتية .

وعنينا فرحت لقصته على الضابط الاحمر الدولي زاوه ممثل اللجنة الدولية للضابط الاحمر في زواتنه رقم [٤] بسجن نابلس فراه يترق حيا من الداخل كيا راي ملايت الضرب سوا ظاهره على جسمه . وقسد ربيخ الاسرائيليون اسعائه طيبا مالى الرغم من ان فراهه كسرت نتجة للتعذيب .

● احمد ابو سرور :

كان الاسرائيليون يتركون اسباب التعذيب التي يطبقونها على هذا الشعب ومن اجل ذلك لهم لعا مخذة بسلك ومن اجلوا تيارا كبرياتيا بين بهذا السلك بشكل مطبق تخلف من جسوله اطراف احمد ابو سرور ، وعلوا في الله لفظا حديثا نصري فيه الكبرياء ، وكناوليسون تمت ابطيه بيا يلقى ، ثم بفسط الجنود على فراهيه لكى يمسلى بذر. البيش الملى ، وظل على هذا الوقع اربعة عشر يوما ، لايسطيع ان يقع لوبا على يته .

● لجنةالمعوقولة . . وجرالم اسرائيل نشرت وكالات الأنباء المختلفة يوم الخميس ٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ بربرت اشارت ليا الى ان لجنة المعو الدولية كتبت قد اتعيت قبل ذلك بعالم للتحقيق في وضع المحتقلين والمسنونين الفلسطينيين الموجودين في اسرائيل ، والى ان هذه اللجنة قد اصفرت الى لندن تقريرا بهذا الشأن .

ولقد ادانت لجنةالمعو الدولية اسرائيل للتعذيب الذي انزلوه واتزال تنزله بئنا فلسطينيين موجودين في سجونها . ومن بين انواع هذا التعذيب الذي تحتقت منه اللجنة تعرضي المسجون لمصحات كبرياتية وزيروهم وهروهم بئران س المسائل ، وفكرت اللجنة في تقريرا املة كبيرة مرزوا بالصور والوثائق والشهادات . ومن بين الوثائق التي ذكرتها اللجنة ملحت لاعتان حرية في الخلية عشرة من مبرها ، اذ ابقاها الاسرائيليون حبسبة السون ودون محلكة لدة ثلاثة وارمين يوما ، فربوها خالابا فربا شسديا بفسهم من حديد ، وكثيرا ماكان يبرها المسجونين من مبرها . وعختت لجنة المعو الدولية تقريراها بانها تحقت من كل هذه الاعمال قبل صدور التقرير بعام ، ولكنها ردت في نشر هذا التقرير طوا ل مدة بابل ان تردع اسرائيل صن

افكاليا ، وكناها بقتت انه لا فادة فربى من فغير نشر الحقائق التي توصلت اليها من اسرائيل واصات اساليب التعذيب ضد الفلسطينيين في سجونها . ومن ثم اتعيت اللجنة على اصدار تقريرا .

● محمية يهودية تقول :

الوثائق الدولية جاءت على مسان فليطسيا لانجر ، المحمية اليهودية في الفصيا رقم [٦٩/٨٤] ، والتمس بيبسا حام اسبه «يشير الضيري» من البرلة ، وهو لاجى فلسطينى يعيش في رام الله منذ عام ١٩٦٨ . وقد اعطته الاسرائيليون وزجوا به في السجن ، وعنبوه هذابا شديدا فركه بتفصيلات لقضاء المحكة التي فسوه اليها ، واتشر باصبعه الى الضابط والجسود الاسرائيليين الذين ملوه ، والذين فسوا المحكة .

قال يشير الضيري المحابى انه يطلب من المحكة احالة هؤلاء الوحوش الى العقين .

وقلت فليطسيا لانجر ان تحتقا جبرى يده السورة التي تتخلى مع بدهوى القانون والمعدالة باطل نك اسكبه ، فسكت المحمية اليهودية في المحكة وهي لذك ان بفسين الضيري ضلب فصحت كبرياتية وان فلابيه الاسرائيليين كنوا يلجون عليه ما سافنا يتونه بعد فوان بسب ما بارد جدا عليه . واهابت وان كسها في بعرها ، وان بفسطوا الجبرين في هالة بلس ، لا الجبرية تنكر كل يوم وكل ساعة بل كل خينة في سجن رام الله حيث كسب الوان التعذيب على المسجونين بمسك الاتراع اعترافات لا اساس لها من بين اقواهم .

وربش للقضاء الذهاب الى مسجن رام الله ، فاهديل ان ذلك ليس من صلاحياتهم .

● عدم تسجيل وقائع التعذيب في مضر الجلسة :

قالت فليطسيا لانجر للمحكمة ان الاسرائيليين نسوا دار مسير ابو ديباب ثم اعقلوه وزجوا به في السجن ، حيث فنبوه هذابا شديدا ، ودمت انتمس لكى يرى للمحكة تفصيلات التعذيب الذي انزلوه به ، وشرع مسير ابو ديباب الى سرد الوثائق الالة . . وهاج للنساء وقا ل رئيس المحكة ان ذلك لا دخل له في مسير المحكة . وامتعت من سجون اقوال مسير ابو ديباب في مضر الجلسة ولكن المسك الاسرائيلية نشرت هذه الوثائق بتفصيلاتها وشديد المحمية بها واستكراها لاسلوب المحكة .

● محمد حسن ديباب :

في ٣ ابريل ١٩٧٠ ، حبلت لايصيا

واجزأ إلى القضاء وزير الشكوى
محمد حسن دياب من أمالي القمم ،
وبلغت الشكوى حتى اليوم دون تحقيق
أو إجراء ! جاء إلى الشكوى كيف طال
محمد حسن دياب سبعة وأربعين يوما
محتلا دون سؤال ، وكيف أرسل بعد
ذلك إلى سجن ضرتة حيث جردوه من
لباسه كلها وأخذوا يسبون عليه المدة
الباردة مرة وأساءوا السجن مرة أخرى
بشكل سريع متوال كان يفتده مثله ،
ومعه من المتحدثين المحليين ، ولا يزال
محمد حسن دياب سجيناً حتى اليوم .

● عبد اللطيف أبو ريملة :

قدم هذه الشكوى عبد اللطيف أبو ريملة
من أمالي القمم في ٢٧ يناير ١٩٧٠
وتتمت هذه الشكوى أنه قد اعتقل
بتهمة انتسابه لأحدى المُنظمات الفلسطينية
الدولية وحيالة أسلحة ، وأنه أصيب
بمرض بعد مرور ثلاثة أشهر على اعتقاله
وأن الأطباء فرروا أنه لا يستطيع المشي
لألم الحكة بسبب مرضه ، وبعد الإخراج
منه أنصح أنه ضرر جداً من التعذيب
الوطني بحيث تستعمل محاكمته .

● دروسا أمام المحكمة أكثر تعذيب :

صرح عبد الهادي عودة أمام محكمة
القمم في الجلسة التي عقدها بتاريخ
١٤ أبريل ١٩٧٠ ، وهو يروي لفصلنا
أساليب التعذيب التي أجهت عليه
لثلاث اعتقالات وكيف طُبق بعد ذلك في
مكتب التحقيق والسجن بالقمم في أن
يدرس فيه ، وكذلك عبد الهادي عودة من
صدره وثرائمه وسبقته أمام القمم
ليريه أكثر التعذيب لا تزال بآلية عليها .

وفي نفس الجلسة (١٢ أبريل ١٩٧٠) ،
صرح جهيل أبو خديجة كيف اعتقل وشرب
وعذب في مكتب التحقيق والسجن بالقمم
إلى أن نفذ وعيه ذو الآخر ، وأزاح شمس
رأسه ليطلع المحكمة على آثار الجروح
والندوب والكدمات لا تزال باقية ثم أخذ
يحدث حيا أصليه في سجن صرنته
وزنائه الشقية ، وكيف لوثوه من
يديه ، وساقبه ، وألفوا عليه الأساليب
لثلاثة ، واستمعت المحكمة إلى أقواله
ولم تدرج بشماره على الإطلاق ،
وزعمت تسجيل خبره وأحد بما قاله
في محضر الجلسة .

● قالت المحامية اليهودية أوزير الشرطة الإسرائيلية :

« شلوبو هيل » : « ما هذا
الذي تعلمونه ؟! كيف يتحكم بعد هذه
الجرائم التي ترتكبونها أن تحدثوا لنا
أصطفاً التاريخي لكم ، وكيف يمكن لحرى
العلم المالي أن يواصل الإساءة اليكم
وهو يراكم يسكنون نفس الطريق ؟ أم تراها

مخزئ التكليف تشرى إلى الملوذ على
أبهر فإذا به يصاب مستحاً تنين له
السلسلة بسيسمر الطنسان والتمع
والتعذيب ؟

ثم تحدثت المحامية من محمد محفوظ
ابن فضل جابر من مدينة الخليل ومن سكان
القمم ، وهو طالب في كلية التجارة
بجامعة بيروت العربية ، ويبلغ من العمر
ثلاثة وعشرين عاماً ، وأصلها المحلية
أنه اعتقل مرتين ، المرة الأولى في ٢٤
يناير ، كانون ثان ١٩٦٨ ، والمرة
الثانية في شهر مارس [آذار] ١٩٦٩
وفي كلتا المرات حذب تعذيباً شديداً
بشره على وجهه ورأسه ، وبلغاه الماء
والسفن عليه ، وبخبرتي بطنه وصدره
للمدبكات الكورفية ، وترقي على مدبكات
التعذيب التي ملأها أن فشمه بصره ،
وكأن ينفذ حاسة الأيسر ، « وشوهد
هذه القمم بحولاً في عربة عسكرية
ونقلوا إلى أحد المستشفيات ، ولا يزال
حتى الآن رهن الاعتقال الإداري ، يشكو
ألماً في رأسه ويعتقد ؟! وينتقد وعيه
بن الحين والآخر .

● الممارات يتكلمون على الممارات :

وبحثت المحامية فليسيا لانجر دالة
أوزير الشرطة الإسرائيلية أن مجلة شابة
تسمى مجلة طه بن القمم اعتقلت في
أولئك الاعتقالات الإسرائيلية بتهمة لجمال
براد متفجرة من هان في حقيبها ،
وقالت مجلة أنها لا تعرف كيف حُضمت عليها
في حقيبها عدة «لوانة» المتفجرة التي
لا تدري من أومها شيئا ، وأيام محكمة
تلبس العسكرية لا حيث جرت محاكمتها ؟
أعلنت مجلة طه أنها أزعجت على أن تتخذ
في السجن فرقة بها معنى الممارات
اليهوديات للثلاثي أفران بل رجال
الشرطة أدمون بأن يشربوا ، ولقد
شربتها هؤلاء الممارات ، وقد عرضت
الفرقة الفلسطينية على المحكمة أكثر
الغريب وأحسها على جسدها .

وأردت المحامية فليسيا لانجر بهذه
الصفة قصة أخرى لثلاث أسما محلية
الغوازي زوج بها في نفس فرقة السجن
مع مجلة طه لتنتقي نفس المسير فتشربها
الممارات في الأخرى ويحذرون شمس
رأسها يمتص وجه ميمون داخل السجن ؟
ويعتقد أن رجال الشرطة هم الذين أصطروا
الممارات هذا القمم !

● اعتقلوا لأهم أنشأوا انحصاراً للطبعة الجاهليين :

خسبة من شلب الجلمسة ، هم
إبراهيم سعيد صبري من طليانة ، ومن
سكان القمم ، ووالده هو الشيخ
سعيد صبري قاضي القمم الشرقي .

ولفني صبري الطويحي من أمالي القمم ؟
وأبراهيم عبد الرؤوف الطويحي من سكان
القمم ، وأوليم بشارة خوري ، وأحمد
عبد المهدي العموري بن فسطاط إحدى
عبد القمم .

اعتقلهم الإسرائيليون في ٢٤ يناير
[كانون ثان] ١٩٦٨ ، واند تفاوت بين
شهرين وسبعة أشهر ، لأنهم أشتكروا
اتحاد الطلبة الجاهليين ، وسلبوا
اعتقالهم زلت بهم ألوان التعذيب
ولا سيما قضي الطويحي الذي صدر حكم
بجسده عاين لا لشرة سوى أن أسبه
قضي ، لد أن الطفا (الانكباء) أن
قضي لأد أن يكون بنية لملطة [نتج]
الدائية ، وأتاه طويحه بعد رجل
المخبرات الإسرائيلية غرباً بقسبي من
حديث حتى أتمت ساقا ؟

● « لو كنتم مكانني لقتلتم ملثما » أفعل :

هذا ما قاله لهن غيد الرقن حيوان
لخساة المحكمة التي ساقوه إليها ، ولذا
عقدوه وحاولوا إكراهه على التعذيب
بسبب الإجراءات التي يقومون بها ،
ولكنه أبى وأخذ يردد هذه الجارة على
مسلمهم صارخاً في وجوههم ، ثم راجع
المحكمة قلال أن الاحتلال الإسرائيلي
للرأية العربية لا يقره القانون الدولي
ولا يخترع به أية دولة في العلم ، ولذا
من هذا الشرعي أن نقتل هذا المحتل
في مثل القصاص ، لذا لا نوافقون
على تنفيذ قرار مجلس الأمن ؟ ولم يفرج
الحراس أن يركله على بطنه على برأى
من المحكمة .

● فريد عبد المجيد الطويل :
وفي شهر يناير [كانون ثان] ١٩٦٨
اعتقل فريد عبد المجيد الطويل من الخليل ،
ومن سكان القمم ، والبالغ من العمر
ثلاثين عاماً ، وفريق قسم التاريخ بكنية
الإدابة بجامعة ديبس ، وهو متزوج
ويعمل بخرما ، كانت تهمة هي أيواء
لثلاثين والانتباه إلى منظمة دائية لا
ولقد اعتقل دافريا ، وكذا انتهت به
جندت من لثلاث نفسها ، ولا يزال عن
سجن البرية ، وفي كلا السجين مغرب
ومضب ولطم على وجهه براراً كثيرة .
● فليسيا لانجر : « مرة أخرى :

وأمام قضاة آخرين قالت المحامية
اليهودية فليسيا لانجر للمحكمة أن هناك
القمم اسمه « خليل ميمون » ، من سكان
القمم ، وأحد طلبة قسم اللغة العربية
بكلية الآداب بجامعة بيروت العربية ،
اعتقل في شهر تشرين أول [أكتوبر]
١٩٦٧ ، وحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام
نقل خلالها من سجن إلى سجن .
● البرلة ورام الله : « لم نلبس . ولقد
حذب تعذيباً شديداً في هذه المسجون
لخسفة ، وقدر اتهامه بدة الحكم أبعد

الى الأردن « وثلاثاء الحادية ٣ وهي تحدث من خضبة أخرى هو الشاب العربي عبد اللطيف غيث الذي اعتقله الإسرائيليون وجزوا به في سجونهم « أن هذا الشاب المسكين لم يملك من غرط التعذيب الذي تولى به إلا أن يصرخ في وجه الجلادين قائلا : هل هذه هي ديكتاتوريتكم التي تتشكون بها ؟! فما كان من أحد من الجلادين إلا أن انتزع من مسمحة رصاصة أدخلها في شرج عبد اللطيف غيث قائلا له : هنا الديكتاتورية »

ولقد نشرت بعض الصحف الإسرائيلية لنفسها هذه الوثائق نقلا من صحيفات الحامية اليهودية « اما عبد اللطيف غيث فقد انتهى به الأمر إلى الجنون داخل سجن الرملة »

● يوسف عبد الله عدوان ؟

لم تعثت الحامية فليطسيا لاجر من يوسف عبد الله عدوان من « طولكرم » وتيمته أنه شبيوه خبيث معه مشهور هذه الاختلال « ولأيزال حتى الآن محتالا بأداريا وهو موجود حاليا في سجن كفر بوبا حيث طلب تعذيبه شديدا فقتله برصاصة جاش إحدى الجلادين لنفسه » وقدمت فليطسيا لاجر شكوى بشأن تعذيبه في ١٩٦٦/٩/١١ ، ذكرت فيها أسماء من خبره « ولكن المحكمة لم تستدع أحدا منهم لتعلق معه في الجرائم التي ارتكبها »

كما تحدثت أيضا عن اسمع هيزلرهاب من سكان القدس « وكانت منظمة الشاب للتسليحين في الذي سجن وعذب هو الآخر « ولقد ذكر لغضابه أنه لا يعرف بالأختلال ولا بالحقبة التي تعذيبه ، وقال لهم أيضا « أنني لا أعرف بأي حال من الأحوال ومستمك لي وأنتي مضلل « لمست أدرى كيف يمكن أن تكون مضللا عندما أنتقل من إحدى سجنى لغير الأردن إلى الخلية الأخرى داخل » وطني «

وطرقت الحامية فليطسيا لاجر للحدث بعد ذلك من تعيم الأشهب الثالث التسبوي الأبدني ، الذي اعتقلته السلطات الإسرائيلية في شهر أكتوبر ١٩٦٨ « تشرين أول » سنة ١٩٦٨ اعتدالا بأداريا ، وبعد أن بقي في السجن مدة يومين حاككة ، ماتت السلطات الإسرائيلية في شهرين مدة اعتقاله في سجنين أبريل ١٩٦٩ نيسان ١٩٦٩ لسنة شعور أخرى »

وهو فليطسيا لاجر من تعيم الأشهب « أنه رجل سابع حاديه » لا يعضي بالمعاب ولا يأنه بكتديته « وهو ينكر إستراتيجي أن الشاب الذي ينزلها لآخرين « من حديثه عن اعتقاله للمرة الأولى وبعد ذلك حين عليه إلى يغادر بيته « بينما ين عليه يوميا رجل يمثل الشرطة

ليتكاد تنج وجوده إلى الخلل « « واعتلقت للمرة الثانية ، توطدت سلتى به ،

وستطرد خالكة : « لقد اعتقلوه دون أن يوجهوا إليه أية تهمة « وهو يحمل في السجن محبلة سيئة رغم أنه مريض .. ولقد مرض الإسرائيليون عليه مرارا أن يلقوا سراحه بشرط أن يترك وطنه ، يرفض هذا العرض بباء « « ورفض الحامية قائلا : « لن أتس في حياتي كيد راح « بعد الاعتداء عليه وأغراب رفاته السجناء العرب من الطعام « يرمز بالمخربين أكثر من إضامته بنفسه ، وقد نسي آلام الجرح الذي أصابه في رأسه «

وتختمت فليطسيا لاجر حديثها قائلا : « لقد اشترك عدد كبير من رجال القدس البارزين في تقديم طلب للتسليوين من أجل إطلاق سراح هذا البطل « كي يعود إلى حالته التي تتخذه خارج السجن « والتي لا يقل أكرامها في بطولتهم حله «

● مجلة على شائسة التليفزيون الإسرائيلية :

ينلوح « أبريل ١٩٦٦ نيسان ١٩٦٦ ، التت الحامية فليطسيا لاجر بشكروم هيسال وزير الشرطة في إسرائيل « وأدريت هذه الحادثة على شائسة التليفزيون الإسرائيلي «

وبدا اللقاء المذاع لتليفزيونا بأن سال المذيع وزير الشرطة الإسرائيلي « هل صحيح « بأن المحتجزين والمسجونين العرب يطعون في أثناء التحقيق معهم ؟ نفى الوزير ذلك نفيا باننا وأصله قائلا : أنهم لا يطعون لأن التعذيب يقتل مع العزة والتعالي « بل أنه يتمفرغ مع أخلاق المحتجزين لدينا « وكل « في الأمر أننا نستطيع « من طريق تحقيق دتري بحكم « أن نتخلص الحقيقة من لم المحتل أو الصديق ؟

وعنا « وعلى شائسة تليفزيون إسرائيل أخذت فليطسيا لاجر الحامية لتعدد للوزير حالات تعذيب من بينها حالة أصحق على المرافي « من سلوان ، صره شائبة ومشرون مليا ، وهو موثف في جمعية المقاصد الخيرية « وقد اعتقل أداريا مرارة « المرة الأولى في شهر أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٦٧ « عندما ضربه غربا مبرعا أثناء وجوده في سجن الرملة حيث ظل محتالا أداريا لمدة عام لم أترج عنه «

وقالت « أن المسكين لم يتمم بالحربة سوى شهرين « اعتقل مذبحة مرة أخرى وصحب عليه تعذيب لا يمكن وصفه « إذ راح السباتون يصبون عليه رأسه ماء ساخنا بين الحين والآخر إلى أن زال شمره كله « وتبرم رأسه وتخرج «

ولتأكل حلاكتة التورم بكافة على رأسه حتى الآن .. كما مرض السببتا الكهربائية ، ولأيزال في سجن الدبون . وقالت أنها قضت شكوى بتاريخ ١٥/١٩٦٦/٩ ذكرت فيها أن أصحق على المرافي روى للسلطة جميع استعوا التعذيب الذي ألم به « وأسماه « عذوبة « وكان واحد منهم حاضرا في المحكمة فاقضى إليه بعبه « وكذلك ذكر أصحق أسماء عدد من شعور تعذيبه ، وتضو الحامية قائلا أن المحكمة لم تستدع الشهود « ولم تستدع أحدا من الجلادين ، بل لم تستال حتى ذلك الجلاء الذي كان يجلس مائلا في قاعة المحكمة « ولم يحرك شاكروم هيسال وزير الشرطة الإسرائيلي ساكتا .. وأدري تشككه في هذه « الاعتداءات « على أسماها « وقال أنه لا يوجد دليل على ذلك !

وانتمت المصصلة التليفزيونية الإسرائيلية ؟

● جرائم ضد النساء ؟

اعتقل الإسرائيليون « وسوية بوتسفا هودة « من البيرة « وتميش في البيرة « في ١٩٦٦/٩/٢٨ « بقصة محاولة لسنف في التسمية البريطانية « والاتصال في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « وحكوا عليها بالسجن المؤبد ثلاث مرات

ولم يكتفوا بذلك « بل نسفوا ديار أبيها وعصا في البيرة « واعتقلوا جميع أربا أسرنا « بها في ذلك أختها المرفوعة « وفي داخل السجن « تعرضت رصيفة لتعذيب شديد « فغيرت على رأسها غربا مبرعا « وانتزعوها ثيابها « واعتادوا عليها بديها « وكانوا يكرتونها بمعنى بن غضب « وفي ١٩٦٦/٩/٢٩ « اعتقل الإسرائيليون عائلته هودة المذرة التي تقيم في دير جبر « وحكوا عليها بالسجن المؤبد ثلاث مرات لاتصالها في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « ولتشاركها في عمليات تسف القدس «

ولقد تسف الإسرائيليون بيت عائلته هودة في دير جبر وعذبوها في السجن مذابا مبرعا « إلى حد أنهم نكأوا إحدى عبيتها « أجزوا لها عملية لمحاولة لدمر الرمي إلى هذه الصين « ولقد كسروا إحدى يديها « واعتادوا عليها بأن أخذوا في فجها قضيا من تشب « وأبدت الإسرائيليات في أفرام إسرائيل « فاضح الإسرائيليون يتحون أخاها كامل الذي يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما « ولما لم يستطيعوا الوصول إليه منبوة جلم تشبه على ميزرته تسامدوها « وجبروا الفكر أن عائلته هودة استخدمت من سجنها في ١٧ يونيو « حزيران « « لأدلى شهادتها في قضية الحامي

يشير الفريزوفيلق له أمام بحكمة رام الله العسكرية وفي طريق مودينا الى سجن الزلعة لصمودا من سجنيتها ومهمة يوسف هودة وادخلوها سجن القدس . وفي هذا السجن عثروا على السجينة باقة وقالت لها : هرام ان يتم لك الطعام كما يتم الى ولي اكم في صورة « » ان يجب ان يلقى الطعام اليك كما يلقى الى التكايل لتكلمه على الاغنى اى على تكلم السجينة بذلك بل سيجت من امام عالمة طبق الحساء الساخن وسكينة على راسها وصانيتها .. ولما قاموها عالمة الفت السجينة باقة على راسها بكلمة المفاتيح التي تعلمانا ، واخذت تركها بمذالها ولم تسكت عالمة عالمة بها وفريقها مداعما من نفسها واستمدت السجينة الطامع الذي راح هو الآخر يهرب عالمة .. واستخدمت عالمة بالمسول من السجن الجاويش فوروى الذي اخذ يلك عالمة ويركها بدلا من ان يسحب الى سجنها .. وانبرت باقة الزلعة لفحقت على الفتاة لفرق وجهها بكلمة المفاتيح التي في يدها حتى نزلت الفداء من وجهها . وفظب الجادون على فحيتهم لظروحوها راسا ومضوا يتهاللون عليها فريا ولكما ولعدوى وابدت التكايل الى زينة عودة الهت عالمة ، عائلتي الاسرائيليين روجسا احمد هودة بتمية ايواد دنايين وحكوا عليه بالسجن سنان [١٩٦٨] و تسنوا بيته في دير جريه ، وعذيره وهو الى جهته تعليا فشدنا ، وهنك بطله ثاللة اسمها « نعمت ايوب كمال » الخرسية التي تقم في نابلس والتي اتيت ثانيا محو في اتعد الطالبة الفلسطينية ، وحكم عليها في ١٥ مارس [آذار] ١٩٦٩ بالسجن عابا ونصف عام لهذا السبب . كما توجد بطله اخرى اسمها آمنة هتيلي قبض عليها في ١٢/٣/١٩٦٩ وحكم عليها بالسجن سنان لانتمائها الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ولقد تعرضت عاتن الشابات لاسرى انواع التعذيب انشاء التحقيق ، وفي السجن . .

● كيف تجري المحاكمات الاسرائيلية ؟

سنة من ابناء ذرية حلولم هم : محمود حسن ابو نهش وعلى ابراهيم الشترطيف وعبد الله الخطيب واحمد المسئلة ونابيل احمد الفاروق ومحمد العمدة .. وتجميع من الاتهام الهتنة لتع الدوائية ، وحصل السلاح ، واطلاق النار على مصفحة اسرائيلية تحسب حرس الحدود .. وقد اتهم بمضغهم بالمغالل ضمة من مخاض [جمع مختار وهو المدة] حلولم للاتهام بايهم تعاونوا مع سلطات الاحتلال ، ويبلغ التهم الاول محمود حسن ابو نهش العمانية والمشرين من ميره . وقد وجهت

اليه ايضا تهمه قتل كائيل اسرايلى هو الملازم حواف انجرى الى اخر عام ١٩٦٩ . قال محمود حسن ابو نهش امام المحكمة في جلستها الاولى التي عقدت في نيرابر [شباط] ١٩٧٠ انه نفذ بصره من شدة التعذيب الذي انزله به الاسرائيليين في السجن ، واضاف : ان اكمل الجروح لاتزال ملية على جسمه واعترف امام المحكمة بأنه قتل الفصايل دون افتقر ندما من نفسه .

وفي نفس الجلسة ، شهد الجندي مردخاي شيبورا انه وعدا من الجنود ورجال الشرطة وحرس الحدود بلونيا بيت التمس محمود ابو نهش ، وكان يرادهم التكونيل هوفر بن دافيد الحاكم العسكري لخلقة الخليل . ونادوا على من الى البيت يسكرات الصوت كي يخرجوا ، فلم يخرج احد .

ويقول مردخاي شيبورا « ومنعند كبرياء اليك ، وفعلنا ، واطلنا النار . ولكن اطلعت علينا الاميرة القارية من داخل البيت ، فخرج الشايف هوفه انجرى وبعث بعد ذلك ، واضطربنا الى التراجع الى الخلف . » وعندما وصلنا نودة ، معنا نعالجينا البيت برق اخرى ، واطلنا سبلا من الاميرة النارية . واخرى خرج رجل هو محمود حسن ابو نهش ممسبا في كل جسمه ، بنينا الدم يزل من راسه ، فنفقنا الى دائرة الحسكك العسكرية للقتال ، واجرينا التحقيق بحه ، وهو على ظك الخلل .. »

● الجلسة الثانية في المحاكمة :

عقدت الجلسة الثانية للمحاكمة التي جرت امام محكمة الخليل العسكرية في ٢٦ مارس [آذار] ١٩٧٠ ، بشرح محامو الدفاع للمحكمة ان « اعترافات » المتهمين التي فيها اذعن العلم اخذت من المتهمين قسرا ، تحت وطأة الشرب والتعذيب . ومضى المتهمون يرددون للمحكمة تعصيات ما نزل بهم من فكيك وتعذيب :

قال عبد الله الخطيب : اتنه ادود في سجن صرناك العسكري حيث طلقوه الى السلق من يديه ، واطلقوا اعقاب السجائر في جسمه ، وسكبوا عليه ميهابا طرة ، وادخلوه غرفة مخلوة بالمغازات المسيلة للدموع حيث بقى على تلك الحال ثلاثة اسابيع ، نطقوه بعدها الى سجن الخليل حيث استمرت عمليات الشرب والتعذيب .

وقال نابيل احمد الفاروق للمحكمة انه شرب وعذب ، وان بعض جلاييه موجودون في قاعة المحكمة ، ومن بينهم الشاويش مزارهي من شرطة الخليل . وأشار الى بيده ، كما تدرف المتهمون الاخرون عليه واتلوا باسمائهم اليه ايضا .

وتحدثنا بحقة العمدة الف الذي يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما ، من تعذيبه اللخفة له ، وكيف كانوا يركونه بايديهم ويفرضونه بالعصي كي يرفسوه على الاعتراف بأعمال لم يرتكبوها .

وجاء دور التهم الاول محمود حسن ابو نهش ليس على المحكمة في نفس هذه الجلسة الثانية « ١٩٧٠ / ٢ / ٢٦ » تعصيات التعذيب الزهيب الذي عناه . فقال : ان رجال التحقيق اخذوا اتوانه في ثلاثة ابكة : شرطة الخليل ، ومستشفى داسابا بالقدس ، وسجن الزلعة .

وقال : عندما هاجموني في منزلي ، واطلقوا النار على اسطبرت ندما من نفسي ان اردت على التايل بالقتل الى ان نعتت ذخيرتي ، فاصفيت ، والسوا حبس على مفادوني الى شرطة الخليل ، حيث غرقت اعد المحققين على وجهي ورجلي اليسرى ، وكثيرا مكان يورسني المحققون بايديهم وكانوا يتهادونني بين ايديهم كنابا اتا كرقمته يتفادونني ..

واستدبر محمود حسن ابو نهش قائلا : « ولم اهرق ما حدث بعد ذلك ، اذ كنت قد نفقت ومهي بسبب الايام التي قضيتها والرصاص الذي نسد الى ابكة كثيرة في جسمي ، واستقيت لاري نفسي في مستشفى الهداسا بالقدس ، والى جاني الحق المجاور يوسيه يطلب بني تعصيات من وقع لا منها شيئا .. ولم استطيع ان اكلم ، فراح يغريني ، ويسعدني من شمسري ، ويهينني بذهرك اتوبب المظالم الذي كانوا قد وضعوه في انفي كي اتنفس من طريعه . ولم يكف بذلك ، بل اخرج من لي اتوبب الحلال الذي كنت اتناول غذائي بواسطته ، فاسمرقت بالام لا استطيع وصفها . وبعد ذلك بخسمة ايام اجبرت على التوايع على مدة اوراق لا امل شيئا من محسبون كما تبني ليه . وقد اجبرت على عيلة جراحية ، اضرخوا اتانها من جسمي مشرطين « »

واصفت المحكمة لاتوال محمود حسن ابو نهش في عدم اعترافه واخيرا سلكه رئيس المحكمة : « متى عذرت بصرك ؟ »

واجابه المتهم : « نفقت بصرى بعد ان القيت سلاحي واعتقلت ، وانا اذكر جيدا ملابح الجندي الذي حلق على اذناك . وهو الذي شربني بكعب مسمده على وجهي ، وعلى اذك تلك نفست بصرى .. »

وهنا رعت الجلسة على ان تعود

لأنتفاضة في ٢ أبريل ١٩٦٨ في تيرسان ٢٢٧٠
وقد حضر هذه الجلسة واستمع إلى
جميع ما دار فيها من أقوال وأسئلة
وأجابات وبناشآت ممثل لجنة المصلب
الأمم الدولية وسكرتيره و اللذان كانا
يسجلان ما يجري في قاعة المحكمة .

● جرائم قتل :

إن ضحايا التطهير الإسرائيلي الذين
قتلوا حياتهم كضحايا .. من بينهم محمد
إبراهيم حامد جيزيل ، من قرية مغير
في جبل الخليل ، عمره ٢١ سنة ،
ولقد اعتقله الإسرائيليون ، وبقي في
السجن عاماً دون محاكمة ، ثم هاجمه
جميع أنواع التعذيب ، وفي آن سلك
وهناك شابان من عائلة كفيك ، من
الخليل ، وبنين في مخبئة القدس ،
فرض عليهم وأودوا السجن ثم لقتا
بعض إصابات منها في جميع السجون
الإسرائيلية ، إلا أنهم لم يمتروا لهمسا
على أثر . وقد أشرت في البعث عنها
رجال المصلب الأحمر دون جدوى .

وأمام اللجنة الدولية لتقصي الحقائق
حول انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان
في المناطق المحتلة والمنعقدة في القاهرة
في ٢٢ أبريل [نيسان] ١٩٧٠ ، شهد
محمود سليمان أبيه مدير مدرسة
العريش أن الإسرائيليين نصبوا مدافعهم
في وسط المدينة وفي مسجد العريش ،
وأنهم أطلقوا النار على خمسة رجال
عزلتهم ، وشهد كثيرون من سكان
العريش أن الإسرائيليين سموا بئر
العريش بهدف القضاء على العرب الذين
لقد لهم من يرود هذا البئر .

وفي ١١ يونيو [حزيران] ١٩٦٧ ،
وبعد وقف القتال مباشرة .. راح
الإسرائيليون يعمدون منازل المسلمين في
حارة الخارية بالقدس - التي كانوا قد
احتلوا في ٧ يونيو - وقد هدموا
١٢٥ منزلاً في ذلك الحين من بينها منزل
الحاجة رسمياً بنت اسماعيل الطباطبائي ،
زوجة الحاج أبي يوسف المغربي ،
وهي امرأة مسجولة كعيسة اليسرى ،
الخبيزة والسنتين من عمرها ، وأصلها
من بكرة بالمغرب ، ولقد استولت
النفس ، ونزلت في وأصلها قريب المسجد
القصي بركة ، ولم يذوق الإسرائيليون
في هذه بيت هذه السيدة المجرور فوق
رأسها ، دون أن يملأوها وقتاً كئيباً
لأخلاء المنزل ، فبانت تحت الانتكاش .

وشهدت السيدة نوجي السيد إبراهيم
أمام اللجنة الدولية لتقصي الحقائق
بالقاهرة أن الإسرائيليين احتلوا منزلاً
ونهبوا زوجة أبي مينا ومينى ولدها
المغربي الذي يبلغ من العمر عشر سنوات
والذين بتروا يديه بدمور أبيض ، ولقد
استدعت اللجنة هذا الصبي الذي وقف

أمامها مكرراً أعينه المبحورين ٢ ليقض
عليه في تلمش واضطراب ما حصل
بذخنه من تلك الجريمة الشنعاء .

وقال حسن الهني من سكان العريش
أمام نفس اللجنة أن الإسرائيليين أغفلوا
مخبره وقتلوا خمسة من عائله .

وقال شفيق الله علي أن الإسرائيليين
انتصروا بنزله في العريش ، وقتلوا طفله
أمام عينيه ، وهدموا منزله فأصبح كومة
من التراب .

وفي ١٢ تشرين الثاني [نوفمبر]
١٩٦٦ ، داهمت القوات الإسرائيلية
منزل رجل من نوي - الخليل يدعى
محمد حسن اسماعيل ، يبلغ الخامسة
والاربعين من عمره ، فالتفت منه بين
زوجته وطفله الخمسة بعد أن شربوه
وعذبوه أمام أعينهم . وبعد تسعيرين
ونسف من لخطاهه ، وعلى وجهه المصدم
في ٢٩ كانون الثاني [يناير] ١٩٧٠ ،
استدعت اللجنة الدولية أهله إلى
القدس كي يصفوه . وعسحا حضر
أهله وجندوه بيتا . وقال لهم رجسلا
الشرطة أنه تولى اثر محاولته الهرب
من سيارة الشرطة . وقد راقى رجسلا
الشرطة أهل الضحية الذين حبلوا الجثة
وظلوا يسمعون إلى من وصلوا القرية حيث
أمر رجال الشرطة على دفن الميت لئلا
واكد افراد عائلة الضحية أنهم لاحتوا
اتهام غسل الجثة ودفنوا إلى جده محمد
حسن اسماعيل كمن ضلخا وراسه
محملاً وأظفاره مخلوعة وشراخ صخره
وعظام يديه وساقه مبهشة .

● مأساة قرية يالو :

أمر الجنود الإسرائيليون أهل هذه
القرية بأن يغادروا منازلهم لأنهم يريدون
هدمها .

واعترف الشيخ عيسى بن عبد الله زياد
لكبر سنه ، ياله لا يستطيع المضي
بتركه ، وتوسل اليهم أن يطلقوا النار
من إذا كان قيد من القتل - على رأسه
بمخبرة حتى يجنوه الآلام .

وقد أطلق الجلاذون النار على هذا
الشيخ المرم ، وهو قانع تمت شجرة
توت أسام منزله في ١٤ يونيو
[حزيران] ١٩٦٧ ، فأصابوه بجرح
بالغ بين كتفيه ، وظل يئن ويطلب يومين
إلى أن فاضت روحه في ١٦ يونيو ١٩٦٧
ولم يكن إلى جواره عندما لفت انتباهه
الاضرية شخص يسمعه أو يقدم إليه
جرعة ماء .

ومات تحت الانتكاش أيضاً ثلاثة
أشخاص مجزوا من الخي شغل ذلك
الشيخ المجرور ، وهم : حسين محمد
المعزولي [مصاب بالشلل وعمره ٦٢
عاماً] ، وسارة أم محمد سليمان عيد

الله أبو بية ٧٠ سنة ٢٣ وعلى
[٢٧ سنة]

وهناك ثلاثة أشخاص هم صبيحة عيد
الله وعبرها ٧٢ عاماً ، ولفه محمد
العرب [٦٥ سنة] ، ونعمة حسين
عيد [٨٠ سنة] تميلوا إلى التسم
وبخافوا بظلمتهم تجاهين في إحدى
القرى المجاورة ، وفي منتصف الطريق
هجزوا من مواصلة السير فجلسوا على
الأرض ليستريحوا فتفاهم . ولكن لم
يسلم الجنود الإسرائيليون فاعلواهم
بطلقات نارية فتلقم في ١٤ حزيران
١٩٦٧ . وفي نفس اليوم المشؤم ،
عاد إبراهيم علي شحبي ، والفيدي ناهي
وعبد الكريم محمود نور ، وقيس بن
عيسى عيد الله ، وسهيل بن زهدني
عيد الله مرمي في قرية يالو ، وحسين
تاسلام - بعد أن كانوا قد خسروا
منازلهم - بحثا عن ملجأ بينهم في
البرد بين الانتكاش . ولقد وجدوا بالمثل
أغنية حولوا واتجهوا إلى بيت لها
ولكن الجنود اعترضوهم دون أن يتوهموا في
الطريق ، وسحبوا للنسوة بوضاعة
الصور بعد أن صلبوهم ما كان مبعين
من على « وأمرنا الرجال الضمصة
بالوقوف صفا واحداً ورع أيديهم ثم
أطلقوا عليهم الرصاص فتلقم .

وهناك شفيق في الواحد والعشرين
من صرد يدعى محمود عبد خليل أسعد
أحد العرب من جميع قرية يالو مع أهله
ولكنهم مكادوا يمتدحون في القرية حيث
ناجهاها الإسرائيليون وأطلقوا عليها
الرماس فخرجوا الشباب في مسابرة
واتصوه من الحركة ، أما الأم فقد
أصوت في إحدى قديها واستطاعت
مواصلة السير ، وقل الشباب المسكين
في مكانه ملجأ من العودة إلى القرية
التي هدمت ، عاجزا من التقدم إلى قرية
أخرى كي يسمعه أحد . وأخيراً فاضت
روحها .

وتعين على هليمة حسن علي محمد
بعد أن انزها الإسرائيليون بأهله
بمنازلها فورا كي يدمروا ، أن فخرج مع
صغارها الأربعة الذين لا يتجاوز أعمارهم
الخمسة من عمره ، واستطاع
أكبر هؤلاء الاطفال أن يمشي على قدميه
إلى حيث أهله . أما في فقد حبيب
اثنين من أطفالها على كتفها ، واحتضنت
مستراهم وهي طفلة مسفيرة صبرها
سبعة شهور فقط . وبعثت المرأة طفلها
القتل تصرخ في المراء متشتلة الخطي
هربا من الأحوال والويلات .. ولكنهم
لم يثبت أن ثامت بصلبها فخلعت من
المسفيرة لتتوت حيث كانت .. وواصلت
القاتلة المتصمة سيرها إلى المسير
المجرور . ويترنل محمد عبدالمعز حسان
الذي استطاع أن يسمود إلى القرية
بمخلاص بعد ثلاثة أيام أن ساعد جث
أفراد هذه الأسرة الصغيرة في العراء .

المطبعة

الادب
والفن
خلق

❧ الدور النضالي لتوادي السينما

❧ يوسف شاهين وانطلاقة العصفور

❧ حركة الفن التشكيلي .. إلى أين ؟



يوسف شاهين



في هذا المسد :

- ☐ حركة الفن التشكيلي الى اين ؟
- ☐ يوسف شاهين .. وانطلاقة العصفور
- ☐ فسان كففتي .. في نكراه الأولى
- ☐ الدور التضالي لنوادي السينما
- ☐ غزاد كابل والتصوير المصري المعاصر
- ☐ المسيح يصطب في برودواي

■ حول المعرض الخامس للفنون التشكيلية ■

سيرة الفنان التشكيلي

الى أين ؟

عز الدين نجيب

في المعرض العام ، بهذه الكلية ، مبتدأ لكنها لو نظرنا الى الفكرة الاساسية من انشائه ، لما وجدنا في ذلك ابتداء ، او غراية . اذ انشأه أسساً لحديقة الفنون ، بعد ان اقرضت مسكاري الفنون من ان لجنة الفنون التشبيعية لوزارة الثقافة ، أصبحت مساهمة من ملاحقة نشاطهم المتبل في العديد من المعارض الخاصة والجماعية . وانها تبارس فيها بأسلوب بيروترابي او ثيما للاعراء الشخصية ... وفي المؤتمر العام الذي عقد سنة ١٩٦٨ بين الفنانين وبين وزير الثقافة والمسؤولين في الوزارة طرحت هذه الفكرة — من أعلى — لأول مرة : ان يتم كل عام معرض شامل يشارك فيه كل الفنانين بنادج من أعمالهم لا تزيد من ثلاثة قطع لكل منهم وفرصة له كل مئذنة الاكتفاء .

أماك جمهور الفن ان يشهد هذه المظاهرة الصلصة في هذا الوقت من كل عام ، بلوت ورأعها ما بين أرض المازهرية والجيزة ، حيث يتم أحداثا ، وبين قاعة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي على النيل أحيانا أخرى [كما حدث هذا العام] . وبلوت داخلها وسط أعمال مئات الفنانين الذين غالبا ما يتجاوزون ثلاثمائة فنان ، باتجاهاتهم شديدة التفرع والتباين ...

المشترى الوحيد للأعمال التشكيلية مرة تلبية كل عام ، ينظرها السواد الأعظم من الفنانين بفارغ الصبر ، ويت خلفهم طوابير الدالنين والزوجات ... ومن الطريف انه خلال السنوات الخمس التي انتم فيها المعرض حتى اليوم ، لم تتبع قطعة واحدة للفنان من مجموع الأعمال التي تبلغ الالفين ، فيما هذا الأعمال التي اشترتها الدولة ...

وقد يبدو الحديث عن البيع والبراء

ومع أساليب يوزنو وويليو الحارة — بعد انتهاء موسم المعارض — تدور أحداثها الوسط التي حوله ، وهي أحداث بطيرة خاصة عندما تصل الى مسألة الفنونيات ، وأشجار اللجنة المشكلة لاختيار الأعمال . وتثور لويحة من الخضب من قبل الفنانين على اللجنة ، وعلى أسلوب اختيار الأعمال وتديد اسماءها وترتفع صفحات التهديد برفق البيع ، لكن سرعما ما ينهت كل شيء بالنزوح الى البنك وصرف الشيكات ، في فالدولة غير النهائية هي

● مفهومان متعارضان

كان ذلك هي الحقيقة لبسيفاً غريباً
للشكلة يستكها دون أن يخالجها ،
وينظر إليها ككافرة جزئية محدودة .
وهي مشكلة الاحتياج الاقتصادي للفنان ،
دون ربط هذه المشكلة بالفلسفة الاشتراكية .
وهي احتياج الملتصق أساساً للفنان ودور
الفنان في المجتمع . والذي يجب أن
يترتب على تباينه بهذا الدور ، ألا يكون
يا يمشي له مساعدة على تسط مساعدات
الشخص الاقتصادية ، تشكل لها لجنة
تطوف بطريقاً متعرجة على محاربي الفنانين ،
أو يتسلم لها سراق حكام التوزيع
المنفقت ١٠٠ . وأما ينبغي أن يكون
يا يحصل عليه هذا خبروها قلنا على
تخطيط على ينظم الملائكة بين الفنان
والدولة ، ويحدد ماله وماله في
الخليل ١٠٠ . وعلى ذلك ، تسقط أساساً
فكرة أن الشكل الوحيد لكلمات الفنان ،
هو انتفاء حكمة من أعماله لتخزينها كل
عام في مفا . وأما مشكلة الكبرى ،
فهي إخراج أعماله من رطوبة الترام
ونظام المحارن والمخاير ، إلى حيث
تتصادمها الجماهير ، وتقرق بهم في
الحداثات السامية والمادين والمؤسسات
والتخلف . وعلى الدولة أن هي هذه
الحالة أن تجعل له السلطة أو - على
الأقل - أن تعاضله كما تعاضل المهندسين
الذي صمم البنية أو المبان .

على المستوى العملي الضيق ،
كانت لسكرة جميع مئات الفنانين في
معرض واحد يمثل كل منهم فيه صلاً أو
اندين لاقتناء أهدافاً ، فكرة محدودة ،
فإن ذلك من شأنه أن يخلق طائفة من
المتنبئين الذين يتوقعون طرفة العين
كل عام خمسيناً للمعرض . والوسط
الذي يكتل بهشرات الأسباب التي تنصب
إليه بمسكوك الأصفار الرسمية من
المعاد والكتابات الفنية في مسكوك
وبلوكات أو براكها الإدارية ، هي
الزمت الذي توقفت فيه من الاستعاج
المطوي بذ سنوات طوال ، والمعرض
العام هو الفرصة الذهبية التي تصاري
بينهم وبين الفنانين اعترضوا أنفسهم بوليا
لنفسهم تجسرب اسمهم لفسا مسسة
الاستمرار والتم . أن من أصعب الأمور
الحكم على تجربة فنان من خلال عمل أو

ملاين في مرلة مع مجل تجريبية متكار ،
تطوره ، ومن ناحية أخرى ، ما هي
المعايير الموضوعية لاختيار أعمال فننتها
الدولة - لتصبح ملكاً للشعب - من بين
مئات الأصيل والاسماء ١٠٠٠ . هي معايير
جماهيرية بحتة ، أم أن المخبوسين الإختصاص
يكتا فيها ، على اعتبار لها تفاني من
أجل الجماهير ؟ . . . وهل الأموال التي
توزع على الفنانين مكافأة حالية على قرار
مكافأة عيد الثورة في الماضي ، أم هي
جائزة تمنى لإكمال الأعمال المروضة
حتى ولو كانت عشرة ١٠٠٠ . وهل للشباب
امتياز خاص ، فيما ليسرخ الفنان ويعمر
اسمه - بشكل أو بآخر - على مدى
سنوات ، أم أن قيمة العمل تتحدد
بمكتباته الذاتية أيا كان اسم صاحبه
ذلماً أو بمهورة ١٠٠٠ .

في خفي : أن أيا من الجانبين التي
تصفت للانتفاء على مدى السنوات
الخمسين من حياة المعرض العام لم تتوصل
إلى وضع معايير واضحة حول هذه
المسائل . بل لملي السيف أنه ليس
يوسع لجنة مشكلة من أهلى - مهما
كانت خرجة نزاهتها - أن تملأ ذلك ،
خاصة إذا كان أصحابها من المعارضين
وسيل الاسماء التي سيتم الإختصار منها .
أننى تصور ، أن وضع هذه المعايير
يجب أن يكون من مهمة طرفين أساسيين :

الأول : هم ممثلون حقيقيون للجوع
الفنانيين التشكيليين المتوجهين ، يتم
انتخابهم من خلال مؤتمر عام ، نظراً
لانتشارهم المجلد إلى وجود نقابية أو
اتحاد عام يهتمهم . **والثاني هم**
ممثلون لرجال الفكر الذين يمثلون
همة وشرح أسس البنية الفكرية
والخيارى ، ويؤمنون الجسور لإيجال
المستقبل .

ومعاً عليهم ، أن تكون من اللبنانيين
وقدوا منذ البداية بمعارضين لسكرة
المعرض العام بتمويلها الخيري ، ومهروا
من وجهة نظرهم في المؤتمر العام
للفنانين التشكيليين سنة ١٩٦٨ ، لكن
لصاوتهم ذهبت أمواج الريح . وأتم
المعرض الأول مسسة ١٩٦٩ بالجزيرة
واشترك فيه ٢٥٠ فناناً من سى كرنال
مخالف الألوان ، كان يصغرهم الفنانون

الترسيويون من الأكاديميين والشككة
المعاد والكتابات الفنية (وقد صاروا
بالبيع أعلى الأصيل من لجنة الانتقاء)
إلى جانب غناتى صورة الجورال
والسلوات ، ومطرحى أسطبات السباح
وببلاغات الفن من مقلدى المدارس الفنية
التوزيع بلا موهبة أو أصالة . ووضع
فى التسلل - إلى جالبيه كل هؤلاء -
لرسمان شهداء للحركة الفنية من
احترقوا بانراها ، وماتوا بلا طويل ،
ياث عهد الهادى الجزار وكما خليفة
ورميسس يونان . وقد قرر الكثير من
الفنانين الجادين ممن مرفسوا على ذلك
المرض عدم مسادة الجدية ، والتم
الطويلون منهم بهذا القرار إلى المعارض
اللاحقة ، وعوض الآخرون من ذلك
إصلاصاً اقتصادياً ، بل تلقى بهم حتى
أولئك الذين رفضوا الفكرة بذ أول عامر
لكن منذ العام الماضي وهذا العام ،
كانت مواقف الحاشية للمعرض من كثر
من الفنانين الذين لا ينفون بهم ، ساء
شامله انقلص يستواء من السنوات
الماضية ، وحتى بالنسبة للمرابضة
المقصدة للانتقاء ، بدلاً من أن ترتفع
من الطفرة الألا جنبه المخذلة - كما
وعد المسئولون - انقلصت هذا العام
إلى لومة الألا جنبه . أما الشرة الوحيد
الذي كان يربط على من الاموم ، على
اكام الأصيل الفنية المختارة في سفن
الوزارة ، تلك الخاينات التي أصبحت
تأصب سفان هيئة النقل العام ١٠٠ .

المعرض العام الخامس

وعلى الرغم من كل شيء ، دعونا لنرى
نظرة على المعرض العام الخامس . . .
معرض إلى المعرض ١٠٠٠ عمل فنى لاثنين
من ٢٠٠ فنان ، مابين تصوير ، ونحت ،
وحتى ، وبرامجة على التسيج ، وثقون
تطويقية والصياغ أخرى من الصعب
تسبيتها ، فكشبت جميعاً في قاعات
البنية المسماة للإبداع الاستراتيجى ،
بصورة تصيب النظرة الأولى بالفرار
- رغم الجود الواضح الذي يذله ادارى
المعارض بالفنانون الجويطة لتتسوق
المعرض - نظراً لضيق المكان بالنسبة
لعدد الأصيل المعروضة . وقد استمر
انتهايه بعد الجولة الأولى بملاحظات

﴿ **التياب** اسماء عسك من القسارين الجانين المأثورين في المثل القتي ، حتى من امتصاهاوا العرض خلال الدورات الحسية ، مثل الصوريين : سيفي وأتلي وزايب عباد وحامد عويس وتحيه حليم واتبي اقاطلون وممدوح همار وهامد ندا (ولله كان اسبق هؤلاء الى مغلبة المرض في أغلب الدورات الماضية) . كذلك اخذت مجموعة الفنانين المسلمين من مبدعي كلية الفنون الجميلة وغيرهم من الفنانين ذوي الوجود النشيط في الحركة الفنية مثل : مسعيد العدوي ومصطفى عبد المحطى واحمد عزمي وعادل المصري ومجدي قناري ومحمد مسالم ومسعيد حداد وغيرهم ... وقد اعلموا أنهم اتخذوا موقفاً مشتركاً بملفظة المرض هذا العلم . كما خلبت أسماء أهم الفنانين المعاصرين : جمال السجيني ومحمد موسى ومحمد جريس ومصالح عبد البكر ومحمد هنين وعبد البديع عبد الصي ...

● في الوقت الذي عرفت فيه صوريان « بورتيه » هزيلتان للروح الصور أحمد صبري ، وطبيعة صالحة عادية صغيرة الحجم للروح جمال خليفة لم يجد ميلا واحدا للفنانين المتطامن الراغبين عبد الهادي الجزار ورمسيس بولان وبوسيف كابل ، مما يثير التساؤل : على أي أساس خُفِرَ اسمُ الرواد والرائعين ؟

● في مقابل هذا الغياب لكل هذه الاسماء ، كان هناك مشرقات من الاسماء الجديدة بعض اسماءها ما يزالون طلبة في المعاهد والكليات التنبه بهمهم في اول مرة في حياتهم ، ويضعفهم حسوة يلتصمون اولى خطواتهم على طريق التشكيل ، واليمين

الثالث من الاسماء المساعدة لفرحين جدد من كليات ومعاهد الفن . ويقترب ما هي ظاهرة طيبة بوجهة ان يقدح هج النصا للدفاع الفني الى الاجراس الجديدة التي ستواصل حمل الشعلة بعد الاجيال السابقة والحالية ، ويقترب ما هو جميل ان تشد اليها يد الفنانين على امرس العلم لتحفظها وتبثها في هذه السس المبكرة ، الا ان الظاهرة لالاس اتت الى نتيجة مكسبة ، فان معظم اعمال هؤلاء التشكيل دون مستوى العرض حيث يتطور مجازهم بمد . وقد ساعدت على عبور المستوى العام للمعرض ، وخلصت جوا من التشبث والمصنوع الاجوف ، سماعت في تسليم كثير من الاسوات العادة والمحاولات الاصيلة

فَنَ الْفِيْوِيَّةِ وَالزِّيْنَةِ

اما الاتجاهات التي سادت العرض ، فهي في أغلبها حروبية في أنواع شتى من الفنون ، منها غيبوبة التشكيل والخزاف والترائية ، بتسليط الخط العصري ، والوحشادات الخزرفية الاسلانية ، وتقليدها بقرصومات مجردة مغسولة من اطمارا الطبيعي والفلسفة التي اوجدتها ، حتى ليبدو الجناح الذي قسم انتاج هذا الاتجاه كمعرض لخرسا تحسين الخطوط : (عمر التجديويوسيد سيدة وزويو عبد الجليل وكمال السراج واحمد فؤاد سليم واقفي جودة وصافي رافع ... وغيرهم) . او في قيسوة التميز في مويجات تشبيه او فرعونية او قبطية ومحاكلتها دون استلهام روحها الدينية : (سيد عبد الرسول ومصطفى الرزاز وكمال يكتور وسعد كامل وغرفلي عند الحقيقة .. وغيرهم) ... او تليف

تركيات جديرة عندية مثل لكيس والاسطوانات من خلقت رديئة ليس لها صلة البناء مثل الصليح ، مع ثوبتها بالوان اعلاية صاخبة وابهمس الناس والفتريين ان ذلك اسلهم من اليهبة الشمية ، لجره وجود تشابه بين شكل الاسطوانات المرسومة « الكيزان الصليح » : (د . مزي مصطفى) ... او غيبوبة البحت الذهني في علاقات تجريدية بحدّة تكاد تفلو من أي شحنة حديرية : (مصطفى الاناثولي وحسين الجبالي وعوني هيسكل ونيل العسني ونعمية البشير ومهي الجوي ومحمد ابراهيم ... وغيرهم) .

ولو بهتينا عن وظيفة الانتاج هذه الاتجاهات البربرية من الواقع وس بتسوية الفنان تجاه مجتمعه وعصره وتأثيره فيه بشكل او بآخر ، لما وجدنا له الا وظيفة الزينة ، ان الراد يشال مندهشا : في أي فرتة يمشي هؤلاء الفنانون ... ؟ الم يسأل ادهم نفسه يوما : لماذا وان يبتج ؟ .. ان الجماهير العربية بالطبع لاملالة با كل هذا ، رغم زعم هؤلاء الفنانين بانهم يستلهمون رموزها وقراتها . اتقول ذلك دون ان اخرج الزينة ايضا من حساى اننى لست ضد فن الزينة لكن ، عندما يكون جزء من لرش الوطن محتلا ، وغالبية الشعب تعاني من الاجة والافتقار وكل يشال العالم الثالث ، فان الاسترقاق في فن الزينة ، وفي كاتة الاشكال البربرية لا يعمي الا شيئا واحدا : هو الاشتراك في جريمة تخدير الجماهير ، شأنه شأن

اغنى الملاهي الليلية وتزيمزيم البؤلا والالام الوبائية الجلودامية التي خنرو بمر منذ سنوات ... اتنا لتجامل ان الخليل اللحة للجماهير — حتى الطبيعة الغرسة بئنا — ماتزال بعيدة شبا من الفن ، وانها لؤذا ان تسمى اليها بتسبها ايدا واتنا قدر الفنان — طالما وجد في مالهيفتلف سحران يسريمتساليها ، وان يحسنى ذلك بكون ان يقوى في وانها ، حتى يلحه صعد اليها وماتلتها ويسلمه ثوبها المحصور الى التخريب والتخوير ، ويقد نفسه جزاء من بمسيرها نحو هذا التغيير .. في تلك الحالة سوي يستشعر نمس الضلاله الزاقل .. وعندئذ يفر ملو يقد نفسه بغير دون ان تفتله اربة الشكل ، وسوي يقد اي التوصل قد تم ببساطة بينه وبين جامعه الفنونية ، التي قدحها فلتاها بتضيق موقته الفكرى ... لبا اذا لم يترك كل ذلك واسلهم في انتاجه البربري لسوف يزداد كل يوم حولة وانصلا ..

على ضفاف الواقعية

واذا كانت قد سادت المعرض اتجاهات الفن البربري الذي يوصل الى الفنونية او الزينة ، فله لم يقل من اتجاهات اكثر مغرورية ، اتجاهات جملت من الاتمان بملفظها الاساسي شكلا وسفوتا وقد فحوم احيانا حرج ضلال الواقعية ، وس زوايا متعددة ، وبأساليب مختلفة

● فنية من يرى الواقع من زاوية نقدية تصل الى حد التبرية مثل جورج البهجوري وغالب خاطر ...

— يصنعنا البهجوري في لوحته « الانوبيس » بشبه طالبا الفناء ، واعترضنا فيه ، حيث يبالغ الصراع من اجل مكان الى الانوبيس سار حتى على منصفه بركة غير انسانية . لقد قدم البهجوري ذرة الواسية وقد تكتمت عليها كتلة خربة او وحشية يتصارع كل فيها لتشتيت السليسة . لا تخفى عنا الدلالة الراحية للوحة ، لا الانوبيس يمكن ان يكون رمزاً اقتر منه شجيداً والعقا

وفي لوحة غالب خاطر ذات الملوان التبريق وهو « منها با شت ا » يتم لنا عالما طالما متوناه منه في الحاضر الجيرة ، والذي يمكن تشبيهه « لوحة الصلصة » .. انه يعظم في لوحته بجزء من الصير ، تنظر بشارفة الى اتار اقدام اكبة ، وتهاشم فيها بينما يشكك تأدري او تهمي .. ولا اوه ان اسرول في وضع تفسيرات ابيه لذلك «تجالاته التبيعية التي قد تفتظه من بشادة الى آخر .. وليس الذي تعبير

ميكانيكا بالرمز من فكرة ما لا تكتفى
اعتقد ، ان الأسلوب الذي يتخذ به خاطر
هذه الأعمال قد استلكت حتى بالتعبية له
وأصبح نمطيا ، وعليه ان يسارع الى
تطوير أدوات وخاصة اللون - حتى لا
يجد نفسه في طريق ممدود .

● وثمة من يرى الواقع رؤية شبيهة
إبهائية ، حيث يبيع الإنسان في علاقة
بشيء ما يتم معه الحوار أو التواصل ،
ومن ثم يجعل المشاهد يشارك في خلق
اللوحة بأكثر ذلك الحوار ، أو يفهمه
أمام لحظة قد تكون هي الحد الفاصل بين
الواقع والعلم ..

— في لوحة حسن سليمان « امرأة
وليلة » ترى المرأة الجلوسية في يلي
ثيرة بكنى الضوء الباهر المتدفق من قلب
خلعها وألمعها ، تجلس طيبة
في وضع استعداد وترتج ويهيم على
اللوحة ذلك الحسوس المتوسس ،
والهيس الخرافي الذي توحى به اللغة
السوداء إلى الأساطير الشعبية ، لقد
تأكدت من هذا العمل لحسن سليمان من
جديده استقلاليته في التمسك المبررى
للوحة ، واستخدامه الشاملى للأسود
والبيضاء .

— وفي لوحة أحمد مرسى « تكوين »
نرى المرأة العذرية الثابتة ونومها —
في جو شبيه بالعلم أو الكهوسى سرى
محبوبة فائقة تحترق شكلا أقرب إلى
سحب النور ، ولعلنا نقرنا بلوحة
هنري روسو — المرأة الثابتة والاسد
إلا ان استخدام الشكل الدائرى
النسجى في مفايل الشكل المستطيل
لنفس المرأة الثابتة أصبح استخداما
نمطيا أبعد اللوحة الدفعية التي كتبت
خلقة بأن يجعلها هنا ، ولكنها مع ذلك
احتفظت بروح الشعر .

● أما صبرى منصور ، فتشد خلق
عالمها تحتل له رموز خاصة فوسمه
موازيا لعالى الواقع وليس انكسارها
ولكن في ثلاثيته « المرأة والطائر
والهلال » .. من خلال علاقة ديناميكية
بين تلك العناصر الثلاثة على خلفية من
لون يهزوي شديد السماء كأماسق بحر
أو سماء لاوردية .

— وفي لوحة مصطفى أحمد
« تحية إلى أم » يلتم لنا رؤية جديدة
نوما بالنسبة لوجهاته القديمة ، فبعد أن
كانت أشكاله أقرب إلى جزوع الأشجار
أو كل المصور يوظفها لنخبة علاقات
شبه تجريدية ، نجد في هذه اللوحة
يصور — بشاعرية — مجسومة من
النسوة المتشاكات بالبياس ، كطيف
أو أبعاد فرعونيات ، وأحاديث

تحتل لتلجى الحب إلى مجسومة من
الصام الإبهى — ان هذه اللوحة غنية
رقيقة ، لا يصيب غير الجدل المبالغ فيه
أننى اليسار لجسم المرأة الوسطى ،
سما يصيب للوحة بالخلل ، وكذلك
السطيل غير التامسح للثنيات سلايس
النسوة وسطح الخلفية .

— وفي لوحة سمير نسانرس
« انسان أمريكا اليسر » تجاوز لواقع
سجود ، إلى واقع شسائل يصطب
الإنسان فيه كل يوم وفي كل مكان ،
دائما حياته أو فيه من أجل فكرة ،
ورغم تجسدية الموشغوش وشسجوش
التكوين ، لقد انتفت اللوحة الوائسا
الدرامية المكتوبة التي تظلى بداخلها
سرخلت سولة من الألم والاحتجاج .

— وفي لوحة مسعد عيبد الوهاب
« مازينة المتولين » تصاعد موسيقى
اللون الرمادي في هارمونية خلية لتكون
الفتنة حب حزينة ، لقد بدأت تصعد
لسمد « بالقة » لون مسئلة ، إلا أن
نسطة وشع الفتنة في المسطح يجعلها
أقرب إلى الأعمال الأكاديمية .

— ويلهم علي دمسوقى في لوحته
« مرابك في الليل » كثرة شبيهة في
جو هلم يفكرنا بلوحات « ترز »
لكن على نسوقى قد أصبح الجو العلم
جو هلم يفكرنا بلوحات « ترز »
في لوحته — وعظم لوحته الأخيرة —
على حساب الأشكال ، على الوقت الذي
تأكدت مسطرته على اللون وطووسه
للموع منه تلك الشفافية الربعة ،
تجسدت فدوات على تحليل الأشكال
والمشفحات ، ولعله يلجأ إلى الهروب
من ذلك بانفراق لوحاته في الضباب ..
وفي رأيى أنه كان أكثر مددا مع نفسه
وواقعته في مرحلته السليقة التي صور
فيها ملاحح البنية الشعبية .

● وهناك من أقبلوا هائم التشكلى
من عناصر واقعية ، لكنهم لا يلتزمون
بحرية الواقع أو منظوره ، بل كل
همم أن يسيروا بناء تركيبا مقترعا يفرض
أحداث توافق جالى أو حالة درامية .
— هذا ما نراه في العالم الذي دمجت
جالبية سري في لوحته « بيت الصمت »
حيث امتزجت على سطح اللوحة ملاحح
من متزاوما وإوابها ونوافذها التقلبية
في الأبعاد الشعبية ، مع هيون ووجوه
متداخلة ، في جو مله بالنسجوش
والترمس .

● وتؤكد جالبية بهذه اللوحة من جديد
مقدرتها على خلق دراما صهيبة للسلة
بالواقع مسعدة على عناصر شديدة المحلية
لكن في نسج خلقى ولونى متشسبك
يتربن من الجديد يتجاوز بها الصمود
الحلية ، سما يتكرنا بلحمها الرائعة
« الليل » .

— نفس العالم نجد « بصورة أخرى
في لوحة محمد حسنين علي « اللحن
الحزين » .. سمد حزنه ذات البيوت
المتداعية والوجود القديس التي حولها
الزمن إلى شخصيات سفيرة أوشغيشة ،
إنجى إلى أشكال أقرب إلى المكتبات .
وكان يبدو أنه يفسح إحدى رجليه في
الحارة الأخرى في لوحات بيكنوس وبراك
الكثيكية ، وقد حسم الصراع مع القام
اللوحة بالاحتجاز إلى المكتب مع القام
الشخص واستبداله سعلل هندسى عو
الدائرة والاربع ، وأصبحت البطولة للون
الرمادي الغائم ، والزواج في جملة
ليلة تبتلة على ماله الميم .

● وهناك العديد من الأعمال لثنائين
آخرين تخلوا خطوات جادة على أن تلك
الإنجازات بتقنيات وأساليب
متبصرة .. نذكر منهم : زكريا الزينى
ومريم ميسد الطعيم وجبال مجمود وعبد
الوهاب مرسى وسيد توفيل وجابرجهازى
ومحمود أبو الجعد وعلى غرام ولطفى
مسعد على ومحمد القبلى وأحمد مصطفى
ومسعد عبد الله ومحمود إبراهيم وأحمد
الشيخ ومصطفى الفتى وأحمد جباب .

جيل بلا إنسانة

● وعمل التشكيليين من تلك الأسماء
من أجل السيتنك ، وعشرات الأعمال
الأخرى التي طالعنا بالمرضى لجيسل
بدأت تتجلى على أوائل السيتنك ،
تكمس الحركات المحبوبة للظهور على
سخرج من الألة التي تدبر بها الحركة
الننية في مصر ، بالتمس في شخصية
متبصرة من كل ما دمته تلك الحركة في
صف الأفق الملقى من الإنجازات ،
نكتهم ، كثيرا ما يطمون أسرى لومات
المفارس الغربية ، نتيجة لوحدهم البارزة
في البحث من خلاص ، بلا شغل دين
لهم بدايات الطريق ، لقد سفلت التوامد

والهم الأكاديمية التي كتبت في رسوم
من الأيام ثابة ، ومجوت أكاديميات
التنوع من أن تشبع تعلمهم إلى خلق
تيم جالبية جديدة توابك بين ترتيب
الشخصى وبين التغيرات الجوفى التي
بأهلها العصر .. بل ان معظم الأساندة
بنك الأكاديميات صاروا يطلون عتبة
نمطية أمام فتح وانطلق طاقات شابة
تعول إلى الجديد ، وذلك بسبب منهم
أو تهمر من الراسل الأكاديمية الأولى
.. حتى من كل منهم ذور فور ريلتى
في التجريب والبث في وقت من الأوقات
بأن خرج من التنامة — بما أنجز —
ولم يعد يقابل على الإجابة على الأسئلة
الشخصية إلا الجيدة الجديدة والمنكسمة
لا تنافس هذا العصر ، على أن هذا
لا ينل وجود عدد محدود من الأساندة
الذين تركوا بصماتهم في الحركة الفنية
وعلى الأجيال الشابة من الثنائين ، ولم

تذهب لديهم منابع الإبداع ، تكلم رغم خشية دجارتهم مازالوا ثابتين هم أيضا بهذا من طريق للخلاص ، وكثيرا ما يذهبون إلى مسالك مسجودة أو يتوقفون صابئين ليعرض الوقت — ومن هؤلاء الفنانين : سيف وانلى وهادي ندا وصلاح طاهر وجمال السبيعي وحسن سليمان وصلاح عبد الكريم .

نعل هذا بغیر عدم استثمار تجربة اقدمهم فی تجارب نغلی الاجيال اللاحقة رغم ثانی التكوين منهم بهذا الفنان 'و' ذاك ثمرة من الوقت .

حتى الفنانين الكبار من قبل الرواد : يخافون ومحمود سميد ونجاشي وغيرهم ، ديدت عنهم الى حد ما — فی نظر هذا الجيل من نغلی السبيلات والسبعينات — حالات القداسة — مع ازدياد تضخم وضور وعویم . لقد ادركوا ان هؤلاء الرواد — رغم جسد اقدمهم فی ارباب ابناء جديدة لكن المصير — ليسوا الا ثلاثة تصار الغلبة الى جانب اسلافهم العظام من الاجداد مبدعي الحضارة الفنية القرمونية على وجه الخصوص ، تلك التي نلوا منها بكل الاغلاص والحب لتكتم لم ينجحوا نجاشي فی ان يصفوا الجسور بينها وبين الحضارة الممارسة والواقع الخشبي وما يفرسه من رؤى جديدة ، كما لم يستطيعوا ان يتطلوا الابتكارات الحديثة التي اجتاحت العالم من بعد ، رغم احصائهم الجائر بها .. فان نجحوا فی ان يقيموا اصلا قومية ناضجة بترفة هنا وهناك ، الا انهم لم يستطيعوا ان يظهروا بناء راسخا لفرسة قومية ، او يعبروا طريقا واضحا صير عليه الاجيال اللاحقة . وهكذا أصبح

مكثم الثلاث هو التكتل لا وصاروا على مدى المرحلة الشافة مجرد علامات غالية على الطريق .

وعد تكون فی تلك الفترة بعض الفعلاء نك حتى تلك المفعلاء ، تكسر بسدا آخر فی ازمة الاجيال الشافة من الفنانين ، وهو غياب النقد الفني . فالحركة التسه تنتقل الى وجود تلك المؤهين يتكون من الثلاثة والحس المرص وميض البصيرة . ما يؤهلهم لتحليل المراحل التثنية المتعاقبة ووضعا فی مكانها الصحيح ، واكتشاف حلقات الاتصال بين الاجيال المتواترة لتلبس بلباح شخصية قومية متميزة من خلالها . وترشيدا للمواهب الشافة التي تطرد واستتار . وفوق كل هذا : خلق وسط الاتصال بين مجمل الحركة الفنية وبين الجماهير ، وتزريب الفنون اليها بخلق لغة للتواصل معها . ويجسدر بی ان قوة هذا الدور الهام الذي قام به الاساذ بنو القين ابو غازي فی هذا المجال ، لكن ماذا كان يوصمه ان يفعل وهذه تلبا وسط مسئولياته الاخرى المتعددة ؟

.. كل ذلك جعل التسبة القوي من الفنانين الجدد — من جيل السبعينات والسبعينات — فی غربة حقيقية ، وعري من أي فضاء . وهذا ما دفع الكثيرين منهم الى مغامرات غير مأمونة ، فی مجال الشكل ، فكتوين تقرأ جسدنا بالهياشات الوالدة ، او الاستفراق الميكانيكي فی تقليد اشكال لتطعية من التراك ، او الدخول فی هيوية للتزعات الميكانيكية ، الاسيلة بنيا والرائلة .. وهناك نسبة ضلعت السميت المظروكت

من الانتاج ، او استمرت تيه بشكل سري ورفضت تكلمه فی المعارض استغلاء او احتجاجا او ناسا .

لكن رغم كل شيء ، نذل الجسيرة المتدفقة فی شروق هذا الجيل واخلاصه الشديد لسميته وجيته فی البحث عن شخصية مستقلة للفن المصري ، نذل كل ذلك هو الصلابة من له الاعباط والسطوح . ومع نمو وعية الفكرى سوف يحدد له موقفه واضع فی الفن والمجتمع وسوف يترك الحاجة الملحة الى تجديد بهرك وجدان هذه الامة ويشارك فی بحثها . فی افكاه روح المساومة ، والاحتجاج ، والتزوع الذي لا يخبو فی الحرية ، الى استكشاف المجهول وابلاكه ، الى الحب والتحرر ، الى تجاوز السند والموت .

وفيقی فی النهاية كلمة بنينى ان نكل من المعرض المصام : رغم كل ما لكرناه عنه — فكرة وطبقت — نل ان التفل فی تقديم العديد من ابناء هذا الجيل ونفع الافان لاسهم . اما اعظم حسناته حتى انه لا يبر دالما هذا الحوان المبر حول تضلنا الفن ، ويخلق منطقة جذب قوية لطعامات كبيرة من الجماهير التي التشكيلي يهونه .. انه باخضار يعمل فی كل مرة على تجسيد الدورة المتدوية فی جسد الحركة الفنية .. فالذا كتد قد فسوت عليه لما ذاك الا بادع الحرص على بلورة فكره من سطلق جديد وتعديد مسار واضع ويخردوس من جعل على اراء الحركة التشكيلية ، وعلى ان يكون جسد راسخا بنينا وبين الجماهير

يوسف شاهين

وانطلاقة



للكاتب التونسي

الطاهر الشريعة

التحية المقتنفة من مجرى التاريخ في
بلادها اعلانها «الهيبة المتصالية»
بطلقات اشعب التي تتعاطف معها
نظريا ولا تكاد تعرفها سوى من خلال
تلك المفاهيم ... هذا الموضوع الذي
كان يحور بيلم شاهين السابق «الاختيار» [
وتكذلك مواضيع المرأة والأخلاق وموضوع
«الريف» وأعمال «العاصية» لمسيره
ولغير ذلك ..

ان حبة هذا الليلام التي تنوق لي نظري
تربة كل فيلم مصري منذ ثلاثين عاما
ا يستثناء فيلم «الضفوف» لخورشيد
سحق .. لكن من ناحية جلاء الرؤية
السياسية لقطا [لقيمة بارزة من حدة
نواح :

١ - هي بارزة اولاً في مثاليته الدراس
حيث اتفق الشكل والمضمون اتفاقاً معكياً
فيحيا م صحيح ان المشاهد قد يشمر

« ميا كان البحر هاني
« فلاحينك ملاحينك يزعموا الزبح
يواني
« التي ع النفس صخاني واللي
ع الجذاف زواني
« واللي فوق الصلبي كاشف كل
ياضي وكل آت
« مصر يا ايا يا بهية »

ذلك هو «موضوع» فيلم «العصفور»
او ذلك ميا الخطان الرئيسيان لما يجري
على الشاشة ... بينما تدور مواضع
أخرى شتى في شعاب مرعبة مكنت
يوسف شاهين هذه المرة من التور في
أعماق شمسبه ومن تصوير طليقانه
الاجتماعية والفكرية تصويراً صحيحاً
وفيها كما لم يسبق له ذلك (ولا
لغيره من السينمائيين المصريين)

ومن أهم تلك المواقف « موقفه »

« مصر يا ايا يا بهية
« ياأم طرحة وجلاية
« الزمان شنب وانت شابة
« هو رايح وانت جاية
« جاية فوق الصلبي مكتبة
« مات عليك ليل ومائة
« واحتالك هو هو وابنتانك هي هي
« تنحكي للصبح يسبح بعد ليلة
ومغربية
« تطلع الشمس تلاتيني
« يااي بهية وصيبة .. يا بهية ...
« رفاق مسيرة مسيرة
« وصورة حشيد ...
« ومواكب في ميون صبية بهية
« عليها الكتبة والمضى ا
« مصر يا ايا يا بهية



● المصور .. وما بعد الحوان ●

ويستقبل ابنه الجندي الذي أصبح
بالطريق إلى البيت الثاني »

بجمل الشريف المتور الذي انكسر
لحزى المنيعة لفرط أسفائه ولاه سهو
لا يفرقه الجين ولا الضيافة ولا تصورها
من تافهيه وجهة نظر مسجدا
المواطن البسيط - أيا كان - هي تلك
التي سار عليها الفيلم ضياء ، ولم يحد من
عدها من أوله إلى نهايته : .. المواطن
البسيط يتطلع لحرمة الحقيقة من فوق
... حننه يوجهه إلى السمن من
تحت إلى فوق ... فأبو خضر عنده
ليس سوى لسان طقة في السلسلة
بماد هو العنبر القريب منه حالا
وكنا ... وأيا العنبر واشترائيل
والجبهة والتقال والألم القصد وفيه
ذلك ... فهي شجون « الوطن » ومسال
« السبابة » والوطن والسيدة لوسا
« الرئيس » هناك في « النوق »
لأى هو ... ابن الشعب البسيط في
قريته أو في جبهه ... قلح من ذلك
صدى الخبايا وتضاريف الظنوه ولانبات
الشوارع المرعدة للشميرات تنغم به
هو « كل شي » « حامي الوطن ومعتز
الوحي والقوة لتلكه وكثابة الشجارات
من جدهم واجتهادهم ... » ولذلك ففان

حرب يونيو ٦٧ في مصر كلها حاصصة
وربما ٢٢

أنا لم أكن مشاهد المصير ولم
أرقت لمحات مرورها على الشاشة
ولكن على بين أينا لا تتجاوز عشر
بلاط متفرقة في ٦ لكرات
من الفيلم في لحظات خاطئة جدا : ١ حامدا
الأولى ... أي تلمسارات الجنيد
والمنصات وهي تفكر الشارة إلى
الجهة [ومع ذلك لقد رأيت التماس
خمس مرات في آمل من مدة تصوير
وما رأيت فيه - أو منه - إلا شيئا
ولندا : مصر وهرب يونيو ٦٧

٢ - وقبة « المصور » لتبرأ تلك
في وجهة النظر التي التزمها المخرج
وتنجح في الكيات عليها وهي وجهة نظر
ابن الشعب .. الذي يخاطبه الفيلم
ويقصده بالأذات : أي المواطن البسيط
في الرقب وفي العنسة على السواء :
... أو الفسوجي المسالحي الذي
يسارع إلى توزيع مشروبات التمر لآن
« الخبايا قاتل أنسا المنصرم »

أولا يمشي العائد [١٣ لم يكن سوى
مصريا] وقد تحفظ عليه شمسب
أحداث الفيلم في بيع السماعة الأولى
منه ... ولكن ماذا كان فرض المخرج
- وزجله لطفي الخولي ؟ يقول شاهين
نفسه ما يلي : « عندما أمر بشراخ في
القاهرة أو الجزائر أو تونس أو بغداد
كلها ما يستوفى الشبان ويسالونني
« ما الذي حدث في يونيو ١٩٦٧ ؟ من
أين جاءت الزيمية ؟ لماذا ؟ ألم تكن
جميعا مستعدين للقتال ؟ » وأن هؤلاء
الشبان والشباب الذين لم يترددوا لحظة
عمر يوم ٩ يونيو ليتأزوا للشوارع
القاهرة صابرين معلنين حزمهم على
مواجهة العدو أول في جبهتهم بيوتهم
هم ذاتهم الذين اتخسب منهم اتفاههم
وجول حزمهم من اتجاه تحويلا بشما
والحرصت حزمهم الطبية القوية ...
فمن أين أتى ريد اليوم بهذا الفيلم أن
ترد لأولئك المسالحي شيئا من كرامتهم
ولذلك بجولة بعض جوانب القضية
الكبرى التي كانوا مشاهيها الإرياء »
ومدام الغرض من الفيلم هو ذلك نأى
بما درأى يكن تصويره كان أصح
وأولى بالفرس ما توأه شهابين
ولطفي الخولي في « المصور » أي تتبع
قضية بلى ... [من بين ألف قضية
معلقة] كقضية أبي خضر وحلحل
مركبنا وكشف أطرائنا ونفج أسبنا
وغاينا وأن يكون ذلك على « خلفية »
سوابية وعسكرية خطيرة هي .. الحرب
والعرب المصرية ذاتها ؟ ليست تلك
القضية - ولخبايا - هي سبب تلك
الزيمية التكره ... بل سببها الأول
والأخير ؟ أو ليست ما قتل مقسه
« قضية أبي خضر » كقضايا واجتماعي
وسببها أروع بيان وأهل بيان لأسب
خزية كخزية مصر في يونيو ١٩٦٧ ؟
... ليس لهذا التوفيق الجليل الذي
يمر هذه المرة لوسب شهابين في
بناء فيلم « المصور » يرجع الفضل
في أن المشاهد - [أي شمسب

مصري أو عربي أو أجنبي ... وقد
ثبتت تلك وتكثرت منه خلال خمسة
عروش للفيلم حشرتها حتى الآن ومنها
لثانة مروض موميعة في « كان » وفي
« باريس » - [أن المشاهد يتسابق
ما يشبه قصة بوليتية (بحث مصغى
من لوسب من نوع خاص وطبيرة
شرطة لمجرم لثارة أبدا) مدة مسدة
وتصف ويخرج مقلتا حتى الاختناق
ياشومر إنك لم يمس مسوى فيلم من

« انتظر » تلك المواقف حرب المسير مع العدو الصهيوني « واستخدم لها » هذا الجندي ابنه وتلك الطائرة سلاحه . وهذا المذابح صوته ! - وانتصر على ذلك العدو انتصارات باهرة بن أول لقاء ... ثم انهزم وتطهت قواء فجأة ودلعة واحدة ... صلبا كما انتصر بالشمس اللاتب : بالسيبوع ! دون ان يشهد أو يشارك شيئا ... وألم قضية كعده [كعده الهزيمة بتولاهم الكوكل من مولاهم !] إبن الشعب لا يتطلع إلى الحقيقة من فوق فقط فالتبين يمسح إلى أميائه ان الحقيقة الشئمة هذه فوق وليست سوى فوق ذلك هو حين يمسح « صوته » [حياضه الإبن] ومن أنه « تلحن من كل مسئولية » وعاد إلى الصليقودم بواجبه كموالين بسيط « فهو بنجر رقيقا ويصرخ » لا ! » ...

٢ - ونورد قبة « المصور » أيضا في كون هذا « الاختيار » الفني من قبل يوسف شاهين [توحى وجهة نظر ابن الشعب البسيط ليحول لنا ماذا جرى في يونيو ٦٧ وأى هزيمة كانت هذه الهزيمة ، يمثل خطوة حاسمة في مسيرة هذا المخرج المصري منذ نيلسه الأول] « إبن الليل » سنة [١٩٥١] ومنذ فيلم « الأرض » [١٩٧٠] يتشكل أخص « لشمس » أعتقد أن لمسلم « المصور » خطوة حاسمة وللملحة لحظة التحول الجذرية التي تتجلى بها

غواض السبيل والتي تجلى للفنسين نهائيا منحنى الصواب في اجتواده الطويل وتوضيح له [بشكل لا رجوع معه لاي خطأ] جهة المواجهة والتأثير على الإبداع . بيمارة أخرى أعتقد ان شاهين بعد انتهائه من تركيب « المصور » وبعد شمسافته مع المشاهدين قد عرف الآن - والان فقط - من هو يوسف شاهين وماذا يريد وماذا عليه ان يفعل بممارسة هذا الفن السينمائي ، أعتقد أنه عرف ذلك ككلام بكن حرفه قط [حتى ولا في « الأرض »] وأنه ان يستطيع بعد « المصور » أن يصنع أفلاما من نوع « ألت حبيب » (١٩٥٧) أو « حب إلى الأبد » (١٩٥٩) ، نعم ١٩٥٩ أي بعد « جميلة الجزائرية » و« باب الصنودة » و« صراع في الوادي » أو « فيون يدك » [١٩٦٠] أو « رجل في حياتي » [١٩٦١] أنه لم يمتنع عن اعتراف مثل تلك الأفلام تعط إلى سوف يمتنع عنه صنع أفلام سير بلتزية بعد اليوم ! ماذا أمني بنير بلتزية « أمني شيئا بسيطا وإن كان خطيرا أمني غير ملتزمة في ضوء طهيب يوسف شاهين الذي اكتمل وتجلي له في « المصور » وبمحاته أطلق « المصور » ؟ أمني أفلاما ... يستمها ويصبح منها يده أو ينظف منها خاطره ، وكأنها لم تكن شيئا منه ولا عليه .. لينظر إليها وهو حسبه غير المكثرت مداومت في حقه

« لا أحمية لها » ! « أعتقد ان مثل هذا أصبح مستحيا أو بعيدا جدا من يوسف شاهين »

وأعتقد ان هذا من انفسل ما بين فيلم « المصور » وبيروز فينته الأخيرة بين سائر أفلام شاهين [بل سائر الأفلام المصرية منذ ثلاثين مليا كما قلت] ، بهذا الفيلم يمثل مرحلة اكتمال الوعي بالنسبة لشمس أو اكتمال الفصح الفكري والسياسي والإنساني للفرد المصري وللفنان السينمائي وللواطن المصري الذين يتألف منهم « شخص » يوسف شاهين .

وان يتضح الختام لبيان هذه الجزرة لفيلم « المصور » بيانها كافيا وجديرا بالأفلام والانتاع . إذ لابد من مراجعة عامة لشيرة هذا المخرج منذ نيلسه الأول : يابا لين « صام ١٩٥٠ إلى لحاديثنا « الدرامية » حول « المصور » و « الاختيار » و « الأرض » و « فوالنس » والليل ، ومداواتنا الحاسية الأخيرة ، ليلة السبت ؟ يونيو ١٩٧٢ بطمس « قوطاج » بباريس صحبة فائق حياطة التي « أبكاه فيلم المصور كما لم يحدث أن أبكاه فيلم عربي ولا غير عربي من شدة التأثر والإعجاب والرهبا العميق » على حد تعبيرها - لابد من مراجعة ذلك ، ومن تحليل عدد من أفلام يوسف شاهين لبيان ما مله كل فيلم منها من « مرحلة » حتى تبين المسيرة الشاعرية كلها ويصبح واضحا ومقنعا ما كبرت قوله وهو ان « المصور » يمثل المرحلة الحاسية ونقطة التحول الجذرية في تلك المسيرة .

المسيح

في

اليسوع

عبد الوهاب المسيحي

الحجج لجم تسمياتي لأبع بشهوة على
أعجاب الجامير بما يجعلها بهوضة
محبه .

فتح الستار على يهوذا الاسخريوطي
بحاول الفكك من الزيمة رجائي برندون
بلايس غريبة في لون المنكوت وهم في
سلوكهم بشهون ريك السذابي في
الاستاير الاغريقية ، ويظل الزيمة
شبهون على يهوذا الفساق الى أن
يشتمل لهم لم يبدأ في هذا الاغنية
الانتاحية « الساء في حفرهم » ؟

لقد سفا على الآن — واخيرا أرى
بوشوح كيكه صيتتي بنا الابن ،

اذا تمت الاسطورة من الرجل لعرفت
كيف سنتتي بنا الابن ،

يسوع ؟ لقد بدأت تصفق

ما يتولونه منك ،

انك حقا مؤمن

بان هذا الحديث من الإلهية صدق ؟

وكل الخير الذي أنجزت

مريما ما سيرهه التبار ؟

لقد بدأت تفكر في أصيبتك

التياء التي تولها ؟

ان يهوذا الاسخريوطي غير راخران

المالدة في الجحش الابريكي ؟ ولكن
حتى هذا التبرد يمكن تحويله
الى استبار مالي مريح ، وهذا ما كانت
نيويورك — حينما استولت على قصة
المسيح وحولتها الى مسرحية خيالية
عنوانها « يسوع المسيح : الفهم الأعظم
» تعرض الآن في نيويورك . « وقد كتب
اغنيي المسرحية تيم رايس ولغتها
انثرووبر وكلاهما كانا مشهورا قبل
الاشراك في هذه المسرحية ، واخرجنا
توم اوهرجان الذي اخرج من قبل مسرحية
« هيلر » [شعر] . والمسرحية تعالج
موضوعا قديما بطرونا ، الصراع بين
الروح والمادة ، مستغنية قصة حياة
المسيح في الايام السبعة الأخيرة من
حياته بعد افضاء ممحة عصرية عليها
وبعد استبعاد حديد من المشكلات
اللاهوتية مثل الوهية المسيح ويظهر من
نيره بعد صليبه .

والاشارة في عنوان المسرحية الى
« النجم الأعظم » لها محاولات ثلاثة :

أولا : بحلولها المسيحي التقليدي على
ان المسيح هو النجم الذي ظهر في بيت
لصم .

ثانيا : بحلولها العام ، كالتجربة تظهر
في الظلمات لتبهدها بهي رمز الروح التي
تصارع قوى الظلام والخر .

وثالثا : بحلولها المعاصر بمعنى ان

قصة تبار على قوى يسرى في التفكير
الذي المسيحي في الولايات المتحدة ،
فالبروتستانتون المستوطنون الاول في
الولايات المتحدة شائهم في ذلك شأن
بعض البروتستانتية المتطرفين كانوا
يصورون انه اذا رضى الله من اسره
فانه يصيب من التجاع المادي والتجسار
الشيء العظيم [وهكذا يصبح الدين
أجارا والاتجار الدين — وهذه سمة
اساسية في التجربة الدينية البرجوازية
سواء في أمريكا أم في مصر] . وقد
نجح البين الابريكي في ان يحول قصة
المسيح ، ان كان ميلاده أو صليبه أو
بعثه ، الى ما يشبه قصة الرجل العنابي
الناسج الذي انتهى حياته التعمسة
في نهاية سينمائية مسودة ، وهي نهاية
م : « بقاها ايضا اى يؤمن ورع ،
وقد اطلق بعض الشردين استصلاح
« المنهد وعشرة في الله » على هذا
الغرب من الدين الجاري الذي يرى ان
الإنسان تجارة موهبة يقبض ويمها في هذا
العالم ، والذي يحول التجربة الروحية
الى شيء كمي يمكن ان يقاس ويحسب
بالمليغم .

وفي الآونة الأخيرة ظهرت حركة
فنية جديدة ، تسمى « أهل يسوع »
وهي عبارة عن خليط عجيب من الرقص
الهنسي للرائسالية والتقوى المسيحية
التقليدية . وتعد حركة أهل يسوع
تصدرا على المغنية التجسارية الدينية

وان يقتل أيضا هذا النسي الجديد ،
اذ كيف بناني هؤلاء الكثرة ان يبقوا
نكرة النبوة الخالقة ، وهي فكرة تنطوي
على ان الانسان ليس عبدا لحواسه
و يهتبه . وقد لا يؤمن الانسان بإمكان
حدوث المجزأت لا في الحاضر ولا في
المضي ، ولكن القدرة على الانسان
بالمجزأت . في هذا العمل الفني هي رمز
المقدرة على الارتقاء على الحواس وعلى
المواصفات الانسانية السائدة ، ولهذا
يكون في رفض الكثرة اليهود للمجزأت
وفي كرههم لها دليل على انهم جسد
بلا روح .

والجواهر في الخارج ساطعة مضيئة
لاترى على شيء ، بل وتنادي على مبرودها
التم الاعظم :

حيى يـ مـ . لماذا لا نيتشم لنا ،

الحد لله الحد ، حيى يا جنينا الاعظم

يا مسيح انت تعرف اني احبك

الا ترى لقد لوحظت بهدي ؟

اني اؤمن بالرب

لتعبرني ان اني كتب لي الخلاص .

ولكن الجواهر الوالدة لا ترى سوى
نجيبا السيلاني العظيم ، وهي مولدة
مختصرا النساء على الطريقة الابريكية
[يـ مـ . اختصار يسوع المسيح]
لثبات جواهر حيلة على حيلة بن أبرها
لتر على الخلاص الموروث المريح . وحتى
المرضى يهاجمون المسيح ، كل يطلب
سجوة لورية فاني له بقلصاته الناجح :

هل لك ان تلمني لتشعبي يا جسيم

هل لك ان تقتلني يا مسيح فاني في

مقدورك ان تمالكني ،

هل لك ان تقتلني هل لك ان تقتلني

على يا مسيح .

ان المسيح بالنسبة لهم هو الساهر
الطيب القادر على القيام بالجميل وعلى
الانسان بالشداء الصالح ، أما المشرقي
الروحي والانسانى العلم لحياته والية
بهذا ما لا يستطيع ادراكه . وحيثما يقضى
الميل بهذا لا يسبب اي اذى لهم لك
انهم يرون حماكته على انها مجرد نسل
أخسر في فيلم سيلاني بخير ، بل
ويذهبون الى حد المطالبة برفوه والتحدث
أله باستخفاف شديد :

اخبرنا يا مسيح يا هو سمورك النيلة

هل تلون ان تصد ؟

هل فكر في القاعد ان ؟

ام تعتقد أنك ستبرع بمقدارك ؟

ويا رايك في حماكته المتهلة ؟



فيحه سيظل يطرده ؟ وخطاط الامور
أبام يهوذا ويتركه صفاء عقله كثة بعد
ان يسلم المسيح الى قتلته من اجل
« الصالح العالم » ويتنهي به الامر الى
شقت نفسه . ولكن حتى بعد ان تسعد
روحها الى الرب قلته لا يك من الجدل
والنداء نور يصابي المسيح لتركه الامور
تدور نير أية سوايط او خطيطه على ،
بل انه يصيب على المسيح اختياره أرفا
فريضة وحقة تاريخية مختلفة لينشر
رسالته في الأرض :

لو لبيت في مصر كيدا لومستلت
كذلك لكاة بأسرها ،

فاستأيل في الستة الرابعة قبل
الميلاد لم يكن فيها وسائل اعلام
جاهلية ،

لا شيء ، فهمي — فلنا لا نشد الا
المحنة .

ان يهوذا دائب البهت دون كل ودون
عاية من معرفة بعنية حيلة .

ويهوذا ليس وحده في هذا الشأن ،
كثرة اليهود يشغلون أيضا في فهميوع
يا يشر به . فكل الامر بالنسبة لهم
ان هو الا « الجنون اليسوعي » الذي
هو استمرار الجنون الذي بدأ يوحنا
الجمدان « حينما كان يشتم بمحاكية
التصديد :اياما » على حد قول الكاهن
الثالث في المسرحية . وكما تمل يوحنا
الجمدان لتحديه البيروقراطية الدينية لأيد

« تجسد » الفكرة في شخص انسان
محسوس ، لان التجسد يعني ان فردى
الفكرة الكلية والمثل الجود رداءات انسانية
محسوسا بظل من كمالها ويدنس من
طهرها ، وهو تحول تحويله بسهولة
ولا يمكن للمثل التجريسي تحويله بسهولة
وقد قلنا ان الانسان العليل لا يمكن ان
يكون تجريديا ، وفي هذا خطا في الرأي ،
فالانسان العليل خضع للرؤية لا يجب
ان يفعل الا مع ما يمكن فهمه بالارقام
[التلود والكليات والمساحات] والارقام
هي أكثر الاشياء تجريدا لانها مجرد علامة
تشير الى الشيء المحسوس وتدل عليه ،
أما الانسان الكريم ربح الرؤية فله على
استعداد لتقبل الظواهر المحسوسة
والركبة ، كما انه على الاستعداد للانسان
بالصوب والمعدلة والجمال على الرغم من
انها تلم لا تقاس ولا تؤزن وليس لها ثمن
معروف او غير معروف . ويهوذا الكلى
الذي يحسب حسبها كل شيء يحتر
المسيح بن ان يعمل من نفسه « المسيح
الظنار » ومن ان يوفق ليران الصالح
العقلى بين الجواهر :

أمر افنا صافية لوميدى يا يسوع ،

ياالله فتفكر اننى اريد ان أفسد
في الحياة ،

ولكن من الحزن ان ارى فرص يقاتنا

تصمد مع كل عصابة ،

نكل اناكم على ميونهم فشوة ،

فيصت السبام على عقولهم أكثر من

الآلام ،

كم كان الامر جديلا ولكنه اصبح الان

مسيروا ،

ثم لقد اصبح كل شيء مريوا .

ان السبام التي لا يمكن ادراكها
بالحواس الخمسة هي رمز السوء الذي
يحب وجدان يهوذا هذا الرجل التجريسي
الذي يقف بالمرصاد لكل عصابة غير مختنة
فقط تربت مريم المجتلية في فهم
المسيح بطور وزير مسلحها المتدبر
ويهم المسيح بفهم الانسان المظني مع
نفسه لان مصاحته للمجدلية لا تطلق به
يا يدعو اليه . ويهوذا ثوري وسكن
توريه متحصرة في نطاق رؤيته الانتصابية
الضيقة ، ولذلك فهو ينفذ المجتلية
لتضييقها المسيح بالسلطان . فلم يكر
في مقدورها ان تولى التلود التي انتقدت
على الزامه والمطور لتضليله للفساد ،
والمؤيد ، وحتى حينما تدور يهوذا
عاطلة حبه للمسيح قلته يستلكر هذا
الصوب ويصحب كيف يمكن لرجل مثل هذا
ان يؤثر فيه وان يهيم في نفسه الفوف
والزوجة ؟ ثم يتساءل حينما اذا كان
سيمعه وشكته بعد ان يصابي لم ان

هناك مدنا لثري الكاهن الأكبر

فانت سيروق لك منزله للخلية ،

وسيربق لك ذلك الكاهن ذاته

وسيتوبى من منزل الكاهن الأكبر ،
انت علم بشعور مؤيدك

انك ستعربى الى الخلعة الاخيرة من
الظلم

ان الجاهلير باستغذابها لغة وصورا
ظكرنا بلغة وصور العصر الحديث تظلم
من ايام المسيح لايلاها هذه ، ويظلم
عالمسرحية دونها لان ثرى انفسنا على
اننا شركاء الى الجربة . فانسج هو
ربل البطل الذى لايزال عليه ان يظن
فيه لنا ليطولعه وامراره على انستته
وهيته ريويته .

والجاريون انفسهم لا يظلمون حسن
الجاهلير او الكفة او بهودا هم ايضا
بالرمون المسيح باسلاطهم ويرفيمهم
المرلة البشينة ، وهم لا يحدون اية
اجابة لتساؤلاتهم ولكن حينما يظلمون ان
المسيح على ذلك ان يظلم نفوس كل
بضمهم والامم للتنبية الى بركة هذه حلفه
فى الفخر ، ويبدوان فى استغلاص
المظلت والظن من حياة هذا الرجل
الصلوب ويظلمون جسدا فى التعاد
ليكنوا التاجيل ، حتى سبهم الناس فى
الحديث علنا بعد موته . ان المسيح
بالنسبة لهم نجم اعظم وتكاد لتعظم
اهداهم الجاهلير ، هم حسن
طرفة سمعون الشجرة والظود .

فى وسط هذا المسيح والصلوب
والضوءا الرئية توجد ثلاثة شخصيات
لها ابعاد انسانية اصيلة : الجولية
وبيلاطس والمسيح لنفسه .

اما الجولية فهم ناة طية القلب
تجمع الى شخصيتها بين الام والحببية ،
فنبينا يبرى الفواربون المسيح باسلاطهم
من ، ابن روتى ومن وكف ، ان وحدها
تداول ان تديين من خاطره

كل على مدى مايرام ، نعم كل شيء
طيب ،

وتحن نريكم ان تستغرق فى النوم
الليلة .

ولتدع العالم يحور دونك الليلة ..

اغنى عينيك ، اغنى مينيك

هذى بن روعك واسترح ولا تنكر فى
شيء الليلة .

ورغم ان الجولية ترى مثل يهوذا
ان المسيح فى كثير من الوجوه ، مجرد
رجل آخر ، الا انها تحسن انه رجل
ليس بل كل الرجال ، ولذلك فهم لايد

وان تحبه بطروية جديدة فريدة تتلصب
مع شخصيته . وهى قدش من التحول
النفس الذى طرا عليها ، فقد كانت
دائما بلردة عاتلة لا تنفع للعب او
أهوانه ، كانت دائما سيدة الموقف أو
المنظر على حد قولها [والصورة السائدة
فى المسرحية هى صورة العالم كقيام
سينتالى] ، وكثفت ظل الآخرين محفوفة
الآن تسيطر عليها الرؤية الانسانية
السائدة ، وبعمدة يمتحها حب المسيح
من يوتها النفس والانساني . ولكنه
على الرغم من ذلك يحفظها ويدخل على
ظنها الرمة لان فيها له يملك عليها
تخاف تلها ويفرجها من الانفسى فى
عالم الكثير والصلب والقسط والرحل
والفلاح والشجرة والتجود السينائية
الخالقة ويخلصها عالم الحب والخمر
والجمال ، ان هذه الحقبة الواسعة والام
الرؤى تظف وحدها مع المسيح سامية
بحته حتى بعد ان يامه احد اتباعه
وانكره آخر .

واذا كانت الجولية تصل الى خلاصها
من طريق الحب نيبلاطس الوثنى الروماني
لا يثقت الخلاص اسما بل يرى عدم
جود واستحقاقه وبعث محاولة البعث
منه ، ومن هنا كانت تسميته واخيرا
من اليهود ومن الجاهلير الصالحة الر
طالب بقى متى المسيح . ان بيلاطس
يبحث عن الله ولكنه لا يبط الى
حسنى الرؤية الاحادية العملية المسبة
لله ليس له ولا محد لى شيء .

يرى بيلاطس عينا يرى انثام ان حنك
رجلا بن الجليل تبدو على حياء نظره
للبرية المظردة ، يسماله الرة تسلو
الاخرى كيف وصل به الامر الى هسدا
الحد ؟ ولكن الجليلي لايقوه بكلفة ،
لم تظنه المحجرة بالانه الرجل المتوحشر
الساحطين المذمين بكرة هذا الرجل ،
ثم يرى بيلاطس بعد ذلك مئات الملايين
التي ليكى وتنتصب بين اجمل الجليلي
ويظلمون عليه هو اللوم لصلبه . ويحكي
هذا الحاكم الروماني قصة الظلم بلغة
سبيلة ضم من الاستكثار والدخسة من
هذا الجوس الخبى الزائد الذى لا يكتفه
ان يسر له نور . وهو فى منزله يشبه
فى كثير من الوجوه الطيلى الحزين ،
وسا يلك ذلك الموسيقى الحزينة التي
صاحبت اذنية ؟ حلم بيلاطس ، والتي
توحى للمستمعين بان ولادة ، ان كسل
عنده اى ولاد ، اتما يتجه الى المسيح
الى حد كبير .

وحينا نتحقق الحلم ويؤتى بالجليلى
سجينا لحاكنته يحاول بيلاطس مقارنته
الحجة بالحقبة ، فيغيره المسيح انسه
يبحث من الحقبة بتجييه :

ولكن ماى الحقيقة ؟ حبل الحقيقة
فانون ثابت ؟

لكل منا حقيقته ، لابل الحقيقة بالنسبة
س ولك نفس الشىء . . .

ثم يلتص الى الجاهلير ليغيرها ان
المنسج قد يكون جنونا من الراجبه
يرضه الى السجن ، ولكن هذا ليس
حسب كاف لتغييره كلية

انه رجل صغير حزين
وما هو يملك وما هو يله

وما هو يلى - انى يحتاج لحرية
ارتكها كى اضعه الى السجن .

ولكن المسيح يعرف انه لا ليل ويعرف
ليسا انه من الاكفل الانسلاص ، فلا
يلاطس ولا غيره يفسقون ان يفعلوا
ليسا . فكل شيء ثابت لا يمتن تغييره .
والانسان يثبت الاشياء كلها ويمتسحاوله
تغيرها من طريق الكفاح السبيلى أو
الاجاسى او حتى الفردى هو أحد
الركائز التي تستند اليها لفلسفة الهيى
وأهل يسوع ، وهذا يوفى ينتج عنه
السلبية المطلقة والدوران حول التكاليف
المتنازعية الكلية . ويبدو ان مسيح
هذه المسرحية حتى متطرفا فى رؤيته ،
حينما احدث موبدا على اسرار الجولية
بحته سوع ليعمل افته ولكنه يسوق
الى المطلق التطلدى الى ليس لدينا
الامتكانت الكتابية لاضام كل الفسقاء
وانه سيكون هناك نقراء دائما ، وعلى
مادة الهيى فان هذا الاجاسى القديس
ؤدى به الى دوة يهوذا والاخرين
الى الاستغناص بيهلهم الان وحنا ،
ويحلب الذى يفتقه عليهم ، والمسيح
نفسه يتل دوة الجولية ان ، قد كان
العالم يدور مدونه الكلية ، لته اذا كان
الحال الانسانى مدمم الجوى فكل الامور
خسايوة ، ولكن الى جانب هذا المسيح
جود مسيح السبل الذى يظلم الميسد
حطرت التجار والمرايين :

يحبذ ليد وان يكون بينا المعادية
ولكنكم حولتوه الى فكر للمسوعين
والكفة .

وهو بكرة التجار والتعمين والوصولين ،
الكفة الذين حاولوا الحياة كلها الى
سوق كبير . وهناك ايها المستغناص
الذى يؤمن بالمرمة الهندسية والذى يؤمن
بانه حتى لو سكت كل القسمة فالمسجون
والاجمار ذاتها سيدة فى الشفق .

وهو الى جانب كل هذا انساني محب
الانسانية ، تبرزه بمنزلة وبكلفة اتباعه
له :

صحيح النهاية لكثرة سوة
حينما يسببها الاستغناص .

الا تعلمون ان هذا الضرب يكون

الا طبعون أن هذا الخبر قد يكون
جسدي .

التهابة 1

هذا هو نبي الذي ترشعون ،

هذا هو جسدي الذي تشكلون ،

آه انكروتنى حينما ترشعون وتفكرون

انظروا الى وجوهكم الجوفاء ان

اسم سوف لا يعنى شيئا لكم

بعد عشرة دقائق من موتى .

احكم ينكرنى

والآخر يكرؤلى .

وتبقى المسيح هو عبارة احساسه
بنفسه كرامة مستقلة واعية ولذلك فهو
يسأل ربه من متى نهايته ومسايقه ،
وهل كان من الممكن ان تنتهى هذه
النهاية ، وما الجهد لهذه التضحية ؟
وحينما يذعن اخيرا لارادة خالقه فان
الذمعة تلحم لكمة احتجاج قوية وان
كانت مسترة :

هضنا ساجوت

ولكن انظر الى لحظة موتى

انظر كيف اموت لتطيلنى بالمساوير .

سائرب كاسى سك على الصليب
ولعسر مودى

ولتزد دس ولتفرضى ولتعلنى ولتأخذ
بوحى الان - قبل أن أقبر راسى -

وهكذا يرقى المسيح شاع الهيبى الفلرقى
فى اللحظة والباحث من الراحة الابيقورية
ولكن هذا الجانب المتعدد عبارة من لسانات
لا تدبر من البناء الاساسى للشخصية ،
فالمسيح يظل هيبى اولاً واخيراً بانحصرا
فى جبرته الذاتية وفى جلالته وفى حاله
المستقل من الناس والمجتمع ، وهذا
يقع الصليب فى اطار جديد اذ يصبح
نتيجة ختية لوهراف البطل وجسداً
مواجهة اعدائه وانجابه - بل انه يمكن
رؤية الصليب فى هذه المسرحية على انه

نوع من الالتزام [قلقة وأنه لا يهيم
بموت] . والالتزام يعد شكلاً رومانتيكياً
من أشكال تحقيق الذات ، بل هو أعلى
هذه الاشكال لانه الفعل الذى لا حلبة
سوى الارادة الذاتية المائلة وهو للفتنة
التي لا اوية منها ولا رجسوع ، ان
الصريحة معنيها [بل انه] الفردوس
والجحيم « فى الوقت ذاته » . ولما
هذا ما كان يعنيه يسوع حينما يخسر
سيمون انه لا أحد ، لا سيهون وا
اللائق المؤلفة التي تذهب بنفسه ولا
الروسلان ولا اليسود . لا يهوى وا
الصوابيون ولا الكهنة ولا الكتبة ولا
اورشليم نفسها يفهمون ما هى القوة
وما هو الجد :

فى هذه الموت يجب عليك ان تبوت
وحسب

يجب عليك ان تبوت وحسب .

ان الموت الذى يشير اليه يسوع فى
هذه المسرحية ليس هو الموت الرمضى
اللازم لدخول **الهيكل** المسيحية الكاملة ،
ولا هو الموت الذى يسبق الصلاة الاخرة ،
انما هو فناء كليل لايمشده ، انبوت
ينهى كل الالام والايال .

وقد حاول المخرج ان يفسى شربا من
الوحدة على عناصر المسرحية التفسيرية
سواء كان الطمر الدلوى الحديث أو
الطمر المسيحي التقليدى أو الطمر
المسيحي الهيبى ، تحول المسرحية الى
مجموعة من الصور الرائعة الجبال التي
لبي لها معنى واضح والتي تحصلون
التكبير فى المشاهد يشكل مباشر وأن
ترك فى نفوسهم آثراً هيباً محسوساً
لا أثر للفكر أو للنظرية فيه ، اي انه
حاول تغطى المحتوى الفكرى من طريق
الصورة المصنوعة المكنكة . وقوم
اوريجان مخرج المسرحية مقيم يمساً
بسميه « الوعى الغرابى » [فى داخل
« الوعى الطلى الحديث »] ، فالتناسن
صاحب الوعى الغرابى لا يفكر ولا ينظر
بل يستجيب استجابة المؤمن للرموز

الحديثة المتجسدة ١٥ . وقد حاول تطبيق
نظريته فى اخراج هذه المسرحية بشأن
اكد العناصر المرئية التي تفرق المشاهدين
وتجعلهم يميزون داخل الطقس المسرحية
رئيسي **خارجها** . وفى اول منظر يهاجم
المشاهد يتنقل الطمر المرئى على النص
خمس ، فاستقر عبارة من جسد
سائل ينزل الى الداهسل ليصبح
مسو ذاته غيبة الاسرى . وتكتشف
ان الجدار عليه خبسة رجال اعدمهم
جودا والآخرين هم يز وجدانه المظلم ،
وتبدأ المطردة والجدار الازال على وضعه
الرأسى . وحينما يظهر بيللاس فاته
، يخل من باب على خبسة رأس فيمر
نخبة ذات خمسة جباه وعشرة عيون
كل جهة ومعين اوق الأخرى لتعطى
احتساب بظلمة وفشالة روسا .

والمسيح فى احد التماثيل يخرج من فيه
بقية الكرة بعد أن يتره بما يرضى انه
مثل القرافة التي تخرج من الشرفة ثم
يرتد الى علو شاطئ بواسطة حصص
صغير غير برلى لانه يخطئ بدهاء المسيح
الذهبي الذى يصل طول ذيله حوالى ٢٠٠
متر على الاقل ، وقد بلغت تكاليف هذا
الرداء حوالى ٢٠ ألف دولار . ويضى
المنظر مستوحى على المنظر وتجمعه
بشعر بكل حواشيه لهما يدور اسليه ،
ولكن بعض المناظر الأخرى تذكر التناسن
بالتشيزيون الاسريوى وبالكلام جولبود
الفنية .

ولكن المخرج مع ذلك لم يمنع بذلك
فى حل الاشكال الاساسية التي واجهته
أعنى ترجمة قصة المسيح الى صيغة
'مركبة معاصرة بح الاحتفاظ بسببها
السبعية . فالمصنع التقليدى كسانى فى
المسرحية ولكنه لم يترج بالمسرح
الامريكى المعاصر . وذلك بظل العاقل
الربى والاسطوري العام سطحه ،
ولا يفكر الفارى أو المستبح أو المشاهد
سوى لست ورائعة ومرور شمسرية
جبيلة وخاطر مدشدة ، ولكنه لايمشى
بذلك رؤية جديدة بتكالبة ١٥

ملاحظات حول سينما جديدة كصالح رمزي

الثلاثين والنقاد ومؤرخي السينما ، يسفرون طلائعهم الخلافة
لتشر وتدعم احدثها ومعالجها .

ويوسط الافلام الاجريالية المختلفة ، التي تكاد تكتسح
معظم دور العرض ، بدأت تظهر بعض الافلام الناجحة لكافة
النوع التي تروج لها السينما الامريكية . ورغم ثمة هذه
الافلام ، والمحاولات الدائبة لحايرتها والقضاء عليها ، سواء
قبل تنفيذها أو بعد تنفيذها ، إلا أنها استطاعت أن تلتصق
بن الحاضر ، وبدأت تكون رموزاً لسينما جديدة ، تكشف
النظم المستقلة ، وتفرغ القطاع عن خداع ورياء القيم التي
تعرضها الطبقات الرأسمالية . أن الفيلم اليساري الذي بدأت
بلاجه تتشكل ، والذي يميز عن مصالح الجاهل والمبغض والجاهل
والذي حُرقت بعض نماذجها في القاهرة ، من واجبنا أن
ندرس ونسفره ، بل ونقبله ، نعرف بمصادره وأصوله ،
عناصر قوته ونقاط ضعفه ، ولعل أن نستعرض نماذج من
تلام اليسار لنحدد خصائصها ونسبائها يجب التنبيه إلى أن
الدراسة شديدة كلا من سينما البلاد الاشتراكية وسينما
الصالح الثالث ، ذلك أن لها ملاميسات خاصة ، تفرس
تأويلها في دراسات مستقلة .

وقد شهد تاريخ السينما هذه موجات من الافلام اليسارية ،
إلا أنه لم يكتب لهذه الموجات أن تدوم وتثبت وتصبح ، ذلك
لأنها كانت تقابل دائماً بعرض لا وادع بها . بعد الأزمة
الاقتصادية عام ١٩٢٩ ، وبكتشفات ثورات النظام الأمريكي
وتدبير من كتبات « كلينغتون أوديس » و « جون ستاينبيك »
« هورفايس » ، بدأ بعض الفنانين الأمريكيين بإنتاج افلام
تنتعج بومي طبعي ، وتتألف من حقوق المال الذين حطمتهم
الأزمة الاقتصادية . وبدأت تظهر جموع المخطئين والجاهلين
الذين يدفعهم الشر إلى الجريمة والاعتراض إلى الافلام بطل
« كيزا اليبوي » و « غلافيد للفصيح » و « نو ألوجيه
المجروح » . لا أن الرأسمالية الأمريكية حشرت هذا الاتجاه
بغضبة با سمي بس « فرقة الأدب » التي تكونت عام ١٩٣٢ ،
والتي فرضت هيوود حجبها على أفلام اليسار ، وسلط
وحظرت ظهور فيلم عاطل أو غداً ليل ، ومنعت بشهاد

تعددت الكتابات التي تروخ للفن السينمائي ، إلا أن
مخطتها لا تحصر بنحسب الادبولوجي ، ليعرض هذه
الكتابات . وهي أكثرها تفلناً - مستعرضاً لتاريخ السينما على
أنه مجموعة بخالية من المفردات ، تبدأ بالفتوس المسرحي
لتنتهي بالسينما ، مروراً بالصوت والألوان والشاشة
العريضة . والمعنى يورخ للسينما زمناً ، ليعصبها إلى
حجيات تاريخية ، ويقدم تسويلاً يلهذا للاستياء والأفلام
وتعنى الافلام . ونوع ثالث يسفر وراء استعراضها الطور
الخلال للغة السينمائية دون معالجة بالفيارات الفكرية ،
يتحدث بظلم أنجازات « جريفت » ، « كونكيت الفيلم » ، « ليزر
براهم » في استخدام اللغة الكبيرة ، واكتشفه بالكتابات
الدرامية التي يضعها المونتاج المتوازي وانتقاه الميقري
لنوايا التصوير وكيفية تحرك المجموعات . وهذا النوع من
التاريخ بالغ الخطورة ، لأنه أكثر الكتابات جاذبية ، فهو
يقدم مادة غنية غزيرة ، لكنه يتجاهل متعدد - أو غير متعدد
- الإجابة على السؤال التالي : تر أي اتجاه حركت هذه
الطاقة الفنية ؟ . إن هذه التكتلات غالباً ما تتحلى التعرضي
للحسبون الفكرى الذي كان سبباً في الاعتداءات التي وقعت
على الزواج في كل بلد عربي فيه « مولد أمة » الذي أفرجه
« جريفت » ، « أبو كونكيت للفيلم » .

أما موسوعة « جورج مسالون » فتعصب لها لظننا
إبسيديان ، الأولى : أنها اعترفت بالسينما اللغوية ،
وخصصت صفحات طويلة للسينما المصرية والمصرية واليابانية
واعترفت من لفتها في مستقبل هذه السينما ، وأنها ستصبح
لبان أفلام هوليوود . والنقطة الثانية : أنها حاولت أن تتيقن
الأسس الفكرية الحسابة والقيم الجبالية التي تشكل عليها
الدارس السينمائية المختلفة ، بالإضافة إلى احتفالها بالافلام
ذات الحسبون الإنساني بشكل عام .

ومجد البداية ، تضاروت ظروف جديدة جعلت صناعة السينما
تتكاثر على الشركات الرأسمالية الأمريكية ، وتجمعت هوليوود
في أرض نفوذها على مقرها ملايين المترجين في المسام ،
وقدعت من خلال آلاف الافلام الجيدة رؤيتها الرجعية للإنسان
والتاريخ والحياة إلى وهي لاتزال تسمى نفسها بتكتية قوية من

الملك واللموس والمجرين .. أي أنها صادرة المادة الواقعة التي يقوم عليها الكثير من انتمال الإنسان .

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفي جو الحريات النسبي الذي عم أوروبا وأمريكا بدأت سبيلها اليسار تظهر من جديد لتعيد حق وتلدين روح الشرع المناضل ، الذي حمل فيه سنوات الحرب والظلام ، وإذا كان هذا التيار يأتى إلى حد ما على كل من فرنسا وإنجلترا فإنه كان واحداً وقائياً وإيطاليا وأمريكا ، وبينما انطلقت صيولها لتنتد الأجيال والسياسي والاحتالي في إيطاليا لتصل الآن إلى أعالي خطيرة من نوع ، انتهى الصديق الجلي « و » سيطرة على الحياة ، « لود أن النظام الأمريكي تحرك بسرعة ليوقف هذا النوع من الكلام ، ورثة ثانية تمرد « مرة الإدي » ، ولكن على نحو أكثر شراسة ، حيث سبست هذه المرة « لجنة النشاط المعدي لأمريكا » « وبدأت تعاصر الأفلام التي تظهر أحوال نيويورك الناسدة البائسة « الحياة الملعونة » ، والتي حين من حالة الهاس التي يمتصها الجنود الملعونين من ميدان القتال حيث يتم تسميعهم في جو كئيب خائف « الثيران القشايكة » « وقد بنيت « لجنة النشاط المعدي لأمريكا » دروبها على يد «كارل» ابتداء من الخصائص فاصبحت تقدم المساعدة كل من يرسم التماسد إلى الأبطال والوال ، بل من شيء موجود بالفعل إلا أنه حكر على طبقة صغيرة « ويقضي هؤلاء المستبدون بالنظم الأمريكي : في مشهد بالغ الدلالة » يتكسب من خلال لغة « لاري بيرس » السبيلية سفا وتائرا كبيرين « فعندما يتشكى ركب مجزؤ من إنباه الناسدين أنهم تفكروا له « وردهوا أعضاء المل التام ليمسالج أسنائه « تنسركة الكسيرا « شسيفوشنة الوحشة « غاربا في فواتر الكلام حيث تطلق على أحد العائلات البفخرة « الأضرء البيرة ، الترامو الويسرة ومد فكك القطار الفسفسية « الشباب والرح بخدشيفوخة والاكتساب «الإطبلان والآباء» بمد الفلق والتوتر « وفي الحملة لفظ الكبارا مدرس التاريخ المنطوى ووجهه الزمعة « وما من ركاب القطار بالنسب ليا بمد .. وعلما بفرج مدرس التاريخ ووجهه يمسق باب الشقة القبية المخسبة ورامعا يمدف « وهذا وصيح الجميع - بحرس التاريخ ووجهه « والكبارا والمفرجين .. في ظلم دلمس ، كما لو كانوا خبيثا كلكا بعمفوا من طريق الخشا وبدائع التخل .

الحادث : احتكار الحكم الأمريكي

لم يكن الخط المائل لتعليم « الحادث » في القاهرة أكثر سودا من خطه في أمريكا ، ففي القاهرة مرض لدة أسبوعين فقط ، ولم ياتيه الجهور ليموته إلا في الأيام الأخيرة . أما في أمريكا فإن شركات وول ستريت الكبيرة رفضته كسبزيرو منذ البداية « وبعد أن تم « لاري بيرس » اغفاره في ظروف صحية سلمته شركة « فوكس » لنظم بتوزيمه ، لكنها لم تقدم له الدعاية القسبية - وقتلت الصحافة الأمريكية بعمل ما يمكن أن يسمى بؤايرة صبت آراء التليم ، وبالتالي لم بل ما يستحقه من نجاح .

لم يقدم « لاري بيرس » تليبا من العنف كما ذكر بعض تقادنا « بل لم يحاول أن يزيد نسبة التوتر عند المتفرج إلا في حدود معينة ، لكنه قدم علما من « الحكم الأمريكي » « من الحكم بالاطنلن والسمادة والصحة والرحسلات الدائبة « الحكم بالآباء والقبائل والفتى والحياة النامية .. كان هدفه أن يكشف حقيقة هذا الحكم .. أنه حكر على طبقة صغيرة « بنيا بقة الجميع خسحيا » ، وتفاوت نسبة تحطم هذا الحكم في حسانها .

يقوم الفيلم داخل حرية طار ما بمد متصف الذيل ، يمشى الركيب متكبرون على المقاعد في رحلة العودة إلى بونهم ، ويستمع الحرية بجرمان بانقا الظنظة ، يبدآن في ابتزاز الركاب الذين يحاولون إلى نرائس سرعوية « وعلى طول الفيلم تتكشف حقيقة كل منهم .. أنهم ليسوا لرائسي داخل القطار نصيب « ولكنهم خسحيا مسخوة اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا .. لقد تم اقتراصهم من قبل « ليس بقل مجرمين متشردين كاذبين سيطروا على الحرية لدة ساعتين « ولكن بقل نظم استغلالي رأسخ « حطم لهم كافة أصلام » .

جمع « لاري بيرس » في حرية القطار مجموعة طعنيا طبيعة الحسنة التي يرفضها النظام الأمريكي « بحرس تاريخ تمس « حرفا موفده وجمهوره فاستسلم لسيده .. ثم عامل هائد مع زوجته بمد « الحظف » بعيد ميلاد ابنتها « طابيته زوجته بان بمدود في تانكي « لكن مولانديه لا تعجل « ورثة سسكيلا لا يتحدث ولا ياتين طول الفيلم « فهو موجود وحياته فقط « منظر على أحد المقاعد في البداية « ثم على الأرض « لا يمس يظهروا على الإطلاق « لكنه يفرش بوجوده الميت خلا بالغ للتعبس .

« والحكم الأمريكي » في هذا الفيلم ليس وما من منع المخلص إلى الأبطال والوال ، بل من شيء موجود بالفعل إلا أنه حكر على طبقة صغيرة « ويقضي هؤلاء المستبدون بالنظم الأمريكي : في مشهد بالغ الدلالة » يتكسب من خلال لغة « لاري بيرس » السبيلية سفا وتائرا كبيرين « فعندما يتشكى ركب مجزؤ من إنباه الناسدين أنهم تفكروا له « وردهوا أعضاء المل التام ليمسالج أسنائه « تنسركة الكسيرا « شسيفوشنة الوحشة « غاربا في فواتر الكلام حيث تطلق على أحد العائلات البفخرة « الأضرء البيرة ، الترامو الويسرة ومد فكك القطار الفسفسية « الشباب والرح بخدشيفوخة والاكتساب «الإطبلان والآباء» بمد الفلق والتوتر « وفي الحملة لفظ الكبارا مدرس التاريخ المنطوى ووجهه الزمعة « وما من ركاب القطار بالنسب ليا بمد .. وعلما بفرج مدرس التاريخ ووجهه يمسق باب الشقة القبية المخسبة ورامعا يمدف « وهذا وصيح الجميع - بحرس التاريخ ووجهه « والكبارا والمفرجين .. في ظلم دلمس ، كما لو كانوا خبيثا كلكا بعمفوا من طريق الخشا وبدائع التخل .

والى جانب « الحادث » ظهرت لنام أخرى تشق ناس الموقف الساخر من « الحكم الأمريكي » « قصة حياة ولادة « ريكو » الشفصقية الثاقوية في تليم « راوي بقو متصف الاقل « تمد حياء قاسيا لجمع يفسر فيه المرأ انيديتريني كان بوحش ليصلح الا للدم « أينما يفسر آخر أن يبيع فيه ليشتري توتة « لقد عاش « ريكو » حياته وهو يحرم بالاطنلن والصحة والفتى .. ومن صفريات الفيلم الفيلم « ن « ريكو » يموت قبل أن يكتشف أنها تلة حتى لو عاش سنوات فائدة فإن حلمه لن يحقق .

ومرة أخرى يتكرر الهجاه في « أنهم يقتلون الجياد « ليس كلكه « . وكما تهاوز « لاري بيرس » حدود حرية التخل بركابها الوائمين في قبضة الرعب والابتزاز ليشسول برقيه المجتبع كله « يتجاوز « سيدني بولاك » أيضا حدود حلفة

الرهس التي تلم فيها مسابقة **الرهس الجنونية** ليعلمها **رهس** لاسلوب الحياة الاجنكية ، على صبي الفانسة الجنونية ، التي يتكلمها العلم بكتيب شخص لا يتحقق .. يتم استنواف كل توى الره ، حتى اذا ما شاركت قراه ، بمأمل معالجة الجهاد الجرية ، ليعلم الرصاص على رله ، او يمشى كمجوز ، لارى بررس ، نهيا للاحاساس بالقتل والوحشة والخيفوخة .

« انتهى التحقيق المبني ، انشاء » قصة الواقعية الإيطالية

ليس صحيحا ما ظله نقاد سين هربود وشركات « وول ستريت » ، بضموص الحصار بوجه الواقعية الإيطالية في اسبوع الاموم الأخيرة ، بالانكاف التي شاهدتها القاهرة في اسبوع التعليم الإيطالي من بداية هذا العام كتبه أن الانسب الفكرية والمهم الجبالية التي دللت عليها الواقعية الإيطالية لا تزال تلك جذرة على الصمود لطم الهزات السينمائية الجديدة ، بل وتظل - بشكل صريح وواضح - مالا تستطيعه الفيارات الجديدة أن تقوله .

كان « قضية ماتي » و « انتهى التحقيق المبني » الجبح نيلين في الاسبوع ، وقد حلت « قضية ماتي » بشليلات وتوجب أكثر مما يستحق ، الا أن هذه التحليلات وهذا الترحيب يعمقان لتثمة إلى مخلوقة الاتزان في الاعجاب بالانكاف ذات السمة البسلفة .

يفكر التعليم انطباعا أوليا بأنه فصح لشركات البترول الاحكارية ، ويرغم أن التعليم لم يقل صراحة بأن الشركات الابريقية هي التي اغفلت « ماتي » ، الا أن الجهور حزم بأن الجريمة لم تدمرها الا الاحكارات المستقلة . والتعليم في كصفه من الوجهة الشكالية للمؤسسات الابريقية كسبها لكل من يهضم اطمار الحقيقة للقدس .. لكن السؤال الذي يجب أن نود اجابته هو : من هو « ماتي » ؟ وما هي القضية التي دفع حيا : فثنا من اجلها ؟

بطريقا التعليم بأنه ايطالي حتى التفاح ؟ لا يربق بين ايطالي نازي واطالي اشتراكي !! كليم عنده لبناء وطن واحد .. وهو يبد بمساعداته المالية إلى كافة الاحزاب ، ولما تبه هي : أن اصبح مؤسست ايطاليا الثورية في قوة - مؤسمة « فليت » .. لكن الطريق ليس سهلا ، فهو عندما يخرج من ايطاليا بمؤسسته بامحا من طابع التزول في دول العالم الثالث بضموص مؤسسات ذات ماضي مريب في الممارات والفساس واللبس بكل الاوراق .. وتصبح قضية كما يمددها هو بالقصة الثورية الالية « ثمة فاضيف حائل أن يأكل من طبق ذلك ملة كلاب شخبة ، الا أن أحد الكلاب الشخبة يهره مرهه يفتقه بعبدا حيثصيع لوقه بوهده الفترويويوت » . ويشبهه مؤسسته بامحا الضيف الذي يحاول أن يشترك مع الكلاب في وليمة طابع التزول .

هذه هي « قضية ماتي » ، أن يشترك مع المؤسسات الابريقية في استعمار حقول البترول .. وهو - كمجزة من مجرته ضد الاحكارات الابريقية - يمرض لحافره مع دول

العالم الثالث بشروط **كلا** من شروط المؤسسات الابريقية ، وكجزء ابضا من هربه ضد الاحكارات الاجنبية بفر ويستلجذ بانبه حبيبة إلى تومسا ، الجوار ، مصر ، مصدق ، دول العالم الثالث المتجة للبترول .

نقد هارب « ماتي » المؤسسات الابريقية هذا ، ولكن لحساب المؤسسات الإيطالية ، في هذه الحدود بوجب أن نماله ، فهو ليس احد شهداء الجبابرة ، وليس أحد الشهداء المذانمين من العالم الثالث ، ولكنه رجل المؤسسات الإيطالية الفطحة لينايبج البترول التي تنفرد بها مؤسسات على استعداد لاعلام بأفس الاميل لكتل الابار مكرًا لها وحدها .

اما بالنسبة لـ **فيلم « انتهى التحقيق المبني »** فانه كسد استعود على اعجاب الجهور من جدارة ، ولعل السؤال الذي تردد على من الجميع : كيف استطاع فيلم به هذا القدر من النقد أن يرى النور ؟ أو إخلة وتماكب البسار الإيطالي ؟ أم لثرات السينيا الإيطالية المعرو بلفقه الانبساطي والسياسي البيري ، أمها كانت الاسباب ، في النهاية بتمم الفيلم لثدا بامخ الرعي والفسجامة لمستوة السلطة ، وبفصح دورها في الضمر على جرائم النظم .

وعلى طريقة الواقعية الإيطالية أخرج « ديمالو ديمالو » فيلمه من حداث طين وبع لأحد المواقين ، فيس عليه ووضع في السين للتحقيق - منه ببجنا في قصة بملقة - وفي السين بكتلف المواقين المحرم « نازي » ، والجهور بمه ، أن السين ليس مكانا منزلا من المجتمع الفلجي ، بل يتما بمكر نظاما واحدا ، وبفصح لقيم واحدة ، نأذا كان للأفيا في المجتمع الاستعاج ، بون غيرم بيماء الحياة ، فإن من حق الأفيا ، داخل السين ، أن يمشوا في ظروف أكل وحشية من التي يمشها المسجون القراء . ومن طريق الرقوة بستمليج « نازي » الفتي ، المحرم أن يكتف فترة في بستملي السين ، وعن طريق الرقوة أيضا يستمع مع احدى السينيات الفتيات ، المعتربات ، في حجرة التسمية بالمستشفى .

لكن **الاكتشاف الأهم** الذي بكتشفه « نازي » والجهور بمه أنه لا يستطيع بانه أن يحمي نفسه إلى الأبد ، ذلك أن سطوة السلطة نعد بفسادها لفخض بملق فلتات الجميع تحت رعاة القهر والارهاب ، أن السلطة لا تطلب من وقع عليه الاختيار بل أن يصح مديلا لها ، وبسبب بدأ ترده ، وينفذ ما فطيه .. وهذا بقم « انتهى التحقيق » الجزء الجوهري في ليله ، وهو ابتداء ليله السابق « الفاليا » ، الذي كشف من من العلاقة بين هذه النماطة والسلطة ، نالها في النهاية ليست سوى بخاب من مخاب السلطة ، بتمان كل منها مع الآخر لتقديم النظام القسمن والمصلحة على بمصالح الشركات الراسقية .. في فيلم « الفاليا » تتم جرية تمل تقوم بها العملة ، ويتبين المخرج على طول الفيلم أن الجريمة لم تتم الا لمصلحة احدى عمليات القتل التي تقوم بها شركة بقرات .

بوة ثانية يعود « ديمالو » لقص الموضوع ، في أن انتهى التحقيق المبني ، بته نشاط « ألمانيا » لبسلف الحياة داخل السين ، فثمة جريمة بيمرها أحد عملة « ألمانيا » قتل أحد العمال المسجونين ، وبمحولة القتل هنا لمبة

اسيبلها الخطيرة « فالعسائل » بيزيتي » بملك وكتاكت تدعى وتفصح جهنمى احدى شركات المخابرات ، الذين كانوا يميلية غنى كبيرة فصيت فى انهباز اهد المسدود وصهرع هضرات المبال . لقد تمت محاولات عديدة لترويض « بيزيتي » وجعله عميلا حقيرا ، مرة بمحاولة رشوته ، ومرة بمحاولة افضاله مستثنى الاراضى الحقلية ، ومرة بتفويده ، وفى النهاية ، وبعد ان تلبس منه كل الارباب التى يمينها الابى ، وقررون التخلص منه .. وبالتوافق بين رجال « المكيا » وفصهايل السجن ، يقتحم بعض المجرمين زنازاة « بيزيتي » ويقومون بقتل هريان يده لاسام « مازى » المواطن المحترم ، ويؤجل « بيزيتي » الى الزنازات .

ويصبح امام « غازى » احد ابرين ، بهرضها عليه ضابط السجن ، اما ان يشهد بان الرجل قد انتحر ، وبذلك يمسكون « المكيا » و « المسئلة » فى حيايلة جسرالم الشركات الرأسمالية ، واما ان يقول الحقيقة ، وفى هذه الحالة ستوجه له تهمة القتل ، وسيبقى فى السجن وراء ما يسمى بالتحقيق الجهنى .

وبعد تردد قليل ، يستمرى المواطن المحترم « الفنى » سلاته بان يترك قدم « بيزيتي » ، فيستبد بكل ما يطلبه منه سلطة السجن ، يشهد بان القتل كان يمينى من عدة اضطهاد قطعية .. يخلت به حد الاتهام .. ويترك بقية الأمور لطبيب السجن الذى سيسمى بتسميرات علم التلس للترويض ، وبا اكترها ، لتأكيد شهادة المواطن المحترم « الفنى » ويخرج « غازى » من السجن ، وسرعان ما يخطر مع مكالته الدائمة فى الاستحواذ بمباحم الحياة .. ويؤيد مع الجميع بان التحقيق المبدئى قد انتهى ، وانه يجب ان ينساه .

لكن هل انتهى حقا كل شيء ؟ .. ان « دنيان ديمسلى » يؤكد ان لا .. لويس مسادة « غازى » باخلق سراحسه ، باجبا باينة « بيزيتي » .. تقرب منه ونسأله عما حدث لوادما .. واستبازرا لتقبر « غازى » المحترم « الفنى » بتر انه مبرمه .. لم يعود يدهى انه قد انتحر .. وهنا خطره الدعاة بقية بانها تعرف اياما ضابا .. انه ليس من الذين يتنحرون .. وعندما يتركها ليلجه لاسرته يبدو وجهها الرقيق كبا لو كتبت قد بشت ابرا .

هكذا يربط « دنيان ديمسلى » كاتلة ظواهر المجتمع بمعضها ، ليدمى الى النهاية رؤية شاملة « غنصاش « المكيا » ، واستمرار وجودها ، والشركات الرأسمالية المختلفة ، والجرالم التى تتدب ضد جهوليين ، والسعدود واليالى التى تنهار .. كلها مرتبطة بمعضها ، وكلها مظاهر وجوابات بتعدد نظام رأسمالى واحد .

Z : مكسب كبير لسينما اليسار

واذا كان « روسيليتى » ، ابر الواقعية الايطالية ، قد حدد اهم مبادئها فى الجيلة التى كتبها فى تنديب فيلم « روما مدينة مخفوفة » ، والى تنزل : « هكذا تسير الأمور » ، فان « كوسستا جفراسى » يلتفت ليله « زد » بجيلة من المتودع ان تصبح من اهم مبادئ سينما اليسار ، تنزل الجيلة : « اى تضاهى مع أحداث حقيقية أو شخصيات ما زالت أو لم تعد على

هيد الحياة ؟ لا يعد من قبل المصادفة » وانبا هو مقصود « ؟ لقد كان روسيليتى يؤكد بجيلته ان ليله لا يندم احتيالا ، ولا يندم خيالا ، ولكنه يندم حقيقة الأمور ، وثقل حدثت أو تحدث أو ستحدث .. اما « كوسستا جفراسى » ، فان ليله يصبح أداة قتال ، لا يحارب به طولحين هواء ، بل يصارع ويهاجم أعداء حقيقيين محددين .

و « زد » فيلم يشرح نفسه بنفسه ، فهو يحاكيه سياسية تعرض للصراع بين قوى التقدم وقوى التخلف ، بين التمسك بالمدالة وارباب الظلم ، بين ماضى الفراء وكتاب العروش المصومة ، بين طالب السلام والمؤيدين لوجوده التواعد الاثريكة .. ويتم الصراع تمت مجلة العتود المصليد ، وموسسات الدولة الديتارالية ، وفى حيايلة اجيزة الابن الزهيرة .. ويبدأ « جفراسى » مع بداية الفيلم فى الكتاف من حقائق الأمور ، والفنانون لا امية له الا اذا كان فى ايد شريكة ، ومن المستحيل ان توجد ديمتارالية فى دولة قائمة على ابتزاز العمال واخصامهم لمسطرة الارباب من طريق التحكم فى هوريم الهوى واجيزة الابن فى النهاية لا تسمى الا الطبقات العليا .

فى « زد » يتم نقل نائب يسارى يفت الى جانب الفراء والسلام .. ويقابل فى الشخصية اهد المخطئين الشرفاء .. ويعرض الحق للجد من الضغوط ليزيل القضية ويضطر على برتكيبها ، لكنه باي ، ويسمى التحقيق حيث تتكسك السلايب الخسيسة التى يقيمها مسمر كالتلف والتمل والاستغلال ومروى الدم ، فهو لا يكتفى باقتزاز الفراء والسيطرة على حيايلهم الزهيرة ، بل يحاول من طريق التجمعات والخطبات المسيلة تحويل انشاء العمال من مشاكلكهم الحقيقية الى مشاكل وهمية ، ويحمل بعضهم بقتون ضد مصالحهم ومصلح طيلقم .

و « زد » فى النهاية ، وان كان يثق بان انكار التنايل الشبهه ستقل حية ، الا انه يحذر من الابل التى قد تداعب المكلمعين دون ان يكون لها سدد من الواقع .. ان اهد الشرفاء فى الفيلم ينطلق سعيدا عندما يصدر المحقق الشاب امره بتنديب فواد البوليس للمحاكمة بتهمة الاشتراك فى قتل النائب اليسارى .. ويظن ان القضية قد حسمت ضد جبرى الايفيل .. لكن هروش الدم ، والانتظة الغالية على الظلم لا صلم ولا تسلم بسهولة ، وعندا الجديد من اسلايب القبح والارباب لمرمران ما يتم انتقاب عسكري بترك بقاوى الشريرة ، ويغرى قلابة من المتودعات تتسلك كل ما فيه العمل الشريرة ، ايجابيات : سوكليس ، واوستونان ، ودوستوبسكى و .. و .. الخ .

« هكذا يصبح الفيلم وعيا جديدا بالعالم ، وسلاما على وجه النظم الخالفة ، وعصا لاسلايبها ، وتحذيرا من التناول المزدوج لحرى اليسار ، وفى النهاية : دعينا لنقة الانتمان فى المستقبل .

خصائص سينما اليسار

لا تزال سينما اليسار تتشكل ، وكل يمل جديد يضيف تسمية جديدة الى قسماها ، ولكن من خلال الانايل المسابقة يمكن تحديد اهم خصائصها العامة :

● **ياخذ النيلم وقتها عتائليا من النقصان الراسمالي** ●
وبذلك يسل على نفع فيه وطمعية ميوه *

● **تعتمد سينيلا اليسار على الواقع الهني** ● فهي تتسلم اعدائها واقعية ، يتم مرصها من خلال وجهة نظر تحليلية ، تكشف المفرد المسببي والاقتصادي والاجتماعي لهذه الاحداث ، وذلك بالا تمزجها من الظروف المحيطة بها ، والتي ادت بالضرورة لوجودها *

لقد التقط « لاري بيرس » واحدة من حوادث الانباز الاجراس التي تكرر في نيويورك ، وخلال ساعيتين ، ككشف « لاري بيرس » ان الاجرام اللغوي قد دخلت حلبة الخطار ليس الا الوجه الاخر من الاجرام التي في المجتمع الراسمي

أما « فيفالو ديجاني » فقد اتم ايابه من وثائق حصرية حدثت لعدد المواطنين ، ونشرها في كتاب احدث حجة منذ سنوات * وابهر « ديجاني » المفرد الحقيقي لجرم القتل ... انها لا تتم مسافة ، او بطل أحد الجرمين ، ولكنها تتم كضرورة لكي تضي الشركات الراسمية نفسها من النقصان *

كلك اعتمد « كوستا جفراس » على حادث اغتيال النائب اليساري « جريجوري لاهريكس » ، والذي تم تثله على يد قوى اليمين المدافعة من وجود التواعد العسكرية على ارض اليونان ، والرجعة من نمو قوى اليسار *

● **تعطي سينيلا اليسار مفهوما انسانيًا للبطولة** ● فهي لا تهم وزنا للبطولة الفريدة الموهوبة ، الفاسية على معايير شكلية بل الواسية والشباب التييق « كلارك جيل » ، او « الصغاية والرجولة التي تبلغ حد البطولة » اثنتي كوين « والخيرا النبوي والدهه » و « الفج الجويل » شارلز بروغسون * ان البطولة هنا ليست حكرًا على رجسليم لهم مواصفات خاصة ، ولكنها بطولة الرجل العادي ، بطل الحياة اليومية الذي لا شهرة له ...

في فيلم « الهامات » يعتمد « لاري بيرس » لواء البطولة على جندي مكسور الذراع ، لا حول له الا شفاها انسانية تستلزم متدبا بين الجرمين كل من في العربة ، وعندما يبدآن المعالها الاستنزائية مع طفلة صغيرة ، يندفع بكل بشاعره الانسانية ليحرب اعداهم بترامه المكسور ، المقتوف بالعصى ، يبين ان الجرم لم يكن بالقوة التي توهمها ... البطولة هنا بطولة فعل انساني عظيم ، صادر من امتسا هادي *

أما « فيفالو ديجاني » فيهم يظه بكل اعزاز ، ليس قوى الجسد ، وليس جذاب الوجه ، وليس من علية القوم ... انه مليل من آلاف العمال الذين نعالهم كل صباح ، والذي ظهورا كثيرا في انلام الواقعية الإيطالية ، جسده يميل الى الضسور والاهزال ، ووجهه ينك بلز العظم ... لكن سر جلاله يكن في مسوده وامراره على الا يبيع دم زلالته بأي شئ وتحت أي تعذيب ... البطولة هنا معنى وفيه ... البطولة هنا ليست فعلا خارقا للطبيعة البشرية ، ولكنها انما هي لاجسليم ما هي الطبيعة البشرية ... ان يفك انهم ضد قوى الظلم والارهاب ، مجا كان يبلش هذه القوى *

أما في « زنا » فكان البطل يضافه الى اللثة الاول من النيلم ... بل ويصير النيلم بوزية القوى الشريفة ، ومع هذا فان النيلم يوك تثله في المستقبل ... ولا يشك لحظة في بطولة الشريفة الذين تم تصابيتهم جسديا أو تم تثلهم خارج البلاد ... فالبطولة هنا أسلوب في التفكير وسلوك في الحياة ... تفكير يثق الى جانب القوى المضمومة ، وسلوك قتالي ، لا يتوقف اثره من الصراع الا اذا تحقق أحد أبرين : النصر أو الموت *

● **لتحاول سينيلا اليسار ان تبهرك بالشكل** ● ذرا ينشأ ان تشرق الانتباه لتحول من مفهون النيلم الى شكل ، ذلك فان الأسلوب الواقعي هو الاساسي في سينيلا اليسار ، لقروض ، والرد المتسلسل للاحداث ، والانتقاد من الارباب والاستعراض ، مواصلة لسينيلا تهدف الى التنبئة ضد النظم المستقلة ... وليس معنى هذا ان سينيلا اليسار لا تستخدم كافة وسائل التعبير السينمائي ، بل بالعكس ، انها تستخدمها طالما تخدم غرضا محددًا ، فالحلال بسك * مثا يستخدمه « كوستا جفراس » استخدما يدبسا عندما يعيد مشاهد اغتيال النائب من وجهة النظر الكاذبة لخير البوليس *

كلك يستخدم « لاري بيرس » أقصى استباكات الكابوا * حتى انه يعيها الى ميون صسلة ، بل تكاد تكون أحد ركاب الطار ، تلت وهي تتسلع حركة انباز الجرمين للركبي ، وتحتضن الجندي الشاب بسبه وتكبير ، وتظهر بالغة الفاعر تقتل بسمة واستطلاع من كل مكان ، وعندما يخرج من التاريخ وزوجه من العلة ، ويوصل الباب وراهبا ، تف ... ميمبا ... هاترة في الظلام *

أما « فيفالو ديجاني » فقد تعلم من أسفلهه الايطاليين كيف يستغل مناصر الحياة الواقعية الى السنين استغلالا فريبا ... فالصيت ، وصير الايوب العديدة لزنزانات السجن ، يطق بها حالات التوتر المطلوبة ... والصور الملقة على جسدان الزنانات تير من تسمية كل سجين ، فاهد المسجين يطق مجموعة من الاوراق الملونة التي تكاد تشبه زينات الاطفال ، وخلال مشاهد طفلة ، يبين المساعد يدى التدهور العظمى والتكسوس الذي بل بالسجين المعزول الذي تحول الى طفل ينسحق ، سريع الضعب ، وسريع البكاء ... أما « بيوتشي » فانه يطق صورة ابنته الفريفة ، وفي مشهد اغتياله ، ويبها الفهم السيل من عروقه المتسورة ، تنظر الكابوا من خلال منبئه اللين ينظرو ديمبا نور الحياة ، وها يتحضنن مسورة ابنته الجسمة في بل للستيل *

● **اكتبت سينيلا اليسار وجودها** ● وألتهت من محاولة محاسرتها وخلفها ، كما بدأت سينيلا تشكل وتنسج لتكون تيرا سينيلا ، وليس حتى هذا ان المستقبل سيل ويخترع ليلها ، ذلك ان رجسليم سينيلا الين بالفرقوا ان يتروكا ليدان ... بل سينزلون المعركة بكت الاقلام ، فلا يزال الى جميعهم المدين من خصص القول العظمي ، وبرغي النفس ، والشواذ ، والرهب ، والاثارة ، بل سينزلون اليدان بانلهم ذات مسحة يسارية كاذبة ... وحسا من الضرورى ان ياخذ النقاد فورهم في المعركة ، تعليم نفع هذه الاقلام ، وتنبئة ذوق الجاصير لتليل ، وتصب ، بل وتصبي ، سينيلا اليسار * الميرة من مصالحهم وآمالهم *



غسان

في ذكره الأولى

حين التقى الخطان المتفصلان : خط القضية وخط الحياة لم يكف غسان بالكتابت . كما كان أبيه تعبيرا عن دخول الواقع يعول الكتاب بدوره ، فينفس في القضايل اليومية والعزبي والسياسي ، كانا ومحدثنا ومهاورا وينفخا على العالم من حوله ، يريد أن يلمح منه ويعطيه ، ويقدم له شهادته على المسألة : هي صانته بالذات .

وانبثقت صورة القدائي في أدب غسان على نحو انساني ومثقف . أبطله يفتكرون ويفكرون ، ثم لا يجدون أمامهم سوى طريق الفداء والقوة المسلحة ومواجهة المدد وجهها لوجه . بمسد أن فرست الحقيقة بذرنا في أحشاء مسرور انطلق حاد إلى الوهم الذي أمده طوال سنوات القضي ، لكنه أبقن وهمه لحظة الواجبة ، فلا شيء غير الواجبه والانتقام بهي المعنى لحياة بلا معنى ، هذا فخط حقائق كاملة ، هذا فخط ما يعيد إلى بقايا الإنسان جوهره المتجاسك والمخالف . لا ينوب الوهم إلا في حرارة الانتقام .

وتقدم خطوة أخرى : داهيتا ٦٧ وفصح الحدود ، ورجع النزاع من حيفا إليها ، عاشت فكرها شاعرا فغسانما

مذين كان قد وصل إلى أول انتفاع صلب أين به : لخالص الإنسان الفلسطيني - الصورة الأكثر تجسيدا لضياع الإنسان العربي - إلا في الذرة . بعدها لم يعرف لنفسه هدفا آخر ، عرف أن الطريق إلى ياقنا وحيفا وعكا وكل تلك المدن والقوى بلا أسماء أنها هو طريق واحد ، لا طريق غيره إن أراد أن يعود ، ليس فقط أن يعود ، ولكن أن يسترد جوهره الانساني المسحوق تحت وطأة أكتفى والملاة والتشريد والتضياع .

ونورت حياته كلها لهذا الهدف : كتب المقالات والبيانات القصص القصيرة والطويلة والتحقيقات الصحفية والفراسات الأدبية ، وفي كل ما كتب لم تهصرف عيناه عن هدفه لحظة ، ظل واقعه في قلبه وأمامه وورائه ، سواء كتب عن موقف سياسي محدد ، أو رأى بين الظاهر كفتشريق الشمس في آسيا ، أو رجع إلى صور طفولته وعشائه في الإغنى الفاتمة نصابها شخصيات ولعدائنا ومواقف ، أو تنكب على التمازج المتاحه في الأدب الاسرائيلي يدربها ويحاول أن يذل من خلالها على تكوين المدو وتفكره ، أو تابع - ودأب السياسي وروح الفنان - لتجميع نماذج أدب المقاومة الفلسطيني ليكون اسمه بين أول أسماء من شمو العالم هذا الأدب الرجولي الصايد ، الحفر والمقاوم .

» في ٨ يوليو ١٩٨٥ ، اختلعت الأسراط العربية القديمة بمرور عام على استشهاده القاتل والكتاب الفلسطيني غسان كنفاني .

ولم يكن أحد من عرفوا غسان أو تابعوا أعماله يرى مصيرا آخر هو أقصى غسان وأوضح في الدلالة على حياته . عاش حياة قصيرة [٣٦ عاما ؛ لكنها كثيفة معقدة : مثالا بالغ التقاء سيرة حياته : من الزواج إلى اكتسبت إلى حنبلة الفداء ، صبيبا خرج من ياقنا بعد أن وفعت عيناه وذاكرته كل عناصر المسألة : فساد القلم وخيانة الزعامات ونفزة السلاح ، وتراخي الحاربيين ، والأرض فسقط شيئا بعد شيء ، وتقرية بعد مدينة ، وأمواج القذرين تتدفق ، ورواها القزح وأمامها الحقيبات وكواخ الصليح .

ولم يكن ممكنا له أن يعرف أو يحب غير فلسطين . ظلت حبه وجرحه ، وأله المالق بقلبه ولسانه . خرج من طفولته يوم خرج من فلسطين ، وطاف بالأرض العربية من شمسائها [مسوريا] إلى أقصى الجنوب [الفلج] يبحث عن مقر ، يخالبه مرة في الحلم ومرة في الوهم ، لكن تفتيته أمسكت به في الواقع ، ووجد الظاهر الشريد مستقره في الواقع ، وفي الأورثوفاث . وحين أسطر في بيروت مرفقا جناحه

أرضي لارقي ؟ على استطاع أن يلقاه
أخيرا فوسعه في زناته بتجن عا ،
.. سقط القلم من يد الكاتب وسجنيه
رقسم ٣٦٢ لأزال في زناته اللعنة
سجن عا .
تري .. كيف كانت مستقبل قصائه
أبها العزيز لسان ؟

بوسعك أن تسال رفاق هبلك وطريقك
وصيوك .. أمال أما يوسف وعدوان
وناصر .. لعلم سيقولون لك ان القضية
لا زالت مطروحة ، وان الجراح لا زالت
تدعى ، وان القضية القوية التي أصبحت
الحلم يوما وهبت بتجسيده على أرض
الواقع تتراعى ، والعلم يشرب بسائل
حيات الرمال .

وعلّمهم سيّقولون لك أيضا أن أحدًا
لا يستطيع أن ينفكّ الجمل ويؤمّنه
أشلاء ، وأن « تلك العقيدة البائسة
والسوقطة والفقرية » العربية هي مميزات
البؤس ، والتي شئت فيها ومهما لها .
هذه العقيدة السلطانية التي دمّعت قلبًا
من الهزيمة في الرأى قادته على بؤسها
الضعف ، لأن البؤادة ، على العصبية ،
تدعى ، وذلك الخالية العتية التي تزعمها
بهرم سمعة ، على حدة دارك لا بد أن
تبرع مبرما ، وتطمح بن عتلا .

فاروق عبد القادر

الخاتمة خالصة كل الكلمات و قد
فهمنا و مرة أخرى - في حاضيتنا
و مرة حجاب الموت البارد فاعلمنا
اني انا كائن وامثله اتي ليكتل
اني (الاممي والارض) توسد امي
انصرفت غائلة ، انصرفت فندالاممي
والارض اتي من قلتي ، وجرينها
الجائرة ، من جاء القلم
وراء اسوار السجون فريد وعيها وضع
ابديها في اصل المسئلة ؟ قال لها
الاولي : كل الزجرات والامم
والاناممي في قبة الير ، ان قمتها لها
انطقت كمن طوي السبي روس ، في
انسانتها ان تجمد في اولى نمك ان قلته
في جلوه ، ان طرعت في اولى جديت
في سطور من وراء شعرك ، تلك قال القدي
العائد شيئا آخر : قال ان اطلق
الرماسي نومان : نوح اوماه الطق
والآخر اسماه (البسيلة)
من طرحت القدي العائد كثر ، كان بمن
في نوح لها : فيوا لك

لها المائتي ، فهو عائتي أرض
علسطين ، مائتي شجرها وتلاها وجبالها
وشجيرات الشوك الثابتة في هضابها ،
عائتي الخيل والحرية ويمون النساء ،
من المجهول جاء ، وإلى المجهول يمشي ،
دوخ مفتش البوليس الإنجليزي وراه من

ولحظة فاصلة ، لكنه خرج منها في رحلة العودة باليقين نفسه ، أن الوطن ليس الماضي ، ليس هفنة ذكريات عفا عليها الزمن ، تبتسك بها كي نخفي جبيننا وعجزنا ، الوطن مستقبل كامن في شروعات المبادىء ، لا مستقبل قيرء ، ولا طريق للعودة سواه .

وقدم خطوة ثالثة : كما وهدد بين
عقاب الهاجر التمسطيني والعربي الفصاح
من ارض الحدي ، تفقت عيناه على
حقائق باهرة : ان السلسلة ، هناك ،
قوة ، تودد بينهم الاهداف والمصالح
والرغبة في ان يظلوا دائما على القبة ،
في حين ان العبيد موزون متباينون
تأكلون في الخرافات والوهم ، هـ
بالا ان اعد هؤلاء الميزون المشاهرون
المفرون في الخرافات والوهم ؟

ثم تقدم آخر خطواته وأكثرها بساطة ،
لا بد أنه كان عنده يومًا مِللٌ فيروء من
الأيام ، مقلًا بمشروعات العمل واللقاء
والعزاء ، ثم الهدوء - آخر الليل -
إلى كتبه وأوراقه ، لكن شيئًا حدث :
تقلبت أسلحة لسان من كل مكان فاجعل
بمزهة اكتمل ، بنائر انسلاخه تحسب
للتحقق الوحيد الممكن ، قالت الإنسلاخ

فؤاد کامل ..

والتصوير المصغرى المعاصر

تصارت بل وتناحفت تيلها ؟ وفى بلد
كان قد فقد استمرارية حضارته وثقونه
لدة طويلة من الزمان كانت مشكلة الفنانين
والثقثين الرئيسية هى البحث عن مساهمة
الشخصية المصرية الغنية ، وعن الطريق
الذى يمكن ان يسلكه الفن المصرى بكافة
بروحه كى يكون فى النهاية فنا متحضر
بليق بامة حديثة انطلاقا من تفسير ركبته
الحضارة ؟

فإن ملأ على ذلك الاتجاه اللاشعبي
من التصوير (المصري) ولقد ظل يخطا
الاتجاه الذي اختاره وأثنى به طليعته
الفنية لا يجد منه وكلنا قد وجد خلاصه
في 6 مسارات به تقاس وأصل التجربة التي
أخر الشوط .

في الأربعينات من هذا القرن كانت الحركة الفنية والأدبية في مصر تفتقر إلى التجديد، فظهرت الاتجاهات الفنية التي

توفي في الشهر الماضي المصور غواد
كابل بعد مرض طويل ، وبموته فقدت
الحركة الفنية المعاصرة في مصر قطاعين
أقطابها البارزين ، كما انتهت بموته
جيرة ابداعية هادة ومخلصة .

لقد ارتبط مؤاد كاهل منذ بدء حياته
الفنية بالإنجاز نحو التجريد المطلق، حتى
قد أصبح اسمه بالأضافة الى روميسس

لقد أبدع فؤاد كامل تجربة في التصوير
المرسوم المحاسن باليد والخط
والانطلاق ذهني فيه وان كان في عمله
ذهنيا قريبا الا انه اشفاك عليه من قائه
الكثير من السهل علينا اقتضاه عمله
التجريبية بين مثلث التجريبيين التفتت
نوع من التردد في المعالجة التصويرية
في الخيال الذي يمكن ان تثيره ، انه
يكن يمكن جردنا نائل او داعية لبيان في
أوروبا ، وانما قد مساحد هذا التيار
بمهموه الظهور للئن هو في نفسه
فكان به واعته واخلى له على التهيئة
ستخدما اياه في التعبير عن ذاته
المفردة ، واذا كان لنا ان نهدى ربا
في التجربة التي خلفها فؤاد كامل وبات
ودو كائنا من اجلها ، نسوق نقول ان
لواسته نقد جنبا الى جنب مقاسا
وتجربا مع اصناف كبار التجريبيين
المعاصرين في الغرب ، ولكننا في نفس
الوقت نقول ان فؤاد كامل قد اخلت
اجاها مثلا فليست لانسج بامسيرة
او اتصال في بناء شخصية واضحة
لتصوير المرى ، وفي هذه الحدود
تجربة ادعائية باردة .

● تقدم لنا رمسيس يونان تحريداً تفردياً
فنا فيه مسحة سوية رقيقة وشفافة
يعطيها نسج لوجانه الدائم الذي يتدرج
من البني الداكن الى الاصفر الواج
من خلال درجات خفيفة تشي بعالمهمسحور
مكتن غايض .

أما الاتجاه الثاني وقد مثلته جماعة الفن والحرية - التي كان فؤاد كامل أحد أعضائها الأساسية - فكان ينادى بهذا المذهب بتأليده الفنية التي نشأت تحت ظروف خاصة بعصرها، والسبب في ركاب الضمارة القوية المصورة وما أبدته

● أمانتچريد فؤاد كامل علي النقيص،

تدقيق

التدقيق

والتدقيق

من أوصاف بلرلج الذي يكافئ بلتسج
أفكار غيره ، دون أن يلعب بلها أرا
من نفسه ؟ ليس في ذلك ما يثير
ويصق الشكوك ؟

والخبر ، فانا لا نكر الجهد الذي
يبدله الأستاذ عماره . فقط ، نريد له
أن ينتقل من « التدقيق » إلى « التأصيل »
والخاص إلى التدقيق على أسس علمية ،
والأسس العلمية تنفرض أنه ليس من
حق الباحث مطلقاً أن يلبس استنتاجاته
ثياب الحقائق ، وألا يفتننا بذلك نشوء
الحقيقة التاريخية ذاتها وتغير من حيث
أربنا أن نتبع .

والطريقة التي والتي يبعث من أعينك
بها ، وإن لمفردنا على كل بحث كبد ؟
في أن يشير الكاتب ، في حاشيته كمل
مثال أو كل مادة ، التي أنها نشرت
« غير موعودة » . مثلاً ، وإلى أنه هو
« مبتدئ » بمجرد اعتقاد بنفسه إلى
« غلان » ثم بعد أسبوع اعتقاد ..
ليس في ذلك ، ما يكل لنا نرا تاريخياً
سليماً من الاستنتاجات الشخصية التي
حصلت من أمثلنا « المصلحة » بشاراً ،
لانتقاد كثير من أجهزة الاستشراف في
العالم ..

مرة أخرى ، لانتقاد عماره ، تحج
نتج جهك ، ولكن مزيداً من التدقيق ؟
وحدار من أن حصل استنتاجاتك أن
ارتكك إلى مؤلف توقيف ، أو أن تلبسها
ثياب الحقيقة ، فإن أجيالاً سامة
« محققين » تخزين سوف يمدون لحسن
ذلك كله اليوم ، أو فرد . كما فعلت
أنت مع من سبقوك من المحققين ..
وليس من ماسم سوى الأسلوب العلمي
الذي يضع الحقيقة كما هي ، دون أن
يلبسها باستنتاجات أو آراء شخصية
قد تمسب لحيانا لقد قد تضرره أحياناً
أخرى ..

د . رفعت السيد

● هل يكن أن تستخدم السجع مثلاً
دليلاً ، فتنسب على نسبة كل المقالات
المسجوعة إلى الشيخ محمد عبده في
بيرة معينة ؟! ألم يكشفي محمد عبده
نفسه مثلاً غير مسجوع ونسبه لمحمد
عبده ؟ [المرجع السابق ص ٢٠٨]

● هل يكن أن نلحن أن هذا النص
نسم وصديق ، حتى نستفيد بعد ذلك
كليات فاطمة مثل « تؤمن وتؤمن » بنسبة
النص إلى صاحبه ، ليس في ذلك
تواضعاً من أسلوب البحث العلمي
[المرجع السابق ص ٢١٨]

● هل يكن أن نتلع بلن « الحقيقة
وليس مجرد الاستنتاج » كما يقول عماره
في أن توقيع وليس التحرير في أصل
الجريدة ، يعني نسبة كل ما بها من
مخالات غير موعودة إليه ؟ ألم نكتشف
عماره نفسه عديدًا من المخالات غير
الموعودة وثاك من أن كتابها ليس الشيخ
محمد عبده ؟ ثم ماذا لو جاء محقق آخر ،
واكتشف بمخالات أخرى من بين تلك التي
جمعها محمد عبده كرواها ليسها في
مجلدات بنسوبة إلى محمد عبده ، ونسبها
إلى كاتب آخر ؟

● عماره يزم بأن كل نصوص
« البروة الوثائق » هي للأفغاني ، إلا
يحتل أن يظهر ولو مرة واحدة في
بطل واحد ؟ ليس هذا الاعتلال واد ؟
ثم ما رأيه فيما أورده هو من نص نصبه
للشيخ محمد عبده « الإنكار في البروة
الوثائق كلها للسيد » ليس في هذا فكرة
واحدة ، والمبادرة كلها إلى ، ليس للسيد
نبا كلة واحدة [المرجع السابق
ص ٨٠] . أيها محمد عبده
أم محمد عماره ؟ وهل يكن القول بأن
« الإنكار كلها للأفغاني نسبة كل المخالات
« جزاء » للأفغاني مع التفتن أن صاحب
مسانتها هو « محمد عبده » ؟ وهل
كان محمد عبده بكل ما خلفه عماره عليه

بلل؟ الأستاذ محمد عماره هدد؟ كير
مكثري في تحميم وتحديق « الأعمال الكاملة
لمحمد بن رواد الفكر الأسري . العربي
الأفغاني والكواكبي والشيخ محمد عبده »
وهو جهد يستحق الثناء ، لكن يتطلب أيضاً
أن يحاط بأكثر قدر من الاعتناء العلمي
والتحقيق الشديد ، حتى لا تصبح مجلة
« التحقيق » محاولة لفرض « استنتاجات »
« الحق » وآرائه ، على الواقع التاريخي
وعلى الحقيقة ذاتها ..

والاستاذ عماره يبدل جهده في مجلة
التدقيق بمستخدفاً ضوابط ليلها على
الضوابط المتبعة لكنها ليست كافية على
الإطلاق لكي يضمننا الجرأة لثمان نسبة
هذا العمل أو ذلك إلى هذا المؤلف أو
ذلك ..

فلاستاذ عماره يتجول بين صفحات
المجلات والكتب يفتاح مقالات فيروعة ،
ثم يلخصها أو يفتحها على طريقته الخاصة
بمنا في نهاية الأسر ، ننسبها إلى
الأفغاني أو إلى محمد عبده أو غيرها ،
نسبنا أن « التحقيق » لأنه مجلة تستند
إلى ضوابط اعتدالية ، فإن نتجها أيضاً
اعتدالية لا يمكن الجزم بها ، فهي مثلاً
ليست مثل محقيقات الطب الشرعي التي
تعتمد على ضوابط علمية فاطمة لنتائجها
أن علمية فاطمة ..

ولكن لا نطيل مثلاً نكتي بمسألة :
● جمع الأستاذ عماره الأعمال الكاملة
للأفغاني مثلاً للجمع أنها الأعمال
« الكاملة » . ولنتأمل حتى « الكاملة »
هذه وربما صدق الناس ذلك ، لكنه يمد
يقول الآن ، أنه اكتشف بمخالات كانت
بنسوبة خطأ لمحمد عبده ونسبها هو
للأفغاني وحججهما جواد كمال .. ليس
في ذلك ما يدعو للامعنة ؟ ليس هذا
دليلاً على « اعتدالية » كل النتائج التي
توصل إليها « المحققون » السابقون التي
كترتهم وكل نتائج محمد عماره أيضاً .
[الأعمال الكاملة لمحمد عبده الجزء الأول
ص ١٢]

للأفلام التسجيلية والقصيرة

٣ - جائزة التصوير لمسرح فرج من
عيلم لؤلؤة النيل .

٤ - جائزة المونتاج لكمال أبو العلا
من نظم اعداد الحياة .

• - جائزة الموسيقى لسليمان جميل
من قبله وحك مصر •

٦ - جائزة الصوت لكبال عبد الله
من فيلم وصف مصر .

٧ - جائزة الإخراج لعبد القادر
الطيطي، عن فيلم وصف مصر

وقد منحت لجنة التحكيم شهادة خاصة
وميدالية للفيلم [أسوار الحياة] من
إخراج نبيل الیهی ، وشهادة خاصة
وميدالية للفيلم [موكب الجاهلوت] من
إخراج مسير سليمان ومتياس نصر . .

١ - جائزة الميناريو لصالح النهاى من
بيلم [سد مصر العالم] .

٢ - جائزة التصوير لحسن التمسائي
عن قيلم (من أجل الحياة) .

٤ - جائزۃ الاخوات لاصلاح التماس

من فيلم [سد مصر العالي] *

الافلام الروائية المتوسطة الطول

١ - جائزة الميناريو لعصام المغربي
عن غيلام اثنين

فيلبان تريد مدة هرقها عن ثلاثين دقيقة .

٦. أعلام روائية قصيرة •

٧ أعلامكم تذكركم .

وقد تكونت لجنة التحكيم للمهرجان من
أحمد كامل موسى رئيساً وأحمد خورشيد
واسماعيل القاضي ورؤوف توفيق وأحمد
الحفري ويوسف جوهري وجبال مذكور
وجلال صالح وحسن فؤاد . وبعد اختبار
الطلاب الفائزة اختار يوسف السباعي
وزير الثقافة نتيجة المهرجان .

الافلام التسجيلية والقصيرة

١ - جائزة الفكرة لإبراهيم الموجي
عن فيلم بلامع شرقية .

٢ - جائزة السيناريو لهاشم النحاس
عن فيلم الفيل لوزاق *

٣ - جائزة التصويب لرمميس
برزوق من فطيم النبل أوزاق *

٤ - جائزة التصوير لـ **عبد المهيمن**
عن **علم الرجال و الخنادق** .

• - جائزة الاخراج لهائتم النحاس
من فيلم الفيل ارباق .

والتبعت لجنة المهرجان شهادة خاصة
للتبليغ (جوار) من ا. ح. كمال الشين.

الإفلام التسجيلية المتوسطة

١ - جائزة المكرة للمواد النحاسية
عن فيلم شدونان

أقيم في القاهرة المسرحان القومي
الرابع للاستطلاع التجريبية والتقصيرة التي
انتجت الهيئات والأفراد بالتصايف العام
والخاص من انتاجها خلال الفترة من أول
يناير ١٩٧٢ حتى نهاية ديسمبر من نفس
العام .

وقد اشتركت في المهرجان ١٦ هيئة قدمت ٨٢ فيلماً مقابل ٩ هيئات قدمت ٦٠ فيلماً في المهرجان الثاني (عام ١٩٧١) و ٩ هيئات أيضاً قدمت ٢٠ فيلماً في المهرجان الثالث (١٩٧٢) .

ولادة اسبوع من ٢٢ مايو حتى ٢٨
من نفس الشهر عرضت أفلام المهرجان
بالمركز الفني للصور المرئية وتنقسم
البرسنة مجموعات :

[١] أعلام تسجيلية لا تزيد مدة عرضها
عن عشر دقائق ..

[٢] أعلام تصجيلية تصل مدة عرضها
إلى ثلاثين دقيقة .

(٢) ألام تسجلية تزيد مدة مرضها
عن ثلاثين دقيقة . .

[٤] انلام روائية قصيرة لا تزيد مدة مرضها عن ٥٥ دقيقة ..

[٥] الامام تحريك [رسوم متحركة
عرائس] . . .

ولقد وزعت أفلام المهرجان تحت هذه
الجنومات على النحو التالي :

٢٧ قبلها لا تريد مدة عرضها عن عشر
ثلاثة .

٢٦ فيما تصل مدة عرضها الى ثلاثين
ثلاثة

الادب والفن في شهر

الادب والفن في شهر

الادب والفن في شهر

الموسيقى لا يتخذ شكلًا شكوكًا بخلطة .
وأحد طعائر الاصباح من هذا « الجوهر
الواحد » يكن وصفه بعدم تأثر التأليف
بأختلاف الآلات الموسيقية التي تؤيده ،
بالعوجا يمكن أن يؤيدها البيانو أو رهاى
الوترية دون أن تفقد شيئًا من جوهرها
أو قوتها ، هي على هذا النحو نوع
من الفكرة المنفصلة عن تجميعها . ويرى
بوسيج هذا وجه شبه مع تقدم الميتافيزيقا
تدريجًا نحو التكنولوجيا أو علم الوجود [،
ويكسب ادراك هذه الفكرة أيضًا إلى مفهوم
باخ للزمن ، وهو مفهوم يصل للتفصيل:
من ناحية « أن الجوهر والمادة وراء
أو فوق الزمن » وجوهر ومادة الموسيقى
« إذا كان ثمة شيء بهذا الاسم —
بريتيك باللاتناهي » « ومن الناحية —
الأخرى فإن هذا الجوهر يجب أن يحقق
ذاته ، وأن الزمن هو مكان الفكر ،
يصبح هو الوسيط الذى يحقق من خلاله
الفكر ذاته . مرة أخرى : أن تحقق
الجوهر على هذا النحو يحصل وجه شبه
بفكرة اللاتناهي عند باسكال [ونسيف
أشأ : عند هيجل [، الذى يتطور لكنه
بطل رمز المطلق إلى الوقت نفسه ، ويبدو
كأنه يزداد كثافة كلما ازداد عمق .
إنها رؤية متنامية ودرامية للزمن — وربما
للعالم أيضًا ، ليس كذلك ؟
هذا الجنس الدرامى ، وهذا الميل نحو
اللاتناهي يميزان أيضًا إيمان باخ كما
يتطور في موسيقاه ، بمعنى احسبسه

أفما يملأ بالفلسفة بعد المؤلف أوجه
الشمس قائمة على مستويين من مستويات
بوسيج باخ : مستوى الفكر الكامن في
الموسيقى ، ثم مستوى الشعور .
وينطق ارتباط بوسيج باخ بالفلسفة
إذا نظرنا إلى اتجاهه نحو المشكلات
الرئيسية الثلاثة في التأليف الموسيقى :
مشكلة التصنيف ومشكلة الشكل أو
الصياغة ، ثم مشكلة الزمن . فمن حيث
التصنيف — وهو عند بوسيج أداة منهجية
إلى جانب أنه بناء فنى وإجبارى ، هناك
تشابه بين باخ وفلاسفة الميتافيزيقا العظام
في القرن السابع عشر ، هناك — على
سبيل المثال — تشابه بينه وبين لايبنتز
في أن كلا منهما يبذل لأن يعبر عن أفكار
مفهومة بكثرة العالم ، كما أن كلا منهما
يسعى من متخفية بخلطية ذات طابع
نفسى لاوعى [شيء أشبه بالفلوسوف
الكبرى [تتنقل إلى الإيمان بأن الانسجام
والجمال يعبران عن نفسيهما في العالم ،
ولكن يجب إثباتها [عن طريق الفلسفة
أو تحقيقها [عن طريق الفن [بمحاولة
المفصل .
ومن حيث الشكل أو الصياغة ، فإن
أكثر التشكيل تعبيرًا عن باخ هو الشكل
« الأحادي » أو الذى تجسد فيه وحدة
الوجود ، وهذا ما يجعل بوسيج يكثر
في مفهوم سينتوزا حول جوهر الوجود .
وهذا يعنى عند باخ « توليفًا محسودًا
يمكن ادراكه ، أو نمطًا في التشكيلات

صنعت عمدًا في توليدًا تخليق من باخ
متميزان . . . باخ : الموسيقى والعظيمة »
يقول منه محضر الكتب الجديدة في
« الهوليش برسكتيف » أنه واحد من
أروع وأدق الكتب التى كتبت عبر
الموسيقى ، وأكثرها جرأة وفردًا . أنه
يستطيع التنازل إلى أعماق طبقات الفن
والثقافة ، ثم هو يكتب بأسلوب حر
متعلق ، يبعد كل البعد عما يحتاجه
الأسلوب الصلبي من إثارة وتبسيط .
يكسب جرائنه وفردته لأنه يحاول
استكشاف تلك الأرض الغائبة الملتصقة
بالشؤون المشتركة بين تلك المجالات
المستقلة من لفظة الموسيقى والفلسفة
والدين .
ويقسم الكتاب ثلاثة أقسام تحت
العناوين التالية : الفكر — الإيمان —
الشعور . من حيث أن هذه التعبيرات
الثلاثة — كما يقول المؤلف بودان بوسيج
— « هي نقط التى تستلحق أن تعبر من
جورم الانسانية » في فردته وتنوعه
مما « وفى الانقسام الثلاثة يشرح
بوسيج ، على التوالي : [1] ما هو
موسيقى . ويتطلى إلى موسيقى . باخ .
[2] ما هو متعلق ويطلق . [2] ما هو
ذاتى وتعبريوعاملى في هذه الموسيقى .
وعلى كل من الانقسام الثلاثة يحاول المؤلف
أن يتبع أوجه الشبه بين موسيقى باخ
من جانب والافكار الفلسفية والدينية
المتداولة في عصره من الجانب الآخر .

بالمطلق . فهل يستطيع أحد أن يتحدث
عن الله مقدس في موسيقى باخ ؟

مبصرة أخرى : هل يستطيع أحد أن يضع
خطاً تاسلاً بين ما هو مقبوس وما هو غير
مقبوس ؟ نعم ، يوجد ، نعم ، هناك الذين
يتمسكون بـ « كمال الوجود » في هذه الموسيقى
التي « هذه التلهي والتسالي في كون
الوجود لله » ، يؤكد وجوده ويقيم التلهي
على حضوره » ، هذه الموسيقى تصغر
من أيان شيء غير مقبوسات كسما
تجسدها أنزل الكورال عند الرونستانات ،
ومن الناحية الأكاديمية ، فلابد للغيان من
أن يغير من نقشه في رموز ، وتضفي
رموز الأيمان على الموسيقى طابع
النداسة » من هنا يمكن أن نحدد محور

ما هو ديني في موسيقى باخ بأنه ما يتعلق بتاريخ الكورال من جانبته وما يتعلق بالنصوص الدينية من الجانب الآخر .
ويضع بوسيج خطا فاصلا بين «الزوجة» في موسيقى باخ ، تلك التي تقسمها في سببها الحقائق الدينية المجردة ، و «الدالة» التي تأخذ تلك التي ترتبط بواقف والحالات أكثر سلا وأقل وضوحا : الخليل ، والصلوات ، والفرح والاسى . الخ

ولقد استند الرزية إلى موسى
ياح أصولها من الإنجيل الذي يصره
باعتدال لا يخل له ، ولعل أروع الأمثلة
لهذا التفسير ما قدمه باخ في دراسة
من الديون المصغرة ومطهرته من الألم
السبح ، وتكشف هذه الأمثلة عن نقله
مع الطريقة البروتستانتية في الحياة كما
يشير بها الإنجيل ، من حيث أن الموهبات

اللاهوتية يمكن أن تصبح هي نفسها أروع
الغبرات الفنية ، وأن هذه المفاهيم
مطورة في أعمال وجود الانسان
وإنعائه ، في احساسه بالقنوت والتحق
بين وجود الشر والخبيثة في العالم
وايكائية تحقيق الخير المطلق فيه .

والى جانب الايمان البروتستانتى هند
بانج ، هناك ما يتعلق بالمشاعر ، وهذا

عنصر لا عقلاني . وعلى سطح هذه
الشعائر تظهر ثقافة رومانسية ،
والرومانسية عند بروميج ايجاد في الفن
والفكر تديم قيم الفن نفسه ،
[ترجع بدايته الى الخفوس الديونيزية
على أكل تقدير] ، و يعرف الرومانسية
بأنها شعري ما هو انشائي وذاتي [ولا
عقلاني] ومعاني [بمعنى هذا التعبير
عند كاتس] ويرى العنصر الرومانسي
منه تلك الحدود الغامضة بين الشعور

والإبداع ، وهو يمتزج — خاصة في القرن السابع عشر — بالتفكير العقلي المنظم ، ففي هذا القرن كان ثمة ميلٌ نحو:

« تفسير » المواطن والانتماءات : لكن هذه المواطن - اذا كانت تفتقر جبهة كبرى هي في موسيقى باغ - لابد ان تتوحد الى نطاق الذاتية والانتماءات ، وهذا هو مجال التعبير الذي لا يمكن ان يكون موضوعيا موضوعية خالصة ، بل ينقل كائنا في مكان ما من تلك العلاقة الدنيوية بين الذات والموضوع .

والفلسفة - مثل الفن - ولادة
 للعلم - حب الحقيقة والخير والجمال -
 حب الخلق - والجمال - مثل الفن -
 يجعل الوجود أكثر قوة وكثافة - حسا
 بقدرة يبرهنه مفهوم الجمال الخاص
 بالجمال الذي يكمن الوجود - أو الذي يبدو
 الوجود كذا - والذى يبدو - في رأيه -
 الحساسات الرومانسية - هذا الجمال
 يوفق بيننا شعورا بقدرة - نوصا
 بين الطبيعة ربع حرارة أفضل ما عرفنا
 وتلانا بالوجود - والفن - - حين نمت
 الحب الكبرياء الحب الجمال ونتمشقه
 وأن كان لا نستطيع أن نطهقه - لئلا
 استكانة لتلاي الجمال -

وعلى هذا .. فإن المشاركة في هذا
الجمال المكلف تنتمي بها من ميثاقينا
ثبات طابع الانطوائى أو كائن ، بل ان
هذه الجمال المكلف ليس مفعلة جمالية
لنقط بل ميثاقية ايضا .. « لانه
حين ينير فيها هذا الشوق الذى لا يتردى ،
يحملنا نعيش خيرة ميثاقية هي نفس
بل نؤكد بالحساس وعدم الكمال »

يتر هذا الكتاب الجبل والحكيم
سلطنتين تعديبتين : الأولى تتناول
استغفابه للمصالح الفلسفية ومنهج
في تقصي أوجه التشبه بين الفلسفة
والموسيقى ، حيث يستعمل مفهوماً
« الجهر » كناية عن شأنه عند سينورا
لكنه في نفس الوقت يقتبس عن أرسطو
وسينورا ويليندون حول محاولة من أجل
لاذ بدعياً وبينهم خالص مشتركة . ثم
هو لكي يفتش ما هو جوهر في الموسيقى
باح يشير إلى التنازل الكوال كما هو
كانت . حيث لا توه الأيديولوجية

عنه المؤلف الموسيقي كله « و يبرز
في نفس الوقت « للاكتابات الخالصة »
أو للبادء « فمادم يكن فيها العمل
الموسيقي أو عدد محدود من الاسماء
المختلة أو مكتابة التاليف بوجه عام .
ولكن « المكتابة الخالصة » - ويبدو
أن المؤلف يتكلمها هنا بطولها الاسطفي
- مستبعد إمكان الشكل « أو الصياغة »
ثم إن عددا محدود من الاسماء المختلة
لا ينافي مكتابة التاليف ، ومن فرائد

القول: انك كائنك التائيل (يوجه)
 التايل كائيل (يوجه) مبدع مبدوع من
 الاميل المحبلة (ايهل لان يهل من
 التايل شيئا يهل الاشياء يهل
 الوجدوي او التايلوي) اي التايل
 شي خلق الجهر من بوسع (وهي
 تلكه يوتد شيئا يسيئ التايل مبدع
 وهي يوتد شيئا يسيئ اداؤه (لكنها
 يسيئ اي طيبه الخايمه شيئا يسيئ
 واحد من الخايمه الخسدة اليه (الكبة)
 كذا نرى: اي شيئا يسيئ ان تكون
 كائيل: اي شيئا يسيئ ان تكون (كائيل
 فليس (وايضا بان الماده ليست
 نسيه الجهر (رغم ان بوسع
 يسيئ لنا جهر المصنوع عا بوسع
 الجهر الاصطناعي
 كفة (او يسيئ ان يكون كائيل
 كائيل)

الملاحظة الثانية ذات طابع إكترسولوا
وهي تتناول مد أوجه التشابه بين الجوانب
« المنطقية » و « غير المنطقية » في
الثقافة . وكذلك لهذا نذكر صور التشابه
بين الدين والموسيقى ، أن الرموز الدينية

« تبنى الفكر » ، وهي « باتت موطئا
 الى رول اخرى ، وبينة الى الجاي لجا »
 وفي الناحية الاخرى كان الموسيقي
 الازموني ، يوضح الشلق ، ويبدو ان
 خلفية استخدام الدين ليدوس هي ما
 يفسر بتدويرة الانتقال الى الموسيقي
 الدينية ، ويبدو ان الموسيقي لا تصطبغ
 ان ترجم المصيرية الى لغتها
 للدين وطفره الى كل كليات «
 كالات »
 وتكون « باتت الى الموسيقي
 مبدوعة للثقافة » ، بل ان اشك هي ان
 يا بعده « بروج » ، وبالتالي الى «
 الى موسيقي باق يمكن ان تفسر دائما
 دين وروح بخلاف متن ومثل عليه ليدوس
 الشارة » ان الموسيقي تصطبغ ان
 تنزل ان تستعين با يمكن ان تدعوه
 بالخاص من طريق مس واسع التطلع
 من الخلال الشلق المزمرة « على ان تظل
 حالات انصليقة وحمورية مصطبغة من
 الموسوعات التي اكثرتها ومن اى خليط
 تى طابع منطى »

ويبدو أن صعوبة تقديم تحليل مقنع يقدم أوجه التشابه بين الموسيقى وغيرها من مجالات اللغة ، وكل التناقضات الناتجة من هذا التحليل ، يبدو أنها سمة ضرورية لأنهم أي مقارنة من هذا النوع ، أنها تكشف بجلالة شغف وسعدونية الفكر المتوتر بالمثلث وحده ، وهجسنا للمفوضات البهية التي لا تفسر نفسها واللغة التي تعبر عنها هي النسوء

الدور النضالي

لاقتصاد نسوازي السمين

سمين فريد

ينسج بين مواد الذي يتمسور قبله
شعيا من الدرجة الأولى ، أنه فيلم
جوداري [نسبة الى جودان] كما
أنه يمسائر كثيرا بنظريات بريخت في
المرح والسمينا .

يبدأ الفيلم الذي مسموره بالابيض
والاسود ميد اللطيف بين همار يفرس
نارويحي سان فرانسيسكو يلقى محاضرة
ويستعين أثناء محاضره بتطليح من
العلقات والكلمة والصور (الوتوغرافية)
وخلاصة هذه المحاضرة أن المرحوب هم
الذين اضطهدوا اليهود وتسيروا في العرب
الحالية الثانية ، وأنهم الذين أحسنوا
اسرائيل ، بل وسمين الذين اخفروا
القبيلة الأخيرة ، والغسوا بها في
موريشيا ونجازاكي 11

نعم : ذلك ما يتوله الفيلم بجدة تامة
حيث من الحقائق المطلوبة في هسدا
العلم ، ومنها المخرج الى الحقيقة
الكلمة وراء ما يشاهده . وينتهي الفيلم
بعده مع فلاح تونس رساله له المخرج
بن وراء الكليها حل أنت مغرغ القبلة

يتم مهرجانا دوليا للشيف كل ماين
بذ عشرة أعوام ، وهو مهرجان الأيام
السينمائية بقرطاج الذي تطلع مضيقته
على الانلام العربية والأفريقية فقط .

ومنذ ذهبت الى تونس لحسبور
الفتح السينمائيك والاشترك مع يوسف
شاهين في مؤتمر محلي حول الظروف
الراحة للسمينا الصرية كان المؤثر
السوي لاتحاد نوادي السمينيا حسد
التي منذ أيام طفلة . وقد أفرح لي
بشاهدة أحدث لسلامه يفسد بن مراد
رئيس اتحاد نوادي السمينيا وهو فيلم
« اعترافات أكل لحوم » ، الذي خرج
من العمل منذ عدة أسابيع ، وبالحقيقة
للورتنفالي للاتحاد مع السكرير العام
الشاعر والكاتب ميد الكريم تابوش .

أما فيلم « اعترافات أكل لحوم » فهو
جربة شجاعة لمثل بحق شرة من لمرات
تلك الحركة الثقافية النشطة ، وهو من
الاعلام العربية الطيلة التي يمكن أن
تصلها من حق بسطة « التجريبية » حتى
ولو كانت هذه الكلية ربما تروح مخرجه

فيمر حركة نوادي الشيف الى تونس
أعرق وأكر وأهم حركات نوادي السمينيا
على المسعود العربي ، وكذلك الأمر
بالنسبة لحركة جميعات الفيلم التي تنجح
انلام الهواة . وكما في كل بلاد العلم
حيث تأخذ حركة للنوادي وحركة الهواة
بوعينا بالنسبة الى الثقافة النوجية
هناك اتحادان في تونس أولها للنوادي
وثانيها لجمعية الهواة . ويقدم اتحاد
الهواة مهرجانا دوليا لانلام الهواة كل
سنتين في مدينة طيبة ، وسوف يمتد
المهرجان التاسع من 10 إلى 17 أغسطس
العالى .

وقد تم في ٢٠ يونيو الماضي افتتاح
أول فاعلات السينمائيك التونسي بفيلم
« المسموره » الذي أخرجه يوسف شاهين
وبانفتاح هذه الفاعلة التي ستعرض
فيلمين مختلفين كل يوم من روائع الانلام
في تاريخ السمينيا ، وفي السمينيا
الماصرة تصبح حركة الثقافة السينمائية
في تونس أقرب الى الكتيال منها في
أي دولة عربية أخرى ، وخلاصة أن
تونس هي البلد العربي الوحيد الذي

الذرية ليرد بكنل جنية : نعم ! وهكذا يخترق التلهم رأس الشاهد بهزيع من العغل والجنون والواقع والخيال الكبير للدهشة، وتذهبوا فلأنا أن الدهشة أصل المعرفة ، وما الإنسان إلا حيوان عارف

وبالتعبير بوجه منصف بن مراد بقلبه هذا إلى الخترج الأوروبي الخافض لتأثيرات الأشعة الالكترونية المسيطرة عليه من منزله من خلال أجهزة التلفزيون، والتي تشكل المصدر الأكبر لمعرفة اليوم وهو نفس المفترج الذي لا يجد الوقت ولا الجور لكي يضع مشكلة ذهنية ما بينه وبين ما تقدمه إليه هذه الأشعة الالكترونية التي تغشيه ضبابا .

هذا عن فيلم « اعترافات أكل لحوم » الذي لماز بجائزة خاصة من اتحاد نوادي السينما ، لبا من الدور التمثالي لهذا الاتحاد ليسو يمثل أول ما يمثل في انتقاره في جميع أنحاء الجمهورية لا يفرق بين مدينة أو قرية في محاولته القيام بالتمثيل بين نشاط نوادي السينما على الصعيد العربي والانريسي على أساس الأهداف المشتركة للنضال السياسي والاجتماعي في قول النصارى الثالث .

على أطار: مهرجان قرطاج الرابع الذي أقيم في العام الماضي عند الاتحاد المؤثر الأول لنوادي السينما العربية والانريسية الذي اشتركت فيه مصر والجزائريون ودمترو ساهل الساج، وقد تخطى المؤثر من التاتلية بحركة لم يلزم بتفشيدها أي من الأطراف الموقعة عليها حتى الآن، وفي الفترة من ٢٠ إلى ٢٥ مارس الماضي أقام الاتحاد اللقاء الأول لنوادي السينما العربية والانريسية حيث مرض مجموعة من الأنلام التي تعبر عن الموضوعات

المطروحة للمناقشة عبر أيام اللقاء وهي السينما الفلسطينية والسينما التشادية وسينما الأطفال والمرأة في السينما العربية والزجاجة على السينما والسينما الانريسية . وكلها من الموضوعات الهامة التي تعبر عن التزام اتحاد نوادي السينما في تونس السياسي والاجتماعي .

وقد أصدر الاتحاد قبل هذه اللقاء بياناً إلى نوادي السينما العربية والانريسية جاء فيه :

تحتي أن يكون لقاءنا الأول هذا السامع لارضية مساهمة شينيقية وثقافية موحدة لأننا نفرض النظر من الحدود الإمبراطورية التي تفصل بين بلداننا نعتقد أن السينما هي وسيلة لهمم مشتركنا المشتركة ، وأنها تشكل نوعاً من النضال الجري والمستميت للوقوف ضد هيمنة استبدال جندي الاستعمار القديم ، يظل من طراز جيس بوت ؟

ورغم هذا البيان - النداء إلا أن نوادي السينما العربية والانريسية تتاهمت من المشاركة في إنتاج هذا اللقاء . ولكن ، ورغم ذلك فإن الأمل في التنسيق على الصعيد العربي والانريسي - كما قال في ميد الكريم دايوتس - لن يسطر ، وسولوبواصل الاتحاد التونسي جهوده في هذا الطريق ايضاً منه أن كل مايجول دون التنسيق العربي الانريسي سوف يزول يومس . وهذه الموقفت في الحقيقة ترجع إلى أسباب سياسية ، وأما إلى البيروقراطية التي تسيطر على بعض النوادي مثل نادي سينما القاهرة ، والتي هم فوتر مكاتبات(إشراكه بالنسبة لبعض النوادي الأخرى .

وفي مايو الماضي وبمناسبة مرور ٢٥

عاماً على الاحتلال الصهيوني للبريلي لراضى للسلطين نظم الاتحاد التونسي بهام على نداء مهرجان بغداد لأفلام ويرامج فلسطين عرباً خلافا لخفارات من الأنلام الفلسطينية في جميع نوادي السينما في تونس وخضعت إبرادات هذا العرض التي بلغت ما يزيد عن ألف دينار تونس لصالح منظمة التحرير الفلسطينية . وكان الاتحاد التونسي الجهة الوحيدة التي لبت نداء مهرجان بغداد في العالم العربي كله .

أن الاتحاد التونسي لنوادي السينما يقدم لنا النموذج الذي يجب أن يحدى في كل البلاد العربية ، بل وفي كل بلاد العالم الثالث . ونجاحه لا يعني أنه لإيجابي من المشاكل ، بل على العكس، لقد كان نجاحه يمثل المزيد من المشاكل التي يجب المشاكل التطبيقية لتسواكي السينما مثل عدم توفر الأنلام الكافية أو الخاضعين بالكافية والمناقشة . وقد كانت مشكلة الرقابة الخاصة التي فرضت على نوادي السينما في تونس خلال العام الماضي من أهم المشاكل التي واجهته أخيراً ، ولكن مجلس إدارة الاتحاد استطاع بفضل مبادرة أمضاه ، وتفاههم الذي ألهبده أن يتفكروا من لقاء هذه الرقابة في الشهر الماضي .

ونحن عتينا لنقدم هذه الصورة العربية لحركة نوادي السينما في تونس لأمم في يوم ما أنشاء اتحاد مماثل في مصر - بدلا من إدارة نوادي السينما القليلة بلا حدل في أحد أركان المركز الفني للصور المرئية - بجمع النوادي المشتقة في اتحاد مصر ودمواها في الاستمرار والأزدهار ، ونزيد من عددها بحيث تتحول النوادي التي « حركة » حقيقية .

وجع

لا

شعر: محمد علي شمس الدين - لبنان



غسلت ببحر اليرموك التمتبا
وانتعت ،
وجذع الماء دم
ودم أرخت به العشبيا
صبى يا أمى على تعبى
زهر النازنج اذا التهابا
فالوت يهدلى سببا
والورد يمهدي سببا

رمادية كانت الريح بين الغصون التي اعلنت
هزتها
أتت تمثال النهر عنى وفي كفها آية من دمي
أتأتين ؟ - هذا أنا طفل مذى الضفاف التي
انكرتني
تعالى ، خذى مرققى واجعلنى منه جسرا وهدينى
شراعا وطيرى على الماء
بى او يدونى - فلا فرق - أتيك - لا نلتقى
وتأتين - لا نلتقى
ونبقى بعيدين - أبنى لمينيك فى اول القوس
غيبا
وتبنين سيفا كقوس الغمام
فمن أنت ؟ هل كنت وجهي لأمى ؟
وهل شربتك الرياح التي كنت فيها ؟
وهل غريتك الضفاف - المياءات - جذع
الاساطير - بوابة للخيول التي خوضت
فى دم المبسط ، قس من الجن ، غدارة فى
الظلام ؟
تعالى - فقد أن أن نلتقى
وتخضر فى راحتك العظام .

ما بين الموت وبين الموت أرى عجبا
طفلا قمرى الوجه - فما - ذهبيا
ويذا
أشلاء ينبت منها الورد
ينسحقها عصبا - عصبا
فرشت أمى
ما بين الموت وبين الموت لى الهدبا
فعبرت الجسر

قصة قصيرة

ليلة

عيد القيامة

عيد الحمية نحواس

١١١١

لم اكن كيف تليت بقولهم لا لكن
هاتنا اومز الى ذلك وانا امر لسان
القرية - على الشاطئ الخليل - بفصل
بيننا وبينها البحر . كانت النبوة تدوم
لي خاطري : انهم قادمون !

هل كانت رطوبة ما قبل الفجر في
التي اطاحت ذلك الشاطئ ؟

كانت الاضواء الزاوية المخبرة الاسفوار
مثل من كوى التربة ساذرة في فيسيتها
اليدية . وبخيتنا - انت وانا - في
تجواننا نحو الشمال في مية لا ادرها

كان على ان اواصل المسير . لم اكن
كثيرا على التربة لا فلا كان يصرى مع
يقين النبوة بين مسائل : انهم لن
يهمزوا القرية ! بلين اسفل منذ طفولتي
لا اخبروني عن يوم اياوج وماجوج .
كانوا يتكلمون على السد الحديدى للامسل
بينهم وبين الممران يمتدونه طوال ايام
الاسبوع السمية . وتكاد صفائح السد
تدوب من لعنتهم ولا يبقى الا قدر قليل
ورقة السجارة وعندما تمتد جسامه
الجمعة يعود السد اعرض وامتلأ بما
كان .
ميون القرية باضية نجم الشمال

وقتها نشينا تبعتنا - دون ان يسكون
هناك صوت - الضلار يمدح تاليا من
يعد بعيد . كانت خلايا جسدى في التي
تسمع الضيقة المكونة والمنظرة .
اومات لك . وكان هناك انفا على دالة
الامهارة . انحنيت نحو ارض الطريق
الزاهي الدائنة تضمنين في استغراق
باطني هيبق . فجأة انكبت ان تلتك كانت
بمضيتي بالتحديد .

قلت : قطان الشلال السريع !

قلت : ولكن .. لم هذه الليلة
الشديدة !

وعبرت وجهك البشري موجه من
الاشفاق ! ان ينفض الضمير : مزوجا
بالشسية ان ينفض للظلم من مجراه .
ورغم البعد البعيد وانه الضلار ينطق
حاردا تملطق مجلته بالفتيان . كان
مع فرقة السرعة يفتح التلسكوب من
مواضعها . وكان تقيش البخار المتضاد
من مرآجه يستحق حوله زينا يشسبه
زيف الكواكب تتسارع في لفلها .
كان يهوى مغرقا بلبسب اللبسا
بيننا وبينه الليل لم صوف من الحقول
تتالي كجذبت خسر . وكلما خلت وجيب
تليينا العالي كان صوت اصطلاق مجلات

التفكار بالغبصان يعود للتسيرة على
اسمائها .
لينا يهتج متجاوزين صابطين تتشرب
هذه الشونكة الكونية تراوح الصقيا
بين حدين الفللسار . وفدت تليينا لا
وغفرة الحول . ولعلنا ماء الليل جعدنا
توز فجرى هنون .

٢٢

فخرجنا من صابنا . فقد كان علينا
ان نعود للرائك . ولا مرينا امام القرية
وجدتهم قد يعلوا .
التي . لكن شعيت لغير ينطقون
بازن مسنومة من جلود الحيوانات . ولمى
يسين كل منهم امرأة ثقيلة . كان احدهم
في المتعة - ميلانا . ونيد الخطو .
كالح لون الوجه . بشمرا . وكان هو
الذي رايته بوضوح اكاد افسه رغم سعة
النهر بيتنا .

٢٣

بان عليك الروع . اردت - ككلل
تلق - ان لطيفتك انباهت بان زمعت
نحو البر الاخر : ها التلت الى
العبال الاول . وهو يخصص كوى البيروت
وردد : ها بصوت حلقى مريض
. وشمرت اكليه باعلى طبقات موى .



أنا أبا بحسبي النبل بعد فترت فترة
أعطيت بها المسفرة . تلكت مساتي
البينى إلى جهة الأخرى ، وتلكت مساتي
اليسرى لتلا كابوسها لم أستطع لها
ولما . كانت للتحللت تخفى ثقبلة الوطاة
جملت أنلسى تتلاحق وأنا أبذل مجهودا
مخالا لتل مساتي فلا أدر . ولم أمك
الآن لا مسكها بيدي ولعنها كثره طيللى
مطوى بجمدى . ومن عجب أنه ما أن
يمس قنباى الجانب الأخر حتى انتطقت
أعدو داخل المرح .

[٦]

فقت سفا حضوره ركمت على ركبى
جنبا :
- أبى عفتنى !
رفعت رأسى نحوه نتجلى لى ملامته
البيدية - خون أن يمشى نوره بصرى .
لم أدهش كثيرا لألحظه ، رغم أنى لم
أستطع التمتع منها كليا . كانت تبدل
الاضواء . تحولت على بعض ملاح
روهى . ولم أجهب إلا رأيت وجهك
البيدى الضللى ، وعينك الوطابون
تخلان على من لك الأظار النورانى
الزيتى .
سبعت هائفا وحيدا ، لكه تابع -
لم أدر أين مسخره بعد كان كبس
التجوى !
- انهض يا بنى ..

فبت مجتهدا طوفى المسامى الأخرى
رعى على سكة لم يمر بها من قبل
أبد .

كان على أن الحق قبل نوات الوقت.
لقد شتشتك البحر ، ولأبد أن دم
الراسم قبل طلوع الصباح ، والا كان
على أن انتظر - يوما كليا حتى تم
الدورة .
لقدت بك وأنت تهايلن طسوك من
حدائل الصمصام الأخضر اللذا بالزيت
المتص . ولقيت لك أكتبت من الراسم
أفرت بلمساده من وجهك البيدى :
الحق !
جريت بوهوا مضطرب الحركات .
لأخذت طوفى المسامى الأخرى بتلخر
منه الزيت المتص ؟ وأسمرت إلى حيث
النورانى الأكبر . ولكنى وجهت من
يحقنى إلى جهة أخرى .
- لقد انتهت الراسم هذا .. يمكنك
أن تلحق بهناك !
هزت هيرة صهسى خلاله . وتلكتنى
النتوت لهذا للتصوين . قلت : والطبع

ولكنه لم يلهم على شيئا ، بدأ ذلك لا
أصدر هيملة غليظة سمعتها وأنا على
البر الأخر . وأصطفى ظهره وأتحد مع
بعض جماعته لى شارع التربة الزيتسى
يتسسون ويتحمسون الكوى .
- من أى جنس هؤلاء ؟
هوت فى تصنيهم ، ولم أستطع أن
أقدم لك صفة جامزة . قلت : بدائون ؟
حجبون ! وذكرنى ذلك بصور رأيتها
لأشياء هؤلاء الناس لى الكتب التى تمكى
من السان الثابة .

تملكت : لم لا يهفوه الأهالى
أثوارهم ؟ نرى كيد وتحمسون من هذا
البلاء الذى حظ ؟
لم يكن نفاالى الأولى قد دارتني بكت
لن الفجر قد شتسرك على الطلوع
وسيفطر هؤلاء إلى الانسحاب لهذا
هو المرح الذى يوطل فيه مسرحه .
ورأيتا لى الزاوية الجائنية للسريرة
الإحالى مكسبن وراء قشبان صعيدية
لغير مسيح . وكان أدهم يفسائل من
نفسه ليلتات من بين تصوين ؟ فى الوقت
الذى أقصد بترتب منه المصالح وقد
الضفى . إذ ذلك أنلت الآخر جسرنا
نحو النور عند الموضع الذى يمتل بالمرج
الذى تقيم فيه جمامتها .

[٧]

جريت نحو المرح ، وفترت لتت فوق
المسفرة التى تمتد الطريق اليه بخفة
فراشة ، وثبتت لى ظلال المرح الكثيرة .

قذيني يسألمي

محمود الرماوي

بديء حابئك انتك عفا حبي نايح تذهب ؟
ساذا فريد ان تظن .. انتا امرء .. انتا امرء .. من
غويانا الفن .. انتك معي .. انتك معي .. البريتال الم
لن غريتا .. وهل كانت الحسالة من البداية
تحتاج للناشئة ؟ لا لن كنت .. هكذا ؟
هكذا .. قل لي أين أنت ؟

لم يمنحها احد .. كان بعضهم يتقدم
اليها ثم لا يلتصق ان يتراجع .. فمن
يجرق ان يتك بين الرجل وامرأته .. كانت
تتبر الحزن .. في الرجل الذين يتألم
الحزن بالحزن الوطني .. طلبته وحين
وصلت اليه، ورائه لأول مرة برأي العين
وهو ينام خارج بيته .. تملقوا حولها
اعتداه وجية .. أصبح للصن سيدة
فاتية .. والصين في وجه الرجال قد
أصبح جيلا .. ثم لوحت بصوت أتهم وهي
تضني : هكذا يا ناي .. كان وجهه
بحرا مثل طفلها وهو يلمن عنقا ينام ..
هكذا ينامي .. كان وجهه حولها في
راحتي .. كان ينامي يلمن للكلام ..
هكذا .. وبين أفضل صوتها بالذبح ليو
تتمسح واخفق .. أغيفت منيها ..
ولطفت بيها .. انه يسخر منها .. وجنتها
ليساكنها : كتبت امرئه ان ذلك سويه
يحدث .. ألم أقل لك .. سوبه يهتدي
أرة أخيرة .. ولكنها يسبها مرة واحدة
تعد .. لساذا لا يحدث الآن لن .. حولي
انتك لحيلا .. هل تسميت يا امرأة يا طفلة
الحيلة .. يا امرأة اصاري ..
لم تاتيني للحيلا .. لكلام عند السنين
يلعل عليه .. الحلت وللمت جيبني ..

والذبح .. كان الى وجه المرأة تصفاه
يخلفه نيب نيل .. وفي جيني الوالف
غضب خفيف يكاد يكون سبعا .. فوقف
الطفل من الظلم .. وفي الخارج كان
الصباح الطفل يفتل ويثقل في المدينة
الكبيرة .. الفضي الرجل رأسه لم ارتفعت
عنه اليها .. ناي يسلم عليك ..
ناخفت رأسها بعد ان خطه بارق بسرما
للحظة .. ويدات تشميرة حارة تمرى
في اوصالها .. والاكتفاء في رؤيتها تتباد
وتضم .. شعر الرجل كثبا انزاق ولطفا
[الأربال يلغن على الشواهد يستعفرن
الفضي] وقد خرج الأمر من طوقه ..
استدار متددا .. ولو ظل واقفا او دخل
وجلس .. لقل اي كلام .. لا لاعتل ..
واقرق خطا آخر .. ولقال كليا لا يريد
ان يتوله .. ولا يريد ان يندم عليه ..
حاولت ان توف له لكن مسبوته كان
معتلا .. وحاولت ان تغني في اثره لكن
اندماها توحت منه الغنية [ثلاث كلمات
بطرق رفيعة الباب .. انتهى وانتهى ..
بوتل ثلاث كلمات .. يا الذي قاله ..
وهل انتهى الأمر .. لا بد ان هناك خطا يا
.. هكذا تصمير وتيل نوات الأوان ..
كنت انتظر ذلك لكني لم اتوقعه .. لم
اتوقع ان تكسر خيالك .. ويووب خلق
اندماها .. هل اتوقع ان تكون وجية
يا وحيدى .. ألم تنق على ان .. ألم
تقل .. أمطيتي كثيرا .. يا شبيهه
مطاب لي .. يا شبيه الحياة ذاتها .. أين
كنت الآن .. هل ذهبت .. بلأا فعل الآن

تعلق الطفل بامه التي كانت تلتصق
وتجفف في لونها الأسود .. ولما رجع
رأسه وسألتها مرة ومرتين ولم تجبه ..
فقد انتابه خوف .. فحرك فسخ خطوات
الى جانبها .. ووضع يده على جسيم
الرجل بجانبه .. كان الرجل الوافه الى
جوار المرأة .. يشهد بلثات والم .. ورائه
فادي الذي هبط ليستريح في بوشه ..
لماطه الرجل بفراخه النوية .. ليا وتكت
المرأة وحيدة بلقاعة .. يلمن لرامها الى
مصرها .. وتساؤل بخلاوة ان للفظ
أصابعها [كون من سخا كايك] والرجل
حولها يلتفتون الى مضيق .. كيا يلتفت
الرجل في ختام الصلاة .. ويبدأون
بمجانس وترايات صليقة .. كان جسيم
جسم الرجل مسلقا مثل الأب متحمسا
بعضته .. نظر الطفل فاكشف البنوية
تحت يده .. يدته له الية .. ويدته جزءا
في ثياب الرجل .. قال الطفلون ان يلمن
برجاء صغير .. انتك لرتا في الصباح
أين كان أبي .. خذني معك .. مسبه المرأة
ويدهت بعد ان أخذ فادي يلمن تحت
الأزار ..

في الصباح سميت الطريق على الباب ..
زجرته ليعلم الطفل وهو يعلم اللطق ..
أسرمت وتحت الباب .. ليامدنت رجلا
لاربا مشهود الذلية .. فويها يوسا
لاول ولة .. بل ان تتأجل هي ..
وكذا جاء لجرود ان يترك الباب ويغني ..
فقد كان يتنق ليرة حله مرة حتى بدا
ناميا على جيبه .. ثم كاد يتنق العرق

والتطلع " البتة كانت بطلها والذ كبرياء
بشيء ، وقتلت في نفسها العزينة :
انهم يصرعون ، صرع الانشيد والازهار
لأرجع وحدي لأى ريث مفي عندي سارت
الى جواره واسمرت فتفتح باب البيت
كانت الابن ترنم ، لكن عادى يركض .
يتمنى بالشمس التي لشرقت ، وبالبحار
بين السرى ، ويساكن الضليلة . يمشي
لم يركض : [لمحاظنة طنولتى رجعت
لخزيتى . اطلت جناحك على واغرى
عري روحى وخزيتى ..

مفي زمن طويل ، كنت فيه ارمى
أمريننا ، واحفظ اسمك الحبيب يا لى .
جئت املن حيك ، املن سوكك لى نسي ،
لخزيتى ..

لم اكن ضالا ولم اكن بطلا . ولما
طغى الزمان الطويل التفتت على حيك
بمسدى ، فاجسمنى وخزيتى يا لى .

ثم نوقلوا . ارتفعت موسيقى العز
الوطنى ، واضطلت الاجراس وزاد منها
تامت عنينا ، ودمت بنينا برجاه بهم
مكسور . ويذا يهبط مثل حيوط الاشواق
على الجسد ، لتفتت وحى قلعت سن
حولها ، قريبة وشبكة من الحفرة ، حتى
دوت رصاصة قوية واحدة فى المدي ،
فاحتزرت لها مرة اخرى وحى ترجع الى
مكثها الاول [مسطاة فسوء لى كون

من ضلن كتيه [وقد انفضت مسوت
الاجراس فى السماء ، تحول رقتا ميها ،
لرقت عيناها ورأت الاشياء حولها ،
الاشكال البائنة ذاتها ، وحى تصبرى
وتشرع فى ترتيب نفسها من جديد .
الجمت الى الورا قليلا ، ولما هبت
نوقلت [فليتركنى المكان بعيد نعره ،
لم تترك فيدها لتركنى اليه لى كان
بعيد ، ورجع قبل ان تكتشف فيلبسا
احد . وطالت حينها لى بوجه الرجل ،
ارنهم بظاهيون لآمر ويشاعرون ، ولم
تبدل ليهم طفلها الذى خرج اليها .

لماذا ترجع الى البيت ، لى ليس
هناك ، ائتت تعرفين ؟

وكالت تعرف فى تلك الساعة ، بعد
ان انتشر فى الوديان والقرى ، فكتبت
منه حتى لا يفتد منها ، ودمت اليه
لزعامة كيا تجمها الى الرب .
لكنى لم اعرف ان ذلك سوف يحدث
ايضا . .
هل كان حبيبك ان تقول لى يا صغيرى
من هل . .

ام كان يجيب فى المرة الأخيرة : ان
انتظرك الى البيت : يا قادي .
وسارت هى بطقية تضرب ظلال الليل
التي امتدت ، بونها الاسود ، وقبل ان
توكفى الى مكان بعيد نعره .
وسار الصغير الى جوارها ، معا
يعد ان توفى من التلمش والاسئلة .



ترنم جليلة الرجال ، ويعلو مسوت
اقدامهم ، يخطو صوت الاجراس لى
خلدها ، تتأخذ مثل طلة علت الطريق ،
ترنم لى وحدها القوية ، وراء وجدا
لى جلالة [يا وحيدى لا تخترنى . ابن
انت ، ما الذى يفصل الان بيننا : حياتى
انا ، هذه الاناس المظلمة . . لم صبتك
المبيس يا حبيبى [ثم اكبل الرجال
والننت الى والهم الذى لم يفادها :

— اين تذهبون به ؟
— الى بيته .
— واتا . .
— لت اخذنا تذهبين معنا .
— الى اين ؟
— فى الطريق الى بيته .
— لويترك بيته ، وفتركه .
— يسبقنا ، يذهب الى بيته الاول

وهناك يسيرن .
حاولت ان تفلت منه ، فجعل يحرص
طريقها ، حتى ينهى الرجال ويلبسونه
لويه . فجلت تنهج ودوى الاجراس لى
حادها بصر يمتف .

— انكم تصرعون ، لماذا تصرعون به ؟
— لا نصرع ، ولا نترده بآخر حسن
موعد .
— كنت انتظرون .
— هو الان ينتظرنا .
وعندما سار الضمد ، كالت الاناشيد
ترنم ، تبتق من جميع الجهات لظنى

تسمع هبمة الرجال والدوى الصات
بمصل بأعصليها ، وحى تلتق على
التشيع ، تسع الى الشراج زفرودة [اى
زمن مفي على الزفرودة الاولى [: هذا
يورك يا حريس ، لفتى راسها ، وضع
نفسها من البكا من حمرة زوجها ،
حتى لا تنفخه امام وفاته .

ولى تلك الحظلات ، وعلى الضفة
الآخرى المشيودة ، لم تسع أرشنا يظو
على حافة الجبل ، والسمائير ترتجل
الريح ، والريح تمر على الشجر ، وقرب
الشجر وراء البيت طفل يلعب ويتنمر
ويكفى . وامل البيت امرأة قديمة ،
اشماها الحجر والانتشار ، تفتح ذراعها
وسدراها : يا ولدى ، ياسندى ،
يا كبرى ، يا نور ميني ، يا سودة
الفسرس ، يا حبيبى ، يا احرمه
يا حارس .

ولكنها سمعت اجراسا تخفق وتزف .
مثل تسقيق الاولاد الى المدرسة مساعة
الصباح ، مثل جرس المدرسة عند
الخروج ساعة الظهيرة ، مثل مسوت
الذكية ، مندا يمشى الرجال لتتصمهم
لى الديكة ، اجراسا تخفق مثلنكم ،
لم تضرب يمتف شاغ ولكن لى المدي اليميد
والمدى يريج قبل ان يمد ترتيب نفسه ،
اجراسا تضرب بوقع متواتر موالات ،
ساعة الشفق لوساعة المسحر ، مثل
فقات القلب الذى يملن الحياة . وعندما

في القصة عبارتان سبق ان وردتا فى قصصى لسان كفتانى .

مصالح الزاهي رَام الحجازية

التمن ١٠ قروش

كل شيء « ليس هادئاً » في معسكر العدو

-
-
- المغزى السياسى والاستراتيجى
لتأمين عمليات شركة نفط العراق
- المؤتمر النقابى العالمى الثامن
ووثيقة النضال ضد الاستعمار

ثلاثة أبحاث عن المسرح العربى

ملحق
الأدب
والفن

ص

■ كل شيء « ليس هادئا » في

معسكر العدو :

٥ الانتدابية

■ عبد الناصر في ذكراء الثالثة :

١٠ الطليعة

■ عن المفريات : مساهمة في الحوار :

١٢ محمد سعيد أحمد

عن المفريات الدولية

— التماشي السلمي : السدواف

والظاهر على الجانب الإسرائيلي

— التماشي ومفهومه على الجانب

الراسمي

— الانفراج الدولي : تطويع لقبية

تحرير الأرض

— حركة التحرر الوطني واسماها في

الانفراج السدولي الزمان

٢١ سمير كرم

٢٧ كمال السيد

٣٥ حسين شعلان

٣٨ د. رفعت السيد

٤١ عبد القم القزالي

٤٧ ونيع أمين

٥٠

■ الجامعة الاهلية : استطلاع رأي :

٥١ د. عبد العظيم انيس

— دعوة لتناج الى تعميم شديد

— الطليعة بحيرة .. والخسلة لها

هدية وجود

— ليس هناك مبرر لانشائها

تضاميا واقتراحات اولي ان نديرها

— المشروع يجب ان يحكمه التخطيط

الشامل للتعليم

— الاولى : تطوير التعليم العام نحو

المعاصرة

— هل هو نازل من بيدا

تخطيط التعليم ؟

— من الذي سيتحقق بالجامعة الاهلية ؟

— بيدا تكتل الفرص يحقق القفزة

للانفراد والوطن

— الجامعة الخاصة « الاهلية »

وبيدا تكتل الفرص

٥٢ د. بطرس بطرس غالي

٥٣ د. مراد وهبي

٥٤ محمد محمود ابراهيم

٥٦ السيد ياسين

٥٦ د. محمود اسماعيل

٥٧ د. سواد زكريا

٥٨ د. محمد عبد الحامى مرقه

٦٠ احمد يوسف احمد

٦١ مسعود نسور

٦٥ د. محمد علي الشهابي

٧٠ بيستر يوسف

٧٦ محمد حسين الجبهاني

١١ د. سلمان رشيد سلمان

٨٥ مجدى نصيف

٩٠ د. محمود اسماعيل

١٢٥

■ تقارير الشهر :

١٢٩

■ مكتبة الطليعة :

١٣٣

■ مناقشات مفتوحة :

١٤٤

■ وثائق : — وثائق الحوار

١٤٧

■ ملحق الابد والفن :

الطليعة

طريق المصاضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهريه

تصدر اول كل شهر

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى هو ، وفى اعتقادنا ان تعامل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يطور ويستخلص وجهة فكرية أصيلة

من هذا المفهوم ننسج « الطليعة » صفحاتها لكل رأى فيه كلمة يقولها — مؤمنة بشمار الحرية المجيد الذى أطلقه غولنير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكن على استمداد لاي ابلغ حياتي أيضا لحكمك فى الدفاع عن رايك] ..

عنون المراسلات :

بني مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٢٤٢ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٠٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد المادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول السدار انشاء ١٩٢٨ قشفا ..

٥٠ * محمد الخليل

مشارك في تأسيس الطلبة
والتربية في سوريا

يناير ١٩٦٨ - مارس ١٩٧٢

الافتتاحية

كل شيء « ليس هادئا » في معسكر العدو

وبما بتمين علينا - ونحن نحرس المتغيرات الدولية ، أن ندرس إليها باهتمام
مبني وموضوعي - تلك المتغيرات التي تجري داخل معسكر العدو الإسرائيلي *

وبما كانت عمليتا خطف إسرائيل للطائرئين العراقية ثم اللبنانية ، مؤشرا هاما
على أن هناك أمورا قد اضحت تستوجب منا الالتفات واليقظة كل اليقظة الى ما يجري ،
هناك ، على الجانب الآخر من الخندق *

فما الذي تشير اليه اعمال خطف إسرائيل « الرسمية » للطائرات ؟ ان تحليل المديتين
يبرهن على أن الزمرة العسكرية الحاكمة في إسرائيل قد اجبرت على أن تنزع عن وجهها
- مكرها - بعض الاقنعة التي حرصت على أن تجبل بها وجهها الكثيب *

فلقد حرصت إسرائيل ، طوال السنوات الماضية ، على أن توهم الرأي العام العالمي
خصوصا - الأمريكي والاوربي الغربي - أنها ليست واحدة « لديموقراطية » المزعومة
فحسب ، بل أنها القوة القادرة على حماية النظام والامن في المنطقة ، - وعلى وجه
خاص - حماية المصالح البترولية في وجه الحركة الثورية العربية - ومن هنا كان
وصفها لرجال المقاومة الفلسطينية ، بأنهم « ارهابيون » و « مخرابين » ، يتحتم
تصفيتهم وابادتهم * وكانت هذه الدعاية الاسرائيلية تدوى وتجلجل كالما أطنن
الغداثيون أنهم استولوا على إحدى الطائرات *

ولكن ربما يبدو غريباً أنه عندما أذانباس عرفات حادث خطف طائرة أثينا ، وتابعه في هذا ، بعض قادة فصائل المقاومة الفلسطينية * اندفعت اسرائيل (وهي التي تحاول ان تثبت انها دولة جديرة بعضوية المجتمع الدولي) الى عمليات قهرصنة وارهاب ضد الطائرات ، تحت الحجة الباليةبأنها انفسا تطارد « الارهابيين » و « الخريين » .

على ان انتقال اسرائيل الى هذا العمل الذي حرصت - في الظاهر - على ان تبدو بعيدة عنه ، ثم بدأ من اصرار المسؤولين الامرائيليين على تبريره في تحد ساسفر للرائى العام المالى ، نقول : ان انتقال اسرائيل الى مثل هذه الاعمال لا يدل فقط على ان نوعا من الارتياك الظاهر قد اخذيدب في صفوف العدو ، بل انه يدل ايضا على ان هذا الارتباسك عرض من اعراض الازمة العميقة التي تختمر ببطاء - ولكن بشآت - داخل كيان هذه الدولة العسكرية .

وهناك ظاهرتان اخريان تعكسان هذه الازمة التي نشير اليها :

الاولى : هي اضطرار مسئولين عسكريين اسرائيليين [ياريف] الى الاعتراف بنشاط المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة - الى الحد الذي دفع هؤلاء المسؤولين الى القولبان وان كان هذا النشاط ضعيفا ، الا انه لا ينبغي الاستهانة به . وفي السنوات الماضية كانت اسرائيل تحرص على اخفاء هذا النشاط وطيسه .

الثانية : حرص الدوائر الاسرائيلية على ان تركز دعايتها على انها تستمد لاستقرار تهاى الى الارض المحتلة . ونحن نذكر انه في خلال الشهر الماضي ، حرصت الصحافة الاسرائيلية على ان تبرز الخلاف ، أو الجدال الحاد ، داخل حزب العمل الاسرائيلي حول مشروعات دويل لاستيطان بعض الاراضي المحتلة خصوصا في سيناء (١) . فبعد ان حرصت الدعاية الاسرائيلية طوال السنوات الماضية على الادعاء بأنه ليس لها « مطلب اقليين » ، هام في الاراضى المصرية ، اذدعايتها لتجه أخيرا اتجاها معاكسا وصريحا .

وربما قيل - بعد ذلك - ان حكام اسرائيل ، عندما يصرحون بشء ، أو يملنون هن « سياسة جديدة » فانما يملنون ذلك بمدحسابات دقيقة . ولكن حتى اذا سلطنا - بهذا ، وبأنه لا يجوز أن تقع في شرك العدو . فان الوقائع المشار اليها تظل في حاجة الى تفسير .

والواقع يقول لنا ، ان اسرائيل التي قامت منذ نشأتها كمجتمع عسكري وعنصري ، من المستحيل أن تنجو من التناقضات والازمات المادية التي تلازم بالضرورة طبيعة أبة دولة عنصرية عدوانية :

- فمن ناحية ، هي تقف في وجه حركة ثورية تاريخية ، هي حركة الشعوب العربية التي تخط طريق تصفية السيطرة الامبريالية وطريق التقدم الاجتماعي .

(١) راجع تقرير النزاع العربي الاسرائيلي *

ـ ومن ناحية أخرى ، فإن الاقتصاد الإسرائيلي نفسه لا يستمد قوته من عناصر طبيعية واجتماعية في تكوين اسرائيل والمجتمع الإسرائيلي ، بل لقد ظل على الدوام معتمدا اعتمادا أساسيا على المعونات - واستمر على هذا الوضع الذي زاد سوءا بازدياد عسكرة وتبعية هذا الاقتصاد للاحتكارات الإمبريالية - خصوصا الأمريكية منها .

ـ ومن ناحية ثالثة ، فإن التسلح الثقيل الذي يحرص حكام اسرائيل على الاحتفاظ به ، وعلى التزود بكميات لا تنقطع منه ، هذا التسلح هو ـ في نهاية المطاف ـ سلفة على المستقبل ، ـ وذلك اذا صح هذا التعبير ـ ولابد للمقترض أن يسدد هذه السلفة في يوم من الايام لدائمه (أى تنفيذ أهداف أمريكا في المنطقة) .

والواقع أنه ليس امام اسرائيل خيارين :

- فاما ان يسدد هذه السلفة ، وأما وأن تقترسها الازمة الداخلية الطاحنة
- إما الازمة الداخلية فتكثر عن أنبيائها في أكثر من جانب :

- هناك التضخم المالي المستفحل الذي يبتلع كل زيادة في الاجور والمرتبات .

● ونعت وطأة التضخم شهدت اسرائيل هذا العام ، والعام الذي سبقه ، تضخم موجة من الاضرابات لم تقتصر على العمال وإنما شملت الأطباء والمدرسين ... الخ ، حتى لقد كتب روز شتمان في هآرتس يقول :

« ان اسرائيل تحتل المرتبة الثانية في العالم ـ بعد إيطاليا ـ بالنسبة الى ظاهرة الاضرابات » بل ان بعض زعماء اسرائيل أشاروا الى ان هذه الظاهرة المستفحلة تدل على ان الهيئات تدور بيدو أنه فقد السيطرة على الحركة العمالية في اسرائيل .

● وفي ظل عسكرة الاقتصاد ، وازاد ضعف ثقة الرأي العام الإسرائيلي في إمكانية فرض سلام مسلح على العرب « يدوم مائة عام أو ألف عام » تنبؤ شكوكه الجيل الجديد في سياسة الأمن الإسرائيلية . وتتمكن هذه الشكوك في مواقف متعددة ـ وإن كانت لا تزال محدودة جدا ـ من رفض العودة الى اسرائيل (بالنسبة لبعض طلاب البعثات) أو اظهار التعاطف مع عرب فلسطين والمقاومة الفلسطينية .

وبالإضافة الى سلبيات الوضع الداخلي ، فإن الانكفاء من حكام اسرائيل لابد وأن يداخلهم ذلك الإحساس الحثيث بأن الوقت ـ على المدى الطويل ـ لا يمر في صالحهم . ويمكن أن نرصد ـ في هذا ـ بعض الوقائع على نطاق العالم .

فعلى الصعيد الدولي هناك :

- ازدياد عزلة اسرائيل على اتساع الرأي العام العالمي وهي خسارة محققة (بالمقارنة الى مكانة اسرائيل الدولية قبل عدوان ٦٧) .

● ان الانفراج الواقع في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي من ناحية وبين أمريكا من ناحية أخرى ، ثم بين الاتحاد السوفيتي وأوروبا الغربية ، وما يرتبط به من اهتمام

المجتمع الدولي (بما فى ذلك الاوساط المتعقلة فى البلاد الاميرالية) ، بتصفية آثار الحرب الباردة ، كل هذا يمثل نوعا من الحصار المياسى والمنوى حول قيادة اسرائيل . واذا صح ان المجموعات الصهيونية الضاغطة فى امريكا تعارض الانفراج الدولى ، فان هناك قوى ومجموعات فى امريكا واوروبا الغربية قد لا ترحب بمغامرات عدوانية من قبل اسرائيل يمكن ان تعرض مصالحها فى منطقة الشرق الاوسط لاختطاف غير محسوبة . وهذه القوى التى تشير اليها ربما لا تستطيع ان تقضد اجراءات ردع مادية ضد العسكرية الاسرائيلية ، لكن موقفها كما قلنا يمثل نوعا من الحصار المنوى على مقامات المتدينين الصهاينة .

اكثر من هذا ، لا نكاد نجد سياسيا مستغولا فى الغرب لا يذكر اليوم فى اناديته « حقوق الفلسطينيين ، او حقوق شعب فلسطين » .

وعلى سبيل بيان الصالح الثالث ، تفتقر عزلة اسرائيل فى الاندياد . هنا نذكر كمثال : الخمس دول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل .

وعلى الصعيد العربى يمكن ان نسجل :

ـ ان المقاومة نفذت ١٠٥ عملية خلال سبعة شهور فى هذا العام داخل الاراضى المحتلة واسرائيل .

ـ ان ضمار استخدام البترول كسلاح فى المعركة يشق طريقه الى التطبيق ، وان ظل ذلك حتى الان فى حدود ضيقة للغاية . ولكنها تظل مع ذلك - ومع تصاعد حركة النجاير العربية - مؤثرة ومبشرة .

فاذا وضعنا - بعد ذلك - جميع هذه الوقائع فى اطار رفض الشعوب العربية الاستسلام لشروط اسرائيل ، فان القول بان الوقت لم يعد فى صالح اسرائيل يظل - بلا شك - صحيحا ، وسوف يكتسب كل دلالاته .

هنا نأتى الى السؤال الجوهرى : فيما الذى نتوقع ان تفعله اسرائيل ، وما هى جهود فعلها الكبيرة بلزاء هذه الاوضاع ؟

لقد اشرفنا من قبل الى ان اسرائيل امام اختيارين او حلين :

١ - اما ان تستسلم لازمتها الداخلية المميقة .

٢ - واما ان تستمد « السلفة التى اخذتها من امريكا على المستقبل » وهى ترسانة السلاح المكثف .

ولما كانت اسرائيل لا تريد ان تستسلم لازمتها الداخلية ، فان هذه الازمة تدفعها الى الاخذ بالحل الثانى . (وهو الحل الذى تأخذ به فى المادة النظم الفاشية والمسكرية : هتلر .. الخ) .

وهكذا لا نستبعد ان تسجل الايام القادمة اشياى مغامرة اسرائيلية خطيرة ضد البلاد العربية . وهذه المغامرة تعد لها اسرائيل اعدادا . ولا أدل على ذلك من انهاء :

- تفلح كل سبيل أمام تنفيذ قرارات مجلس الامن وهيئة الامم اى أمام كل حل سياسى .

- تصعدت هذه الايام الاستفزازات بكيفية متمردة على الجبهات العسكرية ، وعلى نطاق المنطقة ككل (خلف الطائرات .. الخ) ، هدفها ان تواجه المنطقة بتقجير كامل للصراع تضع فيه المجتمع الدولى امام الامر الواقع .

ولكننا نعلم أنه كان فى يد اسرائيل ان تقوم بمغامرات ، فليس فى يدها ادائها ان تضمن نجاحها ، لان بين النجاح والفشل توجد قوى فاعلة ومؤثرة محلية وحولية . نعم .. بين هذا وذاك توجد الشعوب العربية ، ويوجد الشعب المصرى ، وهو القوة الرئيسية فى الحركة ضد امرا ئيل .

وعلى شعبنا المصرى ان يواصل دعم قوته العسكرية ، وان يتم هذا الدعم على امتداد خطون اساسيين :

خط سياسى : تمثله وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، وحدة الفلاحين والمعمالن والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية ، على اساس ديموقراطى يضمن توزيع اعباء الحركة توزيعا عادلا بين الطبقات الشعبية والوطنية .

وخط اقتصادى : قواه استراتيجية او خطة للتنمية تقيم فى مصر اقتصادا يجهب ان يكون النقيض الكامل للاقتصاد الاسرائيلى التابع .

وتملك مصر - بالفصل - نواة هذا الاقتصاد فى شكل القطاع العام ، وفى هذه البدايات او القدرات الاساسية ممثلة فى عدد من الصناعات الثقيلة . وكل هذا يحتم - بالضرورة - ان تبذل البلاد - وفقا لخطة قومية ، فى دعم الاستقلال الاقتصادى ، ودعم الاضطار المحيطة به من قبل الاستثمار الجديد ، ومن قبل القوى المتنقلة والطفيلية . فهذا هو جوهر الصمود وسفرته الراسخة ، وعلى هذه الصخرة يعب أن تتعلم آمال الممتدين الاسرائيليين ، وشركائهم الامريكيين .

« الخاتمة »

عبد الناصر

في ذكراه الثالثة

في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، فقدت الانسانية التقدمية والامة المصرية والشعب المصري - خاصة - قائداً من أبرز قادة الحركة الوطنية المصرية والعربية على امتداد تاريخها الطويل هو : الرئيس جمال عبد الناصر .

وفي ٢٨ سبتمبر من كل عام ، يحتفل الشعب المصري والعربى والانسانية التقدمية كلها ، بذكرى وفاة الزعيم الوطنى عبد الناصر .

والاحتفال بذكرى الزعماء الوطنيين البارزين فى حياة الامة ؛ كمجد الناصر ، لا يقتصر فحسب على الاحتفال التقليدى بوفاة انسان ، انما تكمن القيمة الحقيقية لهذا الاحتفال ، فى تكريس المبادئ والقيم التى ارساها ، وفى اذكاء الشعور الوطنى لتحقيق الاهداف التى حددتها للعمل الوطنى لقوى الشعب العاملة واولها تحرير الارض وهزيمة العدو الاستعماري الصهيونى .

والمبادئ والاهداف التى ارساها الرئيس عبد الناصر ، التى هى باختصار مبادئ واهداف ثورة يوليو الوطنية التقدمية ، والتى هى بدورها اهداف الشعب المصري ، نقول ان هذا كله قد صاغه الفكر الوطنى المصرى وعبر عنه الرئيس انور السادات بشكل محدد له دلالاته حين لخص الموقف يوم تحيله لمسئوليائه الوطنية بقوله : « الاستمرار على طريق عبد الناصر » .

وفى كلمات قليلة : فان الاستمرار على طريق عبد الناصر معناه :

- مواصلة السير على طريق الاستقلال والتقدم الاجتماعى والوحدة العربية ، والسلام العالمى .

- طريق حماية الاستقلال الوطنى ، ضد عبد الناصر ، هو النضال الايجابى والجسور ضد الامبريالية والاستعمار الجديد وضد الصهيونية والرجعية .

- الاستقلال الاقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى . وطريق عبد الناصر هنا هو مواصلة التنمية تحت قيادة قطاع عام قوى يملك وسائل الانتاج الرئيسية (١) .

عن المتغيرات

مساهمة
في الحوار

عن « المتغيرات الدولية »

محمد سيد أحمد

ما طرحه المناقشة ليس مجرد حق وطني لجميع المواطنين المشتغلين بالقضايا العامة ، بل هو قبل ذلك واجب وطني للتوصل الى ثمبير من مصالح الوطن الاساسية في هذا الطرف البالغ الحساسية .

أولا - عن ورقة الحوار :

ملاحظات في الشكل :

ورقة الحوار ليست بطبيعة الحال « الصفحة النهائية » في تحديد أثر المتغيرات الدولية على قضايا المصير التي تواجهنا ، وفي مقدماتها :

كان ما أصبح يعرف « بالمتغيرات الدولية » موضع اهتمام كبير طوال الشهر الماضي ، منذ أن طالب الرئيس أنور السادات في خطاب ٢٣ يوليو بأن تكون مناقشة هذه « المتغيرات » أساسا لتحديد خط استراتيجي يكفل لنا تحقيق هدف التحرير في الظروف الدولية المتغيرة . وقد طرحت ورقة حوار لتكون أساس هذه المناقشة على اتساع المؤسسات السياسية والشعبية . وهذه المناقشة ، المنتظر لها أن تقيم الخط الاستراتيجي على أساس خط فكري كمييل بهواجهة التحديات الناجمة عن الوضع الدولي الجديد ، انها تقتضى المشاركة بالرأى ، بما تستمعه قضايا المصير ، من جدية ومراجعة وفكر مفتوح . والواقع أن ابعان النظر في كل

طرحت ورقة « الحوار الوطنى » التى أعدتها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى واللجنة الدائمة لجلس الشعب ، قضية المتغيرات الدولية واثرها على تطور الاوضاع فى المنطقة العربية ، وبكيفية خاصة على الصراع العربى الاسرائيلى .

ثم طرحت الورقة بدورها ، ومعها ورقة عن المتغيرات الدولية واثورة العلمية والتكنولوجية على بساط المناقشة فى جلسات مفتوحة فى مجلس الشعب ، وشي جلسات تنظيمية فى مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى .

وازاء اهمية هذا الموضوع ، حاولت الطليعة من جانبها أن تسهم فى الحوار المفتوح ، بتعميق الدراسة حول المسائل الرئيسية التى أدت الى التطورات الجديدة فى الوضع الدولى . مع ملاحظة أن « الطليعة » كانت قد خصصت فى عدد يناير من هذا العام دراسة رئيسية بأكملها عن المتغيرات وذلك تحت عنوان :

« المتغيرات الدولية : حدود جديدة أم أشكال جديدة للصراع »



بدلا من بحث الموضوع — منهجيا — بطريقة جامعية مائعة . الا ان هذا الانتصاب فى المعرض ربما اكسب الورقة تبسيطا جملة ميسور المهتم للخواهين العريضة ، ولكنه افقدها المقومات الضرورية لتكون الورقة نلبية لطلب الرئيس السادات فى فتح حوار يوسع اسس « خط استراتيجى » مناسب لمواجهة وضع دولى : مقترن له — على حد تقرير الرئيس نفسه — أن يستمر لعدد من العقود . واذا راينا ان نستهل المناقشة بهذه الملاحظة ، فلنقدر لم نتوان عن تأكيد — طوال الاعوام الثلاثة الماضية — عن ضرورة التصدى لنهم ينفذ الى الاعمال عما يجرى من تحولات على المسرح الدولى ، ذلك أن هذه المتغيرات قد اكسبت العلاقات الدولية صفات

ازالة اكثر العدوان . بل هى « ورقة عمل » ، اقراها مؤرخ مشرك لامضاء الاجانة المسابة للاتحاد الاشتراكى ، ورؤساء اللجان الدائمة بـ مجلس الشعب وانباء المحافظات ، لتكون — كما حدد الرئيس السادات — اساسا للحوار الواسع والمفتوح الذى يشمل المؤسسات السياسية والشعبية ، وصولا الى « الوثيقة النهائية » التى تبلور نتائج المناقشة فى دورة المؤتمر القومى المقرر عقدها هذا الشهر .

وربما اقتضت ظروف التعجيل بفتح باب الحوار ، اقرار ورقة اكتفت بعرض مقتضب لايزم ما هو مقصود « بالمتغيرات الدولية » واثرها علينا ، وانتقاء معلن مطلوب الابرار ،

كيفية جديدة ، ولا يجوز النظر إليها كجرد
تغيرات « عادية » داخل إطار الانحطاط الدولية
الماثورة . وفي رأينا أن بدون تقدير واضح لهذه
التغيرات ، فإنه نتعذر علينا تحديد رؤية صائبة
لاستراتيجية كيفية بخطى حالة « الانحسار
والانحلال » التي نعاني من آثارها منذ عدد من
السنوات .

وقد تختلف الآراء — بل ينتظر أن تختلف —
حول بعض الأحكام التي تضمنتها الورقة «
وحول تقدير ما ينبغي تركيز الأضواء عليه .
وهذا أمر طبيعي ومطلوب ، ولا غم يكن هناك
ما يدعو إلى إجراء حوار على النحو الواسع
الذي طالب به **رئيس الجمهورية** ، ولكن لتحاشي
أن تتطرق المناقشة إلى مسائل جانبية — نحن
في غنى عنها — كان لا بد من الحرص على
الآ تسفر صياغة الورقة عن عبارات غير دقيقة
في مسائل ليست جالاً اختلافات في التفسير ،
بل تمس **المعلومات** المتعارف عليها من خواص
المصر الذي نعيش فيه ، أو أن تفشل **الورقة**
عناصر أساسية في التغيرات الدولية الجارية ،
وذلك على نحو يوهي بأن واسمى الورقة لم
يحرصوا على توضيح ما هو حادث بالفعل ،
يقرر ما حرصوا على انتفاء ما بدا في نظرهم على
علاقة بواقعنا فقط .

فقد أورد نص الورقة — مثلاً — فيما يتعلق
« بالتغيرات العلمية والتكنولوجية » أنه « في
الوقت الذي حدث فيه كل هذه التغيرات العالمية
بدأ المصالح يشهد ثورة تكنولوجية واسعة
النطاق ... » . وهذه عبارة لا شك تموزها
الحقة ، ذلك أن الثورة التكنولوجية المصرية ليست
ظاهرة برزت في السنوات الممدودة الأخيرة
فقط ، وليست ظاهرة واكبت ظهور تغيير في
العلاقات الدولية الراهنة ، بل هي ظاهرة قائمة
منذ عدد من العقود على الأقل ، وذلك بقتنى
رأى جميع الباحثين في هذا المجال دون استثناء
على اختلاف وجهات نظرهم ، واختلاف مدارسهم
الفكرية . أنها ظاهرة سابقة على التغيرات
الدولية التي وقعت في الآونة الأخيرة ، بل هي
ظاهرة كان لها أثر بالغ الأهمية في أحداث هذا
التغيير .

ولا مفر من ملاحظة عدم اتساق في أن ورقة
الحوار عانت لتؤكد في الفترة التالية أن « من أخطر
نتائج الثورة التكنولوجية ، التوسع في إنتاج
أسلحة الدمار الشامل ، وفي إنتاج الأسلحة
التقليدية ... » . والمعلوم أن التوسع في إنتاج
أسلحة الدمار الشامل ، فضلاً عن الأسلحة

التقليدية ، ليس بما وقع حديثاً فقط ، بل جرى
تنفيذ هذا التوسع دون انقطاع منذ نهاية الحرب
العالمية الثانية . وكان للإبعاد الخطيرة التي
اكتسبها إنتاج أسلحة الدمار الشامل ، أثرها
الحاسم في فرض ضرورة تحاشي المواجهة بين
الدول الكبرى بالحرب النووية الشاملة .
والورقة باتقرار أن التوسع في إنتاج هذه الأسلحة
كان من نتائج الثورة التكنولوجية المصرية ، إنما
تقر ضمناً بدء قيام هذه الثورة منذ تعجير قبلي
هيروشيما ونجازاكي في نهاية الحرب العالمية
الثانية .. على الأقل .

والواقع أن هذا التضارب لم يكن من التصور
حادثه لو كانت الورقة قد تعرضت بالتفصيل
المعيق ، **للدواعي والأسباب** التي أفضت إلى
سيادة مناخ « **الوقائق الدولي** » الراهن ، ولم تكن
قد اكتفت بمجرد رصد بعض مظاهره البارزة .
وجدير بالملاحظة — في هذا الصدد — أن حتى
الرصد لم يكن شاملاً لآثار التغيرات المعترف
بأهميتها ، كقفية **الأمن الأوروبي** — على سبيل
المثال — في مجال التغيرات السياسية
والاقتصادية ، أو كقفية **الايكولوجيا ونسوليت**
البيئة في مجال التغيرات العلمية والتكنولوجية
وهي قضية تحتم إجراء اتصالات بين الدول
المتطورة تقي كوكبنا من أخطار جسيمة ناجمة
عن انجازات التكنولوجيا المصرية ، لا رجعة
فيها .

وحتى لو أضفنا بمنطق أن الورقة اكتنت
بانتهاء أهم ما من شأنه التأثير على مجريات
تفسيرنا المباشرة ، وهي قضية كيلة بأن تستغرق
اهتمامنا ، فقد كان ينتظر منها — بحق — أن
تبرز كل ما ينبغي لنا أن نحرص عليه في الواقع
الدولي المعاصر ، بكل ما طرا عليه من تغيير
— بما يؤكد كل ما هو رصدي اجابى لنا من وجهة
نظر معركة التحرير . ولكن هل جاءت صياغة
الورقة تعبيراً عن هذا الحرص دالها ؟ .

لقد حددت الورقة أن « الدول ترسم علاقاتها
على أساس من مصالحها القومية » . وهذا
صحيح . ولكنها لم تشر في أية نقرة منها إلى
أن « **المصالح القومية** » للدول ليست متطابقة
حيال قضية **التحرر الوطني** مثلاً ، وهي قضية
تشغلنا في المقام الأول . ولا يجوز في هذا
الصدد ، لا من ناحية المبدأ ، ولا من ناحية الواقع
الاجتماعي ، وضع **الدول الاشتراكية الصديقة**
— مثلاً — على قدم المساواة مع **الدول الامبريالية**
وفي مقدمتها الولايات المتحدة التي لا تنخر جهداً
في اعطاء تأكيدات كل يوم عن مساعدتها بلا

السوفيتية . ومن المؤكد أن تركيز الحوار على وسائل تطوير هذه المقومات الثلاثة بالذات ، وتحسينها عمليا بمشاركة إيجابية وبمبادرات فعالة تنطلق من صفوف الجماهير ذاتها ، سوف يسهم بدور أساسي في إثبات حقيقة أنه يمكن وينبغي لنا ألا نكون - كما ورد في ورقة الحوار - ضد سياسة « الوفاق الدولي » ، بل يمكن لنا في ظل هذا المناخ الدولي الجديد ، تحقيق أهدافنا في رد العدوان واسترداد حقوقنا المشروعة .

ثانيا - عن « الوفاق الدولي » :

ملاحظات في المنهج :

مصطلح « الوفاق الدولي » كتعبير عن السمة المميزة لحقبة جديدة في العلاقات الدولية ، تأتي في أعقاب فترة عرفت « بالحرب الباردة » وبالمواجهة العدائية الحادة بين الدول المنتهية إلى نظم اجتماعية مختلفة ، وبالذات بين الدولتين الأعظم ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .. هو مصطلح في حاجة فعلا إلى تصديق وتمحيص .

وإن ما يجذب الانتباه إلى مصطلح « الوفاق الدولي » أنه يركز الانواء على « أوجه التقارب بين الدولتين الأعظم » ويستشف منه شيئا أنه يتم عن « أوجه تقارب » بين النظم الاجتماعية المختلفة ذاتها ، بوجه خاص في الدول المنتهية إلى النظام « المتطور » من العالم ، وهي الدول التي تملك القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ، والقدرة قبل غيرها على تقرير ملامح ومجريات التحول العالمي المعاصر .

وقد وصلت الاجتهادات في هذا الصدد إلى حد أن مراكز لبحاث عديدة في الغرب قد بلورت نظريات لا من مجرد وجود « أوجه تقارب » بين الدول المتطورة المنتهية إلى النظم الاجتماعية المختلفة ، بل عن نشوء « أوجه تماثل » بينها كذلك . و « أوجه التماثل » هذه - على حد قول هذه النظريات - تفرض وجودها في صورة « أنماط متشابهة » في هيكل بناء المجتمع « بغض النظر عن الاختلافات التي يبرزها تعارض المنطق الإيديولوجي » .

والقضية لا شك ذات أهمية وخطورة ، ليس فقط - كما أردنا - من وجهة نظر قضية التحرير بوجه عام ، أو قضية تحرير القطاع

تحفظ للعدوان الاسرائيلي . وهذه مسألة لا يمكن لنا التغاضي بجرعة تلم ، مهما أحدث مناخ « الوفاق الدولي » من تغيير في العلاقات بين الدول .

والواقع أن الورقة قد حرصت في أكثر من موضع على إبراز « المفكرات » الدولية المؤثرة في اتجاه التقارب بين الدول المتطورة المنتهية إلى نظم اجتماعية مختلفة ، وقد أشارت في مواضع كثيرة إلى الانفتاح الاقتصادي بينها مثلا ولكنها لم تتعرض في أي مكان « للثوابت » النابعة من مسهم التركيب الاجتماعي للمجتمعات ، والتي ينبغي لنا أن نحرص على تأكيدها ، وإن نساهم في الحيلولة دون أن تحدث لها « اذابة » أو « تببيع » ، لا لصالح قضية التحرير عموما فحسب ، بل لأنها قضية تتعلق مباشرة بتحرير أرضنا قبل أي اعتبار آخر . وقد اكتفت الورقة في هذا الصدد بأن تسجل « أن الاعتبارات الاقتصادية تقدمت على الاعتبارات الإيديولوجية النظرية » .

ويجدر بنا هنا أن نطرح التساؤل : أليست هناك علاقة بين تصور الورقة عن إبراز أثر ودور الثورة التكنولوجية ، كظاهرة فرضت نفسها على الواقع المعاصر ، لا من اليوم فحسب ، بل منذ عدد من العقود ، وخاصة في مجال سلاح الدمار الشامل ، وفي مجال تلويث البيئة ، وكلاهما عاملان بالغا الأهمية في إملاء ضرورة إقرار مناخ « الوفاق » بين الدول المتطورة على اختلاف نظمها الاجتماعية ، نقول ... ألا توجد علاقة بين هذا وبين الاستنتاج أن « الوفاق الدولي » - مادامت الثورة التكنولوجية لم يكن لها دور هام في نهاية المناخ « للوفاق الدولي » - إنما يرجع إلى تغيير لا بد أن يكون قد طرأ على طبيعة النظم الاجتماعية ذاتها ؟

وهذه الملاحظات ، بما تعلق عليها من أهمية ، لا تقصد بها - بطبيعة الحال - التهمين من أهمية القضايا التي يجري الصوار حولها ، وتفرسها بصورة أو أخرى « المفكرات الدولية » الجارية . وهي قضايا تقتضي دون ما شك إجراء مراجعة شاملة لاستراتيجيتنا مع الحرص - على جاء بالورقة - على ألا تطوى هذه المراجعة إلى تراجع ، ولا أن ينتهي « السلام » الذي نبحث عنه في الظروف الجديدة إلى مجرد « تسليم » . وما لا شك فيه أن أبرز مقومات عرض السلام العادل ، كان الرئيس السادات قد أشار إليها في خطاب ٢٣ يوليو ، وتركزها في ضرورة استمرار تعزيز القوة الذاتية المصرية وتنمية كل مصادر القوة والوحدة العربية ، وفي أن نحرص على الدعم السوفيتي والصداقة العربية

تجسم في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، قد أسهمت بدور هام في « افتقار » الدول الإمبريالية كذلك بمصلحتها في تطبيق سياسة « التعايش السلمي » ، ومهتت لما يجري الآن من تحولات جسيمة في العلاقات الدولية ، بعد فترة طويلة حاولت فيها الدول الإمبريالية مقاومة حقائق أصبحت تفرض نفسها بالحساح . والواقع أن الدول الإمبريالية لم « تتفتح » لحد ما ابتدعته ثورة العلوم والتكنولوجيا من أسلحة للسدمار الشامل ، تحمل خطر الانفناء الكلي للدول المعتدية والمتدى عليها في آن واحد محسب ، بل أيضا بسبب ظواهر أخرى نجت من انجسازات التكنولوجيا العصرية ، ذات آثار ضارة لا يمكن درؤها دون تعاون وثيق بين الدول المتطورة جميعها ، كآثارها البيولوجية على تلويث البيئة . ومن هنا ، أصبح « التعاون » ضروريا ، لا لمجرد درء لخطر الحرب النووية الشاملة محسب ، بل لدرء أخطار تنجم - في السلم - عن مسمم أحلال « التسقيف » و « التعاون » مكان استمرار النوتر والمعداء .

الا أنه يبقى بعد ذلك السؤال : هذا التغيير الذي أحدثته ثورة العلوم والتكنولوجيا في موقف الدول الإمبريالية ، هل ترتب عليه بشكل أو آخر تغيير مقابل في موقف الدول الاشتراكية ، بما يكسب « التعاون » و « التقارب » صفة « التكامل » و « التماثل » ؟

تسوق مراكز الأبحاث الغربية حججا عديدة ومتومة حول هذا الموضوع ، ليس مجال استعراضها أو مناقشتها هنا . ولكن يجدر بنا أن ننقذ بينها حجة تعد نموذجية في إبراز نوعية الخطئ الذي تعتمد عليه هذه الحجج صوما .

تستند إحدى هذه الحجج ، ومن أبرزها ، إلى شواهد ليست منقطعة الصلة من إنجازات ثورة التكنولوجيا . وتسجل هذه الشواهد انتقال وظائف اقتصادية متعاطلة الأهمية في الدول الرأسمالية المتطورة من القطاع الخاص إلى القطاع العام ، من الشركات الخاصة إلى الدولة . والمستفاد من هذا التحول هو تضائل دور الرأسمالي صاحب الاسم ، وتعظم شأن « المديرين » باعتبارهم أصحاب الكلية الفاصلة في تقرير سياسة الإنتاج ، واتجاهات الاقتصاد وبالتالي في رسم سياسة الدولة . . يقابل ذلك - في نظر طارحي هذه الحجة - اتجاه في الدول الاشتراكية المتطورة نحو اللامركزية في التخطيط والإنتاج ، أيضا بسبب إنجازات

« المتخلف » من العالم بوجه خاص ، بل من وجهة نظر إيجاد حل عادل لازمة الشرق الأوسط على الوجه الأخص ، ذلك أن هذا الحل ليس مثبت الصلة بها ينطوي عليه النزاع من بعد اجتماعي ومستأدة أمريكا لاسرائيل دون تحفظ ، ناكسد لحقيقة أن مواجهة العدوان الاسرائيلي وإزالة آثاره ليست مجرد قضية « وطنية » ، أو قضية « قومية » من وجهة النظر العربية ، بل تتدرج داخل نطاق النضال التحرري المعادي للإمبريالية عموما . ولا يستقيم أن يكتسب هذا النضال كل أبعاده إذا صبح أن المجتمعات الاشتراكية تتلقى مع المجتمعات الإمبريالية في « انماط متماثلة » ، على نحو يسقط عنها أسباب تعارضها الجذري .

ويجدر بنا في هذا الصدد أن نذكّر أمرين :

■ الأمر الأول : هو أن النجاح في وضع سياسة « التعايش السلمي » موضع التنفيذ - و « التعايش السلمي » هو المصطلح السدّي أبدعه لينين لوصف الحالة التي يمر بها الغرب الآن « بالولاق الدولي » [ليس ، ولم يكن في أي يوم في نظر السوفييت انكاسا أو تراجعا على سياساتهم السابقة ، بل هو ترويج لجهود لم يتوانوا عن بذلها لبلوغ هذا الهدف منذ أيام لينين ، ومنذ أن حسم النزاع داخل القيادة السوفيتية حول مستقبل استراتيجيتها الثورة في أعقاب نجاح ثورة أكتوبر مباشرة : هل تترك هذه الاستراتيجية حول إقامة الاشتراكية في دولة واحدة - وتتذاك - وكان ذلك وجهة نظر لينين فستالين ، لم يؤخذ بنظرية تروفنسكي عن « الثورة الدائمة » ، المتضمنة معنى عدم قبول أية « هدنة » مع الدول الرأسمالية المحيطة .

وبمجرد أن استقر الرأي على الأخذ باستراتيجية « إقامة الاشتراكية في دولة واحدة » استنادا إلى مبدأ أن « الثورة لا تصدر » وأن « اندلاعها في أي بلد هو في المقام الأول رهن تضوج الظروف الداخلية » ، نقول : كان لا بد أن يستتبع ذلك التسليم بتجاوز النظامين الاشتراكي والرأسمالي لحقة من الزمان قد تقرر أو تطول و « التعايش السلمي » بينهما هو في نظر الدول الاشتراكية أفضل ما يضمن لها الانصراف بكل جهودها لإنجاز عملية البناء الاشتراكي في الداخل ، بل يهيء لها تنسب الظروف أدرك أخطار « تصدير الثورة المضادة » إليها كذلك .

■ الأمر الثاني : هو أن ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية ، التي بدأت ملاحجها

كيان يتجاوز في احوال كثيرة نطاق السبذولة الرأسمالية الواحدة .

من هنا ، لا يمكن اعتبار ما يجري من تغيير في الدول الرأسمالية المتطورة — في ضوء ما اورده الحجة السالفة البيان — ماسا بجوهرات النظام الرأسمالي ، تماما كما لا يعتبر توسيع نطاق اللامركزية ماسا بجوهرات النظام الاشتراكي ، ذلك ان تحويل سلطات اكبر للمسؤولين عن مشروعات الانتاج المختلفة ، لا يعتبر في ذاته انتقالا للسلطة من طبقة الى اخرى ، ولا هو انتهاك في ذاته لاسدا المملكية العامة لوسائل الانتاج .

لقد اوردا هذه الحجة لتلفت النظر الى ان «وجه التقارب» و «التماثل» بين النظامين الذي يجري الحديث كثيرا حولها في الاونة الاخيرة ، لا ينبغي ان تلهي عن حقائق تمت الى اعتبارات اكثر اساسية ، ونعتبر «ثوابت» لا يتألفا كل ما يجري من تغيير . والاتفات الى هذه «الثوابت» ، ووضعا موضعها الصحيح من التقدير والحساب ، ليس مجرد ترف اكاديمي بل ينبغي ان يخلق بها يستحق من مناة ضامنا لعدم التزوير في ارسدة لصالح قضية التحرير موبا ، ولا استثمار كل ما هو كليل فعلا بتوفير مقومات الحل العادل لازمة الشرق الاوسط تخصيصا .

والواقع ان بناء استراتيجية للتحرير في الاوضاع الدولية الجديدة انما يفرض الا نشغلنا «المتغيرات» عن «الثوابت» ، تماما كما لا ينبغي ان نجهد عند «الثوابت» دون مراعاة «المتغيرات» بل تقتضي هذه الاستراتيجية — منهجا — البعث عن افضل سبل استثمار «المتغيرات» و «الثوابت» معا ، بالتكيف لوضع ينشط الابداعات في كل منهما ، بدلا من ان يكون ابرز ما يستوقفنا هو ما تنطوي عليه من سلبيات .

ثالثا - عن «المتغيرات»

و «الثوابت» ملاحظات في الموضوع

ان اخطر ما يمكن ان يصيب احساسنا بواقع أزمة الشرق الاوسط في اللامسيات الدولية الراهنة ، او رؤيتنا لمستقبلها او كل تفكير

التكنولوجيا المصرية ، وتمنذر استمرار قصر وظيفة التوجيه والتخطيط على هيئة مركزية واحدة نتيجة زيادة تعقيد هيكل البناء الصناعي ونموه حجا نموا ضخما ، وزيادة تشابك العلاقات بين فروعه المختلفة . وهذا امر يقتضي بدوره ضرورة تفويض سلطة اكبر الى فئة «المديرين» المسؤولين عن الاشراف على المشروعات الانتاجية . وهذا التفويض في السلطة لا بد ان يتم على حساب السلطة المركزية ، ذات الصلة الاكثر وثوقا بمقتضيات السياسة العامة ، والمؤهلة قبل غيرها على إخضاع قراراتها لمطالبات الايديولوجية .

ان «التخطيط» — بمقتضى منطق هذه الحجة — يضال وضعه الى حدود «مقولة» في ظل الاشتراكية ، بينما يلجا اليه كلبا هو «ضروري» في ظل الرأسمالية . ومن هنا ، تعد لام الفواصل — في نظر اصحاب هذا الرأي — هامة بين النظامين ، وكلاهما ينتج لنقل السلطة أساسا الى فئة تكنوقراطية جديدة ، على حساب طبقة الرأسماليين في العالم الاميريالي ، وعلى حساب بسطة الحزب الايديولوجية ، الملتزمة للطبقة العاملة ، في العالم الاشتراكي .

ونستند هذه الحجة الى عدد من الشواهد الصحيحة . ذلك ان القطاع العام قد اتسع بالفعل في اغلب الدول الرأسمالية المتطورة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، الى حد انه أصبح يشمل في بعض الاحوال ٢٠ الى ٣٠ ٪ من الانتاج الصناعي العام ، ويتسع لـ ٤٠ الى ٥٠ ٪ من مجموع الاستثمارات . ولكن تسكن المبالغة في ان ملكية الدولة مقصورة في الدول الرأسمالية على فروع الصناعة الباهظة التكلفة التي لا تحقق سوى عائد ضئيل في الامد القصير [كالصناعات النووية او صناعات الفضاء] او فروع الصناعة التجهيية [كالنقل والمواصلات والغاز والمياه ..] او الاستفراجية [كالنجم والحديد والمعادن ..] ومن هذا كله ، تبرز وظيفة القطاع العام والدولة ، كهيئة تغيير قطاعات الصناعة الضرورية وغير المربحة في الامد الجائر ، لصالح الطبقة الرأسمالية ككل ، ذلك بينما يحتفظ القطاع الخاص ولا يفرط اطلاقا في افرع الصناعة الحديثة التي تحقق ارباحا كبيرة ، كالصناعات الكيميائية والالكترونية والميكانيكية المنتجة لادوات الانتاج والصناعات الدقيقة ، الخ من المجالات التي تعتبر اكثر فروع الصناعة الحديثة تطوراً ، والتي يجري فيها عملية تركيز وتتركز منقطعة النظر في صورة احتكارات مملو ذات

استراتيجي فيها . . أن تبدأ بافتراض ؟ يغلب عليه التشاؤم ، أن مناخ « الوفاق الدولي » هو حتما ضد التحرير ، ويسلبنا أدوات نضال ، أو أدوات ضغط على العدو ، نبقى بدونها في وضع أكثر صعوبة ، لنضطئ حالة « للحرب والاسلم » السائدة الآن .

إننا نفرض هذا الافتراض ، لأنه يعنى أن التوتر الدولي وحده هو حلينا ، وإن مسييل استرداد حقوقنا رهن استثمار التناقضات الدولية في المقام الأول . وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع مبدأ لا نؤاننى عن تأكيد ، وهو أن « قوتنا الذاتية » باعتبارنا طرفا أصليلا في النزاع ، ينبغي أن تكون العنصر الفاصل في جسمه .

الأصل ؟ هو أن سيادة السلام في العالم ؟ والنضال على الأسباب المفضية الى وجود مواطن مرشحة لنزاعات بلتية وقبلية للنضال الى نزاعات عامة ، ظرف يخلق مغلخا أكثر موثاة — وليس أقل موثاة — لإبراز النزاعات المستعصية الحل ، المتبقية بعد ذلك ، كموامل اضطراب تهدد بناء السلام العالمى كله .

لا يمكن الاعتراض إذن — من حيث المبدأ — على أن يكون السلام هو المقصر في العالم . ولكن ما نعتبره بشروما أن يكون موضع اعتراض هو أن يكون جو « الوفاق الدولي » على حساب حقوق مقرر ومشروعة ، أو على أسس اغفال حقوق مقرر ومشروعة . ومع ذلك ، فإن اثبات أن هذه الحقوق المقررة والمشروعة لا تقبل الاغفال يتوقف في المقام الأول على أصحاب هذه الحقوق أنفسهم .

المطلوب إذن هو اكتشاف السبل الكفيلة باثبات الحق في المبادسات الدولية الجديدة . و « أثبات » الحق لا يقتصر على الحجة « الشرعية » وحدها .

الجديد في الموقف السدولي ليس أن فرض اثبات الحق قد تقلصت . ونتمدد فرض اثبات الحق بسبل لا تقتصر على الحجة « الشرعية » أو الحجة « المنطقية » وحدها ، ذلك أن كلا منهما محدود الفعالية ما لم يستند الى « قوة مادية » وأنها الجديد هو أن قواعد التسليم الدولي قد تغيرت ، والمناخ الذي يجري فيه أعمال « القوة المادية » يتطلب أعمالها بطرق جديدة .

وإذا صح أن الوضع الدولي الجديد قد فرض محاذير على أساليب « لأعمال القوة » كانت مباحة ، أو متاحة من قبل ، فلا معنى ذلك أن فرصا جديدة لإثبات الحق لم تجد ، بغير الاعتماد فقط على الحجة « الشرعية » أو « المنطقية » . ولكن في سبيل أن نكتشف هذه الفرص الجديدة ، فلا بد لنا بادىء ذي بدء ألا نقتصد في أرتيافنا للواقع الجديد بأنماط تفكير ، أو بمقومات تعتبرها مسلميات ، مستمدة فقط مما ألفنا العمل بمقتضاه في الفترة السابقة ، بل أن نجسرا أن نتحرك انطلاقا من المقدمات التالية :

[] أولا — أن قواعد التعاون الدولي قد تغيرت وعلينا بالتالى أن نقوم الاتجاه الذى يعاند في رفض التسليم بهذا التغيير ونتائج . ولا شك أن طرح رئيس الجمهورية موضوع «التغيرات الدولية » لحوار عام ومفتوح خطوة يبنى الاعتماد عليها لكسر هذا المناد ، وللحفر على التفكير الخلاق بتصميم وجسارة .

[] ثانيا — أن نحدد وبوضوح انطلاقا من هذا التسليم ، عالم يعد من الممكن بناء استراتيجيتنا عليه ، بما في ذلك أساليب كان من الجائز أن تشبها استراتيجيتنا من قبل .

[] ثالثا — أن نحدد ونفص الوضوح ، أساليب العمل الجديدة المتاحة لتسا أرتيافنا ؟ والتي يجب علينا أن نكتشفها ، في ضوء الخواص الجديدة التي تميز عصر « التعايش السلمى » و « الوفاق الدولي » .

واستشلف ملامح وخواص الواقع الدولي الجديد لاستبشاره لصالحنا ، لا يمكن — بطبيعة الحال — أن يكون ثمرة اجتهاد فرد أو أفراد ؟ بل يقتضى — لا شك — جهدا جماعيا منظما ، يجرى الآن تنشيطه بالحوار الدائر والمتنظر له أن يترجم في قرارات المؤتمر القومى القادم . ومع ذلك : نرى المساهمة في هذا الجهد نمدد من النقاط نعتقد أنه يمكن تأكيدها دون خشية الوقوع في خطأ جسيم :

■ يمكن القطع بأن أى نزاع إقليمي ، في حالة اكتسابه صفة الصدام الممسكى ، ومهما بلغت حدته ، فإنه لن يتصاعد الى حد تشوول قوى دولية ، أو دول عظمى ، بمعنى مشاركتها المباشرة في عمليات حربية . ومن هنا يكتب الاداء الممسكى لأطراف النزاع المباشرة أهمية تنوق كل وقت سابق في تقرير النتائج السياسية

السلام العالمي ، بين " دول " على المسرح الدولي
ومن هنا ، ينبغي أن نتطرق إلى تعبير الصراعات
بين نفسها بطرق أخرى ، من أبرزها طبيعة
الحال ، صور الصراع تجري داخل نطاق كل
" دولة " على حدة ، أو داخل نطاق " مجموعة
دول " تنتمي إلى نفس النظام الانجاسي
والاقتصادي . ولعلنا أن نشوع أن الانفراج
الدولي ، والحد من التوتر ، والاتفاق على تدابير
تتكل مع الجوء إلى الحرب كوسيلة لحصل
الزمن الدولية ، هي صورة جديدة للصلوات
بين الدول لا بد أن يصاحبها وتعاظم معها شأن
الصراعات داخل المجتمع الواحد ، أي شأن
الصراعات ذات الصلة الانجاسية ، حسب
طبيعة كل مجتمع . وبالذات الصراعات التي
كانت يكون في المرحلة السابقة بسبب
الاستقطاب الدولي الحاد ، وتقسيم العالم إلى
كل مفقولة ، برصي بعضها للبشر .

ومنذ الآن ، نجد في الأبعاد الواسعة التي أصبحت تكتسبها في الغرب أزمة النقد الدولية أو في حجم فضيحة ووترجيت وما أصبح يتداعى منها من مخالفات وجرائم وفضائح تدللت وتنجست أكثر من أي وقت مضى ، مؤشرات تنبئ ببنوعية الصراعات المنتظر لها أن تكتسب أهمية متعاظمة .

وإذا سمع ان النزاعات المستعمية الحل
الموروثة من الفترة السابقة على «عمر الوفاق»
— كازمة الشرق الاوسط — ما زالت تحتفظ
بصفة انها نزاع بين دول ، بمعنى انها تدور حول
تقسيمات نفس سيادة دول ، والحق الوطني في
تأمين ارض الوطن ضد المدوان والاعتصاب ،
فلا بد ان تنطع هذه النزاعات ايضا مستقبلا
بالخواص الجديدة التي اصبحت تميز ابرز
النزاعات الفارضة نفسها على المسرح الدولي ،
وان يكون الجهد الإيجابي شاملا متعاملا
لا العكس .

ليس من « المتغيرات » إذن تجسيد كل الشكّل الصراع ، بل يكمن جوهر ما يجري من تغيرات المكان في تجسيد أنواع محددة من الصراع ، وبإلّا فإنّ الإنسان يتطوّل على تدهيد لاستمرار حياة البشرية فوق الأرض ، في عصر طرح فيه إنجازات التكنولوجيا - لأول مرة - إمكان إنهاء البشرية بأسرها ، سواء بالحرب النووية الشاملة ، أو باتار « سلمية » أخرى للتكنولوجيا ، كما تارها في

لمركبة عسكرية . ولا شك في أن السلاح يحتفظ في نوعه وفي كنهه بأهميته البالغة ، ولكن القيود التي قد تفرض استيراد كل أنواع السلاح إلى غير حد ، يحتم زيادة تركيز الجهود على كفالة أداء ما هو متاح استخدامه . وفي نفس الوقت ، يقتضي هذا الوضع الجديد التوسع في استثمار طرق الضغط الأخرى على العدو ، بوسائل إيجابية وفعالية حركة لا تنقطع في موطن النزاع وفي مختلف الاتجاهات إلى الصعيد الدولي ، اعتمادا على ما يتطوّر عليه مناخ «الوقائع» من صور جديدة « للصراع » .

ليس من « المتغيرات » إذن ، في نزاع إقليمي
إمكان بل وربما وجوب اللجوء إلى الحرب
كوسيلة لاسترداد حق ، متى توافرت الظروف
لغرض هذه الحرب بفرض « معقولة » للنجاح .

ليس من « المتغيرات » انّ ، في نزاع القضي
الكبرى عن تزويد الدول الأخرى بالسلاح — على
أطلاقه — بديل ما نراه الآن على سبيل المثال من
صفقات سلاح أمريكية في المنطقة ، لاسرائيل ،
وإيران ، الخ .. ذلك مع احتمال ان مفاوضات
تخفيض السلاح أو فرض السلاح على المصيد
الدول ، من الممكن ان تكون لها آثار
في ضبط تصدير نوعيات معينة من الأسلحة إلى
الناطق العرصة لنشوء نزاعات ملتهبة فيها مع
العلم ان احتكاكات إنتاج السلاح في الغرب
تحاول التخفيف من نتائج ضبط أو خفض السلاح
بتشجيع صادراتها منه إلى دول أخرى ، قارة
أو راحة في الشراء .

ولكن مما تسلمه «المخفغات» على وجه القطع
 إمكان توقع حسم نزاع اقليمي، مجرد أن اتخذه
 شكل الحرب هو في ذاته تهديد لحو «الوفاق»
 ويعرض ما يجري من اتفاقات بين الدول الكبرى
 للانكسار. ولم يعد من المنظر أن يترتب على
 نشوب حرب محلية أن يصدر بسببها «أذارا»
 إلى دول كبرى، على غرار الإثارة الذي وجهه
 يوحناين عام ١٩٥٦، لبريطانيا وفرنسا.

■ جو التعايش السلمي و « الوفاق » لا يعني
الفاء الصراعات الدولية ، ولكنه يضع ضوابط
تفنع أن تكتسب هذه الصراعات صفة الصدام
العسكري الواسع النطاق ، وعلى نحو يهدد

تلوين البيئة ، أو في تعريض كوكبنا لاختلال
ايكولوجي يجعله غير صالح للحياة .

ان جوهر ما يجري من تغييرات اذن ، هو
تغيير نوعية المراسمات التي تتكسب مكان
المصادرة ، بعد ضبط اشكال محددة من الصراع ،
ذلك ان تصادم المصالح في ظل جو « الوفاق »
لا بد ان يعبر عن نفسه بصورة جديدة ، ويقرر
تجميد أو ضبط أوجه الصراع التي تتخذ شكل
نزاعات عدائية بين دول ، بنفس القدر مسوف
تلتزم للمقدمة مراعات ذات طابع اجتماعي أو
اقتصادي أو مالي « أزمة النقد الدولية » أو لخلائي
« مفصلائح كضخمية وورجيت » أو قانوني
و دستوري « الحاجة الى نوعية جديدة من
المؤسسات تلائم العلاقات الدولية الجديدة » ،
أو ذات صلة بمتطلبات التكنولوجيا الحديثة
« أزمة الطاقة » في الدول المطورة ، أو يمسهم
القدرة على مسايرة انجازات التكنولوجيا
واستثمارها لخدمة تلتزم مشاكل تستبد بالقطاع
الخلف من العالم . . ومن خلال هذه المراسمات
سوف يتكسب « الصراع الايديولوجي » صورا
جديدة تختلف كثيرا من صورها في ظل خريطة
للعالم تميزت أساسا بالاستقطاب بين دول .

■ ومن هنا ، فكان من أبرز خواص « عصر
الوفاق » الراهن ، هو ما ينعطى عليه من تبديل
في شخصية الأطراف التي ينبغي تمييزها في
كل نزاع يعرض نفسه على المجتمع الدولي . .
لقد كانت « أطراف » النزاعات في الفترة السابقة
تبرز - أساسا - في صورة « دول ذات سيادة »
وينظر اليها ككيانات ذات شخصية قائمة بذاتها ،
دون ان يتناول التعامل الدولي ما تطوى عليه
هذه الدول من مكونات اجتماعية متباينة المنطلقات
والاهداف . الا ان الوضع الدولي الجديد القائم
على استبعاد الحرب كوسيلة لحل النزاعات
بين دول ، استدعى من قبل جميع الدول ان
تتخلي عن النظر الى « أطراف » نزاع محدد ،
ك مجرد « دول » كل منها « قائم بذاته » فقط ،
وفرش عليها ضرورة ان تميز داخل كل دولة ،
بين « أطراف » فيها تجد مصالحها الاساسية
تتحقق بمقتضى ضوابط مقبولة دوليا ، مجسمة
في مبادئ كميادى ميثاق الأمم المتحدة ، أو في
اتفاقات جماعية أو ثنائية بين دول ، و « أطراف »
أخرى تسلك سلوكا يتعارض مع هذه المبادئ ،

كالإصرار على العدوان ، أو على قمع حقوق
وطنية ، أو قومية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية
تستمد مشروعيتها من ضوابط « الشرعية الدولية »
المتعارف عليها والمعترف بها . وأصبح « جسو
الوفاق » ممكنا بالقدر الذي أمكن فيه أبرام
اتفاقات تمزول وتهزم الأطراف داخل دول شتى
ذات مصالح وأهداف ونظلمات تتعارض مع هذه
الضوابط ، هكذا أمكن حل المشكلة الألمانية -
مفتاح إيجاد حل لقضية الأمن الأوروبي - بعزل
وهزيمة الاتجاهات الانتقامية في ألمانيا الغربية
التي طالما أصرت على عدم الاعتراف بخط الأودن
نيمس . وبخريطة ألمانيا كما أسفرت عنها نتائج
الحرب العالمية الثانية . وبفلس المنطق أمكن
إزالة التوتر بين الولايات المتحدة والصين ،
بتسليم واشنطن بأنه لا توجد سوى صين واحدة
عاصمتها بكين . . كما حل بنفس المنطق قضية
فيتنام الخ . . وليس من شك في أن تعامل
الاعتراف الدولي بتسبع فلسطين العربي ، كطرف
لا يمكن اغفاله في البحث من حل لازمة الشرق
الاوسط ، رغم أنه ليس مجسما في صورة
« دولة » ، هو مؤشر له مژءاء في أن الأزمة
لا يمكن أن تعال بنشأ من القواعد الجديدة
التي تحكم التعامل الدولي .

من هنا ينضج أن « المتغيرات الدولية » لم تعد
تجيز قصر « أطراف » نزاع مسأخن على عدد من
« الدول » فقط ، سواء كانت هذه « الدول »
« أطرافا مباشرة » في النزاع ، أم كانت « دولا
أخرى » ، متمنية بالنزاع بصورة أو أخرى ،
كالدول العظمى ، أو كدول ذات مصلحة في
علاج النزاع على نحو أو آخر . . بل أصبحت
هذه « المتغيرات » تتطلب تصميم استراتيجيات
لواجهة « النزاع » ، تدخل في الاعتبار شبكة
واسعة ومعقدة من العوامل ، بتأثيرات متبادلة
بينها ، بعضها ذات صفة عسكرية وأخرى
سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، الخ . .
والموامة بينها جميعا على نحو يركز على عزل
وهزيمة القوى ذات المصلحة في منع أو مرقة
الحل « المساد ل » للنزاع ، بمقتضى ما أصبح
متعارفا عليه ، ومعترفا به دوليا كضوابط لازالة
أوجه التوتر في العالم ، دون تفریط في الحقوق
المشروعة للشعوب ، ولا في المقومات التي تضمن
لها أمنها وسلامتها وسيادتها الوطنية ، بحررة
من العدوان ، ومن كل عوامل الضغط على تمييزها
الاجتماعية والاقتصادية وفق لرادتها الحرة
المستقلة .

سياسة التعايش السلمي

الدوافع والمظاهر

على الجانب الاشتراكي



كتب سمير كرم :

وتتميز بوضوح عن دوافع وأساليب وأهداف دول
العالم الرأسمالي ، لأن كلا منها في النهاية
عكس مصالح طبقية معينة .

مبادئ الدبلوماسية الاشتراكية

ولا نستطيع أن نتصدى لتحليل دوافع
الدبلوماسية الاشتراكية من وراء هذا الإلحاح
الشديد الواضح على وضع مبادئ وسياسة
التعايش السلمي موضع التطبيق العملي - على
النحو الذي انتج هذه « المقررات الدولية » - دون
أن نعرض لفهوم الدبلوماسية في العالم
الاشتراكي . وهو بطبيعة الأمور ليس وليد التجربة
والخطأ أو الخبرة العملية المعقوية وإنما هو مبني
على أساس نظري أيديولوجي محدد الأبعاد منذ
البداية .

من السهل والمنطقي الاتفاق على أن ما يصطلح
الآن على تسميته بالمقررات الدولية - وهو واقع
موضوعي جديد بغير شك - إنما هو محصلة
مراع بين دبلوماسيين : دبلوماسية يتبعها كل
من النظامين العالميين السائدين ، دبلوماسية يتبعها
النظام الاشتراكي في علاقاته الدولية بدوائرها
المختلفة ، ودبلوماسية يتبعها النظام الرأسمالي في
علاقاته الدولية بمناطقها المختلفة أيضا .

ومن المنطقي أيضا - وإن لم يمكن من السهل
على البعض - الاتفاق على أن الدبلوماسية
الاشتراكية لها ملامح مختلفة بصورة تكاد تكون
كلية عن ملامح الدبلوماسية الرأسمالية أو
الغربية - بمعنى أن لدبلوماسية التي تنتهجها دول
العالم الاشتراكي دوافع وأساليب وأهداف تختلف

عشوائية - برغم ما قد يبدو في ظاهرها من تناقض - فقد كان اصطلاح الاستراتيجية دائما احتكارا لنظريات الحرب طوال مئات بل آلاف السنين . وحتى عندما كان « الاستراتيجيةيين » يفتكرون في السلام ، فانهم كانوا يفتكرون فيه استجابة لحاجة لفترة اعتماد ، أو التباطؤ للانفاس قبل وضع استراتيجية حرب جديدة مروض التنفيذ .

معنى استراتيجية السلام

فماذا تعنى « استراتيجية السلام » وما هي اهدافها ؟

ويمضنا ان نجيب ببساطة بان « استراتيجية السلام » التي اقترحها المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي (مارس - ابريل ١٩٧١) لم تكن اكثر من برنامج لتكثيف الجهود لوضع سياسة التعاضد السلمي ومبادئ افغنيس . الملفة منذ اليوم الاول لقيام الاتحاد السوفيتي - موضوع التنفيذ - على اساس ان الظروف الموضوعية المساندة في العالم مواليه لفرض هذه السياسة على العالم . اميرالي الرأسمالي الذي ظل يرفضها ويقاومها عندما كان يحس انه في مركز قوة متفوق - وعندما كان يزال يساوره الامل في تدمير النظام الاشتراكي من اساسه أو على الاقل - بعد ذلك - تطويق وعزله وخضيه من الداخل .

ذلك أن التحليل الذي توصل اليه الحزب الشيوعي السوفيتي للموقف الراهن في العالم انتهى الى :

١ - ان الأتمة العامة للرأسمالية تتعمق ، فحتى أكثر الدول الرأسمالية تطورا لا تخلو من الهزات الاقتصادية الكبيرة . . واتسعت السنوات الأخيرة أيضا بأزمة كبيرة في النظام النقدي والمالي للرأسمالية وأصبح التضخم المالي والبطالة في آن واحد ظاهرة دائمة .

٢ - ان عمليات التكامل ومصالح الامبرياليين الطبقية في توحيد الجهود ضد الاشتراكية العالمية لم تقض الى ازالة التناقضات بين الدول الامبريالية . وعند بداية السبعينات تلبورت بوضوح مراكز التنافس الامبريالي الاساسية ، وهي الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ، ويجري بينها صراع تنافس اقتصادي وسياسي متزايد الحدة والمنف .

٣ - ان قوة العالم الاشتراكي العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية تزداد على نحو كان من الطبيعي أن يغير تماما مخططات المسكن

وأول سمات الدبلوماسية الاشتراكية باعتبارها جملة الأساليب الرامية الى تطبيق مبادئ التعاضد السلمي ، وإقرارها كوسيلة لتعلاقات والمعاملات الدولية - أنها ترتبط عضويا بنشطة الدولة الاشتراكية والمجتمع الاشتراكي الداخلية . بمعنى أنها ترمى أساسا الى حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية . وأنها في الوقت نفسه تمكس مدى التطور الذي حققه المجتمع الاشتراكي في مواجهة هذه المشكلات .

والدبلوماسية بهذا المفهوم نمط جديد في العلاقات الدولية ، لم يعرف قبل نشأة أول دولة اشتراكية في العالم . فهي تقوم على :

١ - النظرة الدولية (أي النظرة التي لا تحدها حدود المصالح القومية والوطنية البانشرة) .

٢ - اللزام مبادئ معينة وليس على المرونة المطلقة والتلون طبقا للاحتياجات والمواقف الوقتية .

٣ - الدفاع عن المصالح الطبقية للمجتمعات الاشتراكية في صراعها ضد المصالح الطبقية للمجتمعات التي يسيطر عليها النظام الرأسمالي سواء داخل أوطانها أو خارجها . أي سواء داخل الدول الرأسمالية نفسها أو الدول التي تقع تحت طائلة استغلال الرأسمالية الأجنبية بها . أي البلاد التي يسودها الصراع بين حركة التحرر الوطني والامبريالية .

٤ - العنوية الكاملة في الوسائل والاهداف . ولعل هذه الميزة قد صاحبها الدبلوماسية الاشتراكية - كما هو معروف منذ الساعات الأولى لإعلان الجمهورية السوفيتية . وقد التزم الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى برفض فرض أي قدر من السرية على اتصالاتها ومعاهداتها وتعاقداتها ، سواء فيما بينها ، أو بين دول العالم الرأسمالي .

وهذه الاسس التي تقوم عليها الدبلوماسية الاشتراكية هي التي حددت الاشكال والوسائل الجديدة لإدارة الشؤون الدبلوماسية للدول الاشتراكية ، ابتداء من البيانات والتندات الموجهة الى شعوب العالم ، وإلى الرأي العام في العالم ، أو في دول معينة ، حتى محادثات القمة على المستوى الرسمي بين الدول .

ومع وضوح هذا المفهوم الدبلوماسية الاشتراكية ، في إطار اهداف السياسة الخارجية دخول النظام الاشتراكي ، نجد صورة ما يطلق عليه في الاتحاد السوفيتي اسم « استراتيجية السلام » أو « هجوم السلام » . وهي تسمية ليست

– تفاقم أزمة النظام النقدي الغربي ، وتوالى الالتزام المالية على دول الغرب . وخاصة الولايات المتحدة التي عجزت عن مرور الاموال عن سد المجز في ميزان مدفوعاتها .

● اشتداد حدة التناقضات بين المراكز الكبرى في العالم الرأسمالي ، وخاصة بين الولايات المتحدة واليابان ، وبينها وبين أوروبا الغربية التي تكتلت على نطاق أوسع في السوق الأوروبية المشتركة .

● انتصار الشعب الفيتنامي في نضاله ضد العدوان العسكري الأمريكي وتوقيع اتفاق السلام الذي أسفر – في أهمجرائيه – عن انسحاب جميع القوات الأمريكية من فيتنام .

● خروج ألمانيا الغربية – بسياسة الانفتاح على الشرق – الى أفق الاعتراف بالامر الواقع بتوقيع اتفاقيات التساير وحسن الجوار مع الاتحاد السوفيتي وبولندا ، وأخيرا مع تشيكوسلوفاكيا . ثم توقيع المعاهدة المنظمة للعلاقات بين ألمانيا الغربية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية ، وهي المعاهدة التي قمت اعترافا ميثارا بوجود دولتين المائتين . ولا شك أن موقف ألمانيا الغربية هذا ليس وليد مجرد تسامح مستشارها فيلي براوت وإنما هو موضوعيا وليد ازدياد قوة ألمانيا الديمقراطية واستقرار نظامها الاشتراكي ودعم دورها ومكانتها الدولية . وهكذا فإن بون تكون قد غيرت موقفا بزاوية ١٨٠ درجة بالنسبة لهذه المسألة التي ظلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تترجم فيها مواقف ديمباطيقية جامدة بتأييد ودعم من الولايات المتحدة والعسكر الامبريالي كله .

● انتصار الحركة الاستقلالية لبنجالاديش باعتبارها حركة تحرر وطني وقتل الدول الاشتراكية ورامها في مساندة واضحة بكافة السبل حتى قامت جمهورية بنجالاديش سرغم معارضة الولايات المتحدة وسحلوالاتها للتسريح باستخدام أسطولها السابع ، وبرغم تحالف الصين معها في موقف دبلوماسي ودعائى واحد ضد الهند وحركة استقلال بنجالاديش .

● صمود حركة التحرر الوطني العربية ضد كل محاولات إجبارها على التسليم لاسرائيل عن طريق المفاوضات المباشرة وخسدت تهديدات الامبريالية الأمريكية ومواقفها المتخذة الى جانب التومسية الصهيونية ونجاح مصر بشكل خاص – بتأييد من العالم الاشتراكي – في عزل اسرائيل عن الرأي العام العالمي الذي كان قد اعتاد على مدى السنوات الماضية على تأييد الاسرائيليين على طول الخط ودون تمحيص .

الامبريالي التي ظلت تحلم على مدى السنوات الخمسين الماضية بالانقراض على النظام الاشتراكي والقضاء عليه ، وقد انمستفورة العالم الاشتراكي العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية في ازدياد نفوذه على المسرح الدولي بحيث لم يعد بإمكان المعسكر الرأسمالي أن يفر من بعض الحلول في العلاقات والمشكلات الدولية بما يحقق مصالحه الاستغلالية والعدوانية .

ويكنا أن نعتبر أن أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، ربما كانت آخر محاولة أدركت بعدها الامبريالية استحالة الخفى في خطط مواجهة المعسكر الاشتراكي بالقوة او بسلوب القزو من الداخل . فان تحرك قوات الاتحاد السوفيتي وقوات حلف وارسو واجباط مخطط القزو الخطير ، الذي رقت له دول الغرب لسنوات عديدة ، قد برهن على أن الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية لا يمكن أن تهان اذا كان النظام الاشتراكي نفسه مهددا في أحد هذه الدول .

٤ – أن دور حركات التحرر الوطني في مواجهة الامبريالية تعالقم حتى مع ازدياد ميل المعسكر الرأسمالي الى اللجوء للقوة (كما حدث في الشرق الاوسط وقبله في فيتنام) وفشل الامبريالية في تحقيق أهداف السيطرة على الشعوب بالقوة العسكرية .

٥ – أن تطورا قد طرا على قوة القوى الثورية داخل المعسكر الرأسمالي نفسه ، وخاصة قوة الطبقة العاملة في العمل ضد الامبريالية والنظام الرأسمالي .

٦ – أن النضال في سبيل التحرر الوطني في كثير من البلدان بدأ يتحول عمليا الى نضال ضد العلاقات الاستغلالية الاقطاعية والرأسمالية على السواء . وازدياد عدد وقوة دول العالم الثالث التي تنتهج الطريق غير الرأسمالي الى التنمية ، وموجبة في هذا الطريق خربات قوية ضد الاحتكارات الامبريالية عن طريق التأميم .

الصورة بوجهها

والواقع أن الفترة التي مضت منذ انتمت الى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، تشهد على صحة هذا التحليل . فقد ضببت هذه الفترة عددا من التطورات المؤكدة لازدياد ضعف المعسكر الامبريالي وازدياد قوة المعسكر الاشتراكي ، وجبهة حركة التحرر الوطني . ويمكننا ايجاز هذه التطورات في النقاط التالية:

● استقرار وازدياد قوة النظام الاشتراكي في كوبا ويزوغه في كل من شيلي وبيرو وانتصار القوى البيروقراطية كقوى تقسيمية مناهضة للامبريالية في الأرجنتين ، مما جعل الامبريالية الامريكية تواجه موقفا جديدا تماما في امريكا اللاتينية لا تستطيع فيه غرض اردادها على شعوب القارة .

استراتيجية السلام

اهدافها وبرنامجها

هذه هي - اذن - الصورة التي بدأ فيها الاتحاد السوفيتي تنفيذ حملته المكثفة لفرض مبادئ التعايش السلمى ووضعها موضع التطبيق ، في اطار استراتيجية مجموعية للسلام . وفى ظل هذه الظروف الموضوعية ، عمل الاتحاد السوفيتي على تنمية علاقاته مع الدول الرأسمالية ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة . فلم يكن ذلك اذن من مركز ضعف او بحسابات تراجع ، وانما كان احتيارا للخطة المناسبة لاجبار الامبريالية على احترام سياسة التعايش السلمى وقبولها أساسا لعلاقات الدولية . وعندما أعلن الاتحاد السوفيتي استراتيجية السلام امام المؤتمر الرابع والعشرين لحزبه كان هذا ما قاله بالتحديد :

« اننا لنعلن بشعور كامل بالسيوفلية : لا توجد لنا أية مطالب اقليمية من احد ، ولنسأله احد ، ولا نريد أن نهزم احد ، بل اننا نؤيد التطور الحر والمعتدل لجميع الشعوب . ولكننا لن نسمح لاحد بان يحدثنا بلفظ الانذارات والقوة ، ان لدينا كل ما هو ضرورى : سياسة السلام الحقيقية والقدرة العسكرية ... »

فما هي الاهداف التي حددتها استراتيجية السلام كواجبات أساسية ؟

اولا - ا - القضاء على يورثي الحرب في جنوب شرق اسيا وفي الشرق الاوسط ، والمساعدة في تحقيق التسوية السياسية في المنطقتين على اساس احترام الحقوق المشروعة للدول والشعوب التي تعرضت للمحوان .

ب - الردع القوي الحازم لكل عمل من اعمال العدوان والتسف الدولى ، ويجب لاجل هذا الاستفادة بشكل تام من امكانيات الامم المتحدة ايضا .

ج - ان الامتناع عن استخدام القوة والتهديد باستفهامها لحل المسائل المتنازع عليها يجب أن يصبح قانونا للحياة الدولية .

ثانيا - ا - الانطلاق من الاعتراف النهائى بالتغيرات الاقليمية التي حدثت في اوربا نتيجة لحرب العالمية الثانية .. ضمان عقد المؤتمر الاوروبى العام ونجاحه .

ب - بذل كل شيء لضمان الامن الجماعى فى اوربا .

ثالثا - ا - عقد معاهدات لحظر الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية .

ب - العمل لوقف تجارب السلاح النووى فى كل مكان ومن قبل الجميع .

ج - الاسهام فى انشاء مناطق لا ذرية فى انحاء مختلفة من العالم .

د - تأييد نزع السلاح النووى لجميع الدول التي تملكه . .

رابعا - ا - تنشيط النضال من اجل وقف سباق التسلح بجميع انواعه . .

ب - تأييد تصفية القواعد العسكرية الاجنبية وحفض القوات المسلحة والاسلحة فى المناطق التي فيها المواجهة الحربية خطرة بشكل خاص . .

ج - وضع تدابير تقلل من احتمال نشوء الحوادث الحربية بالمصادفة او تدبيرها عن عمد وتحولها الى ازمات دولية ثم الى حرب .

خامسا : يجب ان تتخذ كليا كل قرارات الامم المتحدة الخاصة بتصفية ما تبقى من الانظمة الاستعمارية .

سادسا - الاستعداد لتعميق علاقات التعاون المتبادل النفع في كل الميادين مع الدول التي تطلع بدورها في ذلك ، والاشتراك مع الدول الاخرى في حل قضايا صيانة البيئة الطبيعية واستثمار موارد الطاقة . . وتصفية أخطر الامراض . . ودراسة وغزو الفضاء الكونى والمحيط السالى . .

وقد تاکد فى ختام هذا البرنامج بشكل صريح : « اننا نعلن ان الاتحاد السوفيتي - اذ ينتج بثبات سياسة السلام والصداقة بين الشعوب - سيظل يتناضل نضالا حائسا ضد الامبريالية ، ويرد يحزم على دسائس المعتدين واعمالهم التخريبية . وسنظل كسابق عهدنا نؤيد باستمرار نضال الشعوب من اجل الديمقراطية والحرر الوطنى والاشتراكية » .

والحقيقة أن هذا التأكيد قد ظل قائما بمد اجتماعى القبة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة (فى موسكو - مايو ١٩٧٢ ، وفى واشنطن - يونيو ١٩٧٢) . وبهذا المنى نفسه وجه الاتحاد السوفيتي نداء الى الدول الاشتراكية الحليفة له بان تلتزم الحظر واليقظة من « التغيرات الغربية الهدامة حتى وهي تسمى لتحسين علاقاتها مع الغرب » .

للتخريب الداخلي . فالصراع اذن مستمر ولكن بالاسلوب الذي اراده العالم الاشتراكي دائما وليس بالاسلوب الذي اراده واستخدمه قبل ذلك الممبكر الامبريالي .

والامر المفهوم يوضح في السيماء الخارجية للعالم الاشتراكي - في علاقاته مع ١ - العالم الرأسمالي ، ٢ - حركة التحرر الوطني المالية - ان التعاميش السلمية هو مجدا للعلاقات بين الدول ولا يمتد الى العلاقات بين المستغلين والمستغلين ، بين الشعوب المقهورة وقاهريها . ومن ثم فان التعاميش السلمية يهدف في الامس الى خلق ظروف اكثر مواتمة لتطور العملية الثورية في العالم بوجهها : ثورة التحرر الوطني وثورة التحرر الاجتماعي .

حقيقة « الاستثمارات » الغربية

ولا يخفى ان كثيرين في الغرب يميلون الى اعتبار اى خطوة تتخذها دولة اشتراكية نحو تحسين العلاقات مع الدول الرأسمالية على انها مظهر ضعف ، وانها « تحول » او « انحراف » عن الاشتراكية ومفاهيمها الرئيسية ، اى انها رغبة من هذه الدولة الاشتراكية للقيام بدور « جسر للتقارب بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية » ، أو بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي .

ولهذا يسود الاعتقاد لدى البعض بان الاتفاقيات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية والرأسمالية ، وخاصة الاتفاقيات الاخيرة التي عقدت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشأن استثمارات في مشروعات معينة في الاتحاد السوفيتي ، مثل مشروعات البترول في سيبيريا - هي نوع من التراجع عن المواقف الاشتراكية التقليدية .

والواقع ان هذا سؤال جدير بان يجد اجابة واضحة عليه . ما هي حقيقة الاستثمارات الرأسمالية التي اثقت عليها في الاقتصاد السوفيتي ، وهل هي تمنى خلق جيوب رأسمالية في الدولة الاشتراكية ، وفتح الاقتصاد الاشتراكي للرأسمالية الغربية لتكوين الأرباح فيه واستغلال عمال الدول الاشتراكية ؟

ان اتفاقات الاستثمارات تتم في اطار سياسة للتعاون الاقتصادي لا تمس النظام الاقتصادي الاشتراكي ولا تسمح باى استفاد لا للثروات الطبيعية ولا للقوى البشرية العاملة في هذه المشروعات ، حتى ولو كانت قوى عمالية اجنبية مستخدمة فيه في صورة فنيين . ان الدولة

وقالت صحيفة برافدا في مقال طويل على ثلاث صفحات كاملة (يوم ٧ أغسطس الماضي) :

« ان الرجعية الامبريالية سوف تحاول وهي تحاول بالفعل اضعاف وحدة الدول الاشتراكية .. للتأثير ، على نحو مفيد لها ، على الخط السياسي والطابع العام لتقدم هذه الدولة الاشتراكية او تلك . ولهدد الاغراض فانها تستخدم الاتصالات السياسية والوسائل الاقتصادية والاشكال المختلفة للتدخل الايديولوجي . ان الامبرياليون يركزون الان على الدعاية التي لا تهملي في مظهرها دليلا على الهداء الصريح ، ولكنها هداية في جوهرها » .

استمرار الصراع على جبهات أخرى

والواقع ان هذا التحذير ليس مجرد حملة اعتراضية وسط فصل الاتفاقيات الجديدة بين الشرق والغرب ، وانما هو يعكس وهي الدول الاشتراكية بان كل هذه الاتفاقيات والاسلوب الذي تتم به - سواء كانت اتفاقيات للتعاون الاقتصادي او التكنولوجيا او اتفاقيات للحد من الاسلحة الاستراتيجية - لم تغير من طبيعة الامبريالية واهدافها ، وبالتالي لم تلغ الصراع القائم بينها وبين النظام الاشتراكي ككل في العالم .

فالذي نجح فيه العالم الاشتراكي من خلال هذه المتغيرات هو انه فرض على النظام الامبريالي والرأسمالي اسلوب الصراع السلمية وسحب من تحت اقدامه سباط اسلوب الصراع الممبكرى بان اكد له استعماله (بسبب التوازن النووي) وغضله (بسبب هزائم الامبريالية في كل الحروب التقليدية او المحدودة التي خاضتها ضد العالم الاشتراكي ابتداء من الحرب الكورية حتى الحرب الفيتنامية التي وضعت فيها الامبريالية الامريكية كل قوتها وامكانياتها الحربية دون ان تتمكن من تحقيق اى هدف ايجابي يمكن ان تكون قد حازت من اجله » .

الصراع اذن ينتقل - بتطبيق مبادئ التعاميش السلمية - الى مرحلة جديدة يأخذ فيها شكل الصراع الايديولوجي اسما . تهدف الدول الاشتراكية خلال هذا الصراع الى افعال قوانين المساسمة السلمية ، الاقتصادية والمالية والايديولوجية ايضا ، وتقرى دول الممبكر الامبريالي الى استخدام السلاح الايديولوجي

المتحدة أن الانتاج الصناعي العالمي زاد خلال الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٧١ بمسبة ٦٦ في المائة ، بينما زاد الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفيتي خلال الفترة نفسها بمسبة ١٨٩ في المائة مقابل ١٢٩ في المائة في الولايات المتحدة و ١٢٥ في المائة في بريطانيا و ١٥٧ في المائة في الملتب الغربية .

وإذا كانت هذه الاحصاءات تنطق بشيء فهو أن النظام الاشتراكي أثبت أن الاتجاه الرئيسي في النمو الاقتصادي في القرن العشرين هو نمو الاشتراكية .

وقد يثار التساؤل عما إذا كان فتح اسواق العلم الاشتراكي امام رؤوس الاموال الغربية وامام تجارة العالم الرأسمالي لا ينطوي على مساعدة للامبريالية وهي نواجه ازمات حادة ، مثل التصمم وتدهور مركز الدولار الأمريكي .

الواقع لابد من التفريق - هنا - بين الازمات الوقتية التي تواجهها الدول الرأسمالية - كذلك التي اشرنا اليها - وبين الازمة العامة للرأسمالية والنظام الرأسمالي ، وهي شيء اهم وأبعد من الازمات الطارئة ، أن الدول الاشتراكية في اطار سياسة التعايش السلمي تسعى لفائدة متبادلة عن طريق الاتفاقات التجارية والاقتصادية مع دول الغرب ، وقد يساعد هذا في حل الازمات المؤقتة في العالم الرأسمالي ، ولكنه على المدى الطويل لا يساعد النظام الرأسمالي العالمي في ازمته العامة ، بل أنه على المدى الطويل يضعفه في مواجهة القوة الاقتصادية للعالم الاشتراكي الذي يمكنه التخطيط الشامل من الاستفادة الكاملة من التعاون الاقتصادي مع العالم الرأسمالي .

أن هذا التعاون لا يتم على اساس تبعية أو خضوع ، فالدول الاشتراكية مستقلة اقتصاديا وسياسيا عن العالم الرأسمالي ، وتظهر في السوق العالمية كشريك مساو ، له مصلحة مساوية ، في جنى الفوائد الاقتصادية من التبادل . وتنبية هذا التعاون إنما تهدف - وتحقق فعلا - فرصة أكبر للدول الاشتراكية لدفع نموها الاقتصادي وتطوير صناعاتها ومعداتها التكنولوجية . وهذا التقدم يستخدم بطبيعة الحال في الدول الاشتراكية في دعم عملية « خلق الأساس المادي » للاشتراكية ، وتطوير الاشتراكية . وفضلا عن ذلك فإن الدول الرأسمالية - بحكم قوانين اقتصادها نفسها - تنقل نفسها فيما بينها على أسواق العالام الاشتراكي - سواء للصناعات أو الواردات - وهي منافسة تخدم الدول الاشتراكية بالدرجة الأولى .

الاشتراكية تحصل على رؤوس أموال لاقامة مشروعات ضخمة فيها محتفظة بملكيته للمنشآت والمواد الخام المستخدمة ، ولا تتعدى رؤوس الاموال هذه أن تكون قروضا تسدد قيمتها - وفوائدها التي ينفق عليها - من انتاج المشروع نفسه .

ان المؤسسات الرأسمالية الامريكية عندما تستثمر اموالها في دولة من دول امريكا اللاتينية مثلا تحتفظ بملكية المشروعات التي تنشئها ، فهي مثلا تملك شركات البترول في فنزويلا ملكية كاملة ، سواء في ذلك رؤوس الاموال أو المنشآت أو المستخرج من البترول ، وتقدم مقابل ذلك نسبة محدودة من عوائد الانتاج للدولة التي اعطتها هذا الامتياز . وكانت الشركات الامريكية تملك بنفس المعنى مناجم النحاس وشركات التعدين في شيلي في ظل الصكورة الرأسمالية ، وقبل أن تؤمها الحكومة الاشتراكية .

أما وضع استثمارات في مشروع ضخم على غرار الاستثمارات التي وضعت في السد العالي - فانها لا تفضل استغلالا رأسماليا ولا ملكية رأسمالية ، وهذا هو شأن المشروعات التي وقعت اتفاقات الاستثمارات الامريكية (أو غيرها من الاستثمارات الغربية) في الاتحاد السوفيتي . أنها ملكية للشعب السوفيتي تخضع لقوانين الدولة الاشتراكية ولا تتعرض لأي قدر من الاستغلال . كما أن هذه المشروعات لا تحصل أي شبهة تكوين رأسمالية روسية جديدة . فلا يمكن القول بأن هذه الاستثمارات تهدف لمعودة على الطريق الرأسمالي .

تدعيم الاقتصاد الاشتراكي

وربما يكون منشأ التصور عن عودة الرأسمالية اعتقاد خاطيء بأن المركز السياسي والاقتصادي للعالم الاشتراكي قد ضعف ولم يقو خلال السنوات الماضية بالنسبة للعالم الرأسمالي . والحقيقة أن نسبة الانتاج الصناعي للعلم الاشتراكي الى الانتاج الصناعي العالمي كله قد ارتفعت من ٢ في المائة في عام ١٩١٩ الى ١٠ في المائة عام ١٩٣٧ الى ٢٧ في المائة عام ١٩٥٥ الى ٣٩ في المائة عام ١٩٦٩ . وفي الوقت نفسه فإن نسبة الانتاج الصناعي للعالم الرأسمالي الى الانتاج الصناعي العالمي انخفضت من ٩٧ في المائة عام ١٩١٩ الى ٩٠ في المائة عام ١٩٣٧ ومرة أخرى الى ٧٣ في المائة عام ١٩٥٥ ومرة رابعة الى ٦١ في المائة عام ١٩٦٩ .

وقد جاء في آخر كتابي احصائي سنوي للايم

ولعل من الجدير بالملاحظة أن "الم الاشتراكي استطاع أن يحقق هذه النتائج مع وجود الانقسام الخطير الذي تبثله الحالة الراهنة للعلاقات السوفيتية الصينية ، ورغم كل محاولات الولايات المتحدة لاستغلال هذا الانقسام لصالحها .

إن « استراتيجيية السلام » تهدف في مجموعها - وفي مجالات تطبيقها المختلفة - دبلوماسية والاقتصادية والعسكرية - إلى شل قوى العدوان في العالم تدريجيا لخلق ظروف أفضل لسياسة خارجية ملائمة لمصراع الشعوب من أجل الحرية والاستقلال ، وأيضا من أجل التقدم الاجتماعي .

إن احتمالات السلام في العالم - التي تمتد بغير شك على العلاقات بين النظامين الحاليين القانمين - ليست مرهوبة بمجرد « نوايا » طيبة أو سيئة لدى المعسكر الإمبريالي ، وإنما - وهذا ما يملح مطلق التفكير العالي الموضوعي السليم - على الموقف التاريخي المحدد وحقيقة قوة كل من النظامين . ولهذا فلا يمكن اعتبار « المتغيرات الدولية » التي تبدو في لقاءات القمة والاتفاقات التي تسفر عنها في المجالات المختلفة بمثابة نتيجة لجهود مشترك من جانب هذين الطرفين ممعيا نمو السلام ، وإنما هي في الحقيقة انتصار لسياسة انتهجها أحدهما ودعا إليها منذ البداية . وانكاسة لسياسة انتهجها الطرف الآخر وخرب وسائل عديدة لغرضها دون جدوى .

التعايش ومفهومه على الجانب الرأسمالي



كتب كمال السيد :

الخمسة عشر عاما الأخيرة ، التي أخذ فيها العالم الحر يفقد بواقعه واحدا بعد الآخر ، لا يسبب نقص الموارخ في ترسانته ، وإنما لعدم كفايته في إدارة الحرب العيسامية .

والواقع أن الرضاء أخيرا بالتعايش السلمي، بل والمضى إليه من جانب الدول الإمبريالية ، إذ على حكمة ودهاء لا يجب أن نسيء تقديرهما ، إذ تتبع قدرة ومن ثم خطورة مخططي السياسة الاستعمارية الجديدة وواضعي استراتيجيتها . من تفوقهم لملأ في أدراك حقائق مصر ، وملاحظة التغيرات في حركة الأحداث (فور حدوثها أحيانا) والانطلاق منها في رسم خطط تحقق أهدافهم وتحديد الوسائل الأكثر فاعلية لبلوغها .

وتجلى هذه القدرة بصورة رائعة في قمة العلاقات بين الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، وفي الموقف من سياسة التعايش السلمي - أساسا بين

القدرة على تحديد المتغير الأساسي في حركة الأحداث وهو التغير الذي يحكم المتغيرات الثانوية ويتوقف عليه تأثيرها وفعاليتها ، ضمان لا غناء عنه للوصول إلى المعالجة السلمية والتعامل الرشيد مع هذه الأحداث في مجموعها ، أو مع كل حدث منها على حدة . والتحليل الدقيق للمتغيرات الدولية . يوضح أن أهمها جميعا في الأونة الأخيرة ، هو القبول المتزايد نسبيا من جانب حكومات الدول الإمبريالية الرأسمالية لسياسة التعايش السلمي ، أسلوبا لتحقيق أهدافها . نفس أهدافها التي جريت كل الطرق والوسائل الأخرى للوصول إليها ، وأهمها الطرق العسكرية . وثبت فشلها لأسباب موضوعية ، الأمر الذي عبر عنه ببلاغة صحفي فرنسي بقوله « إن الديمقراطية (يقصد الرأسمالية) تموت لأنها أمنت فقط بالأعداد لحرب الزرية ، أنها تموت لأنها ترفض الاستجابة للحرب السياسية التي تشن ضدها في

شيوعية محمرة ، قد غدا أسلوبا مقترنا به من جانب الدول الرأسمالية ، وفي المحل الاول الولايات المتحدة ، للتعامل مع النظم المهادية للرأسمالية ، وفي المحل الاول النظم الاشتراكي ، وبالتحديد مع الاتحاد السوفيتي بعد ان رفضته طوال ما يزيد عن نصف قرن .

ففي اوائل القرن عندما نضج الوضع الثوري لاجداث تحويل اشتراكي في روسيا ، اجمع القادة السياسيون للدول الرأسمالية والمفكرون النطريون فيها على استحالة اقامة نظام اشتراكي . وان ذلك يفضي تحت باب الهلوسة والاحلام الطوبوية . وعندما حدث المستحيل وقامت دولة اشتراكية ، وصفوها بأنها مغامرة قصيرة الاجل ، وأكدت اننيويورك فايغف الامريكية انها تجرية لن تنتج وقامت امها فشلت فعلا . وفي فرنسا اعترض بشن الثقة ان وصول البلاشفة الى السلطة لا اساس له ، وان اول يوم في انتصارهم النهائي ، هو اول يوم لسقوطهم السريع . وان افضل طريقة في التخلص من البلاشفة لسنوات طويلة قادمة ، هو تسليم مصير البلاد لقادتها .

لقد كان ايمان قادة الرأسمالية في هذه الفترة بأن تمايش النظمين مؤقت ، ايمان لا يتزعزع . هذا من الناحية الدعائية والسياسية . اما من الناحية العملية ، فقد اكدت اعمالهم انهم يؤمنون بأن التمايش مستحيل ويجب الانتهاء منه سريعا ، لهذا دبروا حروب التدخل التي شاركت فيها جميع الدول الرأسمالية الاستعمارية مع بقايا النظام القديم .

وبعد ان اثبت النظام الجديد قدرته على الصمود في وجه محاولات الاطاحة به ، انتقل العمل ضده من الميدان السياسي الى الميدان الاقتصادي ، خاصة وانه بدأ خطط للتنمية الاجتماعية والاقتصادية . وتوالى عمليات الحصار الاقتصادي والمقاطعة التجارية والضغط بالديون ورفض توريد الخبرات التكنيكية رغم اعلان لينين في حديثه مع الصحفي الامريكي كارل ويجند :

« ليدعنا الرأسماليون الامريكيون وشأننا . ونحن لن نتعرض لهم . بل اننا على استعداد لان ندفع لهم بالذهب مقابل أي آلات وادوات .. الخ ، نائمة لمواصلتنا وصناعاتنا . لسنا فقط على

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة » . فالتكيف مع الحقائق « الذي يبدل نيكسون كل جهده للترويج له ، وسياسة « اقامة الكباري » التي يشربها سلفه جونسون ، لا يعني ايدا التسليم بالامر الواقع ، وانما الانطلاق منه لتحقيق نفس الاغراض التي قصرت الوسائل الاخرى عن تحقيقها . ان سمى الرئيس نيكسون لكي يدعوه الصينيون زيارة بلدهم . وتلفه على تبادل الزيارات مع القادة السوفيت ، لا يدل ايدا على انه اصبح متيب بالتجربة الصينية ، او انه مغرم بالنظام السوفيتي او انه فقد ايمانه بتفوق واقعية النظام الرأسمالي وضرورة السعي لضمان سيطرته وخلوده (١) .

ان سياسة الولايات المتحدة في تكثيف التعاون الاقتصادي مع المسكر الاشتراكي ، وسعى المانيا الاتحادية للتصويات السياسية مع دول اوريسا الشرقية ، وجهود فرنسا لتدعيم علاقاتها مع السوفيت ومباراة اليابان لكل هؤلاء في عرض الاستثمارات على السوفيت وعسى فيقتام ، بل وسعى ايطاليا للمشاركة في هذا . كل ذلك لا يدل على ان الاهداف والاختيارات الاساسية لهذه الدول في الداخل او الخارج قد تغيرت ، هذه الاختيارات التي تنطلق اساسا من هدف تحقيق أقصى ربح للمشروع الخاص على المستويين المحلي والماضي .

ان « الميابة الاقتصادية » سواء اتخذت اسم « التعاون الاقتصادي » او « الحرب الاقتصادية » هي الاسلوب الذي امنت الدول الرأسمالية اخيرا بانه اقدر على تحقيق اهدافها ، التي لم تتغير مطلقا - وهي رواج وازدهار المشروع الرأسمالي الفردي . وتوهم ان الدول للرأسمالية يقفون لمسياسه القعايش السلمية قد عدلت او غيرت اهدافها الاساسية ، يحفل تحت باب السذاجة بل الغفلة ، لانها لو فعلت ذلك لفقدت طبيعتها وصفتها الرأسمالية ، وحينذاك لما كانت هناك قضية قعايش سلمية اصلا .

ان الهدف لم يتغير ، وانما الاسلوب هو الذي تبدل . فالتعايش السلمي الذي كان بول هنري سيالك سكرتير حلف الاطلنطي يعتبره مؤامرة شيوعية خطيرة ، وكذلك كان سفير اليك دوجلاس هيوم رئيس وزراء بريطانيا السابق يراه مناورة

[١] يدخل في هذه التطورات ايضا اتفاق بون وكل من موسكو وراسو حول الحدود والاتفاق حول برلين وبملاحظة توحيد كوريا ، والمعاهدة بين دولتي المانيا ، ومؤتمر الاسن الاوروبي واتفاق لينتات .

التعاش مع المحاصرة

وفي هذه الفترة رعى القادة الرأسماليون بمباشرة الخطر الاشتراكي مؤقتاً شرط محاصرته في بلد واحد . ولكنهم لم يستبعدوا نهائياً تجربة القوة المسلحة للانتهاء منه . فقد استفوا من جديد صعود النازية في ألمانيا ومغامرتها ضد الاتحاد السوفيتي ، الذي استطاع أن يصمد مرة أخرى للتدخل الخارجي ، بل وأن يلعب الدور الرئيسي في هزيمة الفاشية ودفع خطرهما . ثم طور قوائمه العسكرية والنوع والصاروخية حتى بات العدوان عليه مغامرة نتيجتها مؤكدة وهي أصابة المعتدي بضرابات مميتة لا شفاء منها . وأعقب الحرب الثانية امتداد نطاق المعسكر الاشتراكي ليشمل ثلث البشرية وتحوله الى نظام عالمي . ليس هذا فقط بل تأكدت في الوقت نفسه حقيقتان :

● ثبت تفوق الاشتراكية كنظام اقتصادي اجتماعي استطاع الانتقال ببلاد كانت متخلفة الى الصف الاول من الدول الصناعية المتقدمة .

● تكشف مثالب الرأسمالية وميوبها ، واحتدام ازماتها الاقتصادية وتناقضاتها الطبقة ، كما تبين إنها هي السبب الاماسي في الحروب والنزاعات المسلحة ، وفي قهر واضطهاد شعوب العالم الثالث .

وفي هذه الفترة لم يتخل حماة النظام الرأسمالي عن اصرارهم على ان للتعاش طابع مؤقت ، وروا ان العمل على عدة جبهات يحقق لهم اغراضهم على النحو التالي :

■ الاعداد للعمل العسكري ومحاصرة النظام الاشتراكي بسلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية ، وبده سياق التصليح ، خاصة الذي ، وهكذا نشأ حلف الأطلسي ، والمنتو ، والمركزى الى آخر تلك القائمة ، وأقيمت القواعد في دول شبالافريقيا وتركيا واليونان وعراق نوري السعيد ، وايران ، وباكستان ، ودول الهند الصينية ، واليابان والفلبين وكوريا ، الخ ، علاوة على القواعد والقوات الامريكية في الدول الاوربية .

■ تكوين الكتل السياسية المعادية للنظام الاشتراكي ، سواء بين الدول الاوربية والولايات المتحدة ، أو بينها جميعا وبين دول العالم الثالث ، لمحاصرة الاشتراكية وضمان مقاطعتها وعدم اقامة

استعداد لان تدفع لهم بالذهب ، بل وبالواد الخام ايضا ، (٢) ، بل ولقد مضى لعين الى ابعد من ذلك ، فقد أكد :

« يسألونني عادة عما اذا كان هؤلاء الامريكيون المعارضون للحرب ضد روسيا - ليس فقط العمال وإنما البرجوازيون أساسا - على صواب عندما يتوهمون منا بمدتوقيع اتفاق السلام ، ليس فقط إعادة العلاقات التجارية لحصص ، وإنما أيضا إمكانية الحصول على امتيازات في روسيا . ولكن مرة أخرى أنهم على حق في ذلك . ان منع امتيازات بشروط معقولة أمر نرغب ، باعتباره وسيلة لكي نجذب الى روسيا خلال فترة تعاضل الدول الاشتراكية والرأسمالية جنباً الى جنب ، المساعدات التكنيكية من البلاد الأكثر تقدماً في هذا الصدد » (٣) . ولكن الدول الرأسمالية أصرت على ان الاقتصاد سيكون هو « كعب لؤلؤ » الذي يمكن منه أصابة النظام الاشتراكي في مقتل ، وبذلك مصافحتها وايدولوجيها كل جهودهم للتقليل من قيمة البناء الاشتراكي . وفي تلك الفترة كان التعاش - أيضا - أمراً مؤقتاً لدى القادة الاستعماريين و « الحرب الاقتصادية » هي أساسا وسيلة الانتهاء منه بالقضاء على الدولة الجديدة .

لكن « الانتصار الاقتصادي » لأول بلد اشتراكي بعد « الانتصار السياسي » ، وتحقيقه لحدلات نمو قياسية لا يمكن انكارها ، دفع أعداءه الى الترويج لمفولة أن روسيا « حالة خاصة » لن تتكرر ، إذ تضاعفت فيها عوامل تاريخية جعلت الاشتراكية تحقق فيها نتائج كبيرة ، ولكنها - في رأيهم - تجربة محدودة في الزمان وفي المكان ، وأن مصيرها الى زوال . لقد تنبأوا بانهيات الرأسمالية - مرة أخرى - بعد بلوغ مرحلة مميتة من النمو الاقتصادي . لقد صوروا الاشتراكية على أنها « قضية روسية » بهذين :

● محاولة تمهيد الاتجاهات الوطنية والقومية في البلدان الأخرى ضد الاشتراكية باعتبارها شيئاً أجنبياً غريباً .

● محاولة تصوير حركة القوى الساعية نحو بناء الاشتراكية في الدول الأخرى ، على أنها تعمل بإيمان من تجربة أخرى وليس لتقديم حل أمثل من وجهة نظرها لمشاكل مجتمعاتها .

لقد زاد الانتاج الصناعى الاشتراكى بين ١٩٥٠ و ١٩٦٨ ٢٠ مرة ، فى حين زاد فى البلاد الرأسمالية بمقدار ٢٠ مرة .

وكل ذلك جعل نفرا من القادة المستبشرين للفكر الرأسمالى ، ينيه مبكرا الى حقيقة التعامل الاقتصادى رغم الحرب الإيديولوجية . ففي ١٩٤٣ أوضح والتر ليبمان المعلق السياسى المشهور أن « قصة العلاقات الروسية الأمريكية » دليل مدفع على عدم أهمية الإيديولوجية فى تحديد السياسة وعلى الطابع الجبرى للمصلحة القومية . ومن عدم الصراحة وعدم الواقعية ، الا نواجه حقيقة أن القضية الأساسية فى العصر الذى نعيشه على الدخول فيه ، هى قضية العلاقة بين روسيا ومجتمع الاطلسنطى (٥)

لقد اتضح كما أعلن كوريولكسى عالم الاجتماع الأمريكى « أن النظام الاشتراكى باق ، ولا يمكن الاطاحة به عسكريا أو عن طريق إثارة الشعوب التى تعيش فى ظله لانه متمسكة به ، وأنه لا يمكن إعادة الرأسمالية بوسائل مسلحة أو تدخل خارجى » . ولكن الكاتب لم يفته ان يؤكد ان النظام سيتعرض « للتدخل التدريجى الداخلى » . عموما لقد تحققت أخيرا نبوءة لينين التى قال فيها « هناك قوة أقدر وأقوى من رغبات وإرادة وقرارات الحكومات والطبقات الحاكمة لنا . هذه القوة هى العلاقات الاقتصادية العالمية ، التى ستجبرهم على الاتصال بنا » (٦)

تغيير لإيد منه

وتحت ضغط حقائق العصر ، ومع الإصرار على ضمان تحقيق نفس الاهداف ، أصبح القادة الامبرياليون هم المساعدون وراء التصاون الاقتصادى والتعايش السلمى الى حد ما - مع النظام الاشتراكى . ولم يكن ذلك لان « الشيوعية أصبحت تسيطر على الحكومة الفيدرالية ، والرئيس الأمريكى أصبح أداة للشيوعية » كما

علاقت طيبيمة معها ، وتجلي الاتحاز الرئيسى لهذه السياسة فى تأخير دخول الصين للأمم المتحدة ، وتقسيم كثير من البلدان ، مثل ألمانيا وكوريب والهند الصينية .

■ محاولة استعادة « البلاد الأسيرة » فى النظام الاشتراكى . فى البدء بتنظيم الثورات المضادة فى بعض دول شرق أوربا لارجاعها من وراء « الستار الحديدى » ، ثم بإقامة الكبارى التجارية والاقتصادية معها سعيًا لإشق وحدة العمل الاقتصادى فى المعسكر الاشتراكى .

■ العمل الاقتصادى المكثف على عدة جبهات تحقيقا لاهداف متعددة من أهمها :

● محاولة وقف انتشار الاشتراكية : فقد أعلن مارشال عقب عودته من موسكو « ومن أوربا » فى ١٩٤٥ أن الدول الأوروبية قد « تليق الشيوعية كدواء لأمراضها ، التى أصبحت بمثابة من علاجها (٤) » ، لهذا وضع مشروعه الشهير لانهاض أوربا وإعادة تعميرها على أسس رأسمالية ، تقطع الطريق على دهشة الاشتراكية ، وتضمن مجالا واسعا للاستثمارات الأمريكية .

■ المقاطعة التجارية ، وما عرف باسم السلع الاستراتيجية المخطور التعامل فيها مع النظام الاشتراكى ، والتى كانت تشمل كل شيء تقريبا ، بل وحظر تعامل الدول التابعة و « الصينية » مع المعسكر الاشتراكى . وقد سهل هذا : أن معظم البلدان المنحرة حتى التى اتخذت فى ذلك الحين خطا محايا للاستعمار ، كانت يحكمها سلاطين الاقتصادية ، جزءا من المسوق الرأسمالى العالمى ، الذى تسيطر الدول الامبريالية على المبادلات التجارية فيه ، وعلى حركة الاستثمارات والغروض ، وعلى عمليات نقل وتحويل المخبرات الفنية .

ومع كل هذا فقد نما وتقدم النظام الاشتراكى على النحو القالى (النسبة المئوية للعالم) :

	١٩٦٩	١٩١٩
المساحة	٢٦	١٦
السكان	٣٦	٧٨
الانتاج	٣٩	٣

[٥] The World Socialist System and Anti-Communism, Progress Publishers, Moscow, 1972.

Walter Lippmann, Foreign Policy, H. M. H. Hamilton, London, 1944.

[٦] V.I. Lenin, Ninth All-Russian Congress of Soviets, Collected Works, Vol. 33.

تخليهم عن أهدافهم ، العدوانية ، ازاء النظم المخلفة ، ولا يقلل من أهمية وخطورة سريدهم بضمان سيطرة « ر » خلود ، الرأسمالية ، والواقع أن المصالح والادغام والوقائع الفعلية تشييك بطريقة مذبلة في الدول الامبريالية ، لتضي الى قبول التعايش طريقا لتخفيف نفس الاغراض . وبيان ذلك على النحو التالي :

■ الحرب الاقتصادية بين الدول الامبريالية وسمى كل منها لإيجاد مجالات جديدة للتعامل الاقتصادي ، يمكن أن تتوافر في السوق الاشتراكي ذي المواد الضخمة الطبيعية والصناعية . فالنمو غير المتكافئ قانون أساسي يحكم العلاقات بين الدول الرأسمالية ، مما يسبب عدم استقرار الشروط والأوضاع التي تسود بينها فيما بين مرحلة وأخرى . فقد كت أوروبا من أن تكون « مجالا مباحا » للاستثمارات الامريكية تقترب منها أرباحا أعلى مما تحققة في سوقها المحلي ، وتنقل اليه عيه أزماتها واقتصاداتها . فمع أن الاستثمارات الامريكية في أوروبا قد وصلت إلى نحو ٣٠ مليار دولار ، إلا أن القيد التي فرضتها دول أوروبا (آخرها ألمانيا الاتحادية في فبراير الماضي) سواء على دخول الاستثمارات أو على إسمار التحويل ، وارتفاع أرباح المواد الخام واليد العاملة في أوروبا وتدهور قيمة الدولار ، ضيق الفرص كثيرا أمام الاستثمارات الامريكية ، وجعل تكلفة إقامة المشروعات الامريكية في أوروبا غير مربحة كما يؤكد رجال الصناعة في بون .

ليس هذا فصيب بل لقد بدأت حركة عكسية لرؤوس الأموال والاستثمارات الأوروبية تقبسه لأمريكا لإقامة مشروعات فيها ، للتغلب على القيود الجمركية التي تفرضها أمريكا على وارداتها من أوروبا (منها مثلا أن الرسوم على الواردات نحو ٨ في المائة في حين تبلغ في السوق المشتركة نحو ٦ في المائة) حتى وصلت استثمارات أوروبا في أمريكا إلى حوالي ١٠ مليارات دولار في ١٩٧٦ . تزيح سنويا ما يقرب من ٩ في المائة . الأمر الذي جعل النيوزويك تحذر من غزو أوروبي يائس للاستيلاء على الشركات الامريكية . ومع كل القيود على الواردات ، فقد زادت صادرات عدة شركات أوروبية إلى أمريكا عن ١٠٠ مليون دولار سنويا لكل منها (بلغت صادرات شركة ميشلين في ١٩٧٦ نحو ٢٥٠ مليون دولار) .

لكل هذا وبكثير غيره تسعى الاستثمارات الامريكية إلى والأوروبية ، إلى البحث عن مجالات واسعة أخرى للتعامل الاقتصادي الذي يحقق لها أمدانها . والدول الاشتراكية تقدم لها عن وعي

تؤكد جمعية جون برش العنصرية الراهابية الامريكية . وإنما كان ذلك تحت تأثير آراء حماة الرأسمالية « المحافظين » أمثال جوزيف ك . كيرشو الذي أكد أنه يبدو من الواضح ، أنه يتعين علينا أن نتמוד بشكل ما على هذا التطور الاقتصادي السريع للمعسكر الاشتراكي ، الذي سيستمر بمعدل متزايد ، لأن الاقتصاد السوفيتي يراكم بطريقة فعالة رؤوس الأموال » . لقد رأى الامبرياليون أن لهم مصلحة محققة في التصرف بطريقة أخرى . ولكن كل هذا لا يعني أنهم قد سلموا نهائيا بالتعايش السلمي طريقا وحيدا للتعامل مع المعسكر الاجتماعي الآخر ، بل أن معسكر القيادة الامبريالية نفسه ما يزال منقسما بين فريقين :

■ فريق الامبرياليين المتطرفين أنصار الحرب النووية ، وحسم الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية لصالح الأخيرة بالقوة المسلحة - الفرية أساسا . وما زال هؤلاء يحتلون أعلى المناصب الحكومية والمسكرية والسياسية والاقتصادية في دول الغرب هؤلاء يقتربون « التعايش » جرمية » .

■ فريق الامبرياليين الليبراليين إذا جاز التعبير ، هؤلاء لا يتلون من الأولين حماسا للنظام الرأسمالي ، ولكنهم يرون استخدام وسائل أخرى في القضاء على الاشتراكية ، وأبطال هذا الاتجاه رجال مثل : جون كيندي ، جيمس فولبرايت ، جورج كيثان ، و . تلوود ، ريتشارد نيكسون ، هنري كيسنجر . ومع ذلك فإن هذا القسم يقترح بدوره إلى مجموعتين :

● مجموعة الحرب الباردة ، التي تدرك أن لصدام السلاح نتائج مدمرة بالنسبة لبلادهم ، ومع ذلك ترفض تخفيف التوتر والتعايش السلمي الحقيقي . وكان الرئيس أيزنهاور من أبرز ممثلي هذا الاتجاه .

● أنصار الإنفانيات المصدودة ، والعمل على ضمان استمرار الرأسمالية في ظل السلام وتجنب الحرب ، مع الاحتفاظ بقوات عسكرية ضخمة ، لاحتمالات نشوء الحاجة إليها .

قبول التعايش لا يفي

الاغراض العدوانية

والواقع أن القبول الجش من قادة الدول الامبريالية لمساهمة التعايش السلمي ، لا يعني

ويساعد على « تحوله الى البرجوازية » ، وأكد المني نفسه و . رومو الذي زعم أن سكان البلاد الاشتراكية الأكثر تطورا سينقلون عن أشقائهم في المعقيدة في البلاد الأقل تطورا ، وسيزداد احتيازهم لقيم الحضارة الغربية . وقال « ان نهضة التي تمتع القامع مستضيقة ، حتى لو بقيت الهوة الايديولوجية كما هي »

ومن أهم أوجه التشابه أو الالتقاء كما يقول هؤلاء المفكرون : الثورة العلمية ومعدل التصنيع السريع والتطورات المتشابهة في تكتيك الإنتاج والتنظيم الصناعي والمطالب المتشابهة فيما يتعلق بمستوى المهارات والعمل ، وتشابه بعض أساليب المعيشة مثل أسلوب بناء المساكن وأساليب ميكنة الحياة الحديثة وتصنيع الخدمات . ولكن هاتهم أن حد ذلك يعتبر ظاهرة ذات طابع ثقافي نخسني لا يؤثر في العلاقات الاجتماعية القائمة ، ان يظل جوهر علاقات الإنتاج الرأسمالية متناقضا على طول الخط مع علاقات الإنتاج الاشتراكية . كما يتخذ مفكرو « التتارب » من انتشار « المودات » وبعض أساليب المعيشة الغربية دليلا على « التماثل والتطلع الى المجتمع البرجوازي » . فلاحظ انه مع تطور وسائل الاعلام وثورة المواصلات تنتقل بعض عادات الحياة ، الموسيقى والكتب واسلوب شغل الفراغ والرياضة والملاهي ، الخ . ولكن كل ذلك لا يغير شيئا من طبيعة العلاقات القائمة بين البشر ، ولا يعدل الاختيارات الاساسية للمجتمع .

التعايش السلمي والعالم النامي

■ ومن أهم أهداف الغرب الاستعماري تكثيف التعاون في بعض مجالات الاقتصاد ، حق اسفين بين الدول النامية وبين الدول الاشتراكية على أساس أن الأخيرة قد ولت وجهها شطر الغرب وأدارت ظهرها للدول النامية . وانها في سبيل ضمان اضطراد التعاون مع الدول الرأسمالية ، قد تتخلى عن مساندة دول العالم الثالث .

والواقع أن التعايش السلمي لا يزال بأي حال من الأحوال من الجبهة المسادية للاستعمارية والرأسمالية ، على النقيض من ذلك فانه يؤدي الى تلاحم أشد في صفوفها وغرض أوسع لزيادة التعاون فيما بينها على النحو التالي :

● ان التعايش السلمي يتفق تماما مع الاعتبارات النظرية والعملية التي تحدد سياسة

هذه الفرصة ، وقد قدمت منذ اليوم الاول لقيامها .

■ استقلال احتياجات التنمية الاشتراكية لبعض الضوابط التكنيكية المتطورة في الغرب . بما يوفر عليها نفقات هائلة فيما لو حاولت بجهودها هي التوصل اليها . كذلك فان التنمية الشاملة للاقتصاديات الاشتراكية ، واستغلال شرواتها بصورة رشيدة وكاملة ، يحتاج الى رؤوس أموال ضخمة يمكن اقتراضها من الغرب بفوائد معقولة لاستثمارها في مشروعات مملوكة تماما للدولة الاشتراكية . ويؤمل قادة البلد الرأسمالية أن يؤدي التعاون التكنولوجي الى الامراع بتقارب النظامين ، ذلك ان استخدام وسائل ومناسج متباينة ، يؤدي الى « تدعيم عملية التوحيد » . ولكن هاتهم أن التعارض جذري . فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية ، فليس المهم هو نوع التكتيك المستخدم ، وانما الأكثر أهمية هو الغرض الذي يستخدم من أجله والمنفعة التي يهدف الى تحقيقها .

■ محاولة تفتيت وحدة المعسكر الاشتراكي ، وبجهد عوامل ضبط في اقتصادياته . ان يامل قادة الدول الامبريالية في أن يؤدي التعاون الاقتصادي الى خلق نفوذ لهم في النظم الأخرى ، ذلك :

● ان اعتماد جزء من التنمية الاشتراكية على رؤوس الأموال والخبرات الرأسمالية ، وانشاء مشاريع مرتبطة بالخارج في تسويق انتاجها أو في الحصول على مستلزماته ، يوفر فرصا واسعة للتأثير والضغط . وهم في هذا يتناسون ان الملكية ستظل للدولة الاشتراكية وإن السيطرة ستبقى لها .

● كما أن زيادة التفاوت في مستوى النمو بين البلدان الاشتراكية يسهل تأثيراتها ضد بعضها البعض ، ويضعف من التعاون بينها لحساب تقوية التعاون مع الدول الرأسمالية ، وهم في هذا يفكرون بمنطق علاقاتهم هم مع بعضهم البعض . في حين تقوم العلاقات بين الدول الاشتراكية على أساس من التعاون المتبادل وتقسيم العمل الدولي على اساس اشتراكية ، لا تضمن فقط تقدم كل بلد على حدة ، وانما تكفل أيضا « التقريب » بين مستويات النمو .

ولقد دعا « جرين عالم الاجتماع الأمريكي صراحة الى أن تصدر التكنولوجيا الأمريكية الى بعض البلدان الاشتراكية ، سيساعد كثيرا على تقسيمها على أساس اختلاف مستوى النمو . كما أكد جرين وأسلو أن السلام والتعاون سيؤدي الى أحداث تغييرات جذرية في النظام الاشتراكي

والقضايا ، خاصة بعد أن يزداد ادراكها من واقع التجربة للنتاج الهائل للسلام على التطور الداخلى فى كل منهما .

● ان التعاضى السلمى بمعنى عدم التدخل فى شئون الآخرين ، وترك الحرية لكل شعب لاختيار النظام الذى يريده . ضمان هائل للبلدان النامية فى المحل الاول ، لانه يكفل اذا ما تم تنفيذه بيقظة وأصرار - والطريق الى ذلك تلاحم قوى الوطنية والاشتراكية - منع تصدير الثورة المضادة الى البلدان النامية .

● ان التعاضى السلمى بكل تركيز الجهود فى المجالات الدولية على قضايا العالم الثالث ومشاكله يوهنها مشاكل حادة وملحة ، وذلك بدلا من استهلاك طاقات العمل السياسى العالى فى تصفية النزاعات والصراعات المسلحة .

● ان التعاضى السلمى يوتر افضل اطار للتطورات الاجتماعية فى كل بلد نام على حدة . ذلك ان تراجع الاضطراب الخارجية التى تطفى عادة على القضايا الاجتماعية الداخلية فى فقرات استخدام هذه الاطر ، يدفع الى المقبة بالتطورات الاجتماعية فى الداخل ويجعلها قضية الساعة والبند الاول فى جدول أعمال الشعب . ويسمح بتركيز كل الجهود لحولية الوصول الى الحل الامثل لها الذى يتفق مع اعتبارات التقدم .

● ان النجاح فى فرض التعاضى السلمى - وطريقه الاساسى وقف سباق التسليح وتصفية القواء العسكرية - يعنى البلدان النامية من كثير من خطط احتوائها فى مشايخ عدوانية ، ويسهل تصفية السيطرة العسكرية على اراضيها ، التى تصطبح عادة بسيطرة سياسية واقتصادية .

أسباب موضوعية

وفهم سليم

والواقع أنه من خير التعريفات التى تدبج لسياسة التعاضى السلمى التعريف الذى قدمه جورج مارشيه (٧) عندما أكد « أن سياسة التعاضى السلمى لا تعنى أبداً ترك الامبريالية

المجتمع الاشتراكى العالى » نحو تدعيم الجبهة العالمية المعادية للامبريالية « لحاصرة الرأسمالية » بطرق سلمية ، ويستدعى هذا فى المحل الاول تكثيف التعاون مع بلدان العالم الثالث . ان التعاضى لا يلقى التضامن بين القوى التقدمية او يثقل منه ، على القبح من ذلك فهو يوفر له فرص الازدهار والنمو .

● يوفر للدول الاشتراكية جانباً كبيراً من مخصصات تطوير القوات المسلحة اللازمة للدفاع عن نظائرها ، الامر الذى يمكنها مباشرة من زيادة موانئها ومساعداتها للبلدان النامية ، كما يسمح لها باستغلال جانب من هذه المخصصات فى تطوير قدراتها الانتاجية ، ومن ثم زيادة قدرتها على العلماء واليدل .

● من جانب اخر فان التعاضى وتخفيف التوتر الدولى والالتزام بحل المشاكل سلمياً ، يتيح للدول النامية أن تغلف فى أيضاً ما تنفقه على الاحتفاظ بـ لجيش اللزمة للدفاع عن استقلالها ضد العدوان الاجيرى ، وتوجيه الوفير نحو تنمية اقتصادياتها وزيادة استثماراتها .

● ان استبعاد النزاع المسلح ، وتركيز المنافسة بين النظامين على المجالات الاقتصادية ، يشكل فرصة ذهبية للدول النامية فى المحل الاول ، إذ مستخدم المنافسة بين الدول المتقدمة على تقديم التسهيلات والقروض لها بشروط أكثر مواتاة . ان السلام سيتيح للدول الاشتراكية امكانيات هائلة للتنمية ومن ثم زيادة موانئها وتعاونها مع الدول النامية ، ولن تقف الدول الرأسمالية مكتوفة ازاء هذا الوضع بل ستعمل كثيراً من شروط منع قروضها وموانئها لدول العالم الثالث حتى لا تفرج هذه من دائرة التعامل معها تماماً وحتى لا تتركها تماماً للدول الاشتراكية . وهذا امر أكدته التجربة ، فتحت تأثير موانئ الدول الاشتراكية ، رضيت الدول الاستعمارية أن تسهم فى تصنيع بعض أنشطة بلدان العالم الثالث وهذا ما كانت ترفضه قبلاً ، كما خفضت معدلات الفوائد على قروضها وشروط السداد .

● ان ادراك طرفى الجبهة المعادية للامبريالية والرأسمالية ، الدول الوطنية والدول الاشتراكية ، لمحقة أن تعاونها وتكاتفها هو الضمان الاكبر ضد انبعاث النزعات العدوانية والمغامرة لدى الحوائر الامبريالية ، ولغرض « استقرار » التعاضى السلمى ، يجعلهما أكثر حرصاً على التسامح

الاشتراكية ، ره بأوضاعه الداخلية ، وأن الثورة لا يمكن أن تنصر . ومن ثم فالتعايش لا يعنى التغاضي عن الأوضاع الداخلية فى البلدان الرأسمالية . لأن هذه الأخيرة تنوقف فى واقع الامر على علاقات القوى الاجتماعية فى هذه البلدان . كذلك فسان التعايش لا يعنى صفة « الخلود » عنى المجتمعات الرأسمالية ، لانه لا يوقف التطورات الاجتماعية فيها . ان تعايش النظامين لا يخضع لارادة أى منهما . ذلك أن اختلاف مستوى النمو فى كل بلد هو الذى يحدد تحولها الى الاشتراكية أو بقاءها فى اطار رأسمالى لفترة أخرى . الحد الذى يتحول الى الاشتراكية ليس شرطاً الحاصل على موافقة لبقاء الرأسمالية فى بلد آخر ، كما ان رضاه هذا الأخير من عدمه لا يقدم أو يؤخر فى شئ التحول الاشتراكى فى البلد الاول .

■ ان مدة استمرار هذا التعايش لا تحددها رغبات الاطراف المختلفة ، وإنما يحددها معدل التقدم الاجتماعى ونضج الأوضاع الثورية لبناء الاشتراكية فى معظم دول العالم . إذ لابد وأن تنقضى فترة طويلة نسبياً بين ظهور « مجموعة » اشتراكية الى جانب نظام رأسمالى ، وبين الانتصار الكامل للاشتراكية فى كل أو غالبية دول العالم .

ان التعايش نوع من الصراع الطبقي على المستوى الدولى يبين نظامين اجتماعيين واقتصاديين متعارضين ، يسعى كل منهما لاثبات تفوقه وجدارته بالتزام أسلوب سلمى فى المناقشة والمباراة والتفوق . انه صراع يومى متجدد يعتمد على كافة الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية .

كذلك فإن التعايش السلمى ليس عملاً سلبياً ، بل جهداً إيجابياً يومياً . ليس فقط لمنع الحرب وعزل وشل القطاعات الأشد عدوانية ورجعية من الدوائر الحاكمة فى البلدان الإمبريالية ، وإنما أيضاً لتقديم التعاون الدولى فى المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والثقافية ، وذلك أمر يتفق تماماً مع مصالح شعوب العالم الثالث ، وهو لا يضع أى قيد على حقها فى العمل بكل قواها لكسب وتدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى وضمان تقدمها الاجتماعى بل الحضارى . ان التعايش السلمى ليس إيداً تسليمياً للرأسمالية ، فهو خط وسياسة أصلية وقديمة للنظام الاشتراكى ، رفضتها الدول الرأسمالية طويلاً ثم قبلتها عنها نقيد فيما فشلت فيه الوسائل الأخرى . وواجب القوى الثورية استقلال هذا القبول لتحقيق أهدافها هى أولاً .

تنصرف على هوامها فيما يمكن أن نسميه « الصيد الحروس لها » أو ما نسميه هى مجالى نفوذها . كما أنه لا يعنى أى مهادنة بين الاشتراكية والرأسمالية . وإنما يهدف الى إقامة علاقات جديدة بين الدول : احترام السيادة ، والمساواة فى الحقوق ، وضمان التكامل الوطنى لكل نوبه صغيرة كانت أم كبيرة ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وتسوية المشاكل الحولية المتنازع عليها بوسائل سلمية . ان هذه السياسة لا تمس طبيعة الانظمة الاجتماعية والاقتصادية ، ولا تلغى بأى طريقة من الطرق التناقض الاسامى بين الاشتراكية والرأسمالية . ولا تمنع أو تمنع نضال الشعوب المتطورة ضد سيطرة الإمبريالية واستغلالها ، ولا تضع قيوداً على عقبات أمام تطور الصراع الطبقي على المستوى الوطنى . على النقيض من ذلك ، فإن كل تقدم فى اتجاه التعايش السلمى يساهم فى الحد من تدخل الإمبريالية ، وعزل القطاعات الأكثر رجعية من البرجوازية ، وبالمثل فإن التعايش السلمى :

■ لا يلغى الصراع بين النظامين . وهذا ما يحركه الطرفان . فقد أكد باشتقر الفكر الأمريكى الكبير : « ان التعايش نوع من الصدام ، وهو ليس تصالحاً وانقلاصاً ، بل عملاً يومياً لمنع الحرب » . كما أوضح كوارونى وهو مفكر أمريكى آخر : « ان التعايش السلمى حرب سياسية ، وهى تمنى رضاه كل من الطرفين بأن يعيش مع الآخر حتى يموت هذا الآخر » . وكان لينين قد أوضح - من قبل - فى لقاء له مع كوادر تنظيم موسكو (فى ١٩٢٠) أن التجربة الاشتراكية لابد وأن تعرض انجازاتها وتروج لها ، وقال : « ان ذلك أيضاً نوع من الحرب ، انه صراع بين منهجين ، بين نظامين سياسيين واقتصاديين - الشيوعى والرأسمالى - منبرهن فيه على أننا الأقوى - منقول لهم إبداءوا التشنيد وامضوا فى البناء ، ومنسرى من سيكسب . بالطبع ان المهمة صعبة . ولكننا قلنا وما زلنا نقول ، ان للاشتراكية قوة المثل وتأثيره » .

■ ان الأوضاع والسياسات الداخلية هى الامس فى الخط الذى تنتهجه السياسة الخارجية ، وان العكس ليس صحيحاً . فى حين ان مفكرى الغرب يصفون أهمية مطلقة على السياسة الخارجية كجبال مؤثر حاسم بالضميمة لأوضاع الآخرين الداخلية . والمبني على أن البلاد الاشتراكية طرحت منذ البدء فكرة التعايش السلمى ، هو إيمانها بأن انتقال أى بلد آخر نحو

الانفراج الدولي :

تطويعه لقضية تحرير الأرض

هو اتفاق الاتحاد السوفيتي من جهة والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى ، على ضرورة تجنب المواجهة المباشرة بينهما في صدام مباشر يمكن أن تؤدي - بل هي تؤدي بالفعل - إلى اندلاع حرب نووية ثالثة شاملة ، وتقوم رغبة الطرفين في تجنب المواجهة المباشرة ، على أساس تقديرهما لنتائج الدمار الشامل من حيث الكم والكيف معا والذي يمكن أن يصيبها ويصيب البشرية كلها نتيجة للتقدم الهائل الذي أحرزته صناعة الأسلحة النووية أساسا والأسلحة التقليدية عامة .

وجزء أساسي من عملية « تجنب المواجهة المباشرة » - وخاصة في منطقة كمنطقة الشرق الأوسط ، ذات الأهمية الاستراتيجية الفائقة ، للطرفين - بمعنى عدم قيام أي طرف منهما بالتدخل المباشر في حالة الصدام العربي - الإسرائيلي . والطرف التي أثبتت الخبرة الوطنية لشعبنا منذ عام ١٩١٤ وحتى اليوم ، أنه دائم التدخل بفنلانة في شئون المنطقة ، وأنه - بالتحال - الطرف المعادي لمصلحتنا في الاستقلال والتقدم ، هو الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها زعيمة بمسكرو الامبريالية .

من هنا تصبح عملية الحد من أخطار التدخل الأمريكي العسكري المباشر في مجريات صراع حركة التحرير الوطني العربية ضد إسرائيل ، عملية لها أهميتها الخاصة . ذلك أن حجم أعباء مواجهة التدخل الأمريكي العسكري المباشر ، هو بالقطع حجم يختلف نوعيا عن أعباء مواجهة العدوان الإسرائيلي ، وذلك بحصر القضية في إطار ممكن ومقدور عليه وفق محطيات معينة .

والواقع أن أخطار التدخل الأمريكي العسكري المباشر ، لم تكن في أي يوم أخطارا وهمية ، بل أخطارا حقيقية تؤكدنا خبرة حركة التحرر الوطني العربية سواء في نضالها ضد اقامة القواعد العسكرية الأجنبية أو في مجريات صراعها

كتب حسين شعلان :

ليس هناك خلاف بين صفوف القوى الوطنية في بلادنا على محصلة خبرات السنوات الست الماضية إزاء مشكلة تحرير الأرض . ونقول هذه المحصلة باختصار : أن تحرير الأرض ، رهن بقدرتنا على استقطار ومهارية « عناصر القوة المضاغطة » السياسية والاقتصادية والعسكرية - أحدها مرة أو جميعها . مرة واحدة - لكنها في كل المرات مرتبطة بعضها البعض . وما لم نحقق متطلبات « عناصر القوة المضاغطة » هذه ، فليسوف تظل قضية تحرير الأرض معلقة دون تقدم يذكر ، بل على العكس تهدد باحتمالات من التدهور نقدر جيبما لخطارها المحدقة بالمصالح الوطنية العليا لكل قوى الشعب الوطنية .

ولأن قضية تحرير الأرض هي الشاغل الملح الأول لقوى الشعب الوطنية ، فإنه من الطبيعي أن يشغلنا جميعا السؤال التالي : هل يساعد « الانفراج الدولي ، القائم على توفير ظروف أفضل لقضية تحرير الأرض ؟ أم أنه يعرقل جهودنا ويضع الصعاب أمامها ؟

وإذا كان المألو أن نسوِّغ الإجابة - من وجهة نظرنا - على هذا السؤال ، بعد أن نضع المقدمات التي تقودنا إليها وتدل على صحتها ، ألا أننا - من قبيل التوضيح - نخرج على المألو لنرصد منذ البداية : أن « الانفراج الدولي » القائم اليوم يخلق ظروفها موضوعية وأكيدة لحل مشكلتنا الوطنية حلا يحقق بمصالح الوطن العليا . كيف إذن يمكن أن تكون هذه الإجابة صحيحة ؟

أولا :

من أهم معالم « الانفراج الدولي » القائم اليوم ،

ان تخفيف الاعباء الضخمة للاتحاد السوفيتي في نفقات صناعة الاسلحة في ظل « الانفراج الدولي » ، ينمكس بالضرورة على الاقتصاد السوفيتي ليدعمه ومن ثم يوفر فرصا لفضل وأوسع لزيادة حجم ونوع المساعدات السوفيتية والدول الاشتراكية الأخرى - إلى حركة التحرر الوطني . ومن المعروف أن حركة التحرر الوطني في مصر ، تحتل مكانة خاصة في هذا المجال . بل اننا نقول أن تخفيف أعباء الاتحاد السوفيتي العسكرية بسبب الانفراج الدولي ، يوفر كذلك فرصا لوسع لزيادة حجم ونوع مساعداته العسكرية إلى دول التحرر الوطني وخاصة حركة التحرر الوطني العربية - ومصر في مقدمتها - نظرا لأهمية حسمها وانتصارها على العدوان الاسرائيلي - الاستعماري من زاوية المصالح الوطنية العليا لصياغة ظهر الاتحاد السوفيتي نفسه .

ويكفي أن نرصد هنا بعض الحقائق الدولية الخاصة بقضية « التسليح » لنصرف حجم فائدة تخفيف أعبائها بالنسبة لدول النامية .
فقد جاء في تقارير الأمم المتحدة أن إجمالي النفقات العسكرية في العالم في عام ١٩٧٠ ، قد بلغت ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار (٤٠٠ مليار دولار) معطية بإطلع في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وتقدر تقارير الأمم المتحدة أن هذه النفقات في عام ١٩٨٠ سوف تبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار (٨٠٠ مليار دولار) . وتقول نفس التقارير أن هذه النفقات تزيد في قيمتها على مجموع المساعدات التي تقدم للدول النامية بمقدار ٣٠ مرة . وجدير بالذكر هنا أن عوائدات - العسكرية العام السابق للأمم المتحدة - كان قد أشار في تقريره بمناسبة مرور ٢٥ عاما على إنشاء المنظمة العالمية (١٩٧٠) إلى أنه « إذا أنفقت الدول على التسليح أقل مما تنفقه الآن بنسبة ١٠ في المائة فقط لكان ما يتوفر من المال نتيجة لذلك كافيا لسد الفجوة الموجودة بين الدول الفينة والدول الفقيرة » .

من هنا تجيء حقيقة القول بأن الانفراج الدولي ، يوفر ظروفها أفضل لتساعح حجم دعم الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتي بسوجه خاص ، لدول التحرر الوطني في كل المجالات . وذلك بدوره يدعم قوتنا على المستوى الاقتصادي والعسكري والسياسي ، فيخلق بالتالي ظروفها أفضل لمبادرات في تملك وبممارسة « عناصر القوة الضاغطة » التي نهيئ من جميعها بأهميتها الضرورية .

الوطني . ولعله من المقيد أن نذكر هنا بالتدخل العسكري الأمريكي في لبنان في عام ١٩٥٨ غداة قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) في العراق في ظل حالة المد الوطني المارم بمد معركة السويس (١٩٥٦) ووحدة مصر وسوريا (١٩٥٨) حيث كان يجري الأحداث ينذر باجتياح رياح التغيير الوطني ، ولعلنا لم ننس بعد دور الأسطول السادس الأمريكي في شرق البحر المتوسط عشية عدوان ٥ يونيو وإثناءه (الباخرة ليبرتي وجرها) . كما نذكر هنا أن الرئيس الأمريكي نيكسون كان ينوي القيام بمغامرة بحرية على ظهر إحدى طرادات الأسطول السادس في شرق البحر المتوسط بالقرب من الشواطئ المصرية وذلك عشية وفاة الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٧٠) .

ولعل خيارات حركة المقاومة الفلسطينية خلال مذابح سبتمبر ١٩٧٠ والغارة التي قام بها بعض رجال الكوماندوز الاسرائيليين على بيروت وأغتيال فيها ثلاثة من أبرز قيادات المقاومة الفلسطينية (١٩٧٢) . وهو إمر في المخبطين معروف - نقول لعل في ذلك ، شيئاً قليلاً وبسيطاً ، من مؤشرات أخطار التدخل الأمريكي المباشر .
والواقع ، أن هذا الخطر لم يكن محدداً فحسب بمركبة التحرر الوطني العربية ، بل اننا نذكر جميعاً التدخل الأمريكي في الكونغو (١٩٦٤) وفي فيتنام وفي كمبوديا ولاوس وفي الدومينيكان الخ .. الخ .

ثانياً :

في ظل حالة التوتر الدولي ، تطرح قضية « التسليح » نفسها - بكافة أنواع الاسلحة - على المصكرين الماليين : الاشتراكي والرأسمالي . ومن ثم على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة - بكيفية تختلف عنها في حالة الانفراج الدولي .
ههين المصكرين بأن عملية التسليح « يثر بلا قرار » ، على من عوامل الاتجاه نحو الانفراج الدولي القائم اليوم .

من هنا تصبح الاتفاقات التي تعقد بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة - في ظل حالة الانفراج الدولي - في أي مجال من مجالات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (اتفاقية مايو ١٩٧٢) ، تصبح قضية هامة . لماذا ؟ لانها تخفف من الاعباء المبلولة التي يتحملها اقتصاد الاتحاد السوفيتي بشكل خاص والمصكر الاشتراكي بشكل عام . وما الذي يعنيه ذلك - من الناحية العملية - بالنسبة لحركة التحرر الوطني العالمية بشكل عام وبالنسبة لحركة التحرر الوطني العربية ومصر على رأسها بشكل خاص ؟

ثالثا :

خلال السنوات الثلاث القادمة الا في الحدود التي يتيحها اكتشاف آبار جديدة . أما السوفيتية فسيزيد انتاجها من ٦٠ مليون برميل الى ١٢٠ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) مع احتمال رفعه الى ٢٠٠ او ٢٥٠ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) . أما العراق فسيزيد انتاجها من ١٠ مليون برميل الى ٣ ملايين برميل يوميا (١٩٧٥) مع احتمال رفعه الى ٥ او ٦ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) . أما ابو ظبي فسيقلع انتاجها من ٤٠ مليون برميل الى ٢٧ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) واحتمال رفعه الى ٤٠ او ٥٠ مليون برميل يوميا (١٩٨٠) وذلك يعني ان الزيادة في انتاج هذه الدول الثلاث سينتج اكثر من ٨٠ مليون برميل يوميا في ١٩٧٥ و ٢٧ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ وهذه الحضانة لا يمكن تعويضها من أي مكان آخر .

واذا كانت الترجمة السياسية لهذه الحقائق تعنى مدى أهمية وحجم « السلاح الاقتصادي - السياسي » في يد العرب ، وذلك طبقا بقدر ما يصعب « نطق العرب في أيدي الشعوب العربية فعلا » ، فإن تصور « استخدام سلاح الارصدة العربية التي تقايد في البنوك الغربية والامريكية ودورها في استثمارات دول الغرب من أجل التطور والتنافس الاقتصادي » يعطينا فكرة كافية لادراك أهمية الانفراج الدولي الذي يدفع قضية التنافس الاقتصادي الى المقدمة ، ويدفع - اذا أردنا - وفي نفس الوقت بأسلحة مبهلة في أيدي القوى الوطنية والتقدمية العربية .

رابعا :

ان تحسن العلاقات الخارجية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، أي قيام حالة الانفراج الدولي ، لم تؤد الى اطلاق الطرفين علوا حساب مصالحنا الوطنية ، كما لم تؤد الى طمس معالم موقف أي منها من قضيتنا بحيث يصعب علينا تحديد حساباتنا وتعيد بن معنا ومن ضننا .

واذا كان مجال التصويت في الامم المتحدة - في الجمعية العامة أو في مجلس الأمن - سواء قبل أو بعد « اجتماع موسكو ١٩٧٣ » أو « اجتماع واشنطن ١٩٧٣ » ، دللا أكيدا على ذلك ، فإن البيان المشترك الصادر عن اجتماع واشنطن - باعتباره آخر بيان لها - تعكس بوضوح هذه الحقيقة .

تقول الترجمة الحرفية لنص الفقرة المتعلقة بالشرق الأوسط في البيان : « العرب الطرفان عن قلقهما العميق ازاء الوضع في الشرق الأوسط »

ان حالة الانفراج الدولي ، لا تعنى ان الصراع بين النظامين الحاليين قد انتهى . فالواقع ان نهاية هذا الصراع رهن توفر طرف واحد : هو أن يتمكن أحد النظامين من تصفية النظام الاخر . وفي هذا الجرى يتخذ الصراع اشكالا اخرى جديدة مغايرة لشكل المواجهة العسكرية . ومن أبرز هذه الاشكال الجديدة ، هو شكل « المواجهة الاقتصادية » وبمعنى آخر التنافس الاقتصادي لاثبات تفوق احدهما على الاخر بشكل نهائي . ليكون هونجا دعائيا لسياسة الشعوب . بل ان التنافس الاقتصادي - في ظل حالة الانفراج الدولي - ستزداد حدة ، كما مرى شواهدا اليوم ، داخل صفوف معسكر الغرب الرأسمالي بأكمله (أوروبا الغربية - اليابان - الولايات المتحدة الأمريكية) ومن الطبيعي في هذه الحالة ، أن تزداد حجة هذه الدول - في المعسكر الغربي - الى مصادر الطاقة والتمويل . وتدفع هذه الحاجة بالتالي الى بروز « البترول العربي » و « الارصدة العربية » باعتبارها أسلحة هامة و « عنصر قوة ضاغطة » في أيدي العرب في محركاتهم من أجل تصفية آثار العدوان .

ومن المعروف أن تزايد الطلب على البترول ، لا يمكن اشباعه من أية مصادر أخرى ، في حالة احتلال الدول العربية عن زيادة انتاجها لتلبية هذا الطلب ، وفي هذا المجال يمكن أن تشغل الدول العربية « مركز قوة ضاغطة » المحتملة ، يتضح لنا مدى حجمها اذا عرفنا الحقائق التالية :

فمن المتوقع أن يرتفع انتاج البترول في ايران - مثلا - في عام ١٩٧٦ من ٥ ملايين برميل يوميا الى ٨ ملايين برميل ، وفي نيجيريا من ١٩ مليون برميل الى ٢٠ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) ، وفي اندونيسيا من ١٠ مليون برميل الى ٢٠ مليون برميل يوميا (١٩٧٥) ، أما فنزويلا فانتاجها في تراجع مستمر ولا زيادة متوقعة . وفي بحر الشمال حيث تجرى جهود ضخمة للبحث عن البترول ، من المتوقع أن تنتج بريطانيا والنرويج في عام ١٩٨٠ حوالي ٢ مليون برميل يوميا . أما ألاسكا فستزود أمريكا في ١٩٨٠ بحوالي ٢ مليون برميل يوميا . وذلك يعني أن تتمكن أمريكا من الابقاء على معدل انتاج يبلغ ١٢ مليون برميل يوميا ، بينما تكون في حاجة لاستيراد ١٢ مليون برميل اضافي يوميا بأسعار تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليار دولار سنويا .

ويقول خبراء البترول أن الجزائر والكويت وقطر وليبيا سوف لا يزيد انتاجها للبترول في

المجال أن الموقف السوفيتي ، يقوم على أسس ثلاثة هي : ١ - ضرورة الانسحاب الإسرائيلي إلى حدود يونيو كشرط للتوصل إلى تسوية الأزمة (أي الالتزام بقرار مجلس الأمن) ٢ - ضرورة أن تقدم إسرائيل ردا إيجابيا على مشكلة يارنج التي وجهها في فبراير ١٩٧١ . ٣ - الاعتراف بوجود وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة .

تلك المواقف هي الخلفية الحقيقية لاختلاف وجهات نظر الطرفين الذي عبر عنه (الاختلاف) البيان ويقول « وعرض كل طرف مساقفه ازاء المشكلة » ثم استمرارده ويقول « ووافق الطرفان على متابعة جهودهما » .

لقد كان بيان واشنطن بحق تجسيدا دقيقا لتمسك كل طرف بموقفه مما يزيد من توضيح الرؤية أمام أية حسابات لنا . على أن هذه القراءة للبيان تظل ناقصة ما لم تشر إلى « انزعاج » توقيع الرئيس الأمريكي على بيان يسمى يتحدث عن « الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة » . وتعبير « الشعب الفلسطيني » هنا يختلف عن تعبير « الفلسطينيين الذي كان المسؤولون الأمريكيون يتداولونه دائما » .

وأذا كان البيان لم يشر إلى « قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة » فذلك بسبب الرفض الأمريكي ، كما أنه لم يشر - ولا حتى تلميحاً - إلى محادثات بين العرب وإسرائيل ، وذلك بسبب الرفض السوفيتي الذي يتناوب مع موقف الرفض العربي في هذا الصدد .

وتبادلا الإراء حول وسائل تحقيق تسوية في الشرق الأوسط . وعرض كل طرف مواقفها أزاء المشكلة . ووافق الطرفان على متابعة جهودهما لكي تتم في أسرع وقت ممكن تسوية تتناسب مع مصالح جميع الأطراف في المنطقة ، بما يحفظ استقلال وسيادة دول المنطقة ويأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

إن القراءة السياسية المتأنية لهذه الفقرة ، توضح أن ما جاء فيها ليس إلا تسجيلا عسليا لاختلاف وجهات نظر الطرفين : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حول المشكلة . وذلك بالتحديد ما يعنيه أي بيان مشترك حين يقول بأن كل طرف « عرض مواقفه » وبأنهما اتفقا على « متسامة الجهود » فعرض مواقف كل طرف يعني اختلافها . والألتاللت للصياغة باتفاق وجهة نظر الطرفين . كما أن الاتفاق على متابعة الجهود ، تعنى الاعتراف بأن كل ما سبق وبذل من جهد لم يحقق نتائج ايجابية .

ومعروف في هذا المجال أن الموقف الأمريكي يقوم على محاور ثلاثة هي : ١ - الميل على تكريس الاحتلال الإسرائيلي ودمج إسرائيل بالسلاح ٢ - إمكانية التوصل إلى حل جزئي دون أن يكون ذلك شرط لتسوية شاملة ٣ - ضرورة إجراء مفاوضات بين الدول العربية وإسرائيل - بشكل مباشر أو غير مباشر - للوصول إلى حل . مما يعنى إمكانية أو احتمال ألا يكون قرار مجلس الأمن ٢٤٢ هو الأساس . ومعروف أيضا في هذا

١٩٧١ ١٩٧٠ ١٩٦٩ ١٩٦٨ ١٩٦٧ ١٩٦٦ ١٩٦٥ ١٩٦٤ ١٩٦٣ ١٩٦٢ ١٩٦١ ١٩٦٠ ١٩٥٩ ١٩٥٨ ١٩٥٧ ١٩٥٦ ١٩٥٥ ١٩٥٤ ١٩٥٣ ١٩٥٢ ١٩٥١ ١٩٥٠ ١٩٤٩ ١٩٤٨ ١٩٤٧ ١٩٤٦ ١٩٤٥ ١٩٤٤ ١٩٤٣ ١٩٤٢ ١٩٤١ ١٩٤٠ ١٩٣٩ ١٩٣٨ ١٩٣٧ ١٩٣٦ ١٩٣٥ ١٩٣٤ ١٩٣٣ ١٩٣٢ ١٩٣١ ١٩٣٠ ١٩٢٩ ١٩٢٨ ١٩٢٧ ١٩٢٦ ١٩٢٥ ١٩٢٤ ١٩٢٣ ١٩٢٢ ١٩٢١ ١٩٢٠ ١٩١٩ ١٩١٨ ١٩١٧ ١٩١٦ ١٩١٥ ١٩١٤ ١٩١٣ ١٩١٢ ١٩١١ ١٩١٠ ١٩٠٩ ١٩٠٨ ١٩٠٧ ١٩٠٦ ١٩٠٥ ١٩٠٤ ١٩٠٣ ١٩٠٢ ١٩٠١ ١٩٠٠ ١٨٩٩ ١٨٩٨ ١٨٩٧ ١٨٩٦ ١٨٩٥ ١٨٩٤ ١٨٩٣ ١٨٩٢ ١٨٩١ ١٨٩٠ ١٨٨٩ ١٨٨٨ ١٨٨٧ ١٨٨٦ ١٨٨٥ ١٨٨٤ ١٨٨٣ ١٨٨٢ ١٨٨١ ١٨٨٠ ١٨٧٩ ١٨٧٨ ١٨٧٧ ١٨٧٦ ١٨٧٥ ١٨٧٤ ١٨٧٣ ١٨٧٢ ١٨٧١ ١٨٧٠ ١٨٦٩ ١٨٦٨ ١٨٦٧ ١٨٦٦ ١٨٦٥ ١٨٦٤ ١٨٦٣ ١٨٦٢ ١٨٦١ ١٨٦٠ ١٨٥٩ ١٨٥٨ ١٨٥٧ ١٨٥٦ ١٨٥٥ ١٨٥٤ ١٨٥٣ ١٨٥٢ ١٨٥١ ١٨٥٠ ١٨٤٩ ١٨٤٨ ١٨٤٧ ١٨٤٦ ١٨٤٥ ١٨٤٤ ١٨٤٣ ١٨٤٢ ١٨٤١ ١٨٤٠ ١٨٣٩ ١٨٣٨ ١٨٣٧ ١٨٣٦ ١٨٣٥ ١٨٣٤ ١٨٣٣ ١٨٣٢ ١٨٣١ ١٨٣٠ ١٨٢٩ ١٨٢٨ ١٨٢٧ ١٨٢٦ ١٨٢٥ ١٨٢٤ ١٨٢٣ ١٨٢٢ ١٨٢١ ١٨٢٠ ١٨١٩ ١٨١٨ ١٨١٧ ١٨١٦ ١٨١٥ ١٨١٤ ١٨١٣ ١٨١٢ ١٨١١ ١٨١٠ ١٨٠٩ ١٨٠٨ ١٨٠٧ ١٨٠٦ ١٨٠٥ ١٨٠٤ ١٨٠٣ ١٨٠٢ ١٨٠١ ١٨٠٠ ١٧٩٩ ١٧٩٨ ١٧٩٧ ١٧٩٦ ١٧٩٥ ١٧٩٤ ١٧٩٣ ١٧٩٢ ١٧٩١ ١٧٩٠ ١٧٨٩ ١٧٨٨ ١٧٨٧ ١٧٨٦ ١٧٨٥ ١٧٨٤ ١٧٨٣ ١٧٨٢ ١٧٨١ ١٧٨٠ ١٧٧٩ ١٧٧٨ ١٧٧٧ ١٧٧٦ ١٧٧٥ ١٧٧٤ ١٧٧٣ ١٧٧٢ ١٧٧١ ١٧٧٠ ١٧٦٩ ١٧٦٨ ١٧٦٧ ١٧٦٦ ١٧٦٥ ١٧٦٤ ١٧٦٣ ١٧٦٢ ١٧٦١ ١٧٦٠ ١٧٥٩ ١٧٥٨ ١٧٥٧ ١٧٥٦ ١٧٥٥ ١٧٥٤ ١٧٥٣ ١٧٥٢ ١٧٥١ ١٧٥٠ ١٧٤٩ ١٧٤٨ ١٧٤٧ ١٧٤٦ ١٧٤٥ ١٧٤٤ ١٧٤٣ ١٧٤٢ ١٧٤١ ١٧٤٠ ١٧٣٩ ١٧٣٨ ١٧٣٧ ١٧٣٦ ١٧٣٥ ١٧٣٤ ١٧٣٣ ١٧٣٢ ١٧٣١ ١٧٣٠ ١٧٢٩ ١٧٢٨ ١٧٢٧ ١٧٢٦ ١٧٢٥ ١٧٢٤ ١٧٢٣ ١٧٢٢ ١٧٢١ ١٧٢٠ ١٧١٩ ١٧١٨ ١٧١٧ ١٧١٦ ١٧١٥ ١٧١٤ ١٧١٣ ١٧١٢ ١٧١١ ١٧١٠ ١٧٠٩ ١٧٠٨ ١٧٠٧ ١٧٠٦ ١٧٠٥ ١٧٠٤ ١٧٠٣ ١٧٠٢ ١٧٠١ ١٧٠٠ ١٦٩٩ ١٦٩٨ ١٦٩٧ ١٦٩٦ ١٦٩٥ ١٦٩٤ ١٦٩٣ ١٦٩٢ ١٦٩١ ١٦٩٠ ١٦٨٩ ١٦٨٨ ١٦٨٧ ١٦٨٦ ١٦٨٥ ١٦٨٤ ١٦٨٣ ١٦٨٢ ١٦٨١ ١٦٨٠ ١٦٧٩ ١٦٧٨ ١٦٧٧ ١٦٧٦ ١٦٧٥ ١٦٧٤ ١٦٧٣ ١٦٧٢ ١٦٧١ ١٦٧٠ ١٦٦٩ ١٦٦٨ ١٦٦٧ ١٦٦٦ ١٦٦٥ ١٦٦٤ ١٦٦٣ ١٦٦٢ ١٦٦١ ١٦٦٠ ١٦٥٩ ١٦٥٨ ١٦٥٧ ١٦٥٦ ١٦٥٥ ١٦٥٤ ١٦٥٣ ١٦٥٢ ١٦٥١ ١٦٥٠ ١٦٤٩ ١٦٤٨ ١٦٤٧ ١٦٤٦ ١٦٤٥ ١٦٤٤ ١٦٤٣ ١٦٤٢ ١٦٤١ ١٦٤٠ ١٦٣٩ ١٦٣٨ ١٦٣٧ ١٦٣٦ ١٦٣٥ ١٦٣٤ ١٦٣٣ ١٦٣٢ ١٦٣١ ١٦٣٠ ١٦٢٩ ١٦٢٨ ١٦٢٧ ١٦٢٦ ١٦٢٥ ١٦٢٤ ١٦٢٣ ١٦٢٢ ١٦٢١ ١٦٢٠ ١٦١٩ ١٦١٨ ١٦١٧ ١٦١٦ ١٦١٥ ١٦١٤ ١٦١٣ ١٦١٢ ١٦١١ ١٦١٠ ١٦٠٩ ١٦٠٨ ١٦٠٧ ١٦٠٦ ١٦٠٥ ١٦٠٤ ١٦٠٣ ١٦٠٢ ١٦٠١ ١٦٠٠ ١٥٩٩ ١٥٩٨ ١٥٩٧ ١٥٩٦ ١٥٩٥ ١٥٩٤ ١٥٩٣ ١٥٩٢ ١٥٩١ ١٥٩٠ ١٥٨٩ ١٥٨٨ ١٥٨٧ ١٥٨٦ ١٥٨٥ ١٥٨٤ ١٥٨٣ ١٥٨٢ ١٥٨١ ١٥٨٠ ١٥٧٩ ١٥٧٨ ١٥٧٧ ١٥٧٦ ١٥٧٥ ١٥٧٤ ١٥٧٣ ١٥٧٢ ١٥٧١ ١٥٧٠ ١٥٦٩ ١٥٦٨ ١٥٦٧ ١٥٦٦ ١٥٦٥ ١٥٦٤ ١٥٦٣ ١٥٦٢ ١٥٦١ ١٥٦٠ ١٥٥٩ ١٥٥٨ ١٥٥٧ ١٥٥٦ ١٥٥٥ ١٥٥٤ ١٥٥٣ ١٥٥٢ ١٥٥١ ١٥٥٠ ١٥٤٩ ١٥٤٨ ١٥٤٧ ١٥٤٦ ١٥٤٥ ١٥٤٤ ١٥٤٣ ١٥٤٢ ١٥٤١ ١٥٤٠ ١٥٣٩ ١٥٣٨ ١٥٣٧ ١٥٣٦ ١٥٣٥ ١٥٣٤ ١٥٣٣ ١٥٣٢ ١٥٣١ ١٥٣٠ ١٥٢٩ ١٥٢٨ ١٥٢٧ ١٥٢٦ ١٥٢٥ ١٥٢٤ ١٥٢٣ ١٥٢٢ ١٥٢١ ١٥٢٠ ١٥١٩ ١٥١٨ ١٥١٧ ١٥١٦ ١٥١٥ ١٥١٤ ١٥١٣ ١٥١٢ ١٥١١ ١٥١٠ ١٥٠٩ ١٥٠٨ ١٥٠٧ ١٥٠٦ ١٥٠٥ ١٥٠٤ ١٥٠٣ ١٥٠٢ ١٥٠١ ١٥٠٠ ١٤٩٩ ١٤٩٨ ١٤٩٧ ١٤٩٦ ١٤٩٥ ١٤٩٤ ١٤٩٣ ١٤٩٢ ١٤٩١ ١٤٩٠ ١٤٨٩ ١٤٨٨ ١٤٨٧ ١٤٨٦ ١٤٨٥ ١٤٨٤ ١٤٨٣ ١٤٨٢ ١٤٨١ ١٤٨٠ ١٤٧٩ ١٤٧٨ ١٤٧٧ ١٤٧٦ ١٤٧٥ ١٤٧٤ ١٤٧٣ ١٤٧٢ ١٤٧١ ١٤٧٠ ١٤٦٩ ١٤٦٨ ١٤٦٧ ١٤٦٦ ١٤٦٥ ١٤٦٤ ١٤٦٣ ١٤٦٢ ١٤٦١ ١٤٦٠ ١٤٥٩ ١٤٥٨ ١٤٥٧ ١٤٥٦ ١٤٥٥ ١٤٥٤ ١٤٥٣ ١٤٥٢ ١٤٥١ ١٤٥٠ ١٤٤٩ ١٤٤٨ ١٤٤٧ ١٤٤٦ ١٤٤٥ ١٤٤٤ ١٤٤٣ ١٤٤٢ ١٤٤١ ١٤٤٠ ١٤٣٩ ١٤٣٨ ١٤٣٧ ١٤٣٦ ١٤٣٥ ١٤٣٤ ١٤٣٣ ١٤٣٢ ١٤٣١ ١٤٣٠ ١٤٢٩ ١٤٢٨ ١٤٢٧ ١٤٢٦ ١٤٢٥ ١٤٢٤ ١٤٢٣ ١٤٢٢ ١٤٢١ ١٤٢٠ ١٤١٩ ١٤١٨ ١٤١٧ ١٤١٦ ١٤١٥ ١٤١٤ ١٤١٣ ١٤١٢ ١٤١١ ١٤١٠ ١٤٠٩ ١٤٠٨ ١٤٠٧ ١٤٠٦ ١٤٠٥ ١٤٠٤ ١٤٠٣ ١٤٠٢ ١٤٠١ ١٤٠٠ ١٣٩٩ ١٣٩٨ ١٣٩٧ ١٣٩٦ ١٣٩٥ ١٣٩٤ ١٣٩٣ ١٣٩٢ ١٣٩١ ١٣٩٠ ١٣٨٩ ١٣٨٨ ١٣٨٧ ١٣٨٦ ١٣٨٥ ١٣٨٤ ١٣٨٣ ١٣٨٢ ١٣٨١ ١٣٨٠ ١٣٧٩ ١٣٧٨ ١٣٧٧ ١٣٧٦ ١٣٧٥ ١٣٧٤ ١٣٧٣ ١٣٧٢ ١٣٧١ ١٣٧٠ ١٣٦٩ ١٣٦٨ ١٣٦٧ ١٣٦٦ ١٣٦٥ ١٣٦٤ ١٣٦٣ ١٣٦٢ ١٣٦١ ١٣٦٠ ١٣٥٩ ١٣٥٨ ١٣٥٧ ١٣٥٦ ١٣٥٥ ١٣٥٤ ١٣٥٣ ١٣٥٢ ١٣٥١ ١٣٥٠ ١٣٤٩ ١٣٤٨ ١٣٤٧ ١٣٤٦ ١٣٤٥ ١٣٤٤ ١٣٤٣ ١٣٤٢ ١٣٤١ ١٣٤٠ ١٣٣٩ ١٣٣٨ ١٣٣٧ ١٣٣٦ ١٣٣٥ ١٣٣٤ ١٣٣٣ ١٣٣٢ ١٣٣١ ١٣٣٠ ١٣٢٩ ١٣٢٨ ١٣٢٧ ١٣٢٦ ١٣٢٥ ١٣٢٤ ١٣٢٣ ١٣٢٢ ١٣٢١ ١٣٢٠ ١٣١٩ ١٣١٨ ١٣١٧ ١٣١٦ ١٣١٥ ١٣١٤ ١٣١٣ ١٣١٢ ١٣١١ ١٣١٠ ١٣٠٩ ١٣٠٨ ١٣٠٧ ١٣٠٦ ١٣٠٥ ١٣٠٤ ١٣٠٣ ١٣٠٢ ١٣٠١ ١٣٠٠ ١٢٩٩ ١٢٩٨ ١٢٩٧ ١٢٩٦ ١٢٩٥ ١٢٩٤ ١٢٩٣ ١٢٩٢ ١٢٩١ ١٢٩٠ ١٢٨٩ ١٢٨٨ ١٢٨٧ ١٢٨٦ ١٢٨٥ ١٢٨٤ ١٢٨٣ ١٢٨٢ ١٢٨١ ١٢٨٠ ١٢٧٩ ١٢٧٨ ١٢٧٧ ١٢٧٦ ١٢٧٥ ١٢٧٤ ١٢٧٣ ١٢٧٢ ١٢٧١ ١٢٧٠ ١٢٦٩ ١٢٦٨ ١٢٦٧ ١٢٦٦ ١٢٦٥ ١٢٦٤ ١٢٦٣ ١٢٦٢ ١٢٦١ ١٢٦٠ ١٢٥٩ ١٢٥٨ ١٢٥٧ ١٢٥٦ ١٢٥٥ ١٢٥٤ ١٢٥٣ ١٢٥٢ ١٢٥١ ١٢٥٠ ١٢٤٩ ١٢٤٨ ١٢٤٧ ١٢٤٦ ١٢٤٥ ١٢٤٤ ١٢٤٣ ١٢٤٢ ١٢٤١ ١٢٤٠ ١٢٣٩ ١٢٣٨ ١٢٣٧ ١٢٣٦ ١٢٣٥ ١٢٣٤ ١٢٣٣ ١٢٣٢ ١٢٣١ ١٢٣٠ ١٢٢٩ ١٢٢٨ ١٢٢٧ ١٢٢٦ ١٢٢٥ ١٢٢٤ ١٢٢٣ ١٢٢٢ ١٢٢١ ١٢٢٠ ١٢١٩ ١٢١٨ ١٢١٧ ١٢١٦ ١٢١٥ ١٢١٤ ١٢١٣ ١٢١٢ ١٢١١ ١٢١٠ ١٢٠٩ ١٢٠٨ ١٢٠٧ ١٢٠٦ ١٢٠٥ ١٢٠٤ ١٢٠٣ ١٢٠٢ ١٢٠١ ١٢٠٠ ١١٩٩ ١١٩٨ ١١٩٧ ١١٩٦ ١١٩٥ ١١٩٤ ١١٩٣ ١١٩٢ ١١٩١ ١١٩٠ ١١٨٩ ١١٨٨ ١١٨٧ ١١٨٦ ١١٨٥ ١١٨٤ ١١٨٣ ١١٨٢ ١١٨١ ١١٨٠ ١١٧٩ ١١٧٨ ١١٧٧ ١١٧٦ ١١٧٥ ١١٧٤ ١١٧٣ ١١٧٢ ١١٧١ ١١٧٠ ١١٦٩ ١١٦٨ ١١٦٧ ١١٦٦ ١١٦٥ ١١٦٤ ١١٦٣ ١١٦٢ ١١٦١ ١١٦٠ ١١٥٩ ١١٥٨ ١١٥٧ ١١٥٦ ١١٥٥ ١١٥٤ ١١٥٣ ١١٥٢ ١١٥١ ١١٥٠ ١١٤٩ ١١٤٨ ١١٤٧ ١١٤٦ ١١٤٥ ١١٤٤ ١١٤٣ ١١٤٢ ١١٤١ ١١٤٠ ١١٣٩ ١١٣٨ ١١٣٧ ١١٣٦ ١١٣٥ ١١٣٤ ١١٣٣ ١١٣٢ ١١٣١ ١١٣٠ ١١٢٩ ١١٢٨ ١١٢٧ ١١٢٦ ١١٢٥ ١١٢٤ ١١٢٣ ١١٢٢ ١١٢١ ١١٢٠ ١١١٩ ١١١٨ ١١١٧ ١١١٦ ١١١٥ ١١١٤ ١١١٣ ١١١٢ ١١١١ ١١١٠ ١١٠٩ ١١٠٨ ١١٠٧ ١١٠٦ ١١٠٥ ١١٠٤ ١١٠٣ ١١٠٢ ١١٠١ ١١٠٠ ١٠٩٩ ١٠٩٨ ١٠٩٧ ١٠٩٦ ١٠٩٥ ١٠٩٤ ١٠٩٣ ١٠٩٢ ١٠٩١ ١٠٩٠ ١٠٨٩ ١٠٨٨ ١٠٨٧ ١٠٨٦ ١٠٨٥ ١٠٨٤ ١٠٨٣ ١٠٨٢ ١٠٨١ ١٠٨٠ ١٠٧٩ ١٠٧٨ ١٠٧٧ ١٠٧٦ ١٠٧٥ ١٠٧٤ ١٠٧٣ ١٠٧٢ ١٠٧١ ١٠٧٠ ١٠٦٩ ١٠٦٨ ١٠٦٧ ١٠٦٦ ١٠٦٥ ١٠٦٤ ١٠٦٣ ١٠٦٢ ١٠٦١ ١٠٦٠ ١٠٥٩ ١٠٥٨ ١٠٥٧ ١٠٥٦ ١٠٥٥ ١٠٥٤ ١٠٥٣ ١٠٥٢ ١٠٥١ ١٠٥٠ ١٠٤٩ ١٠٤٨ ١٠٤٧ ١٠٤٦ ١٠٤٥ ١٠٤٤ ١٠٤٣ ١٠٤٢ ١٠٤١ ١٠٤٠ ١٠٣٩ ١٠٣٨ ١٠٣٧ ١٠٣٦ ١٠٣٥ ١٠٣٤ ١٠٣٣ ١٠٣٢ ١٠٣١ ١٠٣٠ ١٠٢٩ ١٠٢٨ ١٠٢٧ ١٠٢٦ ١٠٢٥ ١٠٢٤ ١٠٢٣ ١٠٢٢ ١٠٢١ ١٠٢٠ ١٠١٩ ١٠١٨ ١٠١٧ ١٠١٦ ١٠١٥ ١٠١٤ ١٠١٣ ١٠١٢ ١٠١١ ١٠١٠ ١٠٠٩ ١٠٠٨ ١٠٠٧ ١٠٠٦ ١٠٠٥ ١٠٠٤ ١٠٠٣ ١٠٠٢ ١٠٠١ ١٠٠٠ ٩٩٩ ٩٩٨ ٩٩٧ ٩٩٦ ٩٩٥ ٩٩٤ ٩٩٣ ٩٩٢ ٩٩١ ٩٩٠ ٩٨٩ ٩٨٨ ٩٨٧ ٩٨٦ ٩٨٥ ٩٨٤ ٩٨٣ ٩٨٢ ٩٨١ ٩٨٠ ٩٧٩ ٩٧٨ ٩٧٧ ٩٧٦ ٩٧٥ ٩٧٤ ٩٧٣ ٩٧٢ ٩٧١ ٩٧٠ ٩٦٩ ٩٦٨ ٩٦٧ ٩٦٦ ٩٦٥ ٩٦٤ ٩٦٣ ٩٦٢ ٩٦١ ٩٦٠ ٩٥٩ ٩٥٨ ٩٥٧ ٩٥٦ ٩٥٥ ٩٥٤ ٩٥٣ ٩٥٢ ٩٥١ ٩٥٠ ٩٤٩ ٩٤٨ ٩٤٧ ٩٤٦ ٩٤٥ ٩٤٤ ٩٤٣ ٩٤٢ ٩٤١ ٩٤٠ ٩٣٩ ٩٣٨ ٩٣٧ ٩٣٦ ٩٣٥ ٩٣٤ ٩٣٣ ٩٣٢ ٩٣١ ٩٣٠ ٩٢٩ ٩٢٨ ٩٢٧ ٩٢٦ ٩٢٥ ٩٢٤ ٩٢٣ ٩٢٢ ٩٢١ ٩٢٠ ٩١٩ ٩١٨ ٩١٧ ٩١٦ ٩١٥ ٩١٤ ٩١٣ ٩١٢ ٩١١ ٩١٠ ٩٠٩ ٩٠٨ ٩٠٧ ٩٠٦ ٩٠٥ ٩٠٤ ٩٠٣ ٩٠٢ ٩٠١ ٩٠٠ ٨٩٩ ٨٩٨ ٨٩٧ ٨٩٦ ٨٩٥ ٨٩٤ ٨٩٣ ٨٩٢ ٨٩١ ٨٩٠ ٨٨٩ ٨٨٨ ٨٨٧ ٨٨٦ ٨٨٥ ٨٨٤ ٨٨٣ ٨٨٢ ٨٨١ ٨٨٠ ٨٧٩ ٨٧٨ ٨٧٧ ٨٧٦ ٨٧٥ ٨٧٤ ٨٧٣ ٨٧٢ ٨٧١ ٨٧٠ ٨٦٩ ٨٦٨ ٨٦٧ ٨٦٦ ٨٦٥ ٨٦٤ ٨٦٣ ٨٦٢ ٨٦١ ٨٦٠ ٨٥٩ ٨٥٨ ٨٥٧ ٨٥٦ ٨٥٥ ٨٥٤ ٨٥٣ ٨٥٢ ٨٥١ ٨٥٠ ٨٤٩ ٨٤٨ ٨٤٧ ٨٤٦ ٨٤٥ ٨٤٤ ٨٤٣ ٨٤٢ ٨٤١ ٨٤٠ ٨٣٩ ٨٣٨ ٨٣٧ ٨٣٦ ٨٣٥ ٨٣٤ ٨٣٣ ٨٣٢ ٨٣١ ٨٣٠ ٨٢٩ ٨٢٨ ٨٢٧ ٨٢٦ ٨٢٥ ٨٢٤ ٨٢٣ ٨٢٢ ٨٢١ ٨٢٠ ٨١٩ ٨١٨ ٨١٧ ٨١٦ ٨١٥ ٨١٤ ٨١٣ ٨١٢ ٨١١ ٨١٠ ٨٠٩ ٨٠٨ ٨٠٧ ٨٠٦ ٨٠٥ ٨٠٤ ٨٠٣ ٨٠٢ ٨٠١ ٨٠٠ ٧٩٩ ٧٩٨ ٧٩٧ ٧٩٦ ٧٩٥ ٧٩٤ ٧٩٣ ٧٩٢ ٧٩١ ٧٩٠ ٧٨٩ ٧٨٨ ٧٨٧ ٧٨٦ ٧٨٥ ٧٨٤ ٧٨٣ ٧٨٢ ٧٨١ ٧٨٠ ٧٧٩ ٧٧٨ ٧٧٧ ٧٧٦ ٧٧٥ ٧٧٤ ٧٧٣ ٧٧٢ ٧٧١ ٧٧٠ ٧٦٩ ٧٦٨ ٧٦٧ ٧٦٦ ٧٦٥ ٧٦٤ ٧٦٣ ٧٦٢ ٧٦١ ٧٦٠ ٧٥٩ ٧٥٨ ٧٥٧ ٧٥٦ ٧٥٥ ٧٥٤ ٧٥٣ ٧٥٢ ٧٥١ ٧٥٠ ٧٤٩ ٧٤٨ ٧٤٧ ٧٤٦ ٧٤٥ ٧٤٤ ٧٤٣ ٧٤٢ ٧٤١ ٧٤٠ ٧٣٩ ٧٣٨ ٧٣٧ ٧٣٦ ٧٣٥ ٧٣٤ ٧٣٣ ٧٣٢ ٧٣١ ٧٣٠ ٧٢٩ ٧٢٨ ٧٢٧ ٧٢٦ ٧٢٥ ٧٢٤ ٧٢٣ ٧٢٢ ٧٢١ ٧٢٠ ٧١٩ ٧١٨ ٧١٧ ٧١٦ ٧١٥ ٧١٤ ٧١٣ ٧١٢ ٧١١ ٧١٠ ٧٠٩ ٧٠٨ ٧٠٧ ٧٠٦ ٧٠٥ ٧٠٤ ٧٠٣ ٧٠٢ ٧٠١ ٧٠٠ ٦٩٩ ٦٩٨ ٦٩٧ ٦٩٦ ٦٩٥ ٦٩٤ ٦٩٣ ٦٩٢ ٦٩١ ٦٩٠ ٦٨٩ ٦٨٨ ٦٨٧ ٦٨٦ ٦٨٥ ٦٨٤ ٦٨٣ ٦٨٢ ٦٨١ ٦٨٠ ٦٧٩ ٦٧٨ ٦٧٧ ٦٧٦ ٦٧٥ ٦٧٤ ٦٧٣ ٦٧٢ ٦٧١ ٦٧٠ ٦٦٩ ٦٦٨ ٦٦٧ ٦٦٦ ٦٦٥ ٦٦٤ ٦٦٣ ٦٦٢ ٦٦١ ٦٦٠ ٦٥٩ ٦٥٨ ٦٥٧ ٦٥٦ ٦٥٥ ٦٥٤ ٦٥٣ ٦٥٢ ٦٥١ ٦٥٠ ٦٤٩ ٦٤٨ ٦٤٧ ٦٤٦ ٦٤٥ ٦٤٤ ٦٤٣ ٦٤٢ ٦٤١ ٦٤٠ ٦٣٩ ٦٣٨ ٦٣٧ ٦٣٦ ٦٣٥ ٦٣٤ ٦٣٣ ٦٣٢ ٦٣١ ٦٣٠ ٦٢٩ ٦٢٨ ٦٢٧ ٦٢٦ ٦٢٥ ٦٢٤ ٦٢٣ ٦٢٢ ٦٢١ ٦٢٠ ٦١٩ ٦١٨ ٦١٧ ٦١٦ ٦١٥ ٦١٤ ٦١٣ ٦١٢ ٦١١ ٦١٠ ٦٠

بروز هذه المنطلقات الاجتماعية دليل صحة وجوبية حركة التحرر الوطني العربية واتجاهها في المسار الصحيح برغم كل العوائق والمقبات .

ان الاتجاهات الاجتماعية تنفجر في اماكن لم يكن في الصبيان بروزها فيها ٠٠ وبرغم انكسأت تقع هذا أو هناك فإن المسار الأساسي للحركة لا يزال في صعود ، فهي تفتح جبهات جديدة ٠٠ العراق ، جرب اليمن ، الجزائر ، ليبيا .

رشة دلائل هامة تشير الى ان محاولات الانتكاس بالانجازات الاجتماعية تواجه رفضا متصاعدا من جانب الجماهير حيثما تتواجد مثل هذه المحاولات .

ولسنا نحاول هنا أن نثبت الشيء بوجوده بقضيته قنئين ان التحولات الاجتماعية قوية لان تهمة معارضة لمحاولات الانقضاض عليها ٠٠ اي اننا لا نحاول تأكيد الانجاسي بايران مجابهته للسلب ، وانما فقط نريد أن نشير الى ان الانجازات الاجتماعية متى تواجبت هنا أو في أي مكان آخر فانها تكتسب حصانة خاصة ، تجعلها - الى حد كبير - مستعصية على محاولات التصفية ، ذلك انفسا تستمد حصانتها من تمتع الجماهير بها واصرارها على صيانتها . اي ان التحول الاجتماعي قد أصبح - الى حد كبير - قضية الجماهير ومحط دفاعها وآملها ، بحيث أصبح من المتعين على أعدائه أن يلجأوا للتخيل والمناورة خوفا من غضبة الجماهير . ولقد نجح البعض في تهجير إجراءات التحول الاجتماعي أو غرس العقبات في طريقها ، لكن ما أنجز من تحولات يبقى دوما أملا للجماهير ونموذجا يلهم خيالاتها ومشاعرهم ويحفزها للتحرك .

وباختصار فإن التحولات الاجتماعية قد غرست في أرض خصبة فبقت جذورها عميقا ، ولم يعد من السهل اقتلاعها .

حركة المقاومة

فإذا ما أتينا الى العصر الثاني وهو حركة المقاومة الفلسطينية ، وهي جزء من حركة التحرر الوطني العربية ، بل لها أشد أجزائها التهاما وخصاسية ٠٠ نجد أن المقاومة بعد أن شقت طريقا مليئا بالعقبات والاختطاف والبطولات قد اجتازت مرحلة الاختناق . وما من أحد يكابر ويدعي أن المقاومة لم تعش فترة صعبة عسكرية وسياسية وفكرية ونفسية ، وما من أحد يتجاهل أن العدو قد نسج من كل كلفاته ومن كل خيبرته

العربية ومساعدتها على أن تملأ النشاط وتمهد طريق الاستسلام للمعتدين وفتح الباب للاستعمار الأمريكي الجديد .

— عزل مصر عن أصدقائها في الجبهة المعادية للاستعمار وفي مقدماتهم الاتحاد السوفياتي . وبالفعل فقد مرت الحركة الوطنية في طروفسمعية وبالغة التعقيد . وربما تكون قد خسرت بالفعل هذا الموقع هنا أو هناك . غير أن القوى الوطنية والتقدمية — عبرت بوجه عام ، لا عن صمود هائل فحسب ، بل وعن استعداد للانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، وهذا هو المطلوب اليوم .

ويشكل عام — يمكن القول — أنه رغم جميع الصعوبات — لم يوفق الإمبرياليون الأمريكيون وعملآهم وشركآهم من حكام إسرائيل في تحقيق الأهداف الرئيسية المشار إليها كاملة .

وإن نظرة الى بعض الأمثلة على ما يجري الآن على أرض المنطقه تكفي للتدليل على ما نقول :

ففي عمان وظفار يخوض الثوار العرب حريا وطنيه مسلحة ضد الوجود الاستعماري . وفي أباكن أخرى من الخليج العربي يتصاعد النضال الوطني الديموقراطي ضد كافة أشكال التبعية للاستعمار والاستعمار الجديد وضد القواعد العسكرية ، وضد تهديد عروبة الخليج .

وعلى نطاق البلاد العربية كلها ، حدثت الجماهير العربية أن أمريكا في العدو الأساسي والسند الرئيسي لإسرائيل . وهذا التحديد أصبح من الواضح والرسوخ في وجدان الجماهير الى الدرجة التي باتت تعجز الإمبريالية الأمريكية فيها عن ترك هامش ضيق لاصدقاتها وأعوانها في المنطقة يمكنهم من الادعاء بأنه يمكن بناء أي شكل من أشكال الصداقة مع أمريكا أو التعاون معها .

وهكذا ففي ظل تناقضات الشعور القومي والوطني المناهض للاحتلال الإسرائيلي تجد القوى المضادة للواليات لأمريكا نفسها في تناقض حاد :

أحد طرفيه تورط أمريكا مع إسرائيل ، والطرف الآخر تورط هذه القوى مع أمريكا . ولابد لهذا التناقض من أن يترك — في القريب — أثرا بالغة الأهمية على مستقبل القوى المضادة ، ليضع — في النهاية — حاجزا فاصلا بين الوطنية العربية وبين العمالة للاستعمار .

ولقد كان بروز المنطلقات الاجتماعية التقدمية في مسار حركة التحرر الوطني العربية أحد المعالم الهامة والاساسية في تاريخ تطور هذه الحركة ، وكان أيضا نقطة تحول هامة في تاريخها . ولا يزال

وخبرة حمايته الأمريكيين ومساندتهم ومن كل قوة هراوته العسكرية . وأيضاً من أخطاء المقاومة وأخطاء بعض الأنظمة العربية والتناقضات القائمة بينها ، نخرج من ذلك كله جيلاً حاول جاهداً ، ضابطاً بكل قوته وقوة أمريكا معا ، أن يشق به المقاومة الفلسطينية .

ولقد نجح إلى حد ما ، ولبعض الوقت ، في إرباك صفوف المقاومة وفي توجيه ضربات رهيبة لها ، وفي محاصرتها . وثمة لحظات من الزمن بدا فيها الأمر وكأن المخطط الصهيوني الأمريكي قد نجح أو يشك على النجاح ، لكن المقاومة الفلسطينية اجتازت ذلك كله لأنها أولاً وأخيراً إرادة شعب يناضل من أجل حقوق قومية مشروعة وعادلة .

وتبدأ المقاومة تنفض من جديد ، ويكون مجرد تغليبها على المؤامرات المتلاحقة والضربات الإبرامية والأرهاب الاسرائيلي المنتشر في كل مكان .. يكون مجرد إصرارها على البقاء ومحاولتها التطلب على الأخطاء ورفضها أن تستدرج من جديد إلى استهلاك نفسها في ساحة الأعمال المجدبة وغير المفيدة ، وعملها من أجل توحيد صفوفها أو التمسق فيما بينها ، وتصميمها للمضي داخل الأرض المحتلة باعتبارها المجال الأساسي للنضال ضد العدوان الاسرائيلي ، وسميها لتوحيد كل صفوف القوى الوطنية والتقدمية والثورية ، سواء في الساحة الفلسطينية أو الأردنية ، واستثمارها بحساسية مرهفة خطر المؤامرات الصهيونية والاستعمارية لواقعة بينها وبين المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي ، يكون ذلك كله ، دليلاً جديداً على حيوية المقاومة الفلسطينية وعلى أنها قد أصبحت بالفعل جزءاً من وجدان الأمة العربية ، وجزءاً من آمالها في التوصل إلى الانتصار الحقيقي .

ولعل رعونة الأعمال الإبرامية الاسرائيلية الأخيرة وتخبطها (حادث أوسلو وحادث اختطاف الطائرة العراقية) دليلاً جديداً على أن حكام اسرائيل قد بدأوا يستشعرون الملل في مجابهتهم للمقاومة إلى حد ارتكابهم أعمالاً بالغة الخطر على سمعتهم الدولية وعلى علاقاتهم الدولية ، وهو أمر كانوا حريصين دواً ، على تفاديه .

الأنظمة الوطنية المتحررة

والعنصر الثالث في الموقف هو مسود الأنظمة

الوطنية المتحررة العربية في مواجهة مخططات التصفية الامريكية - الاسرائيلية ، ويتطلب هذا الصمود في رفض التسليم أو الاستسلام لهذا المخطط وفي رفض الشروط التي تليها اسرائيل أو الثمن الذي تطالبه أمريكا ، وفي إعلانها باستنزاف على تصميمها على استعادة كل ما اغتصبته المتمدون الاسرائيليون ان سلما أو حربا ، وفي استمرار مساندتها للمقاومة الفلسطينية وتبنيها لها .

وتبقى الأنظمة العربية المتحررة ، برغم كل شيء ، قوى فاعلة في دائرة النضال ضد الاستعمار والصهيونية وضد مخططات التصفية ، ومحورا تتجمع حوله قوى أخرى قد تكون أقل ثورية لكنها ذات قدرة فعلية .

وقد نجحت الأنظمة المتحررة والشعوب العربية عامة في فرض شعار « البترول سلاح في المعركة ضد العدوان » وشعار « النضال ضد أمريكا جزء لا يتجزأ من النضال ضد اسرائيل » وشعار « ضرب المصالح الامريكية لاجبارها على الكف على مساعدتها لاسرائيل أو الحد منها » .

وحتى ولو كانت جميع هذه الكلمات لم تتمدد - بعد - حدود الشعارات فإنها تقتسب دلالات هامة - لاثنا توضح اتجاه المشاعر والامال والارادة للشعوب العربية وللغوى القومية فيها .. وتوضح أن الشعارات التقدمية قد أصبحت برغم كل شيء ، هي المحور الذي يلتف حوله الكثيرون ، والذي يجبر حتى أعدائه على التمسك به .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن أقساما من القوى الوطنية والتقدمية قامت بعملية اقتحام في اتجاه تصفية بعض مبررات الاحتكارات البترولية ، فأمنت العراق شركة نفط العراق ، وأمنت ليبيا ليبيا أو جزائريسا بعض الشركات الأخرى (البرتش وبتروليم - أو كسيدنتال - موانيسير) . فإذا دل هذا على شيء ، فعلى أن حركة التحرر العربي لاتزال تملك - رغم كل الصعوبات والسلبات - القدرة على المبادرة ، وعلى منازلة قوى الاحتكارات الدولية التي نهبت - ولا تزال تنهب ثروات الشعوب العربية .

على أن التأكيد على ما يشكل الرصيد الإيجابي لحركة التحرر العربي ينبغي ألا يصرفنا عن الانتقاف إلى نقاط الضعف والسلبات التي نعاني منها ، وهي نقاط خطيرة ، لا يجوز لأتسان أن يغفلها دون أن يقع في نوع من السذاجة المهلكة .

والحقيقة أن حركة التحرر الوطني نقف اليوم

- أن الاستعمار الجديد يخوض ضد الدول العربية المتحررة حرباً أيديولوجية تنشر البلبلة وتهدف إلى تخريب وتصفية المكتسبات الكبيرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حققتها الشعوب ، وتهدف - بالتالي - إلى ردها طريق التطور الرأسمالي *

- أن الإمبريالية الأمريكية وإسرائيل والقوى المضادة تبذل كل جهدها لمزل مركزنا عن الجبهة الدولية الواسعة الناصرة والمتعطفة مع البلاد العربية ، خاصة عن الاتحاد السوفيتي ، ومعسكر البلدان الاشتراكية *

وهكذا فإن حساب الإيجابيات والسلبيات في مواقع الحركة الوطنية يدعونا إلى أن نركز على تحديد المهام الرئيسية التي تمكن حركة الثورة العربية من أن تنتقل من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم *

في معظم خطير للغاية ، وهذا المنعطف تجسده المواجهة مع العدو الصهيوني الأمريكي . وإذا كان الرئيس السادات قد استخدم في وصف ضراوة المركة مع هذا العدو عبارات : « معركة الحصار » و « أن نكون أو لا نكون » ، فإن هذه العبارات شديدة الدلالة على طبيعة المركة ، كما أنها أدعى إلى التفتيش عن نقاط الضعف التي تعاني منها الجبهات العربية *

وإذا أردنا أن نحدد هذه النقاط في إيجاز أمكن القول أن في مقدمتها :

- أن وحدة القوى الوطنية والتقدمية داخل الدول المتحررة لم ترتفع إلى المستوى المطلوب للمواجهة ، وأنها تعاني من نقاط ضعف رئيسية *

- أن وحدة العمل بين الدول الوطنية المتحررة ، هي أيضاً لم تحقق الحد الأدنى المطلوب للمواجهة ، رغم التقدم هنا وهناك *

وكتب عبد المنعم الغزالي :

واجبات ومهام

أولاً : على النطاق الوطني ؟

١ - أول واجب يبدو أماناً كالتزام ثوري يجب أن يناضل من أجله كل الوطنيين رغم تباين مواقفهم الاجتماعية والفكرية والذهبية - هو تحقيق وحدة القوى الوطنية ، باعتبار أن تحقيقها شرط أساسي من شروط النضال من أجل تحرير الأرض المحتلة *

وتحقيق وحدة القوى الوطنية لا يمكن أن يتم إلا من خلال منهج توحيدى ثوري ، وهذا المنهج التوحيدي هو الذي يتجنب أي عملية لسدغ التناقضات الثأونية إلى التأثير على الصف الواحد ، وإلى اغراق القوى الوطنية والثورية الحقيقية - تحالف قوى الشعب الوطنية - في صراعات داخلية وجانبية ، بتجاهل بذلك أن التناقض الرئيس الذي يحكم حركة الثورة اليوم هو التناقض بين حركة التحرير العربي ، وبين العدو الإمبريالي الصهيوني *

وإذا كان جو الانفراج الدولي يصلح إطاراً تحل فيه قضايانا ، بكيفية إيجابية ، فإن هذا الحل مشروط ، بالعمل على دعم مراكز القوة في حركة التحرير العربية ، وتفضي النواقص والسلبيات الكامنة فيها - أن هذا معناه أن نحدد قوى الثورة العربية واجباتها الوطنية والقومية والدولية *

هذا ، وقبل أن ندخل إلى حديث مفصل عن الواجبات ، من المهم أن نوضح هذه الحقيقة وهي أنه يجب ألا ننظر إلى ما يسمى بأزمة الشرق الأوسط ، على أنها مجرد أزمة طارئة أو أنها مجرد حرب محلية فيها طرفان ، طرف منصر ، وطرف هزوم . الحقيقة أنها طور من أطوار نضال حركة التحرير الوطني الديمقراطي العربي أمام هجمة من هجمات الإمبريالية والاستعمار الجديد ، استخدمت فيها الدولة العسكرية الصهيونية (إسرائيل) ، ضد كل ما أحرزته الثورة العربية من انتصارات في مجال تعزيز حركة التحرير الوطني ، وبناء النظم التقدمية التي أعلنت عن هدف بناء مجتمع اشتراكي *

« طبعاً الرجعيين ، أى بـقـايـا الرأسماليين والإقطاعيين حيكون انتقادهم باستمرار للقطاع العام انتقاد يفرض الهمم ويفرض أن يؤمن الشعب أن تجارب العمل من خلال القطاع العام لا يمكن أن نجح وأن السبيل الوحيد هو القطاع الخاص .
أحنا نقول أن أحنا نترك القطاع العام للنقد البناء للنقد النزيه للنقد الشريف » .

إن تعميق الثورة الاجتماعية - من أجل التحرر ، توجب علينا اتخاذ كل الخطوات الحاسمة للمساواة بين المواطنين في تحمل أعباء المعركة وتضحياتها ، على أساس أن يوضع في الاعتبار المراكز الاجتماعية ومستويات الدخول . وإلى جانب ذلك ضرورة توفير ضمانات حقيقية بأن المعركة لن تعطى لفئة امتيازات خاصة على حساب القوى الشعبية وأرادتها في تطوير وتحسين مستوى حياتها وظروف معيشتها وممارستها لحقوقها الديمقراطية .

إن تمثية كل طاقات الشعب من أجل المعركة تفرض توجيه القدرة البشرية للإنسان المصرى على أساس من الالتزام بالثورة الاجتماعية - كقاعدة للانطلاق من أجل التحرير - نقول : توجيه هذه القدرة لخدمة الإنتاج ومضايقته من أجل توفير كل احتياجات اقتصادنا ليتمكن من الصمود في وجه كل عدوان على خط تطوره الوطنى القومى .

وإن تعميق جذور الثورة الاجتماعية ، خدمة لمعركة التحرير يعنى في نفس الوقت النضال من أجل الديمقراطية السياسية - التى هى الوجه الآخر المقابل للديمقراطية الاقتصادية . وقد عبر عن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر ثم فيما بعد الرئيس أنور السادات - وأكد دائما على مجموعة من الحقائق الهامة : ١ - أن القيادات وحدها ليس فى استطاعتها أن تعطى شيئا - إنما بالجهاهير وبالاتحاد على الجهاهير يعطى كل شيء وتوجه كل الطاقات للخلق وكل القوى لردع ، للبناء والدفاع . ب - أن اشراك كل طاقات الجهاهير الاخلاقه - يوجب تقنين الثورة وتوفير حصانات أكيدة للتطور الدستورى السليم ، ولينظف الافئدة دائما أكبر من مراكز القوة وأعلى من أرادات الافراد . ج - أن الحرية كل الحرية للشعب - من أجل أكبر حشد وتمثية للمعركة ، ومن أجل الاستمرار في بناء الثورة الاجتماعية . وأن تكون قوى الشعب يقظة كل اليقظة لمحاولات استخدام القوى المضادة للثورة لهذه الحرية ومؤسساتها وما أكثر هذه المحاولات اليوم ، قال جمال عبد الناصر في خطاب له فى ٦ - ٧ - ١٩٦٦ : « الصحافة حرة في حدود الخيلاق ٠٠ لكن لا يمكن

أنه واجب ملح وعاجل أن يتقدم بناء الوحدة الوطنية ، وأن يكون هذا البناء انطلاقا من المواثيق التى ارتضتها حركة الثورة المصرية خلال تطورها المستمر الى مواقع أكثر تقدما ، وهى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطنى .

٢ - أن الواجب الثانى - لانجاز التعمية اللازمة لأحراز النصر - يتمثل فى ضرورة الإصرار على الاستمرار بالثورة الاجتماعية ، ومحتلواها الديمقراطية ، وتمييق جذورها ، والتصدي لكل محاولات قوى الرجعية والشرائح الطفيلية المنسقة على المنجزات الاجتماعية التقدمية والديمقراطية .
قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب له فى ٢٣ - ٧ - ١٩٦٧ : « إيه كان القصد الحقيقي لعملية العدوان المركبة التى تعرضنا لها أخيرا ؟ لو سألنا أنفسنا هذا السؤال الدرد كان ٠٠ يكون القصد الحقيقي القضاء على الثورة الاشتراكية الموجودة في مصر . وأذن فكى نستطيع مواجهة العدوان فانه من الضروري تجميع الثورة الاجتماعية في مصر » .

إن دهم القطاع العام - الذى هو قاعدة التطور الاقتصادى الوطنى للقوى التقدمية المستقلة لمصر - يكون بوضع خطط جريئة ، ومستبيرة لمجريات الإصلاح المالى والاقتصادى والادارى ، لتحرير كل طاقات الإنتاج من أية معوقات ، ولرفع وصاية البيروقراطية وروتينها الثقيل من هذا القطاع ، وكذلك منع القطاع الخاص من التحكم في سير عملياته . أن قضية دهم القطاع العام باعتباره الركيزة الرئيسية لكل تطور اقتصادى تمنى ضرورة اليقظة والحذر من كل المخططات التى تهدف إلى تفويض هذا البناء والاجهز على رأس المال العام ، تمتت شعاعات التطوير الليبرالى لإقتصادنا .

أن هناك جيوبا رأسمالية نمت بطرق طفيلية ، وعلى حساب كل مخططات التقدم الاجتماعى للثورة المصرية ، ومن مصلحة هذه الجيوب وكل القوى الرجعية المضادة لسط ثورة ٢٣ يوليو الاجتماعى أن تضرب القطاع العام ورأس المال العام ، وكذلك من مصلحة الاستثمار الجديد الذى يعيش أحلاما ذهبية بالمعجزة الى بلادنا والسيطرة على مقدراتنا الاقتصادية أن يشكك في قدره القطاع العام ، ويروج لامكانية بناء ثورة اجتماعية بواسطة اقتصاد رأسمالى وطبقا رأسمالى . وقد أوضح عبد الناصر في خطابه في أول مايو ١٩٦٥ النهج من الحملات المضادة للقطاع العام بقوله :

الثورية في هذه الحالة سوف تتقدم الى ميدان اللقاء القومي على العمل الثوري وهي أكثر وضوحاً من تأثير تفاعل فكرها بجماهير شعبها ، ثم هي أكثر ثقة بالنفس من تأثير اطمئنانها الى قواعد قوتها ، والثقة بالنفس مقدمة طبيعية الى الثقة بالكفاح المشترك ، وعلى أساس هذه الثقة فإن القوى الثورية العربية تستطيع أن تدبر الحوار الهائي لوحدها الفكرية بما يمكنها من تحديد هدفها ومراحلها ، وتحركها عبر المراحل المتعددة الى الهدف الواحد النهائي * ثم قال :

« ثالثاً : ان وحدة القوى الثورية سوف تتقدم في هذه الحالة على تحمل مسئولية المواجهة الخطيرة المفروضة الآن على الأمة العربية والتي لا تحتل بالنسبة لها - وفي النتيجة الأخيرة - غير النصير الكامل » .

البترول سلاحاً

هذه الوحدة الموجهة الى كسب معركة التحرير مطلوبة بالاساس ان تستخدم في نضالها هذه الاسلحة ذات الفعالية الهائلة - البترول .

يقول د . مايكل تانزور وهو من علماء الولايات المتحدة في المسائل البترولية ، ويرأس حالياً شركة تانزور الاقتصادية المتحدة (بنينويوك) وهي شركة استشارية فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية - في بحث قدمه في الندوة العلمية العالمية التي انعقدت في بغداد من ١١ - ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ - عن النفط كسلاح :

« ان وحدة المالم الثالث ككل تستطيع ان تلعب دوراً رئيسياً في التغلب على الامبريالية الغربية ، وفي ارساء الأساس للتنمية التدريجية لجميع بلاد العالم الثالث . ان البلاد المتخلفة المصدر للنفط ، ان تملك مصدراً للثورة غادراً وثميناً الى أقصى حد ، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره ، فانها في وضع يتميز بخصيصات لها ان تقوى القيادة بهدف ارساء أساس محدد تقوم عليه هذه الوحدة بين بلدان العالم الثالث . وهناك أيضاً عدد كبير من البلدان المتخلفة المستوردة للنفط في وضع مماثل ، ان تملك - هي الأخرى - موارد طبيعية شينة تتحكم فيها الاحتكارات الدولية . وهكذا ، فمن المأمول فيه ان تكون السياسة التقدمية التي تنتهجها البلاد المتخلفة المصدر للنفط ازاء بلاد العالم الثالث الأخرى ، مثلاً تحتفظ هذه البلاد

ان اقبل صحيفة تقول عابزين مجتمع رأسمالي * هذا عمل مضاد للثورة ، وهذه صحيفة الثورة المضادة » .

في المجال العربي

المجال العربي : ١ - ان قوى حركة التحرر الوطني العربية مطالبة قبل اي شيء آخر ان توحد صفها ، وتلم شملها الوطني والثوري * علينا ان نضع أمام أعيننا تجربة جمال عبد الناصر في هذا المجال وهي تجربة غنية بالدروس - في حديث له في لقاء خاص مع ممثلي الجماهير العرب في ٨ - ٢ - ١٩٦٧ قال : « وحدة القوى الثورية ممكن انها تيجي في عدة أشكال ومشي ضروري إبدأ نضم على الوحدة بصفتها المطلقة التي هي الوحدة ، التي هي الدمج والتوحيد الكامل ، لان انا في رأيي ان هذا الموضوع عسير قوى الوصول اليه * قد يكون من الأسهل ان نبندى بنوع من الجبهات أو عمليات بهذا الشكل ودئ يتوصل في المستقبل الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة الموجودة في العالم العربي » .

والمنهج الذي رسبه جمال عبد الناصر في ٢٨ - ٢ - ١٩٦٧ مازال محتفظاً بكل حيويته ، وفي الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الجماهير العرب التاسع أكد :

« أولاً : ان القوى الوطنية والثورية مطالبة قبل كل شيء آخر بأن تبني قواعدها الأساسية في أوطانها ومع جماهيرها . وهذا هو المامل الذي يحدد مكانها في مجال وحدة القوى القومية الثورية ، كما انه يحدد فاعليتها ، وبالتالي فإن العمل الوطني الثوري في كل وطن عربي - هو مقياس الطاقة على خدمة العمل القومي » * ثم قال :

« .. ونحن أتحدث عن القواعد الأساسية فليست اعني بذلك قواعد السلطة في أكثر ما نرى الجماهير العربية على ناحية ، والسلطة في أوطانها على الناحية الأخرى . ان الجماهير هي القوة الحقيقية ، والسلطة بغير جماهير مجرد تسلط معاد لجوهر الحقيقة » .

« ثانياً : ان ذلك بغير شك سوف يقدم خدمة كبرى لتحقيق لقاء القوى الثورية ، ذلك ان القوى

المتحدة الامريكية ، أو في أوروبا الغربية قاعدة مهمة لنشاط الراسمالية العالمية ضد حركة التحرر الوطني ، وضد الاشتراكية - ويشكل - بمسبة خاصة - قاعدة هامة لتحويل اسرائيل والمنظمات الصهيونية - ويكفي أن نشير هنا الى أن المؤسسات المالية اليهودية المعروفة بولائها لاسرائيل والحركة الصهيونية العالمية قد تبكت من شراء قسم لا يستهان به من أسهم الشركات البترولية الغربية والعاملة في البلاد العربية - الى جانب مساهمة بعضها في تمويل هذه الشركات بقروض طويلة الاجل .

تملك عائلة روتشيلد الآن قسما من أسهم شركة جولف اويل كورپوريشن وشركة شل وشركة البترول الفرنسية وكلها من الشركات الكبار المستثمرة للبترول العربي . وقد ساهمت عائلة روتشيلد في تمويل خط انابيب ايلات - حيفا .

بعد ذلك كله ، يصبح على حركة التحرر العربي أن تعمل من أجل استخدام هذا السلاح « الفادر الثمين » وفي إمكان قوى حركة التحرر العربي إذا استخدمت هذا السلاح أن تصدح عن وجود « مقفير » ستكون لمآثراته الاستراتيجية لا فقط من وجهة نظر تحرير الارض العربية المفتصة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، ولكن كذلك من وجهة نظر مستلزم بناء اقتصاد عربي قوي ومستقل ، وانجاز خطة تنمية عربية طموحة . فهذا هو الاستخدام الامثل للقوة الذاتية العربية .

واجب حيال المقاومة الفلسطينية

بعد يونيو ١٩٦٧ نمت منظمات المقاومة الفلسطينية وتعاظم دورها وتضاعفت عملياتها ، واعتبر ذلك ظاهرة مشرقة في حركة النضال العربي . ولعلنا أكد جمال عبد الناصر ومن بعده الرئيس انور السادات على هذه الحقيقة .

إن الهجوم الشرس من قبل العمكرية الاسرائيلية وسادتها امبرياليين الولايات المتحدة على حركة المقاومة لتصنيفها بوجوب على حركة التحرر العربي ، وعلى كل مواقعها التقدمية في العالم العربي أن تستمر دون - قيد أو شرط - في دعم حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها اهل الفجر الشرق الذي يترقبه الشعب الفلسطيني العربي لاستعادة ارضه المفتصة وحقوقه السليمة . ولنذكر هنا كلمة جمال عبد الناصر في ٢٠ - ١ - ١٩٦٩ : « ان الإرادة الفلسطينية يجب

الاخيرة ، ولابد من أن تقسم بطابع الاستماعة ومعاملات متبادلة خارج نطاق البترول تقوم بها بلاد العالم الثالث فيما بينها على حساب الشركات الدولية ، التي استغلت جميع هذه البلاد لأمد طويل ويطبقا لخطة موضوعة » . ثم يضيف :

« فإذا استطاعت البلاد المتخلفة المصدرة للنفط أن ترتفع الى مستوى الموقف - بكل ما يفرضه من تحديات فاقامت مثل هذه القيادة الرشيدة - فأنها لن تكون قد قطعت خطوة كبرى نحو تحررها هي من الامبريالية فحسب ، وإنما ستكون قد رفعت أيضا الفلاح المحتوم في جميع أرجاء العالم ضد الامبريالية الى مستوى جديد أعلى وسوف يتذكر التاريخ دوما أولئك الذين كان لديهم من بعد النظر والشجاعة ما يفهمهم الى الاضطرار بهذه المهمة الحيوية الملحة » .

وتتضح لنا أهمية البترول كسلاح ، في مواجهة العدوان الامبريالي الصهيوني ، وفي مواجهة الهجمة الجديدة للاستعمار الجديد على كل مميزات حركة التحرير العربية من الانقسام التالية :

● حققت الاعمال المتلفة بالبترول ارباحا هائلة للولايات المتحدة الامريكية بلغت قيمتها خلال فترة عشرين عاما من عام ١٩٤٨ - ١٩٦٧ حوالي ١٢٠ مليارات من الدولارات في الشرق الاوسط ، بينما هي لم تستثمر في هذه المنطقة سوى ١٥ مليارا من الدولارات .

● بلغت ارباح الشركات التي تنتمي الى كارتل النفط الدولي ٨٢٠ بليون دولار في عام ١٩٧٠ ويحصل أعضاء الكارتل على ١٢٥٨ مليون طن أو ٨٦ في الملة من انتاج النفط في العالم غير الاشتراكي ، ويأتي ٤٢ في المائة من هذه الكمية من بلاد الشرق الاذن والاقوسط و٢٥ في الملة من بلاد افريقيا الاستوائية ولغزويلا .

● وفي عام ١٩٧١ قدرت ارباح الاستخراج لشركات في البلاد العربية ب ٤٤٠٠ مليون دولار ، وأرباح التخزين والتوزيع ب ٤٠٠٠ مليون دولار ، هذا غير ارباح النقل والتكرير وهي غير معلنة ، وبلغت ارباح الحكومات المستهكلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ما يزيد ٣٤ مليار دولار من النفط العربي .

● وهكذا يشكل البترول العربي بوقوعه تحت سيطرة المجموعات الامبريالية في الولايات

يتجزأ من معسكر الثورة المالية ، وحركة وحدة هذا المعسكر في نضاله ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث لا تتنى وجود خلافات وتشقات داخلية ، وتعمد الايديولوجيات والانكاف والمطولات الذميمة ، ولكن كل هذه الخلافات والتناقضات هي الان ثنائية وعلى الثوريين الحقيقيين والوطنيين المصدقين الا يجلعوها تهديد وحدة هذا المعسكر والا لوفقنا لانصرفت مياسة الاستعمار التقليدية « فرق تسد » ، وعلى قوى حركة التحرر ان تكون نقطة لان قوى الامبريالية المالية والاستعمار الجديد - بوسائلهم المتعددة - يسعون الى بنو بذور الغرقة داخل معسكر الثورة العالمية ، بهدف عزل حركة التحرير الوطني عن القوى الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي - والتي متحالفا مع حركة التحرر الوطني تمكنت من ان تحقق العديد من الانتصارات على معسكر الامبريالية والراسمالية المالية . وحتى في ظل سياسة الانفراج الدولي تمكنت قوى عديدة في الفترة الاخيرة من تحقيق انتصارات حاسمة على الامبريالية المالية ورأس رمحها الولايات المتحدة - فيتنام مثلا وما هي كيبوديا تطور نحو نصر حاسم .

ومن هنا ، لان اول واجب علينا ازاء الجبهة المالية ، يوجب علينا ان نقدر غاية التقدير عنصر التحالف بين حركة التحرر العربية والقوى الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي - وان نحذر كل الحذر كل الدعاوى التي تريد لهذا التحالف ان تنفصم عراه . ولقد نبه جمال عبد الناصر الى ذلك في خطابه في اول مايو ١٩٧٠ :

« من عجب - ايها الاخوة - ان يقول وزير خارجية اسرائيل ان المساعدة السوفيتية لصرى وجود استعماري ، وهو قلق على مصر (١١) » . وزير خارجية اسرائيل قلق على مصر (١٢) . هل هذا صحيح ؟ هل مساعدتنا في تحرير ارضنا هو الوجود الاستعماري ، ام ان الوجود الاستعماري هو قوات الاحتلال الاسرائيلية على ارضنا ؟ هل مساعدتنا في مواجهة الارهاب الموجه الى الشعوب العربية هو الوجود الاستعماري ، ام ان الارهاب والقتل وتغيير طبيعة الاراضي العربية هو الوجود الاستعماري (١٣) »

« اتنا ايها الاخوة نقول انه لولا المساعدات السوفيتية لنا يمد ما حدث في يونيو ١٩٦٧ ، لكان الاستعمار تحكم فينا ، لكانت كل اهدافنا تحت اقدام الغزاة ، لكان القتل هو شرعية الذين يريدون التحكم في مصائر الامة العربية وفي اقدارنا »

ان تترك بغير اعتراض ويجب ان تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها ولا ينبغي ان تكون هناك أية وصاية على تصرفاتها » .

ان حركة التحرر العربية - وبكل مواقعها التقدمية يجب ان تمنح المقاومة الفلسطينية وهي تتأصل الآن في ظروف قاسية وصعبة - كل القدرات والمساعدات النضالية والاخوية لتتمكن من دعم قواعد نضالها داخل الارض المحتلة .

وعندما نؤكد هنا - على ان هذا الواجب ، هو واجب المواقع التقدمية في حركة التحرر العربي - فذلك لان مواقع الرجعية تغطي حركة المقاومة الفلسطينية وترتد من أي عوامل قوة تضاف لها - وقد سمعت من قبل لتصفيتها دمويًا . قال جمال عبد الناصر في خطابه في ١٥ - ٦ - ١٩٦٦ في منتهرة :

« ان الرجعية لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تصير مع القوى التقدمية . ولو كانت السيرة نحو فلسطين ، لان الرجعية تنظر الى القوى الثورية العربية وتنظر الى القوى التقدمية العربية على انها خطر عليها اكبر من خطر اسرائيل ، ولان الرجعية المتنازعة مع الاستعمار . الرجعية المتحالفة مع الاستعمار . الرجعية الداخلية في مناطق نفوذ الاستعمار لا تحسب خطر اسرائيل لان الاستعمار باستمرار يحميها وينسق بينها وبين اسرائيل . والرجعية العربية تحسب خطر التقدم العربي لانها رجعية مستغلة تسلب اموال الشعب العربي ، وانها رجعية مستبدة تعتمد في حكمها على النضال الطبقي ، ولانها رجعية متمسبة ، رجعية مسيطرة » .

ثالثا : على الجبهة العالمية

يجب علينا ونحن نتصور واجبات حركة التحرر العربية في المجال الدولي ، ان نقر ان التناقض الرئيسي الذي مازال يحكم تطور الحركة الثورية في العالم هو التناقض بين معسكر الثورة المالية - والذي يشمل بلدان الاشتراكية ، وبلدان حركة التحرر الوطني في افريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية - ومعسكر الرأسمالية المالية وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية .

وإذا ما اعتبرنا ان هذا هو التناقض الرئيسي على الصعيد العالمي فيمكننا ان نحدد موقع حركة التحرر العربي في هذا الصراع - انها جزء لا

نذكر دائماً كلمة لجمال عبد الناصر قالها في ٢٨-١-١٩٦٦ في خطابه في مجلس الأمة :

« أننا نواجه مع غربنا من الدول المنتجة للمواد الخام والمصدرة لها ضغوط الدول الصناعية المتقدمة التي تسعى الى هدف مزدوج تحتفظ فيه بمستويات المعيشة العالية لشعوبها ، هذا الهدف المزدوج هو تخفيض سعر المواد الخام وفي نفس الوقت رفع سعر السلع المصنعة » * ثم يضيف :

« يتصلم بذلك مباشرة اننا نعاني في الفترة الاخيرة ، بالرغم منا نصيبا من أزمة الرأسمالية العالمية ، هذه الأزمة المتمثلة في التناقضات التي تواجهها القوى المالية التي سيطرت في العالم منذ انتهاء الحرب الكبرى الأخيرة * ولقد انعكست من هذه الأزمة بعض الظاهر كالخلل في ميزان المدفوعات الأمريكي والنقص الظاهر في وسائل الدفع والارتفاع الخيالي في أسعار الفائدة * وإذا ما ذكرنا ان نصف تعاملنا مع العالم الخارجى هو مع العالم الرأسمالى لاندركنا أننا نشأنا لم نشأ نتحمل نصيبا في هذه الأزمة * ومن سوء الحظ ان الاقوياء في عالمنا لا يصدرون بضائعهم فقط ولكنهم يصنرون أيضا متناقضاتهم الداخلية ، ويفرضون على غيرهم ان يدفعوا الثمن او على الأقل جزءا منه * وفي الحقيقة فان ظاهرة الاستعمار الجديد تعنى بالدرجة الاولى ان الرأسمالية العالمية وهى تسعى للسيطرة على موارد الشعوب الاخرى واخضاعها للاستغلال ونهب مواردها الطبيعية وعيها الانسانى بأرضى الامصار * انما هسى بصورة او بأخرى تقوم بتصدير حقائقها خارج حدودها » *

والواقع ان عبد الناصر قد طرح بهذا الكلام المحلل السياسى اللازم لاستفادة مصر - كبلد نام - من ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية - ان مصر لم ترفض في يوم من الايام ان تتعامل - على قدم المساواة - مع جميع البلدان * على الرغم من اختلاف نظمها الاجتماعية * لكن الذى حدث هو ان الاحتكارات الامبريالية كانت ترفض ان تقيم مصر صناعاتها الثقيلة المصرية * لعلها ان هذا حصل الدول النامية الاخرى الى ان تحوّل حذوها * ومن ثم فقد كانت معركة بناء الصناعة في مصر في مواجهة الاحتكارات الدولية هي معركة ثورة يوليو من أجل الاستقلال الاقتصادى * من أجل ان يقوم في مصر اقتصاد صناعى زراعى متوازن لا تزعزع أسسه الازمات المالية والنقدية التى يعمل العالم الرأسمالى على تصديرها في هذه الايام الى بلدان العالم الثالث .

« ان المساعدات السوفيتية قد تضاف الى طاقة الفصل من أجل التحرير * ومن أجل الحرية * وان الاستعمار وخطر الاستعمار * والاستغلال والتهديد الموجه هو الخطر على الاستقلال والخطر على الحرية * وهذا هو ما تبارسه اسرائيل ضدنا بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية » *

هذا هو العنصر الاول الذى يجب وان نوجه كل اهتمام له في مجال علاقتنا الدولية - وذلك حتى نفسد على الامبريالية والصهيونية مخطوطها للاستاء الى هذه العلاقات التى نبت وتطورت خلال تجارب عليا ، واثمرت تحالفا صائقا ، داخل حركة التحرر العالمية عامة ، والعربية بصفة خاصة .

ويأتى العنصر الثانى في مجال الجبهة العالمية وهو حركة التحرر الوطنى في افريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية * فالحقيقة ان نضالنا الوطنى المصرى الشعبى ونضال شعوب الأمة العربية كلها انما يحدث اليوم في اطار حركة الثورة العالمية كلها بما فيها حركة التحرر الوطنى * ان حركة التحرر الوطنى في العالم كله تتعرض اليوم لهجمات وغارات استعمارية رجعية وخرسة * وان وحدة حركات التحرر الوطنى في مواجهة هذه الهجمات يجب ان تتمركز في كل المجالات التى ازدهرت فيها ، على نطاق المؤتمر الاسيوى الافريقى - وعلى نطاق مؤتمرات دول عدم الانحياز - وعلى حركة التحرر الوطنى العربية ان تتمركز علاقاتها ووجدتها مع هذه المواقع ، وان تقيد منها في نضالها العادل ضد العدوان الامبريالى الصهيونى .

والعنصر الثالث ، في الجبهة العالمية ، والذي يتضمن في المنظمات العالمية الشعبية المصادية للرأسمالية العالمية والامبريالية : الاتصادات العالمية للصقل والشباب والنساء والطالب * وهى منظمات بطبيعتها تقف الى جانبنا بكل جهد ووسيلة * ولينا ان نبذل المزيد من الجهد تنمية أوسع واشمل لهذه المنظمات لتكون منابر تملو من فوقها آرايات حركة التحرر العربى .

ثم يأتى عنصر رابع - وهو عنصر لا نغفله ، ولكنه يستوجب من حركة التحرر العربى كل الحذر واليقظة وهى تتعامل معه - وهو عنصر استخدام التناقضات داخل معسكر البلدان الرأسمالية ، بحكم اختلاف مصالح طبقاتها الحاكمة للسيطرة على اسواق العالم ، وبحكم الصراع الداخلى الدائر بينها وبين الولايات المتحدة * ولكن علينا ان

حركة التحرر الوطني واسهامها في الانفراج الدولي الراهن

وديع أمين

التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد لفتت نظر
لينين الذي اهتم بدراستها ، وخرج من هذا
بامتتاجات وتوقعات ثبتت صحتها وفي مقدمتها :

أن شعوب الشرق :

« ستظهر كمشاركة مستقلة وبائية لحياة
جديدة » .

وأن :

« فترة بقعة الشرق في الثورة المعاصرة سوف
تخلفها فترة نصبح فيها شعوب الشرق جميعها
مشاركة في تقرير مصير العالم كله » .

فاذا سألنا بعد ذلك : بأي معنى يمكن أن نقول أن
شعوب بلدان العالم الثالث قد أصبحت تشارك
مشاركة متزايدة في تقرير مصير العالم فإن هذا
معناه :

أولا : أن -استقلال ٧٠ دولة عن التسلط
الاستعماري قد أضعف مواقع الإمبرياليين أضعافا
خطيرا وذلك من ناحيتين :

فأحدها كمية (أو جغرافية) تشغل في تقلص

إذا كان ظهور النظام الاشتراكي - كنظام
عالمى - بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تم بدء
ظهور الثورة العلمية والتكنولوجية منذ منتصف
الخمسينات في مقدمة العوامل التي مهتت . خلال
خمس عشرة عاما الماضية ظهور ما نسميه اليوم
بالتغيرات الدولية الجديدة ، من هناك عاكلا
أساسيا ثالثا لا ينبغي اغفاله ، ومعنى به هذه
الحركة العالمية الجبارة . حركة التحرر الوطني
المادية للإمبريالية .

فبعد هزيمة الفاشية ، وفي فترة تقل عن عشر
سنوات انهار الصرح الاستعماري الذي شيدته
الإمبراطوريات القديمة وعلى رأسها الإمبراطورية
البريطانية ، وانطلقت حركة تحرير المستعمرات . .
تتصاعد وتوسع بايقاع متزايد السرعة . وهكذا ،
لغى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ - ١٩٥٧ - ستحرر من
النعمية الاستعمارية حوالي ٧٠ مليون نسمة في
آسيا . وفي الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٦٢ تحرر في
أفريقيا ١٥٠ مليون نسمة . واليوم ، نجد أن
حوالي ١٥٠٠ مليون نسمة (نصف البشرية
تقريبا) قد طرحوا قيسود النعمية للدول
الاستعمارية ، وأن ٧٠ دولة قد ظهرت على خريطة
العالم كدول ذات سيادة ، ومستقلة سياسيا .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة تضال شعوب
المستعمرات التي ترجع بداياتها الى أواخر القرن

مساحات الأراضي التي كان الإمبرياليون يسيطرون عليها نفوذهم وينهبونها .

وناحية كيفية (ترتبط بالعلاقات والصيغ السياسية) وهي أن الفضلات الجماهيرية السياسية والاقتصادية والصدمات المسلحة التي خاضتها شعوب حركة التحرر الوطني لم تضعف هيبة الإمبرياليين فحسب ، بل صفت كثيرا من قواعدهم العسكرية العدوانية ، وأيقظت الجماهير في داخل البلدان الإمبريالية ذاتها ، وحفزتها على أن تكافح ضد سياسات حكوماتها الإمبريالية ذاتها من أجل وضع حد للحروب الاستعمارية ، ومن أجل تعاون دولي يقوم على المساواة والمنفعة المتبادلة .

ثانياً : أن نمو وتطور الرأسمالية العالمية من مرحلة المنافسة الحرة إلى مرحلة الإمبريالية . وما اقتصرن بذلك من مضاعفة نهب واستغلال شعوب المستعمرات من قبل مجموعات قليلة من الاحتكاريين ، أن هذه الظاهرة قد أرست الأساس الموضوعي للكفاح المشترك ضد العدو المشترك للرأسمالية الدولية من قبل معسكر البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطني العالمية . وهذا إن التجالف والتضامن الموحسوسوعيين لم يكن أبداً يتعارض مع شعار الحياد الإيجابي ، لأن هذا الحياد قد برهن على أنه شكل ملموس وإيجابي من أشكال الكفاح ضد الإمبريالية .

ثالثاً : وفي مجرى التعاون الذي قام بين البلدان النامية التي دخلت معارك ضارية لتحرير نفسها من قبضة الاحتكارات الدولية . وجدت تفهسا ومساعدة فعالة من قبل المعسكر الاشتراكي . فقد قدم النظام الاشتراكي للبلدان النامية مساعدات متعددة الجوانب اقتصادية وسياسية ، وقدم السلاح للثورات التحريرية إلى طبقه في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . وكان لهذا كله أثره على العلاقات التجارية الدولية . وحال بين كثير من البلدان النامية وبين وقوعها مرة أخرى في حظيرة التبعية الاستعمارية . وهنا نذكر ، على سبيل المثال - مواقف الاتحاد السوفيتي ، أثناء العدوان الثلاثي على مصر في أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وتهديد كوبا بالغزو عام ١٩٦٢ ومساندة كفاح شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا . ووقوفه مع حق تقرير مصير شعب البنغال .

رابعاً : وفي مجرى نضال بلدان العالم الثالث ضد الإمبريالية ، وأثناء كفاحها الشاق من أجل تصفية التركة الاستعمارية المثقلة ، لأخذت هذه

البلدان تظهر على صعيد السياسة الدولية كقوة مؤثرة وإيجابية ، تقوم بدورها ، وتقدم أساليبها الخاص على النطاق العالمي في ضرب وتجميد ومحاصرة مغامرات الامبرياليين ومخططاتهم العدوانية .

وهكذا لم تتوان البلدان المستقلة حديثا عن فضح ومقاومة محاولات التدخل في شئونها الداخلية ، ومطالبة الدول الإمبريالية بالكف عن ممارسة الضغوط الاقتصادية ، والمناداة بتحرير التجارة الدولية من سيطرة الاحتكارات الدولية .

وقد وجدت من بين قادة بلدان العالم الثالث طلائع قادت الكفاح على الصعيد العالمي من أجل تجنب العالم كارثة حرب نووية مدمرة ، وهنا نذكر مثلا العدد الكبير من المؤتمرات الدولية واللقاءات التي شارك فيها جمال عبد الناصر ونهر وسوكارنو ، وغيرهم من أقطاب سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، فقد عبروا باستمرار في بياناتهم وأحاديثهم عن رغبتهم في وقف سباق التسلح النووي بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة ، كما طالبوا بنزع السلاح الكامل الشامل .

ولعلنا نذكر - في هذا المجال - أن قرارات مؤتمر بانكوفج (١٩٥٥) قد تضمنت :

« المطالبة بتحريم استخدام وسائل الدفباع الجماعية لخدمة الأهداف الضامة بآية دولة من الدول الكبرى ، وتدعيم التعاون المشترك والمنافع المتبادلة بين الجميع » . كما طالب مؤتمر بلجراد عام ١٩٦١ : « بتدخل دول العالم الثالث من أجل تخفيف حدة التوتر الدولي ، والعمل على تحقيق التعاون الاقتصادي بين الجميع ، وتجريد بعض المناطق من الأسلحة النووية ، وحل جميع الأحلاف العسكرية ، وإزالة القواعد العسكرية من أراضي جميع البلدان » . وقد وصف الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٦٤ وشاركت فيه ستون دولة بقوله : « كان مؤتمر بانكوفج وقفة ضد الاستعمار ، ومؤتمر بلجراد وقفة ضد الحرب ، وليكن مؤتمر القاهرة وقفة من أجل السلام » .

هنا يتضح ان التغييرات التي تحدثت في السياسة الدولية في اتجاه الانفراج ، وتصفية آثار

الحرب الباردة ، واستبعاد شبح الحرب النووية ، تقول أن هذه التغييرات لم تكن بمسيدة عن ميل وكفاح شعوب بلدان العالم الثالث . بل لقد كان نهضات حركة التحرر الوطني - على الدوام - أسهامها من أجل تحقيق هذه الأهداف ، وأحداث هذه التغييرات .

٢ - أن دعم سياسة الانفراج الدولي من شأنه أن يضغط مواقع الدوائر الأشد عدوانية في البلدان الإمبريالية ، وهي دوائر المجموعات الاحتكارية ، والتجمعات الصناعية العسكرية التي تكون ثرواتها أساسا من صناعة السلاح . وهذه الدوائر هي أشد أقسام الرأسمالية الدولية عداء لأهداف حركة التحرر الوطني .

وعلى ضوء هذا كله يتعين على القوى السلمية في حركة التحرر الوطني ألا تلقف موقف المتفرج على التحولات الضخمة التي تجري على الصعيد الدولي في اتجاه الانفراج والتعايش السلمي . ذلك أن هذه القوى قد ساهبت في الدفاع عن السلم بمساهمات إيجابية للغاية ، وهي قد غفرت ذلك من معرفتها - بحكم التجربة - بأن جو التوتر الدولي ، والحرب الباردة هو المناخ الذي تفرخ فيه الثورات المضادة ، ويستفحل فيه التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان النامية . وتشتد فيه الضغوط الاقتصادية من كل نوع .

وبالتحديد لأن ما هو مطلوب من البلدان المستقلة في العالم الثالث هو أن تقوم بمسئولياتها من أجل أن يستمر هذا الانفراج الذي بدأ ، والا ينكسر الوضع الدولي مرة أخرى .

ومن هنا فإن كل تغير حقيقي في اتجاه الانفراج الدولي ، لا بد وأن يوفر مناخا مواتيا لتطور حركة التحرر الوطني وتميز مكاسبها وانتصاراتها وذلك على الوجه التالي :

١ - أن اضطراب الإمبرياليين إلى الموافقة على سياسة التعايش السلمي سيقلل - بلاشك - من فرض عدولتهم العسكرية المباشر على الدول النامية .

٢ - أن الحد من إنتاج أسلحة الدمار سيوفر مناخا دوليا يسمح للبلدان النامية بأن تستفيد أقصى فائدة من المعونات الاقتصادية الدولية ، لكي تتفاد ما هو أصح لها ، ولدعم استقلالها الاقتصادي والسياسي . ولاشك أن تخفيض نفقات التسليح سيتمكن البلدان الاشتراكية من تقديم مساهمات أكثر تنوعا للبلدان النامية ، بل أنه سيتيح حرية الحركة للبلدان النامية في تعاملها

الجامعة الأهلية

استطلاع رأى

١ - ما رأيك فى الجامعة الاهلية من زاوية :

- مبدأ تكافؤ الفرص

- مجانية التعليم التى ينص عليها الدستور صراحة ..

- وحدة التعليم

٢ - هل تتوفر الامكانيات المادية اللازمة لنجاح المشروع (خصوصا من زاوية :

- توفر الاساتذة اللازمين

- واس المال اللازم للانشاء

- التمويل اللازم لاعدادها اعدادا عصرية

٣ - ماهى الاشياء التى يفرضها المشروع على الدولة من زاوية :

- زيادة عدد الخريجين الذين تلتزم الدولة بتعيينهم

- مطالبة الدولة بتوفير احتياجاتها واعانتها

حتى موضوع الجامعة الالهية - ولا يزال - باهتمام واسع من اقسام الراى العام فى بلادنا ، وتصدى لمعالجة الموضوع مؤيدون للمشروع ومعارضون له ، من اساتذة الجامعات والكتاب والمصحفين •

وتمشيا مع اهتمام الطلبة بتحديد موقف من القضايا الداخلية الحيوية ، فقد رأت أن تستطلع حول هذه القضية الهامة راى عدد من اساتذة الجامعة والباحثين والمعيدين ورجال التعليم •

وترحب الطلبة بكل راى موضوعى ، حتى وإن اختلف مع راىها القائل بأن كل مشروع تعليمى يجب أن يؤسس على الاساسيين التاليين :

— تحقيق تكافؤ الفرص ••

— وأن مجانية التعليم فى جميع المراحل حق كفله الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية •

■ دعوة تحتاج الى تمحيص شديد !

جامعة اهلية « محترمة من الناحية العلمية » فى ظل الظروف الصعبة الراهنة ! راى فيها بتعقيد بالنقطة الاولى ان فكرة الجامعة الالهية تعارض تعارضا مبنيا مع مواثيق الثورة واهداف المجتمع الاشتراكى . وركز هنا على سببين :

اولا : ان فكرة الجامعة الالهية قائمة على اساس ان يكون التعليم فيها بمصروفات وليس بالمجان مع استعادمها لقبول القادرين ماليا بصرف النظر عن مدى قدرتهم او استعدادهم العلمى . وبالتالى فمن السهل أن نتوقع أن الضغوط التى تتداعى بقيام جامعة اهلية هى اساسا ضغوط من اولياء الامور القادرين ماليا وغير القادرين فى نفس الوقت على اخذال ابنائهم الجامعة بسبب عقبة المجموع . آئن الجامعة الالهية ستكون مكانا

قد تبدو الدعوة لانشاء جامعة اهلية دعوة براءة لاولهة الاولى ، خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار الازمة الزمنية التى يمانئها نظامنا التعليمى بأكمله . ولكن هذه الدعوة تحتاج بالتأكيد الى تمحيص شديد . ويمكن فى راى تناول هذا الموضوع من جانبين :

الجانب الاول : جانب فكرى ومبني . وهنا يثور سؤال هل من السليم حقاً أن توجد جامعة اهلية فى مجتمع اشتراكى ، وهل هذا يتسق مع المواثيق الاساسية للثورة وخصوصا الميثاق الوطنى وايضا دستور البلاد . أم لا ؟

الجانب الثانى : جانب عملى يدور حول مدى امكانية توفير الاحتياجات التى يتطلبها انشاء

التدريس ، وإنما أيضا عن قيادة مجالات البحث العلمي الجاد . ونحن نعلم سادقا أن كثيرا من الكليات العملية في الجامعات الحكومية القائمة فعلا تعاني نقصا شديدا في كثير من التخصصات ، وأن هناك كثيرا من أعضاء هيئات التدريس يمارون سنويا بجامعة الدول العربية والأفريقية مما يزيد في هذا النقص .

وتقديري ، أن فكرة الاعتماد على الامتادة المحالين إلى المعاش فكرة عربية وغير عملية . لأن المحالين إلى المعاش يكونون في العادة قد انقطعوا عن البحث العلمي سنوات طويلة قبل تقاعدهم وحتى في نطاق التدريس فقد أثبتت تجربة الجامعات الحكومية أن كثيرين من هؤلاء عندما يمينون أساتذة غير متفرغين يكونون غير قادرين على المساهمة بكفاءة في التدريس للطلاب بسبب ظروفهم الصحية التي لا تسمح بكثير من الاجهاد ولا تمكنهم من ضبط الفصل ضبطا جيدا .

ثانيا : فيما يتعلق بالمعامل ، سواء للبحث أو لتدريب الطلاب . من أين يمكن تمويل هذه العملية محليا حتى لو أمعنا أن الأجهزة العلمية في حاجة إلى الاستيراد البهيلة الصعبة على نطاق واسع . هناك أحد طريقتين : فتمويل الجامعة الأهلية ، إما أن يتم من تبرعات الاهالي ولا اعتقد أن هذا التمويل سوف يكفي على الإطلاق لتغطية ولو حتى واحد على عشرة من نفقات هذه الجامعة ، والطريق الثاني هو أن تدخل الحكومة من بادئ الامر شريكا في التمويل ، وهذا مخالف للدستور ولبادئ حسن استخدام أموال الشعب .

أخشي ما أخشاه ، أن تبدأ الجامعة الأهلية بداية ضعيفة من الناحية المالية والعلمية ، ثم بعد ذلك بعد أن تتحول إلى أمر واقع بشكل أو بآخر تذهب إلى السلطات المسؤولة وتستصرخها وتطلب منها التدخل والمساعدة ، وتضيف إلى جملة ما يعانيه نظامنا التعليمي من مشاكل مشكلة جديدة ، وأن تكون من نوع أشد خطورة .

الخلاصة . . إنني أعترض على فكرة الجامعة الأهلية على مستويين أحدهما مجدي ولغوي بل ودستوري ، والآخر عملي وعلمي . . . وينبغي أن نتذكر أن بعض جامعاتنا الإقليمية الجديدة تظل حتى نهاية النصف الأول من العام بلا محاضرات في بعض الفروع لعدم توافر أساتذة رلخدم وجود وقت لدى أساتذة جامات القاهرة والإسكندرية للتدريس لطلبة هذه الجامعات الإقليمية .

د . عبد العظيم أنيس
استاذ الرياضيات بجامعة عين شمس

إثناء القادرين ماليا الذين يمجرون بسبب ضعفهم العلمي عن القفز من طابور التسيق إلى الجامعات الحكومية . وهذا اهدار ليدأ تكافؤ الفرص الذي دعا إليه الميثاق ، سواء في مجال التعليم ، أو في غيره من المجالات . واضيف أيضا أنه لا ينبغي الاحتجاج هنا بوجود مدارس أعدادية وثانوية بمصروفات . فهذا من الأساس اهدار لتكافؤ الفرص . وطالما رقمنا أصواتنا بضرورة ضم هذه المدارس إلى الحكومة خصوصا وأن الدولة تعينها سدوب بمبالغ ضخمة وهذا معناه أن هناك جزءا من أموال الشعب يصرف من أجل مساعدة القادرين على تعليم ابنائهم تعليميا خاصا في حين كان المعش هو الأولي بأن يكون .

ثانيا : أن التعليم الخاص بمصروفات ، سواء في العدادي أو في الثانوي أو في الجامعة الأهلية أمر منافي لنص صريح في الدستور الذي تنص مادته العشرين على أن « التعليم في مؤسسات الدولة التعليمية مجاني في مراحله المختلفة » . ولو أن المسألة اقتصرت على مدرستين أو ثلاثة مدارس بالمصروفات ولا تعينهم الدولة لهان الأمر ولكن المسألة تتفاقم كما هو معروف ، وقد أدركت وزارة التربية والتعليم هذه المسألة مرة فأسدرت قرارا بحل مجلس إدارة المدارس القومية تاركة كل مدرسة تول نفسها بنفسها .

أما الجانب الآخر في هذا الموضوع ، وهو الجانب العملي ، فانه في رأيي يشر بأن يكون مشروع الجامعة الأهلية أضعف المشروعات التعليمية وذلك للأسباب التالية :

أولا : من المعروف تماما أن هناك نقصا شديدا في هيئات التدريس تعاني منه الجامعات الحكومية ، خصوصا بعد الاتجاه إلى التوسع في الجامعات الإقليمية ، وهذا النقص يمس أساسا فروع العلم والمعرفة الموجودة في كليات الطب والهندسة والصيلة والعلوم والاقتصاد والعلوم السياسية وهي الكليات التي يلزم أبناء القادرين ماليا في الانضمام إليها . وبطبيعة الحال ، فمن غير المتصور أن تقوم الجامعة الأهلية على كليات الآداب والعلوم والتجارة لأن هناك بالفعل شكوى واسعة من تضخم أعداد التخرجيين من هذه الكليات بما يزيد على احتياجات المجتمع وليس من الخطأي أبدا أن تقوم الجامعة الأهلية لتخرج لنا طابورا جديدا من الذين سوف يتطلون « عمليا » لعدم احتياج المجتمع إلى أعدادهم بهذه الكثرة .

أما إذا كانت الجامعة الأهلية مستتجه إلى الكليات العملية فالسؤال الطبيعي هو من أين توفر أعضاء هيئة التدريس المستويين ، ليس فقط عن

الطبعة متحيزة .. والمشكلة لها عدة أوجه ..

وجامعة الأزهر ، والجامعة الأميركية ؟ وهل وحدة التعليم مثل أعلى يجب أن تستميت في مبدل تحقيقه ؟

وإذا انتقلنا الى المجموعة الثانية من الأسئلة وهي التي تدور حول الامكانيات المادية اللازمة لانجاح المشروع فإن جوابنا هو انه اذا كانت الجامعة الاهلية المزعم انشائها ستكون صورة طبق الاصل لغيرها من الجامعات المصرية فالمشروع لا جدوى منه ولا داعي لمناقشة توافره أو عدم توافره الامكانيات اللازمة لتجايه . أما اذا كانت تلك الجامعة الاهلية بجامعة دولية عربية تساهم في اقامتها الدول العربية والمنظمات الدولية وتوضع لها البرامج المتطورة ، ويعمل فيها أساتذة مختارون من مختلف الدول العربية فلا شك أنها ستكون تجربة صالحة يجب تأييدها والتعصب . والكفاح من أجل انجائها

وثمة ملاحظة هي أن الجامعة الاهلية مستنساة اصلا لإنشاء الوطن العربي الوافدين الى مصر ، وأولى لهم أن يتعلموا في مصر بدلا من أن يتعلموا في جامعات نيويورك أو موسكو ، أو لندن ، أو باريس . أولى لهم أن يتعلموا في مصر لصيانة عروبتهم ، والاحتفاظ بقوميتهم حتى لو جاز أن يكون هذا على حساب تكافؤ الفرص . أو : جنانية التعليم .

د . بطرس بطرس غالي

مستاد العلوم السياسية - جامعة القاهرة

الملاحظة الاولى التي احب أن ابديها حول الاسئلة التي وضعتها مجلة الطليعة لاستطلاع الرأي حول مشروع الجامعة الاهلية هي أن تلك الاسئلة وضعت بطريقة منحازة الى عدم اقامة الجامعة ، ومستفكرة لمشروع اقامتها .

وإذا كانت تلك الاسئلة متحيزة مع الفكر اليساري المثالي فأنها لا تتماشى مع الفكر العربي الواقعي . والمجموعة الاولى من الاسئلة وهي : هل الجامعة الاهلية تتماشى مع مبدأ تكافؤ الفرص أو مبدأ مجانية التعليم أو مبدأ وحدة التعليم ؟ يبدو الاتحياز فيها واضحا لأن تلك المبادئ الثلاثة التي ذكرتها يخالفها مشروع اقامة جامعة أهلية ، على أن هذه المبادئ الثلاثة لا تطبق اليوم تطبيقا كاملا . فهل هناك تكافؤ في الفرص بين الدارس في الارياف والدارس في المدن الكبرى ؟ وهل هناك تكافؤ في الفرص بين أبناء عامة الشعب وأبناء اساتذة المدارس والجامعات في الالتحاق بتلك المدارس وهذه الجامعات ؟ وهل هناك تكافؤ في الفرص بين التقنيين الى الكليات الحربية والشرطة من أبناء الشعب وأبناء الضباط ؟ وهل هناك تكافؤ في الفرص بين من نشأ في بيئة تسبح ظروفا بان يتقن لغة أجنبية أو أكثر في بيته وبين من حرم من هذه الظروف ؟ وهل مجانية التعليم تطبق تطبيقا كاملا أم أن الطالب يتحمل الكثير في شراء الكتب والاوراق ونحوهما ؟

وهل توجد وحدة التعليم الجامعي ونحن نرى في القاهرة جامعة القاهرة ، وجامعة عين شمس ،

ليس هناك مبرر لإنشائها

يبد أن التناقضات على شريين :
- تناقضات مشروعة .
- تناقضات غير مشروعة .
التناقضات المشروعة هي التي تدفع هذا المجتمع الى تحقيق الاشتراكية .
والتناقضات غير المشروعة هي التي تعرقل هذا المجتمع من تحقيق الاشتراكية .

في ظل مجتمع يتحول اشتراكيا مستندا في ذلك الى مبادئ التأميم والتخطيط وتكافؤ الفرص .
وفي ظل مجتمع يأخذ بتحالف قوى الشعب العامل من عمال وفلاحين ومثقفين وجنود وبورجوازية وطنية .
وفي ظل مجتمع هذه سمته - سمة التحول والتحالف - فإنه مجتمع لا يخلو من تناقضات .

وفي ظل مجتمع يتحول اشتراكيا مستندا في ذلك الى مبدأ التخطيط فان تأسيس جامعة اهلية من شأنه احداث خلل في الاخذ بهذا المبدأ . ذلك ان جامعات الدولة القائمة لم تستكمل بعد مقدماتها الضرورية من اجهزة مادية وبشرية ، ولم تستكشف بعد الوسائل الجيدة لاستكمال هذه المقومات . وفي ظل هذه الظروف فان مشروع جامعة اهلية لا يعني الا احد امرين :

اما ان تأتي هذه الجامعة على غرار جامعات الدولة في وضعها الراهن فتضيف ثقلا جديدا ليس له من مبرر سوى ارضاء تطلعات غير مشروعة .

واما ان تأتي متميزة ومتمايزة فتفرى بالدعوة الى نمط آخر من أنماط الحياة الاجتماعية يتنافى مع الضغط الذي تدعو اليه موافيق الثورة الاساسية .

وليس من المعقول ولا من المقبول احتمال الامر الاول فلم يبق الا الامر الثاني ، وهو باق ما بقي التفكير في مشروع الجامعة الاهلية وفي غيره من مشروعات مماثلة .

د . مراد وهبة
استاذ الفلسفة بكلية التربية
جامعة عين شمس

ومعنى ذلك ان التناقضات المشروعة محكومة بالقوى الاشتراكية ، والتناقضات غير المشروعة محكومة بالقوى المعادية للاشتراكية . والقوى الاشتراكية هي القوى الاجتماعية للصاعدة والقوى المعادية للاشتراكية هي القوى الاجتماعية الهابطة .

والقوى الاجتماعية الصاعدة - في مجتمعنا - هي القوى التي تستمد كينيتها الاجتماعية من عملها وليس من أي مصدر سواه .

وتأسيسا على ذلك فان مشروع الجامعة الاهلية يفرز - في المقام الاول - تناقضا غير مشروع . فالجامعة الاهلية هي جامعة القادرين اقتصاديا في حين ان جامعات الدولة هي جامعات القادرين علميا .

ومن ثم فالجامعة الاهلية هي جامعة البورجوازية .

وفي ظل مجتمع لا تتفرد فيه البورجوازية بالهيمنة اذ هي تحيا في احضان قوى اجتماعية أخرى فان الجامعة الاهلية من شأن تأسيسها احداث شرخ في قوى التحالف ، اذ ينقلب معها مبدأ تكافؤ الفرص ، وتتفنى معها الغاية من اقرار مجانية التعليم المنصوص عليها صراحة في الدستور .

■ قضايا واقتراحات أولى أن نتدبرها

تمثل بحق أول مسبار يقي في نمط الاستعمار البريطاني لمصر .

فرغم حداثة الجامعة وقتئذ وجد انها حوريت بشتى الطرق وحتى المبعوثون لانجلترا للحصول على المؤهلات العلمية العالية حوربوا بصراحة منقطعة النظير لانهم سيتولون مناصب كانت وقفا على الانجليز .

انشئت الجامعة الاولى - اى الحكومية - على انقاض الجامعة الاهلية التي انشأها ابناء الشعب بمجهودهم واموالهم وازاد الله ان تنمو وتكبر وصارت تلبي حاجة البلاد الى المزيد من مناهل العلم . فانشئت جامعة الاسكندرية ثم جامعة عين شمس فجامعة اسيوط فجامعة الازهر ولم تقف عند هذا الحد بل اصبح لدينا على طريق الانشاء جامعات أخرى وذلك في طنطا والمنصورة والزقازيق وأسيوان .

ثم اصبحنا نفكر في بعث الجامعة الاهلية من جديد .. لم ينكر حتى الآن أية أسباب منطقية لهذا التفكير ومدى التصحيح الذي مستقبه

تجددت في الايام الاخيرة فكرة انشاء جامعة اهلية في مصر ، وقد كثر البقل والقال في هذا الموضوع واصبح لزاما ان يناقش الموضوع بصراحة تامة حتى يستبين لنا الطريق الصحيح .

ومن المعروف انه قد انبثقت قبل ذلك الجامعة الاهلية في القاهرة وكان ذلك بمجهود المخلصين من أبناء مصر يفرض محاربة الاستعمار الاجنبى الذى وضع نصب عينيه محاربة التعليم فى البلاد من وجوه متعددة . فكانت سياسة المستشار الانجليزى في وزارة المعارف او ما تسميها سياسة دانلوب ، تقوم على حذف المصالح وتمعيم الفساد ولا نزال حتى الآن نعاثى اشد المعاناة من جراء تلك السياسة المفرضة .

وجدية البلاد في مناهضة الاستعمار دفعتها الى انشاء الجامعة الاهلية ورغم انه - واصبح لا مناهى من انشاء الجامعة الحكومية - فقامت جامعة القاهرة تحت اسم جامعة فؤاد الاول وقتئذ . ورغم ما كان يحيط بتلك الجامعة الوليدة من طراوة العود وضغط الاستعمار الا انها كانت

الجامعة الجديدة المزمع انشاؤها رغم وجود أربع جامعات تحت الإنشاء .

ومن المعلوم لنا أن الجامعات القائمة فعلا حتى الآن والجامعات التي لا تزال في طريق الإنشاء قد اتخذت كلها طريقا موحدا للقبول بها ، وهي عملية التنسيق بين الطلاب حسب مجموع الدرجات التي حصلوا عليها في امتحان الثانوية العامة ، وهذا أبسط صورة للحدل المطلق للطلاب ، ولا فضل لاحد إلا بالمجموع . وعلى هذا الأساس وفي دوامات العرض والطلب أعطت عملية التنسيق بين الطلاب أولويات لكليات الجامعة المختلفة ، فثارة نجد كليات الطب لها الأولوية وثارة أخرى نجد كليات الهندسة في المقدمة . . . بل وتستمر دوامات العرض والطلب حتى تشمل التوزيع الجغرافي ، فننقل جامعة القاهرة حق الأولوية لتلبيها عين شمس والحلندرية . الخ .

لذلك كله نتساءل أين ذهب التنافس بين الجامعات ، أو بالأحرى أين وبك التنافس بين الجامعات ، وهو ضرورة لازمة للتقدم العلمي . لماذا لا يكون طالب العلم حرا في أن يختار الأستاذ الذي يحضر عليه دراسة المادة العلمية من بين الجامعات المختلفة ، وهذه هي الطريقة الجامعية الأصلية التي كانت متبعة في الأزهر الشريف وانجبت منهم علماء بحق من بين الأساتذة وريث للمستقبل علماء من بين الطلاب .

لقد طالت مرارا أثناء صلي بجامعة القاهرة على أن يقوم بدل التنسيق للقبول بالجامعات تجهيز الطالب للدراسة التي يختارها وذلك بأن تضم سنة الثانوية العامة إلى السنة المدة لأعدادى الجامعة وتصيب هذه المدة جميعها بمقابلة أعددائى للجامعة وعلى الطالب أن يجاهد في هذه الدراسة حتى يلتحق بالكليّة التي يريدتها ، ولا يقلل الباب في وجهه إلا عند ثبوت فشله . وأمانا المثل . . فالمعكيات الذي فشل مرات ومرات في المهور لم يئس بل وأصل محاولته حتى نجح . . .

ومن ناحية أخرى ، فقد اكتفينا بعملية التنسيق بين الطلبة حسب المجموع وتحت ضغط العرض والطلب ، فاعطينا أولويات للكليات وللتوزيع الجغرافي ونسبتنا إلى نتائج ونسجل نتائج هذا التنسيق حتى نستخلص ما يصلح للأجيال المقبلة . . وغير منظور أن القدرات وقوة الاحتمال تتغير مع الزمن . . والقدرات نفسها تتفاوت مع درجات التضييق . . والنضج يتفاوت حسب الصفات الوراثية . . كما أنها تختلف حسب عوامل الصحة والمرض في طريق الحياة المملوء بالاشسوك والمفاجآت . . وما أصدق قول المتنبي :

وتركضوا خيل الشباب ويادروا

أن تسترد فائون عوارى

فأين الإحصائيات التي تبين مصير الأواشل

والأواخر الذين التحقوا بالجامعات ، فدراسة تلك النتائج تبهد لنا الطريق الصحيح للالتحاق بالجامعات . .

بل وأين سياسة الباب المفتوح بين الجامعات التي منها يستفيد الراغب في تحسين معلوماته . لقد سبق أن طليت من الجامعة فتح الأبواب الموصدة بين الهندسة والعلوم ، فقد يرغب طالب العلوم فيمارس بمشكلاته ويقدم لها حولا علمية ، العكس . وما الهندسة إلا مقلة للعلوم التطبيقية . فلو فتحت الأبواب لوجد عندنا المهندس المتفعل في العلوم فيمارس مشكلاته ، ويقدم لها حولا علمية ، وكذلك يوجد عندنا العالم الذي يمسى دائما لإيجاد تطبيقات علمية وهذا هو عين التكنولوجيا المطلوبة دائما . . وأعرف ذلك من يقين بصفتي خريج هندسة القاهرة وحائز على إجازة العلوم من لندن . ومن هنا أيقنع أنه عند إنشاء جامعة جديدة لابد من مناقشة المواقف القديمة حتى يمكن اقتراح الحلول المناسبة التي تقوم الجامعة الجديدة بتنظيمها ، وبذلك تسير بن حسن إلى أحسن . . لا العكس .

ولا فائدة ترجى من إيجاد شبيه آخر لما عندنا من جامعات ، فتشمل كل المواقف السابقة . . والتي تأخذ بتلابيبه أن عاجلا أو آجلا . . وما الحياة إلا توازن دقيق بين الكثير جدا من العوامل والصفات . . فلا تأخذ بشهادة الزور ، فالظواهر قد تضى وراءها الكثير من الحقائق . . وقد يكون الدواء مر المذاق ولكنه يؤدي إلى الشفاء والمغاية .

هذه كلية وجيزة أسوقها باخلاص فالجامعة الإلمية أمل كبير نود مخلصين إذا قدر له أن يخرج إلى حيز الوجود أن يكون خالصا من كل موقفات الماضي وخالصا من شر روتين الاستعمار ، ولها مجلس إدارة يعمل بحرية وخالصا ويسمى دائما إلى كل ما هو نافع لهذه البلاد ، ويجب لها أن تتول تمويلها مليها يمكنها من أداء رسالتها العلمية وعلى حد قول المثل المسمى « ما تضرش الطبخة عشان بمشرة خردة قليل » . كما يجب ألا يكون الغرض من إنشاء هذه الجامعة . . هو حل مؤقت لقبول بعض من خائهم البط على الحصول على المجموع المناسب . . فتقبل في هذه الجامعة بالمصاريف ثم بعد نجاحه في السنة الأولى يطلب تحويله إلى الجامعات الأخرى ليتبع بالماجستير أو قد ينتهي بهم المطاف إلى التخرج ويزداد عدد الخريجين ، وفيما لذك يزداد عدد المهاجرين إلى البلاد الأخرى كما هو حاصل الآن .

محمد محمود إبراهيم

رئيس قسم متمسة التدوين والتوثيق
كلية الهندسة - جامعة القاهرة سابقا

■ المشروع يجب أن يحكمه التخطيط الشامل للتعليم

العربية المختلفة ، التي يزيد معدلها بسرعة خارقة عما بعد عام . ترى كيف يمكن التوفيق بين إعطاء طلبتنا فرصة التعلم على خبرة القول المصرية المبدعة ، وبين سد حاجات الجامعات العربية التي تتزايد باستمرار ؟

يستغل السياسات التعليمية والتربوية في بلادنا تتمتع وتنضبط ، مالم ينشأ مجلس قومي للتعليم في إطار المجالس القومية المتخصصة التي نص عليها بيان ٣٠ مارس ، والتي لم تجد سبيلها إلى التطبيق .

إن مهمة هذا المجلس الخطيرة تبدو أولاً في تقنين سياسة تربوية عصرية تنهض على أساس فلسفة تربوية تتسق مع التفسير الاجتماعي الواسع المدى الذي يأخذ طريقه في بلادنا ، والسذي - إن لم يستند تماماً إلى المبادئ الاشتراكية المسلم بها - فلن يكون سوى مغامرة اجتماعية غير محسوبة ، قد تستفيد منها فئات وطبقات مستغلة ، ولسكنها بالقطم لن تعود بالخير على جماهير الشعب العاملة .

إن اقتراح الصليحة الأهلية مجرد جزئية صغيرة في بناء ضخم ، ما زال يلفظ الدستور الوجه لاجهاته وتطورات . فليكن هذا الاقتراح فرصة لإعادة النظر بصورة شمولية في نظامنا الجامعي كله ، ولن يضير أبناء الطبقات القادرة الذين عجزوا عن دخول جامعاتنا بجهودهم الذهنية وكفاحهم ، ويريدون أن يظلوا متمسكين بجامعنا بفضل الاموال التي اكتسبوها إن ينتظروا قليلاً ، حتى ضتبين ملاحم الصراع التقليدي بين العمل ورأس المال !!

السيد يسين

رئيس وحدة بحوث السلوك الإجرامي
المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

يشير اقتراح إنشاء جامعة أهلية تساؤلات متعددة تتعلق ببدا تكافؤ الفرص . ونقع في خطأ كبير لو ناقشنا هذا الاقتراح مناقشة منطقية بحتة ، تستند إلى عدة مبادئ، منصوص عليها في الدستور كجانية التعليم أو مبدأ تكافؤ الفرص . ذلك أننا ينبغي أن ننظر إلى التنظيم التعليمي عندنا نظرة شاملة ، تستند إلى التطبيق الفعلي . فبالرغم من مبدأ تكافؤ الفرص ، فإن لدينا مدارس خاصة لا يستطيع أن يلحق أولاده بها إلا من كان من الصفوة القادرة . فإين هذا من مبدأ مجانية التعليم ، ومبدأ تكافؤ الفرص ؟

وخطر من هذا محاولات الالتفاف حول هذه المبادئ عن طريق الدروس الخصوصية التي أصبحت نظماً مستقرة ، أو بعبارة أخرى حولت التعليم المجاني إلى تعليم بصرفات بعيدا عن رقابة القانون والأجهزة التربوية . وأساء من هذا أن الدروس الخصوصية دخلت الجامعة أيضاً ، ولم تعد - بحكم تحولها إلى نظام مستقر - تثير كثيراً من الاستنكار كما كان يحدث في السنين الماضية .

ومن ناحية أخرى ، ينبغي النظر في اقتراح إنشاء الجامعة الأهلية في إطار أعم وأشمل ، هو التخطيط الشامل لإنشاء الجامعات في بلادنا فهل لدينا مثل هذا التخطيط ؟ أم أن جامعاتنا الجديدة الإقليمية تنشأ بطريقة عشوائية تنتشر إلى أي تخطيط سليم ؟ إن كثيراً من جامعات الأقاليم تعتمد على هيئات تدريسية منتدبة تبلى من جامعات أخرى ، فهل يحقق ذلك الغرض من التعليم الجامعي ؟

وإذا نظرنا إلى جامعاتنا العربية نجدها تكاد تلغ من خيرة أساتذتها الذين اجتنبتهم الجامعات

■ الأولى تطوير التعليم العام نحو العصرية

الاجابة على السؤال الأول :

الفرص أمام الطبقات العليا من المجتمع القادرة على دفع نفقات التعليم دون القطاعات المعرصة غير القادرة على دفع هذه النفقات .
ب - كما وأن المشروع يخالف نص الدستور

1 : مشروع الجامعة الأهلية يتعارض صراحة مع مبدأ تكافؤ الفرص ، إذ يتيح بداية مزيداً من

تماني نقصاً هائلاً في إمكانياتها العلمية من معامل ومكتبات .. الخ .

ج : يرتبط بهذه النقطة مسألة أخرى وهي طموحنا إلى الطفرة بالتعليم الجامعي طرفة تجعله عصرياً ، وهذا أمر يحتاج إلى مزيد من الدعم المادي الذي يستوعب كافة الإمكانيات المتاحة .

الإجابة على السؤال الثالث :

أ : لا شك أن زيادة عدد الخريجين يفرض على الدولة مزيداً من الالتزامات نحو تشغيل الخريجين ولا فستكون بمثابة لا ممسالة كان من الممكن استثمارها في التعليم الفني بالذات .

ب : إذا كان على الدولة تقديم الإعانات للجامعة الأهلية - وهي لا شك محتاج إلى مساعدة الدولة - فالأولى تقديم هذه الإعانات كما سبق القول نحو دعم الجامعات والتوسع في إنشاء الجامعات الإقليمية وتطوير التعليم بشكل عام نحو المصرية .

د . محمود اسماعيل
مدرس التاريخ بكلية الآداب
جامعة عين شمس

فيها يتعلق بمجانية التعليم في دولة اشتراكية نلتزم في كافة مواثيقها بأن تتولى أعباء التعليم .

ج - مشروع إنشاء الجامعة الأهلية يخلق مشكلة جوهرية خاصة بوحدة التعليم في مناهجه بالذات ، وبصفة خاصة في الدراسات الإنسانية التي يجب أن توجه لخدمة الأهداف العلمية للدولة ، ويتبقى أن هذه المناهج في الجامعة الأهلية مستخدم للتيار البورجوازي انطلاقاً من أن ميذا إنشاء جامعة أهلية سيسلنصر بالضرورة على إنبشاء البورجوازية .

الإجابة على السؤال الثاني :

أ : إنشاء الجامعة الأهلية يتطلب توفر جهاز كامل من أعضاء هيئة التدريس في وقت مداني فيه من قلة الاساتذة في جامعاتنا من ناحية ، ومع سياستنا في الانفتاح على الدول العربية والأفريقية من ناحية أخرى في مد جامعاتها بالاساتذة المصريين وهو جزء من رسالة حضارية تضطلع بها بصر إزاء جاراتها .

ب : من المفيد أن يوجه راس المال اللازم لإنشاء الجامعة الأهلية في دعم الجامعات المحلية والتوسع في استكمال الجامعات الإقليمية التي

هل نتنازل عن مبدأ تخطيط التعليم ؟

ينخفض عننا بدرجة كبيرة ليصبح (١ : ٤٠ ، ١ : ٥٠ وإحباطاً ١ : ١٠٠) وغضلاً عن ذلك فإنه لدى مصر بالذات التزامات عديدة تجاه البلاد العربية الأخرى التي تسبق العدد الأكبر من أساقفتها من جامعاتنا ، وعلى سبيل المثال : فضينا قررت المغرب تريب التعليم الجامعي بها وطلبت مساعدتها في ذلك ، لم يكن بإمكاننا مفر من الموافقة على تزويدهما بما تحتاجه من أساتذة كالتزام قومي لا بد من الوفاء به . وفي هذا العام تقرر أن يضاف إلى الاساتذة الطلبيين إلى المغرب استثناء من كل قواعد الإعارة . ولو أنه كانت هناك سياسة واسعة النطاق لإيفاد البعثات في كل التخصصات الجامعية لهان الأمر . ولكن الواقع أن البعثات القليلة التي توجد حالياً تكفي بصعوبة لمنع التدهور في هذه المجالات المختلفة أصلاً ، ولا تسبح بأي تحسين أو توسع في المستقبل . وطبعاً لا يمكن الادعاء بإمكانية الاستعانة بمختصين من خارج الجامعات . فلو كان هناك من يمكن الأطمئنان إلى قدرتهم في هذا المجال ، لبادرت الجامعات القائمة فعلاً إلى استناد هذه المهمة لهم ،

من الأفضل في تقديري أن نؤجل إجابة السؤال الأول إلى نهاية الحديث ، وأن نبدأ بمناقشة مدى توافر الإمكانيات اللازمة لنجاح مشروع الجامعة الأهلية والأعباء التي سوف يفرضها المشروع على الدولة ، وهنا سنجد أنفسنا أمام أحد احتمالين غلبا ألا يكون هناك إمكانيات مادية مناسبة وفي هذه الحالة لن يفرج الأمر عن أن يكون إضافة مشروع جديد فاضل إلى الجامعات القائمة عملاً والتي ليست على المستوى الذي يرضى عنه الجميع ، وأما أن يتم الاعتماد إلى طريقة أو عدة طرق توفر بها إمكانيات مادية تكفي لنجاح المشروع ونعتقد لابد أن نطرح السؤال .. ولماذا إذن لا نستخدم هذه الإمكانيات في دعم الجامعات الحالية ؟

ففيما يتعلق بالأساتذة مثلاً نلاحظ أن هناك أزمة واضحة في عدد الاساتذة ونسبتهم إلى الطلاب وهي نسبة تقل كثيراً عن المعدلات المالية المتعارف بها . فحينما يعتبر المعدل العالي المعقول يسر أعضاء هيئة التدريس والطلبة (١ : ١٢) فإنه

تسابقاً - لاعتبارات كثيرة - إلا أن المبدأ في ذاته مبدأ سليم ، ومن الواجب أن نحاول اصلاح عيوب تنفيذه قدر الامكان لا أن نتنازل عنه كلية . ومن المؤكد أن انشاء جامعة أهلية من هذا النوع معناه أننا نقاﺯلنا كلية عن مبدأ تخطيط التعليم الذي كنا نتمسك به حتى عهد قريب .

وإذا اكتفينا بهذا الفصل ، وعدنا الى السؤال الموجل فلتنقضي الحقيقة ليست بحاجة الى الإشارة الى أن المبدأ الذي ترتكز عليه هذه الجامعة الاهلية هو مبدأ : « عدم تكافؤ الفرص » ففى جامعة سوف نفتح أسسها للقادرين ماليا بحيث أن أقرانهم الذين حصلوا على نفس المجموع أو على مجموع أفضل منه قليلا فى الثانوية العامة سيظلون مبعدين عن التعليم الجامعى ان لم يكن أهلهم قادرين على دفع مصروفات الجامعة الجديدة ، وهذا امر يتعارض أيضا مع مساواة التعليم التي هى أحد المكتسيات التي وصلنا اليها بعد كفاح طويل . ولذلك غفلت أشك لحظة واحدة فى أن فكرة الجامعة الاهلية هى من هذه الزاوية ردة الى فلسفة فى التعليم كنا قد تجاوزناها . واعتقدنا أننا لن نمود اليها مطلقا . ومن الأمور التي يجب أن ننقذه اليها ، أن هذا المشروع لو نجح فسوف يشكك الناس جميعا ، بل والمجتمع بأسره فى قيمة مبدأ اشراف الدولة على التعليم ، وسوف يحدث اتجاهها قويا نحو ترك التعليم فى ايدي هيئات خاصة ، على غرار ما هو سائد فى مجتمع مقايير لنا تهايا كالولايات المتحدة الامريكية مثلا . أبا إذا فشل فسوف ندرك عندئذ - ويعد الشقة - أنه لم يكن هناك داع للبدء فيه اصلا . خلاصة القول ان هذا المشروع سيكون مشروعا ضارا سواء نجح أو فشل .

د . هادي كركيا
(مستاد الفلسفة بكلية الاداب)
جامعة عين شمس

ولكن الذى يحدث فى الواقع هو ان الدراسة تتمطلن فى اقسام جامعية كثيرة دون أن يكون فى الامكان الاستعانة بأحد من خارج الجامعة . وليس ذلك طعنا فى هؤلاء ولكن كل ما فى الامر أن أغلبهم لم يعد الاعداد المناسبة لمهمة التدريس الجامعى .

ومن ناحية راس المال فإن الامر لا يختلف كثيرا . فمن المعروف أن الجامعات الموجودة تعاني نقسا فى البنىات والانشاءات الاساسية كما أن الاجهزة والمعامل تنتمى عادة الى عصر متخلف تماما عن العصر الذى نعيش فيه . لذلك فمن غير المقصور أن تحدث معجزة تجعل من الممكن اعداد الجامعة الاهلية اعدادا عصرية فى الوقت الذى نعجز فيه عن استكمال الضروريات التي طالما يحت أصوات الجامعيين بالمطالبة بها منذ سنوات طويلة . كذلك لابد أن نفيه فى هذا الصدد الى الترقب الذى تطرح فيه هذه الفكرة ، فالجامعة الاهلية تقترح علينا بينما نعانى أزمة مالية ناتجة عن التزاماتنا الخاصة بالمعركة والمساومة التكاليف ، وفى الوقت الذى نؤجل فيه كثيرا من المطالبات والاحتياجات والمشروعات الحيوية للتراما من الدولة بأسبقية مطالب المعركة لا يمكن تصور أن يوجه جزء من ميزانيتها الى مشروع من هذا النوع . وتقديرى أنه لا يمكن الاحتجاج هنا بالكلية الاعتماد على التمويل الخاص ، فهذا النوع من التمويل لا يكفى إلا جزءا ضئيلا للغاية من تكاليف بناء جامعة عصرية حقا .

ومن زاوية زيادة اعداد الخريجين الذين تلزم الدولة بتعيينهم بغنائى أرجو فقط ، أن نتذكر ، أن الجامعات المصرية حاولت منذ عدة سنوات أن تخطط عدد المتخرجين بها ليتناسب مع ما يتوقع أن تحتاجه البلاد من القوى العاملة بتخصصاتها المختلفة ، وعلى الرغم من أن هذه المحاولة لم تنجح

من الذى سيلتحق بالجامعة الاهلية ؟

قرار بضرورة انشاء الجامعة الاهلية ولم تكن هناك إشارة واحدة الى أنه لحل - أكل التعليم الجامعى ، يرى المجتمعون انشاء جامعة أهلية .

مضى تأثير النقاش حول هذا الموضوع ؟ ومتى كان موضوع انشاء الجامعة الاهلية مطلبيا لجامعيريا ؟ لقد قاقتنا هذه المفاجأة بالطبع الى الاعتقاد بأنه ليس من الضرورى أبدا أن تكون هناك

أقرر من البداية أن ما ساكنه لا يخرج عن كونه انطبعا وخاطرا لمواطن عادى لم يتناول المسألة بالبحث الدقيق الدعم بالأحصائيات مما يدخل فى نطاق عمل الخبراء المتخصصين
لقد فوجئت مثلا بما كتبه البعض أنه قد تحقق أخيرا ، ما طالروا به منذ سنوات ، ولقد كانت علة المفاجأة أنني أتتبع المناقشات والقرارات الخاصة بالتعليم بجميع مراحلها فلم أسمع عن توصية أو

الوافدين وأضلوا إليهم أصحابهم الجامعيين الضعيفة الكسالى من أبناء نوى الدخول الطفيلية وإبناء طباقا طبقة الاقطاعيين وإبناء طبقة كبار موظفي الدولة فأى انطباع وأى تقدير موفجمله معه الى بلده عن مصر ومكانة الجامعة التي درس بها . يغفر بعض قادة الدول العربية أنهم تلقوا تعليمهم الجامعي في مصر وأنه كان طالبا بجامعة القاهرة أو الأزهر الشريف واعتقد أنه إذا أرغمنا كل الوافدين على الدراسة في الجامعة الاهلية المقترحة فلن يفخر أحد منهم بذلك أبدا بل سوف يملأ قلوبهم الأسى لانهم حرموا من شرف الدراسة بأحدى جامعتنا الكبرى ، الى جانب ذلك سوف تحرم الأمة العربية من عناصر ممتازة كان التفوق هو طريقهم الوحيد الى جامعتنا .

إن مكانة الجامعة وعراقتها لا تتحقق في يوم وليلة وإنما تبلغ هذه المكانة وتحوز أعلى الدرجات بكفاح الماملين بها وتراكم امكانياتها سنة بعد أخرى ، فلا غربة إن يكون القياس بمراقبة الجامعة وأصلاتها ما مضى عليها من السنين ، وبالنسبة الى فان الجامعة الاهلية المقترحة سوف تبقى شيئا لا يذكر لسنين طويلة فهل نرضى الوافدين على الدراسة بها بمجرد انشائها أم نؤجل ذلك الى حين ؟ زما العمل اذا رفضوا الالتحاق بها وفضلوا عليها جامعات أوروبا وأمريكا جادام الامر سواء ؟

أما بالنسبة لهذه الفئة الغير قادرة عمليا على مواصلة الدراسة بالجامعة غير الخاضعة ان انشاء الجامعة الاهلية سوف يعطى الدولة الحق في منسحب من يرغب منهم في الدراسة بالخارج ، ان هذا الرأي يحتاج الى بعض التحيص ، ففسر هؤلاء الطلبة للخارج للدراسة بثبت لهم بطريقة قاطعة أنهم غير قادرين على مواصلة التعليم الجامعي ، فمسة سبعة جدا هي التي تمكنت من انتهاء دراستها بعد مرات غير قليلة من الرسوب . أما الأغلبية فمسادوا بجزون أدبال الخيبة فهل ل هؤلاء ننشره جامعة أهلية أم كتابا أهليا ؟ ومع ذلك فالجامعة الاهلية اذا أنشئت سوف تلفظ الى المجتمع كل عام بأعداد منهم يتميزون بضعف المستوى العلمي والرغبة الخفيفة على الطوف فوق سطح المجتمع بآثاري مكانتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية المتعددة الاطراف مما ينتج عن ذلك تراكهم عند القمة بدلا من أن تصل اليها أحسن العناصر وأبرزها ولا يخفى على أحد ضرر ذلك على تنمية بناء المجتمع الأثري . اننى كما قلت في البداية أن هذه النطاب عاتبي كمواطن إزاء هذا الموضوع ، ولا اعتقد أن انسانا أميناً صادقاً مع نفسه ، يحبا ومخلصاً لوطنه يحس بفقل المسؤولة نحوه لا يشاطرني إياها .

د . محمد عبد الحامى عرفة
باحث بالركن النوبى للبحوث

حاجة جماهيرية ماسة كأساس لاتخاذ قرار ما بشأن مسألة ما ، بل العكس هو الصحيح ، فإذا كانت هناك حاجة ماسة لحل مشكلة تعاني منها القاعدة الجماهيرية ، أوصت القيادة السياسية بتشكيل اللجان لدراستها ، واتخاذ القرارات اللازمة ، ثم يبحث ما نعرفه جميعا وما ينتهى دائما ببقاء المشكلة كما هي بدون حل .

لقد عقدت المفاجأة السننتا ، وأشدت بنسا الحيرة فلقد رسخ في ضمائرنا منذ مسنوات عديدة ، أن الالتحاق بالجامعة له قدسيته وحرمة وأن الشهادة الجامعية لا تشتري وإنما ينالها الإكفا بغض النظر عن عرقه أو نسبه أو قدرته المالية . لقد كان هذا انتصارا ونجاحا حققته ثورة ٢٣ يوليو الجيدة فلم التكون عن هذا أبدا ؟ والى أين يقودنا مثل هذا الاتجاه ؟

لو سألنا أنفسنا ما هي الجامعة الاهلية ، لوجدنا أنها شيء يختلف عما تزعم الحكومة عمله ومن الأجبر بنا أن ننسى ما تقترحه الحكومة ، بصلمة حكومية بمصاريف . انه واضح جدا ان الحكومة لا تستطيع أن تسمح لافراد بأن يفتحوا جامعة أهلية على أن تخضع الدراسة فيها والامتحانات لاراف الجهات المختصة بوزارة التعليم العالي كما هو المتبع بين المدارس الخاصة بجمعيع مراحلها ووزارة التربية والتعليم لاختلاف طبيعة التعليم الجامعي عن التعليم في المراحل الأدنى ، ولهذا فلقد أخذت على عاتقها تنفيذ المشروع . أفن هي جامعة حكومية بمصاريف فهل انتفت الحكومة من انشاء جامعاتها الأخرى ودعيتها بأعضاء هيئة التدريس والمعامل والإجهزة وقاعات المحاضرات مما يمكنها من القيام بعملها ؟

لن نتعزم الحكومة انشاء هذه الجامعة التي سوف يتحمل الشعب في نهاية المطاف جمل تكاليفها ؟ الوافدين أم لفئة من الطلبة الغير قادرة عمليا على مواصلة الدراسة الجامعية ؟ أن أغلب الوافدين لا ولن يرفعهم أبدا أن يدرسوا في جامعة عرف عنها أنها لا تقبل الا هؤلاء الذين لم يجدوا لهم مكانا في جامعات الحكومة المصرية . كيف سيكون تقدير الوافد لستوى شهادته التي سوف يحصل عليها من هذه الجامعة الاهلية ؟ وكيف سيواجه أقرانه عندما يعود الى بلده وقد حصلوا على شهادتهم من أعرق جامعات أوروبا ؟

إن مكانة الجامعة التي يدرس بها الوافد شيء أساسي له سواء في سنوات الدراسة ، أو بعد حصوله على الشهادة وممارسته لحجابه العملية في بلده . أن اختلاطه بالعناصر الممتازة في البلد التي يدرس بها أو مجود الدراسة والتواجد معهم والتعرف عليهم يملأ قلبه بالإحترام والتقدير للبلد وللجامعة التي يدرس بها ، أما اذا جمعنا هؤلاء

■ مبدأ تكافؤ الفرص يحقق المنفعة للأفراد والوطن

الإجابة على السؤال الأول :

١ - مبدأ تكافؤ الفرص :

أعتقد أن النظام المصري الحالي للقبول بالجامعات يعطي مبدأ تكافؤ الفرص مدحاً محدوداً بشأن المشكلة موضوع البحث وهو أن أولئك الحاصلين على درجات متساوية لا بد وأن تتوفر لهم نفس الفرص بالنسبة للمستقبل التعليمي بعد مرحلة الثانوية العامة .. والجامعة الأهلية ، أي جامعة الحروفات ، تعني أن أولئك الذين لم يقبلوا بالجامعات الدولة مسبقاً ينقسمون إلى فئتين : فئة قادرة على مواصلة التعليم الجامعي لأنها تملك المقدرة المادية لدخول الجامعة الأهلية ، والأخرى غير قادرة على ذلك ، بل أن الجوابين في جامعات الدولة نفسها سوف يتفككون من تصنيفهم في السلم التعليمي لترتيب الكليات والمعاهد يقتتل من يملك القدرة المادية إلى كلية في الجامعة الأهلية لم يكن مجموعهم ليؤهلها في جامعات الدولة ، والآخران يتحلان أخلاقاً صريحاً مبدأ تكافؤ الفرص . والظفورة هنا ليست واقعة على المصالح الفردية فحسب بل على المصلحة الوطنية أيضاً ، مبدأ تكافؤ الفرص يحقق فائدة خاصة للأفراد - بالإضافة - وعسيلة للوطن بالكفاءة .

ب - مجانية التعليم التي ينص الدستور صراحة عليها :

أعتقد أنه لا يمكن النظر إلى مبدأ مجانية التعليم في ذاته ، فمثل هذه النظرة قد تثير جدلاً

من ناحية أخرى . فإذا أضفنا إلى هذا العجز الحالي الذي واجهه الجامعات المصرية في عديد من كلياتها في أعضاء هيئات التدريس لوصولنا إلى أن الجامعة الأهلية لن تؤدي إلا إلى الضغط على الأساتذة الحاليين في جامعات الدولة بما يؤثر على أدائهم العلمي في المآلئين .

ب - رأس المال اللازم للإنشاء

ج - التمويل اللازم لاعادتها أعداداً عصرية

المحظور الوحيد في الحاليين هو أسهام الدولة سواء في رأس المال اللازم للإنشاء ، أو التمويل اللازم لاعادتها عصرية لأن أي أسهام من هذا النوع سوف يكون من الأولى به أن يتجه لتدعيم جامعات الدولة نفسها التي تحتاج كثيراً من التدعيم .

الإجابة على السؤال الثالث :

١ - زيادة عدد الخريجين الذين تلزم الدولة بتعيينهم .

ب - مطالبة الدولة بتوفير احتياجات الجامعة الأهلية واعانتها .

١ - زيادة عدد الخريجين الذين تلزم الدولة بتعيينهم .

بفرض إنشاء جامعة أهلية أعتقد أنه من المستحيل الحديث من التزام للدولة بتعيين خريجها

ب - مطالبة الدولة بتوفير احتياجات الدولة واعانتها :

نفس اجابة ب ، ج من السؤال الثاني

أحمد يوسف أحمد
معيد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

ج - وحدة التعليم :

إذا كان المقصود بوحدة التعليم هو تلك الوحدة في المناهج والقرارات بغرض الحفاظ على مستوىها ، فمن الناحية النظرية لا يوجد ما يمنع الحفاظ على هذه الوحدة بنوع من الإشراف الطلي لجامعات الدولة ، مع الأخذ في الاعتبار مسألة « ملكي » الجامعة ، وإذا كان الفرض الثاني هو على الحفاظ على « الاتجاه » في حالة الدراسات الإنسانية بالذات فمن الوهم أن نتصور أن هذه الوحدة متحققة في ظل جامعات الدولة . وهذه قضية أخرى .

الإجابة على السؤال الثاني :

١ - توفر الاساتذة اللازمين :

في المدى القصير ولادة ١٥ سنة على الأقل سوف تعتمد الجامعة الأهلية على أعضاء هيئات التدريس الموجودين فعلاً في جامعات الدولة ، فمصر دولة مصدرة لاستاذة الجامعات للبلاد العربية مما يعني فكرة الاستعانة باستاذة مرب مثلاً ، كما أن فكرة الاستعانة باستاذة اجناب لسن تطرح في تصويري نظراً لتكلفتها [والجامعة الأهلية مشروع خاص] ونظراً للمستوى المتوقع لطلابها

الجامعة الخاصة «الأهلية»

ومبدأ تكافؤ الفرص

الشديد على التعليم العالي وهو الضغط الذي ضاعف مما تعانيه الجامعات والكليات الاقلية من نقص في هيئات التدريس والمعامل والمكتبات .

ومن الواضح أن هذا الاندحام لا ينظر اليه الا من زاوية أنه يحرم محدودى القدرات العلمية من دخول الكليات التي يرغبونها ، لأنه لا يمكن أن يكون علاج هذا النقص الشديد في هيئات التدريس والمعامل والمكتبات هو انشاء جامعة خاصة ذات مصروفات يحتاج الى هيئة تدريس كاملة ومعدات كليه يشترطها اصحاب القدرات المالية واصحاب الاسواق المسموعة .

واذا كانت الوزارة قادرة على توفير هيئات التدريس لجامع جديدة فلماذا لا تستكمل النقص الشديد الذي تشكل منه الجامعات في هيئة التدريس ، أم أن حصول الوزارة على هيئة تدريس للجامعة الخاصة ذات المصروفات سهل ويسير ، بينما الحصول عليها للجامعة الحكومية المجانية صعب وعسير .

ثانياً : منع تلك الاعداد من الطلاب المصريين من نوى الكفاءة والقدرات العلمية المحدودة من التسرب الى الخارج بحثاً عن التعليم الجامعى فى الجامعات الاجنبية بصورة غير مشروعة .

وهذه الحجة ايضاً غير مقبولة ، لأن تلك الاعداد من الطلبة التى لم تجد لها مكاناً فى الجامعات المصرية لنقله مجموع درجاتهم ، ليس من المستصاح أن تؤسس لهم جامعة خاصة لجرد أنهم قادرون على دفع المصروفات ، بينما يتجه زملائهم الذين حصلوا على نفس المجموع والذين ليس لديهم القدرة على دفع المصروفات الى أنواع أخرى من التعليم ، ويتوقف عليهم عند مرحلة الثانوية العامة .

ثالثاً : أن مصر بحكم التزامها الايبى والعلمى تجاه الدول العربية والافريقية تجد نفسها مطالبة بتوفير فرص التعليم الجامعى للوافدين من أبناء

فكرة الجامعة الخاصة تخطو خطوات جادة . هو الخروج الى حيز التنفيذ بصور هذا المشروع الذى اعقبه وزارة التعليم العالي

بدأت

وقررت عرضه على مجلس الوزراء . ويمتيز هذا المشروع خطوة خطيرة في سياسة التعليم العالي في مصر ، لأنه لأول مرة بعد أن تحققت مجانية التعليم العالي ، ووضعت أول لجنة في بناء مبدأ تكافؤ الفرص في مجال هذا التعليم ، تقوم الوزارة بمحاولة صالحة لفتح ابواب التعليم العالي امام القادرين على دفع المصروفات ، بعض النظر عن مستواهم العلمى واستعداداتهم وقدراتهم .

ومع ان تم تحقيق مجايه التعليم العالي ، لم تتوفر محاولات فتح ابواب ذلك التعليم لاصحاب الدرجات المالية ، واحتلت هذه المحاولات تيزز كلما سمحت بها الفرصة مبررة عن مصالح تلك الفئات التى تعودت ان تحصل على كل الامتيازات لانها تملك القدرة المالية .

وكانت تلك المحاولات قد حققت بعض النجاح باتشاء المعاهد العاليه الخاصة ، وبذلك فتحت ثغرات لمرور الطلبة الذين لا يملكون القدرة العلمية ولكنهم يملكون القدرة المالية ، بعد ان تحقق لهم فتح ابواب التعليم الثانوى العام فى المدارس الخاصة ذات المصروفات . ولكن المشروع الاخير هو محاولة لفتح ابواب التعليم العالي على مصراحيه امام كل من استطاع ان يدفع مصروفاته .

والذين يرون أن انشاء الجامعة الخاصة ذات المصروفات قد أصبح ضرورة لا يمكن التهاطل فى تحقيقها قد قدموا بعض الدوافع لذلك منها :

أولاً : أن الجامعات والمعاهد العاليه قد ازدهمت ازدهاماً شديداً بالطلاب ، وقد عجزت المحاول التى قدمتها الوزارة ، ومن بينها الكليات والجامعات الاقلية ، من التقليل من هذا الضغط

هذه الدول حتى لا يتجهوا الى البحث عن فرصة .
التعليم الجامعى خارج مصر ، وبأى مقابل مادى .

وقد قايت مصر بولجيبها وأوقت بالترامانها
الادبية والعلمية ازاء الدول الصديقة وفحت
أبراب جامعاتها ومعاهدها امام أبناء هذه الدول ،
فى حدود الاتفاقيات وفى حدود التخطيط الذى
وضعتة الدولة . ومن الممكن أن تستمر مصر فى
أداء واجبها وأن توسع من نطاق خدماتها لهذه
الدول دون أن تكون هناك جامعة خاصة ذات
مصرفات تقدم التعليم للمصريين القادرين على
دفع المصروفات .

ان انشاء الجامعة الاهلية يجب أن ينظر اليه
على ضوء الاعتبارات الآتية :

1 - انه يهدم مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم
العالى :

ان أول أهداف الاشتراكية فى مجال التعليم هو
ان تكفل الدولة التعليم لجميع أبنائها القادرين عليه
بصرف النظر عن القدرة المالية أو الوضع
الاقتصادى ، وأول خطوة فى هذا الطريق هى تحقيق
مجانبة التعليم بحيث لا يقف العجز المالى حاجقا
أمام الكفاءات من أبناء الشعب عن الوصول الى
أعلى مستويات التعليم . وانشاء الجامعة الخاصة
يعنى التمييز بين الطلبة القادرين ماليا وغير
القادرين . لانه إذا كان حصل طلبة على نفس
المجموع فى امتحان الثانوية العامة فإن من يملك
قدرة مالية أكبر يستطيع أن يدرس الطب بينما
يتعين على من لا يملك هذه القدرة أن يقف عند هذا
الحد من التعليم . بل أن الطلبة الأكثر كفاءة علمية
قد لا يستطيعون الالتحاق بالكلية التى يرغبونها
بينما يكون لدى الأقل كفاءة فرصة أكبر للاختيار ،
إذا كانوا قادرين على دفع المصروفات .

ولا يجد المخاوف بإنشاء الجامعة الخاصة ذات
المصرفات ردا على تناقض مبدأ تكافؤ الفرص
وديمقراطية التعليم مع انشاء تلك الجامعة سوى
أن الدولة سمحت ووافقت على انشاء المدارس
الخاصة ذات المصروفات فى كافة مراحل التعليم
الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل وفى للتعليم
العالى لم تناقض الدولة مبدأ وجود تعليم عال
خاص ممثلا فى عدد من المعاهد العليا الخاصة
ذات المصروفات المدرسية .

وإنصار هذه الجامعة الخاصة لا يقولون أن ذلك
لا ينافر مع مبدأ تكافؤ الفرص ، ولكنهم يستندون
الى وجود ثغرات كثيرة فى تكافؤ الفرص فى مجال
التعليم ويطلبون توسيع هذه الثغرات حتى تتحول

ديمقراطية التعليم فى مصر الى مجرد عبارة لا
يستندوا الواقع . فإذا كانت الدولة لم تستطيع أن
تسد هذه الثغرات ، واضطرت فى بعض الفترات ،
وتحت صموات اجتماعية مختلفة ، الى السماح
بوجود هذا القطاع الكبير من التعليم الخاص ، فإن
التصحيح لهذا انحراف من هذا القطاع بأسرع ما يمكن
بدلا من المطالبة بتدعيمه .

ان برنامج العمل الوطنى يقرر أسفا أن هناك
بعض الاوضاع - من بينها اعتماد الطلاب على
الدروس الخصوصية - قد جعلت التعليم مرتبطا
بالقدرة المالية للأبناء ، وأن ذلك يعد كثيرا من
الفرص أمام أبناء العمال والفلاحين . ولأنه أن
انشاء تلك الجامعة سيجعل التعليم أكثر ارتباطا
بالقدرة المالية ، وإذا كانت هذه الاوضاع التى
أشار اليها برنامج العمل الوطنى تحتاج الى وقت
طويل والمجهودات كبيرة لمعالجتها ، فإن الواجب
يقتضى ألا نضيف الى هذه الاوضاع وضعاً جديدا
يضاعف من تأثيره ثم نمهد لنهت عن حلول لها .

ولجأ البعض الى محاولة الإيهام بأن هذه
الجامعة الخاصة سوف تتيح المزيد من الفرص
أمام أبناء غير القادرين ماليا ، لأنها بامتصاصها
أعدادا كبيرة من الطلاب سوف تتيح ، لطلاب
غيرهم فرصة الالتحاق بالجامعات الرسمية ، حين
تترك لهم مكانا خاليا فى الجامعات الرسمية .

وهذه الحجة هى نفس الحجة التى رددتها
الفئات صاحبة الامتيازات عام ١٩٥٤ عندما طالبت
بتخصيص بعض المدارس الرسمية لابنائها على أن
تفرض عليها مصروفات مقابل الخدمة التعليمية .
بل أن وزير التربية والتعليم حينذاك استخدم نفس
الكلمات فى توضيحه لأهداف انشاء هذه المدارس
الرسمية الخاصة مؤكدا أن بإنشاء هذه المدارس
سيجعل الدولة تحصل على مصروفات تساعدنا فى
بناء المدارس لأبناء الشعب . كما أن التناقص أمام
القادرين ماليا بهذه المدارس سيتروك لابناء الشعب
لأنهم فى هذه المدارس . وكانت النتيجة أن
خصصت أحسن المدارس وأرقى الامكانيات وزودت
بأكثر المعلمين بولم يدفع الطلبة سوى مبالغ ضئيلة
لا توازى عشر ما تتكلفه الدولة من أجل تعليمهم .
وفى نفس الوقت حرم أبناء الشعب من هذه
المدارس التى هى حقهم الطبيعي لأن جميع المدارس
والامكانيات يجب أن تكون لأبناء الشعب .

وأصحاب فكرة الجامعة الخاصة يتناسون أن
كل جامعة أو معهد تستطيع الدولة أو المؤسسات
أن تنشئه أمّا هو من حق أبناء الشعب ، ويقلون به
حسب قدراتهم العلمية ،

ب - قضية التمويل :

لا يتخبر مدرسة صناعية خاصة ذات مصروفات ، لأن هذه المدارس تكاليفها كبيرة جدا ولا تحقق عائدًا مرميا مجزيا . ومن ثم فقد اتجه أصحاب عوون الاموال الذين يرغبون في استغلال اموالهم في مجال التعليم الى التعليم الثانوي العام الذي لا يحتاج الى تكاليف بيتما ، يحقق أرباحا عالية ومرتبة .

وأغلب الظن أن المتحمسين لفكرة الجامعة الخاصة سيلجأون الى ما لنا اليه أصحاب فكرة انشاء مؤسسة للمدارس الخاصة وهي التي عرفت باسم المعاهد القومية للتربية والتعليم . فقد كون عدد من الإئتراء عام ١٩٥٧ شركة مساهمة تدعى « المعاهد القومية للتربية والتعليم » دفع أربعة من المساهمين أربع مائة جنيه ، ودفعت نقابة المهن التعليمية ، وصندوق ادخار معلمى المدارس الابتدائية وهيئة التحرير باقى رأس المال وقدره ٢٠٠ ألف جنيه . وأعطت الدولة لهذه المؤسسة

مجموعة المدارس الانجليزية والفرنسية التى استولت عليها الدولة بسد عنوان ١٩٥٦ ، كما أعطتها مجموعة من المدارس حديثة البناء المجهزة أحدث تجهيز لتخصيصها للفئات الغائرة على نفع المصروفات ، وزيوتها بأحسن وأكلا المدرسين ، ودفعت لها الدولة حوالي مليونين من الجنيهات على شكل اعانتات .

وفي عام ١٩٦٨ . عندما تحولت هذه الشركة الى جمعية تعاونية ، تساهم فيها وزارة للتربية والتعليم ونقابة المعلمين والمؤسسين الاقصاد ، وتولت المعاهد القومية (عمليا) الى مؤسسة حكومية تقدم تعليم للخاصة القادرين على دفع جزء ضئيل من نفقات تعليمهم . الامر الذى حدا بمجلس الدولة الى أن يفتى بأن الوزارة قد وقعت فى مخالفة دستورية عندما قدمت مهنات مالية لمدارس تتلقى مصروفات ، في حين أن التعليم مجاني ينص الدستور . . وصلياً أصحاب مشروع الجامعة الى الدولة لتعطيهم الأرض والاعانات والى المؤسسات الحكومية والقطاع العام لاقامة هذه المؤسسة الخاصة بأموال الشعب .

٢ - أن تقوم الحكومة بإنشاء هذه الجامعة على نفقتها نظرا لأن وزارة التعليم العالى هي التي تتبنى المشروع ، وفي ذلك بعد وضع المبررات القومية التي تقضى بأن توفر مصر التعليم لإنشاء الدول العربية مقابل مصروفات وما يحققه ذلك من زيادة رصيد البلاد من العملة الصعبة ، وبعد وضع المبررات الإنسانية لاتخاذ ابتلائها الذين لم يحصلوا على مجوع الدرجات المناسب من الضياع وسط مجتمعات شريفة عنهم يهين الخ .

ان انشاء جامعة جديدة بمبانيها ومبدااتها ومبانيها يتكلف عشرات الملايين من الجنيهات . ولذلك فإن أول ما يفكر فيه أصحاب فكرة الجامعة الخاصة هي طريقة الحصول على الاموال اللازمة لانشائها ، ثم الحصول على الاموال اللازمة لتغطية نفقاتها ، اذ من المعروف أن التعليم العالى نفقاته كبيرة جدا ، والمصروفات التي يدفعها الطالب عادة لا توازى سوى نسبة ضئيلة من تكاليف تعليمه . وعلى سبيل المثال فإن المصروفات المدرسية التي يدفعها طلبة الجامعة الامريكية بالقاهرة رغم ارتفاعها ، لا تتل سوى ١١ فى المائة من مجموع ما تنفقه الجامعة . ولذلك فإن هذه الجامعة لا يمكن أن تعتمد على هذه المصروفات المدرسية ، ولكنها تعتمد فى تسديد ٨٩ فى المائة من نفقاتها على الهبات التي تقدمها الحكومة الامريكية والشخصيات والمؤسسات والشركات الامريكية .

فاذا كانت الجامعة الخاصة ستحاول أن تقدم ثوبا من الخدمة قريبا من هذا المستوى الذى تقدمه الجامعة الامريكية ، فإن تعليم الطلاب لن يتكلف أقل من خمسمائة جنيه ، وهؤلاء الطلاب لا يمكن أن يدفعوا مثل هذه المبالغ .

ولذلك فهناك عدة اقتراحات للتمويل أهمها :

١ - افتتاح ائكتاب شمسى عام تسهم فيه الهيئات الشعبية والمؤسسات المختلفة . وهذا الاقتراح غير عملى لانه لا يمكن لثل هذا ائكتاب أن يجمع نفقات انشاء جامعة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الهيئات الشعبية لا تتخصص لجمع هذه المبالغ لتعليم طلبة ضعاف علميا . ولكنهم قادرون فقط على تغطية جزء من مصروفاتهم التعليمية . فلا يمكن أن يتخصص الشعب لتدعيم امتيازات لطلاب صناعية الإمتياز ، بينما يحرم ابتائهم . معن هم أكفا - من التعليم الجامعى لانهم لا يستطيعون دفع نسبة ضئيلة من تكاليف تعليمهم .

أما المؤسسات الشعبية فإن واجبها أن تعاون الدولة فى بناء المدارس الرسمية فى المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية لاتمامه فمرحى أوسع لتعليم أبناء الشعب ، وعليها أن تساهم فى نفقات ومجهودات الدولة من أجل نمو الأمة .

٢ - تأسيس شركة أو جمعية تعاونية لاتشاء هذه الجامعة : من المعروف أن القطاع الخاص ورأس المال الخاص لا يقبل على مثل هذه المشروعات التى لا تعيد أرباح مرتبة ومضمونة . ويتضمن ذلك فى مجال التعليم الخاص : فإن أجداد

ولكن الدولة لا تستطيع نظرا لالتزامها بالمواثيق
وبالذات الدائم بالخط الاشتراكي أن تتحمل
مكاييف مثل هذه الجامعة .

ولعل الذين يدعون الى مساهمة الهيئات الشعبية يتذكروا الفارق بين الدعوة الى انشاء الجامعة الاهلية (المصرية) فى بداية هذا القرن ، وبين الدعوة الى انشاء الجامعة الخاصة فى هذه الايام . ذلك أن الدعوة الى انشاء الجامعة الاهلية فى بداية هذا القرن كانت دعوة وطنية ثورية موجهة ضد سياسة الاستعمار التعليمية التى كانت تغصر اهداف التعليم الحالى على اعداد الموظفين فى اضيق الحدود ، دعوة الى انشاء جامعة أهلية بعيدة عن سيطرة حكرية الاحتلال وعن نفوذها ، جامعتها تفتح أمام القوى الوطنية كلها آفاق العلم وتزودها بأسلحة هامة من أجل الاستقلال ولذلك تسابق الاهالى فى التبرع بالمال والارض والجهد .

• اما الجامعة الخاصة ، فانما تقوم بتقديم العلم الى فئة من الطلاب عززت قدراتها العلمية عن الصاقهم بالجامعات فلجأوا الى المال فيحققوا ما هيجت قدراتهم عن تحقيقها ، ولتحقيق ما يحسّر انشاء الضمير بمن هم فى كفاهتهم عن تحقيقه ، انها جامعة تقوم على اضافة شرح كبير الى تلك الشروح الموجودة فى جدار تكافؤ الفرص التعليمى . انها جامعة تقوم على هدم ما كنا نعتز به من أن مقياس الحكم على الطلاب هو علمهم فقط ، وأن المصريين جهميا سيتقدمون الى مكاتب التنسيق ، لا امتياز لأحد على أحد ، بسبب الاوضاع المالية .

واخيرا ، فإذا كانت وزارة التعليم العالى قادرة على الحصول على هيئة تدريس وبمحامل ومكتبات لهذه الجامعة ، فإن الأولى بها أن تضاهى من جهودها من أجل استكمال النقص فى الكليات والجامعات الموجودة حتى تقوم برسالتها على وجه اكمل .

وبدلا من أن تبذل كل الجهود من أجل البحث عن حل لمشكلات بضع عشرات من الطلاب ضعاف المستوى الذين لم يستطيعوا أن يحققوا نجاحا يذكر ، بالرغم من أن عائلاتهم قد دعت بهم كل مكتبات النجاح من دروس خاصة ومدارس راقية وغير ذلك ، بدلا من ذلك عليها أن توجه جهودها بحث مشاكل مئات الألوف من أبناء الشعب المتفوقين الذين يعانون من نقص الاجهزة والمعامل .

وبدلا من أن تهدم مبدا تكافؤ الفرص بفتح ابواب التعليم العالى لكل من يدفع الثمن ، فإن عليها فى ظل الدولة الاشتراكية أن تبعم هذا المبدأ وتدرس فكرة تأميم المعاهد العالية الخاصة حتى لا تقف القدرة المالية عائقا أمام من يقدرون على استكمال تعليمهم .

اننا نضئ ان يؤدى انشاء الجامعة الخاصة الى تمويق مسيرة الثورة التعليمية ، والى انتكاسة بجهود الثورة من أجل توسيع ديمقراطية التعليم .

ممدوح نور

الشرق الأوسط

ميدان التصام

تناقضات العصر

٢٠ محمد علي الشهابي

حيث تكشف وتركز هذه الصراعات الأساسية والجهوية والشمولية في مثل ساحة كرة القدم ، التي يقارن فيها فريقان اثنان لا ثالث لهما ، ولا وسيط بينهما ، والتي ليس فيها محايدون على الإطلاق ، حتى ان اولئك الذين يبدو أنهم في مقاعد المتفرجين ليسوا في الحقيقة - ويفعل عامل التجاذب الطبيعي سوى محازين مصليها ، او متحمسين وجدانيا ، الى هذا الفريق أو ذاك ، حتى ولو لم يتزلوا ويشاركوا بشكل مباشر وفعل في حلبة الصراع الدائر والمحتدم .

مغزى انقسام العالم الى معسكرين

ان هذه الحقيقة العلمية لم تنطبق في أى وقت من الأوقات على عالمنا ، كما انطلقت عليه منذ نهاية الحرب المالية الثانية ، أي منذ انقسم هذا العالم الى معسكرين ونظامين دوليين متضادين ، معسكر ونظام الاشتراكية الديمقراطية ، ومعسكر ونظام

الارضية بكل اتسماعها ، وبكل تناقضاتها ، وصراعاتها ، التي لا تمضي . حدث في عصر صعود وتالسق شمس الاشتراكية ،

الكرة

والديمقراطية ، والوطنية ، والقول وانحدار نجم الايمبريالية والاستعمار الرجعية ، وفي عصر الثورة الايديولوجية التي ايقظت الحس الطبقي على نطاق العالم كله ، والثورة التكنولوجية التي قصرت الابعاد ، وطوت المسافات الزمانية والمكانية ، والثورة العالمية التصديرية التقدمية ، والثورة العالمية المضادة للثمن ربط كل منهما الشبيه بشيبيه ، وفترتنا بين الخليل والمثل ، ومزجتا بين الطبقات المستغلة ، سواء كانت اقطاعية ، او رأسمالية ، او امبريالية ، وفي أى ركن من اركان الأرض ، في حلف على مكتوب أو غير مكتوب ، موجه ضد الطبقات المناضلة والتحالفه بدورها - موضوعها وتاريخها - سواء كانت صليية ، أو للاحية أو بورجوازية وطنية ثورية - أقول هذه الكرة الأرضية حدث في الواقع بسبب ذلك كله ، من

تراجع قوى العدوان

فى أمريكا اللاتينية

ومع مطلع الستينيات بدأ أن نقطة تصادم الإضداد أخذت تتحرك نحو أمريكا اللاتينية ، ونحو كوبا بذات التى التحقت منذ عام ١٩٦١ بالمعسكر الاشتراكي ، وشكلت بحق حريقاً ثورياً فى (غناء البيت الأمريكى) مما شدد من حدة التناقضات بين النظامين المالميين وهدد بأشغال حرب عالمية بالفعل ، غير أنه أمكن إطفاء هذه البؤرة لصالح إبقاء النظام الاشتراكي فى نصف الكرة الغربى ، واستمرار انتمائه الى معسكر الاشتراكية العالمى ، واحتفاظه بمقدرة التهديدية الدائمة والمستمرة لنظام الاحتكارات والسهب هناك ، وإطاقته الإلهامية المسممة بالثورة وبالتحريض النصل عليها ، حتى غدت الثورة الكوبية - ولا سيما بعد قيام النظام الديكتاتوى الشعبى من حولها فى تشيلى ، والنظام الوطنى فى بيرو ، واشتغال الثروات الوطنية فى كافة أنحاء الغارة الأمريكية اللاتينية إحدى حقائق العصر الثابتة .

وبذلك هزمت الإمبريالية الأمريكية ، قائدة الاستعمار العالمى فى مقر دارها هذه المرة ، وحلت عقدة أخرى وخظيرة ، فزها التناقض الرئيسى بين النظامين العالميين المتضادين ، وكان حلها لصالح وفى انتهاء حركة التقدم التاريخى .

اندحار قوى الاستعمار

فى جنوب شرق آسيا

وعبر نهاية الستينيات ، ومطلع السبعينيات ، انتقل مركز الصراع الاساسى بين قوى التقدم العالمية ، وقوى التآخر الدولية ، الى منطقة الهند الصينية وعموم جنوب شرق آسيا ، التى أراد الاستعمار أن يجعل منها حزاماً وأقياً ضد ما أسماه انتشار الشيوعية ، وأن يجابه منها المعسكر الاشتراكي كله ، ويضرب من الخاصرة ، ويطلق بها الصين الشعبية . غير أن حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى هذه المنطقة المتلهبة أمكنها - بفضل تقابى قوى الاشتراكية واشتداد ساعدها ، وبرغم الانقسام ، المعابر فى صفوفها ، وبفضل دعم الاتحاد السوفيتى الخاص والمكثف أن

الرأسمالية الإمبريالية ، ومنذ غدت حركة التحرر الوطنى العالمية جزءاً لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية ، وغدا انتصارها الكامل والشامل ، وتطورها الصاعد والمستمر ، متوقفاً على التحامها المعصوم والصحيح بهذه الثورة التقدمية المكاسحة ، بتظاها الاجتماعى المثل والمهور والميضر بمستقبل الإنسانية كلها ، وبمعسكرها الاشتراكي . ، الأخذ فى النماظم والفرة وانتشار الهيبة ، واتساع المورد .

حسم الصراع فى أوروبا

لصالح قوى السلام

وفد تجسدت هذه الحقيقة أول ما تجسدت هناك فى أوروبا ، وفى برلين بالذات ، التى كانت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وأصنين عديدة ، نقطة تصادم للتناقضات الرئيسية العالمية ، بين معسكر قوى التقدم الاشتراكي ، ومعسكر قوى الرجعية الإمبريالية ، وبرغم أن نقطة الاحتكاك الخطيرة والمتفجرة هذه ، التى مهدت غير مرة بأن تكون من جديد بؤرة حقيقية ، تتخلع منها شرارة حرب عالمية ثالثة ، كما اندلعت منها بالفعل شرارة حربين عالميتين استعمارييتين ، إلا أنه بفضل ميل ميزان القوى لصالح قوى الاشتراكية على النطاق العالمى ، كبحت نزعات العدوان الإمبريالية والفاسية ، الألمانية والأمريكية ، واضطرت ألمانيا الغربية - مع موافقة أو إذعان عاصية الاستعمار الجديد واشنطن - الى عقد معاهدات عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى ، وبولندا ، والتراجع عن مذهبها الإقليمى ، الذى طالما رجمتها ، والاقترار بالحدود الأوروبية الحالية ، كما عقدت اتفاقية بين ألمانيا الديمقراطية ، وسلطت برلين الغربية ، واتفاقية رباعية حول هذا القسم من برلين ، وأخذت الأمور تسير فى هذه المنطقة التى كانت أشبه ببرميل بارود على نحو مخالف تماماً لنظرى الالحاق والضم التى كانت تتسلك بها وتصر عليها بون الى حد التشنج ، وتحطم مبدأ هشتاين ، واعتزقت كثير من الدول بألمانيا الديمقراطية ، وغدا دخول الدولتين الألمانييتين الى الأمم المتحدة مسألة وقت فقط ، وتوغرت شروط موضوعية كثيرة لتحقيق السلام فى أوروبا ، ولعقد مؤتمر أمن أوربي ، وبذلك حلت ، أو سارت فى طريق الحل أعقد مشكلة خلفتها الحرب العالمية الثانية ، تحميرا عن التناقض العام الرئيسى بين النظامين الاشتراكي ، والرأسمالى .

ومكافحة ضد جبهة الاستعمار واسرائيل والرجعية .

ان هذه الحقيقة الموضوعية والتاريخية تتجلى أكثر ما تتجلى فى النقاط الآتية :

١ - ان منطقة الشرق الاوسط تعتبر بالنسبة للاستعمار الأمريكى حلقة الصدام الأخيرة والحاسمة ، حيث انها تمثل مسرح الثورة العربية الجامعة ، التى منذ انطلقت صيحتها الأولى والمدوية فى ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ بالقاهرة - عاصمة العرب الكبرى التاريخية والروحية - وهى تمير فى مثل الطوفان الماصف ، والقدر الكاسح ، يطوى الأرض العربية طيا ، ويحتاج قلاع الامبريالية ، ويك حصون الرجعية ، ويزالزل عواصم الاستعمار العالمى ، ويحكم بالزوال على وجود الامبراطورية البريطانية بمن الشرق المرمى ، والامبراطورية الفرنسية من المغرب المرمى ، ويدخل فى اشتباك مباشر مع زعامة الاستعمار الجديد - أمريكا - التى تميلت الراية السوداء عن الاستعمار القديم ، وراحت أن تقاوم حتمية التاريخ ، وارادة الشعوب ، وأن تقف فى وجه الطوفان ، قبل أن يبتلعها هى الاخرى ، ويحكم على وجودها بالزوال من الكرة الأرضية .

٢ - ان الاستعمار الغربى بزعامة الولايات المتحدة غدا يدرك مدى خطورة نجاح حركة العرب القومية الحديثة ، المستهدفة استملاء امجادهم التاريخية المتددة ، وابتعاث ماضيهم الحضارى العظيم ، واقامة دولتهم العربية الكبرى الموحدة المتحررة ، التى تمتد قوميا ما بين المحيط والخليج وتلا جغرافيا مساحة الشرق الاوسط كلها تقريبا ، وتشغل (مرة) العالم ، وتهيمن على مداخل بحاره ، الهندى ، والاحمر ، والابوسط ، وعلى بوابته الافريقية والاسيوية ، وعلى ملتقى شبكة المواصلات العالمية ، والقوى ستقف بتعق وحدها القومية التقدمية على قدم المساواة مع الدول العظمى المتعددة والمهيبة فى هذا العصر .

٣ - ان الامبريالية الصبالية - بقيسادتها الامريكية - تعرف جيدا أن نجاح حركة التحرر الوطنى العربية يمتنى على وجه الضبط اخراج الامبريالية العالمية نهائيا والى الايد من أهم مناطق استغلالها واستثمارها وتفوذها فى العلم على الاطلاق ، التى طالما اضطرت من أجل امتلاكها كل قوى الاستعمار العالمى ، ومد فترات مبكرة - وكانت أرضها احدى ساحات المعارك خلال

تألق هزائم نكراء متلاحقة بالامبريالية الامريكية فى مختلف مناطق الهند الصينية ، وأن تمرغ هبنتها فى مستنقعاتها ، وأن (تقير) حلف جنوب شرق اسيا فى معركة شبه القارة الهندية ، فى البنغال ، وتقير معه السمعة العسكرية ، والمخاضية الامريكية ، مما دعا زعيم المعارضة فى استراليا أن يعلن الحقيقة مرة (أن حلف جنوب شرق اسيا قد مات ، وانتهى وأصبح من معالم الماضى !) الازهرام ٧ - ٧ - ٧٢) ، وحتى غدت مسألة انصحاب قوات الاستعمار الأمريكى من كمبوديا ولاوس وفيتنام وكوريا قضية مسلما بها . ولا سيما بعد اضطراب الامبريالية الامريكية الى النبل بوجود الصين الشعبية والاعتراف بها ، والتعاضد معها ، وبعد الاتجاه الى التقاسم والتقارب الاخير بين كوريا الشمالية والجنوبية ، واتفاق السلام بين الهند وباكستان واتجاه اليابان للاعتراف بالصين الشعبية ، وعقد معاهدة سلام مع الاتحاد السوفيتى لانهاء الاوضاع التى ترتبت على الحرب العالمية الثانية ، وأخيرا فرض السلام فى فيتنام ، ولم يعد يطعم حكام البيت الابيض بنكهم فى ابرام وتنفيذ اتفاقية السلم التى اعطت عنها فيتنام الشمالية فى أكثر من الوصول الى تسوية سياسية يحافظون بها على بعض المظاهر ، وحتى على بعض ماء الوجه ، عسكريا وسياسيا وممنويا لصالح قوى التحرر والتقدم الوطنية والاشتراكية . وبذلك حلت عقدة أخرى فى الاتجاه الصحيح تماما ، اتجاه انتصار قوى المستقبل على قوى اليمس الدابر ، واندحار قوى الثورة المضادة أمام قوى الزحف العالمية .

تركز الصراع العالمى

فى الشرق الاوسط

وبنظرة عامة على خارطة الكرة الأرضية يتضح منذ الآن - وعلى الفور ان منطقة الشرق الاوسط غدت هى بؤرة التناقض الرئيسى لعالمنا ، ومحور الصراع بين قواه التقدمية وقواه الرجعية وساحة الالتحام الحقيقية والأخيرة ، التى سيقتدر فيها نهائيا والى الايد مصير الاستعمار العالمى ، والامبريالية الاپريكية بوجه خاص ، التى أصبحت هى الأخرى تشكل مع الصهيونية والامبريالية التقيض المضاد لحركة التحرر الوطنى العربية ، المتحالفة سياسيا وعمليا مع حركة الثورة الاشتراكية ، والمضلة معها جبهة ثورية واحدة ، معادية

الحريين المايكيز الأولى والثانية بين القوى المتنافسة، وقد تمتد الثلاثينيات مركز الإمبراطورية الاحتكارية الإستعمارية العالمية، وأصبحت تمثل مخزن احتياطي البترول الهائل والخيالي والغريد في العالم كله، والمعين الثرى الذي لا ينضب، في الوقت الذي أخذت في التضايق فيه المناصب البترولية الأخرى حتى في أمريكا ذاتها، كما أصبحت المورد الأول والآخر - حتى من الناحية التجارية البحتة - بالنسبة لكل الدول الرأسمالية - ابتداء من اليابان في الشرق إلى أمريكا في الغرب، والمركز العصبي الحساس لكل المصالح الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والسياسية للإمبريالية العالمية *

٤ - أن الاستعمار العلى - وعلى رأسه الاستعمار الأمريكى - أخذ يضى جيدا مدى فداحة هزيمة الوعي العربى الثورى على واقع أنه هو بالذات وراء زرع سرطان الدولة الصهيونية فى الجسم العربى التى أثبتت الوقائع أنها لا تعدو أن تكون استعمارا استيطانيا غربيا، وقرعة خلفها الاستعمار القديم، واحتضنها الاستعمار الجديد، ورأس جسر يمتد للإمبريالية العالمية كلها، مغرور فى المنطقة العربية، لصالح هذه الإمبراطورية الاحتكارية التى أقامتها فى الشرق الأوسط، ولا يتوان حركة التحرر الوطنى العربية، وأرهاب الشعوب العربية، والمحاولة دون تحقيق وحدتها القومية، وإيقاظها رازحة تحت نير الاستغلال والتبعية والذلة *

٥ - أن الإمبريالية العالمية - تحت الزعامة الأمريكية - تنتهب إلى مدى خطورة الثورة العربية التحررية التى تمكنت عبر نضال لأهب من إقامة أنظمة وطنية ديمقراطية فى أكثر من بلد عربى، معادية للاستعمار محاربة لمساكنه، وأخذت تطل بالفعل على أفق الثورة الاجتماعية التقدمية ولم تقتف بتأميم وضرب الكثير من المصالح الأجنبية، وإنما شملت فى تأميم وضرب الكومبرادورية العربية، وقطاعات وأساس من مصالح البورجوازية الوسطى المحلية، كما قطعت خطوات حاسمة فى مجال الثورة الزراعية، وأحدثت تغييرات هيكلية على كيان المجتمع العربى، وأجرت إصلاحات ديمقراطية متقنة، وسارت على طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستقلة، وفى طريق التطور غير الرأسمالى، وبنيت كثيرا من المفاهيم التقدمية، بل وقعت بعض هذه الأنظمة شملت (الاشتراكية العلمية) منذ نصى عليه الميثاق الوطنى المصرى عام ١٩٦٢ *

٦ - أن الاستعمار العالمى - بمحصلة الأمريكى - صمما بقتة على حقيقة أن منطقة الشرق الأوسط التى كان يعتبرها تمثل الجناح الجنوبى الشرقى للحلف الأطلنطى وإمدادا طبيعيا لأوروبا، ومجالا حيويا وتقليديا لها، والثى طالما صنع الشبك والاحلاف قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو وبعدما لاحقا بهذا الحلف الاستعمارى، قد أضحت تنفصل فجأة - منذ اتجه القائد العربى المظفر عبد الناصر نحو الشرق، وعقد صفقة الأسلحة السوفيتية - التشيكية الشهيرة عام ١٩٥٥ عن الجبهة الغربية، وتنضم إلى جبهة الشرق الاشتراكية، المعادية للاستعمار والإمبريالية وتلتحم بحركة التحرر الوطنى العالمية، وتشكل رأس الرمح فيها، وتلتقى بالحركة العمالية والديمقراطية فى المعسكر الرأسمالى نفسه، وتغدو بحق حلقة أساسية وصادمة وحاسمة فى سلسلة الثورة العالمية *

٧ - أن الجبهة الإمبريالية - بطليعتها الأمريكية - ازدادت قناعة بأن مصر التى أطلقت هذه المعادلة الثورية المحققة فى المنطقة، والتى شن ضدها - بعنوان ١٩٥٦ - ١٩٦٧ حربى تدخل سافرتين - بغية هزيمتها، وإخراجها من ميدان النضال نهائيا، واضطرها إلى التراجع صاغرة على حظيرة التبعية الاستعمارية - لم يؤثر فى عزيمتها الثورية - واستراتيجيتها القومية، وريادتها التقدمية، ودورها العلمى، وتوجهها الحضارى، وأن الضغوط الاستعمارية، والحروب العدوانية لم تولد سوى ردود فعل ثورية، وثورات وطنية، ومزيد من الارتباط بالقضية القومية، والالتحام مع معسكر الثورة العالمية ومزيد من العداء لمعسكر الإمبريالية - وأكثر من ذلك كان من شأن هذه الهجمات الاستعمارية - الصهيونية على قلعة الثورة العربية - القاهرة - أن تبرزها أكثر فأكثر، وتكشف لها على نحو أعمق وأشد أن هناك فى (الشرق) حقا يوجد الحلفاء الشرفاء، والاصدقاء الأبناء، وأن سبيل النجاة من القبضة الإمبريالية الصهيونية الخائفة، وسيلة الانتصار على الوحش الفاضل المنقض والمخرس هو بالتصاعد والتحالف مع طليعة الثورة العربية - ومن هنا هد (معاهدة الصداقة والتعاون) بين مصر والاتحاد السوفيتى فى ٢٧ مايو ١٩٧١ التى كانت فيها القاهرة رائدة لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية فى مضمار اكتشاف مدى أهمية وبخورة تقنين النضال الثورى المشترك ضد الإمبريالية، وصبه فى قالب تصاعدى، وكانت بذلك سبالة إلى تطبيق أحد توانين العصر الموضوعية، المثل فى

تلك العلاقة الثورية المضوية والصميمية ، بين الديمقراطية الثورية ، والديمقراطية الاشتراكية .

٨ - ان قوى الاستعمار والصهيونية المتحركة تحت اللواء الامريكى - لم تتمكن برغم كل الجهود المختلفة والصمود ، العنانية والعرقية ، العسكرية والسياسية ، الخارجية والداخلية من ان تطمس طبيعة الصراع فى منطقة الشرق الاوسط ، ومن ان تخفى معالمه الواضحة ومن ان تبيع المعركة ، وتصيب الميون بالفساولة عن ان ترى حقيقة الاعضاء ، ومن ان تحول دون تمحور قوى الثورة فى جنانها ، وتركز قوى الثورة المضادة فى جانب آخر ، وتبطل قوى التقدم فى جهة ، وتجمع قوى التخلف فى جهة اخرى ، وسقطت كل محاولات جعل امريكا فى موقع المنقذ ، او المحايد ، او الوسيط ، وبقيت بل ظهرت اكثر فاكثر فى موقع العدو الاساسى ، والفاعل الاصلى ، حتى ظهرت الصهيونية ، وتجميعها المتمثل فى امراثيل ، برغم كل مطامعها وتطلعاتها التوسعية الضائعة ، كذراع امريكى ممتدة فى الشرق الاوسط ، وكقوة غربية امبريالية متقدمة على اراضيه ، وكلب حراسة لمصالحه ، وعصا غليظة فى يده .

حتمية هزيمة الثالث الاستعماري

- الصهيونى - المرجعى

لكل هذه العوامل والظروف النابعة من (خصوصيه) منطقة الشرق الاوسط ، ومن طبيعة الثورات والاعاصير المنطلقة والمهددة فيها ،

ولاندحار الامبريالية وانحسار نفوذها من مختلف المناطق العالمية الحساسة ، ولاصرارها واستمباتتها على اتخاذ هذه المنطقة البترولية والاسفرااتيجية موقعا آخرى لاستحكاماتها الدفاعية ، ومعقلا نهائيا لنفوذها ، ولتركز الصراع الوطنى والقرصى والعالمى حولها ، وانتقال مركز الاستقطابين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة على النطاق العالمى اليها ، فذلك كله ولغيره من الاسباب فانه يمكن القول انه هنا فى الشرق الاوسط ، وفى المنطقة العربية منه بلذات ، ستدور انبل واعظم واخلد معارك حركة التحرير العربية والعالمية الحاسمة ، ذات الابعاد الوطنية والقومية والاجتماعية ، وذات الخنزى المحلى والدولى معا ، والتي فيها ذاتها . ستنتكس راية الاستعمار الجديد ، كما انتكست فيها دون غيرها راية الاستعمار القديم ، وسترد الهجمة الصهيونية الاستعمارية - على الامة العربية ، وتصلى آثارها ، ومن على ارضها . ستكتسح امبراطورية الاحتكارات الامبريالية ، ويستعيد العرب وغيرهم من شعوب المنطقة ثرواتهم المهبوة ، ويقيموا صناعاتهم المتقدمة ، ومجتمعهم المتحضر ، وستختفى حصون الرجعية العربية وتسقط اوكار العمالة ، والتي عبر جحبيها الثورى المتصاعد والمتدفق وعند الذروة العليا منه ستتحل . وتذوب - حتميا - دولة الصهيونية ، مفسحة الطريق - آخر الامر - لقيام دولة ديمقراطية على ارض فلسطين ، وفوق هذه الارض ستتحقق الثورة العالمية بتياراتها الاشتراكية والوطنية الديمقراطية انتصاراتها التاريخية الفاصلة والمجيدة ، وفيها ستنهض وتتطاهر دولة العرب الكبرى القومية الموحدة ، الناهضة المتطورة ، الاشفراكية الديمقراطية .

المغزى

السياسى

والاستراتيجى

لتأميم عمليات شركة نفط العراق

بمقر يوسف *

العاملين في حقول النفط وتحسين أحوالهم المباشية ، وغير ذلك من المطالبات التي لم تكن تهمس الكارتيل النفطى في الصميم . وكانت صورة الفضل الذى أصيبت به حركة التأميم في إيران - أيام الدكتور مصدق - تقف أمام أنظار القوى الوطنية لتشعلها وتحول دون قيامها بأي نشاط جدى في هذا المجال ، دون أن تترك أن الظروف المالية - آنذاك - كانت تختلف عن الفترات التى أعقبها ، ودون أن تأخذ بالحسبان عوامل أخرى داخلية وخارجية أحاطت بتلك العملية الجريئة ، وسببت لها الهزيمة . لقد بقيت القوى الوطنية في العراق تخشى الإقدام على المطالبة بتأميم النفط حتى في عهد الحكومات التى قامت بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، لأنها لم تكن تدرك الحاجة الملحة التى نشأت لدى الدول الرأسمالية الكبرى إلى النفط وعدم إمكان تلك الدول الاستغناء

سلم الحكم الإلهى الذى أقسامه المستعمرون الإنجليز في القطر العراقي في أعقاب ثورة عام ١٩٢٠ ، أراضي القطر - منذ العشرينات -

لقد

للشركات الاحتكارية النفطية ، وفقا لاتفاقيات جائزة تمتد إلى نهاية هذا القرن . ومنذ ذلك الحين ، سارت عمليات الحفر والإنتاج منسجمة مع مصالح تلك الشركات دون الاهتمام بمصلحة شعبنا في العراق . وظلت الحركة الوطنية ، طيلة عشرات من السنين ، حبيسة الخوف من العمل على ، وبث الوعي عن ، ورفع شعار حل قضية النفط حلا جذريا . وانحصرت نشاطاتها في هذا الحقل بمطالبة الشركات والسلطات الحكومية بزيادة حصة العراق من عائدات النفط ومساهمة القطر بإسماء الشركة ، ورفع أجور العمال

عنه ، وبقيت تخشى أن يكون هي التاميم احرار
لإصدقاء العراق من البلدان المتحصرة
والاشتراكية ، وظلت القوى ، التي تجرت على
طرح فكرة التاميم في شعاراتها ، تضع شرطاً
للإقدام على ذلك أن يكون الظروف مؤاتياً ، ومن
الواضح جداً أن الظروف المؤاتية مسألة تخضع
لكثير من التفسيرات والاجتهادات والواقف .

معارضة منذ البداية

ولكن ذلك لا يعنى على الإطلاق أن الوطنيين
والقوى السياسية المادية للاستعمار رضخت
للسيطرة الأجنبية على ثروات النفط . إن
المعارضة الوطنية للتتبعات التي عقدتها
المستعمرات مع الحكومات الرجعية للميلية بدأت
منذ العشرينات . فقد استقال عدد من الوزراء في
عام ١٩٢٥ بسبب « عدم منح الشركات الاحتكارية
للعراق حقا في المشاركة برأسمالها » ، واستخدمت
بريطانيا أسلوب التهديد بإعطاء ولاية الموصل
لتركيا التي كانت تطالب بها - آنذاك - إذا امتنع
العراق عن الرضوخ لرغبات الشركات النفطية .
ووقعت الاتفاقيات في جو من الإرهاب والتهديد .
بعد أن اتفقت الأطراف الاستعمارية الانكليزية
والاميركية والفرنسية وغيرها على نهب ثروات
العراق . ومنذ ذلك الحين ظل الاستعمار في
العراق ذا طابع نفطي بصورة رئيسية وبقيت شركة
النفط طيلة عشرات السنين هي المالك الفعلي في
العراق ، واستمرت ميزانية الدولة حتى بعد ثورة
الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، تعتمد بصورة
رئيسية على عائدات النفط .

أحد أسباب الحرب العالمية الأولى

إن أمنا العربية تجرعت من المصائب والويلات
من الاستعمار واحتكاراته النفطية ما لا يمكن أن
يقع تحت حصر . إن معظم أجزاء وطننا العربي
تعرضت للاحتلال العسكري ، ووقع كل النفط
العربي تحت سيطرة الاحتكارات ، وكان هذا النفط
رداء اتجاه الأطماع الاستعمارية ، منذ القرن
التاسع عشر ، نحو القطر السراقي ، ووراء
الأسراع في إرسال الجيوش لاحتلاله أثناء الحرب
العالمية الأولى . كما ظل النفط العربي ، منذ
بدايات هذا القرن ، أداة بيد المستعمرين
يستخدمونه لتحريك مآكينهم العسكرية التي قمعت
ثورات شعبنا العربي في كل مكان فتجرت فيه .

لم يكن الامر عقويا

لا ان معركة النفط بين الشركات الاحتكارية ،

ومن ورائها الاستثمار العالي وبغاية الزلايات
المحددة والصهيونية العالمية ، من جهة ، وبين
السلطة الثورية بقيادة حزب البعث العربي
الاشتراكي في القطر العراقي من جهة أخرى ،
بدأت على أشدها عندما قدم العراق على تأميم
عمليات شركة نفط العراق ، الملقبة بالامبراطورية
النفطية بشركاتها السبع المسيطرة على أغلب نفط
العالم غير الاشتراكي . ولم تات هذه البداية
عشوية أو بنت ساعتها ، كما قد يتفيل للبعض ، أن
رد فعل لوقوف الشركة المتعت وأضرارها بمصالح
العراق ، عندما أخذت تخفض انتاج النفط
المستخرج من حقول كركوك . إن ميثاق العمل
الوطني الذي أعلنه الرئيس أحمد حسن البكر في
تشرين الثاني من عام ١٩٧١ ، حدد - بصورة
واضحة - أصرار حكومة الثورة على اعتماد
الهدف الاستراتيجي لسياستها في حقل النفط
وهو : « تحرير هذه الثروة تعريدا كاملا من
السيطرة والاستغلال الاجنبي وأعضائها للسيدة
الوطنية من كافة الوجوه » . وأن من مهمات
حكومة الثورة وحزب البعث والقوى الوطنية
الأخرى نشر الوعي النفطي بصورة مستمرة بين
الجمهير لتمنياتها في الحركة التي لم يكن مفر من
نشوبها بين عراق الثورة والاحتكارات الأجنبية .

ولم يات هذا الموقف من جانب حكومة الثورة في
العراق مفاجئا أو لدواعي أتية فرضتها ظروف
وعناصر مسيرة ثورة السابع عشر من تموز ، بل
كانت ترجمة فعلية وواقعية للقرار الذي اتخذه
المؤتمر القومي الثامن لحزب البعث العربي
الاشتراكي الذي انشق عام ١٩٦٥ ، والقاضي بحمل
نفط العرب للعرب وليس للمستعمرين . كما كانت
بيانات الحزب منذ الخمسينات وخلال الستينات
تؤكد على أن النفط ثروة أساسية يجب أن تعود
إلى أمنا .

سلسلة من الإجراءات

إن التاميم - هذه الخطوة البالغة الأهمية - جاء
تتويجا لهذه السياسة الوطنية القومية المرسومة ،
وقية في الإجراءات التي بدأت حكومة الثورة
بإتخاذها منذ أن تسلم حزب البعث العربي
الاشتراكي مقاليد الحكم ، وهو مدرك أن لا منة
بين الثورة العربية والاستعمار . وكان هذا هو
منطلقه منذ أن عقد الاتفاقات مع البلدان الصديقة
ومع المؤسسات والشركات المختلفة التي هيأت
للعراق إمكانية البدء بالعمل لانتاج النفط وطنيا في
حقل الرميلة بجنوب العراق ، من جهة والعمل على
تقليل الاعتماد على عائدات النفط ، بإقامة مشاريع
وطنية لاستثمار الكهرباء وغيره ، من جهة أخرى .

ان حكومة الثورة دخلت معركة النفط وهي مدركة لإبعادها وملاسيها وتبقيتها . وكانت تعرف أن كل السياسة الانتاجية التي اعتمدتها شركة النفط الاجنبية انها كانت بهدف الضغط اقتصاديا عليها واجبارها على تعديل موقفها ليس من الشركة وحسب ، بل من الاقطار الاستعمارية نفسها ، ودفعها الى التضييق على القسرين رقم (٨٠) وعن انتاج النفط وطنيا . وكانت الشركات تستبعد اقدم العراق على اتخاذ خطوات جديده ضدها ، مستندة الى تقنيات احتصاصها التي دفعت رئيس مجلس مديري شركة (ستاندرد أويل أوف نيويورك) انى التصريح فى حديث له للصحافة قائلا : « انه لا يرى أى خطر من تأميم ممتلكات النفط التابعة للشركة فى الشرق الاوسط ، اذ ان الدول المنتجة للنفط لابد أن تكون مدركة للفرق الشاسع بين حقول النفط من ناحية والاسواق التي تشتري عليها الاحتكارات النفطية المالية من ناحية اخرى » . . . وكانت الشركات تضع فى حساباتها ان استمرار الضغط الاقتصادى عامل يلقى الى جانبها ، فى حين انه يتناقض مع مصلحة العراق الذي لم يكن اقتصاده يتحمل ذلك الضغط فترة طويلة ، دون أن يترك ذلك أثره الصلبى على مسيرة الثورة وثباتها ورموزها جنورها وانجاز اهدافها الانية والبعيدة ، وبالتالى فان ذلك يضرها الى خطر السقوط . .

الدوافع الآتية

ولكن حكومة الثورة كانت قد وضعت حساباتها بموجب ووفق انماط جديد حتى على اختصاصيين شركات النفط والدول الاستعمارية التي تنتمى اليها . ان الاستعماريين وشركاتهم اهلوا فى حساباتهم حقيقة الروابط العضوية المنيعة ، التي قامت عبر السنوات التي اعقبت ثورة السابع عشر من تموز ، بين الحكم الثورى والضمب العراقى ، تلك الروابط التي نمت وترعرعت واشتد عودها من خلال انغمار قيادة الثورة والجماهير فى معارك البناء والتشييد وعبر النضال الدائب الحارم ضد المؤامرات والسماس ، وفى بوتقة معركة الثقة المتبادلة بين الجماهير وقيادتها . وعلى هذا فان قيادة الثورة بدأت معركة النفط وخاضتها بعباء وتصميم وهي بصرة على انتزاع حقوقنا النفطية ، حتى اذا تطلب ذلك تحميل شعبنا لحرمات ومصاعب اقتصادية كبرى لفترة زمنية طويلة . وكانت الدوافع الآتية وراء اصرار حكومة الثورة على تحرير ثروتانا النفطية هي :

لقد شكل النفط ، بصفته اكثر مواد الوقود والطاقة استعمالا ، واكثر السلع تداولاً فى السوق العالمية ، عاملاً محرراً سياسيا فى اقتصاد العراق ، لانه كان العنصر الاساسى فى تمويل المشاريع الانشائية والصناعات الخفيفة وطرق المواصلات ، واحتلت عائدات النفط المكان الاول بين مصادر ايرادات البلاد ، الامر الذى كان يجعل الميزانية العامة تعتمد اساساً على هذه العائدات . وهو بالإضافة الى ذلك ، جزء من النفط العربى الذى يوافد فى وطننا ، والذي يتعلق بشكل عسوى بامم مشاكل اممنا العربية ، وهي قضية فلسطين . فالكيان الصهيونى اقيم فى وسط وطننا ، اساساً ، ليكون قاعدة تجمي المصالح النفطية الاستعمارية . ونصبته وضمان سلامة الطرق التي يقتضيها تسويقها . وهذا يبدو واضحاً فى امتداد الاخطبوط الصهيونى الى البحر الاحمر والمقائه بالزراع الاميركالية الاخرى على الخليج العربى - ايران - ، الامر الذى يهدد مخططات الاستثمار فى تطوير مصادر النفط فى وطننا العربى والسيطرة على الممرات المائية الضرورية لتدفقه بدون انقطاع .

استعادة السلاح

ان حكومة الثورة فى العراق خاضت معركة التأميم ضد الاحتكارات النفطية المالية التي كانت شركة نفط العراق جزءاً اساسياً منها ، ادراكاً منها أن استمرار ميطرة الاحتكارات الاجنبية على نفطنا يعنى فى حقيقته استمرار بقاء هذا السلاح الهام بيد اعداء اممنا وهو امر يتنافى مع مصالحنا . ولقد كن خضوع الانظمة المعيلة فى العهد الملكى لارادة الشركات اخضاعاً لمصالح شعبنا وامتنا لارادة الاستعمار والصهيونية ، وعندما قامت ثورة الرابع عشر من تموز ، استطاع شعبنا دفع النظام الذى قام بعدها الى خوض النضال ضد الشركات . الا ان انحراف السلطة ومصاداتها للشعب جعلها تحت رحمة الشركات وفطشت فى تحقيق أية مكاسب جديدة فى هذا المجال . اما السلطة التي اعقبت ردة تشرين ١٩٦٣ فسانها اكتفت . وتحت ضغط الظروف الداخلية والخارجية - بمن بعض التشريعات التي بقيت حبرا على ورق ، ولم تجد تجسيدا لها الا بعد ثورة السابع عشر من تموز التي قامت باجراء تحولات نوعية جذرية فى مضامين الحكم وفى جوهر مسيرة القطر ووقفت بك صلابة امام كل مافيه اضرار بمصلحة شعبنا واممنا .

١ - أن النفط بشكلٍ مورياً أساسياً في الاقتصاد القطر .

٢ - أن الشركات الاحتكارية تشكل - بوجودها في القطر - بؤرة استعمارية تنطلق منها المؤامرات والمحااولات التخريبية الموجهة لعرقلة المسيرة الثورية .

٣ - وضع حد للمعركة التي يداها شعبنا منذ عشرات السنين دون أن تتيح له الانظمة الرجعية والدكتاتورية مجالا للخروج منها بأي انتصار .

ان حكومة الثورة ربطت بين تحرير ثرواتنا النفطية وتحريرنا كاملا ، وببسن استكمال سيادتنا الوطنية وامتلاك الامكانات المادية ليؤدي العراق دورا أساسيا في الثورة العربية ومعركة التحرير القومية ، وتوفير الأساس لنفوذ الأمة العربية على طريق الوحدة وبناء المستقبل الأفضل . وكانت الثورة واعية لحقيقة أن المصالح النفطية الاستعمارية في الشرق الأوسط من الضخامة والاممية بحيث أن فتح جبهة ضد الاحتكارات في القطر يعني فتح معركة صهيوية فاصلة تحتاج الى حشد كل طاقات الشعب لجبهة القوى ، والامكانات الاستعمارية الهائلة التي يستثمر في المعركة . ان معركة من هذا القبيل تخضع بالاميراليين الى تنسيق كل قواهم السياسية والمادية وخبراتهم الثورية ضد الشعب ، فتجتاح أي بلد في تأميم نفطه بشكل خطرا على مصالحهم بما يقدمه من مثال الايجابي للغرب .

طاقات الشعب

ويوسط الاصوات المبحوحة الناجية التي ارتفعت من محذرة « من نتائج «الطور» في التأميم والمآسي والبطالة والفقر وتوقف البناء الناجم عنه ، واغلاق الاسواق العالمية بوجه النفط العراقي وريود الفعل « الحنيفة » التي ستظهر لدى الطرف الآخر (الشركات) ، خاص المراق معركة التأميم التي أكد انتصاره فيها حقيقة ينكرها جميع المتشائمين والساخرين بركاب المشاريع الاستعمارية الرامية الى تقويض قوى أمنا ويخر اليأس في قلوب شعبنا . لقد برهن النصر أن للشعب قوى عظيمة الالهية وطاقات هائلة تبرز خلال الممارك ضد أعدائها . وإذا كانت هذه الطاقات غير منظورة أيام السلم ، فانها - أيام الممارك - تتفجر وتنتقل الهزائم السامقة بأولئك الاعداء . لقد تبنت بكل وضوح قوة شعبنا وقابليته غير المحدودة أيام الصراع ضد الاحتكارات ، وكان استعداده لتصل أعباء المعركة كلها رائشا وعظيما ، ولم تكلف جماهيرنا بتهيئة نفسها لتصل الكشف والشظف

الذي كان متوقعا وجسب ، بل أنها شمرت عن صاعديها واستعدت نخوص بية معركة قد يفتكر المستعمرون بفرضها . وكانت عوامل الانتصار قد زرعت ونبتت قبل معركة التأميم بفترة زمنية ، أثمرت خلالها مساعي قيادة الثورة في تحقيق وحدة القوى الوطنية على نطساق القطر أولا ، والالتحام الذي عملت من أجله على إطلاق الوطن العربي مع القوى التقدمية ، قوى الثورة العربية . ان ترسيخ قواعد الوحدة على النطاق القطري أدى الى تمينة جميع المواطنين والارتفاع بهم الى مستوى المسؤوليات التي تتطلبها المعركة ، وكنا عيبت كل القوى الثورية في أمنا وجندت لتأييد العراق في نضاله .

ردود الفعل

ان معركة التأميم غيرت - بشكل حاسم - خارطة المنطقة وعلى نطاق العالم الثالث بما استحدثته من تبدل في ميزان القوى الذي كان لصالح الاستعمار والصهيونية بشكل مطلق ، فازيكته وأدخلت اليه عوامل جديدة حيوية وفعالة تقف لصالح الثورة العربية . لقد استطاعت أن تنقل مساحا رهيبا يستخدم لضرب الثورة العربية الى أداة فعالة بيدها . وكانت المصلحة من الكفاءة والمفاجأة انما سببت بروز نشاطين على المساحة العربية وفي البلدان المتواجدة في المنطقة . فلتد صاحب المد الثوري الجماهيري الذي ارتفع في كل أقطار الوطن العربي وبلدان المنطقة ، تحرك ونشاط وتجمع وحسن استسخدام ابرام تحالفات مكتوبة وغير مكتوبة ، وعقد حلف السنق (حلف بغداد سابقا) ، والذي كان جثة هامدة منذ أن وجهت اليه ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ضربتها القاضية ، اجتماعات متعددة ، وظهر تصميده وتضيق أعمال التطويق التي شملت البحر الاحمر والخليج العربي بالتعاون الكامل بين الرجعية الإيرانية والكيان الصهيوني ، وأثيوبيا والرجعيات العربية في المنطقة .

أبعاد العملية ومقارها

ان قيام القطر العراقي بتأميم نفطه وانتصاره في هذه المعركة يحوي ابعادا عميقة ، قطرية وقومية . ، انه عنى :

١ - أن القطر العراقي دخل السوق العالمية كبولة منتجة للنفط مسوقة له ، مصنعة اياه . ووضع قدمه على درب اقامة الصناعات البترولية ، واستسخدام موارده النفطية في بناء اقتصاد متنوع ومتكامل لا يخضع للنفط فقط ، ولا يمكن أن تتحكم به أية شركة احتكارية .

٢ - أن القطر حقق تحرره الاقتصادي والسياسي الكامل ، الأمر الذي يتيح له إقامة العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية بملء رغبته ، ومع الجهات التي يختارها ، وعلى أساس المساواة التامة والمصلحة المتبادلة . أن التأميم جاء حايلاً لمقومات التحرر الاقتصادي الذي يتطلب القضاء على الاحتكارات الأجنبية ، والسيطرة على ثروات البلاد ومن ثم الانطلاق نحو إنشاء صناعه كبيرة في البلاد ، وتثوير الزراعة وتحرير التجارة الخارجية من كل القيود التي تربطها بالسوق الرأسمالية الاستعمارية .

٣ - أن الثورة العربية امتلكت بيدها جزءاً من السلاح المتوفر لديها ، الخاضع لإعداداتها ، وأنها - بهذا الجزء الذي امتلكته - تستطيع فرض وجودها وتحقيق تحرير الأجزاء الأخرى . بعد أن تحول هذا السلاح من يد أعدائها إلى يدها هي . وأن التأميم قد وضع بيد طليعة الثورة العربية إمكانات اقتصادية وسياسية كبيرة لا يد العون المادي والمنعوى لشعبنا العربي المكافح . في أرجاء الوطن العربي الكبير . وأن الثورة العربية لم تستسلم للهزيمة الإمبريالية الصهيونية الرجعية ، وأنها ما تزال تجد الأسلحة التي تساعدها في المعركة ضد أعدائها .

٤ - أن الأمة العربية سجلت أول نصر سياسي كبير ، منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، ضد الاستعمار العنلي الذي كان أساس خلفها وضياح جزء من أرضها ، وتسييد الكيان الصهيوني النقيض عليها . لقد جاء التأميم ضربة ساحقة لأسس السيطرة الاستعمارية . ولنفوذ الاحتكارات في وطننا العربي ، وبرهاناً على حيوية أمنا العربية ، وقدرتها على صنع الانتصارات حتى في ظروف التراجع والتحديات . لقد حقق النصر في حزيران الذي ارتبط اسمه بالهزيمة فقدم للامة الفرح والامل وحش الخرافة التي يروج لها الخونة والعملاء في عدم إمكان فتح الاستعمار . وأن لا مناص للامة من الاستسلام والرضوخ . أن الانتصار كان رداً على الهزيمة وبرهاناً على إمكانية الرد على العدوان ، وتأكيداً للامة أنها تمتلك السلاح الرهيب الذي تستطيع - عن طريق تحريره - دحر عدوها إلى الابد ، وخاصة في هذه الظروف التي تتناقص فيها موجودات الدول الاستعمارية من الوقود والمطاطة .

٥ - أنه في الوقت الذي تكالبت القوى الرجعية العربية والأجنبية في المنطقة يساندها الاستعمار العالمي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لاذلال احتنا وتعميق شعورها بانيس ، ودفعها إلى الرضوخ لمخططات الصهيونية والاستعمار . في

هذا الوقت بالذات حقق شعبنا العربي في العراق واحداً من أكبر الانتصارات في كفاح أمنا . وأجبر اكبر الاحتكارات واكثرها خطراً وجبروتاً - الكارثيل النفطي - على الركوع أمام مشيئته . وحقق انتصاراً للارادة العربية على القوى المعادية السوداء وبدأ تاريخاً كفاحياً جديداً في طريق استرداد حقوقنا القاصية ، وبرهن على أن بإمكان أي بلد عربي أن يحطم استبرازه الإيديولوجي ثرواته ويستعيد حرية التصرف بها لما فيه خير الأمة العربية .

٦ - أن خطوة مهمة في الطريق نحو تحرير فلسطين قد اتخذت بعد أن ظهرت في المعركة أداة تضاف إلى تلك التي تمكناها الثورة العربية ، وتستخدمها في صراعها ضد أعدائها الإمبرياليين والصهيانية والرجعيين . لقد كشفت معركة التأميم في العراق أهمية النفط لأعدائنا . وبذلك اكتشفت الثورة الفلسطينية ميداناً أو ميادين عديدة تستطيع عليها توجيه الضربات القاصمة للذين احتلوا فلسطين ولذين ساعدوا على احتلالها .

أن اعتبار العمل العسكري وحده طريقاً لا تزال الهزيمة بالإعداد اعتمد عن فهم طليعة المعركة التي تخوضها الثورة الفلسطينية والثورة العربية ككل وأعمال لأسلحة واساليب وطرق لخوض المعارك تسبب للإعداد هزائم شنيعة . أن الطريق العسكري وحده لا يقرر نتائج الصراع القائم بيننا وبين أعداء أمنا ، فحرب المصالح الاقتصادية للإمبريالية ، بكل أذواعها ، يسهل لنا الانتصار على الطريق العسكري أيضاً .

أن ضرب المصالح النفطية الإمبريالية يعني ضرب الإمبريالية والصهيونية وهو خطوة في الطريق لتحرير فلسطين ، وأداة فعالة تضاف إلى أسلحة الثورة العربية . لقد فتح نجاح التأميم في العراق أمام الثورة الفلسطينية أفقاً كبيراً ووضع بيدها مفتاح النصر في الكفاح ضد الصهيونية .

٧ - أن الثورة العربية بدأت بتغيير العلاقات الانتاجية ، التي يشكل الاحتكاريون الأجانب أحد جوانبها ، بعلاقات جديدة تنهى التبعية الاقتصادية للمستعمرين وتفتح الباب أمام إعادة تركيب البنى الاقتصادية بصورة جديدة تؤهل القطر للنسب باضطراد ، والمحاق بالمستوى العالي الذي وصلته أقطار العالم المتطورة في حقل العلم والتقنية والتنمية الاقتصادية .

أن الاحتكارات النفطية لم تعد سيدة الموقف ، بل فقدت سيطرتها ومقومات تأثيرها بعد أن كانت القوة الفعالة في حياة العراق السياسية والاقتصادية لعشرات من السنين .

٨ - ان الثورة العربية بدأت فعلا في تطبيق وتحقيق شعارها : « نطف العرب للعرب وليس لعادتهم » . وهي - عندما تكرر التجسرية - ستتملك عصب الحياة الذي بدونها لا تستطيع الولايات المتحدة ان تظل مهيمنة للكيان الصهيوني ، وعندئذ تستطيع الامة العربية تحقيق النصر على هذا الكيان .

الاثار المتوقعة

ان تأميم حكومة المكسيك التقدمية ، هي الثلاثينات من هذا القرن ، لنطف بلادها وإنقاذه من سيطرة الاحتكارات الاميركية ، كان له بالغ الاثر في دفع الشعوب التي تنتج النفط الى تصعيد نضالاتها ومطالبة حكوماتها بسانتاج نفس الطريق . ولقد استطاع الشعب الفنزويلي ان يرفض ، بنضالاته التي استمرت حتى عام ١٩٤٢ ، اتفاقيات جديدة مع شركات النفط الاجنبية على اساس مناصفة الارباح . وامتد اثر ذلك الى الشرق الاوسط فبدأت ايران - التي كانت فيها حكومة تتوخى مصلحة الشعوب الايرانية - بالمطالبة باتفاقية جديدة تنال فيها نصف الارباح أيضا . الا ان الشركة الاحتكارية البريطانية تمنعت ورفضت الرضوخ لهذا المطلب رغم جزئيته وعدم جديته . وحاولت الحكومات الايرانية - بسبب الضغط الشعبي - اقناع الشركة بالموافقة دون جدوى حتى قامت حكومة الدكتور مصدق بتأميم النفط الايراني عام ١٩٥١ .

وتأميم النفط في العراق ، أيضا ، لا يمكن ان يكون عملية بمنزلة ينحصر مفعولها في هذا الجزء من الوطن العربي . ان هذه العملية ذات اثر كبير وخطير ، لا في الوطن العربي وحده ، بل في كل قطر منتج للنفط في ارجاء العالم الثالث أيضا ، حيث ما تزال للاحتكارات تهب ثرواته النفطية . ولا بد ان يظهر تأثير ذلك عاجلا أو آجلا ، بعد ان

شهدت شعوب العالم نجاح العراق وأخذت تلمس نتائج هذا النجاح .

لقد أثبت نجاح التأميم ان الامبريالية لم يعد بإمكانها صد التضامن المالي الذي يتصاعد مع كل معركة يخوضها شعب مناضل ضد الاستعمار وسيطرته الاقتصادية . ان الاحتكارات وبلدانها فشلت في كل الاجراءات : الانتقامية التي حاولت عن طريقها احباط التأميم . فجبهة النضال العالمي تتسع وتقوى يوما بعد آخر ، وهي تحمل تباشير النصر للشعوب . وعلى ان نقل المعركة الاساس

ان التأميم كان خطوة تاريخية ثورية تركت آثارها في كل ارجاء العالم الثالث والراسمالي ، لادخالات اسلوبي ثوريا في النضال يمثل مرحلة متقدمة في التاكيد والاستراتيج التي تختطه القوى التقدمية المعادية للاستعمار . ولقد كان من امار تلك الخطوة ان خبراء وسياسيين من (٣٤) بلدا اجتمعوا في العراق تحت شعار (النفط سلاح في الكفاح ضد الامبريالية والعدوان الصهيوني) وكان ذلك في ندوة مجلس السلم العالمي المعقودة في تشرين الثاني ١٩٧٢ ، والتي جاء في البيان السياسي الذي أصدرته : « ان تأميم عمليات شركة نفط العراق خطوة هامة نحو تحرير جميع مصانع النفط من السيطرة الاحتكارية ونحو تحقيق الاستقلال الاقتصادي القام » ، وأكد البيان ان العراق بمعله هذا وجه ضربة قوية للاستعمار والامبريالية وان للثورة العربية هو السلاح الفعال في معركة الامة العربية وان تحريره شرط اساسي لنحو الامبريالية .

السند الامريكي لاسرائيل

محمد حسين الجهماني

١٩٤٧ ، ولولا ضغط الولايات المتحدة على الدول المرتبطة معها اقتصاديا ، لما كان لهذا القرار ان ينجح .

لقد اشار الى الدور الذي قامت به الولايات المتحدة من اجل اقرار التقسيم ، عضو الكونغرس الامريكى «لورانس سميت» الذى طالب باجراء تحقيق حول الموضوع ، وذلك فى خطاب مشحون بالفضيحة لاقاه فى ١٨ - ١٢ - ١٩٤٧ جاء فيه :

« ان مندوبى ثلاث دول تعرضوا لضغط شديد من جانب جنوب الولايات المتحدة ، ومن مسئولين على أعلى المستويات فى واشنطن ، والذى حدث ، أن الاصوات الحاسمة والمرجحة الى جانب التقسيم كانت لصوات هايتى وليبيريا والفلبين ، وكانت هذه الاصوات كافية لتأمين أكثرية الثلثين . لقد كانت هذه البلدان تعارض الفكرة فى السابق ، غير ان ضغط مندوبينا ومسئولينا وغيرهم من المواطنين الخصوصيين فى الولايات المتحدة ، يشكل مسلكا ضدهم وضدنا يستوجب التعنيف والجزع » (١)

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تغلصت الصهيونية عن حليفهم الام «بريطانيا» وراوا فى امريكا السند القوي لتحقيق مطامعهم ، وتناسى الصهيونية ايدى البريطانيين - المملوكة بالدماء - التى منحتهم وعد بلفور فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٧ . لقد خرجت بريطانيا من تلك الحرب وقد اكل نجم زعامتها للعسكر الامبريالى .

وسارع الامريكان لكسب ود الصهيونية ، لان اهتمام امريكا انصب على تدعيم مراكزها البترولية وقواعدها العسكرية فى الشرق الاوسط ، ومن هنا كان قيام دولة اسرائيل ، تحقيقا لاهداف الولايات المتحدة الامريكية ، الاقتصادية والسياسية من جهة ، ولتكوين اسرائيل الدركى - فى المنطقة - الذى يقوم باغتيال المد الثورى كلما بدأت تباشيره بالبروز من جهة ثانية . لهذا كان التأييد الامريكى لاسرائيل على اشكال مختلفة فنن دهم عسكري ، الى سياسى . . . الى اقتصادى وغيره . . .

الدعم السياسى

صدر قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ - ١١ -

سمر ويلز صرح في كتابه « لا يجوز لنا أن نخلق ، مايلي :

هو وأدارته . يبدو أن مراجع أخرى تعترف بأنندماج البيت الأبيض في الموضوع كلية .

« لقد تمت بإيعاز مباشر من البيت الأبيض ، ممارسة كل شكل من أشكال الضغط المباشر وغير المباشر من قبل الموظفين الأمريكيين على تلك البلدان الواقعة خارج نطاق العالم الإسلامي المعروفة بأنها إما أن تكون محليدة ، وإما أن تكون ضد التقسيم ، واستعمل البيت الأبيض ممثلين دبلوماسيين روسطاء ليكون على يقين من أن الاكثية اللازمة على الأقل مضمونة » (٢) .

هوفتزر يعترف صراحة بتدخل أمريكا لمصلحة الصبينة في اقتناع الدول بالتقسيم وذلك بقوله : « تبيننا الاتصال بالوفود ، فرادى أو مجتمعين ... وكتيجة لتعليمات تلقاها وزارة الخارجية الأمريكية من الرئيس « ترومان » ، تحولت الأمور لصالحنا : أن تدخل الولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوزت مقول الأصوات الجاذبية ضدنا » (٥)

لقد كانت نتيجة التقسيم ، ٣٢ صوتا الى جانب القرار بتقسيم فلسطين ، و ١٣ دولة ضده ، و ١٠ دول (بينها إنجلترا والصين) تمتنع عن التصويت .

« أن دولة اسرائيل مدينة كثيرا لهاري ترومان الذي أخلص للقضية الصهيونية طوال مدة رئاسته ، لقد كان البيت الأبيض يضم عددا من المستشارين يكلي لاقناع الرئيس بأهمية أصوات اليهود في انتخابات الرئاسة القادمة » (٦)
وانشاء مؤتمر الحزب الجمهوري الأمريكي المنعقد في صيف ١٩٤٨ للتحضير لمعركة الرئاسة لعام ١٩٤٨ قال رئيس الحزب :

لقد رغبنا الدول الصغرى للضغط الأمريكي بشأن التصويت ، بسوليفيا - كوستاريكا - الدومينيكان - غواتيمالا - هايتي - ليبيريا ، نيكاراغوا ، بنما - بيرو - الفلبين (٢)

« اننا نرحب باسرائيل كمعضو في العائلة الدولية » ونفخر بأن الحزب الجمهوري اول من نادى بإنشاء دولة يهودية حرة مستقلة . اننا نتعهد لاسرائيل بالاعتراف الكامل بحدودها كما اقترنها هيئة الأمم . كما نتعهد بمدها بالمساعدات لتثبيتها الاقتصادية .

ان الرئيس الأمريكي هاري ترومان ، اعترف بالضغط الذي مارسه الصهيونية على البيت الأبيض ، يقول :

وجاء دور الحزب الديمقراطي الامريكى ، فاسدس بدوره بيانا قال فيه :

« لقد تعرض البيت الأبيض لموجات قوية متواصلة من الضغط ، ولا أظن اننى تعرضت من قبل لضغط ودعوة موجهين الى البيت الأبيض كما تعرضت في هذا الوقت . وقد أزعجنى وأقلقنى الجاح بعض زعماء الصهاينة المتشددين ، مجسدا بجوافز سياسية ومرتبطا بتهديدات سياسية ... حتى أن بعضهم كان يترعر علينا أن نضغط على لم ذات سيادة لتقترح في جانبهم في الجمعية العمومية . ولكن هذا النوع من أساليب الضغط الذي كان بعض المتصلين به يمارسونه ، لم يحظ بالواقعة » (٤) .

« واننا نوافق على مطلب دولة اسرائيل فيما يتعلق بحدودها التي حددها قرار هيئة الأمم . كما أننا نتوق الى قبول اسرائيل عضوا في الأمم المتحدة ، ونتعهد لها بكل مساعدة لتثبيتها الاقتصادية » . كما حرص ترومان أن يضيف الى برنامج الاندخول . ما يلي : اننا نؤيد الفاء حظر تصدير الأسلحة حتى نتمكن اسرائيل من حقها في الدفاع . ونتعهد بأن نسمى لتعديل أى قرار تصدير هيئة الأمم بقصد الإبقاء على قرار حظر تصدير الأسلحة » (٧)

ويتمسك كسان الرئيس ترومان يحاول جاهدا أن ينكر أنواع الضغط التي ضلح بها

[٢٢] الدكتور فرانز شايكل « اسرائيل مقلعة » ترجمة محمد جديس - دمشق - ١٩٦٩ . ص ١٢٧ .

[٢٣] المصدر السابق ص ١٢٦ .

[٢٤] الدكتور أحمد طرين « قسيسة الفلسطينيين » الجزء الثاني : ١٩٦٨ - ص ٨٩٠ .

[٢٥] المصدر السابق ص ٨٩١ .

[٢٦] لوران فاسبار : « تاريخ فلسطين » وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية - ترجمة ابراهيم ميخائيل خوري .

[٢٧] عبد القادر ياسين : « أمريكا - والمسألة الفلسطينية » مجلة الكاتب - القاهرة - العدد ١٢٧ - أكتوبر ١٩٧١ .

ص ٩١ .

وفي الساعة السادسة من يوم ١٥ - ٥ - ١٩٤٨ حسب توقيت واشنطن أعلن نيسا نهاية الانتداب البريطاني عن فلسطين . وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة إسرائيل . وفي الساعة السادسة وأحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل ، مشفوعا بتمنيات الرئيس الأمريكي (ترومان) لاقرارها السلام في تلك الاربعة (٨)

وفي ٢ شباط (فبراير) ١٩٥٤ : عقد هنري بايود ، مساعد وزير الخارجية الامريكية آنذاك مؤتمرا صحفيا قال فيه :

« ان اسرائيل وجدت هناك لتبقى . وان امريكا هنا لتؤمن حياتها » وعندما بدأت المؤتمرات الانتخابية للامريكية لعام ١٩٥٢ . أصدر مؤتمر الحزب الجمهوري المنعقد في شيكاغو في يونيو (حزيران) ١٩٥٢ ، قرارا خاصا باسرائيل أشار فيه الى ان الحزب قد عمل « منذ ثلاثين سنة مضت في سبيل انشاء وطن تومي لليهود » وتحظى اسرائيل بتأييد الحزب . ولهذا فانه سوف يستخدم نفوذه لمعد الصلح بين العرب واسرائيل . وسوف يتابع امتصاصه بهذه الدولة الانسانية الفاجعة .

وعلى غرار هذا القرار أصدر مؤتمري الحزب الديمقراطي المنعقد في نفس الزمان والمكان قرارا بتأييد اسرائيل . ومن الجدير بالذكر انه قصاد الحيلة لاصدار قرار مؤتمري الحزب الجمهوري كل من :

ايرفينج ايقي ، ريتشارد نيكسون (الرئيس الحالي لأمريكا) وأوجين ميليكان (٩)

وفي عام ١٩٦٤ في التاسع من يونيو (حزيران) خرج ليهي اشكول رئيس وزراء اسرائيل آنذاك في مؤتمر صحفي عقده في لوس انجلوس : « ان الولايات المتحدة الامريكية تستأجر الى نجدة اسرائيل اذا ما هاجمها العرب » وان للرئيس الأمريكي يحدد الإبقاء على حدود اسرائيل ومنع مهاجمتها (١٠)

وفي بداية مايو (آيار) ١٩٦٧ ، وجهت

مجلة (أخبار أمريكا وتحقيقات العالم) سؤالاً الى رئيس مجلس الوزراء الاسرائيلي ليفي اشكول :

« هل تنتظرون مساعدة من الولايات المتحدة الامريكية اذا هوجمت اسرائيل بالقوة ؟ » اجاب قائلا :

« يقينا نحن ننتظر مساعدة .. وأنا اتوقع اللون استنادا الى الوعود الرسمية التي تطعت لاسرائيل لما طلبنا من الولايات المتحدة اسلحة . فاجيبنا : « لا تهدروا اموالكم . اننا هنا .. الاسطول السادس هنا .. » (١٠)

ماذا كان للرئيس جونسون ، أن يقول غير هذا ، وهو على أبواب سنة انتخابية ، فهو لا يستطيع اغضاب سكان نيويورك من اليهود الذين يزيد عددهم على سكان امرائيل كلها . ولما في حاجة الى التذكير بأن عاصمة اسرائيل الحقيقية منذ انشائها ليست تل أبيب أو القدس ولكنها نيويورك التي يأتي منها عصب الحرب والضرار - الدولار ؟

وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ - أعلن وايم روجرز وزير خارجية أمريكا أن بلاده مستمرة في تأييدها لاسرائيل . وأن لا خلاف حول ذلك . وهو أمر تعرفه اسرائيل [١١] .

الدعم العسكري

يذكر فراج طالع نقلا عن كتاب (الستار الحديدي حول أمريكا) لمؤلف جون بيتي مسا يلي : « لا يعرف بالضبط عدد الجنود والضباط الأمريكيين الذين التحقوا سرا بالجيش الاسرائيلي أثناء الحرب ضد العرب . وقد كتب روبرت كنوي من القدس في ١٩ (كانون الثاني) يناير ١٩٤٨ قائلا : ان أكثر من ألفي أمريكي التحقوا بالهاغانا - وهي عصاية ارامية - وأضاف كنوي ان الوكالة اليهودية تنتظر وصول خمسة آلاف أمريكي آخرين ليحاربوا في صف اليهود . ولو أدى الامر الى أن تسقط الولايات المتحدة الجنسية الامريكية عن هؤلاء المتطوعين » (١٢) .

[٨] الدكتور أحمد طرين : المصدر السابق ص ٩٢٧ .

[٩] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب من ١١٢ - ١١٣ - ١١٥ - المصدر السابق .

[١٠] بيير جيبورون : ضد اسرائيل - وزارة الدفاع السورية - ترجمة حسين كيالي - من ٦٢ - تاريخ مندوب ١٩٧١ دمشق .

[١١] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب - المصدر السابق ص ١١٧ .

[١٢] الدكتور أحمد طرين : المصدر السابق ص ٩٠٩ .

والذي يسمنا في هذا المجال هو الذعم الأمريكي
لإسرائيل قبل وأثناء حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .
ففي شهر فبراير (شباط) ١٩٦٦ . وقع أبا ايمن
وزير خارجية إسرائيل مع المسؤولين في
واشنطن اتفاقاً سرياً حولت أمريكا بموجبيه
إسرائيل بقاذفات القنابل الاستطلاعية . كما وقع
وينشطين - نائب وزير الدفاع الإسرائيلي - اتفاقية
أخرى مع المسؤولين الأمريكيين في مايو (أيار)
١٩٦٦ يقضي بتزويد إسرائيل بقاذفات من
طراز (سكاي هوك) ، وعشية حرب حزيران سنة
١٩٦٧ تعهدت أمريكا لإسرائيل بالتدخل إذا صارت
المعركة في غير صالح إسرائيل . وكان هناك مائتا
طائرة أمريكية وألف طيار أمريكي . بالإضافة إلى
حملة الاجراء الإسرائيلية بحاملات الطائرات
الأمريكية انراسية في البحر المتوسط ، بالإضافة
إلى تحديد مواقع الطائرات المصرية ، والمرات
الامنة التي يمكن للطيران الإسرائيلي أن يسلكها في
هجومه على هذه الطائرات . والتقاط الاشارات
الصادرة من غرفة العمليات المصرية ، وتدميرها
للقادة الإسرائيلية بعد حل رموزها . مع قيام
أمريكا بالتفويض على شبكات الرادار
المصرية . . . (١٢) .

ظائرات خامسة وهي (كوستيلين) بعد حادثة
الحملة (انترديد) إلى البحر الاحمر ، والتي لم
يتأكد خروجها إلى الشرق الأقصى ، كما أعلن عن
وجهتها .

اعلان حالة الطوارئ والاستعداد في جميع
القواعد العسكرية الأمريكية في ليبيا ، وكسند
الاسطول السادس ، وتحركه إلى شرق البحر
المتوسط . وقد ذكرت (الاهرام) في ٢٠-٥-١٩٦٧ .
أن وكالات الأنباء العالمية في اثينا اذاعت
تصريحات نسبت إلى مسئول كبير في الاسطول
السادس تقول :

أن الوحدة السادسة (البر مائية) التي تضم
عددا يتراوح بين ١٥٠٠ - ١٨٠٠ جندي من مشاة
الاسطول الأمريكي قد أبحرت من نابولي يوم
الخميس الماضي متجهة إلى إسرائيل . (١٥) .

كما أن سفينة الابحاث (بيرتي) الأمريكية
كانت تستخدم للتفويض وقد تأكد حملها ضد
أجهزة رادار قوات الجمهورية العربية المتحدة
البحرية . وبصورة خاصة عندما كانت زوارق
الصواريخ تدعم اعمال القوات البرية على المعبر
الساحلي ليلة ٨ حزيران (١٦)

لقد توقعت أمريكا أن تحل كل مشاكل الشرق
الاطلس خلا حاصما يناسبها بضربة واحدة تحصل
على صلح دائم بين العرب وإسرائيل . وأن تسيطر
النظم والحكومات القمعية (المشاكسة) . ولكن
هذا لم يتم كما ارادته أمريكا (١٧) .

وفي حزيران سنة ١٩٦٥ : تم اتفاق بين
أمريكا وإسرائيل يتضمن اقامة شبكة للدفاع
الجوي في إسرائيل من صواريخ هوك الموجهة من
الأرض للجو . واخفارت بعد ذلك إسرائيل اثنتي
عشرة قاعدة لإطلاق الصواريخ ، تسع قواعد في
مناطق حدودها مع مصر قبل الخامس من
يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ . وقاعدة على
الحدود الأردنية . وقاعدتان على الحدود
السورية (١٨) .

وفي أول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ وصل
إلى إسرائيل ٤٨ طياراً أمريكياً و ١٣٦ حبراً في
الطيران والرادار . ولأعداد هؤلاء تنظيم شبكات
الرادار والطائرات والدفاع الجوي في إسرائيل .

وقد أورد العقيد محمد الشاعر دلائل لا تقبل
الشك - في كتابه (الحرب الفدائية) - عن التدخل
الأمريكي لحساب إسرائيل . وللاهمية تقتطع أهم
ما جاء فيه :

في ٢ حزيران سنة ١٩٦٧ تم إعادة دهان عدد
كبير من الطائرات الأمريكية في القواعد
الاسبانية (فيسبادن - ورامشستين) بلسون
الحصراء .

وفي الواحدة صباح ٥ حزيران سنة ١٩٦٧
أقلمت جميع هذه الطائرات إلى جهة معلومة وعاد
بعضها في اليوم التالي .

ووصلت إلى القواعد الأمريكية
باسبانيا (قاعتي سارجوسا وتورنوجون) بعض
الوحدات الجوية الأمريكية من قاعدة (هويس)
في ليبيا وأعيد دهانها وتحركت بعد ذلك إلى
إسرائيل (١٤) .

تميزت قوة الاسطول السادس الأمريكي بحملة

- [١٢] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب ١١٨ - ٦١٩ .
[١٣] العقيد محمد الشاعر : الحرب الفدائية في فلسطين - دمشق ١٩٦٨ ص ٢٥٨ .
[١٤] المصدر السابق - ص ٣٦٠ .
[١٥] المصدر السابق - ص ٣٦٦ .
[١٦] أحمد بهاء الدين : « إسرائيليات وما بعد المدون » دار الهلال - أكتوبر ١٩٦٧ .
[١٧] حركة التحرير الفلسطيني : دراسات عن المدون ص ٤٦ .

مليون دولار كما بلغت التبرعات الخاصة ائعافه من الضرائب التي جمعتها جمعية الاغاثة اليهودية المتحدة يبلغ يقارب مليار دولار *

كما حصلت اسرائيل على امتياز غريب لبيع سندات الحكومة الاسرائيلية في الولايات المتحدة * الامر الذي عاد على دولة اسرائيل بما يتراوح بين ٥٠ ٧٥ مليون دولار سنويا * (٢١)

وقس خلال السنوات العشر الاولى من قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٨ قدمت الولايات المتحدة ١٢٠٠ مليون دولار . اذا نحن لم نتكلم عن السبعائة مليون دولار المقدمة من المنظمات الخيرية *

بداهة ليس المون الامريكى خلوا من الغرض * واسرائيل راس الاستعمار في الشرق الاوسط هي ايضا مستعرة * ويروى اسحاق دويتشر (مجلة الازمنة الحديثة العدد ٢٥٨ ص ٨٠٠) : ان موقفنا كبيرا في تل ابيب قد عدد له المصانع التي لايحق للاسرائيليين بناؤها لان الامريكان يصارعون تشييدها ولا سيما مصانع المعادن ومصانع المواد الزراعية ، ولقد غدت مصانع اخرى بيد الامريكان مثل مصانع المنتجات الكيماوية في حيفا * ولولا المساعدات الامريكية لما استطاع الاسرائيليون ان يستمروا لولا الدولارات لما كانت هناك « معجزة » اسرائيلية * [٢٢] . ان ميزانية اسرائيل لمصلح ١٩٧١ - ١٩٧٢ البالغة ١٢٤٢٣ مليون ليرة اسرائيلية يقدر نصيب نفقات الدفاع بـ ٥٢٠٠ مليون ليرة أي نسبة تماثل ٤٠ في المائة من اجمالي الميزانية أي ان الفرد في اسرائيل ملزم بان يقدم لميزانية الحرب مايقرب من ١٧٥ ليرة اسرائيلية (حوالي ٥٠ دولارا) بعد هذا تبس الحقيقة المؤكدة ، وهي ان المصونات الامريكية وغيرها لا تستطيع ان تقيم اقتصاد دولة لا تتوافرها اللغوات الطبيعية * فالاستهلاك والاتفاق الحربى الضخم الذي يتصف به اقتصاد اسرائيل تعتمد على العامل الاسرائيلى ان يكون في مستوى الانتاجية الكافية لتفاسد العامل اليابانى والى التلوق على العامل الامريكى ايضا حتى يستطيع ان يحقق فائضا ذاتيا يواجه به احتياجاته المعيشية وتغطية نفقات الدفاع التي تخطط لها المؤسسة العسكرية الحاكمة في اسرائيل * (٢٣) *

وكل خير ترسله امريكا الى اسرائيل تضاعفت له الحكومة الامريكية مرتبه ، وتكافئه بما يوازي راتب اربعة اشهر من كل سنة يقضيها في اسرائيل كما تؤمن على حياته ببلغ ٢٥٠ ألف دولار ..

وقد سمحت المحكمة الامريكية العليا بقرار منها سنة ١٩٦٩ - للمواطنين الامريكيين بالانخراط في الجيش الاسرائيلى *

وفي خلال علم ١٩٧٠ تعهد مائة ألف امريكى كتابيا ، بالجمى الى اسرائيل في حالة نشوب القتال مع العرب *

وهذا الرئيس الامريكى ديتشارد نيكسون يوم ٧-١٩٧٠ يصرح لمطلى شبكات التليفزيون الرئيسية الثلاث في الولايات المتحدة عمل ماسو ضرورى للمحافظة على قوة اسرائيل بالنسبة الى جاراتها ، لا لانا نريد ان نرى اسرائيل في موقف يكتفها من شن حرب ، وانما لردع جاراتها عن الهجوم * (١٩)

الدعم المالى والاقتصادى

الواقع ان اسرائيل لا تواصل حياتها اليوم الا بمعونة ، وذلك عن طريق الهبات المستمرة من اموال الضرائب الطائفة الامريكية * ويتجسرى تمويل اسرائيل الى حد بعيد بتبرعات المواطنين الامريكيين المغفرة من الضرائب * حيث لا تخدم هذه البايغ اهدافا خيرية فقط * بل تخدم اهدافا سياسية ايضا * هذا هو ما شالته عضو الكونجرس الامريكى رالف فلاندرز في كلمة القاها في تموز (يوليى) ١٩٥٨ (٢٠) *

في عام ١٩٦٢ بلغت التبرعات الامريكية ٩٠ مليون دولار والتفروض الامريكية ١٢٨ مليون دولار بالإضافة الى الدفعات الائتمانية ٢٢٥ مليون دولار * لقد بذلت الولايات المتحدة الامريكية كل جهد ممكن من اجل تثبيت دعائم (دولة اسرائيل) وجعلها قاذرة على الحياة * وفي الفترة الواقعة بين سنة ١٩٥٠ و سنة ١٩٦٠ قدمت امريكا لاسرائيل مساعدات مالية وصلت الى مائتيه ٥٠٠

[١٩] عبد القادر ياسين : مجلة الكاتب المحدث السابق ص ١٢٢ *

[٢٠] الدكتور فرانك شاميل : اسرائيل امة مفتعلة ص ٢٢٤ *

[٢١] المصدر السابق ص ٢٥٧ *

[٢٢] بير ديبيرون : ضد اسرائيل ص ٨٨ - ٩٠ *

[٢٣] عبد العزيز المصيرى : اقتصاد اسرائيل ص مجلة الكاتب اكوير ١٩٧١ - ص ٦٧٠ *

الواقع والممكن

في هجرة العقول

د. سلمان رشيد سلمان

السياسة التزويجية بدخول مناقشة النواحي
الأخرى .

ان المتبع لجريبات الامور في العالم العربي
يدرك بان وقت الهجرة عملية صعبة في ظل
الظروف الحالية للدول العربية ، وان الهجرة
ستزداد في المستقبل ، الا ان ذلك لا يعني بان
من غير الممكن تحديد هذه الهجرة ونقلها الى
درجة كبيرة بائباع الطول الآتية التي ستاتي
الى التطرق اليها فيما بعد ، الا ان من المهم
الآن مناقشة الهجرة العلمية كظاهرة سياسية
واقتصادية ، وقيل البدء بذلك لابد من تدوين
بعض النقاط المهمة وهي ٥

١ - ان الاتليات الاتنية والطائفية اكثر ميلا
للهجرة من غيرها [١] ، ومثال على ذلك ان
معدل الهجرة لخريجي كلية الطب للجامعة
الامريكية في لبنان هي كالآتي [٢] .

المتبع لبعض المقالات والأبحاث
التي تتناول احدانا او ظواهر
مهمة في الوطن العربي ، يلاحظ
ان هناك ولما خلاصا يعزل
الظواهر العلمية والاجتماعية والسياسية
بعضها عن البعض الآخر ، وكما ان من المهم
دوما تحديد خصوصيات ظاهرة ما ودرسها بدقة
علمية الا ان من الضروري ربط هذه الظاهرة
بالظواهر الأخرى في المجتمع . ولعل احد القضايا
الخطيرة التي نوقشت وأخضعت لهذه المنهجية
الخاطئة ، ظاهرة هجرة العقول العلمية من
الوطن العربي ، لمقد كتب الكثير عن اسباب
هذه الهجرة ووضعت لها الحلول التي تقدمها
اصحابها كدواء اكيد لوقفها الا ان هذه البحوث
ناقشت القضية بخصوصية كانت تنقدها الاهلية
المتأثرة من كونها مشكلة اجتماعية وسياسية
واقتصادية وتربوية ، اي ان من الخطأ مناقشة

ان

١ - الدكتور عباس زين ، هجرة الامة العربية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ٢١ .

٢ - ناسي المصدر ، ص ٥٥ .

٥٢٪ أرمج

٣٤٪ للعرب المسيحيين ٥٥

٥٢٪ للعرب المسلمين .

٢ - أن الهجرة قد ازدادت بصورة كبيرة ما بين ٦٦ - ٦٨ ولو أخذنا مصر كمثال على ذلك فإننا نلاحظ عدد المهاجرين خلال هذه المدة كما يأتي [١٣] .

السنة	العدد
١٩٦٥	١٦٦
١٩٦٦	٢١٠
١٩٦٧	٤٨٧
١٩٦٨	٦٧٠

٣ - أن هجرة العليين بالنسبة لكل عشرة آلاف نسمة من السكان تسجل نسبة عالية لكل من الأردن ولبنان كما يتوضح ذلك في الجدول التالي [٤] :

سجل هجرة الإندفة وأرباب المهن لكل عشرة آلاف نسمة من السكان

الهجرة إلى الولايات المتحدة من ٦٢ - ٦٩	الهجرة إلى كندا من ٦٢ - ٦٧
مصر ٣	١
لبنان ٣٠٠	٤
الأردن ٤٢٠	أقل من واحد
العراق ٥٤	٠
سوريا ٤	٠

٤ - في دراسة أجريت في مصر تبين أن أكثر من ٧٠ بالمائة من مجموع المهاجرين الجامعيين كانوا من حملة الدكتوراه في الفلسفة ٥٨٣ وه بالمائة من الذين هاجروا هم من الأطباء والمهندسين و١٧٠ بالمائة من حملة شهادة الماجستير في

العلوم و٦ بالمائة من حملة دبلوم الدراسات العليا و٥٨ بالمائة أنهوا تدريباتهم المحلية في الدراسات العليا [٥] ، وكذلك تبين أنه بينما لم يهاجر أحد من الجامعيين على درجات علمية عليا [٦] والدبلوم والماجستير والدكتوراه في عام ١٩٦٢ ، هاجر فردا واحدا في ١٩٦٣ وتزايد العدد حتى بلغ ٢٣ فردا في عام ١٩٦٧ ثم ٩٢ في عام ١٩٦٨ وبلغ العدد ١٢٢ فردا في ١٩٦٩ ، أي أن نسبة الكفاءات العلمية من مجموع المهاجرين من مصر في عام ١٩٦٢ كانت ٣٤ بالمائة وازدادت هذه النسبة لتصبح ٦٢٣ بالمائة في عام ١٩٦٩ [٦] .

٥ - أن كثيرا من البلدان قد شهدت هجرة علمية بعد أن مرت بهزات سياسية وكثرت على ذلك فقد هاجر ٩٠٠ أستاذ من مجموع ٢٠٠٠ من جامعة بونيس ايرس بعد الانقلاب الذي حدث في ١٩٦٦ [٧] ، وحدث ما يشبه ذلك بعدد انقلاب اليونان ، وازدادت هجرة الكفاءات العلمية من الدول العربية بعد حرب ٥ حزيران .

٦ - أن الهجرة تكاد أن تكون معدومة في الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر .

٧ - أن الدول التي لها ارتباط قوى بالولايات المتحدة تشهد هجرة مخصصة في الكفاءات العلمية ومثال على ذلك جنوب كوريا ، وتايوان ، والفلبين .

٨ - وتقدر نسبة الذين يهاجرون كل سنة إلى أمريكا ٣٠ - ٥٠ بالمائة من خريجي هذه الدول [٩] ، كما أن نسبة المهاجرين إلى أمريكا من الفئات الثلاث تشير إلى أن أعلى نسبة هي من أمريكا اللاتينية .

٩ - كما أن الدول ذات الارتباط المتين مع أمريكا تشهد حالة بطالة هائلة بين أوساط خريجي الجامعات ، ففي سنة ١٩٦٢ كان هناك ٤٠٪ من مهندسي بوريا بلا عمل وهذه النسبة مشابهة لمثيلاتها في تايوان بحيث تقدم أكثر من ١٠٠٠ طلب للتوظيف في ثلاث وظائف كتابية مملنة ، وفي الفلبين كان هنالك أكثر من ٣٠٠٠٠ خريج جامعة بلا عمل [١٠] .

٣ - نفس المصدر ، ص ٣٩ .

٤ - لقد أعتمدت في عمل هذه الإحصائية على الجداول المنشورة في كتاب الدكتور الياس زين ص ٢٤ - ٣٧ ، أما إحصائيات التوس في الدول العربية فقد أخذتها من المصدر التالي :
The Book of the World, 1971, Edited by John Managau, Tom Stacey Ltd.

٥ - الدكتور الياس زين ، ص ٥٤ .

٦ - الإهرام الاقتصادي ١٩٧٢/٥/١ ص ٧ .

٧ - G. Skorov, Brain Drain, International affairs Janu 1969, p. 18.

٨ - G.B. Baldwin, Brain Drain or over flow, FOREIGN AFFAIRS, 197, p. 361.

٩ - G. Skorov, International affairs p. 16.

١٠ - نفس المصدر ، ص ١٨ .

هذه هي بعض الحقائق المتوفرة في هذا الشأن
هذه الحقائق أنها تعني بأن هذه المشكلة لا تحدد
بكونها مشكلة تربية أو اجتماعية منفصلة عن
الوضع الطبقي والسياسي للمؤسسات الحاكمة
وللوضع الاقتصادي الذي تعيشه الدول التي
تعاني من الهجرة . **فالحقائق تدل على أن الدول
التي ترتبط ارتباطاً اقتصادياً بأمريكا تعاني من
بطالة علمية وبالتالي من زيادة في هجرة الكفاءات
العلمية ، كما أن دولا كيهذه لا تضع أي قوانين
لوقف الهجرة بل هي تفتح أبواب الهجرة أمام من
يود أن يفلت ذلك ، أن الهجرة هنا ترتبط ارتباطاً
كاملًا بالأوضاع التي تعيشها هذه الدول ، فهي
عبارة عن مستعمرات اقتصادية تخضع
للاستعمار الأمريكي الجديد ، لذلك فإن اقتصاد هذه
الدول سيكون تابعاً لأمريكا ، أي أنها ستكون سوقاً
مفتوحاً للبضائع الأمريكية . ولا يمكن أن تقوم
في هذه الدول صناعات انتاجية ، بل صناعات**

تتول راس المال الاجنبي . ان أمريكا تشجع قيام
اقتصاد استهلاكي مرتبط بالسوق الرأسمالية
العالمية . وان هناك ظاهرة تاريخية جديدة
بالتيهات ، فالدور الذي لعبته البرجوازية الأوروبية
في قيادة التطور الاقتصادي في تلك الدول ،
يختلف من الدور الذي تقوم به البرجوازية في
الدول النامية ذلك بأن هذه البرجوازية ، هي
برجوازية متخلفة وغير قادرة على تطوير الاقتصاد
الوطني ، لأنها تخضع لظروف موضوعية وعالمية
لها لن تكون الا تابعاً ووسيطاً ما بين الرأسمالية
الأوروبية والأمريكية ، وما بين المستهلك في
الدول النامية . ومن هنا ، فإن يكون بإمكان هذه
الطبقة الا أن تسن القوانين والأنظمة والسياسة
التربوية التي تتلاءم مع طبيعتها تلك .

ولكن أين يقع العالم العربي من كل ذلك ؟
ان من الممكن أن نقسم الدول العربية التي
أخذناها في دراستنا هذه [لبنان ، الأردن ،
مصر ، سوريا ، العراق] الى قسمين ، **القسم
الأول :** هي دول تخضع الى تأثيرات السوق
الرأسمالية وتتحكم من قبل أنظمة تشجع على
قيام صناعات استهلاكية ، ان هذه الدول ترتبط
بدرجة كبيرة بأمريكا ، ولقد ناقشنا وضع الطبقة
الحاكمة في دول كيهذه ، أي ان الطبقة الحاكمة
هي طبقة وسيطة بين الرأسمالية الأمريكية
والأوروبية وبين المستهلك وتحت هذه الدول
تتولى الأردن ولبنان ، ومن هنا نرى بأن السياسة
التربوية والقوانين الموضوعية تخدم هذه الطبقة
ومطموحاتها . وفي ظل هذه الظروف ، لا يمكن أن
تقوم صناعات انتاجية والتي هي الحل الأمثل

لتوظيف العقول العلمية فيها . ومن هنا ، فإن
العقول العلمية لن تجد نفسها الا في حالة
بطالة او في حالة استخدام لا يت الى اختصاصاتهم
بصلة . والواقع ان النظام التربوي في هذه
الدول يشجع على قيام تخصصات علمية لا فائدة
منها في تلك الدول ، لذلك نرى بأن أكثر من ٧٢ بالمائة
من الكيماثيين في لبنان يهاجرون الى الخارج (١١) .
وعدم فتح كليات تكنولوجيا او صناعية
لان هذه الدول لا تستفيد من قيام صناعة منتجة ،
لان الطبقة الحاكمة لا يمكن أن تسمح بقيام مثل
هذه الصناعة ، لأنها خاضعة للتأثيرات الخارجية ،
كما ان اقتصادها خاضع للاقتصاد الرأسمالي .

لذلك ، فنحن لا نتوقع أن تحاول لبنان أن تضع
سياسة علمية تشجع البحث العلمي " البحث
العلمي من أجل ماذا ؟ ولخبرة من " لا أن مردود
هذا البحث العلمي سيكون لا قيمة له لنظام كالذي
يوجد في لبنان . ومن هنا ، فإن قيام سياسة
تربوية تحد من الهجرة العلمية في لبنان او
الأردن لا يمكن أن تقوم لأنها لا تخدم مصلحة
الطبقة الحاكمة ، ولذلك تسجل الهجرة العلمية
من هذه الدول نسبة عالية من مجموع الهجرة
العلمية من الوطن العربي .

أما المجموعة الثانية من الدول العربية كـ
سوريا والعراق فإنها دول تتوحد سلطة وطنية
تجد من مصلحتها السير بالدولة نحو قيام صناعات
انتاجية ونحو توظيف كابل لعقولها العلمية . الا
ان هذه الدول تواجه ضغوطاً خارجية مستمرة
لتمنع قيام هذه الصناعات ، ان السياسة التربوية
في هذه الدول تخدم ايضاً طموحات السلطة
الحاكمة ومن هنا رأينا بأن الهجرة العلمية من
مصر مثلاً كانت قليلة جداً في أوائل الستينات ،
حينما بدأت مصر تتجه نحو قيام صناعات انتاجية
ونحو الاتجاه نحو الاكتفاء الذاتي . . الا ان نمو
البيروقراطية من [بداية الستينات وحتى حرب
جزيرين] ، هذا النمو حاول احتواء هذه التأثيرات
وتشويقها خاصة في المجال التربوي ، وجاءت
الحرب لتفرض ضغوطاً كبيرة على مصر من أجل
إيقاف الاتجاه الاقتصادي الذي تسير عليه ومن
أجل اخضاعها مرة أخرى للسوق الرأسمالية .

ان الحرب قد فرضت **اتفاقاً** مثلاً على التسليح
مما حد من الاهتمام بالمشايخ الأخرى والبحث
العلمي . ومن هنا أخذتنا زيادة الهجرة من هذه
الدول ، علاوة على ان الهجرة من الدول العربية
بصورة عامة - قد ازدادت نتيجة للتغيرات
السياسية المتواصلة ، وهي التغيرات التي
تتسبب في ضياع التقاليد الديمقراطية في هذه

الدول . وكذلك ازدادت الهجرة بعد حرب حزيران هذه الحرب التي دللت على أن العجز القائم في مفاهيننا وأن المشكلة ليست سياسية واقتصادية فحسب بل وحضارية أيضا ، أن العلم لا يمكن أن ينمو وينشأ إلا في أطراف معينة وفي ظلال أوضاع حضارية واقتصادية متقدمة .

علي أن هذا كله ، لا يعني أننا نقول بأن الهجرة ستستمر ولا يمكن إيقافها ، بل أن هذا يعني بأن من الخطأ النظر إلى هجرة العقول بمعزل عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلد ما . فنحن نلاحظ بأن هجرة الأقاليم هي أكثر من هجرة أبناء البلد ، والسبب هو أن الأقاليم هي أسرع القطاعات السكانية وأكثرها تأثرا بأي تغير اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي في البلد . كما أن كل ما ذكر لا يعني عدم وجود مشكلة تربوية إلا أن من المهم معرفة حقيقة كذا النظام التربوي جزء لا يتجزأ عن النظام القائم وهو يكرس بخدمته ، أن الظاهرة التي نراها بوضوح هي الدول ذات الأنظمة الوطنية هي تهتم ببرورقراطية في كل المجالات . ففي المجال التعليمي ، نلاحظ هذه البرورقراطية بكونه من الجهاز العلمي القديم المتمرس بكل الأحاسيل ووسائل التعويق ، وهذا الجهاز يرفض أي أصلا . ولذلك نجد العلماء الشباب يهاجمون الأمرين من هذا الجهاز البرورقراطي مما يدفعهم في النهاية نحو الهجرة .

إن مثل الصين والدول الاشتراكية ، دليل على مذهب الله ، إذ أدى قيام الحكم الوطني في الصين الشعبية إلى قيام حركة تصنيع هائلة وقيام تخطيط علمي لامكانات البلد كما شهدت الصين حركة هجرة علمية عكسية لمئاتها من خارج الصين إلى داخلها ونتج من ذلك نهوض علمي كبير - مكن الصين من أن توصل كوادرها العلمية في المكائن الملائمة لهم والتي تمكنهم من الإنتاج وتطوير الصناعة والعلم ، وهكذا فإن الحكم الذي يريد أن يصنع البلاد ، لابد له من إرساء أسس علمية لهذه العملية ، وذلك يتطلب أولا تخطيطا منسجا ، وبعد أدنى ، من أجل استغلال كافة الإمكانيات الاقتصادية والعلمية وهذا ما حققت البلدان الاشتراكية ، ومن هنا نستطيع أن ندرك ارتباط السياسة التربوية في هذين القطرين بالأهداف التي تحلبها الطبقات القائدة .

إن هذه الفكرة العلمية لهذا الموضوع الهوي تجعلنا نستنتج ما يأتي :

١ - أن الهجرة المرتبطة بالأنظمة الاشتراكية والتربوية ستستمر وتزاد وستأثر بمدار الطلب على هذه العقول في أمريكا وأوروبا الغربية ، لأن هذه الدول مهية لإنتاج العقول التي لا تجد

إمكانها تنويع الهجرة إلى الخارج ؟ تحت ظل عوامل شتى تحتاج وحدها إلى دراسة مطولة ، ومن هنا فإن انتاج أي سياسة للحد من الهجرة العلمية لا يمكن لها النجاح إلا بصورة ضئيلة .

٢ - أن الهجرة من الدول ذات الأنظمة الوطنية لا يمكن القضاء عليها لأن ذلك مرتبط مع البرنامج الاقتصادي الذي تسير عليه هذه الدول والخاضع إلى ضغوطات مالية وداخلية شتى ، إلا أن الحد من هذه الهجرة هو أمر وارد ويمكن ومن هنا تأتي أهمية وضع الحلول الآتية والتي تبسطح لن نلخصها في النقاط التالية :

١ - وضع سياسة شاملة لتشجيع البحث العلمي وقيام تشويق بين المؤسسات التي تقوم بالبحث العلمي .

٢ - الاهتمام بالوحدة الأساسية للبحث العلمي والإمالة البحث العلمي والكثير أن يمكن أن يكون هناك أي بحث علمي بدوره .

٣ - تهيئة المناخ العلمي والفكرى المر للباحث العلمي باعتبارها أحد أهم الأسس التي يمكن أن يقوم عليها البحث العلمي .

٤ - تنفيذ سياسة تربوية مترابطة مع سياسة الدولة في النمو الاقتصادي ، تعتمد على تدريس العلوم بصورة منطقية بعيدة من عملية حشو المعلومات الكثيرة والقديمة في ذهن الطالب كما هو الأمر الآن في كل المدارس والجامعات في العالم العربي .

٥ - تخصيص نسبة معقولة من ميزانية الدولة للبحث العلمي .

٦ - رفع الحالة المادية للباحث العلمي وتشجيع الاتصال ما بين الأجهزة العلمية المحلية والعالمية بتشجيع الباحثين لحضور المؤتمرات العلمية وفي مواصلة التحصيل العلمي وفي القيام ببحوث مشتركة مع العلماء في أنحاء أخرى من العالم .

٧ - قيام جهاز تخطيط لدراس حاجة الدول من الكوادر العلمية في شتى المجالات والأكثر في فتح الكليات التكنولوجية وتشجيع العلوم التطبيقية والعلوم الصرفة بحيث يسهل من جبا إلى جنب حيث أن الدول القليلة تحتاج إلى نسبة عالية من الفنيين وإلى عدد قليل من الاختصاصيين .

٨ - التدليل من تأثير الجهاز البرورقراطي على البحث العلمي بربط مجالس البحث العلمي بأعلى المستويات الحكومية ، وإعطاء مؤسسات البحث العلمي حرية العمل ضمن سياسة الدولة العلمية .

٩ - قيام مؤسسة علمية عربية للبحث العلمي كحالة مبدئية لقيام تشويق بين الدول العربية بخصوص البحث العلمي .

تلوث البيئة

والصراع بين

الاشتراكية

والرأسمالية

مجدى نصيف

ايضا تتجذر المشكلة من اى مضمون اجتماعى ؛ كما لو أنها كانت مشكلة مرتبطة بالتقدم العلمى والتكنولوجى ، بعيدة عن النظام الاجتماعى ، وعن الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية فى عالم اليوم . ان هذا المنطق لا يفسر المشكلة الا من جانب واحد فقط ، ويحاول المنظرون البورجوازيون عرضه على العالم ، حتى تسمى الجماهير من المشكلة .

الانسان والتكنولوجيا والبيئة

تنقسم مشكلة البيئة الى ثلاث نواحي :

- اولا : تلوث البيئة .
- ثانيا : الخلل فى التوازن الايكولوجى .
- ثالثا : اجهاد المصادر الطبيعية .

وقبل ان نتناول الموضوع ، نلخص بعض الحقائق والارقام .

ان تلوث واستهلاك المياه العذبة ينمو بخطى واسعة . رغم ان كوكبنا هو أكثر كواكب المجموعة الشمسية التسة وليرة فى الماء ، ان كمية مياه الشرب تتناقص وهى قليلة أصلا ، بينما تتجمع معظم كمية المياه على أرضنا نسي النلاجات . لقد تحولت البحار والمحيطات الى

مشكلة « تلوث البيئة » بشكل ملح امام العالم فى أواخر الستينات . فى وقت كان الانسان يحقق فيه « معجزات » علمية وتكنولوجية هائلة : السيطرة على الطاقة الذرية ، الاكتشافات الخلاقة فى مجال الوراثة، الرحلات الكونية الى القمر والانسان يضع قدمه على سطحه لأول مرة فى تاريخ البشرية ، ثم الرحلات الفضائية الأخرى بواسطة سفن الفضاء الاونوماتيكية الى كواكب المجموعة الشمسية ، تخليق مواد صناعية جديدة لخدمة بنى البشر .

برزت

وبدأت الصبغات تحترق من التهديد المسترهب ليهات الطبيعة للانسان : الأوكسجين فى الهواء - نفاوة مياه الشرب - التحكم فى درجة حرارة الكرة الأرضية - الحيوانات والغابات . وبدات هذه الصبغات نفسها تقول بان التقدم العلمى والتكنولوجى هو سبب الأزمة الايكولوجية - اى تلوث البيئة - التى تحتاج العالم ، وذلك بسبب اجهاد هذا التقدم للمصادر الطبيعية من ناحية ، وتلوث البيئة من ناحية أخرى ، لان هناك « موابل جديدة » دخيلة على البيئة لم تستطع استيعابها .

مثل هذا المنطق يجعل من الطبيعة « صنفا » لا يمكن للانسان ان يسيطر عليه ، وبهذه الطريقة

تلى كلّ اللّاتن الغريبة الاخرى . كتب العالم الفرنسى ج. دوريسست : « ان البساريسين يتنفسون هواء خادرا على سحق الجرائيت » . وفى وسط لندن يتنفس كل فرد من سكانها من الهواء الملوّث فى اليوم ، كما لو انه كان يشد مائه سيجارة . والخضرة تقترض نسي الروب وتحتل الكاتدرائيات والتمائيل فى فينسيا وكولونيا . اما « مسلة كلويواترا المصرية » الغالية منذ حوالى ثمانين عاما فى سنترال بارك فى نيويورك ، فقد تعرضت للتدمير اكثرا من الثلاثة آلاف سنة التى تعرضت لها فى مصر ١٠

والصناعة الكيماوية بالذات هي اكثرا الصناعات تلوّثا للبيئة . وزيت البترول بالذات الذى هو ثروة الحضارة البشرية الآن ، هو اكثرا سموما ايضا . ثم بعد ذلك الكيماويات السامة .

ولاكثر من اربعين عاما الان يلقي الى الهواء الجوى بكميات ضخمة من الرصاص المضاف اليه شحوم السيارات ، وقد بينت الدراسات ان محتوى الرصاص فى الجسم البشرى قد وصل الى مستوى خطر فى المدن الصناعية . الى جانب ذلك فالغلاف الجوى الملوّث بالأكسدة الأرضية له تركيب معين ، ويسبب ما يتصاعد الى هذا الغلاف الجوى من غازات بتغير تركيبه عاما بعد عام ، ونتيجة لهذا غان « التوازن الحرارى » لكوكبنا يتغير ، ويشير العلماء الى الزيادة الخطيرة لنسبة ثاني اكسيد الكربون بالذات ، وقد ثبت من التجارب ان زيادة نسبته مرتين فى الهواء الجوى تؤدى الى ارتفاع درجة حرارة سطح الارض اربع درجات . ويؤدى هذا كله بالتالى الى تغير المناخ والظروف التى تنمو فيها النباتات والمزروعات ومسار العمليات البيولوجية المختلفة . الخلاصة ان نسب الغازات والمواد السامة فى الهواء الجوى قد ازدادت الى درجة كبيرة : اول اكسيد الكربون ، ومركبات الرصاص ، وتبراي الاسيتون والهيدروكربونات ، واول اكسيد السكرين غاز سام اذا دخل جهازنا التنفسى ، اذ انه يتحد مع هيموجلوبين الدم ليكون مادة تجعل الدم غير قادر على حمل الاكسجين الى اجزاء الجسم .

ونذكر « هيئة الصحة العالمية » رتبين فى غاية الخطورة . فالمواد الملوّثة التى تطلق فى الغلاف الجوى سنويا فى أنحاء العالم :

بالوزنات للعالم : هيثا يمتص فيها كلّ عام ٣٤٠ كيلو متر مكعب من المياه النظرة ، ويؤدى هذا الى افساد ١٥ ضعفا من حجم هذه المياه اى ثلث ما يجرى من المياه سنويا . وحتى نعطى مثلا صارخا لهذا فى مطلقنا ، نذكر البحر الابيض المتوسط الذى تترك المياه الفرنسيون اثنه اذا استمر تلوثه بالمعدل الحالى فسوف تنعدم فيه الحياة تماما فى مدة بين ٢٠ - ٣٠ سنة . وتحولت كذلك عديد من بحيرات العالم وانهاره الى اجسام مائية ميتة .

وفى نفس الوقت هناك نقص فى المياه العذبة فى عديد من المناطق الصناعية فى العالم ، وبالذات فى الدول الصناعية المتقدمة . ويحدد هذا الان - الى درجة كبيرة - معدلات تنمية المدن والصناعة .

وهناك اكثر من ٥٥٠ مليون شخص فى العالم يسقطون مرضى سنويا بسبب نقص مياه الشرب او بسبب تلوثها . ويعانى الأطفال اكثر : فاكثرا من خمسة ملايين طفل مولود حديثا يموتون سنويا من الأمراض التى تحدث بسبب تلوث المياه . وتختلف حدة المشكلة من بلد صناعى الى آخر ، ولكن كلّ الدول الصناعية المتقدمة تعاني من هذه المشكلة . وهذه الازمات التى نكرناها تقديما « هيئة الصحة العالمية » .

اما تلوث الهواء فهو الخطر الرهيب الناتج من المستوى الحالى للتنبية الصناعية . ففى الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال ، يعيش ثلثى السكان فى مناطق هوائها على درجة عالية من التلوث . واذا اخذنا السيارات التى تجرى فى الشوارع الامريكية ، فهناك ٩٩ مليون سيارة تنفذ سنويا الى الهواء الجوى بحوالى ٦٦ مليون طن من اول اكسيد الكربون و ٦ مليون طن من اكاسيد النيتروجين و ١٩٠ الف طن من المركبات الغازية للرصاص الى جانب ملايين الاطنان من مواد اخرى [١] .

وتضيف المصانع ومحطات الكهرباء الى هذه الكميات سنويا : ٢٦ مليون طن من اكسيد الكبريت وحوالى ٥٠ مليون طن من خيث المعادن وهكذا تبدو السماء دائما داكنة ، حتى كتبت مجلة التايم الامريكية تقول ان معظم الامريكيين يتنفسون الآن قدارة بالمعنى الحرفى للكلمة .

وليس هذا فى الولايات المتحدة وحدها ، ولكن

(١) وزيادة على ذلك فهذه ارقام عام ١٩٦٩ التى ازادت بشكل كبير الانبعاثات لمال . المصدر : Bykov : The Urban Crisis in the United States .

من المسئول ؟

هل يمكن ان نقول ان الانسان - بشكل عام - هو المسئول عن ظهور المشاكل الثلاثة للبيئة التي قدمناها في البداية ؟ كلا ! لقد دمرت انهار وبحيرات ومساحات هائلة من الغابات منذ مئات السنين في مرحلة التنمية المكثفة للزراعة وتربية الماشية وتحولت مراعى الى صحارى ومنطلق قاحلة . فما الذى تغير بظهور تكنولوجيا الآلات ؟ لم يتغير الا نوعية تأثير الانسان على البيئة ، اذ انه مع ظهور الآلات ازدادت خطى التقدم ، وبالتالي ازداد استخدام المصادر الطبيعية . فالتكنولوجيا (او الانتاج) هي عملية تفاعل المجتمع البشرى مع البيئة الطبيعية ، وهكذا ازداد استغلال المساء والهواء والقرية بشكل مكثف . وهكذا يمكننا ان نقول ان التأثير السلبي للانسان على الطبيعة وجد قبل تكنولوجيا الالة المعاصرة ويدها . ولهذا فان تلوث البيئة ليس سببه التكنولوجيا المعاصرة . ولكن الطريقة التي يتعامل بها كل نظام اجتماعي مع الطبيعة .

ولذا فالسؤال هو : هل يمكن ان نمنع التأثير السئ للتقدم العلمى والتكنولوجى على البيئة ، والجواب هو نعم بطبيعة الحال .

وبدأت الكتابات تظهر في الارنة الاخيرة ، وكذلك اخرجت الطابع عشرات من الكتب تبحث المشكلة : « ليس هناك مستقبل » و « جريمة ضد مستقبل كوكبنا » و « صحارى من صنع الانسان » وبدأ آلاف الباحث والاقتصاديين والمحامين ورجال الاجتهاد فى العمل على مشاكل حماية البيئة . وبدأت قطاعات واسعة من الجماهير تستيقظ على التهديد بالتلوث . ان طرح المشكلة فى حد ذاته دليل على خطورة الوضع ، فلو كان على الشعوب ان تعمل استنزاف ثرواتها ثمنا لنهب الرأسمالية وموقفها غير المسئول من البيئة ، وأصبح على الشعوب الان ان تدفع المزيد ، اذ ظهر فى العقد الماضى خطر حقيقى يهدد البيئة الانسانية ، لان الشروط البيولوجية للوجود الانسانى فى نفسه تتعرض الان للدمار ، فالتلوث ليس مشكلة اجتماعية خطيرة بالقضية للمستقبل فحسب ، بل هو يؤثر كذلك تأثيرا خطيرا على صحة الانسان فى الوقت الراهن . انه يهدد كل أشكال الحياة فوق هذا الكوكب (٢) .

لما الصحافة البوردوازية فهي تدافع بطبيعة

٨٥ ألف مليون طن من ثائى اكسيد الكريون .

١٥٠ ألف مليون طن من ثائى اكسيد الكبريت .

وتزداد مشكلة الزبالة والنفايات عاما بعد عام ، وتكثف نظير المسئولين عن الصحة العامة على جميع انحاء العالم . وطبقا لما يقول خبراء « هيئة الصحة العالمية » فان نصيب كل فرد من سكان المراكز الصناعية على السدول الرأسمالية المتطورة صناعيا من الزبالة يتراوح بين كيلوجرام وكيلوجرامين ، وأصبحت هذه المشكلة تهدد المدن الكبيرة الزبحة . ومن المتوقع ان يزداد هذا الرقم بمعدل ٢ فى المائة على الاقل سنويا خلال العشر أو الخس عشرة سنة القادمة . ويزداد تعقيد المشكلة بسبب البقايا الزجاجية والمعدنية والبلاستيكية التي لا يمكن ان تنوب فى التربة .

وقد بدأ انقراض بعض سلالات الحيوانات منذ عدة قرون وهى تزداد الان . ويقول علماء البيولوجيا ان الحيوانات تختفى الان من العالم بمعدل نوع كل عام . فعلى سبيل المثال قارب الثور الأمريكى « اليبسون » على الانقراض من الولايات المتحدة ، كذلك الحمام الوحشى الذى كان أكثر الطيور انتشارا هناك ، أما « الحوت الأزرق » فهو على وشك الانقراض رغم انها اصغر حيوانات العالم ، ولسبب ضحك للغاية ، اذ يستخدم كطعام للكلاب فى الدول الأوروبية ، هذا الى جانب استخدامه فى صناعة المسلى الصناعى على المشرين سنة الاخيرة . وفى الالفين سنة الاخيرة فقد كوكبنا الارض ١٠٦ نوعا وسلالة من الحيوانات الغريبة فقط ، اى لا يدخل فى هذا الطيور والحيوانات الاخرى . أما الملفت للنظر الان فهو الخطى السريعة التى يتم بها هذا الامر الان . فبينما اختفى ٢٣ سلالة من الحيوانات الغريبة خلال ١٨٠٠ سنة من على وجه الارض ، اختفت ٣٣ سلالة اخرى خلال مائة عام فقط . بينما اختفت ٥ سلالة اخرى فى خمسين سنة فقط . بينما هناك ٦٠ نوع مهددة بالفاء الان . ويفترض علماء الاحياء ان كل نوع من الثدييات يمر حوالى ٦٠ ألف سنة وفى حالة الطيور ٢ مليون سنة ، وتكتب ا . ليتكوفا حلة البيئة البولندية : « انه لو استمر انقراض الحيوانات على يد الانسان بهذه الطريقة القبيحة فسنبصر بعفردنا على ظهر هذا الكوكب . وربما نظل معنا المشرات والفئران فقط . وهذا الخطر وشيك الوقوع » (٣) .

(٢) ليتكوفا : « الارض تنتزع ثقتها » موسكو ١٩٧١ - من ٧٢

(٣) جاس هول : « البيئة والانسان هل تستطيع الحياة فى ظل الرأسمالية » - نيويورك - الناشرون الدوليون ١٩٧٢

الحال من الرأسمالية وتتسبب التلوث الى أسباب غريبة غير منطقية . تقول دير شبيجل الألمانية الغربية : « ان التقدم التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في ظل النظامين الرأسمالي والاشتراكي يستلزمان « تصحية اجتماعية » خساتر مصاحبة للانتاج والاستهلاك ، ولا يمكن ان يعوضها المنتج ولا المستهلك » .

وبمعنى آخر فان ألمجة تريد ان تقول ان السبب الرئيسي « للآزمة الإيكولوجية » هو الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، وعجلة تراكم المعلومات وتطبيقها . فالعمل ان اذا أصر الانسان ان يعيش في عالم نظيف ؟ الطريقة الوحيدة التي يقدمها معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا طبعا لدراسة اجرامها لحساب نادي روما الذي يضم مجموعة من العلماء والموظفين الكبار ، هو إيقاف التقدم العلمي والتكنولوجي ؛ والا فان العالم - هكذا تقول الدراسة - يتعرض لكارثة كبرى قبل عام ٢٠٠٠ : « ان الملايين سيتعرضون فجأة » يستخفي الحضارة الغربية !

وتلص الفكرة يتعرض لها عالم الاحياء البريطاني جوردون فيلور في كتابه « كتاب يوم الدينونة » الذي ظهر منذ ثلاث سنوات في لندن ، انه يرجع الازمة الإيكولوجية الى نمو السكان والقوة المبررة للتكنولوجيا المعاصرة . وهو يطالب بالحد من التلوث السكاني والتقدم العلمي والتكنولوجي . وبمعنى آخر ، فان التقدم العلمي والتكنولوجي ليس وحده المسئول عن « الازمة الإيكولوجية » ، ولكن « الشعوب » أيضا تشترك في المسئولية !

وهناك عديد من وكالات الاعلان والمعاهد تنادي « الجماهير » بحماية البيئة ، وبهذا فهي تحصل المجتمع كله المسئولية . والغرض من هذه الدعاية هو اطلاق حشائ كثيف ليفعل على المسرح الحقيقي الاحتكاك . فعلى سبيل المثال تحصل هذه الدعاية كل من عمال وأصحاب مصانع شركة باير مسئولية تلوث نهر الراين . ويحصل الامريكى العادى الذى يمتلك سيارة نفس مسئولية « جنرال موتورز » و « ستاندارد أويل » ، بسبب انطلاق ٨٦ مليون طن من عوادم السيارات (من الغازات السامة) سنويا الى الغلاف الجوى . وتبذل الدعاية البروجازية جهودها لتثبت فكرة « المسئولية المشتركة » لكل افراد المجتمع .

والسالة هنا لا تحتاج الى بحث ، فهي منطقية جدا . ورغم ذلك فهناك عديد من الدراسات التي أجريت على هذه المناطق الصناعية . وقد أجرت هذه البحوث والدراسات معاهد من نفس هذه المناطق . على سبيل المثال أجرى الدكتور شتيم

العالم الإيكولوجى الالماني الغربى بحثا عن أحد المصانع فوجد انه يلوث نهر ين (وهو أحد فروع نهر الراين) أكثر مما تلوثها كل القرى الواقعة في بداية النهر ، ويصل تعدادها الى حوالى ٢٠٠ ألف نسمة . أما مصانع باير فهي تلوث نهر الراين أكثر مما تلوثها الجارى التي تخدم نصف سكان منطقة الرور بكاملها . وقدر ان مصانع الصناعات الثقيلة في المنطقة « نتج » بيت مرات من المياه الملوثة قدر ما « ينتج » ٤٠ مليوناً من سكانها .

فمسألة مسئولية من لا يحتاج هنا الى مناقشة . فالهم ان الاحتكاكات لا تريد ان تقيم بالملاج الممكن لتلوث البيئة الذي تسببه ، بل تريد ان تلعى بهذا العبء على الجماهير . ففي المانيا الغربية على سبيل المثال قدر ان هذا يحتاج الى ميزانية مدنية تصل الى ٣٦ ألف مليون مارك . وقدر ان الحد الأدنى يصل ما بين ١ لى ٢ فى المائة من الناتج القومى يجب ان يخصص لاجراءات طارئة سريعة فى هذا المجال . ويقول خبراء الاقتصاد الغربيين ان هذا معناه زيادة بين ١ الى ١٠ فى المائة فى أسعار المنشآت الاقتصادية . وهذا هو ما تفشاه الاحتكاكات .

وبحت ضغط كفاف الجماهير فى الدول الرأسمالية وبالات تحت ضغط الصراع الذى تخوضه الطبقة العاملة ، اضطرت الحكومات الى سن عدد من القوانين ، ففي ٥٠ ولاية امريكية هناك مجالس لصاية البيئة ولكن المشكلة كما يقول جاس هول سكوتير الحزب الشيوعى الامريكى « ان ٢٥ على الأقل من هذه المجالس اغلبيتها من ممثلى الاحتكاكات التى هي السبب فى تلوث البيئة » .

وتلجأ الاحتكاكات الى تهديد الجماهير التى تناضل من أجل الحياة فى بيئة نظيفة بنقل مصانعها الى الخارج وبالات الى دول العالم الثالث . وهذا التهديد يضرب مصفوريين بحجر واحد : أولا يجعل الجماهير تصاف هذا التهديد بسبب الاستغناء عن العمال ، ثم ثانيا : ينقل المصانع الى مناطق تحقق فيها ربحا أكثر . فكثير من المصانع الكيماوية ، وهى أكثر المصانع تلوثا للماء والهواء (بمصانع البتروكيماويات والكيماويات ولب الورق) اذا نقلت الى هذه الدول لن تدفع نقودا لحماية البيئة . وطبقا للاحصائيات التى نشرت مؤخرا فى الولايات المتحدة ، فان تكاليف حماية البيئة تكلف مصانع الحديد والصلب ١٢٠ فى المائة من كمية الاستثمارات فى داخل الولايات المتحدة ، بينما لا تتكلف أكثر من ٢٠ فى المائة فى الخارج .

ان الرأسمالية التى استنفدت شعوب العالم الثالث من قبل وخربت ثرواته ، تريد الآن ان تهزم بيئته وتخرب مياهه وهواه .

- انشاء هيئة لمكافحة التلوث .
أن مكافحة تلوث البيئة يستلزم تخطيطا شاملا
من أعلى وهذا ممول في الدول الاشتراكية . وهو ما
يرفضه الرأسماليون الذين لا يريدون تحمل أى
مصاريف .

ففى العالم الرأسمالى تصبح مشكلة حماية
البيئة مشكلة اجتماعية حادة يتحلق حولها عن
طريق النضال المعادى للاحتكارات ، ذلك النضال
الذى تشله الطبقة العاملة والشعب العامل ، وعن
طريق التحول الديموقراطى . وهكذا فإن الحركة
الجماعية لحماية البيئة تمثل ظاهرة اجتماعية
جديدة تزيد من الفجوة بين العمل ورأس المال .

أما فى العالم الاشتراكى فإن جزءا من تكاليف
أقامة أى مشروع تخصص لمكافحة التلوث منذ
البداية . ان استخدام البيئة المتفعل ، والحيلولة
دون التلوث الخطير لمكوناتها على أساس الربط
بين مؤاي النظام الاشتراكى ومنجزات الثورة
العلمية والتكنولوجية .

وعلى النطاق العالمى تستلزم حماية البيئة
التعاون بين جميع الدول ، ولا يمكن فصل جهود
حماية البيئة عن جهود تحقيق السلام والتعايش
السلمى ، والأمن الجماعى والمشاكل العالمية
الأخرى .

ولكن لعل الاخطر من ذلك هو تأثير هذه
الايديولوجية على دول العالم الثالث ، فكل هذه
المحاولات تصور التصنيع والتلوث وكأنهما
صنوان ، ولما كان التصنيع هو السبيل الوحيد
لنقضاء على التخلف والجوع ، فقد تجهم هذه
الدول عن التصنيع المرتبط بالتلوث .

كفاح الشعوب لحماية العالم

من أجل هذا دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة
الى عقد مؤتمر « بيئة الإنسان » فى استكهولم بين
١٧-١ يونيو عام ١٩٧٢ وناقش المسائل التالية :

- التضخم السكانى ومشاكل المدن الكبرى
ومجرة السكان إلى المدن .

- استغلال المصادر الطبيعية (الحيوانية
والنباتية والمعدنية) استغلالا سليما .

- مشاكل تلوث الماء والهواء والارض وعلاجها

- الثقافة والتعليم وأثرهما فى البيئة

- التنمية والبيئة

منهـج

ابن تغرى بردى

كمـؤرخ

د • محمود اسماعيل *

ولا يعنى ذلك الاصطلاح المزج فى الواقع اكثر من تحديد منهج واضح ومحدد يقود الى معرفة الحقيقة التاريخية وسبر غورها واستكناه عللها واسبابها، وربما الوقوف على قوايين الحركة التى افضت اليها . .

ولا حاجة بنا للاستطراد فى تبيان جهود المؤرخين فى هذا الصدد ، وما يعيننا هو ان نقرر دورا لدرسة التاريخ الاسلامى فى هذا المضمار . ولاول وهلة ينصرف الذهن الى ابن خلدون كرائد فى فلسفة التاريخ عند المسلمين . ولا احد ينكر انجازاته الرائع فى مقبضته الخالدة التى ضمنت آراءه ونظرياته بها تنطوى عليه من نظرة علمية للتاريخ تستقصى حركته من خلال تفاعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل والتفسيية ايضا . وباختصار ، فالفضل يعمى الى ابن خلدون فى تنظيم منظور شامل للتاريخ توابه دراسة العمران البشرى . . ومن الاتصاف ان نذكر فضل مؤرخ كالمسمودى فطن منذ وقت مبكر لتطبيق هذا المنهج العلمى فى تاريخه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، فشرح فيه « احوال الامم والاقام . . وذكر تحلهم وعوائدهم ، ووصف

لا مراءى فى ان مشكلة المنهج هى ام المشاكل التى واجهت تطور العلوم الانسانية بوجه عام ومن بينها التاريخ بطبيعة الحال . ولا شك ان تطبيق المنهج العلمى فى بحث الدراسات الانسانية من حسنات الفكر الحديث ، ولولا ذلك لظلت تلك المصارف جليدة تائهة فى ضباب الميتافيزيقا والاساطير والفكر الدوجماتى . وبقدر سبقها الى الاخذ بالاسلوب العلمى - الذى بفضل طفرات العلوم الطبيعية والرياضية - بقدر اكتسابها صفة العلم من حيث تحديد مباحثها وصياغة قوانينها وتاصيل ركائزها ومقوماتها النظرية . .

وقد انتهى الوقت الذى كلن التاريخ فيه موضوعا للخلاف حول ما اذا كان علما او فنا ، او هما معا فى آن واحد ، ولم يعد ثمة شك فى لحاقه بالعلوم الانسانية بعد تطبيق المنهج العلمى فى ميدان البحث التاريخى . والحق - ان الطريق نحو علمنة التاريخ كان وعرا وشائنا ، اسمهم فى تمهيد جبهة متصلة من المشتغلين به على امتداد عصوره ، تمخضت جهودهم من ذلك النوع من الدراسات التى اصطلح على تسميتها « بفلسفة التاريخ » .

البلدان والبحار والممالك والدول ، وقرن شعوب العرب والعجم .. الخ [١] . حتى اعترضه ابن خلدون أمبا للورخين ، ومن هنا فالمسعودي كان ملهم ابن خلدون فيها وصل اليه ، لكنه أثر تطبيق منظوره [٢] للتاريخ على التشجير له ، وفي ذلك يقول : « وكتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر » [٣] .

ولقد استطرفنا في هذه المقدمة كمحظ لموضوعنا لاثبات استقلالية منهج البحث التاريخي منذ مدرسة التاريخ الاسلامي منذ وقت مبكر ، ومتابعة تطور هذه المدرسة في مصر في القرن التاسع الهجري ، لنقيم في وضوح منهج مؤرخنا ابي الحسن ابن تفسري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة » . ولا يخفى تاثر المدرسة المصرية - وبالذات ابي الهادي - بالنقطة الهائلة التي تبنت ملهم ابن خلدون ، فالدارسون [٤] مجمعون على انه ظل مثلاً يحتذى من جاء بعده من المؤرخين ، وخاصة مؤرخي مصر الاسلامية .

وكان اثر ابن خلدون واضحا على المدرسة المصرية في العصر المملوكي، وهسنا وجود مؤرخين في هذا العصر يتخصصون في دراسة التاريخ كعلم ، أو بالاحرى في فاسلة التاريخ من امثال السخاوي [٥] والكاتبجي [٦] حيث افردوا اسفارا عن التعريف بالتاريخ وتحديد اغراضه وغاياته وخصائصه وفوائده ومناهج بحثه .. الخ .

لكننا نتحفظ فنقول ان مؤرخي هذه المدرسة - ومن بينهم ابي الحسن - لم يلتزموا بالمنهج الذي حدده ابن خلدون في صورته المثالية ، وان خلدون نفسه لم يلتزم التزاما تاما بأرائه ونظرياته التي سطرها في مقدمته حينما صنف تاريخه الكبير المعروف « بالعبر وديوان المبدأ والخبر » ، فالحققة والموضوعية اللذين دعا اليهما نبهت عنهما في تواريخه بصموبة ولاي ، والتناقض والخطأ في التواريخ والاعلام والقبائل والقطب بين الملل والنحل والفرق .. الخ أمور يالتهما تقرأى كتاب المبر

وليس جزاء تحكيك مؤرخ مثل ما تنسكراى [٧] بالحيطة والحذر واعمال الفكر فيها كتبه هذا المؤرخ الموهوب . ولا يخبرنا شك في ان ابا المحاسن وأقرانه انزلقوا الى نفس المزالق، ووقعوا في نفس الاخطاء . لكن عذر ابن خلدون انه انصرف في تاريخه الى الاهتمام بالسكليات والتركيز على التفسير والتحليل وتجنب سبل الحركة التاريخية وهو لم يغفر له هنائه على كل حال .

أما المدرسة المصرية المملوكية فلم تترك عنه تلك المزالق ، وأغلب الظن انها أخطأت مهم أرائه، إذ عسرت دمعونه الى دراسة كافة جوانب « العمران البشري » تفسيراً خاطئاً ، لائبري مؤرخو هذا العصر يصنفون في كافة جوانب المعرفة ويكرسون في موسوعات هامة أو رسائل خاصة ركابا من المعلومات لا تربطها صلة ولا تجميعها نظرة ، أو وحدة موضوعية .

تلك اذن المؤثرات العالمة التي تركت بصماتها على منهج ابن تفسري بردي وأقرانه ، لها هي المؤثرات المباشرة التي أسهمت في صياغة خصائص تلك المدرسة ؟

تتبل تلك المؤثرات بذاه في معطيات البيئة المصرية ، أو بالأحرى في النزعة المحلية التي غيرت العالم الاسلامي في جوانبه السياسية والثقافية . وللمؤرخين مذاهب شتى في تحليلها [٨] ، ويهمن في هذا المسدد وعلى انعكاسها على تطور الدراسات التاريخية . وفي هذا الاطار ، نعتقد ان ظهور التواريخ المحلية الدولة الاسلامية وترامى حدودها الى ظهور واكب نزعة الاستقلال السيلسي ، فكما ادى اتساع اللامركزية ، ادى تضخم الاخبار ووفرةها وتشعبها وتوهمها الى ظهور التواريخ المتخصصة والمحلية . وفي مصر ظهر مؤرخون مصريون منذ وقت مبكر يهتمون بأخبارها ، ويتوهمون بضائلها ، ويصنفون خططها ، ويعنون بسير ولاتها وقضايتها ، ويدونون ذلك في تصنيف ذات طابع مصري واضح ، وفي

(١) ابن خلدون : المقدمة - الطبعة التجارية - القاهرة . ص ٢٢ .

(٢) زعم روزنثال ان السعوي تأثر في رؤياه التسمولية للتاريخ بثورات صيرياتيكترا :

انظر : علم التاريخ عند المسلمين - الترجمة العربية - ط بغداد سنة ١٩٦٢ . ص ١٥٢ . وهو زعم موقوف لمؤثر عند كثير من المستشرقين الذين سبوا دالما جوانب القوة في الفكر الاسلامي الى اصول عقلانية .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ، ط باريس . ص ١٥١ .

(٤) انظر : زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الهادي ، ص ٦ سعد زغلول عبد الحميد بتاريخ العرب العربي - ط دار المعارف ص ١٨ من المقدمة .

(٥) انظر كتابه : الامعان بالتاريخين ثم التاريخ .

(٦) انظر كتابه : المختصر في علم التاريخ .

(٧) انظر مقدمة Masqueray E. في كتابه : Chronique d'Abou Zakaria, Alger, 1878.

(٨) راجع : حسن محمود - الكندي المؤرخ - سلسلة اعلام العرب ص ٥٦ ، ٥٧ .

هذا الجلال تبرئ أسبأه ابن عبد الحكم وابن زولائق
والكندى وغيرهم .

هذه النزعة المصرية اتخذت شكلا جديدا في
العصر المملوكي ، قوامه استمران العقيدة بالتاريخ
الحلى مع عدم اغفال أخبار العالم الاسلامى ،
ولذلك تفسيره ومفسره ، مقولة المالك لم تكن
دولة بصرية محسب ، بل امتدت نفوذها على الشام
والمحيط واليمن .

واحياء الخلافة العباسية في القاهرة لكسب
مصر منزلة خاصة في العالم الاسلامى فاصبحت
مثالا للنشاط العلمى ، وهجر البها العلماء
والفقهاء والادباء والمؤرخون ولا غرو ، فكثير من
مؤرخى مصر المملوكية ليسوا مصريين اصلا
كالمقريزى والميمنى وابن عريضة ، وابن تفرى
بردى ذاته . هؤلاء المنحرفون لم يقطعوا صلته
بأوطانهم الاولى ، ولم يتصلوا من تراثهم
الاسلامى . وانعكس ذلك على منهجهم التاريخى ،
فاهتموا بأخبار العالم الاسلامى واهملوها
نصفاتهم الخاصة بمصر ، وان قلب عليها الطابع
الحلى بشكل واضح .

ومن الناحية الفنية ، او بالاحرى فيها يتعلق
« بصنعة » كتابة التاريخ ، نرى ان مدرسة القرن
التاسع الهجرى تأثرت الى ابعد الحدود بالاصول
المنهجية الاولى التى وضعها الطبرى والمسمودى .
وعلى سبيل المثال التشبث بالنظام الحولى
والطبرى عمدته بلا منازع ، وايضا التاريخ
لموضوعات متخوة يجعها متن واحد جريا على
سنة المسمودى . الا ان تلك المدرسة افغلت في
الغالب بعض حسنة منهج الاوائل ، كنسبة
الروايات الى ذويها وهو ما يعرف « بالاستناد »
والنقد والتثبت من صحة الاخبار اى أسلوب
« الجرح والتعديل » .

تصارى القول ، ان مدرسة التاريخ المصرى
في القرن التاسع الهجرى اكتسبت مقوماتها
الاساسية من نظام التاريخ الحولى عند الطبرى
والرؤية التركيبية للتاريخ عند المسمودى وابن
خلدون ، والنزعة الاقليمية عند مؤرخى التساريف
الحلى ، والظروف الفريدة المميزة للدولة المملوكية .
من هذه العناصر جميعا متجزة تبلورت خصائص
تلك المدرسة التى كان مؤرخنا ابو المحاسن احد
اقطابها .

واذا كان منهج ابن تفرى بردى في ملاحه
المسألة نتاجا لتلك المؤثرات ، فلا شك ان ظروف
حياته كاصله ونشأته وثقافته ووضعه اجتماعى
قد لون مظهره التاريخى الى ابعاد الضخمة .
فوالده تفرى بردى مملوك رومى برز في سلطنة
برقوق وتدرج في الوظائف العلمية حتى تولى نيابة
دمشق ، ولعب دورا قياديا في الصراعات التى
احتتمت في مصر برقوق ، وشارك في توجيهه
الاحداث ابن سلطنة مرج بن برقوق [٩] ، فافاد
ابو المحاسن ابنا غائده مما اخذه عن محاليف ابيه
عين ارجح للسلاطين الجراكسة الاوائل ، وابنه
جارية تركية ، فكان حجة في معرفة دقائق اللغة
التركية ، لذلك كان اقدر معاصريه على فهم نظم
عصره واصطلاحاته . وقد مات والده وهو في
الهد صبيا فكله زوج اخته القاضي ابن السديم
الحنفى ، ومن بعده روجها الاخر جلال الدين
البلقنى الشافعى قاضى القضاة ، ثم تعهده جماعة
من محاليف ابيه حتى صار يلقب « فاتيح له ان
يحظى بنوع من التربية الدينية والعسكرية ، اذ
حفظ القرآن ودرس الفقه والحديث والنطق
والنحو والبصير والشعر والتاريخ ، ففسلا من
الفروسية والموسيقى والاصحاب الرياضية . ولا
غرو فقد ألف وصنف في عدد لا بأس به من هذه
العلوم والفنون وافتاد منها في حرامسة التاريخ
التي استهوته بشكل خاص .

وباعتباره تلميذا للمقريزى ، فقد تأثر بمنهجه
الى حد كبير ، فكان خليفته في رعاية مؤرخى
عصره بعد وفاة بدر الدين العيى صاحب « بيد
الجبان » . ولكونه من طبقة « اولاد الناس » ؟
فقد تقرب الى البلاط السلطانى ، وجالس سلاطين
الجراكسة من امثال جقمق وخشتم وبرزسباى ،
وصادق ابناءهم ، وساعده ذلك على وثوقه
على مجريات الامور ، وتوجيه اهتمامه بالدرجة
الاولى نحو التساريف للارستقراطية العسكرية
المملوكية حتى يمكن ان يقال ان ابن تفرى بردى
كان اقرب ما يكون الى المؤرخ الرسمى للسلاطين
الجراكسة الاوائل ، وبطيعة الحال ضرب مصدا
عن التساريف للبلجج المصرى مدفوعا في ذلك
بنزعة استيعابية بردها الى امتيائه الطبقي .
واغلب الظن انه ألف كتابه النجوم الزاهرة ليقدمه
قريبانا الى صديقه محمد بن جقمق ليحظى عنده
- اذا ما تولى السلطة - بشكل ما حظى به
السينى عند السلطان برسباى عندما ألف له كتابه
المعروف « عقد الجبان » . ونحن نشك في قوله
انه صنف كتابه « غير مستدعى الى ذلك من ابر
او سلطان » وانما ليكون له « في الوحدة جليسا »

وحيا في مصر لما لها من « ميزة على كل بلد »
بخدمة الحرمين الشريفين » (١٠) .

لها وقد وثقنا على المؤثرات العامة والخاصة
في منهج أبي المحاسن بن تغري بريد ، فلتعرض
لهذا المنهج كما نص عليه في مقدمة كتابه ، ثم
نناقش مدى التزامه به في ضوء محتوى الكتاب
ذاته .

يقول أبو المحاسن (١١) : « ... فما ستفقه
بفتح مصر وما وقع لهم في الممالك ، ومن حضرها
من الصحابة ومن كان المتولي لذلك ، وعلى أي حال
فتحت ، صلح أم هنوة من أصحابها ، واجمع في
ذلك أقوال من اختلف من المؤرخين وأهل الأخبار
وأربابها ، وذلك بعد اتصال سندی الي من ولي عنه
منهم رواية ، ليجمع الرأف بين صحة النقل
والدراية ، وأطلق عنوان القلم فيما جاء في فضلها
وذكرها من الكتب العزيز ، وما ورد في حقها من
الاحاديث وما اختصت به من المحاسن فصار لها
على غيرها بذلك التمييز ، ثم أذكر من ولبها من
يوم فتحت وما وقع في دولته من المصيب واحدا بعد
واحد لا أقدم أحدا منهم على أحد باسم ولا كنية ولا
لقب ، ثم أذكر أيضا في كل ترجمة ما أحدث
صاحبها في أيام ولايته من الأمور ، وما جده من
القواعد والوظائف والولايات في مدى الدهور ، ولا
أقتصر على ذلك بل استعطف الي ذكر ما بنى فيها
من المباني الزاهرة ، كالمبدين والجوامع ومقاييس
النيل ، وعسكرة القاهرة أولا بأول أذكره في يوم
مبناه وفي زمان سلطانه ، مستوفيا لهذا المعنى
ضابطا لشانه ، على أنني أذكر من توفي من
الاصيان في دولة كل خليفة ودرابطا ناقصا بعد
قراخ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض
الحوادث في مدة ولاية المذكور في أي قطر من
القطار ، وأبدأ فيه بعد التمرير بالحوال مصر
بولاية عمرو بن العاص في المملكة الإسلامية ، ثم
ملك بعد ملك كل واحد على حدة وما وقع في أيامه
الي الدولة الأشرافية الألبانية ، وسميته : النجوم
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ...

ومن ههنا هذا المنهج أن أبا المحاسن أكد فيه
طابع المحلية حين جعل تاريخ مصر محصور

اعتماده ، وأجمع عن اتباع سنة بالية وهي التأريخ
منذ بدء الخليقة فصار مصنفه من تلك المعلومات
الفجة ذات الطابع الروائي الأسطوري الذي تزهو
بها المصنفات التساريخية التقليدية وحتى نغيبا
يتعلق بتاريخ مصر قبل الاسلام كرس به صفحات
محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة بعضها
تلقينا سريعا . ولقد أدرك أهمية دراسة
الجغرافيا في فهم التاريخ ففرض جغرافية مصر
مستقيدا من كتابات الجغرافيين والرحالة . كما
عرض لغضائرها ومحاسنها وذكر من الاحاديث
والاقوال الماثورة والمتحلة في هذا المعنى ما وجده
عند ابن زوقا . ويؤخذ عليه عدم مراعاة
التسلسل المنطقي في معالجة موضوعاته ، أن بدأ
تاريخه بذكر فتوح مصر ، ثم ذكر فضائلها ووصف
جغرافيتها ، وعرض لتاريخها قبل الاسلام . ثم
عاد لسرد أخبار ولايتها ، والمنطق أن يكون فتح
مصر قبل أخبار ولايتها مباشرة .

وهو في ذلك كله ينقل ويلخص عن ابن عبد
الحكم وغيره ، كما أنه يعتمد على ابن الأثير
والذهبي وابن كثير في عرضه للمقضب المتصور
للأحداث المعاصرة في العالم الاسلامي ، ولا يغفرت
أيضا تسليط أخبار البيزنطيين والمغول وغيرهم ،
كتصويب الحكام أو عزلهم أو وفاتهم .

والملاحظ أن أبا المحاسن سسواء في تاريخه
لمصر أو في تتبعه للأخبار المعاصرة خارجها - في
المصور السابقة لمصر - ينقل ويلخص عن
المحدثات الحولية السنية دونما نظر أو روية .
وقد قاده ذلك الى التردى في مزالق مشوية ، إذ
وقع في أخطاء لا تغتفر كقولته على سبيل المثال أن
عيسى بن مريم ولد بمصر (١٢) ، وأن عبد الله بن
سعد فتح بلاد البربر والانجلس سنة ٢٧ هـ (١٢) ،
وأن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة
بالحبيشة (١٤) ، وأن الصفرية من القوارج يسيرون
الي المغرب بن أبي صفرة (١٥) ... الخ (١٦) .

وهو في نقله أو تلخيصه نادرا ما يهتم بالإسناد
وغالبا ما اكتفى بكلمة « قيل » أو « ذكر » . ونحن
يعلق على بعض الوقائع . كـ : كتابة « قل » ،
وتأنيقه لا تتعدى الوعظ الحسن والمبرة
المستوحاة من القرآن الكريم ، أو من مأثور القول

(١٠) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢ .

(١١) نفس المرجع ج ٢ ص ٢ .

(١٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٥١ .

(١٣) نفسه ص ٨٠ .

(١٤) نفسه ص ١٢٢ .

(١٥) نفسه ص ٢٨٩ .

(١٦) هذا بخلاف أخطاء أخرى أقل أهمية كخلطه بين الولاة والقراد وعدم تعقيقه لاسماء الاعلام وتواريخ الأحداث .

انظر على سبيل المثال : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٤٩ .

مثل « وما ريك بظلام للمعبد ، القصاص قريب ،
الجزء من جنس العمل ، انظر الى تقليبات الدهر ،
نعمو بالله من زوال النعم » الخ ، أو يقدم
إشعاره اقحاماً في بعض الأحيان لمحنى من
المعاصي ، فيقول « وحضرتي في هذا المنفى
مقطوع » ويذكر « اتسلما لفائدة » (١٧) على حد
قوله « رأبو المحاسن في عجائله في سرد الاحداث
لا يهتم بمقارنة الروايات المتضاربة وترجيح اقواها
على اساس من التحقيق الموضوعي ، وميماره في
ترجيح رواية على أخرى قواثرها في الحوليات
أكثر من غيرها ، وهالك مثالا : قال أبو
الحاسن (١٨) « في ولاية الاشر النضمي على مصر
قبل محمد بن أبي بكر الصديق اختلاف كثير ،
حتى جماعة كثيرة من المؤرخين وذكرو ، ما يدل
على أن ولاية محمد بن أبي بكر كانت هي السابقة ،
وجماعة قدموا ولاية الاشر هذا ، ولكل منهما
استدلال قوي ، والذين قدموا الاشر هم الأكثر ،
وقد رأيت في عدة كتب ولاية الاشر هي المقدمة ،
فقدته لذلك » .

ويفتقر أبو المحاسن الى فضيلة الميسدة
والموضوعية ، فمطلقة مع الحزب الملوي جعله
يقف موقف العداء البيت الاموي ، رساقه ذلك الى
الاجحام من ذكر الكثيرين من اخبار بني أمية ، أو
تناولها بشكل مبتمر ، فحين عرض لخلافة يزيد بن
معاوية اكتفى بقوله « ... وله اشياء كثيرة غير
أنى اضريت عنها لشدة فسقه » (١٩) ، ولم يذكر
عن مروان بن محمد أكثر من أنه « وثب على أمية
ويوبع به بالخلافة » (٢٠) . هذا في الوقت الذي
استطرد فيه في ذكر اخبار بعيدة تماما عن
موضوعه ، كان ينهى حديثه المسهب عنها بم عبارة
« خرجنا عن المقصود » .

ولا يلمس القارئ للنجوم الزاهرة - في
الاجزاء التي لخصها أبو المحاسن عن اسلافه ،
شمة ما يفيد في الوقوف على الاحوال الاقتصادية
والاوضاع الاجتماعية ، اللهم الا ما ورد عن اجبال

النوازل والملمات كالطواعين والجماعات والبيعة ،
فقد حظيت بنصيب من اهتمامه ، وأن كان حرصه
على اثبات احوال النذل وما يعتري منسوبه من
زيادة أو نقص في نهاية كل هام ذا أهمية قصوى
في هذا الصدد .

وتراجمه في اللقيات مقتضبة معسوخة نتيجة
منهجه في النقل والتلخيص ، حيث امتدح في كل
سنة أن يضع ثبنا بالوقيات الذين وروا ...
الذهبي ، ولا يكلف نفسه أكثر من ذكر عبارة « الذين
ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة » .

تصاري القول - أن تاريخ أبي المحاسن حتى
بداية العصر المملوكي - لا يضيف جديدا الى
معارفنا عن تاريخ مصر ، ولا يقدم أدنى فائدة
للمشتغلين به (٢١) . ولا تسرف حين نقول أن ابا
المحاسن واقصرانه شوهوا كتابات السابقين
ومسخوها بعد تجريدها من أهم ميزاتها وهي
الاسناد والتحقيق ، وحق للسفاري ذلك أن يرمي
أبا المحاسن - في الاجزاء غير المعاصرة من
مؤلفه - « بالوهم الكثير » والخلط الغزير ...
والسقط في الانساب ... والتسليم
والتحريف ... والتكثير ... وذكره في الحوادث ما
لم يتفق ... الخ » .

ويعتقد بعض المؤرخين (٢٢) أن اسلوب المصاحبة
الحولية كان من وراء فقر المنهج التاريخي عند
معظم مؤرخي العصور الوسطى حيث تقوم تلك
الطريقة على رصد الحقائق المجردة دونها صنة و
رابطة تجميعها . ومع تسليمنا بوجاهة ذلك القول ،
فإن تاريخ أبي المحاسن للمفترة التي عاصرتها وأرخ
لها وفق النظام الحولي ، كذلك قبينه بأن معرفته
مثالبه الكثيرة التي اشرنا اليها سلفا ، فلم ينف
النظام الحولي حجر عثرة أمام ظهوره كمؤرخ
واسع المعرفة ، يستقى مادته من مصابرها
الاصيلة ، ويتجرى الامانة والصدق في نسبة ما
ينقله الى قومه ، ويناقش الروايات مناقشة العالم

(١٧) انظر : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٨٧ .

(١٨) نفسه ج ٢ ص ١٠٢ .

(١٩) نفسه ج ١ ص ١٢٢ .

(٢٠) نفسه ص ١٢٤ .

(٢١) وإذا صدق قول المذكور زيادة في « أن الطريقة القليلة (التي اتبعها أبو المحاسن ومعاصروه في الاجزاء
غير المعاصرة من مؤلفاتهم - عادت بفائدة - لا يمكن المبالغة في مداها - إذ حفظت بفضلها كتب مفقودة أصريها
الكاملة حتى الآن ، ولولاها ما وصل من تلك الكتب شيء للمؤرخين » فعن ذلك أن تلك الطريقة لا تسلب على كتاب
النجوم الزاهرة ، إذ أن الحوليات والمراجع التي نقل عنها أبو المحاسن موجودة لدينا الآن ومطبعها نشر نشرنا
علينا حققا .

انظر : زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الهجري ص ٩٩
(٢٢) انظر : روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ص ١١٧ ، جمال الشيبان : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن
الفاصل عشر ص ٢٢٧ .

الواثق ، ويقيم آراءه على أساس منطقي مدعاه بالصحيح والبراهين ، فضلا عن طول باع في معرفة روج مصر وخبرة بنظمه ورسومه ودراية بواطن الأمور فيها ، فقدم بذلك إضافة يستحق من أجلها أن تذكره .

لم يتخل ابن تغرى بردى في تاريخه لتلك الفترة من منهجه السابق وهو المنهج العولى ، لكنه إفاض واستمرس في رصد الوقائع والأحداث مجزا السنين إلى أشهر وأيام واتمخها بالمادة التاريخية الجديدة التي استقاما من أم مصادرها . وقد اتاح له وضعه الاجتماعي أن يحصل عليها دون عناء . فقد إفاذ من ممالك أبيه في الوصول إلى معنويات غاية في الأهمية عن سلطنة برقوق وأنه نرجع من بعده ، وفي ضوء ذلك يمكن تفسير عرض ابن تغرى بردى الرائع لأحداث تلك الحقبة . ومن أهمها حرب القطار التي شارك فيها والده (٢٢) ، كما إفاذ من صداقته لرجال البلاط وأبناء السلاطين ، وخاصة محمد بن خشقدم ، فكثيرا ما يروى عنهم مباشرة إذ يقول : « حدثني غير واحد من حواري الاسيد وأولاد السلاطين .. » (٢٤) . ورغم عدم اشتعاله بأسواقين - إلا أن علاقته الطيبة بالسلاطين سهلت له الإطلاع على أرشيفاتها ، فقدم صورة متكاملة عن الجهاز الملوكى بسلاطينه وأمرائه وقضائه ، وكتاب سره ، وموظفيه فضلا عن النظم العسكرية والأدوية والمالية ، والواقع الرتب والالعامات ، وحكام الأيالات ، والثغور والمدن .. الخ (٢٥) ، وتابع ما كان يستجد من تعديل أو تغيير أو تبديل في هذه النظم بدقة وعناية .

وتتضح أمانته العلمية في تمويله على الاسناد في غالب الأحيان ، ومن الواضح أنه استفاد كثيرا من بماصرة الشيخ خليل الصفدى فيمن ترجم بهم من أعلام عصره وخاصة من أهل الشام ، ذلك أنه كان حجة في تصنيف التراجم والوفيات (٢٦) ، أما اعتيابه أبي المحاسن على المقرئى ، فأمر واضح للعيان ، إذ نقل عنه كثيرا حتى إخطاه في اللغة والنحو ، ولا يدعو ذلك إلى الشك في نزاهته بقدر دلالة على ضعفه في اللغة العربية وقواعدها حتى

لقد قال فيه ابن الصيرى « أنه كلما فرغ من تصنيف يتوجه به إلى من يعرف العربية فيصلحه له » . حقيقة كان أبو المحاسن امتدادا طبعيا لاستاذ المقرئى ، وتقديره له في الواقع فوق مستوى الشبهات ، لكن يبدو أنه استباح لنفسه أن يأخذ عنه وينقل منه دونما حرص على اسناد ما ينقله إلى استاذة ، وإن كان في أحيان كثيرة يثبت مصدره بقوله « قال المقرئى رحمه الله » .

ونعتقد أن أبا المحاسن تفوق على استاذة فيما يتعلق بتاريخ السلاطين الجراكسة ، وربما اعانته معرفته باللغة التركية على أن يصبح فريد عصره في استيعاب وتفهم النظام الملوكى ، وحسبه أنه كرس مصنفًا خاصا صمغ فيه تحريفات المقرئى في الاسماء التركية . وقد اعترف له السخوى بالفشل في هذا الصدد فقال أنه « يارح في أحوال الترك ومناصبهم وغالب أحوالهم منفرذ بذلك » .

ولا غرو فقد تصدى لتنفيذ دعاوى معاصريه - ومنهم المقرئى - قيما شجر من قضايا تاريخية حول الممالك الجراكسة ، فالخلاف حول ما إذا كان برقوق أول سلاطين الجراكسة أم بيبرس الجاشنكير ، حسمه أبو المحاسن في ثقة مرجحا برقوق ، فقال « فهو الأصح وبه قول » (٢٧) . وتتصوّل تلك القصة إلى روع من التفاخر واللباهة حينما يقد روية المقرئى وهيرة حول أمور متعلقة بنفس السلطان ، فيقبل على الروايين بقوله « والقولان ليسا بشيء » (٢٨) . من كثيرا ما تظاول على استاذة بخبت وقف منه موقف المتصيد للأخطاء المتصدي للرد عليها ، وفي هذا المعنى يقول على سبيل المثال : « ونحن نشالسح الشيخ تقى الدين المقرئى سى كلامه .. » ، بل أعان من موقفه هذا في سفوف حين ذكر صراحة أن « الشيخ تقى الدين - رحمه الله - كان له انحرافات ممبروقة تارة وتارة » (٢٩) . لقد كان أبو المحاسن يعتقد في قرارة نفسه أنه مؤرخ عصره وأوائه ، وأنه يث استاذة المقرئى في التاريخ للممالك الجراكسة ، فابترى يتصيد هفواته ويثقب أخطاءه كلما سحت له فرصة (٣٠) ، مظهرًا أنه لم يرد بذلك السط على

(٢٢) النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢٤) نفسه ج ١٢ ص ٥٧ .

(٢٥) نفسه ج ١٢ ص ١١٥ - ١١٩ .

(٢٦) منبدا الصفدى كتابين في التراجم والوفيات ، هما أحوال مصر في اميسان مصر والوفات بالوفيات ؟

قرطوبا أبو المحاسن في النجوم الزاهرة انظر : ج ١١ ص ١٩ .

(٢٧) نفسه ج ١١ ص ٢٢١ .

(٢٨) نفسه ص ٢٢٤ .

(٢٩) نفسه ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣٠) ربيعة في القرن الخامس عشر - الجاهلى ص ٨٥ .

الشيخ تقي الدين^{١٠} غير أن الحق يقال^{١١} «... وإياها كان الأمر ذلك دلالة على أن تاريخ لبي المحاسن للمباليك الجراكمة رقعته إلى مصاف أقطاب المؤرخين من معاصريه».

وهذه المكنة لا ترجع فقط إلى عرضه الحقيقي البارخ لتاريخ الاستقرابية العسكرية الحاكمه - وهو في جوهره يدور حول الصراع على السلطة - بل كشف-أبو المحاسن عن الحياة الاجتماعية لتلك الطائفة ، فأفرد أسبوعاً طويلاً وصف فيها المواقب السلطنية ، ومراسيم استقبال الحكام الأجانب ، والرسوم المرفوعة في الاحتفالات الدينية وغير الدينية. وتقاليد الانعام بالرتب والنياسين والامنيطة السلطنية ، وألقى الضوء على حياة النبلاطين والأمراء الخاصة ومظاهر نهوهم وتسليتهم ، بل تغفل إلى قصورهم فكشف النقاب عن حياتهم مع الجواري والخلمان والمهرجين ، جنباً إلى جنب مع أسيانهم الوقورة مع الفقهاء والأدباء والعلماء ، إلى غير ذلك من المعلومات ذات الطرافة والجددة والأهمية في تصوير الحياة الاجتماعية^{١٢}.

ومن أسف أن أبا المحاسن أغفل في تاريخه حياة الشعب المصري بقضاياه المختلفة أغفلاً تاماً ، باستثناء قطاع المثقفين من المشايخ والمبلاء والأدباء ، فقد ترجم - في أسهاب - لسلاليم والمشاهير منهم ، فكان يذكر فضائلهم ويعدد مؤلفاتهم وتصفاتهم ، وكثيراً ما استرسل في نقل

أشعارهم . وفي حين يقرح حيزاً كبيراً من كتابه للتحريف بالملوك والحكام والعلماء في مسرأ أجزاء العالم الإسلامي ، نجدته يحد في مجرد الإشارة إلى حياة الجماهير المصرية إلا ما يرد عنها طوقاً ، الاستعلائية المنيئة من انتباهه الطبقى ، وحسيناً حين يمرض لظواهراتهم عند استقبال السلاطين ، أو نهب العامة لبيوت الأمراء المغضوب عليهم من السلطان ... الخ . ويعزى ذلك إلى نظريته الاستعلائية المنيئة من انتباهه الطبقى ، وحسيناً أن المصريين في نظره كانوا مجرد « غوغاء » و « حرافيش » أو « عامة » على أحسن الأحوال .

أما وقد غص الطرف عن حياة الشعب المصري داخل القاهرة ، لجديهي ألا يلقى بالاً للمصريين في الريف والمدن الأخرى ، فلا تقف على ذكر لهم في كتابه إلا كضحايا للنسوازل والمبلسات ، وحتى الاسكندرية لا تعرف عنها شيئاً في النجوم الزاهرة أكثر من كونها منفى للأمراء المغضوب عليهم من قبل السلطان . ويقتضى أن التزامه بعنوان مؤلفه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لا يعفيه قط من تبعة هذه النقائص .

غير أن هذه النقائص على كل حال - مضافاً إليها هنات أخرى كستابة الأسلوب وركابته وكثرة الأخطاء في النحو واللغة ، كل ذلك لا يقلل من قيمته كمؤرخ مصر في عهد الجراكمة بلانماز . وصدق فيه قول ابن أبياس بأنه « كان نادرة في أولاد الناس »^{١٣}.

• ليبيا

الاحتكار الدولي للبترول
أين المفسد ٢٠٠

• قبرص

هل ينجح عملاء الاستعمار
في عزل الاسقف مكاريوس

• ألمانيا الديمقراطية

لمنظمة السوداع :
مهرجان التسبيح العظيم

• علوم

« السكاى لاب » وبرنامج
الفضاء الامريكي القبيح



• تقرير خاص

المؤتمر النقابى العالمى الثامن
وثيقة الفضل ضد الاستعمار

• رسالة بغداد :

لماذا تشكيل الجبهة الوطنية ؟



تقارير الشهر



جمهورية مصر العربية

الانفتاح الاقتصادي • أهدافه وأفاقه

في حديثه للامرام في ١٩ أغسطس الماضي ، أكد عبد العزيز حجازي نائب رئيس الوزراء ووزير المالية ، أنه لابد من أن «تحدد مصر صورة مستقبلها الاقتصادي على ضوء المتغيرات الاقتصادية المالية» ، وقال أن الإجراءات الاقتصادية الأخيرة المتعلقة بالتجارة الداخلية تهدف إلى : تحقيق استخدام أكثر كفاءة للمكونات الرأس مالية ، والبشرية ، ورفع مستوى أدائها ، واستخدام أساليب التعامل التجاري التي تنفق مع عمليات التجارة الخارجية بمبدأ من التعقيدات والبيروقراطية ، وتبادل الخبرات المكتسبة في مجال التجارة من خلال خطة عربية موحدة والعمل على تنمية الصادرات .

ولتحقيق كل هذا اتخذ إجراء من أساسيين :

■ إنشاء سوق موازية للمنفذ الأجنبي ، لاتخضع لأسعار الصرف الرسمي ، وإنما يتم التعامل فيها بالاسعار التشجيعية لتحقيق الاهداف التالية كما أعلنها الدكتور حجازي :

— استقطاب مخزونات المصريين في الخارج وموارد السياحة وحصوله صادرات القطاع الخاص من السلع غير التقليدية .

— تسهيل استيراد مستلزمات الانتاج للقطاع الخاص والسفر للخارج واعداد حملات اعلانية لترويج صادراته .

— تخفيف الضغط عن ميزانية الدولة من النقد الأجنبي ، ومواجهة الاختناقات في توفير مستلزمات الوحدات الإنتاجية العامة والخاصة

— تشجيع تنمية الصادرات الى أسواق العملات الحرة ، طالما أنه سيصبح لمن يصدر حق استخدام حصيلته من هذه العملات .

والهدف الأخير يرمي ، كما قيل ، الى تحقيق التوازن في التوزيع الجغرافي لتجارنتنا الخارجية . إذ أن صادراتنا يذهب ٧٠ في المائة منها الى دول اتفاقيات التي توجد لنا أيضا ٥٠ في المائة من احتياجاتنا .



د. حجازي

ويرى البعض أن سبب الاختلال الحالي في هيكل تجارتنا يرجع الى « اتجاه الجزء الأكبر من الصادرات الى دول الاتفاقيات في حين أن معظم الواردات أو على الأقل الجزء الأكبر من الطلب على الاستيراد يتجه الى الغرب » ، نتيجة لعدة عوامل أهمها الطلقة المغرقة لعملية التسهيلات الائتمانية المقيدة التي تحصل عليها من دول الاتفاقيات وما تحمل عليه من زيادة حجم الواردات الإنتاجية من هذه الدول بالرغم من ارتفاع السعر وانخفاض الجودة ، بحيث أصبح تصريف الناتج غير متاح الا لهذه الدول أو للاستهلاك المحلي ، نتيجة للحماية الضارة المطبقة . هذا بالإضافة الى أن اسعار الصرف الرسمية الحالية تحمل أرقسا عاكبرا في سعر الجنيه المصري لا يتفق مع قدرته الشرائية وتكاليف الانتاج ، بحيث يفضل المنتج تصريف سلعه بالاسعار المرتفعة التي تفرضها دول الاتفاقيات لرفيقها في استهلاك مديونية مصر بأى شئ ، خاصة وأن جزءا منها راجع الى ارتفاع اسعار التوريد (الامرام الاقتصادي ١٥ - ٨ - ٧٢) .

والرأي السابق يأخذ على دول الاتفاقيات :

- منحها تسهيلات ائتمانية لنا .
- استيرادها لجزء كبير من انتاجنا .

— تقارير الشهور —

● ارتفاع أسعار صادراتنا لنا وانخفاض جودتها .

● توريدها للمعدات الانتاجية لتستجيبا

● استيرادها لانتاجنا بأسعار مرتفعة .

وحول هذا يقول د . حجازي « لا يمكن لنا أن ننكر الدور الذي قامت وتقوم به دول الاتفاقيات في التنمية الاقتصادية في مصر ، خاصة دول الكتلة الشرقية . لقد أعطتنا المقرض طويلا الأجل في وقت رفض الغرب أن يقدم لنا فيه شيئا . ولا يمكن لأسان مصرى أن ينكر النتائج التي حققها التعاون الفني والاقتصادي مع دول الكتلة الشرقية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . هناك مشروعات اقتصادية عملاقة كاسند العالي ، ومجمع الحديد والصلب وغيرها ، ولا شك أنها قاعدة أساسية في الاقتصاد المصري . »

■ أما الإجماع الثاني في سياسة الانفتاح الاقتصادي ، فكان محتملا بتعليم التجارة الخارجية ، بحيث يخص : تأكيد وظيفة التخطيط الشامل للتجارة الخارجية تصديرا واستيرادا ، وتحديد أهداف وسياسات واضحة ، واقتراح استراتيجية محددة للمعاملات الخارجية مع المنظمات الاقتصادية ، وتوفير الدراسات والبيانات اللازمة لتخطيط التوسع في العلاقات التجارية مع دول العالم ، وتحصل أعمال التخطيط من أعمال التنفيذ بحيث تسهل المتابعة والرقابة . وتحقيقا لكل هذا تقرر :

■ أن يقوم المجلس الأعلى للتجارة الخارجية بتحديد الأهداف والسياسات واقتراح استراتيجية التجارة الخارجية ، بحيث يركز عمله في توجيه الدراسات الأساسية التي تتعلق بالتخطيط .

■ ينبثق عنه سبعة مجالس للتخطيط السلمي : لاعداد الدراسات السلمية لتوفير معلومات وبيانات كاملة عن الانتاج والاستهلاك المحلي ومطلوبات الاستيراد والتصدير ، ولوضع خطة تفصيلية للاستيراد والتصدير ومتابعة تنفيذها وإخضاع التعديلات اللازمة عليها . والمجالس السبعة هي : السلع الغذائية والزراعية ، السلع الاستهلاكية ، والكيميائية والدوائية والبترولية ، والمعدنية والحراريات ، والهندسية والكهربائية والإلكترونية ، ومماثل النقل ومستلزماتها ، والسلع الاستشارية .

■ تشكيل أمانة فنية للمجلس الأعلى للتجارة الخارجية ومجالسه السلمية تتولى تحضير الدراسات والبحوث ، وتعتبر جزءا من وزارة المالية والاقتصاد . كما يعقد اجتماع دوري مشترك لرؤساء وأمناء مجالس التخطيط السلمي ، لتنسيق عملها وتبادل الرأي في أسس واتجاهات تطوير التجارة الخارجية .

■ تخصص شركات التجارة في عمليات الاستيراد والتصدير تحت إشراف مؤسسة التجارة التي تشرف على تنفيذ خطة التجارة الخارجية ، وتزويد المجالس السلمية بالبيانات . ويتم تطبيق نظام التخصص السلمي والجغرافي .

وبجانب هذا تقرر : ١ - أن تقوم شركات التجارة الخارجية بعمليات التصدير لحساب القطاع العام المنتجة ، فإذا تجاوزت الوحدات التصديرية أهدافها بالعمليات الحرة ، يكون لها أن تحتفظ بـ ٥٠ في المائة من الفائض بـ ٢ - يعد اتحاد الصناعات بيان بمصانع القطاع الخاص تراجمه مؤسسة التجارة ، ويتقدم القطاع الخاص إلى الشركة المختصة بطلبات الاستيراد والتصدير على أن يكون له حق الاتصال المباشر بالمستوردين بـ ٣ - إلغاء تراخيص استيراد سيارات الركوب ، على أن تفرج عنها الجمارك مباشرة بعد تحويل ١٠٠ جنيه استرليني للسيارة الصغيرة ، و١٥٠ للسيارة الكبيرة بـ ٤ - رفع حد الإعفاء من ترخيص الاستيراد للهدايا والسلع الشخصية من ٥٠ إلى ١٠٠ جنيه بـ ٥ - إلغاء نظام الاستيراد من طريق استخدام ارصدة الحسابات بين المقيمة والاستيراد بدون تحويل عملة ، على أن تفتح فرصة الاستيراد العيني بمخدرات المصريين العاملين في الخارج الذين تزيد مدة عملهم على سنة .

وقد تخوف البعض من أن تؤدي السوق الموازية للنقد إلى تدهور سريع في قيمة الجنيه المصري لخصومه لتلاعبات العرض والطلب بعيدا عن رقابة الدولة . ولكن د . حجازي يرى « أن السوق الموازية خطوة نحو تحرير النقد في مصر ، وإعطاء قيمة حقيقية للجنيه المصري . وهي ليست تخليضا للجنيه المصري ، ولكنها تدعيم له لكي يفرخ وجوده في المستقبل في أسواق النقد . ولقد كان لانشاء هذه السوق آثار دولية مريضة . فقد وافق صندوق النقد الدولي على تقديم قرض قيمته ٤٧ مليون دولار ، عقب قرار انشاء السوق الموازية » . وقد كان ذلك مطلبيا ملحا لدعم ميزان المدفوعات المصري ومصر المصرف للجنيه المصري » .

وعقب اعلان سياسة الانفتاح مع الجميع ، سافر د . حجازي الى تشيكوسلوفاكيا حيث وقع عددا من الاتفاقيات الاقتصادية لزيادة حجم التبادل التجاري والتعاون الفني ، ولتشغيل العمال المصريين هناك . وأما ألمانيا الاتحادية فقد أعلنت أنها ستقوم بدراسة تستغرق ٣ سنوات ، حول تنفيذ مشروع منخفض القطارة لتوليد الكهرباء . وقد أكدت ورقة الصور ضرورة الالتزام بمواثيق الثورة فيما يتعلق بنظامنا الاقتصادي والسياسي ، لهذا فان الانفتاح كاسلوب في التجارة الخارجية يجب أن يتم في إطار خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي إطار هذه المواثيق الثورية التي تنص مثلا على أن الاستيراد بكامله يجب أن يتواءم القطاع العام ، وعلى ألا تتحول التجارة الخارجية الى وسيلة للثراء غير المشروع . وهذا ما أكدته الدكتور حجازي من أن الهدف هو ضمان تكامل سياسة التجارة الخارجية مع خطة التنمية وخصومها لها .

بناء جديد لمنظمة الشباب

في الرابع والعشرين من يوليو الماضي أعلنت أمانة الشباب بالاتحاد الاشتراكي العربي ، ومن خلال مؤتمر ضم عدة آلاف من الفتيات والفتيان الذين قامت بتدريبهم الأمانة في معسكراتها خلال المسلمين الماضيين - أعلنت عن قيام تنظيم شبابي قيم له الرئيس السادات بنفسه قائلا : « أن الشباب في هذا الوطن وبالارقام أغلبية ، وإذا أضفنا الى ذلك أن المستقبل هو الشباب فمعنى ذلك أنه بفكره وبمكوناته هو أيضا أغلبية الغد . وإذا أضفنا الى ذلك أيضا أن الشباب - أغلبية اليوم وأغلبية الغد - هو وليد وتربية سنوات الثورة ، لرأينا بوضوح أربعة عوامل :

- الاول : أن الشباب هو صاحب أكبر الحقوق في الحاضر .
- الثاني : أنه صاحب الحق الكامل في الغد .

الثالث : أنه دعامة شعبة في كل ما يلم به . وفي ميدان القتال .

الرابع : أن الشباب هو الابن على فكر الثورة لأنها عبره في الحاضر وفي المستقبل .

وبعد ذلك بخمسة أيام عقدت الامسية مؤتمر تأسيسيا لهذا التنظيم الشبابي ضم أكثر من ٦٠٠ شاب هم مجموع العاملين بالمكتب الفنية المركزية وأمناء وأعضاء لجان الشباب بالمحافظات والسرراكن والاقسام ، وعرضت على المؤتمر مجموعة من الأوراق تتميز ورقتين منها بأهمية خاصة هما ورقة البرنامج السياسي ، وورقة النظم الاساسي للتنظيم الجديد . وبعد مناقشات امتدت طوال فترة انعقاد المؤتمر من ٢٩ إلى ٣١ يوليو ، وكانت - كما وصفها كثير من أعضاء المؤتمر أنفسهم - حوارا ساخنا يعبر

— تقارير الشهر —

عن كثير مما يدور في الأذهان من تساؤلات ، أصدر المؤتمر توصياته كما أصدر بياناً سياسياً حدد فيه مواقفه تجاه القضايا الوطنية والقومية والعالمية . ولعلنا لا نختلف كثيراً إذا قلنا أن النظرة الموضوعية إلى هذا التنظيم الشبابي الجديد يستوجب أن نضع في الاعتبار :

أولاً : أن التنظيم الشبابي لا يبنى من فراغ ، وإنما هو جزء من سياق تاريخي وامتداد لتجارب سبقت عليه . وهو إما أن يستوعب دروسها ويتقدم عليها ، وإما أن يكررها أو يتخلف عنها .

ثانياً : ومع ذلك فإن التنظيم الشبابي لا يبنى في فراغ ، وإنما يبنى داخل مجتمع تسيطر عليه مصالح اجتماعية محددة ، ويسوده فكر سياسي وتنظيمي معبر عن تلك المصالح ، ومن المتوقع - بداهة - أن يعكس التنظيم أوضاع المجتمع الذي ينشأ فيه .

وربما كان من المفيد جداً أن نشير هنا إلى أن التنظيم الشبابي الجديد هو المحاولة الرابعة من جانب قيادات ثورة ٢٣ يوليو لبناء منظمة سياسية للشباب المصري منذ أعلن جمال عبد الناصر في يناير عام ١٩٦٥ « أن الأمل الحقيقي هو في استمرار النضال ، ويتأكد الاستقرار حين يكون هناك في كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ، ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها ، أكثر وعياً من جيل سبق » . أكثر صلابة من جيل سبق » . أكثر طموحاً من جيل سبق » .

ففي ٢١ يوليو عام ١٩٦٦ - وبعد عامين من الاستعداد - أعلن رسمياً لأول مرة عن قيام منظمة الشباب الاشتراكي باعتبارها التنظيم السياسي للشباب في مصر . وقدرة للمنظمة أن تولد في مناخ تميز باحترام النضال . بين طلائع الحركة الجماهيرية للبرازة ، وبين الطبقة الطفولية التي كانت جيوبها قد انتفخت بجزء كبير من ثمار الخطة الأولى الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وما كانت قوائم المنظمة ترتفع عن الأرض حتى جاءت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ لتزلزل المجتمع المصري من الأعماق .

وببقدار ما كانت الهزيمة في حد ذاتها دلالة مبكرة ومؤشراً إلى مشقة النضال الذي سوف يتعين على الحركة الجماهيرية أن تخوضه قبل أن تتمكن من قلب ميزان القوى لصالحها . وبدأ واضحا للكثيرين حينذاك أن الثورة المصرية ، بل وحركة النضال الوطني العربية كلها تواجه مأزقاً تاريخياً لا سبيل إلى اجتيازه إلا بتعميق الثورة الاجتماعية ، والانعتاف بحسم نحو مزيد من التحولات الديمقراطية في مختلف مجالات العمل الوطني الاقتصادي والسياسية والاجتماعية والتنظيمية باعتبار ذلك نقطة بدء لا بد منها لأي مواجهة ناجحة مع العدو الامبريالي ، وكان هذا ولا شيء سواه هو جوهر التغيير المطلوب .

وفي أوائل عام ١٩٦٨ كانت المحاولة الثانية لبناء منظمة الشباب قد تبلورت . بينما كان الصراع الحزبي بين الحركة الجماهيرية وبين مختلف المواقف التي تقف في سبيل تخطي السبلات التي كسفتها الهزيمة .

وفي نفس الشهر - فبراير ١٩٦٨ - الذي انتهت فيه المنظمة من وضع خططها ، أخذت الجماهير تدعو إلى التغيير الحقيقي الذي طالبت به في ٩ ، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ .

ومن الملاحظات ذات المغزى أن جزءاً ، وإن يكن ضئيلاً من قيادة المنظمة ، وكثير من أعضائها في أوساط العمال والطلبة تداشتركوا في هذه الدعوة ، بشكل تلقائي ، ليطالبوا مع الجماهير بنفس مطالبها . وبمدها أصدرت مراكز القوى قراراً بوقف نشاط المنظمة كلية بالجامعات ، ومنع الاتصال الرأسي بين مستوياتها التنظيمية ، وتحويل هيئاتها القيادية إلى لجان تتبع مباشرة المستوى المقابل من تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي . أي أن المنظمة قد جمعت على حد التعبير الذي استخدم حينذاك . وبدأ واضحا أننا بدلاً من أن نستخدم أساليب جديدة ، نقاسم الطوفان الجديدة ، قد

اكتفينا بلهسة هنا ، ولهسة هناك ، ونحن نلحق جراحنا فنزيد بها الهبابا ، وتحولت المعركة من نقطة وثوب نحو التعبير الحقيقي المطلوب الى هفوة في وجهه ، وخسوة بعد خسوة أفرغت كل الشعارات من مضامينها التقييمية وحشيت بمضامين من نوع آخر .

وفي يناير عام ١٩٦٩ ، حينما سمح بإعادة بناء النظية للمرة الثالثة ، خرجت التجربة الجديدة بنقلة بكل أعباء المرحلة . وكان كل ما حدث هو إعادة صياغة لقرار التجميع الذي صدر عام ١٩٦٨ ، إبقى على مضمونه بالكامل ولم يغير في شكله سوى تغييرات ضئيلة تناسب مقتضى الحال .

واليوم ، تجيء التجربة الراجية لبناء تنظيم سياسي للشباب ومازال حركة القدر الوطني المصري والعربية أسيرة نفس المازق التاريخي الذي جسدهت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، وما يزال التغيير الحقيقي المطلوب أمل تتطلع اليه الجماهير وتستستجيب له ٢٠ ويدرك الجميع الآن أن التغييرات الديمقراطية المنشودة هي الأساس الحقيقي في بناء منظمة للشباب أ.

ومن المسائل الإيجابية في تقديري أن شباب المنظمة مازال يدرج بدرجة أو بأخرى من الوضوح طبيعة هذه الإلزام ، فالبرنامج السياسي يبرر قيام المنظمة في هذه المرحلة من نضالنا الوطني بأنه :

« ينبع من حقيقة أن هناك شروط طويلة بين ما حققناه وبين ما نهدف إلى تحقيقه من أجل تحرير الأرض والإنسان وهذا يفرض على شباب الثورة وحدته داخل تنظيم شعبي وطني يحويه من الممثلة والتشبيات » *

وأمام الهجمة الاستعمارية والرجعية الضارية على منجزات ثورة ٢٢ يوليو يعلن الشباب في برنامجهم السياسي تمسكهم بمبادئ الثورة الرئيسية : الميثاق الوطني ، وبرنامج ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطني .

ثم يعود في بيانه السياسي الختامي فيؤكد على حقيقتين :

أولاً : إن ثورة ٢٣ يوليو خاضت أعظم معاركها من أجل تأكيد سيطرة قوى الشعب الحاكمة في وطننا ، على وسائل الإنتاج ووضعها في موقع السلطة السياسية ومن ثم يحدد موقفه بأن ضمان استمرار الثورة يتطلب الحفاظ على الانجازات «الاشتراكية» لثورة يوليو ، والدفاع عنها ، وتأكيد استمرار التحول الاجتماعي .

ثانياً : أن ثورة يوليو حددت أن طريقها وسبيل أمتها إلى العصر هو بمقدار ما تسهم فيه من جهد في دعم حركة الثورة والمالية وتصفية الاستعمار بكل أشكاله العدوانية - ومن جهد الشباب موقفهم من الصراع القائم في المنطقة بأنه صراع حضارى شامل يمين حركة التحرر الوطنى العربية من جانب وقوى الإمبريالية والصهيونية من جانب آخر - وهذا الفهم - كما يقول البيان - يؤكد ضرورة حشد الجماهير العاملة والمطلقة للقوى التحالف في إطار حرب التحرير الوطنية التي تستلزم مواجهة شاملة تستنفد كل جهد الجماهير الشعبية -

وفي النهاية ، قد يكون صحيحا أن العشرة آلاف شاب الذين تضمهم عضوية المنظمة في تجربتها الرامية ، ليسوا إلا جزءا ضئيلا من شباب مصر ، وأن المنظمة مازال أبعد بكثير من أن تكون مميرا حقيقيا عن حركة الشباب المصري . وقد يكون صحيحا - أيضا - أن معيار الثورة ليس هو الكتل وحدها ، ولكن مقدرة التنظيم على العمل للكتل التي للمعار الاصغر . وقد يكون صحيحا ، من ناحية ثالثة ، أن وفاق المؤتمر التأسيسي للمنظمة ، ومناقشاته وقراراته مازال توصيات أمام القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكي العربي . ولكن المؤتمر مع ذلك كان علامة من علامات كثيرة تؤكد كل يوم أن شباب مصر لم ينس فقيته . وإذا كان هدف الشباب المصري كله الآن هو منظمة ديمقراطية حقيقية ، فإن عليه ألا يكتف من الفصل باختلاف الوسائل من أجل هذا الهدف .

اسبوع مصادات الوحدة

ليبيا

عقد في مدينة طرابلس خلال الفترة من ٥ إلى ١١ أغسطس « الاجتماعات الخاصة باستكمال خطوات الوحدة بين مصر وليبيا ، بين وفد مصر برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، وبين الوفد الليبي برئاسة الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس الثورة ورئيس الوزراء » ثم انضم الى وفد مصر بعد ذلك اشرف مروان سكرتير الرئيس لشئون المعلومات وأمين القيادة السياسية الموحدة ، الذي حمل معه رسالة شخصية من الرئيس السادات الى الرئيس معمر القذافي ، وقد اشترك الرئيس معمر القذافي بنفسه في أربعة اجتماعات في سلسلة المحادثات بين وفدي البلدين ، التي استمرت اسبوعا واستقرت جملتها لكر من ٥٠ ساعة ، كما ظل الرئيس انور السادات على اتصال دائم مع الوفد المصري المتابعة سير المحادثات ، وذلك عن طريق الاتصال التليفوني .

وقد تم في هذه الاجتماعات بحث الموضوعات التي كان قد اتفق عليها بين الرئيس انور السادات والرئيس معمر القذافي اثناء زيارته لمصر في شهر يوليو الماضي . وكان أساس هذه المحادثات هو « اعلان بنغازي » الذي صدر عن اجتماع الرئيسين المصري والليبي في سبتمبر ١٩٧٢ ، ونص على تحقيق الوحدة بين مصر وليبيا .

وقد ناقش الجانبان المصري والليبي في هذه المحادثات أعمال اللجان الفرعية للوحدة في الفترة السابقة ، والمناقشات التي دارت في المؤسسات الدستورية والشعبية التي حضرها الرئيس الليبي اثناء زيارته للقاهرة في شهر يوليو الماضي . كما ناقشا ايضا التصورات الثلاثة لتحقيق الوحدة بين مصر وليبيا ، والتي سبق طرحها في اجتماع مجلس الوزراء المصري وحضرها الرئيس معمر القذافي .

وقد تم وضع النتائج التي انتهت اليها المناقشات والمقترحات التي وضعت لتنفيذ اعلان بنغازي وتحقيق الوحدة بين مصر وليبيا لعرضها على القيادة السياسية الموحدة المشكلة من الرئيسين انور السادات ومعمر القذافي ، وقد تم عرض هذه النتائج على الرئيس القذافي في الاجتماع الاخير الذي عقده مع اعضاء الجانبين المصري والليبي ، ثم عرضت بعد ذلك على الرئيس انور السادات في القاهرة .

وعقب انتهاء المحادثات الخاصة بالوحدة ، عقد اجتماع خاص بين د . عبد القادر حاتم والرائد عبد السلام جلود ، لبحث المسائل المتعلقة بتدعيم العلاقات بين البلدين ، وقد تم الاتفاق على مساهمة الشركات المصرية في تنفيذ خطة التنمية في ليبيا ، وبناء ٨٠٠٠ وحدة سكنية جديدة هذا العام ، وايفاد ١٨ ألف خبير وفني وعامل مصري للعمل في ليبيا ، و ٣٠٠٠ مدرس للمل هناك . وتم الاتفاق ايضا على مد خط سكة حديد بين السلوم وطبرق ، ومد كابل بحري بين الحدود الليبية والاسكندرية ، وذلك لتدعيم الاتصال بين البلدين .

الاحتكار الدولي للبترول : أين المفسر ؟

للمرة الثانية وفي خلال اسبوع واحد توجه الحكومة الليبية ضربة عنيفة الى شركات البترول الاستعمارية العاملة في ليبيا ، وذلك عندما اقدمت في ١١ أغسطس الماضي على تأميم نسبة ٥١ في المائة من الاسهم ، والمصالح المملوكة لشركة « اوكنستال » الأمريكية .

وكانت الضربة الثانية في ١٧ أغسطس عندما اقدمت على تأميم نسبة ٥١ في المائة من مجموعة « أواسين » ، وتشمل جميع الأصول والموجودات والمزاقي بها فيها الابار وخطوط الانابيب، ومستودعات التخزين، وكلها يتعلق بحقول الامتياز . وتعتبر أواسين من أكبر المجموعات المنتجة للبترول في ليبيا وتحتلها ٤ شركات ، ثلاث منها أمريكية والرابعة فهي شركة شل (الهولندية - البريطانية) .

وكان قد سبق تأميم الشركة الأخيرة طلب الحكومة الليبية الى مجموعة « أموسين » التي تملكها مناصفة شركتا ستاندارد أوليف كالفورنيا ونيكسكو البريكتين ، تعديد الانتاج وخفضه من ٢٠٠ ألف برميل يوميا الى ١٠٠ ألف برميل ، وذلك كوسيلة تطبيقا من جانب الحكومة الليبية لشعار استخدام سلاح البترول عمليا وفي اتجاه الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية .

والمعروف ان حوالي ٩٠ في المائة من انتاج البترول الليبي ، يتم بواسطة شركات أمريكية . وقد جاء قرار الحكومة الليبية بتأميم ٥١ في المائة من شركة اوكنستال ومجموعة « أواسين » مفاجأة بالنسبة لكثاقل البترول الدولي ، فقد كانت هناك مفاوضات منذ عدة أشهر بين الحكومة الليبية وشركة اوكنستال ومجموعتي أواسين و أموسين ، وتدور حول مطلب ليبيا بتحقيق الاشراف الكامل على عمليات هذه الشركات ، وكانت هذه الشركات قد لجأت الى المهادلة والتمنع ، والى اتخاذ مواقف موحدة خلال المفاوضات للضغط على الحكومة الليبية واجبارها على التراجع عن مطلبها . كما ان الحكومة الليبية لم تتر خلال المفاوضات موضوع التأميم على الاطلاق ، الامر الذي عد بمثابة ضربة مباغتة لهذه الشركات الأمريكية من جانب الحكومة الليبية ، وذلك تنفيذا لشعار قومية المعركة التي ترفعه ليبيا في مواجهة التحالف الصهيوني الأمريكي ، واستخلاصا لحق الشعب الليبي في ثورته الوطنية .

ولم يكن هناك مقر امام شركات البترول سوى الموافقة على قبول شروط الحكومة الليبية ، سواء بالنسبة للتأميم او بخصوص التعويضات . الممنوحة لها من الحصص المؤمنة وذلك على اساس قيمة رأس المال الثابت ، في نظير استمرار امدادات البترول ، وخوفا من تعرض البقية الباقية من مصالحها للخطر فيما لو عارضت الشروط الليبية .

وقد وقعت الحكومة الليبية اتفاقا آخر مع شركة اوكنستال ومجموعة أواسين ويونين على بيع حصة الحكومة الليبية من الانتاج الى هذه الشركات بمسعر ٩٠ دولار للبرميل أي بزيادة ٣٠ سنتا للبرميل عن الاسعار المعلنة حاليا . ولم تتخل عن التوقيع على اتفاقية التأميم من الشركات الأربع التي تشترك في ملكية أواسين سوى شركة شل (الهولندية - البريطانية) التي طلبت الرجوع الى مقر رئاستها في لندن ، وقد أوقفت ليبيا تصدير حصتها من البترول .

وفي تصريح لرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء الليبي في أوائل الشهر الماضي جاء فيه : « انه قد تمت في الماضي عملية استنزاف

لحقوق ممتلكات الله الطاربي خبير البترول المعروف ، قد طرح على كل من المبراني والكويت مسودة مشروع اتفاق لاتحاد المقاتلات بين الجيشين ، وكانت « الامارات » الليبية قد اشارت الى ذلك عندما ذكرت ان الشيع الطريفي ظل يتنقل بين البلدين في ثلاثة اشهر ، اقام فيها مهمته بسرعة تامة ، وقد ذكرت نفس المصادر ان مسودة الاتفاق قد تالت منذ اسبوعين ، موافقة الحكومتين العراقية والكويتية فحسب ، وافقت الكويت مؤخرا على منح المبراني حق إنشاء ميسمار ، ليضمن تدفق البترول المبراني الذي يعتبر ازيد ، خلال التشرين القادمين في حمل الرملة في جنوب العراق ، كما تم الاعمال على تنظيم العقود البرية ، بما يرضي الطرفين ، على ان يستغل المقاتل الذي يوجد فيها البترول ولم تستقر هي الآن .

— تقارير الشهر —

للبرتول العربي مستق قبل الشركات الاستعمارية ، وان الحكومة الليبية كان لابد لها من ان تحصل على اعمار هائلة من الشركات المنتجة وتحديد الانتاج ، وان ليبيا قد حصلت باثر رجعي على ٧٩٠ مليون دولار ، وان شركات النفط كانت تريد التستر على دفع هذا المبلغ خشية ان تحذر الدول العربية المنتجة للنفط حذر ليبيا .

وتتبر شركات البرتول الاستعمارية قلقها الشديد من اجراءات التأميم الليبية ولعل اشد ماتخفاها من انتقال المثل الليبي الى سائر الدول العربية المنتجة للبرتول ، فتتفنى اثر ليبيا وتطالب بالمعاملة بالمثل . وهذا ما اشارت اليه بالفعل بعض الصحف الاجنبية .

فقد علقت صحيفة الفينانشيال تسايمز البريطانية قس عسدها بتسايرخ ١٤ - ٨ - ١٩٧٢) ، على موضوع التأميمات الليبية بقولها : « ان قوة ليبيا التي اكتسبها ليست باعتبارها دولة منتجة للبرتول من النوع الممتاز فحسب ، بل ان موة ليبيا أصبحت الآن في قدرتها على تفويض الاتفاقيات التي تم التوصل اليها في اماكن أخرى » .



الصراع العربي الاسرائيلي ما الذي يجري على جانبي الخندق ؟

والاقتصادية - على تنفيذ مخطتها الرامي الى تصفية الوجود الفلسطيني ذاته ، وايتلاع الاراضي العربية المحتلة ، وغرض ما يسمى « بمقتائق الامر الواقع » متجاهلة مبادئ القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة واجماع الرأي العام العالمي .

والواقع ، ان المقاومة الفلسطينية استطاعت ان تعيد تنظيم صفوفها ، يمد ما تعرضت له من مذابح في الاردن - وبالرغم من الضربات العنيفة التي وجهتها اسرائيل الى معسكرات اللاجئين ومراكز تجهيزات المقاومة في لبنان - تلك الضربات التي بلغت شروتها بالهجوم الاسرائيلي على بيروت واغتيال ثلاثة من قادة المقاومة ونسف مقر الجبهة الشعبية .

لقد اذاعت وكالة ا - ب - الامريكية في ١١ - ٧ - بياناً لوكالة الانباء الفلسطينية اطلعت فيه : « انه تم وضع استراتيجية جديدة لأعمال المقاومة داخل اسرائيل ، بحيث تعيد على العناصر العربية

بعد مضي ثلاث سنوات على وقف اطلاق النار في جبهة قناة السويس تشهد مبلحة الصراع العربي الاسرائيلي الظواهر الاساسية التالية :

اولهما - تصاعد نشاط المقاومة الفلسطينية - وازدياد عملياتها داخل الارض المحتلة ، واتساع جبهة العمل السياسي للمقاومة .

ثانيهما - استمرار التحرك المصري الواسع من أجل تمبئة الرأي العام العالمي والوصول الى حد مقبول من وحدة العمل العربي .

ثالثهما - وفي مواجهة هذا وعلى الجانب الاخر من الساحة ، تتدفع اسرائيل في عصف محموم لتنفيذ مخطط اسرائيلى امريكى ، يهدف الى تصفية المقاومة الفلسطينية وتشويه نضالها امام شعوب العالم .

وفي نفس الوقت تعمل اسرائيل - مدعوة بالمساندة الامريكية السياسية والممكنة

بأى مبادرة خارج إطار مقاييسها • . وكان هجمات يطلق على بعض الشروعات التونسية والجزائرية الخاصة بإنشاء دولة فلسطينية • ومن المعروف أن عرفات سافر إلى موسكو خلال أغسطس لمقابلة القادة الموفيت •



وأزاء تصاعد النضال العسكري والسياسي للمقاومة الفلسطينية بدأت خطة اسرائيلية أمريكية للمقضاء على المقاومة • وجاء قرار إسرائيل بضمين البرجاديير إسرائيل فيور (٥٢ سنة) قائدًا للعمليات الحربية ضد الفدائيين العرب خلفًا لاهارون ياريف الذي استقال « ليشغل بالسياسة » تمبيراً من الأهمية التي تعلقها إسرائيل على الحرب ضد الفدائيين •

وتلجأ إسرائيل في حربها المضمومة ضد الفدائيين الفلسطينيين إلى كل الوسائل الغادرة • ومن أبرز ملامحها :

١ - تشكيل فرقة اغتيالات خاصة - مهمتها اغتيال زعماء حركة المقاومة في أوروبا - وقدرت مجلة تايم الأمريكية أن عدد الذين تم اغتيالهم في أوروبا ١٣ هرباً • كان آخرهم المواطن المغربي أحمد بوشيكى •

٢ - قيام الحكومة الإسرائيلية باستخدام طائراتها الحربية في اختطاف طائرات مدنية بحق من زعماء المقاومة • وإصرار جولدا مائير وديان وكل زعماء إسرائيل على التبعج بارتكاب حادث اختطاف الطائرة العراقية يوم ١٠-٨ من أجواء لبنان بهدف اغتيال الدكتور جورج حبش وزملائه • ويرى المراقبون أن إصرار القادة الاسرائيليين على الاعلان بأنهم سيواصلون هذا النوع من أعمال القرضنة رغم الإدانة الجماعية التي أطنها مجلس الأمن لهذه العملية في ١٥-٨ • يؤكد أن النية مبيتة على العدوان على سوريا ولبنان لضرب مراكز المقاومة إلى جانب مواصلة خطة الاغتيالات •

٣ - تدبير حيلولة طمس سائرات ونسفها (الطائرة الجامبو اليابانية) واغتيال المسافرين غير الاسرائيليين (حادث مطار أثينا) ونسبة هذه الحوادث لمنظمات المقاومة •

وقد أعلنت صحيفة الثورة الفلسطينية الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية • أن التحقيقات أثبتت أن أية منظمة فلسطينية لم تشترك في حادث مطار أثينا •

ونقلت وكالة إي • ب • ١ • في ٢٠ - ٧ تصريحاً

الوجودية داخل إسرائيل - فعلا - مع تجلبد أكبر عدد ممكن من اليهود لخدمة القضية الفلسطينية • واستخدام المتفجرات المصنوعة في إسرائيل والأراضي المحتلة •

ولكدت الاسوشيتد برس • أن الفدائيين يصعدون هملاتهم داخل الأراضي المحتلة وخارج إسرائيل • وأن خطتهم تقوم على الضرب - أولاً - لا انتظار ضربات إسرائيل ثم الرد عليها • •

واعترف الاسرائيليون أنفسهم بهذه الحقيقة على لسان الجنرال (هارون ياروف مستشار مائير لشئون الأمن • عندما صرح قس ٧-٧-٧٠ بقوله : « ينبغي ألا نستعين بالفدائيين • • فأنهم يدخلون حصينات مستقرة على وسائلهم ويستخلصون الدروس من أخطائهم • »

وأعلن ياروف بأن الفدائيين الفلسطينيين قد نجحوا في ١٢ عملية من ٤٨ عملية خططوا لها • وأعلنت المقاومة أن عدد العمليات التي قامت بها خلال السنة شهر الماضية داخل الأرض المحتلة بلغت ١٠٥ عملية منها ١١ عملية في تل أبيب ذاتها •

ومن أهم هذه العمليات تدمير مجمع الضفط العالي الذي يزود تل أبيب وضواحيها بالكهرباء • وتدمير جزء من مجمع معامل البتروكيماويات الاسرائيلي في شمال شرق حيفا • وكذلك تدمير عمليات الاعتداء على الجنود الاسرائيليين وخطف سلاحهم • ونسف وسائل المواصلات ومهاجمة الدوريات العسكرية الإسرائيلية • وتفجير أماكن التجمعات والانتدية •

والى جانب تصاعد العمليات الفدائية داخل الأراضي المحتلة وخارجها • اتسمت جبهة النضال السياسي للمقاومة الفلسطينية : فقد زادت المقاومة من تلاحمها مع القوى الوطنية والديمقراطية في لبنان مما شكل حتى الآن عائقاً أمام نجاح هجمات الدوائر الرجعية السامعية إلى التخلص من وجود المقاومة في لبنان •

وواصلت قيادات المقاومة منلقضاتهما مع الحكومات العربية المعنية بأوضاع المقاومة ومستقبلها •

وقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في ١٤-٧ تعقيباً لياس عرفات أعلن فيه « أن هدفنا هو إنشاء دولة ديمقراطية غير عنصرية • وسوف تواصل الثورة نضالها من أجل هذا الهدف • • ولن نلزم

— تقارير الشهر —

أحماج القوة العابلة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي .

ولا يخفى قادة اسرائيل على اختلافهم ، الاهداف التي يسمعون اليها .

ففي برقية لوكالة الانباء الفرنسية من البرازيل في ١٨-٨ تحدث ايا اييان عن الاهدية الحيوية الاستراتيجية والاقتصادية التي تمثلها منطقتان من الاراضي المحتلة بالنسبة لاسرائيل ، وهما شرم الشيخ التي يرد عن طريقها بترول الخليج الى اسرائيل ، ومرتمعات الجولان على الحدود السورية .

وفي برقية لرويتز بتاريخ ١٨-٧ حرج اسرائيل جاليلي بأنه ستقام مستعمرات جديدة في مرتفعات الجولان وعلى طول نهر الاردن وفي منطقة رفح شمل وشرق سيناء . وقال في تصريحه ان المستعمرات الاسرائيلية ينبغي أن تشير الى الحدود التي تستهدفها اسرائيل وفقا لاتفاقية السلام .

وفي ١٨-٧ نقلت وكالة الانباء الفرنسية تصريحاً لشيمون بيريز وزير المواصلات الاسرائيلي في مؤتمر صحفي ، قال فيه أن مطار شرم الشيخ الذي بناه الاسرائيليون يكتنه أن يستقبل طائرات البوينج ٧٠٧ والطائرات الاخرى من نفس الحجم ، وأن شركة العمال الاسرائيلية ستقيم خلال الخمسة او الستة شهور القادمة خطاً جويًا مباشرًا بين أوروبا وشرم الشيخ .

وصرح بيريز أن اسرائيل تستعد لبناء مطار دولي ضم في اواخر هذا القرن في مدينة رفح الواقعة بين غزة وسيناء على مقربة من المدينة الساحلية (ياميت) التي يعزم الاسرائيليون انشاءها .

وفي ١٩-٧ نقلت وكالة رويترز تصريحاً لاسرائيل جاليلي وزير الدولة الاسرائيلي قال فيه ان الحكومة بصدد بناء مستعمرات في مرتفعات الجولان وعلى امتداد نهر الاردن ومنطقة رفح وشمال سيناء . واضاف ان تخطيط مناطق هذه المستعمرات سوف يشير الى خط الحدود التي تهدف اسرائيل اليه في اية تسوية سلمية .

وفي حديث فينيان مع مجلة تايم الامريكية في ٢٤-٧ أعلن :

« ان شرم الشيخ غير ضروري لمصر ، وستسيطر على الضيق المؤدي من ايلات الى بور سعيد ،

لياس عرفات أعلن فيه » أن ليبيا على حق في قرارها بمحاكمة خافض الطائرة الليبانية ، وأن على اللذاتيين العرب تجنب الافعال الطائشة مثل خطف الطائرات في نضالهم ضد اسرائيل » .

٤ - ممارسة ضغط عنيف على لبنان ومحاولات التأثير في موقف الحكومات اللبنانية من المقاومة . وكان آخر هذه المحاولات قيام عدة تشكيلات من الطيران الاسرائيلي باحتراق حاجز الصوت عدة مرات - على ارتفاعات عالية جدا فوق بيروت وصيدا ولدة ساعتين يوم تشكيل وزارة فني الدين الصلح ، وبلغت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان ١٠٤ عدوانا خلال الشهور الثمانية من مستهل العام حتى الان (٢٠-٨) .

هذا وقد أعلن ياسر عرفات في لقائه مع الصحفيين المصريين ان المقاومة تقتل ضد ثلاث أجهزة : جهاز امريكي يرأسه كيسنجو مستشار نيكسون وجهاز اسرائيلي يتبع جولد مائير مباشرة ، وجهاز أردني يزعمه الأمير الحسن .

كما نشرت الجهاديين الامريكية أن أجهزة المخابرات الغربية والاسرائيلية تتبادل المعلومات حول نشاط اللذاتيين ، وأن نيكسون وجند وكالة المخابرات المركزية في الشرق الاوسط لهذه المهمة ضمن مهامها الاخرى ، وأن مكتب التحقيقات الفيدرالي (البلاتح الجنائية) مبعث لرصد تحركات الفلسطينيين .



وبينما تدفع اسرائيل في عنف لتنفيذ مخطط اعادة مصادل المقاومة تتقدم ايضا في اصرار وثبات لتنفيذ مخططها البعيد المدى الذي يستهدف تغيير الواقع الجغرافي والسكاني والاقتصادي للارض العربية المحتلة .

في منتصف أغسطس ، وبعد شهور من المناقشات العلنية توصل حزب العمل الاسرائيلي الحاكم لحل وسط بين مشروع فينيان ومشاريع خصوم ساير والآن . وكان فينيان قد أعلن أنه لن يستطيع الدخول في الانتخابات التي سوف تجرى في نوفمبر القادم ، على قائمة حزب العمل الحاكم ، ما لم توافق الحكومة على برنامج .

ويستهدف البرنامج الذي تم الاتفاق حوله ، وضع خريطة جديدة لاسرائيل ، بحيث تضم قطاعات من الاراضي العربية المحتلة ، كما تشمل اقامة ميناء باسم (ياميت) في منطقة رفح . كما يتضمن السماح لليهود بشراء الاراضي من العرب في المناطق الخاضعة للاحتلال الاسرائيلي ، وزيادة

وسياتى يوم تصبح فيه لدى مصر قيادة مستعدة للبدء بالمفاوضات .

ونشرت جريدة جيروزاليم بوست الإسرائيلية أن الخطة الموضوعية تقضى باتمام ستة قرى فى الوقت الراهن فى المنطقة الواقعة بين العريش وغزة ومنطقة الحدود السابقة التى كانت تفصل غزة عن سيناء ، وستنشئ هذه القرى حول مركز اقليس يطلق عليه اسم (ايشلوم) ، وقد قامت اسرائيل ببناء مستعمرتين داخل قطاع غزة اولهما عند وادى غزة والاخرى بين غزة وخان يونس .

ولقد ديان فى ١٢ - ٨ أن ميناء (ياميت) سوف يكون له الاولوية عن أية احتياجات اخرى وأنه سوف يكون بمثابة حاجز بين غزة والعريش فى الجنوب وسوف يكون انشائه أحد النقاط فى أية حدود تقام فى المستقبل بين اسرائيل ومصر فى إطار محادثات السلام .

كما أعلن ديان فى نفس التصريح أنه يفهم أن تقام بين بحر سبوع والبحر الأبيض المتوسط مجموعة من المناطق السكنائية لفصل سكان غزة عن الجزء الذى قد يحد البحر من سيناء . ولقد أنه خلال الأشهر الأربعة القادمة سيتم تحقيق عدة مشاريع للتنمية الصناعية فى مدينة ياميت فى قطاع رفح .

ويقدر بتحاسى سلايبر وزير المالية الاسرائيلى تكاليف الميناء المقترح اقامته عند مشارف رفح بمائة مليون نخبه اسرقلينى . وسوف يبتد إليه طريق طوله ٨٠ كم وسوف يتم انجازه خلال ستة شهور .

وفى برتية و ١٠ - ٢٢ فى ٧ من تل ابيب ان صحيفه ها ارتز الاسرائيلية كتبت ان صفقات عقارية ضخمة تجرى من جديد فى الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن بين اصحاب الاراضى العرب والصندوق القومى اليهودى بعد أن كانت قد توقفت تماما منذ ثلاثة أشهر . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد حظرت هذه الصفقات على الافراد الاسرائيليين وقصرتها على الحكومة والهيئات العامة .

والمعروف ان الصندوق القومى اليهودى الذى انشأته المنظمة الصهيونية العمالية قد اشترى جميع الاراضى التى استوطن فيها اليهود قبل عام ١٩٤٨ ويقوم الصندوق حالياً بشراء الاراضى فى منطقة القدس وبوش وجنوبى غربى القدس .

وتواصل سلطات الاحتلال الاسرائيلى الاستيلاء على الاراضى بدوى استغلالها لاجراض عسكرية . وكان آخرها الاستيلاء على ٢٥ ألف

هكتار من مزارع الكروم فى بيت لحم بالضفة الغربية المحتلة (و ١٦ فى ٧) .

وتقدر الجيرازيليم بوست فى ملحقها بتاريخ ١٢ - ٤ - ٧٢ مساحة الاراضى التى استولت عليها سلطات الاحتلال على النحو التالى :

من مجموع اراضى الضفة الغربية البالغة ٦٠ ملايين دونم استولت اسرائيل على ١٤٢٧٠٠٠ مليون دونم موزعة بين املاك الدولة واملاك الفاتنين والاراضى المصادرة واراضى مشتراة .

أما فى قطاع غزة البالغة مساحته ٣٦٢٩٢٢ دونم فقد استولى الاسرائيليون على ١١٩٢٤٤ دونما - نصفها فى المناطق البينية والمزارع بالإضافة الى ٢٢٩٢٥٨ من الطرق و ٥١٥٢٦ دونما من الشواطىء - ولا تضم المناطق المشار اليها ما يسمى بالمناطق المقلقة لاسباب الامن كاراضى بيت سامور [٧٠ ألف دونم] واراضى عقرية والاغوار .

- ولا يشفى اسحاق رابين سفير اسرائيل السابق فى واشنطن عن قلقه وقلق الاسرائيليين ازاء ما وصفه بوجود الواقع السياسى الفلسطينى الذى قال انه من خلاله أصبحت القضية الفلسطينية نواة النزاع العربى الاسرائيلى (جمهورية ٨ - ٧) .

ومن أجل هذا تسمى اسرائيل الى تصفية الوجود البشرى الفلسطينى فى الاراضى المحتلة - فالى جانب موجات الاعتقال الراسعة المنطوق فى ضفة الارض الغربية وقطاع غزة بحجة البحث عن فداثيين وأسلحة ، واقتحام المنازل ونسفها ، والاستيلاء على آلاف الدونمات حسن الاراضى وطرد اصحابها بحجة استخدامهم للاغراض العسكرية ومحاولات حمل العرب على الهجرة بواسطة جمعيات اسرائيلية تترخص اجورا مجزية للرجال من سن ١٨ الى ٤٥ سنة - الى جانب هذا كله تعمل على ربط العرب اقتصاديا عن طريق منعه من العمل فى المزارع وارغامهم على هجرتها ، والذهاب للعمل فى مصانع اسرائيل باجور مرتفعة وانخفضت نسبة البطالة الى اقل من ٢ فى المائة . ويتم اغراء الشباب والتلاميذ بالاجور المرتفعة لتترك الدراسة والتحول الى اجراء والعمل على خلق زعامة محلية فى مواجهة حركة النضال الفلسطينى المسلح .



وفى الامم المتحدة كشفت المناقشة الشاملة التى اجراها مجلس الامن - على أن سعى العرب لازالة

— تقارير التتبع —

من حالة الجمود التي تجتازها الأزمة في الوقت الحاضر .

وأعلنت مصر أنها ترحب بزيارة فالدمايم (التي يغرس أن تتم في الامبروخ الاخير من اغسطس) على أساس أنها تتم في إطار قرار مجلس الأمن ٢٤٢٠ و٢٤٢١ المذكورين .

كما رحبت سوريا بزيارة فالدمايم مؤكدة على أن زيارة فالدمايم لا تمنى بأي حال قبولها حتى ولو جزئيا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢٠ أو لمهمة الدكتور يارنج المبعوث الدولي .

أما إسرائيل فقد وافقت على أن تتم رحلة فالدمايم دون التزام على من جريه بذكره يارنج أو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢٠ . وأعلن أيضا أن إسرائيل لن يكون لديها اقتراحات جديدة تقدمها لفالدمايم « لأن لدينا اقتراحنا الدائم بشأن اجراء المفاوضات ولا يوجد هناك حل آخر » .

وعلى مستوى دول المواجهة واستكمالا للمناقشات التي أجراها عبد المنعم الرفاعي مرتين في القاهرة - بوصفه ممثلا شخصيا للملك حسين - بحث الرئيس السادات بمثله الشخصي د . حسن صبري الخولي الى صان ثم الى دمشق .

وجاء في تصريحات الدكتور الخولي أن مباحثاته تنطلق من وجوب تجميع الطاقات من أجل الحركة في هذه الظروف الصعبة لأن الموقف لا يتحمل ترددا أو خلافات في مواجهة العدوان الاسرائيلي الذي تدعمه وتؤيده أمريكا بلا حدود ، وأن مباحثاته كانت استمرارا لموقف مصر من قضية فلسطين والحفاظة على كافة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وقد وصف المراقبون مهمة الدكتور الخولي في عمان « بأنها تنقل الحوار الصامت الدائر منذ بعض الوقت بين مصر والاردن الى دائرة أكثر وضوحا » .

وبالرغم من أن الاردن يسمى لكسر العزلة التي يعيش فيها بسبب علاقاته الدبلوماسية المقطوعة أو المجمدة مع أكثر من نصف الدول العربية واستمرار موقف الدعم العربي - فإن عبد المنعم الرفاعي الممثل الشخصي للملك حسين نفى ما نشرته بعض الصحف من أن الملك حسين وافق على شروط القاهرة .

وصرح الدكتور الخولي بعد اجتماعه بذلك

أثار العدوان لم تحظ باهتمام وتأييد منذ عام ١٩٦٧ ، مثل ما حظي به خلال المناقشة الاخيرة للزينة .

لقد استخدمت الولايات المتحدة الامريكية (اليقوت) في ٢٦ - ٧ ضد مشروع القرار الذي قدمته الدول غير المحايزة الى مجلس الأمن والذي تضمن استنكارا لاستمرار الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية ويطالب إسرائيل بالانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها خلال حرب ١٩٦٧ .

وقد بات من الواضح تماما ان هناك اقلية ساحقة من الدول وليست الدول العربية وحدها ، تؤمن أن سياسة الأمر الواقع في الأراضي المحتلة وبماثل طلبات تعديل الحدود - لا يمكن أن تتفق مع القرار ٢٤٢٠ ، وأنها تمثل عقبة جسيمة في وجه السلام .

وفي أعقاب مناقشات مجلس الأمن للعدوان الاسرائيلي وما كشفت عنه من اتجاهات ، واصلت مصر تحريكها السياسي الواسع .

فقد يادر الرئيس أنور السادات برسائل رسائل شخصية لرؤساء الدول التي وقفت بجانبنا في مجلس الأمن ، وقضنت الرسائل تقدير موقف تلك الدول خلال مناقشة مجلس الأمن للعدوان الاسرائيلي وتأييد هذه الدول للانسحاب الكامل لإسرائيل من جميع الأراضي المحتلة - وضمان حقوق وأمنى الشعب الفلسطيني .

وفي إطار التحرك السياسي الذي أعقب مناقشات مجلس الأمن اكتسبت زيارة حافظ اسماعيل مستشار الرئيس أنور السادات لشؤون الأمن القومي - لكل من رومانيا ويوغوسلافيا أهمية خاصة .

فرومانيا هي الدولة الوحيدة في المعسكر الاشتراكي التي لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل . وكان الرئيس شاوشيسكو قد قام بزيارة لمصر ، وقاتت جولداماثير بزيارة لرومانيا وأبدى الرئيس الروماني اهتماما دائما بالمساعدة على إيجاد حل للأزمة ، وهذا ما أكده سفير رومانيا في مصر ، في مؤتمره الأخير .

وقد وصل كورت فالدمايم سكرتير عام الأمم المتحدة الى رومانيا لأجراء مباحثات مع وزير خارجية رومانيا - في فترة زيارة حافظ اسماعيل ولقاءاته مع الرئيس شاوشيسكو .

وكان فالدمايم قد أعلن قبل ذلك عن « اعتزامه زيارة دول المنطقة ليرى ما يمكن أن يفعله للخروج

١٠٠ - تقارير الشهر -

الاسرائيلية كما تمثلت في تخلف الطائرات ، وإصرار المستوطنين الاسرائيليين و اعلانهم عن مواصلة هذه الاعمال ، يعتبر مؤشرا هاما على التحركات المقلية للسود الصهيوني . وأن هذه التحركات سوف تزداد في اتجاه :

١ - تدبير المزيد من الاعتداءات والاستفزازات على سوريا ولبنان والمقاومة .

٢ - استغلال ردود الفعل التي تثيرها هذه الاستفزازات لمهاجمة الجبهات العربية بضربات غادرة .

حسين ورئيس وزراء الاردن بأن هناك أملا كبيرا في أن ترى الاهداف المشتركة تتحقق في المرحلة الحرجة التي نجتازها .

وفي دمشق أكد مراسل وكالة انباء الشرق الاوسط أنه تم التوصل الى اتفاق حول عدة أمور محددة ، وأن وجهات النظر التقت حول العديد من القضايا ذات الاهمية المشتركة ، وأن قيادة المقاومة الفلسطينية على اطلاع مستمر على فصوى الاتصالات الجارية .

ويرى مراقبون أن ردود الفعل المصرية



هل ينجح عملاء الاستعمار في عزل مكاريوس ؟

قبرص

مهما قيل (وما أكثر الاقوال المتضاربة) عن الدور الذي لعبه جنرال قبرص المجوز - جورج جريفاس - في تاريخ قبرص ، ومهما قيل عن دوره ودور رجال منظمته « ايركسا » ضد البريطانيين ، إلا أن الاحداث الاخيرة في الجزيرة خلال الشهرين الماضيين افقدته كل لمحصل هائله من « تقدير » أن يحق اوبغير حق داخل بلاده وخارجها .

لقد قيل على نغمه - باسم الوحدة مع اليونان - أن يتحول الى عيب للقسمة لاسرائيل . . . واستخدم من أجل تحقيق « الوحدة » التي ينادي بها او ينادون به بها كل الاساليب السياسية والدبلوماسية للاطاحة بالرئيس القبرصي مكاريوس ونظامه القائم على سيادة عدم الانحياز والوقوف ضد الاحلاف ، وعدم القبول لبلاده بسان تستخدم قاعدة للمدون على الدول الصديقة والمجاورة له . . .



مكاريوس

أن عمليات اختطاف المستوطنين القبارصة والحرائق التي اشعلها مؤيديه من رجال منظمة ايركا واثارة المواطنين على النظام ثم الاتجاه الى رجال الدين وحثهم على عزل الرئيس مكاريوس عن منصبه الديني ، كل هذه المحاولات انتهت بالفشل ، ولم يبق بعده - بعد ذلك - غير التصفية الجسدية بعد فشل الاسلوب السياسي والديني ، واكتشفت محاولة اغتيال الرئيس مكاريوس بواسطة عملاء جريفاس قبل ساعات من تنفيذها ، وقبض البوليس القبرصي على معاوني جريفاس وهم مستعدون لتنفيذ جريمتهم وضبط معهم مجموعة من الاسلحة والذخائر جاءت كلها من اسرائيل - حسب اعترافهم .



جورجيس

أن الجنرال جريفاس يطالب بمنح الشعب القبرصي « الحرية السياسية للاعراب عن رغبته بشأن مسألة الوحدة » ويطالب أيضا ، بإجراء انتخابات للرئاسة ، ويتطلب ذلك من الرئيس مكاريوس أن يختار بين دوره كرجل دين أو كسياسي ، كما يطالب بالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين من أعوانه وإعادة رجال البوليس الذين تم استبعادهم

٥٥- تقارير الشهر

بعد أن ثبت تواطؤهم من الأحداث الأخيرة وتعاونهم مع رجال إيوكا ، وليس غريبا أن يرفض الرئيس مكارديوس كل هذه المطالب ، ويعلن في بيان استنكاره لكل ما قام به حليفه القديم - جرياس - الذي وصل به الأمر لتدبير عملية لاغتياله ، وتعدّد بعد ذلك بأنه سيستمر في خدمة بلاده ، وأنه أكثر تصميمًا من أي وقت مضى على مواجهة الأرهاب بالارهاب .

إن التصعيد الأخير لمماريات الارهاب في جزيرة قبرص والذي يأتي في الوقت الذي تزداد فيه الأهمية الاستراتيجية للجزيرة يكشف مسؤوليات الإمبريالية العالمية وأهدافها العدوانية في الشرق الأوسط ، ويلقى تأييد إسرائيل والصهيونية ومن أجل استقاط حكومة الرئيس مكارديوس ، وتحويل الجزيرة الى قاعدة عدوانية ضد الشعوب العربية وشعوب البحر الأبيض المتوسط . وقد قسرت الاضطرابات الأخيرة بما فيها الاعتداءات على العرب هذا المخطط الذي تحمل له منظمة إيوكا ولقى التنفيذ من الحكم العسكري في اليونان القاعدة الضخمة لحلف الاطلسي ، كما لا تضاربه تركيا أيضا عضو حلف الاطلسي ، رغم أن ٢٠ في المائة من سكان الجزيرة من الأتراك ، ورغم أنهم كانوا يرفضون قبل ذلك انضمام الجزيرة الى اليونان ، لأن ذلك سيؤثر على مصالحهم . إن الاوساط الحاكمة في اليونان ، وحلف الاطلسي ، ومن ورائه الولايات المتحدة ، يرفضون باستمرار استقلال جزيرة قبرص ودورها الإيجابي في الشؤون الدولية وخاصة بالنسبة لقضية الشرق الأوسط وموقفها من العدوان الإسرائيلي على العرب .

إن انضمام الجزيرة لليونان أو تقسيمها ليست هي القضية الأساسية - لأن وحدة قبرص واستقلالها أمرا لا يمكن تغييره الآن ، وهو واقع مترتب به من جميع الاطراف في الجزيرة ، لكن الشيء الذي لا يمكن قبله - من الولايات المتحدة ومن ورائها إسرائيل - أن تكون للجزيرة سيادتها المستقلة بعيدا عن مخططات الإمبريالية .

والسؤال الآن : هل ستنتج مؤامرات الاستعمار في الاطاحة بالرئيس مكارديوس ، وتحويلها قاعدة أخرى للعدوان الأميركي الإسرائيلي على شعوب البحر الأبيض والدول العربية . ؟

إن جميع التوقعات تستند تماما الى نجاح لجريفاش لتصفية القوى الوطنية في الجزيرة ، وقد أثبتت جميع المحاولات السابقة وقوف الشعب القبرصي صفا واحدا الى جانب زعيمه الذي قاده الى النصر والى الاستقلال ورفض التسمية للاستعمار عن طريق استخدام أراضيها قواعد للعدوان على الشعوب المحبة للسلام .



لحظة الوداع : مهرجان الشباب العظيم

المانيا الديمقراطية

ولد في ٣٠ يونيو ١٨٩٢ % ومات في أغسطس ١٩٧٣ .

وعبر هذه الرحلة الطويلة خاض المناضل والتر أولفريشت ، نجار الأثاث البسيط معركة مستمرة من أجل شعبه ومن أجل المبادئ التي آمن بها والتي بدأ كفاحه في سبيلها منذ عام ١٩٠٨ عندما انضم الى منظمة الشباب الاشتراكية العمالية . وبعد ما بأربعة سنوات أصبح أولفريشت عضوا بالحزب الاشتراكي الديمقراطي

الاماني ، وفي الصراع الحزبي الذي احتدم حول موضوع الحرب العالمية الاولى وموقف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية منها . كان أولبريشت في الجانب الصحيح بجانب لينين وكارل لينتخ .

ثم شارك في تأسيس فرع رابطة سبارتاكوس [الحزب الشيوعي الالماني] في ميستل رأسه لينزج في يناير ١٩١٩ .

وبعض شريط أحداث طويل وحاصل بالتضحية والكفاح :

- عضو في مؤتمر الكومنترن الرابع [١٩٢٢]
 - عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني [١٩٢٣]
 - عضو اللجنة التنفيذية للكومنترن [١٩٢٩]
 - عضو في مجلس النواب الالماني [١٩٣٣]
 - عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني [١٩٣٣]
- وبدأت الحركة الهيبية في مواجهة النازية ..

واذا كان العالم كله قد ماني من ويلات الهنترية ، فان أولبريشت كان واحدا من رجال للائل قادوا الكتبية التي تلقت الصدمات الاولى من الهنترية والذي كان في بطولة نادرة في مواجهة اشجع معركة شهدها التاريخ .

وقدم الحزب الشيوعي الالماني تضحيات تنسوق الخيال من خلال مبادرته الدؤوبة وامراراه العنيد على رفض النازية ، وعلى تحديها — وعلى مواصلة المعركة ضدها .

وكان الرفاق الالمان يعرفون انهم يخوضون معركة وحشية ، وان مدحوم سوف ينال منهم الكثير . ولكنها معركة مؤكدة الانتصار . كانوا يعرفون ان تضحياتهم سوف تنقذ كل خيال ، لكنهم كانوا يعلمون انهم يفتنون الانسانية كلها بتضحياتهم ، وانهم يفتنون — ايضا — شرف الشعب الالماني وحتى لا تبقى الهنترية النموذج الوحيد البارز فيه . واستمر أولبريشت طوال هذه الفترة واحدا من القادة الاساسيين لتلك النضال العظيم .

وهزمت الهنترية ..

ويكتب أولبريشت قائلا « ان هزيمة الهنترية كانت حتمية ، ولكن كان من الممكن ان تصبح هزيمة هنرا نصرا تاريخيا عظيما لشعبنا الالماني فيما لو ادرك كيف يستغل الضعف العسكري للنظام الهنترى ويعطيح بالنظام النازي بقوته الخاصة »

وهزمت ألمانيا في الحرب ..

ويعترف أولبريشت بشجاعة بسبئية الشعب الالماني في كل ما وقع .. « ان مأساة الشعب الالماني تكن في ان اطاع عصابة من المجرمين . وهذا اطلع ما في الامر ، ان ادراك هذا الخطا هو الشرط الاساسي لكي يقوم شعبنا بتطبع كل صلة له بالماضي الرجعي والسير بعزم وثبات على طريق جديد » [أولبريشت : برنامج النظام الديمقراطي المعادي للفاشية — ١٩٤٥] .

وانتهت المعركة ضد الهنترية .. لتبدأ معركة بناء ألمانيا الجديدة ، نموذج آخر جديد قادر على نحو وصبة الهنترية من جبين الشعب الالماني ، ويؤكد قدرة الشعب الالماني على ان يقدم للانسانية بديلا عن الهنترية . كفاح دائب من اجل السلام العالمي ، وبناء اقتصاد ناجح . ويكتب أولبريشت « ان أكثر المهام الحاحا هي ايضا برنامج مهنا للشعب ، وأطلاق جميع قوى الشعب من اجل اكمال مهام

تقارن التصور

البناء الهائلة والتي يتطلبها ميلاد وبناء شعبنا الجديد « أولفريشت : حول تاريخ الحركة العمالية الألمانية] .

وكانت نقطة البدء هي وحدة كل قوى الشعب ، ألمانيا الديمقراطية في معركة البناء ، وأدرك أولفريشت أن نواة هذه الوحدة هي توحيد القوى الاشتراكية الممثلة في الحزب الشيوعي الألماني والحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني ، ذلك أن « النضال في سبيل نظام ديمقراطي جديد في ألمانيا هو بالدرجة الأولى قضية الوحدة بين الحزبين العماليين ، ووحدة القوى والمنظمات الديمقراطية المساندة للعاشية » [المهام المقبلة للحزب الشيوعي الألماني - ١٩٤٥]

وتوحدت الصفوف ، وانخرطت جميعا في معركة بناء اسطورية قفزت بألمانيا الديمقراطية الى مصاف واحدة من أكبر الدول الصناعية في العالم ، وأكثرت تدرعا على زيادة معدلات الإنتاج وكفاءة العمل وتنظيمه »

وتحت القيادة الذؤوبة والمثابرة لوالتر أولفريشت بنيت ألمانيا الديمقراطية ، وبرزت الى الوجود صورة جديدة للإنسان الألماني ، ليس جنديا في برق العاصفة ، وإنما واحدا من أخلص المخلصين من أجل سلام العالم ، ومن أكثر الصالحين كفاءة ودفعة .

وإذا كان الرجعيون في ألمانيا الاتحادية من بقايا النازي السذين اضطهدوا اليهود يستثمرون عقدة الذنب - أو يتظاهرون بذلك - فيقدمون مساعدات وتمويشات لا حصر الى إسرائيل ، فإن أولفريشت قدخط لألمانيا الديمقراطية طريقا برفس إبهة مسئولية للشعب الألماني عن أعمال اضطهاد اليهود ، وبرفس حقوق إسرائيل في تلقى الترمويضات فبالة عن يهود العالم .

وبعد عدوان ١٩٦٧ وقف أولفريشت يقول : « أن صدقتنا للجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الأخرى ليست صدقة مقصورة على الأيام الطوة ، بل إنها تمتد الى الأيام المصيبة أيضا ، ولسوف نواصل الكفاح المشترك ضد المعتدى وضد القوى التي أفسحت المجال أمامه بمساندتها الواسعة لمل هذا الهجوم الجبان . ولن يكتب النجاح لهذه المؤامرة الاستعمارية ، فإن من يعمل بعتاد ونكاه في سبيل قضيه عادلة لابد وأن ينتصر في نهاية الامر » . [الأهرام ٦ مايو ١٩٧١]

وفي مناسبة أخرى أكد أولفريشت « أن ألمانيا الديمقراطية تقف بنبات الى جانب الشعب العربي ، وهي تدفن السياسة التوسعية لحكام إسرائيل كما تدفن الأعمال الارهابية ضد الشعب العربي في الأراضي العربية المحتلة ، وهي تؤيد النضال العادل لشعب فلسطين وحقه في تقرير مصيره » [الجمهورية ٧ أكتوبر ١٩٦٩] .

ومع التقدم الهائل الذي أحرزته ألمانيا الديمقراطية في كافة المجالات ، كانت هناك مسائل ملحان ، قضية الاعتراف بألمانيا الديمقراطية ، وقضية تسوية المسائل المعلقة مع ألمانيا الغربية . ثم يتم حل القضيةان حلا يؤكد بشكل رائع صحة الخط الذي انتهجه أولفريشت منذ اليوم الأول »

ويحقق الرجل أهم أهدافه الحيوية . لقد قدم لشعبه ما كان يحلم به ، عندما ثبتت أقداله على طريق التطور الاشتراكي .

ولملمها حالات نادرة في التاريخ تلك التي يملك فيها الزعيم الرغبة والقدرة والاصرار والجاهورية ويمتلك معها جميعا غبراميدا يمكنه من أن يشهد بعينيه ثمرات بائعة لكفاح رائع ..

لقد تحققت آماله ، وآن للمسيرة أن تنتهي ، وعلى أنفام الانتصار العظيم تمزقه جناح عشرات الآلاف من شبيبة المسالم المحتشدة في مهرجان شبلب المسالم ، - وقد أولفريشت مستريحا ..

« الطلبة »

اجتماع القرم ٠٠ متابعة لجهود السلام

مقدّم زعماء الأحزاب الشيوعية والعمالية في بلغاريا والمجر وجمهورية ألمانيا الديمقراطية ومنغوليا وبولندا ورومانيا والاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا اجتماعاً في القرم بتاريخ ٣٠ - ٣١ يوليو الماضي . ومثل هذه الاجتماعات التي يناقش فيها زعماء البلدان الاشتراكية تنسيق السياسة الخارجية والاقتصادية والإيديولوجية أصبحت تقليداً في تعاون البلدان الاشتراكية في السنوات الأخيرة . فقد سبق أن عقد زعماء نفس البلدان أمثال تلك الاجتماعات المشتركة في أغسطس ١٩٧١ ، وفي يوليو ١٩٧٢ .

وفي ضوء البيان الذي صدر عن اجتماع القرم الأخير ، أكدت الصحافة ووكالات الأنباء ، أن هذا الاجتماع يأتي دليلاً جديداً على توطد العلاقات بين الأحزاب والبلدان الاشتراكية ، سواء في مجال التعاون السياسي والاقتصادي والإيديولوجي ، أو في موقفها من المشاكل الدولية الملحة .

وقد كشف بيان اجتماع القرم عن الصلة العضوية المواتية بين النضال من أجل السلام والأمن الدولي وبين النضال من أجل حرية واستقلال جميع الشعوب ، ومن أن حق الشعوب المقدس في أن تقرر مسيرها يظل الأساس الثابت للسياسة الخارجية للدوية للبلدان الاشتراكية .

ولكن بيان اجتماع القرم أن « السياسة التي نرى إلى تدعيم السلام والأمن الدولي » و « التفاهل مع النضال التحريري لشعوب كل البلدان والقارات » تشكل « أجزاء لا تنفصل من هذه السياسة » .

وجاء موقف اجتماع القرم من مشكلة الشرق الأوسط تطبيقاً لهذه السياسة وتأكيداً جديداً للتفاهل الثابت مع نضال حركة التحرر الوطني العربية ضد العدوان الصهيوني الإمبريالي . وقد أشار المشاركون في اجتماع القرم إلى أنهم يعتبرون إزالة بؤرة العدوان في الشرق الأوسط مهمة أساسية وشرطاً ضرورياً لزيادة انفراج الأوضاع في العالم . وأعلنوا في بيانهم : « أن الوضع في الشرق الأوسط يظل من أكثر المشاكل حدة . ولابد من تسويته على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضي العربية المحتلة واحترام الاستقلال والحقائق المتروكة للدول والشعوب في المنطقة ، بما في ذلك حقوق الشعب العربي الفلسطيني » .

وتد أشارت جريدة لومباتييه الفرنسية إلى « أن التأييد الحازم للقضية العادلة للشعوب العربية وهو التأييد الذي أعرب عنه من جديد المشاركون في اجتماع القرم يوجه ضربة جديدة للدوائر الرجعية والإمبريالية التي حاولت بعماس في الفترة الأخيرة تشويه المبادرات السلمية والسياسية الخارجية لأسرة البلدان الاشتراكية ، وبخاصة الاتحاد السوفيتي ، زاعمين أنها تشارك في « مؤامرة » مع الإمبريالية .

وأعرب زعماء الأحزاب التي اجتمعت في القرم ، في بيانهم ، عن اقتناعهم بأن عمل المؤتمر الأوروبي الشامل الذي تعلق عليه الشعوب آمالاً كبيرة من أجل إقامة سلام دائم في أوروبا سوف ينتهي بالفعل ، هذا العام ، إذا ما أبدى المشاركون فيه نواياهم

— تقارير الشهر —

الطبية ؟ وإذا ما حققت الرحلة الختامية على مستوى القمة لاعطاء اكره هيبسة سياسية اقرارات المؤتمر .

كما اعلن بيان الغرم وقوف البلدان الاشتراكية بثبات مع تكتلة الانفراج السياسي بانفراج عسكري يسهم في نزع السلاح . كما علقوا اهمية كبرى على المحادثات الخاصة بتخفيض القوات في وسط أوروبا التي ستجرى في فيينا في اكتوبر القادم .

وتدرك البلدان الاشتراكية ، انه لا تزال توجد قوى في العالم تعارض الانفراج الدولي وتدافع عن زيادة الاستعدادات العسكرية وتضخم الميزانيات العسكرية . ومن بين المناطق التي تنشط فيها هذه القوى منطقة الشرق الاوسط . ولذلك تشير البلدان الاشتراكية الى ضرورة اليقظة ومواصلة العمل بصرم من اجل احباط محاولات انصار الحرب الباردة ليزيدوا عدم الثقة والعدا بين الشعوب ولتفرض سيطرتهم عليها .



انسحاب ٧ من ١٥ : تمرد أم صراع ؟

منظمة

«الاوكام»

اعلنت حكومة مالاجاش ، في اوائل الشهر الماضي ، انسحابها من منظمة «الاوكام» (المنظمة الاقتصادية لدول افريقيا ومالاجاش وموريشيوس) ليصبح بذلك عدد الدول المنسحبة من المنظمة حتى الان ٧ دول وهي : **موريتانيا** (يرغم انها ما تزال عضوا في اللجنة الفنية للمنظمة) - **زائير** (التي كانت تساهم - ٢٥ في المائة من ميزانية المنظمة) - **الكونغو برازافيل** - **افريقيا الوسطى** - **تشاد** - **الكاميرون** (انسحبت قبل اسابيع قليلة من انسحاب مالاجاش) - ثم **مالاجاش** مؤخرا .

وقد اثارت ظاهرة انسحاب ٧ دول (حيث يبقى ٨ دول هي : **سلح العاج** - **داهومي** - **جابون** - **غولنا العليا** - **النيجر** - **السنغال** - **توجو** - **رواندا**) ، هذه الظاهرة اثارته اتهام المراقبين ، ودعمهم الى الاعتقاد بان ظاهرة الانسحاب هي بمثابة «تمرد» من المستعمرات الفرنسية السابقة ، على قيود العلاقات الاقتصادية التي تربط دول المنظمة بفرنسا بحيث يقتضي اتفاق التعاون الذي وقع في عام ١٩٦٠ « بهد استمرار ربط اقتصاديات وسياسات هذه الدول بفرنسا حتى بعد الاستقلال » . وكانت دول « المجموعة الفرنسية » هذه ، قد اتفقت مع فرنسا في عام ٦٠ على « تحقيق نوع من التعاون بينهما ، يقوم على اساس الثقافة والمصلحة المشتركة » . واصبحت تصرف « مجموعة برازافيل » مقابل تجمع الدول المتحررة التي عرفت باسم « مجموعة الدار البيضاء » . وتطورت « مجموعة برازافيل » فيما بين ٦١ - ١٩٦٣ بعد انضمام الكاميرون ومالاجاش ورواندا وتوجو لتصبح « منظمة دول افريقيا ومالاجاش » . وفي اعقاب قيام منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ ، انتهى نشاط الكيانات السياسية السابقة عليها : « مجموعة الدار البيضاء » . الخ . وفي قرار ١٩٦٥ ، أي بعد انضمام الكونغو كينشاسا [زائير الآن] ورواندا وموريشيوس ، قامت « المنظمة الاقتصادية لدول افريقيا ومالاجاش وموريشيوس » .

ويربط المراقبون السياسيون ، بين ظاهرة انسحاب هذه الدول وبين الطلبات المتكررة

التي تضمنت بها من قبل « لاعادة النظر في القواعد التي تحكم ما عرف بمنطقة الفرنك » في عامي ٧١ - ١٩٧٢ . وخاصة بعد ان اضطرب مركز الفرنك الفرنسي وجرى تحقيق قيمته . ومعروف ان اقتصاد معظم هذه الدول يقوم على نظام « المحصول الواحد » . وتقوم الاحتكارات المبرسية باستيراد هذه المحاصيل بأسعار مطردة الانخفاض ، بينما تصدر اليها ١٠ في المائة من سلمها المصنعة بأسعار مطردة الارتفاع . ولهذا ، طالبت دول المنظمة بضرورة تعديل سعر التبادل . وامام ضغوط هذه الدول ، اضطرت فرنسا الى الفناء « ديون ما قبل الاستقلال » (٥٠ الف مليون فرنك) ، والى تقديم اعتمادات جديدة لعام ١٩٧٢ لبعض مشروعات التنمية . الا ان ذلك لم يحل دون قيام دول جديدة بالانسحاب من « الاوكام » نظرا لان شيئا من هذه الخطوات لم تحقق اى تقدم ملحوظ لاقتصاديات هذه الدول .

ومن الجدير بالذكر ان عددا آخر من المراقبين السياسيين ، يعتقدون ان الولايات المتحدة الامريكية ، دور في ظاهرة الانسحاب هذه ، ويستندون ، في اعتقادهم هذا ، الى الدور المحفوظ الذي لعبته وتغير في عملية الانسحاب من جهة ، والذي تلبه اليوم يسعى الى تشكيل « محور جديد » من خلال العمل الثنائي مع الدول المنسحبة .

ويرى المراقبون الافريقيون ، ان السمة الاساسية التي تميز انسحاب بعض دول « الاوكام » ، هي انها تعبير عن رهس البقاء في داخل اطار لا يمارس دورا له فعالته في القضاء على واقع التخلف الاقتصادي الذي تعانيه شعوب هذه الدول ، او هي وضع خطط للتنمية توضع موضع التطبيق .



علوم « السكاي لاب » وبرنامج الفضاء الامريكي القادم

قد لا يضع رجل الفضاء الامريكي قدمه مرة أخرى على سطح القمر خلال العشرين سنة القادمة . مماذا بعد « برنامج ابولو » لغزو القمر ؟ تقول « وكالة الفضاء الامريكية » [ناسا] ان البرنامج يركز على غزو كل المجموعة الشمسية والاستغلال المكثف للفضاء القريب من الارض . وباستثناء التصاق ابولو الامريكية وسيوز السوفيتية الذي سيتم عام ١٩٧٥ ، سيتراجع استخدام رواد الفضاء في الرحلات الكونية حتى عام ١٩٧٩ ليفسح الطريق امام اطلاق سفن الفضاء الاتوماتيكية بشكل عام .

وبعد ان تائق الاتيان في المراحل الاولى لغزو الفضاء — التي تمت في الستينات — يتراجع دوره الى الخلف قليلا الان في برنامج الفضاء الامريكي ، ولكنه يعود ليتلقى مرة أخرى في برنامج « السكاي لاب » الفضائي ، وان كانت الرحلة تتميز امتدادا لتجاوزات الستينات الفضائية . و « السكاي لاب » يتكون من صاروخ ساتيرن الذي تحول الى معمل بعد ان اضيفت الي طرفيه انبوبة أخرى ، وقد ثبت في جانب منسبه يضاف تلسكوب « ابولو » . ويعتبر اكبر سفينة أطلقت في مدار حتى الآن اذ يصل حجم هذه الفرة الى ٤ في ٣٢ في ٨ امتار .

ويختص برنامج « السكاي لاب » ، انه بعد اطلاقها الى مدارها ، ينطلق اليها رواد الفضاء من الارض على ثلاث ورديات ، كل وردية تتكون من ثلاثة رواد ، في « نموذج

— تقارير الشهر —

أبوللو « الذى أطلق وجرب من قبل فى برنامج أبوللو » وبعد ان يقضى أول سبوعه ٢٨ يوما فى دراساتهم وأبحاثهم يمتدون الى الأرض ، ثم تنطلق المجموعة الثانية وهكذا . ولعل أهم الدراسات التى سيقومون بها ، هى كيف يعمل الجسم البشرى ، وكيف يؤدى الجسم البشرى وظائفه التقليدية فى ظل انعدام الوزن والرحلات الفضائية الطويلة المدى ، اذ سيقضى الرواد فى هذه الرحلات أطول فترات قضاها الإنسان فى الفضاء . وستساعد نتائج هذه الرحلات فى رحلات الفضاء فى المستقبل ، وستنتهى فى نفس الوقت المناقشات الحامية التى دارت بين العلماء حول تزويد سفن الفضاء التى تقوم برحلات فضائية طويلة بهيكل جاذبية صناعية . ويعيش رواد الفضاء فى هذه الفترة الفضائية الواسعة حياة تقرب من ظروف المعيشة الطبيعية ، حين يستمتعون بالدوش وبنفذة طعام يجوار نافذة تطل على جانب الكرة الأرضية المضيء ، ويتناولون طعامهم بالشوكة والنسكيس يستخدمون مياه دافئة لحلاقة ذقونهم .

ويحمل « السكاى لآب » أجهزة ومعدات « للتنقيب » عن مصادر الأرض الطبيعية أكثر مما يحمل القمر الصناعى التكنولوجى الباحث عن هذه المصادر . والذى أطلق قبل « السكاى لآب » . وتستطيع أجهزة « السكاى لآب » ان تلتقط الصور فى الضوء المرئى ، وبالأشعة تحت الحمراء القريبة والبعيدة ، وبالموجات اللاسلكية ، وبالتصوير اذكار وسيساعد « السكاى لآب » على التنقيب بنتائج الحاصل والاصابة بالحشرات وعمل خرائط للصحارى ، وقياس مقدار الثلوج وظروفها . وسيسهل رواد فضاء « السكاى لآب » بفلكي العالم وبمركز دراسة الشمس « بيولدر » لأن التلسكوبات تعمل بالصور التلفزيونية . ثم تجرى تجارب فلكية وفيزياء فضائية .

وماذا بعد « السكاى لآب » ؟

بعد انتهاء برنامج « السكاى لآب » ستطلق « بيونير - ١٠ » لتشرق طريقها نحو كوكب المشتري أضخم كواكب المجموعة الشمسية التسعة وخامسها من حيث البعد عن الشمس . وقد أطلقت « بيونير » فى أوائل العام الماضى [١٩٧٢] وقد شقت طريقها بسلاخ خلال « الحزام النجمى » وكانت هذه أكبر عقبة فى رحلتها ، حيث المفروض ان تصل الى اقرب نقطة بعد ان تعبر واحدا من أقمار المشتري (يو) فى ٣ ديسمبر القادم [١٩٧٣] .

وفى ٢٤ أكتوبر القادم تنطلق سفينة الفضاء « مارينير » فى طريقها الى الكوكب « عطارد » عن طريق كوكب « الزهرة » . وستكون هذه المرة فى الرحلات الفضائية يستخدم فيها جانبية أحد الكواكب (الزهرة) للتأثير على سفينة فضاء لتتطلق الى مسار جديد . ويجب مراعاة القصة فى هذه التجربة ، اذ انه لو انحرقت « مارينير » عن طريقها ميلا واحدا لانحرفت عن « عطارد » . ألف ميل . على أى الأحوال « ستر السفينة عبر « الزهرة » فى ٤ فبراير من العام القادم [١٩٧٤] حيث تأخذ مسورا قريبة للكوكب لاول مرة . ثم تصل السفينة الى كوكب « عطارد » نفسه فى ٢٤ مارس حيث تقوم بالتقاط ٨٨٢ صورة ثابتة تمامها الى جانب ٢٧٧ صورة زرع ثابتة . والكوكب « عطارد » هو اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الشمس ويتوقع العلماء ان يجدوا كوكبا ملتهبا من ناحية ويتبعدا من الناحية الأخرى .

ولعل أهم تجربة فضائية فى عام ١٩٧٤ هى اطلاق « القمر الصناعى - ف للتطبيق التكنولوجى » . ولعل أهم ما فى التجربة انه سيقوم بالاتصالات ، اعدادها تجربة فى الهند حيث ينقل برامج من محطة مركزية فى الهند الى جميع انحاء الهند الشاسعة ولكن على ١٣ قناة صوتية مختلفة كل واحدة باحدى اللغات السائدة فى الهند ، هذا الى جانب الصورة بطبيعة الحال .

أما بعد ذلك فهناك « بعثة الفايكنج » الى كوكب المريخ ، وستكون أكثر رحلات

الفضاء اثاره لو اكتشف أى نوع من أنواع الحياة هناك . وستكون هذه المركبة او سفينة فضاء أمريكية تهبط على كوكب آخر من كواكب المجموعة الشمسية . وأول سفن الفايكنج ستكون بين منتصف أغسطس ومنتصف سبتمبر من العام ، ثم تتبعها سفينة أخرى بعد عشرة أيام . وبعد عام بالتمام والكمال ستصل السفينتان الى مداريهما حول المريخ لدراسة إمكانات الهبوط على سطحه . وستقوم بدراسة الأماكن بالمستيريرو والاسوان ، وتجمس الزلازل ، وتدرس المناخ وتحلل التربة .

أما محاولات الإسيدفاغ مساوراء « المشتري » للوصول الى « الكوكب زحل » ، فلن تبدأ قبل عام ١٩٧٧ . وسيشهد النصف الثانى من السبعينات فترة جديدة فى رحلات الفضاء حيث تنطلق الى الكواكب عدة سفن . ولكن تخفيض ميزانية « وكالة الفضاء الأمريكية » عام ١٩٧٢ أجبرها على إلغاء كل الرحلات المتعددة واستبدالها برحلة مزدوجة للسفينة « مارنير » التى تنطلق الى كوكبى « المشتري » و « زحل » . وستطلق السفينتان خلال ٣٠ يوما فى أوائل سبتمبر ١٩٧٧ . وفى منتصف مارس عام ١٩٧٩ ستسير السفينة بكوكب « المشتري » . ثم بعد سنتين تصل الى « زحل » . والمفروض فى هذه التجربة ان يعاد استخدام سفينة الفضاء المنطلقة ، حوالى مائة مرة . بعد تركيب خزانات الوقود مرة أخرى فى كل رحلة بطبيعة الحال ، وبهذه الطريقة تخفيض تكاليف الرحلات الفضائية ، وهى إحدى مميزات البرنامج التى يدرس العلماء مختلف الطرق للتوصل الى حل لها .

وبهذا ينتهى البرنامج الاساسى للسبعينات !

وتقول الخطة الرسمية لبرنامج الفضاء الأمريكى ، ان سسيفيتى « فايكنج » ستطلقان الى كوكب المريخ عام ١٩٧٩ ، ثم سرعان ما تنطلق بعثة من رواد الفضاء الى هذا الكوكب عام ١٩٨٦ . أى ان هذاى برنامج الثمانينات . ولان الاتصال من الأرض بالرواد فى المريخ يستغرق بين عشرة وأربعين دقيقة ، فسان « السيارة المريخية » المستخدمة | المقابلة للسيارة القمرية التى استخدمت فى رحلات أبولو الأخيرة الى القمر | تصمم بحيث يمكنها التصرف أمام المقصات من نفسها دون انتظار أوامر من الأرض كما كان الحال فى الرحلات القمرية ، لان انتظار عشر دقائق مثلا — وهو الحد الأدنى — قد يؤدى الى كارثة ، وبهذا تتخلص هذه السيارات من التحكم البشرى — الأرض الى حد كبير .

قبل ان تطلق أبولو الى « القمر » كان العلماء يحلمون بأن يكون القمر « حفرة » يرجع تاريخها الى زمن تكوين الكواكب ، ولكن الفلكيين وجدوا هذه « الحفرة » وتدحطها النشاط الجيولوجى . وتبين صور « المريخ » انه كوكب أكثر نشاطا — بطبيعة الحال ، ولذلك يريد العلماء ان ينطلقوا الى « المذنبات والكويكبات المحفوظة بطريقة أفضل . وهكذا فان (الناسا) ترتب مناورة مع المذنب « انيك » فى عام ١٩٨٤ ومناورة أخرى فى عام ١٩٨٩ مع كويكب .

والان بعد ان ناقشنا اهم المشاريع فى العقدين الحالى والتادم لبرنامج غزو الفضاء . فلنأمل بعض الافاق الأخرى التى يفكر فيها العلماء ، والمصاحبة لغزو الفضاء .

يفكر العلماء فى استخدام « الصواريخ النووية » لغزو الفضاء ، اذ بهذا تكون الرحلات اسرع ويمكن زيادة حمولة السفن ، وهذا مكسب للجهاز العلمية والتكنولوجية . ويمكن لهذه الصواريخ ان تحمل رواد الفضاء الى المريخ فى ٦٠ يوما بدلا من سنة كاملة . ويعتقد العالم الأمريكى « روبرت راجسديل » « من مركز جوشولويس » التابع للناسا ، انه لا يمكن ان تغامر باريسال بعثات من رواد الفضاء الى كوكب المريخ أو غيره الا بعد الوصول الى تصميم هذه الصواريخ .

— تقارير الشهر —

وهنا « الدفع الكهربائي » الذي يعطي سرعات هائلة . وأنواع « اندفع الكهربائي » سواء أكانت نووية أم شمسية ، ستقدم بالرحلات الفضائية إلى أطراف المجموعة الشمسية وربما خلف المجموعة الشمسية . وهناك إمكانية استخدام « أشعة الليزر » في الدفع . وقد اقترح الدكتور أورشو كلستر وفيلتر مدير « معمل أبحاث أفكو إيفريت » توجيه شعاع ليزر من قاعدة أرضية نحو صاروخ ، ليقيم بشخصين غاز الدفع .

على أي الأحوال هناك أفكار كثيرة خاصة بتطوير الوقود بالذات ، ولكننا لا نغالي إذا قلنا أنها أفكار المستوى الحالي من التقدم العلمي والتكنولوجي . وإنها أفكار للسبعة عشر عاماً القادمة من غزو الفضاء ، وهي بهذا أفكار « محساسة » للغاية ، فالتقدم في مجال الفضاء يتم بسرعة هائلة . فبعد سبعة عشر عاماً أي عام ١٩٥٦ ، وهو العام السابق لانطلاق القمر الصناعي « سبوتنيك الأول » ، عندما كنا نناقش برامج الفضاء التالية ، هل كان يخطر ببالنا ما تم من إنجازات حتى الآن ؟



المؤتمر النقابي العالمي الثامن ووثيقة النضال ضد الاحتكار والاستعمار

عبد القم الغزالي



ينعقد في هارونا في الفترة من ١٥ إلى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ المؤتمر النقابي العالمي الثامن . وتشهده وفود منظمات نقابية تمثل ما يقرب من ٢٦٠ مليون عامل منظم في نقابات من مختلف المراكز النقابية بغض النظر عن انتماءاتهم الدولية ، وأيا كانت أرائهم السياسية والفلسفية ومعتقداتهم وأيا كان النظام الاقتصادي أو الاجتماعي في بلادهم .

وينعقد المؤتمر النقابي العالمي الثامن في فترة تتميز بمجموعة من العناصر الإيجابية لصالح النضال من أجل السلام العالمي وتحرير الشعوب والتقدم الاشتراكية :

- ١ - تضالم القوى الاشتراكية وازدياد رسوخها .
- ٢ - ازدياد معارك العمال في البلاد الرأسمالية واتساعها في مواجهة رأس المال الكبير والاحتكارات .
- ٣ - تمكن كفاح الشعوب ضد الاعتداءات الامبريالية ومن أجل حق تقرير المصير والاستقلال الوطني من اجبار الامبريالية على تقديم تنازلات كبيرة (الانتصار الكبير الذي أحرزه شعب فيتنام - وتحرزه شعوب كينيا وبنيا والهند الصينية .. الخ) .
- ٤ - تم في خلال السنوات الاخيرة لحرار تقدم واضح في ميدان للكفاح من أجل التعايش السلمي والتعاون بين الشعوب من أجل نزع السلاح وقرار الامن الدولي .

وبينما يسجل الوضع الدولي الذي ينمذ فيه المؤتمر النقابي العالمي الثامن هذه العناصر الإيجابية ، فإن الوثيقة الاساسية المقدمة للمؤتمر من قبل قيادة الاتحاد العالمي للنقابات تؤكد على أن الامبريالية : « لا تزال عن موقع إلا عندما تضطر إلى ذلك » .

مخرمه . ولا يترك لها نضال الشعوب وميزان القوى اى خيار آخر ، وهى فى الوقت نفسه تحاول ان تضمن لنفسه مواقع تستعصب اليها . وعندما تضغط الامبريالية الى التراجع وقبول التفاوض ، تحاول ان تسترد زمام المبادرة فى مكان آخر وهى تجد استراتيجيتها .

« وهذا ما فرمى اليه على سبيل المثال المحاولة التى يلصم عنها مبدأ نيكسون الخاص بميثاق جديد لدول الاطلنطى . ويتطلب ذلك عدم التراخى فى اى لحظة عن اليقظة والحركة الضروريتين فى مواجهة الامبريالية ومناوراتها العدوانية ضد الشعوب وبالأخص الامبريالية الأمريكية . »

وتركز الوثيقة الرئيسية المقدمة لمؤتمر . على تصاعد النضال من أجل التحرر الوطنى . وعلى ان انطلاق حركة التحرير الوطنى عنصر تقايد اعميته يوما بعد يوم فى تطور الوضع الدولى . حيث تخوض الشعوب فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا معارك مبررة ضد الامبريالية من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية .

وتؤكد الوثيقة على ان : « نضال الشعوب العربية من أجل تحريرها من قبضة الامبريالية والاحتكارات الأجنبية . وحرية التصرف بالثروات الوطنية ومن أجل سيادتها ، يعنى قديما رغم ظروف النضال العصية » .

« ودليل ذلك فى الاجراءات التى اتخذتها عدة بلاد عربية ومنها العراق وسوريا لتضمن السيطرة على ثرواتها الطبيعية وفى المقام الأول البترول » .

« وما زال التوتر قائما فى المنطقة حيث لم يسجل اى تقدم فى حل النزاع الناشئ عن العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ » .

« إذ اسرائيل على العكس تحاول بتشجيع وتأييد الولايات المتحدة عسكريا وسياسيا ان تزيد من حدة النزاع وتوسعه بمضاعفة الاعتداءات الجوية والاستفزازات المسلحة ضد الجمهورية العربية السورية ولبنان وغيرهما من البلاد العربية » .

ونمضى الوثيقة لتقول :

« وما زالت اهداف التسوسمين الاسرائيليين الذى تتفق مصالحهم مع مصالح الامبريالية الأمريكية . مثلما كانت خلال عدوان ١٩٦٧ . وهى منع نمو حركات التحرير فى البلاد العربية ووقف المسيرة الثورية المعادية للامبريالية فى المنطقة . وبقاء السيطرة الاسرائيلية على الاراضى العربية المحتلة بصفة نهائية . وسرفض اسرائيل بعناد تطبيق القرارات المصادرة من هيئة الأمم المتحدة بانسحاب قواتها من هذه الاراضى واحترام الحقوق القومية لشعوب فلسطين العربى » .

ويناقش المؤتمر مجموعة من القضايا الرئيسية التى يتميز بها الموقف الدولى والتى تسجل تغييرات عميقة تفتح آفاقا جديدة تساعد كثيرا على نمو النشاط النقابى .

أولا : عمق أزمة العالم الراسمالى :

فى البلاد الراسمالية حيث يخوض الملايين من العمال ونقاباتهم معارك النضال داخل فلاح الراسمالية نفسها . وحيث تتخذ هذه المعارك ابمادا جديدة ، وترتبط بين المطالب ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية ومطالب الحريات النقابية . وبين الاصرار على اجراء تغييرات عميقة لاضعاف سيطرة الاحتكارات . فان الاحتكارات ودولها تشدد من مقاومتها لانطلاق الجماهيرى العريض للحركة العمالية وتحاول الدفاع عن مصالحها بكل الوسائل المتاحة لها .

وتخوض حركة الطبقة العاملة فى بلادها وفى العالم كله معاركها التاريخية ذلك -

— تقارير التسيير —

والبلاد الرأسمالية تعاني من أزمة حادة تزداد عمقا كل يوم وتمتد آثارها الى كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذه الأزمة ليست مجرد صعب طارئة او محلية انما هي مرحلة جديدة من الأزمة العامة للنظام الرأسمالي :

« أن مقتضيات تراكم رأس المال والبحث عن الربح تحمل الاحتكارات الى زيادة توسعها على النطاق الدولي وتؤدي بذلك الى احتدام المنافسة الدولية والصراع بين البلاد الرأسمالية » .

« أن الاحتكارات والدول الرأسمالية لا تستطيع وهي تحاول ان تواجه الصعاب التي تهاجمها ، إلا أن تزيد من التناقضات التي تشل النظام الرأسمالي في مجموعه » .

« وهذه التناقضات هي الاصل في التضخم الذي يصيب مجموع العالم الرأسمالي ويرتبط بركود أو بإبطاء التنمية الاقتصادية وتبدى مظاهره بوضوح في نقص العمالة وفي البطالة » .

« أن ارتباط التضخم والركود ظاهرة جديدة نزل على عمق أزمة الرأسمالية المعاصرة » .

« أن التضخم الذي يظهر في انتشار وتعميم ارتفاع الاسعار يشمل جميع البلاد الرأسمالية ويتخذ صفة الدوام » .

« ولتعود أسبابه الى تدخل الدولة اقتصاديا لصالح الاحتكارات ، وإلى التحويل العام للتضخم الذي يرمى الى دعم التراكم الرأسمالي ورفع مستوى الربح ، وإلى زيادة النفقات غير المنتجة وبالمزادات النفقات العسكرية وهذه التضخم وهي تؤدي في كثير من الأحوال الى اخضاع الإقتصاد للصالح العسكرية . والتضخم الذي يسمح بخفض القوة الشرائية للعمال ويدخل أفق الكساد من الأعلى . يستخدم كوسيلة للتكيف مع أزمة النظام الرأسمالي الحالي وتصبح عنصرا لتفاقم وتعميق هذه الأزمة » .

ومما تؤكد الوثيقة على ارتباط الاتجاه الى سرعة التضخم وارتفاع الاسعار وركود النمو الاقتصادي بالفوضى النقدية وحركات المضاربة العنيفة والارتفاع المستمر في سعر الذهب ، وبصورة عامة اقتران هذا الاتجاه بأزمة حادة في النظام النقدي الرأسمالي الدولي ، وكما تسمى الوثيقة فان : « اضطراب النظام النقدي مرتبط بأزمة الإقتصاد الأمريكي ومشروعات الولايات المتحدة الاميرالية ومنها حرب الهند الصينية ، وانشاء القواعد العسكرية الخارجية . الأمر الذي يؤدي الى زيادة مستمرة في العجز الخارجي في الدولارات ، واضطراب النظام النقدي يأتي أيضا من التضخم الداخلي والركود اللذين يصيبان بدرجات متفاوتة كل البلاد الرأسمالية » .

ان خفض قيمة الدولار تعبير عن تمديد في ميزان القوى بين الدول الرأسمالية دون ان ينهي مع ذلك سيطرة الولايات المتحدة على النظام الدولي أو ينهي قدرة الامبريالية الأمريكية على تصدير التضخم الداخلي الناشئ عن سياساتها .

ويحاول النظام الرأسمالي ان يواجه الصعاب التي تطحنه داخليا بمحاولات عديدة - منها ، نمو الشركات المتحددة للجنسيات ، ونمو قوى التكامل الدولية وأهمها السوق الأوروبية المشتركة - ولكن ذلك كله اثبت عجزه عن إزالة التناقضات القائمة بين الاحتكارات ودولها . ولقد أصبحت المنافسة الدولية وبالأخص بين الولايات المتحدة والسوق الأوروبية المشتركة واليابان أشد ضراوة من أي وقت مضى ،

وهي تعبر عن فروق في النمو والتطور وخلافات في الاوضاع غيرت في السنوات الاخيرة ميزان القوى بين المجهوعات الاحداثيه والبلاد الراسمالية .

ان الازمة المالية عظام الراسمالي - منعد هامة على النجواب الاقتصادية اما هي تشتمل كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية .

ويؤدي عبق هذه الازمة - وعجز النظام الراسمالي عن الاستجابة لمطالبات نمو المجتمع في عصرنا - الى :

١ - زيادة حدة الصراع الطبقي ونمو النضال الجماهيري للطبقة العاملة ، قلاحتكرات ودولها تسمى الى تحميل جميع الفئات الكادحة اثار لازمة ، وفي مواجهة هذه المحاولات تنمو المعارك المنضالية ضد الاحتكرات ودولها .

٢ - ان الاحتكرات ودولها ترسم خططاً تكتيكية جديدة بتمارض تصاعد الحركة الجماهيرية - فمعظم البلاد الراسمالية ترفع شعار « التقشف » - احضاع تطور القوى الشرائية لمطالبات التراكم الراسمالي باستخدام سياسة الدخول (ضبط الاجور وتجميد) ، وتجه حملة الاجور - كما يحدث في بعض بلدان امريكا اللاتينية الى الحرمان من العمل وتشديد الضرائب ، استجابة لطلب صندوق النقد الدولي ، وفي محاولة الاحتكرات الحصول على فائض من الارباح فانها تلجأ الى تشغيل العمال المهاجرين والذين يعانون القفرقة والتمييز المجهف الى جانب ذلك تقتزن كل هذه المحاولات بحيلة فكرية لتفطية اساليب التعاون الطبقي وبث الفرقة بين العمال ، واستخدام كل وسائل الاعلام الجماهيري بهدف اخفاء حقيقة الاستقلال الراسمالي ، ونشر الوهم الذي يزعم وجود مصالح مشتركة بين العمال وبين الذين يستغلونهم وفي نفس الوقت تستخدم وسائل قمعية وتقاوم الحريات النقابية لتحول دون تطور ونمو المنظمات النقابية ، كما تسعى الى انشاء نقابات عميلة بأمكانيات راسمالية طائلة لزيادة الفرقة والانقسام .

٣ - انه مع تشديد الهجوم الراسمالي على ظروف عمل وحياة العمال ، فان المعارك العمالية المطالبة المباشرة أصبحت ترتبط بالنضال الى أحداث تغييرات ديمقراطية عميقة ، وبمواجهة اشمل للاحتكرات والشركات المتعددة الجنسيات ، وسواء على النطاق القومي او الدولي . ومن هنا فان الاتحاد العالمي للنقابات والاتحادات المهنية الدولية والمنظمات النقابية المنضمة اليه تسعى الى ان تساعد بكل الوسائل على نمو الاتجاه الى وحدة النضال في كل بلد وفي الشركات المتعددة الجنسيات وداخل السوق الأوروبية المشتركة والمتحالفت الراسمالية الحكومية الاخرى وعلى نطاق القارات والنطاق العالمي .

ثانيا : تقدم البلاد الاشتراكية وتزايد دور النقابات ، وتلاظ الوثيقة الرئيسية - ان النظام الاشتراكي العالمي ، وفي الوقت نفسه الحركة النقابية في البلاد الاشتراكية قد حققت انطلاقا كبيرا بعد المؤتمر النقابي العالمي السابع - فقد تدمجت سلطة العمال ، واتسعت قاعدة الديمقراطية ، وتضاعفت مكاسب العمال ، وتحسنت كيتية الانتفاع بالمزايا التي يوفرها الاقتصاد الاشتراكي ، وزادت الحقوق النقابية اتساعا ، وتعاظم الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي للنقابات الى حد كبير . ونبا النظام الاشتراكي العالمي ووحده من جوانب عديدة .

وقد ابرزت وثيقة المؤتمر النقابي العالمي الثامن مجموعة من العناصر الاساسية المتعلقة بنمو وتطور الحركة النقابية في العالم الاشتراكي :

اولا : ان للحركة النقابية في العالم الاشتراكي طابعا متطابقا ووحديا اساسا فيما يتعلق بموقفها وتأثيرها . ولكن لها مائل جوانب نوعية عديدة . حيث تراعى نقابات البلاد الاشتراكية المهام التي تواجه كل بلد في بناء المجتمع الجديد . وهذه الجوانب النوعية والفوارق التي تحدثت تاريخيا وتنشأ في المهام المعالجة في كل بلد ،

— تقارير التسمير —

تدل على أن الواجبات المشتركة بصفة أساسية تتحقق بالضرورة بمبادرات مختلفة وبطرق موعية خاصة . انه لكي نسرك الوحدة الأساسية بين تغليات البلاد الاشتراكية جب ان ندرك نوعيتها الخاصة وفقا لتقايدها والمهام والواجبات الراهنة .

ثانيا : الرغبة المتزايدة في تحسين نشاط النقابات عن طريق استخدامها بطريقة افضل لاختصاصاتها وحقوقها النقابية التي ضمنها القانون ، وتوسيع مشاركة العمال في القرارات الخاصة بكل المسائل ، وإزالة السمات الشككية في نشاطها .

ثالثا : ان نقابت البلاد الاشتراكية قدمت ، بنشاطها ، وبمبادراتها المتحدة ، مساهمة كبيرة في خلق مناخ جديد في العلاقات النقابية العالمية . ان وجود نشاط المنظمات النقابية ممثلة العمال الذين يتولون السلطة في البلاد الاشتراكية تزود الاتحاد العالمي للنقابات بقوة كبيرة . ان عمال العالم ، والشعوب المضطهدة والمناضلة من أجل استقلالها ، والعمال المطالبين بحقوقهم في مواجهة الاحتكارات ، وانصار السلام والتقدم الاجتماعي يمكن ان يمتدحوا بحق على التضامن الإيجابي والامس من عدة ملايين من العمال النقابيين في البلاد الاشتراكية .

رابعا : التخلف ، القحدي الذي يواجه العصر ، فنه بينما يعيش العالم عصر نهضة بأعرة في العلوم والتكنيك فان التخلف مازال يجثم على كثير من بلاد افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . والتناقض الرئيسي الذي مازال يحكم هذه البلدان هو التناقض القائم بين التاجر الاقتصادي الناجم عن الاستغلال الاستعماري الطويل وبين الضرورة العاجلة لحدوث نمو اجتماعي اقتصادي سريع ويمتدد الجوانب .

وهنا نلاحظ ، ان اقتصاد معظم هذه البلاد مازال زراعي في غالبيتها ، وحيث تطورت الصناعة في بعضها بعض الشيء فانه لا يستخدم الا جزءا من اليد العاملة المتاحة ، في حين ينتشر تطل قطاع التجارة والخدمات . ويشير مستوى المعيشة بالتخلف الشديد ، وبقلة الكوادر والفنيين وترتفع نسبة الامية . وما زالت الطبقة العاملة في معظم البلاد النامية قليلة الهمية نسبيا رغم نموها العددي .

كما يفرح عمال البلاد النامية في أن واحد لاستقلال الطبقات المسيطرة في بلادهم ولاستقلال رأس المال الاحتكاري العالي الذي يستغلهم مباشرة في المصانع التي يملكها وبطريقة غير مباشرة من خلال التجارة .

وان نسجل الوثيقة - النمو والازدهار - داخل حركة التحرر الوطني - وظهور قوى جديدة في هذه البلاد تسعى الى ازالة التخلف والقضاء على المناورات والسياسات الامبريالية ، وظهور اشكال جديدة للتنمية أمام هذه البلاد التي اختار بمضها الطريق غير الرأسمالي في التنمية ، أو طريقا اشتراكي الاتجاه .

ان الوثيقة - اذ تسجل هذا النمو - فلها تتيه الى خطر الاستعمار الجديد باعتباره امتدادا للاستعمار القديم :

« الاستعمار ، بما في ذلك شكله الجديد ، ظاهرة جوهرية في الامبريالية ، والاساليب الاستعمارية الجديدة ترتبط ارتباطا وثيقا بسياسة رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وهي تستلزم تشديد استغلال الفئات الكادحة في البلاد الرأسمالية المتطورة في سبيل جمع الموارد اللازمة لتصدير رؤوس الاموال وسائر الاستثمارات التي تتحقق لفائدة الاحتكارات وحدها . وتنمو هذه الاساليب في ظروف تشدد فيها التناقضات بين الدول الامبريالية المتنافسة ، ويشدد في نفس الوقت تضامنها في مواجهة التأثير المتزايد للمعسكر الاشتراكي وتقدم ونمو حركة تحرير الشعوب » .

«وتحاول الامبريالية للحفاظ على مصالحها الاقتصادية ، أن تستفيد بعون

العناصر المؤيدة لها مثل الإقطاعيين وبعض قطاعات البورجوازية والمضاربين وغيرهم .
وتبحث عن حلفاء بين بعض المثقفين والكوادر الإدارية والمهنية والعسكرية
الرجعية وبعض الأفراد المرتبطين بهما . وتحاول أن تقيم حكومات مخصصة
للاحتكارات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالادول الرأسمالية .

إن الاستعمار الجديد — بكل أساليبه الخادعة والمكررة ، وبكل عنفه ومؤامراته
وتسخره المسلح وتضليله الفكري والاجتماعي — هو الخطر الذي يواجه
الحركة النقابية النشطة والغامية في البلدان النامية ، والتي عليها أن تشدد النضال
ضده . وحقيقة أن تحديد أشكال الكفاح والالتزام النضال من خواص كل بلد وتعود
إلى الوضع الخاص والمحدد في كل بلد ومنطقة . ولكن الاحتكار الرأسمالي يجب أن
يواجه بالتضامن العمالي الدولي بتدعيم التضامن والعلاقات مع نقابات البلاد
الاشتراكية ونقابات البلاد الرأسمالية المتطورة على المستوى العام وعلى مستوى
المنظمات المهنية وعلى الأخص مع المنظمات النقابية والعمالين في نفس الاحتكار .

إن المستقبل والتجاذب في القضاء على التخلف معقود في التنسيق والربط بين
معارك النقابات والعمال وشعوب البلاد المختلفة من أجل استقلالها والتقدم
الاقتصادي والاجتماعي ومعارك النقابات والعمال في البلاد الرأسمالية « المتطورة »
ومساعدة البلاد الاشتراكية .

ومن أجل هذا فإن الاتحاد العالمي للنقابات سيستمر في نضاله الدؤوب من
أجل :

● منع الامبريالية التي تتسبب سياساتها العدوانية والحربية في كل المخاطر التي
تهدد السلام العالمي وأمن الشعوب ، من أن تحقق خططها العدوانية .

● ومن أجل للتعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية والسياسية
المختلفة .

● وحل جميع التكتلات العسكرية .

● وتحقيق نزع السلاح الشامل تحت رقابة دولية ووقف كل التجارب النووية
وتدمير المخزون من الأسلحة الذرية والنووية ، وتحديد صناعة الأسلحة
البكتريولوجية والكيميائية والنووية .

● وقطع الطريق على كل المناورات الممكنة من جانب الامبريالية في فيتنام والهند
الصينية ، والعمل على تطبيق اتفاقيات باريس بدمية ، والمساعدة على الصلح
والائتلاف الوطني وإعادة توحيد فيتنام واحترام الاتفاقيات بشأن لاوس . ومن أجل
أن يتحقق لجمهورية السلام والاستقلال والسيادة .

● وإزالة التوترات الدائمة الموجودة في الشرق الأوسط والتي يمكن أن تؤدي إلى
قيام نزاع جديد في هذه المنطقة من العالم . وفرض جلاء القوات الاسرائيلية فوراً عن
الأراضي المحتلة ، ومساندة العمال العرب والشعوب العربية وتغذية التضامن معهم في
نضالهم ضد الامبريالية والصهيونية . وفرض تطبيق قرارات الأمم المتحدة .
ومساندة القضية العادلة للعمال الفلسطينيين والشعب الفلسطيني من أجل
الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربي وحقه في تقرير مصيره
بنفسه ، والمطالبة باحترام وصيانة حقوق الشعوب العربية في الاستقلال والسيادة
والتقدم .

لماذا تشكيل الجبهة الوطنية في العراق ؟

بغداد : من صلاح الدين حافظ

ثانياً : كانت الاحتفالات مناسبة لإعلان هذه تغييرات سياسية ملحوظة في مجرى العمل انسياسي وأهمها : التعديل الدستوري الذي أقره مجلس قيادة الثورة . وكان من نتائج النص على تشكيل مجلس للوزراء محدد الاختصاصات ، وأن يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية مباشرة أو عن طريق هذا المجلس ، وإنشاء هيئة عليا لها سلطة الرقابة المالية في البلاد وتبعية مجلس قيادة الثورة .

وقد نجم من هذه التعديلات عدة مؤشرات منها سحب بعض اختصاصات مجلس قيادة الثورة وإعطائها لمجلس للوزراء له كيان مستقل ، ومنها تركيز السلطة في يد رئيس الجمهورية ومنها إعطاء سلطة الرقابة المالية العليا لهيئة واضحة المعالم والاختصاصات لأول مرة في العراق . . وكانت هذه كلها بعض مطالب الأحزاب السياسية الأخرى المدعومة للحوار حول الجبهة الوطنية ، ولذلك فسرت هذه التعديلات الدستورية على أنها تمهيد لمشاركة هذه الأحزاب في قيادة البلاد داخل صيغة الجبهة .

ثالثاً : في مساء يوم الثلاثاء ١٧ يوليو ١٩٧٣ وقع الرئيس أحمد حسن البكر ممثلاً لحزب البعث وعزيز محمد السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ، اتفاق الميثاق على ميثاق العمل الوطني وتواعد العمل في الجبهة الوطنية والتقدمية .

وكان هذا التوقيع « التاريخي » كما وصفه الطرفان ، حدثاً سياسياً بارزاً في الحياة العراقية من ناحية ، ونتيجة إيجابية لحصان استمر عامين ، وبدأ منذ إعلان البعث لميثاق العمل الوطني في عام ١٩٧١ من ناحية أخرى . ولقد كان هذا الميثاق يعبر عند إعلانه عن مفهوم حزب البعث للتطورات السياسية في البلاد ، ويعبر عن تصوراتها للمستقبل ، وي طرح أفكاره حول مشاركة الآخرين في حكم البلاد . . ووقتها طلب

لم تكن مصادفه ان شهدت بغداد في منتصف يوليو الماضي واحدة من أضخم الاحتفالات الرسمية والشعبية في تاريخها الحديث ، عندما توافقت إلى شوارعها وعبر ميادينها عشرات الآلاف من الجماهير في مصبرات طويلة انتظمت داخل ثلاثة أطر أساسية هي تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي ، والحزب الشيوعي الديمقراطي الكرديستاني ، والحزب الشيوعي العراقي ، فعلى دقات هذه الجماهير وأهازيجها شهدت بغداد في تلك الأيام عدة مناسبات هامة ، أهمها إن الحزب الحاكم — البعث — استفاد من مرور خمسة عشر سنة على قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وخمس سنوات على استيلائه على الحكم في ١٧ يوليو ١٩٦٨ ، لينتظر سياسياً ويؤكد احكام سيطرته على النظام ، رغم تعرضه قبل أيام قليلة من هذه المناسبة لمحاولة انقلابية قام بها ناظم كزار مدير الأمن العام ومحمد فاضل رئيس المكتب العسكري في الحزب ، وكلاهما كان من أقرب المقربين الى قمة السلطة الحاكمة .

على ان الحياة السياسية في العراق شهدت خلال تلك الفترة عدة أحداث سياسية هامة عكست ، وسوف تعكس ، آثارها العميقة على مجرى التطورات القادمة :

أولاً : قبل أيام قليلة من الاحتفالات اعتزت العاصمة العراقية على « الواقع المعتاد » لمحاولة انقلاب جديدة ، لم تجسء هذه المرة « العسكرية » العراقية كما تعودت بغداد لفترة طويلة ، لكنها جاءت من بعض كوادر حزب البعث الحاكم ، وكانت هذه سبة بارزة للمحاولة . لما السبة الثانية فهي أن المتهمين الأساسيين فيها كانوا محمد فاضل وناظم كزار . . وكلاهما مدني وحزبي قديم ، الأول يشرف على المكتب العسكري والثاني يرأس جهاز الأمن لذلك منح رتبة اللواء الشرفية ويتبعان مباشرة صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة .

فبينما يرى البعض أن النص السليم هو أن العراق جزء من الأمة العربية ، يقول الاكراد أن النص يجب أن يكون « الشعب العربي في العراق جزء من الأمة العربية » على أساس أن العراق يضم قوميين هما العرب والاكراد والاخيرين ليسوا جزءا من الأمة العربية لكن لهم وضعهم المتميز قويا .

● تنفيذ خطوات إعادة الجو الطبيعي للبلاد وانتهاء دور أجهزة الامن في تسيير الحياة الدستورية .

ورغم أن بعض هذه المطالب وما صاحبها من خلاف في وجهات النظر ، خاصة بالاكراد ، إلا أن بعضها الآخر مشترك مع كل الأحزاب الاخرى المساهمة في الحوار السياسي مع البعث . غير أن المشكلة الاساسية هي أن حوار البعث — الاكراد لم يصل بعد إلى نتيجة نهائية ، وتعرض اكثر من مرة للوقوف . لكن الطرفين يصران على مواصلة وعلى تحقيق القوام القريب ، على أساس اقتناعهما أن بديل الحوار الديمقراطي ، هو اضعاف الوحدة الوطنية مما قد يؤدي إلى استئثار العمليات العسكرية المبررة التي تعرض لها العراق طوال عشر سنوات طاحنة .



وفي مقابل الخلافات البعثية الكردية ، التي ما زال نقاشها ومحاولات تسويتها جارية ، فإن الحوار على المحور الثاني ، أعني بين البعث والحزب الشيوعي ، قد حقق اتفاقهما الذي أعلن في ١٧ يوليوز ١٩٧٢ والذي أكد الطرفين على اهميته التاريخية ، بعد خصومات طويلة ومبررة .

وقد كان واضحا خلال العامين الاخيرين أن الحزبين سوف يصلان إلى نهاية ايجابية للحوار القائم بينهما والذي تمثل غسى الشراك بعض الشيوعيين في الحكم ، كما تمثل أساسا في ايجابية حوارهما رغم تعرضه لعقبات الخلاف حول ميثاق الجبهة الوطنية ، وتبطل هذا الخلاف الذي أمكن حسمه أخيرا في النقاط التالية :

● قيادة الجبهة .. وهي نقطة خلاف مشتركة بين كل الأحزاب المدعوة للحوار مع البعث . ورغم أن هذه لم تسو مع الاكراد والقوى القومية مثلا ، فانها سويت مع الحزب الشيوعي في الاتفاق الاخير بعد أن توصل الطرفان إلى صيغة تقول : أن قيادة الجبهة للقوى المسباسبة المشتركة فيها والتي يتمتع حزب البعث بينها بدور

البعث من القوى السياسية الاخرى بدء حوار حول هذا الميثاق ، وصولا إلى صيغة اتفاق ، تكون بمقتضاه جبهة قوية وتقدمية تشارك فيها القوى السياسية البارزة .

وكانت دعوة الحوار موجهة أساسا إلى ثلاث قوى سياسية هي : الحزب الديمقراطي الكردستاني ، والحزب الشيوعي ، والمجموعات القومية والديموقراطية المستقلة .

وبينما تركز الحوار عبر عامين شهدا عشرات من الاجتماعات ، بين البعث والاكراد حول الحل السلمي والديموقراطي للمشكلة الكردية ، وطريقة تنفيذ بيان آذار — مارس — الذي قرر منح الحكم الذاتي لهم في إطار جمهورية عراقية موحدة ، فإن المطالب الأساسية للاكراد تركزت في :

١ — تطبيق الحكم الذاتي في مناطق الاغلبية الكردية .

٢ — المشاركة الفعالة في الحكم وخاصة في المؤسسات التشريعية والتنفيذية .

٣ — تحقيق التطور المكناني لاقليم العراق عن طريق تنفيذ مشروعات التنمية والخدمات .

ومن خلال الحوار ، ظهرت نقاط الخلاف بين حزب البعث والحزب الكردستاني وهي أساسا :

● دور الأحزاب التي سوف تشارك في الجبهة في الحكم وفي قيادة البلاد ، فبينما يصر البعث على أنه قائد الجبهة ، يصر الاكراد على أن القيادة للأحزاب المشتركة مجتمعة .

● ممارسة نشاط الحزب الكردي قسما الجيش ، فبينما يصر البعث على قصر هذا النشاط عليه ، يرى الحزب الكردي أنه من بين غيره من الأحزاب المدعوة للحوار ، يجب أن يكون له أيضا هذا الحق ، باعتبار أن ١٠ آلاف من المقاتلين الاكراد انضموا رسميا للجيش العراقي بعد الاتفاق على بيان آذار ، وأصبحوا يشكلون جزءا من البناء العسكري للبلاد .

● طريقة تشكيل المؤسسات الدستورية ، وخاصة المجلس الوطني ومجلس الوزراء وتوزيع المناصب داخل هذه المؤسسات .

● النص في الميثاق على عروبة العراق .

— تقارير الشهر —

خاص ومتميز ، وذلك على أساس أنه في السلطة فعلا ويحكم البلاد .

● الاستقلال السياسي والتنظيمي للقوى الحزبية المشتركة في الجبهة ، وقد أصر الحزب الشيوعي على بقاء هذه الاستقلالية داخل إطار الجبهة .

● طالب الحزب الشيوعي بانتهاء فترة الحكم الاستثنائي خلال عامين . وخلال الحوار ، اتفق الطرفان على صيغة انتهائهما في اقرب فرصة ، على أساس أن البعث أعلن أنه قد ينهيها قبل مرور عامين .

لما لم يمسأ بتعلق بتحرير فلسطين ، فقد توصل الطرفان في اتفاقهما الأخير الى صيغة استخدام كل الطرق المتاحة لتحرير فلسطين .

● تسوية المشكلة الكردية ، وقد اتفق الطرفان على أن اتفاقيتهما يمثل دفعة ايجابية للقوى المعادلة في الحزب الديموقراطي الكردستاني لتتأخر دورا أكثر فعالية وشجاعة في مواجهة القوى التي تدعو الى توتر العلاقات وتضع الأمور الى مواجهة مسلحة جديدة ضد النظام . ومن هنا كان اتفاق البعث والشيوعيين على العمل معا ، وبمشاركة في الحوار مع الاكراد والفئات القومية والديموقراطية الاخرى .

وإذا كان الحوار مازال دائرا مع الاكراد ، وحقق في نفس الوقت اتفقا مع الشيوعيين ، إلا أنه مازال متعثرا مع الفئات القومية ومع الديموقراطيين المستقلين .

والمشكلة في ذلك ، ان هذه الفئات ليست موحدة المواقف مثل الشيوعيين والاكرد مثلا . ليست داخلة في اطر تنظيمية محددة المعالم واضحة السياسات . ومن هنا ، فان موقف البعث تجاهها مازال غير محدد ، والتحديات البعثة تقول : مع من نتحدث من هؤلاء .. وعلى أي فئة نعتد ، وكلهم انقسامات وخلافات ! ؟

والحقيقة ، ان الفئات القومية تشرخت في العراق بشكل ملفت — وليست هذه ظاهرة سياسية عراقية فقط بقدر ما هي ظاهرة عربية عامة . ولقد وصل عدد هذه الفئات في الفترة الاخيرة الى حوالي ١٢ تنظيميا وحزبا ، منها على سبيل المثال لا الحصر : الوحدويون

الاشتراكيون ، والاشتراكيون العرب ، والحزب العربي الاشتراكي والاطلائع الثورية للسريري الاشتراكي ، ثم انتسقات الاتحاد الاشتراكي والتوميين العرب .. الخ .

وبالإضافة الى استغلال هذا التفتت ، فإن البعث يطرح وجهة نظره قائلا ، انه هو وحده 'الممثل الشرعي الاساسي للتيار القومي التقدمي في العراق' ، ومن ثم فالحال للتحاور مع هذه الفئات ليس قويا داخل بعض دوائر الحزب .

ولقد تمثل هذا الموقف — الذي ترجم عدم حق الحوار بين البعث والفئات القومية — في لقاء عقده أخيرا صدام حسين وحضره حوالي ١٤ شخصية من قيادات هذه الفئات . وبعد ٤ ساعات تحدث فيها نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عن الحوار والمشاركة في الحكم ، انتهى اللقاء بلا نتائج محددة .



وبذلك يمكن أن يكون التحوار قد قطع شوطا معقولا للعمل المشترك بين البعث والقوى السياسية البارزة في العراق والتي تضم الاكراد والشيوعيين والقوميين التقدميين والديموقراطيين المستقلين .

بقيت نقطة اساسية ، وهي تشكيل قيادة الجبهة — عندما يتم اتفاق اطرافها . وبداية فإن نص التعديلات التي أدخلت على ميثاق الجبهة الوطنية يمتثل اتفاق الشيوعيين مع البعث لم تعلن بعد ، وهناك وجهة نظر تنادي بتساجيل اعلانها حتى تعرض على القوى السياسية الاخرى ليتم ادخال التعديلات المعروضة كلها مما ثم تعلن الصورة النهائية للميثاق المتفق عليه .

غير أنه رغم ذلك ، فإن المعلومات المتوافرة عن تشكيل قيادة الجبهة تقول ، ان التصور الاساسي لهذا التشكيل يتضمن توزيع المقاعد على الوجه التالي :

٨ مقاعد للبعث و ٣ للاكراد و ٣ للشيوعيين ومقاعد واحد للقوميين التقدميين ومقاعد آخرى للديموقراطيين المستقلين .

كما ان المجلس الوطني — البرلمان — سوف يتكون من ١٥٠ عضوا توزع مقاعدهم طبقا للنسب السابق توزيعها في قيادة الجبهة ، ثم تعيم نفس النسب على المستويات التنظيمية والوحدات الشعبية الاخرى في البلاد .

حدوده ، فإن الخريطة السياسية في المنطقة المحيطة وخاصة في الخليج العربي ، يعاد الان رسمها على ضوء التطورات الدولية والمحلية الأخيرة .

ولاشك ان امريكا تتزعم قوى محيطية في المنطقة في محاولة لحصار حركة الثورة في الخليج العربي ، وفي نفس الوقت لاستنزاف البترول العربي من هذه المنطقة التي تحوي ثلثي احتياطي البترول العالي .

واذا كان العراق يؤمن بان عليه دورا قوميا في الخليج ، باعتباره دولة خليجية اساسية ، فان القوى المضادة تجد فيه خطرا تجدر محاصرته وضرب نفوذه قبل ان يشغل للخليج كله وينقل الى دويلاته واماراته عدوى الثورة !!

وقد احييت كل هذه العوامل الداخلية والخارجية الإحساس العام في العراق بضرورة اعادة ترتيب المنزل وبضرورة توحيد الموقف الداخلي لمواجهة مخاطر المستقبل بجهة وطنية موحدة .

الا ان دروس التاريخ تقول ان لنجاح العمل الجبهوي شروطا اساسية يجب توافرها وامها ؟ الثقة والفقة المتبادلة بين اطراف الجبهة ، والجدية في ممارسة النشاط الجبهوي علنسي اساس انه سياسة بعيدة المدى وليست تكتيكا مؤقتا ، والتخلص من اثار صراعات الماضي وحساسياته ، وبناء الجبهة في القواعد وليس عند القمة وحدها ، بأسلوب ديمقراطي .

والواقع انه بتدرج ماتتحقق هذه الشروط بقدرما يكون قد تم بالفعل تأمين طريق المستقبل .

ولكن .. ماذا اعلان الجبهة الان والاتفاق حولها بين البعث والشيوعيين . ولماذا اقتصام البعث بالذات لقيام الجبهة ؟

ان نظرة موضوعية على التحركات السياسية في العراق وفي المنطقة المحيطة به تعكس اجابة شبه واضحة لهذا السؤال .

ففي داخل العراق هناك تطورات وتفاعلات سياسية واضحة ، دفعت بالبعث الذي كان منفردا بالحكم ودفعت بالقوى التقدمية الاخرى التي كانت مطاردة او منزوية ومقاطعة الى ان تعاود مراجعة المواقف ، وخاصة على ضوء نتائج التجارب المبررة التي خاضها البعث بحلها وعربيا ، ونتيجة لتوالي التصفيات والتصفيات المضادة بين كوادره وبينه وبين بعض الاحزاب الاخرى . كل ذلك دفع الى الامام الاقتناع بحتية قيام جبهة وطنية تتحمل مسؤولية الحكم . كذلك ، فان بعض الخطوات الناجحة . التي تحققت في البلاد خاصة تأميم النفط ، والاصلاح الزراعي ، واعادة تخطيط الاقتصاد القومي افضت القوى السياسية بجذبة البعث في الحوار حول الجبهة .

وصاحب ذلك كله تهمركات الرجعية داخل العراق في محاولة للاستيلاء على السلطة ، وهو خطر يهدد البعث كما يهدد كل الفئات التقدمية الاخرى . ومن ثم اصبحت طريق الخلاص من خطر هذه التحركات الرجعية هو التكتاف القومي والتقدمي لضرب هذا الخطر الذي ظهرت بوادره ليس فقط على مستوى بقايا الرجعية العراقية بل بين بعض اجنحة البعث الحاكم نفسه .

اما اذا مددنا البصر خارج العراق وعمر

الصهيونية ودورها في السياسة العالمية

مكتبة
الظنمية

ما أصعب أن يواجه الإنسان بشجاعة خصما
شرسا مثل الصهيونية المادية في مقر داره
الحمينة .. نيويورك .. لكن هايمن لومر وهو
يهودى أمريكى يقوم بهذه المهمة في كتاب حطى
باهتمام بالغ في أوساط واسعة من الرأى العام
الامريكى ، وخاصة دوائر اليسار والليبراليين
اليهود فيه .

وفي الصفحة الاولى من الكتاب يجابهك الكاتب
بموقف صريح .. ثلاث خرائط ، خريطة اسرائيل
ولمقا لقرار التقسيم ١٩٤٧ ، وخريطتها عام
١٩٤٩ ، ثم خريطتها مع الاراضى التى احتلت عقب
عدوان ١٩٦٧ ، وبدون كلمة واحدة يدفعك الكاتب
الى تبين السياسة التوسعية لاسرائيل ..

ثم تبدأ المجابهة ..

وهى ليست مهمة سهلة فالكاتب أولا وقبل كل
شئ يهودى ، وهو يعيش حياة المجتمع اليهودى
الامريكى ، وهو كقائد سياسى يسارى لا يريد أن

■ تأليف :

هايمن لومر

■ عرض وتقديم :

د . رفعت السعيد

■ التاسير :

الناشر: الدويلون

نيويورك ١٩٧٣

يعزل نفسه عن مجتمعه ، فهو في مجلته النصف
شهرية The Jewish Chronicle .
مع جماهير اليهود الأمريكيين كل الطقوس
اليهودية .. هشاء السبت وما الى ذلك .. لكنه
يرغم ذلك يوجه ادانته للصهيونية صريحة
وحادة ..

« لقد دفعت الازمة العنيفة في الشرق الاوسط
منذ يونيو ١٩٦٧ ، والحرب بين العرب واسرائيل
بالسالة الصهيونية الى المقدمة ، لذلك ان
الصهيونية هي التي تملئ السياسة الاسرائيلية ،
وهي الاداة الاساسية لعشد التأييد الاسريكي
والايربي لاسرائيل .. وهكذا ولكي نفهم اسرائيل
ودوافعها علينا أن نفهم الصهيونية .. »

الصهيونية السياسية

ويفرق الكاتب بين الصهيونية الدينية (التي
تستند الى اساس ديني يهتي) وبين الصهيونية
السياسية التي اسسها « موسى هيس » ودعا اليها
في كتابه « روما واورشليم » عام ١٨٦٢ قائلا
« نحن اليهود سنظل دوما غريبا في هذه الامم ..
وكل يهودي ايا كان ، وسواء اراد ان لم يرد هو
وبشكل اوتوماتيكي ، وبسبب طبيعة ميلاده ،
مضطر الى التضامن مع امته اليهودية ، وكل منهم
يتحمل - برغم انه - مسئولية في احياء دولة
اسرائيل .. »

لكن هذه الاراء لم تحظ باهتمام كبير ، حتى جاء
هيرتزل مستخدما الدماء المستقر ضد الصلابة في
اوربا ميورا لتكريس الصهيونية السياسية من
جديد ، بينما حاولت عناصر ثورية يهودية أن تجد
المخرج من الدماء للسامية في المساهمة في النضال
الثوري العام لبلادها ومن ثم وقعت وبجانب ضد
الصهيونية ..

الصهيونية .. زيف

والصهيونية السياسية كما يقرن الكاتب « هي
في جوهرها فكر رجعي بورجوازي متعصب تقوم
في الاساس على فكرتين زائفتين تماما :

اولهما : ان اليهود في مختلف انحاء العالم
يكونون امة واحدة ..

والثانية : ان معاداة السامية عنصر ثابت
ومستمر ولا يمكن تلافيه ..»

وتفنيدا الفكرة الاولى يقول المؤلف « ان
الصهيونية تدعى أن اليهود يكونون امة على
اساس بيولوجي صرف ، ذلك انه من المفترض انهم
سلالة يهود العصور القديمة ، وعلى روعي أي ان
لديهم جميعا خلفية واحدة ، او كما يقول البعض
أن لديهم « ذاكرة تاريخية واحدة » ثم بيسنة
واحدة ، ومن ثم تنشأ من ذلك عناصر للثقافة
واحدة . والحقيقة أن الصهيونية تنظر لليهود
كنسب متميز استنادا الى فكرة « شعب الله
المختار » المفترض أن يلعب دورا مشويا في التاريخ ،
وأن ثم فانه يتعين «فرزه» منفصلا عن الشعوب
الآخري .. وباختصار فإن الصهيونية تقوم على
اساس أن ثمة فجوة لا يمكن تلافيتها بين اليهودي
وغير اليهودي . والغريب انها تتلقى بذلك مع
الفكرة العنصرية المعادية للسامية ..

اما عن الفكرة الثانية يقول يفسكر أحد مؤسسي
الصهيونية السياسية ان معاداة السامية هي ليضا
ذات طبيعة بيولوجية .. فهو يقول « ان عقدة
كرامية اليهود ليست خاصة بجنس او آخر لكنها
تشمل الانسانية كلها وهي داء عضوي فسي
الانسانية توارثته عبر القى هام ، ولا يمكن شفاؤها
منه » .

واذا كان هرتزل يقول أن سبب الدماء للسامية
اجتماعي وليس بيولوجي الا انها في نظره « شيء لا
يمكن تلافيه او التخلص منه » .

والصهيونية كما يقول « لوهر » تنظر الى اليهود
في كل العالم كأشخاص موالين لاسرائيل ، وهي
بذلك تحاول انتزاعهم من النضال الديمقراطي
والتقدمي في كل بلد على حدة ، وبهذا تصبح
مشكلات البلاد التي يقعون بها وكأنها لا تتعلق
.. انها تقيم حاجطا من العزلة بين العامل اليهودي
والعامل غير اليهودي ، ذلك أن التحالف الوحيد
الممكن أمام العامل اليهودي هو مع اليهود الآخرين
حتى ولو كانوا راسماليين ، وهي ترفض
الاشتراكية كملاخ لمعاداة السامية ، لمعاداة
السامية مرض بيولوجي لا يمكن الشفاء منه .

العرب طابور خامس في وطنهم ..

وفي الوقت الذي يحل فيه قانون الجنسية
الاسرائيلي في مايو ١٩٧١ بحيث يسمح لأي يهودي
بالحصول على الجنسية الاسرائيلية « بمجرد
التعبير عن رغبته في الاقامة في اسرائيل » حتى
ولم يتحرك بوحدة واحدة من وطنه الاصلي ، « فإن

لا تصديق ..

الصهيونية اليسارية ..

ويحتج المؤلف من أية محاولة لإدعاء أن الصهيوني يمكن أن يكون اشتراكي أو يساري أو ماركسي ، وهو يقول أن محاولات قديمة قد بدت للموامة بين الفكر الصهيوني والاتجاهات الاشتراكية ، عندما تأسست منظمة **عمال صهيون** في ١٩٠٠ في روسيا القيصرية ، والتي سرعان ما تحولت إلى منظمة تدعو لإقامة دولة يهودية اشتراكية على أرض فلسطين . وفي ١٩٠٥ تأسس فرع لعمال صهيون في الولايات المتحدة .

وانقسم الصهيونيون الاشتراكيون إلى جناحين : جناح يدعى الماركسية بزعامة **Borochou Nachman Syrkin** وكلاهما زائف ، فلا يمكن كما يقول الكاتب لأي صهيوني أن يكون اشتراكيا أو ماركسيا أو يساريا ، فالصهيونية نظرية شوفينية استغيف عزّل العمال اليهود عن النضال القومي العام ضد رأس المال . ويورد الكاتب دليلا هاما على ذلك ، هو موقف منظمة **عمال صهيون** من ثورة ١٩٠٥ في روسيا ، فقد أصدروا بيانا يقولون فيه : بما أننا لا نتوقع من هذه الثورة أي حل جذري للمسألة اليهودية ، وطالما أن لنا رسالة تاريخية متقدمة ، فلنأخذ لن نشارك في التحضير لهذه الثورة . . . ذلك أننا نحن اليهود نشارك فقط في الأعمال التي تخدم بشكل خاص المصالح اليهودية .

The Jewish Worker, Moscow, 1925, vol. II, p. 401.

ويؤكد المؤلف « أن الحركة البروليتارية العالمية لم تخذع مطلقا بأية دعاوى ماركسية أو يسارية رددتها الصهيونية . وفي عام ١٩٢٠ وافقت أغلبية المؤتمر العالمي الخامس لعمال صهيون على الانضمام للدولية الشيوعية ، لكن طلبهم رفض رفضا قاطعا » .

الصهيونية .. في

خدمة الإمبريالية

وهذا هو عنوان الفصل الثاني من الكتاب ، وفيه يقول الكاتب أن مجرد إصرار الصهيونيين

العرب المقيمين داخل إسرائيل يعتبرون طابورا خامسا وتصابر أراضيهم ، ويخضعون لحكم عسكري دائم ، وفي ظروف معيشية منخفضة ، ووفقا لإحصاء رسمي إسرائيلي يبلغ متوسط دخل الأسرة العربية ٦٤ في المائة من متوسط دخل الأسرة اليهودية ، وفي حين أن متوسط المشتغلين في الأسرة العربية ١٠١ فرد ومتوسط المشتغلين في الأسرة اليهودية ١٠١ فرد .

● نصف العمال العرب فقط سمح لهم بالانضمام للمستدروت ، بينما ٢/١ العمال اليهود منضوبون إليه ، ثلث العمال العرب فقط يتمتعون شكليا بالتأمين الصحي ، بينما يتمتع به لعليا ٧٢ في المائة من العمال اليهود .

● نسبة الطلبة العرب في المعاهد العليا ١٠ في المائة من مجموع الطلبة في حين أنهم ١٢ في المائة من السكان وهم ممنوعون من الدراسة في كثير من الفروع بدعوى الأمن . . .

اليهود الشرقيون ..

أغلبية مضطهدة ..

واليهود الشرقيون ٦٠ في المائة من سكان إسرائيل ، لكنهم بسبب كونهم شرقيين محرومين من الوظائف الهامة وحتى من التعليم العالي . . .

إبناؤهم يشكلون ٦٠ في المائة من تلاميذ المدارس الابتدائية ، وفي المدارس الثانوية تنخفض النسبة إلى ٢٥ في المائة ، ثم تهبط مرة أخرى لتصل في الجامعات إلى ١٠ في المائة فقط . . .

قالت نيويورك تايمز في ٢٥ يناير ١٩٦٥ أنهم يعاملون اليهود الشرقيين في إسرائيل كما يعامل الزوج في أمريكا . . .

لما أبنت « موشى ديان » وهي كاتبة قصصية مشهورة فقد تحدثت في أحد قصصها التي نشرت مجلة يحدوت احرونوت (٢٢ مارس ١٩٦٨) عن الصعوبات التي واجهت شخصا يحاول بيع منزله لأنه المنزل المجاور مملوك لليهودي بمعنى ويقول المشتري أنه كان على استعداد لدفع ٥٠٠٠ ليرة أزيد إذا لم يكن للمنزل مثل هؤلاء الجيران .

والستين بالمائة من السكان لهم سندس من مقاعد الكنيست (٢٠ من ١٢٠ مقعدا) ولهم في الوزارة وزيرين فقط . . .

والتي تمد أفضى جالية يهودية في الخارج ، والتي تقدم مساعدات مالية ضخمة لإسرائيل ، ويتول إنها تتعاون وثيقا مع الحزب القومي (الحاكم) والذي كان خلال الحرب العالمية الثانية حزبا مواليا للنازية .

عملاء للمخابرات الامبريالية أيضا

وعلى مدى التاريخ - كما يقول الكاتب - كانت الصهيونية السياسية تركز جهودها لضمة المخابرات الامبريالية ، يقسول Jacob Haas « خلال سنوات الحرب العالمية الاولى كانت القوة الاساسية للمنظمة الصهيونية في أمريكا تكمن في اتصالاتها الواسعة ، وفيما تملكه من معلومات » ماذا ما طنب الرئيس نيلسون - مثلا - معلومات عن انصار أو خصم كيرنسكي في رومبيا ، فان مكتبتي في نيويورك كان يقدم له تفاصيل وأقية على الفور » .

ويكشف المؤلف أيضا عن دور المخابرات البريطانية في تأسيس منظمة لوجون زفاي ليون بزعامة مفاهم بيجون وسط المهاجرين البولنديين اليهود ..

لما اليوم فان المخابرات الاسرائيلية وهي - كما يقول المؤلف - جهاز عالي الكفاءة ويملك شبكة تجسس واسعة على نطاق العالم كله ، تضع كل ما تحصل عليه من معلومات تحت امرة المخابرات الامريكية .

وبالمقابل فان الامريكيين يقدمون لهم كل ما لديهم من معلومات عن منطقة الشرق الاوسط ..

ويقضح David Ness الذي كان قائما بالاممال الامريكية في القاهرة خلال عدوان ١٩٦٧ هذه الملاقة فيقول : « خلال الاشهر السابقة على حرب يونيو ١٩٦٧ كانت واشنطن تطلع في طلب معلومات من البعثات الامريكية واجهزة المخابرات في منطقة الشرق الاوسط ، ويمكن القول بان كل اجهزة وكالة المخابرات المركزية وادارة المخابرات الحربية الامريكية في الشرق الاوسط قد وضعت تساميا تحت تصرف إسرائيل في هذه الفترة » .

على اقامة وطن قومي لهم في أرض فلسطين ضد ارادة سكانها العرب ، وما يستتبعه ذلك من مقاومة عربية ، ان ذلك - في ذاته - قد أدى بالصهيونيين وهم يخططون - منذ البداية - لمشروع دولتهم إلى السعى للاعتماد على أحد القوى الامبريالية .

ويسرد الكاتب حلصلة من التحالفات غير الشريفة بين الصهيونية والامبريالية .. ويقول ان وايزمان كتب خلال الصرب المالية الاولى التي سكوت رئيس تحرير ماتشستر جارديان يقول « انه اذا خرجت بريطانيا من الحرب وهي مستحوذة على فلسطين ، واذا ما شجع الانجليز الهجرة اليهودية إليها ، فان اليهود يتعهدون بضمان حماية فعالة للمصالح البريطانية في قناة السويس » .

بل ان الصهيونية قد سمعت الى تمكين بريطانيا من فرض نفوذها على فلسطين .. وقد كتب وايزمان يقول « ماذا كنا نريد ؟ .. كنا نريد ان تصبح فلسطين تحت الحماية البريطانية ، ان اليهود في كل انحاء العالم يتقنون ثقة كاملة في بريطانيا » .

مع الاستعمار الجديد

خلال الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٦ كانت اسرائيل تقدم معونات اقتصادية وفنية وتدريبية وقروض واستثمارات الى ٢٨ دولة افريقية ، ٢٢ دولة من أمريكا اللاتينية ، ١١ دولة آسيوية ، ٨ في حوض البصر الابيض المتوسط (نقلا عن Leopold Moufer اسرائيل والدول الناجية ص ١٨) . ويتسائل المؤلف كيف استطاعت اسرائيل ان تحصل كل هذا العيب الا اذا كانت تعتمد على مساعدة قادة الاستثمار الجديد في أمريكا ..

والعلاقات مع جنوب افريقيا تتزايد باستمرار ، كانت الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا ٤٨ مليون جنيه عام ١٩٦١ ، فأصبحت ٤٨ مليون جنيه في ١٩٦٧ ، ثم ارتفعت الى ١٥ مليون في ١٩٧٠ . وفي عام ١٩٦٨ كانت الجوهرات المعاد صفها تمثل ٣٢ في المائة من الصادرات الاسرائيلية (وهي مستوردة أصلا من جنوب افريقيا) .

ويكشف المؤلف عن الدور الذي تلعبه الجالية اليهودية في جنوب افريقيا ١٢٠٠٠ شخص

وتدور الطابع ، وتصدر كتباً لا تحصى ، بعضها هام وبعضها غير هام ، لكن كتاب هارين لومر هذا يبقى فريداً من نوعه ، تعبيراً عن شجاعة مناضل يساري أمريكي يواجه التيار في وطنه ، مملناً الحقيقة في وجه مواطنيه ، وفوق هذا - القدر من الشجاعة ، فإن الكتاب يبقى نموذجاً في التحليل العلمي الماركسي لطبيعة الصهيونية ومنابعها الفكرية والاجتماعية »

ويؤكد Noss « أن كفاءة خبرات الطيران الإسرائيلي في يوم 5 يونيو قد اعتمدت جزئياً ، أن لم يكن كلياً ، على المعلومات التي تقدمتها المخابرات الأمريكية لإسرائيل عن المطارات المصرية ، ويمكن القول - أيضاً - أن وزارة الخارجية الأمريكية تسلم لبسافة إسرائيل في واشنطن نسفاً من كل التقارير الهامة عن منطقة الشرق الأوسط » .

من المجالات العالمية



لماذا يثار غبار الحرب الباردة

حول أحداث أفغانستان ؟

وتنتشر في صحف الغرب كلها - ريباً بلا استثناء - نعمة الحصرة أو الأسف بسبب وقوع هذا الانقلاب في أفغانستان رغم أن هذه الصحف جميعاً - وبلا استثناء أيضاً - تعترف بحالة الفساد التي سالت أفغانستان في السنوات الأخيرة والتخلف الذي ران على هذا البلد رغم المساعدات التي تدفقت عليه من « الشرق والغرب » ولا غرابة في هذا ، فإن الصحافة الغربية اعتادت أن تضع مصالح العالم الغربي الاقتصادي والاستراتيجية فوق المصالح الوطنية لأي من البلاد .

على هذا النمط تصور مجلة « نيوزويك » الأمريكية ما تسميه بأحلام الجنرال داود على أنه اقتطاع جزء آخر من باكستان لتكوين دولة «فياخونستان» من قبائل الباتهان التي يعيش بعضها

في جو عام من حملة الصحافة في العالم الغربي عن « الوفاق » الدولي جاء إعلان النظام الجمهوري في أفغانستان وتولى داود خان السلطة فيها بعد عزل الملك محمد ظاهر شاه ليفجر جانباً من جوانب الصراع الباقية بين النظامين العالميين الاشتراكي والرأسمالي ورغم اتفاقيات التعاون بين الشرق والغرب .

فلقد تناولت تعليقات ، وتحليلات صحف المراسم الغربية « انقلاب » أفغانستان ، على أنه ضربة سوفيتية جديدة موجبة للغرب والنفوذ الغربي في جنوب آسيا والمناطق المتخلفة للمحيط الهندي . حتى أن هذه التعليقات والتحليلات تعيد إلى الأذهان جو الحرب الباردة وأصداء الحديث عن «الخطر السوفيتي» و «التوسع الأحمر» . الخ »

خافت بكثير معونة واشنطن التي بلغت ٥٠ مليون دولار . وقد خافت الصرامة المنهجية من شملة عود الانقلاب في نهاية المطاف وهج السيجارة .

أما صحيفة « التايمز » البريطانية فقد أشارت نقطة هامة في مقال أفتتاحي لها ، ربما لم تتعرض لها أي من صحف الغرب الأخرى في تعليقاتها على الانقلاب . إذ قالت :

« يمكن قبول أسباب انقلاب أفغانستان على أنها استياء جنرال داود من سالة أفغانستان السياسية طوال السنوات العشر الماضية . ولكن مذابح القوة في الانقلاب تكمن كلية في مظاهر الولاء ومظاهر الغيرة في الجيش والبلات . أما طبقة المثقفين التي تنتشر أنها مزودة بالثقافة والخبرة التي تمكنها من وضع نظام نيابي للحكم ، فإنها لا تزال - وفقاً لما تشير إليه الأنباء - تتخذ موقف المتفرجين العاجزين أزاء الأحداث » .

وكان تعليق مجلة « إيكونوميست » البريطانية مؤكداً لحجم ارتياح هواصم الغرب الأوروبية والمواصم الموالية لها في منطقة الشرق الأدنى وجنوب وغرب آسيا للتغيير الذي حدث في كابل . وقد اتضح هذا من السطور الأولى لتعليقها مباشرة :

« إن باستطاعة الأمير محمد داود - القائد الذي استولى على السلطة في كابل - أن يفرض بانه صنع ثلاثة أشياء دفعة واحدة - لقد أسقط الملكية ، ومهد لاحتيايل نشوب حرب أهلية يمكن أن تجر إليها جيران أفغانستان الأقوياء ، وربما يكون أيضاً قد نقل التوازن الإقليمي بوصه أو بوصلتين حاسمتين لصالح الروس » .

وربما كانت الـ « إيكونوميست » أكثر صحف الغرب وضوحاً في شرح موقف الدول المجاورة لأفغانستان - والتي تلعب دوراً غربياً - أزاء هذا التغيير :

« لقد خبا تأييد أفغانستان لفكرة إقامة دولة « باغتونستان » بعد عزل الأمير داود منذ ١٠ سنوات - وسوف يزجج الرئيس بوتو وشاه إيران أن تحيى من جديد . وهذا الموقف هو بالتحديد الذي حققه الشاه لأن يؤكد للرئيس بوتو تأييد إيران العسكرية إذا وقعت أية محاولات لكسر وحدة باكستان » . إن الفناء يساوره شك عميق في أن الروس يعتزمون عد نفوذهم حول إيران . وسوف

في أفغانستان وبعضها الآخر في باكستان . وتصل « نيوزويك » إلى حد الزعم بأنه قد يخلو بثائرة حرب دموية جديدة ، على غرار حرب بنجالاديش من أجل تكوين هذه الدولة لتكون « حيلة » لأفغانستان !

ولكن « نيوزويك » تردد كل هذا في الوقت الذي تعترف فيه بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة في أفغانستان :

« إنها بلد فقير إلى حد المؤس حيث يعيش معظم السكان على أقل من ٦ دولارات في الشهر | أقل من ٣ جنيهات » . وتترنح أفغانستان تحت وطأة ٣ سنوات من الجفاف والجاعة . وقد قضى ما لا يقل عن ٨٠ ألف شخص نحبه جوعاً . وحتى في الأوقات الطيبة ، فإن نصف الأطفال الذين يولدون في أفغانستان يموتون قبل أن يكملوا السنة الأولى من عمرهم . كما أن أقل من ١٠ في المائة من السكان يعرفون القراءة والكتابة ولا يوجد جهاز وطني كلف ولهذا فإنه لا يوجد نظام فعال لجمع الضرائب ، والبرلمان نصف أعضائه فقط يعرفون القراءة » .

وكان كل هذه الأوضاع لا تكفي سبباً لتغيير نظام الحكم في أفغانستان ، حتى أن « نيوزويك » ترى أن الهدف من التغيير هو في الأساس « حلم » جنرال داود بانقطاع جزء آخر من باكستان !

وبهذا المفهوم نجد مجلة « قايم » الأمريكية تحلل الموقف في أفغانستان نتيجة لإقامة النظام الجمهوري في مقال لها بعنوان : « انقلاب في مفرق الماروق » على النحو التالي الذي تعكسه آخر فقرتين في هذا المقال :

« لقد استطاع الجنرال داود في الفترة التي قضها كرئيس للوزراء - فيما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦٣ - استقلال موقع أفغانستان الاستراتيجية بذكاء ، حيث تقع بالقرب من ممر «خير» وتوجد حدود مشتركة بينها وبين كل من إيران وباكستان والصين وروسيا . واستطاع بذلك أن يدفع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى التناقص على تقديم المعون لبلاده . وقد قال يوماً على سبيل المزاح : أنتي أشعر بقيمة السعادة عندما أشغل سيجارتي الأمريكية بعود نقاب روس » .

« غير أن المساعدة الاقتصادية والعسكرية ، التي قدمتها موسكو ، والتي بلغت قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار في السنوات العشرين الماضية - قد

تأكد مخاوفه إذا تبين أن الأمير داود يتولى
الانقلاب أكثر من الاتحاد السوفيتي ، وتشجيع
الانفصالية بين الباتان الباكستانيين ،

وتضيف المجلة البريطانية الى هذا - في عدد
تالي لها - « أن أفغانستان الأكثر اعتمادا على
الروس يمكن أن تشكل فرصا جديدة للباتان
والباكستانيين للتوجه نحو حملة حرب عصابات
قوية ضد حكم بونو (باكستان) »

« وقد يعنى هذا بالنسبة للروس - بالإضافة الى
الثورة الموجودة في طفال - في جنوب عمان -
تطين من القلاقل في المنطقة » وعندئذ ربما يكون
الروس منجبهين بالتفاهل نحو انقسام آخر للأعمال
الخريبية بين إمارات البترول في الخليج ، وهذا
تخمين معقول عن أهداف الروس » ،

وتستمر صحيفة « الهيرالد تريبيون »
الأمريكية التحريات القديمة التي تمثلها أفغانستان
بالنسبة للاستعماريين القدامى - وخاصة
البريطانيين - ولكنها عدت صريحا إلى الموقف
الراهن للقول :

« الواقع أن الولايات المتحدة ، وليست
بريطانيا ، هي التي كانت تتنافس مع الاتحاد
السوفيتي على الفوز بصداقة أفغانستان ، وكانت
هذه المنافسة تدور حول الأعمال المفيدة التي يمكن
أن تقوم بها الدولتان وليس القتال ، وذلك في
الوقت الذي يعطى فيه الاتحاد السوفيتي بتأييد
الهند المستقلة وليس عداوتها .. وبعد فهل ستكون
لإعلان الجمهورية في أفغانستان بواسطة جنرال
داود أهمية على المستوى الدولي ؟ يبدو أن
الموقف مازال غامضا ، إلا أن الأمريكيين يحسنون
صنعنا لو أنهم حاولوا انتباههم - من حين لآخر -
عن قضية ووترجيت ، لكي يظلوا على نهج
كابول الذي غنى له الشاعر كيبلنج »

وهكذا فإن صحافة العالم الغربي - وخاصة
تلك الناطقة بلسان احتكارات مينة لها وجود
في تلك المنطقة ، وخاصة احتكارات البترول -
تقوم بعملية « إسقاط » لأفكار الغرب على أحداث
المنطقة فيما تقدمه من تفسيرات وتمليلات لإعلان
النظام الجمهوري في أفغانستان ،

وهي لاتضع في تحليلاتها أي اعتبار لما أعلنه
رئيس أفغانستان الجديد عن حرص حكومته على
النهج بسياسة عدم الانحياز - وينتج - كما
قلنا في البداية - غياب أي احساس « بالوفد »

بين الشرق والغرب لمجرة وقروح انقلاب في بلذتقرو
فيه كل الأسباب الموضوعية الداخلية له .

ولم يكن غريبا أن تهتم الصحف الإسرائيلية
بالتعقيب على الانقلاب من زاوية قلق الغرب وحلفائه
في المنطقة فيه . فنجد صحيفة « جيروزاليم بوست »
- أقرب الصحف نطقا براء وزارة الخارجية
الإسرائيلية - تقول :

« يدخل الانقلاب الذي وقع في كابول عاملاً
شك جديد في المنطقة التي تتزايد فيها الاضطرابات
على الجانب الغربي للهند . غير أن هناك ظاهرة
مريحة من وجهة النظر الهندية ، ألا وهي أن من
قام بالانقلاب للسلطة بالملك ظاهر شاه يعد مسدينا
قدما للهند وللإتحاد السوفيتي ، وهذا يوضح
السبب الذي جعل نيودلهي وموسكو أول حاضمتين
تتفرغان بالجمهورية »

« ولا يمكن أن تضع إيران وباكستان بالارتقاء
للتطورات التي حدثت في هذه الدولة المجاورة لهما
واللذان تمددان النفوذ الوحيد لتجارتهما عن طريق
المحيط الهندي . وليس بوسع شاه إيران أن
يرحب بتغيير النظام الملكي الإقطاعي إلى نظام
جمهوري له اتجاهات سوفيتية ، لأن ذلك قد
يكون بمثابة حائل للضباب الطموح من الكولونيالات
في القوات المسلحة الإيرانية »

واختتمت الصحيفة الإسرائيلية تحليلها بالملحوظ
التقليدي المتبع دائما في الغرب وهو أسلوب البحث
عن « الخطر السوفيتي » وراء أي انقلاب أو
تغيير سياسي أو اجتماعي هنا أو هناك ، فنجدما
تقول « لقد أثار ذلك الانقلاب مخاوف دبلوماسيين
الدول القريبة .. من أن تصبح روسيا في نهاية
الامر في وضع يتيح لها فرصة الحصول على
ميناء في المياه الساخنة تقوم بالسيطرة عليه
من وسط آسيا » وقد تاکت هذه المفاو من الالتباء
التي أشارت إلى أن الإتحاد السوفيتي كان بمثابة
العمال الحير للانقلاب الذي قام به الجنرال داود ،

أما صحافة الهند فتدكن لها مناج آخر ، ومنظور
مختلف في التناول . أنها أقرب إلى واقع المنطقة
وصراعاتها المباشرة . وقد كتبت صحيفة « ثايريت »
الهندية بعد نحو شهر كامل من التغيير في أفغانستان
تقول :

« من أترجح أن تكون لزعم حكم داود في
أفغانستان آثار بعيدة المدى على باكستان .
وبالفعل فإن هناك تقارير عن حشد قوات باكستانية

الولايات المتحدة والصين وإيران - لاتزال تأمل رغم كل شيء في إمكان إسقاط حكومة داود .
« وربما يعتمد المتشددون الباكستانيون على مقدرة أسلام آباد على ابتزاز كابل عن طريق سحب تسهيلات البور في مطار كراش وأغلاق الطرق البرية، التي تربط أفغانستان بالهند »

ولقد كانت باكستان قد مارست - في أواخر الخمسينيات - ضغطاً كبيراً على أفغانستان عندما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وكان سردار داود وقتها رئيساً للوزراء . أما اليوم، فإن الموقف قد طرا عليه تغير كبير . فقد انتهى بالفعل طريق برى بين الاتحاد السوفيتي وأفغانستان . وقد لا يكون هذا هو الحل المثالي، ولكن كابل تأمل أن تحول دون أي طارئ لبعض الوقت، ولكن باكستان يمكن أن تخسر كثيراً ،

هـي القوة الباكستانية الإقليمية : وقد تولى الجنرال شيكا خان (الذي قاد قوات باكستان في المذابح الرهيبة ضد البنغاليين في باكستان الشرقية التي أثارت وعجبت بحركة استقلال بنجالاديش) القيادة في تلك المنطقة بنفسه ، واستبدل رجال الميليشيا والكشافة (الذين يتولون عادة دوريات الحدود والذين ينتمون للقبائل المحلية) بقوات ضاربة بنجابية .

« لقد اعترفت كل من باكستان والصين بحكومة داود . وجاء قرار بكين بالاعتراف بعد محادثات سريعة بين عزيز احمد (وزير خارجيةباكستان) والسفير الصيني . وقد طار مسئول كبير في وكالة المخابرات المركزية الامريكية من طهران الى اسلام آباد لجمع المعلومات عن الموقف . ومن الواضح ان المجموعة الباكستانية الحاكمة تؤيدهما

كلمة الى « البلاغ » البروتية عن التقاليد الصحفية

نشرت مجلة البلاغ البيروتية في اعدادها الاخيرة : ما قيل انه ندوة ادبية دارت ، هنا في القاهرة ، في « الطليعة » .

والامر المؤكد هو ان الطليعة هي التي تملك وحدها حق نشر التدوات التي تدور في داخلها ، او على الاقل هي التي تصدد متى ينشر وكيف ينشر ما تملكه من مقالات او ندوات لا نزاع في حق ملكيتها لها . ولقد جرى العرف بين الصحفيين بان تحصل مجلة من مجلة أخرى

على ان ينشر ما نشر او لم ينشر فيها . لكن زميلنا البيروتية يبدو انها فوق العرف والتقاليد المستقرة ، وانها تنجرف في تقاليد صحفية غريبة علينا : تسامرها شهوة النشر بأي ثمن ، ومهما يكن الثمن ، وأن تعتبر ملكاً لها ما ليس كذلك .

وليست هذه هي السابقة الاولى لمجلة البلاغ البيروتية . ففي مارس سنة ١٩٧٢ ، نشرت مذكرة بتوقيع بعض الصحفيين والكتاب في مصر ، موجهة الى السلطات المختصة . وفي هذه المذكرة - أيضاً - لم تستأذن البلاغ في نشر هذه المذكرة ، ولو من باب العلاقات الطيبة التي يفترض أنها تجمع صحفيين عربياناً ، في القاهرة ، وهناك ، في لبنان ، تحت اسم مهنة الصحافة .

ولم يقتصر الامر على هذا ، فإن المذكرة التي كانت قد نشرتها البلاغ لم تحصل عليها من اصحاب المذكرة أنفسهم ، او حتى تستأذنهم في نشرها ، ولم يقتصر الامر على كل هذه الوسائل التي نراها غريبة ، بل اضافت اليها البلاغ اضافات لم ترد في الاصل الوحيد الذي قدم فعلاً الى المسؤولين .

واخيراً فنحن نتكفي بان نسأل المزملة البيروتية لماذا هذا ؟ ولصلحة من ؟ . الا اذا كان المقصود هو المزيد من تصديق الصحف الوطنية ، والمضي في اخراج زملائهم المصريين . . وهل لا يمكن ان تقوم بين الصحفيين والكتاب هنا ، وبين بعض الصحف والمجلات البيروتية علاقات سليمة ، تأخذ في الاعتبار الاحترام المتبادل ، بل المصلحة المتبادلة ؟

نحن نأمل .

■ الطليعة ■



وجهة نظر :

على العالم أن يكون عالما

العلم كسلعة

العلم في الدول الرأسمالية (المتقدمة - ويطمحين أدق « المتقدمة تكنولوجيا ») سلعة من السلع الأساسية المطروحة في السوق - مهما غلفت هذه السلعة بكثير من الأغلفة المتعددة الألوان ، المرئية وغير المرئية - أن « السلعة - العلم » تدخل في نظام تسويق معين ، يتحرك داخل نظام اقتصادي معين ، يحكمه ويرسم له هيكل سياسي معين . وهذا مفهوم ومبرر *

الوضع هنا في مصر يختلف تماما . الواقع السياسي الاقتصادي ، والتكوين الاجتماعي يختلف كلية عن الدول الرأسمالية . هذه بداية . ومع ذلك ففهم أغلب الأفراد العلميين في مصر يتربس كثيرا من وجهة نظر الدول الرأسمالية ، واعتقد أن ذلك يرجع إلى أن بعض المشتغلين بالعلم في مصر

كتب الدكتور يسرى هويس :

وصلني عن طريق الصدفة عدد أبريل ١٩٧٢ من مجلة « الطليعة » وأنا - في الغربة - موغد منذ مارس ٧٢ في مهمة علمية ، على حساب منحة من ألمانيا الغربية لأجراء بعض البحوث حول أمراض الماشية - وقد تعرضت « الطليعة » لدراسة « مشكلة مهرة المفلول » - وفي الحقيقة ، لقد غطت الدراسات والشهادات المعروضة أغلب أبعاد المشكلة من عوامل طرد ، إلى عوامل جذب ، ومن دوافع عامة إلى دوافع شخصية . وكأحد الذين يساهمون في تطوير البحث العلمي في مصرنا العزيزة ، وفي إرساء المنهج العلمي في فهم الواقع ، بهدف تغييره - لن أقترح حلولا ، نكتفى سوف أناقش باختصار بعض النقاط التي أثرت ببعضها التي قد أهملت *

* د. يسرى هويس استاذ مساعد بكلية الطب البيطري - جامعة عين شمس

تساؤلات لا لزوم للرد عليها

وهنا يقع الدكتور السيد الحسني والدكتور عبد الباسط محمد في نفس الخطأ التقليدي الذي يقع فيه الآخرون ، حيث ينظران للمشكلة بشكل منفصل عن إطارها الاجتماعي والتاريخي ، ويرجعان أسباب الهجرة ضمنا إلى :

١ - « فقدان المناخ الطمسي » ، واتصال يشغف : من سيخلق هذا المناخ إذن ، ان لم نخلق نحن ؟ في ظروف بلد نامية .

٢ - « احساس المسالم بعدم وجود التقدير الكافي من (افراد المجتمع) » .

حقيقة أريد أن اعرف كيف ؟ وبأي شكل يكون هذا التقدير - من (افراد المجتمع) ؟

٣ - « احساس العالم (بالاغتراب) عن بقية أفراد المجتمع » .

أي نوع من أنواع الاغتراب هذا ؟ لا يمكن أن يكون الا اغتراب البورجوازي عن بقية شعبه ، عندما ينزل للقرية المصرية ويضعه بمطر الاطفال القزوين والبيوت الطين ! متناسيا تماما كل نضال الشعب المصري ضد القوى القديمة التي تمرق تطوره في مسار التاريخ .

٤ - « عدم وجود تقاليد البحث العلمي » . هذا طبيعي أيضا ، ومن إذن سيرسي تلك التقاليد ، ان لم نضمها نحن ؟

٥ - « الظروف الراهنة » خاصة بعد هزيمة يونيو ، وما تطلبت وتطلبه من تضحيات - كما تؤكد الاحصائيات المنشورة بنفس العدد من ارتفاع نسبة المهاجرين في عامي ٦٨ ، ١٩٦٩ بشكل ملفت للنظر . وهنا تسقط كل الاتقمة ، ويظهر الوجه البورجوازي البراجماتي القلبي . ولو اتخذ هذا كتموج ، لفرغت دول المسالم الفقيرة ، ولهاجرت قارة افريقيا وأغلب دول قارة آسيا ، وأمريكا الجنوبية إلى الولايات المتحدة

العلم محليا وليس عالميا

في دراسة الدكتور رشدي لبيب القيمة ، استوقفتني عبارة [ان العلم عالمي في حقائقه] وان كان هذا يصدق لاحد ما على بعض فروع العلم كالرياضيات والفيزياء ، الا انه يختلف تماما عند اصطدامه بالواقع ، ويختلف أيضا مع أغلب فروع المعرفة العلمية الاخرى - حتى الحقيقة العلمية

ينحدرون أصلا من طبقات فقيرة ، أو من الطبقة البورجوازية الصغيرة . وهذا البمض يحسول باستمرار - مع توفر عدم الوعي السياسي الذي تكلم عنه الأستاذ سيد ياسين - أن يتجنى وضعه الطبقي ، مطالباً بامتيازات وامتيازات لا تنتهي ، ومحو لا في النهاية المعرفة العلمية إلى سبعة . كما أننا لا نعدم للأسف أن نجد أفرادا من المستغلين بالتدريس في الجامعات مثلا يبيعون مسرقتهم العلمية بشكل أو بآخر ، بل أحيانا تباع بشكل علني (الدروس الخصوصية ولعبة الكتب ... الخ) بل وبالمزايدة والتنافس الحر أيضا .

العلماء والفهم غير العلمي

الغريب والملفت للنظر ، أن كثيرا من علمائنا هاجرون سبالفعل - عن رؤية الواقع المصري بشكل علمي ، الواقع في شموله . فغالبا ما يفهم هذا العالم أو ذلك تخصصه بشكل جيد . لكنه ، اذا خطى خطوة خارج هذا التخصص ، تجده يرتد إلى فهم قذري ، قبيح ، ومتوارث في لاعتقائيه . المدم يرصد الظاهرة ، ويحللها ، ويفهمها - ليس بشكل منفصل من الواقع العام ، التي تكون الظاهرة جزءا منه ، بل داخل هذا الواقع وعلاقة كل منهما بالآخر . يحاول أن يفهم الجزئي ، حتى يمكن ادراك الكلي في النهاية . فالعالم المصري ، غالبا ما يفعل ذلك ، في حدود تخصصه . لكنه غالبا ما يفشل في ربط ذلك بالواقع الذي نعيشه في تلك المرحلة التاريخية المتأزمة والإطار التاريخي الذي تتحرك فيه . يشكون من نقص الأجهزة ، والدورات العلمية ، والكماليات .. الخ ولا يتساءل قط : لماذا لا ولا يرى أننا في ظروف استعداد امركة طويلة الاجل ، وأن قوى عالمية معادية ومتعددة الوجة تمارس الضغط على المنطقة بأكملها ، وأن اقتصادنا مثقل بضغوط اضطرابية مرحلية ، وأن ليزانية الدولة أولويات .. الخ وهنا يتناقض العلم مع منطق العلم تناقضا صريحا ومباثرا ، يسقط عنه في الحال صفة « العالم » .

لن نقول : ادفع ديون عرق ملايين الفلاحين . ولو أن هذا ضروري .

ولن نقول : كن مخلصا لتراب وطنك . وهذا ضروري أيضا .

لكننا نقول : فقط ، كن « عالما » في رؤيتك للواقع .

ولقد انتفضت ٦٠ اشهر منذ نريان مغول
الانفاقية ، وكان لابد من ان يعود المدنيين
الاسرى والمعتقلون الى جنوب فيتنام الى
عائلاتهم .

واضاف النداء : ان عصاة نجوين فان ثيو
الفائضية الدكتاتورية التي لا تقيم اى اعتبار للعدل
وابسط بنود القانون ، واصلت اعتقلها غير
المشروع لمئات الالاف من السجناء السياسيين ،
كما ان مصير مئات الالاف من ابناء الشعب
الفيتنامى الاعزاء مهدد بصورة خطيرة . وفى
كافة سجون سلطة ثيو يعيش المعتقلون على
ظروف قاسية للغاية ، ولا يمر اى يوم دون
ممارسة القمع والارهاب ضدهم . ويعانى
عشرات الالاف منهم من امراض معدية تحليل
الى مقعدين للابد ، كما صذبت عشرات
المئات حتى الموت ، وانزال الاصابات
الخطيرة بهم ، وتم القضاء على الكثيرين سرا
بجبن ، وقتل عشرات الالاف من النساء مع
تهشيم الجثث وشدها الى حجارة ورميها فى النهر .
وقد لقي بكثير من الرجال والنساء بعد شد وفاق
ليدهم الى البحر ، كما اعدم السكانيون رئيسا
بالرماس ثم القيت جثثهم فى الهلوية المعينة
الاغوار ، او اى مكان آخر بهدف طمس معالم
الجرائم ويستمر التعذيب الوحشى وقتل السجناء
بشكل اشد هجية .

واوضح النداء ان نظام ثيو ما لقي يلجا الى
المناورات بقصد تنادى ارجاع الخمينى الاسرى
والمعتقلين المخصوص عليه فى اتفاقية باريس حول
فيتنام والبيان المشترك الصادر فى ١٣ يونيو
١٩٧٣ . وقاموا بضرب العديد من المعتقلين حتى
نقدوا الوعي ثم اجبروهم على توقيع او بصم
طلبات البقاء فى صفهم وشهادات اطلاق سراحهم
مختلقين الكاذب بهدف تحويلهم الى سجناء
عاديين .

وبالنسبة للمعتقلين لحد طويلة دون محاكمة
مهدت سلطة ثيو الى احوالهم الى سجناء
عاديين .

وبخصوص السجناء السياسيين الذين توشك
فترة اعتقالهم على الانتهاء تجرى محاكمتهم بعد
فترة حبسهم . كما يتم تفريق السجناء
السياسيين او نقلهم من سجون كبيرة الى سجون
محلية واحتجازهم مع المجرمين والنصوص .

وجاء فى نداء اللجنة :

وفى الوقت نفسه تشن سلطة ثيو مئات الالاف

بمغفرة باستمرار . أدوات البحث الجديدة تتيج
لنا امكانيات جديدة لرؤية اعمق ، وتكشف لنا عن
ابعاد جديدة ، تضطر امامها باستمرار ان نتراجع
عن معارفنا السابقة ، وان نعيد النظر فيها ، وان
نصححها . هذا هو ديكالتيك الحقيقة العلمية
ونصلها .

الخبرة العلمية المحلية تتفق دائما مع خبرات
وتختلف مع خبرات اخرى فى اماكن مختلفة .
الحقيقة العميقة تبدأ أصلا ودائما من خبرة جزئية
محلية . تبدأ من الواقع الخاص ، المحلى الخاص
الذى يتعامل معه العالم ويفهمه أكثر من اى واقع
غيره ، والذى يختلف عن اى واقع آخر . ومن هنا
فقط ، يمكن ان تكتسب الخبرة العلمية أهمية اوسع
فى مناطق مختلفة من العالم .

الحرية .. الحرية المسئولة

واخيرا استوقفتنى فى مقال الدكتور اسماعيل
هبرى عبد الله : ضرر عمليات الاضطهاد السياسى
وانسواء عن العمل ، وقصر المناصب ذات الفعلية
على الانصار السياسيين بغض النظر عن
كفاءتهم ، . وان كان هذا يمكن فهمه فى ظل عدم
الاستقرار السياسى الذى تحدث عنه سيادة
الوزير ، فى الدول النامية بشكل عام ، الا انه ليس
مبررا على الاطلاق ، بل يجب على كل صوت
مخلص ان يكون باستمرار ضد مثل هذه
الاجراءات ، التى تموت معدل التطور . وفى ظل
الحرية ، الحرية المسئولة فقط ، يمكن للعالم
والمفكرين ان يقدموا شيئا لمصر .



نداء الى شعوب العالم لاتقاذ الوطنيين الفيتناميين

وجئت لجنة نضال جنوب الفيتنام نداء عاجلا
الى شعوب العالم ومحبي السلام والتقدم تطالبهم
بقه بالعمل على الانراج عن المعتقلين السياسيين
الذين ما زالوا فى سجون حكومة سايجون
العقيلة .

وجاء فى النداء :

ان توقيع اتفاقية انايه الحرب ، واعادة
السلام فى فيتنام نصير عظيم للشعب الفيتنامى .

وناقشوا في سبيل الشعب والاستقلال والحرية والسعادة للشعب الذي يجري اغتيال الكثير من افراده في سجون طغمة ثيو الفاشية .

ودعت اللجنة من اجل المسؤولية تجاه بقاء الشعب ، والواجب ازاء هؤلاء المهددين بشكل خطير النضال بقوة لشل ايادي طغمة ثيو المظلمة بالدماء واجبارها على تحسين معاملة السجناء كما تنص اتفاقية باريس حول فيتنام ، واجبار الولايات المتحدة وسلطة سايجون على اعادة المدنيين الامري والمعتقلين حالا دون تاخير أو اي عذر . واختتمت اللجنة نداعها بقولها :

« انه خلال الاشهر الاخيرة اهتمت المنظمات المالية والوطنية بمسير أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ معتقل ، واستكثرت بشدة احكام السجن القاسية لسلطة ثيو ، وفي سبيل الانسانية والحقيقة ستواصل شجب خطط وجرائم طغمة ثيو الفاشية التي تقوم - بوحشية متناهية - بتعذيب وقتل السجناء السياسيين ، والتمادى في تسيجيل ورفض اعادة المدنيين الاسرى والمعتقلين » .

وطالب النداء الولايات المتحدة وسلطة ثيو بتطبيق اتفاقية باريس حول فيتنام بدقة وجدية وبالعودة الفورية والشاملة للوطنيين ومحبي السلام ومن بينهم من ينتمي الى القوة الثالثة ، الذين تمثلهم السلطة في جنوب فيتنام .

من العمليات البوليسية والتكلم من مئات الالاف من الأشخاص والقبض على عشرات الالاف من محبي الحرية والسلام ومؤيدي المصالحة والوفاق الوطني . والواقع انهم يتخلصون من مجبوعات الوطنيين البواسل الذين لا يستطيعون استمالتهم وبارسون التعذيب والارهاب مع الاغراء والترغيب لاكمالهم على الالتحاق بالجيش والتلق لارحاز طليات البقاء بصغفهم ويستخدمون كل وسيلة لعدم اعادة السجناء السياسيين .

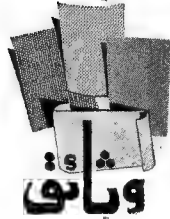
وفي حالة ممارسة الضغط الشديد ضدهم حول هذا الموضوع ، يعيدون الاشخاص المعتدين فقط .

واوضح النداء ان خطط وجرائم الولايات المتحدة وسلطة ثيو تهدف الى القضاء على كافة القوى المضادة لهم في جنوب فيتنام لتحقيق الاستعمار الجديد في جنوب فيتنام . وبهذه الاعمال السالفة الذكر انتهكت الولايات المتحدة وسلطة سايجون بصورة خطيرة اتفاقية باريس حول فيتنام ، وبيان ١٣ يونيو ٧٢ المشترك ، وانطلقا تدوسان بمسافة القوانين الدولي ، وتبارض بوقاعة طموحات شعب جنوب فيتنام الملحة في السلام والاستقلال والحرية والديمقراطية والوفاق والوثام القومي ، وتعتبر تصرفاتهما كتحذير للبهشية التقدمية في مختلف أرجاء العالم .

ومضى النداء يقول :

لقد ضحي مئات الالاف من أبناء الفيتنام





وثائق الحوار

□ ورقة الحوار

□ الثورة العلمية والتكنولوجية

تقدم « الطلبة » في هذا العدد وثيقتين هامتين هما :

١ - ورقة « الحوار الوطني » التي اشتركت في اصدارها الامة العيامة
للانحاد الاشتراكي العربي واللجنة الدائمة لمجلس الشعب . وهي الورقة التي رات
القيادات السياسية ان تكون موضوعا للنقاش مفتوح داخل المؤسسات السياسية
والتشريعية والتنفيذية .

٢ - الورقة الثانية تركز الاهتمام على ارتباط الثورة العلمية والتكنولوجية
بالمخفريات الدولية .

والطلبة في حرصها على نشر هاتين الوثيقتين ، تواصل التقليد الذي تمسكت
به في ان تضع دائما في ايدي قرائها كل الوثائق الفكرية والسياسية والاجتماعية
التي اثرت وتؤثر في مجرى العمل الوطني .



ورقة الحوار

فيما يلي النص الكامل لورقة الحوار التي وافق عليها الاجتماع المكون من الامة المتحدة للاتحاد الاشتراكي العربي واللجنة الدائمة لمجلس الشعب .

التغيرات الحالية

منذ ان صاغ شعبنا العربي فلسطيني وحد ابعاد سياسته في مواقف العمل الوطني وقتت على المسرح الوطني والعربي تغييرات هامة ، تطلعت ، بمسألة اساسية ، في التحول الاشتراكي وفي اعادة تصاف لوى الشعب العاملة وفي خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي دعم الاستقلال الوطني وتحقيق الاتجاه الوحدة العربية .

وقعت الازمة في ١٩٦٧ واهبطت اسرائيل مزبدا من الاراضي العربية ، وصاحب ذلك نزول في الامة العربية وظهور الصمود في استعداداتها ، واخذت مصر العربية والمملكة تصمد بناء قواتها المسلحة ويبدأ من جديد نشاطها السياسي العسكري لتحرير الارض واسترداد الحق .

وبع ان مصر قد فقدت مؤنثا بعض مواردها في سبناه وقناة السويس فان للشعب المصري لم يتأخر من ان يوجه الجانب الاكبر من انتاجه القومي نحو المزرعة والنفذية ، الامر الذي فرض عليه اعباء مالية ، والتي على مستوى الخدمات المالية وعلى ظروف المعيشة ، ضغوطا كبيرة .

وفي ١٥ مايو ١٩٧١ فاه شعبنا انشتر حركة التصحيح ، فرد الورقة ٢٣ يوليو الى مسارها الصحيح ، واكتم فترة المؤسسات والحريات وسيادة القانون ، وبدأ مرحلة جديدة من مراحل البناء والمزرعة ، وفي مرحلة الاندماج الجديد والمواجهة الشاملة وهكذا لم يقل شعبنا انكسار الضعية بواحد من خزين الواحد في سبيل الاخر ، وجمال شمساره ، والمزرعة والتنمية ، لا المزرعة او التنمية ، وترايد ذلك منه تحديا لاعداء والتلفظ والزبابا اعباء جديدة ، وفلا لنصمتا اكبر .

وبالامانة الى ذلك تصاعد المرفق العدائي العربي للحرب ولحقوق شعب فلسطين ، فترايد الدعم العربي لاسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا كما ترايد العدوي العربي للحق العربي وليشاق الامم المتحدة .

وبع الدور المتصالح لخطئة الخليج العربي بدأت الولايات المتحدة الامريكية تعد لثارة معركة ترسة في هذه المنطقة ان حلم الولايات المتحدة الامريكية في

الاستيطرة على منابع الازوق الموزون قد قدمها لان تخطط لانخراط العالم العربي لها من طريق طويطة عسكريا .

التقارب السوفيتي الامويكي

وفي الوقت نفسه ، وقتت على المسرح العالمي ، متغيرات سياسية واقتصادية وتكنولوجية واجتماعية وسلوكية هامة ، تنطت ، بمسألة اساسية ، في ظهور قوى اقتصادية وسياسية هامة جديدة ، لها اعبائها وتكبرها ، وفي الاتجاه نحو التكلل والاتحاد السياسي والاقتصادي ، ثم في مسالة الولاق المالي التي انبثت الحرب الباردة بين الدولتين الكبريين ومها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، تلك السياسة التي نظمت باما من مرحلة التعاضد الضلبي الى مرحلة تكلل لاجتماعية . وفي مرحلة الانتاج العالي والتعاين المتبادل ، مما أثر تأثيرا ميقا على طبيعة الشكالت الدولية واساليب معالجتها وعلى الاوضاع السياسية والاقتصادية في العالم ، وخاصة في منطقة الشرق الاوسط .

وهكذا تفرقت الظروف الموضوعية التي تعيد بالعمل الوطني ، والتي تحسم الاختيار بين الطول المتعددة والمروجة لواجهة المواقف ، مما يحتاج الى صلية بتامة مستمرة لهذه المتغيرات ، والتي صلية مراجعة مستمرة للعضول والسياسات .

وهنا يجب ان نذية الى حدة امسور فمسمية .

الالتزام بواجبات الثورة

اولا - ان هناك تحاربا بين المراجعة والتراجع ، فالا كاخ التراجع يعني التزلزل من المبادئ والاهداف وان المراجعة تدني - معانظا على المبادئ والاهداف - امادة النظر في الاساليب والتهبسات في ضوء النتائج الواقعية لذلك من بدى ملامتها لتحقيق هذه المبادئ والاهداف .

وعلى ذلك فان مراجعة الاساليب والسياسات ، وهو امر طبيعي وضروري لضمان سلامة الثورة ، واستمرار مكاسبها ، لا يعني ابدأ التراجع عن المبادئ والاهداف ، ان هناك شكلا عارضا ونفسيا بين الالتزام بالظهور الاشتراكي ومراجعة السياسة الاقتصادية ضمنيا لسلامة الاقتصاد القومي ، ثم شيحا في النهاية لهذا التطور الاشتراكي نفسه .

ولذلك فمنا نؤكد هنا - بما لا يدع مجالا للشك او للتشكيك - ان التزامنا التكلل بواجبات ثورتنا ، وباعدادها في الحرية والاشتراكية والوحدة ، والتزامنا التكلل بحماية المكاسب الثورية الاشتراكية والتضارعية التي حققها شعبنا بطورة ٢٢ يوليو وبحركة التصحيح التي اقامت دولة الموضتحت والحريات وسيادة القانون

في تلك الامة ان هناك تحاربا بين السلام والتسليم ، واذا كنا نحرمس على السلام فمنا ان نسلم ابدأ ، ان نرطب في شير من الارض العربية ولن نسلم على جتوق شعب فلسطين ان التزامنا بتحرير الارض كلها تحريرا كاملا ونهائيا سيظل دائما ، في هذه المرحلة هو الهدف الاول والاساسي .

ثانيا - اننا يجب ان نلصن للسياسات الجديدة ، التي نحن بصدد رسمها ، المسونة التكلية لمواجهة المتغيرات المستقبلية ، ذلك ان الظروف الموضوعية التي تعيد بالعمل الوطني ان تتوقف من التغير .

ثالثا - اننا يجب ان نلصن نصيب اعيننا ، ونحن نحدد ملامتنا بالسلوك (الخطة) ، ان هذه الدول ترسم هذه الملامات على اساس من مصلحتها القومية ، وهو ما يجب ان نلصن كعقيدة ، وان نلصن كضرورة .

رابعا - ان التحرك السياسي في مصر ضرورية واهميتها ، ليس بدلا من الامداد العسكري لمواجهة كل الاخطار ، ولذلك من المخط ان يكون كملنا في المبادئ السياسية والعسكرية مما ، وان تكون على استعداد لتحمل الابعاء والتضحيات التي يفرضها هذا الكفاح ، خاصة وقد تكللنا ان ما لخذ بالقوة لا يسد الا بقصوة .

ان المواجهة الشاملة مستمرة منسا الصمود الضاليل ، الصمود العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي ، حتى يمكن ان تخرج من دائرة التفلر الى دائرة التأثير ، وان نحرر الارض ونسرد الحق ، ونلحق النصر ، وحتى تتيين حقبة الولاق ملينا ان نلصن هنا اهم المتغيرات الحالية وتأثيرها على تنمية الشرق الاوسط ، وعلى مسار العمل الوطني .

التغيرات السياسية

لقد كان من اضطر المتغيرات الحالية ديام الولاق بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، هذا الولاق الذي انشتر حالة الحرب الباردة واحتشالات الصراع المتصل بينهما ، والذي يربط بينهما على اساس من المصالح المشتركة . وقد تميز الولاق الحالي بصدف مسون المتلون ، بين الشرق والغرب بمسألة هامة وبين حامين الدولتين بمسألة خاصة ، في مجالات النزح والسياسات والمجالات الاقتصادية ، والنفذية والمالية ، والثقافية كما بدأ متحول صيغيد في المسين والولايات المتحدة الامريكية انبى مرحلة التوتر في العلاقات بين البلدين ، ونفع الجلال واسعا امام القيم بمرسومة مشتركة .

وبدءت سياسة الولاق المالي تنتج تحاربا في انهاء الصرامعات والتكامل التي كتت قلبية منذ العرب العالمية

الثاني في أوروبا وأسيا هائذين الصراع بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ، وبين ألمانيا الغربية وبلجيكا وتشيكوسلوفاكية ، وتحتضنت ملاقات ألمانيا الغربية بالأحد السويدي ، كما انتهت الحرب البوكتانية بإقرار السلم ويهدد التماثل الاقتصادي بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا الشمالية .

وكذلك ظهرت قوى سياسية جديدة في العالم ، فالتحت الصين الشعبية لتعمل ككتلة السياسية المالي الذي ظل سافرا دة طويلة ، وتحتضنت الهياكل لتعمل فحما دوليا سافرا يستند الى قوة اقتصادية هائلة ، كما بدأت أوروبا الغربية تدعم وحدتها الاقتصادية والسياسية ، وقيمت لها من مكان على خريطة العالم الجديدة .

ويأتى الدول العربية المنتجة للبتروئ تظهر عذوة مؤثرة في عالم الطاقة والمال ، كما ظهرت أهمية دور إفريقيا المالي واعتيالات تعاليم كالم منظمة الوحدة الإفريقية .

كما قوى الاتجاه المالي نحو أقالمة الوحدات السياسية والاقتصادية الكبيرة ، وبشكل ذلك ما تم في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية ، وهكذا بدأ عالم الوحدات الكبيرة .

المخفريات الاقتصادية

وكان من أبرز هذه المخفريات العالمية الانتكاح الاقتصادي العالمي وقيام إصلاح المخفريات بين الدول ذات الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاقتصاد السويدي ، وهكذا تفتت الأعصارات الاقتصادية المحلية على الأعصارات الإيديولوجية النظرية ، فانسح التماثل بين الغرب والشرق ، وانطقت هذا التماثل أبعادا متعددة ، تفتت ، بصفة أساسية ، في التوسع في العلاقات التجارية الدولية ، وفي أقالمة المشروعات المشتركة ، وفي التعاون التني في الانتاج ، وفي التماثل المالي عن طريق التسهيلات الائتمانية والقروض وأقالمة البنوك المشتركة . وأيام هذا الانتكاح الاقتصادي المالي بذلت الدول الرأسمالية تعمل من شترتها التي كانت تعمر التكامل الاقتصادي مع البلاد الشيوعية ، كما قومت بعض الدول الاشتراكية الى تعديل توابنها ، بما يسمح للاستثمارات الأجنبية بالمساهمة في النشاط الاقتصادي الوطني . وأدخلت تعديلات على النظم الخاصة بإدارة الاقتصاد القومي ، ما ضمن ارتفاع الكلفة الانتاجية .

وبن المخفريات الاقتصادية العالمية البلية أزمة الطاقة الدولية ، وألمسة التكد الدولية ، وأزمة الغذاء الدولية التي تفتت أسبابا في نقص المواد

الغذائية وتحتضنت التبحر ما أرتب عليه ارتفاع أسعاره .

المخفريات العلمية والتكنولوجية

وفي الوقت الذي حثت فيه كل هذه المخفريات المالية بدأ العالم يشهد ثورة تكنولوجية واسعة النطاق وعظيمة الخطر ، بل ان بعض الدول المتقدمة بدأت تستعمل ما يعرف بعمر الثورة الصناعية الثانية ، عمر الثورة التكنولوجية ، ولقد أدت هذه الثورة التكنولوجية في البلاد المتقدمة الى تطوير وسائل الانتاج تطورا أدى الى وفرة المنتجات ، وإلى أقالمة جتجستت الإشكالات والرفاهية ، وإلى اتساع البوة بين البلاد النعمة والبلاد الفقيرة ، كما أدى الى شروعة البحث عن فرص جديدة للتصدير ، مما دعم سياسة الانتكاح الاقتصادي . وبشلا من ذلك فإن البلاد الاشتراكية الشرقية ، وقد أركت أهمية هذه الثورة التكنولوجية ، لم تها أن تعمر نفسها من نتاج التماثل التني المتنامي مع الغرب .

ولقد كان هذا التماثل هو الآخر من أهم موامل الإنفتاح الاقتصادي المالي .

وكان من أخطر نتائج الثورة التكنولوجية التوسع في انتاج أسلحة الميركاسيل ، وإلى انتاج الأسلحة التطفلية ، وإذا كان انتشار أسلحة الميركاسيل الشامل قد أدى الى أقالمة التوازن النووي ، توازن الرعب ، وأسم بالثني في القضاء على أحتيالات المواجهة المباشرة بين العمالين فإن التوسع في إنتاج أسلحة الحرب التطفلية قد استتبع ، ورفية في فتح أسواق لتصريف هذه الأسلحة ، لشمال الحروب الأقليمية الصغيرة .

وهكذا فإن المبالغة ، وقد انضمت بينهم الحرب المباشرة ، نتيجة لتوازن القوى ، بطول مشاكل السلم على حساب الأمم الصغيرة ، وبكسمل الحروب الأقليمية الصغيرة .

المخفريات الاجتماعية والسلوكية

كان طبعها أن تستتبع هذه المخفريات المسبسة والاقتصادية والتكنولوجية حدوث تغييرات عمدة في السلالات الاجتماعية وفي السلوك ، مما أثر في طعية العلاقات التثنية بين الأجيال وفي العلاقات الأرية ، وفي مدى الالتزام بالنظم الأخلاقية والدينية بما أحدث انطراما واضعا في المجتمعات الاقتصادية المعاصرة ، ظهر على هيئة تلاق وعدم وضوح الرؤية وبصفة خاصة في بعض طاعات الشباب .

كما ظهرت مشاكلات أضعابية بالغة الأهمية من بينها الانتكاح السكاني العالمي وتزايد حركات الهجرة الدولية وبصفة خاصة هجرة المعول من البلاد الآخذة

في التني الى البلاد المتقدمة . وبشرا أيضا الجبل الزاحج للاستكشاف وتقلنا ألتبب الاستكشاف فيها بين المجتمعات ما قد المشاكلات الاقتصادية وقد أصبح من الضروري مع هذه التغييرات السلوكية العمل على حماية المجتمع الغربي من التماثل الطوفان الذي يفتت في يحتاج العالم الذي بدأ يفتت أشبه كثيرا من التقلبات والقيم . لقد أصبح من الضروري التزاما بقضية حماية الإنسان الجديد ان تحصي شبلها من هذا التفتت الجرف الحسم وذلك بالتكثيف للتقلبات الضربة الأممية وبالاتمام بالتربية الدينية وتدعيم القيم الأخلاقية والوطنية والعقلانية العظيمة والسلوك الاشتراكي والديمقراطي والأداب العلمية .

ولقد كان طبعها ، مع كل هذه المخفريات السريعة والتفتت على أربها مساهمة الوفاق العالمي ، أن تنفيس الأوضاع الاقتصادية والسياسية الحالية تنفيرا بعيدا ، وأن تنفيس أيضا ملاقة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاقتصاد السويدي بالبلاد الأخرى ، وخاصة ببلاد العالم الثالث . ولم يكن من المنصور أن نجو منطقة الشرق الأوسط من هذا التفتت .

وكان من الطبعي ، وعلى ما ذكرنا ان تقوم بمرح دراسة بعض تأثير هذه التغيرات المالية على مشاكلها الميركاسية والنوعية ، وأن تضع السياسات التي تتكثف من مواجهة هذه التغيرات ورسم طريق المستقبل بأساليب وخطط العمل الوطني والقيومي .

ألقا بداهة لمتنا فد سياسة الوفاق العالمي ، ولكننا بالتكثيف نقرر أن تتم هذه السياسة على حسابنا .

وبن الضروري ان نعمر هنا بصورنا لتفتت سياسة الوفاق العالمي بين العمالين على مشكلة الشرق الأوسط :

الوفاق المالي

أولا : لقد أدت سياسة الوفاق المالي بين العمالين الى أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر جرة في دعمهم إسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، دون ما حاجة للتفتت وراء حجة التوازن العسكري في الشرق الأوسط ، وأكثرت مراعاة في مداتها الغرب ، وفي فتورها للتعرف المشروعة لشعب فلسطين وإلحاق الأمم المتحدة ، فطلعت الى استخدام البتروئ بد مشروع القرار الذي تضمنت به دول عدم الانحياز لمجلس الأمن ، والذي رأى التأييد الكليل لكافة الدول الإفريقية ، مدمبة ذلك الإحتلال الإسرائيلي ، وفتحته الرأي السام العالمي ، هافنة الى تعطيل الطريق أمام تدوية سياسية عقلية .

ثانيا : إن سياسة الوفاق العالمي

بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي قد اضعفت من قوة الأمم المتحدة ، وذلك ان كثيرا من الاتفاقيات والمصالحات قد بدأ يتم خراج إطار هذه الأمم المتحدة ، وانفتاحا مع هذا المنطق بدأت الولايات المتحدة ، وبمختلفة حالة الوفاق العالمي ، تصل إلى ابعاد قضية الشرق الأوسط من إطار الأمم المتحدة إلى محاولة احتكار حل هذه القضية لنفسها لتفريق جيشها على العالم العربي .

ثالثا : ان مشكلة الشرق الأوسط قد أصبحت ، ولكن من أي وقت مضى ، جزءا من استراتيجية الدولتين الكبيرتين . ومع هذا الوضع أصبح الاقتصاد السوفيتي ، نزولا على سياسة الوفاق العالمي والصالح المشتركة ، يلجأ إلى برأجة الولايات المتحدة في كثير من الزوايا ، وبما ذلك دفع قيود الهجرة من الولايات السوفيتية .

رابعا : ان امتدادا على التسوية الخارجية ، مع حرصنا عليها ، قد أصبح ، في إطار الوفاق العالمي ، أقل غامضا ، وأصبح ناعما .

الحرص على الصداقة

وفي ضوء هذا التصور لتأثير سياسة الوفاق العالمي بين الصلاتين على قضية الشرق الأوسط يكون من الضروري ان تؤكد على الأمور الآتية :

أولا : أننا يجب ان نحرس دائما على صداقة الاتحاد ، وخاصة الاتحاد السوفيتي مع وضع هذه المصداقات في موضعها الصحيح والصريح .

ثانيا : أننا يجب ان نعمل على تقوية صداقاتنا الجديدة ، وان ننتفع بصداقاتنا اقتصاديا على جميع القوى الحاملة التي تدف مع السلام والحل .

ثالثا : أننا يجب ان ندعم سياسة عدم الانحياز ، ولا يصح الخن ان هذه السياسة قد اتخذت ، مع الوفاق العالمي بين الصلاتين ، أصبحت ، بل لقد أصبح لها ، مع هذا الوفاق ، مضامين جديدة لا يقل أهمية من مضامينها السابق .

لقد كانت سياسة عدم الانحياز موقفا لمواجهة الصراع بين الصلاتين . فليس من الضروري ان الوفاق العالمي ، ان تنتقل إلى مرحلة أكثر إيجابية ، لتصبح موقفا لمواجهة الوفاق بين الصلاتين ، حتى لا يتم هذا الوفاق على حساب دول عدم الانحياز ، وعلى حساب الدول الصغيرة والأمم المتحدة .

نعتقد على قوتنا الذاتية

رابعا : أننا يجب ان نتمدن ، بصفة أساسية ، على قوتنا الذاتية المصرية والعربية في الحالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وهو ما يصطزم ضرورة العمل على تمثيلها وتركيبتها .

ان الواجبة العربية الطبيعية والضرورية لسياسة التكتل العالمي وسياسة الوفاق العالمي يجب ان تقبل أساسا فيما يلي :

١ - ضرورة الاعتماد على لقصور الذاتية ، مع حتم استخدام المصادر المتعاطلة لهذه القوة وتضمينها . وتشير هنا بوجه خاص إلى البترول المصري وإلى رموس العربية المستترة في الخليج ، وأن العرب ، على الرغم من تعاملات ثرواتهم البترولية والمالية ، لم يتحركوا بهذا استخدامهما في الدفاع عن حقوقهم وعلى تكتلهم مستبطلهم . ان الآلة العربية يجب ان تتحمل مسئوليتها التاريخية كاملة في معركة المصير .

٢ - ضرورة العمل على تقوية الاتفاقات والسياسات الوحدوية الطبيعية في العالم العربي ، وهو ما يصطزم العمل على تفتية الجسور العربية من الخلافات وسوء الفهم وعلى تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين البلاد العربية ، فسيلا لتقوية الحركة ، ووصول إلى وحدة العمل ، وخلفاء الظروف الموضوعية اللازمة لكافة الوحدة العربية الشاملة .

ان اختلاف التكتل الإضاعية العالمية في البلاد العربية لا يسمح ان يعرض المصالح الحقيقية العربية المشتركة للخطر . ان اختلاف هذه النظم الإضاعية على المستوى العالمي لم يحل دون قيام الوفاق العالمي تحتها للمصالح المشتركة .

الأسراع في إقامة الوحدة

وفي المجال السياسي العربي يكون من الضروري العمل على تقوية جامعة الدول العربية ، وعلى تقوية دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، كما يكون من الضروري أيضا الأسراع بإقامة الوحدة بين مصر وأيبيا مع توفير الموامل الموضوعية اللازمة لفصلان لتجملها ، حتى تكون دولة الوحدة الجديدة دما لحركة الصير ، وثواة لدولة الوحدة الكبرى .

وفي المجال العربي ، يجب العمل على تجميع وتقديم الجبهة الشرقية ، كما يجب العمل على البحث من أسواق جديدة للسلاح ، وعلى إقامة صفقات لتسليح بمرس أموال عربية مشتركة ذلك ان المسئولية المشتركة من المصير المشترك تنصتزم العمل المشترك والصحية المشتركة .

الانتفاخ الاقتصادي

وفي المجال الاقتصادي العربي يتنثل السرد الطبيعي على سياسة الانتفاخ الاقتصادي العالمي في ضرورة الانتفاخ الاقتصادي العربي ، وهو ما يصطزم العمل على تقوية الملائكات الانتفاخية بين البلاد العربية ، وعلى إقامة التكتل

الانتفاخي العربي ووصول إلى إقامة الوحدة الاقتصادية العربية . رجاسة من طريق الإجراءات التالية :

١ - الأخذ بعذر من التخطيط الاقتصادي على مستوى العالم العربي ما يحتمل التكتل الاقتصادي ، وبما يحقق الانتفاء الذاتي للعالم العربي .

٢ - دعم السوق العربية المشتركة وتوسيع نطاقها .

٣ - التوسع في الملائكات التجارية بين البلاد العربية .

٤ - التوسع في التعاون الفني في مجال الإنتاج .

٥ - التوسع في التعاون المالي العربي .

٦ - إقامة مشروعات مشتركة ، وهنا يجب ان يؤكد في فوسح أن الترانزنا بالمخاطفة على المكاسب البترولية وتيسيل التطور الإشتراكي مستلزم ما بالهجرة الأولى الحافظة على سلامة الاقتصاد القومي وعلى انطلاقته في طريق التو .

٧ - التوسع في الفروع ، في عالم تسبيل عليه ظاهرة التكتل الاقتصادي وظاهرة الانتفاخ الاقتصادي ، ان فرس ساساتنا الاقتصادية ، بما يفرض حشد الإمكانات والطاقات العربية والإنتاج الاقتصادي على العالم ، وخاصة من طريق التوسع في الملائكات التجارية ومن طريق الاستئمان بمرس الأموال العربية والأجنبية ، وإقامة المصروفات المشتركة كما يجب ان تؤكد في فوسح أيضا ان الأهمية المحملة على الضباط العلم في تهيئة التنمية لا يمكن ان تبنى وجسود الطاع الفاسي ذلك ان له هو الأمر دوره الهام والفعال في خطة التنمية ، وهو ما يجعل له بالضرورة وبالمطلق حنا في الحاية التي تكتل له اداء هذا الدور ، والتي تصبح له ان يمد لشاطفه إلى الحدود التي يرسها له خطط التنمية .

ولكن وانما انه لم يمد من الممكن للرعاية الفكرية أو للضاربات الذهنية ان تعرض مسير الحركة ومستقبل البناء الجديد ولنية الجيش للخطر .

الحشد العسكري

ان مرحلة الواجبة الشاملة تستلزم بنا حشد كل إمكاناتنا الذاتية البذلة العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، وتنظيم الحافظة على الوحدة الوطنية ودعمها داخل إطار تحالف قوى الشعب العاملة ، وان يكون لكل مواطن دوره الإيجابي المحدد في معركة البناء ومعركة المصير . كما تستلزم حشد كل الإمكانات العربية الشفعية ، وحشد ثلابة ودعمها في كل الصعدا والتسويج المؤينة بالسلام والعمل والتقدم ، انها تستلزم المزيد من الطماء ومن الغذاء ، حتى يبلغ ميلنا الوطني الفهم غلبته بتحرير الأرض ، واسترداد الحق ، وتحقيق النصر ، وإقامة البناء الجديد .

القضايا المطروحة

أولاً - قضايا منطقة ماقدونية الأتاتية الحربية :

١ - توضيح الخط الفكري لثورة ٢٢ يوليو بما لا يدع مجالاً للتفسير أو التحريف، ويحدد دورنا الفكري بأعمالنا أحد الجواند الرئيسية لقوتنا الذاتية .
٢ - قضية بناء الإنسان الجديد بما يحفظ لنا هويتنا الخلقة والعينية والوطنية والقومية ويضمن لنا بناء الدولة المصرية .
٣ - دعم القدرة الاقتصادية المصرية من أجل الحركة والبناء الجديد ورمح مستوى المعيشة .

٤ - مع الإدارة العلمية في الجهاز الحكومي وفي القطاعات الاقتصادية وما يضمن الارتقاء بالتأدية العمل والقضاء على الوتين والفساد .
٥ - الانتعاش الاقتصادي على العلم العربي وعلى العلم الخارجي .

ثانياً - قضايا منطقة بنسجندة الإمكانات العربية :

١ - تنمية الجو العربي من جميع السيليك والتربك على أوجهيات العمل العربي المشترك والعمل من أجل أمة الوحدة العربية .
٢ - استخدام البترول العربي ورواس الأوال العربية بما يحقق مصالح الدول العربية الملائمة له وما يضمن معركة الخير ومصالح الأمة العربية .
٣ - مواجهة الأخطار التي تتعرض لها منطقة الخليج العربي .
٤ - إحياء وتفعيل الجبهة الشرقية .
٥ - تأييد الشعب الفلسطيني في كتحته العادل من أجل استعادة حقوقه السياسية والاقتصادية .
٦ - دعم جامعة الدول العربية ولتحاد الجمهوريات العربية واتخاذ الخطوات التي تؤدي إلى قيام الوحدة بين مصر وليبيا وتضمن نجاحها .

ثالثاً - قضايا منطقة بالستانة المصرية الخارجية :

١ - تحديد ملائكتنا مع جميع الدول على أسس من المصالح المشتركة ومن يوفق كل دولة من الدول العربية ومدى دعمها لجهودنا الرامية .
٢ - تنمية علاقات مصر بالشعوب الأفريقية سياسياً واقتصادياً وعلمياً .
٣ - دراسة اقتصاديات مصرية مساهمة عدم الاختيار في مرحلة الوثوق العالمي .
٤ - وصلة خاصة بين حيث خصص استثمارات العالم الثالث في مواجهة القوى الكبرى .
٥ - تصاندة الأمم المتحدة في جهودها من أجل أمة سلم حلال في الشرق الأوسط بتطبيق قراراتها ، وخاصة قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٢ لسنة ١٩٦٧ .
٥ - الانتعاش الاقتصادي على العلم من أجل دعم القدرة الاقتصادية المصرية .



خطوط الثورة العلمية والتكنولوجية العالمية وآثارها

وزيادة الروحي أمام التحول السكاني المتزايد ، وفي الثورة العلمية والتكنولوجية التي تفتح مصادر بكر من الخصائص الاقتصادية في التصنيع والطاقة .

إن دعوت الغدا والتحول في عالم التكنولوجيا والليزر تفتح مجالات جديدة بما توصلت إليه من حقائق وكشوفات مذهلة يمكن باستخدامها في كل مجالات الحياة اليومية ، إن تحدثت تغييراً حائلاً في حياة الإنسان .

إن الطوح نحو مزيد من التقدم التكنولوجي وفي مصنوعات الحياة مع التكنولوجيا السكاني العالي في البلاد النامية ويفرض أن يواجه التحدي الرابع الأخير من القرن العشرين هذا من القضايا الكبرى تتمثل في المعجز في مصادر الغذاء والتغذية بخطر الجماع ، وفي مصادر الطاقة ، وفي مصادر المياه العذبة خاصة في المناطق الناطقة وشبه الناطقة ، والمياه التي في البلاد النامية ، وكذلك في مصادر الخامات المعدنية في الصناعة ، علاوة على قضية زيادة طوثر البيئة . وهذه القضايا تتطلب من الثورة التكنولوجية والحضارية التصدي لها بكل الابتكارات .

إن المكتبة والآلية الكاملة (الأوتوماتية) أو شبه الكاملة المعتمدة

عوامل للتغيرات الدولية في اتجاه الوثائق بين التوتين الإنم مع في نفس الوقت تميز شكل الحياة بما فواده من طاقة نووية ونظر في نهاية القرن إن ليثل مصدر الطاقة الكهربائية ، وإن تصبح حائلاً هلياً في الميزان الدولي للوقود والطاقة لأن ٩٠ في المائة من الخيالات الدورية المكتشفة حالياً في البلاد المتقدمة . وإن هذا التفر من الخيالات الدولية يمثل ثلث الوقود النووي المطلوب حتى نهاية هذا القرن : الأمر الذي يترقب عليه مراع أكبر على البترول ، وصراع آخر لا يقل خطورة على مصطلح الوقود النووي ، وقام احتكارات دولية ضخمة في المرحلة الحالية ، مما يدعو الأمة العربية الذي يوجد في أراضيها الجزء الأكبر من احتياطي البترول في العالم إلى مضاعفة الجهد في استكشاف واستغلال مزيد من مواردها البترولية ، والوصول بقوة إلى عصر الذرة بكل أبعاده . في إنتاج القوى النووية والتصنيع الذي وما يتولى عليه من لائق بالنسبة لتحويل مياه البحر إلى مياه عذبة واستخدمات الإشعاع في توفير الغذاء وغيره من مجالات الصناعة والصحة .

إن دول العالم تصابق فيما بينها في بحث أصاق البهر والمصناعات لتصفيل مواردها المائية في اللزوة المسبكية والنيوتية . مما يبرز مؤيد من الغذاء

كان العلم العامل الرئيس وراء التقدم الإنساني منذ كان التصنيع ، وكان يملك القدرة على التكيف العلمي وتطبيق نتائجها سياسياً لأمة المجتمعات خادما وساموا .

وقد مكنت التطبيقات العلمية التصارات بأخرة في مجالات الانتعاش الصناعي والزراعي والصحة وبيئة الثورة العلمية والتكنولوجية في عصرها جوداً من الإعجاز في مجالات الغذاء والطباعة النووية والتكنولوجيا والنقل والمواصلات والسكان واستخدمات حائلة للموارد الطبيعية ويدلّل أكثر ثلوماً من مواد مخلقة صناعياً .

وما زالت هناك مجالات خفية لتحقيق إنجازات مماثلة في مجالات الطباعة الضمعية والحرارية الأرضية والرياح وأصاقل البحار وأعماق الأرض والليزر والزراعة الطبية في مياه بالحة أو رمل الصخر مع الاستخدام اللاتل للاموارد المائية ومجالات معالجة الأراضي وزراعة الإصماء والجراحة والتعلاج وحكم في البيئة وصحية الامن .

ولقد كان للعلوم وكشوفاته آثار هائلة على شكل المجتمع واقتصادياته ومن ثم ثقافته ومساكناته . إن العلم والتكنولوجيا الذرية بدأ لتتجه من أمثلة العمل نرست بقوة النوع الصلسم الذي ، ومن ثم كانت مبالاً حاسماً من

على التخليق في مجال التكنولوجيا تخلص من الانسان بما يعمل الى نصف الاسابيع كل يوم يقاومه مزيد من الوقت لراحة ١٠ والفراغ أو الترفيه .. في مجتمع موزيد في الاستهلاك كما ونوما وهدوء .. الى عالم واحد يعرف فيه كل رجل وامرأة ويصل بفضل وسائل المواصلات الحديثة كل ما يدور في بقاع الارض المختلفة ويعيش في نفس الوقت كل تقاضاته ومهاراته ويتصلح الى المجتمع بكل لدراته ومناهجه .. مجتمع تفل أو كاد شعوم به الفوارق بين الموصم الكبري والذن والانسفر ، بين العفر والزيف ، وبين الاجناس والشعوب جميعا .. وكل ذلك يفرض مواكبة العلوم الاجتماعية والانسانية للتحدي العلمي والتكنولوجي ، وفي اطار من التخطيط الشامل .

وفي ظل هذه الاجازات العلمية والتكنولوجية تبدو لنا حقائق العصر على اثير جانيه من الخطر .. نتكشف معنى انحرافات من ان التشنج العلمي والتكنولوجي اصبح يتشاعف بسرعة كل سنة اموام ، وان اكثر من ٩٧ في المئة من يتم في الدول المتقدمة ، وان وظيفة العلم لم تتطابق في وظائف الدول الاخرى ، وان واحدا من وظائفها الانسانية ، وان الانفاق عليه اصبح في مقدمة استخبارات الممل السام ، وان العامل الاساسي في تقدم المجتمع اتيا هو في تنظيم التعليم والتجديد والابتكار التكنولوجي كما تكشف من لمناظر دور اطرسيات شديدة الترميمات في البحث والتطوير بجانب تصادم دور الوحدات استنباطية والانتاجية على مستوى الدول والشعوب .

ان اختيارا تاريخيا هائلا يوقا قدامنا فترة زمنية لا تتعدى جيلا واحدا يتفاوت فيه شكل المدحج الانساني بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية من مجتمع ما قبل التصنيع بمجتمع في طور التصنيع ومجتمع صناعي لم مجتمع ما بعد التصنيع .. وهكذا صبح الهوة العلمية والتكنولوجية موة خطيرة بين شعرة الطبيعة التي يهني العمل على اللحاق بها بين التخلل (اذا لا يمكن تبويه .

والاختيار هو المصير .. ولا سبيل امامنا الا ان نقبل التحدي ونعيش عصر العلم والتكنولوجيا والادارة العلمية ، وتربية الحديثة .

ان العلم يزعم انه واحد من العلم في محط من تطلعه وعلينا ان نكسر هذا الزعم كاساس للتبوءة والتحدى المخمري على مدى الاجيال .

ان تحدي العصر يفرض القاء التفتيات الحديثة المستقرة التي تصمم الى اصدار املع الارارات على اساس من الحقائق العلمية .

ولا سبيل امامك كله الا ان يكون

ادرك القدرة الذاتية لتحول عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة .. ويسان يكون لدينا سياسة طوعية قومية مستقرة بعيدة المدى توائم تحديات العصر .

ان هدف السياسة العلمية القومية هو تنمية كل التشامح العلمي والتكنولوجي وتشجيعه وتوجيهه في خطة شاملة تحضم اداة الدولة المصرية الحديثة ، وخطةها للتنمية القومية وتكون جزءا لا يتجزأ منها مع الاخذ في الاعتبار نوعيات النظام الاقتصادي العلمي والدولي .

ان سياستنا العلمية القومية يجب ان ترتكز على الاعتبارات التالية ،

١ - زيادة الارتباط والعلاقة الوثيقة بين البحوث العلمية والتكنولوجية من ناحية ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية من ناحية اخرى ، وضمان قدرة التعليم على الربط بين التخلل العلمية والتطبيق .

٢ - ملاحقة التطور السريع للعلوم ، ومراعاة الطبيعة المتكاملة للبحث العلمي الحديث وربطها بالمتابعة وتطبيقه المعسوي مع العلوم الاجتماعية والانسانية .

٣ - المتطلبات البشرية والمالية للبحث العلمي والتربية التجريبية (بحوث تطوير) مما يستدعي ضرورة فصل الدولة بشكل اسعفي دعما للجهود العلمية .

٤ - الحدود الممكنة لهذه السوارد البشرية والمالية المخصصة للبحث والتطوير بما يدمو بالضرورة الى تصدب الاحداث والاولويات في اطار التكميم اعلى التزايد ، وفي ضوء الاحتياجات الوطنية الرئيسية .

٥ - الدور المتزايد للتعاون الدولي في مجال العلوم والتكنولوجيا ان اكدافيمية اسحت العنصر والتكنولوجيا ، مطالبة بان تضع القطر العربية السرة البعيدة والقريبة الى تصقق بها اهداف السياسة العلمية القومية ، وان تخطط لتنمية العلم في ملاحه المناسب ، وان تخطط ليكون العلم في خدمة التنمية لسي كل سنروعاتها .

ولقد لا نستطيع ان نخفل جميع المبادئ ينس للثقل ، ولكن علينا ان نشكر الاولويات .. ولا يجب ان نجالات الاختصاصات والعلوم والتكنولوجيا القوية والطاقة والذوا ، والوارد المانة ، البينة مستأخذ مكان المدارة فيها .

وعلينا ان نجميع مجالات علمنا العلمي الوطني ان نغطي الاممكية الاولى احتياجات معركة المصير .

اتقا في حاجة الى اعاده النظر في أسلوب مسيرنا انواع التكنولوجيا لتجديده بما تتلائم والمنطق الجديد الذي

تهدت اليه في الاماكن بالثورة التكنولوجية العالية .

ان المجتمع العلمي كله مطالب بان ذركنا مع الاكاديمية في التخطيط والتنسيق والتفويض ، كما ان اجهزة الدولة ثابا مطالبة بان تقدم هذا الجهد بكل محطيات النجاح ، وان تعمل على الادارة المتسري به .

ان سياسة الوثائق تعمل بالتعاون الوثيق بين القوى الاطعم في مجالات العلوم والتكنولوجيا الحديثة وتضيق بذلك اصابات حائلة الى تنمية الجهد العلمي لبشري فيما بينها ودموز ما هو موجود بالفعل من تعاون وتلزر المؤسسات متعددة القويات .

وان ذلك يلقي احياء مضاعفة على الغول التحدى والاقل نمو ويؤيد من مسؤول التنمية اامها .

واسبيل اامها الا ان نسمى هذه اسعفي ، وسيدو هذا الطريق .. لعمري الجهد الوطني والجهد العربي والجهد الازدي والجهد الاسوي دون قصد الى الاستقطاب ولكن بولغا للتعاون التكامل والانسدة وفون ان نقل التحديون الايل مع كل الجهود العالمية المتقدمة مكنين ان كل ذلك ان نقتنا اسعفي الوطني سيكون محور الجهد الكفع لتجاسيرنا على التعاون العلمي مع الدول والبعوث الدولية .

ان ثروتنا البشرية والعلمية والليبية على الارض المصرية والارض المصرية بالتمتية الرشيدة والادارة المصرية اسفدعة على العلم والتكنولوجيا ان تبلغ شعا عظيما ونوفد لامتنا بكانتها المرموقة في هذا العصر .. ان الوحدة العربية استنبلة في الاجل المناسب لتتقن هذا التقدم وملاحه الركب العالي .

وان اتصاع العمل العلمي على المستوى الاتمري والاسوي ، يزيد من مسك الدورية ، ويوفر مزيدا من الامكانيات الايل ، نذلك بان الحركة التفتيلية على المستوى العالي بكل ما تقدر عليه من افتاح وانتقال تحزر الجهد وتدمع .

ان نجاحنا في مواجهة التحدي ، سرحون بصادات ثورة لغرية وعلمية نتكنا من ان نتعامل مع العصر بلغة واسلوبه بعلمنا لتداعجه ، واسلوب العلم بولغا الى الخلق والابداع والتتبع بكل ادرات الخلق والابداع ان لن نتجاسر العقلي في اقامة دولة العلم والامان ، هو ان يصبح العلم والامان واعما حيا في حياة الشعب والدولة وان وفر كل المؤسسات والاجهزة المسؤولة على الدولة كل الدعم والشامح الملطين نقت الحركة العلمية وشكيتها بن اداه وصالحها في بناء الدولة المصرية على اساس العلم والتكنولوجيا الداعمين والامان .

والله ولي الفائق

المليحة

الادب والفن

ملحق

- ❑ الرافعة الانحياز في قصص معد كادي
- ❑ هادي .. والطائر المفرد في الظلام
- ❑ على مشارف فن الاحتجاج



من أعمال الفنان مصطفى عبد المعطى ...
أحدى اللوحات التى تعبر عن فن الاحتجاج

فى هذا المسدد :

- صفحات من أدب المقاومة الإسباني
- فدايى يكتب للمحرر القصصة الكاملة لعملية فرحان السعدى
- حوار مع المخرج السنغالى تداورى
- الواقعية الانحيازية فى قصص سعد مكاوى
- هاردي .. والطائر المفرد فى الظلام
- «قصيدة» صلوات القبر المخنوق

[أيلول ٧٠ - أيلول ٧٣]

.. في ١٩٧٠ ، قام ولد من بحري
« الطليعة » بزيارة الأردن ، قضى أياما
وسط المقاتلين شهد بنفسه قواصدهم
وناقشهم واستمع الى حوارهم وراهم
يتأهبون للقيام ببعض عملياتهم ..
بعدها ، بدأت أحداث ايلول الدامية .

وهذا العرض يكتبه فدائي آخر عدم نشر
اسمه ، نشره « الطليعة » في فكري
ايلول الحزين .

فدائي

يكتب للطليعة

القصة الكاملة

لعملية فرحان السعدى



حين بدأ السبارة في الانتحار مع الأرض التي تقع تحت سطح البحر تكاد تشعير بفتدان الصلصة مع كل من هم فوق سطحه .. خيط شعيرات «الخلقي» وصوت الخفاش إلى جانيه يتسككن واثنين خضراوين وسط نخل جرداء تبدو كستائيلية الملون حين جرداء المظهر حين آخر ، مع جوانب الطريق تزهو اكف الصغار بالدفء فطفا وهي تهتز تشوي نصيب سبارة الفتاتين تدر سبما لغمر فوق الطريق التي تروى كل خثرة فيها أكثر من قصة ، كمة بطنان تقطعان الطريق بالطمثان رائع ويهدهو السائق من سرعة السيارة .. ويهيمس الخفاش بجانيه : «ممع .. وديمة .. وأشار إلى زوج البط .. أم أريدك : حين تجرعيه الخططة للتسلس .. ويلتشد الأطفال مواقفهم إلى جانب الرجال في ترقب قاتل .. يمارس البط هوايته في قطع الشراخ .. منذ شهرين وقعت كتيبة على بعد عشرين ترلا من زوج البط .. وما هو لا يزال يدرج ..

— أحد الأقوة القادمين من أرض صعيدية يسأل : ذلك الشريط الأخضر ؟ يتعلم

القتال :

— أنه إبعاد الحياة الفعراء مع

الآتي .. خلف الظهر تبدو التلال طينة ونصعد اقتلر معها .. الخفاش ليصفيها الظل بلون رصاصي مقيض .. ونصعب النظر لتسليطه الأوجه الخضراء الفخفية التي تلهق أريحا .. والذكر على الفور القبي الواقع في قلب البنيان المحيطة بيدان الخينة .. في كل رحلة بين عين والفتس كان لابد أن استرعب على مفعد من مقاعد الخلفى المتأخرة هي الزهيد لارتشف على مقل كروب عصير الليمون .. واهل قطع الثلج المائية فيه والتوس الصغار فاعتين من المدارس .. ويظلل ظم شراب الكليون في نهي لآخر مع بسطتس بالي الصغار في شوارع القدس .. واتهم مغالبسا بن مبي في الصدارة ..

— الليون أريحا ماذقأ خاص وينتم الخفاش :
— الأرض طيبة ..
ويسأل نفس الأخ القادم من الأرض البعيدة :
— وذلك الجبسل ..
يرد الخفاش :
— جيل قرتل .. قبل شهر ضنا فيه معركة كبيرة .. عند قديميستي مخيم مين السلطان حيث ماخرسنا انسي سنوات تشرى .. مع ابتداء الأرض جنوبا يفرهم مخيم مخبة جبر .. أرض قبر أخرى لشيمنا .. بين

المقيم والآخر التي تقوم الآن ثلاثة مواقع للحدو ، وسيستنفذها هوجونا الكلية .. تله الصغراء ، الخفسي ، السوية .. توقف السائق السبارة تفر الخفاش منها .. كتيبة ساروسنا وراءه طويلا ، الأرض ميل ترائينام وصفا قاتل الخفاش التحية مع مقاتل آخر ، حذله هيسا لم استدار صلفا متنبها :

— أرجو أن اراكم آخر الليل .. الخفاش الجديد .. شهاب اسمر حليل الشارب ، أسنان لموديمدقائل ومعه بطانية غرشها على [البيضا] الاسنينة التي تعد ايام فرقة قطيعة وطلب أينا الجلوس وقال :

— لا شك انكم عطشى .. الجو حار هنا كما ترون نضع هنا شيئا جيدا سياتي به أحد الأقوة بعد قليل ..

— متى مستحرك ؟
— بعد المظي ، نحن هنا قريبون من القهر ..
ويسأل الأخ القادم من الأرض البعيدة :

— بلأا سيعيم صفيية الكلية باسم عميلة الشهيد فرحان السعدى ؟
كنت اود الاجابة لكن الخفاش قال بصوت خافت :

— صفييتا الكبيرة السالبة اسميها عيطية دير ياسين .. اقتنينا مستعمرة [الجبين] بالهولان ودمزنا نمرنون كلكم حكاية دير ياسين كانت مخيبة ولن ننساها بالفتكيد الشهيد فرحان السعدى استشهد قبل مخبة دير ياسين بكثير من اعد عشرعيا استشهد من أجل الا بليغ شيمنا في ديرياسين استشهد في ثورة ١٩٢٦ قبل السلاح وصعد إلى الجبال آخر معركة خاضها استخرج اسبوما حصل هذا بالمثل حوسر .. وقال بقاوم اسبوما نقتل ذخيره وسط اعياء صيذاك وقع في التراس وحركم .. وركم علبها لادام ونذا فيه العلكم في ريمان وهو صالته حدث كل هذا ولشيمنا من العير تسمن عابسا ..

كلت اريد ان اعقب على ما قاله الخفاش .. عاد بالشاي بعد قليل .. لفا صحت لم تكن مجرعه مسوى وشفات الشاي ليصل بعد قليل مقاتل آخر حيانا وم سرعة وهي الخفاش الاسير :

— انه شايط عملية الكلية .. مسالته :
— وانت ؟
— أنا ساستود احدى وحدات الانتحام .. هل لك سابق تجربة ؟

الارض وقوس السماء التي بدت في تلك الوقت بكثير من لون ونتم :
— دوما لصر ان اكون من شيمنا هجومه لخطوة الانتحام .. الخطر الشديد لا يعني شيئا أمام اللصقات التي تنبتكم لحظة الانتحام .. تحصي بالدم نارا تتلوى في عروقك .. فهذه رجفة لذة لا توصف .. تكرر الرجفة .. يرنخي الاصعب من زند الرشاشي قليلا .. تحصي بجسك يسبح متشبها في قلب عاصفة .. تسبع الاصوات لاول مرة من هولك .. يعود الاصعب ليفسط على زند الرشاشي لملكك الرجفة الاسطورية من جديد .. ونبت كل الاصوات من هولك .. وتحاول ان تثبت تذكك على الارض بلا جدوى .. الرجفة لذيدة وايد من املاكها الى الابد .. ويوت كل شيء .. ويكون كل شيء قد انهر .. ونستقر فديك فوق الأرض ..

كان الخفاش الاسير ينصب فرقا غريبا .. كان يعيش لحظة الانتحام بالفتس ..
بعد قليل بدأ الشباب يخرسون من بين الأشجار هاملين استعدييات ابحت في وجوههم عن الشيء الذي لاد .. كان يميزهم من غيرهم .. كانت وجوههم هائلة .. العيني يهيمس .. آخر يسأل .. وثالث يريت على مقل كلب صغير ينسحب بساقيه .. نهشت ونقبت منه وسالته :

— هل هو لك ؟

— عثرت عليه شالا منذ شهرين ونحن الآن صديقتان لا نخشع .. وهل تجد مضمعا من الوقت تزيينه ؟
— في الحياة مضع لكل شيء يا اخي ..

قالها وفتق الى الصبارة قفز الكلب خلفه وقفز دجالات المدفع الرشاش المسكم القناج وسط الصبارة ليستقر فوقه .. وبدأ جميع الشباب يبداهنه وايكسك من القادم من الأرض البعيدة بكثي وحسي مذهولا :

— انظر .. نظرت حيث اشار .. كان قادما تتلوى من وسطه اربع مقاتل بدوية ونوعة جفمه الرشاشي تكاد تلبس كته .. تذكرت على الفور اخي الصغير وهو يلبس البذلة المجرمة والرشاشي الزائف .. مر بجوارنا وحيانا وفتق الى قلب السبارة .. ويهيمس الأخ القادم من الأرض البعيدة :
— اريد ان اتحدث اليه .. يبدو .. يبدو .. لا اكاد اصبر ..

فكرتة .. كان مذهولا بالفعل ..
مصحته من دود وبقعنا من السيارة
وقت :

.. الا .. علوا .. هل نستطيع
ان نتحرك عليك ؟
.. اسمي هزام فارس
.. وعبرك ؟
.. ١٢ ساعة ..

ويتدخل احد المقاتلين :
.. انه بطل مجوعتنا انبسمت ..
ليدخل بمقاتل آخر :

.. بلانا ننسم .. انه بالفعل بطل
مجوعتنا .. اول من يدخل واخر من
يخرج غاضب ممنا ثلاث عمارك ونحن
جميعا نحترمه ونقدره .. وبحسب سبب
الغار السيرة منا ويضع الاخ القادم
من الارض المعبدة ويصرخ :

.. مهلا .. مهلا .. اريد ان اسأله
رست على كلمه وفهمست ..
.. عنيدا مدود .. سيكون لدينا

مضغ من الوقت وتلوسمت الاثلاث كانت
المنية قد اكثت كل اثر للتهار ..
وتعظم عنى بالصواء تاتى بن بعد
.. انها الصواء القدس .. وشمرت
بالصواء القادر مع جبال اربعا سكار
يعميني .. فركت عيني بلساهر يدى
.. كل ما تراه .. كل ما نحس به
.. ثبو اشياء غير قابلة للفهم ..
وشمرت بطرية قاطلة .. اريد ان اتحدث
.. ان اقول شيئا .. اى شيء ..
وسالت الاخ القادم من الارض المعبدة :

.. من اى شيء كنت تريد ان تسأل
الشيل ؟
قال بانحرفاب :

اى شيل تقصد ؟
.. ذاك الذى نقر برشائنه وقناله
الى السيارة :

.. لا .. لا .. لا .. انه ليس تساملا
.. لا يمكن ان يكون اى شيء .. لا
يمكن ان يعمل اى اسم .. انه
اعظم من كل هذه الاشياء
تتمت :

.. انه على اى حصال شيل ..
واضال شمعى كلام مثله ..

بدانا نقرب من اقشواء اربعا ...
وشمرنا بالفطر الحقيقي لأول مرة ..
ولفنا الصيت طلب اينا احد المقاتلين
ان ننظر نوحا ونحرك ليويج وراة نله
قريبه وهيس مقاتل آخر :

.. نحن الان على بعد امتار قليلة
من التهر .. وان يعود وقتنا الا بعد
ان يكونوا جميعا فوق ارض الوطن ..
سالت :

.. هل استطع ان اشعل قنابله ..
.. بالكلية ؟
.. جلى على الارض فجعلنا .. بعد

الكر من نصف ساعة هناك المقاتل
والكلب الذى اربناه مع الحماة يقتز
بين قديمه .. وهيس السائق :

.. سيقال الكلب ينظر هنا .. حتى
يعود الشيايب .. فى احدى المملبات
ناشر صلب الكلب وانظرنا طويلا
ثم غادرنا المنطقة بعد ان اعتقدنا انه

استشهد .. غشقا فى وضع الكلبين
السيارة .. فى القليلة التالية .. عاد
كلاهما .. كلنا فى اوج السعادة ..
اخذنا مكانا بطل على جزء كبير من
الارض التى مستشهد المركة بعد نكل
.. حضر شابط الميمات .. هينا

وجلسي .. وسالته ..
.. ما هى اهداف عيلة القيلة ؟
.. سنضرب اكثر من عشرة مواقع
هامة للعدو وهلى امتداد اربعين كيلو

مترا غربى القهر .. حشدنا من اجل
لذلك عددا كبيرا من ثوارنا .. اخبرنا
الكر الشيايب خيرة فى المساطق التى
سنضربها .. مع هذا الحشد وبمع
توفير عنصر القاطنة مستعطق الللة
نتائج جيدة ..



نورس غارب ساعته ، واستمعى
بقتالا هيس فى الة يشع كلمات
غادرنا بعدها .. وعاد الصيت بلنا

من جديد .. ويقول احد المقاتلين :
.. عند بدء المركة نزلون الى هذه
الضناق .. قد نتعرض الى تصفحصى

هذه الضناق تصيبك جيدا ..
فجأة انفجرت فى قلب العتبة كره
نار .. تحركت لاقتز فى الضنقل ..
ويشد شابط الميمات على ركبتى

ويتسول :
.. انما طلة توفير بظلتها الصدو
بين هين واخر لتفتيح المنطقة ..

صامت تملكنى رغبة قوية فى تخمين
لفافة .. كان احد المقاتلين قد هجا
الى ارضى الضنقل واشعل لفافته وبدأ

بندخيتها بجهود غربى .. ودحت لو
افعل مثله .. لكننى كنت اريد ان
امتلك لحظة بدء المركة .. وهستد

انقرس العتبة .. اشياء بلا اشكال

تتلوى فى قلب العتبة اماننا .. الاشياء
لا وجود لها الا فى عيوننا الشجيرات
الكنا اماننا تتسابق مع حسية القهر

الى ارتفاع بلا نهاية .. تقلوب رؤوسها
فى العتبة .. وتقل للملقات تبعث
عن رؤوس هذه الاشجار ثم تصعد
العين مع انفسها المرفوسة فى عتبة

.. تصدحها نال الفضة الغريبة
.. خلف هذه التلال يتحرك رجائنا
الآن .. ومهمم الشيل .. وتلكوت
الكلب على القور .. بهتت منه فلم

اجده ..

سالت :
.. اين الكلب ؟
قال احد المقاتلين :

.. انه الان فى مكان ما على التهر
.. يقرب ملنا لنبدا بداية المركة
.. عنيدا نبدا بيذا بالركبى مع ابعاد
التهر ولا يبدأ الا من يعود الشيايب ..

نفجرت العتبة .. عدة مصواريخ
انطلقت .. كان لها لون اهر يحرون
.. وتنبها مصواريخ اخرى .. وتنت

الاسهم القارية لتفتل كل العتبة على
ابتداء القهر .. ونزلوا الى الضناق
لكننا لا نجلى .. لا شعور بالفطر

اليلة .. ترى امامنا شيئا لا يصدق
.. تقاطع سبل الرصاص ينطلق من
رشاشاتهم الخفيفة ومن رشاشاتنا

العتبة .. وياكل صوت الرشاشات
الصغيرة من السداخل تنفسهم
ينبض عروق الرجال يسيل فارا مع كل

رصاصة .. ويدا بصفية العدو القليلة
فى نصف المنطقة وتشكل سيفونية
لا توصف .. ونحس بكل ما فى جولة

يقفز الى حلقك .. وتندد بلك الى
اسفل صدرك ليتخذ من لا شيء ..
ويهزك الانفعال للحظات .. تنسم

برقية فى الرقص .. وللملحة تنسم
برقية فى اطلاق صرخات مرحة ..
.. نبدأ نحصى بالمركة من حرك ..
وتلكون ان ثمة اشخاصا من حوك ..

تنظر اليهم .. عيونهم تنقرس ارضى
المركة .. وقعود بيبكى الى حية
الكر .. ونحس بصوت الاخ القادم

من الارض المعبدة وكأنه يانى من هالم
آخر ..

.. اننا خالى
يرد صوت :

.. حسدا .. لا خطر هنا
.. انتظروا الموضع الذى اتجه الشيل
اليه يتعرض لتصف شديد .. انتظروا

.. انتظروا .. سقطت بست قنابل
انصلمت القنطة بنار مفرد ..
وهيس صوت :

.. انها قبائل مسفوية .. نيران

— كم مبرك ؟
— ستة عشر سبعة اكبتها قبل شهر ونصف .
دفعت اليه بخافه .. وهيميجول رائح :
— شكرا .. لا اخش .
كانت البطانية قدانزلت من على كتفه لتستقر حول الارضى .. فترست لهم صدره الاسير .. اهتزاز لعن الشجرة يعترى الضوء من شباك الغرفة المجاورة فيرسم لظلل اوراق الشجر على صدره البرونزى فيبدو صدرا اسطوريا وهيمست :
— كم مرة قطعت النهر
— قطعت لليلة الباردة السابعة ..
— وهل هتقم لجأها الليلة ..
— يبدو ان خطنا كانت مصكسة .. شافنا المرقع بالرشاشات القوية .. بدأت برأى رشاشاته الثقيلة تزدجر .. ضربها الاخوان على الفور بتدائف [ا ر .. ب .. جى ٧] .. اقتضينا الموقع وطهرنا بالقتال المبروة حاولت مجتران القدم الى المرفع فالتفت تحت الاولى احد الفانوات فالتفت لورا ، وبدا العدو نى قصه القطة بالورنر والمذمبة الثقيلة .. مطمح ذلته كانت تسقط بمبدأ علنا .. قذيفة واحدة سقطت بجوار اهد الشباب .. لكنه نجا .

ويقطع العدت صوت الاخ القادم من الارضى البعيدة :
— لكك هو الشمل .. ارجو ان تستدنيه ..
وهيق الشبب لو الصدر الاسيسمر المسارى :

— يا هزام ...
كان قد استبدل بلايسه .. وبدا بفصلة الشعر الغريبة تسطلى نورا حاجبه الابن كظل هقيقى .. لكته بالتاكيد ليس طفلا .. وقف ايمانوايننا بصوت اجلى ان سيمعنا اياه وهيمست :
— ماوس اى هزام ..
وعلى الفور قال الاخ القادم من الارضى البعيدة :
— اسلذا التمنت بالثورة .. وانت بهذا السن .. ؟
وبنيات غريب يقول هزام :
— لاني جوانا :
ملت وجوهنا المدهشة للحظة :

— فقط لانك جومسان ...
— الا يكتفى ان تكون جوهنا اثنون .. هل انتظر حتى اموت جوما سم الور ..
— ولكن ما علاقة نورتمك بالجوع ..
— علاقة قوية .. هو اسم يسرى

ارتدت هذه القطعة الصغيرة من شين يادى .. لابد ان الذبى .. ان انتلع النهر .. ان واجه الموت .. ان اموت .. من اجل هذه الحفنة الصغيرة من طن يادى .. واهسى بفصه تسكاد تقج حلقى .. والدموع جبات جمر تتجرش من عيسى .. وينفع الاخ القادم من الارضى البعيدة لعائل الجسد الصغير .. ويغيب الجسد الصغير فى الصدر الكبير .. ويتعد الجسدان والقرس الاخ القادم من الارضى البعيدة كانت ملايسه قد امتلت تماها والطن بطفها .. لكن ثمة بقعة فى ملايسه كانت عذابة .. بقعة على شكل رشاشي الكلاشكوف الذى وصل الجسدين المتعاقبين .

وفترست اسفل الصدر بحثا عن اثر اقتبال البدوية .. لم يكن ثمة اثر .. لم فترست الجسد الصغير الطرى .. لم تكن هنالك قتال بدوية وعليت انه تركها هناك .. نشطاما ترزع الموت لسارى الارضى .. محركا .. سرنا



فى قلب العتية .. كانت اصوات الانفجارات لا تزال تدوى بعيدا ... وصننا الى حيث ننظر السحابة .. فخر الشباب الى قفها .. صنعنا حلفهم .. حضرنا اجسامنا وسط احاسلهم الجتية .. وعاد الكلب لينساق عجالت الخفع الرشاش الثقيل ليستقر فوق سواده اعلى جزء منه وتحركت السيارت قطعة اسواؤها جبروات غافلات الشباب .. واشعلت لقاعة وامتلكت راحة عجيبة

هذا هدير محرك السياره .. تنز الشبب من فوق جوانبها .. نتعاهم .. نوجهنا الى نفس القيمة التى كنا نجلس فيها الممر .. بدا الشبب تغيير ملايسهم .. وتوجهوا الى بركة ماء قريبة تمجيبها عنا شجرة كبيرة .. بعد لحظات طر ادهم .. كان عارى اصعدا تماها بلف جسده بناتيرمانية .. حيلنا وجلس .. وسسلاته على الفور

مدانهم الكثيفة توحى بانهم نى وضع سمير .. يبدو ان الشبب اذهبون الكثير .. ان .. لقد فاجتاهم بالفعل .. وهيمست صوت ضابط العمليات :
— .. لقد بضى على بدء الحركة ثرلة ارباع الساعة .. الخروفي ان عدد الوحدات بالمعدة الان .. نظرت الى الساعة بهلع .. غير مفعول هذا الذى يقوله ضابط العمليات .. فقلل فقط بخت على بدء الحركة .. بالتاكيد دقائق وهيمست بانفعال :
— .. لم نبقى الا دقائق على بدء الحركة .. دقائق فقط .
— وهيمست ضابط العمليات :
— بدأت الحركة فى الثانية والرابع والقطارب تشير الى التماسه الان .. يبدو انها جبريتك الاولى .. نى التجارب الاولى يقف المرء القسدة على تحديد الزين .. حسنا .. على ان اشرك الان الى مكان اخر .. خست الى الحركة .. لا زالت الانفجارات تترق العتية .. يلغوضه اصغر بهر .. وتفيض عنك .. ليترك على الفور صوت انفجار شمد .. وهيمست احد القتاتين :

— رالع .. رالع .. لقد بداوا فى استعمال صواريخ ارضى ارضى .. نى المادة لا يستعملونها الا فى ساعات الارتباك والياس .. علما يستعمل العدو هذه الصواريخ لا تسال للشباب حين يمدون بها فلعوه .. نى احدى الحركات وكنا قد ظهرنا للهف تماها وفى الوقت الذى بدأت كليات العدو تحاول حصارنا بدا العدو فى استعمال هذه الصواريخ .. الصواريخ الاول سقط على قلب احدى الجاه .. وغلا الصراخ وعامت باقى الكليات وصمدت اسلحة العدو وعندا بسالم .. وبانينا من اسفل الكليات حوام الكلب .. يصعد القلة كسهم حتى يصل الى حافة الخندق .. ويقع للذابة واحدة ثم يصير مع اخود صغير يسير مع صدر القلة لصل الى اول ماء النهر .. ويضع وجهه القاتلين بشرى وهيمسون بسعادة لا توصف :

— لقد عاد الشبب .. وتنحرك هويها على صدر القلة .. ونصل الى الماء .. على الضفة الاخرى تنحرك اجسام الرجال المخروسة والعتية ونتملك رغبة لا تقاوم لتقتل الى الماطس الى الشبب .. اكلمهم يداورن فى قطع النهر .. ولا نملك الا ان نعتاقهم .. ملايسهم بجثة بالماء شيا .. الضن يطوهم .. انه طين يادى .. وددت لو ايد اصعما .. لاجسه فى طين يادى .. مددت يدي .. ارتجف اصبعى .. عدت وسحبته .. اعلم انى اذا

الصهيانية الأرضي .. لا جعت .. ولدت في خيبة وكان يجب ان اولد في بيت في فلسطين .. لم تكني هذان فصحين وكلك الموت بينما يلدني بئس اجود انواع القبيح .. اهني الصغيرة ماتت مسجلة بينما تزكك والدتي ان قربتنا في فلسطين لم تكن سمح يبرسي اسميه السل .. وابي ماتت عيسا في الخيمة .. وسارت جنازته عبر صفوف لا نكاد نلتقي من الخيام بينما يقول عبي ان مقبرة قريضا نعم وسط غابة من اشجار الزيتون .. اما فكرت في كل هذا هذا .. لا تملك الا ان تنور ..

ابتعدت الى الاخ القادم من الارض العودة الى كنف الشغل .. لم تزلت مسح ظهري .. كنت اعلمسم انه لا نكاد نحس ان عزام انسان حقيقي .. وبذرت على العور ما فاته من الشغل مثل المرأة .. انه فس شيلا لا يمكن ان يكون اى شيء .. لا يمكن ان يحل اى اسم .. انه اعظم من كل هذه الاشياء ..

قدم القاتل الذي ارتفعنا في بداية الرحلة وقال :

— يبدو ان الامة طلبت اسكم هنسا ..

— اصطحبنا .. وسالت : الى اين ؟

— الى مكان اخر .. مستطافين شبيا اخرين قادمين من مواقع اخرى كانت اصوات التفجرات بوضعة لا تزال تدوي في المنطقة .. وبعدما وصلت السيارة الى طريق مكشوف بدأنا نرى من جديد الاجساد الارضية الذي شهد المعركة .. في موقع يقوم عند اخر نقطة امداد نستطيع ان نراها شيلا كانت طلقات الرشاشات الثقيلة تزلج اعمية ..

ونزل القاتل : — تأخر بعض الشبان في تلك المنطقة واستطاع العدو ان يحاصره وتحوّل الآن مك الحصار .. اضاعت منطقة المواجهة اكثر من ست طلقات تنوير .. ونزل القاتل :

— هذه عنايتهم .. بعد ان ننهي المعركة يتكرو من اطاعتها .. كما ان سيمودون خائنين .. الشبان عاكوا .. والمهاضرون بالتأكد سمودون .. مجموع من الشبان تتسلل الآن الى الخطوط الخفية للعدو لتفريسه من الخلف فيضطر الى سحب قواته ويمر الشبان ..

داهيني شعور بالقلق .. واخرجت

لقائنا لاشمها .. لكن القاتل عطش فاعتنيتها .. ونظرت الى الساعة .. كانت تقترب من العادية عشرة .. ووصلنا الى منطقة .. وجدنا فيها ضابط العمليات وعددا اخر من القاتلين .. كان القلق يشوب حركات بعضهم .. ضابط العمليات كان هادئا ..

نظر انا وقال :

— لا داعي للقلق .. انها ليست تجريئا الاولى .. كثيرا ما يحسلسر العدو شيئا .. فقم بمعرفة طريق العودة دائما ..

كما اننا نعيد في مثل هذه المواقف على معرفة العدو الجيدة لنا .. معرفتهم لنا تجعلهم يفسكون كثيرا لئلا ان يحكموا الطريق .. لحظات ويمسود الشبان ..

رفع هدوء الضابط ظل القاتل يلمتني .. وبدأ العدو يفضّل الحطّيات بالذراع الثقيلة ويهزم الضابط ..

سألا حري به رروا الاستحاب ..



بدأت اشوء الايات تتعاود كان صوت هدري محركها يصدا يوسوح .. لكفة الآن بدأ بالانحدار .. شعرت بالراحة بالرقم من ان قذات الصوت بدأت بالانسحاب من حولنا .. نزلنا الى الخنادق .. تركنا اثنان من القاتلين واتجهوا الى القرى القريبة ..

بعد نصف ساعة كان التساميطون بيتنا .. على بعد اقل وثق بعضني الشبان يقاتلون .. ادهم ان يوطب لقائنا هبط بها الى الخندق والشمها ثم صعد ومال نحو شاب سقط على الارض وغرسها بين شفاقه .. كان جريحا .. تنهيت باتجاهه في اللحظة التي بدأ الضابط فيها في رفعها ليرى انه بجاء السيارة .. فارتدت خائفة وجهه اليه .. كانت عيناه هائلتان .. بدأت اللقطة في فمه تهتز وكأنه يمشي طرفها .. هبني ضابط العمليات

— انه اللزم سويل اريس .. ارجو الا تكون اسلته خطرة .. اقام استشهد في صفونا قبل عام وجدنا سيارة الاسمائية منتظر .. ودرجت في الور .. ودعت ان اصعد انها ولتها تعجرت .. جالسا ننظر قدام باقي الشبان .. قال احد الذين وصلوا — طلب سويل انا ان تركه ونعود .. ارتفعه في ثلاث مراح .. كان دائما يطلا .. لكفة القيلة كيان شيئا اخر .. عندما اطلقنا اخر قذبة [آر بي جي 7] .. كنت ست كليت لا نزال تقترب .. طلب انا ان نعود .. كانت لديه قذبة بدوية طلب بالذات من قتال .. وبدأ يزهق في انجاء اول اله .. ارتفع بجسده قليلا .. وقاب القذبة .. وحاول ان يضرب لاذية لكفة سقط .. في نفس اللحظة بدأ الشبان في ضرب العدو من الخلف فبريت ابيه .. وهذا بسويل ..

شعرت بالانقياس .. كان القاتل يتحدث عن سويل وكأنه استشهد .. في اللقطات القليلة التي رايت فيها سويل والدم يسيل من فكه وجهه الليلي المفلكن لمعور قولى بان سويل ان يموت ..

شد الاخ القادم من الارض الميدة على رجلي اليسرى وهيس ..

— انها المرة الاولى التي ارى فيها دما شديدا .. انه لا زال شابا جسيما ..

— معكم شهدنا ببعون شاميا .. انه قدردنا ..

في طريق العودة الى ديان .. تورعت الشارع الطويل الذي تروى كل حفرة فيه اكثر من قصة كان زوج الط قد نام مع صبيته العنيفة .. وكان الصغر قد تدوا مع انتهاء المعركة ..

ومع الصباح وانا اضبط مع الترهات الجديدة في الكتب استوقفت صوت

— لقد استشهد بعد فني للمهاجر

— قلت بهلع ..

— من نقصد ..

— اللزم سويل اريس ..

نصمت اليهود مع الدرجات هز الدرجات كنت ارى يوشح شمسنا فمران السعدى واحيته البيضاء تنسج الحصان الياشبية التي ذهبي عودها سورا ..

والطائر المفرد في الظلام



هاردي

د عبد الوهاب المسيري

ولكن على الرغم من ذلك كان لهذه المقاطعة طابع خاص ترك لثأره المصيبة التي لا تمحى على وجدان شاعرنا ومخيلته ، فهذا كان عالم محمد الخalem والخليفة تشرب الشاخر روحه واستنوب ابعاده وعرف تلاله وانهاره وجباله وأحجاره وفلاحيه البسطاء باسمائهم النورمانية وجوهم الكفة ، وهو عالم احتفظ بجوهره شبه الأسطوري الذي لم يدخل عليه تغير كبير رغم تلويح العقب اللويحة وورث تعرضه شرته إلى غزو عالم الصناعة والتجارة ، وأثقل هذاقلت ويسكن بالنسبة لهاردي من الناحية الوجدانية كالمركز الثابت الذي يعد له الشاعر ، ويمكن القول أن العناصر الفكرية والاكتسار البدائية العميقة التي تتكرر في كتابات هاردي من تأكيد على الخلافات إلى إشارة لسلاباح والدراج إلى انقسام بالسفاسير والوحي ، يمكن ارجاعها إلى ثقافته ومكن ، بل إن بعض الكتاب يرى أن هاردي يشبه في بعض النواحي الكاتب الفرنسي دوفيه الذي ركز كل انقسامه على تصوير تقاليده الريف « روح المكان ».

هذا القانون على منع تقديم أي معونات للفراء طالباً لهم على كسبهم ، حتى أن ينشأ ما يسمى « ببيوت الضل » وهي أماكن تشبه اصلاحيات الأحداث يعمل فيها المعوزون ليقيموا أودهم . وهذه الاصلاحيات الجهنية هي المسئولة عن الصراع في اقتلاع الفلاحين من الريف لترسلهم إلى المدينة ليعملون كبروليتاريا لاجئون لهانتقاضي أجوراً تضمن لها حد الكفاف .

ولم تعلم بلدة فورست في مقاطعة ويسكن من التحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي شاهدها القرن التاسع عشر - فقد بدأت المقاطعة في فقدان طابعها الزراعي الهادئ ، وشيد أول خط حديد في فورست بدمولد هاردي وسبعة أعوام - وأخذت المصانع الكيكية تظهر الواحد تلو الآخر - وهي مصانع كانت تسودها ظروف إنتاجية لا يمكن أن توصف إلا بأنها غير انسانية تعمل فيها بروليتاريا تعاني أشد أنواع الالال والفقر ، وقد شاعده هاردي بنفسه أثناء إحدى زعماته الخلوية جثة طفل قضى ضحية عن الجوع .

كان لوماس هاردي زرعياً هنيئاً هانت أمه التي كوخهم الريفي في الليلة يوم حار فوجدته فارقة في سيات مبيق وقد تكوم فوق صدره جثمان ضالماً في هدوء وسكينة ، وصورة الطفل البريء الذي ينم في حضنه جثمان خبير تغيير عن حياة وأعمال لوماس هاردي القصاص والشاعر الإنجليزي .

ولد هاردي عام ١٨٤٠ أي بعد عشرة أعوام من تاريخ نشر المصمعة الأولى لقصائد تبسون الشعرية بها فيها من حزن ونحيب وأساس بالنهاية ، ومات عام ١٩٢٨ أي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ، ويعد أن لكت عنى البقية الباقية من أمال رومانتيكية كانت لا تزال تتلجج في بعض القلوب .

والحقبة التاريخية التي تعالج معها هاردي كانت تتسم بالقسوة انبعاثاً للظلم الاجتماعي ، فقد شاعده بأعنه أعدام رجلين في الأيدان العام ومساعدة تنفيذ أحكام الأعدام كانت تمت حتى ذلك الوقت نوعاً من التسليية العامة . وكانت اللغة الشديدة ترك انماها في كليمكان خاصة بعد أن بدأ « قانون الفقراء » لعام ١٨٣٤ يأتي بشارة المنيعة ، فقصص

وقد كُتِبَ هاردي الكثير من الأدبيات
ومن المدارس التي التحق بها في
السنتين الأولى من حياته ، إلا أن
أهم مراحل تعليمه هي الفترة
التي قضتها تحت السبرين في مكتب
البنس جون هكنس ، وفي هذه الأدبيات
تعلم اليونانية واللاتينية ووجد في كتابه
الشعر وشاعره كثيرا من الفصحيات
والعبارات الموسيقية ، كما حصل عددا
من المناقشات الدينية والفلسفية في
جامعة لندن .

وقد كُتِبَ دراسة هاردي للكهنوسة
المباركة من أجابته بائنة المجلد
للملحمة ، ومع أنه أصبح مهتما
به وقلبه وجد أن حصل على
جائزة المعهد الملكي عام ١٨٦٦ (١٩)
لأنه صرف جلا اهتمامه للكتابة الأدبية
وكانت يحرص على كتابة القصص ولكنه كان
يتصور أنه شاعر بالدرجة الأولى .
يكتب القصص ليحصل على موز يومه
وحسب ، وفي عام ١٨٨٨ ظهرت أولى
مجموعاته الشعرية ، كما ظهرت قصيدته
الشعبية « الحكيم » بين عامي
١٩٠٢-١٩٠٤ .

موت الرومانتيكية

ويمكننا أن نرى في شعر هاردي بداية
التحول العقائدي من الرومانسيات
الرومانتيكية إلى المسيحية الحديثة .
فرغم أنه من الممكن ملاحظة بدايات هذا
التحول في أسلوب براونيل (الذي تأثر
هاردي بشعره) وفي رؤية أدوله ، إلا
أنه من الممكن أن نقرر بأنه من
الاستثنائ أن كليهما مكثا داخل حدود
الأخبار الغنائية الرومانتيكية بأبواقها
الفرية وصورة المصروسة . وأن
تدومها إلى الآن الأدبية الرومانتيكية
لا يشكل قطيعة كاملة معها وبقي هذه
الخلق على العكس من هذا نجد أن
هاردي قد دخل إلى عدد كبير من هذه
الأيامات والصور الرومانتيكية وأحس
بخطأ اتباعت فيه فلسفته ونسكس
الاشعارات رؤيته وتمازلاته التي لا نهاية
لها ، وإذا كان الشاعر الرومانتيكي
متشدا بطلانيه أما برؤياه وبمقدرته على
إعادة خلق الطبيعة (كما هو الحال مع
ورد زووث ويليك) أو رؤيته للعمم
الطبيعي الذي رأى (كما هو الحال مع
أرنولد) ، فإن هاردي لم يبتسئ إلى هذا
الخلق الأدبي ، فحضره أبدا ما يكون
عن الانشاد ، رغم أنه كثيرا ما يطلق
على قصائده اصطلاح « أغنية »
وهو كثيرا ما ينسج كلمات متعددة أروعيت
كلمات قديمة غير متوافقة أو يستخدم
الانفعال كاسماء والأسماء كاعمال أو
كأفرو كمانتيكيته اللغوية فيها تديم

وتأثير الألفاظ التي هي أن أسلوبه
أيضا ما يكون من السلامة والمسؤولية .
رغم قدام هاردي بكل هذه التجارب اللغوية
حتى يتعدى عما ساء هو ، بيت الشعر
المرجع ، الذي يتكرر التثنية شعر
كثير في مرحلته الأولى ويشعر تيسون
وبعض الشعراء الكلتوريين .

وفي شعر هاردي للمثل الرومانتيكية يظهر
بشكلين في رفضه للثقافة الرومانتيكية ،
فرغم أن الشاعر الرومانتيكي كان يرى
أنه يخلق وحيدا وجهه لوجه مع الطبيعة
والمعاصر الإنساني . إلا أنه كان يؤمن
بأنه شغاف مود في نهاية الأمر لصحات
برؤياه النفسية الجديدة ، فالطبيعة والحياة
أصلاهما بالحياتية ، فالطبيعة والحياة
قد تكونان أشياء يعطها المفوض . إلا
أنها في نهاية الأمر مفاهيم بها معنى
ومعنى الساني . بل إن الطبيعة في
نظامها وجمالها ونفسها في هي إلا
انكسار لعقل الإنسان في نظامه وجمال
وخصوبته ، ولذلك كانت الرؤية
الرومانتيكية رؤية متصالية
قروصنتالية ، مثالية تؤمن بمقدرة
الإنسان على تحطيق واقع رغم كل ما قد
يشعر به من احزان وما قد يصب به من
كلمات ومزاج . أما هاردي فإنه حينما
نظر إلى الطبيعة فإنه لم يجد سوى
ميكانيكية لاغلافية بلهفاتها داروينية
كثيرة لاهل الأنواع ، وبدا من الجمال
والانساق رأى هاردي التماس والصراع
والكراهية والفر .

الصدفة العمياء

وقد جاز هاردي قراءه وناديه من
محاولة استخلاص الفلسفة متكاملة من
شعره ، فهو لم يقدم في أماله سوى
ميكانيكية مؤقتة ، على حد قوله ،
وهو محق في كثير من هذا إذ لنا مجاللا
نوضح به أي شاعر ، مهما بلغ من
الطغاف والتجريد ، أن يقدم متخفيا
نفسيا متناسقا . ولكن على الرغم من
ذلك ثمة عدد من الأفكار التي أثرة التي
جولفاند أثيرتير إليها نرى أن جرحها
من ساقها الفني ، أو حتى قد يخلق له
جديدا بشكل فانتازيكي ومزجتها ويمكن
للقارئ أن يلم بأطراف رؤية الشاعر
ككل . ومن أهم الأفكار والأصلاجات
التي تتكرر في شعر هاردي فكرة
« الصدفة العمياء » ، فالحكم . حسب
نصروه ، تحكمه قوة غير راعية بذاتها
وهي قوة لا تتخلق أو تدمر عن قصد بل
تعمل ما تعمل دون خطة أو غاية أو
هدف . والطبيعة الرقيقة في هي إلا
تعبير عن هذه الغفوش والحياتية
للإنسانية التي صنعتها الرؤية العلمية .

ويؤكد هذه الفوضى وعدم الاتساق
الكثيري ظهر الوحي الإنساني عن طريق
الخطا . فالإنسان هو الخلق الوحيد
الواهي بنفسه ، وهو لهذا السبب
أيضا المتعلق الوحيد الذي يتألم به أن
كل تجربة إنسانية حسب هذا التصور
أبد وأن تسبب الألم والتلحز . وكما
أزددنا وعيا ومساوية كذا ، ازدادت
مواجنا وتعمقت الألفا .

وفي قصيدة « الصبر » يعطينا
الشاعر صورة واضحة عن احساسه
بحياة العالم والطبيعة :

لو أن لها منتقما نادى على
من عل

وضحك في السماء قائلا :
أيها التقي البائس !
تفعلين أن تفتني فتفككتي
وأن ضيعا حبه هو أزدمار
ضميبي .

للمحلمت أنن الحسي وأطيقست
السماسي وألقت حضي
يشد من لزي أهداساسي
بأنني لا أستحق النقص الذي
أجني ثمرته .

ملاقي بعض الراحة هي أن
من هو أقوى بني ،
قد شاء وقدر أن اسكب كل
هذه الدموع ،
لكن الأمر ليس كذلك لم سقط
الفرح أفن ذبيها ؟
ولم لا تزدهر أحلى الأمسال
التي ينبرها ؟

الصدفة الغفلة تسد طرق
الكسبي والقهر ،

والزمن الذي يقبسي بالثروة
يرسل بعد كل فرحة آفة ،
فهذه القوى المصيرية العمياء
نشرت

حول طريق رحلتني البركات
والأحزان دون تمييز ،

إن العالم الذي نجش فيه لا يميزه
على ولا أرادة فهو يشترك بوحنا متساوي
اتجاه ، ولعل صورة الزمن المتماثل الذي
لعب بالقرن تدبر أحسن تدبر من عملة
هذا العالم ، ولكن هاردي لا يخلص من
كل هذا الضرورة الغير من الوحي ، بل
يراجه الشر الذي يأخذ صورة اللامعقول
سواجه شجاعة ، إذ أنه شر محلي لا
مناس لنا من تنبئه ، ويمكننا القول أن جلتها
من عملة تدبر هاردي يعود إلى تنبئه
البطولي لتجاوز الوضع الإنساني .

أحاديية العيث

ولكن حطرره هذه الفلسفة العيثية أنها تؤدي بالشاعر إلى طريق محدود على المستويين الفلسفي والجمالي - فهي - شأنها شأن الفلسفة العيثية - قلقة أحادية تصلي بديالكتيك التسلسل الذي يؤمن بمقدرة الإنسان على تخلي واقع وعلى تلطيف الكون عن طريق إدراكه وتغييره بشكل لبردي أو جماعي . إن وجود الوصي الانساني في الكون هو ما يفتن عليه معنى ، فإذا ما تنسب هذا الوصي من العالم تساووت كل الأشياء وتعددت وتفرقت ولقدت علاقتها بالأشياء الأخرى ، فلكرة العلاقة بين الأشياء تقتضي وجود معنى ما . وبعد أدنى من النظام الذي يكتشف ويفرضه الإنسان إلى أن واحد .

وبما زاد من أحادية هاردي أنه آمن برؤية التشككة أيضا أصمي دون أي تحلل أو اسائل ، في أنه رغم أن معتوقه نسبي متشكك إلا أن خمسية وتشككة يالحدان شكلا دوجماتيا حجبته في نهاية الأمر الواقع الحي . ومن هذه الناحية لا يخلط شك هاردي من تصيب غلغلي ، وسكس ، البسطاء للمسمية أو من فئال الوجودية التشكورية للكمال بفحصوس مصير الحتمية الراسبالي الصنامي .

وعلى المستوى الجمالي ، كان لهذه الأحادية أثر سوء للغاية على قسم هاردي ، تصلي بديالكتيك التسلسل في الواقع تصلي لكل الامكانيات المماهوية بل والمهاوية للموقف الانساني ، فالحاضر العيثي الاحادي يجابه كل موقف انساني مؤودا بإقبال جاهر جاد لاصلاحه ، أن لا حول لنا ولا قوة في مجابهة القدر ، وفكرة القدر - كما نعلم - تشكك عناصر اساسيا في التصور انساني لحياتنا من سرفلكس إلى يريخت ، فهي فكرة تعبر من جانب أصل في الواقع الفئالي وهي استجابتنا له وتوافقنا معه ، فنحن معها بل نحن نتم على واجباتنا ليرتدنا . إن تقن انماض مصيرنا وبيئتنا بشكل كامل ، والانسان الفرد يجله اختيارات يومية أخلاقية فريدة لا يمكن الحكمة السنوية وكمي التجارب مساعدته فيها . كما أن كل اختيار ، مهما كانت حكت وصوابه ، هو في نهاية الامر اختيار متساوي ، إذ أنه عادة ما يلقي البديل الأخرى الطروحة مما يجعل الانسان أمير لاختياره . وبما يجعل هذا الاختيار أيضا قدره المحتوم . ولتضرب مثلا في هذا الوضع المتساوي من حرجية ماكنك ، فالساحرات الثلاث يمسحن لكثرة القدر بالعنصر الذي تكتنزه ، فمن يفرين ماكنك أنه سيصبح ملكا مما يعني أنه من المكتوب عليه أن

يقتل ابنه همه وشيئه وولي ثمنته الملك تكان ، ولكن الساحرات على الرغم من ذلك لا يدمسن ماكنك من ارتكاب الجريمة ، فهو يلق رحيلا المنظر تلو الآخر ليهتار ويقرر . مارادة حرة واعية ، وحينما يفتك جرمه فانه حرة ذلك في حرية كاملة . ولكن لثمة الاشياء تستعبده وتحواله إلى سباح لا قلب له يفرض في سباح الدم دون أن يؤثر له حزن . لأن ماكنك اختار مصيره المحتوم - أن صبح الكتنير - نهد . يكتبس ايصادا بطولية مأساوية ، فعية ارادة السطل مكون أصملي لشخصيته ، بدونها يتحول إلى مخلوق . مكنائكي ليس له أية ملامح انسانية .

ومعظم الشخصيات والواقف الشئ تواتر في قصائد هاردي المصنونة ، سفرية المواقف ، من هذا النوع الأخير ، فهي مواقف مسالحة في ميكانيكيتها تبين أنكل الاملاخاع وأن السعادة البشرية زائلة زائلة . ونظرا لأن لهورى الموقف لا ينبع من السياق الأدبي الحي وإنما يفرض عليه من الخارج فإن هذه القصائد هي اشبه بانواع الريلية القصصية ، وقصيدة «امام قبر خالتيها» تقدم لنا موقفا سائجا من هذا النوع : تغير الغاة حبيبا أن خالتيها لفرط ثقتها فيها كانت كفر صدف ستة طيمات في الاميصو لتضرب لها بها شاهدا لفرها وتعترف له انها لم تباد رصيه خالتيها بعد ، وتضيف مدلة انها لا تزال عاقدة العزم على كنة صادق في نيتها . ولكن حينما يقترح عليها الصبي أن يتلقا المالديويا على سرهما تومر الغاة بالإيجاب في سلبية واضحة .

وتظهر أحادية هاردي كذلك في معالجت لتفاصيل العديدة في قصائده فهي معالجة تعطي القارئ الانحساس بأن الشاعر قد رفض اللغة المجازية كلية ران الاشياء الواقعية بالتصلي له هي وسداه هذه الحقيقة ، ولذلك تظل معظم هذه التفاسيل مجرد اشياء عاجزة مستوردة من عالم الواقع دون أن تباد سبيلها أو تشكيلها .

وقصائد هاردي الاحادية تتكرر من اضداد بسيطة مثل صور النور واللبس نقاب صور الظلام والحر . والانسان الواعي العظيم مقابل للسدة الممياء غير المكترة ، ولكن روايته الشعرية لا تقع في قبضة هذه الاضداد البسيطة وتتصلخ عن دائرتها ، وقصيدة «لأنا ينظر» رغم أنها مفعمة بالحزن إلا أنها تذكرنا بقصائد ورد زورث في أحصاس العميق بالتناسق والتسجاس ، فهي قصيدة حزينة مائة ، بل وفرحة في الوقت ذاته .

أطلت على نجمة من السماء وقالت «ها نحن نقف أنا وانت ، كل في مكانه ماذا تلوي أن تفعل ماذا تلوي أن تفعل؟؟ أجبت : «على قدر معرفتي سأنظر وأدع الزمان يمر إلى أن يصل وقت تغبري» . «هذا وحسب»

قالت النجمة «هذا ما أتويه بلى هذا ما أتويه» .

في القصيدة السابقة يتربط الشاعر من الواقع مسحا برؤيته من ، انصفه الممياء ، ليصف كل التفاصيل في سرعة واتقان والبهين وسفرة المواقف ، ليجعل في الوضعة الاخلاقية ، وإنما نجده في حالة متوه وفي مزاج سيبيريل وضعه الماساوي في العالم دون أن توي خطية السابعة دون أن يتفلسف في لف حرة ، بل يمكننا القول ان الشاعر يعجز بالطبيعة العيثية ركانها تنهدا ويصل إلى السلام الذي ينشده دون تلكف أو قس .

وهي قصيدة ، فيرة شلي ، يتحدث الشاعر عن عصر الظلمات إلى عصره ، الشاعر الرومانتيكي في انشودته ، القصيدة في واقع الأمر تحث من صير الرومانتيكية والاشاء الرومانتيكية ، الذي لم يقد له الاستمرار والحياة ، ولكن مرة أخرى لم يكتف الشاعر بتقرير عادية الموت وكانه يجد شيئا من البهجة في تسجيلا ، بل يحول حزنه ذلك إلى وسيلة لتسلسل ، وتدا «أصيدة بهذه الأدب» .

في بقعة ما في هذه الحقول نرى حفنة من التراب لاتراها عين ولا تزعاما يد تحرسها عيون الإمبراض المكشوفة الغائلة

انها تراب التربة التي هزناوتها لب شللي فاضح كالذي يلبس ثوباته ومنهما الخلود في أغنيته ولكيها بسفت وكانها دكة مسخرة من الريح والحطام ، وأصبحت جزءا من كرم طين ، وهكذا ما كان سائجا مقلنا نشدنا هبط وسط في عالم داروين الماحيات الذي لا تزودر فيه قبه أو مثاليات .

ولا يستسلم هاردي في انصيدة لحنه بل يحاول أن يستد شيئا من القوة والفردية من تامله في موت التربة ،

ولذلك ينادي على الحيات 'ليذهبن ويذهبن من نراهنا ليضعنه في تابوت برصير بحمسه والذهب والجواهر' في سكرس هذا القرب للابدية .

الطائر المغرد في الظلام

ومن أشهر قصائده هاردي 'التي لا تسلمنا لا في الاجابية الصغيرة ولا في الزوايا احياء' القصيدة المعروفة ، الطائر المغرد في الظلام ؛

حينما استنحت الى بسوايه الايكه

كان الصميع رماديا كالشمع وبقياء الشتاء تكسوها بالكلية عين النهار الواهنة .
بدت سيقان النباتات المتسقة خطوطا في السماء
كاوتار فيشاره محطمة
بينما اخذ كل القاطنين على مقربة
في السعي الى دفء منازلهم
فلامح الارض الواضحة بدت وكنتها

جنان القرن المتمد

اما قبره فقد ظله الغمام ،
والريح كانت انشودة
رثائه .

البض الذي يسرى منذ القدم

في البذرة والجيلاد يصف

وكل روح تسعى فوق الارض

فترت فيها الحياة مثلي .
وبفته تصاعد من بين

الافسان التكمية فوق راسي صوت طائر الدج

بانسودة نابعة من القلب
تغنى بالفرح الدفاق ؛

طائر من هزيل تخيف ضئيل تصصف بريشه الانواء

الا انه اترى ان يطلق روحه فوق الظلام الزاحف

على وجه الارض عن قرب او بعد

لم يك هناك ما يدعو للانساد بصوت مله الفشمسوه حتى

اننى ظننت ان شيا ملاه ملاه

ينفض في رياح ليله الطيبة اهل مبارك يعرفه هو ولا ادري انا كنهه .

نشرت هذه القصيدة لأول مرة في ٢٦ ديسمبر ١٨٩٩ تحت عنوان - بجوار عيون القرن الحضي - ويبدو انها مؤلفة الشاعر للقرن التاسع عشر او مجرد تعليقه عليه . وزمن القصيدة هو اللحظة التي تقرب فيها الشمس في اخر ايام القرن ، وهي لحظة وداع ونفاسية ؛ نهاية اليوم ونهاية القرن ونهاية حقبة تاريخية صاخبة انجزت ما انجزت ، ودمرت وخربت ما شاعت من التسخير والتخريب . ورغم اهمية المناسبة الا اننا نلاحظ بان القصيدة تتركز حول حرارة او حماس ، فالشاعر قد صور نفسه مكتئا بشكل روثيني على الهواية والفا غير منتظر رؤى عظيمة او حقائق سرمدية تهب عليه بقة من السماء ، وهذه الليرة الفاترة تصري في القصيدة من الفاتحة حتى خاتمتها .

وحينما ينظر الشاعر الى الطبيعة فانه لا يردد تفاصيل مجردة ، وانما تجد على طريقة روزبريث يدع النظر يتكلم على لسانه مجسدا احزانه ومرواحه - فالنظر لا لشعراء ولا لسلال ولا لوان فيه ، ان انة منظر رمادي كالشمع كتيب كالرث عزف فيه فيشاره محطمة ، بل يهجو ان للنظر قد اصعب هو الموت يعنه ولذلك تسمى على مظاهر الحياة ان لا تنصحب منه .

وصور المقطوعتين الاولى والثانية تدل على الرث ، فوشمان القرن محمق ، والغمام قد ظل قبره والريح انشودة رثائه ، واذا كنا قد لاحظنا في المقطوعة الاولى عرب الناس من هذا للكان ، فالتا تعرف من الشاعر في المقطوعة الثانية ان نبض الحياة ذاته نيل وجف . وحركة الصور في هاتين المقطوعتين (وفي بقية القصيدة) تصمد لنا بدة حركة فكر الشاعر ، كما يتجسنا من الصور ذاتها اهتمام هاردي بالذن التشكيكية فهو يجيد استخدام الخلال والالوان (في المقطوعة الاولى) ويجيد تجسيم النظر حتى نراه وكأنه صليت امانا (خاصة في المقطوعة الثانية) .

ولكننا لو تعمنا الصور في المقطوعة الاولى للاحظنا ان شمة بقايا حياة وحركة كان عنصر الحياة الاخذ في الذل ويحاول رغم كل شيء ان يؤكد نفسه ، وبفته يتصاعد صوت طائر الدج فتعبرنا للفضة ويتلانا هم التصديق ويستعيد هذا الصوت الى ذاكتنا بليل كتم المصداق

واقرة خالي الحلقه . ولكن اذا كان الابليل والبقرة يتعزلان في قصصهم الشاعرين الرومانتيكيين الذين ليعلى الخالق والمفرد على قهر الزمن ، فان طائر هاردي ضمن التسفير على قايما داخل وشبه خاضعا لتقلبات الزمان وعواصله ، لا تتحده أية حالات من القداسة ولا تتعبر أية اثار صوفية .

وعلى الرغم من ان هاردي يكتب وهليل طائران مخلصان طليان الا ان كلا من الشاعرين يظل قصاصيه جده للحاق بطائر ونشيط الهوانتي قصله عن مثله الاعلى . فان هاردي يمثلنا انطباعا واحدا انه ليس على يفته ان يحاول الوصول الى طائرته رغم انه طائر لا يجيد التحليل او الشعر الصوفي .

لا ينكر هاردي ان اشراره في هذه الحياة التقلية لو في هذا الابل الداهي . التيق ، ولكنه مع ذلك لا ينكر وجودها ، فالبطش لا يزال ساليا في الفائر للقره المجوز ، بل ان الشاعر ليعترف بأنه لا يشترك في هذه الحياة القصيرة هي في الرتبة وهو بهذا لا يسمي الحرف لظرا لعدم تمكنه من الوصول الى معرفة فنيانية خصوص هذا الشو ، لما هو بالكثر للحياة ولا هو بالخطي بها ، وانما يظفر اليها في عهده ويقرر يذكرنا بالبيت الاتي .

ولهذه البذرة النسبية هي ما يتشد القصيدة من المساقط في العينية والفرية وهي بمثابة كيانا بان القصيدة تقدرنا تجربة حقيقية ليس فيها تيسير حقائق او فلسفي ، فالشاعر القصبي الذي يؤكد الشيء ولا يتجاهل قصيه هو شاعر في نهاية الامر قائم على مواجهة كل عناصر التجربة الانسانية بما فيها من حرية وقصر ، ولكن هذه البذرة ذاتها تنبها الى ان الرومانتيكية بدأت تتأرجح سكرات الموت ، فقصائد روزبريث وكيس وهليل كانت تتاج ذوقه مؤثرة صاعدة بمقدرة الانسان على اعادة صياغة الواقع وعلى اختراق سطحه للوصول الى جوهره ، ولذلك تجد ان الشعر الرومانتيكي في عصره القصبي ، عصر ثورة البورجوازية ، كان شعرا ايجابيا رغم تساؤلاته ، تصري فينبهنا قوتين الايمان بالحياة ومن التقليل بالمستقل .

وهاردي كما نرى يلق بين عاتين ، او اخر الرومانتيكيين واول التسفير الحشطن اي انه شاعر و انتقالي ، تختلط في شعره الاماليب والصبور والذرات وربما كان هذه عوالمه في انه ظل شاعرا من الدرجة الثانية يعبر عن الحساسية الحديثة دون ازجده البطلوب الامثل للتعبير عنها .



الواقعية

الانحيازية

في قصص سعد كاوى القصيرة

د. سيد حامد الشناج

طالب « لينين » الكتاب جيمعان يتخفوا موقفنا انحيازيا ليكونوا اشتراكيين حقا ، وأن يحتضنوا قضية البروليتاريا أو الطبقة المنتجة ، وبالا ينمزلوا عن الأغلبية الشعبية الساحقة التي تتجاوز عشرات الملايين ، وأن يكون انحيازهم المذهبي اليها جهارا : وأن يوقفوا مواهبهم على خدمتها . ومن ثم رأينا كتابا واقعيين ينحازون في قصصهم على النحو الذى حددده لهم « لينين » . ولقى مصر اسنان الحرب العالمة الثانية وبمدها ، ظهر عدد كبير من كتاب القصة القصيرة الذين تمثلوا أولا الفكر الماركسى ، فكانوا أكثر انحيازاً له ودعوة الى تطبيقه فى مجتمعا . ثم تمثلوا القسوال « لينين » و « انجلز » و « بليخانوف » ، فى الفن والادب الماركسيا او الملتزم الذى يحتوى « معنى ثورى الجوهر » ويصصور صراع القوتين : الجديدة التي تنمو ، والقديمة التي تتعرض للموت ولم آمنوا ايمانا قويا بضرورة انحيازهم للطبقات الأكثر عسدا والاطول حرمانا ، وهي الطبقات التي ينتمون اليها بحكم النشأة او المصلحة العقلية ، او الإيمان بالتغيير الجذرى لمصالح العاملين الكادحين .

وكان ظهور الانحياز على هذه الشاكلة امرا طبيعيا وحتميا في مجتمعنا اذناك اذا نظرنا الى الظروف والعوامل المحيطة به عاليا راسي حركة المجتمع ذاتها والدعوات والافتكار الجديدة ، وبلانها للدارس للنفس الواقعية الانحيازية . وبلانها من كتابها من كانوا ينتمون الى الطبقة الوسطى الصغيرة ، ومنهم من كانوا لينة ميل او فلاحين ، ومنهم من كانوا صالا فلاحا ، وجدير بالذكر انه كان هناك التحام قوي بين أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة ، طبقة العمال والفلاحين ، ولـ ، من لاحتدام جميعا خرجت الطليعة الثورية للعمال والفلاحين ، تلك التي قادت المظاهرات والاضرابات واعلنت المطلب الاجتماعي والامكان الشورية والاشتراكية ، وتثبتت صعيدا عن التفتحات في سبيل ذلك كله ، فالطليعة الثورية الالته هذه خرجت من بيبي صفوف العمال والفلاحين والطبقة الوسطى الصغيرة المنتهية ، ذلك ان أبناء الطبقة الوسطى المنتهية كانت مصحهم تنظم في الكلاص من اجل استمر ، اذ ردى شبيه فلاح العمال والفلاحين ، ويضعون القانون الغرض والخلد باسمه لقوة صلهم ، ويعارضون في نفس الصفوة التي يعاني منها العمال والفلاحين ، بل ان معاناتهم تنفذ صورة اخرى من العمال والفلاحين لان وجههم بالحقا والاصل نتيجة ما احرزوه من ثلثة وعلم [٢١]

تشكيلات سياسية متعددة

في هذه الطبقة تكونت تشكيلات سياسية متعددة : بعضها كوس الحاص اليساري في الوقت ، وبعضها اشترك في تكوين تنظيمات مناهضة كمبر السناء ، ثم الحزب الاشتراكي ثم الاخوان المسلمين ، واخرون شكلوا التيار اليساري الشيوعي في مختلف التشكيلات كالخزب الديمقراطي لتحرير وادي النيل وحزب الاشتراكيين المسلمين ، الخ . وفي مجال الابحاث انشغلت تركيا الى الان بامسألة بكل عاميها ومباسبها ، والتفقدون في تطبيقها ، ثم انشغلوا الدعاة الى الواقعية الانحيازية والواقعية الاشتراكية كما نطوعا من الابد الروس والصيني لهما بعد ، ولما لم يكن مجتمعنا له انتهى الى الواقع من تدفق الاشتراكية العلمية حتى ذلك الحين ، فلما تغلبت سيطرة النهج الذي اتمه هؤلاء في كتاباتهم ، والاسباب الذي التزموه في

تصميم القصيرة شامسة ، الواقعية الانحيازية ، فهم يتحاربون او يتحاربون تكريا رسيبيا وطبقيا ، وهم انحيازيون بواقعة مصر ، وهم انحيازيون بغير الحقيقة المسروقة الواقعية الكهيرة والاشتراكية ، وهم انحيازيون للسلطة العادلة بصفة عامة والليبرليتياريا بصفة خاصة . فان من نشأ منهم في ، ملاحيه كميده الرجعمن الشرفاوي وسعد مكايي وغيرهما انحاء الى الفلاحين يوم نشأ في بيته ععالية انصار الى البرولساري مثل محمد مدني . وهكذا تجد ان انصارهم والاضح في تصميمهم القصيرة ، وانهم وضعوا حسب اعينهم كتيبة النقاد اليساريون الواقعيون في مصر وما خلفه اعلام الواقعية الاشتراكية في روسيا والصين ، معتقدين الى الماركسية نيل جدا وذاك .

وفي ميدان الفصيلة القصيرة تجد ذلك ممثلا في الفصائل التي كتيبت الجيل الاول من الواقعيين الانحيازيين امثال : سعد مكايي ، وعبد الرحمن الشرفاوي واحمد رشدي صالح ، وفي الدالتي وانصار عالجور وزكريا انحيازي ، وكذلك في القصص التي كتيبت : لطفي الخولي وابراهيم عبد الحميد ، وحيد عباس صالح ومحمدة مدني ومحمدة يسري احمد وصالح حافظ والفريد نرج وعاروق منيب وعبد الله الطنجي وعبد السميع عبد الله ومحمود دياب واحمد بوح . وفي نشأت وغيرهم ممن يمثلون الجيل الثاني ، هؤلاء فسي مجموعهم انتموا للقصة القصيرة صعيدا وفيما يصعب على الدارس او الناقذ الوقوف عند كل ما خلطوه او حتى الوقوف عند كل منهم على حدة ، اذا فلما سوف خذف من بيبي ما يساعد على توضيح ملامح الواقعية الانحيازية ، خاصة ، وان من كتاب الجيل التالي من مدات حدة انجازهم وخفت في محاولة منه ليس للبعد عن الانحياز بل ولتجاوز الواقعية .

انحياز واضح

ويبرز اسم « سعد مكايي » في مقدمة من كتيبو القصة القصيرة وكانوا يحبرون بها عن معتقدتهم ويظهرون من خلالها انجازهم الواضح . هذا الانحياز الذي اقره في مقالاته وكتابات ابداء من مقال « مصر والسياسة الصناعية » [٧] الذي يبدو فيه مقارنا الى حد كبير بآراء كارل ماركس وبالات في كتابه (راس المال) ، اذ يتحدث عن مصادر القوى

والانتاج وطور مراحلها والصلكات التجارية راس المال الاترازي وتدخل الدولة لحد من المنافسة والاحتكار الاستغلال ، وحسبي قسمة (التشتيتيون) [٢] التي تستفيد خرب لخاصة الانتهازية التي تهدد أمن التخطيط الشراء وواهم ومستقبلهم . عا ان كتاباته تدل على انهن ثابت النفس والجاهيز ويظهرون ان يمثل لرد حياة جديدة المجمع ، وبأن على الكاتب ان يعمل من نفسه جزءا صالحا من موك الحياة الزاخر ، لنستنجى في وسمة لجعل الحياة مع الناس اطيب واللائقة ، والحياة التي يحياها مسعد ارباب ، واننى الى الصلابة والراحة جانبها المزاي ، والثاني على عبور هذا البحر عريان : فريق تشغل من الصبر المزي ، فهو لا يتأبط ، ولي حياها بانته يرى نفسه ، فهو ما على في فعله ناعل بطل نفسه ، وفريق لوفى الجرة على تطعيم بعض هذه المزاي ، فصاروا نوافذ متطلع من خلالها ان يرى الصلالم الخارج ويصنع لنفسه مسالما جديدة مولدت لانتاج لي ان تكون رجلا حقا ما لم تطعم بعض هذه المزاي ولجعل منها نوافذ تطل على العالم الربح ، فان اهتمام المره بقلهم نفسه لا يجب ان يسيل الى حد تركيز الاهتمام بحيث يصيح اشتقالا دائما بالنفس (٤)

والامية والمفكرين في نظره يجب ان يكونوا اموع الناس الى تعليم المزاي ، والا تشغلهم التفسير وواهم من بحث الصلكات التي يضح بها عزمهم ، لهم القادرون على ان يقسموا للمجتمع الاتصالي ما يخلد حدة شكلته والامة واراجعه ، وهم صوت الحق والخير ودعوة المثل الاملي ، وهم الذين يؤمنون من تركب الصعارة خمسة النجس ، ويرفعون منه راس الآخرة ، ويؤيدون منه عصية الاتانية ، ويقولون فيه سلطان الذي يعطى الاستبداد الاستغلال ، لذة فان ملهم (ان يبطوا - فطاما عن صفة الصعارة - الى شوارع الحياة » « ان صير الجنس البشري ينشغل كاتهم ، لمن يتركون النظر الى امور هذا العالم اللق الرشي التسود ، ومن غيرهم يرمم للناس سبل الحياة الحرة والحق العمل والخير الرحيم ، من يهدى الناس الى الحق والبر والصلال ، ومن يهينهم الى الحرية [٥] »

[١] انظر مقال احمد عباس صالح : « الحقيقة الجديدة والقوة الاشتراكية » - مجلة الكاتب العدد ٣٦ مارس ١٩٦٤ -

ص ٧ .

[٢] « الفجر الجديد » العدد الاول - ١٦ مايو ١٩٤٥ - ص ٨ ، ص ٩ .

[٣] « الجمهورية » العدد ٢٥٤٧ - ١٤/١٢ - ١٩٦٠ - ص ١٠ .

[٤] « المصري » العدد ٣٦٤٥ - ١٩٤٧/٩ - ص ١٠ .

[٥] « المصري » العدد ٤٤٨٨ - ١٩٥٠/٨/١٢ - ص ٨٢ .

رسالة الاديب والفكر

هناك اذن رسالة وصلها الفكر والاديب ويلتزم بها كلاهما من اجل الحياة والانس ومستقبل البشرية . وهذه الرسالة هي القسم : موج الامام ، والفرد المجلد وان تصف هذه الرسالة الا اننا قام الاديب والفكر والمثقف بالثور العقلي الزائد عن الحياة (اذا عرض الاديب مرهته الحقيقية غلته لا يعود غير لدية) فيه بها ، فالاديب الحي هو الاديب الذي يتكلم لغة عصره ، ويحترق بعميق ويكتب اماله وآلامه ، ويقود مملكته ونفسها ويضخم حقائق عصره واحتياجاته ، ويعمل مهمه بناء الرجال وهندسة الحياة) [٦] ولعمد مكاوي مقالات كثيرة يلصق فيها من رايه واتجاه الفكر وعصبه للاديب الواقعي الانحياز . ولعل اسبابه القوي في هذا المجال ينضج اكثر لو عرفنا انه حينما كان يشر على تحرير السلسلة الادبية جريدة (المصري) فتح الباب على مراحله للكتاب والفنك الميسرين كي يعمروا من آرائهم والفكرهم وينشروا قصصهم القصيرة . وكانت صفحة الاديب صفحة يومية كاملة ، تملئ بنشر النقد الواقعي الانحياز ، والتصميم القصيرة الشعبية ، والمآلات والخرافات ، واعتمدت يتقدم الكتاب المخلصين والكتب المشهورة غالبا . وعلى هذه السلسلة قرأنا لعمود امين العالم وعبد الصمد النيس ومحمود عبد المقيم مراد وحسن الزايد وعبد الرحمن الشراوي ، وربما يكون لكش بولايه [الارض] ابتداء من العدد ٥٥٠ الصادر في ٢٩ يناير ١٩٥٣ على هذه السلسلة مغزى كبير .

ويؤكد لنا ذلك سمع مكاوي كاتب واقعي انتميا اذا ما دبرنا ان عبد الرحمن الشراوي يصرح بان سمع مكاوي هو والده الحقيقي الذي قاد خطاه الى هذا الاتجاه ، ولانه في روايته وتصميم القصيرة وسرعان ما الشعرية كان يصير على يد سمع مكاوي . (قلت سمع مكاوي في هذه حياته تثيرا مثيرا بالاستاذ منذ مكاوي وتاثير به جدا جدا ، وكنت انشر على نسخة وهو الذي قادني الى تلخيص جوجوكي ومايكوفسكي) [٧] . وقد ساعد على هذا الالتقاء بين الكاتبين لكرما وعقلانية واني . انما نشأ في بيئة ريفية واحدة وفي قرية (الدلاون) محافظة المنوفية ، وعاشا في ظل ظروف اجتماعية

اقتصادية وميادية مشتركة ، وانتميا الى التنظيمات اليسارية التي طالت بالثورة وتصميم التقيم والشرب يمتد على ايدي الرجعيين والانتهازيين . الراساليين والاطشاعيين ، وانتصرت لخصم العامل الكادح . وينتشر هذه الشبهة وتلك الظروف لو اننا امعنا النظر في قصص كل منهما . فلنستدرك اني كتب عنها عبد الرحمن الشراوي في (الارض) هي نصيبا للمعالج التي سورها سمع مكاوي في قصصه القصيرة ، التي تدور حول الريف والقرية المصرية والقصص فستبها مجسومة (الما ، العكر) .

القضية الاجتماعية

وسعد مكاوي في قصصه القصيرة مهم بالقضية الاجتماعية في الريف والبنية على حد سواء ، وان كان الريف والقرية والتلاح في مجتمعا المصري يعطي بؤس من شه وفكر ، وهو أمر طبيعي والقي من انه للاح عولود في منطق القرية . وهو في تعرضه للمعاناة انما يريد ان يكشف الريف الموجود بها ، والبيروقراطية القسي تتحكم فيها ، والصرعات الطبقيية التي تحتل في جنتها . ولم يكن ابدا مصعبا والبيروقراطية والطبقة الحاكمة ، وانما كان دائم التيق وانهمارهم . ولقد صورته لهم في قصة (الفيف) التي نشرها في ١٩٤٩ : الاطشاعى المستغل في الراسالي الجشع ، الكاتب المزيغ ، الفيلسوف المتفل ، الوصولي عبد الشريفة ، السيدات البيروقراطيات ، برنيلتهن وقد وقعا جميعا في لومة يد لن قاموا في الصمداء وضلوا السبيل ، واصبحوا يتأخرون للقاء الموت أصبحوا لهما أمام نفهم ، لم يجد كل منهم بدا من الاعتراضات ثامة وجشعه واستغلاله وثقافته يظهروا للجماعين ، كل بوسياته ومن فوق سلطته وعمله ، ومن خلال اعتراضاتهم ابتهالهم ، تلجح نقد الكاتب وخبرجه لقوى التي تتعرض للموت والفتاة ، يدريته لسواها كما تنزع الى صورة المجتمع الجديد الذي يتصوره يمد القضاء على هذه الطبقة . وهو يتنذر الى الطبقة التي يجب ان يتقدم عليها الفعلي في قوى القيادة . ونجده في دلائله للاستراتيجية والبيروقراطية لا يرمز ولا يتخفى وراء سستار ، وانمسا يتهدس ذلك بصور (وكانوا حتى اجتمعوا صورة

موجزة دقيقة للمجتمع المصري كما امتاز خلقه في آخر الزمان بذلية النضال الاجتماعي . وكل ادواتهم من سيارات ودينام وفرش وعلم وخراب تشير الى ان حرج الحياة الاجتماعية في علمهم هو ما يزعمه أو كنوع من المال . . . لقد وضعت عيوبية المال في فوائهم الاسترطابية اعلة تترك ولتها بالقرع من يربها تاسية د ترجم ، وباطشحة لا تين (٨) .

والكتاب لا يندفع ويرجع الا يندفع قراؤه سا تدور هذه الطبقة وتسير انها تريد ان تنقذ للفلاحين والعمال ولحق الشعب الكادح ، نال كل ما يصر عنها خداع يزيه ويامل الاباطين . فلعمدا انزل كل بهم واعرف بلغائهم وودع يعمل الخير وتحقيق العدالة واعطاء الفلاحين او العمال حقوقهم ، لم يصدق الكتاب وانما راي ان نجاحهم مؤلفة والا سبيل الا في تاتي يد قوية في لحظة مثيرة لتلق ابواب الحقيقة وتفضي على هذه الحقيقة الشائعة : (ايها الحقيقة السعيدة في اعماق بيتهمو البعيد نسي طين الصمداء ، ضاني طوباء ، ولا يبرحي بشواك دهر) فليس هذا زسلك . . . والسود تجدين من يوتلك تنما تدق ساعته [٩] . فالاشراكية ان تتحقق على ايدي هؤلاء ان هم ابعد الناس من التهم يلك ، وكشاهم وانظاهم وشمارهم التي يتكشون بها جفاه صعلكية ، لما ان احدوا الى طريقهم حتى عاد كل منهم الى سيرة كانه لم يقل شيئا او كان شيئا لم يكن .

مجتمع المدينة

وبيرة الازدحام من الارشاع والحياة والناس تطل دائما وهو يصور مجتمع المدينة : (وبدي لي كل شيء حولي في الحياة والناس يخللا وحصاد مشيهم ، ارباء الناس وارشاع المجتمع . . حدود القيم وتواليات البشر . . جوية الهاء وسخوة المال . . وفيك الدنيا على قيد الجسد [١٠]) . والظرة ان لنا فرد فيها من قبل ساكني المدينة ان كل فرد فيها مشغول بنفسه لا يهتم بالآخرين وانما القرية باعداها الهائلة ، ويحياتها التي سارت فيها العمل الجماعي والتكاتف في النادرة على ان تحدث تغييرا بها يتعلم في اعقابها من موالد الانحياز والثورة .

وهنا يمكن الانحياز الحقيقي لللاح

[٦] « الشعب » العدد ٦٣٦ - ١٩٥٨/٢/٨ - ص ٨٠ .

[٧] من حديثه متى يوم الأحد ١٩٦٧/٢/١٢ .

[٨] « المصري » العدد ٤١٥١ - ١٩٤٩/٥/٧ - ص ١٢ .

[٩] « المصري » العدد ٤١٥٥ - ١٩٤٩/٥/١٢ - ص ٨٢ .

[١٠] « المصري » العدد ٥٥٩٥ - ١٩٥٠/٩/١٠ - ص ١٢ قصة (القضية من باب الشهوية)

المصري ومن انتحار لم يبلغ من العاشرة الفطيلة والاحتكاك الصانق الطبيعي ، والدراسة المتسلسلة لطبيعة الحياة والعلاقات والسلوك والتقسيم إلى الربيع والصيف ، لمثل الرغبة من أن تصد مكافئ شارك في الكتابة من « الحديقة » فإنه لا يمكن مغلغلا لأن من الفطاعات أو الحقائق الموجودة بها ، لأنه يشعر أنه أولا وقبل كل شيء « فلاح » وطره هذه الفسفة بضرورة الانتحار إلى أهله من الربيع لا في قريته فحسب ولكن على مستوى الربيع المصري كله « لأن المشكلات التي يمس منها دين قريته وماتى منها الفلاحون والمزارعون بالتميز عنها وتصوير حياتها ، كان يندم على التردد الدائم متى تربه والاتصال المستمر بأهله والروبيين ، للتحرف إلى خديامهم الحبة والسلم والحاسيسهم وهذا هو الذي يهتلك كثيرا في قصصه القصيرة التي تدور حول الربيع بغلاصى ميقيل لتفصيل القصيرة والبصاة فيها ، لا تختلف برومانتي حاتم بيه من ذلك النوع ، ولكن يوهي اجتماعي ، يهدف لمسح هذه البصايات المعروفة إلى التخلص مما في فيه من انزاع واحدة وواقع مصر .

(المارد) • هذان الكاتبان البنساريان : انحازوا إلى القبليةهما جعلاً سعد مكافئ يهتج هو الآخر لأرضه وخرابه وقريته بملاحها المائل .

يشافله إلى العاملين الساسيين ن صورة الربيع الحقيقية كانت قد زينتها النصص القصيرة الرومانسية التي كتبها أدباء لم يعيشوا في الربيع أصلا ولم يتعاطوا لا حكم نضائهم ولا بدائع من عينيهم مع مشكلات أهله والفصايات الحقيقية فيه . كما أن الكتابة عن الربيع كانت تعطي الفرصة للتأمل الهادئ في الطبيعة ، والتعمير الصانق عن أحاسيسه ومشاعره غير المسطحة ، ولتسليح الطريق قليلا أمام شغافتيه بآثار مناهير الفرصة لشاعرية عبد الرحمن الشرقاوي ، ولتأمل واقعيها بالجمود والتصور والالية ، وأيا تجعل الواقع متصفا . خاصة وأن الربيع حتى تلك الفترة كان يمثل في نفس القارئ العام الطبيعة الجميلة والهدوء والاستقرار والجمال الإلهي الذي صنعته يد القدر . فأراد سعد مكافئ وعبد الرحمن الشرقاوي من بعده ألا يحزما القارئ . من بقايا هذا الحساس ، وذلك التسلل .

الدلائل : منبع هذا الإنتاج

وقد ظل سعد مكافئ ، يكتب قصصه القصيرة الواقعة التاريخية دون الإشارة إلى المنبع الحقيقي الذي كان ينهل منه ، إلى أن صرح بذلك في تقديمه لقصته (الدلائل) وهو اسم قريته وموطنه الذي تنحرف إليه نأسيه ويستند منه موضوعات وشخصيات قصصه : (الدلائل قسرية صغيرة من قرى المنية تصفى وادمية على منحدر شوبن ، كما تحبب الكثير من فكريات طفولتي وحسبي . . هي نيا وأريخ ، وهي واقع حي بموصل ينسب وكثير وحسبي . . والباقي مجال الأدهاء . يهوى الكثير مما كتبت ، فهي صاحبة « فاريوت ريموا » القصص » وعلى يد « تيبين » كبر العقلاء » و « الماء العكر » و « مبرج حمار » و « حكمة الجنوز » (الزفاف) و « فضيحة الشيخ عمر » و « الشاطئ » ، و « مسر » مشاهير الشيخ عبد الصمد » و « أوبر » أسسة » و « طربو القدر » وغيرها . وإلى الكثير من هذه القصص كتبت أدعواها « كثر المطال » قبل أن أرى أن من حقها . وقد اعتنى كل هذا القارئ أن لا أسموها الميزيز صيرته هي أن يعيش [١٦] قريته هي صاحبة هذا الإنتاج الذي أتممته من والقها الحال الوصول بدمه وتكره وحياته ووجداته .

هذا الواقع الذي كان بالنسبة له أول معلم علمه أن للحياة في قريته الدافعة وصورها المتخولة ألف درجة ولكنها في حقيقها جوهر واحد يعيش فيه الكل .

وفي [الدلائل] أو في القصيرة المصرية التي انتحار لها قصص سعد مكافئ مسجد قوى الثورة الكاشفة ، وسجد « الجامعة » تصعب للقضاء على الجميع ، وسجد الثورة . على القديم وكل ما بنت فيه . حتى ولو كان ما يدخل الصراع البشري ، وهو يشتد وينصف بين الملك و « الفلاح » الأجسر ، والجدد الذي يهزم « القديم » وانتصار الكاتب له .

وإذا كان الرومانسيون في قصصهم القصيرة قد أهتوا بالفرد ، في القريته وأثروا تصوير أساليبهم وواقعته وبرسوخه للكل ، فإن الواقعيين الانحازيين سيروا « الجامعة » فيمن المستحيلة الذاتية . قصة (الماء العكر) هي ثورة الجامعة النيرة من أعيان الدلائل ، على « خديت » ملكات « العمل » المستقل ، وهي بركة حيرة يبلع مساهمتها أربعة أضعاف بليئة بالأسلاك . منذ حين « الجامعة » كتلة واحدة واسوتلت على استمساك الموجودة بالبركة وتسلبت بتهويهم بالناشواي من كل من اشرك في عملية استفرار السمك ، إذ لم يقد من أداء عمل ما في البركة « سوى » الأرض والحجرة والصغار ورجال الغفر أو من صير من هؤلاء جميعا على البقاء . والجامعة ثارت لأنها تحبب أن السمكة ثورة شيعية ليست حكرا لملك الدلائل لا يستعملها ولا يحمل الأثرين من الحرومين يستعملونها بعد معرف أن « البركة » ملهية بالسمك ، لكسب بصيص أمل « الدلائل » والمعلمين . من هذه الثورة الطبيعية التي هي حق لهم جميعا . لقد كانت هذه البركة في الجبل جزء من مجرى النهر لم تثير الجري ويثبت تلك المساهمة من الماء في أرضي « الملك » فدمد بها ما قدم وشبهه لثأره الجامعة ، ولم يبق لها سوى هذه الألفاظ الريبة ، وقد حصر فيها مالا خصي من أنواع السمك . وكان مساهمها وتسلطها الفاضلي وسمازها وسكسها وحلهاها وملكها الريا . نيا نمتا بفرحا أن لا تفرح لغلة « الملك » و « سمر » ، نقل أن كان على الناس ب « بوزر » سيد شيء من سمك المعيار الذي تغير لونه

ومما ساعد أيضا على انحياز سعد مكافئ لطيفة الفلاحين وحدايا سعد قصصه القصيرة « تأثيره يكتسب من كتاب القصة الصينية : أحدهم الكاتب الصيني (تشو تشين) وهو كاتب ملاح كتب كثيرا عن الفلاحين . علم نفسه بنفسه لأن فاقة أهله الفلاحين البؤساء هلته حرامه إلى تعليمه دراسه من أو سنة له في المدرسة . وعندما تضررت يادته في القلم [فوثان] ١٩١٩ صار أستاذ اللغة الصينية في إحدى مدارسها . وقصصه التي كتبها من الفلاحين الواقعية إلى أبعاد الحدود ، لأنه كان يعيش بينهم ويكتب معهم ولهم . وقد ترجم له سعد مكافئ قصة (نيس هذا هو الطريق) ١٩١٩ أما الكاتب الصيني فهو (تشو تشين) أو أولاد لأن فلاح فقير ، فباعه أبوه وهو طفل ، إلى أحد أقطاعيين الأرض ، وكان ماله هذه حرامه البئر ، وكان يعيش حياة أسوأ من حياة البؤساء . وفي ١٩٢١ جنبه بأساقفة يونس شيش (الكرومونتاج) وفي نفس العام هزمت ثرائه من جيش التحرير الصيني ، الذي انضم إليه بعد ذلك (تشو تشين) أو : إلى جيش التحرير تعلم الثورة وبدأ يكتب ، ولم يكن حتى ذلك الحين يعرف الثورة . الكاتب . ومن قصصه المشهورة (أطفال الذي بيع لأحد جنود) و (الكلب يعود إلى الكتاب) و (صلاح

وطعه لتلوي انحصاره في الماء الرافك القليل ٠٠ أما في تلك الليلة فقد كثبت البركة نظرا لبهين . وكان السيد موفيرا مسيورا ، [١٢] - وذلك ان الفلاحين في حركة جماعية واقعية حققوا هدفهم - فالبركة أصلا ليست ملكا للرب وحى مستقلة ، وإلا فهي رافك - والسك تظهر لونه ، والطفلة أصبحت موحدة ، فلا حركة ولا حياة ولا جماعة .

ويشير الكاتب إشارة خفية إلى ان الثورة على الاقطاع والاستغلال كائنة في نصوص أهل الريف وأنها تنتظر دالينا الفرصة لتتعلق ، وذلك في قوله وهو يصف حالة الفلاحين أثناء اصطفادهم للسك من البركة : في انشور الشهاب كان الماء رافكا ممتعا والحيون تفرخ بريق فاس ، كانوا استيقظت في أعماق الصائدين غيرة قديمة مرث عليها الايجال وهي ناشئة - فالثور الشهاب هو ليس الا شيئا من الإبل الذي بدلت تحفته انشوره الملاحية الجماعية ، وهو ريد التفتول والاستبدال بأنهم يحققون رويادا يربوا كل ما يستخرجون ، وإلا الرافك يظل على الجيوب والقسم والثبات الذي يصالح البيروقراطي أو الرأسمالي أو « صاحب الماك » على أبحاثه وما هو ، لا نعيم الا مصلحته فعدا حتى وكما أقصد طمعه واكتساح كل مساهله ، فالرأسماليات تخلق من داخلها نقيصها الذي يقضي عليها وحرصه على الا يستبعد أحد من الفلاحين الجائعين بسكة جملة مكتبي بلقاء العكر مستغلا لاسمها الجائبة الاحجام والاشكال . في الانبعاث للثاني نجد « الجماعة » غير مستقلة وإنما تعاونية واشتراكية فائسكة وهو هذا العمل الجماعي أو الاتحادي الجماعي لا يستلزم أية فكرة دون أخرى وأيا « الكل » يعود عليه جزء من نتائج العمل بل لفرقة وبلا اعتبار لأي شيء إلا « المصلحة الجماعية » فإن القرية كلها استيقظت بالسك ورائحة غند طوبى من الزمن ، وليت الأمر وفق غند هذا الحد ، بل ان مخلفات السمك استعملت لصالح الجماعة ، ويضمونهم واتحادهم معا . (ويحدثك من يقص عليك هذا الحدث المساجد من أطلالها ان الثوارون ان راحة السك ظلت الانشور الطوال صمم مورها ، ولن التماس استغنيوا ، يخالف السك ويقاها في حصول كرام التراب حول القرية إلى حين لم تعرف له الأرض مثيلا من قبل ومن بعد [١٤] .

العمل الجماعي التعاوني

أي ان السك من وراء العمل الجماعي التعاوني نال أسرته تاضعة ويند تأثيره طويلا وتكون نتيجته عظيمة ، على عكس النتيجة التي ترتب على الاستغلال الفردي والملكية الفردية الخاصة ، والعمل الاتي . الجماعة هنا هي الشخصية الحرة في القيمة القصيرة وهي جماعه ايجابية دورية ، وليست سلبية منكمه منهيمة ، كسما حسمورتها قصص الرومانيين ، والحدث هنا ليس حدث فرديا مهم شخصيا بذاته ، وإنما يرتبط بالجماعة وعمل الجماعة ومسير الجماعة . والجماعة هنا لا تلتفع وشكلها بأغص غير سير ، وإنما السبب المادي وتولي وظاهر للعيان ، فضلا عن الموانع الخفية التي حركتها . فالقرية نسر القضاء على استقلال الاصلان للامعان ثامة في أعماقها وكنيتها غريزة ادمية لا تثبت ان قصص اذا ما وجدت الكثير والعرضه والوجو المساعد ، وتتميز دور الجماعة بأنها لا تعيا بالسلطة ويرى يتحولها ، فالحاج « مبروك التعاوني انثر براعة اليك قبل رامكا مهنددا نوحدا علوها بمصحاء ، لكن لاحد من انفراد الجماعة لم يمره أي الفقات ، اد سرعان ما تخضع السلطة لارادة الجماعة القوية فقد أسر الحاج مبروك خائره التابع بالنزول إلى الماء العكر ، فلم يقد يحسمه من قتل أي الماء العكر بحذائه البري وليسته ذات الرزم النحاسي . لقد عرفت الجاهيل الفائرة في تيارها المتدفق كل من كان يلق ضمد مصلحتها من اصحاب رأس المال واصحاب السلطة ، لأنها هي وحدها صاحبة المصلحة الفعلية في التنوير الذي يعود بالنفع عليها .

الكاتب هنا لا يبدو مجرد وسيط سلبي يحل في صورة طبق الأصل ما يقص به الحياة ، وإنما هو امك خلق الواقع الحقيقي واستبح بقباه شديد جدا إلى صوت الموضوع المبرر عنه ، محاولا تقديم ما يراه موافقا لافكاره ومثله التي يدن بها . وللتضمة تريد أن تقدم للناس شيئا جديدا يثرى لاصابعهم ويثريهم ويثبع عقولهم ، ويؤيرون ارامتهم ويوقظ فؤادهم روح الثورة الكائنة المتأصلة لديهم . والكاتب يركز على الجانب البطولي في شخصية « الجماعة » ، ويجعل الهيبانية متناكسة - والجماعة هنا « تعمل » وإرادتها تنفذ . وهذه هي نفس الخطوط العريضة التي دارت في فلكها الواقعية الاشتراكية في روسيا التي

اتمازت للثوريين في صلبها الجماعي وبطولاتها البوية ونوراتها المتصلة ، والنهائيات المعقدة التي كانت تنص بها أعمالها .

د « هارون » في قصة [ابن النيس] [١٥] هجاب يسير على الفكر لرجعي المتخلف ويحطم الفهم ، ويرفض الظلم والاستغلال والاستبداد الواقع عليه من « الشيخ هنداري » شيخ السجد . ورغم انه روي فانه يتزع صفة مسخرة إلى التزهد على الأستاذ أحمد ، الا ان الذي يأتي إلى القرية ويده « هارون » يخاطبه ومجاسسته والتعاون معه « ومنه جشيه » هارون ، هو كهيئة التي ترمز إلى القديم ، وكراهيته لرجال الدين « الاصباح هنداري » لا يفسدون الدين بل يفسد بهاون استقلال السك من القرويين ، ويستبدون به عابدا لا يحشون بطونهم ويملاون جهريهم . وهذه افكار تقويم متطورة يصفها الكاتب الاستغلال ، العهد ويتلقا إلى « هارون » الرولي السبيد من طريق تخاطبه واحكامها وجعلها معا ، مما يدلنا إلى الظن بأنه يثير اثاره شائرة للفلاحين على كل ما يقول قسهم أو يلق في سبيل حريتهم . لاحد مما يريد أن يحطم سيطرة رجال الدين على عقول الفلاحين بروقوف بجدف الكفاءة في طريق القسوم أو جعلهم رمزا للمختلف كان موجودا في القصر ، وبما ان « هارون » هو الوحيد الذي يعرف خبايا الشيخ هنداري وتكراته الخاصة ، فانه من السهل جدا أن يكون وسيلة الثورة عليه : الثورة التقدمية المثلية بالاصل والنفاذ الشريك بالاستقلال بالاسم ، لنال حريته كطير السجاد . وليذهب إلى « الحقة » و « يعمل » ويلعب عفرينة العمال ويوصل على نتائج العمل « قلم العملة النفسية التي تروشوش ويششفتها جيبه » فقد أصبح يكره الحياة بلا عمل أو العمل في كلف خريص « فسهاب الدين » .

وتبدأ سورة « هارون » على الدين ، ورجاله مثلا في الشيخ هنداري بالسؤال الدائم عن حقيقة شهاب الدين هذا الذي في لحد « ماذا كان هذا في زمان الجهور » كان صاحب قرامات كان له ام صورة أخرى من الشيخ هنداري شيخ هذا الزمان ؟ لقد استغل الشيخ هنداري حياة مات امه ورجا به إلى السجد ليقيم عليه الماء ، ويسأل القلمة ، ويكسب الثواب [تسوي كم

[١٢] « الماء العكر » سمك مكروي - من ٦ .
[١٤] المصدر السابق - ص ٨ .
[١٥] « المصري » العدد ٥٦٦ - ١٩٥٢/٩/١ - ص ٦٠ .

عنه - منذ تلك الليلة - سرت عليه وهو يذبح الطريق بين المسجد وجر شيون وجعل انفسا الضعفة التي تنكس من طريقها صاحبتي من صاحبتي الجبان القديمة ، فارغنا في الطريق إلى المبر وميتان بلان في كل عودته .. وكما .. صاحبتي فخرت لما رثت في طرفي الحب وما تغير هارون .. كم سنة انه لم يدر في نظرة نفسه القريبة إلى قرار الزمن .. كل لحظة مثابيا ابن أنيسة .. ولأعنا أن أنيسة .. وداعيا على ابن أنيسة ابن أمراء .. وهل شهاب الدين هذا الذي تنص صفة قوره والضرعات الدالية إلا ابن أمراء .. شهاب الدين مرة أخرى .. من كونه شهاب الدين هذا ؟ هنادي .. قديم ، بلقي الهير أن يتولوا على جدار الصريح ويملك هو الجدران وماكنه كما يملك الحارة الطينية .. يزل التواحيب للتحول بالإنهالات الكاذبة في ليرة سيدو شهاب الدين وبالي سائل سكان الانصرة السبعة في القرية .. ويملك فيها الفتنة والشم والصلو على كل كيون من بيروت لليرة لئوس يربيه .. يربيه كما يربى لوبية الصلابة المشهورة في جبهة .. ويفيلسون يمناه ويتركرون باحجبت ودمعاته [١٦٧] .

هذه هي سيرة هارون ، من رجال الذين غير الانقياد ، والتفاني مشرف في شخصية هنادي ، الذي فعل غير ما يدور الناس في حله ، وغير ما يمت إلى الدين يمتل .. ويريد الكاتب أسباب التحول الذي طرأ على فكر هارون في الاعوام الاخيرة إلى الاستقلال لحد الأدب الذي يرمز إلى الفكر التقدمي القوي ، والذي يصف هارون بأن نفسه تشبه للعبة بلا مدونة ولا قيود .. وأن ، وخافه كبيرة ، فهو الخلق الثوري الذي يهتك بالجهاد ويصبرها بأومرها ويوضح لها حقيقة ما يدور حوله ، ويحدث لها مطالبها الحقيقية التي يجب أن تكون من أجلها .. وثبتا ثورة هارون الحقيقية على القيود التي تنكس والاعمال التي تحيد به من كل جانب ؛ على الشيخ هنادي نفسه .. لا يرحم عليه صمود المثانة ، لأن صمودها فكر عليه وحده وفي اختبار عليه صمود المثانة بأشارة إلى العلم والتفكير .. ويصعد هارون المثانة بالعلم ، لكن يصعد صوت الشيخ هنادي الرجعي الذي يريد أن يحتفظ لنفسه بكل شيء .. ما شاء الله ما شاء الله .. نكتس ثنائيا كمان يا ابن أنيسة [١٦٨] ما ثنائيا يا

ابن أنيسة يا آيين ودالي .. قول الله أكبر ، قول ، ما هي الدنيا سالت .. أنت حاتل في ابن اسمها آيه ولا اطلع لك [١٦٩] .. عتذرت انطلق النار شائرا ورد هارون : [لا .. أنا حاتل لك] فلم يصنع الشيخ هنادي ما سمع ، إذ جاءه الصوت من عل قاطعا كما لم يسمع قط هارون يتكلم ، وكانت نبرة الصوت الصامع المتهوى عليه جديدة تتم عن ارادة حازمة فجائية إلى حد مذهل .

القوى الكامنة للثورة

يؤكد الكاتب هنا على قوة الإرادة لا الاستسلام للجبروت ، ويشير إلى القوى الكامنة للثورة لدى الرهبانيين الذين انهمروا بالبالغة والاستكانة ، وأن الدافع إلى تحريك هذه القوى هو الاستقلال ، أحمد ، الذي التقى الاشتراكي الذي يمتاز بالناحية ويؤمن بشيئهم المادية ، والذي كان يقول لهارون أنه ينظر إليه غير في روحه طلالا ويحول بينه وبين التفكير والادام .. وكان يوجه نفسه في فرح هذا القول فلههم هارون بحسه ويؤمن أنه ويؤمن جهز عن لهم للجهش الآخر .. لكنه يلمح على الاقل أن هذا الفعل هو لك أعداء الإنسان [١٧٠] ، حتى إذا ما نظر حوليه واستعرض ماضيه واستفاد الشيخ هنادي له انطلق يثور في حلم وأرادة وتجاوز رقيب [ليقض على أسباب تعاضته ويبحث الظلم حوليه ، وليحقق اهدله التنظيمية التي من شأنها أن تغير أسلوب حيات الناس من الجلود .. وتؤايقه للصحة التي بهذا الهدف .. فيعد ثورة هارون ويهيئها واعتدائه على الشيخ هنادي ، وبعد أن اطمأن تماما إلى أن المنظمة القومية في مثل العرب قد لفته لم يعد له إلّا ، ولم يصره في المثانة وتهدد ويهيئ ثم توفقت لحظة على السكة الزراعية وشمل القرية السابعة في الظلم بنظرة وداع .. ثم استهدف الاتهام الذي يعلم أنه يفضي إليه هذه الكبيرة وانطلق في خلة .. وفي هذه اللحظة ذكر هارون غار الصريح وتيسم ذكره ، ثم من كتفيه واستفاد الخلق نحو التجربة [١٧١] ، هنا التمسار للقوى الجديدة والفكر التقدمي الجديد ، وزيمة للقوى الرجعية المعينة .

ورغم أن الكاتب يبدو تقديريا ، والفكرة تبدو مسيطرة ، والهدف واضحا ، وهذه هي سمة الواقعية الانحيازية صعبا .. فإن الكاتب في هذه القصة وبذلك يستخدم عناصر من الطبيعة لخدمة الموقف والأيام بالجو العام ، لكن

الطبيعة لا تشكل هنا وكالة هي عامل مساعد عنه وعنه صيد الرحمن الخوازي .. تصاعدهم على ذلك في بعض الأحيان لغة وقبلة عليه ، واللغة مرصوفة ذات وقع طيب حسن ، وهذه الصور والتشبيهات ، وهذه كذا جعلت والمتعجبين إلى حد ما تنكشف من الأدلة والموضوعة والصورة التي تراها واضحة عند قراءها ، وبخاصة عند الجيل الثاني من الواقعيين والكتابيين ، فقصص الخوازي القصيرة تنفتح بهذه اللوحة التي امله لها شاعريته .. وأن التمثل في روايته بعض سماتها ، وكأنه يقرأ قصائد من الشعر للثورة الجليل .. ولم يقل هذا من موضوعه ولا من من الغيت ولا من موضوعه .. من هذه القصص القصيرة لصفه مكارى قرأ له هذه الفقرات وهو يصف هارون بعد صعوده إلى المثانة : [كان الليل صافيا عسيفا ، حتى لم يبق الضلال في جدران اماء القريب وصعد نباح الكلاب البعيدة كان يراى ضاملا في الاقلاق للواسع المسكن .. وتامل هارون فوق قمة السماء وانجم ثم تكس راسه واستمع بكفيه إلى الصياح الغشبي المتكاثف الذي يصل شرقة للثنية الدائرية الصعبة من فراغ الكركت] وفي لحظة تفكيره في القيود التي تحيط به وغرورة القلاب عليها لكي يصبح حرا ينطلق الكاتب عنصرا من عناصر الطبيعة وكله جاء يذكره بأن السماء ذاتها تقوم في الحرية والانطلاق .. ويهر السماء حاليا دائما راسه ذلك الطائر الذي يرسل دائما في سكون الليل صرخته الضائعة الصعبة ، والذي لا يهرب له هارون صلة ولا أسما .. ترى إلى أي غاية يلمس هذا الطائر الصارخ في قبة السماء ؟ وكما في صرخته من قوة الحيوية وصرخة الانطلاق .. ذوات الانهضة هذه ليس عندها حال يستطيع أن تنشط في الوجود وتنبه وتنعم وتطلق .. في خلق اجتمعت في سبيح واندمج في الكون ، لكن هناك لا يعرف وساطة بين خلق الجانح وحقيقة الله المثالية في العادة ذاتها .. ولا يستطيع على الحقيقة السبيلة الجميلة في يساهمها من كمولد الخرافة ما يناعه بيننا وبين أهلها النفس الغرق بتضاربه .. لن امكن أن تهب إلى الأرض هذه الصيحة [١٧٨] .

تأثير هارون

وفي قصصه لا يفتي تأثير ماركس بتفسيره الاقتصادي للسائد للصراع

[١٦٧] المصدر السابق - ص ١٠ .

[١٧١] المصدر السابق - ص ٢٢ .

[١٨١] المصدر السابق - ص ٢٢ .

الطباي • وتكبيده على ضرورة ثورة
 البرونيتانديا لانها في الوحدة صاحبة
 لتسلية في التغيير لصالحها ، ثم وجهه
 نظره في الدين والقوة والفساد
 والاخلاق ، ولئن كان في قسمة الصاية
 [ابن انيسة] قد صغر من رجال الدين
 الذين يمثلون سلطة قوية تحكم وتترى
 وتلك باسم الدين ، وتحت قيم السبل
 والوفى والقناعة والاستكانة والفضوح
 والاستسلام والصبر والطاعة باسم الدين
 لانه في قصة [مصرع حمار] فقد
 الصلة المادية بين صاحب الدين
 وصاحب المال • وهو يجعل ديني
 الصنفين من الناس في جانب ، والثلاث
 والآخر في جانب آخر • والكاتب
 يوضح لنا ان اللاعنين واعون بكل تر
 ومقهورين لتقليل الاصور ، والهم
 مساطرون على تناقض الاوضاع • وم
 هنا يختار شخصيه لم تلتحق في قصصه
 غيره من الذين كثروا عن الرب •
 وشخصية البراهمي • ليس كل من
 يعيش في القرية يعمل بزراعة الارض
 وانما هناك حرفيون صغار يبيعون
 الزراعة واللاعنين القرية ، ولهم كلمة
 مشكلتهم لا الخاصة بحياتهم ، ولكن
 المعكسة عنهم في مشكلات القرية
 هم • والبراهمي في هذه القصة •
 ومجتمعهم وعيا سليما ولت لنا مسأله
 الطباي • رجال الدين ، والمساكين
 • انت حاور الحق ، انا أكرهه •
 الدنيا اذ صلب فيه الفضيل •
 الضلالى التي يتاجر بالدين •
 جوده الايمانى ضلال العباد •
 والعبيد الصنفين مولوا استأجر ثلاثيه
 يملأهم بعض كويس ويساعدوا بعض
 كويس ، كما تلمهز ليه [١٩] •

هذا هو احسان الرجل الذي يعيش في
 اماكن الريك وكل صناعته ان يجمع
 اغنية الدواب ، انه يطن الى علاقة
 المفسدات المتباينة بين رجل الدين
 • الخلق الضلالى التي يتاجر بالدين
 وبين الاطاعي • ضلال الهباد • فالأمر
 يساعد الثاني على استغلاله للصدج
 والسياسة والمملكين الاشقياء • والكاتب
 لا يهول • موسى البراهمي ، ويجرده من
 الذكاء والهم وفرة الادراك • وانما يجمع
 • هو الآخر • تقديم • كما جان
 • هارون • ويجمع مجلس كثيرا ويتناقض
 كثيرا مع الراوى وهو الكاتب فيسا
 يعتقد • كما كان • هارون • يحب
 الاستماع الى الاستاذ احمد الطيب
 التقصى الاشتراكي الانحيازى وهو الكاتب

لها تمتد ايضا • موسى البراهمي هو
 • الصانع الريفي الواقع الذي يشرأ
 الجرائد القديمة ان وقع في يده شي
 منها • فهو يقرأ لولا ، ثم انه يناقش
 فى اشياء متعددة ليست شخصية أبدا
 لكن تهم القرية بشاعة والدولة بعمالة
 في الحكومة ، والادارة ، والامالى
 والارض ، والدين والمثلية والذين يعيشون
 والذين ماتوا • • تسخر معا من
 الاموات والاحياء • من الاضرب
 رسائلكها والمتعلمين باستارها • • ومن
 'سحاب • الطيبين • وعندهم
 عقلياتهم ، وقد نهم دنياها كلها ولجميع
 ساءها في جلسة واحدة [هم يهيمون
 الواقع المرجوح او الفيا التي يعيشونها
 ويعيدون بناءها من جديد على اصغر
 جديلة لا عرق ولا نهب ولا ملكية ولا دين
 ولا عقيقات ولا استغلال • والقسا
 الاجتماعية التي تعرض لها سعد مثيلا له
 في قصصه القصيرة المتتمة نجد مثيلا له
 عند عبد الرحمن الشقراوى • تتناول
 بعضها بوضوح متحفظا عنها من خلال
 شخصياته واحداه ، حتى طغى الموضوع
 على الشكل الفني للقصة القصيرة فخلينا
 كثيرا ، وعالجها بلن وحقق رشاعرية في
 بعض قصصه بوقا ايما لتوليق
 وشخصية • حسنا • قسى قصه
 [العرطب] هو • هارون • في [ابن
 انيسة] حله سعد كمارى في ثورة في
 سخرية من الاوضاع • في احسانه
 بالظلم • في نقده للتناقض الطباي • غير
 ان نهايته هذا نهاية مأساوية فليس
 متفائلة • وقد كان • حسنا • في بداية
 القصة ليكرم بناس العمل الذي كان يوجب
 • هارون • لكن شيخ الجامع ظلمه ولم
 يوافق على ان يدفع له اجره رغم زيادة
 الاسعار • واللاء الفاضل في أشر
 الحب •

رشوة أهل الدلائن الثلاثين حقه سعد
مكارى في [الماء العكر] يطورونها في
 [الفصام] تحت زعامة ابن اليرغ
 المخلص • هندارى • الذي كان يعمل عند
 خاله العمدة في القاهرة • ثم هلك
 قربه بعد ما أدرك ان الحياة هناك شر
 كلها • لقد تسلمت اليه ابنتها الشابة
 الفتنة وتمت بين احضانها • ثم ما لبثت
 امها ان فكرت في الاقدام على نفس
 الشيء • لكنها فوجئت بابنتها عنده • ولم
 يجد يد من الرجوع الى امه الثلاثين
 والانتصاف بهم • والحنو عليهم • وارندى
 لوبا حماليا • ويعتزم ثورة خفية ضد

العمدة وجبروته وسيطرته وعنفوته
 وظلمه وشخصيته القراء • ولما اشكته عده
 الثورة • وصديان الناس لعمد وعنه
 باعتهن اومره • الرجال وانفسه
 والاطفال • ادرك ان هندارى هو سبب
 لتحول • فلما ان يتمه اية تهما بدمج
 بها لعمده • لكن تحدث مراجعها عليه
 بينه وبين هندارى يشدها كل علاج لى
 القرية وتكون القلعة لهندارى • والمارك
 لعمد لعمدة • بعد ما كشف هندارى من
 حيلة العمدة وابنتها التي حصلت له •

هندارى هنا هو محرك الثورة
 ودافعها • كما كان الاستاذ احمد الانبي
 رده ثورة هارون على الشيخ هندارى •
 [ابن انيسة] فقد كانت القرية
 مكتبة قبل ان يعود لآخر مرة • ولكن
 طبعه عاد هذا اللاعنون يناقشون • وقال
 واحد منهم للعمدة • لا • ذات مرة فتيه
 اخرون • وكنا في العدى واطفال
 القرية الذين كانوا يجمعون • مرط
 الاحرام حتما يلوح العمدة لهم من اول
 الطريق • اصبحوا الان يستندون في
 الثلب والعمدة يصيح بكثرة لعائن
 التي يتقذفونها • لقد اضطرب كل
 شيء • الجماعة كلها تتحرك • القرية
 باهرها ثور وتنتقم من الظلم بلدى عاشت
 فيه عويلا • وتبلغ الائمة لرونها حين
 يصعب هارون القصة على وجهه •
 [وكان للعمدة اذ ذاك سوق الارضى
 والشراب وملأ خياضهم على حين دمه
 الخجل المزرى والام عديدة مجهولة تهب
 مع السحر والسماع • • وعندما حاول ان
 يبرح راسه وهو يصيح بكلمات بسد
 المناقشة • كانت ضحكات القرية تسير
 صوته • وصوت جلساته الذين سيطر
 عليهم الربح [٢٠] • في هندارى
 الدمار وجماعته القرية من الثلاثين راس
 للسداد • كنا ضحيت ثورة ٢٢ يوليو
 ١٩٥٢ على ايدي الطبايين والحكام
 المستغلين وجدير بالملحظة ان هذه القصة
 نشرت يوم قيام الثورة • اما اذا كانت قد
 كتبت قبل هذا التاريخ فلها بكل تأكيد
 تكون قد ساهمت في الارعاض للثورة
 وفنه • لانه فلاح ابن فلاح • وليس بدعا
 يشغل كل فكر عبد الرحمن الشقراوى
 • ينحاز انصارا • كليا لخصايهم
 وشخصياتهم • وليس غريبا ان يكتب عنهم
 ولهم •

مبادئ الواقعية الاشتراكية

يعد مبدئين الكانبيين المحاذيين لفضايا
الريف والافلاح المصري لهد من جيل
الرواد الانتماءيين أيضا احمد رشدي
صالح وعلى التالفي وذكروا الحقاوي قد
وضع انصيازم نصر ، الرسوم
والفلاح ، ويجمع بين الثلاثة في
انتماءهم طليان الفكرة والموضوع على
الشكل الفني ، وعلى صوت السؤان
وسياسته على صوت الشخصيات وسلوكها
وحركتها - وهم جميعا يسورون الواقع ،
ويهتمون بجوانب الصراع فيه وهم
يساندون القرى المساعدة التنامية
ويضعون في وجه القرى الأخرى مهددين
أيامها بالفلاح طليان منها أن تتوارى خلف
الاضمار قبل أن يجرها النثار في موجة
الثائر الهائى ، وهم ثلاثهم يطبقون في
مقصدهم المبادئ الرئيسية للواقعية
الاشتراكية ، وإن خلت والقيمتهم من
الفن ، وإن خلت آمهاتهم من خفوت
الثيرة وعدم الانفعال الخطابى ، والطابع
التفريدى الغالب ، ولا أحد ينكر أن
الدافع الى كل هذا دافع مخلص صادق
ففى لا تشوبه شائبة من زيف أو خداع ،
فهم يبدون التعبير عن الواقع المتناقض
وهم يتفنون لكشف الانصياپ الذى تكمن
وراء الصراع الطبقي إن التكتالية في ظل
المصير نوع من الفرسيمة وربما كان
الفرس كاذب طريق ، وربما كان رجلا
فاضلا بمعنى الكلمة ، فإذا اختار أن
يعلم طراحيين الهوام ويهاجم الخراف فله
حمار يركب فرسا جهوا ويضلع أطيافا من
فشاء ، وإذا صوب القلم الى حياة الناس
يدل الطواحين ، والى أعدائهم يسدل
الخراف ، لهد ركب حصان حرب واكتسى
الدروع وأصبته جراح المعركة المقة ..
وخير لوب القلم أن يموت في الميدان
وينتاج بين أشلاء الجامعين ، من أن
ينطق قسي لفرسان الصوريد
القصب [٢٦١]

وربما يشهد كاتب القصة القصيرة
سلامه ، طيه لولا أن يصطدم بالمشاكل
الصفيقية [إن مشاكلنا في الشارع وفى
الحارة وفى الزقاق .. وفى هذه الأماكن
ترجع القصة ، ولتى لا يتيمنا إحد باننا
نعيش في أبراج عاجية يجب أن نزل الى

الشارع ، قلى الفسارح كل
مشاكلنا [٢٢٧] . وكذا إزداد ليمانهم
بما يندى في الشوارع وما يصطغر في
الواقع وما يطلى منه الشعب ، لكأن لهم
ملتصقا بالواقع متحازا له دائما من
حياة الذين يطمعون الى عصر يبيع بعشر
فيه كل الناس بلا مشاكل أو صراع أو
تناقض أو جريمة أو كراهية أو لحد
وهذا هو احمد رشدي صالح يسود
قسمه القصيرة [إن نزل على الصائد
والفد ، الثمين وتلقى وتطلى ، وتجنز
الامل الى أن أطل ما جويت لدارا على نهم
أمواد اعلى ، وطلوات جهلهم
وميرهم [٢٢٢]

وعلى الإطلاق الكتابي الواقعيين
الانتماءيين من وجهة نظر واحدة
واهمتهم يعقيدة واحدة ، والانصيازم
لطبقة معينة ، وربط مصيرهم ككتا-
ب مصير هذه الطبقة ، يجهننا لرى أن
فكرتهم وموضوعات لمصمم القصيرة
ومضامينها ، تكاد تكون واحدة ، بل لعل
هذا كله هو الصب في أن مصمم
القصيرة قد تؤخذ عليها مأخذ متشابهة
للك تختلف الأحداث وتتمدد اسماء
الشخصوس ، وتتوغل القسرى أو موالع
الأحداث ، ولكن الملك السيد ، والنل
المفهور ، وعلقيات اغتصاب الارض أو
العرض ، والصراع الدامى بين الطبقات
الذى تحركه حوامل مادية ، هي التي
تشكل الاطار العام الذى تنور في فكه
القصة القصيرة عدهم فضلا عن المحور
العامى والمرد الذى تتخلله الفاش عامية
متداولة ، ومهما يكن من شيء ، فلما
ننطق وقول قلى الوالى عمن
نفسه [ليس في فضل على الاطلاق في
اتجاه بعض الكتاب الى معالجة الحياة في
ريفنا كما يعيشها أبناء ذلك الريف ..
لذلك الاتجاه الواقعى في الالب موجود
منذ بدأت الحركات الوطنية تأخذ شكلها
الايجابى في جميع البلدان ، منذ عرفت
الشعوب أن البطال ليس الله أو الأيو أو
صاحب القصر والارض .. ولا ذلك الذى
الفتى الذى لجنته ابنة الهلما للقاتلة ..
بل البطال هو أى انسان ، يعيش بين
الجموع متطلعا الى التخلص من
مأساته [٢٢٤] . لذلك إن الكتساب

الواقعيين همما - ك التجويد نصر
الريف المصرى بصورته ويبدون من
حركة الحياة فيه يحكم الواقع ،
والشريف وحركة التاريخ ، ولم تكن لحد
فضل على الاطلاق ، وإذا كان لحد فضل
حقيقى في التعبير عن الريف والافلاح
المصري يصدق واخلاص ومن ، لانه يرجع
الى سعد مكايى وعبد الرحمن الشرقاوى
الكاتبين الواقعيين الذين انحاوا للريف
والطبقة الفلاحية في قسمهم القصيرة
عن معايشة وامكانك وعقيدة وايمان ،
ومع ذلك فلما نرى أن ريفنا المصرى لم يزل
حله في القصة القصيرة حتى الآن ، ولم
تصور الحياة فيه بكل جوانبها وحركتها
الدائرة ، والمراعات الموجودة من
وتطاعت ابدانه ، وحركة جموعه ،
والتكيد الذى اصابه ،

كتاب الجيل الثاني

ويصبح على كتاب الجيل الثاني من
الانصياپيين التزمين أن يتصدوا مسئولة
التعبير عن واقع ريفنا المصرى بلأهه
الناضل حالية ، وإن يسوروا حركة هذا
الواقع في مراحل الخفلة ، والا يقلوا
عند موضوع بذاته كى لا تنور مصمم
القصيرة في حلة مسرفة ، وإن يكرن
تعبيرهم عن الريف من خلال رؤيتهم
للعلاقات والنظم في المجتمع ككل وعلاقة
انسان القرية بامسان المدينة ، ونظام
القرية بنظام المدينة وحركة القرية بحركة
المدينة ودرجة تطور القرية بالتدريج لتطور
المدينة ، والمشكلات الجديدة التى تراجعه
فلاح القرية وتطيرها مما يولاه ساكن
المدينة ، وهكذا حتى لا يؤدى انصيازم
الكتلى الى انغلاق تام ونأى عن حركة
المجتمع في تصاعدها وتشوطينها ، ونحن
نرى أن همه هذه المسئلة يقع بلأدرجة
الاولى على بعض كتاب الجيل الثانى من
الذين كتكلف لمصمم القصيرة التسي
نشرت في هذه الفترة من انصياپ نسي
واكترى كبير نسي الريف المصرى أمثال
افروق منيب ، وعبد الله الطرشى ، وعبد
الفتاح ، وعبد السميع عبد الله ، وأحمد
نوح ، وهنرى حسين ، وعبد المنعم سليم
وغيرهم

[٢٢١] : الزوجة الثانية - احمد رشدي صالح - المكتب الدولى للتربية واقتصر سنة ١٩٥٥ - ص ٥

[٢٢٢] : القصة - المند ١١٨ ، ١٩٥٤/٨/٢٠ - ص ٥٧

[٢٢٣] : الزوجة الثانية - ص ٦

[٢٢٤] : الجمهورية - المند ٥٩٤ ، ١٩٥٥/٨/٢٠ - ص ١٠ من مقال : الأدباء والحركات الوطنية .

حوار مع المخرج السنغالي تراوري



(المرأة) اخراج محمد جونسون

سنتين فريد

تعتبر السينما السنغالية اليوم أهم سينما في أفريقيا السوداء التي لم تعرف الانتاج السينمائي الا بعد حصول الحد الاكبر من دولها على الاستقلال في أوائل الستينات •
ومحمد جونسون تراوري من أهم المخرجين السنغاليين •
وهو من مواليد عام ١٩٤٣ •

● كيفية بدأت العمل ؟

● بعد هذه الدراسة البنيئية سكنت من العمل في التلفزيون ، وكان بمدرستي الحقيقية حيث عملت مع عدد كبير من المخرجين كمساعد ، ولم أعمل في التلفزيون الفرنسي فقط ، وإنما في تلفزيون إيطاليا وألمانيا الغربية وبريطانيا أيضا •

وفي عام ١٩٦٨ قررت العودة الى السنغال • أنني اعتقد انه ليس بوسع الأفريقي أن يعمل في أوروبا لانهم هناك

السينما في السنغال ، كنت احبها كثيرا ولكن لم اكن افكر في أن تكون مهنتي •

وفي فرنسا تركت دراسة الهندسة رغم ممارسة أسرتي التي رأت أنني افكر الدراسة الجدية الى عالم المخرجات غير المأونة العوايب • ولكن بالطبع درست السينما • وكنت درست لها دون اعانة دولية • أو عائلية • وإنما اقتصر على الدروس الليلية في بعض المعاهد • كنت أعمل بالليل ، وأدرس في الليل •

● كيف عرفت طريقك الى السينما ؟

● لقد طغيت طغى الإبتدائي والثانوي في السنغال ، وكنت اتجه الى دراسة الإلكترونيات • وبالفعل ذهبت الى فرنسا لدراسة الهندسة ، وهناك عملت فترة مسجلا للصوت في بعض الألام ، وأدركت من خلال هذا العمل ان السينما هي شغلي •

بالطبع كنت قبل ذلك اشاهد الافلام بكثرة ، وكان لي نشاط كبير في نوادي

كثيرون ومفتولون - ثم لأن واجبه الأبريتي وخاصة في هذه المرحلة من مراحل ما بعد الاستقلال ، أن يكون في بلاده .

● **هل كان الطريق مبعدا في بلادك؟**
● كلا بالطبع ، لمن ناحية لم تكن عائلتي بمنه السنيما أبداً ، ومن ناحية أخرى ليست هناك سنيما بمعنى الكلمة في الستغال ، والدولة لا تديرها اهتمام الكائني . كان نشاطي في البداياتي حاداً للثقافة السينمائية أي في تقديم الأفلام في نوادي السنيما ، والكليكة منوهاً لهما ، ولكن سرمان ما وجدت من بول يلبس الأول « **الفنقة** » الذي كان بداية إنتاج شركتي عام ١٩٦٦ .

● **بعد « الفنقة » أخرجت الفيلم التفسير « جنم الإبرياء » عام ١٩٦٩**
أبداً يلتصقون مع تونس ، ثم أخرجت فيلمين طويلين هما « المرأة » عام ١٩٧٠ و « **لايلاي** » عام ١٩٧٢ ، ثم الفيلم التسجيلي « **ريوتاخ** » في نفس العام

● **هل لك أن نعتقنا من هذه الأفلام ؟**

● **يشارول فيلم « الفنقة » قضية تطور الفداء في الستغال بعد الاستقلال ، والتسالي بين المساليين التقليدي والصمري ، كجسما يسرل فسمساج التسامع القومية نتيجة الاستعمار .**
وذلك من خلال قصة ثلاث نتيات ؛ لمان وصفيقة لبدا . الأخت الكبيرة تطلبية والأخت الصغيرة صمري وتذهب إلى المدرسة ، أما الصغيرة فهي حائرة بينها وبين تحاور أن تخلق الولدان المطلوب بين الصاليين ، وكيفية إشباع التلم التقليدية في ليد من الحفل عليها داخل التلم الصمري الضرورية أيضاً لتقديم والتطوير .

● **وماذا عن « جنم الإبرياء »**

● **أنا من صالين تماليا تفس التعليم ، ولكن أرحدها بورجوازي والاخر فقير . ونحن نراهما يمدوان من لوريا وقد غفل البورجوازي ونجح الفقير .**
والتلم يشير من خلال هذين التلمين إلى خطورة البورجوازية الجديدة ، في الستغال ، كما يلير مشكلة التكمات الوطنية التي تهاجر إلى الخارج هربان البورجوازية ، ويحدا من المكان الذي يجد فيه التدمير الصحيح .

● **هل كان « المرأة » هو الفيلم الثاني بعد « الفنقة » ؟**

● **نعم ، هذا صحيح ، وأن كان الفيلم الأول يعالج قضية تطور الفداء بينا يعالج « المرأة » الملائة بين الرجل والمرأة .**
لأننا أمام زوجين من البورجوازية الصغيرة حيث يعمل الرجل ، ولا تمل المرأة ، ويكون كل واجبه أن تنتظره في البيت . ومن خلال الحياة في هذا البيت نجد كيف يتحدا كتحث تأثير « أولياء الله » الذين يضحكون عليها . وكيف يضطر الرجل إلى اللجوء إلى نظام « **المطافاة** » حتى يلبي رغباته ورغبات زوجته في الحياة المرفهة ، حتى لو لم يسكن في مقورصا أن يحققا هذه الحياة ، ونظام البطالة هذا نظام خاص بالوطنين فقط حيث يمكنهم شراء كل ما يلزمهم دون الزام بالدفع الفوري .

● **في « لايباي » الذي غار بالجازيرة البرونزية في مهرجان برطاج ١٩٧٢ لجئت إلى مسرحية جوجول المعروفة « **الفتن** » العلم .**
● **هل تعتقد أن الانتباس لاجد صحيح ، وخاصة بالنسبة إلى السنيما السنغالية في هذه المرحلة ؟**

● **يتوقع ذلك في تقديري على العمل المكتسب ذاته ، وبدي مسلاحيته لواقع الحال في هذا البلد أو ذاك ، واعتقد أنني جعلت من مسرحية جوجول لبدا « سنغاليا » مائة في المائة .**
أنا نرى الوالي ونهبي البرلان وأمر الشرطة وقائد الحامية العسكرية وغيرهم من كبار الموظفين في أي قرية سنغالية وهم يتحدا ضحايا أعمالهم القسرة التي تكلف منها التلم ، وذلك عندما يستغل أحد الصالين إشاعة أن هناك براتيسا عاما سيصل من العاصمة ممتكراً لكابة تغير إلى السلطة ، ويؤمن أنه ذلك المراتب يبدأ في استغلالهم وهم يحاولون شراء سكوتة .

● **وأخيراً « ريوتاخ » .**

● **أنا أول افلاسي التسجيلية ، وقد اعتدت فيه على اللطالقات الوثائقية لإبراز التناقضات في أفريقيا اليوم ، وليس في المجتمع السنغالي فقط . وأنا أقول أن أترك هذا الفيلم يتحدث من نفسه .**

● **ما هو الموقف في السنيما السنغالية اليوم ، هل هناك حقاً موجة جديدة وموجة نقدية ؟**

● **أست أعتقد في وجود موجات كثيرة أو جديدة منها ، هناك نحو ١٥ بخرجا يندفون إلى جسيمة محترف بها . من الحكومة ، وهم مفتولون في أساليبهم . وهذا طبيعي . ولكن العقابية منهم ترون بضرورة معالجة المشاكل الحقيقية للجنس ، والانتساء الفسلب هو الواقعية . وهذا طبيعي أيضاً . لكن ينشكوا من دراسة هذه المشاكل ، والتوجه إلى الشعب الكادح .**

● **وما هو دور الدولة ؟**

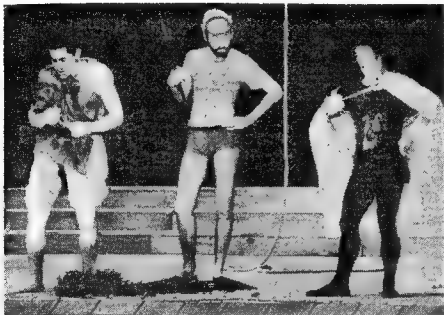
● **لم تكن الدولة شعب دوراً في السنيما . كل الأفلام تم إنتاجها دون ساعدة الدولة باستثناء بعض الأفلام الصغيرة . ولكن الدولة فكرت أخيراً في إنشاء ديوانا خاصاً بالسنيما ، وهذا بالطبع ضروري جداً ومهم .**

● **ما هي المشاكل التي تواجه السنيما في الستغال ، وما هو دور الدولة في حل هذه المشاكل ؟**

● **أنا مجموعة من المشاكل المربطة ، ولابد من تدخل الدولة للنساء عليها وأولها مشكلة وجود محال ولا ستوديوهات مما يضطرنا إلى الذهاب لفرنسا ، وما يجعل ديوانة التلم نحو ٢ ملايين فرنك سنغالي .**
● **ونظراً مشكلة المرض حيث لا يوجد غير ٢٢ داراً نحو ١٨ في دكاك وحدها أي أكثر من نمل هذه الدور . وبالطبع هناك أيضاً مشكلة التوزيع الذي تحكركه الشركات الأجنبية .**

● **هل تستطيع اليوم أن تصعدت من سنيما أفريقية ؟**

● **ليست هناك سنيما أفريقية ، ولكن هناك إجماعاً نحو خلق سنيما أفريقية . أنا تصعد بالمشاكل منذ أن فكرت في الفيلم إلى أن تمكن من توزيعه ومرصه . كما أننا أمام مشكلة الجمهور الذي تمود على السنيما الإفريقية ، والجمهور الجديد الذي نريد أن نخلفه لآلاتنا .**



رسالة
بودابست

شبهه من مسرحية «السماسير» في مسرح بيت الثالثة في تاتلا براليا

المسرح المجرى: حيوية وثراء في الكيف والكلم

سماحي خشبية

لا ترتبط أية أواخر حرية أن الحرية
بأن من الشعوب المجاورة ، الجرمانية
أو السلافية ، لقد أثرت الثقافة الأينية
- من خلال التنس - على الثقافة
الجرية وأنشأتها ونظمها كثيرا ، كجوا
(وفي أسلوب تنظيم الحياة المسرحية
مثل قوى لذلك التأثير ، من حيث ارتباط
توزيع المسرح والاشتراكية الإدارية عليها

تراثها الأتريفي واللاتيني ، وعلى الرغم
من سقوط القسم الأكبر من البلاد
تحت السيطرة العثمانية ، ثم سقوط
البلاد كلها تحت سيطرة الهابسبورج
النمساويين ، فإن الكعج القوي ضد
السيطرة كان مهيما يدافع حضاري
بدوي ، هو استمرار الارتباط بالحضارة
الغربية وتقاليد الثقافة ، مع المحافظة
على الملح التقليدية الخاصة - الشعب

استخدم الحياة المسرحية الحديثة
في جمهورية المجر الديمقراطية ملامحها
من مصادر متعددة بتعدد مصادر الحياة
الثقافية والعقلية للشعب المجرى ، منذ بداية
استيطانه لبداية في القرن التاسع
الميلادي ، فقد جهد المجرى منذ ذلك
الحين ودخلهم المسيحية - اتعاسا
للكتيبة الكاثوليكية ، ان يرتبطوا
بالتقاليد والحضارة الغربيين يفرح

يلعبات [مجالس] المدن ، هذا
الظبط الآلي الذي يرجع الى القرن
الثامن عشر ، ولعله ان يكون من
اللائق للنظر ان اشهر التمثال المسرحي
المجريون في القرن الماضي هو ليموري
ماداسي ، مؤلف « نواجيبا انسان »
التي تارتت بناسوت جولة ثلثا صيدا
واضع مؤلفها مبادئ المستند من ستر
التكوين في التوراة للزوجة الفلسفية
التاريخية بصورتها البولجية ، خروا
طور الفلسفة الكلاسيكية الالمانية في
القرن التاسع عشر .

ولكن كان من البديهي - في عصر
السيطرة النيمساوية - ان ينحصر تأثير
الثقافة واللغة الالمانيين على الفنانين
النماليين في المدن ، ابا الشعب
بنياته الوطنية المختلفة تكن بيد الكبير
الصغير من ذاته القومية وآلياته في
التصور الوطني والعدالة في الشعر
المسي والثنائي ، الذي كتبه شعراؤه
بلغة المجرية [واتسهر الاقلا بالطبع
هذا ما - اراقي - هاسر اليك من
الذات القومية « ويوفوي » هاسر التصور
الوطني والعدالة] . ولكن المجر
وقم استقلاليا مع نظم ابراهيمية
الهاسبورج [النما والمجر] في نهاية
الحرب الكبرى الاولى ، ظلت تقليدا
الرسمية تدور في فك الثقافة الالمانية ،
وقل الشعب محروبا من الاتاج الثقافي
مع الامة والفكر الاجتماعي في ظل الحكم
الثاني الذي اتخر مع مزجها الفيا
الثانية في الحرب العالمية الاخيرة .

من هذه المعادلة التاريخية نستطيع
ان نقول ان اتساع الحياة الثقافية
[والمسرحية] في المجر ، وانطلاقها
طابها ديمقراطيا وثقافيا ، لا يعود
بالفصل الى ايمسد من عصر القوة
الاشتراكية في ١٩٤٦ . وكان المسرح -
هذا الفن الجاهلي الاصل - من انكار
النون انشاما بهذا التحول الاجتماعي
والفكرى المقيم .

لقد تم منذ ذلك الحين جهود كل
الفنارسح التصفية لـ [مثل داي] اويرا
بودايست ومسرح النيج وشور الاويرا في
مثن مصغره « جهور » وغيرها) ،
واعادة تجديدها بالمدات الحديثة ، كما
تم بناء عشرين من (المسرح - المنفلة
والمتكشوفة - في العاصمة وبها المواقف

والفن الالطمية لا عسها مثل مسرح
« ايركل » في العاصمة يتبع الذي
متفرج « ويكل مسرح الكانتراية في
مدينة « سنج » . وهو مسرح مكتوف
يتبع لآثار من اربعة آلاف متفرج ،
ويضمها الاخر لا يتسع لآثار من خمسة
وعشرين مقعدا ، ويومي يمدد بمقاعد ،
او مسرح الميكروسكوب الذي يتسع
لخمسة وسبعين مقعدا . ومن الواضح
ان هذه المسارح الفسنية تظم
للاممال الدورية وذات الطابع التجديدي
الحض (وهي تتبع هيئة المسرح في
وزارة التعليم والثقافة مباشرة) .

كذلك تم تطوير صناعة الاجزاة المسرحية
المختلفة [للاضاءة والصوت والحركة
والنقل داخل مقصة المسرح] على
اصبت الجرموردا عالميا لاجهزة الاضاءة
والصوت المسرحية الصغيرة والمتوسطة .

والشخص في بودايست مهادان
للفرناسك المسرحية ، احدهما يسلك
بمعد الفنون المسرحية في القاهرة ، من
حيث تصميها الى القسم مختلفه
لدراسة ادب المسرح والافراج والتيكور
والموسيقى المسرحية والنميط . . الخ
وتخصص المعهد الاخر في تدريب الفنانين
[مجال التمساة] بتخصصاتهم المختلفة ،
ومساعدي المخرجين وخدري التمساة
طبعا لاحتياجات انواع العمل المسرحي
المتنوعة [المخرج الاستعراضى ،
الاويرا ، الباليه ، المسرح الدرامى ،
لعدم التفسير الموسيقى . . الخ] .



مجدد من مسرحية « مارصا »

بلك تأمستت التاعده المادية والبشرية
لنشاط مسرحي غنم وجوي ، واصنع
بينه من الاتواق المسرحية : مسرح
الاويرت مثلا يتخصص في الاوبريتات
العصرية (أي المسرحيات الموسيقية
الفلسفية الصعبة) ، دار الاويرا
تتخصص في الاوبرات والباليهات
الكلاسيكية ، وتعمل فرقة الاويرا ايضا
على مسرح « ايركل » الكبير ، وتخصصها
فيه فرقة بودايست للفنون الشعبية
المسرح القوس يتخصص في الاعمال
الدرامية ذات الطابع الدرامى القصوى
والقيمة الكلاسيكية ، مسرح جوزيف اويرا
يتخصص في التوفيليات الاجتماعية
الغنية ، مسرح كاتوانجوزين يتخصص
في الدرامات الاجتماعية الحديثة الرمية
الاستوى ، مسرح « بومقات الكليرا »
يتخصص في التوفيل المسرحية الحديثة
على نمط الكلياريه السلمي والتلشد
الاجسامى التسجيلى المائى . . الخ
يجت بسبع من السبل بالنسبة لجمهور
الكبير في العاصمة مثلا ان يتابع بدقة
التسلط المسرحي وان يتفكر ما يشاء
من العروض في مسرح بودايست التي
تبلغ خمسة وعشرين مسرحا تصل طول
العلم ، ويغلفها اليها ثلاثون مسرحا
مختوها من موسم الصيف .

كذلك أصبح من الممكن توسيع راحة
النشطاء المسرحي وخروجهم من دائرة
العاصمة ، حللا نفس الجيرة وفراء
المادة المسرحية وارتفاع مستواها . .
لعدم مسرح المجر الباقية حتى الآن
في مدينة « جهور » في الشمال الغربي
- عبره حالة وخمسون عاما - ويملك
ثلاثة فرق للاوبرا والاويرت والدراما ،
ومسرح مدينة « سجد » عبره مائة عام
ويملك فرقتين للاوبرا والدراما ، وكل
من المسرحيين يملك فرقتين موسيقيتين
تضم كل منهما ستمين مازيا ، ومصنفين
قادة الفرق الموسيقية (المايسترو)
من بودايست ومن خارج المجر كلها .
ولكن المسرح الجديد في بيت التمساة
في بلدة « تاتالبا » في الشمال الشرقي
[وهي بلدة لصال المناجم] يتسم
هو الاخر لفرقتين ، للاوبرا والدراما ،
وفرقة موسيقية ، ومعهدا لتدريب الممثلين
والفنانين ، ومن بين الامل التي تدبها
في التمساة المائى « اويومسكا »
« مارصا » ، وكان المخرج من
العاصمة . بالانضمام الى قدرته على

استفادته عدد من الفرق المسرحية من العاصمة لتقديم عروضها في البيت .

وليد هنسا من وقفة عند مسألة « جهايمير » الفن المسرحي الضخم ، لأن أقبال الجهايمير في الثقافة هو ما يميز استمرار تطور ونمو تلك القاعدة المادية والبشرية الثابتة للمسرح ، ويرتبط النظام التعليمي ارتباطا وثيقا بعملية استهلاك الشعب للمنتجات الثقافية والفنية وتقديره لها . ويبدأ من نظام « النجوم » ، حيث فرضت الجهايمير بالنجم الذي يجسد أصلها المحببة ويحولها إلى أستاذا ورمزها الفني وينقل من محبتها إلى خلال العمل الفني الضخام المكون ، تنقل الجهايمير [التي خلست من أية الفكرة والكتابة منذ جيل كامل] تعليميا يربطها بالفن وينشئ قدراتها على التدقيق ويوصلها إلى اشباع احتياجاتها المعنوية من خلال العمل الفني بوجه عام ، ينقل التلميذ والمخبر الجاهل الجاهل بوجه عام ، على طول حياته الفرسية والجاسمية — منها يتراصد أعمق والتوسع في التسون المخططة [ويوجه خاص في الموسيقى والفن والنون التشكيلية] الأمر الذي يسهل في النهاية « الروجدان » الذي « يحتاج » إلى الفن الجيد والعمل القادر على دفع العمل الفني والتعامل معه ، والقادر على الخلق دائما بالزبد في الكعبة والتوسع . [ولعله من المثير هنا أن تذكر أن زولتان كوداي الموسيقار الجاهلي المشهور ، هو الذي وضع منحنى الدراسة الموسيقية الذي تنتميه حاليا مدارس الجاهل ، وتطبيقات أيضا المدارس البولندية والفرنسية والكندية] .

● سبق أن قلت أن المسرح الجاهلي ظل منذ نشأته « بيع » من حيث الاتزان الإداري والتبديل — ليحدث الخن [أو مجالس الخن كما يطلق عليها الآن] وتكون هذه المجالس بالطبع بالانتخاب ، وتشترك في الانتخاب المنظمات السياسية والشعبية الاساسية [أساسا حزب العمال الاشتراكي الجاهلي ، والجمعية الوطنية] ، أي أن القوى الشعبية ممثلة في هذه المجالس هي التي تشرف إداريا وماليا على المسرح ، كما تشرف على كل الزايف والخفيمات الحيوية الأخرى . ورغم الأقبال للجهايمير الضخم على « كل » المسرح

وعلى « كل » أنواع العروض المسرحية فإن انخفاض أسعار التذاكر نسبيا ، يؤدي إلى عدم تحقيق أرباح « سريعة » خاصة في العروض الضخمة التي تستمر فيها رؤوس أموال كبيرة، هذا على الرغم من أن نسبة معتولة من الأرباح المسرحية تصل إلى ٥٪ من مجموع العروض في العاصمة ، تستعيد تكاليفها من حصة شريك التذاكر في خلال عام واحد ، وأحيانا في أقل من عام . ولذلك فإن ميزانية المسرح [التابع لمجلس المدن] تكون جزءا من ميزانية هذه المجالس ، أما المسارح التابعة لبيوت وتصور الثقافة فتسولها إحصاءات العمال أو النقابات أو التعاونيات الزراعية التي تنشئ تلك البيوت والتصور في مراكز جميع العمال أو الفلاحين في المدن والقرى ولتكميها تنبع من ناحية الإشراف الفني [أي اختيار المسرحيات وترشيح المخرجين والمخرجين وفواد الفرق الموسيقية] لإدارة خاصة في هيئة المسرح بالعاصمة . ورغم أن الحسابات الخفيمات لكل بيت مسرحي في نهاية كل عام لابد أن يبين موقف البيت الاقتصادي [وأياها أو خاسرا] فإن الميزانية المرسدة لتسلطه لا تتأثر بهذا الحساب ، البرنامج هو الذي يتأثر ، والبرنامج يناقش أساسا من وجهات النظر الفنية والإيديولوجية والسياسية ، وليس من وجهة النظر التجارية ، فالمسرح ، مثل كل النشاطات الفنية والثقافية الأخرى — لا ينتظر إليه باعتباره عملا تجاريا ، رغم أنه يالعمل عمل اقتصادي وغير خاسر من وجهة النظر التجارية ، بسبب أقبال الجمهور الذي أعد بالمتمتع أعدادا جيدا ، والذي يشتع بسموى ميثاق بشكل واضح — يجعله قادرا على استهلاك الفن في مسرح ودون حنت .

بعد هذه الصورة العامة للواقع الكعبة » والتنظيمية للحياة المسرحية في الجاهل ، لنقترب الآن من الماحصا الفنية .

مثل كل المسارح الأوروبية — في الفترة [أي يستفادته أنجلترا] يعمل المسرح الجاهلي وفق نظم « اليرينوار » أي أن البيت المسرحي [الذي يضم في العادة فرقتين ، ويصل لحجبتها على

مخرجين] لا يستمر في عرض العمل الواحد حتى يستند أقبال الجهايمير ، ثم يلغيه للنسيان أو حتى تلجئه الحاجة إليه ، وإنما يقدم البرنامج « الأسبوعي » في المدة مليون لكل فرقة من فرق البيت المسرحي ، يقدم كل منها لمدة ثلاثة أيام في حلة الماتيني أو السواريه . والعمل الجديد بالطبع يمثل لأهله الثلاثة من كل أسبوع طوال أسابيع « الموسم » الذي ظهر فيه العمل ، لذا ألبت استمرار تجلحه استمر يشغل بكافة طوال مواسم الفصل التالية [أي في مواسم الربيع والصيف والخريف إذا كان العمل قد ظهر في موسم الشتاء مثلا] . وهذا معناه أن « الفترة » التي تدم الآن عيلين ، تكون في المادة خشونة بأعداد عمل آخر على الأكل — وبالطبع على تبادل الممثلين والمخرجين بين الفرق وبين البيوت المسرحية ، ولا من اشتغل الممثل أو المخرج في وسائل ترفيهية أخرى كالأنشاع أو التلفزيون أو السينما إذا كان الممثل سيكونها أو أن يكون في أوقات البيروكيات والعروض أو التصوير أو التسجيل للعمل الجديد — وهي أوقات تحدد مضمنا « والمهم هنا » الانتباهات الكتلل من جانب كل المشاركين في أي عمل ، الأمر الذي ييسر عملية التقدير أعضاءا على الوثوق المطلق من هذا الانضباط ، واعتمادا على « نظم » أخلاعية « محددة رفيا على أساس حصلي » تسود توزيع الأعمال بين الجميع بحيث تتساوى فرص الجميع في العمل إذا تقاربت مواهبهم ومستوياتهم .

ولأن نظام « النجوم » يستبعد أهلا رغم الإعتراف بألواهب الكبيرة ، فإن المخرج والممثل ، لا يتخصصان في أنواع معينة من الأعمال أو الدوار ، أن الميزة العظيمة إيرين يشوتا ، التي أنت شخضية « الأم الشجاعة » في مسرحية سربخت الشيرة — هي التي أدت شخضية « جيل موسكا » في الجوهريبا للتنمية الأمريكية « إلفان من أجل الأربعة » ، للكاتب الأمريكي العامر ويليام جيسون والممثل العظيم بالمشافي ، هو الذي أدى

أن يشعر بأنه قادر على مشاركة جمهور المسرح على المسامح « انقدم » مليستفغ به وما يتفوقه .

ربما لأن الجرحين كانوا من أسبانيا بعد زمن قريب نسبيا ، وربما لأنهم القوية بالشرق نتيجة للاحتلال العثماني ، وربما بسبب التأثير بتقاليد العفصارة الغربية التي تعودت على استهلاك المنتجات الثقافية للحضارات الأخرى ، وربما بسبب الحيوية الثالثة للحركة المسرحية : ربما كان أحد هذه الأسباب أو غيرها هو ما دفعهم إلى الانخراط بالمسارح الشرقية [غير الأوروبية والتي لا تنتمي إلى المتبع الأوروبي القديم] اعتبارا جعلهم يفصحون مسرحا ورفقة كاملة لمنتجات المسرح الصيني والياباني والهندي ، بل والمسرح التركي والمخرج كازيمير كازوي هو صاحب الاتجاه وأبرز حديه على الأقل إلى درجة الولع بأعمال هذه المسارح بلا يتم فهم فيها تفريرا . وكان العمل الأخير مأخوذاً من إحدى الحكايات التركية من « جحا » مع الاستفادة بشخصية الأراجوز واللجو الشعبي التركي ، بالويسي والرقصات الشعبية التركية ، وسببت المسرحية « قرة جوز » ، حيث يتعلم للقرّة جوز مع نفال الجرحين ضد الاحتلال التركي والدخول التنساي ، ويشترك في نصح أسلوب المستعربين من اليمين .

من الصعب أن نستوعب هذه العصور المسرحية كل ما يتبعه به الحركة المسرحية الجارية من حيوية وفراء غير عادية . ولكن يمكننا أن نرجع هذه الحيوية إلى جانب الانسياح العادة والمصلحة إلى مبدأ أساسي ، هو أنهم لم يتفوقوا إلى بتأثر مسبق من « العمل » المسرحي سوى بكرة احتياج الجمهور إلى مسرح تروي ويروي والتسلي ، قادر على استيعاب كل مصور المسرح ، « كل » بأسرعة ، من ثلاثيات استغفوس إلى مدينت المصنعات ذات المثل الواحد والفصل الواحد حتى تسجيليات وهروفس المسرح الشعبية والتلفزيون التي تفرق الآن في المئات ، وذلك على مستوى المسرح أن يستوعب - في نفس الوقت - كل الجمهور الذي يريد - « رأدي » يستطيع - أن « يستهلك » ولي « بهبه » كل هذا المسرح بكل لرائه ويحيونه .

تمثل المكان الأول ، طبعا الأمصال الجارية ، ثم الترحيلات من الإلتية [شيلر] ثم بريخت ونابلس ، ثم دوريتات وكلس نريش] - لبا الترحيل من الروسية ، فانتس لم أشهد عملا من كسل روسي سوى « المسرح » الشهيرة لرواية جوجول التقنية « الخشتي العالم » وكان المخرج رومينا ،

وهذا معناه أن المسرح الجري ينشأه الزائر بعينه أساسا على الترجمة ، رغم توافر عدد لا بأس به من المؤلفين الجريين [لا تشكلم مسألة الوسور السريع إلى العالمية] أنهم يثقون به ، أنهم يوبا ما سوف يصلون [ولا يتقدم إلا بالصوتى التي الجيد للممثل المترجم . ومصطلح الترجمة ، يمكن تسميه بشكل واسع : أنهم لا يترجمون « النص » وحده ، ولكنهم « يترجمون » أو « يثيرون » العرض نفسه إذا لم يكن ذلك . لقد أفرزني المسرحى المصرى ، الصديق الأستاذ أحمد عيسد العليم ، الذي كان يتابع النشاط المسرحى في الجرد علم ، ويشترك في إخراج بعض أعمال مسرح الأوبريت الأفرنى أن فلوش لزلو ، يخسرج « الأم شجاعة » جاء قبل الشروع في البروفت فيلم سينشاي كابل مسجل مرعا للمرحية من إخراج بريخت نفسه في البرلينر انسابل ، وأن لزلو يكاد يكون قد صنع صورة طبق الأصل من هذا العرض مع أضافات أساسية من عندي بالطبع . [وكان أحمد عيسد العليم بشارك لزلو في عمله في إخراج أوبريت تكالين دوهاني ، وقد ساعدني كثيرا في التعرف على جوانب وشخصيات كثيرة وهامة في المسرح الجري] .

وتدأست ينشئ في مرض أوبريت « سيدتي الجميلة » أن فلوش لزلو نقل مشهد سباق الفيلس في المسرحية القتالية بن الفيلم الأيرني الذي كان مأخوذاً في الأصل من عرض مسرحي قدم في برودواي - وهذا « النواضع » وإن كان مأخوذاً قويا على مسألة المخرج وعمله المسرحي ، يساعد دون شك على الارتكاع بمستوى ذوق الجمهور ، ويضع العمل في المستويات الأسلية للممثل الترجوم ، ويظل بن فرض ترفيه للمل أو تشويهه ، إذ أن عمله الأساسي هو تقديم عمل جيد لجمهور ذواقه يحب

شخصية « توبيا بالسع اللين » في البرادراما الاجتماعية الثنائية « هازف الكمان غول المصطح » وهو الذي أدى شخصية « مياكيت » في التراجيديا التشكيبيرية . والخارج فلوش لزلو الذي أخرج « الأم شجاعة » أحو نفسه الذي أخرج « سيدتي الجميلة » والمخرج الشاب مارون لزلو « وليس هناك قرابة بينه وبين فلوش لزلو ! » يقدم عملا جديدا ، مسابيا ونسليا حيفا وتقدمي الشكل والغالب اسمه « تقرير خيالي عن مهرجان بوبيا إيريني » ، ويقدم في نفس الوقت إحدى مزايايت « فيبو » المشاهدة الخالية تقريبا من أي معنى سوى معاني الرسم الكاريكاتيري ، الأتلاشي للحياة الزوجية . وقد يؤدي هذا إلى ابتعاد المخرج أو المثل إلى وحدة وانسلاص حياته الفنية الحالية ، ولكنه دون شك سيساعد على إثراء تبحره وأسلوب تعبيره الفني وسيمثي خبرته في مستويات ونواح وإتجاهات العمل المسرحي وفنون التشكيل والآداء دون حد .

في عملية « الاتجاه غربا » بالمعنى العفصري ، التي بدأها المايجاسر [الجريين] الأوائل منذ وصولهم إلى أوروبا من أسبانيا من منتصف القرن التاسع ، ما زالت مصفورة إلى الآن ، رغم الانشراكة الماركسية ، أو ربما بسبب الانشراكة الماركسية [الأوروية] لأن عملية استعجاب العفصارة والتقدم الحضاري ، كانت تمنى الإيهام بتأنيذ الحياة والتفلسف الغربيين ، ويتكادفوا واكتابت الحضارة الغربية ،

وفي المسرح ، يتضح هذا الاتجاه بقوة لا تفارح . لقد احتلت بلدان أوروبا الغربية الرئيسية [إنجلترا وفرنسا وإيطاليا] ثم أسبانيا ، إلى جانب ألمانيا] العمل الذي كانت تشغله القيا بلودوها في الحياة للتفلسفية [والمرحبة خالصة] الجرية منذ احتل النيساويون البحر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن الموسيقي الأوركسترا والباليه الروسيين ، لا يبدآن تناسلا حقيقيا في هذا الجبل ، الأوبرا الإيطالية [مونتيفري وپوتشيني وفيردي] نادرا الأوبرا الألمانية [فايفر] أساسا [وتوقع مليها هنا والترجات المأخوذة من المسارح الفرنسية والكتيليزية والأمريكية ، ثم الإيطالية والأسبانية ،

صلوات القمر المختنوق

شعر : أحمد الحوتى

تقلت منه ريح السحر .. ابهر ...
ليس يعرفني
ولا ميثاؤه للقادمين .. يثنى ..
وأعرف أنهم يلقون شيئاً فى مهب الشمس
وأن البحر .. لا يثشق .
ولا يفتالنى الريح المحاصر ..
أفنى استقدم الريح الجرىء .

[٢] تعويذة

فتراح فى شرفاتنا شمس الغريرة ..
وتسقط الأوراق .
يمتد حبل العمر .. نقرا ، كل يوم ، آية
وتدور فى سميت الرواق
متوضئين بأحرف التهويم .. فى مسطح النتيجة
وميممين صباحنا ، وظهورنا ، عنف السباق !
فلعلنا نستبطر الغيم المطارد ..
والاجفة فى بطون الأمهات ..
ولعلنا نلقى بتقوانا الى نهر النبات
ولعل آخر أحرف التكوين شاهد قبر
ولعلنا عرق اللقاح على تويجات النبات
ولعلنا قبر ، يضاجع حزنه يوماً ،
ويلقى بكرة الأرض التى ماتت
على ظهر البراق .

[٣] صلاة

لتجهش السماء ...
لتجهش السماء ...

[١] الريح

بلا جيعاد .
أدار البدر وجه الليل .. واختنقا .
أفقا من ثباتنا ..
وقد غشى الدام .. دما
قيلنا نحتمى .. فرقا
هى البيداء ، لا كأس نهيم به ؟
ولا ساق لنا رقا .
وأعرف ، أن آخر زفرة كانت لنا بداية
وكانت ركمة للحرى واللغة الضبابية !
لنا جلد الشياه ، وزحمة الإبار ، والشمس
الطريفة
لنا الأرقام فى سميت المضاجع ..
والجريدة ..
سحاب الصيف .. قبلتهم ..
وباب لمست ادخله ..
[فلانار الشتاء يثيرها عجزز الفقير ولا
كلباتنا رسم البواخر ..
أو خطى الطوفان .]
أو سميت الأسير .
لهم منا التكايا والكؤوس الذهبية
وأعرف أننا غضب الحكايات الجديدة
وأن لنا فنتيح المواسم ..
والتصيدة ،
وأن البحر .. لا يثشق ..
[يخون البحر
إذا احسست بالموت بالبطء يخون البحر ..]



هزى رتاج النور
يوغى لنا بالنذر
من شوقه المحطور [
أيا بنسات الجنة
سلاسل الاعنة
تدميه . والاجنة
فى بيته المهجور [
والبدر .. لا يفيق !
ويكرر النداء
يصير غيبة .. تصارع الذهب
يفنى بالحنين ... ينسكب
يلقى على وجه السماء .. دمعين
قطرتين من غضب
ولا يفيق !!
وأنت فى الصحراء ..
صبية .. يشتاتها العدو ، والصديق !
تبكين ؟؟ .. ما تبكين ؟؟؟
ميراثنا حطين .
وغوثنا تهاؤب السحب ..
[دمعى على الخدين
أبكى على صرح خشب
أبكى عليه ، قسة ..
ومئرا .. وأهرا
تفشاء بالذهب]
وأنت فى الصحراء
يفتالك العراء
وفوقنا .. تهاؤب السحب !

[٤] أفضاء

أنا الذى رايت كل شئ
وطفت فى الممالك البعيدة .
— وسيطرت كئاسى —
أنازل الملوك
وأعطى زخارف التيجان
أتيه .. فارسا
وصولجان .
فلتصمتوا ...
ولتحرقوا الصحائف الاثيمة .
فأثنى أقولها .. كالسيف :
يخوننى السابق .. مرة
ومرة .. تخوننى الهزيمة

فالبدر يفتنق ،
يفيم فى الصحراء ..
فى الصحراء .. يحترق
تفهم الأرجاء ، لاتنحو على أسبالة ؟
فيضئع !!
[أيا بنسات الحور ..
عكى خناتى البدر ..

[5] مواجهة

والتاريخ .. والغوشى ..
وتبغى غير مهزوز القدم
ماذا تبغى من كقلب المشق ..
فى كئيبان من رحلوا ، ولم يستبظروا فيها
ولم يمشوا كما تبغى التسم ؟
ابدا تصيح ،
أنا .. وأنت
صوتان يحترقان — شوقا — فى بحار الموت ،

[7] الخوف

[أيا بنات الحور
فكى خفاق البدر
هزى رجاج النور]
يدير البدر أعينه من الكلبات
يدير البدر أعينه .. ، ويبقى الخوف
مطروحا .. ، بلا قسبات ..
على رثيقه بعض مرارة الاحياء
بعض تحسر الاموات
لمن يعطى ؟؟
يقول اليوم احرعه .. بلا الغاز
ولا يبكى ...
وحاديننا .. ، يكون
على اراضينا .. ، يكون
زمام مهرتنا .. وفرحتنا .. ، يكون
يكون الخطو .. والمهمز
بشج الصخر وسط السوق .. يشعل
غيلة القراء ويكسر دورة التاريخ .. يلتقى
بالوشاح على غشاوتنا ، ينبصر
تلوح لنا البشارة .. والامارة
نيم شطر غزوتنا ..
يجف الداء .
[أيا بنات الحور
فكى خفاق البدر
هزى رجاج النور]
تهب ريح الضيق
محبوطة الزمزم .
تهب ريح الضيق
تتجر الكلام .
تهب ريح الضيق
اقول .. ما اقول
من غير ان اخاف .. او يهيننى الزحام .
تهب ريح الضيق ..
فاصر الحياة .. لحظة ،
أو كلبة ، تقال فى مجازة الطريق ..

● تحتلحنا ريح الخطر .
— واسير فى نفس الطريق ،
فانهم قد علموني كل شيء .
[هم علموني ، كيف اخشى
ما تخبئه الغيوم .. وعنف ما تخفى
براكين المسفر
اخشاء حتى صار حقلى جوريا
وبات حقلى .. بلعبا
صارت دسائى كالبحر]
● تحتلحنا ريح الخطر .
لكنهم قد علموني ان اكون طيبا
وان افر للقساء .. والقدر .
● تحتلحنا ريح الخطر !!
لكنهم قد علموني ان امشى روى الحقيقة
.. لا الحقيقة .
فاصر وسط الانتقاء .. ، متوجها مرش
البرية
لأننا نحن الهياج ، لنا السماء .
[ولنا عظام الشاه ..
فى يوم الضحية !]

[6] العشق

صوت : ينشق صوت الاستبداد فلا يجاوبه
الرماد
ماذا تبقى من شهود ..
ومن يحاوره يعاد ؟
[يا أهل عاد
هذا النعاس .. وفوقنا تمز بهوت ؟؟]
ويصيح لا يقتلان يسأله
ولا صوت يداعب مشقروت 1
ويصيح .. ، كم سنة يصيح
كانه .. ابدا .. يموت !!
صدى : أنا .. وأنت
صوتان يحترقان — شوقا — فى بحار الموت .
بحارة نجتاز خلجان الالم
ما كنت اهوى ان تحل .. وان تمانقنى
تباريح الكتابة
يا من تصيح بهيمة الموتى .. واصرخ
يمطى صوته سحبات الكتابة
واصبح يعضنى الالم
ها من تجرجر جمية مملوءة بالشوك ..

ثلاثة أبحاث

عن

المسرح العربي

لجرت « المجرة » السنوية في واحد من أمدادها الأخيرة عدداً من الإيماءات التي أقيمت في مؤتمر المسرح في الوطن العربي الذي عقد في دمشق من ١٥ إلى ٢٢ مايو الماضي .

ولعل أهم هذه الإيماءات هي مقترحها أن تكون على الرأى من « التراث المسرحي العربي وتضيقه الانتشار » ، والاعتماد على ما طور من : « علاقة المسرح بالدولة والمجتمع » ، والاعتماد على حصة « علاقة المسرح بالسياحة الثقافية » ، وبوسائل الاتصال الجماهيرية » .

عشرينات هذا القرن .
وقد كان لهذه الفصول اثر كبير في
تكوين الكوميديا المصرية [على نحو ما
يصل الباحث في كتابه: الكوميديا المرتجلة
وفنون الكوميديا] لقد تأتت على اساس
توى منها كوميديا على الكيمار ونحبيب
المريخاني ، وابتدع هذا الاثر الى كتابات
ادباء محدثين مثل ابراهيم رمزي ومحمد
تيمور وتوفيق الحكيم .

ويصل الماشح إلى وجهه ويهزئه بالتأني
القصير سرحيات الظلمين وسرحيات
عقولهم وقوم واسماعيل صمم، و
تكره حتى يصل إلى آخر العمر
الحيث : « هل إلى أن أجد تجربة في
الطلاق تتبر إلى كل استخدام العرائس
ومرر الحمايات لكثرة سرحيات صبي
تبني إلى التي قام بها اللئالي أخيراً
القصير الصفيكي وكذا في حبش التي
التي بنسوان » محاليت بعد الزمان
« الهذلي » ، قد اعتد الصفيكي
مها في محباته بعد الزمان وتلقف
قد جعل واسماته الحسية
وتأخذ من الله بعد وسيلة أخرى
الحابة بن الشكل إلى - وهو مرجى في
أسسه - بن بصون بغير عمره »
إلى أماته الصفيكي في هذا الحسون
يجعل ضم طليقا بورا على العصر الذي
« صبيكي فيه »

والى جوار التراث المسرحي الناعم -
بنون الجرائس وممرح المقامك - هناك

بعد الفلكور على الراعي بحدته الشاذة
 في الملاحظة أودعها كذا في شديدا
 في كذا « صرح الخليلي من كذا
 الحزين » ودأبا إن امرئ الفتية كانت
 من أبطر صفون المراسل
 ونوبها « التي الجسمة والصور »
 ولومع دنا اختلات الفروع التي تفسل
 من سر السرج في سر القديرة « ويمكن
 إعادة صياغة وضع السرج العربي :
 في تاريخه وراثته على النحو التالي :
 « ولعبر بعد جيلين على شكل
 « بديع الزمان الهندي »
 « فليدع الصوري » وثلث هذه
 فخال نفوس هراثما والمستعجبين
 التي تهبط بخليل إلى أن تبقى لأن
 « دافان » فليدع إليها من « صرح
 « دافينا عام اللط والذى كان يهوا
 « العروبي » إلى صراحتة تعمد على
 « الخليل » والنور والموار والشمس
 « والشمسية » وأتم هذا كذا بقوسا
 « ونر سائر »

وقال ذلك اللون من مسرح خيال الظل
 قائما في مصر ، وانتشر منها الى تركيا
 ومن تركيا الى مسوريا حيث ازدهر
 ازدهارا واسعا ، الى ان فكر الفنان
 السوري جورج فخوري الى تحويل اصول
 الخيال الى تجميل بشرى لنشأ فنونه
 الفسحة وحملها بمهارة مصر ، وظل متعبها
 في امكان التجهيزات الشعبية الخفيفة
 منذ اواخر القرن الماضي حتى نهاية

قائمة هروفي الشوارع والكرفانات التي
مرت على كل من العراق وسوريا والمغرب
وبشبه الجزيرة هنا التي غاصرها الوكيك
في تمام في السراق للتحليل بركي
بأداة كبرياء والحد الصين ، ويقف
تستعمل أمام باهرم في الجاهلون باسم
"مسرح القبط" : الجاهلون إلى
المشركون إلى الوكيك كانوا يتوجهون إلى
أحد المخزن أو قصر الملك إلى جو من
الثقافة والمخ ، وقد ارتدت كل منهم
بأمر إمامي الألمان ، وقيل على وجه
تمام من الدم البائس ، ليبين من
الظلم بما شاء من الفكاكات الجريئة
أمام الحضارة الفلجية حول خيلوا استيعاب
على الطريق تنطق بالوكيكي جيوغرافيا
الطوائف مغفولها ، وهذا من الكلي
ساحة الصغر تخذ كل جماعة كتمها
القصص لوسا ، ثم شرع على تقديم
بمليانها لأغلبية إلى الواقعة التي تكون
برجيلة وتقول في القالب جنبنا لتجديد
مختلفة الشخوص لطبع شكواهم
للظلم . هذا المسرح - كما يؤكد
الكصور الرامي - قدار على ب
قد لنا شعبة مسرحية تصنع
بين الأصالة المصمرة -
أعدوا " بلندق لمبحث في واقع الحياة
حدثا وسعيها إلى تعديها على المسرح
جود الفصح والكتابة " وقد كان هذا
تأيا هدف المسرح الكوميدي والرجل بين
الحا كوميديا الرحلة الإيطالية إلى الان

- 178 -



(٢) الوسائل التعليمية : ونقسمها إلى الكتب والجلات والورقات ، والصفحة التي يتخطى بها المعلمة الأولى هي التي يلاحظ ان في صورة ١٤ شك في ، والكتاب و في هذه الصورة يرى الباحث انه ١٤ ذات سماتها الخاصة التي لا يستطيع ان يكتشفها الرائي ، الفكرة ، والصور ، وفي ذات شك ترى المؤلف المصري في العمل العربي (١) ان بيئة الاتاج ١٤ في صورة ١٤ التي اخترع اسمها ١٤ في كل من الزاوية ١٤ الخاصة بالعالمية في الصورة ١٤ ، وولكن ذات ١٤ من العنصر ١٤ التي التمتع العربي في افكارها ذات السمات العربية في الترجمة حيا ١٤ ، انما ذات قدرة على تصويب اليأس الخاصة بها الفكرة والصفحة ١٤ ، في حلل لهذه المسألة الخاصة بها ١٤

والخطا الرئيسية التي يتفادها
البلست في هذا الجزء من بحثه ناقشته
على المسرح ووجدها ، وهو يبدأ ناقشته
على بلوك جودو (الرقابة) ، فهي ،
من ناحية ابدأ - أجراء مأخوذة في
البلجمنت ؛ وان كانت قد التبت
في ابرار ، في اجناراد ، منسجة مثابة
ووجدها [] ، لوستة الجيرة في وجود
الرقابة التي تلجس الى العشرة في استعمالها
وطريقة اوزادها لسلطانها كجبار -
اجرة الضخم والتضيق لغدة المسرح
في كون جودا لفرق والمصارعة
ونجها للشباب امرضى . [لنا 13]
وتجيبا الى الرقابة غير الواقع التلويحي
اسمها ، لاراعا انها كانت اذ
تستغل كسلطة ظفر والارباب والاع
والصادرة والرقابة [] ، ويتأثرت
الاولى انواع الرقابة المثلية [] ، فتأثرت
رقابة بارسا - رجال المثلية ، ورقابة
رقابة طعم الحلق [] ، وناقطة
تخضع للسيطرة الاستعمارية وتولده
المحركات السعيدة في فرع المصركات
التاريخية والعبرية والرقابة [] ، وناقطة
ذلك النوع من الرقابة التي تخضع
لخصيت الصراع الطبقي ، ومن يتم
الى الاساقفة الى سلسلة التلويحي
الموضوعة [] ، والتي تعبر من التلويحي
تجربا ملمزا لاراعا التناقضات القلبية
في عملها المبالغة [] ، ولعلينا ان
الطرافة حيث يلتمز المسرح الى يتعثر
تصورات اذ هو في اقدم امر يتلويحي
والفكر ، او السلوك الذي يكن
بين من تلويحي الى يتعثر ووجدها
في صلبها به يعود الى مسلمة الدين

يقول الباحث: تمت عنوان « تهن
المنزل المبرهي »، « لكن الشركة
المبرهي في مصر على قدر ما لفت من



توفيق الحكيم

والدراي من أهم وسائل التثقيف في الوطن العربي ، وبلاغة البعثات أن انما يستفاد من الجلات المسرحيات تصدر في بعض الاطوار العربية — كسر مثلا — « فير أن تلك الجلات » رقم نورها الحيوي في التعرف بالهجرة المسرحية الداخلية والخارجية كانت تتمر في طريقها لاسباب عديدة كان من الجكن ازلتها ولصحيح المسار المروج دلا من الاجتهاد عليها ومصادرها .. ولا شك أن العالم العربي في أمس الحاجة إلى مجلة متخصصة قادرة على تتبع سبب الحركة المسرحية في السواد الوطن العربي ، وبمساهمة نقاشا ثرائه وفكراته ، وبمساعدة القدرة على متابعة ما يجري على مسارح العالم الخارجي .. »

بقي دور الصحافة العربية التي لعبت في الماضي دورا جوهريا في تطوير ثقافتنا الماصرة وفي تشييد فكرنا الأدبي ، فير أن البهاث للاحظ أن الصحافة العربية « قد أصيبت في الربع الأخير من قرنا هذا بفقر شديد ، وصل إلى حد العدا .. من المادة الأدبية والفكرية الفالمة حتى تنقص .. أن انزاح جانب .. الاهتمام الكبير الذي كانت تحتل به المسائل الثقافية في السنين القوالى .. » هكذا أصبحت أركان الكلمات المتداولة وأحيان مواليد حذيفة الصيران وزواج وسلاط تردنا وتسانسها أهم بكثير من شرميل أدبي أو فني « يتهم » بالجدية والنقص .. » « ويرى البهاث أن على الصحافة — التي لا تزال هي الأرض الأكثر انتشارا — « أن تتحمل عبء الأروحية الثقافية بوجه عام » بما إلى ذلك لا يصلح بالحركة المسرحية ، فكما تقرر لصريحات الشعر ، مساهمت أسبوعية متتالصة ينبغي أن تنقص مساهلات أخرى لأثر المسرحية الصيرة وبعبارة النقد والتحليل الجاد بما يمكن أن يعود الجمهور على الفحة الثقافية الجادة يوم .. »

نقرة مسرحية في كل كلية ، وأثناء الفرصة للفرق الجامعية الفسلفة في المساهلات المسرحية لعرض مسرحياتها نذرة محدودة من الوقت — على خشبات المسارح الحديثة — وعقد مساهلات في التأليف المسرحي أو الترجمة بين طلبه الجامعت ، وترجمة البهاث الكتب العالمية المتخصصة في فنون المسرح ، واتاحتها للطلبة في طبقات شعبية .

ثم يقع البهاث وقفة طويلة لاهتمامه الثقافية الجماهيرية ، فيلخص مساهلات هذا النشاط ، ثم يقدم اقتراحاته :

١ — إنشاء قصر للثقافة في كل جامعة وطنية بالوطن العربي ، تكون مهمته تقديم الخدمة الثقافية لطلابه من مادة الشعب ، وتشتمل تلك الخدمة لينا يمكن أن تتجه أمكالت المسرح والسبينا والموسيقى والفنون التشكيلية والفنون الشعبية والمكتبات والمحاضرات ونقشة الطفل والخدمات المساة .. الخ ، بحيث يصبح القصر بمثابة مركز إشعاع فني وثقافي في نطاق كل اقليم .

٢ — إنشاء هذه القصور وتوابعها ليد أن تكون مسبوقةا ودراسات اجتماعية ونفسية وبانية متخصصة عن الطبيعة السكانية في مواتج العمل ، حتى يمكن للمسؤولين الثقافيين اكتشاف مؤامات المجتمع المقوم وسبلاته من التواهي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

٣ — ولا شك أن الصحافة مسلة للتوصل بمقاريا إلى شكل مسرحي بسيط يمكن تنليده وتمحيه فوئنا تكاليف بسيطة ، كما يمكن استقدام مسارح متنقلة يسيل تركيبها ونكها والنقل بها .

٤ — وكما تضم الثقافة الجماهيرية نواد الطلوم والسبينا والفنون التشكيلية يمكن أيضا أن تضم نواد للمسرح هدف إلى تشجيع البوادة على تقديم عروض مسرحية إلى جانب تنظيم محاضرات وبنقاشات في فنون المسرح .

وفيما يتعلق بالجموعة الكلتورالافيرة يرى البهاث — بالنسبة للثقافة — أن « حركة ترجمة ونشر القصص المسرحية وأبحاث النقد الدرامي ما زالت تفتقر إلى الخطيط الموضوعي والتنسيق والاهتمام ، كذلك فإن اختيار غالبية الكتب المسرحية المؤلفة أو المترجمة يخضع لاتراخي فردية غير متخصصة ، وعلى هذا الأساس قد تصبح الكتب المنشورة والمندولة بين أيدي القراء إما سطحية المادة أو مكررة أو غامضة أو مجالية لنزق المساهلة العائرة .. »

وتعبر الجلات والنشرات الدورية المتخصصة في معالجة شؤون المسرح

١ — القياس وتعريب بعض المسرحيات الأجنبية التابلالائلية والتلعب بمسانيب المناخ الاجتماعي والفكري إلى بلادنا ، كما أن في مسرحه الروايات والنقص العالي ما يفسد بعض الصلابة إلى ندوس درامية .

٢ — تخصص مجلة أدعية ثقافية — ببرنامج الثاني بالقاهرة — لتقديم النراج الثقافي الرابع سواء كان محليا أو ماليا بترجيحا . ومن الملاحظ أن المجلات العالمية (الوثقة على الإرسال الفني للاتاخي تقرر حذيفا على مدى استباحي سمر جغرافيا يكاد لا يندى مطاقة الإرسال يكون بترتاز طفلة ، بينما النهل المعشوي من البرامج الثقافية المتخصصة هو توميل المعرفة الفكرية والفنية إلى مبسحي الفن والفسري البعيدة « الحصرية بما ضم به العوام من مؤسسات ثقافية وترجيبة .. »

وثالثي معظم البرامج الثقافية التي تقدمها الإلامات الفنية العربية منوط المسوي ومزاولة البرامج الترفيية التي يمكن أن يوصف بعضها بالفنائة والأصراز على ترويج الفنون السليم .. » وإذا كانت معظم الإلامات الفنية في الوطن العربي قد التجات إلى تسجيل بعض المسرحيات الخطية المعروضة ويها ، فإن تلك العملية بتسليها ما فتئت أن حاجة إلى تطوير هري وسياير ما وصلت إليه البلدان الخلفية في هذا السيل ..

وبالنسبة للجموعة الثانية غار البهاث للاحظ أن « النظرة المصغرة لناصح التعليم في الوطن العربي مسلة ملة فؤدت علوما من موادادب المسرح ، والتي يمكن أن تتمثل في :

[١] قدوس بعض النصوص الدرامية ، وتاريخ المسرح كوجه من أوجه الحضارة الإنسانية .

[٢] مسرحية بعض المواد الدرامية الدالية للمسرح بما يمكن أن يدخل في لفظ استخدام الوسائل التعليمية . أما المسرح الغربي من يرال غربا من هروب التشابلات الثقلوية التي توضع غلبا في مؤخرة التشابلات الفنية العرة أو الترياسية ، ولا يتصلح وضع المسرح الجامعي من ذلك كثيرا ، ويقيم البهاث طالعة من الاتراهاات أهمهاديم ادارات المسرح المسرحي وتوزييع اختصاصاتها على أن تولى الأشراف الكليل على النشاطات المسرحية نسي الدارس الابتدائية والثقلوية ، وما إلى مستوواء . وما يتقرر للمسرح الغربي يمكن تطبيعه أيضا على المسرح الجامعي مع بعض الإضافات مائي تكوين أكثر مسن

على مشارف فن الاحتجاج



لوحة من أعمال الفنان أحمد عزمي

يعرض أعماله علينا هنا في هذه النقطه الخلقة من العالم ، والتي لا تمانى من أمراض التكنولوجيا قدر ما تمانى من الاقتدار إليها ، لأن هذه الأعمال تنقل مجموعة ألوان ومساحات جميلة نظيفة لا تقول الكثير .

وإذا كان غايل المصري يرى أن الفنان القوي التوثيق على أدراكه صراع الوجود والواقع .. فإن ما نراه في لوحاته هو عالم ميثاقيزي لا صلة له بالواقع ، عالم شليل السكون تشيع الألوان حتى يكاد يقتصر على الرماديات كجو الاحلام ، عناصره هي أبنية معمارية ذات اعمدة شاققة وحقوق ، ككهنوس اسطورية مهيورة ، وكائنات كروية معلقة في فراغ ، وأوان مستديرة فوق مكعبات راسقة على ظلاله من الضوء الباهر .. ومن هنا فهو مصور جيد يحترم الكتلة والضوء والمكن ، ويقطع الفراغ في لوحاته بواسطة هذه العناصر ، لكنه يظل بعيدا جدا عن صراع الواقع .

وإذا كان مصطفى هيد المعلى - من خلال « فضائياته » ومن خلال « عالم الصمت » الذي يتناثر به لوحاته - يدعونا إلى الاستسلام « بارهاصات الحاشي الجنتين الذي يشكك أن يولد .. » ، فإن ما نراه مجرد مخلوقات كرتية مشتقة من أشكال هندسية صارمة مثل الدائرة والمثلث والقطر ، تتناثر أو تتدور بلا ضجيج في تفتايات أو تلافيات متبادلة عبر الأفق منبسطة لا نهائية ، في عالم شديد البهره والسكون ، عالم خال من الفراغ والتوتر ، استتب فيه النظام والسلم .. قول هذا هو العالم الذي يشر به الفنان ؟ .. هل هو العنصر الذي على وشك أن يولد ؟ - لقد نجح في أن

أعمال تصويرية .. فهل تحقق لنا ذلك ؟ إن الفنانين الثلاثة - وهم من طليعة جيل الفنانين الشباب الذين شاركوا بأعمالهم في الحركة الفنية خلال السنوات العشر الماضية وأثبتوا وجودهم فيها - بالسيبهم التنبؤية - قد حملوا أنفسهم لوق طلائعهم حينما صاغوا في مقدماتهم هذه الكلمات الضخمة ، لتاريخ التطور الفني لكل منهم - من ناحية - هو رحلة معاناة من أجل خلق أسلوب خاص يأنف في معظم الأبحاث من أن يحمل بداخله مضمونا سياسيا أو اجتماعيا ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هي الوصول إلى التجريد البحت (خاصة بالنسبة لعزمي وعبد المعلى) ومن ناحية أخرى ، فإنهم حين التزموا مختارين بهذا المضمون مع وجود الأسلوب المناسب للتعبير عنه ، وأما استمروا يصورون بنفس الأساليب التي كانوا عليها بشكل معلى طوال سنوات وكان التجريد أبرزها ، ومن هنا ظلت كلماتهم مجرد كلمات طموح .

لماذا كان عزمي يدعونا إلى أن نستشعر معه « الخوف من مصير مجهول يتهدد الحضارة الانسانية » ، لأن لوحاته ملأت بالسطحات اللونية الناعمة النضفة ، وبلمسات الرشاة العريضة المنتمية التي لا تحوي خوف أو قلق .. لكن لعل هناك - من ناحية أخرى في عدد من لوحاته - ذلك التشويق للحياة الانسانية بعيدا عن صفعها عصر التكنولوجيا وحولها إلى كائنات استهلاكية تحقق « بغايتها » مزينة .. ويبدو ذلك في تلك الاشكال المعمارية الصلبة .. ومن هنا يكون لخوف البريق المعدني .. ومن هنا يكون لخوف الفنان على مصير الحضارة الانسانية ما يبرره .. إذا كان يقبع معرضه في ديورته مثلا ، أما وأنه لا مفر أمامه من أن

و .. عالم اليوم « وحشيرة القرن العشرين . ولقد أجنح المادى ورفاهيته الزيفة التي يظلفها مجتمع قائم على الاستهلاك ، هذه الحضارة لم تحقق المساعدة للبشر ، وإنما تشاعت الفوضى والاضطراب ولعللت أوضاع الترابط بين الإنسان وأهله الانسان ، وفقدت العلاقات الإنسانية حرارتها ودفئها بعد أن تحسنت التكنولوجيا التي صلبها الإنسان ليحكم بها في ظروف الطبيعة فتعسكت في فيه واصبح أداة من أدواتها .. وانسان هذا العصر مضمون بالقلق والتوتر ، مهدد بالدينام الضامل بإسلسلة الصرب التكنولوجية ، مضطربا بقاياه مزيفة ، ولا يملك الفنان إزاء هذا العالم إلا أن يستشعر الخوف من مصير مجهول يتهدد الحضارة والانسانية ، مصير يحدد الإنسان نفسه فيه ويجيد معزولا وحوله ركم الحضارة ويزيلها الصناعي .. »

بهذه الكلمات قدم الفنان السكندري أحمد عزمي اتصاله في كتالوج المعرض الذي اشترك فيه مع زميله الفنانين السكندريين أيضا ؟ عايل المصري ومصطفى هيد المعلى ، والذي أقيم في الشهر الماضي بالإسكندرية بقاعة المركز الثقافي السوفيتي ، بعد أن أقيم قبل ذلك بأسابيع في القاهرة بقاعة باب اللوق .. وهي كلمات لا تبدو كثيرا أن مضمون الفنانين اللذين قدم بهما زميلاه لاعمالهما ، وعندما نجد كلمات مشتركة بين الفنانين الثلاثة مثل : [حضارة القرن العشرين ، القلق والتوتر ، طبيعة العصر ، الخروج من الجسادية الانسانية ..] لما نأخذ في عراولم - أو عالم الراصد المشترك ، على اعتبار أنهم يمشون رؤية كرتية واحدة - ويبدو مبهوتين لأن للثلاثي بهذا العالم منطلق في

مطابع الأهرام التجارية

رؤية ايجابية للقوة العربية

٣ دراسات حول «التغيرات الدوائية»

تاميم البترول في ليبيا : خطوة هامة

شيلي : التجربة - الانقلاب - المقاومة

مناقشات مجلس الشعب لقانون الـ ٣ الفدنة

العدد
١٠
١٩٧٣

المجلة

العدد العاشر - السنة التاسعة - أكتوبر ١٩٧٧

- ١ رؤية إيجابية للقوة العربية :
• تأليف الدكتور فيليب .. خطوة هامة
على طريق طويل
- ٢ دراسات حول التغيرات الدولية
- ٣ التغيرات الدولية : وجهة نظر
• التغيرات السياسية وأثرها
• حوار مع ورقة الحوار
- ٤ مسأله معي الدين ٢٤
• د. جمال المطيحي ٢٨
• أبو سيفين يوسف ٥١

الجامعة الإلهية : استطلاع رأي

- التوسع في افتتاح الكليات الإكليريكية
• بدلا من الجامعة الإلهية
• ضرورة الإسراع بانشاء الجامعة
الإلهية
- هل هي إضافة مشكلة جديدة
للمشاكل القائمة ؟
- الخلل صريح ببدا تكاتف القوى
- ٥٠ توفيق محمد بركات ٧٢
• د. محمد عبد الوالد خليل ٧٤
• د. ميسون القاري ٧٥
• د. أحمد أسباني ٧٦

القضاء العام ضرورة ملحة لم نرغبها أعطيات إبيولوجية

- ٧٨ كيميائية الشبيبة
- ٨٩

نشلي : التجربة - الانقلاب - المقاومة :

- الإحداثيات
- أول يقين ولكن لن ينطق
- « الطريق السلمي » في « قارة
دموية » : هل نفق عليه مأساة
نشلي ؟
- التبدل لم يكن مسيحيا في قارة
دموية بل ماركسيا يعرف روح عصره

- حرب الأيام الستة وأثرها الاقتصادي
والاجتماعي على إسرائيل
- رؤية من موسكو مما يجري في
العالم من تحول

- ٩٠١ جيسان كسمويز
- ٩٠٩ محمد سعيد احمد

تقارير الشهر وتعليقات

- ٩٣٠ مكتبة الطليعة

- وثائق : مناقشات أعضاء مجلس
الشعب لقانون الد ٣
أقنعة : ٩٣٣

ملحق الأدب والفن :

- ٩٤٧

الطليعة

طريق التضاضين الى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية تصدر اول كل شهر

إن : الكلمة : ميدان مفتوح
لكل رأي حر ، وفي اعتقادنا
أن تناقل الآراء الحرة على
ألسنتها هو وحده السبيل
يستطيع أن يطور ويستخلص
وحدة فكرية أصيلة

من هذا المفهوم نشجع
« الطليعة » صفحاتها لكل رأي
لديه كلمة يقولها ، وللمنصة
بشعار الحرية المجيدة الذي
أطلقته فولير في القرن الثامن
عشر : قد اختلف معه في
الرأي ولكن على استعداد لأن
أدفع حياتي تبعا لحكم في
الدفاع عن رأيه . . .

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٢٩٦٢ - ٥٩٠١٠
- ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

سنة بالبريد العادي ج ٥٠٠ - دول
اتحاد البرود العربي ودول الحصار
القيس ١٢٠ ، قريبا .

د * محمد الخفيف

تشارك في تأسيس الطليعة

وأثرية تحريرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

رؤية إيجابية للقوة العربية

يجب القول بأن موضوع القوة العربية بات مطروحاً بالحاح شديد على رأس جدول أعمال جميع الشعوب العربية ، وبخاصة تلك الشعوب القائمة في قلب المعركة الضارية مع الإمبريالية والصهيونية ، وذلك منذ العدوان الإسرائيلي الممدد من يونيو ١٩٦٧ حتى اليوم . وهذا هو ما جرى في مصر منذ بعض الوقت ، وإذا كان هنالك لوف أن تناقش القوة العربية بوصفها إضافة إلى القوة الذاتية المصرية ، فإننا لسنا بحاجة إلى التذليل على حقيقة مقابلة - ليست أقل صحة - وهي أن القوة الذاتية المصرية هي بدورها إضافة حاسمة إلى القوة العربية ذاتها . ولعل هذا ، كان وراء حرص بعض القادة العرب على الدعوة إلى ما سمي بقومية المعركة .

والواقع أنه من خلال معالجة موضوع القوة العربية أو قومية المعركة في علاقتها بالقوة الذاتية - وهي علاقة جد دقيقة - قد كشفت الممارسة عن اتجاهات متباينة يحسن التمييز بينها خدمة للقضية العربية .

فهناك اتجاه يضع قومية المعركة شرطاً للمعركة ، بمعنى أنه إذا لم يجتهد العرب لوضع ثوبهم في خدمة المعركة فلا معركة هناك، بعبارة أخرى ، فإنه اتجاه يضع القوة العربية شرطاً للقوة الذاتية . ومن ثم فإنه باسم قومية المعركة - وقد يكون مستحيلاً تحقيقها - تستعمل المعركة أصلاً . ومن ضمن الحظ أن القيادة المصرية تدألت منذ زمن بعيد أنها تخطط للمعركة ، حتى لو بقيت مصر وحدها ، وأن القوة العربية بالتالي إضافة قيمة ومطلوبة ، لكنها تظل إضافة فقط .

وهناك اتجاه يضع القوة العربية بديلا من القوة الذاتية ، بمعنى أنه يمكن أن تكون عناصر القوة العربية بديلا من الحركة المحتومة مع العدو ، وبعبارة أخرى ، فأنه من الممكن استخدام الليتول العربي والارصدة العربية عناصر للضغط ، أغنى السماومه على المصالح المتبادلة مع الامبريالية المالية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية - ومن ثم يحل الصراع العربي الاسرائيلي بغير معركة . ومن حسن الحظ أن القيادة المصرية قد أعلنت منذ زمن بعيد أنه لا بديل للمعركة ، وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة . ولقد جاءت أحداث السنين الاخير كقؤكد تأكيداً صارماً ، ما أعلنه القيادة المصرية منذ البداية .

لذلك لا يبقى صحيحاً سوى الاتجاه الذى يضع القوة الذاتية لمصر والقوة العربية ماعا في إطار حركة الأمة العربية كلها - باعتبار أن الإرضية الأصلية للصراع العربى الاسرائيلى هي أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة في التحرر الوطنى السياسى والاجتماعى وبين الاستعمار الراغب في السيطرة وفى مواصلة الاستغلال فى الوطن العربى . هنا تبدو العلاقة متوازنة ومتبادلة بين القوة الذاتية والقوة العربية . فالشعوب العربية كلها منخرطة فى عملية تاريخية واحدة هي حركة التحرير العربية ، أو هي الثورة العربية الشاملة . أنها الحركة العارمة لجهاير الأمة العربية بكافة شعوبها للقفز من التخلف الى التقدم . وهي الحركة التي يعادىها الاستعمار ويدفع اسرائيل كل حين لضربها وكسر شوكتها أو تصفيتها حتى لا تصيب مصالح الاستعمار بالدمار ، وهذا بدقة هو ما يجمع بين العرب .

ولقد كانت ثورة ٢٢ يوليو مثلاً حيا يجسد هذه الحركة التاريخية - يجسدها للشعب المصرى ولشائر الشعوب العربية . فلقد طرحت الثورة منذ البداية قضية التحرير الوطنى ، وانتزعت حقها فى الاستقلال السياسى كاملاً من بين لوبيج معركة السويس ، وخرجت منها جبهة تسمى للتحرر الاقتصادى ، وتتطلع لبناء اقتصاد وطنى مستقل وحديث . ومن ثم طرحت الثورة قضية التنمية الاقتصادية بكل أبعادها . كان لابد من تصفية التخلف الموروث من عهود الاقطاع والاستعمار . كان لابد من مسابقة الزمن والحقا بركب العصر الذى يشهد انتصار الاشتراكية على الرأسمالية . فكان لابد من تصفية الاقطاع : ملكية ودولة ومجتمعاً . وكان لابد من تصفية المصالح الاستعمارية الاضطويطية التى تعتمد دماء الشعب ، وتحيلها أرباحاً مائتة للسادة الاستعماريين عبر البحار . وبالإضافة الى ذلك كان لابد من إتاحة الفرصة للمواطن كسى بنعم بخيرات بلاده التى اسفلت ، كان يجب أن يتحول الاستقلال الى لقمة عيش حلوة فى فم الشعب .

ومن ثم اتفقت الثورة من خلال الممارسة لمشاكل التحرير الوطنى الى طريق التحول الاشتراكى . وتوصلت بذلك الى درس تاريخى صالح لكل الشعوب الفتية مؤداه أن طريق التحول الاجتماعى قد أصبح قسئ ظروف عالم اليوم هو الطريق الوحيد لمواصلة واستمرار الثورة الوطنية ذاتها . فمن خلال تحقيق معدلات عالية لنمو الدخل القومى تسبح بالقضاء على التخلف وتواجه الزيادة المطردة فى السكان ، ومن خلال بناء وتدعيم قطاع عام قوى يقرء التنمية الاقتصادية كلها ويتحمل المسؤولية الأولى فى

بناء القاعدة الاقتصادية الصلبة التي تسمح بالتحول الاشتراكي ، ومن خلال قيام تخطيط مركزي يحقق الاستخدام الأمثل للموارد القومية المحدودة ويحل محل فوضى التلقائية الاقتصادية للسوق الرأسمالية ، ومن خلال الحرص على تحقيق ارتفاع ملموس في مستوى معيشة الجماهير الكادحة من العمال والفلاحين وحسفار الموظفين والحرافين - من خلال ذلك كله يمكن النجاح في تنمية الثروة القومية بإرادة الملايين من أبناء الشعب - أن الثورة الوطنية تصبح بذلك ثورة للتحرر السياسي والاجتماعي معا .

وفي الوقت ذاته ، فلقد طرحت ثورة ٢٣ يوليو قضية الارتباط المصري للشعب المصري بالأمّة العربية . فالثورة المصرية جزء لا يتجزأ من الثورة العربية ، وهذه الثورة العربية جزء لا يتجزأ من الحركة العالمية المادية للاستعمار . ومن ثم رفضت الثورة شعار عزلة مصر عن العرب ، شعار التفتت والتمزق . فالثورة الوطنية (المادية) للاستعمار لا بد بالضرورة أن تتجه نحو الوحدة . أن الاستعمار يريدنا أمّة عربية ممزقة لكي تسهل عليه مواجهة شعوبها . كما أن الرجعية - وراء الحدود المصنوعة - قد استطاعت أن تبني لنفسها امتيازات طبقية ثمرة . ومن هنا - يقول عبد الناصر - فإن أمل الوحدة المصرية حين يتحقق يصبح تنويرا لكل الآمال العربية الأخرى . وبالمثل ، وانطلاقا من المنطق ذاته ، رفضت الثورة شعار الانعزال عن تيارات التحرير العالمي . عن الحليف الطبيعي لحركة التحرر الوطني العربية ، وهو معسكر الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي .

تلك هي دروس ثورة يوليو العربية - فعلاقة القوة الذاتية بالقوة العربية هي علاقة الوحدة بين المناضلين من أجل قضية واحدة هي : قضية التحرر الوطني العربي ، هي علاقة وحدة النضال . أنها تتمثل في حتمية تلاحم فصائل النضال الوطني العربية . ومن ثم تتمثل في وحدة الجماهير الوطنية على مستوى الوطن العربي كله . وهذه هي القوة الذاتية والقوة العربية معا ، فالشعوب العربية والجماهير العربية والوطنيون العرب هم القوة كل القوة .

ليست القوة العربية في البترول العربي ولا في الارصدة العربية - على الرغم من كل مالهما من أهمية . فهما في النهاية مجرد سلاحين تستخدمهما القوة العربية . ونحن بذلك لا نقفل من شأنهما كأداة في ايدي النضال العربي ، لكننا نرفض أن يكونا هما كل أسلحة النضال العربي ، بمعنى أن يحاربا بدلا من العرب . والا فأننا نكون جسايلين تباما بحقيقة المعركة التاريخية الدائرة على طول الساحة العربية - هذه المعركة التي تلخص في التناقض الذي لا يقبل المصالحة بين الاستعمار العالمي والامة العربية .

من الممكن أن نخفض انتاج البترول ، لوترفع الموائد التي تسدقها الاحتكارات الأجنبية من استخراج البترول ، ومن الممكن أيضا أن نتحقق عدة ملايين من قوافض

الاحوال العربية الى بلاد عربية تحتاج اليها للتنمية الملحة ، او لاغراض المعركة التي لا تنتهي ، ومع ذلك تبقى المشكلة في الجوهر كما هي .



فالمشكلة الحقيقية في البترول العربي والارصدّة العربية انهما لا يوجدان بأيدي الامة العربية ، بقدر ما يوجدان بأيدي الاستعمار الاجنبي ، ومن ثم فان على النضال العربي الذي يريد ان يستقدمهما ان يبدأ أولا بان يحررها .^{١٠} فالتنترول تسيطر على انتاجه وتكريره وتسويقه ونقله الاحتكارات الاستعمارية . وهي تتحكم في مراحل دورته الانتاجية جميعها وتستخلص من ورائها ارباحا شديدة الغرابة . وعندما نمت الحركة الوطنية العربية فطالبت بنصيبها من ثرواتها المنهوبة سلمت الاحتكارات الاجنبية بسياسة المشاركة حتى تجعل من النظم العربية حماة لارباحها على الدوام وتحرم الشعوب من فرص التنمية الاقتصادية السليمة التي توفر الرخاء والتقدم للملايين المحرومة . لذلك لم يبق سليما ازاء موقف تلك الاحتكارات سوى شعار التأميم فهو وحده الذي يعيد بترول العرب للعرب ، ومهما يكن التأميم محفوفا بالصعاب - وهذا صحيح - فان الاعداد منذ الان ليسوم التأميم عنفا يقع هو العمل الصحيح في الاتجاه الصحيح ، وهذا ما فعله العراق بنجاح ، وتحاوله الجزائر بتخطيط بعيد المدى ، وبذاته ليبيا بنكاء شديد . وفيما عدا التأميم والاستعداد للتأميم ، فان استخدام سلاح البترول لا يمكن ان يدخل في عداد الاسلحة الحاسمة . وعلى العكس فانه معرض عنقذ لان يدخل في اطار المصالحة مع الاستعمار ، اعنى المساومة للحفاظ على مصالحه المحددة في وجه الثورة العربية . يقلل الضغط على اسرائيل لتقديم بعض القنايات للعرب . ولنا حاجة للتذكير بان ما يربط الاستعمار باسرائيل ليس فقط تلك العلاقة المضوية التي تجمع بينهما - فهما من نسيج استعماري واحد - وانما كذلك تلك الكفاءة الفائقة التي اثبتتها اسرائيل في حماية المصالح الاستعمارية في المنطقة وبأقل التكاليف .



وقصة الارصدّة العربية هي نفسها قصة البترول العربي واسوأ . وقما . فالموائد البترولية التي تتضاعف عاما بعد عام تدفع بالدولار والاسترليني . وبدلا من استخدامها في التنمية الاقتصادية الرشيدة للعالم العربي ، يحفظ أغلبها في خزائن البنوك اوروبية والامريكية سعيًا في الاساس وراء الافاق . ولذلك فانها تودع أحيانا بلا فائدة ، وأحيانا أخرى بفائدة عكسية يدفعها المدعون العرب انفسهم ! فكيف يمكن ان يستخدم سلاح الارصدّة العربية في المعركة ؟ هل تسحب من البنوك العربية ، الاستعمارية ، فإين تودع في العالم العربي ؟ وهل تستطيع البنوك العربية ان تستوعبها ، أم تعيد استخدامها مرة أخرى في بنوك أوروبا وأمريكا ؟ وما هي الشروط التي يمكن قبولها من أجل ايداعها في بلد كصر ؟ وهل المطلوب ، كل المطلوب ، هو ان يقدم اصحاب هذه الارصدّة صدة ملايين منها لخدمة المعركة او خدمة للتنمية ؟ كلها تساؤلات ليس من السهل الاجابة عليها . فلابد ان نعرف ان اصحاب هذه الارصدّة ما زالوا

يحفظون بها في البنوك الاستعمارية على الرغم من الخسائر التي حلت بهم من جراء تفضيض الاسترليني والدولار . وتعرضهم حتى الآن لخطر الانهيار . ويجب أن نعرف أيضا أن أصحاب الارصدة العربية يسمرون على لقراض المنظمات المالية الدولية كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير بمئات الملايين من الدولارات وتوضع الترتيبات للتوسع في هذه القروض ، في الوقت الذي يرفض البنك الدولي للإنشاء والتعمير أن يقدم لنا عشرات الملايين من الدولارات لأغراض التنمية الملحة ؛ وأخيرا يجب أن نعرف أن أصحاب الارصدة العربية يضاربون بها في سوق النقد العالمية ، وأنهم ينقلون بها بسرعة من بنك إلى بنك ومن بلد إلى بلد في إطار السوق الرأسمالية العالمية المفتوحة أمامهم . لذلك فإن الارصدة العربية توجد هناك وستظل هناك - اللهم إلا الفئات - طالما لم توضع هذه الارصدة في إطار الحركة القارية العربية الواحدة ، حركة التحرر والاشتراكية والوحدة . اننا نعلم بذلك أن توضع في خدمة التنمية الاقتصادية - على أن تكون تنمية مخططة تستفيد على الفور من كل موائد البترول قبل أن تجف آبارها ، وعلى أن تكون تنمية مشتركة تبني وتقدم اقتصادا عربيا موحدا وسوقا عربية واحدة تصال بجدارة أن تجد لها مكانا في عالم المملقة .



هكذا يمكن أن يقفى بالفعل على التخلف العربي وينطلق الانسان العربي الجديد . أن القضاء على التخلف ليس أبدا عملية تكنولوجية ، لكنه عملية قومية ، عملية تحررية . اس عمية التحرير الاقتصادي للثروات العربية من سرائر الاحتكارات الاستعمارية . ومن ثم فانه حركة وطنية عارمة ، حركة جماهيرية بالضرورة . وعندما يوضع البترول العربي كله وتوضع الارصدة العربية كلها في خدمة العرب ومن الواضح أن نقطة البدء في ذلك كله هي التركيز على ضرب المصالح الامريكية في الوطن العربي ضربة موجعا ، وهو مما أجبرت على ضرورته كل الآراء المستنيرة في جلسات الحوار .



ان المبدأ السليم الذي اختطته القيادة المصرية منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ وهو التركيز على العدو الرئيسي وهو الاستعمار الأمريكي وإسرائيل . وما يقتضيه ذلك من تنقية الجو العربي من الخلافات ، لا يمكن أن ينفي أن هناك رجعية عربية أن لم تكن مصالحها تتحد بالاستعمار فهي تلتقي معه .

ومن الضروري ونحن نحسب حساب القوة العربية الا نخلط بين الرجعية العربية والامة العربية . بل علينا بحكم التجربة المبررة لثورة يوليو أن نكون على حذر من أن تلعب الرجعية العربية دور الاغراء ، أعنى القيام باستدراج الامة العربية الى فراض الاستثمار الجديد . لكل ذلك فاننا نكون سعداء الحظ اذا نهجنا في انصافها جانب

الحيك في المعركة المصرية التي فصلت بين الوطنيين العرب من جانب والاستعماريين
واسرائيل من جانب آخر *



ومرة أخرى فإن القوة العسكرية ، هي في الإنسان العربي ، في الشعوب العربية ، في
الوطنيين العرب ، في الحركة الجماهيرية العربية المعادية للاستعمار واسرائيل والارغية
في تحرير اراضيها وثرواتها من السيطرة الاستعمارية والمردود الاسرائيلي المتكرر.
ولذلك يتجه اهتمامنا الرئيسي نحو هذه الحركة الجماهيرية . ان القوة العربية تقضاض
كلما امكن توجيه اهتمام جدي وفعال نحو تدعيم وتوحيد الحركة الوطنية العربية .
وعلى سبيل المثال ، وبغير ادنى تفریط في أي عنصر قوة يمكن ان يوجد بأيدي العرب ،
فإننا نعرض المهام التالية بوصفها عناصر حاسمة في القوة العربية :

اولا - تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها الحركة الوطنية المسلحة للشعب
الفلسطيني من اجل تحرير الارض الفلسطينية من الاحتلال الاسرائيلي المسلح ،
ورفض كل وصاية على نصراتها ، وكهالصرحة العمل الثنائي في جميع الاراضي
العربية وبالذات في الاردن . ان حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره انما يفرض
ايضا مسئوليته كطرف اصيل في الصراع العربي الاسرائيلي .

ثانيا - بذل جهود جديه من اجل وحدة القوى الوطنية العربية ، بوصفها الصيغة
الوحيدة والسليمة التي تقتضيها المواجهة الشاملة مع الاستعمار واسرائيل ، وهي
الصيغة التي يمكن ان تضع جميع اهداف المعركة العربية ، السياسية والاجتماعية
والوحدوية ، في خط واحد . وبماطبع فانه لن يمكن ان يكون هناك وحدة هوى وطنية
على المستوى العربي الا اذا كانت هناك وحدة هوى وطنية في كل بلد عربي على
حدة . وكما قال عبد الناصر ، فان الحركات الوطنية التي لا تبني مواعدها الاساسية في
اوطانها ومع جماهيرها لا تستطيع ان تقدم للعمل الوطني الموحد او تضيق اليه .
ولاشك ان هذه مسئولية الاحزاب والتنظيمات والعناصر الوطنية والتقدمية
العربية جميعها . واذا كانت هذه القوى قد توصلت بالفعل الى صيغة جينية للوحدة
وذلك من خلال الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، فان الخطوة التالية هي
ضرورة ان تتحول الى جبهة وطنية عربية شاملة وفعالة ضد الاستعمار واسرائيل .

ثالثا - تحريك الجمود الذي يوجد فيه الاتحاد الجمهوريات العربية ومحاولة توسيع
هذا الاتحاد لكي يضم جميع الدول التي تطرح خط الحركة العربية الموحدة ، خط
وحدة النضال الشامل من اجل التحرر الوطني . وبالمثل كذلك الحرس على الوحدة
الوليدة بين مصر وليبيا وتونس . وبنسج بداياتها التي نمت في اعلان الوحدة . ان مصر
التي رفضت شعار الوحدة باي ثمن ، وبأي شكل ، قد رفضت ايضا شعار الوحدة
والتفت السري . وكلما اتحدت خطوات الوحدة خط النضال المشترك ضد الاستعمار
والصهيونية . كلما تمغت جذورها وبنيت حيويتها وتأكدت ضرورتها الحاسمة .
فالوحدة في نهاية الامر عملية نضالية وليست نصا ولا شكلا . وهي بالذات عملية
جماهيرية واعية وليست قرارا بالوحدة . والوحدة لذلك عملية طويلة ، تستغرق

بالضرورة كلّ الزمن الكفيل - مع الوعي سياللتطلب على عناصر الفرقة وتعميق مواصل
والجاءات الوحدة - ولهذا لا يمكن إلا أن تكون الوحدة تعبيراً عن أرادة جماهيرية
حقّة ، أي أنها لا تكون إلا عملاً ديمتراطياً ، تحتضنه وتحرص عليه نفس الجماهير التي
تتولى في كل بلد على حدة النضال ضد الاستعمار والصهيونية . مثل هذه الوحدة
بوصفها عملية نضالية لابد أن تجسّد بالضرورة إضافة نوعية للقوة العربية .



نكل هذا ستظل القوة العربية الحقّة تكمن في قوة الحركة الجماهيرية العربية الهائلة
المعادية بحزم للاستعمار وإسرائيل - وهي الحركة التي تضم بالطبيعة كل الشعوب
العربية بممالها وفلاحها وحرفيها ومثقفها ورأسماليتها الوطنيين . أن تجمع هذه
القوى والدخول بها في نضالات متصلة ضد الاستعمار وإسرائيل كفيل في النهاية بتحقيق
أمرين على أكبر جانب من الأهمية :

أولهما : تنمية القوة العربية ذاتها بإضافات جديدة تبدها الشعوب المناضلة .
ثانيهما : تعبئة كافة الأسلحة المتاحة تهت تصرف العرب وحسن استخدامها في
المركة - وهنا بالتحديد يكون موضوع الحديث المفيد عن استخدام البثوث العرسى
والأرصدة العربية بوصفها جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية شاملة - وموضوعة ملطفاً -
للحرر الوطنى للشعوب العربية .

« الطليعة »

تأميم البترول في ليبيا

خطوة هامة

على

طريق طويل

د محمد عجلان

تبلغ المساحة الكلية للجمهورية العربية الليبية ٦٨٠.٠٠٠ ميل مربع . كما يبلغ عدد سكانها ١.٨٠٢.٠٠٠ نسمة حسب آخر تقديرات للأمم المتحدة هي ١٩٦٨ .

ولأن الأرض الليبية جزء من الهضبة الكبرى التي تخرق دول المغرب العربي ، فانها ارض جبلية صحراوية ، عسدا الواحات ، والمشرط الساحلي المتاخم للبحر الأبيض ، والذي يتسع في شمال المغرب ، ولكنه يضيق كلما اتجهنا شرقا بحيث يكاد ينعدم وجوده في بعض المناطق على الساحل الليبي والساحل المصري غرب مرسى مطروح . والأمطار خفيفة جدا ولذلك تتضائل المساحات الزراعية بحيث انه مع الندرة النسبية في عدد السكان مقاربا بالمساحة المتاحة فان الاقتصاد الليبي تميز فيما قبل لاكتشاف البترول بكونه اقتصاد زراعي رعوى ، ينتج كميات من الشعير



والبحر والزيتون والفاكهة ، كما تتوافر به - بصورة نسبية - ثروة حيوانية قوامها الضأن والماعز والجمال وقليل من الإبل .

ونظرا للطبيعة المختلفة لذلك الاقتصاد ، والبرقيات الاستعمارية الإيطالية فقد تمت سيطرة اجنبية شبيهة كاملة على القجارة الخارجية والصناعات الخفيفة النامية فيها . وظلت البلاد تعاني عجزا مستديما في ميزانيتها السنوية العامة مما يدفعها الى البحث عن القروض والمساعدات لدى الدول الاخرى ، وهما بهذا لسيطرة استعمارية على سياسة البلاد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية باندحار إيطاليا ، وحلول إنجلترا وأمريكا مكانها .

بدء ظهور البترول

ظهرت الملامح البترولية للبلاد في أوائل الخمسينات ، وكان هذا بداية لتغيرات عديدة في الصورة الاقتصادية ، وان لم ينكسر بالشكل في الجانب السياسي نظرا لاستمرار السيطرة الاستعمارية ، ونشوء هذه التحولات الاقتصادية في ظل سيطرة شركات الدول الاستعمارية ذاتها .

في شباط عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ منحت ليبيا امتيازات للتنقيب عن البترول لعدد من الشركات الأمريكية وغيرها . وبحلول عام ١٩٥٩ كانت هناك خمس عشرة شركة اجنبية معظمها أمريكية وبريطانية وفرنسية لديها حقوق امتياز للتنقيب عن البترول في ليبيا .

ولا يجوز أن يمر تاريخ عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ هذا دون ملاحظة . فقد جاء في اعقاب ثورة ٢٢ يوليو في مصر ، ودعوتها النشطة لابراز فكرة القومية العربية وضرورة الارتباط بعرب المشرق العربي وجدت اسرائيل لتجس ما بين مصر وبينهم ، وفي اعقاب تأميم البترول الإيراني على يد مصدق واحتضالات أن تجد شعارات بترول العرب للعرب من يضبط أو يقوم بوضعها موضع التطبيق .

لقد بدأت عمليات البحث في ليبيا (وكذلك في الجزائر) في الواقع منذ ١٩٥٤ ، ويمكن ان يلاحظ من الجدول التالي (رقم ١) كيف كان الاهتمام حثيثا بالبحث والتنقيب وحفر الابار خلال استعمار اقامة العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ وما بعدها ، حتى اذا وصلت الامور بمنطقة السويس في شرقها وغربها الى شبه استقرار ، تضاعف نشاط الاستكشاف معبرا عنه في عدد المالحين أو كميات الحفر .

ولم تكن الامتيازات التي حصلت عليها الشركات في ليبيا تختلف في طبيعتها عن نوع العقود المسارية في المنطقة العربية . من الناحية على مبدأ مناصرة الارباح - وقد كان امرا واقعا في كل المناطق البترولية - الى طول مدة الامتياز حتى ستين عاما ، وإلى السماح باستيراد مستلزمات الحفر والتنقيب والاستغلال دون رسوم جمركية ، وإلى حلى الشركات عن ٧٥ في المائة من العانة

الابتدائية الممنوحة تجريبا وبعد خمس سنوات من منح الامتياز . وطبيعى أن ثمانية عقود الامتياز تلك من نفس النواصص التي ميزت كل العقود العربية في ذلك الوقت من عدم سيطرة الجانب الوطني على محلات العمل وتقديمه بل أن يخضع ذلك كليا لرغبة الشركات ، ومن عدم اماكن التفتيش والمراجعة الفعلية ، على الشركات في التكنولوجيا التي تستخدمها ، ونظم قيد حساباتها المالية ، ومن اشتراط اتفاق قدر من الارباح المحقة في البلد مانح الامتياز ، وعدم اماكن المشاركة في اتخاذ القرارات الهامة أو تدريب الكادر الوطني أو حتى اماكن التصرف في البترول المستخرج بل ملكيته ملكية كاملة للشركة صاحبة الامتياز بحيث تستطيع اذا ارادت ان تسوقه في اسرائيل العدو الاول لجميع العرب .

وشجع هذا النوع من الامتيازات بالاضافة الى رغبة الاستثمار في تنوع مصادر الامداد بالبترول بعد أزمة ١٩٥٦ ، وإلى دخول الشركات المستقلة - ويقصد المستقلة عن الشركات السبع المهيمنة المسيطرة على البترول العالمي - حقل البحث عن

جدول رقم [١]
المحولات الاولى للتنقيب عن البترول في ليبيا

السنة	١٩٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
رجل/شهر لفرق	١٠	٧٠	٢٥٢	٣٢١	٩٨٩	٦٧٥	٨١٤
البحث والتنقيب	-	-	٩	٢٩	١٥٧	٢٤٢	١٤٢
كمية الحفر الاستكشافي	-	-	-	-	-	-	-
١٠٠٠ قدم مكعب	-	-	-	-	-	-	-

البترول الليبي بعد استخراجه * وهي يميزها هذه الشركة المغورة - فيما مضى - ^{١١} - تقود الجانب الأمريكي حاليا في اتفاقاته لاستخراج ونقل الغاز الصوفي من سيبريا تلك العملية التي تدخل ارقامها في حدود مليارات الدولارات *

وان كانت ارباح الشركات امرا مغروفا منه الا ان عملياتها تميزت في ليبيا بمميزات خاصة * فهي من ناحية لم تعترف للبترول الليبي بآى ميزة خاصة رغم التكلفة المنخفضة بالنسبة لغيره في الاستخراج حيث ترتفع نسبة الاضرار التي يفيض منها البترول دون حاجة الى الصخ الى حوالى ٧٠ في المائة من جملة الاضرار المعاملة ، وحيث يزيد متوسط انتاج البئر الواحد يوميا عن ٢٠٠٠ برميل ، تلك الصفات التي يندر ان توجد في عديد من مناطق البترول * كما لم تعترف ببيزة خاصة لآراء المواصفات النادرة للبترول الليبي من حيث انخفاض محتواه من الكربيت الى صورة متضائلة تجعله دون منافس في ماكينات الاحتراق الداخلى ومن حيث نسبة القطرات المختلفة فيه . [انظر جدول ١٢] والتي تعمل بالفعل قيمة اعلى عند التسويق . يضاف الى تلك الميزات تربه الشديد من اكبر المناطق المستوردة للبترول وهي اوروبا الغربية الامر الذى ينخفض بتكلفة نقله حتى ووتردام الى ١٠ سنت للبرميل مقارنا بحوالى ٨٠ سنتا للبترول منطقة الخليج *

استغلال البترول الليبي

ضد الصالح العربي

لقد استفادت الشركات من هذه الميزات الخاصة للبترول الليبي دون عائد مقابل لاصحاب الثروة الاصليين * واتسمت سياستها كذلك - من بعد

البترول خارج بلادها الاصلية * ومعظمها أمريكية - الى ان تمنح ليبيا خلال احدى عشر عاما ١٢٦ امتيازاً للتقريب عن البترول لعديد من الشركات تعمل كلها في اربع مناطق رئيسية منتجة للبترول * لقد وصل عدد هذه الشركات في ١٩٦٧ الى ٤٢ شركة منها ٢٢ أمريكية ، ٦ ألمانية ، ٣ يروس اموال انجليزية وهولندية وفرنسية ، وواحدة ايطالية وواحدة سويسرية وواحدة اسبانية * ولكن التعاملات بالتصدير منها كانت ٢٣ شركة فقط أهمها شركات أموسيز أموكو ليبيا أوپل ، اكويان [ليبيا] ، بى بى للتقريب ، تلسون - ينكر - هنت ، واسوسيت ، واسو ستاندر ليبيا ، وجلسنيرج بنزين مويل أوپل ليبيا ، واوكسيدنتال بتروليم ، واويست أوپل غيليس بتروليم *

ولكن ما ان قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٩ حتى انخفض عدد تلك الشركات على الفور في نوفمبر من نفس السنة الى ٢٠ شركة هائلة ، تعتبر اوكسيدنتال اكبرها اذ يبلغ انتاجها ٢٠ في المائة من جملة انتاج البترول الليبي تليها مجموعة اوييس ثم اميرداد - كونتنتال - ماراثون *

ولسنا بحاجة الى الاغاضة في مدى الارباح التي حققتها تلك الشركات في حقل استخراج البترول الليبي ، فذلك شأنها في كل مناطق البترول العربية * والحقائق في هذا المجال عديدة كثيرة * وقد يكفى ان نذكر في حالة البترول الليبي بالذات ان نذكر ان شركة اكسيدنتال التي بدأت العمل في ليبيا براسمال متواضع قدره ١٢٠ الف دولار ، والتي كانت مغورة لا يكاد يسمع بها في حقل انتاج البترول ، ارتفع ذلك الراسمال في مدى عشر سنوات الى ٢٠٠٠ مليون دولار (١) جزؤه الاكبر من عملياتها في ليبيا والعمليات الثرية على

جدول رقم [٢]
مواصفات البترول الليبي

الغزل	درجة الجودة	كربيت % بالوزن	بنزين ومقطرات خفيفة	منتجات وسطى	مازوت
سيتر	٢١ر	٣٧ر -	٢٢ر	٢٢ر	٢٥
بريقة	٣٩ر	٢١ر -	٢٦ر ١٥	٢١ر ٧	٤٢ر ١٥
الغريكة	٤٣ر	١٦ر -	٢٠ر ٧٥	٢٧	٥٢ر ٢٥

الصدد اتفاقية الخط الأحمر التي عقدت في ١٩٧٨، وظل أحد بنودها الهامة سلاى المفسول حيث تسيطر الشركات الاستعمارية حتى اليوم . ويعنى به ذلك التقام بين الشركات العملاقة الكبرى على الا يقام بالمنطقة العربية (الملاحظة بخط أحمر على خريطة الاتفاق) وكانت تشمل معظم المنطقة شرق السويس عندئذ) أى صناعة للتكرير تزيد عن احتياجات الاستهلاك المحلي ، وألا ننشأ إلا بواسطة تلك الشركات أو ما يقرع عنها فحسب .

وتكرر الصورة تماماً هي ليبيا ، وذلك عندما أعلنت اثنتان من الشركات المثبة عن البترول هما الشركة الليبية - الأمريكية ومؤسسة حريس من نازلها لشركة أسو من بعض امتيازاتها في حقل السرت - وكلها أبلكتها الخاصة دون اعتراف للجانب الوطنى أو تدخل منه في الواقع - بصية أنهما تجدان صعبية في إيجاد أسواق تجارية خارجية لتسويق النفط الذى قد يمش عليه . والتقطت أسو التنازل والدراسات التي كانت تلك الشركات قد قامت بها لأشياء مصفاة للبترول ، واختارت أسو مرسى البريقة التي كانت قد قامت ببنائه للاستفادة من الخدمات الموجودة به . وصممت المصفاة بصفة أساسية لمواجهة حاجة الاستهلاك المحلي من المشتقات المختلفة ببطاقة انتاجية قصوى قدرها ٩٥٠٠ برميل في اليوم ، ولكن شغلت بطاقة انتاجية قدرها ٨٠٠٠ برميل فقط . لقد كان الاستهلاك المحلي في حدود ٦٠٠٠ برميل في اليوم خلال عام ١٩٦٧ ، ولكن التغيرات الاقتصادية الداخلية ونمط الاستهلاك نتيجة الواند البترولى الجديد ارتفع بالاستهلاك سريعاً الى حوالى ١١٠٠٠ برميل يومياً في ١٩٦٧.

دولها الاستعمارية - بجمال البترول الليبي أداة للنخلص من أى ضائقة تصيب - أو قد تصيب - الاستثمار في باقي أجزاء المنطقة العربية . لقد أشرنا الى ذلك الاهتمام الذى بدأ ببترول شمال أفريقيا في توقيت - لا يمكن أن يكون مصادفة - مع أزمة عام ١٩٥٦ . ويمكن أن يلاحظ من الجدول رقم [٢] عن احصائيات استخراج البترول الليبي عدد من الطواهر . فالزيادة السنوية في الإنتاج قلت تنخفض منذ أوائل الستينات حتى عام ١٩٦٧ حين عادت الشركات الى رفع إنتاجها بدرجة كبيرة بعد إغلاق قناة السويس . كما أن استنزاف البترول كان ميذا يحافظ عليه من جانب تلك الشركات كما توضحه أرقام نسبة الاحتياطي الى الإنتاج . ولقد شهد عام ١٩٦٧ ارتفاعاً ضخماً لهذا الرقم نتيجة اكتشاف البريتش بترونيوم لمستودع كبير جداً في المنطقة الشرقية قريبا من الحدود الليبية المصرية ، واكتشاف شركتى بى بى البريطانية وبكر هنت الأمريكية لحقول هامة بالقرب من سرت . ولكن عادت نسبة الاحتياطي الى الإنتاج للتنازل مرة أخرى بعد ذلك التاريخ .

وتخريب الاقتصاد الإصلي للبلاد

وطبيعي أن تطبق الشركات في ليبيا نفس المبدأ الذى تطبقه في مناطق أخرى حيث يقتصر دور الدولة على دور جابى الاتارة عن البترول المستخرج دون نفاد بصورة الى ما يمكن أن يحدثه البترول من انعاش اقتصادى إذا ما تم ربطه بالاقتصاد الوطنى ، واستعمل كعانة للحياة في جوانب هذا الاقتصاد . ولعلنا نذكر في هذا

جدول رقم [٢]
بعض احصائيات استخراج البترول الليبي واحتياطياته [٢]

الاحتياطي الانتاج	الاحتياطي مليون برميل	نسبة الزيادة في الإنتاج الى المتة السابقة	مليون برميل في السنة	الانتاج الف برميل يومي	السنة
٢٧٠١	٩٥٠٠		١٦٩٧	٤٦٥	١٩٦٢
٢٢٣٢	٧٥٠٠	٪٨٥	٢١٢٩	٨٦٠	١٩٦٤
٥٠	٩٥٠٠	٪٤١	٤٤٥٥	١٢٢٠	١٩٦٥
١٦٩٧	٩٥٠٠	٪٢٣	٥٤٩٥	١٥٠٥	١٩٦٦
٥١	٥٥٠٠	٪١٦	٦٣٦٨	١٢٢٥	١٩٦٧
٢٠٥٥	٢٩٠٠٠	٪٤٩	٩٤٩٠	١٢٦٠	١٩٦٨
١٥	٥٥٠٠٠	٪٢٥	١٢٨٠٠٠٠	٥٥٥٥	١٩٦٩

والنتيجة ان يصبح الاقتصاد معتمدا اعتمادا كاملا على البترول وعوائده فحسب . حيث قد تزول مقومات الحياة من تلك الدولة يوم تنقضي البترول ، ويحدث تصبب عوائد البترول طوقا من الاسر تربط به الشركات الاستثمارية سياسات تلك البلاد ومجال حركتها ونشاطها .

سبتمبر ١٩٦٩ فاتحة جديدة

انه بالإضافة الى كل مميزات الاستقلال الاستعماري في قطاع البترول الذي تعاني منه جميع البلاد المنتجة له ومن بينها ليبيا ، فإنه قد تجمع لهذه الاخيرة من العوامل الإضافية ما كان يلزم بأن يكون للثورة سبتمبر ١٩٦٩ سياسة مختلفة جديدة ، وبأن تكون عينها على البترول الليبي من لحظة قيامها ، بل وفيما قبل ذلك .

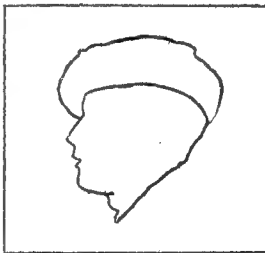
لقد ارتبطت ثروة ليبيا منذ الإعداد لها بالنصرية حيث مثلت دأشا عداوة أصيلة للمصلح الاستعمارية في المنطقة ، ودعوة للتوعية العربية ، بينما ليبيا كانت تعاني من احتلال عسكري استعماري استهدف حماية المصالح الاستعمارية في ليبيا ذاتها ، وجعل منها قاعدة عسكرية للحلف العربية أكثر منها دولة عربية مرتبطة بالمصير العربي .

ووجدت الثورة الليبية ان الاستثمار يستعمل البترول الليبي المضغوط على القوى البترولية الغربية وخنق واسكات أي محاولة تغيير في منطقة

والى ١٨٠٠٠ برميل يوميا في ١٩٧٠ ، وعان على ليبيا أن تستكمل احتياجاتها من منتجات البترول من الخارج .

وعلى عكس ما تفترضه القواعد الاقتصادية في الدول التي تنمو نموًا طبيعيًا من أن يكون اكتشاف مصدر جديد للثروة في المجتمع نقطة انطلاق لدفع جديد لجوانب الاقتصاد القومي كله ، نجد أن اكتشاف البترول في ليبيا - شأنه شأن باقي البلاد العربية المنتجة للبترول في مراحل نموها المختلفة - قد أدى على العكس إلى شبه اليأس لإوجه الاقتصاد القومي السابقة . فالنشاط البترولي الجديد وحاجته للميد العاملة من ناحية ، وأغراء الأجور المرتفعة من ناحية أخرى ساعد على جذب اليد العاملة المتأخرة من كل من الزراعة والرعي . يضاف إليها نشاط الخدمات التجارية والتمويلية حول مراكز الحركة الجديدة . كل ذلك قد أدى إلى شبه انهيار لخواري الاقتصاد الأخرى ، بحيث تحولت ليبيا وأد كانت تتمتع بشبه اكتفاء ، بل وفرة تصديرية ، إلى مستوردة للمواد الأساسية للغذاء ، وزاد نشاط الخدمات من تجارة وتوزيع لسلع أغلبها مستورد .

كما عملت الدوائر الاستعمارية على اثكاء نشاط المشروعات البراقة الخلابية مثل بناء عاصمه جديدة ، وإنشاء مدارس ومراكز للخدمات قد تبدو البراءة في اقترانها ، كما يزينها صورة الحضارة الحديثة فيها ، ولكن هي ما لا يلام مع مستوى المجتمع أو اطار للتطور فيه لا تمثل إلا ابوابا للانفاق تروج منها القوى الاستعمارية أن تسترد باليمين - عن طريق تولي شركاتها لهذه الأعمال - ما دفعت ثمنًا للبترول بالشمال .



الخليج العربي - وإن اقتصر المحاولات عندئذ على مجرد مطالبة بتغيير السعر رفعا له أو تعديل أسس حسابه - تدفع بالبحث والتقيق في ليبيا عند أي أزمة أو بوادر أزمة في الخليج ، وترفع من انتاجه ليمض أي نقص هناك ، ولترحب بأن أي نقص أو تخلف في معدلات الاستخراج يمكن تعويضه من هذا المصدر الفتى الجديد .

وجاءت الثورة الليبية بعد يونيو ١٩٦٧ والصدور العربية كلها تدمى من جرح الازمة ، وتود طريقا للثأر من الاستعمار . ووجدت أن **الهساف** الاستعماري كان استغنافا البترول الليبي بحكم عديد من الاعتبارات بحيث كانت نسبة الاحتياطي الى الإنتاج أقل نسبة في **البلاد العربية** . ووجدت أن البترول وما أتى به من مكاسب قد تحول الى أرباح فيتمتعها نفس البلاد **الاستعمارية** في صورة سلع أغرت بها السوق الليبية ، وإلى مكاسب شخصية في جيوب طبقه من الحكام وأثناهم تنفقها في سنة ، وفيها لا يعود على البلاد بأي خير . ووجدت سلاح الرشوة وقد استعملته كل الدوائر العربية ، تقدم ليمض الأفراد ملايين على صورة ودائع في الخارج ليبيعوا بهم مشروعات بمئات الملايين تنهب بها شركات **الاستثمار ثروة البلاد** .

قابلت ثورة ليبيا كل هذا ، وكانت ظروفها تكزم بأن تأخذ موقفا جديدا . واستطاعت أن تحقق في مجال البترول عددا من النجاحات لم يفترض أثرها على ليبيا وحدها ، بل تمداها الى باقي **البلاد العربية المنتجة للبترول** .

فاوضت من أجل رفع الاسعار عامة ، ونجحت في ذلك . وطلبت الاعتراف بمقابل مادي نظير الميزات الخاصة التي يتميز بها البترول الليبي من الناحية النوعية أو الجغرافية ، وتحقق لها ذلك . وتدخلت لضبط معدل الإنتاج ما لم تحقق الشركات جهدا في الاستكشاف ورفع الاحتياطي البترولي . **ففاوضت من أجل رفع قاعدة مناصفة الازياح لصالح الجانب الليبي** .

لقد كللت اتفاقية السنوات الخمس التي عقدت بين ليبيا وجميع شركات البترول الرئيسية العاملة فيها والتي عقدت في ٢١ مارس ١٩٧١ عددا من المكاسب أهمها :

- وضع سعر أدنى لحام البترول المنتج ، ذي كثافة ٤٠ درجة حسب مواصفات معهد البترول الأمريكي بأن يصبح السعر ٣.٣٢ دولارا للبرميل

- أصبح مجموع الضرائب على أرباح الشركات مستقرا على ٥٥ في المائة بدلا من ٥٠ في المائة .

- شمول الاسعار الجديدة للبيع على ١٠ سنت لكل برميل كخيار لانخفاض نسبة الكبريت التي ينتج بها البترول الليبي .

ويصبح من الانصاف وحسن تقييم الامور أن ندمر ان هذا الجهد الليبي من ناحية - وإقدام الجيران على تأميم والسيطرة الكاملة على ٧٥ ائمه من ثرونها البترولية في ١٩٧١ ، كانا ملاحما وراء المنحاج الذي تحقق لكل الدول المصدرة بترول في اتفاقية طهران عام ١٩٧٢ مع الشركات الاحتكارية الكبرى من حيث رفع الاسعار بدرجة خيبر سيبيا ، والقبول بقاعدة مشاركة الجاني الوطني في رؤوس أموال الشركات العالمية ، وعذب آخر من التناجحات تمثل قمة ما وصلت اليه هذه الدول في علاقاتها مع الإحتكاريات العالمية .

وأمت ليبيا شركة البترول البريطانية في ١٩٧١ إثر احتلال إيران جزائر الخليج العربي ، **ننلا** . ومع ان التأميم كان لجزء من حق سري - على اهمية - ويمثل نسبة ليست كبيرة من البترول الليبي ، الا ان كل تأميم للمصالح الاحتكارية العربية في البلاد العربية يزد وان يتسبب بها . نقد كاس تلك التأميم - على جزئيه في اوضاع ليبيا البترولية - هو الجسر الذي عبر عليه **الانقلاب العربي** من تأميمات الجزائر في ١٩٧١ الى تأميم البترول العراقي في ١٩٧٢ .

لقد استطاعت ليبيا ان تحقق لبترولها اعلى سعر في المنطقة العربية ، واعلى سعر في كافة الدول المصدرة بعد فنزويلا كما يوضحه الجدول رقم [٤] .

عوامل القوة في الموقف الليبي

ويثور السؤال كثيرا عن عوامل القوة التي تستند اليها ليبيا في تمسكها بالشركات الاستعمارية في بلادها على هذا النحو المتكرر خلال السنوات الاخيرة ؟

وبع التسليم بأن هناك عوامل خاصة تدعم الموقف الليبي يمكن إيجازها في (٤) :

- جودة الخام الليبي بحيث تضمه في مركز لا ينافس بسهولة نتيجة انخفاض الكبريت ونسب المغنطيات ، وهما صفتان مطلوبتان بشدة في أسواق أوروبا وأمريكا واليابان .

- قربه من الأسواق الأوروبية بحيث يشكل ٣٠ في المائة من البترول السريع النقل إليها .

- وجود شركات لا يكاد يكون لها نشاطا بترولي خارج ليبيا وتنتج مع بعضها حوالي ٦٠ في المائة من البترول الليبي بحيث تجبر خوفا من تقلص نشاطها إلى درجة الصدم على القبول بشروط الدولة المضيفة .

- دعم المركز المالي الليبي المتشائل في وجود احتياطي مالي قوى ، يتيح التشدد لفترات طويلة نسبيا بدون خوف على الأحوال الاقتصادية الداخلية .

جدول رقم [٤] الإسعار المعلنة للبترول الخام العربي والعالمي [٣] [اعتباراً من أول أبريل ١٩٧٣]

البترول الخام	العلقة	المستند	الصنعة المعلن على ظهر السفينة دولار - برميل
الجزائر	٤٠ = ٤٠	لوز	٢٠٦٥
ليبيا			
بترول الويفه	٤٠ = ٤٠	مدري البريقه	٤٠
بترول ليس خفيف	٤٠ = ٤٠	راسي لنوف	٤٠
بترول ليس ذو درجة انسيكابه عالية	٤٠ = ٤٠	» »	٢٠٧٧
البحرين			
بترول البهره	٣٥ = ٣٥	خور المعينه	٢٠٧١
» شمال العراق	٣٦ = ٣٦	خرابسي / باتناس	٢٠٧١
الكويت			
بترول الكويت	٣٣ = ٣٣	الاجندي	٢٠٦٦
المسعوديه			
بترول حريمي خفيف	٣٤ = ٣٤	راسي ثوره	٢٠٦٢
بترول حريمي متوسط	٣٤ = ٣٤	» »	٢٠٦٢
بترول حريمي ثقيل	٣٤ = ٣٤	» »	٢٠٨١
قطر			
بترول قطر	٤٠ = ٤٠	أم تسعين	٢٠٦٢
بترول قطر [المحموره]	٣٦ = ٣٦	جزيرة هلول	٢٠٦٦
أبو ظبي			
بترول مريان	٣٩ = ٣٩	جبل الظفه	٢٠٨٠
عمان			
بترول عمان	٣٣ = ٣٣	الصلح	٢٠٧٧
إيران			
بترول إيراني خفيف	٣٥ = ٣٥	بندر ماشنور	٢٠٦٦
» » »	» » »	ميسان	٢٠٥٧
بترول إيراني ثقيل	٣٦ = ٣٦	جزيرة خارك	٢٠٧٤
» » »	» » »	ميسان	٢٠٦٤
لوبييرا			
بترول لوبييرا خفيف	٣٤ = ٣٤	بسنوي	٢٠٨٧
بترول لوبييرا متوسط	٣٧ = ٣٧	» »	٢٠٥٩
بترول لوبييرا ثقيل	٣٤ = ٣٤	فور كاندوس	٢٠٨٧
بترول لوبييرا خفيف	» » »	بنتجون	٢٠٨٧

[٣] من مجلة نفط العرب عدد يونيو ٧٣
[٤] الأرقام ١/٣/٧٣ ، والأرقام ١/٤/٧٣ للاستكمال صلاح مقتضى

يقول بأن هذه عوامل تدفع الموقف الليبي
وتعصب قوة إضافية ، وتجعله قادراً على النجاح
في معاركه . ولكننا نرجو أن ترجع الأسباب
الرئيسية في نجاح ليبيا حالياً ، ونجاح العراق
بالأخص القريب في خطوة أكبر من الخطوة الليبية
الحالية إلى عوامل أخرى نرجو أن نوصفها فيما
يلي :

أولاً : انطلاق الثورة الليبية في هذا الصراع
- ومن بينها الجرائر والعراق - من موقف المعاداة
للمصالح الإمبريالية في المنطقة العربية ، والرغبة
في نصفيها . ذلك الموقف الذي يعصب دوره من
ناحية في جنب الجماهير العربية كافة لمساندتها
وتأييدها ، بحيث أنه يجبر نشد مؤيدي الارتباط
بالشركات الاستعمارية في المنطقة على الوقوف هم
الأخريين موقف التأييد .

ثانياً : ظروف أزمة الشرق الاوسط والجهود
المفارقة من جانب الاستعمار على أن تظل في حالة
التبريد الشديد التي هي عليها تجعله يهمل في أمر
المعارك حول البترول العربي ضرورة ألا يجعل منها
معركة متفجرة يمكن أن تثير الجماهير العربية إلى
حد ألا تقتصر المعركة على الموقعة الميمنة بل أن
تتعد إلى كل أزمة الشرق الاوسط وإلى المصالح
الإمبريالية كافة في المنطقة . أن حالة التبريد
الشديد التي يريدها الاستعمار يستلزم أن يحاصر
كل مشكلة حيث هي وبو بعض التسليم من جانبها
حتى لا يفلت زمامها من يده وتحول المعركة في
المنطقة إلى الطابع الساخن الذي لا يريده .

لقد فعل ذلك مع العراق وقبل بإجراءاته التاميم
وسعى للوصول إلى اتفاق . وزاد عليه بأن قدم
مباشرة مشروعات المشاركة لسحب الخليج
والسعودية والكويت حتى يعزل هذا المصدر الأكبر
عن تيار التاميم الذي بدأتته العراق .

ثالثاً : أزمة الطاقة العالمية ، وهي وضع لا
نعاني منه أمريكا في الوقت الحالي فما زالت
مصادرنا تسمع بشيون القدر الأكبر من
احتياجاتها . وما زالت مصادر نصف الكرة
الغربي تفي بالقدر الأكبر من احتياجاتها من
الخارج .

ولكن أمريكا سوف تدخل سوق الطاقة العالي

مشترية وبكميات كبيرة خلال العقد الحالي ، الامر
الذي يحيف باقى مستوردي الطاقة في أوروبا
واليابان على مستوى الأسعار حين تمرر أمريكا
بطلبها الكبير إلى السوق حريصة على المصير .

وهذه الدول من ناحية أخرى ترى أنها مستعدة
من جانب الشركات الاحتكارية الكبرى التي تقف
بينها وبين مصادر البترول . وتفكر بالفعل
- ونفذت في عدد من الأمثلة - في إيجاد صلة
مباشرة لها بالمنتجين .

هذا بينما تسمي أمريكا إلى تكتلها في صورة
مجموعة الدول المستوردة للبترول لتحقيق بهذا
أغراضاً ثلاثة ، إمكانية ضغط كبيرة على الدول
المنتجة في مواجهة أى مطالب لها لا يقبل بها
الاستعمار ، وتأكيد استمرار دور شركاتها في
حركة البترول العالمية وبالتالي أرباحها منها التي
تساعد ميزان المدفوعات الأمريكي ، والنسبت
امكانية المحافظة على مستوى الأسعار لى الحدود
التي تقبل بها أمريكا حين تدخل مشترية بكمياتها
الكبيرة المتوقعة .

ولكن ما زالت هناك عوائق كبيرة أمام تكوين
هذه الجبهة من الدول المستوردة رغم الجهد
الأمريكي الدؤوب في تكوينها . أن تنساقضات
الاستثمار التقليدية تلعب دورها حتى الآن ، وهو
ما يضيف من جبهة الأعداء .

وأما : انسيبب التفكك العربي، وعدم وجود
استراتيجية عربية متكاملة في شأن البترول فان
ضرباننا مازالت حتى الآن لا تصيب الاستثمار الا
في القليل الذي يؤكد انه مستعد لقبوله .

لقد افلح الإلصق البترولي العربي في إضاح
أنه وان كانت شركات البترول الاحتكارية تحقق من
وراء بيع البترول الضخم العربي أرباحاً طائلة، إلا أن
الارباح الكبيرة في صناعة البترول تساقى من
العمليات اللاحقة للاستخراج وذلك في عمليات
النقل والتخزين والتكرير والتسويق ، كما أنها
تتضاعف أكثر وأكثر في عمليات تصنيع
البتروليكيوليات ، أنه من الحقائق المسن بها أن
سعر البترول الخام عند الدولة المنتجة لا يزيد عن
حوالى ٤ في المائة من سعر بيع المنتجات النهائية
بعد التكرير والتخزين وغيرها من العمليات (٥)

وجاءت شروط المشاركة هزلة ضعيفة تبدأ بسـ
٢٥ في المائة من رأس المال وتتدرج طوال عشر سنوات حتى تصل الى نسبة الـ ٥٠ في المائة . ويتم حسبها تعويض شركات الاستغلال عن هذه النسب ليس حسب القيم الحفترية لـلاصول المستثمرة ولكن حسب تقدير مغاير يصل بالتعويض الى اربع اثمان القيمة الحفترية تقريبا وقدره بعض الباحثين بما يصل الى حوالي الالف مليون دولار خلال السنوات الخمس الاولى وحدها ، وتضع اتفاقيات المشاركة التي عرضتها الشركات قهرا على سلطة الدولة المنتجة في تسويق البترول المنتج وعلى قرارات الادارة العليا بحيث يصبح للشركات حق الفيتو على أى قرار لا يمثل مصالحها تماما .

وتعرضت اتفاقيات المشاركة هذه لنقد شديد . ورفضها الفكر العربي البترولي رغم هديد من الاصوات الماجورة التي هملت لها اول صدورها . وبسبب الحكم الانتقراطي في بعض البلاد فقد قتلت تلك الاتفاقيات ، ولكن حيث وجد قدر من التعبير الشعبي عن رأى الجماهير انادات المارضة الى حد ان رفضها مجلس الامة الكويتي وظلت الكويت وحدها من دول منطقة الخليج دون التوقيع على تلك الاتفاقيات .

وتبرز أهمية الخطوة الليبية الأخيرة في ضوء هذا السرد للتاريخ القريب في أمر المشاركة .

ان القرار الليبي يتأميم ٥١ في المائة من اسهم الشركات العاملة فيها هو في الحقيقة فرض للمشاركة بهذه النسبة من جانب الدولة المنتجة بدلا من انتظار النسبة التي تقبل بها الشركات وتتدرج معها . وهو يحدد التمييز على أساس القيمة الحفترية فحسب ، كما يضع القرارات العليا في يد أغلبية ليبية في لجنة ادارية من ثلاث .

ان النجاح في تنفيذ ذلك القرار - واضرب التقديرات تؤكد انه سوف ينجح - انما يوجد في نظر الشركات الاستثمارية خطورة قصوى من ناحية انه يضع مجداً يمكن للدول المنتجة الاخرى ان تحذيه . لقد طبقت الجزائر عند التأميم في ١٩٧١ كثيراً مما يفرضه القرار الليبي ولكنه لم يتراض عنئذ للشركات السبع العملاقة ، اذ لم تكن مثيلاً بصورة تذكر في حقل البترول الجزائري . ولكن المشكلة الان ان اجاب بعض من هذه الشركات - التي تعمل في ليبيا - على القبول بهذا المبدأ انما يعني تحريكاً لشعوب منطقة الخليج ان لايد من ان تقبل الشركات بنفس المبدأ هناك . ان الكويت لم توافق على اتفاقيات المشاركة السابقة ، وسوف يكون موقفها من ناحية الضيف تنفيذ نفس القرار

وان يظل جهد الدول المنتجة في حدود تعديلات سعر البترول الخام او حتى الاستيلاء على السعر كاملاً لما يمكن ان يقبله الاستثمار طالما بقيت له السيطرة على الحركة المالية للبترول ، وطلما لم تمس ارباحه الطائلة من جملة الصلاحيات التالية .

ولعل هذه العوامل الاربعة تجعلها واجبا على كل الثوريين العرب الذين يريدون استعمال البترول سلاحاً لصالح الشعوب العربية ان يفكروا كثيراً فيما يجب ان يكون عليه الاستراتيجية العربية في شأن البترول بحيث تصبح الخطوات التي تتخذها كل دولة خطوة على طريق رئيسي طويل يتقوى بان يحصل العرب من بترولهم على كل الميزات التي يمكن ان يحققها سواء في المجال السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي .

ومع ذلك فإنه يجب ان نذكر ان ذلك ليس اقلالا من جدية وأهمية الخطوة التي اتخذتها ليبيا اخيرا فان هناك من الاعتبارات المرتبطة بها ما يجعلها خطوة صحيحة وفي الوقت المناسب وفي الحدود التي نستطيعها دولة تقف بمفردها دون صف عربي متماسك يستهدف أكثر من مجرد رفع الاسعار .

أهمية الخطوة الليبية الأخيرة

وحتى ثورك أهمية هذه الخطوة يجب ان نعود قليلا الى الوراء ، وبالتحديد الى يوم قامت العراق بتأميم بترولها في اول يونيو ١٩٧٢ . لقد وجد الاستثمار في هذه الخطوة نذير خطر كبير وخاصة في منطقة الخليج حيث يركز الاستثمار كل قواه من اجل استمرار سيطرته على اكبر وأضخم منابع البترولية في العالم والتي ينتظر ان تكون مسئولة عن توفير القدر الاكبر من احتياجات العالم من الان وحتى نهاية القرن تقريبا ، وحيث تتركز مصالحه البترولية بصورة اساسية ، وحيث للاخطبوط الاحتكاري بشركاته السبع الاحتكارية الكبرى السيطرة شبه الكاملة على البترول .

لقد نصت الاتفاقيات بين الدول المنتجة وشركات الاستغلال قبل ذلك على امكان مشاركة الجانب الوطني في رؤوس أموال الشركات . ولكن هذه الأخيرة باطلتوسونت وتؤجل الوصول الى أى اتفاق في هذا الصدد . وفجأة وفي بحر شهر اريمة بعد تأميم العراق للبترول وافقت الشركات على مبدأ المشاركة ، في محاولة في واقع الامر لحرف انظار شعوب المنطقة عن شعار التأميم الذي كان يد طالع انتظاره على الشعوب العربية ، قبل ان تملته وتطبقه العراق .

الليبي عندما بمثابة فتح الباب لتحديد اتفاقيات المشرحة التي يبلتها دول الخليج الأخرى .

القرار الليبي إذن من هذه الناحية إنما هو خطوة رائدة يمكن أن بتبها تكرار لنفس الموقف في منطقة الخليج . وسوف تتوقف سرعة التطبيق على مدى ما تمارسه تلك الدول - وبالأحرى الشعوب العربية - من ضغط في هذا الاتجاه .

وقد أتى الأهمية الأخرى للقرار الليبي من أنه قد صارت أمور البترول هي ثلاث من الدول المصدرة هي الجزائر والعراق وليبيا هي يد إيمانها : الأولى تمدهم حوالي ٧٥ في المائة منه والثانية في ٦٥ في المائة والثالثة فيما لا يقل عن ٥١ في المائة مع عمو الإرادة الوطنية على ماعداها من إرادات في اتخاذ القرارات وتسيير الأعمال . وإذا لاحظنا أن هذه الدول الثلاث تنتج فيما بينها ما لا يقل عن ٢٥ في المائة من البترول العربي فضلا عن امكانيات الغاز الطبيعي فيها جميعا لموجدنا أننا أمام وضع يلزم على قدر من التفكير والترتيب لضال جبهة من الدول التي تحرر بترولها أو كاد .

ورب أهمية أخرى تكمن في أن تساوي الضربات العربية إزاء الاستعمار - الجزائر في ١٩٧١ ، والعراق في ١٩٧٢ ، وليبيا في ١٩٧٣ - لتبقى جذوة المقاومة العربية لآثار نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ولتمثل طمعة بنا تتلوهما أخرى هناك تمهيدا لضربة قاضية تكون الظروف الموضوعية العربية قد نهيات لها بحيث تحسم مفركة لأبد منها مع الاستعمار في كافة المجالات .

ولكنه طريق طويل

لقد قلنا ان القرار الليبي خطوة هامة على طريق

طويل . وطننا إذن أن تعرف على هذا الطريق الطويل ومداه وأهدافه البعيدة

والضمان أن تأمينا هنا وآخر هناك ، إنما هو شيء يستمد الاستعمار تحت الضغط لقبوله والرضا به مادام الأمر يقف عند حدوده .

فالأرباح العظمى للبترول لا تأتي من سعر الخام إذا كان ارتفاعه وإنما تأتي في الأساس من عمليات التكرير والنقل والتخزين والتوزيع ، ومن تصنيع البتروكيماويات ، ومن امتصاص مصدرا للطاقة تقوم عليه الكيانات الإنتاجية المتطورة للدول المتقدمة .

وإذا بقي الأمر عند حدود النزاع على سعر الخام بل والاستيلاء عليه كله لمن يضر ذلك الاستعمار كثيرا بإدام الخط الطويل من العمليات التي يدخل فيها أو يقيدها البترول في يده .

وقد كانت استراتيجية الاستعمار وسياسته لن يظل مسيطرا طول الوقت على كافة حركة البترول العالمية فهنا مكاسبه الفعلية . وانه هنا فقط حيث يمكن أن توجه الضربات للاستعمار ، وهنا فقط سوف تصبح الحركة حامية الوطيس لا يقبل فيها التسليم .

لما من ناحية الدول المصدرة للبترول فإنه يزداد الوعي ويجب أن تعمل على زيادته - مع الوقت بأن :

بيع الخامات مهما كانت أهميتها - حتى وإن كانت النادرة منها - لا يمكن في حد ذاته أن يولد ثروة .



ملع إنتاجية وبعادات وآلات تدفع دم الحياة في
شرايين المجتمع العربي .

تعني في الأساس أن ضرب العلاقات البترولية
العالية السائدة والتي فرضها الاستثمار لصالحه
بالانفتاح على المستهلكين والارتباط المباشر بدول
العالم الثالث والدول الاشتراكية .

وتعني الكثير غير ذلك من تنسيق عربي ، في
الخطة والتكتيك وفي التصنيع بل وفي التسويع
السكاني والنشاط الاقتصادي .

ولكنها أمور قد تبدو في ضوء الأوضاع العربية
الحالية ضربا من الخيال .

ولا عيب في ذلك فالخيال إنما هو رؤية مسبقة
لحركة التاريخ مادام يبنى على الدراسة والتأمل
الواقعي والعلمي .

وإن لم يكن ممكنا جمع الصف العربي كله
الآن ، فلا بد من أن تجتمع حول استراتيجية واحدة
كل الدول التي أثبتت وتثبت معاداة هرصة
الاستعمار .

تلك من بين دول البترول الجزائر والعراق
وليبيا

وتدعمها وتساندها مصر وسوريا واليمن
الديمقراطية .

هي كتلة أن تكونت كان لها السيطرة على
الشارع العربي .

والويل لأي حاكم لا يحسب لأشمار حسابه .

قد تكون هذه مجرد ملامح لهذا الطريق
الطويل .

ولكن ما يجب أن يجتهد الفكر العربي ليتبين
كل دقائقه وتفصيله حتى لا تعيش ضريقتا في
الهواء ، وحتى لا تكون تمركاتنا انفصلا قليل
الفضل .

وإن أي زيادة في سعر بيع الخامات الطبيعية
إنما يستهلكه ويزيد عليه معدل الزيادة في أسعار
المنتجات المصنعة .

وإن القطن المصري - مثلا - وله سمعته المالية
واسواقه المفضحة لم يولد ثروة تذكر في مصر ،
وإنما بدأت الثروة تنتج عنه بزيادة مراحل
التصنيع التي يدخلها من حلج إلى غزل إلى نسيج
إلى صباغة ، ومن بكرة إلى زيوت وغذاء حيواني
وهكذا .

وإن مظاهر الرأاء التي تبدو في بعض البلاد
البترولية لم تجعل مستوى المعيشة في أي بلد -
حتى أكثرها دخلا - يصل إلى أي نسبة معقولة من
مستوى المعيشة في أقل بلاد أوروبا الصناعية . وإن
البترول في النهاية ثروة مؤقتة سوف تنتهي
بهما . وقد أصبح ذلك اليوم قريبا - بضع عشرات
شيلة من السنين لاتمثل شيئا في عمر الشعوب .

ومن ثم وجب أن يكون للدول العربية المصدرة
للبنترول استراتيجيتها في مواجهة استراتيجية
الاستعمار .

ولن تكون هذه شيئا يختلف كثيرا عن تحويل
الثروة المؤقتة المفضلة في احتياطات البترول
وانتاجه إلى ثروة مستقرة ودائمة ببنمية واسعة
في جميع أرجاء المجتمع العربي ، واتاحة الفرصة
أن يعمل الإنسان العربي بمستوى العمل الجيد
المساعد في القرن العشرين .

وهي تعني تنمية قطاع البترول بدخمه فيماوراء
مرحلة الاستخراج عبر كل مراحل التصنيع حتى
البتروكيماويات .

وتعني تنمية باقي قطاعات الاقتصاد القومي
الأخرى المحيطة بالبترول تأخذ منه وتمطيه .

ويعني كذلك كسر الحصار من حولنا والدخول
في مبادلة متكافة مع المستهلكين للبترول ، وتحويل
هوائه من أرمدة تاكل منها تخفيضات الصلة إلى

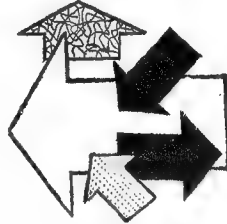
٣ در اسكات حويل المتغيرات الدولية

مساهمة في « الحوار الوطني » الذي افتتح على مستوى الوردية التي اعدتها اللجنة العامة للاتحاد الإفريقي العربي واللجنة للدائمة لجيش النضال حول قضية التغييرات القومية والرياء على ظهور الواقع في مصر والمنطقة العربية ، وخاصة فيما يتعلق بزمرة «الشرق الأوسط» قدمت « اللجنة » في العدد الماضي مجموعة من « الملاحظات » التي تفرض نفسها بالضرورة عند أية محاولة للتحقق في دراسة العوامل الرئيسية التي أدت إلى التطورات الجديدة في الوضع العربي . . . وفي هذا العدد توصلت « اللجنة » بمشاركة في الحوار الوطني بثلاثة أوراق . . . أحدها استند إلى حقيقة من أعضائه المجلس العربي للسلام والتنمية في تلك مجيى الدين ، والثانية للدكتور جمال مصطفى ، والثالثة للاستاذ يوسف يوسف . . .

وجهة نظر

المتغيرات الدولية :

يتقدم وفد المجلس المصري للسلام
برايه حول المتغيرات من زاوية الموقف
الدولي مستخلصا الخبرة الطويلة
التي مارسها حركة السلام
المصرية منذ نشوئها ، إذ تاضلت مع حركات
السلام في العالم من أجل اقتران سياسة التعايش
السلمي على الصعيد العالمي كي تنظم العلاقات بين
الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة تجنباً
لاخطار الحروب وشجياً لسياسة العدوان وحما
للعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين
الدول على أسس متكافئة ولصالح كل
الشعوب ... ولعل المجلس بهذه الخبرة أن
يضيف جديداً الى الحوار الدائر فيثريه ويمهقه .



ويقتر وفد المجلس المصري للسلام ما ورد في
الورقة التي طرحها الاتحاد الاشتراكي عن ظهور
متغيرات هامة في العلاقات الدولية ستؤثر ولا شك
في سياستنا ، غير أنه يرى أن تقييم هذه المتغيرات
على أساس مبدئية مسليمة من أجل معرفة
السيبل للقيادة منها وتكريسها لصالح الشعب
المصري والشعوب العربية لا يمكن أن يتم بمجرد
تسجيلها وسردها بشكل وصفي لذا ينبغي أن
نتعرف عليها كظواهر تاريخية نتجت عن أسباب
وعلى محددة ، كما أن هذه الظواهر التاريخية
كانت تتجلى في مالمنا طوال سنوات عديدة وكان
لشعوب العالم ومن بينها شعبنا وشعوب بلدان عدم
الانحياز دور ايجابي في تحديد مصارها حتى
انتهت الى ما نشهده اليوم من تغيرات هامة في
العلاقات الدولية . ولهذا فإن أية دراسة للمتغيرات
العالمية ينبغي أن تبدأ بتعميق أصولها التاريخية
للتعرف على أسبابها الموضوعية ، حتى يمكن أن

مساهمة من المجلس المصري للسلام
في الحوار الدائر حول « المتغيرات
الدولية » ، قوت سكرتارية المجلس
تشكيل لجنة من بعض اعضاء المجلس
برئاسة خالد محيي الدين السركتير
العام للمجلس لاعداد تقرير حول هذه
المتغيرات والقيام بمناقشته مع ممثلي
الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي .

وبناء على طلب من ممثلي الامانة
العامه اعدت اللجنة تقريراً مكتوباً ..
تشره « الطليعة » كواحدة من
المساهمات الهامة التي بذلت في هذا
المصدر .

ثم ارتفعت سياسة الحرب الباردة الى مستوى آخر خطير بعد قيام الكتلتان العسكرية الامبريالية في الاربعينات والاول الخمسينات ، فدعا دلاس وزير خارجية أمريكا ومعه « تيكسون » الذي كان نائباً للرئيس الأمريكي حينئذ الى سياسة « دفع الاشتراكية الى الوراء » ، أي العدوان المباشر على البلدان الاشتراكية والوصول بالعلاقات الدولية الى «إضافة الهاوية» كما حاجها بمنفسياسة «الحباد الإيجابي» ، وعدم الانحياز ، التي نادى بها بعض زعماء بلدان أفريقيا وآسيا ، باعتبارها سياسة « غير اخلاقية » وفي نفس الوقت استمر التدخل العسكري والحروب العدوانية في الجزائر والهند الصينية وجواتيمالا وسان دومينجو وبلدان الاردن ... كما تم عدوان ١٩٥٦ الامبريالي الصهيوني على مصر .

ولقد أثقلت الخبرة القاريشة التي نرصدها جيباً أن هذا الخطط الامبريالي قد فشل في تحقيق أهدافه .

فشل في تصفية النظم الاشتراكية .

ثم وجد صعاباً متزايدة في تحقيق الاهداف التي سعى اليها من وراء شن حروب استعمارية محددة ، وكانت حرب فيتنام وما أسفرت عنه أكبر شاهد على ذلك .. وبذلك تعددت السياسة الأساسية لوضع عالمي جديد لا يرتبط فيه تعاضد القوة العسكرية - بالضرورة - بتعاضد القوة السياسية ... وعلى حد تعبير كيسنجر - وهو صاحب فكرة الحرب المحدودة - أصبحت ترجمة القوة العسكرية الى قوة سياسية أمراً يزداد صعوبة ...

غير أن ذلك لم يتم في فراغ ، إنما تم بفضل سياسة أخرى اتبعتها البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرير والقوى الديمقراطية والسلامية في العالم

العدوان وتوطيد السلام

والتعاضد السلمي

أولاً : بالنسبة للبلدان الاشتراكية : أن وثائق مؤتمرات الأحزاب الشيوعية والخطب الرسمية ومواقف الدول الاشتراكية في المؤتمرات الدولية تؤكد أن مجموعة هذه الدول قد التزمت خطاً

نعرف بعد ذلك سبل الافادة منها لصالح النضال المصري والعربي .

الحرب والحرب الباردة

والحروب الاستعمارية

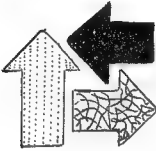
لم تكن الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى شرعت الامبريالية في الاعداد لحرب جديدة ضد الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وضد حركات التحرير الوطني ... ولقد دعا تشرشل صراحة في خطاب مشهور عام ١٩٤٦ الى فرض سترار حديدي حول الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية والى اقامة كتلتان عسكرية بهدف أن تهر اليها العديد من بلدان افريقيا وآسيا خدمة لهذه السياسة .

وكانت نقطة البدء في هذه السياسة هي اعلان « ميكا ترومان » الذي اجاز لأمريكا التدخل في شئون تركيا واليونان بدعوى حمايتها من تهديد سوفيتي ، ثم اعلن عن « مشروع هروشال » لدعم دول غرب أوروبا الرسمية واستفادها كجزء من الخطط الامريكية ضد البلدان الاشتراكية ، ثم أعلن عن قيام حلف الاطلنطي في عام ١٩٤٩ واتى بعد ذلك حلف « البنتو » في جنوب شرقي آسيا وحلف « بغداد » في الشرق الأوسط وغيرها من الحلاف التي استهدفت ضرب حركات التحرر واضعاع بلدان افريقيا وآسيا ، وبهذا تحولت الحرب الباردة التي أعلنها تشرشل في عام ١٩٤٦ الى استراتيجية متكاملة ضد الاشتراكية وحركات التحرير الوطني ، الامر الذي اضطررت معه البلدان الاشتراكية الى اقامة حلف وارسو ، في عام ١٩٥٥ ، كما اخذت حركات التحرير ومن بينها حركة التحرير المصرية تشدد من نضالها للأفلات من هيمنة الحلاف العسكرية التي فرضتها الامبريالية على كثير من البلدان الناضجة الصغيرة .

وكانت بريطانيا تطالب باستمرار قواعدها كاملة في الهند كشرط لتسليمها ، وكان هناك مشروع « صسديني - بيفن » في مصر ، وفي مصر ، ومشروع « جبر - بيفن » في العراق وكانت هولندا تضرب بالسلاح حركة التحرير الاثدونيةسية ، وفرنسا تشن حرباً استعمارية في فيتنام ، وأمريكا وحلفائها يحاربون في كوريا ، وبريطانيا تحارب في الملايو وكينيا وغيرها .

■ ٢ دراسات حول المتغيرات الدولية

سياسيا ثابتا لا تحيد عنه منذ الحرب العالمية الثانية ... ويقوم هذا الموقف على أسس المبادئ التالية :



١ - احترام حدود الدول الأوروبية واتفاقياتها بعد الحرب العالمية الثانية .

٢ - حل للمشكلة الألمانية على أساس الاعتراف بوجود دولتين المانيتين كمطلق لاقرار أمن أوروبي جماعي .

٣ - تجميع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

٤ - اتخاذ مبادئ التمايش السلمي أساسا للعلاقات الدولية تجنباً للحرب النووية ، ثم العمل على اتخاذ خطوات عملية وتدريبية نحو تدمير السلاح النووي ونزع السلاح التام الشامل تحت الرقابة الدولية الفعالة .

٥ - تعزيز العلاقات التجارية على أساس إلغاء التمييز التي فرضتها الحرب الباردة ، وعلى أساس احترام المصالح المتبادلة ، والنزع المتكافئ محل الحرب الباردة في تنظيم العلاقات بين الدول .

٦ - مساندة حركات التحرر الوطني والدول المستقلة كمبدأ أساسي من مبادئ التمايش السلمي .

وهكذا فإن الدول الاشتراكية كانت تدمر دائما الى التمايش السلمي ... والتمايش السلمي كما هو معروف من التمايش بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ... وبالدرجة الاولى التمايش بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي ... وكان فينمين أول من دعا الى هذا المبدأ وأعلنه رسميا وطالب بتطبيقه بعد ساعات قليلة من انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ ، وأصدر مرسوم السلام ، ولم يكن في ذلك يبتكر شيئا جديدا فقد كان اصطلاحا لا يميز دخول مرحلة السياسة الدولية بعد قيام أول دولة اشتراكية في التاريخ ، وهي حقيقة تاريخية وقائية لا يمكن تجاهلها ، وتنبؤ به يقام عالم جديد متعدد النظم الاجتماعية والاقتصادية لأول مرة .

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح التمايش السلمي بين الرأسمالية والاشتراكية ، شرطا أساسيا لا مفر منه لقيام السلام في عصر الذرة ولقيام الاشتراكية في أكثر من بلد ، الامر الذي أدى الى نشوء نظام اشتراكي عالمي في مواجهة نظام رأسمالي عالمي ، ثم الى تواجد تمايش هذين النظامين لفترة تاريخية قد تطول

وهكذا واجه عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية متطلبات جديدة بسبب تعدد النظم الاجتماعية العالمية . فقد أخذت الحقائق الجديدة والأدلة تتوافر على امتداد ربع قرن ، على أن التمايش السلمي هو السبيل الوحيد أمام البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، الاشتراكية والرأسمالية ، مادام تواجدهما في هذا العالم ولفترة تاريخية هو امر لا مفر منه ... ولا نشبت حرب نووية تدمر العالم كله .

ولا ريب أن تعاضد قوى البلدان الاشتراكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية ، ثم تضامن هذه البلدان مع نضال حركات التحرر والشعوب قد غيرت من موازين القوى الدولية ... بحيث أصبح الإصرار على استخدام القوة ضد الاشتراكية يعرض العالم كله لحرب نووية شاملة الدمار .

ثانيا - بالنسبة لنضال الشعوب : ان قوى السلام والقوى الديمقراطية والاشتراكية رفعت في الاخرى لواء سياسة السلام والتمايش السلمي، ودحر العدوان وأقلمت العلاقات الدولية في مختلف المجالات على أسس متكافئة بناء ... ولعبت هذه القوى دورا هاما منذ الحرب العالمية الثانية في تعبئة الرأي العام العالمي حول هذه الاهداف حتى أصبح لها اثرها الإيجابي الفعال داخل البلدان الإمبريالية نفسها ... وخير دليل على ذلك هو ثورة الرأي العام الأمريكي نفسه ضد حرب فيتنام .

حقا أن اثر الرأي العام العالمي كقوة ضاغطة لمصلحة الشعوب ليس وحده كافيا لنحر العدوان وازرار السلام ... ولا يمكن أن يكون ... امكان اثره فعلا واسميا بالنسبة لفيقتان عندما ضيف الى نضال الشعب الفيتنامي نفسه في أرض

« الطريق الوحيد لتدعيم السلام والذي يجب أن يقوم على الحرية والمساواة والعدل » .

هذا الارتباط الموضوعي بين حريات ومصالح الشعوب ، وبين قضايا السلام ، وقضية التعايش السلمي جعل مؤتمر وزراء خارجية دول حزم الانحياز الأخير والذي عقد في جوج تاون عام ٧٢ بعد لقاء بريجنيف ونيكسون في موسكو « ترحيبه بالتحسن الذي طرأ على العلاقات بين الدول الكبرى » ، كما سجل بارتياح « الاتجاه الجديد نحو اجراء مفاوضات وإبرام اتفاقيات ثنائية » مشيراً بذلك الى الاتفاقيات الأمريكية السوفيتية والأمريكية الصينية والاتفاقيات والمعاهدات الثنائية التي تمت بين دول شرق أوروبا وغربها .

ولا جدال في أن كل ما قديماً من حقائق سياسية قد ازداد رسوخاً في المتبينات وبداية السبعينات .. مما لجبر واضعي ومنظري السياسة الأمريكية على تغيير مبادئهم ..

وخبر دليل على ذلك هو المتغيرات التي تتم اليوم والتي تؤكد أن الامبريالية قد اضطرت الى وضع سياسة تعتمد بالنسبة لسياساتها السابقة بهيمنة تحول من النقيض الى النقيض !

فيبدأ من الحرب الباردة والنوتر والصراع المسح أو التهديد باستخدام القوة المسلحة قام تقام واضح حول عديد من القضايا الدولية تمكسه اتفاقيات كثيرة في مختلف المجالات .

وبدلاً من سياق التسليح المتصاعد أبدا ورفض تحديد الأسلحة الاستراتيجية وفضع السلاح وقعت اتفاقية المرحلة الاولى للحد من الأسلحة الاستراتيجية في موسكو ، وأعلن في واشنطن بيان أمريكي سوفيتي بتحريم الحرب النووية كما أعلن التزام الطرفين بتوقيع اتفاقية المرحلة الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية قبل نهاية ١٩٧٤ .. وهذه الاتفاقية المتوقعة تمثّر بمثابة الخطوة الاولى الإيجابية والواسعة نحو خفض جذري في الأسلحة الاستراتيجية .

وبدلاً من رفض فكرة عقد مؤتمر لالان الأوربي ، والإصرار على توحيد ألمانيا وتعديل حدود ما بعد الحرب ، اضطرت الامبريالية الى قبول قيام الدولتين الألمانيتين ، وثبتت الحدود وعقد اتفاقيات عدم اعتداء بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية .. بعد أن أثبتت أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، على تباين الأحكام بشأنها ، الفشل الحتمي لسياسة « رد الاشتراكية الى الزواء » وتغيير الحدود التي أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية .

المعركة ، فالعاملان مترابطان متداخلان فضلاً ونظراً ، والشاهد القاطن اليوم على ذلك ما يحدث بالنسبة للنضال الكيبيودي .. فضال الشعب في أرض المعركة قد أثار الرأي العام في العالم وفي أمريكا نفسها ليضغط على الكونجرس الأمريكي فيصدر تداراً يجبر حكومة نيكسون على وقف الغارات الوحشية على كيبوديا ، ومثل هذا التأثير المتبادل بين العاملين كان وليد تفاعل النضال المستمر في أرض المعركة وفي أوساط الرأي العام العالمي امتد لنبضات .

ان تعبئة الرأي العام العالمي من أجل السلام والتعايش السلمي له أثره البالغ لدحر العدوان وحماية حقوق الشعوب عندما يرتبط بنضال الشعبين ، سياسياً أو عسكرياً أو كليهما معاً ، على أرض المعركة .

ويقيناً ان اثر الرأي العام العالمي يشهد ويتعاظم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط باتصال النضال العربي وتعاظمه والقدرة على تهيئة القوى العربية وتنظيم جهادها وحشد امكانياتها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على أرض المعركة .

ثالثاً - بالنسبة لبلدان عدم الانحياز : لقد اتسمت دائرة الشعوب والبلدان المؤمنة بمبدأ التعايش السلمي وحذر سياسة العدوان ولقائمة العلاقات البذاءة بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة على أسس متكافئة وعادلة .. واخذ الكثير من البلدان في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، بعد ان حصل على استقلاله السياسي خلال الخمسينات ، يرفع هو الآخر علم التعايش السلمي ، فكان من أهم المبادئ التي أقرها مؤتمر باننوج في عام ١٩٥٥ ودعا اليها : احترام أسس هذا المبدأ وقيام تعاون دولي على أساس ميثاق الأمم المتحدة الذي يشكل في مجموعه أسس التعايش السلمي بين الدول ، ثم دعا جميع الشعوب في العالم الى ان تقدر النتائج المفرعة التي سوف تنجم عن نشوب حرب نووية ..

وفي عام ١٩٦١ عقد أول مؤتمر لعدم الانحياز في بيجراد ودعا المؤتمر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى ان توقفوا استعداداتها للحرب ، وأن تستأنف المفاوضات من أجل التوصل الى تسوية سلمية لاية خلافات قائمة بينهما . وفي عام ١٩٦٢ قامت منظمة الوحدة الافريقية واحتل مبدأ التعايش السلمي مكاناً بارزاً بين مبادئها . وفي عام ١٩٦٤ أكد مؤتمر عدم الانحياز الثاني في القاهرة على مبادئ التعايش السلمي باعتبارها

وبذلك أصبح الأمن الأوربي ضرورة موضوعية لدعم المصالح الغربية والجماعية لدول وشعوب أوروبا الغربية والشرعية مما رغم تناقض أنظمتها الاجتماعية واختلف اتجاهاتها الأيديولوجية والفكرية .

وبدلاً من الحصار واغصاطية التجارية والاقتصادية لدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي والصين ، قام عهد من التبادل الاقتصادي الواسع بين الدول الرأسمالية والاشتراكية وأخذ التعاون الفني والتكنولوجي يتسع ، وانضمت العلاقات التجارية بين الطرفين فتدعم واقيمت التسهيلات الائتمانية والفروض ، ثم كان ازدياد التعاون في المجالات الاقتصادية مع احتفاظ كل طرف بنظامه الاقتصادي والاجتماعي .

ذلك بعض خصيلة السنوات الأخيرة من الستينيات والسنوات الأولى من السبعينيات التي تؤكد أن الدول الامبريالية هي التي غيرت سياستها ومناخها ، وأن البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرير والسلام هي التي ظلت ثابتة على ما رسمتها من أهداف سلامية براءة لتنظيم العلاقات الدولية على أسس التمشيش السلمي والعلاقات المتكافئة والبناء بين الدول وأن اختلفت الأنظمة الاجتماعية والأيديولوجية في هذه الدول ... فما الذي دعا الامبريالية الى تغيير سياستها واتخاذ هذه الخطوات الجذرية ؟ وما هي الحقائق التي ازدادت وضوحاً ورسوخاً خلال هذه الحقبة لتشكّل آخر الأمر متغيرات هامة في العلاقات الدولية ؟

حقائق العصر

ان شروع البلدان الامبريالية في تغيير سياستها ومناخها لا يعني أن طبيعتها قد تغيرت ... فلا تزال استغلاية عدوانية كما كانت ، غير أن حقائق العصر قد فرضت حدوداً على قدرتها الاستغلاية العدوانية . فالامبريالية لم تتغير ولكن المصالح حولها قد تغير واصبحت علاقات القوى الجديدة تفرض على الامبريالية اوضاعاً وقوداً جديدة على حركتها .

الحقيقة الاولى :

ان القوة العسكرية الامريكية باتت عاجزة عن فرض ارادتها على شعوب العالم ... واذ كانت الستينيات قد شهدت مرحلة سيالي بين الاتحاد

السوفيتي وأمريكا لخلق توازن نووي ، فانه بات واضحاً منذ نهاية الستينيات ومع بداية السبعينيات ان الامر انتهى الى تعامل بين القوتين النوويين بحيث نفت كل منهما تأثير الأخرى ، لأن استخدام الطرف الامريكي للسلاح الذري لتدمير الطرف الآخر ، سيؤدي في نفس الوقت الى سمار شامل لوجوده نفسه ، ومن ثم أصبحت الحرب العالمية النووية الشاملة خطراً بعيد التحقق . وبهذا لم يعد السلاح النووي والتهديد باستخدامه لردع خصوم السياسة الامريكية صالحاً اليوم لفرض الاهداف الامبريالية العدوانية .

الحقيقة الثانية :

أن البلدان الامبريالية وفي مقدمتها أمريكا حين ادركت مخاطر الحرب العالمية النووية على وجودها نفسه لجأت الى شن حروب محدودة حتى تنكبت لها نظرية خاصة واستراتيجية خاصة في الستينيات ، غير أن الخبرة التاريخية قد علمتها أنه من الصعب تحقيق اهدافها الاستغلاية العدوانية عن طريق هذه الحروب المحدودة ... أثبتت ذلك الحرب الامريكية في كوريا والحرب الفرنسية في الهند الصينية ، والحرب الفرنسية الانجليزية الاسرائيلية ضد مصر صمام ١٩٦٦ ، والحرب الفرنسية في الجزائر ، ومحاولات غزو كوبا في اوائل الستينيات ، ثم الحرب الامريكية في فيتنام وكذلك الحرب الامريكية في لاس وكينوديا .

ولقد كانت نتائج الحرب الفيتنامية واضطراب أمريكا الى سحب كل قواتها من الأرض الفيتنامية آخر الامر ، درساً عميق الاثر على السياسة الامريكية العدوانية ، وذلك بفضل نضال الشعب الفيتنامي المستند الى خط سياسي ثوري ورشيد والى تعبئة منظمة شاملة لكل قواته الجماهيرية والاقتصادية والعسكرية والى المساعدات المضلة من البلدان الاشتراكية والى التأييد المتزايد من الرأي العام العالمي .

ولا يعني ذلك ان الامبريالية الامريكية ستتخلى نهائياً عن الحروب المحدودة ولكنها ستغير من اشكالها وابعادها وحدودها ، فبدلاً من ان تشارك مباشرة في هذه الحروب بقواتها واسلحتها فانها قد تحاول ان توكل هذه المهمة لممثلاتها من البلدان الرجعية المحلية مثل حكومة سايجون في جنوب شرق آسيا او حكومة اسرائيل او ايران في الشرق الاوسط ... وهذا تغيير يفرض على أمريكا وفي صالح نضال حركات التحرير والبلدان الوطنية

٣ دراسات حول المتغيرات الدولية ■

أوروبا الغربية لفترة من الزمن ، غير أن السير بخطوات أوسع نحو إلغاء خطر الحرب والمردون مع استمرار هذه الأزمة سيفرض على أمريكا آخذ الامران تصحب قواتها ، وبالتدرج من أوروبا، مما يساعد شعوب أوروبا الغربية على الإفلات أكثر وأكثر من السيطرة الأمريكية الأمر الذي سيؤدي إلى ضعف مقاربات في قوة النظام الإمبريالي العالمي .. وذلك في مصلحة الاشتراكية وحركات التحرير والبلدان المستقلة المناهضة .. ولعلنا نذكر في هذا الصدد أن القواعد الأمريكية في أوروبا كانت دائما تستخدم كمنفعة لحملية ودعم العدوان الإمبريالي المصيرى على بلدان الشرق الأوسط .

الحقيقة الرابعة :

أنه لم يكن هناك من سبيل لوقف تدهور قيمة الدولار إلا بتنازل الرأسماليين في اليابان وأوروبا الغربية لحساب الرأسماليين الأمريكيين وذلك بالحد من الصادرات الأوروبية واليابانية وفتح الأسواق للواردات الأمريكية أملا في تمثيل ميزان المدفوعات والميزان التجاري الأمريكيين ، وبالتالي أملا في تدعيم قيمة الدولار .

غير أن ذلك يتناقض مع طبيعة الرأسمالية التي تقوم على المنافسة الشرسة من أجل الربح ولقد نشأ صراع مالي وتجاري خرس بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ... وبالتحديد بين اليابان وبلدان غرب أوروبا من ناحية وأمريكا من ناحية أخرى ... وأصر هذا الصراع عن عجز الميزان التجاري الأمريكي عام ١٩٧١ بلغ ٩٠ ألف مليون دولار ، وهو رقم لم يبلغه إطلاقا خلال القرن العشرين ، ومثل هذا الوضع جعل السمسرة والمديرين الماليين يدركون أن قيمة الدولار مستهدفة مما أدى إلى سعيهم إلى تغيير آلاف الملايين من الدولارات إلى عملات أخرى وإلى انهيار النظام

الناهضة ... لأن هناك فارق جوهري بين تضال شعب فيقتل ضد حكومة سايجون ونضاله ضد هذه الحكومة مع وجود أكثر من نصف مليون جندي أمريكي ، وهناك فارق بين تضال شعب كمبوديا ضد الحكومة العميلة ، ونضاله ضد هذه الحكومة مع تضال الفارت الأمريكية الوحشية على قوات التحرير الكمبودية ...

بل أن زيادة فاعلية سياسة التعاليش السلمي على العلاقات الدولية في المستقبل مستحيل من الصعب على البلدان الرجعية العميلة للإمبريالية أن تقوم باعتدائها بما سيطرة على البلدان الوطنية بدلا من البلدان الإمبريالية نفسها ، لأن المناخ العالمي لن يقبل مستقبلا مثل هذه الصريدة الإمبريالية الرجعية ... المهم هو أن تعرف البلدان الوطنية المستقلة كيف تنهض بامكانياتها وتنظيمها وكيف تستفيد من المساعدات المتلحة حتى تجعل منافع التعاليش السلمي ، الذي يتزايد تأثيره على العلاقات الدولية ، كله في صالحها .

الحقيقة الثالثة :

أنه قد تأكد أن الإمبريالية الأمريكية عاجزة تماما من تحمل نفقات الحفاظ على إمبراطوريتها ... أي الاتفاق على الصروب المحدودة التي تشنها وعلى قواعد المسكرية وعلى بناء قواتها المسلحة في أراضي البلدان الأخرى .

وإذا علمنا أن الاتفاق على الحرب الفيتنامية وحدها قد كلف أمريكا أكثر من (١٢٠) ألف مليون دولار لتصورنا الملايين الهائلة من الدولارات التي تسربت إلى الأسواق العالمية من أجل الحفاظ على الإمبراطورية الأمريكية ، الأمر الذي أدى إلى تدهور قيمة الدولار في العالم وإلى تحطيم النظام المالي والتقدي الذي وضعته البلدان الرأسمالية وسارت عليه لتنظيم العلاقات المالية والتجارية فيما بينها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ولا ريب أن هذه الحقيقة التي تتزايد أخطارها على مصالح الرأسمالية العالمية وخاصة الأمريكية كانت من العوامل التي أدت بأمريكا إلى تقديم تنازلات سياسية هامة في كثير من القضايا وفي مقدمتها القضية الفيتنامية .

على أنه يجب الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من هذه الأزمة التي تعاني منها أمريكا فستظل المظلة النووية الأمريكية هي أساس الدفاع في



البلدان الاشتراكية أن ترسم لنفسها تخطيطها مشتركاً بمقتضى لخمسة عشر عاماً ، ثم إن العلاقات الاقتصادية والتجارية الجديدة بين بلدان السوق الاشتراكية وبين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ستساعد بدوره على الاسراع بمعدلات نمو الاقتصاد الاشتراكي ... الامر الذي سيؤدي آخر الامر الى تعظم قدرة السوق الاشتراكية على منافسة السوق الرأسمالية على الصعيد العالمى .

ومثل هذه الميزة الاقتصادية والتجارية السلمية بين الاشتراكية والرأسمالية ستخلق فرصاً واسعة أمام التنمية فى البلدان المستقلة حديثاً ، إذ ستزداد قدرة الدول الاشتراكية على مساعدة هذه البلدان للاسراع بمعدلات التنمية ، كما أن الميزة الاقتصادية بين الاشتراكية والرأسمالية ستفرض على الشركات الرأسمالية قبول شروط فى العلاقات التجارية والاقتصادية تتفق مع مصالح البلدان المستقلة حديثاً ، بحيث يكون الانفتاح الاقتصادى الخنثى صعباً وسليماً وفى مصلحة التحرر الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلدان ... وليس لخدمة الاهداف الاستغلالية لاصحاب رؤوس الاموال الاجنبية .

الحقيقة السادسة :

انه نتيجة للمناخ الجديد الذى خلقته تبايرى انتصار سياسة التفاوض السلمى فى العالم فان خطوات جادة اخذت تتم لأول مرة فى اتجاه نزع السلاح ، ويمثل ذلك فى المحادثات الدائرة اليوم بين امريكا والاتحاد السوفيتى للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية والدفاعية . واذا علمنا ان امريكا وحدها قد انفقت اكثر من الف مليون دولار على التسليح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وان نزع السلاح التدريجى ثم الشامل سيفوز فائضاً هائلاً من رؤوس الاموال فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية لا يدع ان ينصرف الى مجالات الاقتصاد والتجارة الدولية ، لاندركنا أهمية هذه القضية بالنسبة لبلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية التى تحتاج الى دعم اقتصادها وتجاريتها . ان نزع السلاح التدريجى ثم الشامل سيؤدي حتماً الى تزايد المنافسة التجارية والاقتصادية والتكنولوجية والعلمية بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية ، كما سيؤدي الى تعاظم الميزة العالمية والسلمية بين الاشتراكية والرأسمالية فى مجال الاقتصاد والتجارة والعلم والتكنولوجيا ... وذلك بالقطع سيكون فى صالح التنمية الاقتصادية للبلدان المستقلة حديثاً .

النقدى العالمى ... واسفر ذلك عن خفض قيمة الدولار خلال هذا العام الى اكثر من ١٤ فى المائة بالنسبة للبارك المانى ، وإلى اكثر من ١٧ فى المائة بالنسبة لليابانى . وكانت حكومة نيكسون تأمل من وراء هذا الخفض فى قيمة الدولار الى تعديل الميزان التجارى لمصالح امريكا ، غير ان هذه الاحلام تبعدت حين وصل المجز فى الميزان التجارى الأمريكى خلال عام ١٩٧٢ الى اكثر من سبعة آلاف مليون دولار .

ان صراعاً متعلداً بين الدول الامبريالية تمتد جذوره فى الوضع النقدى العالمى هو امر لا مفر منه ، وهنا ينبغي ان نؤكد ان هذا الامر لا يتصل برغبة هذه الدول فى دخول هذا الصراع أو تجنبه ، فذاك خارج عن ارادتها ، لان اليابانيين والاوروبيين لا يمكنهم الاستمرار فى قبول عملة الدولار الورقية غير قابلة للتحويل الى ذهب ، كما ان امريكا لا يمكنها الاستمرار فى السماح باضعاف قيمة الدولار . وقد أسفر هذا الوضع كله عن قيام حرب تجارية بين التكتلات الاقتصادية الرأسمالية من اجل السيطرة على الاسواق القائمة والوصول الى أسواق جديدة . وقد كان من الممكن ان تصفر هذه الصراعات بين الدول الامبريالية حول الاسواق الى حرب مسلحة بينها ، كما كان الحال فى الماضى ، لولا ادراك هذه الدول مجتمعة يقناضها الأساس مع الاشتراكية .

غير ان هذا الخنافس يقصر تكالب امريكا وبلدان غرب أوروبا على أسواق البلدان الاشتراكية - الواسعة والمستقرة ، التى يسودها اليقين - حتى أصبحت قضية البلدان الاشتراكية فى المفاضلة بين العروض المتزايدة التى تقدمها شركات البلدان الرأسمالية اليها . وهذه المنافسات الاقتصادية والتجارية هى فى مصلحة الاقتصاد الاشتراكي ، سواء وضحت بذلك الرأسمالية أو لم توضح ، كما ان هذه المنافسات هى فى صالح البلدان المستقلة حديثاً ، لى تعرف كيف تستفيد منها ، لا مصلحة الشركات الاحتكارية ، بل مصلحة الاقتصاد الوطنى المستقل والتحرر الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلدان .

الحقيقة الخامسة :

انه فى الوقت الذى تشهد فيه الصراعات والخلافات بين الكتل الاقتصادية الرأسمالية ، فان السوق الاشتراكية (التوكميكون) تزداد تماسكاً وتوحداً ونمواً وإزدهاراً حتى أصبح فيه تبادلاً سريعاً

الاسامية • إن ظروف التعايش السلمي الجديدة هي وهما التي ستوفر الفرص لحل هذه القضايا التي تتصل بمستقبل البشرية •

الظروف الجديدة للعلاقات الدولية

كل هذه الحقائق الاسامية قد خلقت شروطا جديدة في العالم أخذت تصوغ العلاقات الدولية صياغة جديدة •

وقد أطلقت ورقة العمل التي يدور حولها الحوار على هذه الصياغة الجديدة للعلاقات الدولية عدة مسميات منها «الوفاق الدولي» ، «الوفاق من المرفق الدبلوماسي والسياسي ترجمة لكلمة Entente وهي كلمة لا تكثر عليها في كل الوثائق والاتفاقيات التي أبرمت بين الصين وأمريكا أو بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا أو بين الاتحاد السوفيتي ودول غرب أوروبا » ثم إن وثائق البلدان الاشتراكية لا تستخدم هذه الكلمة وصفا للعلاقات الجديدة في العالم ، كما أنه نادر ما تطلق وثائق البلدان الرأسمالية هذه الكلمة على هذه العلاقات •

والظن أن ورقة العمل قد استندت إلى خطأ وقعت فيه بعض الصحف العربية حين ترجمت كلمة Entente بالوفاق ، بينما معناه السياسي والدبلوماسي هو تخفيف حدة التوتر الدولي ، ولا يهنا تصحيح هذا الخطأ بقدر ما يهنا ما يمكن أن توحي به كلمة وفاق من تدبيرات خاطئة للتغيرات الجارية قد تؤدي بنا إلى تجاهل فرص النضال التي تتيحها التغيرات الجديدة • وبالتالي إلى رسم سياسات تضر بمصالحنا ولا تستند إلى حقيقة الواقع المتنامي من حولنا •

والتعبير الذي استخدمته الوثائق الاشتراكية ووثائق بلدان عدم الانحياز ووثائق حركات التحرر والسلام وصفا للسياسة الدولية الجارية اليوم هو «التعايش السلمي» ، وقد ذكر هذا التعبير في الوثائق المبرمة بين أمريكا وغيرها من البلدان الرأسمالية وبين البلدان الاشتراكية ، كما أن وثائق الأمم المتحدة أخذت تتبناه هي الأخرى ، ونحن نرى أنه الوصف السليم للتغيرات الجارية في السياسة الدولية •

ذلك أن التعايش السلمي لا يعني مجرد التواجد السلمي للسلب للأنظمة المختلفة اجتماعيا ، إنما يقوم على مبادئ هي :

١ - احترام استقلال الدول وسيادتها ووحدة أراضيها •

الحقيقة السابعة :

إن الثورة التكنولوجية العلمية وتطبيقاتها في الصناعة والزراعة تحتاج إلى اتفاق مائل يتجاوز قدرة البلد الواحد الأمر الذي أدى إلى نشوء كيانات اقتصادية كبيرة مثل السوق الاشتراكي الذي يضم مجموعة البلدان الاشتراكية في تكامل اقتصادي متنامي (الكوميون) ، ومثل السوق الأوروبية المشتركة • وقد أدت هذه التطورات العلمية والتكنولوجية من ناحية ونشوء التكتلات الاقتصادية لرفع معدلات التنمية بسرعة على أساس المشروع الاقتصادي الكبير وعلى أساس تقسيم العمل دوليا إلى زيادة الفجوة بشكل مائل بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • وتشير التقديرات إلى أنه لو استمرت معدلات التنمية في البلدان المستقلة حديثا على ما هي عليه الآن فإن نسبة الفجوة بينها وبين البلدان المتقدمة صناعيا ستصل بعد حوالي ٢٥ عاما إلى نسبة ١ إلى ٢٠٠ - وهذا خطر حضاري وتاريخي ليهتم به البشرية مثيلا ••• ثم إن خطر مربع سيواجهه الجيل الحالي في بلاتنا • وليس من مبدل أمام البلدان الصغيرة الحديثة الاستقلال كي تستفيد من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية، وكى تقيم لنفسها كيانات اقتصادية كبيرة ••• إلا أن تعرف كيف تستفيد من الحقائق الاقتصادية والتجارية التي أخذت تسود العالم والتي أشرنا إليها مسن قبل • وبمعنى آخر فإن سياسة التعايش السلمي وتعامل نفوذها عاليا لتنظيم العلاقات الدولية في المناخ الوحيد الذي يمكن البلدان المستقلة حديثا من اجتياز الفجوة الخطيرة القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة صناعيا في أسرع وقت مستطاع •

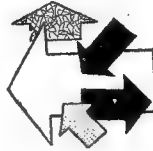
المهم هو أن تعرف البلدان المستقلة حديثا كيف تستفيد من الحقائق الجديدة التي تخلقها سياسة التعايش السلمي لتحقيق هذه المهمة الحضارية •

الحقيقة الثامنة :

هناك مشكلات عاتية بالغة الإهمية أصبحت علاجها يتطلب أوفر قدر من التعاون الدولي مثل تلوث البيئة ، ونقص الغذاء ، وتوفير المياه للزراعة ومشكلة الطاقة ، والانفجار السكاني ، واستغلال أعماق البحار ، وغزو الفضاء ، والقضاء على أمراض القاتل ، والسكر والسرطان ، وتحصيل الصحراء إلى أرض زراعية ••• الخ •

كما أن التقدم العلمي والتكنولوجي جعل التعاون الدولي أكثر أهمية لحل هذه المشاكل

تتغير وفقاً لتغير موازين القوى بين الدول ، إنما تتصلب بالظروف الموضوعية والحقبة « الاجتماعية والاقتصادية » التي يعيشها كل بلد ، فما دامت هناك اشتراكية ورأسمالية فيسيود بينهما صراع أيديولوجي محتوم ، وما دامت هناك طبقات معادية فيسيود بينهما صراع محتوم ، وما دام هناك استقلال استعماري فيسيود هذه صراع محتوم .



والخلاف الأساسي هو أن الإمبريالية كانت تريد لهذه الصراعات أن تتم في ظل سيادة الحرب الباردة على العالم خذمة لمصالحها ، إنما الشعوب فتريد لهذه الصراعات أن تتم في ظل سيادة التعايش السلمي على العلاقات الدولية لانه في صالحها .

فقد كانت الإمبريالية تستخدم سياسة الحرب الباردة والتهديدات السوفيتية المزعومة كغطاء لاسر البلدان الصغيرة في أحلاف عسكرية ، وكمبرر لكبت الجماهير الكائبة وما تعانيه من استغلال على يد الطبقات الرجعية في بدايتها ... هكذا كانت تفعل أمريكا وهكذا تفعل إسرائيل .. وبالتالي فإن التعايش السلمي كمشاح عالي سيساعد على تغيير الصراعات داخل البلدان الإمبريالية والرأسمالية والبلدان ذات النظم الرجعية .

كذلك فإن التعايش السلمي كسياسة منهضة العدوان سيكون محالاً دولياً مضافاً إلى يد الشعوب المناهضة ضد الاستعمار والعدوان ... لأن العدوان يتناقض مع سياسة التعايش السلمي التي تتناهضه ، ومن ثمة ينبغي الوثوق بمصداقية الوسائل دفاعاً عن الحقوق القومية للشعوب ودفاعاً عن التعايش السلمي نفسه ... ولعل العزلة التي تعيشها اليوم أمريكا وإسرائيل في المحافل الدولية إزاء أزمة الشرق الأوسط في خير شاهد على أن منشاخ التعايش السلمي على الصعيد الدولي يتناقض مع مصالح المعتدين .

ثم إن الصراع السلمي بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية سيصبح فرساً أوسع لأشكال أخرى من الصراع بين النظامين ، وفي مقدمتها الصراع الأيديولوجي والمباراة الاقتصادية والتجسرات والتكنولوجية بينهما ... ذلك هي أهم التفسيرات الجارية اليوم من حولنا ، والتي ساهمت بلدان عدم الانحياز وقوى السلام والاشتراكية في فرضها ، وتلك هي المصياغة الجديدة للعلاقات الدولية التي بدأت تشكلها هذه المتغيرات كي تستقر وتتأكد وتتثبت في المستقبل مع اقتران كساح الشعوب واستمراره ... فهل ذلك كله في صالحنا ؟

٢ - احترام مبدأ عدم الاعتداء ونحو التهديد باستخدام القوة .

٣ - احترام مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان .

٤ - المساواة في العلاقات الدولية بين جميع الدول كبيرها وصغيرها ، بصرف النظر عن موقعها ونظمها الاجتماعية .

٥ - إقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية بين الدول على أساس مبدأ النفع المتبادل والمزايا المتكاملة .

وما يحدث اليوم هو سعي لصياغة العلاقات الدولية على هذه الأسس التي حددها « التعايش السلمي » ، ثم إن ما يحدث اليوم هو مجرد تبشير وبدايات لتنظيم العلاقات الدولية على هذه الأسس ، الأمر الذي يفرض على كل القوى الاشتراكية والتقدمية والتحررية والديمقراطية والسلامية أن تشدد من كفاحها ونضالها حتى تثبت وتؤكد هذه المبادئ كصيغة للعلاقات الدولية تخدم مصالح الشعوب ، فوضوح الإمبريالية لما تفرضه هذه المبادئ من سياسات دولية أمر لن يتحقق بيسر وسهولة لأن تطبيق هذه المبادئ ، وإن لم يغير من الطبيعة العدوانية للإمبريالية ، فقه ولا شك سيسبب من تدراتها العدوانية بفكر كفاخ الشعوب تغيير موازين القوى العالمية باستمرار وبشكل متزايد لصالحها .

« التعايش السلمي » إذن هو صيغة بديلة عن الحرب الباردة لصياغة العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ... أي أنه أساس لتنظيم العلاقات بين الدول وليس أساساً للصراع الطبقي في كل بلد ، أو الصراع الأيديولوجي بين الانظمة الاجتماعية ، أو كفاخ الشعوب ضد الاستثمار والإمبريالية .

فهذه الصراعات الطبقيّة والأيديولوجية والتحررية لا تتصل أساساً بالعلاقات الدولية التي

نحن والمتغيرات

اولا :

في العالم ، ينبغي ان نشارك مع بلدان عدم الانحياز ، ايجابيا وعلى اوسع نطاق ، في صياغة هذه السياسة العالمية الجديدة ، دعيا لمبادئ المعايير السليمة ، حتى نعرف كيف نستثمرها لصالح الشعب المصري .

ثانيا :

غير اننا ونحن نفضل مشاركين ايجابيا في صياغة العلاقات الدولية الجديدة لابد وأن نتعاون مع الاصدقاء الاقوياء كما كنا نتعامل في الماضي ، ونحن مع تأكيد ورقة العمل وهي تقول « اننا يجب أن نحرس دائما على صداقة الاصدقاء وخاصة الاتحاد السوفيتي مع وضع هذه الصداقات في موضعها الصحيح والصريح » .

وتؤكد خبرة العاملين الماهيين ان الاقتصاد السوفيتي ااصل مساعداته القوية لحركات التحرير بعد اجتماعات القمة وبنفس الاسس التي كان يتقدم بها قبل هذه الاجتماعات وذلك لان هذه المساعدة تخدم في النهاية الهدف الاشتراكي المستراتيجي الرامي الى انتهاء الحرب العدوانية وتصفية الامبريالية وانتصار قوى التحرر والاشتراكية .

فعل ذلك مع فينغام بعد اجتماع القمة في موسكو حين كانت أطقم الصواريخ تسقط الطائرات الامريكية الضخمة ب ٥٢ بالمشترات .

وفعل ذلك مع العراق حين ايم البترول ووجه ضربته الى الاحتكارات .

وفعل ذلك مع شيلي وهي تواجه المؤامرات الرجعية الامريكية .

ويواصل مسئلة كوبا بقوة رغم ما بينها وبين امريكا من قطعية .

واقول ما يمكن أن يقال بالنسبة لنا هو أن دعم الاتحاد السوفيتي العمكري والاقتصادي والمبايى لم يكن بعد اجتماعات القمة أقل مما كان عليه قبل هذه الاجتماعات . . ان لم يزد ويقاظم في بعض المجالات . . وذلك رغم تحفظات قديمة كانت قائمة قبل اجتماعات القمة .

على ان هناك خطرا ينبغي الانتباه اليه ، وهو أن الدعايات الاستعمارية تروج لفكرة أن المتغيرات الجديدة مستفيد الاتحاد السوفيتي والبلدان

تقول ورقة العمل « لقد كانت سياسة عدم الانحياز موقفا لمواجهة الصراع بين المملاكين ، فأصبح من الضروري مع الولاك المالئ ، أن ننقل الى مرحلة أكثر ايجابية ، لتصبح موقفا لمواجهة الولاك بين المملاكين » .

وهذا كلام سليم في عمومااته ولكنه غير محدد وقد يوحى للبعض بمفاهيم غير سليمة .

ويادى ذئ بدعـ يهمنأ أن نؤكد أن مواقف مصر الثورية من الصراع بين الاتحاد السوفيتي وامريكا كان بعيدا عن أن يكون استغلاا لهذا الصراع بحيث نأخذ من هذا الطرف حتى يضطر الطرف الاخر الى العطاء . . لم يكن موقفنا تجارة بالخللات بين الدول الكبرى ، انما كان موقفنا مبدئيا كما عبر عنه عبد الناصر في المؤتمر الثاني لبلدان عدم الانحياز في ٥ - ١٠ - ١٩٦٤ حين قال « أن سياسة عدم الانحياز ليست تجارة فسي الصراع بين الكتلتين ، تستهدف الحصول على كبر قدر من المزايا من كل منهما . . بدليل اننا وجهنا اكبر جهودنا لازالة هذا الصراع ، والتنيه الى مخاطره والعمل ايجابيا على تلافيه » .

ومعنى ذلك أن موقف مصر في مواجهة الصراع بين الاتحاد السوفيتي وامريكا كان في اتجاه ازالة سياسة الحرب الباردة ونهذ الحرب النسوية والعمل على ازالة هذا النوع من الصراعات التي كانت تهدد العالم بأخطار بالغة حتى تقوم بين دول العالم علاقات بناءة متكافئة اي أن موقف مصر كان في اتجاه سياسة التمايش السلمى ، يتعاون مع أصحاب هذه السياسة ويوقف ضد خصومها . . ذلك هو المعنى الوحيد « لواجهتنا » للصراع بين الاتحاد السوفيتي وامريكا .

ويوحى هذا الفهم المبدئي لموقفنا من الصراع الساخن والحرب الباردة بين الدول الكبرى ، ينبغي أن يكون موقفنا ونحن نواجه ظروفنا جديدة بدت فيها تبايشين انتصار سياسة التمايش السلمى

على أننا نود أن نشير في هذا الصدد إلى خبرة حركة السلام المصرية التي تؤكد على أهمية وحدة القوى الديمقراطية والتقدمية والحرورية والسلمية العربية في جبهة مترامية وقادرة على تعبئة الجماهير العربية من أجل قيام عمل عربي موحد وللتفويض مثل هذه المشروعات الطموحة والضرورية .

إن العمل على مستوى الحكومات له ضرورته ، بطبيعة الحال . غير أنه ما لم يدعم بمصال جماهيري يستند إلى جبهة عربية تضم كل القوى التقدمية والديمقراطية السلمية . فأنه على ممارسة ضغط مستمر على المترددين فإن العمل الرسمي والحكومي سينتكا ويتمتع في الطريق . فبأن أكثر المناقشات التي دارت بين الحكومات العربية حول كثير من هذه القضايا طوال الأعوام

الماضية ، لم تسفر عن أية نتيجة عربية .

كذلك فإن الحوار الواسع بين الجماهير العربية حول هذه المشروعات ، ثم النضال الجماهيري لتبنيها هو الضمان الوحيد والاكثر كفاءة في قيام هذه المشروعات على أساس سليمه نخدم بمصالح الجماهير العربية واهدافها الوطنية التحررية .

رأبنا :

إن الورقة المطروحة تتحدث عن « الانفتاح الاقتصادي على العالم ، وخاصة عن طريق التوسع في العلاقات التجارية ، وعن طريق الاستعانة ببرؤس الاموال العربية والاجنبية ، واقتسام المشروعات المشتركة » .

غير أننا نود أن نشير إلى الحقائق الآتية :

● إن اقتصاد الحرب وهو أحد الدعامات الأساسية التي لا بد أن تستند إليها مبركتنا الحالية يفترض مركزية شاملة في التخطيط حتى تضمن تعبئة حقيقية لكل إمكاناتنا الاقتصادية ، ولهذا لا بد أن تكون على حذر من انفتاح في بعض مجالاتنا الاقتصادية لا يتفق مع الشروط التي ينبغي توفرها من أجل حماية قدرتنا على هذه التهيئة اللازمة لتتصارعنا في المعركة .

● إن الظروف الحالية التي اشرا إليها من قبل تتيح لنا توفير شروط تتفق مع مصالحنا في مجالات العلاقات التجارية والاقتصادية

الاشتراكية وستؤثر بالتالي على مساعداتها لحركة التحرر الوطني ، مستهدفة من وراء ذلك نشر جو من العزلة الخائفة حول البلدان الناهضة حديثا وحول حركات التحرير . . . إن خطة الإمبريالية الأمريكية بعد أن ادركت اليوم خطر صدامها مع الاتحاد السوفيتي في الأزمات المحلية التي لاتزال قائمة والتي ستقوم في المستقبل على إبعاد الاتحاد السوفيتي عن مجال هذه الأزمات حتى تنفرد وحدها بحلها وفقا لمصالحها الإمبريالية ، وتستعيد الإمبريالية الأمريكية لتدبير هذه المؤامرة بقوى الرجعية الحالية ثم بنشر دعايات ضارة حول الانحدار السوفيتي تثير الشكوك في بعض القوى النرددة حتى تقع هي الأخرى فريسة للمخطط الأمريكي الذي يستهدف الفرقة بين القوى الاشتراكية وبين حركات التحرير ، ومن ثم تنفرد أمريكا وحدها بحل الأزمات في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ولا أحد ينكر وجود خلافات أو تحفظات تنشأ خلال التعاون بين الاتحاد السوفيتي وبين البلدان الناهضة والمناضلة ضد الإمبريالية . . . مثل هذه الخلافات التي قامت بين الاتحاد السوفيتي وبعثت حلال النضال ، ومثل هذه الخلافات في الرأي قام بين الاتحاد السوفيتي وكوبا . . . ذلك لمر طبيعي . . . والمهم هو أن تعرف الأطراف صاحبة المصالح المشتركة كيف تعالج هذه الخلافات بينها ؟ . بصر بمصالحها ، ولايفسد الصدو المتربص . وكذلك ما أشد الخلافات بين الأطراف التي تصبها جبهة الأعداء ، وأنه لن السذاجة ، إلا نتصور وجود خلافات بين أمريكا وإسرائيل . . . والمهم هو أن نعرفها نحن بدقة ثم نعرف كيف نستفيد منها لمصلحتنا .

هكذا ينبغي أن نعمل مع أصدقائنا وبخصوصنا وهكذا لعل الخصوم بما ومع أنفسهم .

قائما :

إن تأكيد الورقة المطروحة للحوار على أهمية الاعتماد على القوة العربية الذاتية مثل البترول ورووس الاموال العربية وكذلك ضرورة العمل على تنويع الاتجاهات السياسية الوجودية وتنقية الجو العربي ضبابا لغوية المعركة ثم ما أشارت إليه الورقة من ضرورة تدعيم السوق العربية المشتركة والإخذ بقدر من التخطيط المشترك على مستوى العالم العربي . . . هي من القضايا الهامة التي تحتاج إلى مزيد من الدراسات كي توضع موضع التنفيذ العملي في إطار خطة شاملة .

٣ دراسات حول التغيرات الدولية ■

التطورات الدولية ، وما يهينا في هذا الصدد من ان الخوف قد يفقدنا امكانيات مقابلة اليوم لخدمة ممركتنا .

● **فلاشك ان ظروف النضال ضد العدوان الاميريالى الصهيونى فى مناخ التمايش السلمى الذى يندب العدوان ويناهضه فى خير من ظروف هذا النضال فى ظل سياسة الحرب الباردة القائسة على العدوان والتدخل فى الشؤون الداخلية للبدان .**

حقا ان سيادة سياسة التمايش السلمى فى العلم لانزال هدفا ، وان ما ملسمه حولنا هو مجرد تهاشير تتبى عن انتصار هذه السياسة لتنظيم العلاقات الدولية ، ومع ذلك فان هذا المنساح السلمى الذى سيتزايد نفوذه فى المستقبل قد مكن للرأى العام العالمى والامريكى اليوم من ان يفرض على حكومة نيكسون وقف غاراتها الوحشية على كمبوديا ، كذلك فان هذا المناخ يفرض اليوم على اسرائيل وامريكا عزلة متزايدة حتى اصبح اصدق اصدقاء امريكا يحارضون مواقفها فى الامم المتحدة ازاء أزمة الشرق الاوسط .

ويقينا ان العدوان سواء كان اسرائيليا او امريكيا سيصبح امره مرفوضا من العلم كله ، وسيشتد هذا الرفض وينعظم مع تزايد نفوذ مبادئ التمايش السلمى وتمايزها على العلاقات الدولية .

● **ان التغيرات الجديدة فى العلاقات الدولية لن تصعب على الاطلاق من قوة الامم المتحدة لان هذه التغيرات تنجبه لاقرار مبادئ التمايش السلمى التى هى فى مضبوها مبادئ الامم المتحدة وميثاقها .**



الدولية . فالاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى هى التى تحدد بنفسها مجالات المتروعات الاقتصادية التى تصمم فيها المؤسسات الاجنبية وفقا لخطةها الاقتصادية المركزية ودعما لاقتصادها الاشتراكى المتقدم . وكذلك فى مقدورنا ان نعلم ان عرفنا كيف نستفيد بوعى من الظروف العالية الجديدة .

خامسا :

نقول الورقة المطروحة انه لا فى ضوء هذا التصور لتأثير سياسة الوفاق بين الصلاتين على قضية الشرق الاوسط يكون من الضرورى ان نؤكد . . . اننا يجب ان نمتد بصلة اساسية على قوتنا الذاتية والعربية .

وتاكيدا لاهمية هذه الحقيقة التى اشارت اليها الورقة نود ان نشير الى مسألتين :

● **ان اهمية الاعتماد على قوتنا الذاتية لا تنصل بالتطورات التى تتم اليوم فى العلاقات الدولية . لان قوتنا الذاتية ينبغى ان تكون هى الاساس الثابت والدائم للنضال المصرى سواء حدثت هذه التطورات او لم تحدث .**

● **ان قوتنا الذاتية ، المصرية ، وقوتنا المصرية بالذات . . . وشميتها وتمييزها وتوحيدها وتنظيمها حتى نهاية النهاية ، وقاع القاع ، وفى مختلف المجالات الجماهيرية والاقتصادية والصمكية والسياسية ، وبلا تمييز او تفرقة ، هى العامل الاول والحاسم فى تحديد قدرتنا على توحيد القوى العربية حولنا ، وعلى تنمية مساعدة الاصدياء لنا ، وعلى كسب المزيد من المؤيدين والمتضامنين معنا ، ثم على ردع الخصوم والاعداء . . . ويفرنا لن نكون ، ويضعفنا سيقعثر سبيل نضالنا وستفترق القوى العربية وستضطرب علاقاتنا بالاصدياء وسيستهيون بنا الاعداء . فلك هى قضية القضايا التى ينبغى ان تهتم بها الورقة المطروحة ابلغ اهتمام حتى يمكننا ان نستفيد من التغيرات التى تتم حولنا للانتصار فى ممركتنا .**

سبائسا :

على ان قراءة الورقة المطروحة . تخلق احساسا عاما بان ثمة تحريفا من التغيرات الجارية فى

ستفيدها في ظل حقائق العصر ومتغيراته . كذلك فإن الحقائق الاقتصادية والتجارية التي تسود عالم اليوم والتي اشرنا اليها من قبل ستبقى لنسأ إمكانات وفرصا جديدة ومتضاعفة لتوسيع علاقاتنا الاقتصادية والتجارية ولجلب المزيد من المعونات والقروض بشروط تتفق مع مصالحنا .

الدروس الأساسية

على اننا نعود فنؤكد من جديد ان كل ما ذكرناه في هذا الحديث من تصورات حول المتغيرات والسياسات التي يتم صياغتها اليوم لتنظيم العلاقات الدولية على أساس مبادئ التعايش السلمي ، ثم كل التطبيقات المتاحة لهذه التصورات لخدمة معركتنا المباشرة ضد العدو الصهيوني الامبريالي ، ثم لخدمة قضايا التحرر الاقتصادي والاجتماعي انتقالاتا بيجتمعنا الى الاشتراكية ، بلا نكوس أو انتكاس .. انما يتوقف كله وفي المل الاول على وضوح خطنا السياسي الثوري وعلى جدية في تعبئة وتوحيد كل قواتنا الجماهيرية والسياسية ، ثم على قدرتنا على حشد وتنظيم كل إمكاناتنا الاقتصادية والعسكرية ، معتمدين بتكاتفهم ، وكل حسب ما يملكه ، المعركة ومعشويات النضال ، ثم مشاركين جميعا في ذلك كله بال فكر الحر والمبادرة الخلاقة .

وبغير ذلك سنتوه عن سبيلنا الثوري .

وليس ذلك مفا مزيدة كلامية ، انما هو الدرس الاساسي والجوهري الذي نستخلصه من كلام للشعوب .

ويوم ننجح هذه المهام سنقدر بقوتنا على هزيمة العدوان الرابض على أرضنا ، ونسضيف جيادا عظيمي الى كفاح الشعوب ، تنصر به سياسة التعايش السلمي وتتقدم .

ثم نود أن نشير الى مسألتين قيل أن نختتم الكلام ..

الاولى - متصلة بهجرة اليهود السوفيت التي اشارت اليها الورقة المطروحة للنقاش .

وفي هذا الصدد نشير الى ان النقاش حول هذه المسألة في مصر يستند أساسا على ما تنشره الصحف العربية من أخبار .. والملاحظ ان وكالات

ولقد اخذت أمريكا العبرة والدروس عميقين من خربها المحدودة في فيتنام حتى انها اخذت ترسم اليوم خططا جديدة لسياستها تساعدها على عدم التورط في حروب محدودة في المستقبل .

ولا يعنى ذلك ان الامبريالية الامريكية قد تخلت من طبيعتها العدوانية ، انها ذلك ينبيه بان قدرتها على شن حرب محدودة في ظل سياسة التمايش السلمي قد تقلصت وهذا مكسب كبير للشعوب . وإذا كانت الامبريالية الامريكية تتلون اليوم كالحرباء وتمتد مشروعات عدوانية جديدة لتدفع بها العملاء من قادة الانظمة الرجعية المحلية للاعتداء على الانظمة الوطنية والتقدمية في اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، فان هذه المشروعات يصيرها للطفل المحتوم . لقد فشلت الحروب المحدودة حين كانت أمريكا تشارك فيها بكل قواتها المسلحة ، وأمد من ذلك بكثير ان يقتل العدوان حين يقوم به الصغار والاقزام من العملاء .. وخاصة اذا تم سياسة التمايش السلمي تزداد قوة ونفوذا في العلم .

المهم ان تعرف البلدان الوطنية التقدمية المناهضة كيف تنسى وتنظم وتعبى إمكاناتها الذاتية وكيف تحسن استثمار مساعدة الاصدقاء ، ثم كيف تستفيد من مناخ التعايش السلمي .

● كما أن القول بأن « اعتمادنا على القوى الخارجية مع حرصنا عليه قد أصبح في إطار الوفاق العالي أقل فاعلية وأضيق نظاما » لا يستقيم مع حقائق المتغيرات . فلا شك أن سياسة التعايش السلمي المناهضة للعدوان وتبشير انتصارها في العالم قد هيأت لنا فرصا واسعة لكسب المزيد من الاصدقاء والمؤيدين لسوقنا ، والشاهد على ذلك ما طرأ على موقف ألمانيا الغربية من تغيير جزئى بالنسبة لازمة الشرق الاوسط بعد أن كانت تؤيد إسرائيل تأييدا مطلقا وكذلك موقف فرنسا وانجلترا اللتين تفتريان أكثر وأكثر من موقف التأييد لنا بعد أن كانتا متضامنتين مع إسرائيل في عدوان مشترك على أرضنا عام ١٩٥٦ ، وكذلك الحال بالنسبة للعديد من الدول الغربية التي اخذت تتبدل عن موقف التأييد المزمع للعدوان الاسرائيلي وذلك بفضل ازدياد تقبل هذه الدول لمبادئ التعايش السلمي كأساس لتنظيم علاقاتها مع الدول الاخرى ، بعد أن أدركت انها

٢ دراسات حول المتغيرات الدولية ■

التي اخذت تتسع بين الاتحاد السوفيتي وبين أمريكا وبلدان غرب أوروبا . خاصة ان هذه العلاقات يشار إليها في المناقشات الدائرة اليوم كمثل يدعونا الى انفتاح اقتصادي يبيع رؤوس الاموال الاجنبية والعربية ان تقد لنا ليستثمرها اصحابها في بلادنا .

ونحن نقترح اعداد دراسة علمية توضح الامور التالية :

● هل مجالات مساهمة المؤسسات الغربية في الإقتصاد السوفيتي خاصة خضوعا مطلقا لخطط خطة التنمية السوفيتية والتخطيط الاشتراكي ام وعلا لما تعرضه هذه المؤسسات الغربية ؟

● هل المشروعات السوفيتية التي تساهم فيها المؤسسات والشركات الغربية تدعم الاقتصاد الاشتراكي وتسرع بمعدلات نموه ، ام انها تضغط الاشتراكية ؟

● هل هذه المشروعات خاضعة تماما للسياسة الاشتراكية السوفيتية ، ام ان حرية التصرف متاحة للمؤسسات الرأسمالية ؟

● ماهي الشروط الواردة في الاتفاقيات بين الاتحاد السوفيتي والمؤسسات الغربية الرأسمالية ؟

ولاشك ان لنا ظروفًا مختلفة عن ظروف الاتحاد السوفيتي ، غير ان هذه الدراسة ستفيدنا في كشف الامكانيات التي تتيحها الظروف العالمية الجديدة للاستعانة بالمؤسسات والشركات الرأسمالية من اجل دعم خطنا الثوري في التنمية الاقتصادية ومن اجل دعم القطاع العام ومن اجل تعزيز نصيبنا للحرر الاقتصادي والاجتماعي ، لننتقلا بهيئتنا الى الاشتراكية .

ويعد .

فذلك بعض نقاط حول القضايا التي طرحتها ورقة المتغيرات اراد وفد المجلس المصري للسلام عرضها للوصول الى مزيد من التفاهم المشترك ولائراء الحوار الذي يدها الاتحاد الاشتراكي . ولعل هذه المساهمة المتواضعة ان تضفي جديدا الى ماعدت الناس حتى نتفق جميعا على يقين ثوري بناء يميننا على خدمة شعبنا العظيم

الاتناء الغربية تروج بين العرب انباء تضخم من قضية مجزة اليهود . السوفيت ، بينما تروج في غرب أوروبا وأمريكا انباء أخرى تزعم ان هناك اضطهادا لليهود في الاتحاد السوفيتي ومنعاه لهم من الهجرة .

ولهذا نقترح ان تتم دراسة علمية وموضوعية حول هذه المسألة لتحديد الامور التالية :

● معرفة الحقائق والاحصاءات الدقيقة حول الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي .

● معرفة دقيقة لنوعية هذه الهجرة وتقييم طبيعة المهاجرين من حيث العمل ، والاتجاهات والسن . الخ .

● دراسة الضغوط العالمية التي تقوم بها الصهيونية وأمريكا لتحقيق هذه الهجرة .

● دراسة للضغوط التي تتم داخل الاتحاد السوفيتي لخلق مشكلة يهودية تؤدي الى اتخاذ بعض اليهود لواقف معادية وضارة بالامن .

● دراسة ما اذا كان للاتحاد السوفيتي اهداف قد تقيدنا من وراء تسرب عناصر صوفيتية الى داخل اسرائيل ، وهو ما قد يؤديه الاتناء الاخيرة من الاضطرابات التي اثارها اليهود السوفيت في وجه السلطات الاسرائيلية .

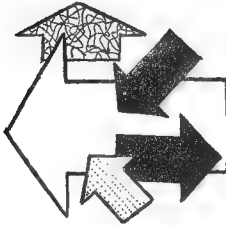
● تحديد خط عربي لممارسة ضغوط على الصميد العالمي نواجه بها الضغوط الصهيونية العالمية حتى يمكن ان نمسح عمليا في نزع هذا الخطر .

● تحديد خط عربي لمناقشة الجانب السوفيتي في الاتفاقيات الرسمية لمناقشة صريحة وموضوعية حول هذه القضية للوصول الى تفاهم مشترك وعمل مشترك .

اما ان قتركنا احكامنا نهبنا لاجبار وكالات الاتناء الغربية فامر لن يقيدنا او يفيد اصداقنا . لان الهجرة اليهودية مشكلة تواجهنا ويواجهونها .

بل ان تركنا لهذه المسألة بلا دراسة موضوعية وبلا موقف عمل واع انما يفيد الاعداء في خلق حساسيات ودهابات ضارة ترمي الى الصلقات العربية السوفيتية .

الثانية : هي العلاقات التجارية والاقتصادية



د. جمال المطفي

المتغيرات

المتغيرات السياسية

وآثارها

من هذا التقرير : أن يعرض بطريقة موضوعية الحقائق المتعلقة بالمتغيرات الغرض السياسية في علاقات المجتمع الدولي ، لتكون أساسا لاستخلاص النتائج المتعلقة بتأثير هذه المتغيرات في مسار العمل الوطني .

وقبل أن يعرض التقرير هذه المتغيرات ، فإن هناك أربع ملحوظات تمهيدية يرى من المفيد الإشارة إليها :

الملحوظة الأولى :

إننا يجب أن نفرق بين « المتغيرات Variables وبين » التغييرات Changes فبينما تتسم المتغيرات بدرجة من الثبات تسمح بالقول بأنها قد أصبحت عابلا Factor مؤثرا في العلاقات الدولية ، فإن التغييرات لا تصل إلى هذه الدرجة . فالتقارب بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، في أواخر الستينات كان يعتبر « تغييرا » في العلاقات بينهما ، ولكنه لم يصل إلى درجة اعتباره متغيرا إلا في السنوات الأخيرة .

وازمة الطاقة ، وازمة النفط العالمي مثلا لم تتحدد بعد معالمها كتغيرين لهما تأثير ثابت في العلاقات الدولية بقدر ما يعتبران تغييرا يمكن استخدامه في أحداث هذا التأثير .

في مقبلة الدراسة أهتم د. جمال المطفي وكيل مجلس الشعب على المتغيرة بين « المتغيرات » وبين « التغييرات » ثم تابع التطورات الأساسية في الموقف الدولي ابتداء من احداث الحرب الباردة ثم تراجعها ، كما رصد بعض العوامل الأخرى الدائرة في الموقف الدولي [أزمة القند وازمة الطاقة] وانتهى من ذلك إلى تحليل نتائج « سياسة الوفاق » وآثارها الدولية ، وآثرها على أزمة الشرق الأوسط ، ثم ينهي د. المطفي دراسته بتحديد لمدى من القضايا أو الأسئلة التي تتطلب دراسات وإجابات واضحة وأولى .

هذا فضلا عن التغيير الاساسى المذهل الذى حققه هذا التقدم العلمى فى وسائل المواصلات لدرجة أن ثلاثى المسافات ومقطات الجوازات التى كانت تفصل ما بين الأمم فعليا وفكريا .

رابعا : نتائج هذا كله فى محيط العلاقات الدولية وأهمها زيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم ، كالاتحاد المتحد ، والدول غير المحازة ، وقوة الراى العام العالمى .

وفى نفس الوقت اضطر الاستثمار تحت هذه الظروف الى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر . عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل . وعن طريق التكتلات الاقتصادية الاحتكارية . وعن طريق الحرب الباردة التى تدخل فى نطاقها محاولة تشكيك الأمم الصغيرة فى قدرتها على تطوير نفسها وعلى الاسهام الإيجابى المتكافئ ، فى خدمة المجتمع الإنسانى .

ثم رتب الخياط على هذه التغييرات المالية النتائج الآتية :

١ - أنه يتفاعل هذه التغييرات المالية مع ارادة الثورة الوطنية لم يعد أسلوب المصالحة مع الاستعمار ومسأومته هو طريق الحرية بل أنه طريق حمل السلاح مثليا فعل الشعب المصرى فى عام ١٩٥٦ ، ومثليا فعل الشعب المصرى فى الجزائر .

٢ - أن العمل الاشتراكى لم يعد حتميا عليه أن يلتزم التزاما حرجيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر . فان تقدم وسائل الإنتاج وتمو الحركات الوطنية والمالية فى مواجهة سيطرة الاستعمار والاحتكارات وزيادة فرص السلام فى العالم بتأثير القوى المعنوية وتأثير ميزان الرعب الذرى فى نفس الوقت يخلق ظروفها جديدة أمام التجارب الاشتراكية تختلف تماما عن الظروف السابقة بل أنها تستوجب هذا الاختلاف وتحتّمه كضرورة .

٣ - أن الامر كذلك فى تجربة الوحدة ، فان النماذج السابقة لها فى القرن التاسع عشر ، وأبرزها تجربة الوحدة الألمانية وتجربة الوحدة الإيطالية لم تعد ثقل الفكر ، وإن اشتراط الدعوة السلمية واشتراط الإجماع الضمنى أصبح ضرورة لازمة للحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب العربى فى ظروف العمل من أجل الوحدة القومية لامة العربية كلها وضد أعدائها الذين مازالت قواعدهم على الأرض العربية .

ومن هذا يتبين أن معاودة رصد ما انتهت اليه هذه التغييرات التى أشار اليها الخياط فى عام

المحظة الثانية :

إن هذا التقرير فى عرضه للتغيرات السياسية ، سيضطر الى التعرض لتغيرات اقتصادية وتكنولوجية ، قد تكون عاملا من عوامل التغيرات السياسية وقد تكون هى حالات أخرى نتيجة لها ، كما أنه لا يمكن اغفال العوامل الداخلية فى تأثيرها على التغيرات السياسية ، ومن ذلك تأثير الراى العام الأمريكى وجباعات الضغط على سياسة أمريكا الجنوبية سواء فيما يتعلق بأزمة فينما أو أزمة الشرق الاوسط ، ومن ذلك أيضا تأثير المرحلة التى بلغها الاتحاد السوفيتى فى التنمية وتطلع شعوبه الى نمط مجتمعات الاستهلاك ، على انفتاحه السياسى والاقتصادى على الغرب .

المحظة الثالثة :

إن ميثاق العمل الوطنى نفسه (فى الباب الثانى المكون فى ضرورة الثورة) قد رصد التغييرات التى طرأت على العالم منذ نهاية الحرب المالية الثانية ، وهى التى كانت مقدمة لما جرى من متغيرات بعد ذلك فى السبعينات ، ورأى أن : « هذه التغييرات الضخمة فى العالم تأتى معها بظروف جديدة تؤثر تأثيرا لا جدال فيه على العمل من أجل أهداف النضال الوطنى لكل الأمم يعانى ذلك أهداف الأمة العربية » .

وأشار الخياط الى أبرز هذه التغيرات ولخصها فيما يلى :

اولا : تعاقب قوة الحركات الوطنية فى اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود ماركات عديدة ومنصهرة ضد القوى الاستعمارية ، ومن ثم أصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير عالمى فعال .

ثانيا : ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى .

ثالثا : التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقا غير محدودة أمام محاولات التطوير .

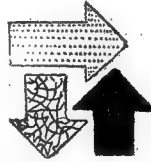
كما أنه حقق طفرة فى اسلحة الحرب بلغت خطورتها الى حد أنها أصبحت رادعا يحول دون نشوبها بسبب ما تقدر على إلحاقه من الاموال بجميع الأطراف فى أى معركة .

وتقسيمًا للعرض قلنا تقسم مراحل تطور هذه العلاقات إلى مرحلة الحرب الباردة ، ثم مرحلة بداية انتهاء الحرب الباردة ، وأخيرا مرحلة ظهور سياسة الوفاق .

مرحلة الحرب الباردة :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عقد الحلفاء في أغسطس سنة ١٩٤٥ مؤتمرًا في مدينة بوتسدام لتسوية آثار هذه الحرب وقد تخلص عن الاتفاقية التي عرفت باتفاقية بوتسدام والتي غيرت الخريطة السياسية لدول أوروبا كما غيرت حدودها . ونتيجة لذلك قسمت أوروبا إلى ما عرف وقتئذ بأوروبا الشرقية وقد ارتبطت بالاتحاد السوفيتي ، وما عرف بأوروبا الغربية وقد ارتبطت بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقسمت ألمانيا الموحدة إلى المقيمين شرقا وغربا وأصبح لبرلين وضع خاص تقاسمه دول الحلفاء ، كذلك لحقت خريطة آسيا السياسية تغييرات هامة فحسب القارة الهندية انقسمت إلى دولتي الهند وباكستان عام ١٩٤٨ ، وتحررت اندونيسيا بعد صراع دمر مع هولندا عام ١٩٤٩ ، وأعلنت الجمهورية الشعبية الصينية في أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيطرت على إقليم الصين ، بينما انصهرت حكومة شيانج كاي شيك إلى جبهة فورموزا لتصبح دولة الصين الوطنية ، وفي عام ١٩٥٠ خاضت الولايات المتحدة حرب كوريا التي استمرت قرابة ثلاث سنوات في محاولة لوقف الزحف الشيوعي في جنوبي شرق آسيا . أما فرنسا فلم تترك الهند الصينية إلا بعد هزيمة جيوشها في آخر تلاعبها في ديان بيان فو عام ١٩٥٤ وهي الهزيمة التي عقدت على أثرها معاهدة جنيف التي أنشأت دولتي فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وضمت استقلال كامبوديا ولاوس .

ورغم إعلان ميثاق الأمم المتحدة في يونيو سنة ١٩٤٥ فإنه في أقل من خمس سنوات كانت رياح الحرب الباردة تهب على العالم ، فاجتمع الغرب برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في حلف الأطلسي في أبريل ١٩٤٩ ثم اتبعته الولايات المتحدة بحلف آخر في آسيا هو حلف جنوب شرقي آسيا المسمى أيضا حلف مايتا في سبتمبر ١٩٥٤ وردا على ذلك وقع الاتحاد السوفيتي مع دول أوروبا الشرقية حلف وارسو في ١٤ مايو سنة ١٩٥٥ . وقد تحول حلف الأطلسي من اتفاقية عسكرية إلى منظمة دولية عسكرية بموجب قرارات من مجلس الحلف عام ١٩٥٢ . ونشأ حلف بغداد ، حتى انسحبت منه العراق في عام ١٩٥٨ . فتحول



١٩٦٢ وما تلاها بعدها من متغيرات ، هو استطراد لمنطق الميثاق نفسه فقرضه ضرورة مراجعة السياسات ، مع ثبات الاهداف والمبادئ وفق ما اشار اليه الرئيس أنور السادات في خطابه في ٢٣ يوليو ١٩٧٣ .

الملاحظة الرابعة :

إن الحديث عن المتغيرات الأخيرة التي تراكمت شواهدا في السنتين الأخيرتين ، لم يبدأ فجأة بل إنه كان موضع متابعة القيادة السياسية . ففي بيان الرئيس أنور السادات أمام مجلس الشعب بجلسة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٢ ، نيه إلى أن العالم من حولنا كان يجفل بتغيرات كانت ملاحقتها تجربة مضنية لنا ولغيرنا من الشعوب المناضلة ، وأن علينا ألا ننزله الظروف لتفرض على إرادتنا بل أن نتقدم لكي نفرض إرادتنا على الظروف .

وفي تقرير مجلس الشعب في رده على بيان الحكومة الذي عرض في مايو من هذا العام أشار إلى سياسة التوافق العالمي وهي أهم المتغيرات ، وطلب أن تضع هذه السياسة في إطارها الصحيح الذي تفيد منه قضيتنا .

الوفاق متغير أساسي

يعرض هذا التقرير الوفاق بين القوتين الأعظم كمتغير أساسي . يمكن أن يلعب دورا مؤثرا حتى عام ٢٠٠٥ .

وفي عرض هذا المتغير الأساسي يحسن أن نستعرض تطور العلاقات بين القوتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، مكتفين بالمؤشرات الهامة في مراحل هذا التطور . وفي هذا قلنا يجب أن نغيب إلى أن موقف الدول الأخرى ، سواء تلك التي ارتبطت بأحدهما ، أن تبقى بعيدا عن دائرة نفوذها . ونحن ثم فإن عرض تطور هذه العلاقات بين القوتين هو عرض في الواقع لتطور علاقات المجتمع الدولي بأكمله .

مرحلة بداية انتهاء

الحرب الباردة

كان التوتر قد بلغ أشدّه بعد حادث استقام طائرته التجسس الأمريكية فوق الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٦٠ ، وجاءت أزمة صواريخ كوبا أثناء رئاسة الرئيس كينيدي ، التي بدأت بمحاولة كينيدي في ٥ أبريل سنة ١٩٦١ أنزال قوات من المرتزقة الخريجين النافعين لكاسترو في منطقة خليج الخنازير ، وذلك بمعاونة اخبابرات السركزية وفشلت المحاولة . وبعد شهر وقعت لفطن مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حينما اتهمت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي في أكتوبر سنة ١٩٦٢ بتزكيب تواعد صواريخ كوبا ، وقامت الولايات المتحدة بفرص حصصا بحري على كوبا وطلب كينيدي ازالة هذه القواعد في مقابل رفع الحصص مهددا بمزكوب .

وكان هذا الحادث بمثابة اذئاف لخصومة المواجهة النووية ، وتنبها الى ان أية مواجهة بين القوتين الاعظم سيترتب عليها تدميرهما معا . كما كانت بمثابة اعلان لفشل سياسة جون فستن دالاس القائمة على الردع النووي الشامل .

ولا يعني هذا ان الحرب الباردة قد انتهت تماما بعد زوال خطر المواجهة في كوبا ، فقد تجددت هذه الحرب في جنوب شرقي آسيا بعد ان اندلعت الثورة الشيوعية ضد الحكومة الموالية لأمريكا في فيتنام الجنوبية في عام ١٩٦١ ، وبعد ان كان الهدف الأمريكي بعد عام ١٩٥٤ هو ضرب فيتنام الشمالية والقضاء على الوجود الشيوعي فيها أصبح هدفها توفي وفور فيتنام الجنوبية في أيدي القوى الشيوعية . ومن هنا بدأ التدخل الأمريكي في فيتنام الذي تصاعد في عام ١٩٦٤ بتقورط مباشر فيها انتهى الى اقتراح الرئيس الأمريكي جونسون في ٧ مارس سنة ١٩٦٨ اجراء مفاوضات سلام مع حكومة هانوي وهي المفاوضات التي استمرت سنوات جنبا الى جنب مع العمليات الحربية والتي كان واضحا من مسارها ان الانتصار المبكرى المطلق أمر غير ممكن .

على ان توقيع اتفاقية الحظر الجزئي على اجراء التجارب النووية في أغسطس سنة ١٩٦٢ ، تعتبر علامة بارزة على بداية النهاية لعصر الحرب الباردة ، وقد اعقبتها بعد ذلك معاهدة حطس انتشار الأسلحة النووية في عام ١٩٦٨ .

وحينما وقعت حوادث تشيكوسلوفاكيا عسام

اسمه الى الحلف المركزي أو السانتو وأصبح مقرة في ائقرة وهو يضم تركيا وايران وبالكستان وانجلترا ، وهذا غير عديد من الاحلاف الثنائية . وتكثرت دول الشرق اقتصاديا في مجلس المونة الاقتصادية المتبادلة المعروف بالكوميكون في ٢٩ يناير سنة ١٩٤٩ بينما تكثرت دول الغرب اقتصاديا في منظمة الماؤون الاقتصادية الاوربي التي انتهت بعد ذلك الى السوق الاوربية المشتركة بموجب اتفاقية روما في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ وكانت في بدايتها مكونة من ست دول فقط * (ألمانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولنده ولوكسمبرج) .

وقد انعكست آثار هذه الحرب الباردة وما سببها من تسابق في التسليح ، وتطور في الأسلحة النووية التي يملكها الجانبان على كثير من الازمات الدولية في ايران وفي اليونان وقبرص وفي كوريا وفي براين وفي الكونجو وفي لبنان وفي نيجيريا . وانعكس ذلك ايضا على نشاط الامم المتحدة التي عجزت عن ان تتخذ أية قرارات فعالة الا يصعد بعض الازمات التي توافقت فيها مصالح الدول الكبرى ، لاسباب مختلفة ومتباينة ، على اتخاذ موقف واحد ، وهو ما حدث في شسان الازمة الاندونيسية عام ١٩٤٧ والازمة الفلسطينية خلال الفترة ما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩ ، والمدونان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

كذلك كان لهذه الحرب الباردة آثارها على كثير من الدول الاسيوية والافريقية التي اجتمعت في باندونج في أبريل سنة ١٩٥٥ والتي كانت تريد ان تبقى بعيدة عن دائرة الصراع الذي كان يجري بين الكتلتين الشرقية والغربية وأن تعمل على تخفيف حدة التوتر الدولي وهو المؤتمر الذي كان فاتحة لسياسة عدم الانحياز التي انتهجتها مصر وسجلها ميثاق العمل الوطني عام ١٩٦٢ .

ومع ذلك فان تعاطف حركات التحرر الوطني قد أدى الى صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ بشأن تصفية الاستعمار ومنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ، والتي شكلت بناء عليه لجنة تصفية الاستعمار ، واستطاعت معظم شعوب افريقيا ان تحصل على استقلالها ، وأن تتجمع بعد ذلك في منظمة الوحدة الافريقية في ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ .

وبمكننا من مراجعة وقائع العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية أن نقف عند أزمة صواريخ كوبا عام ١٩٦٢ ، لنستخلص منها مؤشرا على بداية انتهاء عصر الحرب الباردة .

استثمار هذا التوازن في توسيع آفاق الحوار حول المشكلات الدولية ، واحد من سبق التسريح بوقرا للتكليف المدنية ابتهاظه والحضاء على مصاصر التوتير .

وإذا رجعتا الى رسالة نيكسون الى الكونجرس التي حدد فيها معالم السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة في السبعينات (١٨ فبراير ١٩٧١) لتبين لنا أنه سيجب فيها ان عام ١٩٦٩ كان بداية طيبة ولكن الارر يفنص اتصلا مستمرا مثابرا مع العالم الشيوعي ، وأنه يقر فيها بان قوة الاتحاد السوفيتي المتزايدة في انتاج الصواريخ الذرية العابرة للقارات قد خلقت تهديدا لقدرة الولايات المتحدة الرادعة .

مرحلة الوفاق

يمكننا ان نقول ان زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي في مايو سنة ١٩٧٢ كانت هي التسجيل الشكلي لقيام مرحلة الوفاق .

ومع ذلك فقد سبق هذا التسجيل الشكلي عدة تغييرات في الأوضاع الدولية القسائية والمستحكة ، ويمكن رصد بداية هذه التغيرات عند عام ١٩٧٠ ، حينما وقع الاتحاد السوفيتي مع المانيا الاتحادية معاهدة عدم اعتداء .

فقد ظلت سياسة المانيا الاتحادية قائمة على الدعوة الى وحدة المانيتين وعلى المطالبة بالعودة الى حدودها القديمة ، وكان هذا مصدرا للتوتر بالنسبة لبولنده وتشيكوسلوفاكيا بوجه خاص ، كما كانت هذه السياسة قائمة وفق مبدأ هوشاكين على قطع علاقاتها باية دولة تقيم علاقات سياسية بمانيا الديمقراطية .

وكانت بداية ذوبان الجليد هو توقيع معاهدة بين الاتحاد السوفيتي ومانيا الاتحادية في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٠ وهي تقضى بنزع اسلحام القوة وتوسيع مجالات الاتصال والتعاون بين البلدين . وفي هذه المعاهدة اقر «برفران بانه لا يمكن حماية السلام في اوربا الا بشرط عدم المساس بالحدود الراهنة ، وانها يعتد بان حدود جميع الدول في اوربا مقدسة بها في ذلك خط اوردرنيس (وهي حدود بولندا مع المانيا الديمقراطية والتي كانت المانيا الاتحادية تطالب بالوصول اليها ضمن دعوتها الى المانيا موحدة) . وقد كانت هذه المعاهدة بذلك اعلانا من المانيا الاتحادية بالتنازل عن جميع طلبات الحدود ، سواء تلك التي تمس بولندا او تشيكوسلوفاكيا .

وقد اعقب ذلك التوصل الى اتفاقية ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ بشأن برلين ، واتفاقية المرور بين

١٩٦٨ وابتعدت الولايات المتحدة عن محاولة استغلالها او التدخل فيها ، كان ذلك مؤشرا آخر على ان القوتين الاعظم تديران امشاحلة المواجهة المباشرة بينهما . وهو نفس موقف الاتحاد السوفيتي حينما كانت القاذفات الاربكية تضرب فيتنام الشمالية . وان لكل منهما منطقة عمل حيوية مقصورة عليه Reserved Area أنها تمنح امنة مباشرة .

ولا يود التقرير ان يوغل في تحليل الاسباب المختلفة التي دعت الى وضع نهاية لعصر الحرب الباردة . ولكن كان من الواضح في عام ١٩٧٠ ان سياق التسلسل قد ادى الى تحميل الدولتين باعباء باهظة كان لها اثرها المباشر على اقتصادياتها ، وقد كان تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام دون ان تنجح في الوصول الى نصر سريع ، مع تصاعد نفقات هذه الحملة وقيمة المساعدات التي قدمتها للحكومات الموالية لها في جنوب شرق آسيا ، اثره في الرأي العام الامريكي والمالي ، وفي تحول السياسة الامريكية من القيام بدور الشرطي في اية بقعة من العالم وقولي مسؤولية الدفاع عنها ضد النفوذ الشيوعي الى ان تدع للحكومات المعنية مسؤولية الدفاع بنفسها ، فيبينما قال الرئيس كينيدي في عام ١٩٦١ حين تولى مسؤولية الحكم « لتعلم كل امة ايا كانت رباتها تجاهنا اننا سندفع اى ثمن وتحمّل اى عبء ونواجه اى صعبات ونسندد اى صديق ونقاوم اى عدو لنضمن انتصار الحرية » كان الرئيس نيكسون يقول في رسالته الى الكونجرس عام ١٩٧٠ « ان امريكا لا تستطيع ولن تستطيع ان تدبر جميع الخطط وترسم كل البرامج وتنفذ كل القرارات وتتولى وحدها كل مسؤولية الدفاع عن شحوب العالم لاهرة » . وقد تمخض هذا عن تغيير في السياسة الامريكية في فيتنام الى ما عرف بفتنة هذه الحرب .

وبالمقابل فان الاتحاد السوفيتي لم يعد متخفلا عن التحاق بالقوة الامريكية المبدرة ، بل انه مثلها يملك اخطر الاسلحة الذرية وهو مثلها استطاع ان ينافسها في السيطرة على الفضاء الخارجي . وقد برزت الى جواره امين كقوة صاعدة ، وكان اشتداد النزاع المينى السوفيتي الذي وصل الى حد وقوع صدام مسلح على الحدود بينهما في مارس ١٩٦٩ ضمرا آخر للتقارب بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية تجنبها لمواجهة اكثر من صراع في العالم .

ولعل العامل الاساسي هو ان القمتين الاعظم قد وصلتا الى حد من التوازن الاستراتيجي اصبح هو المرتكز الفعلي لحماية الامن الدولي وانه يجب

كقوة اقتصادية مؤثرة في العالم بعد أن انضمت بريطانيا وإيرلندة والدانمرك إلى السوق الأوروبية وبعد أن أصبحت تسعى إلى تحقيق وحدة نقدية واقتصادية لها في عام ١٩٨٠ .. أن تعداد هذه الدول التسع أعضاء السوق الأوروبية المشتركة يبلغ ١٥٤ مليوناً وهو أكثر من تعداد الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي كما أن الإنتاج الصناعي لهذه الدول مجتمعة يزيد عن الإنتاج الصناعي للولايات المتحدة واليابان وصادراتها إلى العالم خمسة أمثال صادرات الاتحاد السوفييتي وخمسة أمثال اليابان وثلاثة أمثال الولايات المتحدة .

وهناك دلائل كثيرة على أن أوروبا تريد أن تقوم بدورها في الشؤون العالمية كشخصية متميزة (مواقف بريطانيا وفرنسا في قرارات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بالشرق الأوسط - سابقة انسحاب ديغول عام ١٩٦٦ من القيادة العسكرية الموحدة لحلف شمال الأطلسي) وهوما أشار إليه البيان الصادر في باريس في أكتوبر ١٩٧٢ في نهاية اجتماعات القمة لدول السوق الأوروبية . كما أنها تريد أن يكون لها قوتها النووية المستقلة ، مما قد ينتهي بالنظام الدولي إلى أن يتحول من نظام ثنائي تكون الهيمنة عليه لدولتين الأعظم إلى نظام بين الثنائي والمحدد وذلك بدخول قوى ثرية أخرى مثل الصين وفرنسا .

٣ - تجدد أزمة النقد العالمية ، وتوقع أزمة في الطاقة ، وأزمات النقد لها صفة عارضة ولا يمكن أن يكون لها وضع ثابت بحيث يمكن اعتبارها عاملاً مؤثراً في العلاقات الدولية ، ولكن من الواضح أن صندوق النقد الدولي أصبح يعمل حساباً للرصد العربية للدول المصدرة للبترول ، والتي تقدر استثماراتها في الأسواق الأجنبية بحوالي ٣٠ ألف مليون دولار ، وهي تزيد سنوياً إلى حد أن أرصدة السعودية وحدها تقدر في عام ١٩٨٠ بأنها ستصل إلى عشرة آلاف مليون دولار في السنة .



الدولتين في ٢٦ مايو سنة ١٩٧٢ . وفي نوفمبر سنة ١٩٧٢ وقعت الاتفاقتان معاهدة لاتامة علاقات بينهما ، وأصبح من المقرر قبول الدولتين في الأمم المتحدة في دورتها القادمة ، وبدأ فيلي برانت مستشار ألمانيا الاتحادية [الحزب الاشتراكي الديمقراطي] يعمل على تحقيق سياسة الانفتاح على الشرق اقتصادياً وفنياً .

وفي ظل مناخ الوفاق يمكن الوصول إلى تسوية لمشكلة الحرب الفيتنامية التي ظلت مستمرة أكثر من ١٢ عاماً ووقع اتفاقها النهائي في ٢٢ يناير سنة ١٩٧٢ ، كما أمكن دعوة مؤتمر الأمن الأوروبي في ٢ يوليو من هذا العام حيث بدأت المرحلة الأولى لهذه المادثات في هلسنكي حيث شهدتها ٢٢ دولة أوروبية من بينها الاتحاد السوفييتي كما اشتركت فيها كل من الولايات المتحدة وكندا ، وكانت الدعوة إلى عقد مؤتمر الأمن الأوربي لا تجد استجابة لها منذ أن دعا الاتحاد السوفييتي إليها في عام ١٩٥٤ على شكل مشروع معاهدة أوروبية للأمن الجماعي . وفي محادثات الأمن الأوربي تالتت سياسة الاعتراف بالحدود القائمة في أوروبا باعتبارها حدوداً دائمة غير قابلة للتعديل .

على أنه مما يلفت النظر في الخريطة السياسية الدولية أن هناك عناصر جديدة قد طرأت عليها ، وهذه العناصر لا ترقى إلى درجة اعتبارها من التغيرات ، ولكنها يجب أن تكون في الحسبان :

١ - وأهم هذه العناصر هو بروز الصين كقوة دولية بعد أن احتلت مقعدها الطبيعي في مجلس الأمن الذي ظلت محرومة منه منذ قيام الأمم المتحدة .

وبعد زعامة نيكسون للصين في ٢٠ فبراير سنة ١٩٧٢ أعلن البيان المشترك الذي صدر بعدها أن الهدف هو سحب القوات الأمريكية من جنوب شرقي آسيا بما في ذلك تايلوان (فورموزا) واعترف بأن فورموزا جزء من الأراضي الصينية ، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً إلى علاقات أوثق مع دولة آسيوية تحاول أن تلحق بالنادي الذري ، وبينما تمسك الاتحاد السوفييتي بالدعوة إلى دخول الصين الأمم المتحدة . استمرت الخلافات بينهما وأصبحت الولايات المتحدة هي التي ترتبط بعلاقات ودية ، أو عادية بالدولتين الشيوعيتين .

٢ - كذلك فقد برزت أوروبا الغربية كقوة اكتسبت درجة أكبر من الاستقلال تجاه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية . وبدت أوروبا الغربية

تكتشف عن الاهمية الحيوية التي ينظر بها الرئيس الامريكى الى الشرق الاوسط ، كصنذر الطاقة وكمنكس لاحتياطي خضم للمصالح الحرة ، وهى التي دعت الرئيس الامريكى الى ان يطلب من الكونجرس اصدار قرار يفعله توزيع البترول بالبطاقات كما دعت الى ان يرصد مبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار للابحاث العلمية فى مجال استكشاف بدائل للبترول كصنذر الطاقة •

وقد سبق لدول السوق الاوروبية المشتركة ان سجلت فى بيانها الذى أصدرته فى أكتوبر ١٩٧٢ « ضرورة حث المنظمات التابعة للصناعة الاوروبية على اعداد سياسة الطاقة فى اقرب وقت ممكن على ان تشمل هذه السياسة تمويلًا مضمونًا ودائمًا للطاقة وذلك بشروط اقتصادية مرضية » وهى اشارات لها دلالتها التى يجب ان تكون قسب الحاسب عند التخطيط للسياسة النفطية العربية واستخدامها فى التأثير على سياسات الولايات المتحدة واوروبا تجاه البلاد العربية ، كما يجب ان يقابلها جانب الحذر من محاولات اسرائيل الابهام بانها هى التي تستطيع ان تدافع عن مصالح الولايات المتحدة واوروبا فى ضمان تدفق بترول الشرق الاوسط اليها •

٤ - وهناك تغييرات اخرى فى المجتمع الدولي لم تتحول بعد الى جامل حاسم فى العلاقات الدولية وان كان يجب ان تقدر قيمتها • فنشأت منظمة الوحدة الافريقية قد اصبحت يمثل ثقلًا له اعتباره سواء فى الامم المتحدة أو فى القرارات الفردية التى اتخذت مثل قيام ست دول افريقية بقطع علاقاتها السياسية مع اسرائيل ومثل هذه الدول قرار مؤتمر القمة الافريقى فى اديس ابابا فى ٢٩ مايو من هذا العام الذى ندد بشدة بموقف اسرائيل ومطالبتها بالانسحاب الفوري منها الى الخطر الذى يهدد أمن القارة الاوروبية ووحدةها نتيجة لعدوانها المستمر ، ورفضها الجلاء •

ومثل ذلك أيضًا التغييرات التى تجرى فى أمريكا اللاتينية ومنها قيام حكومة جديدة فى شيلي مناهضة للسياسة الأمريكية ، وقيام النظام الجديد فى الأرجنتين ، وقيام كثير من دول أمريكا اللاتينية باستئناف علاقاتها مع كوبا ، بل وبرز اتجاهات مستقلة عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وتطالب بالقضاء على العلاقات غير المتكافئة سواء فى بيرو أو المكسيك أو كولومبيا أو كوستاريكا أو فنزويلا أو نيكارا •

ان هذا كله يدعم دور دول عدم الانحياز التى ستعقد اجتماعها للعبة فى شهر سبتمبر فى

اما توقع أزمة الطاقة فيكاد يكون أمرا مسلما به ، ومن هنا تبدو أهمية احتياطات الدول العربية فى البترول التى تصل الى أكثر من ستين فى المائة من احتياطي العالم •

ان هناك عبارات وردت فى رسالة الرئيس الامريكى نيكسون الى الكونجرس التى وجهها فى ٣ مايو ١٩٧٢ يجب ان نلق لهاها متاملين • فهو يشير من ناحية الى منطقة الشرق الاوسط التى يميزها الانقسام القومى والاجتماعى والمثائدى بالإضافة الى الصراع العربى الاسرائيلى ، والى ان قيام العربيين المائلين وتحرك تيار القومية قد ادى الى انهيار النظام الذى كان سائدا قبل عام ١٩١٤ ، وأنه حتى الان لم تلم أنماط جديدة للاستقرار فى هذه المنطقة • ثم يضيف :

« لقد أدت الخلافات الحديثة الى قيام وتراكم الخلافات القديمة التى مازالت قائمة ، وقد كفت أهمية الخطة الاستراتيجية سببا فى استمرار تورط القوى الخارجية فيها ، وبهذا قام ذلك على اساس التنافس بين هذه القوى ، ولذلك فان الشرق الاوسط كان ولعدة مرات سبب الحرب العالمية الثانية منطقة أزمات كبرى •

واقه بان مخفوة القدر حقا ان الشرق الاوسط يملك إمكانات ضخمة للتقدم والتنمية الملمية فهو من دون جميع مناطق العالم النامى لايمتد بالرة على تدفق رموس الاسوال الخارجية وذلك بسبب ثرائه ، وقد أبدت دوله الغنية استطاعتها واستعدادها لتوفير رموس الاموال اللازمة • لمشاريع التنمية الخاصة بها كما بدأت هذه الدول فضلا مساهمة جيرانها فى التنمية ، فحركة الاعتماد على النفس والتعاون قائمة فى المنطقة على قدم وساق • ان الصين الى الوحدة يعتبر عاملا قويا فى السلم العربى لما لها من جذور تاريخية وثقافية صلبة ، ويعد القوة الدافعة الاجابية لها تعبيرا جديدا فى هذه المشاريع المتواتية • »

ويعود نيكسون فى وضع آخر من التقرير ليشير الى الدول العربية على انها تلك التى تمتلك الطاقة ويشير الى تشامف المائد من البترول فى دول الخليج الفارسى [العربى] ثلاثة اضعف خلال السنوات الخمس الماضية ، والى تزايد رصيدها من المصالح الصعبة الذى اصبحت منذ متزايدا فى النظام النقدي الدولى • ويضيف « ونحن نشترك هذه الدول الرغبة فى الوصول الى ترتيبات تزيد من رخاء المنطقة بما يضمن وسائل فعالة لمقابلة الطلب العالمى للطاقة • »

ان هذه العبارات التى وردت فى تقرير نيكسون

٢ دراسات حول التغييرات الدولية ■

بصرف النظر عن اختلاف نظرياتها السياسية والاجتماعية ، فإن ما بينها من نقط الالتقاء فى مواجهة الصراع الامراتيالى أكثر مما بينها من نقط خلاف تتعلق بنظريها الداخلية .

ب - أن بعض الدول العربية تربط علاقات ودية وتعاون مع الاتحاد السوفييتى بينما أن دولا أخرى لم تقطع علاقاتها السياسية بالولايات المتحدة وبعضها قد أعادها .

ج - أن الولايات المتحدة استثمرات مباشرة لاستخراج البترول فى البلاد العربية المنتجة للبترول . وأنها قد ارتبطت مع الجزائر بمقد طويل المدى (عشرون عاما) بشأن توريد الغاز الطبيعى .

د - أن إيران قد برزت كقوة عسكرية واقتصادية تطل على منطقة الخليج ، وقد عقدت مؤخرًا صفقة سلاح ضخمة مع الولايات المتحدة بمقدارها ٢٠٠٠ مليون دولار ، وهى فى نفس الوقت تحاول أن تحتفظ بعلاقات ودية بالاتحاد السوفييتى ، وقد دفعتها قوتها الصاعدة الى أن تمان أخيرا أنها لن تسمح بتكرار ما حدث فى بانجلاديش ، باعتبار أن هذه المنطقة قريبة من حدودها وماسة بأمنها .

تحليل سياسة الوفاق ونتائجها

إذا كانت سياسة الوفاق قد تأكدت بدايتها بزيارة نيكسون للاتحاد السوفييتى فى مايو ١٩٧٢ ، فإن زيارة بريجنيف للولايات المتحدة هذا العام قد طورت هذه السياسة الى مرحلة أكثر تقدما فى بداية مرحلة تعاون فى كثير من المجالات .

وحتى يمكن فهم اثر هذه السياسة كمتغير من العلاقات الدولية ، فإنه يجب عدم الاكتفاء بالرجوع الى البيان الرسمى الذى أذيع فى ٢٩ مايو ١٩٧٢ عقب زيارة نيكسون ، ولا الى مجرد الإنفادات التى وقعت بعدها بين الدولتين سواء بعد هذه الزيارة أو بعد زيارة بريجنيف للولايات المتحدة ، بل أنه يتعين الرجوع الى وثيقة « إعلان المبادئ » الأساسية للعلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، التى أشار إليها البيان الاول .

أن هذه الوثيقة تحوى اثني عشر بندًا وهى تتطابق من هدفين أساسيين أشارت إليهما مقبلة هذه الوثيقة - الهدف الاول الرغبة فى إزالة خطر الحرب وخلق الظروف التى تشجع على الحد من التوتر فى العالم ودعم الأمن العالمى ، والهدف

الجزائر ، والتى ينتظر أن يشهده أكثر من ثمانين دولة بالمقابلة لأول مؤتمر لهذه الدول عقد فى الجزائر عام ١٩٦٦ ولم يزد المشتركون فيه عن ٢٨ دولة .

أن سياسة عدم الانحياز لازالت سياسة صالحة فى هذا المجتمع المتغير ورغم سياسة الوفاق ، ذلك أن مفهوم عدم الانحياز لم يعد مجرد الوتوف على الحياد بين الكتلتين المتصارعتين بل أن موقف ايجابى يرمى الى تدهيم السلم والأمن فى العالم ، وهو ليس السلم والأمن المطلق بالقيتين الأعظم ، كما كان الامر فى زمن الحرب الباردة ، بل أنه سلام وأمن الدول الصغيرة والمتوسطة وتعاونها الاقتصادى ، الذى اكتفه الدول السمية والصعيين الثامية اعضاء مؤتمر التجارة والتنمية (الكنفاد) منذ أول اجتماع لها فى جنيف عام ١٩٦٤ .

ه - كذلك ماننا يجب ألا نعمل التغييرات التى طرأت على الخريطة السياسية والاقتصادية للعالم العربى فى السنوات الأخيرة ، فقد تهررت الجزائر وحصلت اليمن الجنوبية على استقلالها ، وهى التى تحتل مركزا استراتيجيا هاما على باب المندب عند مدخل البحر الأحمر جنوبا ، وصنفت القواعد العسكرية التى كانت قائمة فى تونس وليبيا ، ونشأ اتحاد الامارات العربية فى يوليو ١٩٧١ ، بينما أعلنت البحرين وقطر استقلالهما ، كما أعلن اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا وسوريا فى نفس العام ، وبرز دور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى لشعب فلسطين ، كما برز نضالها على الصعيد الدولى واصبح هنرايمل حسابه . كما تغيرت الخريطة الاقتصادية للعالم العربى بعد أن أصبحت تحتل المصدرة بين الدول المنتجة للبترول وهذه القوة العربية الهائلة يواردها وإكثانياتها وتأثيرها الدولى المتزايد . لازالت غير مستقرة تماما نتيجة لبعض المتناقضات والخلافات التى يجب العمل على تخطيها ، وفى هذا فإننا يجب ألا نفلت من الملاحظات الآتية :

١ - أن وحدة الصف العربى فى مواجهة العدوان الصهيونى أمر تلبية طبيعة المرحلة والتهديد الصهيونى لكان الدول العربية جميعا ومنذ مؤتمر القمة الذى عقد فى الخرطوم عام ١٩٦٨ حتى مؤتمر القاهرة الذى عقد بشأن أزمة التعاون الفلسطينية مع السلطة الأردنية فى سبتمبر ١٩٧٠ لم يعد تصنيف الدول العربية فى مواجهة الصراع الامراتيالى الى دول تقدمية ودول غير تقدمية أمرا مقبولا ، بل أصبح خطأ العمل العربى هو ما تستطيع أن تسهم به كل دولة فى المعركة



يتعلق مع أهدافهما « ثم يسجلان في البند الحادي عشر : » بأن تنمية العلاقات الأمريكية السوفيتية ليست موجهة ضد دول أخرى وضد مصالحها ، ومع ذلك فيما يقرآن في البند الثاني عشر : أن المبادئ الأساسية الواردة في هذه الوثيقة لا تؤن على أية التزامات تكون الدولان قد التزمنا بها فيما يتعلق بدول أخرى .

النتائج المباشرة للوفاق

بعد ذلك نعرض لأهم النتائج المباشرة لهذا الوفاق الذي عبرت عنه وثيقة إعلان المبادئ .

لقد أبرمت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي في أكتوبر الماضي معاهدة تجارية تضمنت تخفيضات في التعريف الجمركية على الواردات السوفيتية مع منحها شرط الدولة الأولى بالرعاية (وهذا الموضوع لا يزال محل نقاش في الكونجرس الأمريكي) ، وأبرمت صفقة الفحم التي أبرمت قيمتها على بليون دولار نظرا لنقص المحصول السوفيتي نتيجة لموامل طبيعية ، وهو نقص طارئ يجب أن العمل له حسابا كبيرا .

على أن أهم النتائج المباشرة لهذا الوفاق ، كان الانتهاء من توقيع اتفاقية المصلح الخاصة بحرب فيتنام وتوقيع اتفاقية التعاون في الفضاء وفي ميادين العلم والتكنولوجيا وتوقيع اتفاقية بشأن الحد من الأسلحة الهجومية .

وتمثل زيارة بريجنيف للولايات المتحدة في يونيو من هذا العام مزيداً من التقدم في العلاقات بين الدولتين ، فقد تمخضت سياسياً عن دعوة مؤتمر الأمن الأوربي الذي عقد في شهر يوليو ، كما تمخضت عن توقيع اتفاقية للتفاوض في شأن الحد من الأسلحة الاستراتيجية وأبرمت عدة اتفاقيات في مجالات التعاون الأخرى فيما يتعلق بتطوير

الثاني هو تحسين العلاقات السوفيتية - الأمريكية وتنميتها والإسهام في تحسين التفاهم المتبادل والتعاون بينهما .

ثم يقرر البند الأول من هذه الوثيقة أنهما « ينطلقان من تصميم مشترك مفاده أنه لا بد في العصر الذي لإدارة علاقاتهما المشتركة إلا على أساس التعايش السلمي ، وأن الخلافات في المذهب وفي النظم الاجتماعية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ليست عقبات في سبيل التنمية الثنائية للعلاقات العادية على أساس مبادئ السيادة والمساواة » .

ثم يعود البند الثاني من هذه الوثيقة فيرتب على أنه لا بد في العصر الذي لعشر التماسيح السلمي ، أنهما « يطلان أهمية كبيرة على منع نشوء وتطور مواقف يمكن أن تسبب تفاقم خطيراً في علاقاتهما » . ومن ثم فإنهما سيبدآن كل ما في وسعهما لتجنب المواجهات العسكرية ، ومنع نشوب حرب شديدة ويسجلان دائماً على ضبط النفس في علاقاتهما المتبادلة » .

ثم تعود الوثيقة في البند الثالث فتؤكد مسئولياتهما الخاصة عن تجنب نشوء صراعات أو نشوء مواقف تؤدي إلى زيادة التوتر الدولي » .

وتتضمن الوثيقة بعد ذلك إعلان العزم على مواصلة الجهود لتقييد الأسلحة الاستراتيجية ثم لتشجيع الروابط الاقتصادية والتجارية وتنمية التعاون في مجال العلوم والتكنولوجيا وفي المجالات الثقافية وأن هذا التعاون سيكون على أساس ثابت وطويل الأجل .

ويمكن من هذه الوثيقة أن نستخلص أمرين على جانب كبير من الأهمية :

١ - أن الطرفين يسلطان بعدم إمكان المواجهة المباشرة بينهما وأنهما لن يسمحا بقيام صراعات أو مواقف تؤدي إلى توتر دولي أو إلى تفاقم في علاقاتهما .

٢ - أن هذه المبادئ قد أرسيت دعائم العلاقات بينهما لأجل طويل .

ومن ناحية أخرى فقد وردت في هذه الوثيقة عبارات بشأن أثر هذا الوفاق بالنسبة للسدول الأخرى ، فهي في المقدمة تشير إلى أن تنمية هذه العلاقات « لن تكون اضطراراً بأي شكل بمصالح الدول الأخرى » ويسجلان في البند الثاني أن : « محاولة حصول أحد الطرفين على مزايا على حساب الآخر بشكل مباشر أو غير مباشر أمر لا

أشار إلى ذلك في تقريره إلى الكونجرس من سياسة أمريكا في السبعينات (٢٥ فبراير سنة ١٩٧١) .

٣ - أن أزمة الشرق الأوسط لم تكن موضع اتفاق بين القوتين سواء في اجتماع موسكو في العام الماضي أو في اجتماع واشنطن هذا العام . فبعد اجتماع موسكو أشار البيان المشترك إلى تأييد الطرفين لبذل الجهود للوصول إلى حل سلمي وفق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ مع التعاون مع مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة ، ولكن في اجتماع واشنطن اكتفى البيان المشترك بالإشارة إلى أن كل طرف قد تمسك بموقفه وأنهما سيبدآن جهودهما للوصول إلى تسوية عادلة ، وهذه التسوية ستكون وفق مصالح الدول في المنطقة على أن يؤخذ في الاعتبار المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني .

وواضح أنه رغم عدم اتفاق الطرفين في شأن الوصول إلى دأى موحد بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط إلا أن هناك اتفاقاً بينهما حول ثلاثة أمور : التسوية السلمية - ضمان سيادة الدول في المنطقة بما في ذلك إسرائيل - الإشارة لأول مرة على لسان الولايات المتحدة إلى المصالح المبرورة للشعب الفلسطيني . أما الخلاف بينهما فهو يمس أن الاتحاد السوفيتي يؤيد الموقف العربي وفق سياسته المعلنة من قبل ، كما أن الولايات المتحدة تؤيد مطالب إسرائيل بشأن ما سمعته تسوية يراعى فيها الحفاظ على أمن إسرائيل على أساس التفويض .

٤ - أن جولدا مائير قد أعربت عن ارتياحها إلى عدم توصل واشنطن وموسكو إلى اتفاق بشأن حل قضية الشرق الأوسط ، ذلك أن إسرائيل فخنة مثل هذا الاتفاق الذي يمكن أن يشكل ضغطاً سوفيتياً أمريكياً عليها ، مثل الضغط الذي جرى بعد عنوان عام ١٩٥٦ .

٥ - أن هناك إشارات واضحة في ميشاق المبادئ الأساسية لعلاقات القوتين ، إلى أن هذا الاتفاق لا يمكن أن يكون على حساب دول أخرى وهو ما أكدته الرئيس يودجورني في خطابه في ٢٢ مايو سنة ١٩٧٢ حيث قال « أن الاتحاد السوفيتي يرى أنه من الممكن ومن المرغوب فيه إقامة علاقات طيبة بل وودية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ولكن ذلك لا يكون بالتأكيد على حساب أي دولة أو شعوب أخرى وأنه رغم وجود خلافات أيديولوجية فإن هناك عوامل موضوعية تقرر وجود مصالح متبادلة » .

الاستخدام السلمى للطاقة وبشأن تبادل المعلومات التكنولوجية حول المواصلات وتوسيع التعاون في أبحاث المحيطات وإنهاء الأزدواج الشريبي وإنشاء غرفة تجارية سوفيتية - أمريكية ومنح تمثيل دائم في موسكو لعشر شركات وبنوك أمريكية ومنح خطوط شركة الطيران السوفيتية (أيرفلوت) إلى ما بعد نيويورك لتصل إلى واشنطن مع منح الولايات المتحدة خطاً إلى ليننجراد ، وقد فتح الباب أمام تعاون مشترك في مشروعات هامة مثل خط الانابيب من سيبيريا إلى كاليفورنيا وذلك للاستفادة من التكنولوجيا الأمريكية المتقدمة وتوسيع حجم التبادل التجاري بين الدولتين .

وقد تبدو الإشارة إلى مظاهر هذا التعاون بعيدة عن موضوعنا الأساسى وهو أثر المتغيرات المالية على مسار عملنا الوطنى ، ولكن لهذه الإشارة مغزى في تبين أبعاد هذا الوفاق وبالتالى التصرف على نتائجها بالنسبة لسياستنا .

سياسة الوفاق والموقف

في الشرق الأوسط

لم تكن سياسة الوفاق مفاجأة ظهرت هذا العام ، بل أنها كانت واضحة المعالم في وثيقة المبادئ التي أشرنا إليها والتي أعلنت في مايو الماضى عقب زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي ، كما أنه كانت لها حدة مقدمات سبق أن أشرنا إليها .

وإذا أردنا أن نقيم سياسة الوفاق تقييماً موضوعياً فيجب أن نلاحظ ما يأتى :

١ - أن الدعوة إلى التعايش السلمى كانت تمثل دائماً جزءاً من السياسة السوفيتية حتى في زمن الحرب الباردة ، كما أن الدعوة إلى التقارب بين الكتلتين وإزالة أسباب التوتر بينهما كانت أمنية لأول عدم الانحياز عبروا عنها في أول مؤتمر لهم عقد في بلجراد عام ١٩٦١ وقت أن كانت الحرب الباردة على أشدها .

٢ - هذه السياسة قد قُحَّت الباب أمام أنها عكس من المنازعات في العالم ، ولكنها لم تقض على المتناقضات القائمة بين كتلتين سواء أيديولوجياً أو بانسبة مصالحهما ، وكل ما هنالك فإن القوتين لن يسمحا لى خلاف بأن يؤدى إلى مواجهة بينهما . بينما أنه قبل اجتماع موسكو كان هذا الخطر قائماً حتى أن الرئيس الأمريكى نيكسون قد

طريق تشجيع حركة التحرير. الوطنى ومحاولة استغلالها وكسب تأييدها للموقف السوفيتى المضاد للولايات المتحدة ، وذلك الى جانب المضى فى بناء قوته الذاتية التكنولوجية والانتاجية لحقل السلاح الرادع للسلاح الامريكى .

وتلت ذلك مرحلة الحرب الباردة النشطة ، فبعد أن حصل الاتحاد السوفيتى على قوة ثرية وكبرى الى حد ما التفوق الامريكى ، ظل لعدة سنوات يريد أن يكسب الوقت والخبرة التكنولوجية لتطوير سلاحه النووى ليصل الى حد الردع ، ومن ثم فقد كانت التناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى دول العالم الثالث وفى الحركات القومية بوجه عام فى مصلحته كما كان ممن مصلحته إثارة الأحزاب الشيوعية ، والجيوش الموالية لها فى الدول الغربية لتحقيق أكبر قدر من الضغط على الولايات المتحدة التى كانت لا تزال تحتفظ بتفوق حاسم .

وقد كانت هذه الفترة هى فترة التحالف النشط بين الاتحاد السوفيتى والحركات القومية ، حتى تلك الماعدية للشيوعية وذات الاتجاهات الوطنية ، وذلك فى سبيل تطويق وحصر النفوذ الامريكى ، فكان أن عقد الاتحاد السوفيتى صفقة أصحله مع مصر ، وتقبل التمايل مع دول العالم الثالث على أساس مبادئ باندونج ، وكل هذا ادى الى تقارب بين الاتحاد السوفيتى ودول العالم الثالث ، وقيام جبهة مشتركة بينه وبين الحركات القومية .

وتلت تلك المرحلة مرحلة أخرى تتميز بما يلى :
أولاً : وصول الولايات المتحدة الى تحقيق القدرة على تدبير العالم عدة مرات ، الى جانب التوصل الى تحقيق قوة الضربة الثانية الرادعة ، بحيث أصبحت أى زيادة فى قوتها التخريبية بعد ذلك ضرباً من الاسراف الذى لا مبرر له .

ثانياً : وصول الاتحاد السوفيتى الى الاثر فى القدرة النووية لضرب الولايات المتحدة ، وقوة الضربة الثانية الرادعة ولو بدرجة أقل من الولايات المتحدة .

ونظراً لأن أى تصاعد فى القوة النووية التقدمية لى من الدولتين أصبح عقيماً إذ لا معنى لتدمير العدو عدة مرات ، فقد برز فجر مرحلة جديدة هى مرحلة الوضع النووى الذى لا يصبح لاي من الطرفين بالتحرك ضد الآخر ، فاصبح من الصعب على كل القطبين محاربة الطرف الآخر محاربة نووية ، أى أن هذا التكافؤ النووى الثانى قد حقق الغاء شبه كامل للاستخدام النووى فى حل المنازعات بين القطبين . وقد بدا هذا بوضوح أثناء

- والذي يمكن أن نستخلصه من ذلك أن علينا أن نستمر نقط الالتقاء بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فيما يدعم هذا الواقع لمصلحتنا على أن يكون فى حسابنا أن القوتين الأعظم لن يدعا لى صراع أن يتدخل فى احساسهما المشترك بضرورة تدعيم النظام بينهما . وليس معنى هذا بالضرورة أن هذا الواقع سيكون على حسابنا ، بل معناه أن نؤمننا لا يمكن أن نقوض علاقتنا الواجبة .

الخلاصة

من كل ما تقدم نخلص الى أنه قد نشأ عن تسويات الحرب العالمية الثانية بينان دولى جديد تتميز بالعالم ائمة :

- أولاً : لفترة معينة ، كانت الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تتبع باحتكار السلاح النووى والنووى ووسائل نقله الى أى مكان فى العالم ، وبخمس سنوات دون أن يظهر رادع حقيقى لتلك الميزة النسبية الهائلة .

- ثانياً : وفى نفس الفترة ، كانت الولايات المتحدة أيضاً أعظم قوة انتاجية ، وكان الفارق بينها وبين أية دولة تالية لها فى الترتيب ، أى حتى مجموعة دول غارق شاسع ، مما جعل أمريكا تتميز فى هذا المجال بتوفيرها لانتاج استهلاكى كبير تستطيع تقديمه لدول العالم .

ثالثاً : وكانت أوروبا الغربية واليابان فى حلجة ماسة لعملية بناء اقتصادى وسياسى وعلمى وتكنولوجى ، وكانت مضطرتين للاعتماد على الولايات المتحدة فى ذلك الى حد كبير .

رابعاً : أن الاتحاد السوفيتى قد خرج من الحرب بانتصار سياسى ، ولكنه كان فى حاجة لإعادة بناء وقيمة موارده ، فى نفس الوقت الذى كان يعمل لحقل قوة رادعة للفترة الامريكية .

خامساً : أن كثيراً من دول العالم الثالث دخلت مرحلة التحرير الوطنى بثورات شعبية لم تتمكن الدول الاستعمارية من التصدى لها بوسائلها القديمة .

سادساً : أنه قد ظهر على المسرح الدولى - منذ عام ١٩٤٥ - دور منظمة الأمم المتحدة كجهاز منظم للتصير عن آراء الدول ومصرح لعملية التنسيق فى النزاع الدولى .

سابعاً : أن التدخل فى الحرب الياردة كان محاولة من الاتحاد السوفيتى لتصحيح موازين قوته النسبية أمام التفوق الامريكى ، وبخاصة من

٣ دراسات حول المتغيرات الدولية ■

ثانياً : ظهور حركات استقلالية داخل المعسكر الشرقي ابتداء بيوغوسلافيا وانتهاء ببرومانيا ، مع وجود أنزات عديدة في عدد من الدول الاشتراكية و ظهور ماعرف بتعدد المراكز ، أى ظهور المراكز والقيادات المتعددة داخل الحركة الاشتراكية .

ثالثاً : انحلال النزاع الصيني السوفيتي أولوية عالية في اهتمامات الاتحاد السوفيتي بعد ضمان قدر معقول من الأمن في أوروبا .

رابعاً : ضعف الامم المتحدة كبديل وكمعصر ملطف تستخدمه الدول الكبرى كأداة رئيسية لحل المشاكل الخارجية .

وكان منطقياً إزاء قداحي الأحداث والظروف على النقي السابق أن تتوصل الولايات المتحدة الى ترشيح علاقة القوي بينهما على أساس تحديد السلاح النووي الذي حقق هدفه الاصلى وأصبح المضي فيه يشكل تكلفة باهظة لا معنى لها . فمن ناحية لم يعد لهذه الأسلحة مغزى عسكري يذكر ، ومن ناحية أخرى فإن تكاليفها الباهظة عالت من قدرة الطرفين على حل مشاكلهما الداخلية التي بدأت تصبح ملحة وخطيرة ، وفي الولايات ، برزت مشاكل التضخم والبطالة والائتلاف وحماية البيئة والخدمات الاجتماعية والطبية ، وفي الاقتصاد السوفيتي، وجه قدر كبير من اهتمام الحزب والدولة لحل مشكلات الاسكان والزراعة ومواجهة الاستهلاك المزاييد .

ومن هنا فإن الوفاق في جوهره تحديد للمتباينين النووي ، وإن كان الاتفاق على هذه النقطة - وفي ضوء المتغيرات الأخرى - قد أدى الى محاولة لتوسيع نطاق التفاهم حول المصالح المشتركة بينهما ، مثل استجلاب الاستثمارات الأمريكية . والأوروبية واليابانية الى الاتحاد السوفيتي ، في مقابل حصول الأخير على خبرة تكنولوجية متقدمة ومواد زراعية لسد حاجته ، وبالنسبة للولايات المتحدة ، يحقق هذا التعاون تأمين موارد طاقته بطاقة إضافية خاصة في مجال الغاز ، وتصدير بعض السلع الفائضة والوصول الى المستهلك السوفيتي على نحو يحقق دهلية الولايات المتحدة .

كل هذا أدى الى المبادرة التي قام بها نيكسون بعد اتصالات واعدادات مضمينة وتحقيق لسد من « المصالحة الأمريكية السوفيتية » التي توازنهز وتقابلها بمصالحة جزئية أمريكية صينية ، واستعادة واشنطن لبعض ما فقدته من القدرة على الحركة داخليا وخارجيا أثناء تورطها المتصاعد

الازمة الكوبية حين قام نظام شيوعي موال للاتحاد السوفيتي على بعد تسعين ميلا من لشاطيء الأمريكي في فلوريدا ، وهو ما اعتبرته الولايات المتحدة خرقا خطيرا لأحدى الركائز الأساسية في السياسة الأمريكية (مبدأ مونرو) ومع ذلك فقد ثبت أن الولايات المتحدة لا تستطيع استخدام قوتها النووية ضد كوبا رغم خطورة التحدي ، وفي نفس الوقت قبل الاتحاد السوفيتي أن يصحب صواريخه تحت الضغط الأمريكي .

ثالثاً : وقد أتاحت هذه الفترة أكبر قدر من الحرية لدول العالم الثالث للمناورة بين القطبين الكبيرين ومحارسة الضغط ، فكتلتا أمريكا تحاول أن تحيط الاتحاد السوفيتي بسياس محكم من القواعد والاحكام ، وكان الاتحاد السوفيتي يحاول أن يفلز من هذا السباج بتحالفه مع قوى التمير الوطني ، وبرزت في هذه المنافسة العناصر الآتية :

- ١ - سياسة توريد السلاح .
 - ب - سياسة الموحنة الاقتصادية والفنية .
 - ج - الثورات والحروب الشعبية والنشاط المضاد للثورة .
- ثم انتقل العمل الى الفترة الانتقالية التي بشرت بمعد الوفاق ومهدت له ، وتميزت بما يلي :
- أولاً : تفكك العلاقة الثنائية بين قيادة كل معسكر وتوابعه ، مع استمرار علاقة المتصانين وخاصة في المسائل العسكرية ، وقرب هذا التفكك أساسا في الظواهر الآتية :

١ - ظهور أوروبا الغربية والسوق الأوروبية المشتركة ، كقوة يصحب حسابها اقتصاديا وسياسيا .

ب - الدور المستقل لفرنسا ودخولها النادي النووي مستقلة تماما عن أمريكا .

ج - ظهور اليابان كطاقة انتاجية فرضت نفسها على الخريطة الدولية الاقتصادية .



بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، خاصة في المدى المتوسط والطويل ، كما أنه من الصعب أن نلتصور أن يتخلى الاتحاد السوفيتي عن منافسته لحرركات التحرير الوطني ، والإفقد هيئته في العالم .

أسئلة للصوار

وإذا كانت تلك هي المتغيرات السياسية الهامة التي طرأت على المجتمع الدولي فيماذا عسى أن يكون تأثيرها على مسار الصل الوطني وقضية تصفية العدوان ؟ وما هي الأسئلة التي يطرحها هذا الوضع والتي تقتضي منا نظرة أعمق ومتابعة مستمرة حتى تكون رؤيتنا واضحة فسي كل المراحل .

ان أهم الأسئلة التي يمكن أن يدور حولها الحوار هي :

١ - إذا كان الاتحاد السوفيتي قد وصل إلى صياغة محددة للدور العالمي الذي ينوي القيام به ، فما هي الصيغ التي نستطيع بها أن نتوقع درجات من الدعم السوفيتي تتقابل مع رؤيتنا العامة ، وكيف نستطيع العمل على تصعيد درجات الدعم ؟

٢ - إلى أي مدى يمكن أن يكون دور الأمم المتحدة مؤثرا ، مع ما تبين من عجزها عن تنفيذ قراراتها ؟

٣ - إلى أي مدى يمكننا الاستفادة من القوة المتزايدة لأوروبا واتجاهاتها السياسية المستقلة عن الولايات المتحدة ؟

٤ - ما هي النتائج الواقعية التي يمكن أن يحققها الاتجاه العام لدول عدم الانحياز وكيف يمكن أن نفيد من دورها في ظل الوفاق ؟

٥ - كيف يمكن أن نجعل الدور العربي مؤثرا ونفسا ؟ وفي ذلك كيف يمكن الاستفادة من الثروات البترولية العربية ومن تراكم رؤوس الأموال العربية ، كمصدر قوة من عناصر صراعنا مع إسرائيل ؟ وما هي حجم الأضافة التي تحققها الوحدة بين مصر وليبيا لمناصر القوة اللازمة ؟

٦ - إلى أي مدى تؤدي سياسة الوفاق إلى وجوب الاعتماد على قدرتنا الذاتية لحوض معركة التحرير ؟ وما هي حدود هذه القوة الذاتية وعلاقتها بالقوى العربية والدولية ؟ وكيف يمكن بذلك أن نفرض إرادتنا على هذه المتغيرات السياسية في المجتمع الدولي ؟

في حرب فيتنام وتوصلها إلى اتفاق مرحلي يتيح لها الانسحاب التدريجي وغير المفصوح من فيتنام ، وإزكاء المخاوف الصينية السوفيتية بطريقة محسوبة كوسيلة لضبط العلاقات الجديدة في الشرق الأقصى .

وترتب على هذا أيضا ، قيام كل من القطبين بإعادة نسج علاقاته الدولية على أساس حسابات جديدة وارتباطات جديدة ، مع الاستمرار في الارتباط باطار أيدولوجي ودرجات متساوية ، ويمكن أن يقال أن حدود هذا الوفاق تلخص فيما يلي :

أولا : اتفاق القطبين على تجنب الصدام النووي المباشر بينهما .

ثانيا : استمرار القطبين في سياسة الوصول إلى مجالات متزايدة - بقدر منضبط ومحكوم - من التعامل المتبادل ، مع تجميد مجالات الخلاف ، دون إفلاتها أو على الأقل الحد من درجة هذا الخلاف .

ثالثا : الوصول إلى ارتباطات جديدة وتنسيق جديد لعلاقات القوى بينهما ، وهي عملية ديناميكية متغيرة وهي غاية الدقة ، ونحن نعيش في أولى مراحلها ، ومن ملامحها الهامة أنها تحتوي على صراع غير مباشر بين القطبين ، أو بينها وبين الاقطاب الجديدة وبعض دول العالم الثالث .

ويهدف هذا الصراع إلى أن يحافظ كل طرف على مراكز قوته النسبية أو تحسينها بإحراز تقدم معين فيها قد يتحقق على حساب علاقة هذه الدولة أو الدول بالقطب الآخر .

وأبما : أنه من الترسع أن يقال بأن هذا الوفاق سيكون حتما على حساب دول العالم الثالث . فمن ناحية ، يتعزز على القوى - مهما كانت سطوتها - أن تنصرف في العالم على النحو الذي كانت تفعله القوى الأوروبية في مطلع هذا القرن (اتفاقية ١٩٠٤ بين فرنسا وبريطانيا مثلا) وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها ظهور لاعبين عريدين على الساحة الدولية وإصرار دول العالم الثالث على ألا يتقرر مصيرها في غيبتها ، ومن ناحية أخرى فليس من صالح القطبين ، وبخاصة الاتحاد السوفيتي أن يتخلى عن الدول التي تتطلع إليه كسباج ضد سيطرة الامبريالية الأمريكية وقوة يمكن الاستفادة بها للمضي في التحول الاشتراكي ، فلاحظك أنه مهما كان شأن المصالح الأمريكية السوفيتية المشتركة ، فإن توسيع وتعميق التحول الاشتراكي فسي مجتمعات مختلفة يعتبر من عناصر الأمن الأساسية

حوار مع ورقة المسوار

أبو سيف يوسف

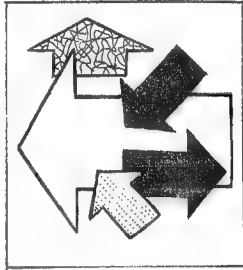
طرحت ورقة الحوار عدداً غير قليل من القضايا طرحها بمبدأ عن الوقائع العلمية والتاريخية والسياسية التي لا خلاف حولها . وهذا الأمر لا يصح التجاوز عنه ، طالما أن ورقة الحوار قد تم تقديمها إلى الرأي العام في بلادنا والبلاد العربية باسم الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي واللجنة الدائمة لمجلس الشعب . وطالما أن الهدف المعلن من الحوار . هو وضع استراتيجية تحكم مسار العمل الوطني إلى سنوات عديدة قادمة .

وفيما يلي بعض الأمثلة :

١ - ما ذكرته ورقة الحوار عن التاريخ الذي وقعت فيه المتغيرات ، حين أشارت إلى أنها « متغيرات سياسية واقتصادية وتكنولوجية واجتماعية وسلوكية هامة تمثلت بصفة أساسية في ظهور قوى اقتصادية وسياسية صاعدة جديدة ... » وفي الاتجاه نحو التكتل والاندماج السياسي والاقتصادي ثم في سياسة الوفاق العالي .

إن ورقة الحوار تشير إلى أن هذه الأحداث التي ظهرت على مسرح السياسة العالمية قد وقعت « منذ أن صاغ شمعينا العظيم فلسفته وحدد أبعاد سياسته في ميثاق العمل الوطني » ثم ما تلا ذلك ، من التحول الاشتراكي ، وتطبيق الاتجاه نحو الوحدة السورية ، ثم هزيمة ٥ يونيو ، ثم حركة التصحيح وقيام دولة المؤسسات . الخ .

والواقعة التي تحتاج إلى تصحيح - هنا - هي أن المتغيرات التكنولوجية التي بدأت تفعل فعلها داخل البلدان المتطورة صناعياً ، وعلى مسرح السياسة الدولية ، إنما ترجع إلى الخمسينيات من



في هذه الدراسة اهتم أبو سيف يوسف بعدد من القضايا الهجينة في محاولة للتوصل إلى تحديد دقيق ، وطرح أوضح ، لعلى « المتغيرات » ولغسبون الثورة العلمية والتكنولوجية كمنساعة اجناعية تخلف انمساكها باضلاى النظام الاجناعى فى البلدان الاشتراكية والراسمالية .

ثم دعا الكاتب إلى ضرورة تحديد أدق للنقاط الأربع التالية :

- ١ - ملول الوفاق وأبعاده .
 - ٢ - الموقف من الاتحاد السوفيتى .
 - ٣ - الموقف من رأس المال الاجنبى .
 - ٤ - قضية القطاع الخاص .
- واختتم دراسته بالتاكيد على الوحدة الوطنية حول برنامج سياسى اقتصادى يحكمه شعار تحرير الأرض .

وليس هذا من قبيل الحنلفة كما قد يتبادر الى الذهن - وذلك لسببين :

الاول : صحيح ان العلم شيء ، والتكنولوجيا شيء آخر - لكن الجديد في عالم اليوم هو ان علاقة المراجع والاعتماد المتبادل بين الاثنين ، قد انتقلت لأول مرة في تاريخ الإنسانية - الى وضع نوعي جديد لم يكن موجوداً من قبل - ذلك ان جميع بنجزات التكنولوجيا المصرية انما تؤمس اليوم - هي اكتشافات اساسية وفورية في مجال العلم الطبيعي - وفي الوقت نفسه - فان دائرة الموضوعات العلمية التي تجد تطبيقاً تكنولوجيا لها ، لا تتسع باستمرار فحسب ، بل ان الزمن اللازم لتطبيقها - وهذا هام جداً - يقل ايضا بكيفية مستمرة (مثال عن التباطؤ الشاسع بين الكشف العلمي وبين تطبيقه : التصوير الضمسي - فقد احتاج التصوير الضمسي الى ١١٢ سنة قبل ان يطبق تكنولوجيا ، في حين ان اكتشاف الفوتون انشوتون احتاج الى ٥ سنوات فقط ليدخل حيز التطبيق .

والسبب الثاني : هو ان الحديث عن « ثورة للتكنولوجيا » فقط لا يساعدنا على فهم ابعاد الثورة الصناعية الجديدة التي تقبل الان ابواب البشرية بقبضات هائلة - وهذه القضية قد شرحها بعض المهتمين بدراسة آثار ثورة العلم والتكنولوجيا وقدموا لها الصياغة التالية *

تطور العلم / تطور التكنولوجيا / تطور الإنتاج
عوامل الزمن \ عوامل الزمن \ عوامل الزمن

اي ان تطور العلم يؤدي على المدى الى تطور التكنولوجيا ، وان كليهما يؤديان الى تطور الإنتاج *

غير ان تطور الإنتاج يعود اليوم ليعتد حيلة اخرى تكمل الدائرة على الوجه التالي :

تطور الإنتاج / تطور التكنولوجيا / تطور العلم
عوامل الزمن \ عوامل الزمن \ عوامل الزمن

اي انه ما ان تبدأ الثورة الصناعية حتى تتولى هي بدورها دفع التكنولوجيا والعلم دفعات اخرى هائلة الى الامام - فالى تغييرات اسطورية تنتظر علم اليوم *

هذا الفرز واذا ما اتفقنا على انه لا توجد ثورة « للتكنولوجيا » وحدها (وانما هناك ظاهرة اجتماعية مركبة واحدة هي « ثورة العلم والتكنولوجيا ») كما سنوضح فيما بعد) ، فان جذور هذه الثورة تمتد ايضا الى منتصف الاربعينات اى قبل صدور ميثاق العمل الوطنى وما تلاه ٠٠ الخ وكان ذلك نتيجة :

١ - تهجير نواة الذرة ، فقد أصبح فى مقدور الإنسان اما ان يحو الحياة فى ثوان من قارات باكملها ؛ واما ان يتسلح بقدرات غير محدودة فى توفير موارد غير محدودة وجديدة للطاقة وفى تطوير الإنتاج *

ب - ظهور علم المبرناتيقا فى ١٩٤٣ (وهو علم دراسة العمليات العامة للعمليات التى تجرى داخل الكائنات الحية وجسم الانسان والاجهزة والتكنولوجيا ، بها يسمح بالتحكم فى هذه العمليات وتوجيهها) *

ج - ساعد ظهور المبرناتيقا على صنع الحاسبات الالكترونية التى تحل محل وتنطق على ما لا نهاية على بعض اشكال العمل الضمسي لدى الإنسان *

وقد نالت تطبيقات هذا العلم بدون انقطاع - ومن ذلك : الارثوماتيكية وهى التحكم الكامل فى قيادة عمليات انتاجية فى مصانع صناعية معقدة وضخمة بعيداً عن تدخل اليد العاملة *

- المتغيرات الهائلة فى مجال المواصلات والاتصالات اللاسلكية ، ودخول عصر الفضاء *

هذا عن « المتغيرات التكنولوجية »

اما عن المتغيرات السياسية والاقتصادية التى ترتب عليها قيام قوى وتكتلات عالمية جديدة ، فاذاً كان المقصود بها اكبر حدثين وقعا بعد الحرب العالمية الثانية وهما : ظهور النظام الضمسي للاشتراكية ، والذهوض الجبار لحركة التصرد الوطنى العالمية ، فان هاتين العمليتين التاريخيتين ترجعان ايضا الى منتصف الاربعينات اى قبل صدور ميثاق العمل الوطنى ٠٠ الخ *

٢ - القضية الثانية التى تحتاج الى تصحيح هي انه تتردد فى ورقة الحوار - اكثر من مرة - عبارة « ثورة التكنولوجيا » والواقع انه لا يوجد شيء اسمه « ثورة التكنولوجيا » فقط لان العملية الثورية الجارية الان فى العالم ببطلها كل واحد متكامل يصرف يساهم « الثورة العلمية والتكنولوجية » اى ثورة العلم وثورة التكنولوجيا فى آن واحد *

٤ - والواقعة الراهية التي تحتاج الى تصحيح هي أن ورقة الحوار تقول أنه ترتب على المتغيرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية :

« تزايد الهجرة الدولية وبصفة خاصة حركة المتول من البلاد الأخذة في التبو الى البلاد المتقدمة » .

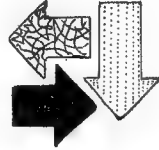
والصحيح هنا أن هجرة العقول إنما تتم في اتجاه واحد وهو الى البلدان الرأسمالية المتقدمة ، ولا تتم الى البلدان الاشتراكية ، مع أنها هي أيضا بلدان متقدمة صناعيا . وامتازا بتصحيح هذه الواقعة راجع الى أن هجرة العقول تشكل احد الجوانب السلبية لثورة العلمية والتكنولوجية في البلاد الرأسمالية المتطورة صناعيا . وهي ناتجة من عدم قدرة النظام الرأسمالي (في بلد كأمريكا) على فتح أبواب التعليم العالي والجامعي لأبناء العمال والفلاحين والموظفين . ويترتب على هذا نقص في اعداد المؤهلين من أبناء البلاد ، في حين تشتد حاجة مراكز البحوث والمجمعات الصناعية الى اعداد متزايدة من العاملين المؤهلين . تأهلا عاليا . وهذا كله قد أدى الى الظاهرة التي نعرف باسم « مرققة العقول » وهي أسلوب جديد في النهب الاستعماري ، يترتب عليه بانهوورة استنزاف مضاعف لوارد البلدان النامية .

٥ - فنكر « ورقة الحوار » أن العملاقة ، وقد امتنعت بينهم الحرب المباشرة ، نتيجة للتوازن النووي ، يحلون مشاكل السلام على حساب الهم الصغيرة بأشغال الحروب الإقليمية الصغيرة .

وهذه القضية تحتاج الى تصحيح . فعلى الرغم من أننا لا نعرف بالتحديد كم هو « عدد الدول المعنية بكلمة « الصالحة » ، وعلى الرغم من أن مثل هذه التعميمات لا تستخدم عند وضع استراتيجيات للعمل الوطني . فإنه إذا كان المقصود بإسماقة هو الدول الكبرى فإن هذه الدول من نوعين :

- الدول الاشتراكية .
- الدول الامبريالية .

ولا يذكر تاريخ البشرية القريب (على الأقل خلال خمسة وعشرين عاما الماضية أن الدول الاشتراكية - ووجه خاص - الاتحاد السوفيتي قد أشعلت نيران الحروب الإقليمية بين الدول الصغيرة . لأنه إذا حصرنا الحروب « الصغيرة » التي وقعت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فسوف نجد أيضا أنها من نوعين :



٣ - والواقعة الثالثة التي تحتاج الى تصحيح هي القول بأن بعض الدول الاشتراكية صحت الى تعديل قوانينها ، بما يسمح للاستثمارات الأجنبية بالمساهمة في النشاط الاقتصادي الوطني . وهذه العبارة على إطلاقها تعوزها الدقة الى حد كبير .

١ - لهنذا وقت مكر ، وبعد قيام الاتحاد السوفيتي مباشرة ، دعا لينين الرأسماليين الانجليز والأمريكيين الى أن يقدموا رؤوس أموالهم لاستثمارها في الاتحاد السوفيتي . غير أن الموقف العام للدول الامبريالية - كان باستثناءات قليلة - هو المقاطعة وقرض الجصار السياسي والاقتصادي والدبلوماسي .

ب - غير أن هذا الاستثمار لم يأخذ في البلدان الاشتراكية شكل مؤسسات أو شركات يمتلكها الأجانب ، أو شركات مختلطة يمتلكها رأسماليون اجانب ووطنيون ، بل كان الطرف المتعاقد مع المؤسسات الأجنبية - ولا يزال - هو الدولة الاشتراكية أو مؤسساتها المملوكة لقطاع الدولة .

ج - نطل ملكية الدولة في البلدان الاشتراكية لوسائل الإنتاج الرئيسية ملكا للدولة ومن الممال أن يصدر قانون يغير هذا الوضع ألا يحدث ردة اجتماعية .

د - تظل قوانين العمل والنسبمبات الاجتماعية .. الخ كما هي حتى مع قول رأس المال الاجنبي ، ولا يمكن تغييرها لمصلحة الاستثمارات الأجنبية - أيضا - إلا بحدوث ردة اجتماعية .

هـ - تخضع رؤوس الأموال الأجنبية لتخطيط التخطيط القومي الشامل ، بحيث توجه - لا الى المجالات التي يختارها المستثمرون الأجانب بفردهم - بل الى المجالات التي تحددنا خطة القومية أو تسمح بالاستثمار فيها .

— في المجال الاقتصادي : تصدير رأس مال الاحتكارات الجارية لا لبناء اقتصادها القوي المستقل ، ولكن لجعلها سوقا لبضائع الاستهلاك ترتبط بالسوق الرأسمالية العالمية وتصبح جزءا منها . وفي هذا تقوم الاحتكارات الامريكية باستنزاف المواد الاولية الاستراتيجية (نحاس — يورانيوم ... الخ) ومصادر الطاقة (بترول) من كثير من البلدان النامية .

— في المجال السياسي : العمل ضد نظم الحكم الوطنية والتقدمية ، وتنظيم أعمال التخريب الاقتصادي والايديولوجي بهندف أساطها ، والتعاون في نفس الوقت — مع بقايا الطبقات الرجعية : الاقطاعية والقيادات القبلية المختلفة او الرأسمالية الطفيلية (الكمبرادورية) ومساعدتها على فرض دكتاتوريتها على الشعوب (فريوزا ، الفابين ... الخ) . ثم تسليح النظم الرجعية ضد شعوبها وضد الشعوب المجاورة ، وربطها بمعاهدات وحلف عسكرية عدوانية ، وإقامة القواعد العسكرية فيها .

فإذا كانت الولايات المتحدة قد غيرت علاقاتها ببلدان العالم الثالث تحت تأثير سياسة « الوفاق » فيحق لنا أن نسأل :

١ — متى بدأ هذا التغيير ؟ (ولو بالتقريب مع العلم بأنه لا توجد واقعة تؤيد) .

٢ — وهل يسير هذا التغيير في اتجاه مماكس لما تقدم ذكره ؟

وذلك بما يعني أن الولايات المتحدة لم تعد دولة امبريالية . (وليس هناك واقعة تؤيد ذلك) .

٣ — وإذا لم يكن الامر كذلك ، فهل التغيير في اتجاه تصعيد انشطتها العدوانية ضد بلدان العالم الثالث ، أو مضاعفة الاعتماد على وسائل الامتصاص الجديد ؟ فإذا كان الامر كذلك فلنساأل أياها ظاهرة جديدة تسمح بالحديث عن تغيير في العلاقة بين أمريكا وبلدان العالم الثالث وإنما هو استمرار لنفس السياسة الامريكية الامبريالية ، وذلك على الرغم من أن هذه السياسة قد تضاعف عملها في البلدان النامية لتحمل هذه البلدان أوزار أنتمها الاقتصادية .

هذا عن موقف الولايات المتحدة الامريكية .

لها فيما يتعلق بما شكر عن أن سياسة « الوفاق » غيرت من موقف الاتحاد السوفيتي

— هروب التحرر الوطني وقد خاضتها الشعوب مضطرة لتطمع تهبضة النظم الاستعمارية .

— هروب اشعلتها القوى الامبريالية لتميد الى مناطق نفوذها هذا البلد أو ذلك من البلدان الصغيرة .

وان أي مقابلة للسياسة الامريكية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تبين أن « نظرية الحروب المحدودة » ونظرية « الاسويين ضد الاسويين » ونظرية « فنية الحرب » كلها اختراعات وتطبيقات امريكية صرفة . أما الحروب التي تنتمي الى النوع الكولونيالي (الامتعماري) القديم مثل حرب الابادة التي تشنها البرتغال في موزمبيق ، فإن هذه الحروب انما تستمر فقط بدعم من حلف شمال الاطلنطي وبأيدي مباحث من بعض دول الغرب الاوربية مثل فرنسا .

استنتاج لا تؤيدها أدلة

أو شواهد مفسوسة

اشتملت ورقة الحوار على عدد كبير من الاستنتاجات التي لا تسندها الشواهد المادية أو الدراسة المتأنية .

١ — من ذلك ما جاء بالنص في الورقة :

كان طبعيا ، مع كل هذه المتغيرات السريعة والمتلاحقة ، وعلى رأسها سياسة الوفاق العالمي ، أن تتغير الأوضاع الاقتصادية والسياسية المالية تغييرا بعيدا ، وأن تتغير أيضا علاقة كل من الاتحاد السوفيتي وأمريكا بالبلاد الاخرى ، وخاصة ببلاد العالم الثالث . ولم يكن من المتصور أن تنجو منطقة الشرق الاوسط من هذا التأثير .

أن هذه الفقرة تقر أن سياسة « الوفاق » قد غيرت علاقة أمريكا والاتحاد السوفيتي ببلدان العالم الثالث ، فما هي الوقائع التي تسند هذا الاستنتاج ؟ لم تتضمن ورقة الحوار واقعة واحدة لها وزنها .

ذلك أيضا نعلم أن الولايات المتحدة الامريكية ، وهي زعيمة مسكر للحوال الامبريالية تقيم علاقاتها مع البلدان النامية على الامس التالية :

المؤتمرات الحزبية منذ ثورة أكتوبر حتى المؤتمر الرابع والمشرين ، وهي اعتبار حركة القنصر الوطني جزءا عضويا ومكملا لحركة الثورة العالمية ، هذه الحركة التي تضم روافد الثورات الاشتراكية والوطنية والكفاح الثوري للطبقة العاملة وللجماهير الكادسة ضد سلطة الاحتكارات .

فإذا صح هذا - وهو ما لم يتم عليه دليل مادي - فإن معنى ذلك أيضا أن الاتحاد السوفييتي - ولأول مرة في تاريخه - يغير مبدأ ثابتا من مبادئ سياسته الخارجية وهو رفض كل أشكال الدبلوماسية المبرية . وبالطبع فإن أي اتفاق سري يتضمن «تقسما جديدا» لمنطق النفوذ . ولكن لما كانت الورقة لم تقدم دليلا واحدا على ذلك ، ولم تضح الطريق أمام شعبنا والشعوب العربية ليعرف أين يذهب الشرق الأوسط في التقسيم الجديد ، ولين يمكن أن تذهب أمريكا اللاتينية والبلدان الأفريقية ... فإن عدم إقدام ورقة الحوار على هذا التوضيح ، يعطينا الحق لتحفظ على استنتاجاتها ، مستثنين في هذا إلى تصريحات مباشرة وحاسمة من خطاب قيادتنا السياسية .

ففي خطاب ٢٣ يوليو ١٩٧٣ ، حدد الرئيس السادات ، بضم ووضوح يتفقان مع المسئولية الخطيرة التي يقبلها في قيادة البلاد في اسمعيب المواقف ، أن مصر إنما تتحرك إلى تحرير الأرض على ثلاثة محاور :

- ١ - القوة الذاتية المصرية .
- ٢ - الإمكانيات العربية .
- ٣ - الدعم السوفييتي .

هنا يتبين إلى أي مدى تتناقض ورقة الحوار مع تصريحات القيادة السياسية لأنه لو كان الأمر أمرا اتفاق بين «الملاطين» على إيدان العالم الثالث ، لما كان هناك مجال ، لا للكلام عن الدعم السوفييتي ، ولا كان هناك أيضا مبرر لأن تتحدث ورقة الحوار نفسها - عن أهمية الحرس على صداقة الإصديق وخاصة الاتحاد السوفييتي .

٣ - لم يظهر دليل مادي - لا قبل «الوفاق» ولا بعده - على أن الاتحاد السوفييتي قد غير موقفه من البلدان العربية . ويضيق بنا المجال ، لو عدنا ، «وقائع»

ففي مصر ، ثم بعد العدوان استكمال السد العالي . وبدأ مشروع كهربية الريف وينظر أن يتم

بالبلدان النامية . فنحن نعلم أن هذه العلاقة كانت - على الأقل - إلى ما قبل لقاء بريجنيف - نيكسون علاقة تحالف وتعاون على أساس احترام الاستقلال والمنفعة المتبادلة . وأن الاتحاد السوفييتي قام بالمساعدة على انشاء ٢٥٠ مشروع صناعي واقتصادي في البلدان النامية ، وقدم لكثير منها مساعدات سياسية وعسكرية ضخمة . وفي الوقت ذاته فإن هذه البلدان ساعدت الاتحاد السوفييتي مساعدات قيمة في صراعه ضد محاولات التطويق الإمبريالية (نذكر هنا على سبيل المثال الأثر الجبار لثورة يوليو في محاربه وضع وتصفية الأحلاف الغربية والقواعد العسكرية في الشرق الأوسط ، وهي المنطة التي تعتبر بطن - أو مسلاصة لبطن الاتحاد السوفييتي) .

فإذا كانت سياسة «الوفاق» قد أحدثت تغييرا في علاقة السوفييت ببلدان العالم الثالث فيحق لنا أن نسأل :

١ - هل العلاقة نحو الأفضل ؟ وفي هذه الحالة فنحن نسأل أمام تغيير في العلاقة بل تطوير ودعم لها .

٢ - أم هل العلاقة بعد «الوفاق» نحو الأسوأ ؟ وفي هذه الحالة فإن المرء قد يتصور أن الدولتين الكبيرتين قد رسما سياسة موحدة ضد البلدان النامية . ويبدو أن هذا ما أرادت أن تقولوه ورقة الحوار عندما أشارت إلى «أننا نرفض أن تتم سياسة الوفاق على حسابنا» ثم أضافت في مكان آخر إلى أنه لا بد من اتخاذ موقف موحد مع دول عدم الانحياز «لتصبح موقفا لمواجهة الوفاق بين الملاطين» ، وحتى لا يتم هذا الوفاق على حساب دول عدم الانحياز ، وعلى حساب الدول الصغيرة والأمم المتحدة . لكن هنا - نفتقد - مرة أخرى أية واقعة مادية لها وزنها على قيام مثل هذا «التوافق» بين الدولتين الكبيرتين ضد البلدان النامية .

والحقيقة أن ورقة الحوار تريد أن تقول :

١ - أن الاتحاد السوفييتي قد استدار تحت تأثير «الوفاق» ١٨٠ درجة في سياسته الخارجية ، وانتقل من التعاون مع البلدان النامية والوقوف معها في الجبهة المادية للإمبريالية إلى التواطؤ .

٢ - وأنه وفقا لذلك ، يكون الاتحاد السوفييتي قد تخلى عن استراتيجيته التي قررتتها كل

وهذا الاستنتاج - أيضا - لا تسنده وقائع صحيحة .

أولا : ان أمريكا - قبل سياسة الولايق ويعده - لم تكن تنقصها الجرة فى تدعيم اسرائيل وبمدا بكافة انواع المعونة السياسية والعسكرية والاقتصادية .

ثانيا : ان الدعم المسمى المتزايد من أمريكا لاسرائيل لا يرجع الى « الولايق » بقدر ما يرجع الى :

١ - ادراك الولايات المتحدة الأمريكية - بعد هزائنها الدولية فى آسيا ، انها انما تصارب أعد معاركها الكبرى والاخرة فى منطقة الشرق الأوسط .

ب - نجاح اسرائيل فى اقناع حكام أمريكا بان الجيش الاسرائيلى هو أقل تكلفة بها لا يقاس من التدخل المسمى الأمريكى المباشر (فيما لو اضطرت اليه الولايات المتحدة) .

ج - التلبية المتزايدة للاقتصاد الاسرائيلى ، وتحوله بالتدريج الى شبه فرع من فروع الاقتصاد الأمريكى ، يرتب على أمريكا التزامات نحو اسرائيل بدعم أكبر .

د - ما أشارت اليه ورقة الحوار - بحق - من المحاولات التى تبذلها أمريكا للسيطرة على منطقة الخليج . وربما يتضح الامر - أكثر - لو لم تحذف من ورقة الحوار عبارة جاءت من قبل فى تقرير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى (بتاريخ ٣ - ٨ - ١٩٧٢) هذه العبارة تقول :

« ان حلم الولايات المتحدة السيطرة على منابع البترول العربى قد فُضح لان تخطيط للاضلاع العالم العربى لها عن طريق تطويق عسكريا شرقا وغربا . »

ان هذا الموضوع يستحق وقفة ، فاذ صبح ان أمريكا قد أصبحت أكثر جرة فى دعم اسرائيل (بعد الولايق) ففى قد أصبحت أكثر جرة - أيضا - فى دعم دول أخرى ، تشهد على ذلك صفقات السلاح الاخيرة لدول منطقة الخليج ، وهى صفقات يقدرها الكتاب والمعلقون بأنها تفوق كل ما تملكه اسرائيل ودول المواجهة مجتمعة . يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة بعثت الى الحياة مرة أخرى - حلف المعاهدة المركزية - بعد أن كان قد تجدد من الناحية العملية .

الان بناء السد العالمى الثانى « وهو مجمع الحديد والصلب » وفى نجع حمادى يجرى الان انشاء مجمع الالومنيوم . وبعد رحيل الخبراء السوفييت تم افتتاح الترسانة البحرية ٠٠٠ الخ . باختصار لم يظهر دليل على ان الاتحاد السوفييتى قد اخل بعد باتفاقيات الاقتصادية .

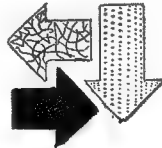
وعندما خاض العراق معركة تأميم « شركة نفط العراق » وهى اقوى احتكارات البترول فى العراق ، واشدها خطرا على استقلاله ، وذلك على امتداد تاريخه الحديث ، فان الاتحاد السوفييتى ساند العراق مساندة تامة . ولو انه عمل حساسيا « للولايق » لما فعل ، ولما اشترى البترول العراقى فى مقابل احتياجات العراق من الآلات والبضائع . أى ان الاتحاد السوفييتى ساعد العراق على تثبيت انتصاره الوطنى ضد احتكار أمريكى وانجليزى وفرنسى الخ .

وفى سوريا ، تم هذا العام انجاز أضخم المشروعات الاقتصادية فيها وهو سد الفرات وتم ذلك بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى .

هنا نختم الحديث فى هذه النقطة بقولنا : ان الاستنتاجات التى طرحتها ورقة الحوار والخاصة بتغيير لم تحدد الوجة اتجاهاته فى سياسة أمريكا والاتحاد السوفييتى نحو البلدان النامية ، لا يمكن الا أن توضع موضع التحفظ الشديد .

٢ - فستنق ورقة الحوار ما يلى :

« أدت سياسة الولايق العالمى بين المعلقين الى ان أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر جرة فى تدعيم اسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، وأكثر صراحة فى تنكرها لحقوق شعب فلسطين . »



٢- دراسات حول المتغيرات الدولية ■

أ - أن هذا الاستنتاج لا يضيف جديداً لأن أمريكا تنكرك على الدوام لحقوق عرب فلسطين ، قبل « الوفاق » وبعده وحتّى أن وضعت يدها على مصادر بتقول شبه الجزيرة العربية .

ب - وهو غير صحيح أيضاً ، لأن هذا المنكر - لم يزد بعد « الوفاق » ، بل دليل أن البيان المشترك بعد محادثات برجينيف - نيكسون قد أشار لأول مرة إلى حقوق عرب فلسطين . وهنا ، لعلنا نذكر - أيضاً - أن الاخ ياسر عرفات قد صرح أثناء وجوده في المنيا الديموقراطية أثناء المهرجان الصلي للشباب (أغسطس ١٩٧٢) .

« لقد تمنا تقريبا علينا ما يناله الوفيق بوجينيف مع الرئيس نيكسون ، من أجل تثبيت حقوق الشعب العربي الفلسطيني في البسان السوفيتي الأمريكي المشترك . ونحن نعتبر هذا خطوة كبيرة على طريق كفاحنا الطويل . »

٢ - تستنتج ورقة الحوار مما نكرته عن تأثير سياسة « الوفاق » على منطقة الشرق الاوسط ما يلي :

« ان اعتنادنا على القوى الخارجية ، مع حرصنا عليها ، قد أصبح في اطار الوفاق المالي أقل فاعلية واضيق نطاقا . »

وفي اعتقادنا ان مثل هذا الاستنتاج مشرع للغاية وليس هناك ما يبرره أو يدهو اليه .

أ - فمن ناحية ، يتناقض هذا الاستنتاج مع أهداف ووسائل الميامة الصحيحة التي تنفذها مصر ، وهي التوسع والتكثيف المستمر لدائرة العمل السياسي والدبلوماسي ، فهذه السياسة إنما تهدف إلى توسيع جبهة الحلفاء والقوى المؤيدة على الصعيد العالمي ، وإلى دعم العلاقات القائمة مع الاصدقاء ، وإلى تحييد أكثر ما يمكن من الخصوم ، وإلى عزل جبهة الأعداء .

ب - وإذا استبعدنا من مفهوم « القوى الخارجية » تلك الدول التي يمكن كسبها أو تحييدها ، فإن القوى الخارجية إما أن تكون معادية . فلا مكان أصلاً للحديث عن الاعتماد عليها ، وإما أن تكون صديقة وهنا نرى أن كلمة الاعتماد لا تحدد بدقة طبيعة العلاقة بين بلدنا وبين البلاد الصديقة ، وأنها تثير قدراً غير قليل من سوء الفهم واللبلة .

هـ - ولكن إذا ذكرنا أن امدادات السلاح الأمريكية قد زادت إلى كل من إسرائيل وإيران ودول الخليج فيجب أن نذكر أنه ليس الدافع هو سياسة « الوفاق » وإنما هذا يرجع إلى أن :

- صناعة السلاح هي أكثر الصناعات تطوراً في الولايات المتحدة الأمريكية ، وألها توجه أكثر من ٩٠ في المائة من الاعتمادات المخصصة للبحوث .

- صناعة السلاح هي أكثر الصناعات تحقيقاً للربح الاسطورية .

- الاحتكارات التي تصنع السلاح في أمريكا أصيبت بهلع شديد بسبب وقف الأعمال الحربية في فيتنام وتوقف وقفها نهائياً في بقية شبه جزيرة الهند الصينية .

- صناعة السلاح الأمريكية (التقليدية) تبحث عن أسواق جديدة .

من هنا تزداد ، وسوف تزداد - وبفترة غير قصيرة - شحنات السلاح الأمريكية - خصوصاً - إلى الدول التابعة والحكومات الميلة .

فالقضية تتصل ناساً بجمهور السياسة الأمريكية : وهو جوهر اميرالي وعدواني لم تغيره سياسة « الوفاق » ، ولا تستطیع أن تغيره .

وهذا ما يدفعنا إلى التحذير من المبالغة في الحديث عن المتغيرات . لأنه في مقابل متغيرات كثيرة تحدث ، هناك أيضاً « ثوابت » أساسية في عالم اليوم هي التي تحكم في هذه المتغيرات مملياً وإيجاباً : من هذه الثوابت :

● الامبريالية لا تغير طبيعتها وان أجبرت على تغيير أساليبها .

● النظام الاشتراكي العالمي لا يغير طبيعته طور سياساته .

● حركة التحرر الوطني ، لا تغير أهدافها في الاستقلال والتقدم الاجتماعي . وإن تعرضت لنكسات وهزائم مريرة مؤقتة .

ثم تأتي بعد ذلك الإشارة إلى ما جاء في الفقرة أشار إليها ، من أن سياسة « الوفاق » جعلت أمريكا « أكثر تنكراً لحقوق شعب فلسطين » فلاحظ :

من الشعب الأمريكي الى معارضة التدخل
المسكروى الأمريكى ، وهو الامر الذى حققوا فيه
نجاحات كبرى ، كانت من شروطه تحقيق النصر .

فليس هناك إذن تناقض فى الجمع بين أقصى
الاعتماد على الذات ، وبين أقصى « الاعتماد » على
القوى الصديقة ، والتي يمكن كسبها فيها وجهان
لمعملية نضالية واحدة .

وفى ختام هذه الفقرة نكرر باننا لا نتفق مع
الرأى الذى تذهب اليه « ورقة العمل » من أن
اعتمادنا على القوى الخارجية سيكون « أقل فاعلية
واضيق نطاقا » ونضيف الى ما سبق الاسباب
التالية :

١ - ان ورقة الحوار تدعو الى « الانفتاح » ولن
يكون للانفتاح فى عالم مليء بالمتغيرات سوى
توسيع نطاق التعاون المتبادل طالما أن شروط هذا
التعاون تتفق مع حماية الاستقلال السياسى
والاقتصادى .

ب - فى عالم دفعت فيه الثورة العلمية
والتكنولوجية وسائل المراسلة والاتصال نحو
الفورية (إذ يتم النقل والاتصال بسرعة تفوق
سرعة الصوت) وفى هذا العالم الذى ترفض فيه
نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية فرضا على
جميع الدول أن تدخل فى اتفاقات لحماية الحياة
الانسانية من تلوث البيئة - فضلا عن القضاء
بالتفجيرات النووية - فى مثل هذا العالم لا يمكن -
بداهة - أن تصبح علاقات بلادنا « بالقوى
الخارجية » أضيق نطاقا وأقل فاعلية ، والا فحين
نتحدث عن ثورة للملم والتكنولوجيا من ناحية ،
ونتصرف بكيفية تعارض منطق هذه الثورة
ومتطلباتها ، من ناحية أخرى .

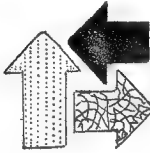
ج - وفى جميع الاحوال فإن مقدرتنا على
كسب المزيد من دعم القوى الخارجية يتوقف على
ذواتنا - على خاتمة المطاف - فهل نحن على
استعداد لان نعى كل المتغيرات الرئيسية ، بمعنى
أن نتقبلها وندرسها بالعمق ، وبالأجوبة
التي تسمح لنا بأن نمسك بزمام المبادرة فى أيدينا ،
فيما يتعلق بقضايانا المصرية ، أم سنظل وأنتين
فى ملية لتحرركنا. الاحداث كما تشاء - هذه هى
القضية ، وإن يكون الخطأ - أبدا هو خطأ القوى
الخارجية فى المحل الاول - ولكنه سيكون تقصيرنا
نحن - ونحن إذ خففت هذا القسم الثانى عن
الاستنتاجات الخاطئة فى ورقة الحوار ، فانه
يضيق بنا المجال لو تعرضنا لها بالتفصيل .»

ذلك ان الاصل فى الموقف الوطنى السليم لاي
'بلد من البلاد ، هو أنه « لا يعتمد » على بلد آخر ،
وانما يستفيد فى هذا المجال عبارات الصداقة ،
أو التعاون المتبادل ، أو التحالف ... الخ .

ومذ ان قامت ثورة يوليو ، واستخلصت
السيادة القومية ، لم يرد فى يوم من الايام ان
بلادنا تعتمد على قوى خارجية . لكنها كانت تعتمد
فى الأساس على ايقاظ قوى الشعب الوطنية
والتقدمية ، وعلى استعداد هذه القوى لدعم النظام
الوطنى فى معاركه ضد الامبريالية والاستعمار
الجديد والصهيونية ومن أجل التقدم الاجتماعى .
اما على الصعيد الدولى فكانت تفصل بوضوح بين
مبسرر الاصدقاء وبين مبسرر الخصماء ، وفى
داخل المبسرر الاول ، كانت تذهب فى تدعيم
علاقات الصداقة والتعاون مع هذه الدولة أو تلك
وفقا للمطالبات الواقع الوطنى ، ووفقا للمدى الذى
يمكن أن يذهب اليه الطرف الآخر فى الموقف فى
صنف نضالنا الوطنى ، واستجابته لاحتياجات
التمية المستقلة .

وهناك حقيقة علمية يقدر ماهى تاريخية فى
مسيرة ثورة يوليو وهى أنها كانت تكسب مزيدا من
دعم الاصدقاء والحلفاء ، بقدر ما كانت تنطلق من
مواقع « الاعتماد على الذات » فالاصح ان يقل -
والحال كذلك - ان سياسة الاعتماد على
الذات (التى تتجلى فى تقديمنا نحو مواقع افضل
فى نضالنا الوطنى والاجتماعى) هى (التى تجعل
الاستفادة من علاقاتنا الدولية أكثر فاعلية) وهى
التي تضاعف من تأثير الدعم الذى تقدمه الدول
الصديقة (وأن الإنذار السوفيهيتى الى دول
العنوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ما كان له أن يحدث
أثره ، وما كان من المحتمل أن يصدر ، لو لم تقرر
قيادة البلاد سلفا رفض الإنذار البريطانى الفرنسى
وتستعد للقتال فعلا) .

وانها لمسالة حيوية تقرر النصر أو الهزيمة فى
ممركتنا مع اسرائيل أن نضوع الاستراتيجية التى
تكسب لنا فى المجال الدولى أكثر مما كسبنا حتى
الآن - والمثل الذى قيمته فينتام فى هذا ، من
الامثلة الكلاسيكية - فبينما انطلقت قيادة الشعب
البريتانى من ميدان « الاعتماد على النفس » فى
مواجهة أقصى هجوم لاداة الحرب الأمريكية ، كان
ثوار فينتام يضمون كهيف استراتيجى ، لا يتخلون
عنه لحظة ، ليس فقط زياذة المساعدات التى
يتلقونها من الحلفاء والاصدقاء ، بل كسب الرأى
العام الأمريكى الى صفهم ، ودفع أقسام متزايدة



قضايا أساسية تحتاج إلى وضوح كامل

نترك الأخطاء التي تحتاج إلى تصحيح ، كما نترك الاستنتاجات التي لا تبررها شواهد ، والتي ندعو إلى المدول عنها عند إعادة كتابة الورقة ، لنواجه بعض القضايا الأساسية المطروحة في ورقة الحوار . وهي القضايا التي عولجت ، أما بكيفية ناتعة وأما بكيفية يلغها الغموض وسوف نركز على القضايا التالية :

١ - المتغيرات ما هي ؟ والوفاق وما دلالة وأبعاده ؟

- ٢ - الموقف من الاتحاد السوفييتي
- ٣ - الموقف من رأس المال الأجنبي
- ٤ - الموقف من القطاع الخاص

(١) عن المتغيرات : يكاد المرء أن يصعب بالحوار لو حاول أن يحصى عدد المتغيرات الكبيرة والصغيرة التي اشتملت عليها ورقة الحوار .

ما هو الاساسي منها وما هو الفرعي ، وما هي نهاية الامر - العوامل الكبرى التي تولدت عنها بعض هذه المتغيرات أو التي تتحكم في مسارها وتطورها وتناثر بها .

إن ورقة « الحوار » تقول ، إن « الوفاق » السوفييتي الأمريكي هو أحد هذه المتغيرات على الصعيد الدولي ، وهذا صحيح .

وتقول ورقة الحوار إن « ثورة التكنولوجيا » هي أحد المتغيرات الهامة . وهذا صحيح . لكن يبقى بعد ذلك أننا نجد أنفسنا أمام تصورين لموضوع المتغيرات :

١ - تصور يركز على قضية (الوفاق) باعتبارها المتغير الرئيسي الذي غير في لحظات صورة عالم اليوم ويبرزها كظاهرة « فريدة » ومقطوعة الصلة بالموامل التي ولدتها .

٢ - وتصور آخر ، يضع ظاهرة الوفاق في إطارها الصحيح من التطورات العالمية والدولية والاجتماعية .

التصور الاول خاطيء ، لانه لا يرى - في الواقع - ما يسمى « بالوفاق » الأمريكي السوفييتي إنما هو ثمرة لتطور بطيء ، ولتفاعل

عميق بين المتغيرات أو العوامل الثلاثة الكبرى في العالم وهي :

قيام النظام الاشتراكي العالمي الذي يشغل ٢٦ في المائة من مساحة الكرة الأرضية ويضم ٢٥ في المائة من سكان العالم ، وينتج ٢٩ في المائة من الانتاج الصناعي العالمي .

- إن أهمية هذه الظاهرة ترجع إلى أن « الحجر الصحي » الذي فرضته الدول الإمبريالية على الدولة الاشتراكية الوحيدة التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى ، هذا الحجر قد انهار إلى الأبد .

- وإلى أن مجبوعة من الدول الاشتراكية - قامت في مناطق وعلى أرض كانت تحكمها القوى الامبريالية .

- وإلى أن جميع المحاولات السافرة والمستترة التي بذلتها الرأسمالية العالمية لاحتواء وتصفية المجموعة الاشتراكية انتهت إلى اخفاق تام .

- وإلى أن الاتحاد السوفييتي استطاع ، في فترة زمنية محددة ، أن يضاعف وسائل نموه الاقتصادي وتقدمه العملي ، بحيث باتت مسألة اللحاق بالولايات المتحدة قضية سنوات قليلة تحدد الوثائق الحزبية السوفييتية أنها ستمت همام . ١٩٨٠ .

- وإلى أن البلدان الاشتراكية الفت مع بلدان حركة التحرر الوطني (البلدان النامية) الجبهة العالمية الواسعة المادية للإمبريالية والاستعمار وأنه في نطاق هذه الجبهة قامت - على أساس من المساواة - علاقات متبادلة بين البلدان الاشتراكية وبين بلدان العالم الثالث ، سياسية واقتصادية وثقافية من نوع جديد وتختلف في جوهرها عن

الأولى ثم تبلورت منذ أواخر الثلاثينات ، ثم تفجرت خلال الحرب الثانية . هذه القوة الجديدة أخذت على عاتقها أن تسيطر سيطرتها على العالم تمتد شعار أن القرن العشرين هو قرن السيادة الأمريكية على العالم .

ب - أن تقلص السوق الرأسمالية بسبب قيام معسكر البلدان الاشتراكية وانتصارات حركة التحرر الوطني قد ترتب عليه نشوء ظاهرتين خطيرتين لا يكفلان عن التأثير المتزايد في مجرى الأحداث الدولية :

١ - أما الظاهرة الأولى فهي اشتداد التناقضات والمنافسة على الأسواق الخارجية بين دول المعسكر الامبريالي والرأسمالي (أمريكا واليابان - أمريكا وغرب أوروبا - اليابان وغرب أوروبا) .

٢ - والظاهرة الثانية هي محاولة الدول الامبريالية التكيف مع حقائق عالم اليوم الجديدة بسبب عجزها عن إعادة فرض سيطرتها بالقوة المسلحة على البلدان الاشتراكية ، بما يسمح للدول الامبريالية أن تواصل ذنب البلدان المتخلفة اقتصاديا وإبقائها في فلك التبعية الفعلية .

ج - برزت خلال السنوات الأخيرة تنويع اقتصادية عملاقة أخذت تنمو بثبات في فترة ما بعد الحرب الثانية ، وهذه القوى العملاقة هي التي تعرف باسم الشركات المتعددة الجنسية . فلقد أصبحت هذه الشركات تحتل مواقع السيطرة في مختلف القطاعات الاقتصادية في العالم الرأسمالي ، بأكمله ، بما في ذلك قطاعي الخدمات العامة والمصرفية . وفي الوقت الراهن ، يقدر أن ما يزيد عن ٧٥ في المائة من رأسمال العالم الرأسمالي مملوك لما يقل عن ٣ في المائة من مجموع المشروعات الصناعية والتجارية . والمتوقع أن هذه الشركات متعددة الجنسية ستنتج عام ١٩٨٥ حوالي ٧٠ في المائة من الانتاج الرأسمالي العالمي ، أن هذه الشركات كما أوضح التقرير المقدم إلى « مؤتمر التنبؤات العالمي في سانتياغو (شيلي) في أبريل ١٩٧٣ تدعم الأنظمة المنصيرية ، وتستند الحكم المنصيري العسكري في إسرائيل ، كما أن مجموعة شركات البترول قد تحولت إلى قوة اقتصادية ومالية استعمارية . وهذه الشركات البترولية لا تكفي بالحصول على أرباح سنوية تتراوح بين ٤٠٥ مليارات دولار سنويا فقط ولكنها لا تكف عن التدخل العسكري المباشر في البلدان النامية . وهي قد وقفت بلا شك وراء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . والعدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ .

علاقات التبعية والاستغلال التي مارسها الدول الامبريالية - ولا تزال - نحو بلدان العالم الثالث .

٣ - وإلى أن معسكر البلدان الاشتراكية قد أصبح يمتلك - على أساس من الاقتصاد المخطط وعلى أساس من العلم والتكنولوجيا قوة عسكرية تحفظها أقوى الدول الامبريالية في حسابها عندما تنذر الامور بين المعسكرين باحتمال وقوع مواجهة ساخنة .

٤ - والعامل الرئيسي الثاني في تطور مجمل الأوضاع العالمية هو انهيار المرح الاستعماري الذي شادته الدول الصناعية الكبرى في القرن التاسع عشر . وقد حدث هذا الانهيار تحت تأثير ونمو حركة جبهة عالمية هي حركة التحرر الوطني الذي خلصت ١٦٠٠ مليون من البشر (نصف البشرية) من التبعية الاستعمارية .

وان أهمية هذا العامل ترجع :

١ - إلى أن عددا من البلدان النامية التي حصلت على استقلالها السياسي مخضت في طريق تحرير اقتصادها القوي من قبضة الاحتكارات الأجنبية . ومن علاقات التخلف القبلية أو شبه الاقطاعية . وما أدى اليه هذا من تطور النضال الوطني التحرري ليكون - موضوعا - رفضا ونضالا ضد الرأسمالية كاستولب للحياة والتنظيم المجتمع . من هنا ، ظهور الدول الوطنية التقدمية التي طرحت هدف إقامة المجتمع الاشتراكي .

ب - وإلى أن الدول النامية قد أخذ دورها يتباطأ في الحياة الدولية وأصبحت شريكة بالفعل في تقرير كثير من القضايا التي تمس استقلال وأمن ورخاء الشعوب ، والتي تؤثر في مستقبل الإنسانية . وبالتالي ازدياد تأثيرها داخل المنظمات الدولية المختلفة .

لكن انتصارات البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطني قد عجلت - بعد هزيمة ألمانيا واليابان - بتأكيد بعض المتغيرات في الساحة الدولية ذاتها ، فمن ذلك :

١ - أن الامبراطوريات القديمة قد تراجعت إلى الصف الثاني ، وتركت عيه الدفاع عن نظام الرأسمالية العالمي لدولة امبريالية كبرى ، على أعظم جانب من الديناميكية لما تملك من أسباب القوة الاقتصادية والصناعية والمالية والعسكرية ، وهي أسباب بدأت تتجمع منذ الحرب العالمية

المستخدمين * الامر الذي يقاوم من مشكلة البطالة (في عام ١٩٧٠ كان هناك مايزيد عن ٥ ملايين متعطّل في الولايات المتحدة) وهذا يقصر احتدام الصراعات الاجتماعية في بلدان الغرب الرأسمالي احتداما لم يسبق له مثيل (الاتساع الهائل لحركات الاضراب وتغلغلها في اوساط المهندسين والاطباء والمعلمين والفنيين والبستانيين المعلمين) - وبإضافة الملققة هذا هو ان الصراع لم يمدّ ضد الرأسمالي الفرد بل ضد سياسة الدولة الرأسمالية في الداخل والخارج *

- تركز الاحتكارات في البلدان الرأسمالية المتطورة على استخدام العلم والتكنولوجيا في سباق التسليح قبل اغراض المدنية * ففي الولايات المتحدة يوجه ٩٠ في المائة من الميزانية المخصصة للبحوث الى الاغراض العسكرية * ونسحود المصناعات الحربية على افضل المستويات من بين الباحثين والمهندسين ، بينما تعاني المصناعات المدنية من النقص في الموظفين العلميين والتكنيكيين *

- ولما كان تطبيق ثورة العلم والتكنولوجيا على الصناعة يؤدي في البلدان الرأسمالية الى وظائف أو فرص عمل اقل ، ولما كان - في الوقت نفسه - يقرب بين مستويات العمل الذهني والمضلي مما ترتب عليه نزول اعداد هائلة من الفنيين المهندسين مثلا « الى مستوى العمل المأجور » ، وعلى اساس عجز النظام الرأسمالي عن فتح ابواب التعليم العالي والجامعي لإنشاء العمال والفلاحين والموظفين (الطالب في جامعة امريكية يدفع مصروفات تصل الى ٤ آلاف دولار في العام) نقول على اساس ما تقدم كله ، تتفجر حركات التمرد بين الشباب الذي يجد نفسه امام تناقضات حادة - بين وفرة الانتاج وبين ارتفاع اثمان السلع بشكل مستمر - بين حاجة المجتمع الى مزيد من المتخرجين والمعلمين تعليما عاليا وبين الاساس الطبقي للتعليم ، بين تقدم اساليب الانتاج « بحرية » وبين عجز المؤسسات عن استيعاب الابدنى البائلة ، بين مظهر براقي للغاية من توافر مواد الاستهلاك الترفي وبين مظاهر الفقر والظلم الاجتماعي والحروب الاستعمارية ، بين الفري الرفيعة التي تصعد اليها المعرفة العلمية بقوانين الطبيعة ، وبين الفراغ الروحي أو الاخلاقي المفروض على الشباب *

ولذا صبح أن النظام الاشتراكي يستطيع أن يتغلب على الغالبية العظمى من السلبات التي تحدثنا عنها (قلا بطالة ولا حرمان من التعليم في جميع

د - نتيجة الصراع ضد الفاشية ، وللضعف العام الذي أصاب النظام الابريسي وتقلص جاذبية الرأسمالية كنظام واسلوب للحياة ، وتحت تأثير عدد من نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية في البلدان الرأسمالية المتطورة ، دعم اليسار الاجتماعي مواقفهم - بشكل خاص - في فرنسا واطساليا واليسبان « الاحزاب الشيوعية والاشتراكية » ، وكذلك اليسار المعروف باسم اليسار الجديد في الولايات المتحدة وبريطانيا *

وتد شكل التجمع اليساري في انتخابات فرنسا الاخيرة لهذا العام ، حين حصل على ١١ مليون صوت تقريبا ، تهيدا جديا لانصار ديغول وحلفائهم ، وسيطر الشيوعيون والاشتراكيون في ايطاليا على مجالس بلدية في كثير من المدن الهامة * وتعجز السلطة القائمة في فرنسا واطساليا عن اتخاذ اى اجراء عنيف ضد اليسار ، دون ان تخاطر بحرب أهلية لا تستطيع هي ان تتكهن بنتائجها داخليا ودوليا *

٣ - اما العامل الرئيسي الثالث الذي يحكم تغيرات عام اليوم فهو ثورة العلم والتكنولوجيا وهذه الظاهرة ليست شرا أو خيرا في ذاتها ، وليست اشتراكية أو رأسمالية ، وانما هي ظاهرة اجتماعية تكشف كل ابعادها وفقا لسلطان الاجتماعي الذي يحتويها والنظام السياسي والاقتصادي الذي يؤثر فيها ويتأثر بها *

وهذه الظاهرة تعمل عليها الان في مجموعتين من البلدان المتطورة صناعيا :

- البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية *

وهي تتخذ نتائج متعارضة تماما في كل نظام من النظامين ، وذلك رغم ما يبدو على السطح من ظواهر متشابهة (ادارة وعملات تنظيم الانتاج - وفرة الانتاج .. الخ) والامثلة على ذلك :

- في البلدان الرأسمالية المتطورة ، اندت ثورة التكنولوجيا الى زيادة حدة التفاوت في مستويات التطور بين هذه البلدان ذاتها * (بينما حققت اليابان معدلات عالية في التنمية ، ظل تلمسور بريطانيا بعد الحرب بطيئا تشويه قترات من الركود) *

- وفي البلدان الرأسمالية ، تتجه الاحتكارات الى تخفيض نفقات الانتاج وذلك بخفض الانفاق على قوة العمل ، ويتم ذلك اسماضا يضمن عدد

الحدة فما هي حدود التطوير الجذري الذي يجب أن يدخل على المآخذ حتى يستطيع المخرج من الجامعة أو المعهد أن يكون كقوا للمعمل في مركز للبحوث أو في هيئة للأدارة أو جميع صناعي *

— وأن تطور الإلتخونات قد طرح منذ مدة قضية الخصوصية بالنسبة للفرد وقضية حماية شخصه وحرية فكره ومعتقد من أجهزة التصنت والاستماع ... الخ *

— وأن نظام الإقمار الصناعية يطرح قضية كيف يمكن لبلد أن يحصى نفسه من خطر دعايات مضادة يحاول أن يفرضها بلد آخر يملك وسائل الإتصال الحديثة بالجمامير *

ومن هذا كله ، نصل الى نقطة هامة وهي أن العنصر والمفكرين في البلدان الاشتراكية وفي البلدان الرأسمالية أسطورة عاكفون على دراسات جادة وخاصة عن الثورة العلمية والتكنولوجية * ما هي قسماتها الرئيسية * ما هي جوانبها الاجتماعية والفلسفية والأخلاقية ، وما هي أفاق نموها وتطورها في كلا المعسكرين * وما هي آثارها على الثقافة والفنون وعلى تطور شخصيه الفرد نفسه *

وأذا كان لهذا كله من دلالة فهو أن الثورة العلمية والتكنولوجية لا تضيق نطاق الفكر والإيديولوجيا لحساب القديم التضيقي * بل على العكس انها تطرح اهمية الإيديولوجيا (التي تعرف بانها نظام من وجهات النظر والأفكار الفلسفية والدينية والأخلاقية والسياسية والقانونية والجمالية ... الخ) بكيفية وبإبعاد لم تطرح بها من قبل في تاريخ الإنسانية *

ومن ثم فإن ما تقوله ورقة الحوار من أن الاعتبارات الاقتصادية قد أخذت تتقدم على الاعتبارات الإيديولوجية ينبغي أن نحذر منه ، وينبغي أن يفند * ذلك أن الثورة العلمية والتكنولوجية لا تجري في فراغ بل في المجتمع الإنساني وتدخل الى أعماق الفرد *

ولأن المشكلات التي تطرحها هذه الثورة هي أعقد المشكلات الإنسانية وأكثرها حدة * ومن ثم لا بد وأن تتصدى لحلها عقول البشر * ونحن في مصر يجب أن نطوع التكنولوجيا للإيديولوجيا وأن نعمل على الدوام من شأن الإيديولوجيا * ولكن المهم أن تكون إيديولوجيا التحرر الوطني ، والاشتراكية العلمية ، والسلم ، والتقدم

المراحل ، ولا تصحح يبيع الاجور ... الخ) إلا أن الثورة العلمية والتكنولوجية تواجه أيضا مجتمعات البلدان الاشتراكية بقضايا كبرى يتعين حلها - فالإقتصاد السوفييتي مثلا قد طور صناعته ٢٥ مره حتى عام ١٩٦٨ في حين أنه لم يطور زراعته - على صحتها ، إلا مرتين ونصف مرة فقط وهذه مشكلة تفرس على الاتحاد السوفييتي جهودا كبيرة ووقتا غير ميسر لحلها *

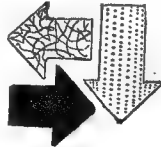
وبالإضافة الى ما تقدم ، فإن الثورة العلمية والتكنولوجية قد أصبحت تواجه الجس البشري كله بأخطر قضية وهي حماية البيئة من التلوث * أن عددا من العلماء يؤخذ أن الوضع في هذا المجال قد وصل بالشراسة الى نقطة العرجة التي تهدد الحياة * فالأشعاع ، وتلوث البيئة وفنل الحياة في أنهار بأكملها * والضوضاء ، كل هذا يفرض على الدول أن تدخل فورا في اتفاقات ومبادرات دولية للحد من التلوث الذرية ولحماية بعضها البعض من مخلفات المؤسسات الذرية والمصانع الكيميائية ... الخ *

والى جانب هذه المشكلة لاكتف الثورة العلمية والتكنولوجية عن طرح أعق القضايا في مجالات الفلسفة والأخلاق والقانون * وعلى سبيل المثال :

— فإن مقدرة علماء البيولوجيا على التحكم في الصفات الوراثية للخلية تطرح قضايا أخلاقية على أعظم جانب من العمق والخطورة مثلا :

من هو الفرد أو مجموعة الأفراد الذين يحق لهم أن يتدخلوا ليحددوا الصفات المطلوبة في الأجيال المقبلة من الجنس البشري ؟ وما هي هذه الصفات ؟

— وأن تضاعف المعارف العلمية كل عشر سنوات يطرح قضايا تربوية وتعليمية غاية في



٣ دراسات حول المتغيرات الدولية ■

٤ - قيام كوبا كدولة اشتراكية في نصف الكرة الغربي (منطقة نفوذ الامبرياليين الامريكيين) وعجز الولايات المتحدة عن تصفية الثورة الاشتراكية في كوبا) *

٥ - احباط الانقلاب السرجسي في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ *

٦ - الهزيمة التي لقيها القنصل الامريكي السليح على يد شعوب فيتنام وكمبوديا *

وإذا كان لهذه الوقائع الكبرى من معنى فهي :

ان علاقات القوى على الصعيد الدولي قد تغيرت لمصلحة المعسكر الاشتراكي ، وبالتالي لمصلحة الجبهة العالمية المعادية للامبرياليين التي تضم حركة التحرر الوطني *

وعلى هذا يمكن بالفعل ان نتحدث عن متغيرات ، او عن وضع دولي جديد بين النظامين الاشتراكي والراسمالي . ولكن هذا الوضع ليس مضمونه التوافق بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وانما مضمونه التراجع التاريخي للامبريالية وظهور افاق جديدة لا تحد لاتطلق قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في النضال ضد الامبرياليين وضد التلطف *

بعد هذا ، يجب ان نضيف للحقيقة والتاريخ ان تحرك الدوائر الغربية الحاكمة نحو الانفراج الدولي ، قد تم ايضا لا بسبب اقتناعها باستحالة تصفية النظام الاشتراكي فحسب ، بل ايضا تحت ضغط عوامل اخرى خطيرة في مقدمتها :

١ - اتساع مقاومة الرأي العام الامريكي للانفاق الرهيب على التسليح ، وبخول قطاعات مستنيرة ومؤثرة « مثل اتحاد الملهاء الامريكيين » في معركة تخفيض الانفاق الحربي ، باعتبار ان هذا الاتفاق وصل اليه دينر بتجديد الثروات والموارد الرئيسية للبلاد (يكلف صنع القواصة الواحدة من طراز ترايدنت ألف مليون دولار) *

٢ - تفاقم الازمة الاقتصادية في أمريكا (ومن مظاهر التضخم المستعمر وانخفاض قيمة الدولار) اصعب مركز الولايات المتحدة في المنافسة مع أوروبا الغربية واليابان . فلم يعد سرا أن الولايات المتحدة قد أصبحت متخلفة عن بلدان السوق الأوروبية المشتركة في حجم الصادرات وفي احتياطي الذهب . *

الاجتماعي ، وليست ايدولوجيا الحضارة الرأسمالية التي دب فيها التفتيح *

١ - جدول الوفاق وإبعاده

فلذا انتهينا من الحديث عن العوامل الرئيسية التي تحكم تطور الانسانية ، وترتب بالتالي متغيرات عالم اليوم وتؤثر فيها (قيام النظام الاشتراكي العالمي - ثورة التحرر الوطني - ثورة العلم والتكنولوجيا) فانه ينبغي أن نتحدث - على ضوء هذا كله - عن جدول الوفاق أو الانفراج الدولي بين الاتحاد السوفيتي وبين أمريكا *

والواقع أنه يمكن القول بثقة ، أن تفاعل العوامل الثلاثة الكبرى المشار اليها اضطر الامبريالية (على الاقل الاسباط التي تبدي ميلا الى « الواقعية » في البلدان الرأسمالية الكبرى ، الى ان تصل - من خلال تجارب امتدّت ٥٦ عاما الى قناعة هذا جورمها وهي :

انه اصبح في حكم المستحيل على السدول الامبريالية أن تحو النظام الاشتراكي من على وجه الأرض وذلك من خلال حرب شاملة *

وهذه القناعة التي توصل اليها الامبرياليون « الواقعيون » هي بالفعل بداية تمسول عميق ، خطير وتاريخي ، في العلاقات الدولية . لانها ، انما تمسول في الحقيقة تراجعا من قبل الامبريالية ، وهزيمة لكل المخططات السيسامية والاقتصادية والايدولوجية والعسكرية لضرب المعسكر الاشتراكي *

وان أي دراسة فاحصة للاحداث الكبرى التي تتابعت في عالمنا بعد انتهاء الحرب الثانية بين ان هناك علامات أساسية سهلت هذا المعز المستمر والمتساعد من قبل الامبرياليين عن اعادة عملة التاريخ الى الوراء :

١ - هزيمة القنصل الامريكي المسلح في كوريا الشمالية *

٢ - فشل دول الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا) في اخضاع مصر عن طريق الفوز عام ١٩٥٦ (وفي هذه العملية قام الاتحاد السوفيتي بدور ايجابي للغاية) *

٣ - فشل الثورة المضادة المسلحة في المغرب عام ١٩٥٦ *

والواقع أن هناك فرقا « جوهريا » بين نوعين من التصورات :

١ - تصور يرى أن « الوفاق » يتم على حساب مصالح البلدان « النامية » أو بالتالي على حساب الثورة العربية .

٢ - وتصور يرى أن الانفراج في العلاقات بين الدولتين الكبيرتين - يمبرح عن هزيمة للإمبريالية العالمية .

النسور الأول : يحجب عنا وتشتت العصر الاساسيه ، كما يحجب نقاط الضعف في صفوف العدو الرئيسي ، وبالتالي فإن مثل هذا التصور يبلو علينا سياسة تصورية النظر-ودفاعية تؤدي الى تضيق جبهة الإحتواء والحلفاء .

النسور الثاني : يثبت ويحدد مكان مصر من الجبهة العالمية المعادية للإمبريالية ويساعدها على أن تتعرف على الامكانات الحقيقية لاهدافها وحلفائها ، وبالتالي فإن مثل هذا التصور يحتم أن نطلق عند رسم استراتيجيه للعمل الوطني - من مواقع هجومية ضد الاعداء وعلى جميع الجبهات .

والتصور الاول : يغري الاعداء بمضاعفة حربهم النفسية لزعزعة ثقتنا بقوتنا وطعن معالم القوة في مواقعنا الحالية .

والتصوير الثاني : يضع بلادنا في مكانها الطبيعي في حركة التحرر العالمية ، ويمكنها من أن تقوم بالمبادرات السياسية والعسكرية التي تفرض نفسها على الاحداث .

يبقى بعد ذلك في موضوع الوفاق نقطتان :

١ - أن عملية الانفراج الدولي بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا - وبين الاتحاد السوفييتي والمانيا الغربية وفرنسا ، يجب أن يمالج لا كعملية تامة ونهائية ، بل كعملية مبتدأة وفي أولى مراحلها ، فبالاضافة الى الصراع بين المعسكرين سيستند اشكالا أخرى حادة ومعقدة اقتصادية وايدولوجية فانه لاتزال هناك قوى ذات نفوذ هائل في أمريكا وفي غرب أوروبا تعارض سياسة الانفراج بمعارضة عنيفة ومنهجية . وهذه القوى قبل أقصى اليمين المتطرف ، هي (الجميحات الرأسمالية ، وعلى رأسها الجماعات الضاغطة في

الصناعة الأمريكية - بخصوصا المجموعات العسكرية الصناعية والمجموعة الصهيونية - وفي بريطانيا يمثلها بعض دوائر في حزب المحافظين وفي ألمانيا الغربية يمثلها بعض الدوائر التي تصر على الثار لنتائج الحرب الأخيرة ، وعلى بحث العسكرية الألمانية

وفي الوقت نفسه ، فانه لما كانت الإمبريالية لا تغير طبيعتها العدوانية ، فإن الاوساط الغربية الحاكمة التي تؤيد الانفراج الصالي في العلاقات الدولية انما تريد - ضمن ما تريد - أن تكسب وقتا لتعيد تنظيم قواها . وهذا في الواقع المغزى الحقيقي للمشروع المرسوف باسم « مشروع نيكسون » المقدم الى أوروبا الغربية - فهو يدعو أوروبا الغربية إلى أن تتمد بقاء وتسليح حلف الاطلنطي بأسلحة جديدة ذرية ، وأن تتمد تنظيم صفوفها ، في كتلة سياسية واقتصادية وعسكرية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالاضافة إلى ما تقدم فإن حكومات الدول الإمبريالية وفي مقدمتها الحكومة الأمريكية الحالية لاتزال تسيير على خطين متزايعين :

١ - فهي تطلن من ناحية انما اذا كانت توافق على الانفراج الدولي فلانها عازمة على استخدامه لاثارة مزيد من الشقاق والانقسامات داخل المعسكر الاشتراكي (هذا حلم امريكا في دفع الصين الى صدام مسلح مع الاتحاد السوفييتي)

٢ - ومن ناحية أخرى لاتزال الحكومه الامريكية ترفض مرة ، وتتك مرة أخرى ، في تصفية بؤر الحرب الساخنة في الشرق الاوسط أو في تلك الاماكن التي بدأت تخمد نيرانها مثل فيتنام وكوبوديا والواش . ثم لا تستبعد بعد هذا أن ترى مسرح الحروب الضخمة والعمليات العسكرية وقد انتقل فجأة الى منطقة الخليج العربي ، فهذا تؤذن الفكر المتشبهة .

معنى هذا كله ان « وريث » الحوار اذا ارادت أن تضع استراتيجية لسان العمل الوطني فانه يتحتم عليها أن تبدي تقديرا واعيا لحجمه - العلامات الدولية في تعقدها ، الشديده وحركتها السريمة . والا فان أي استراتيجية تمجج عن تفسير المواقف الجزئية والاحداث بالقبيلة ، وعن رصد اتجاهها لا يمكن بحال أن تخدم شعار العمل الوطني في شء ، وعلى العكس يمكن أن تضر ضررا بليغا بمسار هذا العمل

٢ - الموقف من الاتحاد السوفيتي

عند التصدى لهذه النقطة يجب أن ننطلق من منطلق خدمة مصالح الوطن والدفاع عنها ، وأن ننهي - بالتالي - جميع الحساسيات ، وجميع المشكلات والتناقضات الثنائية التي يمكن أن تنشأ - بكيفية طبيعية - بين بلدين تربط بينهما علاقات التعاون والصداقة . لأنه من المعروف - مثلاً - أنه توجد بين مصر وبين أقرب البلدان العربية الشقيقة إليها مشكلات كبيرة وصغيرة لكن وجودها لا يغير من صحة الاستراتيجية - وبالتالي أيضا - من صحة السياسة التي يجب أن تتبع من أجل مزيد من التقارب والوحدة مع هذه البلدان الشقيقة .

وإذا وضعنا جانباً - أيضا - أي منطلق مذهبي يمكن أن يحكم رؤية العلاقات المصرية - السوفيتية فسوف نجد أنفسنا أمام مجموعتين من الوقائع :

- الأولى : وقائع التجربة العملية .

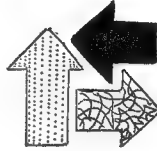
- الثانية : الوقائع البارزة التي تحدد ملامح عالم اليوم .

بالنسبة للمجموعة الأولى من الوقائع ، فمن المتفق عليه ، أن قادة النظام جمال عبد الناصر وأنور السادات لم ينطلقا في بناء وتبديد العلاقة مع الاتحاد السوفيتي من منطلقات بيسارية (أي حاركية على وجه التحديد) بل حكمت مواقفهما منطلقات وطنية مستنيرة وقوية تنتمية .

ولقد وصل جمال عبد الناصر إلى وضع العلاقة السوفيتية - المصرية في صياغات لا يمكن أن يقل أنها من وهي المناهيات العابرة . ففي عام ١٩٦٦ ، تحدث في حفل استقبال رئيس الوزراء السوفيتي فقال :

« إن الصداقة التي تربط بين بلدينا لم تكن صداقة المصادفة ولا صداقة الطريق السهل . إن القوى الاستعمارية أرادت دائما أن تسع الحواجز على طريقنا والرافيل . وحينما ملكت شعوبنا ارادتها فاتها سمعت إلى اللقاء مع شعوبكم متخطية هذه الحواجز » .

ومعنى كلام عبد الناصر ، أن هذه العلاقة ولدت في غبار نضال مصر التحرري الوطني وهي ثمرة تحرر الإرادة الوطنية .



٢ - النقطة الثانية هي أنه لا يجوز لبلادنا أن نتخذ موقف الجرح من « الوفاق »

ذلك أن كفاح ثورة يوليو من أجل وضع حد للحرب الباردة ، وتخفيف حدة التوتر ، وإبعاد خطر الحروب النووية ، وخفض الانفاق العربي من أجل البناء ، ومن أجل التعاون الدولي . أن هذا الكفاح قد أسهمت فيه بلدان العالم لثالث المنصورة بما يجعلها شريكة في صنع الانفراج الدولي . ومن هنا يجب أن نعتقد بأن سياستنا كانت سليمة في هذا المجال ويجب أن نرحب بالانفراج أعظم الترحيب منطلقين :

أولاً : من واقع أن لجم الاتجاهات العدوانية للإمبريالية الأمريكية ، وفرض الأسلوب المدامي في حل المشكلات الدولية لا يمكن إلا أن يخدم قضية تحريرنا من الغزوة الصهيونية الأمريكية .

ومنطلقين ثانياً من أن فرض التمايش الصلبي لا يمكن إلا أن يكون في مصلحة تقدم الشعوب وفي مقدمتها شعوب البلدان النامية ، وهذا كله ، لا يمكن إلا أن يؤثر تأثيراً إيجابياً على مشاكلنا الوطنية والقومية .

ثم منطلقين ثالثاً : من أن أي خفض صفي في نفقات التصليح سيفتح أمام البلدان النامية فرص التعامل بشروط أفضل من البلاد المتقدمة للحصول على المساعدات والقروض غير المقترضة وعلى الخبرة الفنية .

ثم واصل عبد الناصر كلامه عن الاسباب التي ارسيت اساس الصداقة السوفيتية المصرية فحدد انها :

١ - وقوف الاتحاد السوفيتي الى جانب مصر في تصديدها على كسر السلاح .

٢ - وقوفه الى جانب شعب مصر في تصديده للغزاة عام ١٩٥٦ .

٣ - وقوفه الى جانب شعب مصر في مقاومة الحصار الاقتصادي والحرب النفسية .

٤ - وقوفه الى جانب شعب مصر في جهده البطولي لبناء وطنه اقتصاديا ومماوثته في اقامة صناعته .

ومعنى كلام عبد الناصر ، ان هذه الصداقة عندما قامت كان لها باستمرار مضمون وطني مهاد للإمبريالية ، ومضمون تلقى متجاوب مع تطلعات البلاد في اقامة صناعتها واقتصادها القومي المستقل .

ويسبق بنا المجال ، لو تتبعنا مسيرة فكر عبد الناصر حول العلاقات المصرية السوفيتية ، فقد انتهى الى وضعها كـ **مصر وثيقى** من المباحث الرئيسية للامراتيانية المصرية ، وذلك حين حدد ان الصداقة المصرية السوفيتية ، صداقة استراتيجية ، وانه يفض النظر عن السلاح وعن العون السياسى والاقتصادى الذى يقدمه الاتحاد السوفيتى .

« فنحن وياهم بعد ذلك كله ، وقيله ، شركاء في بناء عالم السلام المقبل حيث لا استغلال ولا تخلف (من خطاب له في ١٩٦٤) »

ومعنى كلام عبد الناصر ، ان حقائق العصر الموضوعية ، وتواجد مصر بالضرورة في معسكر التحرر والتقدم الاجتماعى والسلام ، هو الذى يعطى لهذه الصداقة بعدها الاستراتيجى .

ومنذ ان تولى الرئيس السادات رئاسة الجمهورية وقيادة البلاد ، حرص على ان يتصل هذا الخط الاستراتيجى موضحا في كل موقف - بما في ذلك - المواقف التى تعرضت لها الصداقة بين البلدين لزامات (بعضها) م بخن هيا ، على لقل تقدير) على ابراز اهمية الحفاظ على الحلف القائم بين البلدين .

ولسوف يتخذ علينا - أيضا - ان نرصد فى هذا الحيز الضيق كل ما قاله الرئيس السادات فى سنن العلاقة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى . لا ان الرئيس السادات كان يطلق ، بالمتى ، من موافق الوطنية المستتيرة والحب للبلاد . وبين هات أكثر وصريحا ودلالة مما قاله عام ١٩٧١ عندما اخذ يعقد المقارنة بين موقف كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكى من مصر . لقد اوضح الرئيس السادات ان امريكا لم تقدم لنا مصنعا واحدا يمكن ان يكون له وزنه فى بناء اقتصاد وطنى مستقل . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاتحاد السوفيتى الذى لم يقصر تعاونه معنا على المجالات العسكرية ، بل لقد تعاون اكثر فى مجال انشاء صناعات حيوية ورئيسية ، فى بناء عتبرات المصانع وهى مجال البحث عن البترول وفى تطوير الزراعة وفى مجال تقديم الخبرة العلمية ، ومعنى كلام الرئيس انور السادات ان الصداقة بين السنين تتحرك على محورين رئيسيين : متطلبات التحرر الوطنى ، ومتطلبات البناء والتقدم الاجتماعى .

ومن كل ما تقدم ، نصل الى ان الصداقة المصرية السوفيتية ليست مجرد مظاهر للتضامن بين البلدين ، او مأسسة ديبلوماسية للتعمير عن النيت الطيبة المتبادلة بين قادة البلدين ، لكنها تجسد فى الذبح والعمل المشترك ضد الامبريالية ، ومن اجل السلم ، كما تتجلى فى خطط واتفاقات محكمة دلائلها الاقتصادية والتعاون الدولى بما يعود على البلدين بالمنفعة .

فاذا جئنا بعد ذلك الى المجموعة الثانية من الوقائع التى تحدد ملامح عالم اليوم فسوف نجد - أيضا - اذا وضعنا المنطلقات المذهبية جانبا ، ان اى مصرى وطنى وغير متحيز مدمعا ، سوف يصل ايضا - ويشكك عام - الى نفس الاستنتاجات التى توصلت اليها قيادات نظام يوليو عن الصداقة مع الاتحاد السوفيتى . وذلك اذا وضع هذا المواطن فى اعتباره - عددا من المعلومات الاساسية العامة .

١ - فعلى خريطة العالم توجد ثلاث بلاد كبرى تتميز من حيث الامتداد القارى الهائل لها ، بين خطوط العرض شمالا وجنوبا ، وخطوط الطول شرق وغربا ، بانها تمتلك من الثروات المادية والبشرية ما يمكنها من ان تكفى نفسها بنفسها . وهذه البلاد هى الولايات المتحدة الامريكى والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية .

واذا وصفت جانبا الصين الشعبية ، على اعتبار ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما اكبر

٢ دراسات حول التفجيرات الدولية ■

الاولى والثانية ، الامر الذى نجت منه الولايات المتحدة .

واخيرا ، وعند ما ينظر اى مواطن الى مجموعة المشكلات التى تطرح فى مجتمعنا فليست هناك الا مشكلة حقيقية تتعلق بالاستقلال السياسى ، وأنها تخزئ هذه المشكلات وتقبلور فى مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فى المحل الاول .

هنا تطرح الثورة العلمية والتكنولوجية كُن التحديات الرهيبة . ولكن مصر تجد انها مطالبة بأن تحمل هذا التناقض :

■ فمن ناحية لا تستطيع مصر أن تستوعب منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية بدون أن توفر اولا القاعدة المناسبة من القدرات الاساسية (أى القاعدة العريضة من الصناعات الثقيلة) .

■ ومن ناحية أخرى فإن مصر لا تستطيع أن تبني هذه الصناعات - أو أهمها - وفق أحدث ما توصلت اليه ثورة العلم والتكنولوجيا .

وحل هذا التناقض كامن أساسا فى المنهج الاجتماعي الذى يتبناه مصر لاتجاه التنمية . ولما كانت لا تستطيع من ناحية الامكانيات التاريخية والامكانيات الذاتية أن تتبنى طريق التنمية الرأسمالية فليس أمامها ، فى الواقع ، سوى أن تسلك طريقا مستقلا وتقدميا نحو هذا الهدف . وعندما تقرر مصر هذا - وهو بالفعل ما قرره الميثاق الاساسية لثورة يوليو ، فقد وجدت - على الصعيد الدولى - أن البلاد الاشتراكية وصى مقديتها الاتحاد السوفيتى هى التى تستطيع أن تقدم - وقد تحتمت - المعون فى بناء « القدرات الاساسية » التى تتمثل فى عدد من الصناعات الثقيلة والهندسية الاساسية وتوفير مصادر الطاقة . ولم يكن من قبيل الصدفة أن يقوم السند العالى ومجمع الحديد والصلب ومشروع الالومنيوم والقرانة البحرية بمعزل عن دول الغرب الصناعية . وبينما يجد اى مراقب محايد أن بلدان الغرب الرأسمالية تتعارض مصالحها - استراتيجيا - مع اقامة صناعات ثقيلة وعصرية فى البلدان النامية يجد أن الدولة الاجتماعية والاقتصادى للبلدان الاشتراكية لا يحول بينها وبين أن تقدم للبلدان النامية كل الخبرة الفنية العصرية المتلحة .

فالقضية برمتها ، فيما يتعلق بالاساس الذى تستعد عليه العلاقات المصرية السوفيتية يعود كما كان « قضية سعى مصر فى وجه القوى الامبريالية والاستعمار الجديد لبناء مجتمع صناعى زراعى

قوتين صناعيتين على النطاق القارى ، إذ يمكن التدرات الاساسية ، وادق أساليب التكنيكية ، فإن اى مواطن مصرى ، اذا اراد أن يبحث فى المجال الدولى عن قوى تساند مصر فى معاركها الوطنية والاجتماعية فيصوف يصل وفقا لحسابات واقعية - الى ان هذه القوة لن تكون غير الاتحاد السوفيتى وذلك :

١ - لأن الاتحاد السوفيتى من حيث انه يقف فى السياسة والمذهب الاجتماعى فى الجانب المقابل للدول الامبريالية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية . قد حدد بحسم موقفه من حركة التحرر الوطنى فتحالف معها وساندها سياسيا فى جميع المنظمات الدولية وسندها اقتصاديا على انتهاز خط للتنمية المستقلة ، حيث قدم نموذجا جديدا للعلاقات الاقتصادية ، لا يقوم على فرض الشروط ، ولا يقوم على المشاركة فى ارباح المشروعات التى يتعاون على انشائها ولا يقوم على فرض فوائد باهظة على القروض التى يقدمها .

وبالمقابل ، بينت التجارب ان الولايات المتحدة الامريكية اراحت أن تفرض على بلدانها فى المعاملات الاقتصادية أساليب الاستثمار الجديد ، ورفضت المساعدة فى بناء صناعات ثقيلة ، وقادت عملية تكوين الاحلاف ، وانشأت القواعد العسكرية فى العالم العربى ، واصبحت السند الرئيسى للمعسكرية الصهيونية . ثم المدوان والغزو الاسرائيلى .

ب - ولأن تجربة الاتحاد السوفيتى فى البناء وتقدمه على الصعيد الدولى ، ليكون أحد اقوى دولتين ، قد لفتت انظار قيادة ثورة يوليو . وهذه القضية ليست من القضايا الثانوية بالنسبة للقيادة الوطنيين ، الذين ما ان يحصلوا على الاستقلال السياسى ، حتى يندفعوا فى طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، أى طريق التنمية المخططة لتعويض التخلف ، وبناء الدولة العصرية .

هنا يرى كُن محايد ان وتائر التطور الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى ، امرج بما لا يقاس من وتائر التطور الاقتصادى فى الولايات المتحدة . فبينما احتاجت الولايات المتحدة الى ٢٠٠ عام لتكون هذا الحيلاق الاقتصادى فى المسالم الرأسمالى ، استطاع الاتحاد السوفيتى فى ربع السدة ان يقترب منها ليحلل المرتبة الثانية - بعدها - من حيث الحجم الكلى للنتاج ، وأنه لحق بها فى بعض فروع الإنتاج الاساسية وزاد عليها فى فروع أخرى ، وجدد عام ١٩٨٠ للحاق بها والتفوق عليها . مع ملاحظة ان الاتحاد السوفيتى دمردت بلاده مرتين تدميرا مروعا فى الحربين

الثاني : هو أن مشروع النقطة الرابعة ، الذى يعكس أهداف ومصالح الاحتكارات الامريكية قد طالب بضممات معينة لاستثمار رأس المال الامريكى منها على سبيل المثال :

١ - ضممات من المصادرة ونزع الملكية .

ب - ضمان بامكانية تصفية المشروع الذى يستغل فيه رأس المال ، اذا اراد صاحب رأس المال ذلك .

ج - كفالة ارباح بمقولة .

د - أن تكون الضرائب معتدلة وغير قائمة على أساس التفرقة .

هـ - أن تكون التشريعات العمالية والاجتماعية عملية .

و - حكومة مستقرة .

ولكن اذا جاز لحكومة وطنية أن تقبل شرطا أو شرطين من الشروط السابق ذكرها ، إلا أن مجموع هذه الشروط كان يمثل عدوانا على السيادة القومية ، وتخللا فى الشؤون الداخلية ، فضلا عن أنها تمنى - فى مجموعها - تقييدا للسلطة الوطنية يمنحها من تضطيق الاقتصاد بما يخدم المصالح الوطنية أولا .

فالمشكلة التى نشأت بين رأس المال الاجنبى وبين القيادة الوطنية لثورة يوليو ، هي أن هذه القيادة كانت تريد أن تقوم ببنمية مستقلة انطلاقا من المبدأ الصحيح وهو أن الاستقلال الإقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى .

وبقية القصة معروفة ، فى الصدام مع الاحتكارات الدولية (المصناعات الإقتصادية) . ورفض تمويل المد العالى - عدوان ١٩٥٦ ، حرب التجويع - ثم عسودان ٦٧ الخ) . وحلست الاحتكارات الدولية الغربية التى « يدات لى

عصرى ومتقدم . (أن بلادنا مستعدة دائما للتعاون مع جميع الدول بغض النظر من نظهما السياسية والاجتماعية . ثم يبقى الفصل دائما هو : الى أى مدى يمكننا هذا التعاون من بناء صناعتنا الثقيلة والحصرية ، بما لا يخل بمبدأ الاستقلال الإقتصادى وبما لا يلقى على إقتصادنا القومى أعباء باهظة ومعقدة) .

هنا سوف نجد أن التجارب العملية ، وطبيعة النظام الاجتماعى فى البلدان الاشتراكية سوف تؤكد - مرة أخرى - إمكانية الممسكر الاشتراكى - على أن ينافس دول الغرب الرأسمالية المتقدمة فى تقديم المعونات الإقتصادية والفنية المطلوبة من قبل البلدان النامية .

ولسوف يؤدي خفض الاتفاق الممسكرى لى البلدان الاشتراكية ، وهو خفض الذى يتوقع أن يحدث بعد التفراج فى العلاقات الدولية . الى أن يضاعف الاتحاد السوفيتى والبلدان العمل على تقديم المساعدات الإقتصادية والفنية الى البلدان النامية .

وهنا سوف تنشأ منافسة حادة وحقيقية فى المجال الإقتصادى بين دول الممسكرين ، ولكن هذه المنافسة تضاعف فرص البلدان النامية لى الحصول على أفضل الشروط من كلا الممسكرين .

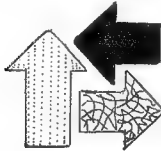
٣ - الموقف من رأس

المال الاجنبى

إن الرأى الشائع بأن مصر رفضت الاستفادة من رأس المال الاجنبى لتنمية إقتصادها على أساس مصرى حديث ، هذا الرأى لا أساس له من الصحة .

فبعد قيام ثورة يوليو ، رهب النظام الجديد ، كل الترحيب ، بسمي رأس المال الاجنبى حتى أنه أبقي على اتفاقية النقطة الرابعة مع الولايات المتحدة الامريكية . وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الاتفاقية لم تساعد البلاد على أن تتقدم على طريق التصنيع الذى أرادته النظام الجديد . وكان هذا راجعا الى سببين :

الاول : أن رأس المال الامريكى الإحتكارى هدفه الاول والاخير تحقيق أقصى ربح ممكن من خلال تلك المشروعات الإقتصادية التى تدر عائدا سريعا . ومن ثم كان اتجاه رأس المال الامريكى الى الصناعات الخفيفة (الكيكاكولا . . الخ) أو الى تلك الصناعات التى لا تخلق السوق المصرية أمام بضائع الاستهلاك الامريكى .



٣ دراسات حول المفترقات الدولية ■

الاموال يهددها التضخم وانخفاض قيمة العملة .
ومن هنا فإن أصحاب رؤوس الاموال يبحثون بكل
سبيل عن اوجه الاستثمار .

من هنا فنحن في ظروف هوائية للحصول على
رأس المال الاجنبى بشروط محقولة لا تثقل
اقتصادنا .

٤ - يجب ان ننطلق مما جاء باليثاق من ترتيب
اشكال الاستعانة برأس المال الاجنبى بقول
الميثاق :

١ - « ان الاولوية للمعونات غير المشروطة » .

٢ - « المكانة الثانية للقروض شين
المشروطة » .

٣ - « ثم يستعان برأس المال الاجنبى فى
العمليات الضرورية التى تقتضى خبرات جديدة
يصعب توفرها فى المجال الوطنى .

والسبب فى اعطاء الاولوية للمعونات والقروض
غير المشروطة انها تترك للبلاد حرية الاستثمار وهنا
للخطة القومية .

وتحت هذا الضوء لابد من الاشارة الى ان هناك
قروضا متاحة تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٠٠ مليون جنيه
مقدمة من الدول الاشتراكية ولم تستفد .

٥ - يجب ان ننطلق من ان القضية المطروحة
ليست هي - فى المحل الاول - الاستثمارات
الاجنبية بل هي « تنمية الاقتصاد المصرى » يترتب
على ذلك ان قبول رأس المال الاجنبى يجب ان تكون
البداية فيه التخطيط للتنمية ، باعداد خطة خمسية
او عشرية وفى هذه الخطة ترتب الاولويات بالنسبة
للمشروعات الحيوية ثم تبعث لها عن التمويل
الاجنبى . معنى ذلك ان تكون المبادرة فى ايدينا .
نحن الذين نتولى دراسة مشروعاتنا ، وتحديد
اولويات بالنسبة لها . ان نستقبل الاستثمارات
الاجنبية لتنفيذ هذه المشروعات وذلك كما فعلنا فى
مجال البترول .

٦ - يجب ان ننطلق من ان تعاملنا مع رأس المال
الاجنبى والعربى يؤسس فقط على اسس اقتصادية
خالصة . من حق رأس المال الاجنبى ان يحصل
على ربح محقول ، او يحوله للخارج ، ومن حقه ان
يسترجع رأس ماله على مدى زمنى محقول ، ولكن
ليس من حقه ان يتدخل فى طبيعة نظامنا السياسى
والاقتصادى والاجتماعى ، فيطالب تغيير قوانين او
وضع قوانين تتعارض مع قوانين الثورة .»

وفى هذا يحضرنا مثل طيب من البلاد العربية و
هى الجزائر ، فهى تتعاون على نطاق واسع
مع رأس المال الاجنبى ، لكن فى جميع الاحوال يظل
الطرف المتعاون مع رأس المال الاجنبى هو الدولة
الجزائرية والقطاع العالم الجزائري .»

الظاهر ، انها استجابت لرغبة مصر فى اقامة
صناعة ثقيلة ، قدمت معدات قديمة ، وقصة شركة
« ديماج » الالمانية الغربية معروفة ايضا .

وجن الخط ان تنصور ، ان قرارات يوليو ٦١
وما تبعها من صدور الميثاق قد اغلق الباب امام
الاستعانة من رأس المال الاجنبى فقد وقعت مصر
عقودا مع شركات بترول صليمة . ويمكن ان
نستطرد فى سرد القوانين والتسهيلات التى
وضعت لرأس المال الاجنبى ، واكتفى بالاحالة الى
المقال الهام الذى نشره حول هذا الموضوع د .
جمال العفيفى وكيل مجلس الشعب فى جريدة
الاهرام بتاريخ ٢٢ - ٨ - ١٩٧٢ .

من هذا يتبين :

ان الانغلاق كان من طرف الاحتكارات الدولية
الغربية التى رفضت ان تاتى الا برفض شروط غير
اقتصادية ، وباهظة ولا يمكن ان يتحملها الاقتصاد
المصرى . (نذكر هنا بموقف الكونسموتيوم
الاوربى وتلكه فى انشاء خط الانابيب) .

فما هى اذن منطلقاتنا لكى نستفيد من رأس المال
الاجنبى الفاتدة التى تساعد على اقامة صناعة
ثقيلة ، حديثة ومتفئة مع متطلبات عصر ثورة العلم
والتكنولوجيا .

١ - هناك أولا قضية الدفاع باستعانة عن
القطاع العام . وفى هذا لابد من التصدى بقوة
لشعائر التى تدعو الى تصفية هذا القطاع عن طريق
بيع اسهمه او جزء منها للقطاع الخاص ، لان مثل
هذا الاجراء يعنى الفناء التام . ولو تم هذا ،
لكان ضربة موجعة الى الوحدة الوطنية وكان
تسليما حقيقيا للاستعمار الجديد الذى يلح فى
المطالبة بتصفية القطاع العام . هذا الاستعمار
المحمل فى بعض الهيئات الدولية « البنك الدولى
للانشاء والتعمير » البنك لا يكف عن الدعوة الى
اشاعة « الليبرالية » فى الاقتصاد المصرى . اى
اعادته لسهل التبعية للاحتكارات الدولية .

٢ - يجب ان ننطلق من ان الاقتصاد المصرى
مركز قوة ، وليس فى مركز ضعف . ذلك ان
القاعدة الصناعية التى اقامتها ثورة يوليو هى
التي فتحت اليوم مجالات كبيرة لجذب رؤوس أموال
عربية واجنبية . والتأكيد على هذه الحقيقة يضمننا
دائما فى المركز الافضل عندما نتفاوض ، وبذلك
نستطيع ان نحصل على افضل الشروط .

٣ - ويجب ان ننطلق فى التعامل مع
الاحتكارات الاجنبية من مركز القوة لا من مركز
الضعف لان العالم اليوم (وليس العالم العربى
فحسب) يتميز بوجود رؤوس أموال هائلة « سيولة
كبيرة » لا تجد طريقها الى الاستثمار .» وهذه

أولا : يفتح مجال التعاون معه في بلاده
ثانيا : فتح مجالات استثماراته له في مصر
ثالثا : اتامة مشروعات مشتركة مصرية عربية
ان هذه الاولويات يمكن ان تزيل كثيرا من
الحساسيات ، وان تحقق - في النهاية - اساسا
اقتصاديا صالحا للوحدة العربية .

٤ - قضية القطاع الخاص

ان الطرح الذي طرحه ورقة الحوار عن قضية
القطاع الخاص يثير الحيرة والبلبله :

أولا : لانه لم يأت بجديد لم تتضمنه الوثائق
التي قدمتها ثورة يوليو ، ولم يقدم خطة محددة .
ثانيا : لانه لا توجد معركة او اصوات تمارض
اشتراك القطاع الخاص في التنمية . فاثارة هذا
الموضوع تبدو كأنها معركة في غير متركه .

ثالثا : لان القطاع الخاص ، وبمد ١١ سنة من
صدور الميثاق ينمو ولا يتكشى ، ويدعم موافقه
باستمرار ولا يتراجع . وكان أجدر بورقة الحوار
ان تطالعا بجديد في هذه القضية يشمل في تحديد
مجالات نشاط القطاع الخاص بحيث يمكن التمييز
بين القطاع الخاص الذي ينتج ويسهم في بناء
البلاد ، وبين هذا « القطاع الخاص » الرهيب
والتسلط الذي يطوق القطاع العام ويعمل في
مجالات طفيلية صرفة تهدد الاقتصاد القومي .

رابعا : القطاع الخاص الذي تريد له ان ينشط
هو القطاع الذي :

- ١ - يقبل تنفيذ اهداف الخطة
- ب - يقبل قيادة القطاع العام
- ج - يحترم التشريعات والمكاسب المعايير
- د - يوبتعد من الربح الاستغالي .

خامسا : وفي تقديرنا انه يدخل تحت عنوان
القطاع الخاص المطلوب دعمه :

- ١ - الرأسمالية الوطنية التي تقوم بالانتاج .
- ٢ - الحرفيون .

هنا بالنسبة للرأسمالية الوطنية المنتجة لاين
للدولة من ان تقدم لها كل مساعدة : يفتح مجالات
تسويق انتاجها وتسهيل عمليات الائتمان لها ،
ومساعدتها على تشغيل الطاقات المظلمة في
مشروعاتها وصناعاتها الصغيرة والمتوسطة .

وفيما يتعلق بالحرفيين ، فلا زلنا نتحدث عن
اهمية هذا القطاع دون ان نقوم بالجهد اللازم
لتنظيمه في تعاونيات انتاجية . وربع مستوى

٧ - في اختيار المشروعات يجب ان ننطلق من
اختيار تلك المشروعات التي تدن عقدا بالعملة
الصعبة (البترول - السياحة .. الخ) ويجب ان
نذكر هنا ما أوضحه بحق رد مجلس الشعب على
بيان الحكومة عندما حذر من ان الاستثمار الاجنبي
اذا حل بشكل مباشر بعض المشكلات الاقتصادية
فهو يمثل عبئا مستقبلا . لان رأس المال المستثمر ،
شأنه شأن القرض ، لابد لصاحبه من ان يحصل
منه على عائد سنوي ، ولابد وأن يكون له حق
استرجاعه .

فإذا لم يوجه رأس المال الاجنبي الى المشروعات
التي تدن عايدا بالعملة الصعبة ، أو يعوضنا عن
رأس نستوردها بالعملة الاجنبية ، فسوف يتحول
سلس المال الاجنبي الى عبء على ميزان
المفوضات ، ويقاوم أزمنا المالية ، ويندفع
بالخضخ الى ابعاد خطيرة .

٨ - وهناك مخاطر تتعلق برأس المال الاجنبي
يجب ان ننتظ لها . وفي مقدمتها نزعة الشركات
العابلاقة ، والمتصدرة الجنسية للسيطرة
والاستغلال . وفي هذا نستشهد بها جاء في تقرير
هيئة الأمم المتحدة « الادارة الخاصة بالشئون
الاقتصادية والاجتماعية » فقد جاء في هذا التقرير
ان المؤسسات الاقتصادية العابلاقة المتصدرة
الجنسية تستحوذ على قدر من القوة الاقتصادية
يمكنها من خلق الازمات النقدية بطريقة متعمدة .
ان عشرة من هذه الشركات يبلغ رقم أعمال كل منها
٣ الاف مليون دولار ، وهو رقم يزيد عن الناتج
القومي في أكثر من ٨ دولة . وانها لذلك تستطيع
ان تدمر مقدرة الدول على انتهاز سياسة تحقق
اهدافها الوطنية والدولية (الاهرام ١٢ - ٨ -
١٩٧٣) .

يترب على هذه المخاطر ضرورة احتفاظ الشعب
بسيطرتة على الهياكل الاقتصادية للانتاج . ففي
هذا ضمان ألا تقع البلاد في براثن شركة أو أكثر
من الشركات العابلاقة . ومن المفيد أن نذكر ، هنا ،
ان دولا كبيرة مثل فرنسا اضطرت أن تتدخل فيها
الدولة باستثمار من القطاع العام لكي تسمى
الاقتصاد القومي من هذا النوع من الشركات .

٩ - في موضوع الاستثمارات الاجنبية يجب ان
ننطلق من التمييز بين رأس المال العربي وبين رأس
المال الاجنبي .

من الطبيعي أن تعطى أولوية لرأس المال
العربي . ففي هذا مصلحة مشتركة ، إذ أن رأس
المال العربي مهود بمخاطر التجميد أو فقدان قيمته
وربما كانت السياسة التي تحقق نتائج مثمرة في
هذا السبيل أن يتم التعاون مع رأس المال العربي :

٣ دراسات حول التغييرات الدولية

وصياغة أكثر دقة واحكاما - غى وثائق الثورة (ين ان البرنامج الذي طرح في نهاية ورقة الحوار لا يمكن أن يرمى الى البرنامج المحروس والمحدد الذى تضمنه « برنامج العمل الوطنى » المقدم من الرئيس انور السادات) .

لهذا كله فإن اول اقتراح هو أن يعاد النظر فى « ورقة الحوار » برمتها ، اذا أريد لها أن ترسم استراتيجية تحكم مسار العمل الوطنى ، وتؤمن النصر فى معركة تحرير الارض .

وفى الوقت نفسه ، فانه مع الايمان بضرورة دراسة المعغيرات التى بدأت تحدث تحولات تاريخيه فى العلاقات الدولية ، فاننا نناشد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى أن يهتم بوضع برنامج مرحلى ، وعلى محدد المعالم ويمكن التعديل .

١ - هذا البرنامج شعاره الرئيس : تحرير الارض وحرر العوان الاسرائيلى الافرصى

٢ - القسم الاول من هذا البرنامج سياسى : ويتضمن النطاق العمليه التى تضمن رضى الجبهة الداخلية ، ودعم الوحدة الوطنية بين الفلاحين والعمال والمثقفين والترييرين والجهود والراسميه الوطنية . ويشم ارساء هذه الوحدة انطلاق من المبدأ القائل بالمساواة فى التضاميه بين جميع الطبقات ، وبتطبيق جهاد وجهيى لمبادئ الاقتصاد الحرب وفقا لما ذكره الرئيس السادات من أن من عنده أكثر يعطى أكثر .

٣ - القسم الثانى من البرنامج يتخصص فى العمل على ترجمة « برنامج العمل الوطنى » الى خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وللنهوض بالحياه الثقافية ، وهذه الخطة يجب أن تستهدف البناء الاقتصادى المستقل وذلك باستكمال بناء قاعدة الصناعات الثقيله والعصريه ، بناء لا تخدر فيه أى جهد شعبى أو حكومى ، ولا تقبل فيه تراجعاً امام هسقوط الاحتكارات الدوليه والاستعمار الجديد .

فالحقيقه الدائيه فى أنه فقط عندما تصنع مصر تصنيعاً ثقيلاً وعصرياً يمكن الحديث - فى ذلك الوقت - عن نهوض حقيقى للبحث العلمى ، ويمكن الحديث بالتالى عن إمكانية دخول البلاد - دخولا - حقيقيا لا مجازيا - عصر الثورة العلميه والتكنولوجيه ، وعصر الثورة الصناعيه الثانيه .

لدائه ، وتشجيعه على أن يقوم بدور حيوى فى الاقتصاد القومى .

سائسا : وإذا كنا - كبد نام ، ملتزمين فعلا بمنطق الثورة العلميه والتكنولوجيه فإن هذا المنطق يفرض علينا فرضا أن نحدد بدقة مجالات تضباط رأس المال الخاص . والسبب هو أن المشروع الخاص فى البلدان الناميه لا يستطيع أن يتصدى لأقامة المجمعات ، المشروعات الصناعيه المصريه . هذه المشروعات التى تتطلب وضخ استثمارات مائله فى الآلات الحديثه والتجهيزات الالكترونيه ، والإدارة العلميه للإنتاج . وأن هذا معناه أيضا ، أن القطاعات الرئيسيه للاقتصاد يجب أن تكون بعيدة تماما عن سيطرة أو تدخل المشروع الخاص ، هذا المشروع الذى لا يهيه سوى تحقيق دوره سريعه لرأس المال تحقيق أكبر عائد فى اقصر وقت .

من هنا ترى انه حتى اذا وضعنا جانباً أى فكر اجتماعى مسبق ، فإن المنطق الوطنى لاقامة اقتصاد مستقل ، يطرح قضية دعم القطاع العام وأن تكون أدوات الإنتاج الرئيسيه فى يد المجتمع ، أو فى يد الدوله المئله لمصالح مجموع الطبقات الشعبيه والوطنيه .



وبانتهاء الحديث عن الموقف من القطاع الخاص نرجو أن ننهي عرض وجهه النظر فى « ورقة الحوار » خصوصا فيما يتعلق ببعض القضايا الرئيسيه التى اشتملت عليها . ثم يبقى بعد ذلك ، أن نستأنن فى ختام لهذه الكلمه بحد ما هو المطلوب .

خاتمة : ماهو المطلوب

ان الانطباع الذى يخرجه الخه هو ان « ورقة الحوار » كتبت بطريقة متسرعه للغاية لا تتلقأ ابدأ مع متطلبات وثيقه تتضمن رسم استراتيجيه تحكم مسار العمل الوطنى .

ان هذه الوثيقه المتسرعه ، تنعكس فيما يلى : - من ناحية الشكل فإن صياغاتها غير محدده ، وتثير من الاسئله أكثر مما تقدم من اجابات . - ومن ناحية الموضوع فإن أخطر الامتنعاجات لا تسنده دراسة متعمقه .

- وإذا قارنا بينها وبين موثيق الثورة (الميثاق) ، برنامج ٣٠ مارس ، برنامج العمل الوطنى فسوف نكتشف انه ليس فى « ورقة الحوار » شيء من القضايا الرئيسيه (باستثناء مسأله الوفاق) لم يرد ذكره - بتفصيل أوفى

الجامعة الأهلية

□ « الجامعة الأهلية » قضية من القضايا التي شغلت الرأي العام المصري - وقد نشرت الطلبة في عددها الثاني رأى مجموعة من اساتذة الجامعات المصرية حول هذه القضية الهامة . وواصل الطلبة نشر الآراء التي وصلها من بعض اساتذة الجامعات المصرية معارضة ومؤيدة للمفكرة □ ا

استطلاع رأى

■ التوسع في افتتاح الكليات الاقليمية بدلا من الجامعة الاهلية

لاستقبال اعداد مذهلة من الطلاب يتزايد بشكل رهيب هابا بعد عام لم يتأجل بالعمل على ايجاد زيادة موازية في أعضاء هيئة التدريس بالجامعات - وهم عماد هذا التعليم - وقد أدى ذلك الى استفاد طائفة كل فرد من هذه الفئة التي اضطرت الى العمل اعدادا خيالية من الساعات بمضيق في كلياتهم ، والبعض الآخر في كليات تنتمي الى جامعات غير جامعاتهم .

وقد ازداد هذا الموقف تدهورا عندما افتتحت الكليات الاقليمية الحالية التي تميل من سنوات . فقد اضيق عبء التدريس في هذه الكليات الى اساتذة جامعات منهكين سلفا من التدريس في جامعاتهم الاصلية وغيرها . واصبح الوضع الراهن ينطوي على آلاف كثيرة من الطلاب الجامعيين يدرسون على اساتذة مكثودين يقضون ما تبقى لهم من وقت في القطر مرتحلين الى الكليات الاقليمية وهي عيب زائد على طائفة هؤلاء الاساتذة الذين هم بشر . وللبشر طاقة يجب أن نعترف جميعا بانها - مهما تباينت باختلاف الافراد - ذات سمات محددة .

اننى لا اتجاوز الحقيقة عندما اقرر بان المؤسسات الجامعية تمثل أهم القطاعات الحيوية ، ذلك انها الركيزة لكل انطلاق فكري وأنها القاعدة الأساسية لكل تقدم تكنولوجي وهي وحدها المسؤولة عن اعداد بقية القطاعات على اختلافها بالشباب المؤهل فكريا وعليها من خلال نبضات حولية تبقى على هذه القطاعات نضرتها وتحفظ لها شبابها .

يرغمنى هذا المفهوم - بل يجب أن يدفع كل غيور مخلص الى المشاركة بالرأى حول انشاء ما أسموه بالجامعة الأهلية وحول التوسع في افتتاح الكليات الاقليمية وذلك بغية الوصول الى مناخ أكثر ملائمة تقوم فيه الجامعات بإعبائها وتضطلع فيه بمسئولياتها التعليمية .

فانشاء الجامعة الأهلية والانتعاش في افتتاح الكليات الاقليمية - في رأيي - يضر بالتعليم الجامعي أكثر مما يفيد - وما نمانيه اليوم من عقم وجود في الجامعات يرجع أساسا الى اتجاهنا الخاص بتحويل هذه المؤسسات الى جامعات للاعداد الكبيرة . فانفتاح الجامعات

وقد نتج عن ذلك ما يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

أولاً : انفصال بين الطلاب وأساتذته بذل الاهتمام الذي يجب أن يسود الجامعة ، فأحسن الطب يفراج لأحدونه .

ثانياً : شتيع الصبة الأساسية للجامعة التي تقتلخص في البحوث والاطلاخ والإشراف العامي على المعيدين لتخريج اجياي جديدة من أعضاء هيئة التدريس . فذبح الجهود والمقم للدين اثرت اليهما وتخللت جامعاتنا عن مسابقة التقدم العلمي الذي تتميز به جامعات العالم من حولنا .

ثالثاً : أصبح التعليم الجامعي عبارة عن تلقين معلومات دون توجيه من الاساتذة ، وأصبحت المذكرات وكتب الاساتذة هي مفتاح النجاح . وأدى ذلك بالتالي الى انشغال المجلس الاعلى للجامعات بأصدار القرارات التي تنظم تأليف هذه المذكرات ويواعيد طبعها ووضع اسماء لها وطريقة بيعها على الطلاب ، وطفى ذلك على وظيفة الاساسية نحو التخطيط العام للتعليم الجامعي ودراسة المسائل الجوهرية فيه .

رابعاً : ترتب على ما سبق أن أصبح الخريج فجا علميا وغير متفتح القلب لتعمل أعباءه المسئولية في حياته العملية واتصفت تصرفاته وسلوكه بالامبالاة والسلبية . ولعمل بعض الاختبارات الشخصية - كما حدث عند قبول اول دفعة لعمد الاعلام - قد اكتنذك ، اذ كان المتقدمون من خريجي الجامعات . وقد كتب السادة المستحقون عن ضحالة معلومات المتقدمين على صفحات الاهرام ، وكان اول من كتب هو السيد الاستاذ الدكتور سيد أبو النجا .

خامساً : تخريج اعداد مهولة من حملة الليسانس والبيكالوريوس مما أدى عند توظيفهم عدم مراعاة التخصص للوظيفة المتاحة - وإن كنت لا أشك لحظة واحدة في حسن نية جهاز القوى العاملة - فهذا خارج عن اراقة وله كل المنر . الى جانب أن ارتباط الدولة دستوريا بإيجاد عمل لكل خريج قد أدى الى بطالة مقننة بدائنا نستشعرها ونناقشها في وقتنا الحاضر .

لذلك كله تجدني أقترح الآتي :

١ - إجراء امتحانات للقبول بكل كلية ، على أن يكون الامتحان من واقع تخصص الكلية ، وهو مبدأ نأخذ به كل جامعات العالم ، وعلمنا في مصر تعمل به الكلية الفنية العسكرية ، ولتختار الكلية العدد الذي يتلاءم مع امكانياتها من بين الناجحين بمرتبة موفية .

ولا يحسن أحد اننى أخرج بهذا الاقتراح عن

الخط الاشتراكي ، فالاشتراكية استثمار لكل الطاقات دون استثناء بشرط الأخذ في الاعتبار بتوقعات ومدى كل طاعة من هذه الطاقات . ومن الخطأ في المخطط الاقتصادي أن تصرف الدولة أموالها على من لا يستحق أو على من لا تساعده قدراته على اعطاء العائد المناسب .

وعلى أساس هذا المفهوم تجدني لا أقل وجود جامعة أهلية بمصر وفات ، اذ أن وجودها سيسبب في زعزعة الإيمان بالقيم الاشتراكية حيث أنها ستمنح الفرصة الجامعية لن لا يستحقها بمعزل عن الآخرين وهم المئنازون ، وهذا مطلق لا يتفق وتذويب الفوارق بين الطبقات

٢ - دراسة مراحل التعليم المختلفة والتي تسبق مرحلة التعليم الجامعي في محاولة للاكتناز من الكوادر الفنية المتوسطة تجابه بها ما يلزم من قوة بشرية لتدعيم الثورة الصناعية التي طرأت على مجتمعنا ، ولتخلل عن طريقها ذلك التزاحم الكليل على دخول الجامعة . وهذا يقتضى وقوف أجهزة الاعلام بكل جهودها وامكانياتها الى جانب هذا التغيير ، وعلى الدولة في سبيل تحقيق ذلك أن ترفع أجور هؤلاء الى ما يقارب الفريقات التي يتقاضاها الجامعيون بعد تخرجهم . أما واجب النقابات المهنية فهو التفسير على هؤلاء الكوادر حتى تستريح نفوسهم الى مستقبل يرضيهم . ويكون ذلك بأن تفتح النقابات أبوابها لعضوية هؤلاء بعد انقضاء عدد من السنين - تحدها النقابة المهنية - في الخبرة العملية .

٣ - تدعيم الكليات الإقليمية الحالية بما يلزمها من أعضاء هيئة تدريس ومبان ومعامل ومكتبات عن طريق رصد عدد أكبر من الميزنات لهذه الكليات ، وعلى أن يكون الرضيع لها من بين معيديها حتى لا ينافسهم فيها زملاؤهم العاملون في الجامعات الأصلية . اذ أن الجامعات الأصلية تستمتع بقدر من الامكانيات يتيح للمعدين فيها التفوق على أقرانهم في الكليات الإقليمية من حيث الحصول على الدلومات وهي التي تمنحهم الميزة عند المناقصة للمبناات . هذا الى جانب رصد مبالغ منامية بما يمكن استكمال النقص في المبناات والمعامل والمكتبات .

وبما دمتا لا نستطيع العودة الى الوراء فلا أقل من أن نلغ ونكفي في الوقت الحاضر بما اقتنح من كليات إقليمية ونعمل على تدعيمها بأعضاء هيئة تدريس ، ونستعد باليابتي الأجهزة بالمعامل والأجهزة والمكتبات . وخلاصة القول هو أن يكون فتح الكليات مرتبطا بخطة مدرسة ، فلا تفتح إلا وهي مستكاملة لكل مقوماتها لتقوم من أول لحظة بخدمة البيئة من حولها . وإلن أن ذلك هو الهدف

فيها بعض ما عثبت من ضرورة عدم انشاء الجامعة الاهلية والتوقف عن فتح المزيد من الكليات الاقليمية ... والله اسأل أن يوفقنا في خدمة بلادنا .

الدكتور فؤاد محمود بركات
رئيس قسم الكيمياء وعيد كلية التربية
بجامعة اسبوط -

من فتح هذه الكليات في الاقاليم المختلفة . كما انه لا ينبغي أن تكون الكليات الاقليمية صورا متطابقة في النماذج الجمهورية بل يجب أن تكون تخصصاتها مرتبطة بالبيئة التي تنشأ بينها وذلك حتى لا ينفي القرض الذي نستهدفه من افتتاحها .

وبعد .. فانها محاولة أرجو أن تكون قد أوضحت



■ ضرورة الاسراع بانشاء الجامعة الاهلية

ثانيا : أن بقاء الطالب للأعادة أو التحاقه بأحدى الكليات أو بأحد المعاهد الخاصة (كليات الجامعة الأمريكية - معاهد التعاون - معاهد الخدمة - معاهد الأسسكي - معهد القطن - الخ) أو مسافره للخارج للاستئجار للتصاق بأحدى الجامعات العربية أو الأجنبية ، يتطلب مصروفات أو استثمارات مالية غير ميسرة بالنسبة للبعض من الأفراد على أقل تقدير .

ثالثا : أنه بالرغم من الانخفاض النسبي في مستوى الطلاب الذين لا تقبلهم الجامعات المصرية ، لا بل وبالرغم أيضا من الانخفاض النسبي في الكثير من المقررات الاساسية للتعليم للاجانب يتحصل خريجو الكليات والمعاهد التابعة لوزارة التعليم العالي ، وشأنهم في ذلك شأن خريجي الكثير من الكليات أو المعاهد التابعة لبعض الهيئات الاهلية أو الخاصة على نفس الدرجة العلمية التي تمنحها الجامعات المصرية (درجة الليسانس أو البكالوريوس)

رابعا : أن طبيعة الامور أو الاوضاع قد فرضت على بعض الكليات أو المعاهد العليا (الكليات العسكرية أو كليات جامعة الأزهر مثلا) ضرورة تنسيق القبول بها على أساس عدد من الاعتبارات التي لم يعد الجموع أهمها أو أخطرها .

وانطلاقا من مثل هذه الحقائق السائفة الذكر يمكن القول أو الادعاء بأن تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمام الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أمر تكتنفه ولاشك بعض نواحي الخلل أو القصور التي يبدو وكأنه لا مفر من قبولها مرحليا على أقل تقدير . كذلك يمكن القول أو الادعاء أيضا بأنه بالرغم مما قد يعنيه انشاء جامعة أهلية من تهيئة لهم الداعين إلى ضرورة التشدد في تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية المفتوحة أمام الحاصلين على شهادة الثانوية العامة ، فإنه يجب علينا ألا نهمل طبيعة الظروف

يضمن الطلاب الذين يحصلون على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بمجاميع لا تؤهلهم لدخول الجامعات المصرية إلى الاختيار بين :

- ١ - استخدام رخصة الاستثناء الممنوحة لإنهاء العديد من الفئات ، أو
- ٢ - الالتحاق بأحدى الكليات التابعة لجامعة الأزهر ، أو
- ٣ - البقاء للأعادة ، أو
- ٤ - الالتحاق بأحدى الكليات أو بأحد المعاهد العليا التابعة لوزارة التعليم العالي ، أو
- ٥ - الالتحاق بأحدى الكليات أو بأحد المعاهد التابعة لأحدى الهيئات الاهلية ، أو ،
- ٦ - الالتحاق بأحدى الكليات أو بأحد المعاهد التابعة لأحدى الهيئات الاهلية ، أو
- ٧ - السفر للخارج للالتحاق بأحدى الجامعات العربية أو الأجنبية ، أو
- ٨ - الانسحاب من مجال التعليم وما قد يعنيه ذلك من احتمال :

- (أ) العمل كمجنّد بالجيش المصري ، أو
- (ب) العمل مستقلا أو كشريك في إدارة بعض أو كل الوحدات الانتاجية ، أو الخفمية المملوكة للأسرة ، أو
- (ج) العمل بأحدى الوظائف الحكومية ، أو بأحدى الوظائف التابعة للقطاع العام أو القطاع الخاص .

وفي مواجهة مختلف الاختيارات السائفة الذكر لابد من التسليم بعدد من الحقائق التي لعل من أهمها :

أولا : أن حجم الاستثناءات الممنوحة لإنهاء بعض الفئات عند تقديمهم للالتحاق بأحدى الكليات الجامعية قد وصل إلى حد لا يستهان به (خمسة أماكن لإنهاء العاملين بالجامعات في كل كلية ولإنهاء الشهداء ، وخمسة في المائة من اجمالي عدد الأماكن لإنهاء أعضاء هيئة التدريس) .

بانشاء جامعة أهلية ، لا نعتقد أيضا بان هناك من سوف يجادل في أنه من شأن ضخامة الأرباح التي يحتمل أن تفلها رؤوس الاموال المستثمرة في مثل هذه الجامعة ، أن يؤدي الى امكانية توفير جميع الاحتياجات المالية اللازمة لانشائها واعادتها اعدادا عصرية مناسبة ، وذلك عن طريق الاكتتاب الرأسمالي أو التعاوني العام .

وبالرغم من أن امكانية توفير رؤوس الاموال اللازمة لتمويل عملية انشاء وتشغيل الجامعة الاهلية لا ولن تمثلوا الامر كذلك ، أية عقبة في سبيل قيامها ، فإننا نشك كثيرا في قدرة هذه الجامعة على جذب النوعيات الممتازة من أعضاء هيئة التدريس ، خاصة اذا ما تم ادارتها بتشكيلات مماثلة لتلك المسؤولة عن ادارة الكثير من المعاهد العلمية الخاصة .

الدكتور محمد عبد الودود خليل
استاذ ورئيس مجلس قسم الاقتصاد
الزراعي - كلية الزراعة -
جامعة الاسكندرية



■ هل هي اضافة مشكلة جديدة الى المشاكل القائمة ؟

المتدربين من الجامعات القريبة . وهذا امر له خطورته على مستوى التدريس من زاويتين :

١ - ارهاق عضو هيئة التدريس نتيجة النقل المتواصل وزيادة ساعات العمل عن العدد المناسب . فهو لا يقبل الانتداب الا اذا كان مجزيا ، والانتداب لن يكون مجزيا الا اذا كثر عدد ساعاته ، وإذا أضفنا الى ذلك نصابه الأصلي في كلياته الأصلية لتاضع لنا ثقل العبء على عضو هيئة التدريس بما يؤثر على كفاءته سواء في الجامعة المنتدب اليها أو في جامعاته .

٢ - أن ازدياد وقت عضو هيئة التدريس على هذا النحو سوف يعوق قدرته على رفع مستواه العلمي عن طريق الأبحاث المستمرة ومن ثم ينعكس عن ملاحظة التطورات العلمية الجديدة وهو ما يؤثر في النهاية على مستوى تدريسه .

وإذا كان هذا هو الحال فهل يتصور أن تقوم جامعة جديدة تلقى باعياها جديدة على كامل هيئات التدريس المثلثة فضلا ؟

وقد يقول احد باعكانية الاستعانة بالامانة المايلين ببركان البحوث عن طريق الانتداب وهذا في رأي خطأ فهناك من جانب خبرة التدريس التي لا تتوافر بالإمالة لجامعة ، ومن جانب آخر فان الشخص

أو الاعتبارات التي تشجع البعض على المبادرة بضرورة انشائها .
فمن ناحية ، لابد لنا من أن نسلم بداية بان انشاء جامعة أهلية لا ولن يمثل الاستثناء أو الموقر الوحيد لبدء تكافؤ الفرص في مجال التعليم العالي .

ومن ناحية أخرى ، لا مفر أمامنا من أن نسلم أيضا بان التطبيق الاشتراكي في ج . م . ع مزال يعترف للقطاع الخاص بحق العمل في مجال تقديم مختلف الخدمات التعليمية ابتداء من روضة الاطفال الى الكليات والمعاهد العليا .

ومن ناحية ثالثة ، لا نعتقد بان هناك من يستطيع أن يجادل في مدى ضخامة الأرباح التي يمكن أن تفلها رؤوس الاموال المستثمرة في مجال التعليم الاهلي أو الخاص .

وبدون ما استقرسنا في ذكره العديد من الظروف أو الاعتبارات الأخرى ، والتي قد يكثر تردادها تاييدا للاتجاه القائل بضرورة الاسراع

لم يعد خافيا الان على احد أن تعليمنا الجامعي يعاني من مشكلات لا حصر لها ، يعاني من نقص شديد في هيئات التدريس ونقص أشد في امكانيات البحث العلمي الجاد من معامل ومواد خام ومراجع وتختلف نظم الامتحانات ، وقصور نظام القبول القائم حاليا . . الخ الخ ولهذا فمن الغريب ان تظهر الدعوة الى انشاء جامعة أهلية بينما جامعاتنا الحكومية القائمة فعلا أو التي ما تزال في طور الانشاء تواجه كل هذه المشكلات المتعلقة دون حل . ويتبادر الى ذهني سؤال . . اليس من الجدي أن ن فكر في مواجهة هذه المشكلات أولا قبل أن ن فكر في اضافة جامعة جديدة . . أي قبل أن ن فكر في اضافة كيان ناقص جيد الى مجموع ما هو قائم من كيانات ناقصة ؟ ومع ذلك فإن تمحيص فكرة انشاء الجامعة الاهلية سوف يبين لنا الى أي مدى هي فكرة ضارة وغير مجدية ولا تقوم على أساس مدروس .

ولنأخذ أولا زواياة الامكانيات البشرية . . فمن المعروف ان هناك نقصا كبيرا في هيئات التدريس ، حتى ان الجامعات الاقليمية الجديدة كجامعة طنطا والمنصورة والزقازيق والنيا بل وحتى الازهر يقوم التدريس فيها بنسبة ٧٠ في المائة على الاساتذة

أما فيما يتعلق بالطلبة العرب فهم يأتون هنا ليدرسوا بالجان تطبيقا لسياستنا العربية . فإذا وجدوا أنفسهم مضطرين إلى دفع مصروفات فمن يضمن لنا أنهم لن يفكروا في الذهاب إلى فرنسا أو إنجلترا أو غيرها من البلدان الأكثر تقدما كما يفعل جزء كبير من الطلبة العرب بالفعل . وبالقسط فلا يتصور أن تدخل الدولة شريكا في عملية التمويل بأي صورة من الصور لأن الجامعات الرسمية أولى بكل قرش يمكن إنفاقه في هذا المجال خصوصا وأن الجامعات الأنطيمية بالذات ما تزال تعاني عثرات كثيرة عليها كل المهتمين بالتعليم الجامعي .

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الجامعة الإهلية تتنافى مع تكافؤ الفرص ومع الحق الدستوري للمواطنين في التعليم المجاني ، وفي النهاية فإن خريجي هذه الجامعة المقترحة سيكونون بالتأكيد أقل مستوى من خريجي الجامعات الرسمية وذلك لأنهم يدخلون التعليم الجامعي بسلح المال وليس بسلح الكفاءة العلمية . ولو تصورنا أنهم سيكونون في الغالب من أبناء الأسرة الغنية القادرة بمراكزها على دفعهم إلى المواقع القيادية في مختلف المجالات وبخطوات سريعة ، فسنعرف أي كارثة يمكن أن تصيبنا من جراء هذه الفكرة . أنني أطالب بكل مشكلات الجامعات القائمة فعلا ، وإذا كانت هناك إمكانية يمكن أن تقسمها الدولة فتلكن موجهة أساسا لتطوير معامل الطلاب ، ومما يلزم البحث العلمي للإسنادة فهذه هي نقطة البدء لأي نهضة علمية حقيقية في بلادنا .

د . عمر الفاروق بدوي منصور
استاذ مساعد الطبيعة بعلوم القاهرة



■ اخلال صريح بمبدأ تكافؤ الفرص

التعليم الجامعي هو التفوق العلمي وليس التفوق المادي . .

وفي حين تم إلغاء ميزة التفوق الرياضي والاجتماعي والارتكان أساسا على التفوق العلمي كعيار وحيد للقبول بالجامعات نجد من الغريب المناداة بإنشاء الجامعة الأهلية التي لا تتيح فرصة التعليم إلا لمن يتفوق ماديا . .

المنتدب هو في الأساس تخريب على الجامعة وأن يعطيها الأبتدر محدود . أما الفسول بتشغيل الاساتذة المحالين إلى المعاش فتتدبري أن مسألة الإحالة إلى المعاش في حد ذاتها بالنسبة للاساتذة مسألة خاطئة فلا ينبغي أن يهال إلى المعاش منهم إلا من يطلب ذلك بنفسه ، ومع ذلك فانه إذا جاز الاستعانة هؤلاء الاساتذة فلا ينبغي بأي حال أن يكون في مهمة التدريس الجهد مسجيا بالنسبة لهم وإنما في الإشراف على الأبحاث أو التدريس عند مستوى معين وفي التخصصات التي برعوا فيها كعلماء كبار . أن خلاصة القول هو أننا لا ينبغي أن نقبضينا جديدا على حساب شيء قائم بالفعل وأننا علينا أن نطور ما هو قائم، وأن ندرس الجديد جيدا قبل أن نقدم عليه .

وإذا أخذنا زاوية التمويل فإن المسألة تبدو أكثر وضوحا . فها دامت مؤسسة أهلية ، فالمفروض أن يتم تمويلها من رأس المال الخاص أساسا والمفروض ألا يتشر أصحاب هذا الرأسمال رسميا بل وأن يحققوا ربحا مناسباً من وراء هذا الاستثمار . وأننى أشك كثيرا في إمكانية توفير الإمكانيات المالية للانشاءات الأساسية للجامعة الأهلية فضلا عن اعدادها اعدادا عصرية مناسبة عن طريق رأس المال الخاص وذلك لأن الإمكانيات المطلوبة ستكون باهظة بالفعل . ومع ذلك فلو تصورنا أن الجامعة قد أقيمت فمن الذى سيمول مصروفاتها الجارية بمن أدوات وبرتيات للموظفين وهبات التدريس . . الخ كم طالب مصري يستطيع أن يدفع سنويا ما متفرغه للجامعة الأهلية من رسوم على التعليم . . ثم باهى نوعية هذا الطالب . . انه في الغالب الطالب الطبى والفرس في نفس الوقت فهل يستحق هذا الحمد الضئيل وهذه النوعية الدللة ان ننشئ لهم جامعة خاصة ؟

ان فكرة انشاء الجامعة الأهلية فيها اخلال صريح بمبدأ تكافؤ الفرص ، وهو أحد المبادئ الأساسية التي نص عليها الميثاق واكدتها كل المواثيق التالية مثل بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطني . . حيث تتيح الجامعة ذات المصروفات فرصة التعليم لمن لا يتمكن من الحصول على هذه الفرصة بقدراته العلمية . . بينما الأساس في

وإذا كان البعض يرتكز على وجود قطاع خاص في التعليم العام ، فإن ذلك لا يبرر استمرار وجود هذا القطاع في التعليم العالي ، بل يدعى أن يكون التعليم في جميع مراحله قائما على معيار التفوق والاستعدادات الشخصية لكل فرد ويتم توجيهه وفقا لاختارته التي يميز بها .

هذا من الناحية المادية البحتة .

ثانيا : ذلك الجانب النظري في القضية .

.. حيث لا يقبل في بلد متخلف يسمى نحو التنمية وارتقى طريق التحول الاشتراكي أن تكون التفرقة بين مواطنيه على أساس ما يتفوق به البعض ماديا ويتساقط في الطريق من لم يتمكن - بقدرته المادية - من التعليم في المراحل العامة أو العادية .

هذا بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من اخلال بمبدأ التخطيط العام الشامل والملمز الذي يعتبر أساسا هاما من أساس التطبيق الاشتراكي . حيث يكون التعليم أحد المجالات الهامة التي تحدد فيها الدولة احتياجاتها وإمكانياتها لتحقيق أهدافها وأهمية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بجميع جوانبها .

ومن ناحية أخرى يعتبر التفكير في إنشاء الجامعة الامنية ذات المصروفات اخلالا بمبدأ هام يقوم عليه دستور عام ١٩٧١ وهو مجانية التعليم ، وليس مقبولا أن تتدخل دولة تناهز بالاشتراكية عن مبدأ هام من مبادئ الرعاية الاجتماعية والعلمية أو الصحية . الخ بعد اقراره حيث يعتبر ذلك نوعا من التراجع عن أساسيات مبدئية ارتضاها المجتمع وأقرها الدستور .

أما من ناحية وحدة التعليم فها تبرز مخاوف أن تتعدد مناهج التعليم ، وخاصة في الكليات النظرية ، فحين تقوم الدولة بتوحيد المناهج - إلى حد كبير - في جامعاتها ، يفي أن يكون للمعير المادي ضغطه على المناهج التي قد تسمى لتعليم يختلف في أساسياته النظرية عن مثيله في الكليات الحكومية .

ثانيا : الإمكانيات المادية :

١ - من حيث توفر الاساقدة الأزمين :

■ إذا عرفنا على حقيقة موضوعية يعيشها التعليم الجامعي حاليا وهي وجود توسع في إنشاء الجامعات الإقليبية ترتب عليه وجود عجز شديد في هيئات التدريس بهذه الجامعات ، وارتفعت نسبة عدد الطلبة إلى هيئات التدريس عن المعدلات المثلى أو حتى المقتر بها وتضاعفت هذه المعدلات بصورة قد تطل اخلالا صارخا بالكفاءة العلمية التي ينبغي أن يحصل عليها الطالب ، وأصبحت بعض الكليات في الجامعات الإقليبية خلوا تماما

من هيئات التدريس وتعتمد كلية على الانتقابات .. إذا تعرفنا على هذه الحقيقة ، تبس لنا استحالة توفر الأساقدة اللازمين لهذا التوسع الافقي غير المبرور . وكان الأجدر أن يتم نظمية الصجر في هيئات التدريس في الجامعات الناشئة فملا لتحقق أهدافها قبل مجرد التفكير في إنشاء جامعات أخرى .

٢ - رأس المال اللازم للانشاءات الأساسية للجامعة الأهلية والتمويل اللازم لاعادادها أعدادا عسريا :

■ إذا كانت خطة التنمية الحالية غير قادرة على الوفاء باحتياجات بمض المشروعات الحيوية اللازمة لها . فمن غير المعقول أن تخصص الدولة جانباً ليس بالقليل من ميزانيتها لتحويل مشروع لن يفيد في النهاية إلا فئة قليلة وتحقق منه منفعتها الشخصية أكثر من تحقيق منفعة عامة للدولة .

ثالثا : الأعباء التي يفرضها المشروع على الدولة :

■ إذا تم التسليم فرضا بالموافقة على فكرة إنشاء الجامعة الأهلية ، فإن ذلك يستتبع خطر آخر هو التزامها بضرورة تشغيل الخريجين حيث لا يجوز عندئذ التفرقة بين الخريج من الجامعة الحكومية والخريج من الجامعة الأهلية ، ومنذ بداية التزام الدولة بهذا المبدأ بعد صدور القوانين الاشتراكية وإنشاء نواة القطاع العام وصدور القرارات الجمهورية بتعيين خريجي الجامعات ابتداء من عام ١٩٦٧ ، منذ ذلك الحين يتضخم جهاز الدولة والقطاع العام بالصورة التي أوجدت نوعا واضحا من البطالة المقننة والعمالة الزائدة عن معدلات العمالة المطلوبة . الأمر الذي يفرض معه خطورة الصورة بعد وجود خريجين يقفزون عن احتياجات الدولة الحالية والمقبلة ، الأمر الذي أدى بالدولة إلى تصدير الخريجين حاليا . وليس مقبولا أن تتوسع الدولة في تعليم يكون له هدف آخر غير أهداف التنمية .

كلمة أخيرة :

إذا كان هناك من يعترف بعدم وجود تكافؤ فرص بين المواطنين حاليا في التعليم أو الصحة أو الترفيه أو السكن أو الملابس ، فلا يبرر ذلك المطالبة بتعميق هذا التفاوت في الفرص المتاحة وإنما يتطلب العمل على تصحيح هذه الأوضاع - ذلك لأن التعليم هو جزء من بناء اجتماعي واقتصادي متكامل يهدف إلى توفير إمكانيات بشرية لتغطية احتياجات الدولة في التخصصات المختلفة ، وليس مجرد إشباع رغبات الأفراد المؤسرين في التعليم دون تخطيط شامل .

د . أحمد اسماعيل
مدرس الامراض الباطنية
بكلية طب جامعة الأزهر

القطاع العام

ضرورة عملية

لم تفرضها اعتبارات أيديولوجية

كمال السيد

١٩٥٢ وقيمته الآن ، توضح أن الدور الأساسي في التصنيع تولته الدولة .

● « أن الصناعة أصبحت تغطي كل احتياجاتنا الاستهلاكية تدريجاً . وكان التعبير عن استقلالنا الاقتصادي هو انتهاء سيطرة بريطانيا على تجارتنا الخارجية وتنوع اتجاهات الصادرات والواردات » .

● « زيادة فرص العمالة والاجور والارتفاع في الدخل ، مما جعل الاستهلاك المائلي يزداد خلال السنوات العشر الماضية بمعدل ٨٣ في المائة » .

● « كان التأييد واتساع نطاق القطاع العام في المشرعات الجديدة ، هو الطرف الموائى لتأكيد حقوق جديدة للمعامل ، كالاشتراك في مجالس الإدارة وصلاحيات لجان الإنتاج والمشاركة في الأرباح ، وإقامة مجمعات صناعية توفر السكن والخدمات » . كما أصبحت مظلة التأمينات الاجتماعية تؤمن العامل ضد كل المخاطر بها فيها البطالة ، بل وأمتدت هذه المكاسب لقطاع الخاص » .

● « أتاح تحرر الاقتصاد القومي من السيطرة الأجنبية وتأييد الشركات الرأسمالية الكبرى وإنجاز مشروعات التنمية الضخمة ، فرصة نادرة لجعل كامل من الفنيين والاداريين المصريين » . ورغم كل ما أكدته الرئيس السادات وأوضحته التجربة لا يتورع البعض عن المطالبة ببيع بعض شركات القطاع العام الفاشلة كما يقولون » .

والواقع أن القطاع العام في بلادنا اختير لم تفرضه اعتبارات أيديولوجية ، ولم تملئه أفكار عقائدية أو أحكام مذهبية مسبقاً . على النقيض من ذلك ، فقد بدأ الأخذ به في وقت لم تكن فيه فكرة الملكية العامة وسيطرة المجتمع على وسائل الإنتاج

الأرقام لا تكذب ، تلك هي الحقيقة التي استخدمها الرئيس السادات في خطابه لبلاده في ٢٤ يوليو ١٩٧٢ ، ليبين ما أنجزته التنمية وما حققه القطاع العام . فقد أعلن الرئيس أن الناتج القومي قد زاد في الفترة ٥٥ - ٦٦ بمعدل سنوي ١٧ في المائة ، وفي السنوات التي تلت العدوان ورغم فداحة الإعياء زاد بنقدار ٥ في المائة ، في حين لم يتجاوز معدل النمو في الخمسين سنة السابقة على الثورة ١٧ في المائة وهو نفس المعدل في الخمسين سنة السابقة . أما في الخمسين سنة الأخيرة فقد بلغ في ٧٠ - ١٩٧١ . وفي حين لم يتجاوز الانتاج الصناعي ٢٨٢ مليون جنيه ، فقد بلغ في ٧٠ - ٧١ أكثر من ٢٤٢٤ مليون جنيه ، أي أن معدل الانتاج الصناعي كان ٤١ في المائة سنوياً .

وفي الخطاب نفسه أكد الرئيس السادات الحقائق التالية :

● « أن التصنيع - وأداته القطاع العام - لعب الدور الأساسي في هذا النمو السريع الذي يندر أن تجد له مثيلاً في الدول النامية باعتراف أجهزة الأمم المتحدة ذاتها » .

● « أن القطاع العام تولى إنشاء عدد كبير من الصناعات لأول مرة في البلاد ، وفي مقدمتها صناعة الحديد والصلب ، والطبوقات ، والصناعات الكيماوية الثقيلة ، ومحركات الديزل ، والسيارات والجرارات ، والبتروكيماويات ، والفارق الكبير بين قيمة الانتاج الصناعي في

الإنسانية من المصالحات الشائنة والمستقرة *

بالفعل لقد تم اللجوء إلى هذا الأسلوب لإدارة الاقتصاد ومواجهة التحديات ، تمت ضغط اعتبارات عملية ونحت تأثير التجربة المثة مع القطاع الخاص ، الذي أقيمت له في البلاد كل القرض والضمانات ليسهم في تلبية احتياجات البلاد وسكانها مقابل عائد معقول ، ولكنه أبى إلا السيطرة والتحكم والإنفاذ . ومن ثم كان لابد من القطاع العام لإنجاز المهام المطروحة على النطاقين الوطني والاجتماعي ، وأصبح هذا القطاع العام قديراً ومصيراً ليس فقط من أجل تحقيق التقدم والازدهار ، وإنما من أجل ضمان مجسود الاستقرار .

وفي بلدان العالم الثالث ، لم يكن الأخذ بالقطاع العام ترفاً نظرياً أو موقفاً مسبقاً من المالكين أو حقبة توقع عليهم ، وإنما كان ضرورة حياة أكتدها الأحداث وفرضتها . فقد بينت التجربة العملية أن الدول التي انتهجت طريقاً رأسمالياً بعد تحررها وتركزت الجبل على الغرب لقوانين السوق والسعي وراء الأرباح ، وقصرت دور الحكومة على حماية الأوضاع القائمة ، لم تستطع أن تحل أياً من المشاكل الحادة والمزمنة التي تواجهها ، ولم تتمكن من تحقيق آمال جماهيرها التي طال بها المهد وولنت الاستقلال نهاية لآلامها ووداية لحصولها على قدر الأدنى من الاحتياجات الخلق بالشهر والحياة الاممية . في حين أكتدت تجارب أخرى أن الأخذ بالقطاع العام - وتلك نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطني والاجتماعي - قد أتى بما لم يأت به الأول ، وحقق إنجازات تُسادل المجزأت أو تزيد ، بعد أن وقر في الأذهان واستقر أنه ليس لأوضاع التخلف والفقر تحديلاً . ومن بين الإنجازات التي تحققت بفضل القطاع العام ، وهي كثيرة ومتعددة :

■ تحقيق الاستقلال الاقتصادي ، وذلك بإنشاء المشروعات والتسهيلات الإنتاجية التي تقضي على حالة التبعية الاقتصادية للخارج ، وتكفل بسد حاجات الصناعات والشركات المحلية ، حتى ولو لم تفر هذه المشروعات أرباحاً أو جلبت بعض الخسائر ، أو استغرقت فترات طويلة لتبر عائداتها ، وذلك أمر لا يمكن أن يقدم عليه القطاع الخاص الذي يريده ربحاً عاجلاً يحقق له مصالحه الشخصية .

■ تحقيق غايات اجتماعية قد تكون على حساب الربحية في الأجل القصير ، أو على حساب ربحية المشروع الفرد ، رغم أنها مريحة في الأجل الطويل أو مريحة على نطاق المجتمع ككل . ومن أمثلة هذا إنشاء مشروعات في بعض المناطق لإنهاءها رغم زيادة تكاليف الإنتاج بها ، أو بيع انتاج بعض المشروعات بأسعار أقل لإنهائهم

مشروعات تقوم صنعاتها على هذا الإنتاج ، أو لسد حاجات المستهلك الشعبي .

وفيما يتعلق باعتبارات العدالة الاجتماعية ، فإن للتنافس العام في ذلك دور لا يبارى ، ذلك أنه يقضي على التنافس الأساسي في المجتمع الحديث - وهو مصدر كل أنواع الظلم والفسور فيه - وهو التنافس بين الطابع الفردي للملكية المشروع وبين الطابع الجماعي للعمل والانتاج فيه ، والذي يسمح لماك فرد بأن يستولي على نتائج عمل المجموع ، ولا يترك للهم إلا النذر اليسير الذي يقيم أودهم بالكاد . أما القطاع العام فيفتح - للمعاملين - أصحاب الجهد الأساسي - الاستفادة من ثمار عملهم إلى حد كبير ، وتخصيص جزء منه للمجتمع بأسره ، أي أنه يعود إليهم مرة أخرى بطريق غير مباشر ، ولا يحبس في خزائن أفراد أو يسخر لمصالح الشخصية . كذلك فإن قوانين العمل التي تكفل الحماية والأمن للعامل ، أسهل تطبيقاً في القطاع العام ، إذ المفروض أنه ليس لمديرية مصلحة في أهدار حقوق العمال واستغلالهم ، على النقيض مما يفعله الرأسماليون الذين يستعملون تنمية ثروتهم بتكثيف استغلال العاملين إلى أقصى حد .

■ تمكين الدولة من أداء دورها الجديد * فنور الدولة سواء كأداة لحماية السيادة الوطنية ، أو كهيئة ذات نشاط اقتصادي فريضة طبيعية العصر ، يحتاج إلى مبالغ ضخمة لا توفرها الضرائب وحدها - خاصة مع اكتمال وارتفاع تكثيف التهرب منها وفي المجلد الأول من قبل رأس المال الخاص .

وهذه المبالغ يمكن أن توفرها « فوائض أعمال » المشروعات التي تملكها الدولة وتسييرها بطريقة اقتصادية ، أو الضرائب التي تدفعها هذه المشروعات عن أعمالها ، وهي أيضاً ليس لمديريها مصلحة في التهرب منها . وبالفعل فإن حصيلة الضرائب التجارية والصناعية في بلاتنا تقيم أساساً من القطاع العام .

كذلك فإن الاستثمارات اللازمة لتوسيع الإنتاج والمشروعات بما يخدم الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، توفرها المشروعات العامة التي تقوم بعملية تحويل ذاتي واسع النطاق ، وبكامل الانحدار إلى مجالات جديدة وضرورية لضمان توازن النسب .

لكل هذا وكثير غيره ، تبدو غريبة تلك الدعوة التي يهيم بها البعض أو يقرولونها على استحياء - وإن شروها يتنادون بها علانية في الآونة الأخيرة وبلا استحياء - من بيع أجزاء من القطاع العام أو حتى كله ، والمطلق الجبل على الغرب للقطاع الخاص طريقاً وحيداً للنشاط الاقتصادي .

الى الشركات الناجحة لا الفاشلة جريون الاستيلاء عليها مباشرة لامن استقلالها حسابهم من بعيد . وشركات القطاع العام اجمالا ، والشركات الناجحة بصفة خاصة كلفت اموالا هائلة لكي تقف على قدميها وتحقق ما وصدت اليه ، والاستثمارات التي بذلت فيها مصدرها امسا الضرائب التي دفعها الشعب اساسا ، او فوائض المشروعات الانتاجية الاخرى المملوكة للدولة ، او قروض من الخارج تحملت الدولة والضعب اعباءها . وهذه لا يجوز بحال من الاحوال التغرير فيها ، كما لا يمكن عمليا الاستغناء عن الفوائض التي تدرها هذه المشروعات ، والتي تمكن الدولة من تنفيذ التزاماتها في الدفاع عن الوطن وفي تحقيق الاتصالات الاجتماعية - ولا يستقيم وضع هذه الفوائض تحت تصرف القطاع الخاص ليدبها في انفاق استهلاكى او ليستخدمها في السيطرة .

لقد نهض القطاع العام بعبء تنمية مجالات لم يكن القطاع الخاص ليحفظها ولو بعد ألف سنة ، وكفلت هذه المجالات سد معظم حاجياتنا . ويكفي في هذا الصدد المقارنة بين الفترة التي كانت فيها البلاد في « حالة حرب » ايام الحرب العالمية الثانية والتي انقطع فيها ورود معظم مستلزماتنا ، وبين « حالة الحرب » الحالية والتي يسد القطاع العام معظم احتياجاتنا فيها . كما ادت تنمية هذه المجالات الجديدة الى خلق فرص للعمل والاجور الافضل ، استفادت منها الملايئف من الاسر التي تضم ملايين الاشخاص . كذلك ساهمت هذه المجالات الجديدة في تمويل عمليات التنمية اللاحقة والمشروعات الاجتماعية بل الجهود الحربية .

ان اى دعوة لتصفية القطاع العام ، تهدر فعلا انجازات وتجارب عشرين عاما ماضية . وذلك يؤكد قول الرئيس السادات في خطابه في ٢٤ يوليو ١٩٧٢ ، بأن « الدرس الاعظم الذى نستفيد من خبرة العشرين عاما الماضية ، هو ان الاستعمار وأعوانه من الرأسماليين يترصدون دائما بفضل الشعب ومنجزاته . يريدون الانقضاض عليها والارتداد بالجماهيم الى لشكال من التبعية والاستغلال . ان سلاحنا هو قوى الشعب العامل والبقيلة الدائمة الحرس على استمرار الثورة . ان ما اتجزه شعبنا رانغ جليل ، وأروع ما فيه انه يهيب لنا الظروف المواتية لانطلاقه كبرى لنصفي تماما آثار التخلف وينبئ على هذه الأرض العريقة دولة حديثة . » لذلك فالموضوع الاجدر بالبحث ، والذي يتفق مع المصالح الوطنية والاجتماعية للبلاد ، هو كشف اسباب تعثر قلة من الشركات العامة والطريق الى التغلب على هذا ، لكي تنهض هذه الشركات بما انشئت من اجله ، وحتى لا تتخذ ستارا للدعوة الى تصفية اروع انجازات ثورة يوليو : وهو القطاع العام .

وقضلا عن أن هذه الدعوة ، تعتبر انتهاكا صارخا لمواثيقنا السياسية الاساسية - خاصة الميثاق وبرنامج العمل الوطنى - فانها تتناقض مع اختيارات شعبنا الاساسية الذى يتطلع للاشراكه وادائها التنمية والتخطيط والقطاع العام ، حلا لمشاكله وتحقيقا لامله . كما انها اهدار لكل الحرية الماضية خلال العشرين سنة المنصرمة ، والتي اكدت عجز الرأسمالية الخاصة وعدم رغبتها فى القيام بتنمية حقيقية .

والتعميل الذى يلجأ اليه اصحاب هذا الرأى ليبروا به دعوتهم من ناحية ، ولكي يمرروها على الشعب ويسهلوه من ناحية اخرى ، ادعاهم انهم يطالبون فقط ببيع المشروعات الفاشلة فى رأيه . لكن تلك الدعوة تثير كثيرا من التحفظات منها :

● ما هو معيار الفضل ؟ هل هو مجرد عدم تحقيق ارباح ؟ وماذا عن النتائج الاجتماعية والسياسية وغيرها ؟

● الم يكن الاجدر بحث اسباب الفضل والعمل على القضاء عليها ، ذلك ان خطأ التطبيق لا يلقى أبدا سلامة اليد . والواقع ان المصدر الاساسى لجميع المآلئب التي تعاني منها بعض شركات القطاع العام ، يتلخص فى الاعداء التي يفرضها عليه القطاع الخاص ، الذى ترج على ان يعيش عائلة عليه ، بان يستولى على الاستثمارات التى تستورد لها لى الدولة ليعيد بيعها لشركات القطاع العام بأسعار مضاعفة ، تؤدي الى تضخم التكاليف وتقليل هامش الربح ، او استغلاله لحسابهم بإرشاء اقصاء بعض السنوطين عنه الذين يضعون مقدرات المشروعات العامة الموجودة تحت قيادتهم فى خدمة اصحاب المشروعات الخاصة .

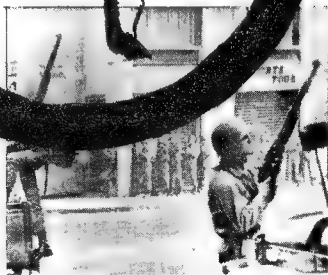
● وفى غمرة الحديث عن الفضل ، يتمسك اعداء القطاع العام مشروعا يمانى من بعض العمويات ليمموا صورته ويجعلوا منه نموذجا وعينة لكل مشروعات القطاع العام ، ويتناسوا المشروعات الناجحة فيه والتي تعتبر فى القاعدة والاساس . وعند المقارنة مع القطاع الخاص ، يأخذون مشروعا خاصا نالجا لسبب او لآخر ، يتوقف فى التحليل الاخير على مدى كفاءة الاستغلال فيه ، ليجعلوا منه صورة لجميع مشروعات القطاع الخاص ، والتي يدعون نجاحها جميعا ، متجاهلين آلافا من حالات الافلاس والبروتست والاخلق التي شهدوها القطاع الخاص قبل الثورة وبمدها بسبب عدم كفاءتها .

● وفى غمرة المغالطة والحديث عن بيع المشروعات الفاشلة ، يتهرب اصحاب هذه الدعوة من السؤال التالى : من الذى يشتري مشروعات فاشلة ؟ بالقطع ليس الرأسماليون . والواقع ان اعين اصحاب الثروات الخاصة والتي جبروها من التعامل مع القطاع العام وعلى حسابيه ، تتجس

شيلي التجربة الانقلاب المقاومة



- حركة الأمل
- أمل مجبورون يطفئ
- الطريق السامي في قارة دموية
- المينزي ماركسيا يعرف روح عصره





د . سلفادور الليندي

- ولد في ٢٦ يوليو ١٩٠٦ من أسرة متوسطة في مدينة فلوريانو .
- تخرج من كلية الطب ، وعمل لفترة قصيرة .
- عام ١٩٢٧ انتخب عضوا في البرلمان .
- عام ١٩٢٩ كان وزيرا للصحة .
- عام ١٩٤٢ كان مديرا لمستشفى الضمان الاجتماعي للمعال .
- عام ١٩٤٢ أسس الحزب الاشتراكي . ، وأصبح فيما بعد سكرتيره العام .
- عام ١٩٤٥ انتخب عضوا في مجلس الشيوخ .
- عام ١٩٥٢ رشح نفسه لانتخابات الرئاسة لكنه هزم أمام الجنرال أليانز .
- عام ١٩٦٤ رشح نفسه مرة أخرى لانتخابات الرئاسة . وانتقلت المفارقات الاميركية ٢٠ مليون جنيه لتساقطه . وفاز هذه المرة المرشح الديمقراطي ادوارد فراني .
- عام ١٩٦٦ انتخب رئيسا لمجلس الشيوخ .
- في الانتخابات الاخيرة كان مرشحا لجهة اليسار وتكونت ١٥٠٠٠ لجنة للدخول له . وانتخب في سبتمبر ١٩٧٠ رئيسا للجمهورية وفاز على منافسه بفارق في الاصوات بحوالي ٢٩ ألف صوت .
- عضو رئاسة المجلس العالي للسلام .
- حاز على ميدالية جوليوس كوري الذهبية للسلام .

شيلي : الليندي

سلفادور الليندي . . يعال من أبر وأبيل أبناء شعب شيلي .

ومع كل الالم والحسرة ، التي يخلفها استشهاده ، فإن بذله لروحه وحياته دفاعا عما بشر به ونذر له نفسه ، ذخيرة ليس مثلها ذخيرة في ترسانة من يفتلون الجهد والعمر لتخضر وتزهو صحراء حياة الكادحين وتثمر وتجدو كروم ربيع مملكة الإنسان ، على الأرض .

وقيلون هم الزعماء الذين نافضوا للنهابة في سبيل ما يعولون من أجله ونادوا به . وأند من هؤلاء من قاتل يحد السيف ذودا عما جاء به واسترخص الروح في سبيله . ومن بين كل هؤلاء يحتل الليندي شهيد الإنسانية التقيمية جيمعاه ، مكانة لا يدانيه فيها إلا عديد محدود من قادتها على امتداد تاريخها الطويل . فقد ظل الرجل وفيا لما دعا اليه حتى آخر لحظة ، مثارعا بصير وجلد ، وجنح للمسلم ما وسعه الى ذلك سيلا ، رغم ضراوة ونذالة الأساليب التي واجهوا بها دعوته للحق والعدل والسلام ، والتي « تصاعدت » الى حد قتل الرئيس الشرعي للبلاد الذي اختارته أمة في انتخابات تمت في ظل سلطة لم يكن هو صاحبها ، بل كان « مجرد » معارض ، ليس له تأثير على أجهزة الحكم ومؤسساته . . وحتى بعد انتخاذه لم يحل « بني الطريق السلمي » نحو العدل الاجتماعي ، البرلمان المعارض له ولم يلغ الصحف وأجهزة الاعلام التي لا تدين بطريقة ، والتزم حتى آخر لحظة الطريق الدستوري الشرعي القانوني السلمي .

واستشهاد الليندي صاحب التجربة الاولى للطريق السلمي ومدفعه الرشاش في يده وخوذته على رأسه ، ليس « نقدا علميا » بقوله الطريق السلمي ، وإنما هو تأكيد جديد لحقيقة أن القوى المعادية للتقدم هي التي تفرض العنف أسلوبا للتعامل بين أبناء المجتمع الواحد . لقد استحق الليندي بموته لقب « القائد المشجع لشعبه » ، هذا الشعب الذي لن يتوانى عن مثله كل التضحيات ليستمر طريق الليندي ويظل ما علق به من أدران الفاشيين الصغار عملاء الاجنبي ، تستصرخه الدماء الذكية الطاهرة ، دماء الليندي ورفاقه ، جماع الطبقة العاملة والفلاحين وكل الكادحين ، لكي يخلص البلاد من قوى الجهالة والمعاملة .

((الطليعة))

شيلي : التجربة ، الانقلاب ، المقاومة

● بلغ مجموع أرباح شركة ناكولدا الأمريكية من استثمار مناجم النحاس في شيلي ١٩٢٠م ٧٨٦٠٠ دولار في عام ١٩٧٠ .

● ١٢ في المئة من سكان شيلي (كبار الرأسماليين وكبار الملاك الزراعيين) كانوا يسيطرون على ٢٦ في المئة من الدخل .

● ٧ في المئة من السكان (العمال الصناعيين والعمال والفقراء) يعملون على ٢٢ في المئة من الدخل .

● بعد تأميم شيلي للنحاس انخفضت التوروس الأجنبية التي كانت تحصل عليها من ٢٧٠ مليون دولار إلى ٢٢ مليون دولار فقط .

● خلال حكم الليندي ارتفع معدل زيادة الإنتاج القوي في سنة في السنة وفي أعلى معدل شهيد شيلي وكان ٢٠٠ في المئة من عام ١٩٦٦ وانخفضت نسبة البطالة من ٨ في المئة (في عام ١٩٧٠) إلى ٢ في المئة في (عام ١٩٧١) .

شيلي : الأحداث

في ١١ سبتمبر روع العالم بإخبار انقلاب عسكري في شيلي تزعمه قادة اسلحه الجيش والبوليس تحت رئاسة الجنرال أوجو ستيغوبيونز فيه القائد العام للقوات المسلحة . وحاصر الانقلابيون قصر الرئاسة ووجهوا انذارا الى الرئيس الشرعي والمختب سلفادور الليندي . يطلبون اليه الاستسلام مع تأمين حياته وخروجه من البلاد . غير أن الرئيس الليندي رفض انذار الانقلابيين بالاستسلام ووجه نداء الى الشعب الشيلي دعاه فيه الى تنظيم المقاومة المسلحة ضد الانقلابيين دفاعا عن حقوقه وحرياته ومكاسبه واستمر يقاوم في قصر الرئاسة المحاصر ، الذي حولته نيران الانقلابيين في النهاية الى كتلة من النيران وقم الاستيلاء عليه .

وبعد الاستيلاء على قصر الرئاسة إشاعت وكالات الأنباء الغربية أن الرئيس الليندي انتشر أثناء الهجوم على قصر الرئاسة . غير أن البيان الرسمي الذي أصدره الانقلابيون لم يشر على الإطلاق الى ذلك . وجاء فيه أن جثة الليندي وجدت في قصر الرئاسة بعد الاستيلاء عليه بالقوة . وفي ١٤ - ٩ أعلن ممثل جبهة الائتلاف الشعبي في بيونس آيرس ، في مؤتمره الصحفي أن الرئيس سلفادور الليندي قد قتل على يد ضابط من الانقلابيين يدعى جاريديو عندما اقتحموا قصر الرئاسة .

وهكذا أودى الانقلابيون بحياة الرجل الشجاع والزعيم المحبوب لشعب شيلي وهو يقتال حتى أنفاسه الأخيرة من أجل القضية التي ظل يدافع عنها طيلة حياته ، ووضعوا بذلك نهاية لثلاث سنوات حاسمة ومخالفة في تاريخ شيلي ، هي فترة حكم الليندي وجبهة الائتلاف الشعبي . وضخوا نهاية لتجربة فريدة في الثورة الاجتماعية طالما تطلعت اليها انظار الحركة الثورية في جميع أنحاء العالم .

وسرعان ما أعلن الانقلابيون عن تشكيل حكومة معظمها من العسكريين يرأسها الجنرال بينوشيه . ولقد عين هذا الجنرال قائدا هامدا للجيش قبل الانقلاب بثلاثة أسابيع فحسب بعد أن استقال الجنرال كارلوس براتس من منصبه كوزير للدفاع وقائد أعلى للقوات المسلحة .

ومنذ اللحظات الأولى بدأ اتصاف جبهة الائتلاف الشعبي بالمقاومة المسلحة ضد الانقلاب في جميع أنحاء البلاد ، وتميزت بالمقاومة المسلحة بمنف خاص في الحزام الصناعي المحيط بالمدينة سانتياجو . لقد أحل العمال المصانع والمؤسسات حيث قارموا الانقلابيين ولم تمكن القوات المسلحة للانقلاب من احتلال المصانع . إلا بعد صدائعات مسلحة مع العجائز استقيمت فيها

شيلي : التجربة . الانقلاب . المقاومة

● اتحاد الطلاب العالين
• ان الطغمة العسكرية التي سعت سويجه
ببائش من وكالة المخابرات المركزية
الامريكية سببها اعادة الزحف الثوري
لشعب شيلي من خلال عملياتهم
فيها حملات برودة ضد القوى الوضبة
والثقلية .

ان طلاب الت : بيون الانقلاب غير
الشرعي في شيلي ويؤكدون تساوهم
لشعب شيلي وظلاله في مقاومتهم القاسية
للطغمة القاشية . . .

● اتحاد الصحفيين الدولي
• ان ما يجري الآن في شيلي هو جزء
من واحدة امريالية ضد الأمم المتحدة
في سبيل استقلالها الحقيقي . .
• ان اتحاد الصحفيين الدولي يعلن
مساندته التامة للثوري التقدمي في شيلي
التي تعرضي الآن لعمليات قمع وحشية من
جانب الطغمة القاشية .

|||||



لقتة بأن القوى التقدمية في شيلي ستضمن للبلاد المودة بسرعة
الى المبادئ الدستورية والديمقراطية .

وجه في بريقة فرانسوميتزان سكرتير الحزب الاشتراكي
الفرنسي : « ان الممارضة الليبيرية التي تلهبها الامبريالية سلكت
منذ اليوم الاول للانتخاب الليبيرى طريق العنف والانحطاط . وكان
الانقلاب العسكري هو الحجة الاخيرة لدى هؤلاء الذين يريدون قمع
الشعب ومعارضون التقدم والعدالة » .

وفي البلدان الاشتراكية اعلنت الحكومات والحزب السياسية
والمنظمات الجماهيرية استنكارها للانقلاب الدموي ومساندتها
لجماهير الشعب الشيلي في نضالها ضد الاجراءات الدموية
للمسكرين .

وفي بلدان امريكا اللاتينية ثارت حركة جماهيرية عارمة تندد
بالانقلابيين وتطالب الحكومات بعدم الاعتراف بالنظام العسكري
الجديد وتنظيم مساعدات لشعب شيلي . وتشكلت في الأرجنتين
والمكسيك كتائب مسلحة دولية لمساندة شعب شيلي في نضاله ضد
الانقلاب . واعلنت حكومة المكسيك اعطائها حق اللجوء السياسي
لعائلة الليبيرى ، ولعدد من الشخصيات الشيلية المعارضة
للالنقلاب ، وطلبت كوبا عقد جلسة طارئة
لمجلس الأمن لمناقشة الانتهاكات الخطيرة التي قام بها
الانقلابيون للقواعد الاولية للقانون الدولي وميثاق الأمم
المتحدة بالحدود على سفارة كوبا في سانتياغو وعلى السفينة
الكوبية بالبالايجا في المياه الدولية ، وكانت جلسة مجلس الأمن
مظاهرة احتجاج وادانة ضد الانقلاب العسكري وعبر عديد من
المندوبين عن قلقهم ازاء التطورات الاخيرة التي تجري في شيلي
والتي تتنافى مع أبسط مبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان .

وفي الولايات المتحدة سارت المظاهرات في شوارع واشنطن
تحتل لافتات « المار للانقلاب العسكري » « يسقط الفذح في
شئون شيلي » « السلطة لشعب شيلي » . وأعلن اساتذة الجامعة
الامريكية ان الانقلاب الذي تم في شيلي انتهاك صريح لمبادئ
الديمقراطية . وأعرب ادوارد كيندى عن قلقه العميق من عذاب
العسكري ضد الرئيس سلفادور الليبيرى . وقال في مجلس الشيوخ
أن الرئيس الليبيرى كان منتظيا من قبل شعب شيلي وأن العنف
الحالى في ذلك البلد يثير الانزعاج ، سواء كانت سياسة الليبيرى
مقبولة أو مرفوضة . وصرح ج . هارنجتون النائب الديمقراطي
في الكونجرس « بأن الولايات المتحدة سمعت بسياساتها الاقتصادية
الى خلق حالة من الفوضى في المجتمع والاقتصاد في شيلي . وأكد
هارنجتون « لقد استخدمنا قوتنا الاقتصادية الضخمة لخنق
حكومة الليبيرى » .

وحتى تكون لدينا صورة واضحة لما يجري اليوم في شيلي يجدر
بنا أن نعود قليلا الى الوراء ، الى ما قبل الانتخابات التي أتت الى
الحكم سلفادور الليبيرى وحكومة الائتلاف الشعبى . لننتبع
المرامات التي جرت على أرض شيلي والتي كان الانقلاب
العسكري الاخير والحرب الاملية محصلتها النهائية .

فقبل فترة رئاسة الليبيرى التي بدأت في سبتمبر ١٩٧٠ وخلال
حكم ثري الديمقراطية المسيحي الذي استمر من ١٩٦٤ حتى
١٩٧٠ تمكنت أزمة النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى في
شيلي بدرجة بالغة فزاد اعتماد البلاد على الخارج وتماطت

السيطرة الامبريالية وازدادت حدة المشاكل التي تواجهها غالبية السكان • وغشلت محاولات تخطي الازمة من خلال اصلاح الزراعي الذي طبقته حكومة فرى لانه كان اصلاها محدودا لم يمس جوهر المشكلة ، ولم يصفى الاقطاع الشيلي •

وعندما وصل فرى الى الحكم كانت ديون شيلي ضخمة • ولكنها ارتفعت في ايام حكمه الى ٣ بليون دولار • ورغم اصلاح الزراعي المحدود تدهور الانتاج الزراعي مما اجبر البلاد على زيادة وارداتها من المواد الغذائية • وفي عام ١٩٦٩ انفقت البلاد على شراء المواد الغذائية حوالي ١٥٠ مليون دولار ، رغم ان تقديرات الاقتصاديين تشير انه في مقدور شيلي ان تنتج موادا غذائية تكفي لـ ٣٠ مليوناً من السكان •

ومع تزايد الازمة اتسعت حدة نضال الجماهير المريضة خلال السنوات الاخيرة من حكم فرى وبدأ النظام يترنح لان الحلول التي قدمتها القوى السياسية البرجوازية فشلت الواحد بعد الآخر • وفي ظل الازمة الحادة التي واجهت البلاد عجزت البرجوازية في شيلي ان تدخل انتخابات ١٩٧٠ موحدة الصفوف ، فنزلت بمرشحين احدهما فرى عن الحزب الديموقراطي المسيحي والاخر جورج سالناري عن اليمين التقليدي « الحزب الوطني » • وكان هذا الانقسام احد العوامل التي ساعدت جبهة الائتلاف الشعبي على كسب الانتخابات الرئاسية بعدد محدود من الاصوات ولم يكن هذا هو السبب الوحيد بل ان تعاطف نضال الجماهير واتساع مدهاه وارتفاع وعيها السياسي ساعد على نجاح مرشح جبهة الائتلاف الشعبي لانتخابات الرئاسة سلفادور الليندي •

وهكذا نجح سلفادور الليندي في الانتخابات الرئاسية واصبح رئيسا لشيلي • وكان انتخاب الليندي يعني ان جبهة اليسار الشيلي استطاعت ان تكسب الحكومة ولكن السلطة السياسية استمرت في ايدي البرجوازية التي كانت لا تزال قوية النفوذ •

ولا شك في ان انتخاب سلفادور الليندي لمنصب الرئاسة قد وجه ضربة شديدة للرجعية الشيلية والاجنبية • وكان انتصار القوى الديموقراطية اليسارية الممثلة في جبهة الائتلاف الشعبي في البداية • وتظاهرت البرجوازية والرجعية لبعض الوقت بالاذعان لارادة الشعب • غير ان البرجوازية الشيلية التي كانت تتشقق دائماً بالديمقراطية سرعان ما تفتتت عن ميادئها عندما أدركت انها فقدت الحكومة وبدأت منذ الايام الاولى مؤامراتها ضد الحكومة الشعبية • وحاولت وضع المصاعب في طريق حكومة الليندي وسرعان ما انتقلت الى التآمر والارهاب • وزاد جنوبها عندما بدأ يتضح لها ان عزلتها تزداد وان الجماهير تزداد الثقافا حول الليندي وحكومته •

ولماتت حكومة الليندي خلال السنوات الثلاثة من حكمها واعتمادا على تأييد ومساندة الجماهير المريضة من الكادحين وخاصة الطبقة العاملة باحداث تغييرات عميقة في شيلي • ونفذت الحكومة الشعبية عددا من الاصلاحات الجذرية والهامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية في البلاد •

ويجب ان نشير الى ان اهم عمل قامت به هو تأميم الاحتكارات الكبيرة المتعددة القومية التي كانت تستغل مناجم النحاس وسيطر على ثروة شيلي القومية واستغلها لحساب الامبرياليين الامريكيين



■ بدا الصراع بين قادة الانفصالي العسكري — والصليبي المسيحي الديموقراطي والذي كان يترجم اهزاب المعارضة ضد حكومة الليندي • واعلان باتريسيو ابلون زعيم الصليب — ان الحزب لا يقبل التوجهات المختلفة باجراء تغييرات في النظام الدستوري الطبيعي ، والذي لا تتبع من الشعب ، وان احدا لا يمكنه ، ولو بقوة السلاح ان يفرض نظائلا دستوريا على البلاد • واهرب ابلون عن شوكه ازاء قرار المجلس العسكري الذي حظر تنساق الاحزاب الماركسية ، وقال « اننا لا نعتقد ان الاحزاب السياسية يمكن فيها ميسوم او ان الافكار يمكن فرض حجر عليها بقرارات حكومية » ■

● اجتماع لتأنيبي في موسكو

في ٢٠ سبتمبر عقدت رئاسة المجلس العالمي للسلام اجتماعا لتأنيبي سلفادور الليندي .. والليندي عضو في رئاسة المجلس العالمي للسلام وحاز على ميدالية جوليوس كوري الاعية للنضال من اجل السلام •

مؤتمر عالمي للنضالين مع شعب شيلي

عقد في هلسنكي بناء على دعوة من حركة السلام الفنلندية مؤتمر عالمي للنضالين مع شعب شيلي يومي ٢٩ - ٢٠ سبتمبر وقد حضر المؤتمرات ممثلون من مختلف انحاء العالم •

الاجلاس انھری، فیصلہ

سعادة سفير شيلي بالقاهرة
عقدت السكرتارية الدائمة للمجلس
المصري للسلام اجتماعا طارئا ونوقضني
ان اوجه الى سيادتكم الرسالة المرفقة .
برهاه اياها لحكومتيكم .

خالد مكي الدين

السفكروني العام للمجلس المصري للإسلام

مراجعة صغير شادي - القاهرة

يعد أنصار السلام المصريين أن نقولا
باز قدس كونه الإنقلاب الأخير في شبلي
لزعيمهم الشهيد التطورات الخطيرة التي
تطاعتها بالهجوم الشرعية الرئيس الراحل
سلفادور ألييندي والصين في اعتداهم
إن هذا عمل القتل العنصري الذي أغرى أنما
ثم قد صالغ الشعب الشبلي الذي
أهانته حكومة الشرعية في انقلابه حرة
ومستوربة والذي أختار لنفسه السور في
طريق العداء للاستعمار والرجعية
والقضاء على الاستكبار الإمبريالية
والعمل ببناء شبلي مستقلة ومحررة
والصينيا وبسببها ومنظمة لئسا
الاستاءة على أيدى -

ان الانقلاب الأخير في شيلي ليس سوى تنفيذ لأمرة استعمارية ضد إرادة الشعب الشيلي وإرادة شعوب أمريكا اللاتينية جميعاً.

والجمعية الشفوية ، وتحولت هذه الشركات بعد تأميمها الى ملكية للشعب . وأممت حكومة الليدنى كذلك الشركات العاملة فى اعمال المناجم (شركة جوجونتهام التى تسيطر على استخراج املح البوتاسيوم وشركة امريكان سملنج التى تتحكم فى استخراج خام الحديد) .

وخلال السنوات الثلاث من حكمها ضمت الحكومة الشعبية إلى القطاع العام أكبر الشركات في الصناعات التحويلية كما آمنت البنوك. وبذلك وضعت حداً لجبروت الأوليغاركية المالية المرتبطة بأوقر إريبايت والبنديفيقيين « كبار ملاك الأرض » وشكلت في جميع المؤسسات العامة مجالس للادارة تفصلها بقاؤون العمال.

كما نفلت الحكومة الشعبية إصلاحا زراعيا عميقا خلال الثلاثين سنوات نضت ٩٧ في المائة من الملكيات الصالحة للزراعة والتي كانت تحت سيطرة ٨٠ مزارعا هي السعد الأعلى للملكية الذي نص عليه قانون الإصلاح الزراعي ، من كبار الملاك ووزعت على الفلاحين . وبدأ المزارعون يملكون ٤٠ هكتارا بالنسبة للأرض التي لا تزيد ، أو التي

وأعادت الحكومة الشعبية توزيع الدخل القومي بشكل أكثر عدالة . فخلال ثلاث سنوات زاد الجزء من الدخل القومي الذي يذهب الى الجماهير العاملة من ٥١ في المائة الى ٦٤ في المائة . يعكس ذلك السياسة الاقتصادية الاجتماعية التي تهدف الى زيادة دخول العمال والفلاحين .

غير ان الطريق الذي اتخذه الشعب تحت زعامة الليندى لم يعيب الرجعية الشيلية ورجال الصناعة والقطاعيين وممثلى الولىجاركىة المالية الذين ترتبط مصالحهم بمصالح الاحتكارات الاجنبية ولى مدى السنوات الثلاث كان هناك تصاعد مستمر فى مقاومة القوى الرجعية لسياسة الحكمة الشعبية - الشعبوية، وعملت الاحتكارات الاجنبية على مساعدة الرجعيين المسمومين، واستخدمت اماليب معقدة للرشوة والحصار الاقتصادى لشل حياة البلاد والازعاج بها فى هاية الحرب الاهلية - وقد اكتسحت الرجعية كل قواعد ما يسمى بالديموقراطية البرجوازية وباعمالها الهدامة وضعت شيل فى موقف بالذلة والظلمة .

ويدات الإرجازية والرجعية القبلية بمقارنتها بما
يسمونه «القاومة المدنية» ثم صممت تلك المقاومة الى محاولات
مباشرة للاطاحة بحكومة الوحدة الشعبية بمساعدة بعض الدوائر
في القوات المسلحة كما حدث في محاولة يونيو الماضي عندما تمرد
جزء من الفرقة الثانية المدرعة، وخلال العام الماضي حركات
الاميرالية الرجعية اضرب الموظفين

وبعد النجاح الضخم الذي حققته جبهة الائتلاف الشيعي في انتخابات العام الماضي أدرك الرعميون أنهم لا يستطيعون بالوسائل الشرعية أن يثأروا من انتصار كتلة التحالف الشيعي فبدأوا بسرعة يغيرون من تكتيكاتهم . لقد فشلوا في خداع الشعب والحصول على ثلثي المقاعد في انتخابات الجمعية الوطنية ما يسمح لهم بالتوصل إلى إسقاط حكومة الليندي من خلال الطريقة البرلمانية . وأزاء فشلهم في الانتخابات وتقدم مراكز جبهة الائتلاف الشيعي وانقضاء الصامير من حولهم بدأ الرعميون يخططون إلى المؤامرات والعنف المصلح بشكل مقترح . وتضاعفت حملة الإرهاب من جانب الرعميين . وخلال الشهر الأخير من حكم

الليدني قامت المنظمات الفاشية « رولاندوماتوس » و « سأتريا ايلبرتا » باكثر من ٣٠٠ عمل تخريبي وارهابي في جميع أنحاء البلاد وقاموا بمحاولات متكررة للعوان على زعماء اليسار والعمال الذين التفوا حول حكومة الليدني . وبدأت تحركات واسعة من القوى الرجعية في مختلف الاتجاهات مستخدمة الارهاب والاضرابات والاعمال الانقلابية والمنصف بهدف التحضير لتقلب حكومة الليدني . وانفجر اضراب اصحاب سيارات النقل الذي اشترك فيه ٢١ ألف شاحنة ولم يكن يعمل في البلاد طوال الاضراب سوى ٢٦٠٠ شاحنة بما كان له اثر بالغ على تعيق امداد الشعب بالمواد الغذائية وعلى تدهور الاوضاع في البلاد بصورة خطيرة وقد اوقع هذا الاضراب اضرارا بالغة بالاقتصاد القومي تقدر بمائة مليون دولار .

وازاء التدهور الخطير في الاوضاع الاقتصادية والسياسية في البلاد في الشهر السابق على الانقلاب أصدر اتحاد النقابات في شيلي مداء الى الطبقة العاملة والشعب جاء فيه « ان الوضع القم في البلاد ينذر بمواقب وخيمة » ووجه النداء دعوة لكل الوطنيين للاستعداد للدفاع عن حكومة الليدني ومكاسب الشعب التقدمية ازاء محاولات الدوائر الرجعية القيام بانقلاب عسكري . وسرعان ما تحركت الاغلبية الرجعية « داخل الجمعية الوطنية فانضمت قرارا قبل اسبوعين من الانقلاب اتهمت فيه الرئيس الليدني « بخرق القانون والاخلال بواجباته » ووقف النائب الشيوعي **جورج انسونا** ليعلن في الجمعية الوطنية ان « هذا القرار الذي اتخذته الاغلبية الرجعية في المجلس ليس سوى قتل التفجير لمحاولة الانقلاب » . وقد كان ، ووقع الانقلاب بمدااسبوعين من هذا القرار .

واليوم وسط مأساة شيلي تبدو الفكرة الرئيسة في خطاب وزير خارجيتها **كلودوميريو ألبيدا** في مؤتمر الجزائر لدول عدم الانحياز ذات دلالة خاصة . لقد قال ألبيدا « ان الخبرة الثورية لبلدان أمريكا اللاتينية » التي اكتسبت في النضال الطويل ضد الحكم الاستعماري والتوسع الاقتصادي الاجنبي والمدون العسكري المباشر هي ملك لكل القوى التقدمية في البلدان النامية . ان القوى الثورية في أمريكا اللاتينية تستحث ما يمكن ان نسميه بالنضحية المعادية للامبريالية في كل بلد في العالم الثالث يقف الى جانب ميادى عدم الانحياز في شكلها الايجابي الديناميكي اى في شكلها **وختم ألبيدا خطابه قائلا** : « نحن الشعب الشيلي ندرك بيقين اننا جزء من عالم عدم الانحياز اننا نتمنى لكل قوى التقدم » وانفجر المستمعون بالتصفيق الحاد .

وقد قرر المؤتمر بالإجماع وقبل الانقلاب بإيام توجيه رسالة الى حكومة الليدني ببناء على خطبة الوفد الجزائري . وفي تلك الايام ، وعلى خلفية الانقلاب الدموي ، تبو هذه الوثيقة قسما بمسؤولية العالم الثالث حيل مصير الثورة الشيلية .

وفي هذه الرسالة التي وقع عليها ستون من زعماء العالم الثالث رحب المؤتمر بالسياسة الشجاعة لشيلي في معارضة الاحتكارات الدولية والمدون الاقتصادي وتدعيم الاستقلال الوطني : « ان نضال شعب شيلي الذي يواجه ضغطا امبرياليا شديدا تتابعه بحطف شديد كل الشعوب وكل القوى التي تعمل من أجل عصر من التقدم والحرية » .

ان انصار السلام المحررين بشعرون بانزعاج بالغ ازاء التطورات التي صاحبت الانقلاب والارهاب البشع الذي يشن ضد القوى الوطنية والتضامنية وانصار السلام الشليين . ان الاعمال ذات الطابع القتلي ومعطيات القتل بالجملة واضهاد اللاجئين السياسيين وغيرها انما تقو في نفوسنا ونفوس كل انصار السلام في العالم الاشتبزاز والرفض القاطع .

ان انصار السلام المحررين لشعرون بالفسادة الفاحشة التي لخصت الانسانية جميعا لصرع الرئيس سلفانور الليدني ، القائد الضعيف لشيعة ، والذي كان ولغزة طويلا واحدا من أعضاء المجلس العالي لسلام المازين .

وقد وردت إلينا انباء مزعومة عن قتل شاعر شيلي العظيم بابلو نيرودا الحائز على جائزة نوبل للسلام وعلى ميدالية جوليو كوري للسلام . . . وعوض المجلس العالي للسلام وما كان احرى بالجبرالات الاقلايين ان يدركوا ان اشخاصا امثال الليدني وبابلو نيرودا ملك للانسانية كلها . . . وهم تجسيد لكل بطولة شعب شيلي وامهاده . . .

ولسوف يذهب اعداء الشعب . . . وتبلى خلائة الى الابد لكرى الليدني واشتمر بابلو نيرودا .

اني ارجوكم يا سادة السفير ان تفكروا قادة الانقلاب بالمحير الذي حدده الانسانية للفائزين والفايزين . .

وان يكون مصير الفاشيست الجند يقلص من مصيرى الفاشيين القدامى .

شاك محيي الدين
السكرتير العام للمجلس المصري لسلام

شيلي : التجربة • الانقلاب • المقاومة

واحتوت الوثيقة السياسية الختامية للمؤتمر، وهي البيان العام فقرة خاصة موجّهة لشيلي يتبنّى فيها مؤتمر الجزائر لحكومة وشعب شيلي النجاح في نضاله من أجل تدعيم استقلاله وبناء مجتمع جديد في وجه العدوان المشترك للامبريالية والرجعية الداخلية .

كان الانقلاب عامه في ظُهور التقدم والحرية في شيلي فقد أدت السنوات الثلاث من تجربة الليندي الاشتراكية الى زيادة نفوذ حكومة الائتلاف الشعبي بين الشعب بدرجة جعلت الانقلابيين لا يجرؤون على مهاجمة مكاسب الشعب ، وانما حاولوا أن يتملقوها ، وفي البيان الذي اذاعه الانقلابيون اذعت النقطة الثالثة « ان المكاسب الاقتصادية الاجتماعية التي تم الحصول عليها حتى اليوم لن تتعرض لتغييرات كبيرة » .

وفي نفس الوقت فان اسعار الفخيل في اسواق لندن ارتفعت من ١٩٦٢ دولارا للطن المتري الى ١٩٨ دولارا . وتمد الاحتكارات المتعددة القومية السوق لاستئثارها بموارد شيلي الطبيعية على حساب رفاهية شعب شيلي . ان مديري شركة التلغراف الدولية الذين تحلق حلهم بالانقلاب بعد عام من مخططاتهم بدوا يعدون لعملية « المودة » وذلك ليست « تغييرات كبيرة » في المكاسب الاقتصادية والاجتماعية التي حققها شعب شيلي تحت قيادة الليندي . ان ذلك كارثة للديمقراطية وللمكاسب الاجتماعية المرتبطة بها .

وليس هناك من شك في ان الرخصه التي ارثت الليندي هيما قد وجهت في نفس الوقت الى آسيا والافريقيا وأمريكا اللاتينية ، وإلى الجبهة المتحركة لشعس المهادي للامبريالية . ولا بد لهم جميعا من التفكير واستخلاص الدروس . واهم هذه الدروس هي ان الولايات المتحدة هي المخطط والمنفذ الاول لمخطط ضرب التجارب الجديدة التي تصلح كنموذج يتبع ، ودورها واضح تماما في شيلي بالتصديد ، ابتداء من مؤامرة شركة التيليفون والتلغراف الدولية التي دبرتها لمنع الليندي من تولي الرئاسة ، الى ما عرف باسم خطة « كاميلوت » والتي جندت لها عددا من الملمساء والخبراء لدراسة الاوضاع في شيلي « دراسة علمية محايدة وموضوعية » في ظاهرها ، وان كانت تستهدف اساسا معرفة نقاط الضعف للتركيز عليها ، الى خطة « قانون المصاية » والتي كشفت حكومة بيرو ان مخابرات امريكا وضمتها لقلب الاوضاع في شيلي وفي بيرو وفي بوليفيا . لها دورها في الاحداث الاخيرة فتؤكد كل الشواهد والدلائل . وقد أعلن الرئيس يومئذ انه نموذج « لتأمر الامبريالية الامريكية ومناورات عملائها » . وأكد الرئيس ثيغو انه « رد من الامبريالية على مؤتمر عدم الانحياز » . كما أكدت حكومة كوبا ان لديها الدليل القاطع على ان امريكا كانت وراء الانقلاب الاخير ، وقال مندوبها في الامم المتحدة ان آثار المصاة التي اريدت في شيلي تقود رأسا المخابرات الامريكية وقال ان وكالة المخابرات ضيقبت الخناق الاقتصادي على شيلي وعزلت كل للتقوض ، بينها قامت وزارة الدفاع الامريكية بالانصال بالمسكرين في شيلي وامنحتهم بيسل من السلاح . وفي واشنطن أعلنت المصادر الامريكية الحكومية انها تلقت معلومات اكيدة عن الاعداد للانقلاب قبل نحو اربع ساعات من تنفيذه ، وان نيكسون تلقى عدة تقارير خلال الصباح الماضي عن ان هناك انقلابا وشيك الحدوث .»

■ في نفس الوقت السدي اعلنت فيه وزارة الخارجية البريطانية اعترافها بحكومة شيلي العسكرية - جاء في بيان وزارة الخارجية ان السفير البريطاني في ستياغو قد شرح للمكونة للشليية المصاة البالغة التي اسود دوائر كجيرة في بريطانيا بسبب طمس الرئيس الرأسي السابق سلفادور الليندي وافعال المصيدي من الأشخاص ■

ذكرت وكالات الأنباء انه من المتوقع ان تدم لجنة حقوق الانسان القائمة لخدمة السجون الامريكية استفوايا الى حكومة تشيلي العسكرية بتطال بمعاملة المعتقلين السياسيين ، كما تلقت المظلمة رسائل من لجنة العفو الدولية واللجنة الدولية لحقوق الانسان عن اطلاق التسديد بالنسبة للموقوف في شيلي واهدار حقوق الانسان بعد الاعطاس بحكومة الرئيس الليندي .■

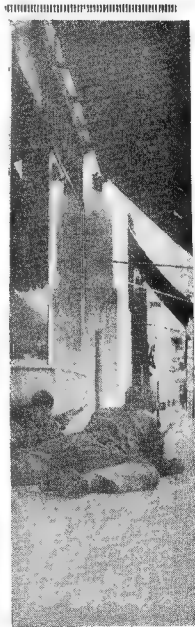
أمل يخبو ولكن لن ينطفئ ورئيس مناضل ينضم الى ركب شهداء الحرية والتقدم

قال الرئيس الليندي في وضوح وقوة : هذا صحيح ، تمقيا على قولي له : بشيء من التقريب ، اذا كانت الامبريالية الامريكية قد استخدمت اسامسا الشركة الدولية للتغراف والتليفون لتحويل دون انتخابك اولا ، ولقلب نظام الحكم الشعبي ثانيا ، فانها تستخدم في سيطقتنا اسرائيل لضرب النظم التقدمية ، مع هارقي هام هو ان اسرائيل دولة مدججة بالسلاح ، تفنى واشنطون عن ارسال قواتها المسلحة في مغامرة تشبه مغامرة الهمد الصينية ، ومن ثم لان لاسرائيل مطالب ومطامح الى جانب اهداف الامبريالية الامريكية .

وحين اضيفت : اننا نريد ان نسترد ارضنا ، وليس يسعدنا شيء أكثر من ان نستردها بتسوية سياسية ، ولكنني لا أخفيك ان فرص هذه التسوية ضئيلة للغاية ، وان يوما سيأتي نحمل فيه السلاح لتحرير ارضنا ، اجاب الليندي : وستكونون عائدون على حق .

وهذه الاجابات الوجيزة القاطعة تعكس بوضوح موقف حكومة الوحدة الشعبية التي كان يرأسها الليندي من أزمة الشرق الاوسط . ومن ثالثة افول ان تذكر بعد ذلك انه بسقوط هذه الحكومة تفقد القضية العربية نصيرا قويا كان وهو في أقصى المعبرة يدعو لها ويؤيدها ويؤمن بانها من القضايا الرئيسية لحركة التحرر والتقدم في العالم .

كان هذا الحديث في سانتياجو قبل شهر خمسة ، وقبل ايام معدودات كانت شيلي ترأس اللجنة الاقتصادية في مؤتمر عدم الانحياز في الجزائر ، وتصدر مع كوبا دول امريكا اللاتينية التي انضمت الى حركة عدم الانحياز ، وكان المؤتمرين يعلقون على دورها في تغيير المناخ السياسي في تلك المنطقة من العالم ، املا حملهم على ان يقرروا ان يكون مؤتمريهم السادس في امريكا اللاتينية ، ولا شك ان أكثر من رئيس كان اسم سانتياجو يدور بخاطره وهو يحسوت على هذا القرار ، ان الليندي المقاتل ابن السابطة والسبتين لم يتمكن من المشاركة بنفسه في مؤتمر الجزائر ، لانه أصر بشجاعته المرموقة واحساسه العميق بالمسئولية على ان يظل وسط شعبه وقد ادلهم الاتفاق ، لم يفكر لحظة في ان يهرب بجلاجه ويقود من المنفى ، وهو الذي كان يعلم حق العلم ان خصمه الضاري لن يترك له أبدا فرصة الحياة ، بل ستكون ضربته الاولى موجبة الى صدره بالذات ، ولكن شيلي المناضلة كانت حاضرة ، والانتقال الفاشي الدموي يشكل ، بين اهدافه المتعددة ، رد الامبريالية الامريكية على نجاح مؤتمر الجزائر ، ولذلك فقد كان



شيلي : التجربة . الانقلاب . المقاومة

● إسرائيل تؤيد الانقلاب :
رسمت صحيفة «دافار الإسرائيلية» الانقلاب
في شيلي ، وهضمت الصحيفة على الليندي
وقالت أن شيلي بنت في عهد موقفا غير
ودي تجاه إسرائيل ، وقالت أن الليندي
كان يخفي في قطع العلاقات الدبلوماسية
مع إسرائيل اقتداء بكمبا .

● أصدرت اللجنة المركزية للحزب
الشيوعي السوفيتي بيانا في ١٢ سبتمبر
قالت فيه :

[أن قلب حكومة الليندي هو فرود
أعمال التخريب التي قامت بها الرجعية
في شيلي بمساندة من القوى الامبريالية
الفاشية .

« وفي هذه الساعات العصية التي
يمتصها شعب شيلي حزب اللجنة المركزية
الحزب الشيوعي السوفيتي باسم
الشيوعيين السوفيت والشعب السوفيتي
كله من تضامنها الكليل مع الحزب
الشيوعي الشقيق والعزب الاشتراكي
والأحزاب الأخرى في تحالف الوحدة
الشعبية وكل عمال شيلي الذين مالوا
وهم صرعات الرجعية أوفياء لنفسية
الاستقلال والديموقراطية والتقدم
الاجتماعي .. وهي الأهداف الليسلة
التي كاتح من أجلها جيشا مسلحون
الليندي وحكومة الوحدة الشعبية والشعب
العامل في شيلي .

« ونعرب اللجنة المركزية للشعوب
الشيوعي السوفيتي من لفتها المهمة
في أن القمع والارهاب أن يبقنا بمن
تطهير إرادة الشعب وسد طريق التقدم
الاقتصادي والاجتماعي .

● أصدر الاتحاد العالمي للتقنيات
بيانا قال فيه « باسم كل التضادات
القابضة أعضاء الاتحاد والاتحادات العالمية
ونقابات العمال في العالم يعرب الاتحاد
العالمي للتقنيات من انتعاجه واستنكاره
بالع الانقلاب العسكري الذي قام
بقلب حكومة الوحدة الشعبية بالقوة
السفحة واسفر عن مقتل الرئيس
سانغور الليندي ، متعاقبا بذلك الرجعية
الفسورية والإرادة الاجتماعية لبعال
وصيب شيلي .

طبيعيا أن يدين هوراي يوعدين - رئيس المؤتمر المسئول عن
التقسيع حتى المؤتمر الخامس في كولومبو - القتلة في لقوى عبارة
وأن يحيي في الرئيس الشهيد قائدًا مبرزا من قادة عدم الانحياز .

ولكن دلالة الانقلاب تتجاوز ذلك . انه يكشف مرة أخرى عن أن
الامبريالية الامريكية رغم « كل التغيرات الدولية » تصر اصرارا
يعيدا كلما وسعها الأمر . على أن تضرب في وحشية كل تجربة
تحريرية يفتارها الشعب بملء ارادته . لقد حاولت الولايات
المحدة غزو كوبا لتمنع هذا البلد الصغير من بناء الاشتراكية على
النمو الذي اراده . وحين أخفق الغزو ، ضربت على الجمهورية
الثورية حصارا بهدف عزلها عن بقية أمريكا اللاتينية التي تعدها
واشنتون منطقة نفوذ وموقع استغلال لا يحتمل المعارضة أو
النزاع . وكان اصحاب وكالة المخابرات المركزية ذات العمليات
الغذرية الضخمة يتشددون بأن السلطة تغيرت في هاغانا بالقوة
وليس عن طريق انتخابات ديموقراطية . وطارذ رجالهم وعملاؤهم
بأحدث الأسلحة كل حركات الانتصار من سان دومينجو الى
بوليفيا . ولكن حكومة الوحدة الشعبية قد وصلت الى الحكم
بانتخابات ديموقراطية حرة كاكمل ما تكون الحرية في ظل
الديموقراطية البرجوازية في بلد استقرت فيه تقاليد تلك
الديموقراطية منذ عشرات السنين ، فماش بمنأى عن الانقلابات
العسكرية وحرب المصائب . وهكذا كشفت تجربة شيلي أكثر من
أي تجربة أخرى القناع عن ديموقراطية واشنتون وفضحت
الحديث المروج عن « العالم الحر » وأثبت الانقلاب الدامى أن
الامبرياليين لا يترددون أمام أية وسيلة للاتاحة بأية حكومة تنشق
عصا الطاعة ، وتريد أن تمارس استقلالها حقيقيا . لقد كان
واضحا لكل المراقبين أن الشعب دلتف حول حكومة الليندي .
ورغم كل المصائب الاقتصادية الجسيمة كانت انتخابات العام
الماضي نصرا رفع أغلبية الحكومة من ٢٨ في المائة الى ٤٦.٥ في
المائة . وبهذا لم يعد هناك بديل آخر لحكمها الا الفاشية الفشوم .
وتبت واشنتون الفاشية وغنبتها بالمال والسلاح حتى أتمت
جريماتها الفكرة . أن الامبريالية الامريكية تقدم التنازلات للاتحاد
السوفييتي والدول الاشتراكية ، لأنها بلغت من القوة والتقدم ما
يبدل أمل أعداء الاشتراكية في ضربها أو تصفية نظمها . ولكنها
توجه كل نيرانها الى دول العالم الثالث ، تريد أن تجتث منها جذور
النظم التقدمية والحركات الثورية . ولا عسبة لنظام تقديسي أمام
مؤامراتها الا بالتحلى بالليظة الدائمة وتحقيق أعلى درجة من
الوحدة الوطنية والسبر قدما في طريق التقدم الاقتصادي
والاجتماعي .

لقد هزت جريمة مصرع الليندي وامقاط حكومة الوحدة
الشعبية ضمير العالم الى الحد الذي جعل قادة الدول الرأسمالية
الكبرى مثل بومبيدو وبيلي برانت ، يعبرون عن أسفهم لما حدث ،
ويقدمون العزاء لأهله المناضل العظيم . ذلك أن تجربة شيلي
كانت الأولى من نوعها . لقد كان هذا البلد الذي لا يزيد سكانه عن
عشرة ملايين يحاول أن يشق أمام البشرية طريقا جديدا : طريق
الانتقال الى الاشتراكية بالوسائل البرلمانية . وكانت شيلي
بتقليدها الديموقراطية واحترام القانون والشرعية مؤهلة تاريخيا
لخوض تلك التجربة . ولم يكن الليندي قائدا شابا تصور الخبرة

بتواعد اللعبة ، بل كان مقمرسا بالحياة البرلمانية ، تدرج فيها حتى شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ الذي يلي منصب رئيس الجمهورية مباشرة من حيث الأهمية . وكان على رأس حزب اشتراكي قوى عمره خمسون عاما ، وكان يقود تحالفا شعبيا ، يضم الحزب الشيوعي والحزب الراديكالي ، ويؤيده حزب الحركة الشعبية الثورية (مير) . لقد لحت الدعاية الرجعية في المالم منذ قيام ثورة أكتوبر المظلمى فى روسيا القيصرية على تلطيش وجه الاشتراكية ، والزعم بأنها لا تحقق إلا من خلال الدم والحروب . وكان أروع رد على هذه الدعاوى الباطلة هو تجربة شلمب شيلي الباسل . فهذه حكومة شعبية تصل إلى الحكم عن طريق الانتخابات ، وهى لا تحاول أن تختصر فترة الانتقال أو تنبش طريق التحول . فقد قال لى اليندى بالحرف الواحد : اننى ماركسى أراس حزبا اتخذ من الماركسية أساسا فلسفيا لنضاله ، ولكنه مع ذلك ليس حزبا شيوعيا . والحزب الشيوعى مشترك معنا فى الحكم ، ولكننا لم نقم نظاما ماركسيا . وبالتالى كان برنامج حكومة الوحدة الشعبية يركز على الإصلاح الزراعى وتأميم أهم المصالح الأجنبية ، ولم يطرح قضية التأميم للمصالح الرأسمالية المحلية الكبيرة كسياسة عامة . وكفى الرئيس الراحل فخرا أنه كان يناضل فى جو لم تكن الحكومة تستطيع فيه إلا على الجزء الأقل من وسائل الإعلام . حتى الإذاعة والتليفزيون لم تكن احتكرا للدولة . كان أمل اليندى ورفاقه أن تتجس سياستهم وينفذوا برنامجهم الانتخابى ، ثم يتقدمون الشعب فى الانتخابات المقبلة ببرنامج أكثر تقدما . فإن حازوا الأغلبية ساروا فى تنفيذه والا انصروا لأرادة الناضحين . فإذا كان رد الأمبريالية والرجعية على هذه التجربة الديمقراطية ؟ كان الرد التحصف بالقتال ، والقتل الجماعى وحملات الدم الغاشية الرهيبة .



إن ضرب تجربة شيلي لا يعنى أن الانتقال إلى الاشتراكية - فى ظروف معينة - بالاسلوب الألماني طريق مسدود . فمن الناحية الفلسفية لا يجوز الحكم على سلاحة مفهوم نظرى فى ضوء ما أحرز التطبيق من نجاح أو خفاق ، وبالأ هجرنا تماما مواقع التحليل العلمى إلى منطق تجريبي صرف ، وهذا منطوق فكرى خطير . وسلامة مفهوم معين نظريا لا تمنى بالضرورة أنه لابد أن ينجح فى التطبيق ، لأن للتطبيق مشاكلته الخاصة التى تحصل البطل والصواب . وليس المقام مقام دراسة تفصيلية للتجربة الشيلية للكشف من مواطن الزلل التى مساعدت موضوعيا مؤامرات الاستعمار والرجعية . ولنا نزعم لىفسنا المعرفة الكافية بكل ظروف التجربة ، ولا يليق وجماء الشهداء لم تجف وقوى النضال لم تستسلم أن نركز الاضواء على مواطن الضعف . ومع ذلك فإنه يمكن أن نقول - دون خوض فى التفاصيل - أن بعض السياسات قد أخطأت هدفها ، وبالأذات فى مجال مقاومة النضخم وزيادة الانتاج ورفع الانتاجية . كما أن كثيرا من الحسابات التى رفعتها بعض المنظمات اليسارية المتطرفة - وإهمها الحركة الشعبية الثورية (مير) - كانت تخيف البورجوازية الصغيرة وتدفع بالطبقات الوسطى دفعا نحو مواقع الرجعية . إن الانتقال السلمى

» وينشد الاقتصاد بنواخل الشركات المنتجة المنتجات التى لم تتردد من الاشتراكيين الناضحين للانقلاب العسكري وعن تشجيع القوى الرجعية على اللجوء إلى الحلف والى الجبهة ، لكنى تصفها على أنها : وتنتك من مواصلة استغلالها للموارد الوطنية فى شيلي . » ويدعو الاتحاد العمالى للشركات العمال إلى كل بلاد العالم إلى : » المظهر استكراهيكتالوسلالمكة لهذه الجريمة البشعة ضد شعب لم يكن يطمح إلى أكثر من الحرية والرفاهية . » الخطلية بأهمية الشريعة واحترام الحريات والحقول الديمقراطية والقبلية . » الانتعاج بفرقة على عمليات البيع الموجهة ضد النقابات والقوى الديمقراطية . »

● أصدر جورج مارشال السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى وابتدع برلينجر السكرتير العام للحزب الشيوعى الإيطالى أن اجتماع مخفاة فى باريس ، فى ١٥ سبتمبر بيان جاء فيه :

» وصلنا فى الساعة الرابعة والنصف من يوم طائر اليوم معلومات من رفقاء فى الأرجنتين عن الوضع فى شيلي ذلك أن أرهايا دويوا يقم على البلاد . وقد أكدت حالات عن الخسرها . ويقوم العسكريون الفاشيون والمصنعات الفانتسية بأعدام العمال والشيوعيين والاشتراكيين والشيبيين والملاحين لانتعمن بالإصلاح الزراعى واعتقالهم بصورة جماعية . أن شيلي تعيش الآن فى جسام من الدم . والديمقراطيون الشيايين الذين يواجهون مقاومتهم الباسلة بطايرونا بإعمال .

» اننا نوجه إلى الطبقة العاملة وإلى شعبى بيلينا وإلى الرأى العام الأوربي صرخة تحذير وتذاد عاجلا : ينبغي ألا نترك هذه الفلحة تستمر . ينبغي أن نوقف أيدي الضحايا . »

للاشرافية ، ولا مهيما بالطريق البرلماني ، يفترض قبل كل شيء عزل الرجعية وحشد كل القوى الاجتماعية الأخرى في مواجهتها • وقد حدثت في شيلي أمور سارت في عكس هذا الاتجاه • فقد احتل المصالح مصانع لم يكن يشملها التأميم تحت دعوى دفع الحكومة إلى مزيد من التأميم • ورفعت المنظمات اليسارية المنطرفة منار الإدارة العمالية الخالصة للمصانع المؤممة باستبعاد الكوادر الإدارية والفنية ، كما دعا بعضها الجنود إلى رفض أوامر الضباط ، ودعا إلى تنظيم سلطة شعبية على مستوى القاعدة لا سند لها من الدستور والقانون ، كما ساعد على تنظيم الاضرابات في المصانع المؤممة •• الخ • هذا كله في جو من الارتفاع الجنوني في الأسعار ، طحن صفار الموظفين وأضر بصغار التجار والخرفيين وأصحاب المهن الحرة •• كل ذلك أشاع البلبلة بين جماهير الطبقات الوسطى والبعدها عن تأييد حكومة الوحدة الشعبية ، فمهل مهمة الرجعية ، ولكن كل ذلك لايهون من ضخامة الوسائل التي وضعتها الامبريالية الايركية في خدمة هدف الانعاش بحكومة الليندي • لقد أثبت تحقيق اجراء الكونجرس الايركي نفسه أن الشركة الدولية للتغراف والتليفون بالاتفاق مع وكالة المخابرات المركزية قد تدخلت تدخلًا ايجابيًا للحيلولة دون نجاح الليندي ، ثم في التأمر لاسقطه ، وأنها أنفقت في هذا السبيل عشرات الملايين من الدولارات • وسيأتي يوم يكشف فيه الستار ولو جزئيًا عن المبالغ الطائلة التي دفعت لاصحاب سيارات النقل ليمتصوا عن العمل قرابة شهرين وللقادة العسكريين للتأثيرين وللمصحف ولحطبات الاذاعة والتلفزيون الاهلية في شيلي ، ولغرق « الوطن والحرة » الفاشية التي تولت أعمال التخريب • وعن خبراء الانقلابات وعملاء المخابرات الذين انفقوا الاوهام الثلاثة السابقة في اعداد محبوم لجرميتهم الشنيعة •

● ● ●
ولكن التاريخ لا يعود الى الوراء • ان حكومة الوحدة الشعبية قد غيرت وجه شيلي في ثلاث سنوات • لقد صادرت المكبات الاقتصادية ووزعت الارض على الفلاحين • لقد أمنت ثروة البلاد الاساسية : مناجم الفحماس وودتها الى الشعب • لقد أمنت أهم المصالح الامبريالية • لقد رفعت اجور العمال وانكرتهم في الإدارة • وعلى من يريد أن يمس هذا كله ان يصطدم بالملايين التي استفادت منه والتي هبت لل دفاع عنه • بل ان حركة الانقلاب تفرّد داخل القوات المسلحة لا يمثل تحركا جماعيا منها وفي داخلها عناصر شريفة ترفض ان تكون أداة الاستعمار أو وسيلة لتقويض الديموقراطية • لقد لجأ الانقلابيون الى أعلى درجات العنف • لم تتغير الأوضاع في شيلي بمجرد الاستيلاء على محطة اذاعية ، لم يكن يكفي اغتيال الليندي ووزرائه ، بل كان لابد من الطائرات والقطع البحرية والمدفعية الثقيلة والقتل الجماعي • ومع ذلك لم يستسلم شعب شيلي الباسل واستمرت المقاومة المسلحة حتى داخل العاصمة نفسها • وحتى اذا سحق الفاشيون المقاومة المسلحة ، فمن يقتلوا روح شعب مناضل عرف طريق الحرية والتقدم ، ولابد من أن يعود الى السير فيها • حقا ان الامل الذي تمثله شيلي بخير ، ولكنه لن ينطفئ • وسلام على الليندي في الضالدين من القادة الشهداء •

• ص ١٠ ع •



كتب كمال السيد

« الطريق السلمي » في « قارة دموية » هل تقضى عليه « مأساة شيلي » ؟

الطريق السلمي للوصول إلى السلطة كما طرحه الحزب الشيوعي في شيلي في مؤتمر السرى العاشر في أبريل ١٩٥٦ ، يقتصر في توحيد الجماهير حول الطبقة العاملة وحزبها الطبيعي ، وتكوين جبهة شعبية تكفل الأغلبية اللازمة للوصول إلى السلطة دون حرب أهلية . وفي هذا المؤتمر لخص جابونوزاليز رأي القيادة في هذا الموضوع كما يلي : « إن إمكانيات انضمام ثورتنا بوسائل سلمية ، أي دون اللجوء حتما وبالضرورة إلى الحرب الأهلية ، تتوقف على عاملين أساسيين : قوة ومقاومة العدو الطبقى ، وقدرة الطبقة العاملة على أن تجمع حولها الغالبية القومية لتصل إلى السلطة من أجل الشعب ، عن طريق الانتخابات أو أي وسيلة أخرى » .

« وليس هناك أي شك في أن العدو في بلادنا قوى نسبيا وأنه يبدى وسيدي مقاومة عنيفة للتغيرات الثورية . ولكن ليس هناك شك أيضا في أن الطبقة العاملة تستطيع أن تقهر هذه المقاومة ، وأن تجمع حولها الأغلبية القومية وأن تصل للسلطة ، بالانتخابات أو أي وسيلة أخرى غير الحرب الأهلية » .

« إن انتصار الجبهة الشعبية في ١٩٧٨ وجبهة الصالحين الديمقراطية في ١٩٤٦ ، قد بين على وجه التحديد الإمكانيات المتاحة للطبقة العاملة والشعب الشيلي في الوصول إلى الحكم عن طريق ليس هو الخمر والهيئة المسلحة » .

« لكن هل توجد هذه الإمكانيات اليوم ؟ نعم توجد ، والأكثر من هذا ستوجد ، وذلك إذ أفسد الشعب أعمال جونزاليز فيديسلا (زعيم راديكالي حكم من ٤٦ - ١٩٥٢) وتمكن من توسيع الصرايم العامة وتحقيق التغييرات التي ينص عليها برنامجنا » .

ومنذ ذلك الحين ولوى كورفالان سكرتير الحزب ، يكتب في مجلته النظرية « بريسبيوس » مؤكدا وبوضوح الطريق السلمي على النحر التالي :

■ أن الماركسية لم تستبعد هذا الشكل للانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، بل كدته أديباتها في أكثر من مناسبة .

■ أن الخبرة العملية في فرنسا وألمانيا وشيلي ، اثبتته ودعمته عندما استطاعت الطبقة العاملة اقلية جبهة عمالية وشعبية تحت قيادة الطليعة الثورية ، لتأخذ أشكالا جديدة للتعاون السياسي والنضالي مع قطاعات المجتمع الأخرى ، بما كفل الأغلبية الفاعلة على الوصول إلى السلطة » .

وكتب الدكتور رفعت السيد :

الليبيدي :

لم يكن « مسيحيا »
في « قارة دموية »
بل « ماركسيا »
يعرف روح عصره

اضطر ما يمكن أن ينتج عن النهاية المروعة .. أو أن شلتا الدقة « البداية » المروعة للصراع في شيلي هو القول « بالتهام » أو « هزيمة » طريق « البرلمانية » أو « الحصول الدستوري » نحو الاشتراكية . وهكذا يفتح الباب من جديد على مصراعيه أسام التيسرات المغامرة التي ترى في الكفاح المسلح طريقا وحيدا ولا بديل عنه لأي عمل ثوري يستهدف التغيير الاجتماعي .

ولمها يبدو لي أن استمرار الامبريالية الأمريكية ومخبراتها وأجهزتها المختلفة على الإطاحة بحكومة « الليبيدي » لم يكن يستهدف مجرد الإطاحة بحكومة ماركسسسية مناهضة لمسيحة ، وإنما - أيضا - هزيمة فكرة

شيلي : التجربة . الانقلاب . المقاومة ■

التحالف الشعبي الثوري للمعلمين ديمقراطيا وبرلمانيا من أجل طرد الاحتكارات الإمبريكية وتصفيته وجودها الاقتصادي وبناء الاشتراكية .

وقبل معركة الانتخابات التي فاز بها « الليندي » إلى السلطة ، مسجلا حدثا فريدا في التاريخ ، هو وثوب أول رئيس مرشح منتخب إلى السلطة عبر طريق الانتخابات والديمقراطية ، من البرجوازية .. قبل هذه المعركة التي رشح لمنصب الرئيس فيها خمسة مرشحين يساريين ، أحدهم شاعر شيوعي المظلم « يابلو نيرودا » الذي تقدم للناخبين كمرشح للحزب الشيوعي الشيلي ، استنصر الجميع خطر نزول اليسار إلى معركة انتخابات الرئاسة منقسما ، وجرت مساح كبيرة للاتفاق على مرشح واحد للأحزاب والتميمات اليسارية للخصم .

وتوصلت المباحثات إلى فكرة طريفة ، يجتمع خمسة مندوبين من الأحزاب الخمسة لكل منهم همتين ، صوتت سمعته « بالضرورة » لمرشح حزبه ، وصوت آخر ترجيحي بطله للبرشح الذي يفضل بعد مرشح حزبه ، وقال « يابلونيرودا » أكبر عدد من الأصوات وأصبح مؤهلا لأن يكون المرشح الوحيد لكل قوى اليسار .

لكن الليندي صمم على ترشيح نفسه ، مؤكدا أنه من الأفضل لتجربة أن يتزعمها اشتراكي وليس شيوعي .

وإزاء إصرار الليندي رجع « يابلونيرودا » نداء إلى الشعب الشيلي يقول فيه : « من أجل أن تشرق الأزهار فوق أرض شيلي ، وكى تنفتح الشمس على رئيس بلائنا الزاهرة ، من أجل الاستقلال والحرية والاشتراكية ، من أجل وحدة اليسار المعلن انسحابي ، ليس مهما أن يكون « نيسرودا » الشيوعي

■ أن هذه الامكانية تزداد في عالم اليوم ، بعد أن أصبح النظام الاشتراكي المعالي قوة فاعلة وملهمة ، وتزايد تأثير الحركة العمالية وأحزابها الطليعية في البلدان الرأسمالية ، وتضم الدور الذي تلعبه حركة التحرر الوطني ، وفضل الرأسمالية في تقديم أي حلول لمشاكل البشرية المزمنة ، بل واتضح أنها السبب الرئيسي فيها .

■ كما تدهم حقائق العصر الأساسية هذه الامكانية ، وتتلخص هذه الحقائق في الحل الأول في أن الثورة الوطنية - التي أصبحت شعبيتها وجاهيريتها الشرط الأساسي لنجاحها - أصبحت جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية ، وفي أن الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية في البلد الواحد لا تنفصلان .

■ أن الطريق السلمي لا يصلح لكل البلدان ، ولا يصلح للبلد الواحد في كل الأوقات ، فقد تسير الثورة في أحد البلدان عبر الطريق السلمي لفترة طويلة ، وفي لحظة معينة لا ممان لها من أن تتحول إلى طريق العنف ، وقد يحدث العكس بأن تسير ثورة بلد ما في طريق العنف ابتداء ، ثم تسلك بعد مرحلة معينة الطريق السلمي . احتمال ثالث هو أن تسير الثورة من البداية إلى النهاية عبر طريق سلمي ، أو عنيف .

■ أن « سلمية » الطريق لا تتوقف على الطبقة العاملة وإنما تعتمد أساسا على قوى المجتمع القديم ، فهي التي تلجأ للعنف لوقف التغيير الذي تشتتاره الأغلبية وترغب في تحقيقه سلميا . ولابد لقوى الثورة أن تكون قادرة على تحويل تآكثيها ، في الوقت المناسب .

■ أن الطريق السلمي هو أيضا طريق ثوري ، وأن هذه الصفة الأخيرة ليست حكرا على الطريق العنيف ، فالثورية تتعلق في الحل الأول بالأماداف التي يسعى إليها الطريقان ، وإسهام الجماهير في كل منهما .

كذلك فإن الطريق العنيف هو أيضا طريق ديمقراطي مثله في ذلك مثل الطريق السلمي ، حيث أنه يتم بالجماهير وأصلحتها في الأساس .

■ أن الطريق السلمي ليس هو البرلمانية وحدها ، وهو وإن كان يستبعد الحرب الأهلية ، فإنه لا يمنع الأخذ بأشكال أخرى عنيفة مثل الاضراب والمظاهرات واحتلال المصانع ، واحتلال الملاجئ للأراضي الزراعية . وفي ظل النظام الرأسي - كما في شيلي - يمكن البدء بالسلطة التنفيذية ، تحقيقا لتغييرات الثورية .

■ أن الطريق السلمي لا يعني تمايضا سلميا بين الطبقات ، أو ما يسمى بتمازج الطبقات ، وإنما هو أسلوب معين في الصراع الطبقي داخل البلد الواحد . أما للتصايش السلمي فيتمثل بالملاقات بين الدول .

■ أن الطريق السلمي يقتضي : تعبئة وحشد الجماهير ، وتحالف العمال والفلاحين ، ووحدة نضال القوى الشعبية والمتفانها حول الطبقة العاملة ، ووجود حزب طليعي قوي وقادر ، والدور القيادي للطبقة العاملة ، والملكية الجماهيرية لوسائل الإنتاج .

رئيسا ، ولكن المهم أن يكون اليسار موحدًا .. انتخبوا الليدنى .

وكان الليدنى في الانتخابات ، مسجلا بذلك حدثا خطيرا في تاريخ الامم المتحدة . ولم يكن ذلك كله مصادفة ، بل كان تمهيدا من مرحلة تاريخية محددة .. من بين سماتها :

● أن الماركسية كنظرية قد اكتسبت جهازية واسعة تمكنها من أن تطف حولها الاكثية من السكان .

● أن الماركسية كتطبيق قد استطاعت أن تبني على أرض بلدان المعسكر الاشتراكي نموذجا ناجحا يستحق أن تطلع اليه كل شعوب البلدان المستعمدة والمتخلفة ..

● أن الاستعمار والاستعمار الجديد ، وإداتها الاقتصادية نظام الاحتكارات الرأسمالية قد كسبت صيدا وتخصصا من جماهير كثير من البلدان ، وأن كثيرا من القوى التي كانت فيما مضى قبائل احتياطيا للسياسة الاستعمارية قد أخذت في التحول ، لتصبح في إطار المناخ العالمي للثورات المحلية والعالمية الجديدة ، احتياطيا للتخمس الاجتماعي والنضال الوطني ضد الاستعمار ، ومن أجل البناء والتقدم الاقتصادي والقضاء على التخلف .

هذه السمات تواجدت ونبتت في ظل مناخ عالمي يمكنها من التواجد والنس ، ووجهت تعبيراً لها - مجرد تعبير - على أرض شيلي .

والخطر كل الخطر أن نقع في شبك « البرجماتية » التي تقول بأن « كل ما هو ناسج هو صحيح » .. وأن نجاح المؤامرة الرجعية على الحكومة الماركسية الدستورية في شيلي لا يعنى مطلقا خطأ الفكرة في ذاتها .. وأن كان لا ينبغي أن هذه الحكومة قد وقعت في أخطاء هامة :

■ أن الضمان الوحيد لهذا الطريق هو تنظيم الجماهير ووحدة حركتها على أساس برنامج محدد ، مع عدم اقبال الاستعداد لتغيير الطريق السلمي الى العنيف عند الضرورة .

■ أي كان الطريق فالهمة واحدة وهي قيادة نضال الجماهير وتدعيم وحدتها ، خاصة تحالف العمال والفلاحين ، وجذب الاغلبية حول البروليتاريا واهدافها .

■ الثورة ليست فقط استيلاء على السلطة ، فذلك ليس سوى مرحلة أولى فيها . وإنما الثورة نضال طبقي واسع في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية .

والواقع أن انتصار « الوحدة الشعبية » في شيلي لم يأت من المدم . فقد ظهرت فيها الاتجاهات الاشتراكية مبكرا ، وتنامت صفوف الطبقة العاملة وتقدم تنظيمها (يضم اتحاد العمال ٩٠٠٠٠ عضو) . وفي الثلاثينات مع نشيد الاممية واشتيد « بانديرا روسا » ، كان لثوار شيلي أحلامهم وأنشيدهم فقد ذاعت بينهم حينذاك أغنية تقول « كم هو جميل أن نعلم ، كم هو رائع أن ن فكر في بلد جميل اشتراكي لا يكون الناس فيه تفسا » . وبين الحلم والامل ، بذلت الطبقة العاملة الكثير . ففي ١٩٢٠ استنفذت « كوكوداد » المعركة الانتفاخية ، التي كفلت انتصار البروجوازية على الاقطاع . وفي ١٩٢٨ لعبت دور « للكان الثاني » في مجيء حكومة الجبهة الشعبية برئاسة الرانيكالي يدروا جوير سيدورا . وفيها كسب اليسار جزءا من السلطة السياسية ، لكن السلطة الاقتصادية ظلت بأكملها لليمين .

وتكررت القصة في ١٩٤٦ ، عندما توصل العمال والشيوعيون جونزالين فينيال للسلطة ، فانقلب عليهم بعد أن ذات له الأمور . وفي ١٩٥٨ رشع الليدنى نفسه من الحزب الاشتراكي وايدع الشيوعيون . ورغم مساندة بارونات النحاس وسادة الأرض وملوك البقالة ، فقد فاز مرشحهم على الليدنى بـ ٢٠ ألف صوت لا غير . وفي ١٩٦٤ رشعت جبهة العمل الشعبي التي كونها الشيوعيون والاشتراكيين الليدنى وحقق نصرا كبيرا وأن لم يصل الى الرئاسة . والواقع أن الانتخابات المتعاقبة تصلح مقياسا لقدرة الضغط الشعبي . ففي ١٩٥٢ رشع الاشتراكيون الكليدنى وسانده الشيوعيون ، وفاز بنحو ٦ في المائة من الأصوات . وفي انتخابات ١٩٥٨ حصل على ٢٩ في المائة من الأصوات (حصل من انتخب على ٣١ في المائة) . وفي ١٩٦٤ أدى الرعب من الجبهة الشعبية الى تكاليف اليمين ، وحصل الليدنى على ٢٩ في المائة من الأصوات . وفي ٤ سبتمبر ١٩٧٠ انتخب الليدنى رئيسا بنسبة حوالي ٤٠ في المائة ، وحصل على ١١٦٠٧٥٠٠ صوتا وحصل من يليه على ٣٦٠٧٧٨٠٠ صوتا .

وقد قامت جبهة - بل اتحاد - الشيوعيين والاشتراكيين منذ أوائل الستينات على أساس برنامج مشترك يتم تطبيقه بما وكان قادة كل تنظيم يحضرون اجتماعات اللجنة المركزية للتنظيم الآخر ، ويعقدون لقاءات يومية مما . ولم يكن للحزب الاشتراكي صحيفة ، فنشرت « السيجلي » وهي صحيفة الشيوعيين نفسها للدفاع عنه . كما تعاون الأعضاء القاعدون في التنظيم في العمل اليومي وفي المنظمات الجماهيرية .

وفي نهاية نوفمبر ١٩٦٩ اجتمع المؤتمر الـ ١٤ للحزب الشيوعي : وأثناء انعقاده أعلن تحديد انتخابات الرئاسة في ٤ سبتمبر

• أهمها احتكار اليسار إلى الوحدة الحقيقية ، فوحدة اليسار التي استقطاعات أن تكسر حاجز التسارع ، وأن تستخدم الديمقراطية ، والديمقراطية البرجوازية ، سبيلا لوصول رئيس ماركي إلى السلطة ، أي كما يقولون في الإمثال « إن يفتق الرواسمالية بحبل من صناعتها » هذه الوحدة كانت متارجه دوما .

فالحزب الاشتراكي الذي يمثلها الليندي كان حزبا إصلاحيا بحتا ، يمان تمسكه بالمركية ، لكنه في الجوهر يتنكر أي يظهر من مظاهر الصراع الطبقي ، لقد تحول نضاج الليندي نسي الانتخابات إلى قيد ذهبي كبل حركة الحزب وربطه ربعا إلى عجلة الإصلاحات الدستورية .

وفي حوار أجرته مع أحد قادة الحزب الاشتراكي شيلي - خلال زيارة فبت بها لشبلي - أكتشبر الماضي - لاحظت تحفظات كثيرة بكتها للشيويعيين أخلص حلفائهم من الجبهة وظل طوال الجلسة يردد بصورة أوتسماتيكية - نفس الالفاظ التي يرددما أمثاله في كل مكان « نحنن اشتدرليكون وشنسون ، وهم امسون شيوعيون ، الشيوعية قد تكون جيدة من الناحية النظرية ، وقد تكون صالحة للتطبيق في أماكن أخرى ، لكن لشيلي ضرورها الضخامة » وأدت النظرية الإصلاحية إلى فشل التنظيم الاشتراكي وإلى مهانة العناصر «استقلالية في كثير من الأحيان مما أفقد التجربة بعض سميتها .

وفي أقصى اليسار هناك الحركة الثورية اليسار MCR بجانبها الأساسيين الحركة الثورية للطلاب FTR والحركة الثورية للطلاب MLR - هي حركة متطرفة ترفض الأسلوب البرلتي رفضا قاطعا وتدنيه باعتباره خضوعا لمقابلة

شيلي : خريطة اقتصادية

الموقع - الساحل الغربي لأمريكا اللاتينية .

السكان - ١٠ ملايين .

الإزراع الاقتصادي - قبل حكم سلفادور الليندي كانت تتحكم في اقتصاد شيلي ١٠ مجموعات اقتصادية كبيرة تسيطر على معظم النشاط الاقتصادي في البلاد . هناك تداول بين كبار ملاك الأرض والبرجوازية الصناعية ، وعلى خلاف بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى حيث توجد الوبجارية القطاعية مستقلة ، يمكننا أن نلاحظ في شيلي وجود برجوازية أو ليباركية واحدة ، متداخلة .

ومنذ بداية القرن الحالي بدأت الاحتكارات الأمريكية استغلال منابع الفحم في ثلاث مناطق شوكيكا ملنا حيث يوجد أكبر منجم للفحم في العالم ، والتينيت والسلفادور - وتعتبر شيلي أكبر منتج للفحم الخام في العالم . يمثل الفحم عصب اقتصاد شيلي إذ يشكل ٧٠٪ من دخل صادرات البلاد .

وقد بلغت ديون شيلي القومية ٤ بلايين دولار - وتصل قوائد الدين السنوية إلى ٢٠٪ من قيمة مجموع الصادرات ، كانت ٨٪ من صادرات شيلي في أيدي الاحتكارات الأجنبية .

قبل الإصلاح الزراعي الذي طبق في عهد فرى الرئيس السابق السلفادور الليندي كان ١٠٪ من كبار الملاك يملكون ٩٠٪ من الأراضي . بينما ٩٠٪ من الملاك يملكون ١٠٪ من الأراضي ، ولم يغير إصلاح فرى (الرئيس السابق على الرئيس الليندي) هذا الوضع إلا في حدود ضئيلة .

١٩٧٤ ، فقد المؤتمر إقامة « وحدة دائمة وليست عارضة » تقوم على أساس من المشاركة الفعالة والنشطة لكل القوى الشعبية . وأكد كورفالان « أن الشعب لا يمكن أن يظل مقفرا » ، ولبناء « منزل الوحدة » طالب المؤتمر بمقد اتفاق رباعي حول :

١ - برنامج مشترك ٢٠ - حلف سياسي حول مفهوم السلطة ، وتكوين الحكومة بطريقة تجعل كل طرف يعرف مساهمته في العمل الجماعي ٣ - تنظيم الحملة الانتخابية ٤ - اختيار مرشح واحد مشترك .

وبالفعل اتفقت ٦ تنظيمات على هذه النقاط وهي الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الراديكالي ، والحزب الديمقراطي الاجتماعي ، وحركة العمل الشعبي المسود ، والتحالف الشعبي المستقل . وبعد أن رشح كل تنظيم ممثلا عنه للرئاسة (رشح الشيوعيون بايلو فيرودا الشاعر المعروف) اتفق الجميع على الليندي برشح الاشتراكيين . وخاضوا أعظم وأروع معركة انتخابية في تاريخ شيلي ، تكونت خلالها ١٥٠٠٠ لجنة للدعاية لليندي وجاب الليندي ولوى كورفالان جميع أنحاء البلاد ، من قرية نائية ومن مدينة حديثة . وكان منطق الليندي بسيطاً في مخاطبة الفلاحين إذ كان يقول لهم : « لنا لن اشتري أصواتكم . ومن يفعل ذلك يحترقكم . انه يعطيك ما تشربون به يوما أو حتى أسبوعا . ثم يترككم ست سنوات دون اهتمام بكم ليعود فيفكر نفس اللعبة . أما أنا فلا أريد أن أكون رئيسا آخر . وإنما أول رئيس لحكومة ثورية ، الحكومة الشعبية التي ستعطيك الأرض . أنهم يقولون اني كاسترو بلا فتن . والواقع أن كاسترو أعطى الأرض للفلاحين ، وحرر بلاده من الإمبريالية . وفور هذا كانت عاصفة من الرياح تثار في شيلي ، فيفا الليندي ، فيفا جويري نوبو بولار » .

وهكذا انتصر الطريق السلمى بفضل الوحدة الشعبية
ويواصل الليبدى للسلطة . بدأت عمليات استعادة ثروات البلاد
من أيدي الاحتكارات الأجنبية . وبدأت عمليات تنمية واسعة ،
وكلفت لوضع الحريات السياسية للجهان ، وأجرى إصلاح
زراعى جدي . وصمدت شيلي في وجه المؤامرات المباشرة مثل
مؤامرة شركة التليفون والتلغراف الدولية ، أو غير المباشرة مثل
خفض أسعار النحاس ومنع القروض والتسهيلات والمقاطعة
الاقتصادية والتجارية ، لكن .. الرجعية الدولية ، أو الولايات
المتحدة تمحيذا ، والرجعية المحلية ، لم تكن لتقف ساكنة وترك
حكومة الوحدة الشعبية تبني الاشتراكية وتلزع امتيازاتها وهي
لاتبالي ، ولقد ركزت الرجعية على :

● خلق المصاعب الاقتصادية ، فحاجب الحصار الاقتصادى
الذى نظمته الولايات المتحدة دوليا ، تمت عمليات تخريب داخلية
واسمه على أيدي القوى الرجعية من أصحاب سيارات النقل
- وليس عمالها - وأصحاب محلات البقالة (رليونيرات)
وأصحاب الاموال والأراضي .

● بذر بذور الفرقة والانقسام بين القوى المكونة لكتلة
« الوحدة الشعبية » ، وبالفعل استغلال مملو أجزاء منها من
الوزارة . وإلى جانب مسئولية مضاربات لريكا وعمالها عن
هذا ، ومسئولية القوى المتسحبة من التحالف والتي تسمى
فبائاتها بالتردد ويسايقها في نقض الاتفاقات ، فان مسئولية لا
شك فيها تقع على عاتق القوى الطليعية الأكثر وعيا في التحالف
باعتبارها الأوفر والأوى على تطوير الوحدة التي كانت اتصاف
الليبدى الى « وحدة عضوية » بين هذه التنظيمات وزيادة نقاط
الاتفاق بل التماثل الى أقصى حد .

● استيلائه هيادات الجيش . صحيح ان هذه القيادات قد
رفضت التدخل لمنع الليبدى من تولي منصبه بعد انتخابه وأعلنت
التزامها بالقواعد التشريعية . كما ان الجيش في شيلي ليس في
الاساس جيش انقلابات كما في معظم القارة ، إلا أنه يقف عده
حقائق منها :

ان التبرد على النظام القائم ليس جديدا كلية . ففي ٢١
اكتوبر ١٩٦٩ ، تمردت كتية سانتياجو بقيادة الجنرال روبيرتو
وتولى الجنرال شيندر - الذى اغتالره عصب تولي الليبدى
- قمع التمرد . كما أعلن اتحاد العمال الاضراب العام القوي ،
وشل المصانع والسكك الحديدية ، والادارات . وأخذت المؤامرة
هي مهددا .

كذلك لم يكن غريبا على بعض قوات الجيش ، الاشتراك في
تبع التحركات الشعبية . ففي ١١ مارس ١٩٦٧ ، اضرب عمال
منجم الملفادور ، وقتلت منهم فصيلة مسلحة عددا كبيرا من
بينهم امرأة حامل . وفي مارس ١٩٦٩ ، بذرت نفس الفصيلة
بذور الموت في بورتومونت بين السكان الثائرين بسبب صدم
وجود ماوى لهم .

كذلك فإن للولايات المتحدة دور كبير في الجيش . فقد تولي
خبراؤها تدريب الجيش طوال ربع القرن الماضي ، ولهم صلات
وثيقة بقياداتها . ومع ان الولايات المتحدة منعت المساعدة
الاقتصادية عن شيلي فور تولي الليبدى ، فقد استمرت في المعونة
العسكرية لجيئته وهي امواده بالسلاح .

البرجوازية الصغيرة . وهم
يخبرون في بياناتهم وكراساتهم
النظرية « ان السبيل الوحيد
للاطاحة بحكم البرجوازية هو
تصفية بنائها الفوقى بكل ما
يتضمنه من تكوينات ومصالح ،
أما الإدماء بإمكانية إنشاء
الاشتراكية دون الاطاحة مسبقا
بهذا البناء الفوقى فانه لن يؤدي
الا الى ابتلاء هياكله
وبرجوازية جديدة لقمة السلطة
في النظام الجديد » .

وهي حديث كوروفلان مكترير
عصام الحزب الشيوعى
(١٥.٠.١٩٦٩ عضو ٨٠.٠٠٠
عضو في منظمة الشبيبة
الشيوعية) أصبحت آنسة
بمستثمر وقع اللقاء بين قتي
كسارة البندي اعتدال حزب
الليبدى ، وتطرف ويسارية
منظمة MII . وفي مؤتمر
عصفى عنده كوروفلان سألته
واحد من الصغار « لا
تخشون من انقلاب مسكرى ؟ »
ونظر كوروفلان بتمسسا الى
واحد من الجنرالات كان يجلس
على المنصة ، ليهانس كالمعدة
تثيل القوات المسلحة في كل شيء
« وقال ان الجيش يحترم
التقاليد الديمقراطية ، وقد أعلن
قاداته ان مهمتهم هي حماية حدود
البلاد واحترام الدستور ، وعلى
كوروفلان قائلا « ومع ذلك فان
الحزب الشيوعى يرى ان خير
حماية للسلطة من المؤامرات
والاستمارة والرجعية ، و تسليم
الطبقة العاملة ، ان الشعب
المسلح هو الحارس الامين
للاشتراكية ، وهو القادر على
مجاباة العنف الرجعى
المسلح » .

لكن الليبدى رفض أية محاولة
لتسليح العمال .. معتقدا في
مجاباة العنف الرجعى الذى لجأ
في كثير من الأحيان الى أساليب
قتلية على القانون والدستور
وحدهما .
والشيء الخطير الذى مات
الليبدى ان يدركه ان ضباط

الجيش وخاصة كبارهم هم بحكم وضعهم الطبقي ومستوى معيشتهم وتكوينهم الاسرى قوى لصيقة بالراسمالية المبروية وكبار الملاك الزراعيين ، لقد نسي الليندى ان الانتماء الطبقي قد يتفوق يوما ما على «كلمية الشرف» أو «يمين الولاء» ١٥

كان الليندى يعتمد كثيرا على صداقة وولاء الجنرال كارلوس براز. وزير الدفاع ، لكن الطبقة تستطيع ان تضعضى حتى باحد ابنتها في سبيل مصالحها ١٥. وتجنبت ثلاثمائة سيدة من زوجات الضباط - بينهم خمس عشرة من زوجات الجنرالات - الى مقر وزير الدفاع لطلبه بالاستقالة .. وشمر الرجل انه اذا كان الضباط يخضعون له بحكم الولاء العسكري فانهم يخضعون عليه بحكم الانتماء الاسرى والطبقي المصادى للاشتراكية .. واستقال وزير الدفاع وفتح الباب أمام الانقلاب ..

وعندما شعر الليندى برباح الانقلاب ذهب اذاع بيانا الى الشعب ، قال فيه ان عناصر غير ممنولة قد طلبت منه الاستقالة .. لكنه اعلن مصمما «لن استقيل ، لن افعل ذلك ، انني اتد امام البلاد بالموقف الذى لا يحق للجنود الذين ينهكون كلمة الشرف اني اغتصوها ، وعند التزاماتهم كمسكرين .. اننى اعلن قرارى الذى لا رجوع فيه دفاعا عن شيلي ، اعلى قرارى باننى ساقوم بكل الوسائل المتوافرة .. حتى ولو تكلفنى ذلك حياتى ، حتى يكون ذلك درسا يلحق الضرر الفادى ببولسكو الذير يستخدمون العنف دون ان تكون لديهم ذرة واحدة من المطق ..

وهكذا .. وحتى فى احرع بطلانه الاحيرة كان الليندى

ومع ان البرنامج المشترك للوحدة الشعبية قد أفرد للجيش جزءا كبيرا منه تضمن :

١ - تدعيم الطابع الوطنى للقوات المسلحة بكافة قطاعاتها ، أى رفض استخدامها باى طريقة كانت فى قمع الشعب أو استخدامها لمصلحة القوى الأجنبية .

٢ - التأهيل والتدريب التكنيكى والمفتوح لجميع الرتب على العلوم العسكرية الحديثة ، بما يتفق مع مصالح شيلي الحقيقية : الاستقلال القومى ، والصداقة والسلام بين الشعوب .

٣ - تكامل ومساهمة القوات المسلحة فى الحياة الاجتماعية فى كافة جوانبها . ولابد ان تهتم الدولة الشعبية بتسيير مساهمة القوات المسلحة فى التنمية الاقتصادية ، دون اهدار مهمتها الاساسية فى الدفاع عن السيادة القومية .

ومع كل هذا فان «تسييس» الجيش لم يرس بالحد المطلوب . ومع ان لوى كورغان نيه الى ان الجيش اصبح عاملا حاسما فى حياة البلاد - الا انه لم يتم تحويله الى جيش شعبى حقيقى . والواقع ان هذا طرح قضية كانت هى «كعب اخيل» او مقتل الثورات ابتداء من كوميين باريس الى ثورات التحرير المعاصرة ذات الطابع الاجتماعى فى العالم الثالث . هذه القضية هى «جهان الدولة» يختلف مؤسساته ، الجيش والبوليس والبرلمان والقضاء والصحافة .. الخ . فقد دلت التجربة القوية فى العالم اجمع على انه لى اى الطريق الذى تصل به قوى الثورة الى السلطة - سافيا او حثيفا - فلابد من تدعيم ، بالمعنى الحرفى للكلمة ، جهاز الدولة القديم واستبداله بجهاز جديد يقوم اساسا على اوسع مشاركة جماهيرية وعلى اساس النقل المتزايد لسلطات واختصاصات أجهزة الحكم الى الجماهير الشعبية . ومع ان حكومة الليندى اطلقت اوسع الصرايات للجماهير ومنظماتها ، الا ان أجهزة الدولة ظلت فى الاساس كما هى . فالبرلمان بقى وكرا للمعارضين تمسكا بسلمية ودستورية وشرعية الانساب - وطلق هذا البرلمان يمارض الحكومة ويدينها ويمرقل مشروعاتها . كذلك ظل الجيش كما كان فى المجتمع القديم ، بنفس قياداته الطبقية ذات الامتيازات ، بنفس مفاهيمها وافكارها ونظريها ، على الرغم من ان شواهد الغارة تؤكد ان الجيش هناك اداة للتحويل للرجعى هادة - على عكس ما يحدث فى بلدان افريقيا بالذات . وبالفعل فان قوة المثل اغرت قيادات الجيش بالتعرج .

والواقع ان الصراع فى امريكا اللاتينية - خاصة الاجتماعية - صراع دموى ، وتبع تدويته اساسا من تقليد تاريخية زرعها الاسبانويون والبرتغاليون ونماها الاميراليون الامريكيون ، الذين درجوا على استخدام العنف فى «الانقاء على الأوضاع القائمة» . وبالفعل أصبحت الطبقات المالكة للأراضي والمصانع والمشروعات - وهى من سلالات الغزاة الاسبان والبرتغاليين ووكلاء امريكيين - لا تعرف غير العنف طريقا

للإبقاء على أوضاعها . والحقيقة التى يجب تأكيدها هي أن الطريق السلمى لجدى ونفع وأكثر انسانية . لكن قوى الثورة لا تختار . بل أن الذى يحدده هم اعداؤها الطبقيون . ومؤلاء دمويون يطيعتهم في أمريكا اللاتينية بالتحديد ، أن لم يكن في العالم أجمع . ومن ثم فإن مأساة شيلى ، تطرح قضية الربط الصحيح بين الطريقين السلمى والعنيف ، والاستعداد للتصالح من الآخر الى الثانى فوراً بما يشل أى محاولات لقوى المجتمع القديم لاستعادة نفوذها بإغراق التجارب الجديدة في حمامات الدم . والاستعداد للطريقين ليس تبديداً للجهد أو انفساباً كما أكد بعض قادة ثورة شيلى الذين أريق دمهم الطاهر الذكى لاصرارهم على « السلبية » في مواجهة اعداء اعتادوا شرب الدماء . أن مأساة الثورة في أمريكا اللاتينية تكمن في احادية الطريق . فالجماعات الثورية هناك اما أن تتبنى طريقاً سلمياً وترفض بمنف كل ما عداه ، أو تتبنى طريق الصراع المسلح وتدين كل ما يخالفه . في حين أن الطريق السليم يتحقق بالربط الصحيح بين الاسلويين .

أن مأساة شيلى لا تدين الطريق السلمى ، وإنما تنبه الى خطورة الركون اليه وحده . فاصحاب الامتيازات لا يتخلون عنها سلماً وطواعية ، ولم تحدث تجربة واحدة في العالم تؤكد هذا . فابتداء من قتل الطوباويين في « اقتناع » اصحاب المشروعات بالتخلي عنها ، الى تجارب الثورة الاشتراكية في الاقتصاد السوفيتي وبلدان أوروبا وآسيا ، مروراً بالمحاولات الاجتماعية في الدول الوطنية ، وانتهاء بمأساة شيلى ، يبين انه على قوى الثورة الاجتماعية أن تعد ما استطاعت من « القوة وبن رباط الضيل » لترهب به عدو الله وعدو الشعب وعدوها ، و « ثقلمه » بعدم اللجوء الى العنف ، أو تلقنه درساً لا ينساه اذا لم يقنع بالإمتناع عن هذا ابتداء . أن الاستعداد واليقظة والقدرة على الضرب بشدة وفاعلية على من يودون أرجاع الأمور الى الوراء هو الذى يقنعهم بالجنوح الى السلم ، وينثيهم عن العنف ، الذى كانوا دافئاً وأيداً هم البادئين وهم الذين يفرضونه على قوى الثورة المسالمة بطيعها .



يبحث عن « المنطق » في استخدام « العنف » .

وحوصى الليندى قسى قصره وزحف آلاف من العمال العزل ، الذين رفض الليندى بإصرار غريب تصليحهم بحجة أن تسليحهم يهدد الديمقراطية . . . زحفوا عزلاً ليوأجوها الدبابات والمدافع الثقيلة والطائرات . .

وتعود الى نقطة البدء . .

الليندى لم يكن مسيحياً يشى بكهنة غريب في أرض قارة لا تعرف غير الدماء بل كان تعبيراً منطقياً وموضوعياً لظروف عصره ، تعبيراً عن انتصار الاشتراكية وحتمية هذا الانتصار ، تعبيراً عن اتساع أفقها ورحابة صدرها وقدرتها على الاستيعاب بحيث تستطيع أن تضم الى جانبها أوسع الجماهير الشعبية . .

وفشل التجربة لا معنى خطا النظرية . .

فشلتها يعنى أن ثمة أخطاء وقعت ، يعنى أن النظرية سوف تشرى ، سوف تجد لنفسها في المستقبل تطبيقاً أفضل . .

ودفع الليندى حياته ثمنها ، ودفع آلاف من العمال والثوريين حياتهم ثمناً لا لانهم لم يعرفوا الطابع الدبوى للقارة ، وإنما لأن البعض لم يعرف على وجه الحق الطابع الدبوى للصراع الطبقي . . لم يعرف أن الانتماء الطبقي قد يتغلب على الولاء العسكري . .

لكن انتصار المؤامرة لا يعنى هزيمة الثورة ، فليسوف يواصل اليسار الموحد الصفوف معركته ضد الاستعمار . . وعملائه ، وليسوف يثبت التاريخ أن « الاشتراكية » أقوى . . وأعمق من مؤامرة حقنة من الجنرالات ، ذلك انها الخير اليومى للذين من البشر . .

حرب الأيام الستة

وآثارها

الاقتصادية

والاجتماعية

على إسرائيل

جك كوبان

نتيجة هامة لحرب الأيام الستة يتمين بحثها ودراستها حتى تكتبل الصورة تعابا حول **هناك** سياسة إسرائيل . هذه النتيجة هي الأثار الاقتصادية والاجتماعية لتلك الحرب على المجتمع الإسرائيلي . وتلك مهمة ليست ميسورة ، لأن هذا الجانب من القضية ، قد تم اخفاؤه بعناية وحذر بالغين . في ديسمبر ١٩٧٢ ، اجاب شيمون بيريز وزير المواصلات وأخضر سعادوني الجنرال ديان ، على وزير المالية الذي كان يشكو مما يلاقه من صعوبات اقتصادية بقوله « لو أن سابير قال لنسأ اختاروا بين « الفانتوم » وبين التليفونات ، ولكن اذا قللوا الى أن اختار بين المدارس وبين التليفونات ، وبين المساعدات الاجتماعية وبين التليفونات لاجبت اي نوع من الأولويات هذا ؟ [حديث مع جبرورالم پوست ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٢]

وفي الأسبوع نفسه هاجم بفحاش مسابير المستدروت ، التنظيم النقابي الذي اضطر الى تأييد الاضراب الذي انفجر في كل القطاعات ، وإلى ادائه الفتناح الى حدثت في مشروعين من مشروعات قطاع الدولة : وهما **فيود ونفتفي نفت** | الشركة البترولية المشكلة باستخراج البترول المصري من سيناء [. ولأم وزير المالية تسادة المستدروت ، وهم بطله أعضاء في حزب العمال ، على اللجوء الى الصراع الطبقي : قال لهم « أنكم بالاصغاء الى المضربين ، لن تتركوا أبدا أن هناك مشاكل في مجال الدفاع » ولم تكن التعازيم والرقبات التي اطلقتها وزير المالية كافيّة بوضع حد لاكبر موجة اضرابات شهدتها إسرائيل ، خلال ديسمبر ١٩٧٢ يناير ١٩٧٣ . فالمعامل الإسرائيليون مضطرون الى خوض نزالات قاسية وصعبة لحصول الحفاظ على مستوى حياتهم « على الطريقة الأوروبية » . لأنه على الرغم من « الكرم » الأمريكي ، لا يمكن الحصول على الزيد والمدافع

جك كوبان صحفي فرنسي في « لومانيه » ، الصحفية الوحيدة التي ادانت عدوان إسرائيل فور وقوعه ، واستنحت بذلك مسيحات القهوسيين من انصار إسرائيل الذين نجسوا حول بناها صديقة يوم العدوان يهفون بسقوطها وحياة إسرائيل .

وكوبان من أبرز من اسلمهم صحفية « لوكاتار انشنييه » الموالية لاسرائيل « بالعودة » لانهم دامعوا من اللق العربي ، وكشفوا تواطؤ إسرائيل والولايات المتحدة في « حرب البترول » التي شنها إسرائيل يوم « يونيو ، باعتبارها « وكلاء » معتمدا في المنطقة بخصي « مغارة على بابا » التي تضم كنوز المنطقة التي نهبا الاستعمار الأمريكي . وفي هذا المقال يوضح كوبان ، أن الحرب بالنسبة لاسرائيل ليست مغنا صافيا ، وأن نتائجها باعقة على الاقتصاد الإسرائيلي رغم ذلك السبل المتفق من الامونات نينا للثور الذي ارتضته .

فى نفس الوقت ، وفى هذا القوسوع ، ليس هناك معجزات او اوهام حتى فى اسرائيل نفسها . وايا كان الذى قاله شيون بيريز ، الذى يدعى ان عندهم الفانتوم والطيفونات والمدارس والمساعدات الاجتماعية ، فى الويت نفسه ، فلاديمر من الاختيار فى واقع الامر .»

ولقد اختار القادة الاسرائيليون ، وبذا شهدت اسرائيل منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، اول مظاهر للبرس الناجم عنها والذي غدا امرا لا يمكن احتياله .»

فالواقع ان الرغبة فى الاحتفاظ باتوى الجيوش « الغربية » فى المنطقة ، يتكفل غالبا اكثر فاكش .»

فى ١٩٦٧ . كان ثمن لطائرة مبراج من الطائرات الجهر بما جيش اسرائيل ، يبلغ ٦ ملايين ليرة اسرائيلية [باسمه ١٩٧٢] « واليوم ، فان افضل طائرة فى حوزتنا وهى الفانتوم يتراوح ثمنها بين ٢١ . مليون و ٢٤ مليون ليرة حسب الطراز :» .» كما اعلن الجنرال فيسان [جيروزاليم بوست ، ٢٢ - ٨ - ١٩٧٢] « ونعتقد ان ثمن الطائرات الامريكية المغلبة التى ستحل محل الفانتوم ، وهى طائرات ف ١٤ او ف ١٥ سيزيد مرتين او مرتين ونصف من ذلك ، اى انه سيصل الى ما يزيد عن ٥٠ مليوناً .»

وفى الفترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٢ تضاعفت ثمن الدبابة من ٢٥٠٠٠٠ الى ٧٠٠٠٠٠ او ٨٠٠٠٠٠ ليرة وسيصل ثمنها وفق راي ديان ، الى مليونين ليرة فى نهاية الثمانينات .»

والمساعدة الامريكية والقروض ليست مجانية ، كما يتعين ايضا سداد القروض الممنوحة ودعم فوائد الاستشارات الخاصة التى فتح لها الباب على مصراعيه منذ ١٩٦٧ .»

والواقع ان اسرائيل تعانى منذ مولدها من هجز دائم فى ميزان مدفوعاتها . فنظرا لانها بلد بلا مواد اولية ، او هى كذلك تقريبا ، كان على اسرائيل ان تستورد الكتلة الاساسية من المنتجات القاعدية لصناعاتها ، وكذلك كان عليها ان تستورد المنجصات الفضائية [الحقيق ، اللحوم ..]

ان قادة اسرائيل باختيارهم الحرب قد اداروا ظهريهم لسياسة تكفل لهم التغلب على هـــــــــــــ المعينة . اذ لا يمكن التغلب على هذا الا ببدء المبادلات التجارية مع البلاد العربية المجاورة .»

وبعد حرب ١٩٦٧ اتسعت الهوة بدرجة جعلت الاسرائيليين يسجلون حاليا الرقم القياسى العالمى فى الدين الخارجى بالنسبة للفرد الواحد من السكان . ولقد تجاوز هذا الالف دولار فى ١٩٧١ . ولكي ندخل فى اعتبارنا عناصر اخرى للمقارنة ، نقول ان دخل الفرد قد بلغ فى السنة نفسها ١٢٠٠ دولار . وفى عام ١٩٧١ انفق كل اسرائيلى ٤٧٠ دولارا على الحرب ، وهو رقم يزيد ١١ مرة عن انفاق المصري ، والسورى والاردنى او اللبناني وفق راي الميزانز شيرت المدير العام لبنك اسرائيل [٧ - ١ - ١٩٧٢] . وبعد ذلك بعامين اكمل محافظ بنك اسرائيل موشيه ساميار المقارنة بالنسبة للفرد : ٤٨٠ بالنسبة لاسرائيل ، ٣٨٠ بالنسبة للولايات المتحدة ، ٢٧٠ بالنسبة للاتحاد السوفيتى [جيروزاليم بوست ، ٢٠ - ٣ - ١٩٧٢] .»

ولقد ارتفع الدين الخارجى لاسرائيل من ١٦٠٠ مليون دولار الى ٣٦٠٠ مليون فى ١٩٧١ ، والى ٤٢٠٠ مليون فى ١٩٧٢ . وليس هناك ما يشير فى توقعات الاخصائيين الى انه سينخفض فى السنوات القادمة .» ان الفانتوم اولوية على كل الاولويات .»

والواقع ان هذا الوضع قد نشأ ، رغم ان الصادرات تضاعفت خلال خمس سنوات ، ولكن ثيرة هذا العمل ، التهمتها بشتريرات المسود الاولى المخصصة لمصانع السلاح . وفى ١٩٧٠ كانت هذه المصانع تستخدم ٢٥ فى المائة من العمال ، مقابل ١٠ فى المائة فى ١٩٦٧ .»

وارتفع ايضا الجزء المخصص للحرب من اجمالى الناتج القومى من ١١ فى المائة نـــــــــــــ الى ٢٣ فى المائة فى ١٩٦٧ ، ثم ٣٠ فى المائة فى ١٩٧١ .»

وزيادة الصادرات ، وتحديث آلة الحرب ، لجحات تل ابيب الى طلب القروض الجديدين المصارف والراساليين الاجانب ، وفى خجل هذا بنحتهم كل الامكانيات والفرس لاعادة تصدير الارباح بالعملة الاجنبية التى يخسارونها . وارتفعت الفوائد والاسهم التى يتعين سدادها الى ٨٠٠ مليون ليرة اسرائيلية فى ١٩٦٦ والى ٣٦٠٠ مليون فى ١٩٧٠ [٢٣ فى المائة من الميزانية] وقد ذكر هذا الرقم مايرفلنرى تقريره الى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيومى الاسرائيلى .»

وبدون فيضان الدولارات الذى تمنحه الولايات المتحدة للشروطى العامل فى خدمتها ، لتعرض هذا البلد لازمة اقتصادية خطيرة ، ولافلاس لم يسبق

له بشل^٢ . ومع ذلك فإن شركائه في المخابرات ٢
قلقون للغاية من التضخم الذي يلتهم الليرة
الاسرائيلية . ففي ١٩٦٨ طبع ٢٢٤ مليون ليرة
وفي ١٩٧١ طبع ١١٤٢ مليوناً .

وعلى هذا الحال يمكن ان نعدد الزايفيات
يتعلق بالصالة الصحية القديمة للاقتصاد والمالية
الاسرائيلية ، التي يبهض كاهلها عبء ثقل ناهج
من سياسة الحرب .

ومع ذلك ، فإن هذا العهد ليس متسلسوا
بالنسبة لكل المواطنين .

ففي ١٩٧٢ : ارتفعت ارباح البنوك ارتفاعا
كبيرا بالغاخرة بالنسبة للعام السابق : ٧١ في
المائة بالنسبة لبنك هابواليم ، و٥ في المائة لبنك
الفصم [وهما اثنان سن اكبر ثلاث
مؤسسات] . وبالنسبة لباني ارباب العمل ،
كان المعدل ٢٢ في المائة خلال نفس المدة .

لها الاجور الحقيقية فقد انخفضت حسب
الاحصاءات الرسمية بنسبة ١ في المائة في ١٩٧١
وبنسبة ٢٥ في المائة في ١٩٧٢ ، وفي حين وصل
ارتفاع الاسعار الى ١٢ في المائة في ١٩٧١ بوالى
١٤ في المئة في ١٩٧٢ [جيورزالييم بوست ،
١ - ١٩٧٢] .

لقد جاءت حرب يونيو لتفاقم تطورا قائما فعلا
هو انقار صال اسرائيل وزيادة بؤسهم .

ولنأخذ هذه المرة كبرج لنا رسالة صحتي
اسرائيلي هو بن بورا ، نشرتها المجلة الصهيونية
الفرنسية « لارش » (يونيو - يوليو ١٩٧١)
وجاء فيها :

« في ١٩٥٥ كان ٢٠ في المائة من الاجراء
الذين يحصلون على ادنى مستوى في سلم الاجور
في اسرائيل ، يحصلون على ٧ في المائة من
اجمالي الدخل .

« وفي ١٩٦٤ ، كان دخل نفس ال ٢٠ في
المائة يمثل ارفع في المائة من مجموع الدخل ، ثم
انخفض في ١٩٦٩ الى مرة في المائة .

وفي النهاية المقابلة كان ٢٠ في المائة من
الاجراء الاكثر حظا ، يحصلون على ٢٨ في المائة
من اجمالي الدخل في ١٩٥٥ ، وعلى ٤٢ في
المائة في ١٩٦٩ .

ويضيف بن بورا « ان الاحصائين الاخيرين ،
يوضحان الحقيقة التي اضطرت الحكومة حاليا
للاعتراف بها ، وهي ان الفقراء في اسرائيل

يصبحون اكثر فقرا بصورة متزايدة ، والافغناء
يصبحون اكثر غنى بصورة مضطربة . ان قطعة
الجنات التي بناها البعض نقل ، في حين يتزايد
تصيب البعض بصورة مضطربة » .

والواقع ان لحظة الصدق القصيرة هذه قد
ظهرت في « لارش » في الوقت الذي كانت فيه
مظاهرات الشباب الاسرائيلي من يهود . السفارديم
(من آسيا ، وافريقيا ، واليونان ، واسبانيا
وتركيا) ثائرة تجوب شوارع القدس وتلأ
ابيب . كما كان انفجار « اليهود السوداء » ،
قد كشف للعالم حقيقة لم يكف الحزب الشيوعي
الاسرائيلي من سجنها : وهي التفرقة الاجتماعية
شد مجتمع اليهود السفارديم الذي يمثل ٥ في
المائة من مجموع سكان اسرائيل . وهؤلاء هم
اليهود « السود » كما يسمونهم في اسرائيل ،
وهذه الصفة الدالة على الاحتقار ، تنسب اسم
الحركة .

كما اكتشف القناع بنفس الطريقة
عن « الاشتراكية الاسرائيلية » التي استخدمت
كثيرا للهجوم على ناصري في أكتوبر ١٩٥٦ ، وفي
يونيو ١٩٦٧ .

وقد أوضح الدكتور اسرائيل كاتز مدير معهد
التأمين القومي : « ان الجزء الهائس للدخول التي
تقل عن المستوى الأدنى .. كثيرة للغاية حتى ان
شخصا من كل ثلاثة اشخاص كيان يعاني من
ضائقة مالية » . وذكر ايضا ان الاسر الكبيرة
المعد ، تمثل ٢٧ في المائة من السكان . وأوضح
أوجه عدم المساواة « غير المالية » التي تسود في
مجال الصحة والتعليم (جيورزالييم بوست ،
٢٢-١٩٧١)

وفي بداية ١٩٧١ نشر المعهد القومي للتأمين
دراسة توضح ان ١٢٢٠٠٠ أسرة حضرية ،
تضم ٥٢٠٠٠ شخص ، اي اسرائيلي من كل ستة ،
او أسرة من كل ٤ أسر في المدن ، تعيش يدخل
يعادل مستوى الفقر أو يقل عنه .

وفي السنوات التي أعقبت هذه الاحصائيات ،
اتسعت الهوة بين الاغناء والفقراء ، بين ذوي
الامتيازات والعمال .

وتؤكد الاحصائيات الرسمية عن ١٩٧٢ ايضا ،
ان تفرقة فعلية تمارس بين العمال حسب اصولهم ،
فقد بلغ متوسط دخل أسرة المستخدمين في الحضر
في هذه السنة ١٤٤٠٠ ليرة بالنسبة لمن كانوا من
اصل عربي ، و ١٠٧٠٠ ليرة لمن كانوا من اصل
شرقي ، و ٨٦٠٠ ليرة بالنسبة للجماعات غير
اليهودية (جيورزالييم بوست ، ١٢-١٣-١٩٧٢)

أى الحرب الاسرائيليين ، وهكذا فإن الاستقلال قد بلغ حدودا كبيرة ويقضح بسهولة أن الحكومة وأرياب الاعمال مما السبب ، كما أنهم يمارسان سياسة التفرقة ، والإلتزام ضد العمال حسب ما إذا كانوا لا يوبون مولودين فى افريقيا أو فى أوروبا ١٥

ويجب أن نؤرخ بصفة خاصة أن العمال العرب الاسرائيليين (١٢ فى المائة من السكان ٤٠٠ فى المائة منهم يعملون فى البناء ١٦ فى المائة منهم فى الجامعة) فى أدنى الهمم الاجتماعى ، وأن التفرقة تسحقهم أكثر من غيرهم .

أن ثمار الحرب مريوة . بالفسية للعمال الاسرائيليين

أن تصاعد سحق العمال وقرب انتخابات قيادة النقابات والجمعية الوطنية (فى خريف ١٩٧٣) قد دفع بعض قادة حزب العمال إلى الاعتراف ببعض الواقع :

« ن مجتمعنا الحالي هو مجتمع رأسمالى حقا . وقبل هذا المجتمع الذى يوجد فيه ذلك الفرق الكبير بين الميسورين والفقراء ، يتناقض مع مبادئ حزب العمال . وبين من الاحتكار الذى تمارسه شركة « الصفوة » (مصانع حلوليت حدث فيها اضراب طويل للغاية فى ١٩٧٢) على أنه فى مقدور اسرائيل أن وثلاث أسر أن تجمع الملايين ، وعلى الرغم من الصعوبات ، تستفيد حركة الكيبوتز من هذا التيار ومن الحياة الرغدة ، وبدلا من أن تبني مشاريعها الخاصة ، تأخذ هى أيضا فى بحث الاستثمارات فى البورصة وامتلاك الاسهم .

ومن وراء هذا الطابع المقدس للفلتووم ولتوطين المهاجرين ، يعنى البعض ثرواته بطريقة ماهرة ، بالاستيلاء على جزء من الموارد التى كانت مخصصة لمستوى معيشة ليس مرتفعا على الإطلاق .

ومن جراء مصادر بعض الأفراد واستحوادهم دون حق على جزء من مخصصات «قطاع العام » تعيش فى ظال اشتراكية معكوسة ومقلوبة ، أى اشتراكه الجميع فيها فى خدمة عدة أفراد وليس العكس . ولابد من إيقاف هذه العملية التى تعرض وجودنا للخطر » (هارآتز ٢٨-٧٢)

وقبل أن يعين رئيسا لدولة اسرائيل ، كان ليدروفسور كاتشالسكى (الذى أصبح يدعى كاتزيرمند تميمته) حديث يزيل الغشاوة والضلالة ، قال فيه :

« ان الواقع تدفعنا الى القيام بكثير من

الاشياء التى ما كنا نقوم بها فى ظروف أخرى . فمثلا نصف ميزانية اسرائيل مخصصة للامن ، كما أن نصف العلماء والمهندسين قد جندوا للعمل من أجل الدفاع . وتلك تطورات لم تكن قد نبتنا بها قبل اقامة الدولة . . . ومنذ سنوات كثيرة وحزب العمال يحكمنا ، ولدينا نظام يفترض أنه نظام اشتراكي وإنما احس باننا نترلق نحو نظام رأسمالى ، وهذا لن يكون نظاما رأسماليا عاليا ، بل سيكون من أسوأ الأنواع التى يمكن تصورها .

وفى مثل هذه الظروف ندرج جيدا أسباب تعدد الاضرابات وتكاثرها على الرغم من مناشدات ونداءات الحكومة والهيستدروت ، ورغم اتفاقيات تجميد الأجور والامصار التى تمقصد مع أرياب الاعمال ، ورغم القمع . وفى ١٩٤٩ حدث ١٤٤ صديا هاما ، وحدث ١٦٢ فى ١٩٧٠ و ١٧١ فى ١٩٧١ . وخلال هذه السنة الاخيرة ، لم يوافق الاتحاد النقابى على ٥٦ فى المائة من الصدمات ، الامر الذى يعنى أن الضربين لم يترددوا فى أن يحرموا انفسهم من مساعداته المالية (موقوف الاضراب) والسياسية (المساعدة والتأييد ضد القضايا والدعوى التى تقيمها الحكومة) .

أن اسرائيل بلد رأسمالى ، له سماته الخاصة لا يغير من ذلك شيئا ، أن جانبها هاما من القطاع الصناعى موجود على يد الدولة . كذلك فإن الحركة التى تسمى الى اتاحة الفرصة للرأسماليين الاسرائيليين والاجانب للمشاركة فى القطاع العلم ، قد تزايدت سرعتها وحدثها منذ الحرب .

والواقع أن ادارة المشروعات تتم وفقا لمصالح البنوك الكبيرة المحلية والاجنبية ، او المؤسسات التى تستثمر اموالها فى اسرائيل . كما أن الكيبوتزات نفسها ، لكى تتخلص من ديونها قد انغمست فى استغلال العمال بإنشاء مشروعات صغيرة ، خاصة فى مجال الالكترونيات ، التى تحصل منها على أعلى الأرباح الناتجة من عملها فى سياق التسعير .

وتتبع الهزات التى تعرض لها الاقتصاد الاسرائيلى ، والتى سيتعرض لها : من عجز هذا المجتمع غير الرأسمالى عن تقديم حل لوجود الدواء والأمراض التى تعاني منها البلاد .

وقد اخضعت حرب الأيام الستة « التصيرة والسعيدة » ونشوة النصر هذا الجانب من الصورة لبعض الوقت . ولنتذكر أنه فى ١٩٦٦ كان فى اسرائيل ١٠٠٠٠٠ عاطل (أى ما يزيد عن ١٠ فى المائة من السكان العاملين) كما زادت الهجرة منها عن الهجرة إليها لأول مرة منذ ١٩٤٨ .

كذلك فإن إسرائيل تواجه أزمة مساكن خطيرة
فقد تكون امتداد للزواج الشبان لمواجهة صمودية
المثور على شقة رخيصة . واقتحموا المساكن
الجديدة التي كانت الحكومة تحتفظ بها للمهاجرين
من أصل اوروبي واحتلوا عنوة .

وهكذا ووجه القادمون الجدد بالكراهية والحد
بسبب الامتيازات الممنوحة لهم (الشقق ،
والقروض ، والاعفاء من الجمارك على المنتجات
المستوردة ، والاعفاء من الضرائب) ووجهت
جولدا مائير ذداء لهم تطيب فيه خاطرهم حتى لا
يشعروا « بالبرد في من الحر الشديد » بسبب سوء
استقبالهم .

ان العنف الذي قام الاستيطان والاستعمار على
اساسه ، قد انتقل الى نشاطات وعمال المجموعات
الفلسطينية . ان يرتدي أعضاء رابطة الدفاع اليهودية
التابعة للحاخام ماير كاهان زيا شبه عسكري ،
ويهاجمون مظاهرات الديمقراطيين . كما تهاجم
منظمة « دوف » . وهي منظمة « قمع
الخوف » تهديداتها بالموت الى الشيوعيين
والمنشعبات التقدمية ولا يوقع عليها اى عقاب
بسبب هذا . وقد تراجع ابا اييل وزير الخارجية
امام تهديد وايتراز « دوف » بعد ان اعلن ان
اسرائيل تستطيع ان تعيد للبلدان العربية جزءا
صغيرا من الاراضي المحتلة .

وقد لوحظ ان رئيس رابطة الدفاع اليهودية ،
يعتصم مع المافيا ومع وكالة المخابرات المركزية في
الولايات المتحدة ، وان العقل الماني للمافيا ، مائير
لانسكي ، يدفع مبالغ ضخمة لحزب ديني . هو
حزب اجودات اسرائيل . كما لوحظ ان الجريمة
تزيد بمعدلات تدعو للفزع . وكثرت جبروا زعيم
بوست (١٣ - ٣ - ٧٢) تقول « لقد تحولنا من
مجتمع لم تكن الابواب تقفل فيه قط ، الى امة من
لصوص اللبنة » .

وهناك علامة اخرى على روح العصر ، تتمثل
فيما حدث لغريتي اقريت وبرعم رسا نتج عنه من
اضطرابات .

في يوليو ١٩٧٢ شهدت القدس واحدة من
أعنف المظاهرات المعادية للحكومة في تاريخ
البلاد . وكانت تتصلق بمشكلة حساسية بصورة
خاصة : وهي اجلاء السكان العرب من قرينين
اسرائيليين ، قرينتين من حدود لبنان في ١٩٤٨ .

وتفكر دير ياسين عادة كمثال على المذابح التي
لحقت بالرجال والنساء والاطفال ، والتي ارتكبتها
في ١٥ مايو ١٩٤٨ مجموعة ارجون الارهابية التي
كان يقودها حينذاك مفاهيم بيجن الرئيس الحالي

لحزب حيروتا . وقد صورت الدعاية الاسرائيلية
هذه الجريمة على انها حادث من عمل مجموعة
صغيرة ، قررت ان تترد الفلسطينيين بكل الطرق
من فلسطين .

ولكن الطرد كان في الواقع سياسة عامة
ومتعمدة . وقامت قريتي اقريت وبرعم دليلا
اضافيا على ذلك .

ويبلغ عدد سكان القرية الاولى ٧٠٠ نسمة
وسكان القرية الثانية ١٠٠٠ نسمة ، وهم جميعا
من العرب المسيحيين الناطقين بالكنيسة اليونانية
الكاثوليكية . وعندما وصل اليها الجيش
الاسرائيلي دون ان يخوض اى معركة في اكتوبر
١٩٤٨ ، استقبله السكان بلا حد أو كراهية .
واعلنت دولة اسرائيل .

ومع ذلك ففي الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ،
اصدرت القيادة الاسرائيلية للمنطقة امرا
بالاجلاء ، « لاسباب تتعلق بالامن » . وطلب من
السكان الرحيل لبضعة اسابيع فقط . ولكن مع
مرور الاسابيع ، كان كل طلب يتقدمون به للمودة
الى قريتهم ، وقابل بالرفض ، ودخل سكان اقريت
وبرعم في مفاوضات ، واجلأ الى المحكمة العليا
وزعيم الحربية والهيئة المكلفة بالاراضي المهجرة .
واصدرت المحكمة العليا في ٢١ يوليو ١٩٥٠ حكما
قللت فيه لانه ليست هناك « عقبة قانونية » في
سبيل رجوعهم ولكن الجيش رفض .

وقدموا مظلمة جديدة للسلطات القضائية ولكن
قبل الموعد المحدد لجلسة المحكمة العليا في ٢٤
ديسمبر ١٩٥٢ ، بشهر ونصف شهر تسلفت منازل
اقريت وبرعم بالديناميت ، عشية عيد الميلاد .

بل واجبر الجيش عمدة القرية على ان يشاهد
هذا المنظر من أعلى تل مجاور .

وفي سبتمبر ١٩٥٣ ، تمت عمليات تدمير جديدة
اشترك فيها الطيران ، ولم يتحرك سوى كنائس
ومدافن القريتين . ومع ذلك لم يصرح للسكان
بالتردد عليها في اى من جنازاتهم .

وبعض الوقت ، سلمت اراضي وحقول اهل برعم
التي استولت عليها الحكومة الاسرائيلية
باعتبارها « ممتلكات مهجورة ولا صاحب لها » الى
كيبوتز برعم والى قرية دوفيف التوارنية
(موشاف) والى غيرها من المستعمرات الاسرائيلية .

وفي يونيو ١٩٧٢ ، ألغيت الاوامر العسكرية
التي جعلت بعض المناطق « محمية » وحينذاك
توهم سكان اقريت وبرعم الذين « وطنوا » في
مستطير في جوش هالاف و « عوضوا » عن الارض
المسروقة « ان هناك املاى عودتهم ، ولكن السلطات

ورفضت. التصريح لهم بذلك ، وسند قرآن متع
وتحريم جديد من وزير الدفاع ، الجنرال ديان .

وحينذاك قُرد سكان القريتين أن يحتلوا
الانفاض . وقامت مظاهرة للتضامن معهم ضمت
آلاف الاسرائيليين اليهود والعرب . وفي ٧
أغسطس طُرد رجال الشرطة وحرس
الحدود (البيريهات الخضراء) الذين اشتبهوا في
غزة ، الرجال والنساء والأطفال بقسوة ووحشية
من مسقط رأسهم مرة أخرى . ومنذ أول يناير
١٩٧٣ ، أعلنت الحكومة الاسرائيلية أن اقُردت
وبرم ، قد أصبحتا من جديد « منطقة محرمة » .

ووفق هذا المرسوم ليس لاحد الحق في أن يسكن
هناك . أو حتى أن يمضي الليل دون تصريح
خاص . وأثيرت القضية في اجتماع غير عادي للجنة
المركزية لحزب العمال في أغسطس ١٩٧٢ .
ورفضت جولدا مائير بحنف وتسوة النقد الذي قدم
حول هذا ، وتمثلت باستمرار الصراع الاسرائيلي
العربي وأكدت أن البلاد المجاورة رفضت السلام .
السلام الذي تريد اسرائيل فرضه عليها .

واضافت : « انهم يقولون : اننا نريد المنازل
لحسب . ولكن ماذا عن الحقول ؟ لا اعتقد أن
كيوتز يروم يمكن أن يعيش هناك معهم . . ولكن
الامر الأكثر إثارة للدهشة هو أن نرى عددا كبيرا
منا يتجاهل ببساطة مصالح اليهود الذين استقروا
في السنوات الأخيرة على الحدود اللبنانية . اني
أحتركم من اننا اذا أرجعنا المجلة الى الوراء ،
فان هذا لن تكون له نهاية . اننا نرك مدى المهم ،
ولكننا نحن رايشا صالكتنا . . » (جبرواليم
يوسيت ، ١٥ - ٨ - ١٩٧٢) .

وينفس هذه الصعج يبرر القادة الاسرائيليون
هملات الاستعمار وطرد الفلسطينيين ، ويرفضون
عودة هؤلاء الآخرين الى اسرهم .

وربما كان الجدل حول موضوع اقُردت وبرم قد
بدأ فحسب . فقد رد البروفسور عمون روينشتين
صعيد كلية الحقوق بجماعة تل أبيب على جولدا
مائير . وادان في مقال له بعنوان « الخطيئة
والجريمة ، اللجوء الى قوانين الطوارئ
البريطانية واستخدامها ضد « المواطنين العرب
المساكين في اسرائيل » . وذكر بتصريح الجنرال
بارليف الذي كان حينذاك رئيسا للاركان ، والذي قال
فيه « لو كنا سمحنا لهؤلاء القرويين بالعودة الى
مسقط رأسهم ، لما كانت بنا حاجة الى اضافته
جندى واحد لحراسة المنطقة » .

وقال البروفسور أن ترديد كلمة الان ، ببتاهون
بالعبدية ، تقتل خلايا المخ ، وتثير في غالبية
أعضاء البرلمان بصفة خاصة موافقة وقبولا

أليا » . . وأبرز دالة الترار الحكومي بقوله « حتى
اللجوء الى المحكمة العليا لن يجدي في شيء ، لأن
هذه قد أغلقت أبوابها منذ اللحظة التي نطقوا فيها
بكلمة ببتاهون » .

انه يشير الجدل حول احدى المصمرات
الصهيونية . لقد ارتكبت الجريمة في اقُردت وبرم
في زمن السلم . كما أن القريتين لم تكونا تثلان
في ١٩٤٨ ولا في ١٩٥٢ عندما تم النصف ولا في
١٩٧٢ ، أي تهديد لامن اسرائيل .

ويكتشف الاسرائيليون أن قادتهم قد قاموا
انطلاقا من الاوضاع القائمة من هذا النوع ، بطرد
السكان العرب من فلسطين ، وأن هذه السياسة
مستمرة في الاراضي المحتلة ، باسم ما يدعيه
ببخص « التهديد » .

وترى جولدا مائير في الاحتجاجات التي تنور
ضد هذا « الخطر الحقيقي » على المجتمع
الاسرائيلي (جبرواليم يوسيت ١٢ - ١٢ -
١٩٧٢) .

وهي ترى ان ذلك يعني اثاره للجدل
حول « الحق المعنوي والاخلاقي لليهود في الوجود
هنا » . وحول حق وجود اسرائيل ذاته .
وهي ترى في ذلك ، ولها الحق في ذلك ، « تآكل
المقيدة الصهيونية » . وهذا ما اكنته في لغاتها مع
الكتاب الذين احتجوا على السياسة الحكومية في
قضية اقُردت وبرم (جبرواليم يوسيت ، ٨ - ٨ -
١٩٧٢) .

ولكن ماذا عن وجود اقُردت وبرم ؟ هل يتعين
فرض حق الشعب الاسرائيلي في أن تكون له دولته
على حساب شعب فلسطين الاخر ؟

ان رد القادة واضح وصريح على هذا . لقد قال
الجنرال ديان « لقد تينا الى بلد ماهرة وبينا فيها
دولة يهودية . وحكم علينا بأن تكون دولة في حالة
حرب وتزاع دائم . اننا قلب مزروع في هذه
المطلة ، قلب ترغفه الاعضاء الاخرى » (خريطة
جديدة . علاقات جديدة) .

ومازال هؤلاء الذين يرفضون ذلك « العرب
والنزاع الدائم » أقلية . ومع ذلك فسان القادة
الصهيونيين لا يطبقون وجودهم . فالتوسع لا يريد
من يفضحه ويمر به . انه في حاجة الى الاعتماد
على « حق المعنوي » لكي يخذ الشعب الاسرائيلي
ويضله .

وفي الوقت نفسه يكتشف الاسرائيليون كيف أن
التصعب والتطرف الاستعماري ، قد يلحق اضرارا
جسيمة مصغوف شعبيهم ، ويشجع فيه فساد
الاخلاقي .

ان السلاح الموجه ضد الشعوب «عربية» سلاح ذو حدين قاطعين .

فقد كتبت مزارعة شباية للجنرال ديان تقول : انه منذ حرب الايام الستة ، اضطر زوجها بسبب «توسع السوق» الى استخدام عمال عرب «والأمر تسير من ضمن الى احسن» ونحن في طريقنا لكي نصبح اغنياء أكثر فاكتر ، ولكننا في الوقت نفسه نبيع روحنا . فليس هناك أي من ابائتي يريد أن يعمل . انهم يقولون لنا : فليذهب محمد أو علي ليعبروا الأرض بدلاً منا .

وسأت الجنرال ديان « ما الذي سيصير اليه الوضع خلال ١٥ عاماً » ، الذي كان يقرأ هذا الخطاب في اجتماع عام يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٢ « ان مزارعي القرى لم يعودوا يريدون استخدام طلاب المدارس في الاجازات الدراسية ، انهم يفضلون العرب الذين يتكيفون أقل . لهذا يجب منع عرب الضفة الغربية من العمل في اسرائيل ، والا ستحل اللعنة بهذه البلاد » .

ويفتق هذا الخطاب صبح شعور سائد في اسرائيل . ان ديان يرى انه يجب « المعيش مع العرب » . اي يجب فرض القانون الاسرائيلي عليهم . وهو ينصهم « بالانضمام للنتابات » لكي يطالبوا بنفس أجور الاسرائيليين .

ونحن نؤكد جيداً حقيقة هذا التضال الذي يهدف الى تخفية وستر الاستمرار في الاستغلال الجزئي للأراضي المحتلة .

والواقع ان الجنرال ديان ليس لديه ما يقترحه لانقاذ الاساطير الصهيونية القديمة عن « العمل اليهودي » وعن « العمل المخلص » ، الذي سيجعل من « الشعب اليهودي » مثلاً وقوة للعالم كله .

ان ذلك يعني « تاكلنا الى العقيدة الصهيونية »

وقد اعرب ايبا ايبان عن قلقه في مؤتمر حزبه في ١٩٦٩ ، عندما تباكي على القسم بقوله « ان ما اخافه واخشاه قليلاً ، هو انه في جو التوتور والصهيبة الذي تثيره هذه الحرب ، قد تفسد اسرائيل بعض صفات الليبرالية والتسامح المميزة لها » . وأنا ارى مظاهرها لهذا : فقد طالبت صحيفة بان تحرق كتب أحد المؤرخين الذي لم تعجبها افكاره ، وطالبت صحيفة أخرى بان تنصب المناسق للارهابيين ، وليست هذه سوى مظاهر ، ولكنها تتطلب منا يقظة وحذراً . فلا يجب ان نفقد في ميزان الصراع القيم التي نحيا من أجلها .

ولكن وزير الخارجية لم يتعرض لجنود الداء والشر .

ان هذه الادواء والامراض نتاج طبيعي لما

يسمى بالاضطراب القائمة للتوسع الاستعماري % للاعتماد على واشنطن ، للحرب وعمليات الاثراء التي اعقبتها .

ان قادة اسرائيل الذين لا يريدون سوى الاعتراف بفائز القوة ، قد تسببوا في نشوب أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية وايدولوجية خطيرة في بلادهم . والمواجهة القل والاضطراب ، يتكهنون الصريات الديمقراطية ويسدسونها بقادهم . لقد تم تعديل قانون الانتخابات لمنع تمثيل الاحزاب الصغيرة في البرلمان . واصدرت قوانين تصمم الاضراب ، وحددت اقسامة عشرات من الديمقراطيين والشيوعيين والمستشارين في المجالس البلدية والمناضلين النقابيين والمعلمين والكتساب بصلة دائمة بسبب « جراف » الرأي .. وهم في معظمهم من مواطني المنطقة الثالثة ، أي العرب الاسرائيليين .

ونرى الجنرالات يحتلون اماكن هامة أكثر فاكتر في هيئة اركان حزب العمال وفي حزب جعل الذي يفوده ملأهم ييجن ، وعلى رأس مجالس ادارة الشركات الاسرائيلية الكبيرة . وقد اعترض على ذلك ابراهيم اوفير النائب العمالي بقوله « هناك شعور سائد بأنه لكي يصبح الانسان وزيراً منذ الان فصاعداً ، عليه ان يكون جنرالاً » .

وليس الشيوعيين فقط هم الذين يقولون ذلك ، ففي كتاب بعنوان « المجتمع الاسرائيلي في أزمة » يمارض دوف بن مائير سكرتير تنظيم تل ابيب لحزب العمال ، سيطرة « مؤسسة » الدماخ (أي ديان وهيئة الاركان) على الوزارة .

ومن جانب فان الولاية ٥١ تتصل الى السياسة الامريكية لدرجة انها اقامت علاقات دبلوماسية مع نظام نيو في الوقت الذي كان فيه نيكسون يطلق قنصاته من طراز ب ٥٢ على شعب فيتنام . وقد كتبت دافار وهي الجريدة الرسمية حول هذا الموضوع تقول « ان اقامة علاقات مع سايجون ستدعم وتقوى وجود اسرائيل في القارة » (١٤ نوفمبر ١٩٧٢) .

وصرح تران فان لام وزير خارجية سايجون لمعاريف : « اننا نريد ان نتعلم منكم بصفة خاصة ذلك التصميم والحزم الذي ابدقتموه في معركتكم للبقاء » . واعرب عن امله في ان يرى تل ابيب تساند هذا التكتاوير بان تتبادل مع سايجون المعلومات في الخبرات العسكرية ، وان تساعد في تنفيذ المشاريع لمواجهة مختلف المشاكل الاقتصادية (١٩ ديسمبر ١٩٧٢) .

وكذلك جيل كيسلري مراسل معاريف ان سايجون

جهتمة بالنصائح « التكتيكية » (الاستراتيجية
تحددنا واشنطن) مثلاً بطريقة استغلال
الكيونزات العسكرية .، وصرح المتحدث باسم
سايجون للصحفي الاسرائيلي بقوله « ربما يضمن
على جنوب فيتنام ان تواصل الحرب بنفسها كما
قال الرئيس ثيو » . واختمت جيل كيمسارى كلامه
يقوله « ان فكرة مساعدة سايجون بالخبرة
الاسرائيلية ، لا تملحها واشنطن فحسب ، بل تشجع
هنيئاً » .

آلم يفاخر الجنرال رابين الوئيس السابق لاركان
حرب اسرائيل ، بانهم يقومون بالعمل بطريقة افضل
من ثيو .، وقال في ذلك «انظروا الى الجلد والمثابرة
الذان اياهما الرئيس ثيو في جنوب فيتنام . ولكنهم
في واشنطن يحدرون نظام ثيو بأقل مما يحدرون
اسرائيل . ان تصنيفنا ومثابرتنا ، هما اهم عامل
في تقرير مستقبل الشرق الاوسط » (يونيتد برس
-انترناشنال ، ٢٤ - ١١ - ١٩٧٢) .

ان هكاهم اسرائيل يدعون مواطنيهم الى
التضحية بحرياتهم ليقوموا بدور حارس وحامي
الامبريالية الامريكية .،

ويؤكد الجنرال ديان « اذا كان على ان اخاف
بين ما تعطيه لنا الولايات المتحدة من المعونة التي
تقدمها لنا ، وما تبقيها لنا في المجال الاقتصادي
والعسكري والسياسي ، والذي يهتم بالتالي تكون
مرتبطون للغاية وخاضعون للغاية لارغياتها
وارادتها ، وبين وضع تكون فيه احراراً كالمصغور ،
على الا تعطينا الولايات المتحدة شيئاً ، فاني افضل
خضوعنا الذي يمنحنا في الواقع مزيداً من
الحريات اكثر من الاوهام التي تخلق لنا في الواقع
حالة من العبودية » .،

« والواقع اننا في الوضع الراهن لم نقبل خلة
روجرز ، ولم نتراجع سنتمترا واحداً ، علماً ان
وضعنا سيكون ميئوساً منه ، فون السلاح ودون
المساعدات السياسية والاقتصادية ، والنتيجة

المرتبة على هذا اننا لن نستطيع ان نكمل ما
نقله . . .

واضاف ديان : « بعبارة اخرى ، ان دولة ليست
بقوة او قرة الولايات المتحدة ، او الاتحاد
السوفييتي (وحتى هذين ليسا احراراً كيه في هذا
المالم) لابد ان تسعى للحصول على مزيد من
التعاطف ومن المساعدة ، حتى لو كان ذلك سيؤدي
الى تعرضها لضربات الآخرين » (جيورجانيه بوست
في ١٢ يونيو ١٩٧٢ ، تقرير ماير فلنر الى المؤتمر
١٧ للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ص ٣٩) .

لقد اخاف ديان الفانتوم والخضوع الكامل . وفي
اول مارس ١٩٧٢ قتالت جولدا مائير لنيكسون
« اننا لا نريد اولادكم الى جانبنا ، اعطونا الأدوات
وسنقوم نحن بالعمل » (لوند ، ١٦ - ٣ - ١٩٧٢) .

ولحل مواطنيهم يقللون هذه التبعية
والمنضحيات التي تقتضيها ، يزعم القادة
الصهيونيون انه ليس للاسرائيليين خيار . وهم
يعيرون عن ذلك بالعبودية يقولهم « اين بيررا ، ان
كل اليهود ، مستقلين ومستقلين على نفس الجانبي
من الحدود ، جانب نيكسون ضد شعوب الهند
الصينية او الشعوب العربية ، وهذا يسبب
المعتقدات الدينية التي قامت الصهيونية على
اساس منها . لقد جاءت الايديولوجية الرجعية
لتبرير الشرودعته » .

وهكذا تم الإبقاء على الشعب الإسرائيلي
في « حالة حرب دائمة » ضد جيرانه العرب .

وياستعارة عبارات اناثول فرايس ، يمكن ان
نؤكد انه في اسرائيل يعتقدون انهم يموتون من أجل
الوطن ومن أجل أمته وسلامته ، ولكنهم في
الواقع يموتون في سبيل تجار البترول وفي سبيل
واضعى استراتيجيات البنتاجون .

ان الإزمة التي نجمت عن حرب الأيام الستة ،
تبين وتؤكد ان الحرية والديمقراطية لا تنفصلان ،
وأن الحرب ضد الشعوب العربية ، هي ايضا حرب
ضد شعب اسرائيل نفسه .

رؤیسة من
موسكو

عما یرى فی العالم

من تحول

الوصول الى عتبة عصر يتعد فيه شبح الحرب .. ويرى
اسمى « التعاشى السلى » .. ربما يستثير لدى الاقتصاد
السوفيتى شعورا مشروعا بالثقة والاعتزاز .. لما تم انجازه
.. وما ينبىء به المستقبل من آفاق واسعة للحركة ..
ولكنه يحل ايضا مشاكل ومشاكل التكيف لوضع جديد
نابا .. نوعية هذه المشاغل .. يمكن لمحمد سيد احمد التقاط
التعبير عنها فى صور مختلفة .. فى رحلة استطلاعية قام بها
الى العاصمة السوفيتية .

محمد سيد احمد

مهددة لجرد وجود مصدر واحد للتلوث الحاد -
بصوره الحديثة - فى أية بقعة من كوكبنا .
» خذ على سبيل المثال اخطار تلوث الجو .
ان اغلب اشكال التلوث المعاصر يقوم على احتراق
مواد كاربونية ، تنبعث منها عوادم غازية تستقر
فى طبقات الجو العليا ، وتتشبث - ظاهرة تعرف
» باثر البيت الساخن « HOT-HOUSE EFFECT
ومن شأن هذه الظاهرة تسخين المحيط الجوى كله
وقد لا تصل الحالة الى درجة الحرارة المرتفعة
التي تحيط بكوكب الزهرة ، ولكن تتطوى هذه
الظاهرة على اثر اكيد فى الحاق الضرر بالأسف
بالحياة النباتية والحياة الحيوانية على اتساع
كوكبنا كله .

هكذا حدثى جيبيرين ، النائب الاول لرئيس
اللجنة الحكومية للعلم والتكنيك التابعة لمجلس
وزراء الاتحاد السوفيتى ، وهو يجيب على سؤالى
» هل الانفراج الدولى الراهن ، هو تلبية «ضرورة»
ام تحول فى العلاقات الدولية ، كان يمكن ان

موسكو ، بشوارعها الواسعة ونيفها الهادىء
والخضرة المنتشرة فى كل مكان ، مخططة على
نحو يوحي بانها مدينة مؤمنة ضد التلوث ..
ولكن قضية التلوث تشغل العلماء السوفيت تماما
كما تشغل علماء الغرب .. وربما كنا نحن مقط
» الى العالم النامى « غير مدركين لحقيقة بان تلوث
عليه من اخطار .

» منذ ايام فقط ، انفجر وباء التلوث فى نابلى
وبيت أن السبب يعود الى اكل محار مسمومة
بسبب ارتفاع نسبة تلوث مياه البحر .. ان جميع
البحار بها فى ذلك البحر المتوسط الذى تطلون
على شواطئه فى مصر . أصبحت معرضة لهذا
الخطر .. وقد يكون للنظم الاجتماعية حدود
جغرافية . وقد تكون الدول الرأسمالية وحدها
هى التى توظف شركات كبرى ، تعجز حكوماتها
عن ان تفرض على نشاطاتها الصناعية القسود
الضرورية للحيلولة دون تلوث البيئة . الا ان
البيئة الملونة لا تعرف الحدود ، والبشرية بأسرها

الغذاء ، والاستفادة من المواد المعدنية المستخرجة
في قاع البحار » .

« وهذه بعض الأمثلة فقط . ولكنها تفسح
الجال لاستثمار مشترك لجهود العلماء في أكثر
فروع العلم تطوراً ، وصولاً إلى طفرات جديدة
في رفع انتاجية العمل ، وخفض نفقات الإنتاج ،
توليد الكهرباء مباشرة دون حاجة إلى قطع
متحركة بالانطاشيسية الأيروديناميكية ، أو
كدراسة الظواهر البيولوجية والكيميائية التي
تكتسب خواص مختلفة في مجال انعدام الوزن
عن تلك المعروفة عنها فوق سطح الأرض ، أو
كاستثمار الفضاء للأصاق المعادن دون حاجة إلى
لحام .. إن هذه الأبحاث الباهظة التكلفة ليس
لاحد مصلحة في أن يجريها منفرداً ويعترض
احتمال تكرار نفس التجارب ، فقط بسبب
الموازيل التي طالت حالت دون تعاون العلماء » .

أزمة الطاقة

■ سالت : في ظل ما ينبغي به الانفراج الدولي
من آماني لتنشيط التقدم العلمي ، ما حكمكم فيما
يقال في الغرب عن « أزمة طاقة » تهدد في الصميم
المجتمعات الغربية بعد عدد من السنوات ؟

□ جامعتي الإجابة على هذا السؤال من خبراء
معهد الاقتصاد العالمي في موسكو ، وبعض
معاهد البترول والطاقة على النحو التالي :
« أزمة طاقة » كما تصورتونها أحياناً ، وكما
تصفها الصحافة الغربية ، مسألة نعتقد أنها
مبالغ فيها كثيراً . وهي لا تصلح في نظرنا بديلاً
عن حشد طاقاتكم البشرية لرد ما يواجهكم من
تحديات امبريالية أو صهيونية ..

« قد تعرض أمريكا والدول الغربية نقص في
موارد الطاقة في الثلاثينيات أو التسعينيات ، ذلك
بفرض عدم اكتشاف مصادر جديدة للطاقة حتى
ذلك الوقت .. إلا أنه ينبغي علينا أن ندرك أن
أمريكا كلها ليست تخلقها في أحد مجالات التلوث
العلمي ، وكان الأمر لها حيوية ، وركزت جهودها
نحتت دائماً في اجتياز العقبة في أمد غير طويل
ولها في هذا الصدد إمكانيات اقتصادية وإدارية
ومالية هائلة .. ثبت ذلك اثر اكتشافها أنها
بتخلقه في مجال الصواريخ ، بعد أن سبقتها
الاتحاد السوفيتي بإطلاق أول سبوتنيك إلى
الفضاء . واليوم قررت أن تخصص عشرة آلاف
مليون دولار للبحث عن مصادر جديدة للطاقة
[أي نصف المبلغ الذي تخصصه لبرنامج « نازا »
للفضاء] وهي بصدد أن تبذل في هذا الجبال
جهوداً خارقة في اتجاهات متعددة ، في مجال
التركيب الحراري النووي ، وفي مجال استنار
النجم والزيوت الحجرية ، وفي مد أنابيب بترول من
الاسكا ، وفي تجوير تقاليد ذرية تحت الأرض
لزيادة انتاجية آبار البترول العميقة . وأصبحت

يحدث الآن .. أو بعد عقدين من الزمان .. دون
أثر جوهري يمس صميم الحياة فوق كوكبنا ؟ »
والواقع أن الحاجة إلى الانفراج الدولي ،
والى التعايش السلي ، كثيراً ما ترجعها فقط
إلى ضرورة تجنب « الدليل » ، أي خطر الحروب
النووية الشاملة ، ولا نلتفت بشكل كاف إلى
ضرورات تعايش الدول سلبياً لتجنب أخطار
نشأت حتى في ظل سيادة مناخ السلام .

صحيح أن « صناعات الحرب الشاملة » في
ظل « استحالة الحرب الشاملة » بدأت تتعرض
حتى في الدول الرأسمالية المتطورة لآفاق ، ولم
تعد تبدو حتى « مربحة » من وجهة نظر مصالح
الاحتكارات الكبرى المنتجة للسلاح ، ذلك « أن
كل جيل من أجيال الأسلحة المتطورة » على حد
قول أريافوت « تزداد حينها قسراً ، وترتفع
نفاذتها على شكل متوالية هندسية » . فلقد
ارتفعت تكلفة إنتاج الغواصة منذ نهاية الحرب
العالمية الثانية ٤٠ مرة ، وحاملة الطائرات ١٠
مرات ، وناقلة الغنابل الاستراتيجية ٣٦ مرة ،
والمقاتلة ١٣٠ مرة .. « وهذا الارتقاء المذهل
في سعر السلاح هو الذي انضج الظروف لتجلس
الدول الرأسمالية وتناقش قضية وضع حد لسباق
النسلح ، والصفقات لتجنب المواجهة النووية
الشاملة » ..

الا أن موسكو في نظرتها للمستقبل لم تعد
تقصرها على شواهد عن أفلاك الروادع السلبية
فقط ، بل تبحث عن طرق لتنشيط الحوافز الإيجابية
في دعم التعاون الدولي أيضاً .

قال لي الأكاديمي أريافوت ، وهو رئيس معهد
دراسات الولايات المتحدة باكاديمية العلوم
السوفيتية : « نحن نعتز أن لنا في الاقتصاد
السوفيتي ربع علماء العالم ، ولكن هذه إحدى
طرق النظر إلى المشكلة . الطريقة الأخرى أن
تقول : هناك يعمل خارج الاتحاد السوفيتي ثلاثة
أرباع علماء العالم . لماذا لا توحد جهودنا وأبحاثنا ؟
.. أن طرق البحث العلمي لا تختلف في مجال
العلوم الطبيعية - مع اختلاف المعتقد الاجتماعية
والبيولوجية السياسية » .

والواقع أن مجالات « توحيد جهود العلماء »
في ظل إنجازات ثورة العلوم والتكنولوجيا
العصرية ، تتسع آفاقها كل يوم . بل تعتمد
المجالات التي لا تحتمل غير أن تتضافر فيها الجهود
العلمية . يقول جيميرين : « من غير المتصور
تدارك آبار الأعاصير والعواصف التي كثيراً
ما تحدث بطريقة فجائية ، وإسبائها غير معروفة
بعد ، دون تبادل معلومات مراكز الأبحاث على
نطاق العالم كله . ومجال الأرصاد الجوية هو
مجال يجري فيه الآن تعاون سوفيتي أمريكي
بمساعدة الكواكب الصناعية ، كما أبرمت اتفاقات
للتعاون في مجال اكتشاف سر السرطان وفي
مجال جغرافية المحيطات ، لتوسيع نطاق موارد

امريكا تلقت الى « غاز الدن » الذي يلي من ١٥٪ الى ٢٠٪ من احتياجات أوروبا الى مصادر طاقة وهو عبارة عن غاز مستخلص من المعادن . كما يجري الحديث الآن عن تصميم سيارات تسير بالكهرباء ، وتعمل السيارات ٢٠٪ من استهلاك البترول .. وعن توليد الكهرباء بطرق مستحدثة .. وعن استخدام التشريع للحد من تسديد استهلاك الطاقة السن ..

« وسبب هام من أسباب حزن الصحافة الأمريكية على انفعال ضجة كبرى حول « أزمة الطاقة » ، هو التغلب على كل مقاومة تشريعية او أخرى تعطل تخصيص الاموال الضرورية للتركيز على الأبحاث المطلوبة ، وكذلك دوع أية محاولات من قبل الدول المنتجة لاستخدام سلاح البترول لأغراض سياسية .

« أن المشكلة الحقيقية التي تواجه دول الغرب المستهلكة للبترول في القريب العاجل تتلخص في ارتفاع أسعار النفط الخام ، نتيجة جهود «الأوبك» في انتهاك القانون الذي تحرض الاحتكارات الدولية على تطبيقه ، وهو الاحتفاظ بأسعار المواد الخام في حدها الأدنى ، والأمر هام لا لجرد أنه يمس أسعار البترول ، وهو مصدر رئيسي للطاقة في الوقت الراهن ، ولكن أيضا لأنه يشكل سابقة « معدية » قد تؤثر في أسعار مواد خام أخرى ذات أهمية حيوية للدول المتطورة ، وتهددها الاحتكارات الدولية بأسعار بخسة من الدول النامية . ولذلك تبدي أمريكا اهتمامها لا يكتفي بانه اهدافه ، مسوء كانت هذه الاهداف هي رد العدوان الإسرائيلي ، او تهيئة الدول العربية بشريا او صناعيا .. أن الوقت متاح لضغط فعال لينجازوا خمسا الى عشر سنوات ، وبأساليب لا تقتصر على مجرد وقف زيادة الضخ » .

التكنولوجيا والايديولوجية

قلت : هذا الذي نقولونه عن الانفتاح العلمي والتكنولوجي على الغرب إنما يفترض في ظل المفاسدة الاقتصادية السلبية ، وفي ظل سقوط حواجز كثيرة .. جسارة في التصور ، وجسارة في الاكتشاف ، وجسارة في بحث وتمحيص وتقليب كل افراض علي جديد .. كيف توقعون بين ذلك ، وبين ضرورة الحذر والحرص في مجال الابدولوجية ، تأمينا لجتهكم وهي بمقد أن تفتح كل أبوابها ، من تسرب الابدولوجية البرجوازية ، ولها للتسرب مائة منفذ خلال تنشيط التبادلات الثقافية ؟

□ قال لي ، اجابة على هذا السؤال ، احد كبار الخبراء في مجال البحث العلمي ، أن الأبحاث التكنولوجية اعرف كيف أطبق فيها مقاييس دقيقة

تخضع الحسنة ، ولا اعزق للابدولوجية مقاييس مجاملة . . الا أن قضية الابدولوجية ، وتاكيد شوابتها و « مقاييسها » ، هي لا شك مسألة تشغل الحزب والمثولين السوفيت « بعد ما تم من انفتاح على الغرب ، وخاصة في وقت اصبح لاحدث للصحافة الغربية فيه الا تصريحات العالم السوفيتي سلفاروف [عضو اكاديمية العلوم السوفيتية ، واللقب « باني القنبلة الهيدروجينية السوفيتية »] وتصريحات الكاتب سوليفنتز [الحاصل على جائزة نوبل] « الى المراسلين الاجانب في موسكو . وكلاهما من مواقع ليست متطابقة تماما ، استكرا « انصاع » الغرب الى « التمايش السلي » مع الاتحاد السوفيتي ، في وقت بازل يحجم فيه المجتمع السوفيتي من اعطاء المواطن كامل حقوقه المدنية . ووصلت الامور بسلفاروف الى حد مخاطبة الكونغرس الأمريكي لاطالته بعدم اعطاء الاتحاد السوفيتي امتيازات « الذوة بالزعامة » ما لم يجر تغييرات جذرية في هذا الصدد .

وربما لا يحظى سوليفنتز داخل المجتمع السوفيتي بالهالة التي تستحقها لهذات الاعلام والدعاية في الغرب ، لتسيهه في مؤلفاته من تم فلسفية قليلة الاغراء في نظر جبهة الشعب العامل السوفيتي « الا أنه معترف لسلفاروف - لا شك - بمسكاته الكبيرة كعالم فيزياء ورياضيات فذ ، وان كان يقال عنه ان استغراقه في مشاغله العلمية حال دون اقتناع تربيته السياسية [هذا القول في ذاته يحمل معنى ان تصور النظرة السياسية قد يشمل اكثر من عالم واكثر من عامل في حقل التكنولوجيا] كما يقال ان سلفاروف قد تعرض لهرزة عاطفية حادة ، افقدته الاتزان في بعض تصريحاته ، اثر وفاة زوجته منذ بضع سنوات .

ومع ذلك ، رأى ان يؤكد لي في برافدا يوري جوكوف ، كبير المعلقين السوفيت ، والنصدي عادة لادق القضايا الابدولوجية والسياسية :

« أننا لا يمكن ان نقبل هدنة في مجال الابدولوجية . اكد برجنيف هذا المعنى في خطابه الهام في الما انا بعد عودته من لريكا . ان هذا قد يعني احيانا التوتر مع الغرب ، ولكنه امر لا مفر منه . نتيجة تنازلات ، ولم يات الا بعد ان فشلت سياسة « حالة الهواة » التي اتبعها فسدنا دالاس ، وكل محاولات « احتوائنا » .. وحتى نظريات روستو عن « التقارب CONVERGENCE بين النظامين العالميين ، اصبحوا يفضون النظر عنها ، ذلك انه في الوقت الذي نحرص فيه على تأكيد صفتنا الاشتراكية ، هم يتصلون من صفتهم الرأسمالية ، ويتقدمون كل يوم اسسا جديدا لمجتمعهم : « مجتمع ما بعد الصناعة » تارة ، ومجتمع « التكنولوجيا » نسبة الى « التفكير » و « الألكترون » تارة أخرى .. لقد اصبحوا حتى

من آسيا السوفيتية هي ملك شرقي للسلطة السوفيتية، ولا تكف عن تأكيد حقها في استردادها باعتبارها تاريخيا أراضي تتبع الصين .

■ سالت : إلى أي حد يمكن اعتبار الشاربع العملاقة التي اقيمت عليها تمصير سيبريا ، بحيث من صيغة تعاون مع اليابان أولا ، ثم مع الولايات المتحدة ثانيا ، ثم مع الدولتين الراسماليين - أكثر دولتي العالم الراسمالي تطوروا - معا ، إلى أي حد يمكن اعتبار هذا التعمير السريع لسيبريا تأمينا لها ضد دعاوى الصين ، خاصة إذا لاحظنا أنك قد قبلتم بيع منتجات استثنائية سيبريا [الغاز الطبيعي] في صورة « مادقخام » لا في صورة « منتجات مصنعة أو شبه مصنعة » وهذه علاقة دولة متضلفة بدولة راسمالية ؟ لا علاقة الد للحد بين دولتين منظورتين ، أحدهما راسمالية والأخرى اشتراكية ؟

□ قالوا لي اجابة على هذا السؤال :

● سياسة « التعايش السلمي » مع الدول الراسمالية المتطورة كانت سياسة لنا ثابتة ، ودائمة ، منذ أيام لينين . منذ مولد اول دولة اشتراكية في روسيا . ولم تتخل عنها أبدا . الصين هي التي انتقدت - وبشدّة - في فترة من الفترات هذا الشعار ، وتعود الآن لنتباهه . وفي وقت ترفض فيه كل تعاون مسعج الدول الاشتراكية ، تستعد لأقامة علاقات تعاون واسعة مع دول راسمالية متطورة عديدة .

● أن الاتفاقات المزمع إبرامها مع الشركات الأمريكية بشأن استثمار القسار الطبيعي في سيبريا قائمة على أساس أن تتحمل هذه الشركات نفقات اقامة المصانع ومد الانابيب إلى الموانئ السوفيتية ، وعلى أساس أن يتقاسم ثقل الغاز إلى أمريكا الاسطول التجاري السوفيتي والاسطول التجاري الأمريكي ، واساطيل من بقية دول العالم ، بأنصبة متساوية . وسوف يدفع الاتحاد السوفيتي ثمن المصانع والانابيب من الغاز المصدر دون دفع روبل واحد من خزانة الدولة السوفيتية وليست منتجات سيبريا المصدرة هي في كل الأحوال مجرد « مواد خام » بل تعتبر اقامة المصانع تنشيطا وتطويرا لمسل مصانعنا في محلات تخصص معينة . وبعض منتجات الغاز المستخرج ستصنع إلى درجات مثاقوته داخل الاتحاد السوفيتي ، كبعض انواع ومستخرجات البرافين ، والعدو يمين من وجهة نظرنا عيلة « تغذية عكسية » لزيادة دعم اقتصادنا القومي ؟ بالاستعانة بروس أموال اجنبية وبخبرة دولية متاحة ، على نحو يسمح لنا باستثمار موارنا في مجالات أخرى مع انجاز خطوات اساسية في استثمار مصادر الثروة الهائلة التي تطنها ارض سيبريا الشاسعة الاتساع والتي لا زالت في اغلبها أرضا بكر . والعمرة في أن هذا القعد لاكتسب صفة العقود المحففة التي تمسدها الاحتكارات الدولية مع الدول المتخلفة ، انها

يعتقون أنفسهم بأنهم « الاشتراكيون بالشاركة » ؟ لابد أن أن تكرر الزوايع . مشكلة اليهود السوفيت مرة . ثم مشكلة سبخاروف وسوليفيتزكين الآن . . . وغدا سوف يتعلون ضجة حول قضية أخرى مماثلة . . . اننا نرحب بصراع الأفكار ، نعتبره شيئا جادا ، وننظر اليه كآفة وأشرف اشكال الصراع . وهكذا نريد أن يكون الصراع الايديولوجي في ظل التعايش السلمي ، لا يصاحبه نشاط هدام . أو تدخل في شؤوننا الداخلية . كما ترفض دعاوى الصين ، أو دعاوى اليهود السوداء في أمريكا مثلا ، الداعية إلى مباشرة حرب عصابات في المدن ضد سلطة البوليس ، كالمسعى لجامعة الصراع الايديولوجي . وقد سلم لي مراسل « لوموند » في موسكو ، وكان سوليفيتزكين قد خصمه حديثه إلى الصلالم الغربي « بأن التحدين علنا للسلطة السوفيتية ، بدعوى المطالبة بإحداثك سلبيات عهد ستالين ، هم حنة ضيئلة فقط من الناس ، لا يتجاوز عددهم الخمسين . وأن كان بينهم أبناء أولحاد شخصيات كان لها اسم أو دور مرموق في تاريخ الاتحاد السوفيتي . أن الامر الأهم في نظره ، هو قضية العاملين منهم في مجال التفاسلات الاجتماعية والعلوم الانسانية وتتلهم سلبية محسوسة لعدم استماعهم مجارة السياسة الرسمية .

ودعاة « الحقوق االجنسية » وتلكد اتجاه « الديمقراطية » وقيم « الليبرالية » في الحياة السياسية ، هم في اغلبهم على أي حال نقساد للسياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط . ونجد اسرائيل فيهم - مع دعايات الغرب - سندا لتعزير دعاويها .

الصين

وقضية الايديولوجية تطرح قضية المواجهة الايديولوجية بين الاتحاد السوفيتي والصين . إلى أي حد يمكن اعتبار الانجازات التي تمت في اتجاه « التعايش السلمي » و « الإفراج الدولي » ، محكومة لا بمجرد ما تقتضيه انجازات التكنولوجيا المصرية من تعاون واسع بين أكثر دول العالم تطورا - بعض النظر عن اختلافاتها الايديولوجية - سولا بمجرد أن ظروفا مختلفة قد نصحت في المصكر الغربي ، وفي أمريكا بالذات ، لتقبل فكرة « التعايش » ، ولتخلي عن مظاهر بارزة لسياسات الاستثمار العدوانية السابقة ، ولكن أيضا - من وجهة نظرس السوفيت - بسبب « تحدي الصين » وضرورة الالتفات إلى عدائها المستحكم للاتحاد السوفيتي ، ورفضها كل هدنة معه ، واعتباره « استعمارا اجتماعيا » يمثل ايديولوجيا ، وفي تخطيطها الاستراتيجي ، عدوها الأول . وفوق ذلك دولة لاتسلم بأن أراضي واسعة

البشرية كلها ، هل يبقى ذلك بالحاجة الى « تصور ثالث » ، يكتب بلفة جدلية هيجل وماركس صفة « نفي النفي » ، أى يستعيد سمات « التصور الأول » [الصراع الطبقي داخل مجتمع محدد] ولكن على مستوى أرقى ، منضميا سمات « التصور الثانى » ، [الصراع على نطاق الكوكب كله] ؟ .

لم يعد من الممكن الآن الذرع فقط ببداية « السيادة » ، ولا الاحتواء وراء حدود « دول » أو « كتل دولية » بعد « تعجيد » الصراع — بالحرب الساخنة أو الباردة — بين أقوى دول العالم ، وانفتاح تصارع الأفكار والمصالح والطبقات ، مخترقة كل قيد تحكى . وهذا تحد لأشكال من الصراع الأيديولوجى ربما كان يمكن الارتكان اليها خلف عوازل المواجهة العدائية بين النظامين ، ولكنها لم تعد تلائم مواكبة مناخ الانفراج الدولى الجديد .

الإطالة

كل مفصلات التحول الذى يجرى ؟ قد يصعب على الجيل الحاضر التكيف لكل متطلباته ، وربما يكون الجيل التالىء ، أطفال الاقتصاد السوفيتى ، مهمة ارتياد آفاقه .. لقد قضيت اجازة السبت والاحد فى كيف أثناء رحلتى .. وأستوفنى فى هذه المدينة الشجرة الجميلة — عاصمة أوكرانيا الفتية بقصها التى اسرع الآن الى احتلالها وقت الحرب — تمثال لفرينق من لعبى كرة القدم « دينايو » ، اسرهم النازى وأبروهم بمنزلة فريق الماتى على أن يلتزموا بعدم كسب المباراة ، تلطخيا لسمعتهم الرياضية؛ ولكنهم أبوا وتحذوا الامر وهم يعطون أن مصيرهم هو الإعدام .. والى اليوم ، مازال المنزويجون الجدد يتجهون بمجرد الفراغ من توقيع عقد التران ، الى مسلة الجندي المجهول فى المدينة ، تعبيرا من مشاعر الأسفة بان منباء الجيل الحاضر اتبا يرجع الفضل فيه الى تضحيات هؤلاء الذين استشهدوا من أجلهم .. والشهداء على يد النازى فى كل عائلة فى كيف .. ولكن الذى استوفنى أكثر من هذا كله ، هو زيارة لقصر الرواد ، أول جيل لا يعرف الحرمان من أطفال وصبية الاتحاد السوفيتى . وما هو ممنوح بحنان وسخاء للأطفال ، لتلبية مواهبهم فى الرقص والرسم ، وفى مختلف مجالات الترفيه والثقافة والعلم ، مثير للذهول ، داخل جو من الحياة الجماعية لا يمكن أن تجاريه كل الفرص المتاحة للأطفال اترى اثرياء الغرب . هذا الشباب يتذوق الآن ارهاصات كوكب بلا تلويث مادى أو معنوى أو اخلاقى . وهذا رصيد للمسنقل كفيف بهزيمه ما قد يستحذنه عالم يسوده السلام من تحديات ■

تكن فى أنه يبرم داخل اطلر مجموعة انتقائات متكافئة ومتوازنة ، لا تنم على أى نحو بقوة طرف فى مقابل ضعف الطرف الآخر .

• أما عن حقيقة الحيلة التى تشنها الصين ضد الاتحاد السوفيتى ، فقد قال عنها يورى جوكوف : « ان حقيقة ما يدفع الصين الى معاداة الاتحاد السوفيتى على النحو الحاد الذى نشهده الآن ، اتنا يرجع فى نظرى الى عدم استقرار الظروف الداخلية ، بالذات فى أعلى مستويات السلطة . ان الصراعات فى السلطة لم تنته فى نظرى بعد . ما زالت الحالة غير مستقرة . وما زالت بالغة الحساسية منذ الثورة الثنائية ، وحتى بعد انتهائها . ولابد للقيادة الصينية من عود وهوى خارجى تصب ضده هام غضبها كوسيلة تحقق به قدر من التوحيد للصفوف .

لقد اخفروا التحالف مع الغرب . وهم يقولون انهم دولة نامية تنتمى الى المالم الثالث ولا تنتمى الى المعسكر الاشتراكى .. ملاقاتنا الآن مع الصين طيبيمة من الناحية الدبلوماسية .. لم يعد هناك توتر على الحدود ومع ذلك نما زالت تجارتنا معها ضئيلة للغاية ، والتبادل التلقى عند نقطة الصفر . ليس هناك أى اتصال انسانى على أى مستوى من المستويات . ونحن نعلم ما فى وسعنا لتغيير هذا الموقف . ولكن ينبغى ان نقول ان الدوافع الداخلية للمفصلات التى يشهونها تشير الى أنها لا تحمل اخطارا جادة تقال من حالة الاسترخاء الدولى الراهن » .

« تصور » ثالث ؟

كان كارل ماركس منذ قرن وربع قرن قد بلور نظرية لتفسير اسباب تصادم المصالح بين البشر هملت « الصراع الطبقي » تصريك مجرييات التاريخ .. واختير صفة « تصوره » بتطبيقه على عدد من المجتمعات ، على أنه يصلح منهجيا للتعميم الى سائر المجتمعات .

ومنذ نصف قرن ، طلق لينين نظرية ماركس . وأقام أول مجتمع اشتراكى ، السلطة فيه للطبقة العاملة . وبجهد تطبيق « تصور » ماركس ، نشأت الحاجة الى « تصور ثان » ، ناجم عن اكتساب « الصراع الطبقي » صفة « صراع دولى » بين نظامين عاكبين يتسمان للكوكب كله . وكان « الهدف » بمقتضى هذا « التصور الثانى » هو « التعايش السلمى » بين النظامين ، توفيراً لانسب ظروف ازدهار الاشتراكية . ولكن ظلت « الممارسة » فى المواجهة العدائية بين النظامين والصراع العدائى بين دول تجسم « الصراع الطبقي » على نطاق الكوكب كله .

والآن وقد توافرت الظروف لتطبيق « التعايش السلمى » . و « تعجيد » صور الصراع التى كتسبب صفة حرب بين دول كبرى تهدد بإفناء



الازمة النقدية الدولية والاستراتيجية العربية

كتب مصطفى النجار - من الازمة النقدية الدولية وانها على الارجح العربية - ومدى الخسارة التي يتحملها العرب ، وهم في صراعهم المصري مع العدو الشرس الامبريالية وعميلتها اسرائيل كتب يقول :

والواقع ان المعز في ميزان المدفوعات الأمريكي هو الاسهل في اختلال قيمة الدولار الرسمية من قيمته الحقيقية . كما ان النسبة التي خفضت بها قيمة الدولار الأمريكي الاسمية في ديسمبر سنة ١٩٧١ لم تكن كافية لان تعيده الى قيمته الحقيقية ، وبالتالي استمر المعز في ميزان المدفوعات الأمريكي . لذلك لجأت الولايات المتحدة الأمريكية في فبراير الماضي الى اعلان تخفيض آخر في قيمة الدولار الأمريكي بنسبة ١٠ في المائة في محاولة لعلاج المعز الزمن في ميزان مدفوعاتها . والذي بلغ ٦٥٠٠ مليون دولار أمريكي عام ١٩٧٢ (١) .

وتهدف هذه الخطوة من جانب الولايات المتحدة

لم يترتب على تخفيض قيمة الدولار الأمريكي رسمياً في ابريل ١٩٧٢ ، وما تبعه من تعديل في النظام النقدي العالمي ، وتغيير قيمة بعض العملات الأخرى استقرار في الوضع النقدي العالمي ، فقد استمر الدولار الأمريكي يواجه ضغوطاً على قيمته ، نتيجة استمرار المعز في ميزان المدفوعات الأمريكي ، كما واجه الجنيه الاسترليني مثل هذه الضغوط خلال شهر مايو سنة ١٩٧٢ . الأمر الذي أدى بانجلترا الى ان تعلن (تعويم) قيمة الجنيه الاسترليني - لينقلب في الحدود التي تتناسب مع قيمته الحقيقية في السوق . وقد أخذت هذه القيمة لتخضع الى ان أصبح الجنيه الاسترليني حالياً منخفضاً عن قيمته الرسمية بحوالي ١٠ في المائة .

(١) الامم المتحدة الاقتصادية في بيروت العربي في أزمة الدولار أم أزمة النظام النقدي الدولي في العدد ٦٢٢

ما بين ١٢ الف مليون دولار ، و ١٥ ألف مليون دولار . (٣) .

وحسب البيانات التي تردت وتاخذت ، فقد تم في الأيام الأخيرة السابقة بقرار تخفيض الدولار التخلص من نحو ستة مليار دولار في الأسواق الألمانية - يعتقد أن نصفها يخص بعض الدول العربية التي لديها أرصدة دولارية - فإذا خسرنا هذه القيمة من قيمة الارصدة الاجمالية - فإن النتيجة تتراوح بين ١٢ و ٩ مليار دولار - فإذا افترضنا أن نصف هذه القيمة موزعة بين عملات اخرى - فإن قيمة الارصدة المتبقية تتراوح بين ٤ و ٦ مليار دولار و ٦ مليار دولار .

وبحسبة بسيطة يتبين أن خسائر العرب نتيجة لتخفيض الدولار يمكن أن تتراوح بين ٤٥٠ مليوناً و ٦٠٠ مليون دولار وهذه الأرقام تعادل ١٠ في المائة من أرصدة العرب الدولارية . ورغم أن هذه الأرقام غير مؤكدة نظراً لأن الكثير من هذه الأرصدة يحفظ بها في حسابات سرية إلا أنها العرب التضمينات التي الواقع . وهكذا في خبطة واحدة خسر العرب نحو ٥٠٠ مليون دولار .

والخسائر العربية سوف تزداد بازدياد الارصدة العربية في البنوك والمصارف الأجنبية - وكما الدلائل تشير إلى أن دخل الدول العربية المنتجة للبتترول يزداد عاماً بعد عام والدراسات تشير إلى أن عائدات تصدير البترول لعام ١٩٧١ عدا مصر ومسوريا بلغت ٦٩٨ دولاراً أمريكياً وأنه سيتوقع لها أن تصل إلى عشرة آلاف و ٥٥ مليون دولار في عام ١٩٧٢ ، وإلى ١٤ ألفاً و ١٥٦ مليون دولار عام ١٩٧٥ وإلى ٤٠ ألف مليون دولار عام ١٩٨٥ . وهذا الدخل الكبير إذا ما قدر له أن يوجه بنفس الأسلوب الذي وجهت به الدخول السابقة فإن مصيره من الخسائر سوف يكون أفدح (٤) .

في مواجهة الخطر الماحق

أزاء ذلك الخطر الماحق بلاد العرب جميعاً ومستقبلهم . أن الأوان لأن يرسموا على المحيط القومي للامة العربية كلها - سواء كان الخطر بالاسلوب الرسمي المعلن أو بالاسلوب الوطني العاصم - استراتيجية مقابلة وشاملة تتناول الجوانب الاقتصادية والمالية والتقنية بالأضافة إلى الجانب المتعلق بالبتترول - وأن ينفذوا تلك الاستراتيجية على وجه السرعة .

الأمريكية إلى تخفيض العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي عن طريق زيادة أسعار الواردات . ونقص أسعار المصدرات . غير أن تحقيق هذا الهدف يتوقف على مدى قبول التجار الأمريكيين للخسائر التي تترتب . على هذا التخفيض ، والناجمة أساساً عن بيع سلهم للخارج بأسعار أقل ، وبشراء سلع من الخارج بأسعار أكثر من السائدة قبل التخفيض . كما يتوقف على عدم قيام الدول الأجنبية التي لها معاملات كبيرة مع الولايات المتحدة ، كاليابان ، والمانيا باستخاذ خطوات مضادة لتخفيض الدولار الأمريكي ، وعدم مساندته في حالة قيام المتعاملين بالتخلص منه بكميات كبيرة .

٥٠٠ مليون دولار في خبطة

ونتيجة للتخفيضات المتتالية ضاعفت خسائر الملايين من الدولارات التي يملكها العرب ، وخسارة العرب نتيجة تخفيض أسعار العملات الأجنبية ليست جديدة . فقد بدأت عندما لجأت بريطانيا إلى تخفيض سعر الجنيه الاسترليني بنسبة ١٤٪ في المائة وكان ذلك قبل بضعة سنوات .

يومها كانت معظم الدول العربية تحتفظ بأرصدها الأجنبية وقامت بحساباتها في البنوك الأجنبية بالجنيه الاسترليني - وعندما انخفض الاسترليني انخفضت بعدهم ودائع العرب وأرصدهم بنفس النسبة . وقدرت الخسائر في ذلك الوقت بنحو مائتي مليون جنيه .

وعلى أثر هذا التخفيض لجأ الكثير من الدول العربية إلى تحويل ودائمه ومخزائمه وأرصدهه الأجنبية إلى دولارات . ولكن الدولار بدوره لم ينج من التخفيض كما نكرنا ، وانخفضت أرصدة العرب الدولارية في أعقاب هذا القرار بنفس النسبة .

والعرة الثالثة أصيب عديد من الدول العربية (٥) بخسارة كبيرة نتيجة للقرار الأخير الذي يقضى بتخفيض الدولار بنسبة ١٠ في المائة . وقد قام بعض الخبراء العرب بدراسة قيمة الخسارة التي أصابت العرب نتيجة لهذا القرار فتبين لهم أن الأرصدة العربية في الخارج تتراوح

(٥) التي لديها فائض نقدي وتعتبر مصدرة لروسي الأموال : السعودية - ليبيا - الكويت - دول الخليج العربي - الجزائر - العراق]

دولة الوحدة بين مصر وليبيا

مؤتمر المواجهة : لماذا انعقد وما هي نتائجه ؟

انتخابات المستدروت : هل من جديد ؟

أزمة الشرق الاوسط ودورة الجمعية العامة

عدم الانحياز سياسة للتحرر الوطني

المبادرة الكويتية * * دلالات هامة

المؤتمر المباشر للحزب الشيوعي الصيني



تقارير الشهر



دولة الوحدة

بين مصر وليبيا

قبل ثلاثة أيام فقط من الموعد الذي كان محددًا لإجراء الاستفتاء على الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، كان أكثر المراقبين تفاؤلاً - لا يتوقع أن يشهد في ذلك اليوم المحدد منذ عام سبقي - سوى بيان سياسي .

ووسط محلات تشكك حשאرية اطلقتها القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية - على انه لا أمل في قيام الوحدة وأن نقاط الخلاف أكثر وأوسع من نقاط الاتفاق .

أعلن ميلاد دولة الوحدة بين مصر وموريتانيا وجاء اعلان الرئيس السادات والقذافي بوصفهما القيادة السياسية الموحدة - لولّد الدولة الجديدة - في وثيقة سياسية بالغة الأهمية .

أن دولة الوحدة تعلن « في هذه الظروف الحاسمة من تاريخ الأمة العربية المجاهدة ووسط استعواء الشعب العربي كله لمواجهة قوى الاستعمار والصهيونية المتربسة به والرجعية المقاترة عليه » . ويحيى ميلاد الدولة الموحدة الجديدة « ليؤكد استمرار الثورة العربية وتدعيم مبادئها وحشد كل طاقاتها من أجل معركةها الكبيرة على طريق تحرير الأرض واستعادة الحق وبناء الدولة المصرية القومية » .

ويؤكد الرئيسان في بيانهما « أن قضية الوحدة لم تعد قضية اختيار لشكل سياسي أفضل من غيره بل صارت حياة وبناء في عصر تنفي فيه الكيانات الصغيرة أمام الكتل المتصارعة الكبيرة » كما أكد الرئيسان على أن كل وحدة تتحقق اليوم بين بلدين عربيين أو أكثر في إطار مبادئ الثورة العربية - تشكل انتصاراً لتلك الثورة وحماية لمبادئها وضماناً لاستمرارها كما تشكل بالنتيجة خطوة نحو تحرير الأرض العربية واستعادة فلسطين بل وخطة على طريق الإسراع بالتنمية وبناء الدولة العربية المصرية » .

وليز الرئيسان في بيانهما « أن قيام دولة الوحدة في هذه الظروف الصعبة المعقدة التي تحيط بالوطن العربي كله إنما هو تعبير حي عن صلاية هذه الأمة وأصرارها على مواصلة ثورتها - كما أنها خطوة بالغة الأهمية على طريق التكميل الاقتصادي بين أجزاء الأمة العربية - وهي فوق ذلك كله تمثل عمقاً استراتيجياً هماً لخط مواجهة مع العدو الصهيوني » .

وأكّد الرئيسان السادات والقذافي في بيانهما على « أن الدولة الجديدة تولد على أسس مبادئ ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . الأم وثورة الفاتح من سبتمبر - وهي تلك تقوم على كل المبادئ والقيم التي نبتت الثورة العربية » .

وتنفيداً لبيان الرئيسين بإعلان قيام دولة الوحدة بين مصر وليبيا ، حضر قرار القيادة السياسية الموحدة بتشكيل جمعية تأسيسية من مائة عضو - خمسين من مصر ومثلهم من ليبيا وتحدثت مهمة هذه الجمعية في أعداد الدستور وترشيح شخص رئيس الجمهورية للدولة الموحدة .

● محادثات مع

عمّال الكويت

■ إثر المصادف التي أجراها سلاح بحري ووزير القوي العاملة في جمهورية مصر العربية مع المسؤولين في اتحاد نقابات العمال الكويتي - حضر بيان مقبسترك ند في الجانبين ، بسياسة النظام الإداري التوسعية المدرونة في الخليج العربي ، وكذا أن هذه السياسة مرتبطة بصورة مباشرة بالولايات المتحدة الأمريكية - واستمرا بشدة احتلال النظام الإداري للجزر العربية الثلاث وتدخله العسكري في عمان وبعض أمارات الخليج العربي .

ودعا البيان المستمرك إلى استخدام النفط ورؤوس الأموال المستثمرة حالياً في الخارج كسلاح ضد الحكومات التي تساند العدو الصهيوني .

وقال البيان انه ليس هناك حل للقضية الفلسطينية الا من طريق المواجهة المباشرة مع العدو الصهيوني ، كما دعا إلى المساهمة للثورة الفلسطينية بأفضل ما يجمع الانتصار العربية الواقعة على خط المواجهة مع العدو ■

● المخابرات

الأمريكية والبيروت

■ كشفت صحيفة السياسية الكويتية القليل من خطة وضعتها المخابرات المركزية الأمريكية - لمواجهة الايرادات التي يمكن أن

تتخذها الدول المنتجة للبترول في الخليج العربي بشأن صادراتها من البترول خلال الاشهر القليلة المقبلة .

وترى الخطة الامريكية ، والتي وضعها ريتشارد هيلز مسكرير الولايات المتحدة في طهران والمدير السابق للمخابرات المركزية الامريكية ، ان يث الارتباك في منطقة الخليج العربي ، وذلك بالتزامن مع تسلسل من الامتدادات الاقتصادية في الدول المنتجة للبترول بهدف اثارة ردود فعل من جانب الدول المنتجة ، لتغيير التدخل الامريكي لضمان سريان البترول .

● الاسـمـد :

المسوفيت اسدقانا

■ قال الرئيس حافظ الاسد في حديثه لشركه جريدة [النور] السورية في ١ سبتمبر الماضي : لقد ذهب بعضهم الى تفسيرات تقول ، ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قد اتفقا الى بعضها بعضا ، وبذلك ، اتفقت الدولتان ضد شعوب العالم . وقال : هذا تفسير غير مقبول . لقد وقف الاتحاد السوفيتي ، ولا يزال يقف ، الى جانب الشعوب الماضيه من اجل حريتها وتقدمها ، داعيا ضحاياها بالعدل والمساعدات المنطقية ، بينما كان موقف الولايات المتحدة دائما هو موقف الصداقه للشعوب وحريتها وتقدمها ، واصفا قائلًا : في ضوء هذه الحقيقه يصبح من غير الجائز او الممكن ان نضع الدولتين على صعيد واحد ، بل ان الواجب يقتضي ان نشير الى انه بالنسبة لنا نحن العرب ، كان الاتحاد السوفيتي وبسببتي ، صديقنا الذي يدعم نضالنا ، وساعدنا في جهودنا في مختلف المجالات ، في حين ان الولايات المتحدة تدعم اعدائنا بل وتشجع حطهم العدوانية بشن المسير والوسائل .

كما تم تعيين وزيين مقيمين في كل من القاهرة وطرابلس لمتابعة تنفيذ قرارات بناء الدولة الجديدة - وعما الدكتور مراد غلب وزيراً حفيوا في ليبيا والميد محمد بن يوسف وزيراً مقراً في مصر - وتقرر انشاء مجلس اعلى للتخطيط ويمثل مصر في المجلس الدكتور عبد القادر حلم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ويمثل ليبيا فيه الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء - كما تقرر تعيين الحبير المصري الدكتور عبدالجيد عبد الوافي امينا عاما للمجلس الاعلى للتخطيط . وسوف تنشأ امانة مية تدولى معاونية الجمعية التأسيسية والمجلس الاعلى للتخطيط في اعداد مشروعات القوانين وعرضها على القيادة السياسية الموحدة كما تم انشاء « دينار عربي حسابي جديد » وتقرر انشاء منطقة اقتصادية حرة على جانبي الحدود بين مصر وليبيا . ويرى المراقبون انه بينما لم تستطع الدوائر الصهيونية والاستعمارية الا ان تعترف بان اعلان دولة الوحدة كان مفاجأة غير موهمة بالنسبة لها .

وبينما اعربت الدوائر الامريكية عما اصحابها من تشاؤم وقلق من الاخطار الناجمة على مصالحها بسبب انجاز هذه الوحدة ، فان مولد الدولة الجديدة الذي تتوافر لها كل الاكائيات البشرية والمادية والحيات العلمية الضخمة - قد لقي ترحيبا حاراً وواسعاً من القوى الوطنية والديمقراطية في العالم العربي ودول العالم . وفي حديث لقييل كاسقرو رئيس وزراء كريا : اعلن تمنيه للوحدة المصرية الليبية اللطيف والخير ، وقال انه لا يفهم ولا يجد مبرراً لعدم وحدة العرب ، وقال انني لا استطيع ان افهم مسالة عجز مصر مليون عربي مع كل الثروات التي في يدهم من القضاء على اسرائيل وتحرير فلسطين .

ويرى المراقبون ان اعلان الدولة الجديدة والخطوات التنفيذية التي تمت - قد دعمت كل من مصر وليبيا .

فقد استطاعت ليبيا في اول سبتمبر المنقضى وبعد ايام من اعلان الوحدة بين القاهرة وطرابلس - ان تبدأ مواجهة حاسمة لشركات البترول الامريكية - فاصدرت ليبيا قرارها بتمائم ٥١ في المائة من جميع شركات النفط العاملة في الاراضي الليبية - وهو القرار الذي لم تخفى الدوائر الامريكية جزعها الشديد من امتداد آثاره الى مصالحها البترولية في دول منطقة الخليج .

كما يرى المراقبون ان الخطوات التي تمت على طريق انشاء الدولة الموحدة الجديدة قد عززت مركز مصر السياسي في مواجهة الضغوط الامريكية والتبجح الاسرائيلي - وقد بدأ هذا واضحا في موقف مصر خلال زيارة السكرتير العام للأمم المتحدة واصرار مصر على قيام اليم المتحدة بواجبها الكامل .

ويرى المراقبون ان الجهود الكبيرة التي بذلت على امتداد العام الماضي كله - سواء بما انجزته لجان الوحدة - او عشرات اللقاءات الجماهيرية داخل كل من مصر وليبيا - ولللقاءات المشتركة بين القيادات السياسية من البلدين - قد ساعدت على تحديد معالم الطريق الى الوحدة السلمية - وانعكست آثارها فيما اتخذ من اجراءات تنفيذية - وكل هذا يشكل اساساً قوياً - ومنطلقاً سليماً للخفاخ عن الوحدة وجمعها - ومن هنا فان المراقبين يركزون بشكل خاص على النداء الذي وجهه الرئيسان في ختام بيانتهما باعلان الدولة الجديدة بدعوتهم « كل المؤمنون بالوحدة في الوطن العربي

● جنـبلاط : نؤيد الوحدة

■ قال كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ببلدان في حديث له عن الوحدة الانتخابية بين مصر وليبيا : إن كل محاولة حقيقية للتوحيد بين الدول العربية هي خطوة أساسية في طريق تحقيق الوحدة العربية والتهيئة الفعلية لحركة تحرير الأرض العربية والملاطين المحتلة . وأضاف جنبلاط أن المفروض استراتيجيا ومنطقيا وعمليا من الحزب هو توحيد القيادة السياسية والعسكرية وجهود الطوائف الاقتصادية والإقليمية لتكون لدرعة فعلية في معركة الصمود والتحرير . . وأقر جنبلاط من اعتقاده بأن الخطوة الوحيدة الانتخابية التي تصقت وسوف تنجح بين مصر وليبيا تعتبر سببا جيدا في سبيل هذا الهدف ■

● أرامكو تزيد من نشاطها

■ جاء في البيان الذي أصدرته شركة أرامكو ونشرته في بيروت المجلة المتخصصة [مبدل آيس] أرامكو سارني [أن الشركة الأمريكية التي تتصلط معظم حقول البترول في السعودية قسدت بدات في أول شهر أغسطس في استغلال حقول العميلة التي اكتشفته منذ أقل من شهرين شهرا بمعدل مائة ألف برميل في اليوم . ولم يشر البيان إلى هجوم هذا الحقل الذي يقع على بعد ٥٠ كم تقريبا من الظهران . ومن ناحية أخرى أعلنت الشركة عن اكتشافها حقلًا في مياه الخليج عند سواحل الحارة وأكدت أولى عمليات الحفر التي وصلت إلى عمق ٢٠٠٠ متر وجود كميات كبيرة من البترول .

ومما يذكر أنه منذ بداية عام ١٩٧٢ . كما ذكرت صحيفات واشنطن بوست : ارتفعت واردات الأمريكية من البترول الأمريكي ٢٥٪ بالمقارنة بالعام الماضي وهي تمثل الآن أكثر من ربع الواردات كلها ■

● جلود : لا نخاف أمريكا

■ أعلن الزائد عبد السلام جلود في حديث له لمتنبيسا على مايسمى بأزمة الطاقة : أن الاتباء

ليذل جهودهم تدعيمها لها وتأمينها أسرارها وضمانا لتجارتها كخطوة ثورية على طريق الوحدة الشاملة - وإن الضمان لذلك كله هو المشاركة الفعلية المسنولة بذل مواطنيها في أداء واجبهم القومي في مواقع العمل المختلفة مسلحين بالإنسان مؤدبين بالعلم معتمدين بوجدتهم عاملين بكل ما يمكن من قوة على تجسيد الدولة الجديدة وأهلهم في مستقبل مشرق مزدهر .



■ جمهورية مصر العربية :

مؤتمر المواجهة :

لماذا انعقد وما هي نتائجه ؟

الموقف على خط المواجهة مع العدو الإسرائيلي كان هو الموضوع رقم ١ - على رأس قائمة الموضوعات الهامة التي توثقت في المؤتمر الأول لقيمة دول المواجهة (مصر وسوريا والأردن) وحضره الرئيسان أنور السادات وحافظ الأسد والملك حسين والذي اختتم أعماله في القاهرة بعد ثلاث جلسات عمل بالقصر الجمهوري بالقاهرة يوم ١٢ سبتمبر الماضي .

وقيل أن تحدث المفاجأة ويقرر انعقاد مؤتمر رؤساء دول خط المواجهة كان الرئيس أنور السادات قد انتهى من وضع خطة لتحرك واسع لتحريك الأزمة في ظل التطورات الدولية المتعاقبة ، وفي ضوء مناقشات مجلس الأمن الأخيرة .

وكانت هذه الخطوة محور رحلة « العمل السياسي المكثف » التي قام بها الرئيس السادات في الأسبوع الأخير من شهر أغسطس الماضي وشملت السعودية وقطر وموريا ، وكانت اجتماعات الرئيس المتعددة في الجزائر أثناء مؤتمر قمة عدم الانحياز قرصة للحركة على هذا المحور .

لقد كانت خطة مصر تركز على ثلاثة دعائم رئيسية :
■ وضع إطار موحد للعمل العربي أزاء مرحلة بالغة الخطورة تواجهها الأمة العربية .

■ حشد أكبر قوة عربية مؤثرة داخل هذا الإطار في خدمة الصراع ضد العدو الصهيوني .

■ وضع الطاقة ورأس المال العربي في خدمة النضال القومي ومعرفة المصير توسيعا لرقعة العمل العربي المشترك .

لقد سبق اجتماع قمة المواجهة لاجتماعات ومشاورات تهييدية شهدتها العواصم الثلاثة القاهرة - دمشق - عمان . فقد زار القاهرة مبعوثا عن الملك حسين السيد عبد النعم الرفاعي في شهر أغسطس وصحبه في عودته إلى عمان الدكتور حسن صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس السادات حيث اجتمع بهما الملك حسين . ثم قام الرفاعي والخلوي بزيارة إلى دمشق حيث اجتمع بهما الرئيس حافظ الأسد وبعد ذلك بأيام قام وزير الدفاع السوري اللواء مصطفى طلاس بزيارة إلى عمان استقبله فيها الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي .

خلال هذه الاتصالات المكثفة تم الاتفاق على اجتماع رؤساء دول حوض المواجهة حيث عقد الرئيسان ادور السادات وحافظ محمد الرئيس حسين جلسة عملهم الأولى مساء ١٠ سبتمبر بحثت امتيازات العمل العربي المشترك ودور الجبهة الشرقية وقد استمر الاجتماع الأول زهاء ٤ ساعات *

ثم عقدت جلسة العمل الثانية مساء ١١ سبتمبر بعد معلقة لن المناورات الثنائية جرت بين الرئيس السادات والرئيس الأسد والمك حسين * وفي هذا الاجتماع تمت مناقشة حسب مسائل رئيسية :

- تقييم الموقف العام في العالم العربي *
 - إمكانات العمل العربي المشترك *
 - دور دول المواجهة والتنسيق بينها *
 - وسائل تنسيق الجبهة الشرقية *
 - الدور الذي يمكن لحركة المقاومة أن تقوم به في هذه الجبهة *
- ومن بين ما أسفرت عنه مناقشات هذه الجلسة الاتفاق على عودة العلاقات الطبيعية بين كل من مصر وسوريا مع الأردن * وكانت مصر قد قطعت علاقاتها مع الأردن يوم ٦ أبريل عام ١٩٧٢ *

عن وجود أزمة طاقة عالية بأنها أكاديب أميرالية اغتلتها الولايات المتحدة ، لتبرير عمل عسكري أميركي في المستقبل ، بهسند الاستيلاء على آبار النفط العربي.

وأضاف قائلا : لقد سمعنا من قبل أن الولايات المتحدة تروب قوات خاصة لعمليات حربية في الصحراء الليبية . لكن كل ذلك لا يهونا . ونحن غير خائفين . وقال عن استخدام النفط كسلاح : إن العظمون وهذه يقول أن الحترول ليس سلاحا في المعركة . انه سلاح لأعلى الهزيمة بالصدو . ولقد استخفيت أميركا سلاحها فلما جردا خضفا وعقد الشعب الفيتاني ■

تعليق

انتخابات الهستدروت .. هل من جديد ؟

تغيراته اساسية على موازين القوى الانتخابية في اسرائيل في الآجل القصير فالحالفة قد لا تكون مجرد انتقال عسدد محدود من كراسي الكنيست بين الأحزاب * ورغم صحة هذا القول في مظهره ، لسان الرأى بالطور الجبيع الاسرائيلي لا يسكن أن يغفل أن هتلك محاولات هيمية تحدث في الاطار الاجتماعي وسوقه تؤلف بالاكيد على البناء السياسي وعلى توازن القوى التقلدي * النظام السياسي الاسرائيلي بالشكل الذي عرف عليه منذ عام ١٩٤٨ في طريقه الى الاختفاء التدريجي تحت ضغوط مؤثرات متعددة ، من ذلك : نزاهة الانتخابات الاجتماعية والاقتصادية ، ولسي نظام انتخابي جديد ، وضعف الانقسام السياسي لوجود عسدد من الأحزاب ، وضعف التزام البيروقراطي تجاه عسدد الفصائل الاجتماعية ، وريادة سبة - الصعيبرا * (المولودون على ارض فلسطين) وريادة تغير الدور المجد الذي كانت تقوم به جماعة الماني في الجمع ، وريادة تباور ككتلين او اجهادين عريضين في الانتخابات .. كل هذه مؤشرات ودلائل على أن النظام السياسي الاسرائيلي في مرحلة انتقال من شكل معين الى شكل آخر ، فلما أن تنتهجه وترصد تغيراتها لتوضع انتماءها على الواجهة العرسة - الاسرائيلية *

د . علي الدين هلال

ربما عكس عسدد افتناع القاضيين بأن العملية الانتخابية لا تسهم حقيقة في صنع القرار السياسي ، ولا تعبر عن مشاركة سياسية فعالة *

① انفصالي سبة التأييد لأحزاب المهاد (التجمع ويشتم حزب العمل وميام) نسبة ٤ ٪ ، فاصح ٥٨ ٪ ، الامر الذي يصرح عن بعض الضيق سياسي الحكومة الاقتصادية ، ولكن سيطرة التجمع على الهستدروت ما زالت قوية ، ويلاذات اذا اغلنا في العسدين المتألف الحسادت مع الحزب الديني الذي حصل على ٦ ٪ من الاصوات *

② ان الكتلة الانتشافية الجديدة « هاليسكود » التي تكونت عسدة الاثنا عشر في مجال والقائمة الرئيسية في المركز الحز ، لم تسند كثيرا من هذه الاصوات ، بل احتفظت بالنسبة التي كانت لديها وهي ٢٣ ٪ *

③ ان هذه الزيادة ذهبت الى قوائم الاحزاب والكتل الصغيرة مثل حركة الفهود السوداء (٢ ٪) ، والجبهة الحمراء (٢ ٪) ، والحزب اتشوعي الاسرائيلي (ركاخ) الذي حصل على عسدد كبير من الاصوات العربية التي اشتركت في الانتخابات *

وهكذا يجوز القول ان انحصارات الهستدروت - والاتحادات العامة التي سبقتها في ٢٩ أكتوبر - لم ولن تحدث

تسبب انتخابات الهستدروت التي بدأت في الهادي عشر من سبتمبر الماضي اهيمها من كونها مؤشرا لحركة القوى السياسية المتصارعة على السيطرة س تسببت هذه الانتخابات ١٣ قائمة انتخابية - اعنقوية الهستدروت تشل ما يقرب من ٩٠ ٪ من العسدين في اسرائيل ، او ثلث السكان تقريبا ، اضف الى ذلك ما يطلع به الهستدروت من نقل حشبي واقتصادي الى درجة ان احد العسدين الاسرائيليين « مارك سيجال » كتب في عسدد ٤ سبتمبر في صحيفة « جيزوراليم بوست » : ان من سيسير على الهستدروت سيسير على اسرائيل * * ولعله ليس من قبل العسادة ان حزب اليساري الذي سيطر على الحساد السياسي في اسرائيل « مسيطر في نفس الوقت على الهستدروت » * ويستفاد من التطلع التي اسفرت عنها هذه الانتخابات ، يمكن للتواقي ان يقدم الالفتات الآتية :

① اشترك في التصويت هذا العام ٦٨ ٪ من مجموع القاضيين بالمقارنة الى ٦٥ ٪ في انتخابات عام ١٩٦٩ ، الامر الذي يشير الى استقرار نسبي لدرجة المشاركة السياسية بين القاضيين ، وان كان لا بد من ملاحظة ان حدة التفتتات الاجتماعية التي وضعت في الاضرابات العمالة والمهنية التي سادت اسرائيل في العامين الاخيرين ، لم تعكس نفسها في صورة زيادة نسبة المشاركة ، الامر الذي

تقارير الشهر

● عاد الإيداني للبحر

■ نجحت محاولات الوساطة التي قامت بها اوساما بعتة ودرية في اقناع القاضي عبد الرمحسين الإيداني بالعودة الى مسدسهم ومبارزة مهام منصبه كرئيس للمجلس الجمهوري في اليمن . ويذكر ان القاضي الإيداني قد اقام شهرا كاملا في دمشق معلنا عزله على الاستقالة ■

● التضامن العمالي

مسح فلسطين

■ اكثت سكرتارية الاتحاد العمالي للقطاعات وممثلو القطاعات النقابية العمرية المضرة في الاتحاد العمالي ، خلال اجتماع مشترك عقد في دمشق - ضرورة بذل أكبر الجهود في سبيل توسيع وتنشيط عمل اللجنة النقابية العمالية للتضامن مع عمال وشعب فلسطين بالتعاون الوثيق مع الاتحاد الدولي لنقابات العمال العربيوكل للقطاعات النقابية العمالية . وكما ناقش الاجتماع المشاريع والقرارات التي سيعتقد بها المخطات النقابية العمرية الى مؤتمر الاتحاد العمالي الذي سيعقد في صوفيا في الفترة من ١٥ الى ٢٢ أكتوبر الحالي ■

● كاسترو في بغداد

■ في زيارة رسمية لبغداد استغرقت يوما واحدا - قام فيدل كاسترو باجرامها ومباحثات وصصبت بانها هامة مع السيد صدام حسين نائب امين سرالقيادة القطريلعزب البيت العربي الاسرائيلي - وقد غامر كاسترو بغداد في طريقه الى نينوى لم يفتوى ■

● صواريخ جديدة لإسرائيل

■ ذكرت المصف الاسرائيلية نقلًا عن مجلة « انبيش بوك » الأمريكية ان الولايات المتحدة ستزود إسرائيل بصفقة صواريخ جو/جو من طراز م - ٧ - ف - ١٠ المصممة خصيصا للتصدي لاحتطاسراز من طائرات الميج ٢٢ السوفيتية والهج ٢٥ التي تلحق على ارتفاعات شاقق وسرعة كبيرة لا يمكن المقاتلات الاسرائيلية من

ثم عقدت جلسة العمل الثالثة والاخيرة اتبع في أعقابها البيان المشترك التالي :

« انطلاقا من مصلحة الأمة الواحدة التي ننتمي اليها ، واتطلعا من شهورات معركة المواجهة الصبرية مع العدو - ومن خلال الاتصالات التي تمت منذ فترة بين القاهرة ودمشق وعمان ، فقد اتفق على اجتماع رؤساء دول المواجهة »

« وقد تم في هذا الاجتماع بحث جميع القضايا المتعلقة بين البلدان الثلاثة ، وجميع القضايا والتفديرات المتعلقة بمعركة المصير ، واتفق على متابعة الحوار والاتصالات للوصول الى وضع الحلول المقترحة والتي هي قيد البحث وموضع التنفيذ !!

وانتهت أعمال مؤتمر رؤساء دول خط المواجهة وسط عديد من التكتبات والتوقعات كلها تنحصر حول قضيتين أساسيتين :

● احياء الجبهة الشرقية

● عودة الفدائيين الى الأردن

صحيح ان البيان المشترك لم يذكر تحديدا هذين الموضوعين الا ان متابعة تحركات كل من القاهرة ودمشق تشير الى ان هذين الموضوعين هما من الموضوعات الأساسية - فاذا كان هناك بحث وتقديرات متعلقة بمعركة المصير ، وإذا كان هناك اتفاق على متابعة الحوار والاتصالات للوصول الى الحلول المقترحة فان البحث الأول هو بالظيمة سوف يكون حول الجبهة الشرقية ودور العمل الفدائي .

والذي لا شك فيه - وهذا ما اكثته القاهرة باستشوار - ان أي مواجهة مع العدو الاسرائيلي لا يمكن ان تتم الا بعد الاطمئنان على سلامة الموقف الأردني من قضية المواجهة الشاملة مع اسرائيل كيا انها أيضا وفي نفس الوقت لا يمكن ان تتم الا بعد توفير كل الضمانات لانطلاق العمل الفدائي الفلسطيني وضمان حريته وسلامته في معركة المصير - فالعمل الفدائي هناك شريك أساسي وأصيل في قضية المواجهة - هذا هو ما تؤمن به القاهرة وتسير عليه ومن هنا فان الأيام القادمة سوف تلقى مزيدا من الاضواء على نتائج اجتماعات المؤتمر الأول لرؤساء دول المواجهة ..

ويبقى سؤال أساسي حول موقف حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . لقد تحدد هذا الموقف في بيان رسمي أعلنه قيادة المقاومة بعد اجتياح طويل عقد في بيروت يومي ٢١ و ٢٢ سبتمبر . قال البيان ضمن ما قال :

« ان حركة المقاومة الفلسطينية لها حق مقدس في العمل من جميع الجبهات ضد العدو الصهيوني وخاصة من الجبهة الأردنية التي يربط مصيرها بمصير الشعب الفلسطيني وقضيته »

« ان الجبهة الشرقية يجب ان تقوم على اساس وطنية تضمن قيام مواجهة فعالة ضد العدو الاسرائيلي ، وان هذا الامر يتطلب تحقيق ثلاثة أشياء :

١ - عودة المقاومة الى الأردن على اساس ان هذا هو حقها الوطني الذي لا جدال فيه على ان تمنح الحرية الكاملة في ممارسة تضائها ضد العدو المحتل .

٢ - اشتراك القوات السورية والعراقية بصورة فعالة في الجبهة .

٣ - ضمان الحقوق الأساسية وحرية الشعب الفلسطيني في الأردن لتمكينه من المساهمة في النضال ضد العدو »

■ الشرق الأوسط :

أزمة الشرق الأوسط ودورة الجعبة العامة

تبرز أزمة الشرق الأوسط باعتبارها أهم القضايا التي تواجه بدورة الحالية لدعم المتحدة وخاصة ان الوضع في المنصه بشكل يعيه الأساسية امام تأكيد التحولات التي شهدتها العلاقات الدولية منذ الدورة السابعة والعشرين والتي كان أهمها انتهاء الحرب في فيتنام . ولذلك تحظى أزمة الشرق الأوسط باهتمام كبير من الأوساط والبلدان ، وسوف يتولى وفد يمثل دول عدم الانحياز عرض القضية خلال الدورة الحالية للمناقشة وهو ماثم الاتفاق عليه في مؤتمر الجزائر .

وصرحت المصادر الإسرائيلية المسؤولة بأن الدورة الحالية للجمعية العامة لن تتوصل الى حل يخرج أزمة الشرق الأوسط من ركودها وذلك بعد أن تراجعت واشنطن عن فكرة الحل الجزئي الذي سبق وعرضته على مصر . وقالت صحيفة هآرتس انه ليس هناك أي تغيير في مواقف الولايات المتحدة من أن الدعم العسكري لاسرائيل ضروري للسياسة العسكرية الأمريكية ، وانه لا سبيل الى حل الأزمة الا من خلال المفاوضات بين الاطراف المعنية . وصرح هاري كيسينجر قائلا « ان الولايات المتحدة لم تجر أي تغيير في موقفها من اسرائيل وانها لا تجد بديلا لشكل من الاشكال غير التفاوض ، وانها على استعداد لتقديم المساعدة اذا قرر الجانبان التفاوض » .

وفي الفترة التي سبقت دورة الجمعية العامة شهدت أزمة الشرق الأوسط تحركات واسعة في المنطقة العربية وعلى النطاق الدولي . وتشير كل خطوط التحرك السياسي والدبلوماسي والاقتصادي للبلدان العربية خلال الفترة الاخيرة الى تزايد الجهود في اتجاه ثمة جميع القوى الممكنة لمساندة النضال العربي ، في اتجاه فضح وكشف وزيادة عزلة اسرائيل وفي اتجاه توحيد القوى العربية من اجل اعطاء المبل العربي مزيدا من الفعالية وتنسيق خط التحرك العربي على النطاق الدولي والمحلي .

ففي اوائل الشهر الماضي قام بالدهام السكرتير العام للأمم المتحدة بجولة لتقصي الحقائق في الشرق الأوسط استغرقت ٦ ايام رار خلالها سوريا ولبنان واسرائيل ومصر والاردن .

وخلال زيارته اوضحت القاهرة لبالدهام تصميم مصر على تحرير أراضيها وكل الاراضي العربية المحتلة ومساندة الشعب الفلسطيني حتى ينال حقوقه المشروعة التي اقرتها هيئة الأمم المتحدة وضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذي يحظى بمساندة الغالبية الساحقة من دول العالم والمنظمات الدولية ، كما اوضحت القاهرة موقف مصر ورأيها في تطورات أزمة الشرق الأوسط .

وكان مؤتمر عدم الانحياز في الجزائر فرصة لتحرك عربي واسع النطاق من أجل كسب مزيد من المساندة لقضية العرب ، واحكام المعزلة حول اسرائيل . وقد تمت خلال المؤتمر لقاءات واسعة واتصالات متمرة بهدف توضيح وتأكيد جوانب القضية العربية لدى كل بلدان عدم الانحياز . وأعلن الرئيس السادات انه قد تم ايجاد خط

اعتراسها . وقد زودت هذه الصواريخ بمحركات نفاثة . ويبلغ مداها ٦٠ كم ، وارتفاعها ٢٠ كم .

ومن الدول التي استوردت اسرائيل الصواريخ منها غير الولايات المتحدة فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول التي ترى في وجود اسرائيل سندا لحاكمها في المنطقة العربية .

وفد ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية في ١٩ أغسطس ١٩٧٢ أن اسرائيل ستكون بذلك أول دولة تصدر الولايات المتحدة الأمريكية تصصل على الصواريخ من طراز م - ٧ - فغ .

● وفائتم . . ايضا

■ استورد الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل ٢٨ طائرة مقاتلة اضافية من طراز فائتم وذلك اعتباراً من بداية العام القادم . ومن المعروف انه من المقرر ان تنتهي الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية العام الحالي من تسليم اسرائيل ١٢٠ طائرة مقاتلة فائتم تفوق سرعتها سرعة الصوت من طراز فائتم سبق ان باعها لها بالفعل . واصالت صحيفة «صن» الأمريكية التي تصدر في بلفيور ان تسليم الطائرات الثمانية والاربعين الإضافية والتي تقدر قيمتها بـ ٢٢٠ مليون دولار سوف يتم تسليمها على ثلاث سنوات . كما استورد الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل بست وثلاثين مقاتلة جديدة من طراز سكاى هوك ■

● ألمانيا الغربية واسرائيل

■ قررت شركات الطيران في اسرائيل وفي ألمانيا الغربية زيادة عدد رحلات الطيران بين البلدين خلال موسم الصيف القادم كما تقرر ان تقوم الشركة بتشغيل احدى طائرات الجايبر لواجهة الطلب التزايدى للركاب للسر بين اسرائيل وألمانيا وتشجيع حركة السياحة من ألمانيا ■

● برنامج للإستيخان بالاحتصار

■ قرر حزب العمل الإسرائيلي الحزب [التيسيرقراطيون القترافون] دخول الانتخابات البرلمانية التي سيجرى في نهاية أكتوبر التالي ببرنامج يقتضين عوردا بقتاء مزيد من المستعمرات في الأراضي العربية المحتلة . وقد راسمقجولاد ماثير الجلسة الخاصة التي منحتها السكرتارية الحسامة للحزب والتي اقترت هذا البرنامج . . وأعقبت دوائر حزب الحسام المتحلف مع حزب العمل استمداد الماثير لتأييد هذا البرنامج

● الاستيطان بدون عرب

■ بيئت قسم الاستيطان الإسرائيلي مع حركات الاستيطان للوسائل اللازمة لتفجير اسطوب الحسية في المستعمرات المقامة في المناطق المحتلة وذلك لتفجير قرار الحكومة المصادر لئس بثمان النقييل من استخدام المبالعرب المؤجرين في مناطق الاستيطان الواقعة خلف الخط الأخضر . ويعتزم قسم الاستيطان التقليل من الاممال التي تتطلب عمالا عربا مثل زراعة الخضروات في نفس الوقت مسوفه ينظم العمل في تلك المستعمرات بحيث يعين على إمكانية نقل من الإيدي العاملة . ومن نامة أخرى فإن بوشي ديان كان قد صرح في حديث إذاعيانه بيلقي على المستوطنين اليهود في مدينة رفح المحتلة الكف من استعجار المبال العرب باقتراهم بلاء من الانتظار حتى تتدخل الحكومةلوقف هذا العمل ■

● حرب البترول وإسرائيل

■ كتب الجنرال حاييم هيرزوج رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق في صحيفة [جيورانييم بوست] الإسرائيلية يقول أن قرار العرب باستخدام البترول لأغراض سياسية لا يمكن تجاهله وأنه ينبغي على إسرائيل والشعب اليهودي أن يردا بنفس الطريقة التي يتبعن عليها لرد بها على العدوان المسلح . وذلك باستخدام نفس الأسلحة الاقتصادية التي يستخدمها العرب . واستطرد الجنرال هيرزوج قائلا ولكن اليهود يشكلون اليوم قوة اقتصادية هائلة . ولو أدركت الدول التي تتسارع إلى ادانة إسرائيل في مجلس الأمن وبطلة الطيران المدني الدولية ، أن مائل

عربي موحد تجاه المعركة خلال اللقاءات التي ثبتت في الجزائر . وتبخص مؤتمر الجزائر عن تأكيد عزلة إسرائيل الدولية وفضح وادانة مخططاتها العدوانية ، والتأكيد بالاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة ، ومطالبتها بتبني قرارات الأمم المتحدة بانسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة .

ومع استمرار العمل على الجبهات السياسية والدبلوماسية يدا الحديب حول استخدام البترول العربي للضغط على الولايات المتحدة من أجل وقف مساندتها المفضوحة للعدوان ويقول المراقبون أن البترول قد بدأ يتزايد أهميته في ظروف أزمة الطاقة التي نواجهه العالم الغربي والولايات المتحدة على وجه الخصوص ، وأن هذا السلاح الاقتصادي يعطى للبلدان العربية فرصا اضافية لتدعيم ومساندة نضالها السياسي والدبلوماسي . وأشارت ماثير إلى أنها تعتقد أن العرب سيستخدمون أزمة الطاقة للضغط على الولايات المتحدة بشكل خاص لكي تغير من سياستها تجاه إسرائيل . وقد بدأت بعض البلدان العربية محاولة الاستفادة من هذا السلاح لصالح قضية التسوية العادلة لأزمة الشرق الأوسط . وصرح الملك فيصل أنه يجب على الولايات المتحدة أن تعقل عن اتخاذ موقف منحاز لإسرائيل وعن تقديم المساعدات لها مما يزيد من صلتها ورفضها للسلام ، وإذا لم تستجب أمريكا لذلك فإن مصالحنا تملئ علينا خضف اقتاج البترول .

وقد أدركت الدوائر الحاكمة في إسرائيل خطر التحركات العربية في زيادة عزلة إسرائيل وتغيير مناخ دولي أكثر مواتاة لنضال العرب . وأشار بوشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي إلى أنه يشعر أن الموقف الدبلوماسي الإسرائيلي قد تدهور بصورة خطيرة وأن إسرائيل تواجه عزلة دولية شبيهة تامة وقال في تصريح له :

« لقد حقق العرب في الفترة الأخيرة انتصارات دبلوماسية بارعة وهم يعززون بناء على هذه الإنطلاقة تحقيق انتصارات دبلوماسية أخرى يمكن أن تؤدي إلى أحكام العزلة الدولية حول إسرائيل » وقد دفع ذلك البعض في إسرائيل إلى الدفاع عن ضرورة قبول الاقتراح الخاص بمقعد مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة لتسوية أزمة الشرق الأوسط باعتبار ذلك مخرجاً ينفذ إسرائيل من عزلة الدولية .

ومع تزايد عزلة إسرائيل الدولية وفي ظل هذا النشاط والتحركات الدبلوماسية التي تهدف إلى فرضي تسوية عادلة لأزمة الشرق الأوسط لم تستطع الدوائر الإسرائيلية الحاكمة أن تقف مكتوفة الأيدي فقامت بهجومها الجوي الواسع النطاق على سوريا . وتمتدت المقاتلات السورية للهجوم الجوي الإسرائيلي في أكبر معركة جوية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ . وقد وصف متحدث رسمي سوري المعركة الجوية بأنها كانت كميناجويا أهد بعناية لاستدراج سلاح الطيران السوري والقضاء عليه ولكن الخطة اخفقت بفضل استبسال الطيارين السوريين .

وعلمت البرافدا قائلة أن الهجوم الأخير على سوريا هو بمحاولة للحصيت بلفة القوة وتطيق البلدان العربية درسا لاتخاذها في الفترة الأخيرة عددا من الخطوات لتدعيم قواها في النضال من أجل تصفية آثار العدوان وقد قامت إسرائيل بهذا العمل الاستفزازي في وقت تبذل فيه محاولات جادة في المجال الدول للتوصل إلى تسوية لأزمة الشرق الأوسط

■ مؤتمن الجزائر ٢٠

عدم الانحياز ٠٠ سياسة للتحرر الوطني

انعقد بالجزائر خلال الفترة من ٩-٥ سبتمبر الماضي المؤتمر الرابع للول غير المنحازة وحضرته وفود كبيرة من ٧٨ دولة كان معظمها بقيادة الملوك والرؤساء ورؤساء الوزارات في هذه الدول بالإضافة الى ممثلي ١٦ من حركات التحرير في العالم مائزأل شعوبهم تقائل من اجل الاستقلال الوطني وسسط ظروف بالغة القتعقيد . وفي جلسة افتتاح المؤتمر الى الرئيس الجزائري هواري بومدين باعتباره رئيسا للدولة المضيفة ، بيانا سياسيا لمس فيه الدور الذي تلعبه دول عدم الانحياز الى القيام به في السياسة الدولية والاهداف التي تسعى الى تحقيقها قائلا : « ان الفئ مليونا من البشر الذين لا يصنفون القنبلة الذرية يستطيعون ان يشكلوا قوة مؤثرة في العالم » وأن هذه الامواج من الجماهير وهذه الملايين من البشر تطالب بتحقيق السلام القائم على العدل في اراضيها وفي العالم كله . « ورغم أن احدا من الوفود — كما بدا — لم يكن ليختلف على المعاني العامة لدور واهداف تجمع عدم الانحياز » الا ان قاعات قصر الامم بمدينة الجزائر — مقر انعقاد المؤتمر — قد شهدت على ابتعاد الجلسات بعد ذلك محاورات ساخنة وتحركات شدد سخونة

هذا القشاط يمكن ان يثير رد فعل تقصادي من جانب اسرائيل ويهود الشخات كالتت أكثر طارا

ولكر الجسفرال هيززوج أن الترسانات البريطانية تقسم في الوقت الحاضر بفضيل بعض الطبات التي نصحت بها اسرائيل وهي أكبر طبات مي تاريخها ■

وان اسرائيل تشتري مفتحات بريطانية أكثر مما تشتريه الدول العربية المجاورة مجسمة .

وصرح بأنه قد حان الوقت لإنشاء منظمة مركزية تسبق للجمعية الاقتصادية العالية ويطلقا انقشع هجرها بضادا على القطة العربية وطني استخدام البترول ■

● اسرائيل : جنوب أفريقيا

■ كتبت وكالغاسي الصهيونية في تعليق لها من القشاط الصهيوني في إفريقيا من خلال الاتصالات الصرية والطبقة بين تل أبيب والمقرات المصرية في جنوب القارة . « عاشت الوكالة الى ابداعات الاسفة التي يقدمها الصهاينة لجنوب أفريقيا وقسام الصمكرين الاسرائيليين الذين اكتسبوا خبرتي قبع سكان الاراضي المصرية الصلطة — بتدريب قوات جنوب إفريقيا على وسائل حرب الصصايات . كما ذكرت الوكالة ان اسرائيل تعتبر هالبا أكبر مشتر للماس الخام من جنوب أفريقيا . كما أن تل أبيب هي التي ساعدت روديسيا في تصوير الخسوم والممتلكات المحلية لها منتهكة بذلك القربيات التي ترفضها الامم المتحدة على روديسيا . وفي مقال لذك ضم الصهيونيون في روديسيا ابريل الاعمال الصهاينة ٢٥ من اسمهم مؤتمسة ، يوديسيتي ، التي تعتبر أكبر مؤسسة اقتصادانية في روديسيا ■

المبادرة الكوبية دلالة هامة

تعليق

من عدة حقائق : فكلما «كولة اشتراكية» تؤكد ببيادرتها مواقف الدول الاشتراكية في تأييدها لمدالة الموقف المصري ومشروعيته . وهي « كدولة اشتراكية » ايضا ، تؤكد طبيعة خريطة الجبهة العالمية الحادثة للاستعمار ، هذه الجبهة التي تضم — كضرورة — قوى الدول الاشتراكية جنبسا الى جنب قوى دول التحرر الوطني . هذه القوى جميعها ، ومهما تزعت او اختلفت نظريا ، جميعها صالحة مشتركة واحدة : المدادالاستعمار والعمل من اجل تصنيفه كظلم . والحرص على تراس صسغوه هذه الجبهة واستمرارها وحيويتها ، يتقل مع الصالح الوطنية العليا لهذه القوى جميعها . يبقى ان نقول ، انه اذا وضعتنا في اعتبارنا « المركز » الذي تشغله كوبا في الحركة الثورية بامريكا اللاتينية وتأثيرها على المسار العام للواءات السياسية لدول امريكا اللاتينية ، لادركنا — فضلا ما سبق — القصة الايجابية للجهد السياسي المصري والمبادرة الكوبية معا .

حسين شعلان

المبادرة التي اتخذتها كوبا بطبع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، لها دلالات متعددة يمكن ان يناقشها الملحق السياسي على انه من الاهم ان نرصد هنا دلائل منها لهما اهمية خاصة :
اولا : ان هذه المبادرة الكوبية الجائزة ، ليرة ايجابية تعكست بفعل عنصرين : الوجه السياسي للتشيد الذي قامت به القيادات السياسية العربية — وخاصة القيادة المصرية — خلال اعمال مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز وما سبق انعقاده سواء في التمهيد له او في الخريف والاسهامات السياسية الدورية الصليبة على ذلك ، بتوضيح حقيقة الموقف العربي وعادلته من جهة ومدونية الوقت الاسرائيلي من جهة اخرى .

اما العنصر الثاني ، فهو طبيعة نظام وحكومة كوبا ، فلو ان هذا النظام وهذه الحكومة يتصفان بالعداء للامبريالية وببئزصرة حقول المشعوب : لما كتنت هذه الاستجابة المباشرة من كوبا بالتحديد . « فآخرون قد حضروا المؤتمر ، الا انهم لم يبادروا بمبادرات كوبا .
لنتيا . ان المبادرة الكوبية ، كتشف

● «عسكرية» المحيط الهندي

■ أعلنت وكالة بروسني ان القوى الاستعمارية تضع المشاريع ورسم الخطط لتطوير التكتل ودعم الافلاك العسكرية وحقل ما يسمى بـ « حزام الدفاع » في المحيط الهادى . كما ان هناك مشاريع اخرى تستهدف «مسكر» المحيط الهادى بحجة الدفاع عن الخطوط البحرية منها اقتراح يدعو الى انشاء قوه بحرية مشتركة في هذه المنطقة تضم وحدات بحرية من الولايات المتحدة واليابان واسرائيل وعددا من دول اووويا الغربية .

والمنصور ان الولايات المتحدة في مجموعة جزر مارشال الواقعة على بعد ٢٥٠٠ كم من فينيلسم تشكك من القواعد العسكرية ، ويجوز ان بناء المزيد من القواعد لاستيعاب القوات الامريكية القرب انفسها من مناطق الهند الصينية . . . وفى هذه الشروعات منسحب جزر ماريا قواعد نوام وجسر براتسل مركزا لتجميع الصواريخ الامريكي من الجانب الغرب من المحيط الهادى . والى جانب ذلك فإن وزارة الخارجية الامريكية بذلك في مجموعة جزر ميكرونيسيا مددا من مستودعات الاسلحة والمخازن وقواعد لاطلاق الصواريخ الموجودة في جزيرة كوايا لابن القابعة لجسر براتسل . وفي هذه الجزر مخازن خاصة ومخازن ذخائر المسامة وكلها مستعدة للعمل في اول نغفل مسكرى بقره البنجابن الاميركي .

كما اشادت الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا محطة لتسليح مسكرية في جزر دياجو كارسي التابعة لبريطانيا الواقعة في المحيط الهادى . وقد اعلن مؤخرا السكرتير العام للحزب الموحد لتسمب جزر سيشل التابعة لبريطانيا في المحيط الهادى ان خمسة آلاف جندي بريطاني وامريكي موجودون الان في جزر سيشل بهدف لاقابة قاعدة عسكرية بها والله قد تم بامره بن السلطات العسكرية للبريطانية نقل السكان المحليين الى جزيرة [هـ] ■

عكست - كما يقول كثير من المراقبين - ما يعتزل في صفوف دول المؤتمر من نهاعدت وسافعات جديدة بالبحث .

فأقصر ياقى وسط ملاح دولى معقد تنازعه ظواهر بتيلية وتؤثر فيه مجموعة من المتغيرات الدولية منتظلة لفترة طويلة موضع جدل حاد ، سواء في معسكر الثورة العالية وبين قضايله المختلفة (الدول الاشتراكية - حركة التحرر الوطني - حركة الطبقة العاملة هـى البلدان الرأسمالية) او على الجانب الاخر في المعسكر الامبريالى وعملائه من الصهاينة والعنصريين والقوى الرجعية في محاولة من كلا المعسكرين لتوطيد هذه المتغيرات لصالحه وضد مصالح الطرف الاخر .

ومن بين مجموع المتغيرات الدولية يتميز بأهمية خاصة تلك الانعراج منمطفا يفرص عليها ترقية اساليب واشكال صراعها ضد والولايات المتحدة او بين اوروب الشرقية واوروبا الغربية شغل هام ، وما يمكن أن يتجه من آثار على الصراع المتصاعد بين مختلف فصائل حركة التحرر الوطنى من جانب ، وبين الامبريالية العالية وعملائها من جهانب آخر . وعند تقدير آثار هذا الانعراج الدولى ، فان فصائل حركة التحرر الوطنى مستجد نفسها امام احد مؤلفين :

أولهما : أن تصرف على نحو يجعل الانعراج اضافة الى مصيد القوى الامبريالية وعملائها متغيره ستارا لاضاع تناقضاتها الدنية الجنية ، ويجبرا لقرأهى او حتى للأمنسلام .

ثانيهما : أن تدرس بعق ما يدور حولها من تطورات وان تعجر الانعراج منمطفا يفرص عليها ترقية اساليب واشكال صراعها ضد الامبريالية وتضديد الوحدة والاضباط بين صفوفها وتضديد مصالحها على مختلف الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسكسكية .

ولهذا ظم يكن غريبا ان يكون السؤال المطروح على مؤتمر الجرام عن تأثير الانعراج (الدولى) هلى سياسة عدم الانحياز هو اكثر الاسئلة اثاره للجدل . وقمايزت من اللحظة الاولى اجابتين مختلفتين على هذا السؤال . تكشف كل منهما للمواقع الحقيقية لاصحابها مع او ضد حركة التحرر الوطنى ونضالها . من اجل الاستقلال والتقدم . فبيما حاول البعض أن يفرغ سياسة عدم الانعياز من مضمونها التقمنى المادى للاستعمار والاستغلال بكل صوره واشكاله ، وأن يضع الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة على مسيد واحد ، فأند كان هناك من تصدى لهذه المحالفة ، مؤكدا ضرورة المحافظة على جوهر سياسة عدم الانعياز ومبينا خطورة الخروج بالانعراج في العلاقات السوفيتية - الامريكية من ايماده الحقيقية . فالاتحاد السوفيتى وقف دائما الى جانب الشعوب المناضلة ، بينما وقفت الولايات المتحدة ، وما تزال تقف ، ضد الشعوب . وهلى سبيل المثال ، لقد جبر الزعيم الكوبي فيدل كاسترو عن هذا الاتجاه الاخير حينما طلب ياداة الولايات المتحدة ، التى تدس يدها الاجرامية في كل مكان ، والى تساعد العنصريين وتقتال القادة الدوليين ، بدلا من الاساءة الى الاتحاد السوفيتى الذى يشكل حليفام استراتيجيا لدول التحرر الوطنى .

ومن الامور ذات الاهمية ان الاتحاد السوفيتى قد حرص على تحديد موقفه البناء ازاء مؤتمر الجزائر في رسالة يبع بها الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف الى الرئيس الجزائري هواري بومدين

قبل أيام من انعقاد المؤتمر وقد تضمنت هذه الرسالة تأكيداً لمجموعة من المواقف الميدانية الثابتة يأتي في مقدمتها :

أولاً : أن الاتحاد السوفيتي يرى في المؤتمر تدعيماً للجهود المبادية للاستعمار في العالم .

ثانياً : أن محاولة التفرقة بين الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز حتى تمادى الدول غير المنحازة المعسكر الاشتراكي هي محاولة لحرمان هذه الدول من حليفها الطبيعي والايد في التنمية والتقدم .

ثالثاً : أن الاتحاد السوفيتي لا يميز أو يفرق بين الكبار والصغار أو بين الأغنياء والفقراء ، ولكن خط التقسيم الحقيقي هذه هو بين قوى الاشتراكية والتقدم والسلام وبين قوى الاستعمار والامبريالية والرجعية .

أما على الجانب الآخر فلقد كانت رسالة الولايات المتحدة وعملاتها إلى المؤتمر مجموعة من الفاتورات والضغوط تهدف إلى الحد من قواعيته والتأثير بالسلب على نتائجها . ويشير المراقبون في هذا الخصوص إلى الضغوط الهائلة التي مارسها الولايات المتحدة على دول أمريكا اللاتينية لمنع رؤسائها من حضور المؤتمر ، وماتزال الأحداث الدامية التي جرت ضد الحكم الوطني التقدمي في شيلي شاهداً يدين الدور الأمريكي ضد الدول غير المنحازة . كذلك يرصد المراقبون التهديدات الأمريكية لليبيا خشية انقراض المؤتمر بسبب محاولتها للسيطرة على مواردها البترولية وتقليصها من قبضة الاحتكارات وحدث الهجوم على السفارة السوفيتية في باريس وهو الحادث الذي استنكرته منظمات الكفاح الفلسطيني المسلح كجزء من نفس الدور التخريري ليجنب الاهتمام بعيداً عن مؤتمر الجزائر .

ويطاول تقدير المراقبين لاعمال المؤتمر ومدى النجاح الذي أحرزه فنجد من يرى بأن الانفعالات والصراعات قد سيطرت عليه ومن ثم فانه حتى القرارات الايجابية التي اتخذها لن يكون لها شدة كبيرة في الواقع . وعلى العكس من ذلك يرى كثير من المراقبين ان التيار التقدمي في مجموعة عدم الانحياز قد استطاع ان يخرج بالمؤتمر من أسر الجدل العقيم ليقف به امام القضايا العملية التي تواجهها دول التحرر الوطني بما يتطلبه ذلك من تحديد للمواقف بشكل مباشر مع أو ضد الشعوب المنضلة . ويرى هؤلاء المراقبون أيضاً ان ما تخفض عنه المؤتمر من قرارات يعد خطوة ايجابية ان لم يكن بالتقدم إلى الامام فهي على الاقل بعدم التراجع إلى الخلف .

فهيما يتعلق بتقييم الدول غير المنحازة لاسئلة الانفراج في العلاقات بين الشرق والغرب اعان المؤتمر في بيانه الختامي « ان بلدان عدم الانحياز التي لم تفتأ تعمل من أجل السلم والوقضاء على عوامل التوتر عن طريق التفاوض والرجوع الى المجالس الدولية لغرب عن ارتياحها لكل هذه الجهود والمبادرات وتعتبرها مرحلة ايجابية على طريق استقرار السلام » ولكن البيان ينه مع ذلك الى انه « اذا كان تخفيف حدة التوتر قد احرز تقدماً فان صراع الشعوب مع الاستعمار والسيطرة والاحتلال الاجنبي والاستعمار الحديث والامبريالية والصهيونية سيظل حقيقة من حقائق عصرنا » كما انه البيان أيضاً الى خطورة زيادة حدة الانقسام في العالم عن طريق « قصر السلام على المناطق الفنية بينما يتعرض باقي البشرية لعدم الامن » ويجمع العديد من المراقبين على ان قضية الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية وقضية الكفاح الفلسطيني من أجل

● فيتنام وايران

■ فورت حكومتا فيتنام الديمقراطية وايران تبادل المظالم الدبلوماسية على مستوى سفارة ٥٠ ايران هي الدولة رقم ٦٠ التي فتحت سفارتها في هانوي ■

● الدول المستهلكة للبترول

■ عقد هيراء من لصح دول مستهلكة للبترول هي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمسايا الاتحادية وكندا واليابان وابطاليا وهولندا والنرويج اجتمعوا لخاصا في باريس في النصف الاول من الشهر الماضي لمعوا فيه الموقف في السوق العالمي للبترول بعد ارتفاع اسعار البترول العربي ووصد الاجراءات التي قامت بها الحكومة الليبية لفضان الاتراف على نشاط احتكارات البترول الامريكية . وقد اخطف المشترون في الاوضاع السرى في التوصل الى رأى موحد في التسمية لسياسة التوصل في المستهلك ■

● الارهاب في جنوب افريقيا

■ ذكرت صحيفة نوسى دويتشلاند كبرى صحف جمهورية ألمانيا الديمقراطية ان عدد الذين يشتقون سوابا بجنوب افريقيا هوالى ١٥٠ شخصا وعدد الذين يجادلون ٧٠ ألف شخص وعددالذين يقتلون ١٥٠ ألف شخص ■

استرداد حقوقه الوطنية والقومية المقتضية قد حظيت بأوسع الاهتمام في مؤتمر الجزائر ويرون أن المؤتمر قد تبني وجهة النظر التي طرحها الرئيس المصري أنور السادات وأكد فيها « أن قضية الشرق الأوسط هي اليوم أخطر القضايا التي تواجه عالمنا غير المنحاز » .

ويصف المراقبون القرار الخاص الذي افردته المؤتمر لهذه القضية بأنه أقوى القرارات التي صدرت بهذا الخصوص من أي تجمع دولي حتى الآن لصالح الشعوب العربية والشعب الفلسطيني ، وترجع قوة القرار - في تقديرهم - إلى أن القضية قد نوقشت في إطار كوبنهاغن قضية تحرر وطني ومواجهة للامبريالية الأمريكية والمنصرية الإسرائيلية المتحالفة معها .

ومن المواقف الجديرة بالتسجيل في نظر كثير من المراقبين أنه إذا كانت الحكومات الثورية في العالم قد حظيت بتأييد المؤتمر فأنه بالنسبة لحركات التحرير الستة عشر التي حضرته (١٤ حركة أفريقية - واحدتين أمريكيتين اللاتينيات - فلسطين) لم يكتف المؤتمر بإصدار ميثاق موحد لتبنيها ، وإنما أعلن أيضاً عن إنشاء صندوق للدعم تتولاه الدول الأعضاء وقد بدأت الدول العربية المنتجة للبتترول بالتبرع فمال هذا الصندوق .

ومن الجدير بالمسجلين أيضاً أن الدول غير المنحازة قد وعدت ببقية الارتباط بين التحرر السياسي والتحرر الاقتصادي فقد اسعرت مناقشة الجوانب الاقتصادية عن وضع ميثاق اقتصادي حقيقي لدول الجامعة يعلن مصيبتها على المشرحة الكاملة هي إدارة السجون الاقتصادية والمالية الدولية - واضعاً في الاعتبار الآثار السلبية التي تسببت بالنسبة لاقتصاديات الدول النامية نتيجة الأزمة السعيدة الدولية ومؤكداً ضرورة مشاركة الدول النامية في حل هذه الأزمة على أساس يحسم مصالحها المهددة . ودعا الميثاق الاقتصادي أيضاً إلى ضرورة أن تكون الاستثمارات الأجنبية في الدول النامية تحت إشراف حكومي مركزي وأن تحصل على تصريح مسبق من الدولة المعنية بما يضمن تناسقها مع عملية تنمية الاقتصاد الوطني وبشرط ألا تعمل في القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية . كذلك دعت القرارات إلى أن أي تأميم تقوم به دولة من الدول لاستعادة مواردها الطبيعية (البترول مثلاً في الوطن العربي أو النحاس في شيلي) هو حق من حقوق السيادة وإذا تعرض ذلك لأي إجراء مضاد فإن هذه المجموعة تجتمع لوضع « استراتيجية عمل جماعي يستهدف الحلول على تطبيق هذه الإجراءات وكذلك تفتاد الأثر الدائم لها ، كما أوصى المؤتمر بتشكيل منظمات للدفاع عن مصالح الدول المنتجة للمواد الأولية على غرار منظمة الأوبك . واللجنة الدولية للدول المصدرة للنحاس وتحقيقاً للتعاون بين الدول غير المنحازة يجري التفكير في إنشاء صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يستخدم في تمويل مشروعات الإنماء في هذه الدول . كذلك فقد اتفق المؤتمر على عقد دورة خاصة في العام القادم حول الاستعمار والتمييز المنصري . على أن تكون دورته العادية القادمة في كولومبو عاصمة سريلانكا عام ١٩٧٦ .

وفي النهاية فقد علق الرئيس اليجوسلافي جوزيب بروزيتي على أعمال مؤتمر الجزائر قائلاً « إن المؤتمر حدث تاريخي على درجة بالغة من الأهمية وأن نتائجه قد فاقت توقعاتنا » وعلى العكس من ذلك أعلن الرئيس التونسي بورقيبة أنه لن يحضر بعد الآن أي مؤتمر

● النضج في أمريكا

■ استند جورج ميني رئيس الاتحاد العام للعمل الأمريكي وهو من كبار القادة اللينينيين في الحركة النقابية الأمريكية زيام ٢٠ مندوب نقابي في أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية الرئيس نيكسون وحيله بحلولية المناقشة الاقتصادية المؤسمة التي أصبحت اسمها لمحيرة الأمريكيين . وقد ميني - مؤنزه الصحفي التلفزيوني في يوم العمل ٢ سبتمبر - مقارنة بين الوضع الاقتصادي الحالي حيث وصل معدل التضخم إلى ٨٪ بالموضع في عام ١٩٦٩ وهو عام تولى الرئيس نيكسون للسلطة حيث كان معدل التضخم ٤.٢٪ وكان نيكسون يعتبر هذا المعدل غير مقبول . واختتم جورج ميني مؤنزه قائلًا أن العمال والمعالين وحدهم قد أرغموا على تقديم تضحيات في مكافحة التضخم المبرحى أن يقوم به الحكومة ■

يمقد تحت اسم عدم الانحياز لما الرئيس الليبي معمر القذافي فقد قبل حينما صدقته وكالة الأنباء الليبية بعد المؤتمر عن رايه : ان مؤتمر « عدم الانحياز » كان ناجحا للغاية . لقد استطاع مؤتمر الجزائر ان يحتفظ بمهم الانحياز سياسة للتححر الوطني ومناقشة الاستثمار .

■ الصين :

المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني ٠٠ الصراع المستمر حتى بعد نهاية « لين ييساو »

على مدى ١٧ عاما عقد الحزب الشيوعي الصيني مؤتمرين وطنيين فقط . هما مؤتمر التاسع (ابريل ١٩٦٩) والعاشر (أغسطس ١٩٧٢) . وقد عقد المؤتمران في سرية كاملة . وكان المؤتمر الثامن قد عقد في سبتمبر عام ١٩٥٦ علنيا وبحضور عدد كبير من ممثلي الاحزاب الشيوعية والصمالية « الشقيقة » .

وقد كسر جدار الصمت الذي احاط بالمؤتمر العاشر ببيان صحفي صدر يوم ٢٩ أغسطس الماضي في بكين بعد تكهنات عديدة ظلت ترددها وكالات الأنباء والصحف الغربية لظلمة - نقلا عن مراسليها في بكين - بعضها يضمن ان مؤتمر الحزب الشيوعي في حالة انقراض وبعضها يضمن ان المؤتمر لم يعقد بعد وانما يجري الاعادله . وذهب البعض الى ان مئات السيارات والاف المندوبين الذين يشاهدون في ليالى متعاقبة داخلين الى او خارجين من قاعة الشعب في بكين انها هم ممثلي الاتحادات الصمالية التي جرت عملية اعادة تنظيم شاملة لها . وتعددت التكهنات الى ان صدر البيان الصحفي عن انعقاد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني خلال الفترة من ٢٤ الى ٢٨ أغسطس .

وبعد البيان الصحفي أخذت تتوالى « وثائق » المؤتمر وهي تتضمن فيما يلي (بالإضافة للبيان الصحفي) :

١ - التقرير السياسي الشامل الذي قدمه للمؤتمر شواين لاي رئيس الوزراء وعضو المكتب السياسي .

٢ - تقرير مراجعة دستور الحزب الشيوعي الصيني الذي قدمه الى المؤتمر وجه جديد شاب اثار صعوبة المصاحبة الى المجلس في الصنف الاول ، مع ماوتسي تونغ زعيم الحزب دهشة شديدة في جميع اوساط مراقبي الشؤون الصينية : وهو وان هون وين مؤسس « القيادة العامة » للثورة الثقافية في مدينة شنغهاي ١٩٦٦ .

٣ - الدستور الجديد (بعد المراجعة) للحزب الشيوعي الصيني ، وهو الدستور الثالث الذي يصدر عن ثالث مؤتمر على التوالي .

وقد كان جدول أعمال المؤتمر - كما حدده البيان الصحفي - مكونا من ٢ موضوعات :

- تقديم شواين لاي تقريرا سياسيا بالنيابة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني .

- تقديم وان هون وين تقريرا عن تعديل دستور الحزب نيابة عن اللجنة المركزية وتقديم مشروع الدستور المحدث .

- انتخاب اللجنة المركزية المباشرة للحزب .

والحقيقة الاولى الاساسية التي تدور حولها الوثائق المذاعة

● الشيوعيون ٠٠ كم عددهم ؟

■ في تقرير اعدد مكتب المعلومات التابع لوزارة الخارجية الامريكية ان عدد اعضاء الاحزاب الشيوعية العلنية في العالم يبلغ ٧٥٠٠٠٠ عضو . وقدر التقرير انه لا تزال ثوانين ٢٩ بلدا تحرم قيام احزاب شيوعية بها ■

حزب الكيبوتير :

■ تأسست شركة فرنسية - المانية غربية ، لمواجهة السيطرة الامريكية على سوق الكيبوتير في اوربا الغربية والمعروف ان امريكا توزع ما يزيد على نصف ما تستخذه اوربا الغربية من الكيبوتير بينما لا توزع الشركات الفرنسية والامانية الغربية الا ٢٨ فقط . . رتوى الشركة الجديدة طرح اجهزة كيبوتير متطورة ابتداء من الحسام القادم ■

للمؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني هي مسابقة « مؤامرة لين بياو » . فالحديث عنها يمتد على صفحات كاملة في كل من البيان الصحفي والتقرير السياسي لشوولين لاي وتقرير مراجعة الدستور . ونكا تكون هذه المؤامرة محور كل القضايا التي تتناولها وثائق المؤتمر ، بشكل يوحي بأن المؤتمر انمقد لتحقيق مهمة واحدة هي إعلان القضاء على « مؤامرة لين بياو » وزير الدفاع السابق الذي نص الدستور السابق للحزب الشيوعي الصيني على أنه خليفة ماوتسي تونغ في زعامة الحزب .

يقول البيان الصحفي عن المؤتمر :

« لقد أدان المؤتمر بسخط طفتلين بياو المعادية للحزب على جرائنها . وقد أيد كافة المنويين بحزم وعزم قراراً صادراً عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني طرد لين بياو الطماع البورجوازي والمتآمر والمخالف للمعادي للثورة والمردت والخائن من الحزب إلى الأبد ، وطرد تشين بودا (السكرتير الخاص لماوتسي تونغ) العضو الرئيس في طفتلين بياو المعادية للحزب والكومينتانجبي المعادي للحزب الشيوعي والتروفسكي والخائن وعميل العدو والمعرف طرداً أبدياً من الحزب وتقصيته عن جميع المناصب الحزبية وغير الحزبية . كما اجتمعوا على تأييد ما قرره اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشأن سائر الأعضاء الرئيسيين في طفة لين بياو المعادية للحزب ، وتأييد كل ما اتخذته من قرارات » .

ويقول التقرير السياسي لشوولين لاي في أول فقرة منه :

« أن المؤتمر الوطني العاشر للحزب الشيوعي الصيني يعقد في الوقت الذي تم فيه سحق طفة لين بياو المعادية للحزب ، وأحرر خط المؤتمر الوطني التاسع للحزب انتصارات عظيمة وساد الوضع المماز في داخل البلاد وخارجها ، وإنني بداية عن اللجنة المركزية أقدم إلى المؤتمر الوطني العاشر هذا التقرير ومواضيعه الرئيسية هي : حول خط المؤتمر التاسع وحول الانتصار في سحق طفة لين بياو المعادية للحزب وحول الوضع والمهام » .

ويقول التقرير عن تعديل دستور الحزب الذي قدمه وان هون وين العضو الجديد بالمكتب السياسي للحزب :

« لقد احتفظ في المنهاج العام من مشروع الدستور المعدل بما ورد في دستور الحزب الذي أجازته المؤتمر التاسع من نصوص خاصة بطبيعة حزينا وفكاره المرشدة ومنهاجه الأساسي وخطه الأساسي وغيرها مع أفضل بعض التعديلات على تركيبه ومضمونه . ولم تدخل على مواد الدستور الا تعديلات قليلة ، وخفض مجموع الكلمات بمض الشيء ، وشطب كل الفقرة الخاصة بالين بياو . في المنهاج العام من دستور الحزب الذي أجاز في المؤتمر التاسع هذا هو المطلب الاجتماعي لكل الحزب والحزب والشعب والنتيجة الحتمية لاحتباة لين بياو للحزب والوطن وقطيعة النهائية مع الحزب والشعب » .

والوثائق كلها بعد ذلك - سواء في تناولها للمسائل السياسية الداخلية للصين أو للعلاقات الخارجية - تكاد ترتبط كلها « بمؤامرة لين بياو » .

هكذا فإن المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني - وإن كان مجرد انمقاده يعطى مؤشراً إلى انتهاء مرحلة من الصراع داخله - إلا أنه يؤكد في الوقت نفسه استمرار هذا الصراع الحاد . ويؤكد أن الصراع لم ينته . . . وبمعنى آخر فإن عهد الهزات المستمرة الذي عاشته الصين منذ أوائل الستينات ستقعد ربما طوال السبعينات كلها على الأقل ■

● الدول المصدرة للبترول :

■ دعت بلدان العالم الرئيسية المصدرة للبترول إلى اجراء مفاوضات جديدة لزيادة أسعار البترول ، على أن تبدأ هذه المفاوضات في 8 أكتوبر 1973 ، وجاءت هذه الدعوة نتيجة لقرار الذي اتخذته مؤتمر منظمة الاوبك في اجتماعه الأخير بمينا .

وجاء في البلاغ الذي صدر في نهاية مؤتمر « أوبك » أن اتفاقات الأسعار الأساسية التي جرى التفاوض بشأنها في 1971 لم تعد تتناسب مع ظروف السوق الحالية والناقص المالي الكبير .

كما قررت « الاوبك » دعم فيما هي اية خطوات تتخذها ، لدعم تأهياها في الاونة الأخيرة - 70٪ من اسهم ثلثي شركات بترولية كبرى تعمل على أراضيها .

كما أعلن الأمين العام لقطعة « الاوبك » أن مؤتمر المنظمة سيبحث الاجراءات المناسبة لمواجهة أي اجراء جماعي تتخذه شركات البترول العالمية في مواجهة الخطوة القلبية .

والمعروف أن دول الاوبك توفر 70٪ من البترول الذي تستورده الدول الرئيسية في العالم الراسمالي ■

تحالف الاحتكارات العسكرية

رغم صغر حجم هذه الدراسة فإنها تتصف بدرجة من الشمول تستحق الإعجاب فعلا .. ويتبدى هذا الشمول في لبرين أولهما : التعرض لكافة جوانب القضية موضوع البحث بما يعطى صورة كاملة من الظاهرة ، وينبع فيها كاملا لها والثاني : أن كمية المعلومات والأرقام — ومعظمها من مصادر أمريكية — تؤكد أن كاتب الدراسة قد تتبع الظاهرة تاريخيا ، واحاط بكل تطوراتها ودقائقها .

■ التالي :

الكسندر ديكنز

وفي المقدمة يوضح الكاتب أن العسكرية ليست ظاهرة منعزلة ، مظهرها على المسرح العالمي ، ارتبط بظهور الملكية الخاصة والطبقات المستقلة . و « عسكرية اليوم » ، كما يقول ، هي امتداد ونمو للرحلة العليا من الرأسمالية — الإبريالية التي أكد لفنين أنها « تنقسم بادنى حد من الاهتمام بالسلام والحرية ، وباقصى حد من التطوير الشامل للعسكرية » .

■ الناشر :

وكالة توفوستي

للصحافة —

موسكو ٧٣

والمجمع الصناعي العسكري واحد من أحدث مظاهر رأسمالية الدولة الاحتكارية ، والاهتمام المشترك للصفوة الاحتكارية ولأجهزة الدولة بالانتاج معا سبب أساسي في تباينه .. أما السبب الثاني فهو تفاقم التناقضات الداخلية والخارجية للرأسمالية ، ونتيجة لهذا فان الدوائر الحاكمة تعمل على توسيع وتدهيم جهاز الردع والتدمير ، لاستخدامه في استعادة مراكزها المفقودة في العالم ، ولتهد الطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني .

ويقول ديكين : ان رأس المال الاحتكاري الذي
يستغل آلة الحرب ، يهتم كثيرا بسباق التسلح
وينبه كوسيلة أساسية لتحقيق اهدافه . وقد
أوضح **لينين** ان سباق التسلح يعتبر « منجم ذهب »
لرأسماليين ، وبالمثل فان الاحتكارات المنتجة
للحرب قد كفلت لنفسها أرباحا خرافية بعلاقتها
مع زبانتها من الحكومات والدول . ولكن سباق
التسلح يتم على حساب الاقتصاد ، وعلى حساب
مستوى معيشة الشعب . وقد أوضح **ماركسي** ان
« الحرب بالنسبة للاقتصاد لها نفس الأثر الذي
يحدث عندما تلقي إحدى الأمم بجانب من رأسها
في البحر » .

والواقع ان الاحتكارات الأمريكية ، وقد جنت
أرباحا هائلة من أوامر التوريد التي حصلت عليها
في الحرب العالمية الثانية ، عملت على الاحتفاظ
بهذا المصدر الغني للارباح المرحلة خلال السلم
.. وبالمثل فقد قدم **تشارلز ي . ولسون** رئيس
لجنة الانتاج الحربي الحكومية حينذاك ، ورئيس
جنرال الكرتيك ، خطط « اقتصاد حرب دائم » .
وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية عمل السياسيون
الأمريكيون « يسيرو النظر » مع قيادات الاحتكارات
على ارساء أسس سياسة مدعونة ، للإبقاء على
سباق التسلح في زمن السلم ، وطالبوا بأن يظل
الائتاق العسكري في مستوى ٢٠ مليار دولار ،
في حين ان هذه النفقات لم تتجاوز - قبل
الحرب - ٢ مليار دولار . وقد استمر هذا الرقم
في التناقص - للإبقاء على « اقتصاد حرب دائم »
حتى تجاوز ٨٠ مليار دولار في عام ١٩٦٨
و ١٩٦٩ .

وحول عهد الميزانية العسكرية ، يؤكد **المؤلف**
ان الضغط المروع على النظام المالي للولايات
المتحدة ، وعلى المركز الدولي للدولار ، الناجم من
التورط والائتاق العسكري ، كان هو السبب
الأساسي اللازمة للتقيد والمصالبة في الولايات
المتحدة ، ولتخفيض قيمة الدولار . وهذا هو
السبب الذي أجبر الولايات المتحدة على مراجعة
استراتيجيتها العسكرية والسياسية ، وجعلتها
تحاول ان تستقل - بصورة أكبر - قوى حلفائها
وتجلبهم جزئا من اعباء سياستها المدعونة .
خلاصة القول ، ان الائتاق العسكري في ميزانية
عام ١٩٤٨ ، بلغ ١١ مليار دولار ، ارتفع في عام
١٩٧٢ الى ٨٢ مليارا ، أي سبعة أضعاف .
ويعتقد **ويشماد بارنت** وهو خبير أمريكي معروف
في شئون نزاع السلاح والسياسة الخارجية ، ان
هذا الرقم سيمثل الى ٢٠٠ مليار دولار سنويا ..
ومع ذلك فان وزارة الدفاع ليست هي جهة
الائتاق العسكري الوحيد ، فهناك علاوة على
ذلك ، ميزانية كل من لجنة الطاقة الذرية ، وإدارة
الفضاء والملاحة الجوية ، و « المهنون »

العسكرية الأجنبية .. وتبلغ ميزانية لجنة الطاقة
الذرية - حوالي ٥٢ مليار دولار سنويا .. كما
ان ميزانية إدارة الفضاء والملاحة الجوية تبلغ
٢٢ مليار دولار سنويا .. وكل ذلك بالإضافة
الى تموينيات مشغولي الحرب (١٠ مليارات
سنويا لضحايا حرب كوريا) ، وفوائد الدين
القومي (٢٠ مليارا سنويا) . لقد قدرت الميزانية
العسكرية المباشرة وغير المباشرة في عام ١٩٧٢ ،
بحوالي ١١٥ مليار دولار ، أي نصف مصروفات
الميزانية الفيدرالية .

ولقد انفتحت الولايات المتحدة ١٥٠٠ مليار دولار
منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، على سياستها
المدعونة ، ويؤكد **كلان** الاخصائي الأمريكي
المعروف ، ان هذا الزخم يزيد ٥ مرات من إجمالي
الناتج القومي في عام ١٩٦٥ لكل بلدان أمريكا
الجنوبية وأفريقيا وآسيا (عدا اليابان) ، والتي
تضم ٢٠٠٠ مليون نسمة .. ويقول عالم الاجتماع
الأمريكي **بي . و . فيلر** ان الائتاق العسكري
بالنسبة لكل فرد ، زاد من ٢٥ دولار في عام
١٩١٢ ، الى ٢٥٠ دولارا في عام ١٩٥٢ ، وإلى
٤٠٠ دولار في عام ١٩٧٢ . ، ويقول **الكاتب** ان
للإتاق العسكري الضخم اثر معاكس تماما على
الاقتصاد الأمريكي ، كما انه يعوق حل العديد من
المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ويستشهد
يقول **جاس هول** السكرتير العام للحزب الشيوعي
الأمريكي ، الذي يؤكد انه « في الولايات المتحدة »
يرتبط تدهور مستوى المعيشة ، وبصورة وثيقة ،
بالسياسات المدعونة لأميرالية الولايات المتحدة ،
وبأزمة هذه السياسة . ان دولة اقتصادها هو
« اقتصاد الموت » لا يمكن ان تهتم بحاجات
الجساعير . وقد اعترف بهذا ممثلو الدوائر
الحاكمة أنفسهم . فقد أكد **السناتور ماكجوفرن**
مرشح الرئاسة في انتخابات عام ١٩٧٢ ، ان
المبالغ الضخمة غير الضرورية التي تنفق على
التسلح ، وعلى قوات أمريكا في أوروبا ، وعلى
حرب فيتنام ، لابد من اعادة توجيهها الى القطاع
الذي من الاقتصاد لزيادة المسألة المحلية ..
وهي من أهم المشاكل التي تواجه البلاد . وهاجم
أودارد كيندي اعتراف الحكومة بزيادة الائتاق
العسكري بمقدار ٢٢٦ مليار دولار في عام
١٩٧٢ ، وقال ان ما تحتاجه البلاد هو اتفاق
بليارات الدولارات على المدارس والإسكان
والخدمات الصحية .

والواقع ان الميزانية الفيدرالية هي الوسيلة
الأساسية لاعادة توزيع الدخل القومي لمصلحة
المجمع الصناعي العسكري ، الذي يؤدي تركزه
الى زيادة ارباحه من الأوامر الحكومية . ويتجلى
هذا التركيز في ان ١٠٠ مؤسسة تسيطر على
ثلث انتاج البلاد العسكري . أما الثلث الباقى
فيتوزع على ٢٢٠٠٠ مؤسسة . وفي عام ١٩٦٨ ،

حصلت ٢٥ مؤسسة على اوامر شراء عسكرية قيمتها ١٧,٧ مليار دولار ، ذهب نصفها الى خمس مقبسات منها . كما ان شركات استحوذت في عام ١٩٥٦ ، على اوامر شراء عسكرية قيمتها ٧,٤ مليار دولار ، وحصلت في عام ١٩٥٦ على اوامر قيمتها ٩,٤ مليار دولار ، وفي عام ١٩٦٨ على اوامر تبلغ قيمتها ١١ مليارات . ويؤكد فكتور بيرلو الاقتصادي الأمريكي ، ان احدى نسبة للربح هي ١٨ ٪ ، في حين ان متوسط الربح في الصناعات غير الحربية لا يتجاوز ١٠ ٪ ، وهذا امر اكثرت لجنة فرعية تابعة للكونجرس الأمريكي في عام ١٩٦٩ ، اذ أكدت ان الحكومة تعافقت مع شركات الاسلحة على مساوئها اجلئها ، وهو كسول ، يبيع ٢٥٠ مليون دولار ، بلغت تكاليف انتاجها ١٤٠٠ مليون دولار ، ايا الباقي ، وهو ١١٠٠ مليون دولار ذهبت ارباحا . كما حققت « وسنن الكريك » ارباحا قدرها ١١٢ مليون دولار من صفقة قدرها ٣٥٩ مليون دولار . ذلك حققت الشركات المسلحة في انتاج برنامج « ميتونين » نسبة ارباح تبلغ ٤٣ ٪ .

وحول « اركان حرب صناعي السلاح » يقول المؤلف انه من اكثر النسيب المجرى للجمع الصناعي العسكري بروزا ، هو وجود قطاع عسكري كامل في اقتصاد الولايات المتحدة ، تلعب فيه وزارة الدفاع الدور القيادي والتنسيقي الاساسي . لقد اصبح البنتاجون هو اركان الحرب الحقيقي لصناع السلاح ، وهو الذي يضع الخطط والاعتكاف التي تكفل ارباحا هائلة للاحتكارات الصناعية العسكرية . كما انه مركز الاشراف المالي والاداري على انتاج الاسلحة الاساسية .

ان الحكومة الأمريكية هي التي تقرر للاحتكارات العسكرية رؤوس اموالها الثابتة والمداولة ، وهي التي تحدد أسعار الشراء بصورة تكفل لهذه الاحتكارات ارباحا خرافية . والاشراف المالي على وضع خطط وتنفيذ نظم التصنيع الجديدة ، تتولاها ثلاث وكالات حكومية هي : وزارة الدفاع ، ولجنة الطاقة الذرية ، والادارة القومية للفضاء والملاحة الجوية .

وحول وضع العلم في خدمة العسكرية ، يروي الكاتب انه في اواخر الثلاثينات ، تقدم احد الكيماويين الى البحرية يطلب وظيفة . ولكن هذه رفضت ، لان مقدها كيميائي فعلا ولا تحتاج لاكثر من واحد . ايا اليوم فقد اصبح نصف العلماء والمهندسين الأمريكيين يعملون للبنتاجون بصورة مباشرة او غير مباشرة . ذلك ان صناعة الموت في الولايات المتحدة تسمى بصورة متزايدة الى استخدام ابتكارات العلم لخدمة اهدافها الربحية . لقد ادت سياسة الحكومة الأمريكية في زيادة الانفاق العسكري ، الى ارتفاع الاتفاق على

البحث العلمي لاهدافا عسكرية . علاوة على برنامج بانهاثان لصناعة القنبلة الذرية ، بلغت تكاليف الابحاث العسكرية ٥٠٠ مليون دولار سنويا ابان الحرب العالمية الثانية ، ارتفعت الى ١٢٠٠ مليون دولار سنويا خلال حرب كوريا ، ووصلت في السنوات الاخيرة الى ٥٠٠٠ مليون دولار . ويقول فيكين « ان عسكرية البحث في الولايات المتحدة ، تحرم القطاع المدني من البحث والتطوير من اربعة خضبة ، ومن عدد متزايد من العلماء ذوي المهارات العالية ، الذين يجتذبهم القطاع العسكري بالايجور العالية والتسهيلات العلمية الكبيرة . وفي عام ١٩٦١ ، اوضح استقصاء اجراه احد المراكز ، انه من بين ٥٠٠٠ عالم ومهندس يشتغلون في ابحاث البحث ، ٢٥٠٠٠ منهم يعملون في ابحاث « الدفاع والفضاء » ، ومن اسوأ مظاهر تأثير البنتاجون على البحث العلمي ، التركيز على انتاج الاسلحة الكيماوية والبيولوجية . وما يستخدم في هذا الصدد ميكروبات الكوليرا والالتهاب الرئوي والطاعون والتيفوس وغيرها . كما تمادق المنتسجون مع با يزيد من ٥٠ خضبة لتطوير الاسلحة الكيماوية . وتعاقد ايضا مع ٢٥٠ مخرسة علمية وكلية ، ومع ١٠٠ هيئة علمية للهدف نفسه .

ويؤكد الكاتب ان الكابيتول هو العليف الاساسي للمجمع الصناعي العسكري ، ويستشهد في هذا بالنتيجة الرسمية للكونجرس ، التي تقول انه من بين الـ ١٠٠ شيخ و ٤٥٠ نائب في الكونجرس رقم ٩١ (٦٨ - ١٩٧٠) ، كان هناك ٢٦٠ رجل قانون و ١٨٤ رجل بنوك ، ولكن ليس هناك شخص واحد من الطبقة العاملة . وكثير من هؤلاء السياسيين المستقرين شركاء لدوائر الاعمال الكبيرة . وتبين الارقام الرسمية ان ٣٨٩ عضوا من الـ ٥٢٥ عضوا في المجلس ، ممن عملوا في الجيش من قبل ، بالإضافة الى هالين فقط و ٨ مهندسين . وتقول مجلة « التقدم » الأمريكية انه مع هذه النوعية من العضوية لا يمكن قيام اي حركة مناهضة للحرب في المجلسين ، وليس هناك مايدعو للدهشة من ان البنتاجون يستخدم كسل المرواح لاتتاع الكونجرس بخططه . اذ يرسل موظفيه الرسميين « لافسلس » رجال الكونجرس وتدير كل المناورات لضمان الموافقة عليها . ويبلغ عدد هؤلاء الموظفين المكلتين بنقل المهمة ٢٤٠ موظفا ، لذلك لانه لكل ٣ اعضاء في الكابيتول ، اثنين من موظفي البنتاجون يتوليان اقناع ثلاثة من الكونجرس . وتقول الصحافة الأمريكية ان ٢٩٢ من بين ٤٣٥ عضوا في مجلس النواب ، يستبدون « مسوق حرب » لقد تحول المجمع الأمريكي الى شركة ليس للرقابة المعنية دور فيها .

الانتاجي من مئات الآلاف من الشباب القانزين
المجنين في الجيش ، وتخفيض الاستهلاك
الداخلي ، وسحب قوة بشرية ومالية وبأداة هائلة
من النشاط الاقتصادي الصادي * وفي هذا يقول
الاقتصادي الأمريكي كينيث « ان وزارة الدفاع
تسبب خسائر اقتصادية هائلة للولايات المتحدة :
فهي تخفض الاستهلاك المحلي بحوالي ١٥ في
المائة ، وتحول موارد هائلة الى موة التسليح *
كما انها تخفض معدل النمو الاقتصادي السنوي ،
بنسبة ربما تزيد عن ٢ في المائة » * ويورد المؤلف
عددا من الوقائع التي تؤكد اتساع نطاق الجبهة
المعادية للحرب داخل الولايات المتحدة والتي تضم
علماء وسياسيين وأبناء مشهورين *

والواقع ان كتاب الكسندر ديكنز - رغم صغر
حجمه يعتبر نموذجا ممتازا للتفسير السليم
والمبسط لواحدة من أعقد ظواهر عصرنا ، وهي
ظاهرة نمو وتضخم الجمع الصناعي العسكري
وابتلاعه لمجتمع بأكمله ، مخضعا طاقاته وامكانياته
المادية والبشرية - وهي هائلة فعلا في حائلة
الولايات المتحدة - لتحقيق أرباح مهولة حتى ولو
كان ذلك ، عن طريق تنمية وتطوير صناعة وتجارة
الموت والدمار الشامل *

وفيما يتعلق بسياسة « المونة » العسكرية
والتجارة في معدات الحرب ، تلعب الاحتكارات
الامريكية دورا أساسيا في تحديدها * اذ توضع
خطط بيع الاسلحة وأمدائها بمشاركة مباشرة من
شركات جنرال ديناميك ، وبوينج ، ولوكهيد ،
وجنرال إلكتريك ، ومكنونسل دوجلاس
وبوينغ إير كرافت ، وكرايذر * كما يشترك ايضا
ممثلو البنوك الأساسية : فريست ناشونال سيتي
بانك ، وتشيزمانهاتن بانك ، ومورجان جارانتلي
فريست كوهيلاني * وتستخدم المونة العسكرية
لغرض الشروط السياسية للولايات المقصدة ،
وتحقيق أرباح ضخمة للاحتكارات ، اذ تحتاج هذه
المونات الى صفقات تكميلية ، ويشترط فيها زيادة
اعداد قوات البلاد التي تلتفتها ومن ثم ضمان
مشتريات جديدة *

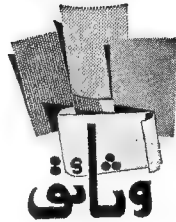
وفي ختام الدراسة يقول الكاتب : انه لو تم إلغاء
الاتفاق العسكري في ١٩٧٢ ، ووزع على الشعب
الامريكي ، لحصلت كل امرة من أشخاص على
١٦٠٠ دولار * وذلك في بلد تقول احصاءاته
بوجود ما يزيد عن ٢٠ مليون معوز * ولا تمثل
المسألة فقط في مجموع المبالغ المنفقة على الاتحاج
الحربي ، ولكنها تتضمن ايضا حومان النشاط

مناقشات مجلس الشعب

لمشروع قانون بتقرير بعض الاعفاءات

لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية

والضرائب والرسوم المحقة بها



« أصدر مجلس الشعب قانونا باعفاء صغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية المحقة بها .. ويمثل هذا القانون خطوة ايجابية هامة في تخفيف الاعباء على صغار الملاك الذين لا تزيد ملكياتهم الثابتة بمقدور مسجلة عن ثلاثة أفدنة وبشرط ألا تكون مئزرعة حدائق مثمرة .. »

وقد جرت في مجلس الشعب مناقشات هامة حول هذا القانون ، عبرت عن وجهات نظر مختلفة ، وعن مطلقات مختلفة في تناول المشكلة الزراعية في مصر ..

و « الطليعة » إذ تقدم نص المناقشة التي دارت حول هذا الموضوع في مجلس الشعب لتترك أنها انما تقيد نقرانها وثيقة سياسية هامة ..



① تقرير اللجنة المشتركة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والري

② المشروع كما ورد من الحكومة .. وكما عدلته اللجنة

③ مذكرة ايضاحية

④ مناقشات أعضاء مجلس الشعب

(١) تقرير اللجنة المشتركة من لجنة

الخطة والموازنة ومكاتب اللجنة

الاقتصادية واللجنة التشريعية

ولجنة الزراعة والرى

تداولهم ويتلقاين قبله الملك والمستشار
من هؤلاء الفلاحين الصغار .

وقد لاحظت اللجنة أن هذا المشروع
المقدم من الحكومة، ينظم هذا الإلغاء بما
يأتى :

١ - أن هذا الإلغاء الجديد يدخل
بالإغلاقات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠
لسنة ١٩٥٢ المشار إليه .

٢ - يتمتع بهذا الإلغاء الملك الذى لا
تزيد حصة مملكته من الأطنان فى أنحاء
الجمهورية على ثلاثة أطنان بدون أن تغلب
أن تكون هذه الملكية مسجلة ، وبذلك
تكون الحكومة قد استجابت للاعتبارات
العامة التى أثرت بشأن تطبيق هذا
الإلغاء وأصبح الطريق مفتوحا لآليات
الملك بكتابة الوسائل المقررة طبقا للتوزيع
العامة التى تجعل الأثر ووضع اليد من
أسباب كسب الملكية . وقد عهد المشروع
فى مادته الثانية إلى الرأى بمسح من موزين
المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية
بتحديد إجراءات الثبات الملكية .

وقد اطاعت اللجنة على الكتاب الدورى
رقم ١٧ لسنة ١٩٧٢ الذى أصدرته
مصلحة الضرائب العقارية والتى إجازت
فيه نقل تكليف الأطنان الموزونة إلى
إسماء الورثة دون حاجة إلى تسجيلها ،
لأنه لا يمس ملكية العقار بإجراءات إيتلافه
على شهر حق الأثر .

٣ - كذلك فقد لاحظت اللجنة أن
الانتقال بالإلغاء يمثل أيضا إلى الحائز
الذى لا تزيد حيازته فى أنحاء الجمهورية
على ثلاثة أطنان . ولكن الإلغاء فى هذه
الحالة يشمل الضرائب الإضافية وهى
صريتي الدفاع والامن القومي - وهى
الضرائب التى يصلحها المسجل أصلا
إذا كان الملك حائزا فى ذات الوقت ،
تسجل أسماء الضرائب الأصلية
والإضافية .

٤ - أن المشروع قد اشترط للإلغاء
فضلا عن عدم زيادة الملكية أو الحيازة أو
مجموعهما على ثلاثة أطنان ، ألا يكون
للممول خلف من أى مصدر آخر خلافا
للزراعة . وقد قصد النص من ذلك أن
يكون الإلغاء مقصورا على أصحاب
الدخول الصغيرة .

ونظرا لما تبين للجنة من أنه قد يكون
للكل " الحائز الصغير " دخل آخر
صغير من نشاط آخر ، ومن ثم فقد
استحسن أن يحدد هذا الدخل الآخر
الذى يمنع الإلغاء بما يتجاوز مائة
مليون جندى فى السنة . وقد روى في
ذلك أن هذا المبلغ هو الذى يمثل حصة
الإلغاء من الضرائب النوعية الأخرى .
٥ - أن الإلغاء لا يمتد إلى المدايق

المولدين الذين تجاوزوا الضريبة المربوعة
على أطنانهم أربعة جنيهات فى المستولا
تزيد على عشرين جنيها ، من أربعة
جنيهات من الضريبة فى السنة .

ألا أن هذه الاعلاعات المقررة بالفاتين
رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٢ المشار إليه ، لم
تتأق للفرص المقصود منها لما يزال
صغار الفلاحين ، على حد تعبير المذكرة
الإيضاحية للمشروع ، يسعون فى
التكليف العامة بتخصيص بلوق مقدرتهم ،
الامر الذى يجالى صورة المجتمع
الاستراتيجى الذى تسمى الدولة جاعدة إلى
تحقيقه . ومن ثم فأن يجب بين حين
وآخر النظر فى عادة توزيع أعباء
الضريبة والتكاليف العامة على نحو يتفق
وهذا المجتمع المتشود .

وقد كان هذا المشروع وهما لما أعلنته
الحكومة فى برنامجها فى ٢٦ من إبرول
سنة ١٩٧٢ أمام المجلس ، من إعفاء
جميع صغار ملاك الأراضي الزراعية ،
عدا الأراضي المنتزعة دوائق مشيرة ،
الذين لا تزيد ملكيتهم الشبنة يطود
مسجلة عن ثلاثة أطنان . من كافة
الضرائب الأصلية والإضافية ، وبإلغاء
عدهم ثلاثة ملايين من صغار ملاك
الأراضي الزراعية .

ولا شك أن هذا المشروع ، حسبما
قالت لجنة الرد على بيان الحكومة - هو
تأكيد لرعاية الرئيس أنور السادات
لصغار الفلاحين الذين يمثلون مع العمال
الروى القلادة فى تحالف قوى الشعب
العاملة ، كما أنه تنويع للتيسيرات الأخرى
فدمت للفلاحين فى العلم الماضى بتوجيه من
الرئيس ورعاية منه ، حين رفعت عنهم
الديون وقوائدها وتحملت الحكومة عنهم
تكاليف مقاومة الغلات .

وقد جاء هذا المشروع ، فيما لزمته
- بحق - لجنة الرد على البيان ، بإعفاء
دائم وعم بالنقاسة لصغار الفلاحين .
وهو بهذا المثابة يمثل إضافة ثابتة إلى

أعمال المجلس بجلسته المقررة فى ١٥
من مايو سنة ١٩٧٢ ، التى أقرت
المشتركة من لجنة الخطة والموازنة ومكاتب
اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية
ولجنة الزراعة والرى ، مشروع قانون
بتقرير بعض الاعلاعات لصغار الملك من
ضريبة الأطنان الزراعية والضرائب
والرسوم الإضافية الملقة بها ، فخطته
بجلستها المطوبة فى ١٩ من مايو سنة
١٩٧٢ ، وحضر اجتماعها السيد وزير
الدولة لشئون مجلس الشعب ، والسيد :
محمود اسماعيل مدير عام الضرائب
العقارية ، والسيد : محمد مهدى شومان
أمين أمارة الفلاحين باللجنة المركزية
للحزب الاشتراكي العربى .

لقد قررت اللجنة المشروع ومذكرته
الإيضاحية ، ورجعت إلى القانون رقم
١١٢ لسنة ١٩٦٩ الخاص بضمريبة
الأطنان ، فتبين لها أن هذه الضريبة تبلغ
١٥ فى المائة من الأجل السنوى وأن
الملك هو الذى يتحملها ، أما الضرائب
الإضافية وهى ضريبتا الدفاع والامن
القومى فيصلحها الحائز . وقد فرضت
ضريبة الدفاع بالقرار بملكون رقم ٢٧٧
لسنة ١٩٥٩ بفرض ضريبة إضافية للدفاع
المعمل بالقرار بملكون رقم ١٠٨ لسنة
١٩٧٢ والقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٥
بواقع ١٠ فى المائة من قيمة الأجر
السنوى للأراضي الزراعية المفروضة عليها
ضريبة طبقا لإحكام القانون رقم ١١٢
لسنة ١٩٦٩ المشار إليه ، كما فرضت
ضريبة الامن القومى بالقرار بملكون رقم
٢٣ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لأغراض
الامن القومى المعمل بالقرار بملكون رقم
٢٢ لسنة ١٩٦٨ . وذلك بواقع ٣ فى المائة
من الأجل السنوى للأراضي الزراعية .

كما رجعت اللجنة إلى القانون رقم
٣٧٠ لسنة ١٩٥٢ بتخفيف الضريبة عن
صغار ملاك الأراضي الزراعية : فتبين لها
أنه قد وافى من ضريبة الأطنان كل ممول
لا يتجاوز الضريبة المربوعة إلى أماليه
أربعة جنيهات فى السنة ، كما (على

موطن ؟ وتعمل المكافأة على ممارسة هذا الواجب من شأنها أن تضع القيمة الاخلاقية والوطنية لتوجب التبليغ .
واللجنة المتوافق على المشروع ، ترجو المجلس البورق الواقعة عليهم عدلا بالصيغة ارفقة .

وكيل مجلس الشعب
ورئيس اللجنة التشريعية
دكتور جمال العطيفي

تقد رات اللجنة إعادة صياغة بعض نصوصه على النحو المبين بمشروع المرقق .

كما رات اللجنة حذف نص المادة السادسة من المشروع والتي تجعل مكافأة ان يترصد عن يتفقد بالاعفاء بغير وجه حق ، وذلك لازواج التبليغ عن ارتكاب الجرائم والتحايل على القانون . هو واجب وطني يجب أن يضطلع به كل

المثمرة ، وتحديد ما يبعد بالحديقة الملمرة سينقله قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد بالاتفاق مع وزير العدل . وقررات اللجنة أنه من المناسب لوزير الزراعة معوزي المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية والعدل في إصدار هذا القرار .

وفي ضوء هذه الملاحظات واصحابا للصياغة في بعض نصوص مواد المشروع

(٢) المشروع كما ورد من الحكومة

٠٠ وكما عدلته اللجنة المشتركة

المشروع كما عدلته اللجنة

مشروع قانون

بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحق بها

باسم الشعب
رئيس الجمهورية

قر مجلس الشعب القانون الاتي نصه ، وقد أصدرناه :

(المادة الاولى)

مع عدم الإخلال بالإعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة عن صغار ملاك الأراضي الزراعية ، وعلى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الاضافية الملحق بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة اذنة .

وعلى من شرهيني الدفاع والامن القومي كل حائز لا تزيد حيازته بكافة انحاء الجمهورية عن ثلاثة اذنة . ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكية الشخص وحيازته عن ثلاثة اذنة وفي جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على أي مساحة متزعة بعدائق مشجرة .

المشروع كما ورد من الحكومة

قران رئيس جمهورية مصر العربية
بمشروع القانون رقم () لسنة ١٩٧٣
بتقرير بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الاضافية الملحق بها

باسم الشعب
رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ،
وعلى القانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٦٢ الخاص بشرية الاطيان ، والقوانين المعدلة ،
وعلى القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ بتخفيف الضريبة على صغار الملاك ، وتعديلاته ،
وعلى القانون رقم ٢٧٧ لسنة ١٩٥٦ بفرض ضريبة اضافية للدفاع ، والقوانين المعدلة له ،
وعلى القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ باصدار قانون نظام الإدارة المحلية ، والقوانين المعدلة له ،
وعلى القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٦ بشأن لجان الفصل في المنازعات الزراعية ،
وعلى القانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لافراش الامن القومي ، المعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٨ ،
وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٦٥٢ لسنة ١٩٦٣ بتحديد سعر الضريبة الاضافية على ضرائب الاطيان بدائرة المحاسنات ،
وعلى موافقة مجلس الوزراء ،

فصدر :

مشروع القانون الاتي نصه يقدم الى مجلس الشعب .

مادة ١ - مع عدم الإخلال بالإعفاءات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ المشار اليه وعلى من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الاضافية الملحق بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان يساوي انحاء الجمهورية عن ثلاثة اذنة .
وعلى من شرهيني الدفاع والامن القومي كل حائز لا تزيد حيازته يساوي انحاء الجمهورية عن ثلاثة اذنة .
ولا تسرى هذه الاعفاءات اذا زاد مجموع ملكية الشخص وحيازته عن ثلاثة اذنة وفي جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعفاءات على أي مساحة متزعة بعدائق مشجرة .

المشروع كما ورد من الحكومة

ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار إليها عدم وجود دخل للمول من أي مصدر آخر خلال الزراعة *

مادة ٢ - يصعد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، بالاتفاق مع وزير العدل ، قواعد تطبيق الاعفاءات وأجراءات إثبات الملكية والحيازة في مجال هذا القانون وكذلك طريقة مراجعتها وكيفية التنظيم منها والموايد المنضمة لذلك *

مادة ٣ - يستحق الاعفاءات المنصوص عليه في هذا القانون على أساس الملكية أو الحيازة أو كليهما معاً في أول يناير من كل عام يصرف الفطر عموماً عليها من تغيرات خلال السنة *

مادة ٤ - على كل مول يمتلك أويحوز ثلاثة أذنة فأقل في بنية واحدة أو أكثر ولا تكون ملكيته أويحازته بترعة كلها أو بعضها حدائق مثمرة ولا يكون له دخل يصرفه أحد الاعفاءات المنصوص عليه في المادة الأولى من هذا القانون من أي مصدر آخر خلال الزراعة ، أن يقدم إلى مديرية الضرائب العقارية المختصة أخطاراً بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون *

ويلتزم بتقديم هذا الأخطار في ديسمبر من كل عام كل مالك أو حائز يطرأ على ملكيته أو حيازته أو مصادر دخله تغيرات يقرّب عليها عدم تمتعه بالاعفاء *

مادة ٥ - كل مول تمتع بالاعفاء بدون وجه حق ، لإثباته بالأخطار المنصوص عليه في المادة السابقة بيانات فيسر صميصة مع طمعه بذلك ، أو لجأ إلى وسائل غير مشروعة ، قرب عليها تمتعه بالاعفاء بدون وجه حق ، التزم بإداء مئلي الضريبة التي أراد التهرب منها وفقاً للقرارات والأجراءات التي ينعدها قرار من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية *

مادة ٦ - كل من يرشد - سواء من الموظفين المختصين أو غيرهم - من أي مول يتبع بالاعفاءات بشير حق ، ينعج مكافأة تعادل ربع الغرامة التي يقرر فرضها على هذا المول *

مادة ٧ - ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ، ويعمل به اعتباراً من أول يناير سنة ١٩٧٢ وعلى وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية إصدار القرارات اللائحة للتنفيذ *

صدر برئاسة الجمهورية في ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٩٢ (١٤ مايو سنة ١٩٧٣)

أنور السادات

المشروع كما عدلته اللجنة

وفي جميع الأحوال لا تسري هذه الاعفاءات تسلياً إلى مساهمة مزرعة بعدائق مشروعة *

ويشترط للتمتع بالاعفاءات المشار إليها ألا يكون للممول دخل من أي مصدر آخر خلال النشاط الزراعي ، يزيد على ١٥٠ جنيه سنوياً *

(المادة الثالثة)

يحدد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، بالاتفاق مع وزير العدل ، قواعد تطبيق الاعفاءات وأجراءات إثبات الملكية والحيازة في مجال هذا القانون ، وكذلك طريقة مراجعتها ، وكيفية التنظيم منها ، والموايد المنضمة لذلك *

(المادة الرابعة)

كما هي *

(المادة الرابعة)

على كل مول يمتلك أويحوز ثلاثة أذنة فأقل في بنية واحدة أو أكثر ، ولا تكون ملكيته أو حيازته مزرعة كلها أو بعضها حدائق مثمرة ، ولا يكون له دخل يصرفه أحد الاعفاءات المنصوص عليه في المادة الأولى من هذا القانون من أي مصدر آخر خلال النشاط الزراعي ، أن يقدم إلى مديرية الضرائب العقارية المختصة أخطاراً بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون *

ويلتزم بتقديم هذا الأخطار في ديسمبر من كل عام كل مالك أو حائز يطرأ على ملكيته أو حيازته أو مصادر دخله تغيرات يقرّب عليها عدم تمتعه بالاعفاء *

(المادة الخامسة)

كل مول تمتع بالاعفاء بدون وجه حق ، بأن أثبت بالأخطار المنصوص عليه في المادة السابقة بيانات فيسر صميصة مع طمعه بذلك ، أو لجأ إلى وسائل غير مشروعة ، ترتب عليها تمتعه بالاعفاء بدون وجه حق ، التزم بإداء مئلي الضريبة التي أراد التهرب منها ، وفقاً للقرارات والأجراءات التي ينعدها قرار من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، يصعد هذا القرار كيفية التنظيم وموايد *

(المادة السادسة)

حذف *

(المادة السابعة)

(أصبحت المادة السابعة)

ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ، ويعمل به اعتباراً من أول يناير سنة ١٩٧٢ ، وعلى وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية إصدار القرارات اللائحة لتنفيذ *

يصمم هذا القانون بخاتم الدولة ، وينفذ كقانون من قوانينها *

(٣) مذكرة ايضاحية لمشروع

القانون رقم لسنة ١٩٧٣

بمقتضى بعض الاعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الإضافية الملحق بها
تتضمن ضريبة الاطيان الزراعية بعض الاعفاءات لصالح صغار الملاك مفعلة بالقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ لتتضمن فيما يلي :

(ا) يعفى من ضريبة الاطيان كل ممول لا تجاوز الضريبة المربوطة على اطيانه اربعة جنيهات فى السنة *
(ب) الممولون الذين تجاوز الضريبة المربوطة على اطيانهم اربعة جنيهات فى السنة ولا تزيد على عشرين جنهما يعلنون من اربعة جنيهات من الضريبة فى السنة ويشمل هذا الاعفاء الضريبة الإضافية على ضرائب الاطيان (رسوم مجلس المحافظة) .

والتابع ان هذه الاعفاءات لم تحقق اهدافها ، فلا يزال صغار الملاكين يساهمون فى التكاليف العامة بنصيب يلقى بكثير مفرطهم التكتيلية ، الامر الذى يتناقض مع صورة المجتمع الإشتراكي الذى تسعى الدولة الى تحقيقه ، ويتعين اعادة توزيع الاعباء الضريبية والتكاليف العامة على نحو يتفق والسياسات الاشتراكية التى تنتهجها الدولة *
لذلك فانه من الملائم فى هذه المرحلة من تاريخ السعي ان يعاد النظر فى النظم الضريبية وعلى الأخص ضريبة الاطيان الزراعية لى لها من اثر واضح فى حياة الملاكين من جهاين الملاكين وذلك بتقرير المزيد من الاعفاءات من تلك الضريبة لصالح الملاكات الصغيرة استنادا لمبدأ العدالة توزيع الاعباء الضريبية *
وقد روي تحقيقا لهذا الغرض اعطاء كل ممول لا تزيد الاطيان الزراعية التى يمتلكها او يحوها فى سائر اقسام الجمهورية على ثلاثة اذنة من ضريبة الاطيان الزراعية وخصمى الدعاوى والامن القومى والضريبة الإضافية على ضرائب الاطيان (رسوم مجلس المحافظة) اذالم تكن مزرعة حادق مفعلة حيث ان هذا النوع من الاراضى يحلق لصاحبه دخلا مجزيا ، ويشترط الا يكون للممول دخل من أى مصدر آخر خلاف الزراعة ، على ان تسمى هذه الاعفاءات بالإضافة الى

او يجوز ثلاثة اذنة خالفاً لى جهة واحدة او اكثر او لا تكون ، مكينة او حيازته مزرعة كلها او بعضها حادق مفعلة او لا تكون له مصادر دخل أخرى خلاف النشاط الزراعى ، ان يقدم الى مأمورية الضرائب الطارئة المختصة اخطاراً بذلك خلال شهرين من تاريخ نشر القانون والزمّت كل مالك او حادق نظراً على ملكيته او حيازته تغييرات او يستجد له مصدر دخل مما يترتب عليه عدم تمتعه بالاعفاء بتقديم هذا الاخطار فى ديسمبر من كل عام *

وحددت المادة الخامسة الجزاءات التى توقع على كل ممول يتعمد بالإعفاء بدون وجه حق ولا يقدم اخطاراً ، او يثبت باخطارته بىئات غير صحيحة او يبالغ فى وسائل غير مشروعة يترتب عليها تمتعه بالاعفاء بغير حق *

ونظراً لما بحث من متاعب او لحايل يصعب كشفه للاستفادة بأحكام هذا القانون بغير حق ، فله نصت المادة السادسة على منح مكافأة لكل من يرفع من أى ممول يتعمد بهذا الاعفاء بدون وجه حق ، تشجيعاً على كشف هؤلاء الممولين *

ونصت المادة السابعة على ان ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعلن به من اول يناير سنة ١٩٧٣ نظراً لسنوية الضريبة ويظهر لى الاعفاء بين جهامين الملاكين الترتيبية لحركات الاصلاص والتصحيح *

كما نصت على لى وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذ القانون *

وتتشرف وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بعرض مشروع القانون المرافق ، وجاء اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستصداره *

نائب رئيس الوزراء
وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية

جكتور عبد العزيز حجازى

وتحقيقاً للمرونة وتيسيراً للاجراءات نصت المادة الثانية على ان يحدد وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بقرار منه بالاتفاق مع وزير العدل قواعد تحديد المكى فى نطاق هذا القانون ونظم الاجراءات والمراجعة والتتلم *

ونصت المادة الثالثة على ان يستحق الاعفاء على أساس المكى او الحيازة فى اول يناير من كل عام يصرف المنظر عن التغييرات التى تطرأ على المكى او الحيازة نتيجة التصرفات التى تتم خلال السنة *

والزمّت المادة الرابعة كل ممول يمتلك

(٤) مناقشات أعضاء مجلس الشعب

(١) تقرير اللجنة الخاصة المشكلة من لجنة الصحة والموازنة مع مكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والري عن مشروع قانون بتقرير بعض الإعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب الإضافية الملحق بها .

انضم الى الكتاب الاتي :

السيد رئيس مجلس الشعب
السيد طيبة ، وبعد فافتتح بان اقم اسمائكم ، مع هذا ، تقرير للجنة المشتركة ، عن مشروع قانون بتقرير بعض الإعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الإضافية الملحق بها ، رجاء عرضها المجلس .

وقد اختارت اللجنة السيد العضو الدكتور محمود القاضي ، مقرراً لها فيه امام المجلس .
ونفذوا بقبول وافق اللجنة وعميق الاحترام .

١٩٧٣ - ٥ - ٢٥

وكيل مجلس الشعب
ورئيس اللجنة المشتركة
دكتور جمال الطفيلي

رئيس المجلس :

يفتح السيد المذوق *
السيد العضو الدكتور محمود القاضي [القرار] :

اهل المجلس جلستهم المعقودة في ١٥ من مايو سنة ١٩٧٣ ، الى اللجنة المشتركة من لجنة الصحة والموازنة ومكاتب اللجنة الاقتصادية واللجنة التشريعية ولجنة الزراعة والري ، عن مشروع قانون (١) بتقرير بعض الإعفاءات لصغار الملاك من ضريبة الاطيان الزراعية والضرائب والرسوم الإضافية الملحق بها ، مفترضة بجلستهم المعقودة في ١٤ من مايو سنة ١٩٧٣ ، وحضر اجتماعها السيد وزير الدولة لشؤون مجلس الشعب ، والسيد محمود اسماعيل مدير عام الضرائب العقارية ، والسيد محمد عدوي شومل ، امين لجان الفلاحين بالسلطة المركزية للاقتصاد الاشتراكي للري .

نظرت اللجنة المشروع ومذكرته الإيضاحية ، وروعت الى القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ الخاص بضمريبة الاطيان ، فتبين لها ان هذه الضريبة تبلغ ١٤ في المائة من الإيجار السنوي وأن

المالك في الذي يتصلها ، أما الضرائب الإضافية وهي ضريبة الدفاع والامن لقروض يتصلها الحاش . وقد فرصت ضريبة الدعام بالقرار بقانون رقم ٢٧٧ سنة ١٩٥٦ بفرض ضريبة اضافية للدعام المعدل بالقرار بقانون رقم ١٠٨ لسنة ١٩٦٢ والقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٥ بواقع ١٠ في المائة من قيمة الإيجار السنوي للاراضي الزراعية المروضة عليها ضريبة . طبقاً لأحكام القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٦٢ المشار اليه ، كما فرضت ضريبة الامن القومي بالقرار بقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٦٧ بفرض ضريبة لاغراض الامن القومي المعدل بالقرار بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٨ وذلك بواقع ٢ في المائة من الإيجار السنوي للاراضي الزراعية .

كما رجعت اللجنة الى القانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بتخفيف الضريبة من ستة ملاك الاراضي الزراعية ، فتبين لها انه قد اُخذ من ضريبة الاطيان كل ممول لا تجاوز الضريبة الأوروبية على اقليله أربعة جنيهات في السنة ، كما اُخذ من اموال الذين تجاوزوا الضريبة المربوطة على اقليلهم أربعة جنيهات في السنة ولا تزيد على عشرين جنيهاً ، من أربعة جنيهات من الضريبة في السنة .

الا ان هذه الإعفاءات المقررة بالقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ المشار اليه ، لم تحقق الفرض المقصود منها لما يزال صغار الفلاحين ، على حد تدبير الفكرة الإيضاحية للمشروع ، يسمون في التكاليف العامة بنسب يوق عثرتهم ، الامر الذي يجلي بصورة المجتمع الاشتراكي الذي تسعى الدولة جامعة الى تحقيقه ومن ثم فانه يجب بين حين وآخر النظر في إعادة توزيع الاعباء الضريبية والتكاليف العامة على نحو ينافي وهذا المجتمع للشود .

وقد كان هذا المشروع ولما له اعطته الحكومة في برنامجها في ٢١ من أبريل سنة ١٩٧٣ امام المجلس ، من اعطاء جميع صغار ملاك الاراضي الزراعية عدا الاراضي المنزعة دوائك مشرة للفلاحين لا تزيد ملكياتهم الثابتة بمقدور مسجلة عن ثلاثة افدنة ، من كالة الضرائب الاصلية والإضافية ، والبالغة عدهم ثلاثة ملايين من صغار ملاك الاراضي الزراعية .

ولا شك ان هذا المشروع ، جميعاً

ثالث اللجنة الدائمة الى بيان الحكومة ، هو تأكيد لواجب الرئيس انود السادات صغار الفلاحين الذين يثقلون مع العمال القوى العاملة في تصالف لوى الشعب العاملة ، كما انه تنويع لفرص اخرى قدمت للفلاحين في العام الماضي بتوجيه من الرئيس ورعاية حله ، حين رفعت عنهم الدين وغرأشما وتحملت الحكومة عنهم تكاليف مقاومة الآفات .

وقد جاء هذا المشروع ، ليساً انزاله - بحق - لجنة الزراعة والري ، باعلاؤه دائم وعام بالنسبة لصغار الفلاحين ، وهو بهذه الخطة يمثل احملة ثابتة في دخلهم وينقسم فضل المالك في المستاجر من هؤلاء الملاكين الصغار .

وقد لاحظت اللجنة ان هذا المشروع ، مقدم من الحكومة ، ينظم هذا الاعلاء بما يأتي :

١ - ان هذا الاعلاء الجديد لا يدخل بالاعلاء المقررة بالقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ المشار اليه .

٢ - يقتصر بهذا الاعلاء المالك الذي لا تزيد جملة ما يملكه من الاطيان في اعماله الجمهورية على ثلاثة افدنة ، دون مطلب ان تكون هذه الملكية مسجلة ، وبذلك تكون الحكومة قد استجابت للاعتبارات العملية التي اثيرت بشأن تطبيق هذا الاعلاء ، واصبح الطريق مفتوحاً لتثبيت الملكية بكافة الوسائل المقررة طبقاً للقواعد العامة التي تجعل الارث ووضع اليد من اسباب كسب الملكية . وقد عهد المشروع في مادته الثمانية الى قرار يصدر من وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بتنفيذ اجراءات الجيات الملكية .

وقد اطلعت اللجنة على الكتاب الدوري رقم ١٢ سنة ١٩٧٢ الذي تصدقته مصلحة الضرائب العقارية والتي اُجابت فيه على تكليف الاطيان المروضة التي لاسماء الورثة دون حاجة الى تسجيلها لان انتقال ملكية العقار بالورث لا يتوقف على شيوخ الارث .

٣ - كذلك فقد لاحظت اللجنة ان التنازع بالاعلاء يندك ايضاً الى الحائزين الذي لا تزيد حيازته من اعماله الجمهورية على ثلاثة افدنة - ولكن الاعلاء في هذه الحالة يشمل الضرائب الإضافية وهي مبريتي الدفاع والامن القومي - وهي لضررائب التي يتصلها المستاجر اصلاً - فلذا كان المالك حائزاً في ذات الوقت ، شمل الاعلاء الضرائب الاصلية والإضافية .

٤ - أن المشروع قد اكتسب أهمية خاصة ، فضلاً عن عدم زيادة الملكية أو الحياة أو مبرمها على ثلاثة أمتدة ، ولا يكون للممول دخل من أي مصدر آخر بخلاف الزراعة . وقد قصد النص من ذلك أن يكون الإلغاء مقصوراً على أصحاب الحقول الصغيرة .

ونظراً لما تبين للجنة من أنه قد يكون للمالك أو المالك الصغير دخل آخر صغير من نشاط آخر ، ومن ثم قد استغنى عن عمد هذا الدخل الآخر الذي يبلغ الإلغاء بما يحوّل مسألة وخسين جنباً إلى السنة ، وقد روعي في ذلك أن هذه المبلغ موا الذي يمثل حد الإلغاء من الضرائب النوعية الأخرى .

٥ - أن الإلغاء لا يمتد إلى الحدائق المشجرة ، وتحتوي ما يمتد بالحديقة المشجرة سيستمه الرأب يسفر من وزير المالية والاقتصاد والاتصال مع وزير العدل . وقد رأت اللجنة أنه من المناسب أن يشترك وزير الزراعة مع وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية والعدل في إصدار هذا القرار .

وفي ضوء هذه الملاحظات وأحكامها للمصلحة في بعض النصوص مواد المشروع . فقد رأت اللجنة إعادة صياغة بعض نصوصه على النحو التالي بالشروط

التي : كما رأت اللجنة حذفت نص المادة السادسة من المشروع والتي تجعل مكاناً لمن يملك من يملك بالإلغاء بفرض وجه حق ، وذلك لأن واجب التبليغ من ارتكاب الجرائم والمخالفات على القانون ، هو واجب وطني يجب أن يفسطع به كل مواطن وجعل الكفاءة على ممارسة هذا الواجب من شأنها أن تضع اليد الانخلاء والوطنية لواجب التبليغ .

واللجنة إذ توافق على المشروع ، وترجو المجلس الوفاق الوافقة عليه معدلاً بالصيغة التالية :

رئيس المجلس :

والآن ، هل لآحد من حضراتكم ملاحظات على مشروع القانون من حيث

السيد العضو السيد السعيد البيلي :

أتوجه بالسؤال حول نقطة معينة ، وقد ورد في التقرير : الملكية بغترة مسجلة ، ثم جاء بالفقرة الثانية من نفس التقرير : الطريقة التي يمكن أن يثبت بها المالك أو المالك ملكيته للثلاثة الأمتدة .

رئيس المجلس :

إن المناقشة الآن حول مشروع القانون من حيث البدء ، فما هو رأي السيد

السيد العضو السيد السعيد البيلي :

أنتي أؤيد مشروع القانون من حيث البدء .

السيد العضو السيد السعيد عبد الحليم السعدي :

من حيث البدء ، أقول أنتي أؤيد هذا المشروع بقانون لما سيحققه من فوائد لسفائر اللاجئين ، حيث سيؤدي إلى زيادة في دخلهم ، وهذا ما كتبه للقانون وجاء به في مذكرته الإيضاحية .

والواقع أن مشروع القانون يوضح هذه الفاية للعناية التي استعملتها الحكومة ، وإلى اعتقاد أن هذا المشروع يحدر الفلاح من ضغط الصيرفة ، والخوف من توتيع المحرر عليه لسداد الدين ، إن هذا القانون إنساني في هذه الأساس لأنه يحل للمواطن الصغير العيش في عزه وكرامة .

ولكن يعني أن أبرز لحضراتكم ، أن لي بعض التحفظات على هذا المشروع بقانون ، ولقد أرسلت للسيد الأستاذ رئيس المجلس اقتراحاً بشأن تعديل المادة الأولى من هذا المشروع بقانون ، كذلك كنت أرجو أن ينظر إلى المواطنين الذين أصبحوا أراضيهم نتيجة النقص ، وأذكر على سبيل المثال بعض أراضي مركز الدعوة بمحافظة المنيا ، فقد تدهور دخل اللاجئين هناك إلى حد الكفاف لدرجة أن بعضهم الجاهل اغتصب من النقص ، ويرجع هذا إلى خطأ المسؤولين حين مشروع استصلاح الأراضي في شمال سيناء وليس مركز الدعوة . إن الأراضي التي كانت تنتج (١٢) أرباً أو (٧) (٨) قنطرة من القطن لم تعد تنتج هذا القدر ، ولهذا أرى أن الإلغاء طالما أنه يستهدف زيادة دخل المواطن الفقير ، فيجب أن يشمل أيضاً هؤلاء الذين أصبحوا أراضيهم وشكراً .

السيد العضو عبد الرحيم القوي :

أنتي أؤيد مشروع القانون من حيث البدء ، ولكن هناك بعض النقاط التي أود الوقوف عندها ، ومثال ذلك محافظة قنا ومن المعروف أنها محافظة متخلفة جداً ، وقد كان السائد عند الترشيع لمنسب المدنية أن تمر العائلة على أن يبقى التكليف كما هو أي حوالي (٥٠) أو (٢٠) أو (٢٠) فدنا وما زالت الحال كذلك ، ونلاحظ أن اعتبار وضع اليد هو الشيء الأساسي في الزراعة كثيراً ما أدى إلى مشكلات الكثار المتفشية في محافظتنا ، لذلك أطلب أن تكون الاستمارة (هـ) التي يحاسب المزارع على أساسها ، هي المرجع في تطبيق هذا القانون .

رئيس المجلس :

أعتقد أن الموضوع أصبح واضحاً ،

فإن ثمة نقاش حثراتكم على أنثال باب المناقشة ؟

رئيس المجلس :

(موافقة) -
الرائق من حضراتكم على مشروع هذا القانون من حيث البدء ، وتفضل برفع يده .

رئيس المجلس :

يتفضل السيد المقرر بقراءة مواد مشروع هذا القانون لأخذ الرأي عليها مادة مادة .

المقرر :

(المادة الأولى)
مع عدم الإخلال بالأحكام المقررة بالقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٥٢ بتعطيل الضريبة من صفار ممتلكات الأراضي الزراعية ، وعلى من ضريبة الأراضي الزراعية والضرائب الإضافية المنسقة بها كل مالك لا تزيد جملة ما يملكه من الأراضي بكافة اتعاء الجمهورية عن ثلاثة أمتدة .

وعلى من ضريتي الضمان والامن القوم كل حائز لا تزيد حيازته وكافة اتعاء الجمهورية عن ثلاثة أمتدة .

لا تسري هذه الأحكام إذا زاد مجموع ملكية الشخص وحيازته عن ثلاثة أمتدة .

وفي جميع الأحوال لا تسري هذه الأحكام على أراضي مساحة منزعة من حيازته منسقة .

ويستثنى للمنتسب بالإلغاءات المشار إليها ألا يكون الممول دخل ، من أي مصدر آخر بخلاف النشاط الزراعي ، يزيد على ١٥٠ جنباً سنوياً .

رئيس المجلس :

هل لآحد من حضراتكم ملاحظات على هذه المادة ؟

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

السيد رئيس المجلس ، السادة الأعضاء :

يعني قبل الدخول في مناقشة هذه المادة أن أعرض على حضراتكم الطبيعة التي تحكم تقديم هذا المشروع من أساسه .

إن الهدف من تقديم هذا المشروع يتعلق أصلاً بضرورة طارية وليس بضرورة الدخل ، فهذه ضريبة على الأرض ، وليست ضريبة على الدخل الزراعي ، إذ لم يهدف في مصر حتى الآن بالضرائب على الدخل الزراعي .

إن هذا المشروع موجه أصلاً إلى صغار الملاك ، والمزارعين الذين يملكون الأرض بأنفسهم ، ويستخرجون خيراتها ، وبذلك يمس المشروع طائفة كان من واجب الدولة أن تحصل عليهم عبء التكليف العامة ، ومن هنا ارتبط المشروع في أهدافه

ومثلثاته وإلى هيئته بمالك الأرض الذي عده الزراعاء دون غيرها . وكذلك أريد المصالح التي يستأجر ثلاثة أقدنة ويطبخ الأرض بنفسه ، هاتان هما اللتان للثالث لصد المشروع حينئذ من جهة الضريبة ومن التعديلات الخاصة بالمصرف ، وبالمستندات التي أخرها لثالث أو مقلتا في موضوع الدخل الزراعي والضرائب الأخرى غير الزراعية لوجئنا أخشفاً نفرض على تعديلات محاسبية ، وعلى سبيل المثال لو أن هناك فرداً يملك ثلاثة أقدنة وله في الوقت ذاته مصادر دخل أخرى ، فإن الأمر يستلزم محاسبته ضريبة ، ونعرب جميع الشكالات المتعلقة بعملية المحاسبة عن حراتب الدخل ، مثلما البذل والعلاق وغيرها ممن يعملون في القرية ، أو أمثلنا الفسلى في مشروع الفسول الأخرى ، لو يجب أن نحاسب هؤلاء الناس على الدخل الناتج عن التجارة أو المنة أو الصرفة ، ويكون قانون الإصاف الخاص بالضريبة على الملكية مرتبطاً في هذه الحالة بالمحاسبية من نتائج أعمال هؤلاء الأفراد ، بحيث إذا زاد الدخل أو نقص يكون لازماً علينا أن نتابع هذا الدخل ، وبالتالي سوف نحتاج إلى جهاز آخر للقيام بهذا العمل ، أو على الأقل سيكون ذلك حثاً على جهاز الضرائب العالي .

لذلك فإن الشخص الوارد من المحكومة وأصبح كل الشخص ، في تصديق الصناديق من المشروع فإنه من يملك أو يجر ثلاثة أقدنة بشرط أن يعمل بيده وأن يكون دخله الرئيسي من الزراعة ، وبعين لا يكون له دخل آخر ولا يحتاج هذا الأمر إلا إلى القرار بذلك ، ولا بدخلنا في مشكلات خاصة بالمحاسبية ، لأننا عندما ندخل إلى رقم خاص بالمحاسبية ، قد تثار تعديلات حول لباس الدخل ، وفي هذه الحالة نحتاج لإجراء عملية محاسبية لكل فرد يجر أي قدر من الأرض ، وهناك أمثلة أخرى لقد يتكسب البعير ٢٠٠ أو ٥٠٠ ١٠٠٠ جنيه ويملك ناداً واحداً ومؤلفاً لمصورين بدافعاً بأعماله التي استودع مشروع هذا الفسولون ، ولا يسرى عليهم التكاليف الواردة هكياً والمثلث بأربعة جنيهات .

وصوف الخضم ما سبق فيما يلي :
١ - يستوف المشروع أصلاً المالك أو المصالح الذي يستأجر من أرضه ويؤجرها بنفسه ويعيش من دخله .
٢ - أي الصنف له دخل آخر ، ولا يكون دخله الخاص من الزراعة ، يجب استيعاده ، حتى لا تدخل في تعديلات القياس الخاص بالدخل من المصادر الأخرى .

٣ - في حالة عدم الإصاف ، فإن قانون التخليط العالي موجود وهو أربعة جنيهات أو لا تزيد ضريبة العقارية على هذين جنباً . لقد أردت بهذا أن أشرح التخليط الرئيسية المشروع ، وإهم ما

اليد إليه هو أن مشروع هذا القانون يتعلق بصيرب أرض مصرية سيه . ضريبة عقارية ، ولا يتعلق بصيرب دخل وشكراً .

رئيس المجلس :

أي أن سيادتكم ترون الإبقاء على المادة كما وردت في مشروع الحكومة .

السيد الدكتور سائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية : نعم .

السيد العضو أحمد دويش : سيد رئيس المجلس ، السيد

الزيملاء .
عندما أعلنت الحكومة عن قرارها بإعطاء صفات المزارعين والمالك الذين يوزعون ثلاثة أقدنة فإل من ضريبة الإطيان الزراعية والضرائب والرسوم الإضافية المتعلقة بها ، فرح الجميع ومثل لهذا القرار ، إلا أنني أرى أن المشروع المعروض علينا الآن أتي بتدريج شديد من التمتع بهذا الإصاف ، ففي الوقت الذي كنا فاعل فيه أن يحقق هذا المشروع للفلاح التخلص من الأجهزة العلية التي تقوم بتجميع هذه الأموال ، نجد أنه يسحب ثوباً صرف يترتب عليها ضرورة إقامة جهاز آخر يقوم بمحاسبية هؤلاء المالك ، لفرقة ما إذا كانت لديهم دخل آخر أم لا ، ولا شك أن هذا يتناقض مع الهدف الذي وضع من أجله المشروع وقانون . وفي تقريرنا ، أن عدد المصنوعين من هذا المشروع يصل إلى حوالي مليون ونصف ما بين حائز ومالك وهم يملكون حوالي نصف المالكين في جمهوريتنا ، ومعاً لا شك فيه ، أن هذا العدد يحتاج إلى ما لا يقل عن عشرة آلاف موظف متخصصين ، كي يقوموا بمراجعة أوضاع هؤلاء المالكين ، لفرقة مقدار دخلهم من الأعمال الأخرى أو ربح .

ولقد تقدمت الحكومة بـ مشروع هذا القانون برفع الضرائب عن صغار الفلاحين الذين يملكون ثلاثة أقدنة فإل ، ويترك ما يستحقه المولة في هذا الشأن بما يتراوح بين خمسة وستة ملايين من الجنيهات ، وهذا مبلغ بسيط رات الدولة التي تلتزم رعاية هؤلاء الفلاحين . ومن هذا ، فإني أرى أن هذا الإصاف يجب أن يكون مطلقاً ويوزع قيد أو شرط . وبخاصة أن هذا الخلف الذي يستحقه الدولة بال كثيرًا عما تحصله حين قررت أن تتحمل نصف تكاليف مقاومة بودة الفلاح ، وهي حين قررت ذلك لم تضع أي شرط لتلغى هذا الحق ومن هذا لقد استأخذ جميع الفلاحين بهذا القرار حتى من كان يملك منهم خمسين دنًا مؤزوعة

فقط ، ولقد المساحة كانت كالكثير منقودة ألاتات لها تصل إلى ٥٠٠ جنيه . تعديت الحكومة منها ٢٥٠ جنيه ، فمن هذا المنطلق فإني أرى أن من يملكون أو يوزعون ثلاثة أقدنة فإل ، أو ليس بالقرية ، ولهاذا أرى إعطاء من يملك ثلاثة أقدنة فإل من الضرائب والرسوم دون أي قيد أو شرط ، لأن ذلك الذي وضعت اللجنة الواردة في الفقرة الأخيرة من هذه المادة ، سوف يفي كل ما نولفاه من خير يعم هؤلاء المالكين من هذا المشروع ، لهذا فإني أطلب وإلغاء الفقرة الأخيرة من هذه المادة ، حتى يكون الإعفاء مطلقاً لكل من يملك ثلاثة أقدنة فإل بلا أي قيد أو شرط . (تصليق)

السيد العضو مصطفى كامل مراد :

في المشروع الذي تقدمت به الحكومة كن يفي في فقرته الأخيرة بالاً يتمتع بهذا الإعفاء كل من كان له دخل من مصدر آخر ، إلا أن اللجنة رأت ، وتقديرًا ، أن هذا يطرح بعض المزارعين الذين يصنعون في أعمال أخرى ، مثل البقال أو الصانع وغيره من صغار المزارعين ، أن تأخذ حلاً وسطاً ، فإت أن تحمل المادة بحيث تسمح بالتجمع بهذا الإعفاء للأرض الذي لا يزيد دخله من أي مصدر آخر على ١٥٠ جنيه في السنة ، ذلك لأن اللجنة رأت أن هذا الدخل يمثل حد الكفاف ، ومن هنا فإت أن يعفى من الضرائب كل من يملك من دخله من الأعمال الأخرى يحفل الزراعة من هذا الحد ، ولقد أثنى السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية في تعليقه الآن ، نقطة محاسبية بالتسمية لهذه الإضافات ، لأنها إلى أنه متكون هناك صعوبة في محاسبية هذه الفئة الكبيرة من الموزعين بهدف همه كل من لا يزيد دخله منهم على ١٥٠ جنيه في السنة ، وهي رأس أي هذه العملية لا تشغل أي صعوبة ، حيث أن هناك بطانات الحرازة ، كما أننا بالتيان الحكومة مراراً بأن نسرع إلى لك الزمام ، حتى يمكن همه الملكية على ضوء الواقع الحالي ، وبالتالي لك سوف يصبح من السهل تحديد الأشخاص الذين يسرى عليهم هذا القانون ويضعون بهذا الإعفاء . ومن ثم فإني أرى أن العمل الذي انتهت إليه اللجنة ، أن تتصلت عدلت مستثنى الفقرة الأخيرة من هذه المادة ، هو أفضل الحلول ، لا تقتض بل يعفى من ضريبة الإطيان الزراعية والضرائب والرسوم الإضافية ، كل من يملك أو يجر ثلاثة أقدنة أو أقل ، بشرط ألا يزيد دخله من أي عمل آخر على ١٥٠ جنيهًا نسبيًا .

السيد العضو عمار زقاني :
لدى الفقرة الثانية من هذه المادة بأن

يعني من خريتي الفلاح والامر القوي كل جائز لا تزيده حيازته بكافة انحاء الجمهورية من ثلاثة اقدنة . وفي ظل الحكم هذه الفترة ، اود ان اتمسك عن الموقف بالسياسة للحائز الثلاثة اقدنة ، منهم دنان حصل عليه من ملكه آخر لفترة اقدنة ، وهذا الملك الاخير ان يسرى عليه الاعلاء الفلاح بهذا القانون ، في حين ان الحائز الثلاثة اقدنة سوف يعنى من الضرائب الانشائية وهي الامن القوي والتدافع فهل سيطلب الملك بهذه الضريبة في حين نهد ان القانون ينص على ان هذه الضريبة يدفعها المستاجر ، فما هو الموقف في هذه الحالة ؟

السيد العضو الدكتور صفوت محيي الدين :

نقش الفقرة الرابعة من هذه المادة بأنه في جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعلاءات على اى مساحة منزوعة بمعدلات محددة . واننى اقترح اعادة صياغة هذه الفقرة على النص التالي ، وفي جميع الاحوال لا تسرى هذه الاعلاءات على الاراضي المنزوعة دوائق ، الا في حدود ملكية لادان واهم ، وذلك لاتنى ارس ان الشخص الذى يملك لادان دوائق يحصل على ايراد يقل من ايراد من يملك ثلاثة اقدنة من الاراضي الزراعية . ومن المعروف لنا جميعا ان من بين ملكه الدوائق ، من ياتون من الفكر ، فهذه من يملك منهم مساحة لانتهاز بيع لادان دوائق ، ومثل هؤلاء الزراع يجب ان نعيمهم لادان من الضرائب الزراعية ، ومن اجل هذا تقيدت بالقراءة باعادة صياغة الفقرة الرابعة من هذه المادة ، بحيث يسرى حكمها على من يملكون لادانا فالحل مزموعا بمعدلات مشروعة وشكرا .

السيد العضو محمد مهدي شومان :

عندما تقدمت الحكومة بمشروع هذا القانون ، واحيل الى اللجنة لدراسته وجدنا ان هذا المشروع يشترط للتمتع بالاعلاءات المشار اليها عدم وجود دخل للمول من اى مصدر آخر بخلاف الزراعة ، ولقد رأت اللجنة - تقديرا منها لظروف الفلاحين - حيث ان اغليهم لا يقتصر نظامهم على الزراعة فقط بل منهم من يقوم بتربية ومضى الحيوانات او يعمل بقالا او حلافا او نجارا - ان تقوم بتعديل هذه المادة بحيث تسمح بان يتمتع بهذه الاعلاءات كل من كان له دخل من مصدر آخر بشرط الا يزيد هذا الدخل عن ١٥٠ جنيهها من السنة . ولقد رأت اللجنة ان في هذا التعديل تيسيرا على الفلاحين ، وليس تقليدا لهم ، ومن هنا فاننى اؤيد نص هذه المادة كما عدلت اللجنة .

السيد العضو محمود ابو واقية :
اننى اختلف مع الاخ احمد يونس في الاقتراح الذى تقدم به ، لان المقصود بهذا القانون هو شخص الفلاح وليس الارض

الزراعية ، بمعنى ان العبرة هنا ليست بمساحة الثلاثة اقدنة كالحل حتى يعفي من الضرائب ، بل العبرة هنا بشخص الفلاح ، لاننا اذا اقمنا ان الاصل هو الارض للزراعية فلننا بهذا تكون قد اقمنا الهدف الذى من اجله قدم هذا المشروع ، الا وهو حماية الفلاحين الكادحين الذين يعملون في الارض بايديهم في ساحة لا تتجاوز الثلاثة اقدنة قاتل ولا يكون لهم مورد آخر للرزق ، هذا في الوقت الذى نجد فيه ان اقتراح الاخ احمد يونس الذى يقضى بحذف الفقرة الاخيرة من هذه المادة سوف يبدى الياته لو كان هناك موازن فخله السنوى ١٧٠٠ جنيه من وظيفة ، ولديها ثلاثة اقدنة فبالنص المقترح من الاخ احمد يونس ، فان هذا الشخص سوف يعفى من الضرائب والرسوم ، ولا اعتقد ان هذا هو ما يهدف اليه مشروع هذا القانون بل اننا لو اخذنا بهذا الاسلوب تكون قد اقمنا العلة التى من اجلها قدم هذا المشروع ، لانه قدم اسما لحماية صغار الفلاحين ، وللتيسير على طبقة معينة من المواطنين الكادحين الفقراء الا وهم صغار الفلاحين ، الذين يملكون ثلاثة اقدنة قاتل ، وليس لهم مورد آخر بخلاف الزراعة ، ومن هنا فاننى اطلب بالاقابة على النص كما جاء بالمشروع الذى تقدمت به الحكومة ، وشكرا .

السيد العضو محمد خليل ابو سفيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم
السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء ،
امام الصمويات التى مستنفا وامام التعديل الذى ادخلته اللجنة على المادة ، وامام الاقتراحات التى قدمت من بعض الزملاء ، فاني اقول اذا ما اخذنا بالنص الذى ورد من الحكومة فارى الفناء الفترة الاخيرة من هذه المادة ، عسى لا نقضا .

اما اذا بقيت المادة كما هي ، فاني سأنصح الكثير من صغار الفلاحين الكادحين من هذه الفئة ، وهؤلاء الذين يعملون في بعض الصنف الحلاق ، البقال ، ولا يزيد دخله عن هؤلاء على الجنيهات القليلة . واذا اخذنا بالتعديل الذى ادخلته اللجنة ، فان ذلك يعنى اننا سنغفل في مهامات محاسبية ، مما لا يعود بالفائدة المرجوة من هذا المشروع على صغار الفلاحين .

ولقد تقدمت باقتراح الى رئاسة المجلس ، يقضى بإلغاء هذه الفقرة ، وادعو الاخوة الى الموافقة على اقتراحي وشكرا .

السيد العضو المأمون صابح مشاى :
السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء ،

لننظر حقت عبارة * ... يزد على ١٥٠ جنيهها سنويا ، الواردة بآخر الفقرة الاخيرة من المادة الاولى ، وذلك لان المقصود بهذا الاعلاء هو الفلاح الذى يتخذ زراعة الارض حرفة .

القول بان كل من له دخل يعادل ١٥٠ جنيهها بالإضافة الى دخله من الفلاحة الاقدنة والى ١٥٠ جنيهها ، اى ان يحصل الدخل ٣٠٠ جنيه ، يعنى اعلاء تاما من الضرائب ، ففى هذه الصلابة اعتقد ان قاعدة كائنا لدرجهم يجب المواطنين يجب ان تطلق ، ومن ثم يقضى الامر ان ترفع كافة انواع الضرائب عن جميع العاملين الذين تقل مرتباتهم عن ٢٥٠ جنيهها شهريا .

كسا سيطلب على قيام الفقرة الاخيرة من هذه المادة ، كما اقترحتها اللجنة ، الصالحة الى جهاز تتواءم فيه الابداع والقيام بالعلاقات المحاسبية الخطيرة لمعرفة دخل الفلاح من الثلاثة اقدنة التى يملكها ، بالإضافة الى دخل آخر ان وجد لمعرفة مقدار دخل الفلاح بالكامل ، وهذه العلة مستوى بلاشك الى الاكالات مستحبت وتظل قائمة ، سواء الى هذا النص ام لم يلى ، لذلك فاننى اطلب بان يولى الاعلاء فاصر على الذين يملكون ثلاثة اقدنة قاتل فقط ، اما من يزيد دخله على ذلك ، فيجب ان يخضع لكافة انواع الضرائب .

رئيس المجلس : اى ان السيد العضو يوافق على النص كما ورد من الحكومة .

السيد العضو المأمون صابح مشاى :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء ،

اننى اؤيد ما ادخلته اللجنة من تعديل ، لاننا اذا ما وافقنا على النص كما ورد من الحكومة ، فان ذلك سيكون قاصرا على الملك او المالك والى المالك الثلاثة اقدنة فقل الذى ليس له اى مصدر آخر للدخل خلاف الزراعة ، ومما عرر للاك مثلا من الواقع : هناك فرد يملك ثلاثة اقدنة ، وارباده من زراعتها ١٥٠ جنيهها فقط وفي نفس الوقت هناك فرد آخر يملك اربعتين تدران اربادا قدره ثلاثة آلاف جنيه في السنة ، ويملك ...

رئيس المجلس : ارجو ان يوضح السيد العضو رايه فيما يتعلق بهذه المادة .

السيد العضو محمد كمال صقر :
اننى اوافق على المادة كما اقترحتها اللجنة ، وشكرا .

السيد العضو عبده مراد :
بسم الله الرحمن الرحيم
السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء ،

الواقع انه لا خلاف على مشروع القانون من حيث المبدأ إنما الخلاف على كيفية تطبيقه ، ولذا كان الرأي الذي أبداه السيد نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد له وجهاته ، ولكن الرأي المعارض الذي ذكره الاسرة الاعضاء له وجهاته اشد ، وايراه ان احرب مثلا للسيد نائب رئيس الوزراء احدى السيدات في القرى تمتحن علنا من احد القهوه بقره جنبيه واحد في القصر ، ان هذا المبلغ يعتبر مصدر ايراد ، فهل يرى السيد نائب رئيس الوزراء ان مثل هذه السيدة تحرم من هذا الاعاء ؟ اعتقد ان سبيلها لا يوافق على ذلك ، انن فحن بين امرين احلهم من مر ، فاذا ما لطقنا الامر واغلى كل من يمتلك ثلاثة افدنة دون نظير الى ايراده ، يتسبب النتائج غريبة كما يقول الزملاء ، فمثلا الموظف الكبير الذي يمتلك ثلاثة افدنة وله ايرادات من موارد اخرى الى جانب مرتبه ، فلا يتصور ان مثل هذا الموظف الذي يخضع لضريبة ايراده العام ، وعلى من الضريبة المقررة ، كما ان سرب النظر نهائيا من وجود اي نوع من ايراد اخر سول يربط مفارقات شديدة .

ولذلك ، فلاني اقترح ان يكون الملوم عليه في هذه المسألة ، هو ان يكون الاعاء منوطا بالسفوف التي تكون حركة الزراعة ، ويكون رزقه الرئيس الزراعة ايا كان نوعها ، لما ان تشتري للتمتع بالاعاء ، بالا يكون للسوم دخل من اي مصدر خلافت النشاط الزراعي يزيد على ١٥٠ جنيه سنويا كما يقول السيد نائب رئيس الوزراء ان هذا يفتني اعداد جهاز كبير للبحث والمحاسبة والمراجعة ، لذلك يمكن ان نأخذ بتعريف الفلاح كما عرفه الاصاد الاشتراكي ، وهو ان تكون الزراعة مصدر رزقه الرئيس ليستمتع بالاعاء مهما كان دخله وشكرا .

السيد العضو حُف الله مهني :

أتني اوافق على مشروع القانون من حيث المبدأ ، ولكني اريد ان تحدد ايضا الجهل الذي سوف يتصيد الايراد أيضا ١٥٠ جنيه . لم هناك بعض الفلاحين ممن يذهبون ثلاثة افدنة ولا يتكهنهم خلفا ، وبالتالي يحاول كل منهم زيادة دخله عن طريق تربية المواشي مثلا ، فكيف يمكن محصر مثل هذا الايراد ؟ وفي هذه الحالة اريد انه لابد من عمل بحث اجتماعي لكل ملكة لثلاثة افدنة حتى يمكن تحديد مبلغ المثل والخمسين جنيه ومصدرها .

انني اعتقد ان السيد رئيس الجمهورية لم يشر الى موضوع البحث عندما تكلم من هذا الشروع ، لذلك فلاني اتعامل كيف امحل هذا الليد على المشروع ؟ ان موضوعه ١٥٠ جنيه سيجعل لنا اشكالات كثيرة ويؤهلنا ان يستفيد من هذا

الشروع يتأكد ان اللطيف من الفلاحين ؟ (تصليق)

لذلك اريد حذف الفقرة الأخيرة من هذه المادة ، وشكرا .
السيد العضو خليل خليل شراة :
السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

في الواقع ان هذا الشروع يتألف من ثلثين مادة ، بعضها انساني والاخرى سياسية ، ان تحرير الفلاح ملابيا معناه تحريرهم فكريا وسياسيا ، وفي اعتقادي ان الثلاثة افدنة لا تكفي للاعفاء فلنأخذ ان فلان ملك ثلاثة افدنة وربيع الفدان ، فهل يسبب الربيع لدان الذي يدر ايرادا حوالي ١٢ جنيه سنويا نحمل الفلاح باعياه ضريبة قدرها ٦٠ جنيه ؟ ان حد الاعاء مقر في قانون الضرائب ، في الضريبة المسبلة على الايراد ، والضرائب المقررة ، لذلك فلاني اقترح ان يتسبب حد الاعاء الى خمسة افدنة ، بمعنى ان تحلى الثلاثة الافدنة الاولى ، وتدفق الضرائب عن الفدانين الآخرين ، وهذا المبدأ مقر في الضريبة الملمعة على الايراد والضرائب المقررة حيث ان الملوم يعني من يخضع حد الاعاء ، ومازاد على ذلك يدفع عنه ضريبة ، انن ليس من العدالة ان نعمل خفشا بخرائب عن ثلاثة افدنة وربيع لروادة ملكته ربع فدان عن زميله الذي يمتلك ثلاثة افدنة تحلى جميعها من الضرائب ، وشكرا .

السيد العضو محمود السيد عبد الرحمن :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :
لقد سمعت السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد يقول ان ان فلسفة مشروع هذا القانون في الاعفاء من الضريبة المطارة .

وقد اوضح الاخ احمد يونس الموضوع توضحيا كاملا وشاملا ، كما اشار السيد رئيس الجمهورية باعفاء اللامعين الذين يمتلكون ثلاثة افدنة فاقل من الضريبة المطارة ، وبالعكس لا اير انن من ان هناك من يمتلكون ثلاثة افدنة او اقل من ذلك ولهم موارد اخرى ، فاعتقد انه لو نسا اجراء عملية حسابية لعدد عدد هؤلاء الذين يمتلكون ثلاثة افدنة مائل لسوف نجدهم يتكون رقما شديدا مائل لذلك فلني ارجو الا نقع الامور بالنسبة لشروع القانون المطروح وان نأخذ بطمس القرار الحاسم بان يعني كل من يملك ثلاثة افدنة فاقل يكون قيد من الضريبة المطارة ، وشكرا .

السيد العضو فوزي العمدة :

ان ما ايرد من اراء حول هذا الموضوع ، لاشك له قيمته وامنيته ، كما ان الامثلة التي شربت تعبر عن الواقع .. ولدي اقتراح محدد اود ان اعرضه على المجلس الموقر قد يلقى اقبولا من الاخوة الزملاء .

اود ان اؤرخ ان الامر لا يتأخر على النشاط الزراعي قط ، وانما يمتد الى امور اخرى ، فمثلا هناك شخص مقيم في القرية يختلف مهنة معينة كالخلافة او غيرها ، وفي نفس الوقت يمتلك ثلاثة افدنة ، مثل هذا الشخص وفقا للنص الحالي ، لن يتسبب باعفاء ٥٠ ، ولذلك ، فلاني اقترح تعديل الفقرة الأخيرة من المادة بحيث كما يلي :

اذا اثبت الملوم ان مجموع دخله من الزراعة وغيرها ، لا يجاوز مائة وخمسين جنيه في السنة ، ويتسبب بالاعفاء .

السيد العضو السعدى عبد الحميد :

ان المقصود من هذا الشروع بملكون ليس بملكية قدر من المساحة الزراعية ، وثابت الصود به اعلاء المواطن الطير صاحب الحدود من ضريبة الاطيان الزراعية ، وبذلك يمكن ان يزداد دخله بمقدار ما كان مريدها من ضريبة ٥٠٠٠ فمثلا خفشا في مسانطة المنيا ، مربوط على الفدان ستة جنيهات اولوا اميرة ، ايران يملك ثلاثة افدنة سود يعني من ثمانية عشر من الجنيهات ، وهذا ملاة الى ان يفسد الضرائب تتفاوت قيمتها من مسانطة الى اخرى ، ولهذا فلان للشخص كما هو اريد لا يعلق الهدف من الشروع وراء هذا الشروع بملكون ومن اجل ذلك فلاني اقترح استبدال عبارة « كل ملك لا يزيد جملة ما يدفعه من الضرائب على الاطيان الزراعية بكافة اتمام الجمهورية عن ثمانية عشر جنيه » بعبارة « كل ملك لا تزيد جملة ما يدفعه من الاطيان بكافة اتمام الجمهورية عن ثلاثة افدنة » الواردة في نهاية الفقرة الاولى من هذه المادة ، وبهذا نحقق الهدف من الاعفاء من الضريبة على ثلاثة افدنة وفي نهائنا الثمانية عشر جنيه .

ومن مقتضى هذا التعديل ، ان يجري تعديل الفترتين الثانية والثالثة من هذه المادة ، فيما يتعلق بعبارة ثلاثة افدنة ، لتصبح الفقرة الثانية على الوجه الاتي :

« وفي من خريطين الفدان والذين القوس كل حقل لا يزيد ما يدفعه من ضريبة على الاطيان الزراعية بكافة اتمام الجمهورية عن ثمانية عشر جنيه » .

وتصبح الفقرة الثالثة على الوجه الاتي :

« ولا تسري هذه الاعفاءات اذا زادت جملة ما يدفعه المالك من ضريبة على الاطيان الزراعية عن ثمانية عشر جنيه » .. وفكرا ..

المقرر :

في الواقع ان ما اثاره السيد السادة الزملاء والسيد الدكتور شاذلي رئيس الوزراء يتلخص فيما يلي :

يقترح الإصحاح خمسة وثلاثون
الجدول كآية *

(تصحيح)

ويؤيد في ذلك بعض السادة الأعضاء الذين أثاروا عاصلة من التصديق الآن ، إما السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء فيرى أن كل من دخل بغلاف التشايد الزراعي ، لا يتبع بالأعلام ، وذلك لحدا للنص الوارد من المحكمة .

أما بالنسبة لما ذكره الإصحاح الأول فكل الله منس من هنا هناك فعمل على إلى جانب الزراعة - بترقية بعض المناشئة ، فأذا إذا ما رجعت إلى الفترة الأخيرة وجدنا أنها تنص على : ويشترط للتصديق بالأعلامات المشار إليها ألا يكون للتصديق دخل من أي مصدر آخر بخلاف التشايد الزراعي ، ويؤيد على مائة وخمسين جنبها مستنوي ، ومهارة ، وخلاف لخصائص الزراعة ، كانت وأردت في مشروع الحكومة بخلاف للزراعة ، لخصائص اللجنة إلى ، بخلاف التشايد الزراعي ، ويؤيد فأن من يربي ماشية ليبيعها ، ويعتبر ذلك من التشايد الزراعي .

إن السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء يقول أننا لن اشترطنا للتصديق بالأعلامات المشار إليها ، إلا إذا دخل المول من ١٥٠ جنبها لسوق تنقل في مساحة حسابات وإجراءات لا أول لها ولا آخر ، وأنا أقول أننا لو قلنا إن هذا المول ليس له أي إيراد ، وسوف نفع في نص التشايد ، أن إن المول سيقتول أنه ليس لديه أي إيراد ، فبالسبب سوف نفع في تقديم القرار منه ، كذلك فإن من يربى إيراده من ١٥٠ جنبها ، فالامر يتوقف أيضا على تقديم القرار منه ، ومن ناحية أخرى فإن المادة الخامسة من مشروع هذا القانون تنص على أن كل مول نتج بالأعلام بدون وجه حق ، بأن أثبت بالأعلام المنصوص عليه في المادة السابقة ببيانات غير صحيحة مع علمه بذلك ، أو لجأ إلى وسائل غير مشروعة ، ترتب عليها تمتعه بالأعلام بدون وجه حق ، فالتزم بإدائه مئتي الفيرة التي أراد التهرب منها . . الخ أي أن في جميع المحسالات سوسنم المول القرار ، أما أن يقول أنه ليس لديه دخل من الأعلام ، وأما أن يقول أنه دخل لا يزيد عن ١٥٠ جنبها ، فإذا كان كاذبا في إقراره ، فإن المادة الخامسة ترتب عليه العقوبات التي أقرت إليها .

وهناك نقطة أخرى أثارها الإصحاح السعدي صيد الصيد السعدي تتطرق فتاوت الفريية ، مما يعالجه القانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ الذي يحدد إعمادات للمولين الذين تجاوز الضريبة المربوعة عن أطيهم أرمه جنبها في السنة ولا تزيد على عشرين جنبها ، فيلوعون من أرمه جنبها في السنة ، ويمنع هذا الإلزام الضريبة الانسانية على ضرائب

الاطيول - ولذلك ، فإن المادة الأولى من هذا المشروع تنص على : مع عدم الإخلال بالأعلامات المقررة بالقانون رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٥٣ . الخ ، فإذا كان هناك مول تبلغ الضريبة المقررة على ما يوجب من أرض خمسين قرشا للحد الأدنى ، فإن الضريبة على الأمانة الثلاثة ستبلغ عنده ١٥٠ قرشا ، بينما حد الأعلام أربعة جنبها .

إن اللجنة عندما عدلت نص الفترة الأخيرة من هذه المادة بأن جعلت شرط التنج بالأعلامات بالنسبة للمول هو ألا يكون له دخل يزيد على ١٥٠ جنبها سنويا ، فإنها لم تدل ذلك اعتباطا ، ولما وجه في ذلك إلى كل قوانين الضرائب ، واسترشدت بحسب الأعلامات الواردة فيها ، فمثلا لك أعنت اللجان ٤١ ، ٦٤ من القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ الخاص بفرش ضريبة على إيرادات رؤوس الأموال المنقولة وعلى الأرباح التجارية والسالية ، المول في حدود معينة تصل إلى ١٥٠ جنبها كترجيا ، الذي فإن اللجنة عندما قدرت المائة وخمسين جنبها كحد للأعلام ، فلما أخلقت في الاعتبار قوانين الضرائب الصارية فعلا ، وحدود الإعفاءات للمول بها - فمثلا إذا كان هناك مولف يحصل على دخل سنوي يبلغ ألفا أو ألفين أو ثلاثة آلاف جنبه ، وفي نفس الوقت يربو ثلاثمائة الفيرة في تربيه ، فمثلا هذا الشخص لا يتبع بالأعلام .

وهذه هي الفكرة من وراء تحديد المائة وخمسين جنبها كحد للأعلام ، أما الصيغة التي لشار إليها السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء فغير قائمة ، لأن المول سيؤلف القرار في جميع الأحوال كما سبق أن ذكرت .

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء وزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

أود أن أعرد إلى توضيح بعض النقاط الأساسية ، فليس هذا قانون ضرائب دخل ، وهذه نقطة رئيسية . فإذا قال الإصحاح الفقرة أنه رجع إلى القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ ، فإن هذا القانون ينطبق بضرعية على الدخل ، أما المشروع بقانون العروض اليوم ، فلا يتطرق بضرعية على الدخل ، وأما هو ضريبة على الأرض ، على الملكية ، وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المشروع المقسم بسن الضريبة يؤك - بملتهى الصراحة - تشجيع النشاط الزراعي ، لذلك فإن المشروع بقانون لم يتعرض أن يملك ثلاثة الفيرة ويمارس عملا آخر كترجيا المناشئة أو غيرها ، لأن هذا العمل من شأنه أن يندى التشايد الزراعي ، فبمسبنا أو حيوانيا . . .

وبذلك فإن المشروع بقانون لم يتعرض للدخول الإضافية الناتجة من التشايد

الزراعي وباعتبار أن المول الذي يملك ثلاثة أمدت ويمارس عملا اضافيا كترجيا المناشئة وعلى من الضريبة .

نقطة ثالثة - نحن نعلم بأن المولين يسجلون القرارات ، ولكن هل يمكن لديهم أن تأخذ هذه القرارات على عتبا ، أم أنه لا بد لها أن تقوم بأجراء فحص ومحاسبات ؟ وإذا كنا نشكك مما نلناه من عملية تحصيل الضريبة المحددة يمكن لنا أن نتخذ من فئة حسابات البقال والملاقي . . الخ ، معنى هذا أنه لا بد من عملية حسابات يسجل الفلاح بمرجها أن تتدخل مع جهتين : مصلحة الضرائب من ناحية ، ومصلحة الضرائب القارية من ناحية أخرى .

أذن هناك عملية حسابية ستحدث ، ومنطقة ضريبة ستجرى . . . المنطقة القارية والأخرى ، ونحن نرضع مثل هذا القانون الذي قدس به صانع صغار الفلاحين الملاك والعاملين ، أن نأتي لتعدي فوى الدخل الكبير منهم حتى ولو كانوا يملكون عددا أو اثنين أو ثلاثة . لذلك أرجو الموافقة على نص هذه المادة كما ورد من المحكمة وشكرا .

المقرر :
تعطيا على ما ذكره السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء فيما يتعلق بالدخل ، فإن الفترة الأخيرة من المادة الأولى تنص على أنه : ويشترط للتصديق بالأعلامات المشار إليها عدم وجود دخل للمول من أي مصدر آخر خسلا . . الخ ، ومن ثم فقد كان واجباً على اللجنة أن تأخذ في اعتيها الدخل على المصلد الأخرى ، وهناك مثال ساه إليها الزميل عبده مراد بشأن صيد تتلقى محاشا يبلغ جنبها أو جنبين ، وتملك في نفس الوقت ثلاثة أمدت . . فمثلا هذه الصيغة لا تتنح بالأعلام الواردة في مشروع هذا القانون ، وبالتالي فإن الحكومة في جميع الحالات سوف تتحرى من واقع القرارات التي يقدمها المولين ما إذا كان لهم دخل آخر من هذه .

السيد العضو إيهاب محمد مقلد :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزلاء :
إن تسال هو : إن الإلحاق ؟ إنني أقول إن الإلحاق يجب أن يتبع به بالاعتماد من صغار الملاك الذين يملكون بالزراعة فلا . . وليس شرطا أن يكون دخل مالك الثلاثة أمدت جنوبين أو ثلاثة جنبها ، بل إن هذا الدخل قد يصل إلى خمسمائة جنبه .
ولهذا فأنني اقترح تعديل صواب من مشروع القانون ليكون كما يلي :
« مشروع قانون بتقدير بعض الإعفاءات لصغار الملاك الفلاحين من ضريبة الامتياز الزراعية ، والضرائب

والرسوم الإضافية الحققة بها *
وبهذا ما لنا تكون قد جدنا قطاعا
معينا * وميزناه بالتشجيع بهذا الإعفاء ،
بين التعرض للسنة مشروح القانون من
حيث الضريبة على التخلل العام *

واقترح أيضا حذف الفقرة الأخيرة من
المادة الأولى بهذا نص على التناقصات
التي ثارت نتيجة المناقشة في هذا
الموضوع *

رئيس المجلس :

أرجو من السيد العضو أن يقدم
اقتراحه مكتوبا ليتمكن عرضة على
المجلس صين ما هو وأرد من الاقتراحات
لغيره *

السيد العضو محمود أبو وافية :

الواقع أن من أناقشة حتى
الآن ، هو أن الحكومة تأخذ اتجاه وأن
الحس يتجه اتجاهين ولك قد تمت
اقتراحات كثيرة ، وهذا القانون يتعلق
بمسائل قليلة تهم حياة عدد كبير من
الفلّاحين ، لماذا العمل إذن ؟ أرى أن
يؤكد مشروح القانون على اللجنة للتشاور
على هذه النقطة بالذات ، لم يعرض في
جلسة المف ، ولن نستمر مناقشته وقتا
طويلا ، فهو يتكون من أربع مواد فقط ،
وشكرا *

السيد العضو إبراهيم القاضي :

التي اختلف مع السيد نائب رئيس
مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد
والتجارة الخارجية في أنه يعتبر أن
الضريبة على الأرض الزراعية ليست
ضريبة على الدخل ، فالواقع أن هذه
الضريبة لا تفرض على الملكية لمصعب
ولنا نعرض على إيراد هذه الملكية ،
غاية ما في الأمر أننا نقدر على حسب
الأحوال والمواقع والتربة وغير ذلك ،
فغيرية المان تذكر بنسبة ١٤ في المائة
من القيمة الإيجارية السنوية التي لمثل
محل الملك أو فصل المصلح للأراضي ،
والضريبة إذا كانت تفرض بالنسبة للملك
على ملكيته من الأرض ، وإذا كان
الاستغلال الزراعي في مصر ، لا يخضع
لضرائب التربة ، وليس هذا مجردا
لاخراج هذه الأنواع من الدخل *

أن المادة كما وردت بمشروع القانون
المقدم من الحكومة كانت تعزم كل من
محل أي كان من تصيد ، ومعنى هذا أن
الأرض أو الشخص الغير الذي يملكه
نصفه فإن وزير أو عملا من الأعمال
الميسطة التي تدبر عليه فضلا محمودا
يخدم جليا أنه تدبر على الإعفاء ، ولكن
اللجنة تعميها للفاصلة وتشجيع للمعافاة
داه أن تشق بين حدود الإعفاء المقررة
في القوانين المخططة وبين هذا القانون *

أن القانون يضع هذا الإعفاء الرجل
المفتقر الذي يعمل أولادا قومه ٢٥٠
جنها ، وإيراد الفلاحة الإقتصادية سواء كان
على طريق الاستغلال الزراعي أو عن طريق
التأجير لغيره لا يزيد على ٢٠ أو ٣٠
جنها *

ومعنى ذلك أنه لكي يتجاوز مالك
الثلاثة الأقد ، مع زميله الذي يتناول عملا
من أعمال الثروة المفولة لابد له من أن
يخلق إيرادا آخر ، الترتب أن يكون
١٨٠ جنها لأسباب مختلفة منها :

أولا - أن مبلغ الـ ١٥٠ جنها الذي
اقترحته اللجنة إذا قسم على شهرين السنة
كان الناتج ١٢٠ جنها ولذلك الترتب أن
يكون المبلغ ١٨٠ جنها حتى يكون الناتج
رقما صحيحا *

ثانيا - أن حد الإعفاء المقرر بمقتضى
القانون وقدره ٢٥٠ جنها والذي اشرت
اليه ، إذا ما رفع منه سبعون جنها ،
أيراد الثلاثة الأقدية فإن الباقي وقدره
١٨٠ جنها يمثل الإيراد المطلوب *

لذلك أرجو من السيد الموقر المراجعة
على التعديل الذي اقترحتهم برفع حد
الإعفاء من ١٥٠ جنها إلى ١٨٠ جنها *

السيد العضو الدكتور جمال المنظلي :

السيد رئيس المجلس ، السادة
الزعماء :

هذا المشروع المعروض علينا اليوم يمثل
قانونا ثوريا جديدا استقبله مكثين
الفلّاحين بالترحيب كما استقبله المجلس
بالتأييد ، وصارت من أجله مسيرات
شعبية لاحية خضعة لشكر الرئيس أنور
السادات *

هذا المشروع ليس - ونحن نناقشه
اليوم - وكأننا لا نقدر لما فيه هذا
الإعفاء ، أقول هذا لأن هذا الإعفاء كان
مطروحا جنيدا من مطاوع رعاية الرئيس
أنور السادات للفلّاحين ولم تكن نحن
الذين نقضنا بهذا المشروع ولكنك تريدنا
من الحكومة بعد أن رأسها الرئيس أنور
السادات *

هذه كلمة حق يجب في ضوئها ، أن
نحن اليوم ونحن نقاضى هذا المشروع ومن
الواضح - كما قال كثير من الزعماء -
أن هذا المشروع قصد به أن يكون ثورة
جديدة وخفمة جديدة تقدم لمصدا
الفلّاحين ، الذين يملكون ثلاثة أقدية
فأقل ، وقد أفلنا على هذا ، فكل الاقتراح
بالإضافة يسحب بذلك غير مقبول ، ولكن
السؤال المطروح فعلا ، هو هل يمكن أن
يكون معيار ملكية الثلاثة أقدية مالا هو
المعيار الدال على أن المول يستحق هذا
الإعفاء وأنه من صفات الفلّاحين حقا ،
الذين قصدهم الرئيس أنور السادات
برعايته في هذا القانون ؟

إن كثيرا منا له عمل بقلعه منه
الاف الجنيهات وقد يملك دناتا أو دنانين
في القرية لا يعرف عنها شيئا ، وكثيرا منا
يقوم في الليلة ولا تربطه بالقرية ولا رابطة
التصميم ولا يعرف من الزراعة ولا عما
يمتد إليه الفلّاحون شيئا ومع ذلك فهو يريد
أن يستفيد من هذا القانون - لا -
يقول مجلسكم الموقر هذا أبدا -
أن هذا المجلس نصله من المعصال
والفلّاحين وهو يقد مسؤوليته في ذلك بلا

شك وهذا المجلس يدرك تماما أن هذا
الإعفاء الذي قربته الحكومة وعرضته
على المجلس الموقر لتوافقه عليه ، كان
بإرادة هامة لنفورها جميعا ، ولكننا نريد
أن نضع الصواب المناسبة بلا انفعال *

أرجو ألا يقد هذا المشروع بهذه القبي
نخلت اللجنة جميعا والتي خلعت التي
ثلاثة ملايين من الفلّاحين - لقد كان من
الطبيعي أن أن يرد المشروع من الحكومة

في صيغته المعروضة بعد مدته من
النقاشات شامعا كثير منا في أمانات
الأعداد الاشتراكية المختلفة ، وكان
القاض يدور حول الملكية المسجلة ، بعد
أن ورد ذكر المشروع في برنامج الحكومة
على أن الإعفاء يشمل الملكيات المسجلة *
وبذلك جرت مناقشات واسعة في اللجان
الأعداد الاشتراكية وفي أمالة الفلّاحين
وفي الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي *
استمع فيها إلى شكاوى الفلّاحين والتي
ملاحظاتهم وعلى أساسها جرى إعداد هذا
المشروع بقتانون ، وكان طبيعيا أن يرد فيه
نص على أنه يشترط ألا يكون للمولد دخل
آخر - ولا اعتراض لنا على هذا في
الاصل - لأن المشروع أن يقتصر الإعفاء
على صفات الفلّاحين الذين يمتلكون ثلاثة
أقدية فأقل ، وهذا هو الغرض من
القانون *

لقد حدثت الحكومة الإعفاء بخلاف
مفك وربحت التزاماتها المالية على هذا
الأساس ، وأى تعديل على هذا ، إذا لم
يكن بالاتفاق مع الحكومة قد يرد عليه
اعتراضها الدستوري بأنه تعديل على
الولاية لا يجوز ألا يوافقها وهذا ما
نخشاه *

وهنا عرض المشروع على اللجنة كان
من الوسائل التي اشرت لفلّاحي عريضا *
وهو السؤال أو الاعتراض الذي ذكره
الزعماء الأستاذ جديده مراد منذ قليل بانقل
الذي ضربه ، من الأمثلة التي نقاضى
معاذها قد يكون جنها أو جنهين ، فكل
نعم هذه الأمثلة من الإعفاء مجرد أن لها
هذا الشكل الصغير ؟ لقد اختلف الرأي
في اللجنة حول ذلك المعيار الذي يثبت
حاشية مرسومة من لجنة الخطة والموازنة
ومكاتب اللجنة الاقتصادية والهندسة
التصنيعية ولجنة الزراعة والرعي *

إن الأمثلة التي قدمت حول هذا
الموضوع لها وجهاتها وليس من المعقول
في الوقت نفسه ألا نشترط ألا يكون
للمولد دخل آخر حتى يشجع بالاعفاء *
ولا نرغب على ذلك أن نق القانون الهدف
السياسي والتدوير منه هو إعفاء صفات
الفلّاحين الذين يعملون بأيديهم من
الزراعة وليس لهم عمل آخر ، ولكن ما
الحجة من العمل إذا وجد هذا رات
الجنة أن تستفرد ، كما قال السيد
المر ، بالاعمال الزائد في سوائين
الضرائب الأخرى فيما يتعلق بالأعفاء من
الضريبة وحده ١٥٠ جنها ، ولكن في
الواقع أن ما قاله الزميل لوزي العمدة

منه قليل - ولعل ما يقع له ان يصرحه
ضربا وانفيا - له لاجل اعطائه ، لانه اذا ما
استرشدنا بجد الاجراء وهو ١٥٠ جنيه
الى جانب ايراد الثلاثة اقدسة فلن نحالة
من مبلغ ثلاثة اقدسة وايرادا اخر يبلغ
١٥٠ جنيها يكون الاصلن حالا من اى
شخص له ايراد من مصادر اخرى يبلغ
١٥٠ جنيها .

ومع هذا - فلما ما يكون الرأى - فانه
في اعتقادى يجب ان يعود بين فكرتين -
فكرة استبقاء النعم كما ورد من اللجنة
وهو ان يكون حد الاعفاء ١٥٠ جنيها او
الذكرة التى اقترحها الاستاذ فوزى
العبدى *

لما ان يرفع هذا القيد كلية فنعناه لعلنا
ان القانون قد قدق بمضمونه الثورى
كقانون قسدي به - رعاية صغار الفلاحين -
هذا ما اريدت ان اعرضه وشكرا *

السيد العضو احمد يونس :

اود ان اسجل اننا نحن الفلاحين حينما
معدنا هذا القرار لم تكن مرحتنا لانه رفع
من كاهلنا ايراد الالهة فقد وكم كنت
التمنى ان يكون هذا استنادا المذكور
جمال المطيلى في السيرة الشعبية التى
قام بها الفلاحون لشكر الرئيس المؤمن
محمد انور السادات ليمسح بنفسه ما كان
يردهه الفلاحون قائلين - شكرا ،
شكرا ، يا ساداتك انك حررتنا من
الصرافه *

ولو اننا ايقينا نص الفقرة الاخيرة كما
وردت في مشروع الحكومة او في المشروع
المقدم من اللجنة ، لان تكلفة الجهاز
المطلوب لنحصر الاختصاصى الذين يزيد
تصلهم على مائة وخمسين جنيها تتسارى
تماما مع الفريضة التى يمكن ان تحصل
من هؤلاء الناس *

(تعليق)

ولو اننا راجعنا النص المقدم من
الحكومة والنزى ورد فيه انه يشترط لتسليم
بالاعفاء اشرار الالهة عدم وجود دخل
للمرمل من اى مصدر اخر خلاف
الزراعة ، فانا لاحظ صعوبة تطبيق هذا
النص - ان القرية مليئة بالعمالين فهناك
لغة القرية وحظاها والطالب والتجار
الذى يصلح السواقي كى اولئك وهمذين
بجانب معلم في الزراعة ومن الممكن
مخاضتهم على نتائج ههلم ودفع ضرائب
عنها ، بينما لا يتقاضون اجرهم نقدا بل
عينا ، فهل هؤلاء يمكن ان يسلم عليهم
عدم الاعفاء لانهم يعملون ولهم دخل اخر
خلاف الزراعة ؟

للتى ارى انه اذا وافقنا على حذف
الفرقة الاخيرة في مشروع الحكومة وكذا
الفرقة الاخيرة في المشروع كما صلته
اللجنة احذرنا بذلك مليونا ونصم مليون
من المواطنين من رتبة الصراف والاسانين
المترتبة التى تلعب في تحصيل الاموال -
ان الدولة قد قررت اعفاء الفلاحين

ههنا ؟ وكبارا من لقم ١١ مليون جنيه هي
تبعة نصف تكاليف المأزومة تاليس بالكثير
ان تعنى صغار الفلاحين من هذه الفريضة
التي لن يتحمل اكثر من مليون جنيه وتكاليف
تحصيلها تثبت انها عملية خاسرة مائة في
المائة بل اننى اقول لكم كم تكون سعداء
يوم ان يصدر قرار من المجلس بتشديد
الارض الزراعية كلها من الضرائب
المقارئة لا هروبا من دعمها او من تحمل
الفلاحين بتسويقهم من الاعباء لا يمكن
ايجاد وسائل سليمة دفع اصعاب هذه
الفريضة بأسلوب سهل ، ويكون يوم عيد
حقا يوم ان يتحدر الفلاحون من هذه
الضرائب المقارئة *

(تصحيح)

السيد العضو احمد فوزى القاياتي :

عندما تقصت الفريضة مخروعة هذا
القانون تضمنت به من مطلق الاشفاق على
الملاحين والتخفيف من الاعباء التى
يتحملونها ولانها تعلم ان الملاح قد هانى
الكثير ان الفدان الذى يتحمل من
الضرائب نسبة ٣٠ في المائة من ايراده
موزعة على النحو الآتى :
١٤ في المائة صريفة اصلية
١٠ في المائة صريفة بناف
٣ في المائة صريفة أمن قوسى
٣ في المائة صريفة اضافية *

وليس هناك دخل في الدولة يتحمل هذه
النسبة من الضرائب مسوى الارض
الزراعية *

وبالاضافة الى ذلك لسان الارض
الزراعية تتحمل كل ما تطلبه الدولة
وتسحق ما يستهدفه التخطيط من ارباح
الزير والطن ونصدير - ورغم ان الملاح
هو الدعاية الاولى للانتاج فانه يتحمل
العبء الاكبر من الضرائب *

ان الزملاء يرون كما هو واضح من
اتجاه المناقشات التى دارت في المجلس
الطالبة ناعاء من يملك مساحة لا تزيد
على ثلاثة اقدسة دون تفيد بالمثل ، لان
هذا التقييد يستبعد مساحات كبيرة من
التمتع بالاعفاء رغم ان الزير صليل جدا
فمثلا لو ان هناك عمالا يتقاضى عشرين
جنيها في الشهر ويملك ثلاثة اقدسة
يؤجرها ثمانية جنيهات لفدان وبذلك
هنا ستة جنيهات للفريضة - فان حالته
ان يكون افضل كثيرا من زملائه *

رئيس المجلس :

ما هو اقتراح السيد العضو من يد

لنسان ؟

السيد العضو احمد وفيق القاياتي :

اننى اقترح الاعفاء التامى لن يملك
مساحة لا تزيد على ثلاثة اقدسة دور
تعميد للذلل ، وشكرا *

السيد العضو الدكتور جمال :

المطيلى :

لقد ذكر الاخ محمود ابو واقية مند

قليل ان هناك عدة اقتراحات مقدمة من
للمادة الاعضاء من شان تعديل هذه
قائمة وطبقا لنص المادة ٩٧ من اللائحة
الداخلية لتبسيط الفريضة اعادة التقدير بها
بحسب هذه الاقترحات (ضجة)

رئيس المجلس :

لو سمعتم ليس هناك خلاف بيننا ونحن
متفقون دائما على ان اعدنا هو الفصله
العامة فلذا ما كان خلاف في وجهات
النظر فالرأى اولا واخيرا للمجلس
وتسلك دائما الى اللائحة الداخلية التى
وضعاها لتبسيط عليها في اجراءاتها ولدى
الان اقتراحات مقدمة من السادة الاعضاء
الآتية اسماءهم :

- ١ - السيد ايهاب دافع
- ٢ - السيد احمد جلوبوش
- ٣ - السيد رجب السعدى
- ٤ - السيد ابراهيم الكافى
- ٥ - السيد محمد ابو سفيحة
- ٦ - السيد حسن فهمى تمام
- ٧ - السيد فوزى العبدى
- ٨ - السيد عبيد مراد
- ٩ - السيد نعيم محمد حسن الخبير
- ١٠ - السيد مامون مشالى
- ١١ - السيد خليل شراره
- ١٢ - السيد د - صفوت محيى الدين
- ١٣ - السيد احمد بروس
- ١٤ - السيد محمد قرقرة
- ١٥ - السيد ابو الفوارح العبدى
- ١٦ - السيد سعد بشير

الى ان هناك سنة عشر اقتراحا كلها
وردت من نفس الجلسة وتتناول المادة
الاولى بالمعدل - راجع الى مرجع ما
الى نص المادة ٩٧ من اللائحة الداخلية
فقد ورد بها ما يلى : للجان ان تطلب من
المجلس بواسطة رئيسها او مقررها اعادة
اى تقرير الالهة ولو كان المجلس قد بدا في
نظره *

لان هذا حق مطلق للجنة ، لرئيسها او
لمقررها *

كما ان المادة ١٧٦ تنص على ما يلى ١
: لتعديلات التى قدمت قبل الجلسة
مباشرة او اشياء الجلسة وقبر المجلس
الظفر فيها ويعرضها الرئيس على
المجلس ، والمجلس - بعرض مسامح
بمساحات مقبوضه - ان يقرر بحثها في
الحال او اعادتها الى اللجنة المختصة
ببحثها ويرجع تقرير عنها وعلى اية حال
يجب ان تحال الى اللجنة اذا طلب ذلك
رئيسها او مقررها او الحكومة *

ان هناك سنة عشر اقتراحا قدمت في
هذه الجلسة قبل ان يمكن ان تسورها
- معرضها على ضرائكم الان ؟

اعتقد ان هذا غير ممكن - وقد طلب
السيد رئيس اللجنة رد التقرير الى اللجنة
خرصة الاقتراحات المقدمة - فانه ١٧٦
س اللائحة الداخلية توجب ذلك *

لذلك يعاد التقرير الى اللجنة *

المليحة

الادب
والفن

ملحق

- ❑ صفحات من أدب المقاومة الآسياني
- ❑ خمسون عامًا على وفاة سيد درويش
- ❑ الشعر في عالم متغير

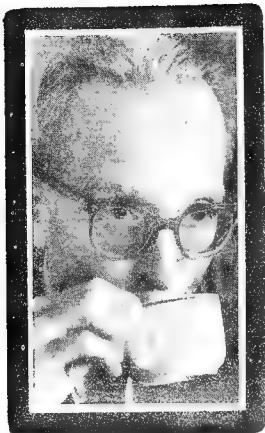


سعيد درويش



في هذا العدد:

- معطف محمود تيمور
- قصصون عامًا على وفاة سيد درويش
- علامات على طريق السينما المصرية
- المؤتمر الكبير الذي غابت عنه مصر
- الشعر في عالم متغير
- قضية : حكاية الموائن العليقة



فؤاد دواره

« كلما كان الشيء عادياً ، يطلب من الكاتب
موهبة اكبر ليستخرج منه غير العادي .. »
جو جول

[١]

في تاريخ الادب العالمي عبارة مشهورة تنسب الى القصص
الروسي ايوان تورجنيف هيئا ، والى زميله ومعاصره فيكتور
دستوفسكي هيئا آخر .. « كلما خرجنا من ممكف
هو جول .. »

وفي العبارة تورية جبيلة ، بين قصة جو جول
الشهيرة « المعطف » وتأثيرها القوي في مسار القصة الروسية
الصغيرة ، وبين المعطف بمعناه المادي ، اشارة الى دور
جو جول الريادي في الادب الروسي وتأثيره الواضح فيمن تلاه
من كبار ابناء روسيا من ايتال تولستوى ودستوفسكي
ديكارسوف وشيخوف وجوركي .. وغيرهم .

وفي ادبنا العربي الحديث ، نستطيع ان نطلق عبارة معادلة
على ادبيتنا الراحل مجيد نيدور ، على الاتى فيما يتعلق
بالقصة القصيرة ، بالرغم من قلة دراسنا لموايل القارئ

« معطف »

محمود

تيمور

والتأثر في أدبنا الحديث ، وتدرية اعترافنا بآثارهم وسياقتهم ، حتى لا يبدو كل منهم كجزيرة مغلقة في المحيط أو شجرة بريد نبتت في البرية دون تهدد أو رمانة من أحد .

هناك أجماع شبه كامل بين النقاد والدارسين على دور فيروز الروادي بالنسبة للقصة بشكل عام ، والقصة القصيرة بشكل خاصة . فله حصن يخاطبه عند استيقاظه بالجمع النحوي قائلا :

« .. وصيحت أنت إلى شيء ، لا أعرف أن أحدا شاركك فيه في الشرق العربي كله إلى الآن ، وإذا أحب أحدكم حديثك ، أو جاء فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك ، لأنك لغمت له الباب ، ومهدت له الطريق ، وبشرت له السعي ، وأعطت له أن ينتج وأن يبتاع .. هذا الذي دونت فيه واجتهدت ، وسجلت به لتتملك خلودا في تاريخ الأدب العربي لا سبيل إلى أن يضيء ، هو القصص على مذهبه الحديث في العلم الغربي .. »

وقال المستشرق الروسي كرافتسكوفسكي :

« إن أثره على رموز الإبداع أن قصة مبتكرة ذات طابع عربي ضيق قد ولدت في الأدب العربي ، وإن محمود فيروز له اللقب الخلق في تقديم هذا اللون .. »

ويقول زكريه الحكيم صاحب الدراسة الوحيدة النافعة عن محمود فيروز من بين مئة كتب صدرت عنه ..

« .. حسب محمود فيروز ليكون أجدى بالدراسة بين من هم في هبة من الكتاب العرب ، أنه كان هذا قانع أبواب ومعيد طرق ، فقبل فيروز لم يكن هناك قصص مصري .. وكثير قبل فيروز هو في أنه دخل هذا الوضع ، وأنه فتح لأدبنا المحجم الخلد طريقا جديدة يسمين لها وأساليب في الأداء كانت لا تعرفه ألوانها .. »

ويختاره أديب القديس - في كتابه « الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة » - نموذجا لكتاب القصة القصيرة في مصر لأنه « مجرد لهذا الفن فطنة ، أو كان في طلبه من طلاء من طور الترجمة والتقليد إلى طور الاستقلال والابتكار .. »

ويقدر الدكتور أحمد هيكلم في كتابه « الأدب القصصى والمصري في مصر » - أن « نجاح محمود فيروز في القصة القصيرة لشمس لالتسرة القصصى ويسبق عنها الحديث (١٩١٩-١٩٢٢) نجاح غنى غصب ، يوشك أن يروق في كنهه نجاح كل زمانه جميعين .. »

إن الدكتور سعيد حامد التلمسج يذهب في دراسته : « طور في القصة القصيرة في مصر .. » إلى « أن الشروط الطويل الذي طمعت القصة القصيرة منذ نشأتها ، حتى تطورت وأصبحت لنا مستقلة كإحدى الأنواع الأدبية ، لا تتضح معالمها ولا تشكل خطوطها إلا بالوقوف طويلا عند كاتب أدب الحياة القصصية منذ عام ١٩٢٠ ، حتى الآن ، وخصوصية وتنوع والبراك كبير .. » هذا الكتاب هو بتلخيص الحال محمود فيروز الذي يرى الباحث « أنه هو نفسه تاريخ القصة القصيرة في أدبنا الحديث في مصر .. »

وهناك مجموعة أخرى من الآراء والأكام المشابهة التي تؤكد مكانة محمود فيروز الرائدة في فن القصة .. ومن إجتاحتها تستطيع أن تقول : « هو أن تجاوز النقد - أن القصة المصرية القديمة قد خرجت من مظلم محمود فيروز كما خرجت القصة الروسية من مظلم جو جول » وأن أحتاج الأمر مع ذلك في من التحديد والتوضيح بقدر ما يسمح المجال ..

يرجع ميلاد القصة المصرية القصيرة - في أرجح الآراء - إلى سنة ١٩١٧ ، حين نشر محمد فيروز قصصه الثنائية التي

جمعت فيما بعد في كتاب « ما تراه العيون » ، وشيئت قصص بعد يوم وصيحت لها ترجمات وتصويرات والقصصات عديدة من القصص الأجنبية ، كما سبقتها أيضا أرواحها تصمصية أخرى ثلاث في أذهانهم رتيبين :

- محاولة تطوير القصة العربية على أيدي عبد الله النديم وأبراهيم ومحمد الخولي ، وهاذا إبراهيم ومحمد نظمي قصة .

كتابات لبيبة هاشم وصالح حماد والمظبوط وغيرهم لقصص لصنيرة عتائمه القصة قبله مكتلة - بما اصطاح التناقلات تصميجه بالكتابة القصصية .

وكان من الطبيعي أن تحمل قصص محمد فيروز بعض آثار هذه الإخلاصات ، فقامت غاليها أقرب للصورة القصصية منها للقصة القصيرة التامجة المحكمة .

وإنما تأتي أهمية هذه القصص في تاريخ أدبنا من أنها نادت - على حد تجويد يحيى حقي - « .. في عهد لم يالك هذا النداء بعد بضرورة خلق أدب مصري يعنى صادق في تمثيله ، لا يتنسى أخيلته من الصحراء ولا من الغيب .. » فكان عبد محمد فيروز أبنائه أن المجتمع المصري في المدن والريف حادرو هذه أن بعد الكتاب المصري يقتصر شئ بالشيء المهم لدى القرب من حيث الشكل والموضوع ، بل أثبت أن كل ما يخالف هذا الأدب هو تشكرك وفيه وتتلوس .. أن كل من جاء بعد محمد فيروز مدعين له بهمه لهذه الشكوك وأزاحوا من سبيله .. »

وكان على « المدرسة الصيفية » أن تواصل في المشرقيات محاولة تأسيس فن القصة القصيرة في أدبنا ، وكان محمود فيروز من أبرز أعضاء هذه المدرسة وأصحابها إلى افتتاه الخفى شقيقه - يقول أحمد شكري سعيد وهو يدرج لجنة « الشعر » التي أصدرها أعضاء « المدرسة الحديثة » سنة ١٩٢٥ :

« .. لم نذكر إلا الأمر في نشر قصص بصيرة مؤلفة ، كما تؤكد بالترجمة ، لتلوق القصص المبدئية الأجنبية بحيث من العمق أو الصق بباراته ، لتكتنا هذا فطنا أننا نأبل أن نللق أدبا جديدا ، فالأنا ترك هذا الشرقة لتتربنا ، وبعد جدال عنيفة قررنا القيام بهذه الفامرة ، والذي شجعنا أن محمود فيروز كان قد بدأ فعلا في كتابة القصص » »

ورغم أهمية إسهام المدرسة الحديثة في إرساء دعائم القصة القصيرة ، فإن معظم أعضائها سرعان ما أجروا كتابتها « حصن محمود بعد سبع قصص سنة ١٩٢٢ .. وهسين فوزي بعد خمس سنة ١٩٢٥ .. ومحمود طاهر لأثنين بعد مجيبيات ورواية .. ولم يواصل كتابتها سنوات طويلة غير يحيى حقي وأبراهيم المصري وسعيد عبيد ومحمود فيروز .. والآخر كان وأكرمهم على تخليقة تراثها وأحدث إجماعها ، حتى بلغ ما كتبه منها حوالي ٣٠٠ قصة منها ٢٤ مجموعة ، كان له أكبر الأثر في إرساء قواعد هذا الفن في الأدب العربي الحديث »

ظل محمود فيروز يكتب للقصة القصيرة أكثر من نصف قرن ابتداء من سنة ١٩٢٥ ، وخلال هذه الحقبة خرجت من مظلمه عدة أجيال من الكتاب من مظلمه المدارس والجامعات .. فهد المدرسة الحديثة جاء جيل الثلاثينات : محمود كابل والمخني ويوسف حلي ويوسف جوز ومحمود البدي وتجب مفلوظ وصالح ذهني وغيرهم ..

وجيل الأربعينات : توفيق الحكيم وسعد مكاي وحراب والشرافى والضميس وإسمان والنوراني والصباي والشارفاني ومحمد عبد الطيم عبد الله ومحمد عفيفي .. إلخ .. ثم جيل الخمسينيات إلى أوائل الستينيات : يوسف اندرس ومعتلى محمود وصالح حافظ ونصى قائم وشكري مبد ورشدي صالح ومياس صالح ومحمد صفلى ومعمان ماسور ولطفي الخولي

والذين خرج ومعه سالم .. وجبل أولسلا الخسبيات ؟
صالح برجي وعبد الله الطوشي - روبري موسى وهسي حسين
وفلوق منيب وعبد الفتاح رزق .. وغيرهم .. ثم جيل أو
جيلان آخران من الشبان حبل السنابات وأوائل السببيات ..

وتعادت الإقبال من كتاب القصة القصيرة وتسابكت ..
وبدايات الكاتب والنائي .. وتطورت القصة المصرية القصيرة ..
وعقدت وعقدت الشكلاويين ومستويات جديدة لم تبلغها
القصة الثيورية .. ولكن نسبة حيرة منها مازالت محمل انار
تيور واصمة ، في حين أن الأخرى التي تجاوزت قلت حيرة
له بفضل الريادة وتمهيد الترية والاستمرار وتواصل في القصة
القصيرة في أبنائها ..

[٢]

يقول محمود تنيور :

« علما الفت خلت مكتشفنا ماضي حياتي ، أرى أديمة
حوامل أساسية قد عميت في تكويني كاتبا :

الأول : والدي ، أصعب تيسور .. والنسائي
ثقيلي « محمد » ، والثالث : حوادث خاصة كان لها تأثير
في تفكير مجري حياتي ، والرابع والأخير : مطالعتي »

فوالدي جدير أن يكون كنه أروني ، ومهلات الكتابة ، وقد
نعمدي منذ النشأة ، وحببتني إلى الملاحظة والتأليف ، وأني
محب ذلك الحب والكتابة ، وحوادث حياتي لم يطغى في قلبي
هذه بل في الوجهة التي اتسمت بها إلى أن في حياتي الأدبية »

لما أيوه فهو ذلك العالم الباشا التي انتقلت له سعة العيش
أن يترافق للدرسي والثاني وهو حضور مجالس العلم والسر ،
فالتري الكلية العربية بمجموعة كبيرة من المؤلفات والمعلم في
التراث العربي والثقافة الشعبية ، وكان من الطبيعي أن يتركه
أعقد الآثار في نفس أبنائه وروادهم .

وأما الشقيق فهو صاحب تلك المؤهلات القلبية والجناس
المثود .. نظم الشعر وكتب المقالات وأكفب الشاهد المثلية
وأداه .. فلما أتبع له السفر إلى فرنسا للدراسة ، حب من
روائع الفكر والثقافة وعاد بعد ثلاث سنوات ليدهو إلى خلق
ألم بحري جديد يعبر من شخصيتها القوية وكتب ملاحج
والدة في القصة القصيرة والمسرحية ولققت الأبيسي
والسرحي .. بل أعطى خشية المسرح مثالا في وقت كان يعد
فيه ذلك من الكليات والخطا .. فلما توفي سنة ١٩٢١ قبل أن
يلم عليه الثلاثين لمص محمود أن خير ما يحكم به فكر أخيه
وأستلاه ، أن يواصل السير على الدروب التي ارتقاها محمد :
« .. كنت أعمل وكنت مندفع ببعثات من » وأعيتني
الباشنة « التي استكملت بكانت تصوير نفس ثقيلي إليه لو
أبتعت له الحياة » وكنت أحس أنني بهذا العمل أرفع روح
شقيقي ، وأتريه واجب التحية والاحلال »

ومن الأحداث التي وجهت مجرى حياته تنوفا عند أديمة كان
لها أقوى الأثر في مصقل أرواحه وتوجيه انتباهه ، أولها نشأته
في حي شعبي ، ولأنها اتصاله بالثقافة المصرية من قرب ،
وثانها المرض الذي لآزمه من صباها حتى أخريات أيامه ،
ورابعها وهلاته العديدة الطويلة إلى أوروبا ابتداء من سنة
١٩٢٥ ..

في حي « قرب مسعدة » الشعبي التريب من « باب
اللق » ولد تنيور سنة ١٨٩٢ وقضى سنين طفولته بين أبناء
الحي الفقراء من العمال وهنغار الحرفيين .. والتقى في سنوات
أبيه جيج قريب من شواذ الناس ممن كان يميل إلى الاحتجاج
بهم بعد انتهاء جلسات البحث والدرس ترويحاً عن النفس ..
يقول جيج حتى :

« في هذا المجلس تعلم أبنائنا الثلاثة ، مع توفير الأدب
والعلم ، دقة الملاحظة ، وأجادة الرفض ، واستفراخ
النوار ، والتحية للباركات ، وتفرحة التهور التي ، وكتم
الانصام تحت الشوارب إلى تحت النشاز ، سيرورة الإلهة
جميعا من أبيهم حب تدبوع حواد الخلق حولهم ، ألم تكن هذه
المجالس خير حقل لثبات بذرة كتاب قصصي .. »

وانفقت الأسرة بعد ذلك إلى السكنى في شاحبة « بين
شمس » وكانت وقتها لا تزال محتلة وبيئة خالصة .. ويحيى
لنا المستشرق الروس الشهير كرايتكوفسكي في كتابه « مع
المخطوطات العربية » ذكرى زيارة قام بها لدار أمه تنيور
بأنها في « بين شمس » قبل الحرب العالمية الأولى ، وينقل لنا
حديث ملمح أحقية صغير التي به في محلة السكة الحديد
من « أيلشا » وأبنائه ، يقول الغلام للصبي :

« .. أنه يسكن هنا طول العام ، ويتر الكتب دائما ،
ولديه من الكتب ما لا يوجد في القاهرة نفسها .. وأنه لثاني
اليه حتى شيوخ من الأزهر ، وأعرف أولاده : أنهم لثلاثون
حقيقين ! »

وهكذا لأهله الغلام مدحاً المستشرق الأجنبي واستفراجه حاد
يلوك : « .. » ، محبوب ، يالون إلى حناي الصبي ليل
ومع الآن في المدينة يتعلمون ، ويهون بسرعة إلى جدتي « أنه
حارس على قرن القوية - اتعرف القرن ! حيث يهوى فيه
الفلان من القرية كلها » وفي الوقت الذي لا يكون هناك
أحد ، يطلب هؤلاء الأولاد من جدتي أن يقضي عليهم مكناهم .
وعندما تجتمع النساء ويجفرون المعين يخلفن الأغاني والأزهار
يجون أن يسمعن هذه الأغاني . ومع يجمعون في همة .
وكل النساء تمون أن يمتهرن لطلالين ويستغلنهم بأخف
الطراز الصالح ، وفي الأصداء متبا يجمع صبيها للعب
بالكرة ، فلن أولاد تنيور بلشا يجرون معهم دهبولون
ويسرخون : أنهم لثلاثون شابا ! .. »

وتعددت زيارات محمود تنيور للدول حيث كان يمارس
الغلاطين من قرب كما روى مامح الأحذية الصغير ، لمعني
أحصله بزمزم وسوره معلم ، حتى اكتسب سنة ١٩٢٦ رسالة
في معيله الصبي لثقي طليعات ، وكان وقتها يدرس في
باريس ، وصف فيها أثر زيارة قام بها لشمسيتهم فيقول :

« .. ولكني خرجت من هذه الزيارات والمباينات التفتشات
بمعلومات كبيرة جدا ، ولكنها معلومات وبالسف مؤلة ، لله
مخلت ينمسي مثزل هؤلاء الثلاثين بعد ما تطلعت الصارات
الصبيقة المترجة ، فإذا بهذه الحائل - لا أستغفر الله بل هذه
الزرائب - بل هذه الأوكار - بل هذه الحائل - سبها كما
تشاء ، إذا ما لكانت أصح من أن أربي فيها بعض الكلاب
الشقاء »

وفي هذه العارات الخفضة أره والمالية أخرى ماذا
رأت أ .. رأيت الآثار في الإطلال والكتاب وأدعة ، أ فرق
بينها .. ودخلت الطاحونة وسمعت قناطها للتفتحة فسمعت
كأنني انتقلت لأمان من السنين إلى الوراء ، أ ليست هذه
للطاحونة هي بيئها الطمونة التي كان يستعملها للزراعة
وملاح الرومان ..

هذه صورة أينا الصديق مازالت ولا تزال مألدة براسي
سورة بشمة للجبل والظلم والفر والسذاجة ، ولا أكتفك أني
شمرت يني من الاستملاز عتبا لدوا لي وللشقيق ولجماعة
التنظر طام الغداء الذي استملاوه بيديك روسي لم أتيوه بسنة
أصناف من اللحوم والبقول والفشار ، وخمونه وتقدته مره
وعسبل تفسل وانكسة .. يا قصصة الطبيعة والظلم
الإنسان ! ..

لهذا انص أهمية خاصة في نظري لأنه يسفر لدارسي الأدبي
موقف الكنتب الطيبي ، واتميزه الفكر والماطلي للثلاثين

والطبقات الشعبية في القصة : بالرغم من انتكاسة الحقبة الاستعمارية القوية ، ومنعش آثار هذا الموقف واضحة في انتاجه القصصى والسرعى ، وبخاصة في مرحلة الشباب ، بل سئلنا أيضا رفضا واحتجاجا في القيم السائدة في الطبقة الاستعمارية ، وسخرية بلا حدود من طبيعة المآلات القاتلة بين المرء والفرح .

وثالث الأحداث الهامة المؤثرة في حياة مصود تيمور وفنه هو المرض .. يقول :

« منذ السفر والعلل تردد على حتى لفنا الآن ، وأصبحت غير غريبة على . منذ سنين طويلة وأنا في رعاية الطب في مكاني وشعيري ، وفي نومي ويظفني . من لى هذا الجيار أواظبن لا أستطيع الخروج طويلا . فأتأ أعيش من مرضى فى قفس ، أتلذذ لى الأصحاء من الناس يستمعون بكلم هريتهم ، فأبسطهم وتأتلى حشرة اليمه .

وهكذا كنت أفسى فى أصقال ناس ينفس بجملى من الاستعاج بما يندم به غيري ، هذا النص لفتنى ، ومازال يفتنى لى أن أستكمل لى الخيال ما عجزت عن أصاقه فى الواقع .. »

ولولا المرض ، وعلى وجه التحديد حتى التنبؤات التى أصابت تيمورا لى الممرضين من غيره ، وهامته عن أتيام فراسته بدمرة الفراشة للحلما ، لكان من الممكن أن يصعد زراعة الزراعة لى الجانب الأيمن من اهتمامه ونشاطه ، فلا يكون له ذلك الأثر الكير الذى خلفه فى كتيبا بآنتاجه الخيزى النوع ..

رؤوا العال وضعف الصحة لكان من المبك أن يحدد فى وثيقته وزارة الحماية التى يكت بها علما ، أو لى وزارة الكتيبة التى لم يجر بها سوى ستة أشهر .. ولأن ذلك بطبيعة الحال ، على مؤلفاته ، ودور الريادى الذى كان الطرخ التكلل لكاتب من أهم عوابله .

وعن الحدث الرابع المهم وهو سفره الى أوروبا يقول تيمور : « .. سأفرت فى تلك الفترة - سنة ١٩٢٥ وما بعدها - الى أوروبا ، وبكثت بها حينا طويلا على العامين ، قضيت مساهله فى سويسرا ، فطرفت للزراعة ، واتصلت بالأطباء الأوربيين الحديث أقرب اتصال ، وطالمتنى لكاء القامتى هناك مراكىرات ويظننر حذت نفسى ، وفكلفتنى لى صميم ظلى .. كما أن خبرى بالحياة وسعرتنى لها اتسمت واتوسعت . فكان لهذه الحياة الجديدة التى مضتها هناك أثر لى تطور فكرى ورايت على ضوء مخطلماتى الجديدة ، وفهمى لنظريات الأدب العلمى أن اللون المحلوس كل شيء ، بل هو بعضى للشه ، وما الأدب الكير إلا أن يولى الإنسان وجهه حشر النفس البشرية .. فحاولت أتجاهى نحو هذه الوجهة - محاولا للتقدم فيها ما استطعت .. »

[٣]

بدأ تيمور قراءاته بألف ليلة وليلة وبعضى الروايات البوليسية المتجمعة ، فالتفكس ذلك على أول محاولاته للتصايف ، وفى - فيها مبعثنا - قصة بعنوان « الظفر الرفيع » ، طلبا شاييل أنجليزى اهدى على لقاء حنية وطنية فأتبرى أعلها للانتقام منه وأثر لتفريمه .

وعرف بعد ذلك - بأرفاند شتيهيه محد - مؤلفات جبران وأمين الريحاني وبخايل نعيمه ، فأنثر بها وخرج يؤلف بطلونات من الشعر المتن تفيض حزن رومانسيا . فلما عاد مصود تيمور من أوروبا سنة ١٩٢٤ وجهه الى قراءة الأدب الأوربى ، وبصفة خاصة قصص « موبسان » الفرنسى و « تشيخوف » الروس ، ليلكا عليه تلميح :

« ثرات لفنا ؟ لى ؟ حذت مع اشتيميسها عيا .. » « .. واتسمت مطالعاتى فيها بعد فى القصص الأوربى وشتمت ، ولكن حتى اليوم مراكلت محتفظا لموبسان بالكان الأول فى نفسى ، فهو عندى زعيم القصصه الكير - ورن « موبسان » لى تفرى لى كابل فورتت فيه كل العناصر اللازمة لتيها قصة قوية ، من حيث عرض الموضوع ومعالجة و تحليل شخصياته ، وتسلسل الحوادث وخواتمها ، كل ذلك فى وضوح وإتقان . ولا أنكر لى ثرات له حكمة لم تدرنى .

ثم انتقلت يمسد ذلك لى القصص الروسى و فترات « تشيخوف » و « تورجيف » ومن مالمها ، فرايت تأثير « موبسان » وأضعما فى بعض انتاجهم .

ولذلك لا ندهش حيننا نراء بولع بعضى القاصيصه الأولى هكذا « بيلم صاحب العزة مصود بك تيمور موبسان المصرى » .

ويقول تيمور عن فن « تشيخوف » :

« وأما « تشيخوف » فقد راغى منه لكة يصور ماسى الحياة فى الواج تية ناطقة ، لملها لا تسكتل لموبسان القصصية بالمضى الشاتل للصحة المحيكة الأطراى ، ولكنها بغضه من الحياة فيها حرارة وأتيا خلوق . ومع ما يلى من بساطة الظاهر فى هذه الألواح فأنها تنطوى على ممان عميقة ، وتحليل للنفس البشرية جيب » .

وهكذا بدأ مصود تيمور يكتب القصة المصرية القصيرة متأثرا بهذين العالمين الكيرين ، مترسما فى الوقت نأسه حوى شتيهيه « محد » فى هذا الن .

وكان أهم ما ولى لى بعد تيمور فى القاصيصه الثمانية هو خلق جو محلى مسند من البيئات الفقيرة والوضع مستلهاها أطراى التى بها قرأه من قصص إنجليى ، مع ضعف لى البناء والأهتمام بتصوير الشخصيات من الخارج ، وإرفاق نفة النقد الإحتياى والهدوء لى الإصلاح ، حتى لتعبر قصصه اقرب للصور القصصية منها للقصص التى القاصيع . وهذا أمر ظهري بالمسبة لكاتب محتمس مثله ، لم يكن له جدوى الخبسية والمشرى من غيره حتميا ككتب قصصه ، ولم يجد لى العربية قرانا سابعنا له يعتد به حتى بقى به يد ويبنى على أساسه .

يقول الققاد أن مصود تيمور قد بدأ من حيث انتهى شتيهيه محمد . وهذا غير صحيح . فالأعمال الأدبية لا تخضع لتواتين ومعادلات علمية ، ويستطيع اللاحق أن يستوحى من طريقها كل ما حلقه السابى ، لئيدأ أسافاته من حيث انتهى زميله ، وأتيا فى تجارب معاشة وأحاسيس مبلورة ، وتعرض فى فزون الصياغة والتعبير للفقوى والبناء القلى المكد ..

والاقرب للصواب أن نقول أن مصود تيمور قد بدأ بمحاكاة قصص شتيهيه ، لكننا لدا حدنا من القصص لى نفس مستواها التى ، تيبا أهم خصائصها ، ولم نخل من غيرها ..

ونمثل لهذه المرحلة سيارب قصص حى : « حفلة باليوسنة » (« ١٩٢٠ ») ، و « الشيخ جمعة » (« ١٩٢٢ ») ، و « واسطسنة - نساوف » (« ١٩٢٢ ») ، و « الفست نود » (« ١٩٢٤ ») ، وكلها فى مجموعة مصود تيمور الأولى « الشيخ جمعة وقصص أخرى » (« ١٩٢٥ ») .

القصة الأولى : وفى اقدم ما نعرف من قصص الكاتب ، تقدم صورة سلفرة لثلاث من الشبان الأرستقراطيين يأتلب منهم الإدماء والسلحية ، والحدث الذى تقوم عليه القصة هو تعريف أحدهم لخبايلت غرامية يثب بها لزميليه أنه مشقوق النساء وفلاتهم !

و « الشيخ جمعة » صورة انسانية خالية من الأحداث لحارس « جرن الروسية » الذى عمله الكاقيب فى فيشعتم ١٩٢١

ومثلها « الست فودة » ألفتها السيدة الثرية «- جيوشا تروينا» التي طلبها منها جنيها واحدا - يرده حين يعود للعمل لزوجها ولادة لزوجته .. فقطعت قطعة بخدمة تروينا ، وحبب حين يورثها !

إما « واسطة تعارف » فتصور لقاء بين تلميذ فاضل في الخامسة والخمسين وسرال في العنة الثانية الثانوية ، وطبيب حامل كاد ينسى منهته ، تقلل منهما تروية منيه من العمل .. وقد جاء الطالب يحمل للطبيب بطاقة حقيقتة معلمة الباتر القصصية ليعلمه شهادة مرضية تسمح له بالتفكير من الخدمة .. ونظم مما دار بينهما أن الطبيب هو الأخر على علاقة حميمة بالخدمة « القصصية » .

والقصص الأربع أقرب للصور الوصفية منها للقصص الحكيمة ، وقد لاحظ ذلك الدكتور حسين فوزي في مقاله المنشور بـمجلة « البحر » مسنة ١٩٢٥ ، فيقول حسن مجموعة : «الكاتب في ذاته مجموعة من الصور لجأ إليها المؤلف إلى طريقين : الأولى طريقة التصوير المباشر ، والثانية طريقة القصص - وعلى ذلك يمكن أن نشجع تحت عنوان (الصور) هذه المقطوعات : الشيخ جمعة - الست فودة في الحياة - السليح . كما نشجع تحت عنوان (القصص) المقطوعات الباقية » .

ومثل هذه البداية الجذرة شمة موقف اجتماعي واضح تجاه الشخصيات ، وقد عرفنا الكاتب .. موقف الفهم والمتعاطف تجاه الشيخ جمعة القروي البسيط السليح ، وموقف الصفيح والنقد والسخرية من الست فودة الثرية البهيلة ، والطالب الباحث والطبيب الماحل في « واسطة تعارف » ، والاصدقاء الثلاثة الأرستقراطيين في « يحفظ بالبوصلية » .. وهو موقف أساسي في كل إنتاج مصدور تهور القصص ، لأنه هو الآخر من يورثه التي خلفها له شقيقه محمد ، فالمستشرق الألماني آ . شافيه يربط بينه وبين أخيه في هذه الناحية ويقول :

« يشير الكاتب بطلا لنفكر الصامية التي يمتلكها منذ صباه في مهنة كتابي أدب بأنه سكتة أن يحيل أمام أمين مواطنيه صمعة من أخلاطهم ونفائسهم - ولكن هذه التزعة يبل ظهورها عنده بقر ما تزاد عند أخيه الذي كثيرا ما دفعته غيرته الإصلاحية لأن يكون أقرب إلى المعلم منه إلى الأدب .. »

وفي مجموعة تيمور الأولى ، قسم أقرب للقصص والاكتمال ، من بينها « سيففا » (١٩٢٤) و « الاصطبي شحاته يطلب ياورته » (١٩٢٥) ، الأولى تعتمد على عنصر المرافقة الساحرة بين جو الحزن الفاعري الذي يهدب المزمون في جنازة أحد البكوات ، وبين انشغالهم الحقيقي بصفائر دنوهم .. وأما « في القصة » بشكلا فرائد ألبانيا الذي طلق لزوجته « بلانكا » ويريد أن يردحا ، ويحصل - أثناء الوثلة - في طري يردحا من أحد الفروايش المجالين مقابل ريش يسهه في يده ..

و « الاصطبي شحاته » حذى ندين له « زوجة وخضمة اطلال لا يجهون طعامهم ولا يكسبهم إلا بقتل الناس » .. خرج باثلي حاتم للزعة والزبارة ست مرات فتجسع له ثلاثة فبهاتها ظلت الهام تبتال في خدمتها له .. هي أيلة سكين يخلد بها إلى طريق الرذيلة قبل ولادته .. وقد تعنتت بها السن الآن وأصبحت في خلة مالية «- وأمام أصرار الاصطبي لمعاته على طاقى لاجئته «- لا تتيح ما تطلبه له سوى لنفسها !»

ويقدم محمود تيمور لهذه القصة بقوله :

« من حقائق الحياة التي تجرى تحت ستر الفلانة ما هو ناعم بولم « والكاتب القصص الذي شخه داليا وصف المعلق كما هي يرى من جزيء يجرى في هذا الضلع المائل منها كائنهاية- »

وسبب هذه القصة نفسها دافع الكاتب - في تقديمه للمجموعة - عن اصحاب المذهب الواقعي (الواقعي) ، وما قاله :

«- فلو أننا لن نصنع الطريق لهذا المذهب بينما ليم ويتشر ، فنحن في حاجة أن نصدقنا عقول من حياتنا ونفسنا مهما كان القول شديدا ومرا ، لا ين يصبغ لنا الأرقام الكتابية عن بيئتنا فيتمسك لنا بجيلة خدمة تدخل الفلانة على أنفسنا . وما أحسن ما ناله الكاتب الفرنسي الشهير أميل زولا حينما حاب عليه بمصنف شدة تحسبه بالمذهب الواقعي الذي مده الحبيب مخليا للآداب ، حيث قال : نظلوا بيسوكتكم لسانكف كتابتي .. »

ويشي عن التأمل في هذا النص ، وفي القصة التي يدافع عنها ، وعدد آخر من قصص المجموعة .. تستطيع أن تزعج أن بدايات محمود تيمور القصصية كانت أقرب للتيار الطبيعي منها للواقعية بفهمها الاجتماعي والقصدي .. إذ تطلب لهم التصبيلية الميترية ، والاعتماد بخلق العناصر الحية ولو لم يتطلبا بناء القصة التي .. ويحيل إلى وصف الشخصيات من الخلق أكثر مما تطلب إلى خيالي الناسوس وما تصور به من صرامات .. وتبرز أثر الفرائز في سلوكه الإنسان الشرير أكثر ما تلك تأثيرات العقل والإرادة وتوازع الخير في النفس الإنسانية .. بالاعتماد إلى قصور فني واضح مرده هدالة السن وثقة التجارب الفنية والإصاوية .

وهذا التزوع للطبيعة التشتلية ليس إلا صدى لعياب الكاتب الشديد بموياسين ، وإستادته أميل زولا ، وهو كما نعلم رائد المدرسة الطبيعية ونظرها الأول .

وهذه الفصلان التي درجنا عليها في بدايات تيمور القصصية درج في الأغلب إلى نوع من المرافقة الفنية والقوية والوطيلة - فيبذل في تكويد بلانك الطابع الحلي في قصصه كان في حقيقة الأمر استجابة للزعة القومية القوية التي سادت البلاد في أحوال ثورة ١٩١٩ ، وقد فطن هو نفسه فيها بعد إلى هذه الحقيقة فكتب يقول :

« أتى علينا حين من الدهر كان أكبر ما علينا فيه حين نتجرد لتجريب قصة أن تكون له ظفرا بحادثة أو أحولة ، فلا نلث أن نعين لها مواقع صبرية وأصعاد صبرية ، وبمؤثرات وقعية ، وحتى فيها لنا من ذلك بناء يحيل القصة ، حينما أننا قد استرأينا عناصر القصص المرعى الصميم ، وظلما على هذه النور ليرة ، نرعى زهرات لنومنا ، ونشبع روحنا ونمليل وطيننا ونفاني في الامتثال بظك الصبغة المحلية الزامية .. »

سنقل ليمس إصداء هذه الخصائص في مجموعات تيمور الأولى في المشرئين وأوائل الثلاثينات ، وأما : « هم مغولي » ، « الشيخ سيد الكبيط » ، « الحاج شليبي » « الشيخ عطا الله » .. مع قدر أكبر من النصيب العسكري والمطلي ، وزين من الدرس بآنية القصة ، وأهتام أوسع والتحليل التلمسي إلى جانب الوصف الخارجي للشخصيات ، يندى في بعض القصص ، إلى حين تظل غايتها معالجة على خصائص المجموعة الأولى ..

[٤]

لست هنا لتصان تقسيم إنتاج الفنان إلى مراحل أو لوجيات ، فكل عمل فني شخصيته وسماته الخاصة « بحيث يممب تصنيف مجموعة من الأعمال الفنية داخل إطار واحد .. وفي الوقت نفسه قائل كل فنن يكون حمل « آثاره » ذاته ، وعلى هذا أن جميع أعماله لا بد أن تحمل سمات وخصائص مشتركة لأن ذات الفنان واحدة لا تتغير :»

وعلى انجاهه لاستلامه الأساطير في بعض قصصه هورية
 ليمسور « (١٩٢٧) » « بنت الشيطان » (١٩٤٠) .
 « أليسة ايريس » (١٩٤٩) ، ان يكسور تلميذها لهذا
 البطل الذي يستلمه الإنسانية جميعها سهلاً من بيضة
 سحلية خبيثة جالوت طور المرافعة ولم تعد بحاجة الى
 تأكيد ذاتها في وجه منتصب اجنبي .

ولا يعني هذا ان تيورا قد حل في قصصه الحديث عن
الواقعية ، وإنما معناه ان القصص قد أخذت تنقل عن طبيعتها
المتشائمة منذ وقت مبكر ، واكتسبت بدلاً منها خالوا وإيجابية
أخذاً يزدادان وضوحاً مع الزمن . ولكن حتى هذا التطور الهام
 في قصص تيوراجيدبقرته كاستنقاي بعض قصصه الأولى مثل « أبو
 عربي » (١٩٤٨) حيث يرى قوة بطن الشلل وصف عينه
 في الانتقام من الصبي الذي قتل كايه العزيز تدويان أمام عاطفة
 الأمومة التي يلج بنفسه مخاضاً من النافذة وهو « ابن فوق
 الشجرة » يخبر القارئ لتطمين رأس الصبي كما حلم
 كايه ، فإذا به يهدى صرخاً ، ويمدو وجهه خيفت ليخبرن
 ولده وهو في عمر الخمس - وبهذه بشغف الدنوع ضح من
 عينيه .

وفي قصه « دنيا جديدة » (١٩٤٥) بعد محاولة واضحة
 لتأكيد معنى قوة الإرادة والإيجابية في الحياة . لهذا شارب
 ينس من الحياة وقرر الانتحار . وعند شاطئه النيل يرى
 شابة تضع وليدها جنباً وتلقي بنفسها في النهر . فلذا به يتقدم
 لتأقدها . وإذا به يطالبها بالتمسك بالنهاية والاتحاق بصديق
 الأبل « لك الدرد روحين وأصبح مسكولاً عنها » وأصبح
 لحياته بحس جديداً وحداً جديداً . فحسب الفناء وظلها
 وصاروا جنباً إلى جنب . « ونهاهاه يخلفان بشعور واحد »
 شعور تقي ناصع كدياه هذا الكوكب الخالق الذي يغيرهما
 بلفظه المؤلوي . « يسيران نحو دنيا جديدة »

وهي نفس الفكرة تقريباً التي جعلها الكاتب فيها بعد ،
باعتباره كبر وكثر غير قليل من الانتقل في قصة « القصص
الحياة » حينما أجرى على عالم بطل قصة الطبيب هذه الحقبة
 الشائبة من داء الانتحار .

« العمل الغير في حدود » ، « انك » ، « ولعم العون لاخرك الإتمان
 ما استطعت في ذلك السبيل » . « العمل الشائبي من داء الانتحار
 هو أن تهب من حولنا قصة فاعرة من جوهه اقتنسا ، هو أن
 تبد القصص المكونين بقره من روحها ، هو أن نلتصق الحياة
 لكي نحس الحياة » .

وعلى هذا التطور في قصة تيوراجيدبقرته أكثر حين يقرن
بين قصصه « القصص » التي كتبها في السبعينات
« أليسان » (١٩٥٧) . « ما يوقف الذي تطلق عليه
 القصتان واحد . كصيح أليسة المعز من الحياة بدأ ناسه
 جحداً على الناس » في القصص الأولى « بعد حوله
 صاحب ورشة التجليد يصيب جام غصبي وحده على
 صبيبه « مجد المعز » ويحل حياته إلى جحيم . حتى يندلع
 له أسير إلى الآلة القاطعة الورق ينقطع سقايه ١١ «
 القصص الأخيرة . ويطلقا هذه المرة « رجل » ليس له
 اسم . فرغم أنه هو الآخر « نفس على الناس ما يتصورون
 به من قوة نشطة وراح ، ويشعر تحومهم عقده مزيج ، ولا
 يملك فيما بينه وبين نفسه إلا أن ينس عليهم بالغبيا جولاً في
 منف كره » . « فان فرح حياء سديور الفصل من مربة
 وتغاور على السطح يرتج » . ثم ما لبث - بمعاونة الرجل -
 أن تبالك ثراء ولحق بمرجه . « هذا الفرخ الصغير استطاع أن
 يتبع الكسبيح أن يواصل حياته من جديد وينضم إلى حرب البشر
 الذي كرههم ويجرحهم . « بعد استنسا من جديد .

ومن الطبيعي ان يعكس هذه التطورات تنوع في البناء

ومن الحق بعد ذلك أن ثلاثات القنان بالواقع الخارجي
 وقدتره على استمهاه والتعبير عنه فخرها عليها تنويراً أو تعديلات
 كثيرة . لا بد أن تنمكس تيورا على انتاجه الفني ، وأن كان هذا
 لا يستوجب بالضرورة تغييرات جذرية في « الانتاج بحيث
 يستطيع أن نضع خطاً فاصلاً بينه وبين انتاج الفنان السابق .
 ان إلى جوار التغييرات في عناصر اسبلة ثابتة لم يطرأ عليها
 تغيير . وفي الوقت نفسه ففي حياة كل فنن دورات وارتدادات
 إلى سبب وخصائص من انتاجه البكر أو اللاتق .

والعملية الفنية ، من بعد ، ليست من البساطة والانتظام
والروشح بحيث تستطيع تصميمها بسهولة ، ويخطو فاصلة ،
إلى التجامات وبراوح لا يأتيها الباطل من وراء ولا من أمام .

وإذا صعد كل هذه على اللون جيبها ، أدبية وغير أدبية ،
 لمر بعد قصة خاصة على القصص الصغيرة . ذلك الفن
 بسيط ، التظاهر شديد التقيد والرونة من الداخل . بصورة
 جيز سما كل منظري الأدب حتى اليوم من الأسبلك به وروشه
 داخل قولهم « قواعد الكتابة » . كل قصة قصيرة تكاد تكون
 تجربة جديدة تامة بذاتها في الشكل والبناء والمضمون .

وإذا كنا قد استغلنا أن نتعرف ، بشكل عام على أهم
خصائص فن تيور القصص في نماجه الأولى ، فقد نستطيع ،
وبشكل عام أيضاً أن نتعرف على أهم الفصائل والتعديلات
التي طرأت على النماذج التالية ، وننطلقا في قصص
بمبينا . ولكن هذا لا يعني أن نضع خطاً فاصلاً يمكن
بواسطتها تقسيم انتاج قصص القصص إلى مراحل أو توفيات
فنية . .

سلسلة متلا على قصص تيور في مراحلها الفنية المتوسلة
 والمختلفة ، وبالأخص على التطويل الفني وتطبيق نظريات علم
 النفس الحديث من التوازن والمواظف والمعد النفسية وتطبيقاتها
 على سلوك الإنسان ، وخاصة منذ طين إلى : « . أن كتابا
 ينمصر على العقل الواعي ، فيما يتولد من حيله الفني ، لمر
 كاتب يقع بقصور الطوايح ، ويكتفي بالمعالم الطائفة ، فلا
 يخرج من ذلك إلا صورة زائلة ومزاج كايه ، لا يطينه من
 حقيقة الحياة شيئاً . « أما أن استطاع الكاتب أن يخفي أصور
 العقل الواعي ، فانه يجد في يده الصياح السعري ، ويند له
 طريقه ، لتكتشف له الشخصيات سافرة غير متكررة ، وتنتجلى
 له الدواع التي تحرك تلك الشخصيات ، ويعرجها على مختلف
 أنواع السلوك . . . »

بعد هذه الفصائل وأخسعة لسي قصص
متسلس « بيمسور » (١٩٦٩) و « أنا القائل » (١٩٥٩)
و « زامس القصص » (١٩٥٣) و « القصص
الحياة » (١٩٦٢) . « ولكننا نجد أيضاً وضحة على بعض
 قصصه القديمة مثل « إلى الجنة » (١٩٢٨) « حسن
 الحما » (١٩٣٩) ، « القصص » (١٩٦٦) . « في القديم
 كان لبيل إلى اختيار نقيبه من الشواذ والمتصدين
 والاشويين ، وفي المراحل المتقدمة أصبح يؤثر تحليل شخصيات
 انتمائية عنيفة ممن يملكون فجاج الحياة من حولها .

ويستغف تيور كلك من حرصه على إبراز اللون المحلي
 الصاخر في اختياره للشخصيات قصصه ورسسه لبيئتها تحتنا
 لتدليل الإنسان الذي جاهد لتحقيقه في قصصه المتلججة . .
 من لتقار له في « سحتل إحدى قصصه وهي « الطائر
 الخليل » (١٩٥٧) .

« لا يطينا حتى وقت أحداث هذه القصة . . كل الإلية
 جوانية لها ، سواء كانت قصة مختلفة في التدم ، أم حبيبة
 صا « رسنا الرامة » . « لا يطينا أيضاً في أية بلد وقت »
 لكن « د سحان أن تكون لها بحرما « ميم الخ » .

التي تتضمن تيمون .. فاختارت التصيلات التي لا تليق في تطوير الحدث أو توضيح ملامح الشخصية ، وتوعدت أساليب العرض من استخدام أسلوب السيرة الذاتية إلى أسلوب الرأب الحاد للحدث ، وجوهرت مناجاة آلات السر والحوار والوصف في بناء محكم نتيجة لحلول الخيرة والتعريس ..

[٥]

وإذا كانت القصة القصيرة قد امتازت بالجانب الأكبر من جهود تيمون وهواه ، فإنها لم تستأثر بها كلها .. فإلى جوار قصصه التي تروى على اللامتناهية ، خلف لنا هشر روايات من أشهرها « ملوى في مهب الريح » و « ذئب الجهور » و « شروق » .. وحوالي عشرين مسرحية ما بين قصيرة وطويلة .. بعضها مسرحيات واقعية تصور شرائح اجتماعية وتتقدم ، وتضجر مما في حياة الطبقة الوسطى والديا من ظلم السطحية والفسة والفساد مثل « أبو شوشة » ، « الصلوك » ، « حيلة شاي » ، « الخيول » .. وبعضها الأخر مسرحيات تاريخية تتخذ وتقع التاريخ الدنيء أطارا لتقديم دراسات نفسية شبيهة مع محاولة استبط أزمات الماضي على بعض مواقف الواقع الحاضر .. ومن هذا النوع الأخير مسرحيات : هواء الخالدة ، ابن جلا ، اليوم غفر ، صفر قريش ، طارق الاندلس ..

وقاليت مسرحيات تيمون مألوفة للعرض على خشبة المسرح ، وبعضها عرض بالمثل وحق نجاحا ملحوظا .. ومن ثم يغفل لنا أن تيمون .. إلاذا لا يقدم ميلا الصرح بعض هذه المسرحيات ، ولو للقليل من سبل الزكاة الذي ثلا به معارضا دون بير معلوم ..

واسم محمود تيمون في ادب الرحلات بقرعة أو خمسة كتب ، كما قدم عدة دراسات من تاريخ القصة وقصتها ، وسجل جانبها كثيرا من ذكرياته وأرائه إلى الحاد والادب والسر ، وكتب مقالات من أهم شخصيات مصره وادبائه وقائيه ، بالإضافة إلى أبحاثه اللغوية في إطار جميع اللغة العربية وخارجها .. ومن أهمها « معجم المصرفة » الذي استحدث منه عدة سنوات مدينة .. وأن كنت أرى أن أهم إسهاماته اللغوية هو مشاركته الفعالة في تطوير اللغة العربية في قصصه سردا وهوارا ، حتى أصبحت ، مجهوده وجهود غيره من كبار أدياء العصر ، قادرة على التغيير من أدق التفاصيل والخطوات .. ولو حاول باحث أن يزلج دأوسا للالفاظ والتعبيرات المستخدمة في القصة العربية ، فسيجد أن جهودا قد أبكر وطوع الجلب من هذه الالفاظ والتعبيرات ..

وبعد ، لقد لا يكون محمود تيمون مبدعا .. وله لا تكون موهبته الأدبية خارقة .. وقد تلمس في بعض إنتاجه التي شيعنا هنا وفورا هناك .. ولست من ألبان إلى المبالغة في التأييد هني في مجال التعريف والتكريم .. ولكني مع ذلك أرى أنه في الحساب الأخير الفضلا كثيرة على أدبنا من أهمها بالإضافة إلى ما ذكرناه حالا :

● أكمل الخطوات القصيرة التي قطعها شقيقه محمد تيمون وإعفاءه الخدمة في سبيل التصيل إلى القصة القصيرة في الأدب العربي ، وذلك نتاجا ذريعا نموها كان بمثابة التربة الخصبة التي أنبتت عدة أجيال من كتاب القصة العربية .

● أرسى قواعد المذهب الواقعي في القصة العربية ، وظهر في أساليب كتابتها وناج بها درجة من النضج لا يتكر سواه من الناحية الفنية أو الفكرية ..

● أنشأ موقفا نقديا شامخا من طاقته الابتكارية في وتماثل مع أدباء الطبقة العاملة والفيزي في القرية والريف وعرض جوانب كثيرة من حياتهم ، تسليح من المؤلف واليبيين أن يتصدروا بالقصة العربية الحديثة .

● يثم بالكثير من القيم الإنسانية الإيجابية في قصصه .. كحب الحياة وتكثير الزكاة ، الإيمان والوأنح الخير في نفسه والدموع للحب والتعازل بين البشر ..

● كرس حياته وجاهها كثيرا من ثورته للعمل الأدبي ، فاستطاع أن ينجز هذا الأمر الكبير من المؤلفات ، كما عاون مددا كبيرا من الأدياء في بداياتهم .. يقول يحيى هني :

« محمود تيمون على الأدب الحديث فغلل كبير ، فله خبره للأدياء مثلا وأثما للكتاب كوك يظلم لفه ويك مله هبة ، ويؤاني بكلا ولا ملا على شبيهه وقديمه .
حلل المستشرقون اسمه ومؤلفاته إلى بلاد أوروبا بعرضه فغله شيئا من أدبنا الحديث .. لم أحد أحرار من حين أراه إلى اليوم لا يظل يجهل من خدمة الأدب ، وكما مثل أجابه ويظن كالبه للجبج ، لا فرق بين صغير وكبير .. »

أما أهم إنجازاته في رأيي ، فهو قدرته المجزئة في بعض الأحيان على خلق قصص قوية مؤثرة من أحداث ومواقف وشخصيات مادية تعيد بنا في هائلنا اليومية ولا تكتظ انظارنا .. فلذا بها بين يدى الصانع قطعة نابضة من الحياة تدعج الدمع إلى ما كنا ، أو الفسحة الصاخة إلى شعاعنا .. وذلك في رأي مبدعة القصة القصيرة ، وأهم عناصر طوقها .. وعلى أساسها خلقت أعمال « فطيسخوف » اعظم مسن كتب القصة القصيرة في كل تاريخها .. والأندلة على هذا الطراز من التمس في ادب تيمون ليست ثلثة يثبت لا تناه تخلو منها بسجوة من بسجواته المبدعة ..



لقد سنل محمود تيمون ذات يوم :

ماذا تريد أن يتركك الناس به بعد الموت ؟

قال لي أجابته :

« كلما كان المرء مخطئا في كتب مقامات الحياة وبعدما كان أشد حرصا والفرى لرغبة في تقليد اسمه بعد أنطاف مصباحه تمويضا له مسبا ذاته : وتغذية لنفسه عما قدده .. ولعل السر في أن الأدياء من أكثر الناس تقصيرا لذكور الخلود هو أن الأدياء بسامة مزجة وحرة كاسدة .. فلا غو أن يقتل الأدياء بذلك الشهرة التي تنقذهم بعد ارتحالهم من عالم الأحياء .. »

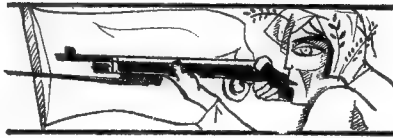
ولما كان الأديب يعطي ويعطى ولا يزال شيئا ، سله يتطلع إلى تعويض .. من هيب الإحادة .. فمقم جليل ، ولو بعد حين طويل !

فلذا سألته نفسي : ماذا أريد بعد الموت أن يتركني الناس به ؟ .. لم أجد من جواب صريح الركن إليه إلا أنني أريد أن يعوضني الله عما فلتت ، ولا أتمنى غير ذلك من تعويض ..

ألا أيها الزائد الكبير ، والإصمان العظيم .. فاعلمنن روهك في جوار ربما إلى طيبة الاحودة وتخلو الذن ..

وإذا كنت لم تولد حاك في حواك من الدراسة العلمية الموضوعية .. وهي غير تكريم يمكن أن نلقمه لك .. فلا شك أنك ستظل بعد وفاته ما كنت جدير به من دراسة وتكريم .. لأن التكبير في ذلك تكبير في حق أدبنا قبل أن يكون تكبيرا في حاكنا علينا .. وسلم عليه بين الخالدين ..

صفحات من أدب المقاومة الأسباني



د. جليل كمال الدين

يرتبط

اسم اسبانيا بالحرية والبصولة ارتباطا وثيقا . والسائد في الأدب العالمي أن اسبانيا هي انشودة الحرية والبطولة والفداء . ذلك أن اسبانيا هي التي اطلعت في الثلاثينات جمهوريتها الديمقراطية الفاسقة . التي رفعت علم الاشتراكية والديمقراطية الشعبية لأول مرة بعد الاتحاد السوفيتي في 1917 وثورتى الملقيا وحنفابا البوليتاريتين في 1918 - 1919 . وهي التي انجبت اخواجا من الابطال الصناديد . وعقدت للعالم شعراء رائعين امثال لوركا الذي سقط بروصاص الفاسقة الاسبان . ورفائيل البرني . وجيراردو خيفو . وجسورج غيلسن . ويذور مساليناس . واميغو برادوس . وميكويل ارندلس . ومانويل التولايير . ولطونيو مالحانو وسواهم من انبياء اسبانيا الاحرار . كما انجبت فنسان الطليعة التقدمية العالمي الاشهر بايلو بيكسو . وسانتسبا لنا . فان اسبانيا وثيقة الصلة بالعرب . ولازال الجو الاتلسي العربي ماثي يهني انفسه اسبانيا . والاسبان انفسهم يولون بذلك . ملهين الى التأثير العربي ، يسالغ في الاغنية الاسبانية والشعر الاسباني والادب الاسباني والتمج الروحية والاخلاقية الاسبانية عموما . وشكيب الباحثون كثيرا - وليس ذلك دون اسباب وجيهة - عن تاجر لوركا ورفائيل البرني بالعرب ثقافة وروحا وشعرا . ومثلا . حتى أن لوركا ألف كتابا في العرب والثقافة العربية . . وستحدث هنا عن ادب المقاومة الاسباني . ماثين بضع صفحات مشرقية لثقلته منه - مبتدئين بلوركا . فميكسلو . فالبرني . فارناندسي . ومثنتين بالشعراء الاسبان المصارعين من جيل الشباب وسواه .

① لوركا :

أنشودة الحرية



ان لوركا أنشودة والمتخلفة من الناحية البطولة والخدمة الأسبانية : وليس مسرحه الفراجيسدي في عام ١٩٣٦ ، وشعره الباقي على الدهر في الخاتمة الأسبانية والجمهورية الأسبانية ، وفي تشدان الحرية وتوحيد للقاء ، والبطولة ، وإيذاء الشعب البسطاء ، سوى الدليل الذي لا يهضي عن تعلق لوركا الاندلس بالحرية والتمتدح ضد أعدائها .

كثيرون الكثير من الشعر والمهرجات والمخالط ، ومن جملة دواوينه الشعرية المشهورة « كتاب الاثمار » و « قصيدة الغنية الحبيبة » و « أهل » و « حكايا فورية » و « شاعر في نيويورك » و « ديوان القبايل » ، ولعل أهم دواوينه في مجال الجليسة الثورية مع الامبريالية العالمية هو « شاعر في نيويورك » ، حيث كان الشاعر قد حل في الولايات المتحدة في صيف عام ١٩٣٦ ، واستخدم محسنا الامبريالية الأمريكية في التروبول ، فثار بوجه هذا العالم المقيت ، وانتمى للاندوج الأمريكيين ، وكتب قصائد كثيرة في ذلك ، منها « الفجر » ، حيث تسمعه وصف فيدور ايويروك الابريالية وعالم واسلعل :

لنجر نيويورك
أربعة أهددة من هذين
وزيعة حياتهم سوداء تنزع في
مياه آسنة .

... يطلع الفجر ولا من يتقبله
غلبه
فليس هناك من صباح ولا أمل
متنظر

وتحت النقود أحيانا مثل وحوش
ضارية .

من الأطفال المشردين وتلتهمهم .

وتتل من حياة الجامعي المنتهية في
هذا العالم الأبريالي الذلي .

يعون لحظة يولدون ، في عظامهم
انه لا جنة ولا حب طبيعي
يعرفون لنهم ماضون الى وحل
الارتقام والتوانين
الى للعاب بلا غن أو روح ، الى
كدح بلا ثمر
الفردين في السلاسل والضحج
في تحد وقبح لعلم بلا جذور
الجموع الارقتة الضواحي يترنح
مكانها طلعت لنورها من طوفان
دموى

ان كجاج لوركا ضد الاسبالية الحالية
وامبريالية البانكي الابريكية ، بصفة
خاصة ، يرتبط ، على نحو مضوي ،
بكماله ضد الفاشية ، وخاصة ضد
الفاشيين الاسبان ، الذين عت لنجسهم
كل قوى الفاشية والرجعية في العلم ،
فلما توحدت كافة قوى التقدم في العلم
خصرة الجمهورية الاسبانية الديمقراطية
الريدية في مرارها ضد الفاشية الاسبانية
والعالية ، ولعل ذلك هو احد جذور ضد
الفاشيين الاسبان الضاري على لوركا
وانغماسه لياه اخيرا .

يصف لوركا الحرس الاطلي ، وهو
الحرس الفاشي الاسباني ، فيجملك ترى
وتشتم هذا الحرس ، كما تل بالحرف
احد قادة الجمهورية الاسبانية ، ويضم
بوركا لوحة واقعية حين تزدان بالفتاويل
الرومانتيكية والسريرية والبرية ليدل
الفجر (في تلال لديه صوم الشعب
الاسباني) ، هذه الحقبة التي يفرسها
الحرس الاطلي وينتهها في عينة تاليس
انتقلبه ، تسلا كما تمل ، تسلا مد ،
الفاشيون الانان في كل جزء من اوربا
المحتلة ، وكما فعل ويلعل الفاشيون
المستولية في ارشنا العربية المحتلة .
يقول لوركا في الحرس الاطلي ومدينة
النفسر :

خيولهم سود ، سود حوافرها
الحديد ، تشع على مازهم
بقع من الحبر والشمع
وما دأبت ججاجهم من رصاص
فلن يبكوا

يتقدمون بارواحهم الجليدية
وتبعاتهم الملوثة
عبر الطريق
متكورون كالخشب ، قنابون حيث
يسرون ،
يتشرون صمت اللطاط المعتم ،
ورعب الرمال الناعمة

ويختتم اللوحة بنهاية هائلة ، تصور
نهاية الدنيا الفورية ، وهي نهاية كل
مدينة تثرة صف حيلة كاديب فاشية :
وحين لم تعد السطوح

غير أخلايد من الأرض
هز الفجر كتفبه على سرب طويل
من الاحجار
ايه يا مدينة الفجر
بينما تحتضنك الحرائق
كان الحرس الاطلي يتوارى
في سرباب من الصمت

ويراق لوركا هذا الحرس الفاشي
الذي يتقدم وارعا الحرائق التي تشعل
الخيال ، على حد قول لوركا ، يرانعه
في كل قصيدة قالها تقريبا . فالعصر
الاطلي هو رمز للفاشية ، والعصر هم
رمز الشعب الاسباني ، ولنا نجد هذه
المراقة في قصيدته في مسرح انطونيو
ال كاسبوريو ، وفي « صرخة الى روما »
و « أغنية للفارس » و « الفانس ميكل »
وبغيرها من القصائد ، وفي قصيدته
صرخة الى روما ، وسور لوركا الصراع
بين الانسان وأعدائه ، بين الشعب
والانبريقية ، وبين الطبقة المسالمة
والرأسمالية ، في مثل هذه الاثمار :

هنا لآشئ سوى مليون حداد
يعدسون القيود لأطفال لم يولودوا
بعسد

هنا لآشئ سوى مليون نجار
يصقلون قوابيت بلا صلبان

يتودع لوركا المستعبدين والظالمين
مبينا بالانسان وفورقه وجه العظم ،
ناجدا لئلاسان ، والسرله ، في شعبل
تل حاصل :

أيا الإنسان .. فستكلم
وسيصصر عاريا بين الإهددة
الشايخة
... فيقول : الحب ، الحب ، الحب

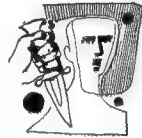
حتى تحول شغاف الى فضة
ويلعل لوركا ، حقا ، سر الصراع
الابريالي المسور بأنه التهم الجنون
والسمى المتوحش وراء الاثراج ، وبأنه
الارتداب الابريالي ... ارتعاب المستغلين
جيبا ... أمام عظمة الفراء ، وفورة
الظلوطين . وهكذا لنهم مصرخون
ويولوبون ، لتنا ، على حد ما يتفرد
لوركا :

لأننا نريد خبزنا اليوم
ونريد أزهار الحور والسناجب
ذات النشارة الابدية
ولأننا نريد وفاء الأرض
يهب الفاكهة للجمع

ويتسكن الفالانست ، أخيرا ، مع
النفساء على ضد لوركا ، لكن روحه
الاصفره والفتية ومسرجه وتكايته
تتلل تراسا يستحق به زجلا الخالية
الانسان وشعرانها ، على من المصوره

٢) أنطونيو ماخادو :

.. ومصرع لوركا



أنطونيو ماخادو هو صديق لوركا المقيم وزميله في حركة الفشل المتقدمة ضد الفاشية المالية والسياسية ، وضد الديمقراطية الحالية . وقد لاقى ماخادو حتفه في المثلث بعد سقوط الجمهورية الإسبانية وانتصار قوى الفاشية . فهو مثله أن في الشهادة والبطولة والعداء ، وهو رابعه في الحركة الفاشية ، التي لارثت مستيرة ، ضد أعداء الإنسان .

كان ماخادو صديق الصلة بالاشعة الضمنية الإسبانية ، وبالضمير الإسباني الجنوبي بصفة خاصة : وهو يمتنع ، على وجه الدقة ، إلى جبل ١٨٩٨ ، وهو البديل للبحث من أسبانيا حرة ، إسبانيا من دون ممتلكات ومن دون إمبراطورية ، إسبانيا ديمقراطية تحصى تقليد الحرية والثورة والثوار في العلم .

ولأبصار نقول أن عام ١٨٩٨ هو العام الذي انتزعت فيه كبريا هزينا من برافن الاستعمار الإسباني . ولذلك فإن الجيل الجديد كان دعا بالاحتجاج ، وهكذا ، ضد إسبانيا الظالة - كما يقول جان كايك ، صاحب كتاب « الأدب الإسباني » - « لانتمريد إسبانيا أخرى ، إسبانيا بتعلمه من الثقافة الحالية ، داخلية في الظلم ، لا إسبانيا طلذ يساهم الفسادة والارت وتفتقر بخلاتها على نفسها واحتادها للثقافة الأجنبية . وقد عد هذا الجيل عام ١٨٩٨ عام الانتاد ، رغم اليك للحرية والتقليد الحصرية الكلتية الإسبانية .

هذا هو الجيل الذي بقي اليه ماخادو والذي سوتيليد على تقليده لوركا ، فيها بعد ، أنه جبل البحث من الحرية والديمقراطية ، وهو جبل يرفع لواء الخلافة بنذ مولده ، ويصل ناز الكناح في كل إبداءاته - رام مضطج لا سبيلية سلفادور دالي وبريتون : ولا العادائية

للك لوركا - أروح ؟ بعد أن أختفى لوركا - الجسد ، يقول :

رائنهام يخفون ،
ألا ألتحقوا أيها الأصقاء ،
عبيقا في الصخر ، والإحلام ،
عبيقا في قصر الحراء ،
صبيقا في الصخر والإحلام ، قبرة
قبر الشاعر ...

هكذا يكتن ماخادو مسجديه لوركا بشعره ، ويدفنه روحيا في رهاب قصر الحراء العربي الإنطلي بخرطة ، التي كان لوركا فيلارها الذي لا يكب عين الصداح ، وهكذا أيضا يلتقي ماخادو بلوركا وبساتير الشعراء الثوريين وشعراء الخلافة في العالم لغشاء لوريا ، على مستوى الخلافة ومستوى الكلمة المخلقة.

٣) رفايل البرتي :

.. وعائدة الحرة



رفايل البرتي هو صديق لوركا ورفيق له وزميل في جمعية الكتاب الديمقراطيون الأحرار في إسبانيا ضد الفاشية . وكان البرتي يمثل لوركا لتقليد ماخادو بأغاني الضرب الإسباني وشكاه وترائه البولكلوري الذي نمازجه عناصر عربية كثيرة .

ولد البرتي في عام ١٩٠٢ ، وأبتدأ الكتابة عام ١٩٢٤ . وبعد ديوانه قصوره لوس انجيليس « البداية الرميضية الوليدة لتأليه الشعر ، وقد نشر عام ١٩٢٩ . ويعد كثير من النقاد موازيا في التبية والإمينة لديوان « رومنتسيرو جينانو » . كما كتابا لمسيرة - الذي اشتهر به لوركا ، حتى أسي « شاعر النهر » . وقد تحدث البرتي له ، بصفة خاصة ، عن البصير ، والغاني البصيرة الإنطليسيين وحكاياهم

أن تنزع عن جبل مقلادو زاوية الكناح أو تجدر وجهه ويظنه ، فالسبيلية لم تكن الا قنطرة مبرها هذا الجيل ، كما مبرها بلوار وأرافون نحو رهاب الأدب الولقي الحديث المصلح بتجاذرات الرومانتيكية الثورية .

وحين يطرح لوركا بصرجا بدماله ، في فجر أحد أيام آب ١٩٣٦ ، برصاص الفاشيست الأسبان ، يهب ماخادو ليمن فضيته العلوية على صفتي الموت ، وجدر الظلام والرعب في قصيدة رائحة ، تعتبر وثيقة علمية من وثائق أدب الخلافة الأسباني والعالي ، وانجازا رائعا من إنجازات أدب ماخادو الكناح :

رائنهام يسير ،
الينافق على جانبيه
عير الطريق المديد ، إلى سهول
الصباح الندية ،

صابتنا تحت النجوم
وهناك .. في أشراقة الضوء
تتلوه بالرصاص
أطلق الجلاذون أجفانهم ، كلهم ،
وصلوا ،
خائفين أن ينظروا إليه ،
ويطلعو إلى عينيه ، وصلوا
يهتون :

« لوس حتى اللاتيلقنك الآن ! »
الدم على جبينه ، الرصاص في
ضلوعه
شم ... هوى .
نقد وقعت جرمية في غرناطته ،
أنتم تعلمون : مسكونة غرناطة
- غرناطته !

ولعل ماخادو هو أفضل مكتشف لروح لوركا ، ولسر أسرارها ، فهو يمسرف من لوركا الكثير ، وهو يخترف من ذات المهن الذي يخرق منه لوركا . وهكذا هو يواصل قصيدته :

كما نراه يعيش مع الموت
غين آبه بمنجله .
الشمس على الإبراج ، والمطرقة
على السندان ترين
وفيتريكو في ذربة الرحب
يجاور الموت وهو يسبح :
« بالأمس في قصيدتي ، ليحسا
الرفيق

همس خفيف النخل الصلب
يتلج الألفية ، ويتر المساة
بمنجل من الفضة ..

ويعد أنطونيو ماخادو شخصيته الرائعة هذه ، التي تميز ، بمعنى من المعاني ، بيان الخلافة الأسبانية الضمير الثوري ،

واساطيرهم - وكان البرني - كما يراه
سليم بورا - ذا ثقافة أرومن من ثقافة
لوركا ، غير أنه كانت تنعكس سمجة
الخيال وروحانيته التي كان يميز بها
شعر لوركا - غير أنها - وأن اخذت
بمصر الشيء - بالأسلوب والتأويل
الشعري - كما شاعرين ثوريين تد وطنا
شعرها الرابع في حديثها للشعب
ونفس الثورة والحملة الأسبانية ضد
الثقافة والبربرية العالمية .

وفي عام ١٩٣٤ كان القتال بين
الجيمسوريين والديمقراطيين الإسبان
والفاشيستين الإسبان على أشده . وكانت
المجرة قد بلغت ذروة [أونايغو] ،
التي كانت تعني وتتذكر في صمصر
محكم خريته - جيوش الجنرال الفاشي
لوبيز أوكاروا ، الذي كان قد طفى ثوريه
في إفريقيا ، واكتسب حكمة عسكرية
في عمليات الأضداد والصح الحربي التي
لقدما ضد العرب في شمال إفريقيا ،
وفي مراكز مهمة خاصة ، وكان يضع
الأسرى في مقدمة الجيش الزاهف .

وبالرغم من شدة المعركة وقلة الأذائع
كانت الطبيعة القامئة في اسبانيا ،
وعلى وجه الخصوص مسال مناجم
استيريا الأبطال لا يرفهون في ترك مدينة
أونايغو - لميأوا قوام ، وكل ما لديهم
من حكمة ، واعتصموا في الخنادق .
وكان بين هؤلاء المقاتلين عدد غير قليل
من النساء والأطفال . . . وكانت ثمة فئاة
في الساعة عشرة - فضة الأهل ،
مشكلة بالحيرة ، وهي الشبهة الثورية
التي اشتدت باسم عائلة دي ميون .
. . . وكانت تدمر على منها رباطا أحمر ،
وتطوف بين المقاتلين تشجع مرأيتهم ،
وترفع صرخاتهم ، وتضرب مثل بنفسها
في القتال والصدود ، فقد كانت تطلق
النار من رشاشها باستمرار .

كانت عائلة هذه ابنة مجير أسرح في
أونايغو ، وهو فوري تديم ، إلا أنه
كان مريضا بالربو ، فمكتت ابنته عائلة
تساعده في مسال التنظيم الثوري ،
وهكذا أصبحت نخلة ومبرضة متنازة .
وكانت ، أبل الحرب الأهلية الأسبانية ،
تلم فرق الأسلاك ، وتبرخ الجرحى ،
وكانت ، حينها تستطيع ، تطرف في
القتال الفعلي ، فكانت لا ترى إلا وسما
الذخا واللب ، وهكذا اشتدت في
أونايغو باسم « الحرة » والثورية .

وفي ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ ،
استمدات مساعدة من حمى بنفسها ،
انصباب صعبة من فائتها المتأففين .
كانت عائلة حمى الانصباب برشاشها ،
دون أن تترك لنفسها الراحة . وكان
فائتها يتولون لها « عربي يا عائلة » ،
إلا أنها كانت ترفض ، وترفض حتى
استيحاء آخر فائتها الاختفاء والتأوى
وراء البل الذي انصبوا إليه . ولكنها

واكتب أن اسبانيا وجدت شجاعة
جديدة

أريد أن أعيدها إلى الحياة . . .
« سنلقتي » عندما تنصرف اسبانيا ،
عند قبر عائلة ،
ونقدم حبا لعائلة
المرأة الحرة البائسة . . .

هكذا خلد البرني الفئة الخالوة ،
والعائلة الثورية والتدلسية ، وهذه
الحمسة - وحسب البرني أن بابل
بيروا كتب منه مرة قتال ، أنه شاعر
الثائرة التي وهبها كلحارة بيانه وسهر
شمايرته ، وأن لشعره طعم الدم
ونكة البارود . .

٤) سيكيل أرفانديس :
.. وصوت الأرض



اكترفت اسبانيا الأدبية ببيكيل
أرفانديس شاعرا وهو في الرابعة
والعشرين . وكان اسمه بختن باشاكو
ولوركا والبرني . وفي سنته الخامسة
والعشرين كان أرفانديس راكدا في الحادق
على شكله مخيف ، يسدود منها
النقص ، وكان يظن الرسائل من
سنتيقه ، وكان في ذات الوقت يحب
الشعر ، ويقرؤه لرفاته المتفادين ،
ويأخذ طريقه للشعر على سمحات الصحف
الجيمسورية ، وفي نشرات الحش
الجيموري وجرائده .

وفي التاسعة والعشرين من عمره ،
ويصد تغلب الفاشيست على توات
الجمهورية الأسبانية ، حكم على أرفانديس
بالإعدام ، ولحقى سبعة أشهر ، بالفعل
في زنزانه الأعدام . فبر أن الإعدام
أبدل ليا بعد ، بالسجن عشرين مليا .
وكان هذا هو الموت البطيء ، وبالفعل
قد جرى أرفانديس ، وعلقت السجن
سحت ، لتقوى في السجن ، وكل ما له
من العمر ثلثين وثلاثين مليا . وهاشاته
اسبانيا إلى فائتها شهدائها من الشعراء
الأبطال . .

بقرته وحدة ، ومع ذلك رقت الانصباب
كانت تمل نفسها بأن لديها مسجما
يلدها في القتال أيضا - وهكذا كان .
ويظن تطلق النار من رشاشها حتى تلد
صامه ، ثم جابهت العدو بمسدسها
العتيق حتى تلد وصامه من الآخر ،
وسقطت شهيدة . كانت تثر الاستعداد
على النوع في الأمر لدى الناشت
الأسبان ، الذين لا يعرفون الرعة ،
ولا يهابون للقتل نفسا بمسألة
الأسرى ، وكانوا كثيرا ما يثلون بالأسرى
بعد قتلهم بأشعب الطرق .

.. كان جسد الفتاة الصغيرة ، عائلة
الحرة ، يرفد على قمة التل ، وهذا
نسلوة العمال الإسبان ، ولدها الشعب
الاسباني . وكان رباطها الأحمر يتلظى
مثل شعل ، مثل كوكب في صمعة
السما ، نبراسا للخالوة والاشتباه
وكة للهبث هذه اللوحة الواقعية
شاعرا رفايل البرني ، نشم حميدة
كبيرة [في عائلة الحرة] وفي بطولة
العمال الإسبان ، والخالوة الأسبانية .
وقد ظلت هذه القصيدة تتلظها الإهواء
وتخاطها أوراق الثوريين ودفاتهم ،
حتى وجهت طريقها للشعر ، بتول البرني :
أريد أن أعيدها إلى الحياة . .
أن مبير الصزن الذي نشره
الصرع الدامي ينتشر في كل
أرض !

وقبرها الذي خزنه العواصف
يمتد ويمتد
تبرها الذي عليه يخطو الناس
أريد أن أعيدها إلى الحياة . .
أريد أن أشق الأرض ،
الأرض التي لا يستطيع الناس
لها حرا . . .

هنا تغيب الأزهار الجميلة
هنا لا شيء إلا حصاد الفولاذ .
أريد أن أعيدها إلى الحياة . . .
عائلة . . . الحرة . . .
انظر إلى صورتها المطلقة للدماء
وندهاها بملصق على الحراب ،
وقد تطعت لمرأيتها . .
أريد أن أعيدها إلى الحياة . . .
وأصبح بالفاشيست جيعا
« أن « الحرة » تعيش ،
« أنها تجتو وراء رشاشها ،
تقتل على الجسر » .
أريد أن أعيدها إلى الحياة . . .
أيه ، يا صاميل المنجم ، دع يدك
تغمس في نجيع عائلة
الحرة . .

كتب أرتانديس مدة مجموعات شعرية ، وأربع مسرحيات ، وكثيرا من الأشعار المسرحية القصيرة ، وكتب إلى ابن مترد من تونون الألب وهو الشعر في التفر ، كما كتب عددا من الإبركات العربية القديمة ، بل ورسم لفسا كثيرا من الرسوم المصنعة بالقطر والمخالبة . ويقول كثير من القلة أنه لا يمكن فهم شعر أسبانيا العظام ، على نحو ولاء دون ما أبدعه أرتانديس .

ويؤثر فيه بابلونورود ، الذي خاض المعركة إلى جانب الجمهوريين الأسبان ، وعرف لوركا ومخادو والبرني وأرتانديس وسواهم من شعراء المقاومة الأسبان من كتب ، يقول : أن وجهه هو وجه اسبانيا ، وأن الشعر ينضج من فيه كما ينضج اللبن من الضرع المظلمة . كما يقول فيه أن شعره ينضج بالآش السبانية ، بروائهم وزهورهم وأسبانها ولأجلبها . أن تصالده وأسماؤه في ثلاث من قله بمعدة وجهه .

وهو يذكرك ، من حق ، بالشاعر السوليتي موسى جليل ، الذي خاض مثله لحارب المعرك ضد الفاشية ، وسجن في سجون القامس ، ثم أعدم . أن شعرا يصف بالبلونة الثورية ، والرجولة ويذكر بالبطولة ، التي هي تجسيم لبطونة الشعب الذي انتصروا منه . كما يجسد شعرا إرادة الصمود والاصرار حتى شرف الاستسلام .

ان الأسد لا يتغير أبدا . فقد مضى رأسه الماسفة مؤثما ، إلا أنه لا يركع ولا يشتم . يقول أرتانديس في قصيدة له بعنوان « ربح القتال الشعبي » :

تصبنى روح الفصال الشعبي
تجرني وراءها
ويغفو القلب أرهب وأرحب
وتنتال الأغنية بحرية وطلاقة ..
قد تصبنى الرأس مؤثما
فحت الضربك الثقيلة
غير أن الأسد لا يتغير أبدا
فأنه يتحمل الضربة بشجاعة
ويردها ببرقته الفولاذي .
أن شعبي كالأسد في الجربة
ومثل النسر الجبلي في الوادي

وفي ذات القصيدة يصف أرتانديس مارينا مبرده مقصا « دائما إلى شرق الضفاد » بكبرا حلبة اللداء من أجل الثورة والشعب :

فما جدت ساسوت ؟ فاني صالنتني
الموت برأسي مرموع .
هب أتى ساسقط ميتا
مكبا بوجهي إلى الأرض

ولكني صائم شاكى بقوة
بأصرار لا ينقضي ..
سأنتظر الموت بأغنية .
فان شعو اللابليل لا يهدأ
حتى تحت أزيز الرصاص
وحتى في لعللة المعارك ..

ان أرتانديس هو ابن الشعب الإسباني البلي ، وهو ذلك ، وانطلقت من ذلك بلحم ، أقوى ما يكون الانتمام بأغاني الشعب وسلاطينه ، وببطلات الشعب والبهامير النبوية التي لا عد لها ، والتي تفتن التصوير والصبيح . ويشبه أرتانديس نفسه بالابليل ، كما كان الشعراء الأنطلسيون يعطون ، ويقول من نفسه أنه بليل الشعب المصادح بظلالاته ، وحيه :

أيها الشعب ، استجب لندائي
وأطمعني بجليتك .
أنا أنت شجرة ، يا شعبي
وأنا ملتف بجذورك .
أنا خلقت لأغنيك

ولأودع عنك الشرور الرهيبة ..
ان أسناني وهي .
هيا سلاحان للخياد عنك .
لقد طلعت من أعماق الأرض
إلى عالم الأرض والضمير .
... من الظلمة طلعت إلى النور
لكي أكون على شجرة المعركة
ولكي أكون البلبيل المصادح
بظلالناك

وطبوحناك ومستقبلك ومصيرك
ولأجل أن تكون أنت ؟ يا شعبي ،
الذي أصدق لك ،
يقظا ، فلا تسمنى ؟ وأنت تسمع
نداءاتي .
المرارة والعطش
والآلم الأرضي .

مشق أرتانديس العربية ، وعلم بها همام الملتقى الملتة المخولة ، فهو يمدحها بميوته لأجلها بعض ، ولأجلها يقول الشعر وهو يرجع . ان رومة الحرية تخرج برومة الشعب ، ورومة اللداء ، ورومة المقاومة في كل مغزى لا يحدأ .
أنه يقول في قصيدته « جريح » :

كل في الدم ، أيها الحرية ..
أنتي كلمة ملتهبة
ولك وحكك ، أيها الحرية ،
أهبط ميني ويدي .
وما يتقي هو شجرة من اللحم

فليكن إلى الجراحين ..
بسببك أيها الحرية
أحمل تحت الجلد المزرق
قلبا كبر من قبضة اليد ،
وبسبك أخل ، وقد هببت ميفائ
بالرغوة الحمراء ، في الظن
كما لو أتى خلعت في عبارة
من زهور الدلك .
أنك رائحة أيها الحرية . أني
أهبط أن الفلك في العمل
أنك تعيدني رسوخ النظرة إلى
موق العين الأجوف
والإصابع والاقدام لن مقدها
أبا إلى الأرض -
فتمعين القصرة ورائحة المياه
للخضراء .

٥ جيل الشباب .. وكوبا



لم تنته المصمة البطولية للناسوية
للشعب الإسباني وشعره المظلم بانتباه
أيام الجمهورية الأسبانية واستشهد من
استشهد من شعرا لها لثقل لوركا
وباخادو وأرتانديس وسواهم . لقد
نزل طلبة الشعر شعراء أسبان جسد ،
كما أسبق بعض الشعراء الشيوخ على
ترجمة لغاتهم الشعرية . ومن هؤلاء
الشعراء الشباب غوسيه فالينغنة ،
ونظونير بريس ، وكثيلا آبيديج .

وهما يبين هذا الشعر القصص
المعاصر كونه يستخدم الرموز الثورية
بكثرة ، في بلاد تعاني من القبح البشري
للحرية ومخبتها . وهو لذلك يفقد
بوضوحاته قد توجب لناظر المجلان بمعدة
من الواقع الإسباني ، إلا أنها ، في
حقيقة الأمر ، وثيقة الصلة به . فان
الشعراء الشباب يتجهون ، خلا إلى
كوبا ، التي كانت جزرا من الانجرار الحورية

الاسبانية لم تتركها بلما الا في عام ١٨٨٨ ، كما اسلمنا ، وبمحبتهما لتتبعهم القوية . وما من شك ان التوجه الى كوبا الثورية ، وتيجاد ثورتها بتعادة الذرى الكبير ليدبل كاسترو ، هو ، يعنى من الهاتى ، فوجه الى الشعب الاسبانى ذاته ، والى ابلال هذا الشعب العظيم . فان الصلة بين ثورة الشعب الكوبى ، وثورة الشعب الاسبانى جدلية ، حية ، فتفى كل يوم باليسجد ، وتزدهر باستمرار وما كوبا بالنسبة للشعراء المصاولة الانسان الا الطريق نحو اسبانيا ذاتها . لهم من خلال كوبا يخلطون اسبانيا . وهم يخلطون كوبا على نحو يكثر ، ويعلمون غير يكثر ، عشارين بها المثل ، يخطين منها القدوة ، موجبين اليها انظار الشعب الاسبانى خاصة ، والشعب الناطقة بالاسبانية فى أمريكا اللاتينية ، وشعب العلم كاتبة ، داهين اسنادتها ودعسها ماينا ومنسوبا ، والتفصية من اجلنا لثقالى والرخيص .

ان هذا الشعر بئال ، المين ، بالوطنية ، والامية التسانية ، وهو ، أصلا ، بئال بالثورية اللاحية التى تتجاوز سطح الحدث الى أمسائه ، وضغلى الدروس والمبرة حبلىستطيع وكان لابد لهذا الشعر من بعض اليروز ، وحى يمول ثورية أصلا ، ليحتال على شحارز اليرود والسدود التى خربها النظام المتصر .

وقد ظهر فى باريس ، مؤخرًا ، كتاب رائع مثير منوانه «اسبانيا فتلى لكوبا» اسمم فيه مطلون لخطف اجيل اسبانيا الشمرية ، كان منهم شعراء معروفون جدها فى موم اسبانيا امثال غابريل سيلابا ، واتشيل كريسو ، كما كان منهم شعراء يدرا على لثى طريقهم الابدى امثال خوسيه فلتنتية ، وانطولين بيريس واكشيل آهيريغ وغيرهم .

فهو الشاعر الكبير غابريل سيلابا ، بئال الجيل القديم يخطب كوبا ، يمتد اليها الشكر ويرضى لها اللقاء ، ولكنه ، مير تلك ، يخطب اسبانيا ذاتها ، ويجه ان كوبا لا تصوم ان تكون وليدة رائمة مرجلة باحزول السرى . اذا صح التعبير — بلما الثورية اسبانيا . ان ايام كوبا هى ايامه ، وثورتها هى ثورته وكل شيء يمكن ، اذا ما التلب مرق بيود الرب ؟

حين تكتس مسفن الاسطبول الساندس مولانى بلادى قاتى لئكر فى كوبا .

وحين تفتتح تفتاتلات التانكى مضاعنا

وتسم اجواضا وهواضا ،
فاتى لئكر فى كوبا .
وحين يدبك المازى فى ارشنا
ويدمقنا باسم « الحمر »
فاتى افكر فى كوبا

ولا يلى ان وهم التفسير الثورى
الشمرى لولائه الشعرية الملبية :

انما الشعب الكوبى
يمنح الانتفاص للآل — ولذلك
فاتى اومن فى اسبانيا .
انما احلام ليدبل
تطير قرونا الى الامام — ولذلك
فاتى اومن فى اسبانيا .
انما كل شيء يفقد ممكنا

اذا ما القلب مرقى قيود الرب
— ولذلك
فاتى اومن فى اسبانيا .

ويختم قصيدته بالقول : شكرًا لكم
ايها الكوبيين — ايها الرفاق ، ايها
الاخوة — اننا بكم .

ويناول هذا الشاعر الشيخ المشعل
للشعراء الشباب ، لفظه خموسيه
لثنتيه ، لثيمه يقول فى قصيدته :
كوبا ، الجزيرة الماتية ، بعد صمعية
صمعية غاضبة :

ولكن سيكون يوم
تتهب بقيا كلمات الذين اهدموا ،
واحزان اليهود ، بشراوة وكبرياء ،
وتنهض ، مقطعا بعد مقطع ،
وتلتحم كلا موحدًا ،

لتتجس انجاسة الينسوع فى
النجرة الانسانية .

ولا يلى ان يمن :
اننى صاح ويظف . واتى لائمهم
كل صوت .
لقد اقلعت الجزيرة
مثيرة اللهب ،
فانتحوا الطريق لها !
هاهى توغل فى البحر الحر
وتصاعد العاصفة ببيارقها .

ويخلبه شاعر اسباني شاب أكثر ،
هو انطونير بيريس ، شاعرًا كويسًا

بمضلا عز بئولاتى ليلين ؟ يسدموه
الى الرص الاضقالى ، لهذا اليوم هو

يوينا :
نيكولاس ،
ايها المثنى الكوبى ،
اعطنى بك !

... ان الغنياء والحقى
مدينون لنا ،

فليدعوا لوطنا الان .
يكفيهم ما استلبوا . .
ان هذا الحفل حفلنا
ولن يستطيعوا تنقيد موسيقانا
بعد اليوم .
فليشعروا الخمر
لدى الآخرين
اما خير كوبا الحرة
فليشره الكوبيون لفظ .

وصلن الشاعرة الاسبانية المعاصرة
اتشيل ابيرونوج ان والدعا كان كوبا ،
وانها اسبانية من حيث الولادة ، ولكنها
من حيث الدم والنزعة ابنة كوبا الحرة
ودتف بالشعوب ان تكتدى بكوبا ، وان
تتص على الطريقة الكوبية ، فالشعب
فى كوبا يهد الطريق للحرار بسخره
وميه . ان الابل الجديد هو الذى تحله
البارك الكوبية ، وهو الابل المائى
المنظر للشعب الاسبانى ، لا ذاك
الابل الزائف ، الابريالى ، الطالع من
مياى ، كما يقول للشاعر خباده
بيدا . وقد منح بعض مؤلاد الشعراء
اغانيهم لمركبة الحرية فى لسطين .

المراجع :

- [١] دواوين الشعراء الاسبان
المعروفين فى الدراسة بالروسية ،
وبالعربية .
- [٢] مخطوطة كتب السطور [من
الخطافى العالمى] .
- [٣] اعداد من مجلة : الادب الاسبانى
بالروسية .
- [٤] لوركا قبائرة قرطبة — ترجمة
كاظم جواد وسلافة ججاري .
- [٥] شيسامر فى نيويورك للوركا
[بالانجليزية] .
- [٦] الثورية للقلعة — م. م. بورا
— بالانجليزية .

حكاية الطرائف المحلقة

شعر : أحمد عنتر



[فى هذه الليلة ، بين جميع ليالى العام اى
شيطان اغرائى بالمرور فى هذه الامكنة اننى اعرف
الآن جيدا ، هذه البحيرة المجهولة .. وهذه
البلاد التى ترود فى غاباتها الاغوال ..]
ادجار آلن بو

المدائن — تلك التى داعمتها الفجعية ذات صباح ،
واومية الدم كان تختر فيها الرياح ، تشرج عليها الصباح
المحيم ..

وسادتها يلمقون السماء بأعينهم ، فى الشرايين تبخر كل
الاسماعيل [لفظا على اثر لفظ] وتبحر للمستحيل ، وتفرد
هذه المضايق اشرمة الوهم [ها هو طارق قد عاد ..]
احرقها .. والجنود تقانوا وضاعوا على مآذبات اللثام ..
وحين استداروا الى الشط لم يبق شيء .. [وكانت ذراع
الى الكتف مشدودة بنسيج من الجلد .. تفجر فيه
العروق .. وتهتز ..] .. والنار ترقص حول الهشيم .

المدائن — ذاك الخواء الايسرى . ذاك السكبان
الاثيم — وجهها الخزفي تنائر ..

[كانت تحلق ينصهر الشمع بين الجناسحين . تهوى ..
ولا شيء فيها يحس السقوط .. تحلق .. ينصهر الشمع ..
تهوى .. وتهوى .. وتستمر الشمس تنفث من رنتيها
الحصيم .]

المدائن — تلك — استعارت رداء التبعج من زمن المهر
والفتح .. عادت تسمى مفاستها .. يستريح السكاري
مداعبة الناهدين اللذين تساقط دونهما الشهداء [١] ..

١ — تؤكد كل الاذاعات والصحف الظافرة
بانهم فى الجنان يمشون فى فرحة غامرة
وفى خطب الجمعة الطاهرة ..
ينبعون شيئا من الفكر ينثى على السير العاطرة ..

ويروى الذى فر منهم وعاد جريحا ..
عن الحرب والموت والدود والدم شيئا ينز الصديد ذبيحا ..
ويقسم حين اتوا فى غلائل احلامه اجهشوا بالبكاء ..
وهم يصقون على المدن المعاصرة !!

ويبتد سوق الرقيق متشبل ساحاته المذنات التي تظار منها
الدعاء جريحا .. وحوم خلك السديم ..

.....

ويبتد سوق الرقيق .. على شفة النهر . حيث
المدنية . [ذاك الوعاء الحفصاري .. ذاك الرداء الشفيف
الذي لبسته القبائل ..
واللصوص - الذئاب - السامرة الان ينتشرون على
وجعها الزئبقى بثورا .. طحالب .. غسوق دم السبركة
الراكدة ..

والجسور تحس رنين الدراهم .. ترتسج
أردافهن .. [٢] ويتمين .. ينحصر النهر .. تعوى
الغشاع .. تجف البقاع .. وتضمصر بين الحقول
السنابل ..

[.. يرتخي الساعد القروى ، ويسقط بالناس ، تنعس
بين أكف الرجال البنادق ، تدمع أبنية واعدة ..] [٣] ..
.. وتقطف كل النهود .. وكل الصبايا ..
يصدرن كالقطن .. تحبلن الفواغل ..

.....

« تذكرين مهود التحلل والموت .. كان السبايا يسكن
لتيمر . والبسوق يصدو المواكب ... لسكن صرير
السلال .. يعلو .. ويعلو .. تجسد قرطا بأذنيك عبر
المصور . ولا تشعرين !! انظري في المرايا .. وجهك الان
تعدو عليه سنابل كل الخيول .. وشعرك يبعث ضلائله
[دون جسدي] .. وأيوب يرسف في المسير .. سبع
« صباب » تمر .. تحقق حلم العزيز .. ويوسف لا زال في
البئر .. ينشب عينيه في الطين بين القوافع والرفيسة
الخالدة » .

.....

.. ويبتد عصر الترحل .. تمضي الدقائق لينة المس
رخوة .. وتبدو الحياة وثيقة زيف .. اذا شاء يخرقتها الموت
يدخل كل المدائن عنوة ..

فتندب فيها الفواكل .

ويهتك هذا الرداء الشفيف الذي لبسته القبائل ..



٢ - العلاقة تبدو حميمة

بين ايقاع هذا الرنين وبين الجسد ..
في القووش القديمة ..

انظر الرقص كيف انتشر !!

٣ - وقابلات شيوخين ملتئين يسيران نحو الضفاف
صحيفتهما ..

حين تأما .. فتدنت ما يحلان متاعا ..

عرفتهما ..

[الجوع والفقر] كل يمد لثلك السهول ذراعاً ..
يصبحان :

[ابتعت الارض ..

هذا اوان القطاف !!] ..

قصصان قصيرتان

الى الشاطئ الآخر

ناديته وهبيت والفسا ، كانت فرحاته به .. كنت ظانرا لا اظن الا انه اسود ، وما هو في احشائي بيضاء غلظة ، كم هو رائع صديق هذا ..

قال : تعال .. قم يا رجل .. ذات يوم استراح من مفاته هذا السكين على خشية ، ناولته سنجارة رفضها ، وسعل وسب البرد والبخان وكذا ليالي الصيف التي تجعل الامل منى ينام عاريا وتوجل - ليالي الصيف تلك انظر منا لا يتلم ونالذة حجرة مغلقة ، وسلكتي عنها :

قلت : هي 'خروف اثني هنا ' دائما .. بهذا الخفي .. ومع ذلك نمر لراها - لكن .. دون ان نلتفت اليه ،

وشقلت صدى ، ومن البيوت النائمة المستقرة لتزعت قلبي ومو يتنفس - المستكين - في كفي صغيرا ، واسلمته له - وراها متوقفة بالابر - وقال : حلو .. عرفت كيف تنقذ ثوبها .. وكيف تهبشعها ليبدو وجهها الحزين هكذا ضاحكا : عارية للدمين بنعلها ذلك ، اللذان اريتان صغيران ، من ثوبها الابيض القصير اللطيف رأت السائقين كويين من الخشنة باللين ، تمسك متديلا متوقفا صغيرا في كلا الصغيرة تهيمه وتغضب الكف الصغيرة المرتفعة - يا لوعتي جالدم ، يالله كم هي قلقة ، ما اروع حزنها ذلك كانه كويين من القهوه وبالكين - بريق به للعينان - من خلف نظارتها الطيبة - كأنها كويان من القهوه وبالكين .

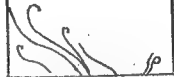
كان يتكلم هو وكنت صامتة وكنت اراها مستعجلة تغرب الشارع بنظير فيفس الارتفاع .. وتقطع الطريق القصير للماركة من بين العريات .. حزيبة ضاحكة ، ومن فتحة الصبر رايتهما في علبهما ، يماستين قسزمتين يسزغب ويمتقارين ، واغلقت عيني - لئلا الذي افرعهما - وسعدت وخيف الاجلحة العارية من الريش .

وقال هو : الدواء اللداء .. وشعرت بشيئتي تنفخ للشر واستغفاني هو .

كويين تشعت على سطحه الخشنة والبيكية تضارت من اللؤلؤ النقي ، كويين قبضت بكفي عليه وسعدت صوت حبات اللؤلؤ وهي تنكسر وشعرت بانزعشة المشقة ، وحزرت كويين وسعدت صوت الخبرة وهي تترج وصوت القمع في عروقي وصوت قوالب الثلج للصغير قومي ترتطم بالزجاج .

كاسي السابعة .. ذات قوالب الثلج للصغيرة في كاسي السابعة ، وصديقي سخي ايد والقلب .. وهي امامي لوني ورائي منا وهناك ، في نيل رائق .. ما اقرب شطيه .. ما ابعد شطيه .. يا ثراعيها اضريا بمجدالين .. اثنا : الفاس وساق الضجرة .. اثنا السماء فوقي يا عيونها التي ظل بالتهوم .. ارايت يا ابنتها العيون لارقد ففناجدم خمور وصديقي تركني وحدي .. واتا جد حزين .. اتا هالك سديتي .. الطريق بعيدة والسير القصب القدامي .. يا طفرقات تلك الخبثة ذات اللباب .. يا لي من نص .. يا لي من قائل ياكلان يبيضاء .. هذا يوم خمسين ألف سنة والاس كان كذلك .. وهذا .. سديتي ساعرج وحدي - اتا العاشق .. عاجز من الفلل مؤمن كفيي بالكلمات :

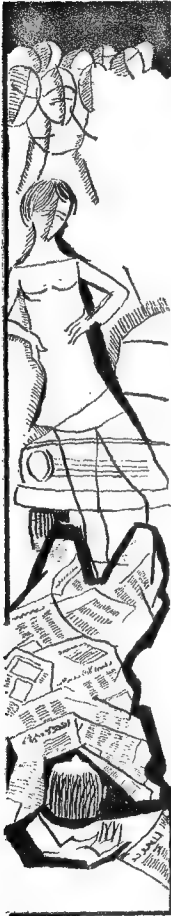
« ميم صسان راء .. السنوات .. ايام .. الاثر .. اللين .. الشمس الزرع ميم صسان راء .. القوارب .. الريح الريح .. السيلع المائن .. الميمهم .. الاسرار مات البيوت .. ميم صسان راء .. الطفل القوس .. الحنالكش .. الدم .. الحرب .. سيقاء الرايات .. الصب لحب الحب »



يحيى الظاهر عيد الله



اليوم الآخر



(١)

كان يعبر الطريق مسرعاً .. وكانت العربية أيضاً تقطع الطريق مسرعة ..

(٢)

التم خلق كثير صنوا حلقه حول الجثة والعربة ، الفيات ، السوداء وصاحب
العربة السوداء الذي هبط وكان قصير ابطن لثكاب عن مصبح جبهته وعقله بمندبل
أبيض كوره في كفه ...

(٣)

لأدى رجل من يحمل بيده منشفة الجمع يستر عورة الميت * مائع صمغ طويل
ضامر يلبس جاكته القديمة فطرة طويلة الكمام النحلي وفرش كمية من ورق
الصحف فوق الميت - وعانته في هذا ضاملي له شعر طلي علقه وكثليه ، بينما
أدارت رجليه الضباب الضباب ظهريها كي لا يرى * قصيرة القامة قصيرة القنوب
قصيرة الشعر كأنها غلام رغب ذلك فهي هولة - بهذا القول حدث الولد زميله -
فضلمت هي وكشفت وتكلمت خطوتين وسمعه يقول لزميله * سموت هسي
فجسدة * .. وريسمسا أنا وانت فلماذا ؟! * حس صاحب ، الفيات
السوداء ، يده في جيبيه ويبد مرتضبة قفص عشرة قروش معدنية ليأخذ الصحف
الذي رغبها فأنلأ ، اللواب عند الله ، جاء اللذاب وعف فوق الكفن * وأنت
عربة هبط منها ثلاثة رجال جادون يملس كامل حسن ، يرتفعهم عسكري وفي
اللو انضم اليهم عسكري المرور * رجل من المذلة كان يتكلم أما اللذان فكان يكتب
في دفتر صغير والثالث كان يشير إلى أماكن محددة في سم العسكري على الأرض
بالطينين بوانر صغيرة ودوائر كبيرة وعلامات (X) * بالترجوع كان الرجل
صاحب الفيات السوداء يسترد توازنه وتكف حدة حركته وهو يكلم الرجال
الثلاثة ...

(٤)

لما أتت عربة الإسعاف - انقضط العقد وهبط الرجال وحملوا الجثة على
خشبة - ولقت الحلقه ، وانقضط الجميع كما لما شارت العربتان المتان ، عربة
الحفظين والفيات السوداء * وغسلس عسكري المرور المكان لينظف حركة
المسروق المصحلة ، تلك التي تجعل العربات تزحف وتناويه - ولا تكف ..

(٥)

« الضالون » العامل بيكاسة أصفية التجمة الزلاء ، التي يسجل من
اللاستوك - وهو يتابع يعينه عسكري المرور الذي لم يبلغ مكانه الخفسي
بعد - ورش مكان الجثة بأبناء وكلمة بكاسة - وطار كثير من اللذاب وسارت
العربات بطيئة فسرعة ، وفلا طويلا بكللون *

■ علامات على طريق السينما المصرية ■

سمير فريد

مقدمة : يعتبر توفيق صالح من الجيل الرابع في السينما المصرية ، وهو جيل الخمسينيات الذي يسم يوسف شاهين وكمال الشيخ ولطيف عبد الوهاب . ذلك الجيل الذي بدأ حياته الفنية بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة ، أو قبلها بسنوات قليلة .

ويتجلى توفيق صالح ورشح خلص بين أبناء جيله ، وفي تاريخ السينما المصرية ، والعربية بوجه عام . لقد استطاع طوال سبعة عشر عاماً (١٩٥٥ - ١٩٧٢) أن يكون نموذجاً فريداً على الصمغين المصري والعربي للفنان السينمائي المتميز بكل معنى هذه الكلمة . وكان عليه بالطبع أن يدفع ثمن هذا الالتزام .

ورغم المراكز العظيمة التي خلفها توفيق صالح هذه الجار السينمائي ، ومخالف مؤسسة السينما ، والنقاد السينمائي المتخلف ، فقد ظل على برقيته ، وفصل أن يهاجم إلى سوريا عام ١٩٧٠ على الاستبداد لما تعرضه ظروف السينما المصرية على فنانها من تنازلات تصل أحياناً إلى حد هلكه معها الفنان كل شيء ، ويحول إلى أداة في يد الرأسمالية ، أو في يد البيروقراطية .

وفي سوريا لفرج توفيق صالح فيلمه الروائي الطويل السادس « المهدوعون » الذي فاز بالجائزة الأولى في مهرجان قرطاج الرابع بمناسبة ، وكانت هذه الجائزة تقديراً لكفاءته الطويل من أجل سينما محرية لها دورها في المجتمع ، ولها تينها بقدر ما تلبي من احتياجات هذا المجتمع .

ولد توفيق صالح عام ١٩٢٧ لأسرة من البرجوازية الصغيرة ، وخرج من كلية كينيتوريا ، ومن كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، وفي عام ١٩٥٤ سافر إلى باريس لمدة ستة شهور خلالها الاستدويحات الفرنسية ، وعمل مساعداً للإخراج فيها ، كما شاهد العديد من الأفلام الهامة التي لم يكن من الممكن مشاهدة في مصر ، ثم عاد ليخرج أول أفلامه « حرب المهايل » الذي عرض عام ١٩٥٥ .

وبعد حرب المهايل « لم يستطع توفيق صالح أن يعمل في السينما أربعة سنوات كاملة ، حتى انشأت مؤسسة دعم السينما عام ١٩٥٩ ، وفي ظل هذه المؤسسة أخرج أربعة أفلام تسجيلية قصيرة هي « الدائري » ، و « نهضة الصناعة » عام ١٩٥٩ ، و « طريق المستقبل » ، و « اللاجئين » عام ١٩٦٠ . وبعد عامين آخرين من التوقف أخرج فيلمه الروائي الثاني « صراع الإطبال » عام ١٩٦٢ ، ثم الفيلم التسجيلي القصير « اللقطة » عام ١٩٦٢ . وبعد أربع سنوات أخرى من



البدایات

الجديدة

للوأقية: «درب المهايل»

إخراج : توفيق صالح

سيناريو : توفيق صالح ولجيب محفوظ عن قصة سينمائية للجبب محفوظ
حوار عبد الحميد جودة السحار
تصوير : عبد العزيز المهدي (أبيض وأسود)
تقيل : شكرى سرهان - برلتي عبد الحميد -
عبد الطفي نصر - نادية السبع - هسيب البارودي -
توفيق الدان - عبد العزيز أحمد - رابعة الشمال -
سعد أردش - شفيق نور الدين - أحمد الجزيري -



التوفيق لخرج من انتاج النضال العام ثلاثة اعلام على التوالي في نحو عامين ، وهذه الاعلام هي « المتفوقون » صاحب ١٩٦٨ و « زيميات طالب في الازلي » و « زقاق السيد البطي » عام ١٩٦٩ .

وهكذا نعمل لتوفيق صاحب عشرة اعمام ، في تاريخه الفني الذي لا يتجاوز مئة سنة حشر عالم ، ولكنه في هذه الاعلام السبع ، استطاع ان يقدم للسينا المصرية والنسب المصرية ، مجموعة من افضل الاعلام الطويلة والتقصيرة المقتربة بالتعبير عن الواقع المصري من وجهة نظر ثورية واضحة .

تتابع المشاهد

— لفلة مابة للمقاومة القديمة . حارة حرب المهاجرين . الحاج مديوني الفوال (شقيق نور الدين) يدفع الفول في السلة . خديجة (بولتنى عبد الحميد) تجذب السلة الى اعلى من النافذة .

— داخل بيت الحاج موزو (عبد العزيز احمد) نرى زوجته (وليلة الشال) تنسل الملابس ، بينما تتابع ابنته خديجة الى صورة له (مفرح سرحان) . خديجة تصعد الى سطح المنزل حيث تلتقي بجارها طه . نذكر من الحوارات انها عاجزان عن الزواج بسبب عدم قدرتها على شراء سرير . يبدى طه ترحبا من الواقع الذي يعيش فيه . الام والاب يتناول طعام الافطار . نذكر من الحوار ان الام ترفض معلق التواليد الذي يؤمن به الاب ، فهي تواجهه صراحة .

— مع عمارة (حسن البازيوى) يتناول طعام الافطار مع ابنه ميه (توفيق الدين) الساطل من العمل ، ويفضح بخل مع عمارة من خلال مديونته لانه يبيع الاسراف في تناول الطعام ، ونذكر ان زوجته قد ماتت منذ زمن .

— في الحارة ، نرى طه يعمل في دكان مع عمارة العجائزى ، ويذكر في معنا (عبد الفتى الجوى) صاحب دكان الموبليا ، ويشير الى سريره نحاسي يؤكد ان احدا لن يشتري السرير غيره . مديوني الفوال ، وصاحب الدكان (احمد الجوى) يسفران من وصول سنية (خديجة السبع) في تكتسى وهي مضجورة .

— سنية تصعد السلم ، يلتقي بها عمه ، ويحاول ان يجلبها ، تصل سنية الى شقتها وتلقى التوفيق الى سائق التاكسي من النافذة ، نذكر ان شافتها تواجه نافذة شقة الحاج موزو .

— الحاج موزو في مكانه يتحدث مع شيخ الجامع (سعد اودى) ابائى الميتة لفة ومعه موزة عزيزة ، وحول رقبته اكواب اللين المصنوعة من الصلح . الجميع يعاملونه بفسوة ، فتاة تبيع اوراق الهانصيب تحاول ان تبيع ورقسيته الصعب عليها جدا ، وفيهتها لك جليه . يرفض الجميع شراء الورقة ، واخيرا يشتريها طوموسيلها لفيجي . يرفض الحاج موزو ان تأخذ ابنته الورقة لان الهانصيب في نظره نوع من التمس ، تطلب بها خديجة حيث يتنقلها حبس صغير ، ويعلمها لفتة مقابل كرايم من لبن الماعز .

— الحارة تتناول طعام الفداء .

— الحارة في الليل بدون كبرياء . خديجة تلتقي مع طه نرى السلم ، وعنده ذهاب الى مسية ويمارس معها التمس . رحل يغنى موال قصير في القفى . نرى شيخ عجوز اعمى يمدف على القعود ، ويودعه نداء مسيرة ترتد الى البريق .

— صباح اليوم الثاني ، ياتمة الهانصيب تلعن في الصورة ان طه قد كسب « البريمو » . يهرع طه نحو خديجة مسجدا ، اياها على استغله بصراحة لوعة طويلة وهو بين رواقها . لفة يمشي طه ورقة الهانصيب ويعلن انه هو الذي كسب الالف جنيه . مع عمارة يدعى انه صاحب الورقة الطبقى طالما انه صاحب المال الذي اشتراها طه به . طه يثور ، وتتوالى المناقشات الى مشاجرة بين سكان العمارة . ويقول طه لخدجبة انه لا يريد ان يراها بعد اليوم .

— شيخ الجامع يحاول ان يهدى الخنافس بعد صلاة الظهر في المسجد ، يهدى ان يمسى الجميع يدور حوار طويل بينه وبين

صديق الحاج جوزو الذي يهملون من حكمة السيد في ملح ترة الالف جنيه ، وخرمته جو منها دفع حاجته الشديدة اليها .

— اغنية اجتماعية في الحارة تدور عن احتفال السكان بمرور

لفة ، يعرض عليه مديوني الفوال المشاركة في حفل فول كبير .

— الحزن في بيت الحاج موزو .

— في القفى . صاحب القفى يعرض على المشاركة في

مقهى كبير .

— قه يسير في الليل ، يتابعه كل من طه ومديوني ويهدى في

محاولات مفتعلة لكسب وجهه . عمه يراقب قفة من بعيد .

— يدخل طه كوخ الصليح الذي يعيش فيه . يهدى مع صارة

في انتظاره ، ويخبره يعرض عليه المشاركة في حفل كبير . ثم

يعرض ، تكتسى سنية الى كوخ لفة ، وتتبادل اغراءه بقتلهم

عبد الكوخ ويطردها . يطلب ميه من قفة ان يعمله المال .

وعندما يرفض يعرضه بعف . ويؤكد يهدى الكوخ لفة .

— وهو سراح لفة في الحارة . يتبادل السكان لاثارة وفي

ابدهم الدراوات . ياتى سيد البوليوس . يرى مع عمارة ابنته

وهو يدخل شقة سنية هاربا يهدى ان الفاعل ، ولتة يهدى

البوليس الى طه ، والفاعل يهدى نرين عليه .

— مع عمارة يدخل شقة سنية ويطلب من ابنته الالف جنيه ،

يرد عمه بان طه يمشى الى المبلغ ، ولكن الاب لا يصحده .

يتماجران ، يدخل عمه اياه يفسد معيا . البوليوس يهدى على

عبد وسنية ، وتترك من الحوار انه اعرف بشرط لفة ايضا .

— طه في الحارة يتبعه شعوكح الصليح ، وهناك وجد مديوني

ومعنا ومنصلب القفى . يتشاجرون بطلا من المال . يتدافع

سكان الحارة مرة اخرى نحو الكوخ ، وتتشب عريكة كبيرة بين

الجميع تنهى بسقوط الكوخ عليهم .

— صباح اليوم الثالث ، ياتى لفة الى الحارة ، ونراه من

بعد والضيافات تكاد تبين وجهه . يهدى بجزء عزيزة بين

الطعام . يهدى طه الى طيات الخرق المبهلة فوق ظهر المرأة

ويطش على وجود الالف جنيه . ياتى المرأة جاسا . وينام

على قارعة الطريق . شيخ الجامع يعلن طه ان الحاج موزو قد

فبر تكليف زواجه من خديجة . مجموعة من الميز تدور الحارة

لتفسير وراءه معزة لفة . الميز تكتل الالف جنيه . طه

وخديجة امام السرير يطلبان بالاستئيل .

عن الفيلم :

اذا كان فيلم « العزبة » الذى أخرجه كمال سليم دام ١٩٦٩ هو خير الواقعية فى السينما المصرية ، فان « حرب المهايل » الذى أخرجه توفيق صالح عام ١٩٥٥ هو بداية وصول هذه الواقعية الى مرحلة النضج الكامل التى تمثلت فيما بعد فى افلام ترائيق صالح (صراع الابطال ١٩٦٢) ، والسيد من افلام صلاح ابو سيف (الفتوة ١٩٥٧) . بداية ونهاية (١٩٦٠) ، ويوسف شاهين (الارض ١٩٦٠) ، وبعض افلام بركات (دعاء الكروان ١٩٥٨ ، العروام ١٩٦٥) الى جانب عدد من الافلام المصرية المعاصرة الاخرى .

فى « حرب المهايل » قد نصد الواقعية هى تصوير الواقع يفضي التظر عن الموقف الذى يتخلقه الفنان من هذا الواقع كما هو الحال فى « العزبة » حيث يعبر كمال سليم عن القنى انثروپولى للبروجازية المصرية ، وانما اتخذت مفهومها الصحيح كتحوير من موقف اجتماعي من الواقع . ولاشك ان الانباء من لعبوا دورا مهما فى الوصول بالواقعية فى السينما المصرية . ويمكن ايضا ان نقول سينما التدرية - الى هذه المرحلة - ولها جانب ان « دعاء الكروان » من رواية لطف حسين ، و « بداية ونهاية » من رواية لتجيب ملحوظة ، و « العروام » من رواية ليوسف الرحيم ، و « الارض » من رواية لعدد الرحمن الشرفولى بدق كتب سيناريو الفيلم الاول يوسف جوهى ، والثانى صلاح عزافين ، والثالث سعد الدين وهبة ، والرابع حسن فاذا ، وجميعهم ايضا من الادباء . كما ان « الفتوة » من قصة سينمائية لتجيب ملحوظ الذى اشترك فى كتابة السيناريو ، و « صراع الابطال » من قصة سينمائية

تدرك إلى أي مدى عمق فقره " ولما أنهم يعيشون على حافة الجوع ، ويبدو ذلك واضحا من خلال لقاء الفتاة بجارهم المائل السيد فوق سطح المنزل . فهما متحلمان وقد اتفقا على الزواج ، ولكنهما لا يمكن أن يتكاثرا من حيثة التي سينتجها . أما الأب فيؤمن أن فقره من قدامه الله ، ولا علم من قضاء ماله . لكن زوجته ترفض هذا المنطق ، وتعارضه بشدة . وعلى حين تأمل الفتاة في المستقبل ، يبدو خطيبها جبريا إلى أقصى الحدود ، ولكنه لا يدري ماذا يفعل . ويؤكد الأم هنا تعبير صائق من موقف الأم المصرية في الأحياء الشعبية .

ومن ناحية أخرى ترى صاحب مند المجلات الأربل البخل الذي يعيش مع أهله الماعول . ومع هذه يوم جديد في حياة الحارة ترى الأبطال المخططة التي تعيش فيها : بالغ الأثاث القديم وبائع الفول وهو غداء الصباح الرئيسي ، وربما غداء الظهر والمساء أيضا عند البعض ، وصاحب القهوة ، وشيخ الجلبع ، ثم المعاهرة التي تمود مخمورة في الصباح ، وأخيرا قفة المجهول الذي يجر وراءه العربة مخروقة ، ويعيش على بيع لبها في أكواب من الصنوبر تحوط صدره ، وتهدئ من ريقته .

ومن خلال ورقة يتصحب جازلته التي جنبه يبدأ الصراع الذي يكشف به توفيق صانع عن ريقته . في البداية يرفض الجميع شراء الورقة حتى محترف المناصب بائع الفول . أما أيناها بالاسلام الذي يملئ من قيمة العمل ، ولما بسا من الفول ، أو كلاهما معا . ولكن طه الذي ينتظر شراء السبرير حتى يتزوج من حبيبته خديجة يكثر خمسة لوقي من عم صمارة صاحب المحل الذي يملئ فيه ، ويشترى الورقة . ويملئ طه الورقة لخديجة . ولكن والدها يأمره أن يلقى بها على الأرض . ويضطر الورقة في أوراق كثيرة منذ لفة مقابل كوب من لبن الماعز المسوي الذي للتذلل الورقة .

ويعد الغذاء ، ونوم التسلية ، تود الحارة بح هبوط الليل . وفي التلام حيث لم تزل الكهراء بعد إلى المرأة يلتقي مع خديجة فوق السطح ، ويذهب صيده أين هم صمارة الماعول إلى شقة المعاهرة سنوية ويغيب معها الجنس . وفي المجنى يفتي أحدهم مولدا . ونرى عزاب العود الأمي الذي ترشده ابنته الصغيرة ، وكلاهما أيضا من أبطال الليل في الحارة المصرية .

وفي صباح اليوم التالي نعلم بائنة اليانصيب فوز ورصة الألف جنبه ، وهنا نطلب الصانع رأسا على عقب ، ويكشف توفيق صالح من التناقضات المثوية التي تحيماها البورجوازية المصرية المستفيرة . أنهم الآن ويسبب من الفقر بالبطيح ، وبعد أن كانوا ينساقون في راس شراء الورقة ، يتشاورون من أجل الحصول عليها . وهذا يفتقد أنه صاحبه لأنه الذي اشتراها . وذلك لأنه الذي دفع الثمن ، وثالث الذي يملك الورقة . أما في الدفار الصغار فكهم بدافع من حق قفة ، ويمرضون عليه المشاركة في محل كبير في نفس الوقت ، أو بالأحرى يريدون استغلال سادته . حتى المعاهرة تحاول في الأخرى أن تمارس الجنس مع قفة رغم ديماته .

ومع هبوط الليل مرة ثانية يصل الصانع إلى فروته بقل الإبن لأبيه ، أو يدع صيده والده الذي ملأ أن أبنته حرق الألف جنبه من قفة ، فيسلط الرجل ميتا في شقة المعاهرة ، ويغيب الوليس على صيده وعشيته . وفي كوخ قفة المصنوع من السبغ والخشب القديم تدور معركة تنهية بين طه وجبل الحارة . ويتنازع كل السكان نحو الكوخ ، وفي النهاية يتصدع الكوخ ويصعد طه على حبيبه .

وفي مشهد النهاية الذي يدور في صباح اليوم الثالث يستجيب توفيق صالح كل طاقات الآلى إلى التماسن ، ويعبر من موقف ثوري شجاع عندما يصور الماعز وهي تأكل الألف جنبه التي وضعا قفة بين طيات ملابسها ، ولكن اللحظة الأخيرة طه وخديجة يتطلعان إلى السبرير الذي يطمأن به مند بالغ الأثاث بعد أن أخبرهما شيخ الجلبع أن الماعز عزود قد تمكن من توفيق المال اللازم لشراء السبرير . وهذا الرضى القاطع للفكر الذي كان « درب المايل » بداية جديدة للواقعية في السينما المصرية .

لويستل آرتيس الذي أكثرنا إيشا في كتابه السيناريو " تدعى مع الشراوى يعتبران أهم الكتاب الوائمين في الرواية المصرية الحديثة . بل أن « درب المايل » أيضا من تسمة سينمائية لتجيب محفوظ . ومن سيناريو اشترك في كتابته . وكعب له الحوار الأدبي عبد الحميد جوده المسجل . لقد ظلت السينما المصرية حتى موباهام عبد السلام سينما أدبية . ومن ناحية أخرى فقد كان من العوامل التي أدت إلى تطور الواقعية في السينما المصرية أفلام الواقعية الجديدة التي طور التي مرستها في مصر مع الحرب ، والتي شاعها صلاح أبو ميب في روما أثناء انتاج الفيلم التعليم الإيطالي المشترك « القسق » عام ١٩٥١ ، وتوفيق صالح أثناء دراسته في باريس عام ١٩٥٤ . وازدهار حركة الثقافة الوطنية في منتصف الخمسينيات ، وخاصة بعد تلميع قناة السويس عام ١٩٥٦ وما صاحب ذلك من ازدهار للواقعية في الرواية والتمه والمسرح . وبروز الاتجاه الواقعي في النقد الأدبي ، وإلى حد ما في النقد الدرامي . ولعل أهم المبررين من هذا الاتجاه في النقد السينمائي كامل التلمساني في كتابه من السينما الأمريكية ومن شربل شابلن ، وصعد فليم وكامل يوسف في مقالاتها النقدية بوبريد المساء ، وإن لم يكن للنقد السينمائي تأثير كبير لعدم نفع هؤلاء أو غيرهم له ، ولتحليل المسألة المصرية اليومية في بوموها السينمائي الذي جعل تلك الأعلام موضوع من لا يبرهن عليه .

وقد لجأ توفيق صالح ونجيب محفوظ في سيناريو « درب المايل » إلى الأسلوب « الواقعي » ، وهو مصطلح روسي وصف به البناء الدرامي لمسرحية « الضيفين » لمسيب جبركي . ويعني البناء الذي يقدم شريحة من الواقع تمتد على خلق النتائج المبررة من حركة هذا الواقع دون الاعتصام على التطور الدرامي الكلاسيكي . وكان فليم « درب المايل » أول فيلم مصري يتخذ هذا الأسلوب ، ولكن ما كانت مسرحية « الناس التي تحت » والتي ظهرت في نفس الفترة أول مسرحية مصرية تتخذ . « درب المايل » هو « الضيفين » المصري . ولا غرابة إذا كان فليم مشهور قد تارة بهذه المسرحية في عمله الرائد ، ولا غرابة أن نجد كامل التلمساني يحقن أفلامه المشعة وفيلم « الناس التي تحت » عام ١٩٦٠ . وقد كان كامل التلمساني في بيته الأول « القسق السوداء » الذي صوره عام ١٩٥٢ ، وعرض عام ١٩٥٥ أول مشرق مصري يميز من المفهوم الصحيح للواقعية ، ولكن ظروف الحارة المصرية بعد الحرب المالية الثانية لم تكن الواقعية من التطور والتبو ، حيث سارت المجلودراما البورجوازية ، وأصبح انتاج الأفلام التجارية الثانية في وقت ما .

وعلى الرغم من القوة التلمسية في البناء الدرامي لفيلم « درب المايل » إلا أنه يعكس على إحدى الزمان والمكان على كعب كلاسيكي كامل . فلما كان هو الحال في فيلم « الموماء » خلا مع اختلاف الزوية والأسلوب ، فاهدات الفيلم تقع في الوقت نفسه ، وكعبا تقع في مكان واحد من درب المايل . والواقعية على مابين المحدثين لا تحبب هذا الفيلم أو ذلك خلا لا تلتقي عليها طابعا ميثوريا ، ولا ترتبط بوقفيها للفكر من العالم كان الأبر في المسرح اليوناني القديم ، وفي المسرح الكلاسيكي إلى حد ما .

بدأ « درب المايل » بمسألة عامة للأفاعة الشعبية ، ثم نقطة أخرى للتمارة التي ستصور فيها الأحداث ، وهي درب المايل . واختار القادة القديسين لمحا أحداث الفيلم يرتبط بموضوعه ادنيايا غصوبا . ففي هذه المنطقة من المساحة المصرية توجد أقدم وأقرب الأحياء الشعبية . وهي في نفس الوقت الأحياء التي نكست فيها البورجوازية الصغيرة ، وتميز فيها اليوم . وصيبل عليها ملامح تلك الطبقة الحامية والدين والمال .

ومنذ المشهد الأول يحدد توفيق صالح موضوعه ، كما يحدد أطراف الصراع الذي يعبر به عن هذا الموضوع . وبالحقيقة يصعد أيضا أسلمه في تناول هذا الموضوع . اتنا داخل شقة المصاح عزود التاجر السيد الذي يعيش مع زوجته وابنته . وهي خلال التفكير والتأنيب والسلوك العام لهذه الشخصيات



٥٠ عاما على وفاة

الشيخ

سيد درويش

محمود كامل

لماذا لقب سيد درويش " بشارت الشعب " ؟
سؤال كثيرا ما يتردد في الأختال الأدبية والفكرية ، وفي المجتمعات • والحق أن سيد درويش لم يجعل هذا اللقب جزءا
وإنما خلعه عليه الشعب لأنه الفنان الذي أحس به فاعطاه كل ما يمكن أن يعطيه فنان الجاهل به ، ومنحه كل ما يستطيع
أن يعده فنان لفئات الشعب المختلفة •
كان الفناء قبل سيد درويش ، محصورا في القصور وبين جدران بيوت الأثرياء وفنادق الإغنياء ، نقله سيد درويش
إلى القاعدة العريضة للشعب • إلى الشارع •

خارجتينا جونا
ليسه بيرازونا
ممبرونا با خلاق
مملوما ليلبا
ما ينلمونا
ويشلونا يا أشرونا
انمشنى يمشى
بالسوا السنية
م الكوبية علاوة
واين السلد دى يطلع الخردى وما ينمحلنى
يكن ما يطلوش يمشى طرشى ويمسوش الله
بمون الله

وأخذ سيد درويش من الشعب وأعطاه ، اسلمهم للحالة
الجماعية من أفواه الناس ، من نداءات الباعة الهالئين في
الزفة والتبوارع وأحس سيد درويش بما كان يعانيه الشعب
من جور وعنف ، وما كان يحلق في جوانحه من مشاعر
الظلم والظلمين ، فمادته وأنتج به ، وغير عنه أصداق
صغير •

ولم يولد سيد درويش ، وفي فيه بلعقة من نغمة أو ذهب
يل عاتى أشد المآلات ، في طولته وفي صباه وفي شيبه
بل وفي أغريبات ابنه • وقد استمد اتجاهاته الفنية من
الأحداث التي تحدث لها في حياته ، إذ دمنه ظروفه إلى
ممارسة بعض العرى وألمح الصغيرة لكى يحول أبسه
وشقيقته بعد وفاة والده وهو صغير •

ولما وثق على قديمه كفتان ، أنه يكلنه إلى قضاي
الجيش ، فكان صوت الشعب ولسان حاله ••

نقد على سيد درويش للصنافية في لندن :
الفرقة دى كلب تمصين على البسفرة
والسبدك يمسد كوك كوك فى المبرية
بالا يتسب على ياب الله يا صلبية
بجمل صباك صباغ الضير يا اسلى عليه

وفى للسقاين [١] فى لندن :

هناك فى لندن للصنافية في لندن :
الفرقة دى كلب تمصين على البسفرة
والسبدك يمسد كوك كوك فى المبرية
بالا يتسب على ياب الله يا صلبية
بجمل صباك صباغ الضير يا اسلى عليه

هناك فى لندن للصنافية في لندن :
الفرقة دى كلب تمصين على البسفرة
والسبدك يمسد كوك كوك فى المبرية
بالا يتسب على ياب الله يا صلبية
بجمل صباك صباغ الضير يا اسلى عليه

- [١] هذا اللحن من رواية [واو] لفرقة الريهاتى تأليف بديع خيري •
[٢] هذا اللحن من أوبريت [ألى] لفرقة نجيب الريهاتى •
[٣] هذا اللحن من أوبريت [رن] لفرقة نجيب الريهاتى •

كبريت اللى كان هالك ايدانا
وخلع النجيل على ميتا
ان ليمى . يسكره حنسا
وايى دخل تقياقا پس فى دينا
دخل بانتانا اللى موتنا
لى بعضنا وراح لك نمعد
غسنا لبيت واتجمنسا
ليقع شرفنا الله لا يقدر
وكان على اللى ادخله الدنيا
واللى بقوله شركة وبتاعه
تشتوا احنا نقول حنسا
وتشويه هو تسول بلاه

ودافع عن طائفة الوثنيين مطالبين بعقوبتهم فى هذا الاذن :

هو اللى با مسيد كرامتك لاجل نمعيد
يغنى اللى حنسل كرامك يوم ووسل

بلى ذرع يصل

حديث واحو راقى الحال ورجعنا للاشغال

دا المظلم لما حش ولى خلق ولا شومه
لا يمس ميتك والسلا بقوم له شومه
هو الله ما بينا وبينك
فمن حب الوطن يا حكومة

وغنى للشياطين فى هذا الاذن [4] :

قد المزام على وسلك غيره ما يلمدك
لا بد من يوم يرقبه ومدلها سبك
ان كان شيل الجبول على تميرك بيحكك
' احرون ملك يا حشر من سدة ايدك
ما تبالا بيننا وبيننا
ونستمان ع الشبلا بالله
وامسوا اللى فيه الفسبة طلاء
واللى ما فيش ان سباله با جناه
يا دام يتلتي ميث وعفسوس
بمسك ابيه تخفيل موهنوس
ما تحذ راميك يسون الشروس
لا تسول لى لا خبار ولا ناسوس

الحالة الوطنية

وانتم سيد درويش باهدات ثورة ١٩١٩ ، وتجاوب
معا ، فشارك باناشيده الوطنية والحالة القوية ، اللى
البيت عباس الشبيب ، وكثت عمالا من صوامل اذكاء الروح
الوطنية ، فقدم من كلمات الشاعر بفتح خيري :

قوم يا مصرى مصر دايا يتشادك
خذ يصرى نمرى دين واجب عليك
يوم با سمدى راح حذر تدام ميثك
مدلى مجدى اللى خسيته بايدك
فوق جودك فى بيورم ليل نيسر
من جودك كل عسفة بضتجار
صمسون اثارك باللى خسيته اثار
دول ناتوك جود خرونك ك سمار

فكث اى بلاد يا مصرى لى الجبال
تجى زى بلادك اللى ترابيها مال

تيلها جاي السعد بته حلال زلال
كل حى بسوز برزته ميشته ملال
يوم مبارك تم لك فيه السعدود
حسب جارك قبل ما تحسب الوجود
ابه نصارى وسلمين قال ابه وجنود
دى العبرة نسل واحد م الجسدود

ليه يا مصرى كل احوالك حبيب
تسكى فرك وانت باقى لسوق ذهب
مصر جنة طول ما فيها انت يا نيل
ممر ايدك لا يمش ايدا ذليل
حسب ارضك اذلق لى دنيا
واللى غرهك يسكره ملى منسا
تصت رايتك كل سر يسكون زلال
تلقى احنا قبل ما يلقى الهلال

وخلفت اوربيت [شهر زاد] باربعة اذان وطنية :

انا المصري كريم العنصرين
بنيت الجسد بين الامرين
جسدوى انشأوا العسلم المجب
ومجرى النيل لى الوادى الضبيب
لهم لى الدنيا آلاء السنين
ويشئ الكون وهم موجودين
واتسول لك غ اللى غلتي
افسوت افسلى واولطتى
حببت لوصف لسه رومى
لشكره لا اميسل تانى

ولعن [اليوم يومك يا جنود]

الدم بوبك يا جنسود
يوم المدافع والبارود
ها اضري عزم الاسود
هار على الجندي الجود
يا جعليش للروح تن
يا كاشك غيره فى الزين
لى وجه اعداء الوطن
الا اذا لسه الكين

ولعن [احسن جيوش فى الادم جيوشنا]

ولعن [فكت بطول العرب]

ولعن [الجيش رجع]

واستهل اوربيت [الهال (٦)] بهذا الاذن :

احنا الجنود زى الاسود
باتروح نجود بالسيف تسود
الحرب نهنا وطيعنا
نحفظ كرامة شمسنا
صوت السلاح يوم الكفاح
لازم نمش طول عبرنا
نسوت ولا نيمش الوطن
على المداد طول الزين
والسيف ابونا وانسا
بمعنا ودينا
فى فرقتنا لى سمنا حلوانتم
لى ارضنا لى راورا لعين العلم

ومن اتانيده الوطنية ، هذا الفشيد القومى لايبر الشعراء
اهمد شوقى :

ينسى مصر مكتكوا توبيا
دهيا شمسيدوا اليك هيبا

[٤] هذا الاذن من اوربيت [قرأله] لفترة نجيب الريحاني *
[٥] قمتها ثورة سيد درويش الفاضلة وهي من تأليف محمود بريم التونسي
[٦] قمت هذه الاوبريت ثورة على القصار ..

خُشْرًا سَهِيَتْ التَّمْسِيرُ لَهُ حَالِيسَا
لَمْ تَكُ تَكُ تَحَاجْ لَوْ كُنْ مَحَالِيسَا

وطلب بحق المرأة في لحن [بنت مصر (٧)] :

دا وثقك دا يورك
قومي اصحن من نوبك
يريداكى نسوم
يراداكى م السوم

ليه ما توكنتى زى الغريبية
وتجساهد فى حيانا بحرية

شطاره شطارين
سجين فى درجتنا
شداره خافرين
وختنا دى مسين

ليه جوزى بتمب تيملى
ليه شينى وانا قاعده فى محلى
اتساون فى حبيتى وجساسته
وتروى له العيشة وتروى لسي
المسيحيا فى أوروبا السمكت
لهم صيوت فى الانشابات
احنا كمان لآم نسوفهم
هنسا فى بلادنا وتنبى لسوقهم
المصرية من نكسنا
با فوش زيبا سست فى بيتها
ان كمان فى حبيبية يادها
لو فى تريبيسة اولادها

وعندنا اعلان من نيا عودة الزعيم سعد زغلول من منفاه
الى ارض الوطن ، عزم سيد درويش على المشاركة فى هذه
الحاسبة لصالح هذا التشيد نظيا ولحنا :

بحرنا وطننا سعدنا بالنا
كلنا جيبنا لظون حبيبة
اجعت ظولنا فلالنا وصليبنا
ان تهبى بمصر ربة هتية

عيسرك جيبنا
يا مصر بيمسك
لولا اعتكسنا
كلنا جيبنا
جيك كساية
كله مزايا
مها اسبينا
سوت الجسامد
فلك مانتنا
مانتى مماند
بورجود النسا
التوبل عبادة
مالوش نهلية
من نكسنا رين
مكتوب مانتنا
من غير نكسنا

روحنا ليداك
يربك ممانك
والجيبنا
وسيد النسيه
مانتى مسواك
كله ممانه
نوبل ممانا
مع الجمامسة

اجنا غابتنا
أعسر غلتنا
ما عجبنا سعدا
لجيبنا اسمة
نوسع رابتنا
ناى المصفاة
ما يتكنا مسودا
ميسرنا حذلة

ويتردد بين حين وآخر ، رأى يقول أصحابه ان سيد
درويش أخذ أكثر من هذه بالتمسبة لهجه الطبيعي ، والواقع

ان سيد درويش لم يزل يحققه الحقيقى ؟ ولم يزل فى حافة
الى مزيد من الانهيم والاضلية ؟ فان اطلاق اسمه على
شارع او أكثر وعلى مسرح او قاعة ، او الأطفال يكرى
وفاته او مولده وتقيم تملاج من أعماله ، ليس هذا
بالشيء الكثير على تفلن خدم فقه يصدق وايمان واحد
ثورة فى الموسيقى ، وخلف لنا هذه التناول الفنية الاصلية
التي تغلر بها الاجيال وتنبه بها المكتبة الموسيقية العربية .

بل اننا نعبر انفسنا بصرين فى حق سيد درويش ؟
فاننا اذا استمرخنا انشله نجد ان الجيل الجديد لا يدري
عنه الا الذكر اليسير ، فقد لحن سيد درويش نحو عشرين
موشعا لم يسلم منها الى كدان المصنفين غير موشعين
الذين هما :

[يا شادى الالحان] و [شينى عز اصليارى] *
ولحن عشرة ادوار غنائية لم يتجد منها سوى دور واحد
بشم هو [لنا عويت وانتويت] *
ولحن أكثر من ستين طوطوه ، لم يمرن منها الجهور
أكثر من اثنتى ميا (ثوبدى كل سنة مرة) و (غليل
الروح بيننا) *

ويلج ما تقيه المصريح الغنى ما يروى على المشرين ميا
بين اوريت واستمرخى ولورا ، لم يكت لغير ثلاثة منها
الظهور ، وهى [المصرة الطيبة وشهر راد والمهركة] *
ايا يلقى انتاج سيد درويش ملته لم ينقص ولم يستع
الشعب بما يحمله من ألوان الإبداع الجهلى والامجار الفنى

ولم يتيسر حتى الآن ، جمع انتاج سيد درويش كله ،
رغم الجهود المتكررة التي تبذلها جمعية اصحاب سيد
درويش والمجلس الأعلى للفنون والآداب والإدارة الفنية
ببدا المسرح واللجنة الموسيقية العليا ومجمع الموسيقى
العربية ، فان هناك لمانا المصوبة ، من موشعات ومطاليع
واللحن مسرحية . بل ان اول مسرحية سيد درويش وهى
[الشيخ وبنات الكرياء] التي كتبها فرقة مير وصلى
بسيما بديول عام ١٩١٧ ، لا يعلم أحد من ابراجها
شيئا .

ولا شك ان من حق سيد درويش علينا ، ان نبحث من
أصل هذا الإنتاج ، نسا ولحنا ، ونضع ارجنا عليه قبل
ان نقتل بحاله . كما ان هناك ظاهرة ينبغي الانتباه اليها
وهى ان اكثر ما لحنه وفناه سيد درويش وخاصة لينا
يتصل بالانوار والطلاليل لا ندرى جلى وجه التعبد ، من
هم مؤلف كلماتها .

فهناك من يقول ، ان بعض اصحاب سيد درويش ومرغيه
من لحنال الشيخ احمد ابو على الذي كان لهنا لمسكبة
الاسكندرية والشيخ ابراهيم خليل وموسى محمود الحامى راء
الفلل بمصر مرسى ، هم الذين كانوا يظنون افواره .

وهناك من يقول ان سيد درويش نفسه هو الذى كان
يكتب هذه الاوار والطلاليل ، كسيرا من انتمالات خاصة
ومواف مينة .

كما ان تشيد [بلادى بلدى ، لك جيبى وفادى] ينسب
الى ثلاثة مؤلفين ، هم سيد درويش وديع خيرى والشيخ
محمد بونى التانى .

ويقتضينا الاتصال ، ان نلف على حجة الامر ، وذلك
ببذل الجهود لتلقى الحقائق خدمة للفن ، وخدمة لسيد درويش

[٧] هذا اللحن من اوريت [التنايلات] للفرقة على الكسار ، وتوفى سيد درويش بعد ان انتهى
من وضع ثلاثة ألحان من هذه الرواية ، واثم ألحانها ابراهيم فوزى .

■ فارنا : أندوب الطليعة :

عقد في قارنا [بلغاريا] من ١٧ الى ٢٢ سبتمبر الماضي
المؤتمر العالمي للفلسفة . وهو المؤتمر الخامس عشر للاتحاد
العالمي للجمعية الفلسفية . وكان آخر مؤتمر للفلسفة قد
عقد عام ١٩٦٨ في المكسيك .

ومن المعروف ان الاتحاد العالمى للجمعيات الفلسفية يعقد مؤتمره الدورى كل أربع سنوات .

ولقد اتبعت العلوم الطبيعية ان يتابع عن قرب التنظيم الدقيق
للاعمال هذا المؤتمر الذي وصفه المراقبون بأنه يعد من أخطر
الاحداث الفكرية في القرن العشرين ، وأهم مؤتمر عقد
الفلسفة حتى الآن .

وترجع أهمية هذه الدورة الى أكثر من سبب في مقدمتها :

● ان الموضوع الذى طرح على المؤتمر هو :
« العلم والتكنولوجيا والانسان »

● وأنه قد شارك في المؤتمر عدد هائل - يقرب من
الالفين - من كبار الفلاسفة واساتذة الفلسفة ومن المهتمين
بالدراسات الفلسفية في الغرب والشرق على السواء .

• وأنه قد مثلت في المؤتمر جميع المدارس الفلسفية بدون استثناء ، وذلك على تنوعها وتعددتها وتناقض منطلقاتها وتعارض مبادئها .

● وانه اول مؤتمر للفلسفة يشارك فيه ممثلون عن بلدان العالم الثالث .

● وان المؤتمر قد تم عقده في اطار من الانفراج الدولي العام .

وعلى الرغم من أن أعمال المؤنر قد انتهت عمليا يوم ٢٤ سبتمبر الماضى ، وهو التاريخ الذى تصبغ فيه « الطلبة » لطلبة لطبع ، إلا أن الطلبة تعد قراها - مع ذلك - بأن تقدم لهم في أعدادها القادمة صورة جنة من هذا المؤنر ، وعن المناقشات الخصبة والجدلة التى دارت فيه .

وإذا قلنا أن نختم هذه الرسالة القصيرة بشئ فان أول ما يقال هو أنه على الرغم من الأهمية الكبيرة للمؤنر وللموضوعات التى نوقشت فيه ، فإن المرء لا يكاد - للأسف - يجد له أى صدق فى بلادنا ، بل أن أساتذة الفلسفة فى بلادنا لم يذهبوا إليه أو يسألوه عن أعماله ، على أية صورة من الصور . وانصر وجودهم هناك فى استاذ مصرى للفلسفة [هو د - مراد وهبة] ثم فى مراتب مصرى ، وكلاهما اذهب إلى هناك بصفته الشخصية . ولما عودة إلى هذا الموضوع فى عند قادم .

مذہب

مؤتمِر

العلي

- 181 -

تأثير بريشت على المواهب الشعرية
الشعبية أصبحت القصيدة ممتدة فموسوعة
سياسية تهم الرأي العام ، سلاحا للتحكم
في سبيل العدل والتقدم والسلام ، أداة
للعمل والثورة والتغيير ، واستقبل
الناس في الشرق والغرب نتيجته
المستخر المتخذي بالقلب ، أو الترحيب ،
وظف الشباب منه الكرة تساروا في
موكبه ، وأن تحسروا منظمهم من
«أبيدولويه» وجدوا مستلهمهم
الى حد كبير ، لكنه ظل في نظرم فترة
رغبة للفعل والكلمة ، من هؤلاء
الشعراء فولفسنج غايروخ ، هنز
ماخيسوس آفستينبرجر ، فولفديتر
شتورف ، وكريستا واينج وأريس فريد
ونغيرم .

— المنع الأخير الذي استخدمه الدكتور
مكارى فيما يتعلق في دراسته هسو أن
يخص بوصفهم بمنعنا في الشعر
اللاتي المعاصر ، فيبدأ بالطبيعة ، لم
العب السدي يستلهم معظم مسند
الدراسة ، والقلب ، وأنعم المستند .

— وبعد دراسة الدكتور محمود ككي
للشعر الإسباني بما يتعلق عليه مؤرخو
الادب من أن الشعر الإسباني المعاصر
يبدأ بالثورة التي جعل أولاده شاعر
ينتمي الى جمهورية من أمريكا اللاتينية
في تكاراجوا ، هذا الشاعر هو روبن
داريو ، كانت العهود الأخيرة من القرن
التاسع عشر تشهد تصفية الانتماء
الرومانسي في أسبانيا وقد صمدت أعظم
شعرائها ، بما عهد الطريق تلك الحركة
الثورية التي اصطاح على تسبيلها الاتجاه
الحديث ، وتعتبر سنة ١٨٨٨ هي مائة
هذا الاتجاه فنهيم نشر روبن داريو
مجموعته الأولى التي ثارت اهتماما
كبيرا ، وأهم ما يجل هذا الاتجاه الحديث
هو الاهتمام بالأسلوب أو المخير الشكلي
للقصيدة ، كذلك وجه داريو اهتمامه الى
بوسيقته في اللط والبناءاته .

— لكن حركة روبن داريو لم تكن هي
الوحيدة التي طمعت الى إجراء مهاد
جديدة في عروق الادب الإسبانية ، بل
عاصرتها وحاشيتها في أواخر القرن
التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حركة
أخرى هي التي فرحت باسم قبل سنة
٩٨ . كان حذب الحركيين واحدا مواريفة
في التجديد ، ولكن بطريقتين وأسلوبين
مختلفين ، ولد المذهب الحديث في أمريكا
اللاتينية وقد أصبح عليه ذلك طليما
حاليا . بينما كان قبل ٩٨ استيائها
خلسا ، كان الحركيين واحدا مواريفة
جسالية مضمة ، بينما كان قبل ٩٨
ينادي بإصلاح فكر شابل هيب الجلفين

بوجه عام ، وهي ما يعرف بالشعر
المجسد أو الشعر العيسبي
بمعنى أن
الشاعر يخلق تكوينات من الإلفاظ
ومعالمها ، وقد يستخدم مادة غيرألوية
لتصوير من رؤياه ، فالقصيدة في النهاية
تصبح تكوينا مثيرا يخطب القارئ أو
الرائي من طريق تركيبها الشكلي أولا
وقبل كل شيء . وهذا الشعر في الواقع
« خطوة أخيرة نحو كسر الحاجز اللغوي
بين الاسم المخلطة ، ويظهر جديد من
مظاهر الاتجاه نحو المثالية »

● أبا الدكتور عبد الغفار مكاوي نقد
أختر أن يزوج في دراسته للشعر اللاتيني
في القرن العشرين بين نهجين مختلفين
فيبدأ أولا باستعراض الآثار التاريخية
والاجتماعية والثقافية للشعراء المعاصرين
في المكسيك ، ولعل أهم سمات هذا
الآثار يمكن أن نجدها — بكتليات الدكتور
مكاوي على هذا النحو : « جاءت الاجيال
الشابة فيبدأت الصداق الشايل مع الاجيال
السابقة على سنة الكثرة [١٩٤٤] »
ثم أخذت تتطلع لعوار آخر سبع ادب
المهاجرين الذي بدأ يعود بالترجيع الى
وطنه الأصلي ، وحين للاجيال الشابة
ان جيل المهاجرين جيل مخطف عنهم ،
وأن أصحابه الذين قالوا الفتيان
وتبنوا واستولوا ليسوا برفاههم في الصلاح .
وتعذر على الشباب ان ينجوا نقطة
الانفصال مع الجيل الذي سبق الكثرة ،
فكان عليهم ان يبدأوا من نقطة الصفر
الحقية ، ولكنهم من ناحية أخرى لم
يحموا فرصة اللقاء مع ادب عظيم آخر
كانت بلادهم قد غفلت الصلة به ضابا
الا وهو الادب الأوربي والأمريكي .
.. وتشطت حركة الترجمة من الإنجليزية
والفرنسية بوجه خاص ، وشارك فيها
أديبا ما بعد الحرب بنصيب موفور .
وحنا نجد لمحا يسرى على الشعر كبا
يسرى على الرواية ، على اختلاف
الأسلوب والموضوع والرؤية ، وهو
مملكة المنفى ، وتربية أوام الاجيال
السابقة وتبليها الكلفة في المستقبل ،
وبواجهة تيم الواقع والحضارة والمذنية
والتقدم .. الخ ، على هسو الكثرة
الشيعة والمستقبل الضائع والمناسف
الذهاب بلا عودة . ثلاثي الابد السلفج
في مستقبل انساني وشكلي ، واخفى
الإنسان الطيب بملقى يري أحيا دويته
ورب على الأدبي أن يحدق في موه وأفع
حرب يفيض لا يمتلئ .

— ويقد الباحث عند شاعرين من
أصحاب الشعر السيلي ما جو تفردين
ويرتولت يريسيبييت فيسب
بوجه عام ، وهي ما يعرف بالشعر
المجسد أو الشعر العيسبي
بمعنى أن
الشاعر يخلق تكوينات من الإلفاظ
ومعالمها ، وقد يستخدم مادة غيرألوية
لتصوير من رؤياه ، فالقصيدة في النهاية
تصبح تكوينا مثيرا يخطب القارئ أو
الرائي من طريق تركيبها الشكلي أولا
وقبل كل شيء . وهذا الشعر في الواقع
« خطوة أخيرة نحو كسر الحاجز اللغوي
بين الاسم المخلطة ، ويظهر جديد من
مظاهر الاتجاه نحو المثالية »

الاطمية الإسبانية تبييرا من مستطهم
واحتجاجهم ، وشعر اودن في هذه
المرحلة يبد سياسي واجتماعي من اتجاه
يرى انجلترا بلدا يعاني من الحساب .
يشبع في أرجائه الجوع والبطالة ،
ومعنى بالناس نذر الموت من كل مكان .
« وظل اودن مؤثرا بعمه الفن كمال
أساسي محرك للحضارة ، لكن تغيرا طرا
على نموه لعنى الالتزام » وهو تميز نتج
من نضج نظره الفلسفية والاضاع دائرة
شيرة وشمولها . . . ويلاحظ أن اودن
مدا مع نهاية الثلاثينات في الفحول من
الوقت المكسيكي الراديكالي تنجها لحو
الدين . . . لم انهي به الامر بمد
الشرب المثالية الخالية الى تحول يكاد
يكون شلال نحو الوقت المعسمى الذي
ينج أحيانا حد الصقوة .

— بعد هؤلاء الشعراء المتألقة يمكن
تبيين اتجاهين بخلافين سداد الشعر
في انجلترا وأمريكا منذ الثلاثينات
و ٥٠م أن هذين الاتجاهين مختلفان جد
الاختلاف وتباين من اصول فلسفية
متناقضة ، الا انها متشعبة متلازمتين
وتقاربتين لسم بلغت أحدهما صوت
الأخر . . . لحد هذين الاتجاهين يقدم
المضمون الفكري للقصيدة على شكله ،
ويطعم بنمائه الثقوي لهذا المضمون ،
والدا هذه المضمونة ما ولهم ايموسون
في انجلترا و ١٠٠٠ كسر في أمريكا
أبا الاتجاه الآخر فيهم أساسا بالمضمون
العاطفي للقصيدة ، ويرى القصيدة
أعزأا ما يقدمه الشاعر بما يوشى في
وجدانه ، لا يهتم بالغة واتانة اللط
قد ما يهيم صدق التعبير ، ويمثل هذا
الاتجاه في انجلترا فيلان توماس و في
أمريكا روبرت لويل .

— وسنجد في شعر الشبيكتات
والسبكتات اتجاهين أو جريمتين كلك :
١- شعراء «العزوة» : وشعراء «المجموعة»
٢- ويمكن على سبيل التيسير أن نعتبر
شعراء الحركة ابتداءا للاتجاه الذي
هله ويليام ايموسون خلال الثلاثينات
والاربعينات ، أبا شعراء المجموعة نهم
على تباينهم واختلاف مذاهبهم يطلون
في فريدمم الظافية ابتداءا لاتجاه ديكن
تولس . . أهم شعراء الحركة هسو
فيليب لاركين و جون وين وكجيسيلي
ايسر ورونالد داغي ، أبا المجموعة ناهم
شعرنا فيليب هيسوم وروارد تولس
سميت وكفرها .

— وفي نهاية دراسته يشير الدكتور
عادل سلامة الى ظاهرة حالية بسدات
ثابت وجودها لا في الشعر الإنجليزي
والأيرلندي فقط ، بل في الشعر الأوربي

المصر : **بالهرودا** • واسمه الحقيقي نفعالي رئيس باسوانلو [وقد اتخذ لنفسه اسم نيرودا حبيراً من أعجابه بلقارمير والكتاب الضيق **جان نيرودا**] ولد سنة ١٩٠٤ من أسرة فقيرة في قرية صغيرة من قري شيلي • ثم انتقل به أبوه إلى مدينة **فيو يوك** • إلى الجنوب وهي مدينة دالسة المطر تحيط بها الغابات الكثيفة • ولما تم دراسته الثانوية بها التحق بكلية الآداب في جامعة سانتاجو • وبدأ نشر نتاجه الشعري وهو **الإيزال طاليا** • ونشر ديوانه الأول بعنوان **« شيفيت »** ١٩٢٣ • ولسمى العام التالي نشر **« مشرون قصيدة غريبة وأغنية بالسية »** • وفي كلا المجموعتين تبدو زعامة ديونيسية قوية لا تخلو من نغمة شعراء الأجيال المصنعة • وفي ١٩٢٧ من نيرودا تفصلاً لشيلي إلى الوطن ثم إلى جاز • وفي ١٩٢٤ حين تفصلاً لبلاده في إسبانيا حتى نشوب الحرب الأهلية عماد إلى شيلي حيث نال جائزة فولية في الأدب سنة ١٩٣٦ •

وفي ١٩٢٣ أخرج نيرودا الجزء الأول من مجموعته الثانية « **مقام في الأرض** » ويتطلب على هذه المجموعة الطبع السوبريلي • وفي ١٩٢٣ نشر الجزء الثاني من الثانية • وفيه يندر نغمة يشعراء على ٢٧ من الأسبان • ولوركا يرجع خلفه • لموا أكثر اهتماماً بالمشاكل والصياغة والأسلوب وموسيقى الأنشاد • وفي ١٩٢٦ نشر الجزء الأخير من ثلثيته • وفيه مجموعة كبيرة من القصص منون « **إسبانيا في القلب** » • هذه المجموعة هي شرة تجربته في المصرب الأدبية الإسبانية في صف الجمهوريين الذين انتهى إرهم إلى الهزيمة • • ورجع البدة في هذه المجموعة من التصانيد ودلائلها على بدء دور جديد من أدوار حياته الشعرية هو أن الشاعر قد ترك « **الذاتية** » واتجه إلى « **الموضوعية** » انتقل من اهتمامه بأحاسيسه ورؤياه وعواجمه إلى الاهتمام بالآخرين • هذا الدور هو بدء تحول نيرودا إلى الاشتراكية بينما العلم • يشاركه إن حوله في التحميد وآلامهم ورجعهم في بناء مسلم جديد • • هكذا هو الشاعر موضوعه • موضوعات الشك والنق المينيزيري واكتشف محور الجديلة الجانبي • هو الإنسان في مراحل الانجشام • •

ولعل قبة ما وصل إليه شعر نيرودا هو ديوانه الضخم « **المفسد الكبير** » [١٩٥٠] • وهو من أكثر مصولات الشعر الإسباني طوحا وشيوا • إذ انه مجموعة ضخمة من آيات الأبيات • نؤلف بين مساعده وحده

[**التران السادس والسابع عشر**] • ومزال الإنتاج الشعري لهذا الجبل هو الذي يقذف قراء الشعر ومحبيه في العالم الناطق بالإسبانية حتى اليوم • • من هذا الجبل يقذف اليلت أبرز مثليه وهو **فيديريكو غوسه لوركا** ١٨٩٨ - ١٩٣٦] • نشر لوركا أول مجموعته الشعرية وهو في السقطة والمشرين بعنوان « **كتاب القصائد** » ثم « **قصيدة الفناء الإندلسي** » و « **إلغني** » • وفي ١٩٢٨ نشر « **ديوان القصير** » • • وبعدما بسنة سائر إلى الولايات المتحدة حيث قضى فيها حوالي علم ونصف عوكانت شرة تجربته هذه مجموعته « **شاعر في نيويورك** » • وفي ١٩٢٥ نشر **مونتيسكو أصراع الفيران الهيباتوستاليت ميفاس** • وفي الستة التالية نشر آخر ما طبع من دراوين في حياته وهو • **ست قصائد جليقية** • ونشرت بسنة ولتته مجموعته الأخيرة « **ديوان صاريوت** » •

— ومن نفسية لوركا بقول الفكرور يكي :
لم أكر مادار الجدل حول الآيام الأخيرة لغوسية لوركا والإسبات التي اصدمت ليها • فقد استغل صرح الشعراء لتفكيرهم بحكومة فرانكو والتديب به على نطق عالي • وإذا كان هذا أن الذين كانوا يتلقه كانوا حين يعلون ولامم لكنته التلوات الوطنية المساللة على الجمهورية فإن صرح لوركا لم يسكن لأصحاب ميفاسية • وإنما لقصصومات شخصية لاصلة لها بالسياسية • ولم يكن لوركا يولي هذا الأيدان شيئاً من اهتمامه ولا عرف يوماً بذايده لهذا الحزب أو ذلك • •

ابن القيقبة التريغسية حول مصرع هذا الشاعر العظيم : القيس هذا ابراهيم بن النفاقي بين المتخصصين ١

— بواسل الفكرور يكي حديثه من لوركا : « وعلى الرغم من حياة لوركا القصيرة • إذ توفي وهو دون الأربعين راته مرمولاً ما أصبح أشهر شعراء الطبيعة في إسبانيا واكرم لمسالة • وإذا كان من أولوا كلفة مالية • اناحتمل له دراسته الجامعية • وقد ظل مرتبطاً بجامعته حتى نهاية حياته • لاته لا يدين بسببته الذائع في ميدان الشعر والأدب المسرحي فك الدراسة بقدر ما يدين لوجهه النظرية • واقترة المبتدئة المهمة على القوس إلى للتيم الشعرية المقتة في كل ما يطبق به من مظاهر الطبيعة أو ظواهر الحياة • •

— يتي لشعر شعراء الإسبانية • وواحد من أعظم الشعراء في هذا

لكل نواحي الحياة في إسبانيا • لهذا ترك أقدام المذهب الحديث في جديد الشعر من ناحية الشكل والمصاغة والأسلوب • وأما جبل ٩٨ فكان أكثر مثلية يسمون الشعر وجوهه الفكرية • وقد هدم من جبل ٩٨ بوجه سلسل الشعراء والمثلك **ميجيل دي أونامونو** والشاعر **الترغيزو مانتامو** •

• وكان الأجيال الحديث بوجه عام هو الأكثر غلبة على لوساء العصر واستناراً بأعجابه • إذ كان اتجاهها هايا يمشي الكلية • وقد التفت به رغبت التعيد عند إلهام إسبانيا وأمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية على السواء بينما كان صموت جيبيل ٩٨ الميق احساسه بكثرة إسبانيا لا يسحو أن يكون صوت أقلية إسبانية منطوية على نفسها • وهذا ما يفسر لنا كوك أندر معظم إلهام الإسبانية خلال العقود الأولى من القرن العشرين إلى انتهاء الحديث • وإن لم ينع هذا كثيراً منهم من الترادد بلسان خاص داخل هذا الأجيال • • من شعراء هذا الاتجاه يندلجحت عند الشعراء **ماتولي مانتامو ونيسر فالينيو وجابريلا ميسترال** • وهو الاسم المشهور للكتابة والشاعرة التيلية لوليا جودري ألكالبا التي كانت على من طفر بجائزة نوبل في الأدب من قارة أمريكا الإسبانية سنة ١٩٤٥ [وفواون رامون غرينيت] الحاصل على جائزة نوبل أيضاً لسنة ١٩٥٦] •

— ولم تكن إسبانيا والبلاد الناطقة بالإسبانية بعيدة من الحركات الشعرية الأدبية التي اضطربت في عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى • وفي أمريكا اللاتينية انزعجت تلك التسورة بشروية البعث من شخصية مسئلة تطعيم جذورها الفسارية في أماني التاريخ بل الاستمرار الأوروبي الأبيض • ومن هذا الاتجاه ظهر ما عرف بالشرق الأسود • وأبرز مثلية على الإطلاق هو الشاعر الكبير **نيكولاس جيين** الذي غنى غذاب الجبل الأسود في أمريكا اللاتينية • ووقف شعره إلى جانب المسمومين والمضطهدين والباطلين من ذائع الترميم الاستعماريها • وقد استطاع جيين أن يسود لرميزه لجهة السود من كويا مشيوتا إجابيا وسجاسيا جملة في طليقة الشعراء الثوريين في هذا القرن • •

— أما في إسبانيا فقد تمت تلك التورات أكلياً غيا عرف **ميجيل ٢٧** • ولما نبأ إذا قلنا أن النهضة الشعرية في إسبانيا على إيدي إلهام الجبل لا تلت من تلك التي رانها البلاد خلال ما يدعى بالمصرع الأدبي

الشعر العالمي وبحث نفسها بأزاء اتجاه متأري، هو الاتجاه البرزي ، وبعد أن تعرض لهذا الاتجاه بدأ الدكتور سبتي في التعرف على صاحب الشعر من حيث اللغة والشكل ، فتعرض لاختلاف الجوانب في الشعر الحر ، وتنتج هذه الجوانب والحساسية الشعرية الجديدة بوجه عام ، أصبح الشعر الحرى « جاذباً لتجربة ناجحة مثيرة في الرواد بلصرون للزهر ، وكل ما عليه هو أن يترغ في الاتفاق بواجهه فنية جادة تستطيع أن تستخدم هذه الحرية المتاحة في شعر جاد . »

— وهنا تصل الباحثة إلى القسم الثاني من دراستها وهو الشعر بعد سنة ١٩٤٨ ، تقول الباحثة : « كانت الفترة إلى فترة انتقال ورش على كل صعد ، وتمرضت جميع عناصر الطبيعة إلى تغييرات جذرية على أيدي شعراء الطبيعة ، وقام الرواد بلصرون للزهر العيسق إلى تغير جميع مؤلفهم ، ويحاولون تفسير تجاربهم بأساليب كلية ، وبعد ما كانت فترة الشعر في هذه الفترة حادة وناجحة إلى حد كبير ، يدر ما كان الاستعداد مع الفولكلور باعتقافها والأصراع حادة وبشاعسا . » والنفس شعسرد الطبيعة — بوجه عام — إلى قسمين : الشعراء المعناتيين مثل السياب (نسي الشعر الباك) والهايلي ، والآخرين الذين هم منقسم المزمج أن فن كبد يستطيع الإنسان في العالم العربي أن يجد طريقة ، فمثلا شعسرد بالفقهية والرمع والرشد (أدونيس ، بلندا الحوير ، السياب) من تحولوه من المركسية [] . » وتناقش الدكتور سبتي بعد ذلك قضية الشكل ، والشعر والوزن ، والشعر المنثور وعسدة النثر واللغة والصورة وتقف بالتفصيل عند الصورة الشعرية وتكونبها عند توفير صياغ والسياب وفولكلور هاري ومهسود درويش ، وتختتم بلمحة عن الأسطورة في الشعر المعاصر . » وتنتهي الباحثة إلى أن هذه الفترة هي « لفتر غترات الشعر في تاريخنا كله الأدبي كله » وأن هذا الزمن الذي اكتشفه الإنسان فيه وجودها الذي يرض الاستفهام ، بل أمر على البوح والاملان أنه أزمنة ، ومن كورطنا معه « فاعطربنا إلى مجابهة انفسنا » فوشت ابرسا أيضا من وزن اكتشاف الذات » . »

— وفي دراسة الدكتور سبتي وإحدى من أهم الدراسات التي نُشرت، « إلهة من الشعر العربي المعاصر » ،

الشعر العربي المعاصر — نظرة ممتدة في الزمن والمكان ، فشملت الشعر العربي كله منذ بداية هذا القرن ، واستطاعت أن تحدد حركة المسابة ويلاحظ تطوره . »

— ترى الدكتور سبتي أن « تاريخ الشعر العربي الحديث في هذا القرن هو تاريخ تجارب مصفرة في جميع عناصر القصيدة : في الشكل واللغة والصورة والتهجة والمؤلف والموضوع . كانت هذه التجارب تنزع باستمرار نحو التوصل إلى نقطة اللقاء مع التهفشات الشعرية المهمة في العالم . » وقد يروا الشعر بنترات متلاحقة : من الكلاسيكية الجديدة الرومانطيقية إلى الرمزية والمروية . الحديث . » . ثم مدرسة الشعر الحديث . » .

— وترى أيضا : « اعتبر المؤرخون العرب المحثون والنقاد أن المسابية كانت ذات الصالبر الأكبر على ظهور الشعر ، ومعدوا معنى للتواريخ المهمة في الوطن العربي كتواريخ حامية في عصر الشعر . العربي الحديث وتطور ، غير أن الدراسة الدقيقة لتاريخ هذا الشعر تظهر بوضوح أن الأحداث السياسية — على أهيئها — لم تكن المنصر الفعل الوحيد أو المؤثر الأكبر الذي أحدث التغيرات الحاسمة في الشعر ، فالقوى الفنية والثقافية والاقتصادية والاقتصادية لا يمكن فصلها عنه على الإطلاق . »

« في هذا الضوء إذ نصف تطورات الشعر العربي في هذا القرن : يمكننا أن نقول أنه خضع أجيالا للتغيرات الفكرية الوادة عليه من غرب أوروبا وشعرها ، مع تفاوت في تأثير هذه التغيرات بين بلد وآخر ، ونجمل نقول : أن تاريخ العرب الحديث هو تاريخ ثورات وكباح وجنيت كبيرة ، وبحولات كان الملبها فاضلا ، ثم كحاث وثورات جديدة . هذه جميعا اشتركت مع التغيرات الثقافية المستمرة في خلق نموذج الشاعر العربي المعاصر ، من طبقة الرواد ، أنه شاعر مصاب بجرح روحي عميق ، ينقسم على نفسه ، تذهب عليه مواقف مختلفة من القسب والرشد والرب والآخر الجديد . »

— ثم تفصل الدكتور سبتي ما أجملهه، فتبدأ بالحديث عن الحرية الرومانطيقية وتطوارها العامة وتطغى إلى أن هذه الحركة في الشعر العربي « كانت خالصة من المقوق الفلسفي الذي ارتكزت اليه الحركة الرومانطيقية في الغرب ، فيما عدا أعمال جبران ونعمية التي استمدت إلى أساس نكري معين ، كان كله مقلدا من منبع لغاتية مختلفة . » لكن هذه الحركة قبل أن تقوى وتصبح ملة في

موسيقية ، وتيسودها نفس النزعة الاشتراكية ، والشاعر ينسب نفسه متحمدا باسم أمريكا اللاتينية ، متوجها برمائه إلى كل شعوب العالم ، يبيب بالمستغنيين أن يروحوا مسلوبهم ، ويعلن أن غناه موجه لهم : إلى الجميع ، إلى الجميع ، إلى كل هؤلاء الذين لا يعرفهم . . إلى كل أولئك . »

— ويسنن على شفاف لهايا الطويلة وعلى مسفر البراكين ، وفي ظل العباس المذهب إلى الصيادين والملاحين إلى الهواد الأزرق المبتئين على سواطيه البحيرات المائلة كالزجاج إلى الأساك الذي ينسائل الآن وهو يحيط الجولد بأية قديمة إليك أنت الذي كنت تتلفظ في فون أن تعرف ليكم جميعا انتهى ، ويكم أهرف ، ولتم أفني . »

ويبدأ الطابع السياسي والنفساني وشرحا في ذواين الشاعر الثانية مثل ديوان « الضرب والروح » الذي يقص فيه الشاعر رحلة طويلة له في آسيا وأوروبا ، ويقيم فيه مرضا لأحداث العالم من وجهة نظره ، وفي أماله التالية ، في ثلاثيته « إلهان بدائية » وفي آخر أماله المنشورة « السيف المفلطح » [١٩٧٠] يوزع إبداعه الشعري بين محوري الإنسان والطبيعة . »

— ويبحث الدكتور محمود في دراسته بقوله من بابلو نيرودا : « وقد أصبح نيرودا أكثر شعراء أمريكا اللاتينية حقا من الشهرة خارج حدود العالم الناطق بالاسبانية ، وتكدت مكانته في العالم الخارجي وفي بلد على حد سواء ، أبدا في الخارج فقد منح جائزة نوبل قسى لإداب سنة ١٩٧١ ، أبدا في بلده فعمل ما أسعده أن يرى انتصار الشيوعية في شيلي في نفس السنة التي نال فيها هذا التكريم الدولي . »

والآن .. بعد أن بحث دراستنا هذا الاستمرار والتأثر عايلحت بذلك التجربة الرائدة في شيلي . » ما أمث حزن الشاعر والمناهل الكبير .. بجلوا نيرودا . » [] . »

● ولعل أهم دراستات هذا المعداد واكترها مسحاظا للبحث في دراسة الدكتور سبتي الخضراء الجيوسى بعنوان « الشعر العربي المعاصر » تطوره ويستقبله ، « نقد الفة الباحثة — وهي هامة أيضا ولها كتاب بالانجليزية من

«الشـخـات»!

الملاحـ الخارجية والداخلية

الآزم فيلم «الشخات» بمعظم أحداث الرواية، وهو بهذا يحقق مطلباً عاماً • ومع ذلك فإن الفيلم لا يعمّر من روح الرواية، بل ويخرج الجمهور في نهاية العرض دون أن يفهم أزمة «عيسر المزراوي» الحقيقية، فهي تبسّو نهرنا أخلاقياً تارة، وهالة نفسية برؤية تارة أخرى، وأحياناً تبدو غامضة تبلياً، ليس لها ما يبررها أو يفسرها •



ويبدو أن كاتب السيناريو، أحمد عباس صالح - وهو من أكثر نقادنا دراية واستيعاباً لأدب نجيب محفوظ - قد لمس بأن مشكلة المزراوي غير مغمومة، لذا فهو يقدم تحليلاً شاملاً وسرياً لها على لسان صديقه الضخم «عبد خليل» بعد خروجه من السجن على أهدى المواجهات بينهما يتفحص «عبد خليل» حالة «المزراوي» بأنها انبهار وغضب يائس نتيجة للإبادة من القضية الكبيرة التي شكلت حياته يوماً قسمة حق الوعاظ في الحياة •

ولا شك أن تولف لهم المترجم لأحدى الشخصيات على وجهه نثر شخصية أخرى يعد من هزائل قصور السيناريو خاصة وأن الرواية تحتوي على عشرات التفاصيل النفسية الصغيرة، والفلسفة الأدبية، تحدد كائناً أبداً المزراوي • وقد أدى إغفال وتجاهل هذه التفاصيل إلى فقدان الفيلم لروح الرواية، كما أدى إلى قسوة شخصية المزراوي •

بيد أن الفيلم بداية موفقة • فمثل نزل الترات تشاهد أحياناً في جدران بين أربعة أصدقاء • عيسر المزراوي • و«عبد خليل» و«محملي التباوي» و«حامد صبرى» • بورج • عبد خليل • المسلمات والتليل على الأصعدة • لكن «حامد صبرى» يتسبب بعد أن يمان أن يمر بحتاج اللطم ولا تحتاج لفشلات • و«عبد خليل» •

بأن العلم أن يفهم الناس في ظل مجتمع ظلم • وينطلق الإلهام الثلاثة لإدلاء تلبية على أحد البشائر الخونة • وتفشي اللطم بأن يقوم كل من «عيسر المزراوي» و«محملي التباوي» بتغطية طير • عبد خليل • يد أن يلقي القنبلة • ويبدأ تنفيذ الخطة • لسكن • محملي التباوي • وبين •

وينطلق حلياً • ويردد «عيسر المزراوي» في إطلاق التل • ومع ازدياد حصد رجال البوليس حول «عبد خليل» • وفي يزداد تخلف «المزراوي» • وفي النهاية يستسلم عليه الخوف ليمسح بصمات أصابعه من مقبض المسدس ويرتد على سور حديقة بيتا • عبد خليل • متبوس عليه • وجهه يسبلا الشائنة وهو ينادي باسم بحر •

وهذه المقدمة بالغة الأدبية، فهي تقدم الحادث المحوري في حياة أربعة أصدقاء • ومن خلال بيان مواقفهم يتفحص السيناريو بعداً في شخصية كل منهم •

أن «حامد صبرى» يتسبب تشد البداية • صابغاً في هذا جع لنفسه وتكره وضوحه • ويحببه الفيلم بعد ذلك لطيباً محروفاً • تنبهه عيسرته وبقي ملهوه بأنه يعيش حياة مؤقنة مسخ الطبيعة العليا دون شعور بالظلم • أما «عبد خليل» فله شخصية تكاد تكون جديدة في السينما المصرية، شخصية الثوري الذي يرتبط بنفسه الجاهل ويوقف حياته كلها من أجل مصالحها • لم يظهر من قبل أي أنماط تلبية • لمل أعياها شخصية «شوقي» •

في «الرجل الذي فقد ظله» • • ويبدو «عبد خليل» من خلال هذه المقدمة سلباً ومبتأساً وواضح الرؤية • وهي السلبات التي ستتلاشى طوال الفيلم • وقد أكد السيناريو هذه الإبهام من طريق مدم وشابته بأسباب زائلة • ومن طريق علاقته الانتمائية بأسيان • وأخيراً من طريق موقفه البلاء من «عيسر المزراوي» • ومحاولاته المصدبة للخروج به من الآلة التي يحتملها •

وعمل العرض لطريقة السيناريو في تقدم «عيسر المزراوي» • يجب التوقف قليلاً عند شخصية «محملي التباوي» ذلك أن «السيناريو» لم يستطع جعلنا من الإكبات الدرامية الكبيرة التي تحتويها هذه الشخصية، أنه في الرواية يبدو سائراً هنا • لكن سحرته تسم برارة دقيقة • سفرته من كان يصلح بأنه مكتوب شيئاً جاداً وعظيماً للناس • وهو بالفعل يبدأ حياته كتاباً مبرحاً جداً • لكنه تحت وطأة الظروف • والنمات العام • ونفائله الضخمة في المحل الأول • بهجر الكلية الجديدة ويتخصص في تقديم النصبة الرخيصة من خلال كلية التليلات الأربعة والطبزيونية • وهو على طول الرواية يحاول أن يكون مبرحاً وحزلاً • ولكن برحه وهزله يخفيان بأساً قاتلاً • وفدائنا تلبا للثقة ينمسه ويأبده به • وهو بهذه الإبهام يعد شخصية بالغة الأدبية • خاصة وأن مؤهته في النهاية تد وجهاً آخر لقيمة «عيسر المزراوي» • لكن السيناريو لم يقدم حسناً إلا الصورة المسطحة البسلة والشكرية لشخصية «محملي التباوي» • الخلق الكائن • المظلي • الخفيف الظل • الذي لا أبداً له •

يعطي السيناريو اهتماماً كبيراً لشخصية «عيسر المزراوي» • هي أن يلقه الشخصيات تبدو وقلة إلى جانبها • لكن هذا الاهتمام اتسبب أساساً على الإبهام الخارجية والناح السالبة دون التفصيل بعشرات الشاعر والتفاصيل النفسية التي تغير من تكوينه الداخلي •

إن السيناريو يقدم «المزراوي» على أسس أنه رجل ينسحب من الحياة • وهو يقوم بمحاولات بقلة إيكاف تدور حافته • لكن محاولاته تذهب ميلاً • يذهب في البداية إلى صديقه الضخم «حامد صبرى» ليعرف منه الداء • لكنه لا يكتشف أن مرضه ليس عضوياً • ويحاول أن يلقى اللطم لرغبات لعله يتبع في اللطم بأحباب الحياة • إلا أنه يعود بعد جولته في أحضان النساء أكثر اكتئاباً وأشد ضيقاً بالصبا • وتسلم حركته في التدور حتى تخور

بلا حافته بوماً بالآستراكية والشمس
 أن لفته من المصطفى أن يفتقر الله
 بأن حائل علياً لا يوجب إليه إلا
 يفسر الشئب والغرف والأزواء النسي
 فيدع الشعار المنزى لفته إلى كرامة
 ياتيه وتجهله بمنزلة من كل ما حقه
 أن التلمس بفضاله الحائلة القليلة بين
 «الغزواني» و«فتيان علي» بكون
 قد أخفى الاسم لملاج من السماع الداخلية
 الشخصية الغزواني .. وهذا ما يفسر
 عدم لقب الجهور لأزفته
 ما يستخدم «حسام الدين مصطفي»
 إلا كأداة لتبديل الغفالات إبطائه
 وتورما .. أنه لفته قد امتدع من أداء
 المبتلين «خامسة» محمود مرسى
 الذي قد دور في وفاة الأيام محاضرة
 في السعد والظفر ودعة الأداء «منا
 فصيح لكل أمانة وكل نظرة عين ومنا
 أعاد الخرج على الوتاجع «الروائي»
 في تركيز المبتلين «كل مشهد يروي»
 في السعد الذي يليه «وهو أسلوب
 يتلزم مع السبق والرواية وطريقة تنسأه
 الشخصية» إلا أنه لا يبر من روح
 الرواية «ذلك أن بناء الرواية يقوم
 على الفكر والتداعي والمصادفة النصية
 والرواية «وهي عناصر من أن يمكن
 أن تترجم إلى لغة سيميائية فتنبى الفيلم
 وتقره إلى روح الرواية»
 في القهله بحسب للمخرج أن قد
 ابتعد عما كان أم الممكن أن يقع فيه
 من ملودراما وأمانة حسنة «تقديم
 هذا بلا سبغ الحاشية»

کمال رمزی

عنه يتكشف لنا مدى العهد النعسي الذي
بمسة الحزائيل تجاه هذه المسألة
(سوف نلحق الامين في هذه المسألة)
وسعد لنا تلك المسألة في مكتب الحزائيل
في نحو جيتي يملك يتصرف حثيث
البيان كما يجب ان يترجم الى مسودة
مصادره «لا ينبغي ذلك الوقت الذي
لحق هذه برات ككاسوس»
«لا تظهر هذه التفضيل النفسية في
التيمل» ولان ذكرى «مجان خليل»
تدري الى ذن «الحزائيل» الا يرة
واحدة في بداية العلم وهو يستفتح
بهاء البحر .. وعندها ترث هذه الفكرى
يتطلب من وجهه وكان يترقى الى الماء
ذلك ان موت «مجان خليل» ياتي
واضعا ومسطرا .. وهو مشهد يدعج له
يتركز فتيلا .. بل الى العكس سارح
السويرة يسبح الرء متضا جمل روعة
الذي يترى نوكه ان ليس هذا دوما
الان في شعور واقتناب .. طالا ان زوجها
يساعد على السنين بليا وبتنظام ..
والعلم بهذا يكون قد القى كل ماينمله
«مجان خليل» باسمه «الحزائيل»
ذلك ان «مجان خليل» مسوده
وتسلكه واضرارها لن يكون
الاستان هو الاصلية جماعه .. يمتل
كلمة التي تاتي منها «الحزائيل»
بل وسار الى الاتجاه الملكي استعاض
عن ذلك في مثلها اذ تربية استعاض ان
يقف خلافا لضملا بورجوازي كبيرا
بماضيج بل الى الرق الاقتصادية صلبة
بمجاخلا ومناظرة وماريا من ابتهه الذي

مزينة تبلى لغيره عليه وببست واستقامت
 ويحيى ويومر وتزعل ، وهو بهذا
 يكون قد قضى على حياته او كاد «
 « الحزواى » بهذا التفسير يفتح
 حلا مجرعة حسا ، وبالقراءة يتضح
 السؤال الذى رده الجمهور ولم يجد
 الجابته : ما هو السبب الذى يجعل
 الحزواى « كازا لحية وتقرأ من
 كل ما حقه »
 ان الظلم يتعامل مع جاد في الرواية
 بضمير مائة « الحزواى يستعصيه
 « حنين ظلم » ، وهي علاقة باقية
 الالهية « ظلم نفسى وتعلمي مسييا
 انتمت الحزواى » ، وتقدر العلاقة
 في الرواية على مستويين « مستوى
 « جرحى » يستلوه والاحترام من جانب
 « الحزواى » ، والشغلة والانس من
 جانب « عليان خليل » ، وقد قدم التلم
 مائة كل منها باخر في هذه الحدود
 نية تبلى يفتح حلا للحالة « ام
 كيرا بن الجبيل الظلم » ، علاقة متينة
 تشكك الجبيل الظلم في وجودان
 الحزواى وتسرعه وتكتفى بضمير
 هذه العلاقة من خلال المدين في التضاميل
 والاضطلاح والتكرات التي تدور داخل
 « الحزواى » « ان « عليان خليل »
 يفتح حيزا كبيرا في امان الحزواى ،
 وعلى طول الرواية تلمك مبرات من
 فروع « ذكر الاخرى من السجون »
 « فكرت بدول تهن اذرك السجون »
 « انه لم يفتح » ، ولم الاوالم لم
 يفتح « وعني يتربد بدم التراج

الثقافة
الجزائرية

صراع
الماضي
والحاضر

إلى القاهرة في الشهر الماضي الاستاذ عبد الله شريط ، ميسد كلية الآداب بجامعة الجزائر ، والاستاذ شريط مفكر وشاعر ، يكتب الشعر « التقليدي » ، وله مجموعة مطبوعة ، وأن كان يؤكد أنه توقف عن كتابة الشعر منذ الخمسينات .

مع الامتثال عبد الله شريط كان هذا الحوار عن الواقع الثقافي في الجزائر،
حاضر ومشاكلة : يقول الاستاذ شريط :

— يجب أن تعرف — منذ البداية مستطلي الثقافة الجزائرية بوجه عام —
وليس هذا الوضع أسبابه الوضوح غير التاريخي ، بعض هذه الأسباب يرجع
إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي ، ومعها الآخر يرتبط هذا الاستعمار نفسه ،
فمثل الاستعمار مثل الثقافة تتحصر في جرد الصليبي ، في الطابع الفني —
في الزوايا ؟ أو التكليف ؟ ، حتى هذا الجانب الفني من الثقافة الذي عليه
الاستعمار الفرنسي ، وترى ثقافته على الأوطال ذات الاعتراف بالثقافة من أبناء
الجزيرة .

وكانت نواة القفلة الجزائرية المعاصرة هي البعث الديني والوطني في الثلاثينات ، لم يكن الوعي الديني متعلما من الوعي الوطني ، من هنا كان الطابع التقديري للدين ، وكانت أمية حركة الإحياء العنيفة التي قادها عبد الحفيظ بن باديس ، ولم تكن الدولة محبة بالسلطان التقني أو العلمي ، فكان الشعب هو الذي يوسم الأذلة على المعلم وتصيرونهم ، بعد الحلة الثانية .

بعد الحرب الثانية ركزت الحركة الدينية نتيجة موت بن باديس [1٩٤٠] على الحركة السياسية المصاحبة لها. انقسمت إلى شعبتين متباينتين : حركة سياسية خالصة من جانب ، وحركة أخرى تفتنى بالجانب الديني في الظاهر لكن وراء هذه الواجهة ممل سري موكر ، يهدف إلى انتزاع أفضل العناصر للمساهمة في العمل العسكري السري .

ومع بداية إعلان اللوحة المسلحة في ١٩٥٤ أصبح كل شيء تحت الأرض : التعليم ، يوم به مستشارون للبيئة التحرير ، والمدارس والمحاكم وكافة الأنشطة تتولاه هيلت تابعة لجيش التحرير ، خاصة في البوادي .

ويعد اعلان الثورة خرجت الكوادر
متجهة الى أوروبا ودول العالم العربي ،
هذه العناصر هي التي أصبحت تتولى
مسئولية العمل الثوري بعد التحرير .

● **والآن ..** يمكننا ان نتحدث عن اتجاهين لقائمين منمايزين: اجد هما تركز في أوروبا والجزائر وهو مرتبط بالقسالة الفرنسية ومثارت بها ، والاخر تكون في الشرق العربي والمغرب وتونس وهو مرتبط بالقسالة التقليدية ، ويمكن ان نعتبر امتدادا لعمل التفسير بن باديس .

والصراع بين هذين الاتجاهين أو
للتقال بين التقاليد الفلسفية والفكرية
والعبرانية هو ما يطبع الحياة الاجتماعية
كلها بصبغها . وجهة نظر الجماعة الأولى
تنحس على أننا بحاجة لتطور سريع ،
يقوم على اتخاذ الخطوات ذات تكوين
لغائي لغوي ، والدخول إلى التعريب
تحتنا وتنسج في وجهنا العقيدة ، أما
الجماعة الثانية فتري أن التعريب أولاً
لأنه الطريق الوحيد للاتصال بجماعاتها
الشمسية ، فيطور في الدن لا معنى
شدي ، بلغة منسجة من السكان .

التي كانت نهائيا لصالح الحزب الأثافي،
فانترسب يومين فوق أجسادهم ، ثلثي
وهدني وأعطاني ، لكنه يستجيب لوجهة
النظر الأولى فيما يتعلق بالنظير
الاقتصادي . وهكذا ، أصبحت قضية
التعريف ليست مطروحة للنقاش ، لكنها
بدأت أموره ، الخاطو للنقاش هو
كيفية التعامل ، والاستبعاد الفول يتسا
عظما في سبيله شيئا كبيرا : فحاشية
الدليليم الإبداعي والثانوي مريت السنوات
الأولى تمرييا كالأدب ، كما مريت مواد
مكتوبة في السنوات الممتدة (مريت
الأسانسات كليا ، مع العلم ، بعض

الدارس فون بعضها الآخر ، وهناك
دارس تربية تواجبه معية تربية
كألا به اختيار لغة أجنبية ، لكن
المشكلة الحقيقية التي تواجها هي نقص
كوفهم الطبعين ، وبالنسبة للتعليم
العلمي تواجها مواد الدراسة في كلية
الاداب تربية كالألا ، هذا بعض نروع
كله النفس ذات الطبع (التربية) ،
وكله الحقوي صير بمرحة من التعريب
الكامل ، أما في الكليات العلمية فقد
اخذت دراسة اللغة العربية كيادة
أساسية .

« هذا عن الضمير ، هذا انتفاضا
 الى القسط القفالي بمناه الواسع ،
 سفلطحا ان نشاط القفون الفرنسية
 في تقصن تروحي ، و هنا بهي ان
 تشر الى الدور الذي لم يمت انتكح
 الخوازيون ليم يكتون الفرنسية :
 محمد ديب ، مولود غرون ، مولود
 عمري ، كاسين ، كاسين ، كاسين ،
 كاسين ... الخ ، لقد كانوا اسلم
 شراء للغة الجزائرية والدور والوزارة
 الواقع الجزائري ، غير ان أعمالهم
 بيدة ان هؤلاء الجاحير الجزائرية
 بوجه صام ، وكهنت الى ترحم الى
 العربية ، وأعمالهم المرحية التي ترحم
 الى اللجة الجزائرية ، تحسن الى
 الجزائري ، ويمنع تروحي هؤلاء الخلفين
 الفرنسية الآن في بعض الحالات
 الى ، الصحف والكتابات . »

وقد بدأت تظهر الآن جماعة من الكتاب المثلثين ثنائية مزدوجة ، أمي أنهم يحسون من الثقافة الفرنسية . أو الأوربية بوجه عام من ناحية ، والثقافة العربية الطبيعية من الناحية الأخرى ، واعتقد ان المستقبل لهذه ، لكن كتاباتهم لم تتطور . - بمسألة في الجامعات محددة بسكن تسهيلها والحديث عنها ، فلذلك انتاجهم في دور التجارب الأولى .

● والشبكة الأساسية التي تغطي
تحت القناتلة الجزائرية وتطوّرها هي نص
الكادر الخمسة ، فيالق الخمسة
ملا : تيسر أن كتابة النص المسرحي
البيد هو أضعف وجوه الحركة المسرحية،
أما من حيث القناتلة المظهرة المسرحية
تجدد ، المسرحيات التي تسمى
تعالج مشكلات اجتماعية حادة ، أنها
يبدأ من نصها الواقع في الترويض المسرحية،
المرأة ، والقلب ، صراع الأجيال ،
ومما هو جدير بالذكر أن مسرحية كانت
تعالج مشكلة النساء لقيت نجاحا كبيرا ،
فكانت لها نسخة من المسرح الكوميدي

بأنشئ تضامياً معيقروها في ولاية الأمصال
لكن التسليم في ولاية الأمصال
السلطة المرضي ودمي أمك لك شيئا
أصبا بالصور الجزائري : انه ذو
طبيعة حادة ، أما ان يرحب بالغير
فيعرض عليه ترحيبا كاملا ، وأما ان
يرفض رفضا كاملا ، فلا توسل هناك .
كللك الزمان فيما يقتل بالمهنية ؛
لنفس لدينا سياسات مستوحاة ، ومستوى
الخيرين والفقيرين خدمت في كل حين ،
لنلتل ان استحوام الضمير من افضل من
سياسات الكبرى ، ثم مثالون بترك
السياسة الغربية أكثر من التسامح بواقع
الجزائر . والاعمال الطيبة التي تنجح جزئيا
من حيث موضوعاتها ، والمجهودات الجارية
في طابع سياسي فيما يتعلق بالثقل الإسلامي
الأفلام السينمائية ؛ لذلك تنجح الإسلام
الأفلام الضمن السياسي (وعلى الرغم
يوسف شاهين ، على سبيل المثال ،
في حياضنا) .

١١٠
١١١
١١٢
١١٣
١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠
١٢١
١٢٢
١٢٣
١٢٤
١٢٥
١٢٦
١٢٧
١٢٨
١٢٩
١٣٠
١٣١
١٣٢
١٣٣
١٣٤
١٣٥
١٣٦
١٣٧
١٣٨
١٣٩
١٤٠
١٤١
١٤٢
١٤٣
١٤٤
١٤٥
١٤٦
١٤٧
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥١
١٥٢
١٥٣
١٥٤
١٥٥
١٥٦
١٥٧
١٥٨
١٥٩
١٦٠
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥
١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦
١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠
٢٠١
٢٠٢
٢٠٣
٢٠٤
٢٠٥
٢٠٦
٢٠٧
٢٠٨
٢٠٩
٢١٠
٢١١
٢١٢
٢١٣
٢١٤
٢١٥
٢١٦
٢١٧
٢١٨
٢١٩
٢٢٠
٢٢١
٢٢٢
٢٢٣
٢٢٤
٢٢٥
٢٢٦
٢٢٧
٢٢٨
٢٢٩
٢٣٠
٢٣١
٢٣٢
٢٣٣
٢٣٤
٢٣٥
٢٣٦
٢٣٧
٢٣٨
٢٣٩
٢٤٠
٢٤١
٢٤٢
٢٤٣
٢٤٤
٢٤٥
٢٤٦
٢٤٧
٢٤٨
٢٤٩
٢٥٠
٢٥١
٢٥٢
٢٥٣
٢٥٤
٢٥٥
٢٥٦
٢٥٧
٢٥٨
٢٥٩
٢٦٠
٢٦١
٢٦٢
٢٦٣
٢٦٤
٢٦٥
٢٦٦
٢٦٧
٢٦٨
٢٦٩
٢٧٠
٢٧١
٢٧٢
٢٧٣
٢٧٤
٢٧٥
٢٧٦
٢٧٧
٢٧٨
٢٧٩
٢٨٠
٢٨١
٢٨٢
٢٨٣
٢٨٤
٢٨٥
٢٨٦
٢٨٧
٢٨٨
٢٨٩
٢٩٠
٢٩١
٢٩٢
٢٩٣
٢٩٤
٢٩٥
٢٩٦
٢٩٧
٢٩٨
٢٩٩
٣٠٠
٣٠١
٣٠٢
٣٠٣
٣٠٤
٣٠٥
٣٠٦
٣٠٧
٣٠٨
٣٠٩
٣١٠
٣١١
٣١٢
٣١٣
٣١٤
٣١٥
٣١٦
٣١٧
٣١٨
٣١٩
٣٢٠
٣٢١
٣٢٢
٣٢٣
٣٢٤
٣٢٥
٣٢٦
٣٢٧
٣٢٨
٣٢٩
٣٣٠
٣٣١
٣٣٢
٣٣٣
٣٣٤
٣٣٥
٣٣٦
٣٣٧
٣٣٨
٣٣٩
٣٤٠
٣٤١
٣٤٢
٣٤٣
٣٤٤
٣٤٥
٣٤٦
٣٤٧
٣٤٨
٣٤٩
٣٥٠
٣٥١
٣٥٢
٣٥٣
٣٥٤
٣٥٥
٣٥٦
٣٥٧
٣٥٨
٣٥٩
٣٦٠
٣٦١
٣٦٢
٣٦٣
٣٦٤
٣٦٥
٣٦٦
٣٦٧
٣٦٨
٣٦٩
٣٧٠
٣٧١
٣٧٢
٣٧٣
٣٧٤
٣٧٥
٣٧٦
٣٧٧
٣٧٨
٣٧٩
٣٨٠
٣٨١
٣٨٢
٣٨٣
٣٨٤
٣٨٥
٣٨٦
٣٨٧
٣٨٨
٣٨٩
٣٩٠
٣٩١
٣٩٢
٣٩٣
٣٩٤
٣٩٥
٣٩٦
٣٩٧
٣٩٨
٣٩٩
٤٠٠
٤٠١
٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤
٤٠٥
٤٠٦
٤٠٧
٤٠٨
٤٠٩
٤١٠
٤١١
٤١٢
٤١٣
٤١٤
٤١٥
٤١٦
٤١٧
٤١٨
٤١٩
٤٢٠
٤٢١
٤٢٢
٤٢٣
٤٢٤
٤٢٥
٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨
٤٢٩
٤٣٠
٤٣١
٤٣٢
٤٣٣
٤٣٤
٤٣٥
٤٣٦
٤٣٧
٤٣٨
٤٣٩
٤٤٠
٤٤١
٤٤٢
٤٤٣
٤٤٤
٤٤٥
٤٤٦
٤٤٧
٤٤٨
٤٤٩
٤٥٠
٤٥١
٤٥٢
٤٥٣
٤٥٤
٤٥٥
٤٥٦
٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦١
٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
٤٦٥
٤٦٦
٤٦٧
٤٦٨
٤٦٩
٤٧٠
٤٧١
٤٧٢
٤٧٣
٤٧٤
٤٧٥
٤٧٦
٤٧٧
٤٧٨
٤٧٩
٤٨٠
٤٨١
٤٨٢
٤٨٣
٤٨٤
٤٨٥
٤٨٦
٤٨٧
٤٨٨
٤٨٩
٤٩٠
٤٩١
٤٩٢
٤٩٣
٤٩٤
٤٩٥
٤٩٦
٤٩٧
٤٩٨
٤٩٩
٥٠٠
٥٠١
٥٠٢
٥٠٣
٥٠٤
٥٠٥
٥٠٦
٥٠٧
٥٠٨
٥٠٩
٥١٠
٥١١
٥١٢
٥١٣
٥١٤
٥١٥
٥١٦
٥١٧
٥١٨
٥١٩
٥٢٠
٥٢١
٥٢٢
٥٢٣
٥٢٤
٥٢٥
٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨
٥٢٩
٥٣٠
٥٣١
٥٣٢
٥٣٣
٥٣٤
٥٣٥
٥٣٦
٥٣٧
٥٣٨
٥٣٩
٥٤٠
٥٤١
٥٤٢
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٥
٥٤٦
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩
٥٥٠
٥٥١
٥٥٢
٥٥٣
٥٥٤
٥٥٥
٥٥٦
٥٥٧
٥٥٨
٥٥٩
٥٦٠
٥٦١
٥٦٢
٥٦٣
٥٦٤
٥٦٥
٥٦٦
٥٦٧
٥٦٨
٥٦٩
٥٧٠
٥٧١
٥٧٢
٥٧٣
٥٧٤
٥٧٥
٥٧٦
٥٧٧
٥٧٨
٥٧٩
٥٨٠
٥٨١
٥٨٢
٥٨٣
٥٨٤
٥٨٥
٥٨٦
٥٨٧
٥٨٨
٥٨٩
٥٩٠
٥٩١
٥٩٢
٥٩٣
٥٩٤
٥٩٥
٥٩٦
٥٩٧
٥٩٨
٥٩٩
٦٠٠
٦٠١
٦٠٢
٦٠٣
٦٠٤
٦٠٥
٦٠٦
٦٠٧
٦٠٨
٦٠٩
٦١٠
٦١١
٦١٢
٦١٣
٦١٤
٦١٥
٦١٦
٦١٧
٦١٨
٦١٩
٦٢٠
٦٢١

● الصيانة الحقيقية للمعركة التي نواجهها اليوم في الجزائر هي أنها معركة بين الماضي والمستقبل ، هناك مشاكل ومتاعب لأتلك فيها ، ولابد من مواجهتها ، لكن ما يبحث فيها الأمل هو انه لا التباس لدينا بالنسبة لها ، بل لدينا الوضوح الكامل فيما يتعلق باتخاذها العام .

مطالع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الشيوعي المعاصر

٦ أكتوبر : المفاجأة والحقيقة

الحرب الرابعة

- حرب التحرير انطلاقة لانجاز الثورة الوطنية
- المدخل الى المعركة : الوحدة الوطنية
- أطراف الصراع في ٤ حروب مع اسرائيل
- سلاح البترول في الحرب الرابعة
- العرب عبر الطريق ٠٠ من الهزيمة الى الانتصار
- الاطار الدولي لمعركة التحرير
- بعد ٦ أكتوبر : اسرائيل الى أين ؟

القهر

المعد الحادى عشر - السنة التاسعة - نوفمبر ١٩٧٢

٦ أكتوبر : المفاجأة .. والحقيقة
« الافتتاحية »
ص لطفى السبولى

٣ كليات هب الى جنود مصر وسوريا
والثورة الفلسطينية
« الطليعة » ١٤

الحرب الرابعة :
١٨

٢٠ - حرب التحرير : انطلاقا لانجاز
الثورة الوطنية
٢٢ - ادخل الى الحركة : الوحدة
الوطنية
٢٨ - اطراف الصراع في ٢ حروب مع
اسرائيل
٢٨ - سلاح القنول في الحرب الرابعة
- العرب عبر الطريق من الهزيمة الى
الانتصار
٤٧ - د. رجعت السعيد
٥٠ - ابو سميد يورسيف
٥٦ - خيرى سوزن
٦٢ -

ملق خاص :
حركة المواجهة العسكرية
في سيناء والجولان والارض المحتلة
٨٢

٩٣ - ابن حرب الصحراء
١٠٢ - امصار هائل في مرحلة التكوين
تقارير الشهر :
١٠٨

مكتبة الطليعة :
١٢٢ - حرب ليام الستة
كتابات جديدة :

١٢٨ - التحالف من اجل التقدم والامكيد الجديد للاميرالية
وثائق :
١٢٢ - وثائق عن الصراع العربى الاسرائيلى

ملحق الادب والفن :
١٤٧

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير

لطفي السبولى

ان [الطليعة] ميدان مفتوح
لكل راي حر ، وهي اعتقادنا
ان تعامل الآراء الحرة على
اشتغالها هو وحده الذى
يستطيع ان يطور ويثقل
وحدة فكرة اصلية

من هذا المفهوم تنبع
« الطليعة » صممتها لكل راي
لديه كلمة ينوبها - مؤسسة
يشتمل الحرية المجسدة الى
اطلقه دولتي في القرن الثامن
عشر [قد اختلف بك في
الراى ولكن على استعداد لان
ادفع هباتي تبعا لحدك في
الدفاع عن رايك] ..

عنوان المراسلات :

بني مؤسسة الاحرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٤٦٤ - ٥٩٠١٠
- ٥٩٠٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. - دول
اتحاد البريد العربى ودول الصادر
البضء ١٢٠ قرشاً

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس الطليعة
واسرة لتحريرها
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الى اصدقاء الطليعة

ترجو « اسرة التحرير » ان تلتم
بمظر شراء الطليعة واصدقائها ، الى
ان مغالبية مواد هذا العدد قد اعدت في
حدود يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٧٢ . فهدا
ما تلقى به الاجراءات الفنية لطباعه
مجلة شهرية ، في الحجم الذي تصدر
به « الطليعة » . ومن هنا كان واجبا
على اسرة التحرير ان تمتنر للقراء
والاصدقاء بسبب مانقرضه الامكانيات
الفنية من قصور عن متابعة الاقشاع
الهائل والسريع للتطورات التي تجري
في بلادنا منذ ٦ اكتوبر المجيد ، يوم
العبور الكبير .

٦ أكتوبر : المفاجأة والحقيقة

تجمرت « حرب أكتوبر ٧٣ » بين العرب وإسرائيل ، على الرغم من أن كل الحسابات الظاهرة « لوقف ما بعد حرب يونيو ٦٧ » ، اعتبرت مثل هذه الحرب احتمالاً غير قابل للتحقيق . وذلك على الإمتداد المرنى لسكن من الزمن والواقع المطروحان أمامها .

حسابات إسرائيل ، ظلت تقوم على تلك الفكرة التي حاولت الدعاية الإسرائيلية - من باب الردع المعنوي - غرسها في أفاق « الخصم المهزوم » . ولكن إذا بها تنتهى إلى « قوة تحكم ضاغطة » على الفكر والعمل الإسرائيليين ، عسكرياً وسياسياً . وتعنى بهذه الفكرة ، زرع اعتقاد عام بالمنطقة وبالعالم كله % بأن « حرب ١٩٦٧ » كانت « آخر الحروب » في الصراع العربي - الإسرائيلي . وأن المسألة ، لا تعدو أن تكون مسألة وقت ، كي يفرض « السلام الإسرائيلي » جناحيه على المنطقة ، ويسلم العرب بالأمر الواقع ويستسلمون له .

وراج « الفكر الإسرائيلي العسكري » يقلل من وزن مظاهر المقاومة المسلحة والسياسة العربية - في إطار هذا الاعتقاد - ويصورها على أنها مجرد ، غورات لا مستقبل لها ، نابعة عن جيوب عربية متطرفة ومنعزلة عن الواقع ، وعن جعاع القوى المؤثرة في المجتمعات العربية . وقد في تصور إسرائيل ، أن استمرار القيام بالتغييرات في طبيعة الأرض المحتلة من ناحية ، وتوجيه ضربات تاديبية مكثفة هنا وهناك في البلاد العربية دون خشية رد مقابل من ناحية أخرى . . من شأنها أن يقضيا على جيوب المقاومة . ويفتح الفرصة أمام ما تسميه إسرائيل « القوى المؤثرة في المجتمعات العربية » أن تسيطر على الموقف ، وتتكيف لتبأج حرب ٦٧ العسكرية ، وتلخذ زمام المبادرة وتستجيب - بتفعلها واتزانها - لنداء إسرائيل بالجلوس الى مائدة المفاوضات المباشرة « وتوقيع صك الاستسلام في صورة معاهدة سلام » .

وحسابات أمريكا ، اعتمدت في الأساس ، على كل من الحسابات الإسرائيلية ، والرؤية السلطحية للوقف العربي بعد هزيمة ٦٧ وأبنته الفوقية .

فمن ناحية ، باتت أمريكا على يقين من أن إسرائيل غدت — ولرحلة قادمة — تستهلك عمر البترول الاستراتيجي — رجل البوليس القوي في المنطقة . لا بد من منظور له . قادر على أن يشمل العرب . شللا استراتيجيا عن الحركة .

ومن ناحية أخرى ، فإن هزيمة العرب في ٦٧ قد أدت — في رأى الأمريكين — من جانب ، الى هزيمة القوى الوطنية والانسورية العربية في القطاعات المدنية والعسكرية على السواء . ومن جانب آخر الى انتصار قوى المساومة . وهو انتصار يدعم — في تقديرهم — مراكز المصالح الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة .

وفي ضوء هذه الحسابات ، استقطبت أمريكا كل امكانية محتملة للقوات العسكرية العربية . وبسرت تفسيراً خاطئاً مظاهر الصراع السياسي والاجتماعي — اقليمياً وقومياً — في المجال العربي ، وعطيلات الفد والجذب في العلاقات العربية السليبية ، وعدد من التكتيكات السياسية المصرية في كل من المجالين العربي والعالي .

ومن هنا جاءت: « حرب أكتوبر » مفاجأة مساعفة للولايات المتحدة واسرائيل معا . واضطر « هنري كيسنجر » وزير الخارجية — في مواجهته لأول أزمة خطيرة منذ توليه منصبه — أن يبرئ نفسه من الغفلة السياسية ، فيعلن انه تلقى معلومات سرية . بطريقة خاصة تشير الى احتمال اشتعال الحرب في الشرق الاوسط تبين ساعات معدودة من نشوبها . وانه طلب على الفور الى كل من جهازى المخابرات في أمريكا وإسرائيل التحري عن صحة هذه المعلومات ، فاجاب بانها معلومات غير صحيحة وأن كل شيء هادئ وتحت المراقبة الدقيقة . ونام « كيسنجر » ليلته مطمئناً الى تقارير مخابراته ، غير أنه ما لبث أن اوقف في ساعة مبكرة من صباح ٦ أكتوبر — بتوقيت نيويورك — على رنين تليفون الحرب .

بيد أن الحرب لم تفاجئ معسكر العدو فحسب . فالحقيقة انها ايفسا فاجات معسكر الصداقة والقوى العربية جميعا ، ولكن من زاوية أخرى .

فعلى الرغم من أن حرب تحرير ضد الاحتلال الاسرائيلي ، كان باستمرار مطلباً شعبياً ملحا منذ انطلق الشعب المصرى مع بقية الشعوب العربية ليلة ٩ يونيو ١٩٦٧ رفضاً الهزيمة ومعلناً اصراره على المقاومة وطرد المحتلين ، الا أن ما أثارته الهزيمة من آثار وصراعات وزوايع في كل أنحاء الوطن العربى ، وسرور أكثر من ست سنوات على الاحتلال دون زعزعة ، وسب في وجدان الشعب العربى من المحيط الى الخليج ، الشكوك حول بسدى قدرة وجدية أى نظام عربى معاصر على تنفيذ وتجسيد الشعار الذى احتضنته الجماهير : « ما لأخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . وزاد من هذه الشكوك — بغض النظر عن جوانبها الصحية — استنراب وقف اطلاق النار على الجبهات العربية رغم العبرة الدائمة للعدوان الاسرائيلي ، فضلاً عما واجهته المقاومة الفلسطينية في أكثر من موقع عربى من حصار وضرب وتشريد .

في المواجهة المباشرة لإسرائيل ، يبرز في المقدمة — أساساً — ثوثان رئيسيتان : مصر وسوريا ، وكان الرئيس السادات منذ ولى بمسؤولياته بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، يرفع دائماً شعار « ضرورة العمل السريع مع العدو

المحل « ، ذلك أنه كان يعتقد - كما سمعت منه مباشرة أكثر من مرة - أن استمرار الاحتلال يجعل الوقت في صالح إسرائيل ، وأنه بمجرد التحرك لنقل هذا الاحتلال ، يتحول الوقت إلى صالح العرب . وأنه بأعلاته وتكراره لأعلان ضرورة الحسم وأحيانا تحديد موعده أنها يستهدف حفز كل القوى المصرية والعربية إلى العمل وتحديد موقفها ، فضلا عن أربك حسابات العدو الذي يلجأ، بتحديد غريب لإبعاد المعركة وكأنها مباراة رياضية .

ولا شك أنه بعد انتهاء الحرب سوف يكشف الرئيس عن الخطط والتكتيكات التي اتبعها من أجل أن يجعل كل المنطقة العربية في حالة توتر وتحفز أعدادا من ناحية، وتضليل الرؤى والحسابات الأمريكية والإسرائيلية من ناحية أخرى ، المهم ، أنه في حدود ما هو منظور ، أعلن الحسم أكثر من مرة وتآجل أكثر من مرة ، وبترك هذا - بالضرورة - انطباعات سلبية لدى قطاعات واسعة من القوى الوطنية ، إذ عُسرت الأمر كما لو كان تأجيلا لمعركة التحرير إلى أجل غير مسمى ، لكن الرجل - والحق يقال - ظل باستمرار حافظا - من الناحية العملية - لوعده بالحسم والمعركة . وذلك على الرغم من حديد من المظاهر التي كانت تتناقض مع ذلك ، فعندما كنت أسأل عن هذا الوضع من عدد من الأصقاء المصريين والعرب - حتى بعد اختلافي مع الآلية العامة ولجنة النظام بالاتحاد الاشتراكي - كنت أسلم بالتناقض ، ولستكني أيضا كنت أؤكد على اقتناعي بأن السادات ، ابن الحركة الوطنية في الأربعينيات وحركة الضباط الأحرار في الخمسينيات ، يؤمن بأنه لا بد من حرب تحرير ، وإن القضية الصعبة هي في كيف يحول هذا « الايمان الذاتي المكتون » إلى « ايمان موضوعي متحرك » .

وواجه الرجل - بطريقته - القضية الصعبة، وجاء ٦ أكتوبر مفاجأة أيضا لكل القوى في الوطن العربي : حتى بالنسبة إلى القوى التي كانت بمعركة التحرير مطلب حياتهم الأول والأخير . وفي لحظة عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف والجولان توارت كل الشكوك ونهارت كل التحفظات . وشمل المد الثوري جميع القسوم العربية ، وانضوت كل القوى الوطنية بسلا استثناء تحت لواء قياداتها في مصر وسوريا ، وعادت مصر بقيادة السادات إلى احتلال مكانها التاريخي وممارسة وزنها النشالي والسياسي في الوطن العربي .

وتكشف للجماهير العربية ولعسكر الإصغاء ، من خلال الشربة المفاجئة ، الطريق الطويل الصعب الذي خاضته القيادة الوطنية والقوات المسلحة ، بصبر. وألم وأمل حتى يصلوا إلى ساعة النصر في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

مسيرة طويلة وشاقة تم خلالها تخطي الزاقي الوعرة والتخفي من ميون العدو وشبكه المتصددة على الطريق .

فإن المفاجأة العربية هنا ، لم تصطدم وتصق ، كما حدث مع إسرائيل وأيركا . لكنها امتصت آلام ومهانة أكثر من ست سنوات ، وحسمت مع القتال الصراعات ، وحررت الطاقات من محابسها لتصب في نهر واحد متدفق : معركة التحرير .

هكذا شقت الحرب الرابعة طريقها وسط النيران عبر قناة السويس والجولان^{١٠١} وكان طابع المفاجأة المزدوج هو سر نجاحه التكتيكي الأول الذي حقق للعرب - لأول مرة في تاريخ الصراع - ميزة التمتع بالمبادرة في الحركة .

الحرب الرابعة ، أول فعل عربي — في الصراع — على حين كانت الحروب الثلاثة الأولى — من الناحية العربية — مجرد ردود أعمال لمبادرات اسرائيلية .
يعني ان هذه الحرب الرابعة هي في جوهرها ، أول حرب تحرير ضد الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي .

بيد ان التمييز العربي بالمبادرة ، ليس هو — وحده — ما يميز الحرب الرابعة عما سبقها من حروب . هناك مجزآت أخرى تشكل الملامح الانسانية للحرب الرابعة وتكسيبها نوعية جديدة . علينا ان نستثمرها بمعنى ، خلال حركتنا العسكرية والسياسية ، وبخاصة فيما بعد خطوة العبور الناجحة .

الحرب الرابعة ، تنسم بيميزة ثالثة ، وهي انها تستند الى مطلب شعبي حارم ظن حكوماته ، بل الى العكس كانت هذه الحكومات تواجه ضغوطه بضرورة استكمال الاستعداد العسكري . فالحكومات هنا اداة تنفيذ لارادة شيعية . وليست « بورطية » لشيعيا في حرب عدوانية لتحقيق منافع ومخاطر لطبقة حاكمة على حساب شعبها . وبالتالي فالعرب — في جوهرها وابيادها — يجب ان تصبح حرب الشعب وحرب الشعب دائما — وكما ترشدنا حركة التاريخ — ذات نفس طموح ، تلك الجماهير الشعبية خلاله قدرة شبه اسطورية على تحمل واستيعاب امساح الخسائر والتضحيات ، والاراء طاقاتها بزاد معنوي ومادى غير محدود . وهذا من شأنه ان يثور دوما وضعبها وقيادتها الوطنية .

معنى هذا ان الحرب الرابعة ، ليست مغروضة على الشعب العربي من جانب حكوماته ، بل الى العكس كانت هذه الحكومات تواجه ضغوطه بضرورة استكمال الاستعداد العسكري . فالحكومات هنا اداة تنفيذ لارادة شيعية . وليست « بورطية » لشيعيا في حرب عدوانية لتحقيق منافع ومخاطر لطبقة حاكمة على حساب شعبها . وبالتالي فالعرب — في جوهرها وابيادها — يجب ان تصبح حرب الشعب وحرب الشعب دائما — وكما ترشدنا حركة التاريخ — ذات نفس طموح ، تلك الجماهير الشعبية خلاله قدرة شبه اسطورية على تحمل واستيعاب امساح الخسائر والتضحيات ، والاراء طاقاتها بزاد معنوي ومادى غير محدود . وهذا من شأنه ان يثور دوما وضعبها وقيادتها الوطنية .

والحرب الرابعة — ثانياً — تندلع من خلال رماد ثلاث هزائم ، منى بها العرب خلال الحروب الثلاثة السابقة .، وكان آخرها [١٩٦٧] هو اخسرها فلسطين الاطلاق ، واعمقها في انذار المواطنين العربى للخطر الصهيونى وحفزها لمقاومته كفضية حياة او موت ، ايا كانت عقيدته الدينية او رايه السياسى او موقفه الاجتماعى .

واذا شئنا ترجمة هذا الانذار الذى اطلقته هزيمة ٦٧ ، فاننا نستطيع القول بان ما من مواطن عربى — فى المشرق او المغرب — الا وافقتد الشعور الذاتى والقومى بعدم الامن ، وانه غدا مهددا بنفس المصير الذى لقيه المواطن العربى الفلسطينى منذ نزل به الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٤٨ . وتلازم مع هذا الشعور القومى ونبا معه ، نوع من الاحساس بعقدة الذنب تجاه قصوره فى الماضى من مشاركة الشعب الفلسطينى — وبدرجات متفاوتة — فى التصدى المبكر والحاسم للخطر الصهيونى . فلسطين كانت نقطة البداية فحسب . واليوم جاء دور بقية الوطن العربى ليثبته مخطط التوسع الاسرائيلى لقمة بعد لقمة .

لم تقدر الحسابات الاسرائيلية — الامريكية ما يحدثه الشعور القومى بعدم الامن % والاحساس بعقدة الذنب من تفاعلات ايجابية داخل الوطن العربى ، وفى صفوف قواته المسلحة . . هذه التوات التى ملق بها — ظلها — هزيمة ١٩٦٧ ايام شعوبها ، فاندثرت على اعاد بناء نفسها ل احضان جماهيرها ، وبهدف محدد هو مواجهة وتحطيم الجهاز العسكرية للدوان الاسرائيلى واسطوره التى روجها طوائف خمس وعشرين عاما .

الحرب الرابعة ، صراع مزدوج .

صراع الإنسان المهان المجروح قوبيا مع نفسه ، التي ظلت « الاسطورة » **فجدها** طوال سنوات الهزيمة على مرمى من العالم كله . في حين كان هو يبذل أقصى الجهد لتغيير ذاته وتطوير قدراته والتعلم من أخطائه ومن تجربة فيتنام الجارية أمامه .»

وصراع بينه وبين ذلك « **المسورمان الإسرائيلي** » الذي يتشدق كل لحظة باتباعه الى « شعب الله المختار » . وراح ، بفكر غيبي عنصري ، يتقمص - على مسرح المنطقة - دورن « **داوود** » الصغير ذا عسر الجبار « **جوليات** » في الخرافة المشهورة

من هنا يسكن أن نقول أن الحسايات الإسرائيلية - الامريكية - لصن الحسط - اسقطت من تقديراتها الالكترونية حول توازن القوى في المنطقة ، طاقة هذا الإنسان العربي وقواته المسلحة وتجرها بعد مهانة ظلت تتراكم - كما ونوعا - على امتداد ما يقرب من سبع سنوات .

الحرب الرابعة - في ميزتها الرابعة - تشتمل على الجبهتين المصرية والسورية وسط ظروف عربية مؤاتية بدرجة لم يسبق لها مثيل من قبل خلال الحروب الثلاثة السابقة .

وعلى الرغم من تفاوت الاسهام العربي في المعركة من دولة الى أخرى ، فإن الحركة الشعبية العارمة يزداد ضخمتها على دولها للإلتصاف بكل ثقلها في حومة الوغى .

وإذا كانت الاسهامات الفعالة والقوية لكل من العراق والجزائر وليبيا ، لم يرتفع الى مستوى عطائها بعد دول عربية أخرى ، إلا أن الانصاف يقتضينا أن نقدر ان ما من بلد عربي يقف اليوم موقف المتفرج ، أو المساند بالبيسانات الحاسية والتهنيات الاهوية الطيبة ، كما حدث من قبل .

وفضلا عن هذا فإن الحرب الرابعة ، تستخدم فيها نستفد منه كل من سلاح البترول وسلاح الارصدة العربية السائلة ، لأول مرة . وذلك في وقت يواجه العالم ، والعدو بالذات ، أزمت حقيقية في الطاقة والتند الدولي . صحيح أن استخدام السلاحين ما زال بصفة عامة - مع استثناء العراق والجزائر وليبيا - دون المستوى المطلوب ، إلا أن من المهم أن السلاحين قد دخلا ساحة المعركة بالفعل .

وإذا كانت الحرب الرابعة تتصف بخاصة - بالتفسيق المشترك بين الجبهتين المصرية والسورية وتحركها في وقت واحد . فإن ثمة عامل جديد لم يكن متوافرا في الحروب الثلاثة الماضية . وتعني به فتح الثورة الفلسطينية لجبهة ثالثة ضد العدو في أعماق كيانه وخلف خطوطه . وهي جبهة ، وصفها « فيليكس بولو » براسل وكالة الأنباء الفرنسية في تل أبيب ، بأنها « **هروب أقل إثارة من الهزيمة** » **الصحفية** إلا أنها مدمرة » .

صحيح أن الشعب الفلسطيني هارب خلال عام ١٩٤٨ وما بعده . لكن الجديد اليوم أننا بصدد حركة تحرير فلسطينية منظمة ، ذات استراتيجية بعيدة المدى تنفذها بكفاءة وثورية حركة التحرير العالية . وذلك من خلال مراحل تكتيكية متتابعة .»

ومن هنا فإن الثورة الفلسطينية تحفل مكانها في الحرب الرابعة ، ندا وشريكا ، وليس تابعا او مجرد عامل مساعد . ولهذا فهي تضيف — موضوعيا — الى معركة التحرير وزنا ودعما مؤثرين .

الحرب الرابعة — مساهماتنا — تستمر ، والموقف العربي تظلله « الشرعية الدولية » في حين انها تنحصر تسليما عن الموقف الاسرائيلي .
وهذه وضعية جديدة لم نتسكن من توحيدها من الحروب الثلاثة السابقة .

اذا استبعدنا امريكا والقوى الصهيونية وبعض الدوائر المحدودة المتعاطفة معها ، فإن العالم كله ، شرقا وغربا ، ادان الاحتلال الاسرائيلي ، واعترف بحقوق العرب في تحرير اراضيهم وشرعية النضال الفلسطيني . تجسد ذلك في عشرات من القرارات التي صدرت عن الامم المتحدة ومن منظمة الوحدة الافريقية والبلاد غير المنحازة ومؤتمرات الدول الاشتراكية والصراعات الشعبية العالمية .

في هذه الحرب الرابعة ، تقف اسرائيل لاول مرة — في المجال الدولي — عسارية الا من ورقة التوت الامريكية . لا تحارب ، كعادتها كل مرة ، العرب بحسب ، وانما ايضا للشرعية الدولية والراي العام العالي .

وتكسب الحرب الراهنة بذلك ، بعدامتها هابا ، وهو ان العرب لا يحاربون حربا مشروعة ، بعبارة خلق الاحتلال من ارض الوطن بحسب . وانما هم في نفس الوقت يحاربون دفاعا وتنفيذا عن الارادة الانسانية ، وذلك بعبارة الشرعية الدولية .

والحرب الرابعة — في سعتها السابعة — تقع والولايات المتحدة ، المصدر الاساسي للمدون الاسرائيلي ، تعاني مآزق خارجية ودخيلية تاريخية : فشل مغامرتها العدوانية ضد شعب فيتنام — استمرار حرب التحرير في كيبوديا — نمو التمرد الاوروبي الغربي والياباني على القيادة الامريكية للمعسكر الرأسمالي ، مع اتساع مقاريد لرقعة الصراعات الاقتصادية فيما بينها — ازجات الطائفة والدول والبطالة — الفسائح السياسية والاجتماعية التي تحاصر جهاز الحكم ومؤسساته وتهدد الرئيس بعد نائبه ، وتجد شعبيرا لها فيا يسمى « فضيحة ووترجيت » .

واذا كان هذا كله لا يصل الى درجة غل يد امريكا عن يد « اسرائيل » بالوعن ، الا انها — امريكا — ليست اليوم — بالتأكيد — في وضع جريح يتيح لها مرونة الحركة ومصلحتها . وذلك بالتقاييس التي وضعها في الحروب الثلاثة الاولى . وسوف يزداد هذا الوضع غير المريح تعقيدا وهجرا مع استمرار الحرب الرابعة دون توقف حتى تحقق هدفها ، وما يترتب على ذلك من انها كجزى لقوة اسرائيل وقدراتها من ناحية ، وتدمير للمصالح الامريكية في المنطقة العربية من ناحية اخرى .

الحرب الرابعة — ثابنا واخيرا — هي اول حرب اقليمية يتبثل فيها الصراع بين حركة التحرير وبين الاستعمار القديم والجديد والمنصرية . وذلك بعد الانسراج الدولي الذي تحقق من خلال العلاقات السوفيتية — الامريكية الجديدة وفقا لمبادئ التعايش السلمي . وبالتالي فالعرب الرابعة هي بالذقة « ارض الاختبار الاولى » للحركة المعقدة بين الصالح الاشتراكي والعنصر الرأسمالي ، من اجل المحافظة على جو التعايش السلمي عالميا من ناحية واستمرار الصراع — في ظروف افضل — بين قوى السلام والحرية ، وبين قوى الاستعمار والمنصرية من ناحية اخرى .

ومن الواضح أن هذه الحركة تجرى اليوم من خلال خطين رئيسيين :

أولهما : سياسي ، يتحدد في أن الوثيقة التي صدرت من لقاء القمة بين بريجنيف و « نيكسون » في واشنطن ، قد أكدت على انسحاق وجهات نظير الطرفين حول القضايا التي عرضت للنقاش . وذلك فيما عدا قضية محددة واحدة هي « قضية الشرق الأوسط » فقد احتفظ كل طرف — صريحا — بموقفه المتميز منها : السوفييت مؤيدين للعرب ، والأمريكان مؤيدين لإسرائيل .

وثانيهما : على ، يتجسد رمزه على أرض القتال الملتبس ، حيث يستخدم المصريون والسوريون بنجاح « **هواريج سام** » في اسقاط « **فانتوم العم سام** » الذي يستخدمه الإسرائيليون في قصف العرب .^(١٠)

بتجميع الخطوط التي ترسمها هذه الميزات الثمانية للحرب الرابعة ، تتكشف أمانا مواقع ومراكز الأطراف المتصارعة فوق خريطة الموقف المعاصر بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وبمقارنة خريطة أكتوبر ٧٣ مع خرائط الحروب الثلاثة الماضية ، وخاصة حرب يونيو ٦٧ ، تبرز أمانا — حتى كتابة هذه السطور — الحقائق الأربع الموضوعية التالية :

● تبادل في المواقع « الكيفية » بين أطراف الصراع المباشرين . مصر وسوريا والعرب — لأول مرة — في مركز الهجوم . إسرائيل والصهيونية — لأول مرة أيضا — في مركز الدفاع .

وينعكس ذلك في امتلاك الجانب العربي لزيام المبادرة في كل من الميدان العسكري [استمرار القتال والتقدم] وفي الميدان السياسي [اعلان تحرير الأرض المحتلة وقرار حقوق شعب فلسطين] . على حين مازال الجانب الإسرائيلي على حالة رد الفعل ، عسكريا وسياسيا ، رغم الجهود التي يبذلها ويدفع في سبيلها تمنا باهظا من تواتر وسعته العسكرية والسياسية في المنطقة وفي العالم ، وذلك حتى يتحرر من قيود الدفاع ، وينتقل الى الهجوم [تغييرات القيادات العسكرية الجديدة ودعوة القيادات التقليدية — التصريحات العصبية والمتناقضة لجسودا ماثين وديان وايبان ودافيد اليمازر] .

● تبادل آخر في المواقع الكيفية بين الحليفين المباشرين لاطراف الصراع . الاتحاد السوفيتي في وضع المظن والمحدد لسياسته في ضرورة انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية بعد ١٩٦٧ ، والاعتصار بالحقائق المشروعة للشعب الفلسطيني . أمريكا على العكس في وضع قلق وسياستها تتأرجح بين السعي لوقف إطلاق النار . والعودة لما تسميه حدود ٦ أكتوبر ، الى وقف إطلاق النار مع بقاء القوات المتحاربة في مواقعها الحالية ، الى محاولة الوصول الى ما تسميه تسوية سلمية ونهائية للزامة ، تضمن لإسرائيل حق الوجود والاستمرار .^(١١)

صورة متناقضة تماما لما كان عليه الموقف في حرب يونيو ٦٧ .^(١٢)

وينعكس ذلك في امتلاك الجانب السوفيتي — دوليا ، وفي إطار العلاقات الثنائية في الولايات المتحدة الأمريكية — لزيام المبادرة . فضل المبادرة الأمريكية الأولى في مجلس الأمن . اسراع كيسنجر وزير خارجية أمريكا بالسفر الى موسكو في نهاية الاسبوع

الثاني من الحرب، وذلك من أجل البحث عن حل مقبول .. في حين أنه خلال يونيو ٦٧ كان كوسيجين هو الذي توجه إلى جلاسبيرو بالولايات المتحدة ليناقش جنوسون [الرئيس الأمريكي وقتذاك] إمكانية الوصول إلى حل مقبول .

● زيادة كم ووزن كتلة الحياض في أوروبا الغربية بين العرب وإسرائيل . كان حياض فرنسا عام ١٩٦٧ استثناء من القاعدة العامة في أوروبا . في أكتوبر ٧٣ صار الحياض هو القاعدة العامة في دول السوق المشتركة ، وأوروبا الغربية بصفة عامة ، والاستثناء هو تحيز هولندا إلى إسرائيل ..

وينعكس ذلك في التصريح المشهور « لجوبير » وزير خارجية فرنسا في الأسبوع الأول من القتال ، من أن أحدا لا يستطيع لوم العرب إذا حملوا على تحرير أراضيهم والعودة إلى ديارهم . الحظر الذي فرضته بريطانيا على توريد الأسلحة إلى دول المنطقة رغم المعارضة البرلمانية الشديدة . انسحاب دول السوق الأوروبية من مشاركة أمريكا في طلب دعوة مجلس الأمن للاتعداد فحسبة الحرب حتى تدفع من نفسها أي شبهة بالانحياز إلى معسكر أمريكا — إسرائيل .

● زيادة كم ووزن دول العالم الثالث التي تربط بين حركة تحريرها وتقديمها ، وبين حركة التمرد العربي في مواجهتها للخطر الصهيوني — الإمبريالي . الأمر الذي يلور موقفها السياسي في إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية ، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

وينعكس ذلك في موجات قطع العلاقات الدبلوماسية بين هذه الدول وبين إسرائيل والاعتراف بشرعية الثورة الفلسطينية ، وخاصة في إفريقيا التي كانت تبذل حروما خصيا ومثمرا للأسمالية الإسرائيلية .

هذه الحقائق الموضوعية الأربع التي تكشف منها خريطة الحرب الرابعة ، تبينا بالمعطيات الأساسية لتحديد إطار وأهداف حركتنا العسكرية والسياسية — في هذه المرحلة من الصراع — وتحميها من شطط المغامرة أو الارتداد على السواء .

وإذا ما التزمنا في حركتنا بالخط الثوري العلمي ، الذي يؤكد على ضرورة أن يكون الهدف السياسي للمرحلة العمل العسكري ويحدد له مبادئه ، فإنا يمكن أن نحدد الهدف السياسي للحرب في أربعين متلازمين لا يقبلان الانفصال . وهما :

أولا : إنهاء دور « رجل البوليس القوي » الذي تقوم به إسرائيل لمصلحتها المنعزلة والنوسعية ، ولصالح الإمبريالية الأمريكية ، والاحتكارات العالمية في المنطقة .

ثانيا : تجسيد سياسي — عملي للحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وذلك وفقا لمراحل استراتيجية الثورة الفلسطينية .

في ضوء هذا الهدف السياسي المزدوج فإن تحركنا العسكري أولى به أن يصبه أساسا على تحطيم جهاز الحرب الإسرائيلي العدواني . وذلك بإتزال اندح الهزائم والخصائر به ، بما كان الثمن الذي يتوجب علينا الوفاء به . لقد دغمتنا من قبل ، وأكثر من مرة ، اثباتا فادحة دون جدوى . فليكن ثمن هذه المرة مجسزيا موضوعيا وتاريخيا ..

ولعل معارك القتال الضاري المشتعلة على كل من الجبهة المصرية والسورية — حتى كتابة هذه السطور — تؤكد أن لدينا الشجاعة والقدرة على تحقيق ذلك ..

وهذه ، هي الحقيقة ، مسؤولية جيلنا التاريخية أمام الأجيال القادمة ^{١١}
ولا شك في أن ضمان الوفاء بهذه المسؤولية التاريخية ، يستلزم الإصرار على
تلميحنا خبرات النضال الانساني — أن نحتد جميع امكانياتنا الوطنية والقومية
والعالمية « في كل واحد » نحو الهدف ^{١٢}.

كل أمر خارج إطار: هذا الهدف ، أيا كان حجمه أو قيمته % هبوا مسرعين
ومعيت . الترفع عنه واهماله أو تجييده ، هو جوهر الفرق بين التضحية الوطنية
والخيانة في « معركة المصير ».

ويعتبر سياسي ، فان التناقضات والخلافات الفرعية ، اقليةا وتوميا ، يجب ان
تتوارى وتزوى أمام التناقض الرئيسي بين حركة التحرير العربية وبين اسرائيل
والإمبريالية الأمريكية . ويصبح شعار المرحلة هو : « كل شيء من أجل النصر في
الحرب الرابعة »

كل شيء ، من أجل حرب تحرير طويلة النفس دون توقف ، وتتنامى من قدرة
العدو على الاحتفال ، يجب ان يبسر بحسم وسخاء لقواتنا المسلحة ومقاتلي المقاومة
الوطنية ، كي تواصل قتالها البطولي والمشرّف .

كل شيء ، يلزم ان يمنح بقوة وانكار للذات من أجل الجبهة الداخلية في مصر
وسوريا وبنتها من خلال صياغة محكمة التنظيم ، شاملة لجميع القوى الوطنية بلا
استثناء ، قادرة على الحركة الجماهيرية الفعالة لا الشكلية ، وعلى استيعاب وحل
ما لا بد من مواجهته من خسائر ، ومشاكل حياة كل يوم تحت وهج النيران .

كل شيء ، من أجل بناء أوسع وأعمق جبهة عربية تومية ، تضم كل القوى الوطنية
المعادية للصهيونية والإمبريالية الأمريكية تحت أية راية . . هو مسؤولية كل الاحزاب
والتنظيمات السياسية العربية . .

كل شيء ، من أجل توثيق ائمن الروابط مع اصديقاء وحلفاء نضالنا ، وخاصة
الاتحاد السوفيتي الذي اثبتت التجارب المرة والحلوة صدقه وصداقته ، يجب ان
نقدمه باخلاص ووعي ويد ممدودة .

الحق ، ان كل ضمانات النصر — هذه المرة — في ايدينا ، ونحن وحدنا المسؤولين
أمام أنفسنا وشعبنا وعلما .

الحرب الرابعة في تاريخ الصراع العربي — الاسرائيلي ، والاولي في مجرى
التحرير . . كانت — أمس — أملا وشعارا شعبيا . . في ٦ أكتوبر ، تعجرت بمفاجأة . .
اليوم ، حقيقة حية بشتعلة . . غدا ، لا بد من تحقيق الهدف والنصر ، دون
مضغرة ، أو تعصب ، أو غرور ^{١٣}.

الحق الوطني

◆◆◆◆ ٣ كلمات حب ◆◆◆◆

من أسيرة تحرير الطليعة

□ كلمة حب الى جنود مصر

كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، هي أسرى عبورك .

من كان يستطيع أن يقول من أين تبدأ ذاكرة شعبنا الوطنية . انتم قلتموها في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يوم أسفر لون أوراق الحزن الوطني وسقطت . يوم فوجئت « سيناء » وسط احلامها بخلاوتكم بين لها السكون . ظهر آخر يوم أراد فيه العدو أن يكون حب « سيناء » محربا . يوم رأت « سيناء » في وجه رصاصكم كل الشمس ، بعد أن كادت تنسى أن الأرض تدور .

كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، هي شجاعتكم التي عبرت عنها البلاغات العسكرية . لم يحدث من قبل أن نبضت قلوبنا ملها نبضت ذلك اليوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . لم يحدث من قبل أن الف شيء بين فرحنا ودموعنا ملها الفت شجاعتكم . ولا شيء كان أعظم يومها من جسوركم التي امتدت تمزق « الكفان » سيناء .

لسنوات قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، لم يعرف زمائنا الشمس عندها كانت كلمات الفرح مجنوعة . لكن عبورك العظيم صنع الاغنية التي رمت مصر وراءها ذكرياتها المؤلمة .



كانت أبلغ الكلمات الوطنية ، هي صوركم التي طالعنا بها الصحف والاذاعات في المساء التالي لنساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . عندها لم يكن الصمت يكنى بل عرفتم كيف تقولون شيئا آخر في ذلك المساء الذي فتح فيه أطفالنا عيونهم المصرية الواسعة يرون دون أن يفهموا أن أفاق مستقبلهم تحميها انتم اليوم . يرونكم وقد سجلتم خطايانا وتعبون .

في ذلك المساء نام أطفالنا آمنين . وعندما ناموا كانوا قد ناموا مع صوركم .

صوركم انتم ، يا اخوتنا ، يا أحب الاخوة ، صور عبورك وانتم تقولون وداعا ، وتؤمنون وثمن معكم انكم عاشون بعد تحرير « سيناء » المهجورة . وعبرت معكم قلوبنا وانفاسنا وجنوتنا .

صدقونا الا شيء كان يثير الالم في النفس ملها كان الحزن الوطني حتى ظهر ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

صدقونا الا شيء يثير الفرح الآن في نفوسنا ملها اثاره صوركم وانتم تعبرون لتجملوا من ليل العدو جحيها والنهال أشد حيرة .

ولمعرفة هي كل الكلمات التي لا تهيج قلب الوطن .



كانت أبلغ الكلمات الوطنية من صمتكم .

منذ سنوات كانت تلهب ظهورنا بلاغات العدو العسكرية . تعذبنا جميعا . وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ رأيناكم في الطليعة أكثر فتبوة بما توهم الجميع . وأكثر بساطة . رأيناكم في مثل شعبنا الذي يبتسم الآن .



بالحرب العادلة ، تصممون بداية جديدة لمستقبل شعبنا ، بداية تستحقها كل الدماء الطاهرة التي روت « سيناء » . دماؤكم : اتم ابناء العمال والفلاحين وكل القوى الوطنية في مصر . انتم : اعز الابطاء حين كانت شهادات العلم يوم فزتم بها ، هي نفس وثيقة شرف الانخراط في صفوف الجندية المصرية .

انتم : حيث ينتظر الانبياء . . ابناءؤكم ان يعيشوا حياة افضل من حياة اباؤكم ، واكثر ازدهارا . لا ظل فيها لخوف الكلمة الوطنية المظلمة . لا ظل فيها لاستغلال .
انتم : حين توظفون شهادات العلم ، ووثيقة الشرف ، لخدمة سلام مصر في ظل الاشتراكية التي اختارها شعبنا واكدها قيادتنا الوطنية على لسان ابن مصر البار انور السادات يوم حدد عشية ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، اهدافنا بوضوح « مرة اخرى امام انفسنا و امام العالم كله » ومنها :
« استمرار التحول الاجتماعي لصالح قوى الشعب العاملة » .



يا جنود مصر : يا اشقيائنا : احب الاشقاء .
لقد كانت ابلى الكلمات الوطنية ، حريكم من اجل السلام .
وكم يحبك شعبنا لانكم تحبون السلام الذي تدافعون عنه وتصنعونه منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .
انكم تحلون السلاح وتحبون الخبز والارض ، طهريون مثل شعبنا ، اقواء حنونون مثله .
تحلون السلاح وعلى صدوركم تثبت السنايل واغصان الزيتون . السنايل التي لا تدوسها اقدام اجنبي واغصان الزيتون التي تشجرونها فوق قبور شهدائنا .
لقد كانت ابلى الكلمات الوطنية ، اليقين الذي صنعتموه .

عندما كان عبورك في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، فرصة جديدة — واخيرة — لان يستقطب من حول العبور معسكر الاصداقاء على جانب من المتفريس ، ومعسكر الاعداء على الجانب الاخر من المتفريس .

عبورك هذا اكد مرة جديدة — واخيرة سلك من اخطأ عليه الامر يوما بالامس ، او خلط الامر يوما بالامس ، بين الصديق الحقيقي والعدو الحقيقي . الصديق الذي تبقى صداقته رغم كل شيء . والعدو الذي يظل عدوا رغم كل شيء

الى جانب عبورك العربي ومن حوله ، وقف كل الاصداقاء بقلوبهم وزنادهم . وفتت الشعوب المحبة للحرية ، وقوى التحسّر الوطني والاشتراكية . وفي مقدمة هؤلاء وفي القلب منهم : كان الاتحاد السوفيتي : الصديق الاول .

وفد عبورك العربي ، وقف كل الاعدا ببرايتهم ويعتادهم . وفتت كل قوى الاستعمار العالمي وقوى العدوان والنهب والعنصرية . وفي مقدمة هؤلاء جميعا وفي القلب منهم : كانت الولايات المتحدة الامريكية : العدو الابغض



يا جنود مصر : اعز الجنود .
لقد حملتم السلاح الشاكر . . « وعبرتم الهزيمة » .
وعندما عبرتم كان يسطع فوق خوذاتكم نجم انتصارنا : انتصار كل الشعوب .
ويا مصر : يا احب واعز واقدس وطن .
لكم اظهرك العدو عجزا عقيما .



لكم باعن نسمك ناصمًا ٥٥

لكن في ٦ أكتوبر ١٩٧٢ كانت متطلع أشمك الشاحرة بين شفاهانا جميعا — كحبات — توت
اشجارك التي تغرب في أعماق أعماق حضارة الإنسان .

يا مصر! يا أجمل الأغاني .

لكم يحق لك — ولنا جميعا — أن نفخر ونجل أحياءك : أحياءنا : جنودك الأوفياء ٥٥

□ كلمة حب الى جنود سوريا

من أعماق أعماق قلوبنا سيعلمكم عند دمر تمعات « الجولان » : حين بدأ كل شيء في ٦
أكتوبر ١٩٧٢ .

حين كنا نود أن نصعد أن « النشيد » لا يزال في قلب « الجولان » مخبوءا تحت الأرض .

حين عبر جنود مصر القناة ، وطالما على صنعات مياها وجوهكم وأطمأنوا . فقد قرأوا
فيها كل معاني الوفاء .

حين تصرون دائما على « وحدة » الشهادة من أجل « وحدة » الحياة .

هرفناكم من صوت مدافعكم لتكون مواقع العدو وتعلمون في آذاننا أعلى نشيد .

هرفناكم حين نظرت مصر في مرآة المستقبل وشاهدت سوريا كتنا بكتف .

هرفناكم منذ كنا نسير جميعا وفي قلوبنا قلب كبير يحول دون أن نرى عيون أطفالنا لأننا
تعرف معنى الخجل .

هرفناكم لأننا عرفنا الصوت المميز لسلاحكم يدك حصون العدو . وكم يا رفاق أمسنا ويومنا
وغدنا . يسعد الرفيق بالصوت المميز لرفيقه . يؤنس الوحشة ويبيع الدماء في النفس والأيمان
للعدو « مستقبل » أغانيكم : أغانينا .

حرب السلام يا أشقاء مليئة بالشاطيا والقتال . ولكننا مع ذلك هي حرب السلام .
لكن أشقاكم : أشقاها « أشاوس العراق » وجنده : أمروا : كما أمرتم : على تجسيد
أنبل الحقائق وأكثرها إثرا : قومية حرب التحرير . . حريك : حريم : حرنا . حين أمر
جنود العراق أبطاله : أن يدتوا معكم طبول زفاف « سوريا » « للجولان » من جديد .

السلام قاس يا أشقاء ٥٥

لكن السلام الذي تصنعونه منوعة يجمع سما سوريا زرقاء صافية كما لم تكن أبدا
من قبل .

ويا سوريا العبيبة : يا سوريا ١٩٥٨ : يا سوريا الجبهة الوطنية ، يا سوريا ٦ أكتوبر
١٩٧٢ ، كم تحسدك بلاد أخرى بجنودك الذين صنعوا لأشرف الكلمات معاني جديدة وعظيمة .



يا سوريا الحبيبة ، ويا جنود سوريا الاحياء ، ويا جنود العراق الاحياء ، ويا كل جندي عربي
جاء الى سوريا يساهم في صنع مستقبل امننا جميعا
اصبحوا لنا ان نحس بؤوسنا اجلالا وحيا لكم ١٠

□ الى جنود الثورة الفلسطينية

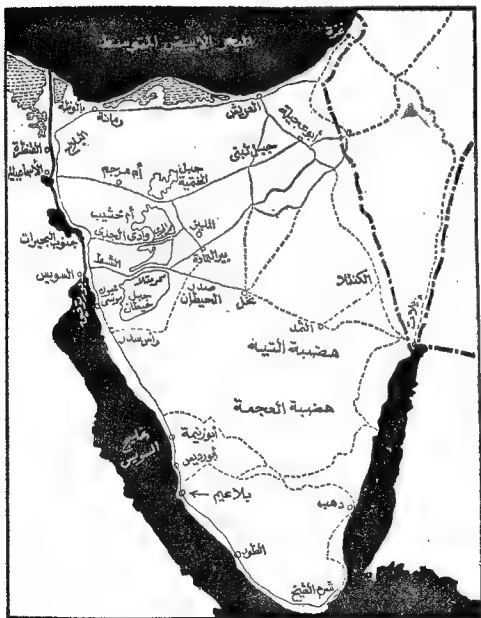
كنتم بصيص الامل في « حزب » ١٩٦٧ المظلم . كنتم « الامل » الذي حال دون ان لا يتحو
باسا « كثيرون شرفاء كانوا ينتفرون اليكم حتى وجدوكم .
وعندما بداتم ، ابصرنا وجوهكم وسواكم : سواعدا نحن .
وفي مسيرتكم الطويلة ، ابصرت الدنيا فيكم اسم فلسطين . اسمنا نحن .
وخلف الحسوف الدقية لاسمكم وقتها : المقاومة ، كنا نشفق على انفسنا ونحسدكم .
وفي « ايلولنا » الحزين ، تفزت تلوبنا من الفلوع . وتوقفت حتى التفتطم الانفاس من
جديد . وليس اسرع من المقاتلين في التباط الانفاس وابتلاع الحزن العظيم .
وخلف الحسوف الدقية لاسمكم وقتها : الثورة الفلسطينية . كنا نشفق على انفسنا
ونحسدكم ، ونفنى لكم ولبلنادق .
وظللتم معلقة صامدين . هنرا : بل مهاجرين
حين كان غيظكم الوطني يطل من ميونكم . تنظرون الى ارض فلسطين الشاسعة الصلبة
تجمعون بيسد كل الالم ، وبالثانية ترلعن اسلحتكم : راياتكم .
منذ « الكرامة » سمعت الدنيا اغنيكم . وتنفق كل حجر في الارض العريسة من قلب
ويندقية .

قلب يحكم كل الحب .
ويندقية تود لو حظيت بشرق ان تحملها يد احكم نحو عدوكم : عدونا .
وفي ٦ اكتوبر ١٩٧٣ كان ميلادكم الالف . فانتم كل يوم تولدون . من يمكن ان يتطهن
كطهارتكم ، وان يكون نفا ملككم الا ابناءكم يوم جديد .
ويوم تحتون اهدانكم في اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية ، سوف يكون ميلادكم
الاول : الحقيقي والكبير .

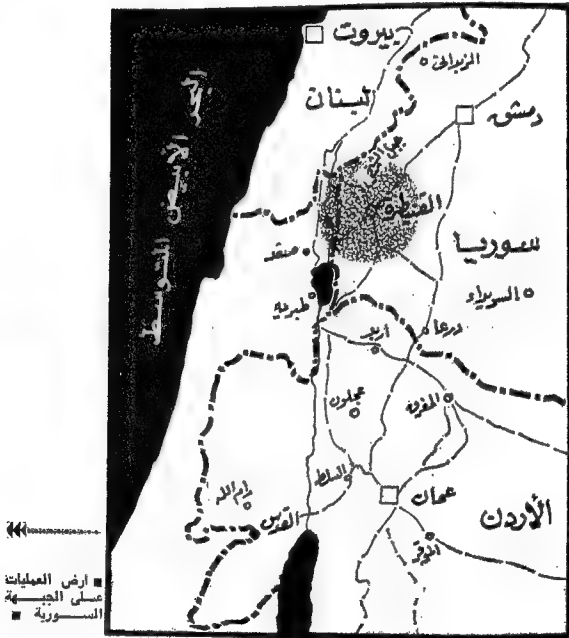
سلاما لكم بلو الحب والتقدير والاعجاب .
تحية لابنائكم التي طالعتها على وجوهكم المحبة للحياة . الحرية . للتقدم .

« الطليعة »

الحرب الرابعة



ان المعركة التي بدأت يوم ٦ أكتوبر في سيناء وفي الجولان هي التي أوجت بتقديم هذه الدراسة • لكن القتال المسلح الذي بدأ في ذلك اليوم لم يكن إلا حلقة من حلقات نضال عسكري وسياسي ودبلوماسي لم تنقطع منذ أن قامت الدولة الصهيونية كعصر عدوان وتوسع مستمرين • فالقضية التي تطرحها الدراسة من واقع أحداث ٦ أكتوبر هي قضية حركة التحرر الوطني بكل أهدافها القريبة والبعيدة ، في مرحلتها التي بدأت يوم ٦ أكتوبر •



حرب التحرير

انطلاقة لانجاز

الثورة الوطنية

د. فؤاد موسى

في منتصف الطريق ، ثم عادت فانتقلت من خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ التي حررت الوطن من التيمية الأجنبية والتي اكتسبت مضمونا اجتماعيا كان يمكن أن يفتح الطريق أمام الثورة الاشتراكية ، لكنها أصيبت في يونيو ١٩٦٧ بانتكاسة الاحتلال الاسرائيلي المدجج بكل جيروت الامبريالية الامريكية .



لقد كانت ثورة يوليو ولا تزال ثورة وطنية في الجوهر . التزمت خط التحرير الوطني ، خط النضال الايجابي ضد الامبريالية المالية ، ضد الاستعمار القديم والجديد ، ضد الصهيونية واسرائيل قاعدة الامبريالية المالية وشريكها الاصفر في الشرق العربي . ولقد كشفت ثورة يوليو أن التحرير الوطني لا يمكن أن يقتصر على الاستقلال السياسي ، بخروج قوات الاحتلال واستعادة السيادة على التراب الوطني . لكن التحرير الوطني استقلال سياسي واستقلال اقتصادي معا . بل أن الاستقلال الاقتصادي هو جوهر الاستقلال السياسي نفسه .» أن التصرد

في اللحظات الفاصلة من معارك التحرير يكون على الثوريين أن يطرحوا على أنفسهم ، بل وأن يعمدوا طرح ، أكثر الاسئلة بساطة . فمثل هذه الاسئلة - بالنقاش الاولى الذي تنوره وبالموضوح حول المبادئ الذي تعقبه - كفيلة في أغلب الاحيان بأن ترد الامر الى اصولها الثابتة . ان حسمها على هذا النحو يحقق ويؤكد وحدة الفكر التي تصون وتعزز وحدة العمل .

وفي هذه اللحظة من معركتنا نود أن نطرح على أنفسنا مرة أخرى هذين السؤالين البسيطين ، من نحن ؟ وماذا نريد ؟

ففي السداس من أكتوبر الماضي ، حين تجدد القتال ضد اسرائيل ، بعد مضي أكثر من ثلاث سنوات على محاولات الحل السياسي ، وبعد أكثر من ست سنوات من هزيمة يونيو ، بدأت في الواقع مرحلة فاصلة في التاريخ الحافل للثورة الوطنية - هذه الثورة التي اشتملت نيرانها الاولى في عام ١٨٨١ من خلال الثورة العربية التي انتكست بعد قليل بالاحتلال البريطاني ، ثم استعادت الثورة جذوتها بثورة مارس ١٩١٦ التي وقف بها قادتها

الحرب الزبانية

أولا - محاولة فرض الاستسلام وتحطيم أرادة القتال ، وذلك بالتشكيك في قدرة قواتنا المسلحة على قتال إسرائيل « التي لا تقهر » ، ومساندة دعاوى العناصر الإثنية ودعاة الاستسلام أمام الاستعمار الجديد وهى محاولات نشطت فيها الرجعية العربية ، والصهيون لإيجاد جسر دائم مع الإبريالية الغربية بدعوى الضغط على أمريكا ، ومحاولة عزلنا عن صديقنا الثابت وهو الاتحاد السوفيتي ، وبث اليأس من قوة وتضامن الشعوب العربية ضد عدوها المشترك .

ثانيا - الدعوة لاعادة النظر في المقومات الأساسية لاقتصادنا الوطني ، وأجهزات التحولات الاجتماعية ، وتصنيف القطاع العام ، ووقف التنمية الشاملة ، وفرض أسلوب الحياة الرأسمالي بوصفه باب النجاة أمام مصر - وبالتالي الدعوة لضرب الرأسمالية الوطنية عن طريق فتح الأبواب للنشطة الرأسمالية الطبقية التي تصل في الوساطة ، وتشغل بالضاربة والقرضين والقرهيب والسوق السوداء - ومن ثم تضيق الخناق على النشاط الانتاجي للرأسمالية الوطنية . وبهذا هذا كله من سلاية اقتصادنا الوطني المنحدر وبمهد لاعادة السيطرة الاستعمارية عليه من جديد .

ثالثا - محاولة استدراج اقسام من القوى الوطنية الى أرضية المخطط الاستعماري الصهيوني لتصنيف الثورة ، وذلك بتقسيم السبب الوطني وتفجير الوضع من الداخل تمهيدا للأجهاز على النظام الوطني . ولقد اعتمدت المحاولة على استغلال التناقضات الطبيعية فيما بين القوى الوطنية ، وهى تناقضات غير عدائية بين طبقات يمكن التوفيق بين مصالحها ، طبقات لا تصادم بينها إذ لا تنفي أحداها تصفية الاخرى . كما أنها تناقضات ثانوية خاضعة للتناقض الرئيسي مع الاستعمار ، ولذلك فإنها يمكن أن تحل ويمكن أن تحل حسميا بقوى التناقض الرئيسي . وقد تحل قبل أن يحل التناقض الرئيسي ، كما قد يتوصل فيها الى حل وسط ، وقد يجل حلها الى ما بعد حل التناقض الرئيسي بغير أن يغفل مسار الشعوب الوطنية نفسها . لكن الذي حدث بالفعل أن غلعت التناقضات بين القوى الوطنية في الشهور الأخيرة على نداء الوحدة الوطنية ، حتى باتت تمهد القضية الوطنية نفسها بخطر فاحش .

هكذا حاولت القوى المضادة للثورة تصفية ثورة يوليو ، وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزته في بعض الميادين ، فإن قوى الثورة كانت هي الغالبة في النهاية وتبكت بذلك من أنقاذ الثورة .

فمن جانب رفعت جماهير العمال والفلاحين كل مساس بالإنجازات الاجتماعية وفق مقوماتها القطاع

الفعلى من الاستعمار إنما يعنى تحرير الاقتصاد الوطني واستعادة السوق المحلية وشن الحرب على التخلف اليروث ، وذلك من خلال البدء بالتنمية الاقتصادية التي تعنى تصفية القطاع والسيطرة الاستعمارية وبناء صناعة حديثة تحت قيادة قطاع عام يسيطر على وسائل الإنتاج الرئيسية ضمانا لتنمية الثروة القومية لصالح جميع المساملين وبخاصة العمال والفلاحين . من هنا عاشت ثورة يوليو عصرها طولا وعرضا . انجزت الاستقلال السياسي لصمر ، واطلقت صيحة القومية العربية ، واجتازت عتبة التحولات الاجتماعية . لكنها استمرت ثورة وطنية ، باعتبار أن التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي صاروا جوهر عملية التحرر الوطني . بوصفها ثورة وطنية ، فإن عدوها الرئيسي ظل هو الاستعمار العالمي . ولقد نجحت الثورة من هديد من محاولات التطويق والاحتواء والاستيعاب ، كما تخلصت من كافة محاولات التصفية المباشرة . وفي كل مرة واجهت الثورة منعطفا حادا في مسارها ، كانت تغلب عليه بأن تتجاوزها رقبيا الى مستوى أعلى . ومن ثم ضمنت للثورة استمرارها بالضطرار انميزاها الى جماهير الكادحين والعاملين . وبفضل هذا المسلك متطامن وقوف الجماهير الى جانبها وتزايد اعزازهم لثباتها ، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر .

وبعد انجاز الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية في عام ١٩٦٥ ، تشكلت القوى المضادة للثورة بفرض الوقوف بها في منتصف الطريق . وعندما بدأ لها عجزها عن ذلك ، وجه الاستعمار ضربه القاصمة في حرب يونيو ١٩٦٧ بهدف تصفية الثورة والقضاء على النظام الوطني التقدمي في مصر .

وبالفعل تمكنت قوى الثورة المضادة بقيادة الاستعمار الأمريكي وبدعم عسكري اسرائيلي من تصفية القوات المسلحة ، واحتلال جزء من الارض المصرية . لكن الهزيمة العسكرية لم تتحول الى هزيمة سياسية للثورة . وبينما أخذت قيادة الثورة في اعادة بناء القوات المسلحة وتحقيق الصمود الاقتصادي الكبير بالاعتماد على صلاية وتضحيات جماهير ٩ ، ١٠ يونيو التي رفقت الهزيمة وأعلنت استمرار الثورة - أخذت قوى الثورة المضادة تحاول با استطلاعات التعميل بالهزيمة السياسية للثورة . واتخذت محاولات في السنوات الأخيرة صورة السعى لتصفية الثورة على مراحل ومن الداخل ، شهيدا لفرض الحل الاستعماري للقضية الوطنية .



ويمكن القول بأن محاولات تصفية ثورة يوليو قد تعددت وبخاصة في الاتجاهات التالية :

الوطنية المرتبطة بالتنمية المخططة ، مواصلة السبيل في طريق التطور غير الرأسمالي .
فالشعب الذي يتحمل أعباء محرك التحرير ، والجيش الذي يقاتل باستماتة في ميدان الشرف ، كهم يضحون من أجل مستقبل أفضل ، فبذلك يكون لتضحياتهم معنى . ان التلاحم بين الجيش والشعب ليس مظهرا للوحدة الوطنية فحسب ، لكنه ضرورة قتال ووحدة مصير أيضا . فهم معا اصحاب المصلحة في المستقبل الذي يصنعونه الان باغلى واكرم التضحيات .

وسواء اردنا أو لم نرد ، فان العدو ينقل ساحة الحرب الى كل شبر من ارض الوطن . من هنا تؤكد على حركة الجماهير شرطا لكي تكون الجبهة الداخلية امتدادا عضويا لجبهة القتال ، لكي تكون الجبهة المدنية في مستوى الجبهة العسكرية . وحركة الجماهير هنا انما تعنى اولوية العمل السياسي في الحركة ، فالعمل السياسي الممتد على طول الوطن ، في صفوف الجيش وفي صفوف الشعب ، هو الذي يضمن تلاحم الشعب مع الجيش ويجعل منه احتياطي لا ينفذ للقتال . ويفترض هذا التخلي عن الاشكال التنظيمية المكتنية الجاهزة التي أثبتت الاحداث عجزها عن متابعة حركة الجماهير ، واطلاق المبادرة وحرية الحركة للجماهير نفسها ، والمبادرة بتسليح الجماهير في المناطق المتاخمة ، او المعرضة للقتال ، واستيعاب الطاقات الضخمة والمعدة للشباب وبخاصة طلبة الجامعات .

ان حرب التحرير الوطنية معركة شاقة ، ولكنها خوضها ليس فقط لتحرير الارض المحتلة ، ولكن لهزيمة مخطط تصفية الثورة . ان مهمة حرب التحرير هي بالذلة افساح السبيل لانجاز مهام الثورة الوطنية . وعندما تنصهر مصر في هذه الحرب ، فانها لن تعود الى السادس من أكتوبر ، ولا حتى الى الخامس من يونيو ، فان التساير لا يعود الى الوراء ، لكنها ستندفع قدما لبناء مستقبل أفضل .

ولهذا كله يتوقف الامر في النهاية على الموقف من حركة الجماهير ، فإذا ما أصبحت النظرة الى حركة الجماهير كما ينبغي لم تعد هناك عقبة تذكر امام الوحدة الوطنية ، وغدا النصر اكيدا في حرب التحرير الوطنية ، الحرب الشرسية الطويلة الشاملة ، وفتح الطريق بقوة امام الثورة الوطنية التي حاولوا عبثا ان يوقفوها ويصفوها .

واذن . . . فمن نحن ، وماذا نريد ؟
اننا الثورة الوطنية المصرية التي هي جزء لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة ، نقاتل من أجل تحرير التراب الوطنى المحتل تعبيرا عن انطلاق الثورة الوطنية نحو آفاقها التاريخية من جديد .

العام . كما رفضت الرأسمالية الوطنية عمليات الاستيلاء على السوق المصرية بواسطة الاحتكارات الاستعمارية . ورفضت محاولات تصنيق الخناق على القطاع الخاص المنتج بواسطة الرأسمالية الطفيلية . واعلن الشباب حرصهم على الثورة الوطنية بضمونها الاجتماعي . ومن جانب آخر ، رفضت القوى الثورية تغليب التناقض الثانوي على التناقض مع الاستعمار واسرائيل ، واعلنت اولوية القضية الوطنية على ما عداها من القضايا ، وطلبت برص الصفوف الوطنية خلف القيادة الوطنية للزعيم انور السادات .

وفي ٢٨ سبتمبر ، في الاحتفال بالذكرى الثالثة لولادة جمال عبد الناصر ، أعلن انور السادات برنامجا محددا وحاسما لمهام العمل الوطنى واتاح طريقا مواتية لوحدة القوى الوطنية .

وفي السادس من أكتوبر ، انتهى انور السادات كل انتظار سقيم وحسم كل نقاش عقيم ، حين امد بإنزاد قوانا المسلحة على تحدى وغرور وغطرسة اسرائيل . وبدأت حرب التحرير الوطنى من جديد ضد العدو الاسرائيلى المسنود من الاستعمار الامريكى .

انها حرب تحريرية عادلة ، نخوضها لطرد العدو الاستعماري الصهيونى الذي يحتل جزءا من الوطن ، والذي سعى في الحقيقة لاستطاد النظام الوطنى التقدمى في مصر وتصفية الثورة العربية نهائيا . وبالتالي لا شك في ان حرب التحرير هذه حرب فاصلة ، يتوقف على نتيجتها مستقبل الثورة الوطنية كلها . اننا حين نقاتل اليوم ، فاننا لا نغنى تحرير الارض فحسب ، بل نغنى تحرير الانسان أيضا . ولا شك أيضا في أنها ستكون بالضرورة حربا طويلة ، شرسة ، وحربا شاملة . فليست هي معركة عسكرية فحسب ، وليست هي مباراة بين جيشين في صحراء بعيدة ، بل هي حرب التحرير الشاملة ، بين جميع القوى الوطنية من جانب ، وجميع القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية ، التي تصادى ثورة التحرير العربية ، وتحاول بقوة السلاح تصفيتها نهائيا . هي حرب يشترك فيها كل الوطنيين ونس مصالح كل الوطنيين . حزب تدور رحاها في كل مصنع وحقل وجامعة ومصحة ووزارة ، سواء اتخذت صورة القتال أو اتخذت صورة الاستعداد للقتال . انهم جميعا يقاتلون ، جنودا ومدنيين ، من أجل اهداف الوطن العليا وهي : تحرير جميع الاراضى العربية المحتلة ، تأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ومواصلة التنمية الاقتصادية الشاملة لمضاعفة الدخل القومي ، صون وتعميق التحولات الاجتماعية والاقتصادية ، تنمية للرأسمالية

المدخل الى المعركة

دعم الوحدة الوطنية

عبد المنعم الغزالي

بقطة الشعب الثورية ، وتخلخل تسانك جبهته الداخلية .

من هنا لم يكن من قبيل المصادفة ان شرعت القيادة السياسية العليا للبلاد - قبل بدء المعركة - في اتخاذ طائفة من التدابير التي استهدفت دعم الصف الوطني في الدافل .»

بناء الوحدة الوطنية

هكذا وقبل المعركة بأيام وفي خطاب ٢٨ سبتمبر ، أعلن الرئيس انور السادات برنامج النقاط السبع - كبرنامج لتوحيد كل القوى الوطنية ، ولشجب ووقف أى اتجاه معزق لعملية التوحيد الضرورية تلك ، ونحن نخوض المعركة ضد العدو الامبريالى الصهيونى .»

وجاء برنامج الاهداف السبعة على النحو التالى :

اولا : تحرير الارض هو المهمة الرئيسية لهذه المرحلة من جالتينا .»

فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، بدأت حرب التحرير الوطنية ، لاستعادة الارض التي احتلها المعتدون الاسرائيليون بدعم من الامبريالية الامريكية .

وهذه الحرب التي حدد الرئيس السادات هدفها الوطنى بأنه « تحرير الارض » تشكل فى الوقت نفسه مواجهة وحداما خطيرا بين جميع البلدان العربية من ناحية ، وبين قوى الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية من ناحية اخرى . وبهذا المعنى فإن الهدف التحريرى للمعركة التي تخوضها القوات المسلحة لمصر وموريا وتشارك فيها مشاركة فعالة العراق والجزائر وليبيا ، هو هدف مشترك بين جميع البلدان العربية سواء تلك التي يهددها ويهاجمها المستعمرون الجدد ، من طريق اسرائيل ، وتلك التي تروّج تحت ضغوطه الاقتصادية والسياسية .

ومثل هذه الحرب الضروس ، لا يكسبها فى الواقع ، سوى شعب توحدت صفوفه وقواه الشعبية والوطنية وذلك بالكيفية التي تسمح له بأن يدرك كل الابعاد الوطنية والاجتماعية للمعركة ، وبأن يحبط كل المحاولات التي ترمى الى اضعاف

ثانيا : مواصلة التنمية الشاملة .

ثالثا : استقرار التحول الاجتماعى لصالح قوى الشعب العاملة .

رابعا : تعميق الممارسة الديمقراطية والاتفاق على ضوابط للحوار .

خامسا : اقامة الوحدة مع ليبيا على اسلم واصلب الاسس .

سادسا : ايجاد اوسع قاعدة ممكنة للعمل العربى المنسق المشترك أو الموحد .

سابعا : العمل فى المجال الدولى والتأثر والاستفادة من مبادئه الجديدة .

من وجهة نظر بناء الوحدة الوطنية ، القرار الاول ، يسحب كل قضايا الشباب من امام الحاكم ، والقرار الثانى ، بعودة جميع الصحفيين الذين ابعادوا بقرارات لجنة النظام . وكما قال الرئيس : فقد قصد باتخاذ هذين القرارين : « أن افتتح الباب لكل فرد فى هذا الوطن لى يدركه اننا امام مرحلة جديدة يجب أن نتعالج فيها كل أمورنا ، وإن تفكر فيها فى كل مشاكلنا » . وكان ذلك بمثابة اعلان من القيادة السياسية - عشية المعركة ، وبوضع الجميع امام المهمة الرئيسية - تحرير الارض . وأن هذه المهمة يجب أن تنجز - ويجب أن تنجز - فى إطار وحدة وطنية صلبة تجمع كل القوى الوطنية والتقدمية مهما تعددت منطلقاتها ومدارسها .

ولقد جاء اعلان القرارين السابقين (الى جانب اعلان برنامج النقاط السبع) ، دعوة الى ضرورة وحتمية اخضاع كل التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسى : وهو التناقض بين مجموع الحركة الوطنية بكل قواها ، وعناصرها وبين الاحتلال الصهيونى الامبريالى لارض العربيه والاستعمار الحديث بكل نفوذه ومصالحه .

أن كل خطوة لدعم الوحدة الوطنية ، فى مصر - من أجل انجاز هدف تحرير الارض - انما يكتسب أهميته الخاصة من واقع أن مصر ثقلا البشرى والحضارى ، والسياسى والاقتصادى ، فى داخل العالم العربى . وأن مصر اذ تخوض المعركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، وانما تخوض معركة كل بلد عربى ، اذ يضيف هذا النضال اضافات هامة الى النضال المحتدم من أجل اخضاع مواقع المستعمرين الجدد والصهيانية . كما ان مصر تواصل الاسهام الذى بذلته عام ١٩٥٦ بعد تأميم القناة فى تقديم وتعزيز نموذج البلد المتحرر الذى يشق بثبات طريق التطور السياسى والاقتصادى المستقل .

وهكذا ، فان دعم الوحدة الوطنية - على اساس تغليب التناقض الرئيسى مع العدو الامبريالى الصهيونى على كل تناقض ثانوى يسهم فى توحيد الصف العربى . ويمكن البلاد من الصمود والانتصار فى معركة تد تطول ضد مخططات الصهيونية والامبريالية الامريكية .

ان هذه المهام الرئيسية التى طرحتها هذا البرنامج تمثل فى مجموعها خط النضال الوطنى فى هذه المرحلة ، على أساس ان النضال الوطنى من أجل تحرير الارض ، انما هو - فى نفس الوقت - نضال من أجل الدفاع عن كل المنجزات الوطنية والديمقراطية والاجتماعية لشورة ٢٣ يوليو ، والاستمرار بها وتطوير وتمتين ابعادها واعماقها التقدمية . فصدوان الامبريالية والصهيونية انما كان يستهدف المصنف بهذه الثورة ، وايقظ كل تطور لها على الجبهتين الوطنية والاجتماعية . فمثل هذا التطور ، سيكون السد الذى يقف فى وجه أى زحف للاستعمار الحديث على المنطقة . وهكذا جاء هذا البرنامج موحدا للوطن والشعب ، على أساس رفض كل الاتجاهات الرجعية ، والفرعية على حركة تطور ثورتنا - والتى نشعلت بشكل محموم الى ترويق التطور الثورى ، والعمل القتلى من أجل تحرير الارض من كل مضمون اجتماعى ووطنى وديمقراطى .

ولقد جعل برنامج النقاط السبع ، برنامج الوحدة الوطنية ، مهمة تحرير الارض الطليقة الرئيسية التى اذا ما امسكتا بها يمكننا أن نمسك بكل حلقات تطور الثورة الوطنية والديمقراطية . ومن ثم يعتبر هذا البرنامج - فى مجموعه - انصارا لخط الثورة الوطنية الديمقراطية واسرها ولائقا تطورها ، وانتصار لخط الوحدة الوطنية ووضعه فى الاطار السليم الذى يجب أن توضع فيه .

ومع اعلان هذا البرنامج ، أعلن الرئيس فى خطابه ، قرارين كانا على جانبي كبير من الأهمية

الإجراءات الاقتصادية خطوة في

اتجاه دعم الوحدة الوطنية

إن الإجراءات الاقتصادية الأخيرة التي أعلنت عقب بدء الحروب ، تمتد بداية في المجال الاقتصادي لدعم الجبهة الداخلية .

وقد جاء في تقرير لجنة الخطة والموازنة وهي تقدم القرارات الاقتصادية التي صدرت يوم السبت ١٢ أكتوبر إلى مجلس الشعب :

« تخوض مصر الآن أشرف معركة في تاريخها ، ألا وهي معركة تحرير أرضها التي اغتصبها العدو الصهيوني الذي تساعده القوى الإمبريالية بكافة إمكاناتها ، للوقوف في وجه معركة التحرير التي تخوضها قواتنا المسلحة بيسالة وتصميم على النصر مهما كان الثمن ، مما يغرّض علينا تدبير كل الإمكانيات اللازمة لاستمرار المعركة . ومما لا شك فيه ، أن الشعب المصري أثبت بطولة في وقتله وراء جنوده البواسل واستمدهه للتضحية بكل غال ونفيس ، بل وبالحياة نفسها ، حتى يتصلق النصر . إن شعبنا يرى أن في هذه الزيادات الطفيفة التي تقررت في بعض أنواع الضرائب وأسعار بعض السلع اشتراكا وجهيا وفي نفقات الحرب وتكاليفها ، ومن ثم فإنه يرحب ، بل وإنه لعلى استعداد للمزيد من المشاركة لأنه يعرف أن الحرب التي نمرضت عليه الآن هي حرب لاسترداد كرامته واستعادة أرضه وأثبات وجوده ، فهي قدره ومصيره » .

وقالت اللجنة في تقريرها عن المبادئ التي روعيت عند فرض الضرائب الجديدة :

« وقد روعي في تقرير هذه الضرائب عدة مبادئ أساسية : ١ - أن تتحقق بصورة شاملة مشاركة الشعب بكافة طوائفه في تحمل عبء هذه الضرائب . ب - أن تكون مساهمة كل مواطن في حدود إمكاناته وقدراته المالية . ج - ألا تنس هذه الضرائب أصحاب الدخول المحدودة » .

وترى اللجنة أن هذه القرارات بقوانين تنلق وما سبق أن طلبت به بالا يقترب على أية إجراءات ضريبية الأساس بالدخول الصغيرة بصفة عامة وبالدخول الناشئة عن العمل بصفة خاصة » .

وهكذا صدرت القرارات : ١ - بفرض ضريبة

بدء القتال كعنصر توحيدى

مع أول قذيفة حطمت حاجز الزئمة ، ومع أول جندى عبر هذا الحاجز ورفع راية حرب التحرير الرابعة العادلة ، اكتسبت الوحدة الوطنية قوة متزايدة ، فقد كان مطلب التحرير ، واسترداد ما أخذ بالقوة - بالقوة - مطلباً شعبياً لكل القوى الوطنية وكل القيادات السياسية ، وعندما تحول هذا المطلب إلى حقيقة واقعة - تبدد كل تمزق نفسي عانت منه الأمة والوطن ، وتحول القتال العابر الذي تخوضه قواتنا المسلحة بيسالة وجسارة إلى عنصر مجمع وموحد لكل القوى الوطنية حول أهداف حرب التحرير . وبدت صلابة الجبهة الداخلية لدعم خطوط حرب التحرير الاسمية تمييزاً عن الرغبة الشعبية الجارفة من أجل الثأر للكرامة الوطنية .

باختصار لقد غطت مدافع التحرير على كل الاتجاهات المترددة والانضمامية ، بحاصرت كل ثغرة بها تعصب لمصلحة ذاتية أو طبقية ، وبدأت تضيق الخناق - سواء على النطاق الوطنى أو على النطاق القومى العربى - من الذين يغلبون مصالحهم الخاصة والذاتية على المصلحة العامة .

وإذا كان القتال - وانفصارات الجبال وتحصيناتهم الهائلة - ودم الشهداء قد فرض على الجبهة الداخلية أن تتماسك وتتحد ، وتدعم وحدتها الشعبية ، فقد عزز هذا المتفان حول القوات المسلحة ، التي بذلت نفساً أحراراً انتصاراتها ، وزاد هذا الائتلاف بفضل التغطيط العلمى للمعركة ، واستيعاب كل سلاح في يدها ، واجادة استخدامه على الوجه الأمثل . الأمر الذى حرك كل المواطن الوطنى للشعب . وجملته يرفع رأسه ليواجه المصير ، بمد آلم تكسبه ١٩٦٧ ، والتي عانى منها - وعبرت الجماهير عن استعداد هائل لتقديم كل إمكاناتية وكل تضحية من أجل أحرار النصر

ولكن المعركة إذ ترتفع يوعى ويقتطع الجماهير الشعبية ودرجة استعدادها لتحمل المسئولية إنما ترتفع في الوقت ذاته الانضباط الذاتى ، الذى هو القاعدة والركيزة لحصانة الجبهة الداخلية ، ولقد كشف الحماس الوطنى بمد المعركة عن قدرات الجماهير الكامنة والتي يمكن أن تصبح قوة خارقة إذا أحسن تنظيمها ، وأن تبدي قدرتها الخارقة على انجاز كل حمل مطلوب منها وتخطى هذا المطلوب » .

أن هذه القرارات كما قلنا - هي في المجال الاقتصادي - بداية وخطوة في اتجاه توزيع اعباء المعركة على جميع الطبقات الشعبية والوطنية .

ولا زالت المعركة في استمرارها مع العدو الامبريالي الصهيوني الشرس في حاجة الى المزيد من التضحيات على أساس أن من يأخذ من الوطن أكثر يدفع أكثر - وخاصة من الفئات التي كانت ثروات وكسبتها بطريقة طفيلية - وغير منتجة - وحتى تحمل العبء الحقيقي المفروض أن تتصله ، والوطن يحشد امكانياته كلها للمساهمة في معركة تحرير الأرض المحتلة .

ثم يبقى بعد ذلك في المجال الاقتصادي أن يبذل كل الجهد من أجل الاستخدام الأمثل لموارننا الاقتصادية - ويجب أن يصبح - هو خدمة حرب التحرير مبشرة ، بمعنى تخصيص الجانب الأكبر من موارننا الاقتصادية - مادية وبشرية - لخدمة الاستقرار في المعركة وتحقيق النصر على العدو . وهذا الاستخدام الأمثل يجب أن يشمل كل قطاعات الاقتصاد ، صناعية وزراعية وتجارية ، القطاع العام والقطاع الخاص .

ومعنى هذا الامر - ضرورة العمل على زيادة الناض الاقتصادي - وهو الذي يمثل الفرق بين حجم الانتاج القومي وحجم الاستهلاك الفردي العام . ومن ثم يرتبط على ذلك ضرورة تحقيق امرين :

الاول : زيادة الانتاج .

الثاني : خفض الاستهلاك .

وعن زيادة الانتاج لابد من : ١ - العمل على تشغيل كافة الطاقات الانتاجية الممتلئة - خاصة في قطاع الصناعة - بسبب نقص المواد الخام وقطع الغيار . ٢ - تشغيل المصانع بأقصى طاقتها - وهو أمر يتم تحقيقه بزيادة العمل الانساني المباشر ، وهنا يبرز أهمية العمل التطوعي ، والجهود الذاتية .

وعن تخفيض الاستهلاك : لما كان قدر الاستهلاك هو الذي يحدد لنا قدر الفائض الاقتصادي المطلوب توجيهه للحرب - فإن العمل بكل الوسائل على تخفيضه أمر ضروري ، وخاصة أن الاستهلاك في بلادنا يمثل نسبة كبيرة من دخلنا القومي - نصل وفق تقديرات الاقتصاديين في مجال الاستهلاك الخاص الى نسبة تتراوح بين ٦٠ : ٧٠ في المائة ،

جهاد اضافية ، ١ - بنسبة ٢٥ في المائة على ايرادات رؤوس الاموال المنقولة ، ب - بنسبة ٢٥ في المائة على وعاء ضريبة الارياح التجارية والصناعية وضريبة المهن غير التجارية الذي يزيد على ٥٠٠ جنيه في السنة .

٢ - تعديل اسعار الضريبة على الشرائع من الثانية الى الخامسة - فمن ١٠٠٠ جنيه الى ١٥٠٠ جنيه ٩ في المائة . ومن ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ في المائة ومن ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ جنيه ١١ في المائة ومن ٤٠٠٠ الى ٤٠٠٠ جنيه ١٦ في المائة .

٣ - فرض ضريبة جهاد على اجرة فصول ميدانين سياق الخيل ومصال صيد الصمام وجميع الاماكن العامة والمحلات الاخرى الخاصة بالمرامات بمختلف انواعها .

٤ - زيادة رسم الجمعة بنسبة ٢٥ في المائة مع تخصيص الزيادة لمواجهة اعباء الحرب .

٥ - فرض ضريبة جهاد على الاطيان الزراعية - على أساس اءفاء ملكية الثلاث لفدنة منها ، والقدنر في فئتها حسب الملكية ، وتحميل مالك الأرض بهذه الضريبة .

٦ - فرض ضريبة على ملاك العقارات التي يزيد متوسط الاجار الشهري للشجرة في الوحدة من ثلاثة جنيهات ، وبأقل ٥٠٠ في المائة من القيمة الاجبارية .

٧ - فرض ضريبة اضافية على بعض المشروبات الكحولية باعتبارها من السلع الكمالية ، بالإضافة الى توافر امكانية مستهلكيها في المساهمة في تمويل المعركة .

٨ - ١ - فرض ضريبة جهاد على السجائر والخضار مع اءفاء السجائر الشعبية . ب - تحديد ضريبة على اللتر من البنزين من جميع الانواع بمقدار خمسة مليمات .

٩ - فرض ضريبة على اجور سفركاب المسكك الحديدية بالدرجات الاولى والثانية ، مع استثناء اشتركاك الطلبة .

١٠ - اقتطاع ٣٥ في المائة من المرتب والاجر الشهري للعاملين في الحولة مع استثناء العسكريين والعاملين الذين لا تتجاوز مرتباتهم ١٨٠ مائة وثمانون جنيها سنويا .

١١ - اصدار سندات جهاد بالعملات الاجنبية الحرة .

الحرب الرابعة

واستخدام نظم البطاقات - رابعا - الضرائب المباشرة وغير المباشرة - وخاصة على الدخول العالية - وعلى تلك الدخول الطفيفية والتي أصبحت تمثل ممينا على توجيه اقتصادنا لخدمة المعركة وتمويل الحرب - أي تطبيق مبدأ المساواة في تحمل أعباء المعركة .

فلذا ما عملنا هذا المبدأ ، مبدأ المساواة في التضحية وذلك وفقا لما أعلنه الرئيس السادات - من قبل - من أن من يأخذ من الوطن أكثر يدفع أكثر ، فلننا نكون قد وضعنا ركائز راسخة للوحدة الوطنية ، لا تزل منها الحرب النفسية ، ولا تزل منها الصعوبات والتضحيات التي تفرضها المعركة بالضرورة .

ولقد دلل شعبنا على امتداد تاريخه القريب والبعيد على قدرة غائقة على التحمل والبذل ، وأن في مقدوره أن يعبّر عن وحدته الوطنية المتميز الصحيح بتطبيق هذين الشعارين في حياته اليومية وهما :

كل شيء من أجل الجبهة

كل شيء من أجل النصر

وفي مجال الاستهلاك العام - الحكومي والقطاع العام - إلى نسبة ٢٠ في المائة .

وفي مجال تخفيض الاستهلاك العلم ، فإنه يجب تحقيق مجموعة من الإجراءات الضرورية - منها - تشديد الانفاق الحكومي للحصول على أفضل ولمرغ خدمة بأقل تكلفة - تخفيض الأجور والمرتبات العالية والحد من البدلات التي تصرف للمقاتل العليا ، التخفيض إلى أقصى حد من استخدام الكهرباء في المكاتب - الحد من استخدام العربات ، وقصر استخدامها إلا على المهام الضرورية .

وأما في مجال تخفيض الاستهلاك الخاص ، فإنه يجب أولا : إعادة النظر في أنماط السلع الاستهلاكية سواء من ناحية الكم والتنوع ، فيجب أن تحل سلع استهلاكية رخيصة محل السلع الاستهلاكية المستوردة - وتخفيض استهلاك سلع كثيرة مثل اللحوم والمواد الدهنية والسلع الغذائية . ثانيا : ضرورة استخدام نظم الامساح حتى نحد من استهلاك الكثير من السلع ، فيقتصر المستهلك على استهلاك القدر الضروري . ثالثا : التوزيع المباشر لعدد من السلع الضرورية

أطراف الصراع

في أربع حروب مع إسرائيل

كمال السيد
حسين شعلان

ليوافق كل مرحلة من مراحل التطور العالمي . ففي البدء كانت السيطرة والقهر المباشر للآخرين ، مبوء بالوسائل العسكرية أو الوسائل الاقتصادية أساسا . وفي مرحلة لاحقة ، وعندما أصبحت « الوسائل المبشرة » (خاصة العسكرية منها) أكثر صـمـومـية ، رأت أن تحقق أهدافها « بالوسيلة » ، أو « بالتفويض » أو « الوكالة » ، والتقت في ذلك أهداف « الوكيل » وأهداف صاحب الشأن الأصلي ، كل يبغي تحقيق مراميه بلجونه إلى الآخر .

ومع نمو حركة التخلص من الهيمنة الأجنبية التي نهت وتطورت منذ بداية القرن ، واشتد ساعدها بعض السنين ، ووصلت أوجها بمد الحرب المالية الثانية وهزيمة الفاشية ورسوخ النظام الاشتراكي ، وثبتت نجاحه في حل القضايا القومية وفي القضاء على التخلف في مناطق كان التأخر من سماتها التي لا تعرف بدونها ، مع كل

ليس لإسرائيل دور آخر سوى إجهاد حركة الثورة العربية للتقدم الوطني والاجتماعي ، ذلك هو « مبرر قيامها » الأساسي ، والدافع الجوهري لبقائها وتدعيمها . ومنذ البدء كان العدوان هو وسيلة لاداء الدور الذي أناطته بها الصهيونية العالمية والأمبريالية الدولية . وإن فهم الدوافع والأسباب التي كانت وراء خلق هذه الدولة ، أمر أساسي لفهم طبيعة سياستها العدوانية والتوسعية .

ولقد أكد مسار التاريخ الانساني بأمره ، أن العدوان على أراضي الدول الأخرى واغتصابها ، رافق دائما للنظم الاجتماعية القائمة على قهر فريق قليل من أبناء البلد الواحد لغالبية سكانه ، وأنه امتداد لنفس القهر ليشمل أبناء البلاد الأخرى . وقد اكتمل هذا الأسلوب وتمددت صور تطبيقه وأصبح هو النهج السائد في عصر الإمبريالية ، التي طورت به يحقق لها أهدافها في السيطرة والهيمنة

تشكل «نموذجاً» ومثلاً مديداً يقتدى به الآخرون ، وتضغط به شعوب دول المنطقة على حكوماتها المالية المصالح الأجنبية . وينتأي تحقيق هذا الهدف أما بالاطاحة بالنظم التقدمية تحت ضربات إسرائيل والهزائم التي تلحقها بها ، ولما باستنزاف مواردها التي تجد نفسها ملزمة بتخصيصها لمواجهة العدوان . مما يجرمها من تنفيذ خططها في التنمية .

هذا عن أهداف إقامة إسرائيل في المنطقة العربية . وفيما يجازي هذه المنطقة . فإن إسرائيل «معبّر» نموذجي لدول آسيا وإفريقيا . تتنقل منها رؤوس أموال أوروبا وأمريكا إلى هذه البلدان (٣).

وعلاوة على كل هذا ، وكما هو دأب النظم الإمبريالية في «ترحيل» إزاحتها والقائنها على كامل الآخرين - خاصة في العالم الثالث - فإن الدول الرأسمالية قد رحلت «المشكلة اليهودية» من بلادها وتخلصت منها على حساب العرب وحملتهم أعبائها . قمع عجز الرأسمالية عن حل المشاكل القومية - ولليهود وضع خاص في هذا المسند غاية في التقدم - فلنأخذ لم تعد وسيلة للاستفادة من هذا العجز ، وذلك بتصدير المشكلة في جعلها إلى الشرق الأوسط ، تماماً كما تصدر لها ولغيرها ، للتضخم والكساد وإجهاض تصدورها . بل والأفكار والنظم والقيم السياسية والاجتماعية المترتبة والمتحولة ، وذلك تمهيناً لهدفها في استئثار سيطرتها ونكب الشعوب بهذه الأدوات التي تموقعها عن تحقيق مطالبها في الاستقلال والتقدم .

وانتقلت غايات الإمبرياليين مع أطباع الحركة الصهيونية . وهي فسيولة خاصة من فصائل رأس المال المالي الأجنبي - الملوك لليهود أساساً - على التوسع والعدوان على دول وشعوب المنطقة . وبفضل عن أن إسرائيل اختارت - منذ مولدها وبحكم الظروف التي تم فيها - المعسكر الذي تنتهي إليه ، وهو معسكر الإمبريالية ومدعاة حركة

هذا أصبحت الوسائل المباشرة أكثر مسموعة وتكلفة . وتجلي هذا في مناطق كثيرة من العالم ، لصلصنت فيها الإمبريالية نظاماً عميلاً . وناطت به تحقيق أهدافها مقابل «جمل» أجر يتفاوت حسب مكانة هذا النظام ، وما إذا كان تابعاً أو شريكاً صغيراً (١) . وعند الضرورة خلقت الإمبريالية هذا النظام الوكيل عندما لم يكن موجوداً . وكان النموذج الواضح لذلك هو إسرائيل التي تبنت كل الدول الإمبريالية فكرة إقامتها ، بعد تصاعد حركة الثورة العربية واتساح استحالة السيطرة المباشرة (٢) . ففي البدء موات ألمانيا القيصرية إنشاء المستعمرات الصهيونية في فلسطين ، ثم رعتها بريطانيا بوعدها المشهور ، وبالتعهدات التي منحتها لها إبان الانتداب ، وشاركت فرنسا في توفير مقومات هذا الكيان الجديد ذو الأهداف المحددة . وأخيراً ، التقت إرادة أمريكا وإسرائيل في أقوى تحالف لتحقيق أهداف مشتركة كثير منها متطابق تماماً .

وكثيرة هي ، ومتعددة «الدوافع» التي حفزت الدول الإمبريالية - كل بدورها - على بذل الجهد لخلق إسرائيل وتخصيصها ، ومن أهم هذه الدوافع والأهداف :

● ضمان قاعدة إقليمية ، بل «امتداد عسوي» للاستراتيجيات الإمبريالية في المنطقة ، يسهل العمل بالباب والبرصيح ، منها لمواجهة أي خروج على «الوضع القائم» في المنطقة من قبل أي دولة من دوله .

● إيجاد حاجز جغرافي ويشري وحضاري بين دول القومية العربية ، بما يمنع تقاربها ووحدةها التضاللية التي لا بد وأن تكون بالضرورة معادية للاستعمار وصالحه .

● ضرب التجارب الجديدة ذات المضمون الاجتماعي والتي لا بد وأن تتطرق من وضع ثروات البلاد في خدمة أبنائها وتصفية السيطرة الأجنبية عليها ، هذا بالإضافة إلى أن هذه النظم

[١] في ٢٤ نوفمبر ١٩٧٢ بسايه الجنرال راين بوليه أنهم في واشنطن يدورون نظام ليو في جنوب فيتنام بالقائل مما يدورون إسرائيل .

[٢] في ١٩١٩ هبت الثورة في مصر على نفس العام تأسس حزب الدستوري تونس ونجمة إفريقيا والشعب في الجزائر . وقامت ثورة ضد إسبانيا في المغرب في ١٩٢١ ، ولسان الضمير السوداني على التجاوز في أوائل العشرينات : وثار العراقيون في ١٩٢٠ وفي ١٩٢٠ نشطت الحركة الوطنية في مصر وتلقت أحزابها لتتحد عام ١٩٣٦ ، وخرجت قواتها . وفي ١٩٣٥ هبت ثورة شاملة في سوريا ، وتفسرت الثورة المسلحة في فلسطين في ١٩٣٦ . وفي ١٩٤١ قامت ثورة العراق ضد التجاوز والنظام الموالي لهم ، وبعد هزيمة القذافي في العرب الثانية ثارت لبنان في ١٩٤٢ ، وانطلقت ثورة في الجزائر في ١٩٤٥ . وفي العام نفسه هبت ثورة في سوريا وفي ١٩٤٦ تفجرت ثورة الشعب المصري وأجبرت قوات بريطانية على الانسحاب من عدن في ١٩٤٧ [٣] على الرغم من أن إسرائيل تمش على معونات الآخرين ، فإن لها إموالاً تستثمرها في الدول القارية [استقوت في إفريقيا في ٥ سنوات حتى ١٩٦٤ ما مقداره ١٥٠ مليون دولار حققت منها أرباحاً بلغت ٥٠ ألف دولار . وفي ١٩٦٢ كان لها ٤٨ شركة مخططة في أفريقيا . كما تمتع بحوثاتها (لها ألف خبير في إفريقيا في التعليم) ولها ما يسمى « البرنامج الإسرائيلي للمعاون الدولي » كما تدرب الجيوش والقادة الفلسطينيين .

التحرر العربي ، فإن طبيعة الدولة الاسرائيلية نفسها جعلت المدوان أساساً لوجودها وذلك على النحو التالي :

● اعتمدت الحركة الصهيونية في تمسبة واستجلاب يهود الصالم لتكوين شعب الدولة الجديدة ، على لحط مشاعر راككار المنصرية والتوسعية والعدوان • وواصت تغذية هذا الاتجاه لضمان « أدوات طيعة » سياساتها ولتبرير التضحيات التي تفرض على الكثرة من هؤلاء وطمس التناقضات الاجتماعية والحضارية والاقليمية التي تفرق بينهم •

● عدم توافر المقومات الاقتصادية لدولة مزدهرة ، وتزايد متعاقب « الكرم والسنون » الأمريكي ، لانه ليس مجانيا كلية • وانما لابد من سداد القروض ودفع شرائد الاستثمارات الخاصة [٤] • يضاف الى ذلك ان اسرائيل بلا موارد أولية تقريباً • وصوقها للدخلى عاجز عن ان يوفر الحجم الاقتصادي الذي يكفل القسامة مشروعات مريحة • هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن اسرائيل في حاجة الى ايد عاملة رخيصة • لكل هذا • وكثير غيره • فإن التوسع جزء أساسي في مضط حل المشاكل الاقتصادية للصيقة بالدولة الاسرائيلية ، والناجمة من طبيعتها ذاتها •

لكل هذا وكثير غيره • أيضاً • كان العدوان هو أساس وأسلوب قيام الدولة الاسرائيلية ، وكان هو الدور الذي نذرت نفسها له • بعد قيامها • نيابة عن الآخرين (٥) ، مكن لها من هذا طبيعة القوى الوطنية والاجتماعية والقيم الحضارية • التي سادت في كلا المعسكرين • معسكر اسرائيل وحلفائها • ومعسكر الشعب الفلسطيني والدول العربية • وكان ذلك على النحو التالي :

حرب ١٩٤٨ : بداية العدوان

كانت فلسطين أو « الأرض الموعودة » هي نقطة

الانطلاق المثلى في تحقيق خطط الصهيونية والامبريالية في ضرب حركة التحرر العربي ، وذلك لما يربط بها من أساطير ودعاوى دينية ترجع لما يزيد عن الـ ٤ آلاف سنة ، نفّس عنها التراب • بعد انبثالها • لاستخدامها في حشد وتعبئة الانصار • ومن جانب آخر كان نظام الانتداب البريطاني فيها • أنصب اطار تتم من خلاله حركة الهجرة والاستيلاء على ممتلكات العرب ، خاصة بعد ان تبنت بريطانيا فكرة اقامة الدولة لتحقيق أهداف قصيرة المدى ، تطلت في تهيؤ بقائها ومناوأة فرنسا والحركة العربية ، كما تمثلت في أهداف طويلة المدى : هي ادراكها انها راحلة عن المنطقة لا محالة • ومن ثم فلا بد لها من خلق مركز توتر دائم يمكنها من الحفاظ على مصالحها والعودة • اذا أمكن ذلك •

ومن جانب آخر كان الهيكل الاجتماعي في فلسطين ومرحلة تطور المجتمع فيها ملائمين تماماً لتنفيذ المشروع وذلك على النحو التالي :

● فالطبقة السائدة كانت هي طبقة كبار ملاك الاراضى المقاريين (وقسم منهم لم يكن أصلاً من فلسطين) • هؤلاء كانوا خير سد ونصير للتوسع الانجلى • العثماني ثم البريطاني وبعدد الصهيونى • وضعا انفسهم في خبثه ولم يكتفوا بممارسة الاستغلال لحسابهم وانما نصبوا من انفسهم جلادين للشعب الفلسطيني لحساب الانجلى • ولم يتورعوا عن بيع الاراضى عندما عرض الصهاينة لها سعراً مجزياً غير هائين بمصير الفلاحين الفلسطينيين الذين كانوا يزرعونها بالمشاركة • كذلك تأن المرابين العرب استولوا على الممتلكات الصغيرة للفلاحين المصريين ليعيدوا يميناً لليهود بعد تجميعها بأسعار مجزية من وجهة نظرهم الخاصة •

● أما الطبقة البورجوازية فكانت ناشئة وضميفة • لفي ظل الترك • ثم البريطانيين • زاد تسلل الاجانب خاصة اليهود الى التجارة والصناعة حتى شافت نسبتهن فيها وزنهن المهدى لمجموع السكان • ومع أن البورجوازية الفلسطينية اعترضت • لدى سلاطين الأتراك ثم هيما بعد لدى

[١] يلفظ الاستدانة وقيلاً سياسياً عالياً : « تيجالو » ١٠٠٠ دولار للقرى في ١٩٧١ وزاد من ٣٩٠٠ مليون دولار في ١٩٧١

الى ٤٢٠٠٠ مليون في ١٩٧٢

[٥] بعد قيام الدولة اذانت الأمم المتحدة اسرائيل ١٧ مرة حتى ١٩٥٦ • أما لجان المينة فقد ادانتها ٦١ مرة حتى ١٩٦٦ • واعان وزير خارجية فرنسا في ١٧/١٠/١٩٧٢ أنه منذ ١٩٦٧ • قطعت ١٨ دولة علاقاتها مع اسرائيل واتخذت ضدها ٢٠ قراراً بسبب عدوانها •

الحرب الرابعة

والمسكوك فكان ضعيفا وغير قادر على مواجهة جهاز القبح والتوسع الذي «شنته الصهيونية ودعمته الإمبريالية المالية» فضلا عن عدائته للجماهير وميله التقليدي إلى إبعادها عن المشاركة الحقيقية في القرارات المصيرية. كذلك كانت الطبقة شبه الاقطاعية المرتبطة اقتصاديا بالاستعمار. فقد ساعد الانجليز كبار ملاك الأرض على استكمال مقومات الملكية الخاصة التي كانت

تضم سبع الأرض فقط في عشرينات القرن ١٩، فأصبحت تضم معظم الأرض الزراعية في مطلع القرن العشرين. كما ساعد الاستثمار هؤلاء الملاك على استكمال سيطرتهم السياسية وجعلهم يحكمون باسمه، حتى أن «دورستين» يقول في كتابه عن «خراب مصر»: «إن استبداد الضديوي» توفيق لم يكن سوى استبداد المالكين الأوروبيين. أما البورجوازية المصرية فقد توقفت بالنضال المصري - بعد ثورة ١٩١٩ عند منتصف الطريق عندما أظهر الاستثمار وملاك الأرض استبدادهم للصحاح لها بالمشاركة، وانتقلت على الجماهير الشعبية لتصفية حركتها خوفا من أن تغتصمها. وجعلت من شعارات «الاستقلال الكامل أو الموت الزؤام» و «العلاء أو الطلاء» شعارات مناسية واندمجت البورجوازية إلى مجالات كانت محرومة عليها من قبل وشاركت رأس المال الأجنبي وأصبحت دعمته في كثير من الماديين. لقد نجح الاستثمار بتفويض برائير إلى تحويل القضية الوطنية والمطالبة بالاستقلال إلى قضية للحكم والدفاع عن المستورد أو الهجوم عليه. وفتحت البورجوازية بوضع انصرامها في جهاز الدولة إلى جانب ممثلي كبار الملاك والموظفين الانجليز أو عبلائهم. أما البرلمان فكان مكانا لمعد الصفقات من وراء ظهر الشعب، ولم يحير أبدا عن احتياجاته في تشريعاته، أو حتى في مناقشاته كما لم يحدث تغيير جذري في الجيش، فقد ظل في الأساس أداة للدفاع الداخلي، أما «الدفاع» الحاكمين ضد تهديدات المحكمين، عن «الدفاع» الخارجي، فليقتل كثيرا من اعتبارات قيادته ذات الأصول الانتدابية والبورجوازية.

كما إن القضية القومية لم تحظ باهتمام القيادات البورجوازية، فمنذ أن أعلنت القيادة الوفنية على عهد سعد أن نضيبنا «مصرية لا عربية» (كان يحصل في نفس الفترة نضادي باستقلال البلاد العربية الاسمي فقط) لم يحتل الفكر القومي مكانا يذكر في تفكير القيادة السياسية للبورجوازية إلا في المناسبات وتحت ضغط الأحداث والجماهير.

الإدارة البريطانية - على هذه الغزوة لسوقهم، إلا أن اعتراضها كان على ضعف حجم وزنها الاقتصادي وتأثيرها على جهاز الحكم والإدارة وتغلبها السياسي والفكري والحضاري. وزاده ضعفا قصور مصالحها في العمل السياسي والاجتماعي هذه الأساليب والتي تنسم أساسا بالبعد عن حركة الجماهير الشعبية.

● كذلك كانت الطبقة العاملة ضعيفة العدد والوعي الطبقي والسياسي، تهزتها الأمية (نحو ٩٠ في المائة) والبطالة (بلغت أحيانا ٧٥ في المائة في بعض فترات الكساد). وقد أعطت الأولوية للقضية الوطنية التي نهجت الفئادة الانتدابية المشائرية للثورة الفلسطينية في عزلها عن القضية الاجتماعية. ولم يكن للفئات العاملة شعاراتها السياسية وبرامجها الوطنية الخاصة بها، وارتفعت شعارات وبرامج الطبقات المألقة.

● التخلف السياسي: فمن ناحية أساليب النضال اقتصر وسائل المالكين على المؤتمرات والاحتجاجات والوساطات. أما وسائل جماهير الشعب فشملت الاضرابات والمظاهرات والعمل المسلح [خاصة في ١٩٣٦] ولكن نال منها عدم وجود قيادة سياسية منظمة نابعة من صفوفها وتبقى تحقيق أهدافها. ومن حيث الفكر السياسي كان الاتجاه القومي ضعيفا لدى الفصائل الوطنية للمالكين، صحيح أن بعض الأحزاب (مثل حزب الاستقلال الذي قام في ١٩٢٠) نادى بالوحدة القومية للعرب، إلا أنه لم يكن اتجاها أصيلا، كما راجت سياسة «خذ وطالب» والتهافت على التعاون مع الاستعمار والأجانب وللتشدد بشعارات وطنية لجرد تقوية الضغط الشعبي.

هذا على الجانب الفلسطيني، أما على الجانب العربي، فلم يكن الوضع بأحسن من ذلك. فقد دخلت الحرب ضد الدولة الجديدة، جيوش مصر وسوريا ولبنان والأردن والعراق. وكانت هذه الدول جميعها شبه مستعمرة تحكمها طبقات شبه اقطاعية وشنت بورجوازية تخلت ضمن مطامعها القومية - بل تخلت حتى عن فكرة استثمارها بسوق البلاد الواعد ناهيك عن السوق القومي لجموع البلاد العربية. وتحتت بالشاركة كتابع أو شريك صغير للمصالح الاستعمارية.

في مصر كان النظام شبه الاقطاعي وقته الملك فاروق، مواليا للمخططات الاستعمارية قسانما بصمايتها وكان انتماؤه القومي ضعيفا أو معدوما ووليد المناسبات والضغط الجماهيري، ووسيلة للحفاظ على وضعه المهتز. أما جهازه السياسي

لما الطليقة المأيلة ففصلنا عن مسمى
البورجوازية للسيطرة عليها ، فان طلائعها
السياسية لم تكن على درجة كافية من الوضوح
فيما يتعلق بالقضايا القومية ، خاصة قضية
فلسطين .

ولم يكن شركاء مصر الاخرين في حثاية عربية
فلسطين بأحسن حالا منها ، ففي الاردن قام نظم
عشاري شيه انطاقي خلقه الانجليز ، وكان
انتمائه القومي ضعيفا وكل ما يريده هو تدعيم
وضعه والتمسك ، وبالفعل فكل ما أدى اليه التدخل
العربي هو التهام الجزء الذي كانت الأمم المتحدة
قد خصصته لاقامة الدولة العربية في فلسطين
بموجب قرار التقسيم ، ومن ثم تم نشأة الدولة
الفلسطينية وضاع اسم فلسطين ، فقد استولت
الاردن على ٥٥٠٠ كم مربع معها ونكث في شرق
الاردن وجزء من القدس ، واستولت اسرائيل على
٦٦٠٠ كم مربع من هذه المنطقة غرب الجليل
والغلب وجزء من القدس ، قام قطاع غزة تحت
الادارة المصرية على مساحة ٢٥٨ كم مربع .

وكانت الوسائل عاجزة فكل ما تمخض عنه
مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في مؤتمر انشاص
١٩٤٦ هو بريقية لامريكا وانجلترا تقول ان لهؤلاء
القادة « عظيم الأمل ان لا يكرر صعو علاقات المودة
القائبة بين الدول والشعوب العربية والدولتين
الديمقراطيتين الصديقتين ، أي نشأت من جانبهما
يرمى الى اقرار تدابير ماسة بحقوق عرب
فلسطين » . وعند التدخل دفعت الدول العربية و
١٥٠٠ ألف جندي غير مسلحين (قضية
الاسلحة الفاسدة) وغير موحدين .

خلاصة القول : ان الانظمة العربية كانت عاجزة
تماما امام العدو الصهيوني وهدت الهزيمة كانت
قدر لا تفك منه . وفي دراسة أعدتها مجموعة من
باحثي مركز الدراسات السياسية والاقتصادية
بالاهرام ، جاء ان العوامل الاساسية للهزيمة
تتمثل في :

● غياب الحركة الثورية :فلسطينية المنظمة
واستئثار طبقة الزعامات والوجهات بالقيادة .
لقد كانت القيادة السياسية من طبقة الوجهات
التي تميزت بتغلغلها الثقافي والفكري الذي جعلها
لا تفهم أبدا معركة معاصرة . استخدم في الاعداد
لها وفي تنفيذها العلم المعاصر . وكان تفكيرها
المهادن والمسامح يجعلها لا تفهم موقفا حاسما من
سلطات الاحتلال ومشاريعها . فقد كانت هذه
الفئات مثل كل الفئات القائدة في الوطن العربي في

ذلك الحين ، مستفيدة منه بصورة خاصة من
ظروف الاحتلال ، وزادت الحركة الصهيونية من
نفوذها وثروتها ، وأملت في أن يؤمن لها التعاون
مع الاستثمار والصهيونية المزيد من المكاسب ،
ومن ثم آثرت المساواة على النضال .

● أما للعامل الثاني للهزيمة فهو ان الوطن
العربي كان بكافة انطوره واقعا ضمن دائرة النفوذ
الامبريالي بشكليه القديم والحديث . وكان جنود
الاحتلال يمسكون في انحاء مختلفة من الوطن
العربي حتى في مصر التي استقلت في اوائل
المشرينات . وكانت القوات الحاكمة فيه رجعية
شبه عشارية شبه انطاكية وشبه بورجوازية في
بعض الاقطار ، مرتبطة بالاستثمار ارتباطا مصلحة
معير . فاستسلمت لمخططات الاستثمار واعلنت
انها صديقه وحليفه . ولم تكن الجيوش العربية
أكثر قوة وتماسكا من البنيان السياسي العربي ،
ولذا لم تستطع التصدي بسبب كل الموتات التي
كبلت بها للتحدي العسكري الصهيوني .

إذا صح أن المتناقضات تجمعها وحدة واحدة
فان أكثر نتائج هزيمة ١٩٤٨ ايجابية ، تمثل في أن
القوى الوطنية في البلاد العربية أدركت ان الاطاحة
بالبهاكل الاجتماعية البالية والجائرة والمميلة في
بلادها ، هو الشرط الاساسي والاولى لنجاح
النضال الوطني . فقد تكتشفت خيانة الانظمة
العربية ليس فقط للقضية القومية ، وانما تأمرها
على أبناء بلادها (الاسلحة الفاسدة ، والصفقات
التي عقدها الميلاء مع اليهود وتسليم مواقع
لهم) . لقد اتضح بجلء أن اقامة حكم وطني
يصفى مواقع السيطرة السياسية للاستعمار ،
سواء بالتقضاء على ركائز الاجتماعية والسياسية
المحلية ، أو بإنهاء وجوده المباشر في البلد الممين ،
هو الطريق الوحيد لنجاح العمل الوطني والقومي
على حد سواء . وكانت ثورة ١٩٥٢ هي الرد
الوطني على التفريط في مصالح البلاد الوطنية
والقومية . واصبحت هذه الثورة نموذجا احتكته
عدة فئات في سوريا والعراق - بل في الاردن -
وفي اليمن والسودان وليبيا ، وفيما وراء المنطقة
العربية .

ومن ثم كانت بدورها سببا ببرد لاسرائيل دورها
المدونى لحاصرة الخطر الجديد وضمان عدم
خروجه على الخط السائد . وهكذا تطورت
الاحداث بما أدى الى عنوان ١٩٥٦ .

حرب السويس : لوقف « العدوى »

منذ اليوم الاول ، تبدى واضحا -حيار- الجانب الوطنى لثورة يوليو وسبق الجانب الاجتماعى لها وطنى عليه فى الأيام الاولى - فقد سعى النظام الجديد لتصفية الوجود البريطانى فى القناة - وعارضت اسرائيل ذلك بكل الطرق (بما فى ذلك الارهاب فيما عرف بقضية **لافون**) وذلك لانها كانت تحس ان فى القوات البريطانية حماية لها وسند ، بل وخارج أكيد ضد امتداد التأثير المصرى الى دول المشرق - خاصة اذا ما نجح فى انتهاء الاحتلال الذى دام ثلاثة اربع قرن - كذلك صفت ثورة يوليو بالكائن الاجتماعى للسيطرة الاجنبية والتي كانت بقصورها وعائلتها ضلعنا آخر لاسرائيل ، بل وحليف غير مباشر لها فى عدوانها على حركة التحرر والتقدم العربى -

ومن جانب آخر عارضت الثورة كل محاولات الاحتواء فى احوال استعمارية ، ورفضت على التوالى حلف بغداد وحلف البحر المتوسط ومشروع ايزنهاور والحلف الاسلامى ، رغبةا - وضربت بذلك مثلا تحتذى دول المنطقة فى التمرد على الافواح المسيطرة فيها - ويشجعها على الرفض والتحدى بما يهدد خطط الاستعمار والصهيونية -

علامة على هذا ، بدأت مصر تلعب دورا دوليا معاديا للاستعمار والصهيونية ، وساهمت فى تكوين الجبهة العالمية المعادية للامبريالية وعملاتها وذلك بمشاركتها النشيطة فى مؤتمر يانغونج فى ١٩٥٥ ، وما تلاه من تعاون بين دول عدم الانحياز -

أضف الى ذلك سعى مصر لتكوين جيش قوى قادر على حماية استقلالها الوطنى والقومى - وهو ما كانت تخشاه اسرائيل خشية الموت - وتوج هذا بكسر احتكار السلاح والتعاون فى هذا مع الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلافيا - وكانت هذه سبابة خطيرة - من حيث التحريض على الانتماء بالجيش الوطنى وتحويلها الى مؤسسات قوية وقادرة - الامر السذى لا يريده اسرائيل باى شئ - وكذلك من حيث التضييع على التعاون الواسع مع المعسكر الاشتراكى - وكان هذا فتقا فى مجالات العمل الوطنى ، بدأت وتوسعت فيه ثورة يوليو (وقد ردت اسرائيل على هذا اقرا بالعدوان على الحدود فى ١٩٥٥ مولين بسبب مقاومة حلف بغداد وكسر احتكار السلاح) -

أما القشة التى قصمت ظهر البعير ، فكانت تأميم قناة السويس - فضلا عن غزو المثل الذى يمثل هذا العمل - فقد اعتبر تهديدا - شرا مصالحا وراسمالية متضابكة أهدافها مع اسرائيل - فضلا عن انه أضفى على مصر - وهى انفسم الأساس للدولة الصهيونية - مكانة عالمية وقدره على التأثير فى المنطقة مهدد اسرائيل ودفعها الى محولة هدمها - كذلك فان عائدات القناة كانت - لا شك - ستمكن مصر ، من تنفيذ أهدافها التمسوية والدفاعية بما يريد من قوتها التى تعتبرها اسرائيل تهديدا مباشر لها -

ان قيسلم نظام وطنى معساد للاستعمار والصهيونية له اتجاهات قوميوأضعة (بل كان من اسباب قيامه المباشرة هزيمة ١٩٤٨) ، يعوق أهداف اسرائيل الخاصة - وذلك التى تتسوى حيلتها بالوكالة - كما اقزع اسرائيل والدول الامبريالية تقاضى الحركة اللوطنية قسى المشرق والغرب العربى على حد سواء وأن هذا اقتنر بتأثيرات مباشرة او غير مباشرة لنظام ثورة يوليو [٦] فقد بدا تصاعد الحركة فى العراق والاردن وفى اليمن والجزائر - وصارعت ثورة يوليو باسناد هذه الحركات - الامر الذى فتح آفاقا واسعة للعمل القومى فى الصلحة العربية - وأخذ يشكل خطرا حالا على اسرائيل ومصالحها الخاصة ، وعلى دور الوكيل الذى فرضته لنفسها نهاية عن الدول الاستعمارية - ومن هنا جاء العدوان الثلاثى ، محاولة لوقف الاتجاهات القومية المعادية للاستعمار ، واجهاض حركة الاستقلال الاقتصادى واستعادة ثروات البلاد -

عدوان ٥٦ : تنمية للجانب الاجتماعى

وكما اسهم عدوان ١٩٤٨ فى تنمية الجانب الوطنى على اأس راسخة ، فقد أدى عدوان ١٩٥٦ الى تأكيد الطابع الاجتماعى للثورة العربية - فقد أدركت ثورة يوليو ان تصفية السيطرة الاجنبية على اقتصاد البلاد ، والقضاء على مواقع المتعاونين معهم من المصريين ، ووضع مقدرات البلاد فى خدمة اختياراتها الوطنية والاجتماعية (٧) كل هذا يشكل الضمائم الاساسية لرد العدوان الخارجى ، وتوقيف اسباب

[٦] فى المغرب قامت ثورة ١٩٥٢ ، وفى تونس فى ١٩٥٢ ، وفى الجزائر فى ١٩٥٤ وفى العراق فى ١٩٥٨ . وفى ١٩٦٢ وعن ١٩٦٥ وفى السودان وليبيا ١٩٦٦ -

[٧] فى ١٩٥٧ أممف ممتلكات الفرنسيين والانجليز ، وفى ١٩٦٠ تم تأميم المصالح والبنوك البلجيكية ، وكذلك البنك الاهلى ببنك مصر ، وفى يوليو ١٩٦١ تم تأميم ممتلكات الشركات والمؤسسات الرأسمالية الكبرى فى مصر ومسوريا . وتواتت قوانين التصالح الزراعى لتعمل الحد الاملى للملكية - هذاذا -

القوة والمناعة للاستقلال الوطني وجوهه الأساس
وهو الاستقلال الاقتصادي .

وبدا الإدراك في مصر ينمو بأن التخطيط
والفتنة الشاملة وأداتها القطاع الملم ، وسيطرة
القطاع على وسائل الإنتاج الأساسية ، هي
ضمانات التقدم والمناعة الحقيقية . وبمسور
الوقت ، تبين أن هذا لا يمكن أن يتم إلا بتصفية
مواقع ذوي الامتيازات وتحقيق العدالة
الاجتماعية ، وتحسين أوضاع الجماهير ، ورفع
شعارات الاشتراكية . وبهذا اكتسب ملامح تجربة
اجتماعية جديدة ، كانت بطبيعتها معادية
للاستعمار واستغلاله ، ولها تأثير واجازية قومية
تعمل بالتقارب والتوحيد ، فضلا عن أنها تكفل
لمصر قوة جديدة ، الأثر الذي شكل بدوره
مبدا جديدا للمحور . ومن هنا جاءت حرب الأيام
الأسنة في يونيو ١٩٦٧ .

الطريق الى حرب ١٩٦٧

منذ أوائل عام ١٩٦٤ ، كانت سماء الشرق
الواسط تندر بتجاهات تيارات المناخ السيئ . نحو
صدام عاصف .

فعلى الجانب العربي من مقاريس الصراع المبدع
مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ، كانت القيادة
السياسية في مصر ١٩٦٤ قد وجهت الدعوة الى
هدم مؤتمر للقاء العربي ، انعقد في القاهرة في
يناير ١٩٦٤ ، لمناقشة المشروعات الاسرائيلية
لاستغلال مياه نهر الأردن وآثاره على مجريات
الصراع العربي الاسرائيلي ، ولاتخاذ موقف عربي
موحد يرقى الى مستوى المسؤولية القومية في
مواجهة عمليات التسلح حتى الامنان ، التي
اقدمت عليها أمريكا في اسرائيل .

وقد لقت القيادة السياسية المصرية وقتها على
هذه الخطوة ، وهي في مركز وطني وقومي قوى
مكنها منه ، سرمة حركتها على تجاوز الوضعية
السياسية الناجبة عن « حركة الانفصال » من
جهة . ثم ميادرتها بوضع اسس لتطوير السياسي
الديمقراطي (ميثاق العمل الوطني) وضيفة
تحالف قوى الشعب العادل » من جهة أخرى بعد أن
تأخر موعده الضروي الذي كان مقرضا ان يلام
الاجراءات الاقتصادية الجزرية التي اتخفت في
يوليو ١٩٦١ ، وقطعت في طريقها آفاقا ضيقة
بقرارات مارس ١٩٦٤ .

وعلى المستوى القومي ، كانت القيادة السياسية
المصرية قد حققت نجاحا كبيرا حين
اضطرت « حاجي الحصان القومي » الذي حاولت

القوى الاستعمارية والرجعية فرضه على مصر
والذي كانت « حركة الانفصال » أهم شواهد
وقد قتل هذا الجناح في المساندة الفورية للثورة
التي ثم في فتح جبهة جديدة معادية للاستعمار في
اليمن الجنوبية .

وعلى المستوى الدولي ، كانت مصر قد حققت
نجاحا مماثلا . يشهد على ذلك انها
كانت « مصر » مؤتمري القمة الافريقي وعدم
الانحياز (١٩٦٤) . ولم تكن أهمية ذلك فحسب
في دلالات « مكان » انعقاد المؤتمرين ، وإنما أيضا
في الدور القيادي البارز الذي مارسته مصر فيهما
معاً .

وفي نفس هذا العام (١٩٦٤) كانت التجربة
الاجتماعية في مصر تستشرف آفاقا هامة يجعل
منها « مركز جذب » يهدد مصالح قوى الاستعمار
الغالب والرجعية . ففي ذلك العام اتت مصر
المرحلة الاولى من بناء السد العالي ، الذي تكمن
أهميته السياسية في حقيقة أنه « وجه » لانتصار
ارادة شعب بلد نام على تحديات القوى
الاستعمارية . كما تم في نفس العام الافراج عن
المعتقلين والمسجونين السياسيين ، وما كان يعنيه
ذلك من محبة ديمقراطية تؤكد الطابع التقدمي
للتجربة الاجتماعية في مصر .

على أن القول بذلك فقط ، فيه اغفال شديد
لحقيقة الوضع . فالواقع أنه بينما كانت الثورة
المصرية التقدمية قد حققت انتجازات ضخمة في
الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٤ ، إلا أن قوى بقايا
القطاع واليمين والليبرالية وعناصر الطبقة
الجديدة ، ومركز القوة الضاغطة المثالي وقتها
في « القيادة العسكرية » ، كانت تدفع الحسرة
المصرية الى « مخنق » بلغ من العدة ، حديث
القيادة السياسية للثورة وقتها عمن
ضحيات « الثورة على الثورة » وأهمية « بناء
الحزب الاشتراكي » .

على أن ذلك كله ، بل وربما بسبب ذلك كله ،
شجع اسرائيل والاستعمار الجديد ، بقيادة
امريكا ، على التريص بالتجربة المصرية لاقتحام
الفرصة . وفي الداخل كانت بعض قوى الثورة
المساعدة من بقايا الاخوان المسلمين قد حملت
السلاح واختزنته بالفعل لمقاومة الحرية المصرية .
لما على الجانب السوري ، فقد كانت سوريا
تمر بانهاسات « تصحيح » وتغيير السوق
الناشئ عن حركة الانفصال . وصمت سوريا في
ذلك الوقت الى الاقتراب من مصر خلال « مناقشات
الوحدة » . ومات منذ ذلك الوقت الى اتخاذ عدد
من التغييرات السياسية والاقتصادية الهامة التي

الوقت الرابعة

الدول الرأسمالية الاستعمارية ، « لتتسح » ما بين مصالحها « الخاصة » ومصالح هذه الدولة الرأسمالية الأقوى .

في هذا الاطار ، توفرت الظروف الموضوعية ، لكي تتجسّد اسرائيل في بناء « علاقة خاصة » قوية بأمريكا ومساعدتها قسّى الشرق الأوسط . فإسرائيل ، لها مخططها الخاص بتوسيع حدودها وضم أراضي جديدة من جهة ، كما أن لها مصلحة في ضرب النظم التي تؤهلها سياستها لأن تقف في وجه المخطط الاسرائيلي « وأمريكا » لها مخططها الخاص لضرب النظم الوطنية في المنطقة بشكل عام حيث أنها تمرر استقرار المصالح الأمريكية وتثبيتها . والامم من ذلك ، ضرب النظم التقدمية التي تمثل بتجزئتها الاجتماعية ومساعدتها إلى تصفية نظام الاستغلال ، خوفاً من انتشار هذه « العدوى » . وحاولت أمريكا بأكبر من وسيلة « عزل » التجربة المصرية عن حدود « البحر المصري » - إذا جاز التعبير - تمهيداً لتصفيتها من الداخل ، إذا استطاعت ، أو ضربها إذا منحت الفرصة .

وهكذا التقى المخطط الاسرائيلي مع المخطط الأمريكي ، استراتيجياً ، والتقى تكتيقياً - على ضرورة التجربة المصرية بشكل خاص ونسباً - النظام التقدمي في سوريا في نفس الوقت .

وحتى عام ١٩٦٥ ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على دهم إسرائيل عسكرياً بطريق غير مباشر وأضمت في الاعتبار مصالحها الاقتصادية الضخمة في الشرق الأوسط ، ولكنها ، بعد أن كشفت حقيقة دور ألمانيا العربية كمورد للسلاح إلى إسرائيل لصالح أمريكا ، لم تجد الولايات المتحدة بداً من أن تظهر بنفسها مباشرة على مسرح الامدادات العسكرية لإسرائيل .

وقد ضاعف من جهود أمريكا في خدمة الاحتياجات العسكرية الحديثة والباطلة للكثافة لإسرائيل ، « المازق » الذي أخذ يبيت أمريكا بتورطها العسكري في « مستنقع » فيتنام . فعلى منتصف الستينات ، كانت أمريكا « تملأ » من مضاعفات عدوانها « المباشر » على شعب فيتنام ووصلت هذه الممانعة حد أن المجتمع الأمريكي قد أصبح نفسه مهدداً « بالتمزق » وتخلشت أمريكا صموده تكرار التجربة إذا دعت الحاجة في الشرق الأوسط . وكان الوجه الآخر لهذه الحقيقة ، هو أن تبارس إسرائيل البور الأمريكي « لتقنيها من مثل هذه المضاعفات وقد أجادت إسرائيل استثمار هذا

إعادت لها كثيراً من ملامح ونسبها الوطني التقدمي برغم كل مظاهر « صراع المجموعات » الذي ساد لفترة من الوقت .

وإذا كان مؤثر القمة العربي بدأ وصل إليه من قرارات « سرية » لم يحقق نتائج إيجابية ، مع تطور الأحداث في ذلك الوقت ، فإن مصر تد صاغت من خلال هذه التجربة مفهوماً صحيحاً لتصور احتياجات المواجهة التي كانت تراها « مؤكدة » مع إسرائيل . فقد حددت مصر مفهوم أن المواجهة ينبغي ألا يجرها العدو إليها وفق خطه هو ، بل أن تخلفها في « الوقت » و « المكان » اللذين تراهما مناسبين وفق ظروفها الذاتية والموضوعية .

إلا أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن قوى الاستعمار والرجعية ، اضطرت مصر - وهي محور حركة التحرر الوطني العربية - إلى الدخول في عدد من الصراعات بهدف إهلاك قوتها . على أنه من الضروري في هذا المجال أن نضيف أن دخول هذه الصراعات كان ضرورياً من جانب مصر بقدر مكان مفروضاً عليها وبرغم أليتها مضاعفات . نذكر في هذا المجال الممارك ضد التحالف المشبوهة ومعارك الين . الخ .

وعلى الرغم من أن شعار « وحدة الهدف » الذي رفعته مصر - من حق - في ذلك الوقت ، كان يطر على الفور البحث عن صياغات تطبيقية لوحدة القوى الثورية العربية ، وقد طرحها بالفعل ، إلا أن الجانب العملي الفعّال للسياسة المصرية العربية كان يتم على أساس مفهوم « وحدة الصف » ، مما كان له آثاراً سلبية على تحقيق الشعار السليم ، ظهرت نتائجها فيما بعد .

• • •

وعلى الجهة الأخرى من مقاريس الصراع العربي الإسرائيلي ، كانت إسرائيل تستمد مستفيدة من كل معطيات حرب ١٩٥٦ ، ففي ١٩٥٦ دخلت الحرب مع قوتين عالميتين كبيرتين : بريطانيا وفرنسا ، لكن ظروف عالم الستينات كانت قد اختلفت من ظروف عالم الخمسينات . ويهبطاً - في هذا المجال - التركيز على حقيقة أن بريطانيا وفرنسا قد خرجتا من حرب السويس ، من الصف الأول للدول الكبرى بشكل عام ، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة القيادية السائدة في صفوف دول الرأسمالية المالية .

ومن أبرز معالم السياسة الإسرائيلية ، أنها تسمى - دائماً - إلى الارتباط المصري - بإقوى

الاستنتاج ، على كُُل المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

أدت الى تفريغ كثير من قرارات القيادة السياسية من محتواها الثوري .

● وفي هذا الاطار ، كان هناك ثمة فجوة أو انفصال بين القيادة السياسية وتصوراتها ، وبين القيادة العسكرية التي سيطرت عليها آنذاك عناصر الليبرالية وابتداء الطبقة الجديدة . وقد شكلت هذه القيادة العسكرية وقتها « مركز قوة » ضاغط وكبير ، انفرد بشؤون المؤسسة العسكرية بعيدا عن رقابة ومتابعة الأجهزة السياسية وفي هذا المجال افتقدت البلاد وجود قيادة عسكرية قادرة على ترجمة قرارات القيادة السياسية ترجمة عسكرية فقد انشغلت هذه القيادة العسكرية بحماية امتيازاتها أكثر من التفكير في حماية الوطن والثورة .

في ظل هذه الأوضاع ، استجابت القيادة السياسية الى الاستفزازات العسكرية الإسرائيلية والاستفزازات السياسية الرجعية ، ووقعت في « الفخ » ، على أن أبرز خطأ في مجال تقدير الموقف السياسي ، هو تصور أن الولايات المتحدة يمكن أن تأخذ موقف « الحذر » الذي اتخذته في عام ١٩٥٦ من العدوان الثلاثي . ولغات هذا التصور أن « حذر » عام ١٩٥٦ الأمريكي كان مبعثه أن العدوان قد تم لاسباب بريطانيا وفرنسا . أما هذه المرة فهو يتم لاسباب مصالح مشتركة إسرائيلية أمريكية مباشرة . وهذا ما يفسر لنا الموقف الأمريكي من عدوان ١٩٦٧ .

حرب التحرير : ١٩٧٣

وإذا كان من الصعب تجنب « طيفان » المشاعر الوطنية عند الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فضلا عن أن أحداثها ما تزال تجري ، إلا أنه يمكن في نفس الوقت رصد عددا من الظروف الموضوعية السابقة والمحيطية بحرب التحرير الوطنية التي خاضها الجيش المصري تحت القيادة السياسية الوطنية للرئيس أنور السادات ، لتسجل في تاريخ حركة التحرر الوطني العربية واحدة من أروع وأشرق صفحاتها .

● أن هبة ٩ يونيو ١٩٦٧ للشعبية ، شكلت أساسا شعبيا لاستمرار نظام ثورة يوليو الوطني ، وفرت له هبة حسابات موقف الشعب من ضرورات وتضحيات مواجهة الهزيمة والتغلب عليها . والاهم في هذا الصدد ، أن « ٩ يونيو » كان يعني سياسيا : أن أي طرف خارجي أوداخلي يحاد

هكذا كانت الاطراف على جاتبي « المتاريس » تحرك أن المواجهة « حتمية » ولكن كل طرف كانت له اساليبه الخاصة في العمل وحساباته الخاصة في « التوقيت » على أنه بات وأخضا - كما أثبتت الاحداث فيما بعد - أن الجانب الإسرائيلي كان يعد العدة بأسرع مما كان الجانب العربي يعدها وهنا فرصد حقيقتها دلالتها الهامة الا وهي قيام موسى ديان بزيارة فينتان الجنوبية لثناء عمليات القتال لدراسة الاعمال العسكرية الأمريكية في مواجهة « حرب المصايد » ومعروف أنه في عام ١٩٦٥ تأسست منظمة « فتح » للبرقمة وبدأت نشاطها بالفعل وإن كان بالطبع نشاطا محدودا .

وتستطيع أن نقول أنه عندما قامت الحرب في ٥ يونيو ١٩٦٧ حين شنت إسرائيل عدوانها ، لم تكن مصر وهي القوة الرئيسية في القتال ، كما لم تكن سوريا ، في كل « ليلتهما » السياسية أو العسكرية ، فضلا عن أنهما لم يخارا الوقت بل اخترت إسرائيل وفرضته عن طريق مناورات الغارات الجوية المتكررة على سوريا وما أعقبها من حشد القوات الإسرائيلية على الحدود السورية ، على أن ما يلفت النظر هنا ، هو الحركة الشبهوية بتحرك كل عناصر الضغط السياسي التي تبنت ضد مصر للتشهير بها من خلال الحديث عن وضع قوات الطوارئ الدولية وخليج العقبة . ومن خلال العمل على جبهة « الضغط العسكري » على سوريا وجبهة « الضغط السياسي » على مصر ، أحكم نصب « الفخ » ،

لأمام عدم « اللياقة » السياسية على الجانب المصري فقد كان يمثل في الآثار انسلبية لمدة حوامل لمل أهمها :

● بينما كانت قوى الثورة وقيادتها ، تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، ظلت قيادات المؤسسات الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، تنسب في غالبيتها الى بعض قوى التحالف وفئات من الطبقة الجديدة التي لم تكن مقتنعة بالاشتراكية ولا متحمسة للدفاع عن التحول الاشتراكي ولا معنية بانجازه .

● بينما كانت بعض الاحداث في الداخل ، تعبر عن عمق الصراع الاجتماعي ، إلا أن معالجة هذه الاحداث تم من خلال عمليات ادارية علوية ،

الحزب الوابغة

● وفي سوريا ، قوصلت القوى الوطنية والتقدمية فيها الى صياغة « الجبهة الوطنية التقدمية » التي حققت بها وحدة نصف الوطن .

● فى خلال الفترة من حرب ١٩٦٧ الى حرب ١٩٧٢ ، اُضاف انتصار الثورة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وفى الجمهورية العربية الليبية ، اُضاف الى مسار حركة التحرر الوطنى العربية والى عملية « المواجهة مع العدو » ، جهدا جديدا واحتياطيا لازما .

● أمكن تدارك ومحاصرة مضاعفات « سوء التفاهم » فى مجال الصداقة العربية السوفيتية ، بحيث استعادت فعاليتها اللازمة لخوض حرب التحرير . وفى هذا المجال كان التعبير ذا الدلالة السياسية العميقة الذى قاله الرئيس أنور السادات « لقد عبرنا القناة بأسلحة سوفيتية » .

● وفى المجال الدولى ، كان الانتصار العظيم لشعب فيتنام قد تحقق - وكانت قيمته السياسية والعسكرية بالنسبة لنا - على كل المستويات - ان الإرادة الوطنية للشعوب النامية لا يمكن أن تقهر ، بل لابد وأن تنتصر حتى على أقوى القوى الاستعمارية العسكرية : أمريكا .

● وفى المجال الدولى أيضا ، كان لانتصار أفكار التمايش السلسى وواقع الانفراج الدولى ، آثارهما الإيجابية فى الاستفادة من حقيقة أن الانفراج الدولى يحول دون كثير من أخطار التدخل العسكرى الأمريكى المباشر . وعلى الرغم من كل عمليات الامداد العسكرى الذى قدمتها أمريكا لاسرائيل ، الا أن واقع الانفراج الدولى ، حال دون أن تترجم أمريكا ما دار فى خيال نيكسون حين تحدث عن احتمالات التدخل على نمط « أزمة لبنان ٥٨ » و « أزمة الأردن ١٩٧٠ » ، حال دون ترجمته الى واقع على يتدخل مباشر .

● وفى المجال الدولى كذلك ، أمكن من خندق الجهود السياسية الكبيرة التى بذلت فى المؤتمرات الدولية ، أمكن تحقيق كثير من « حصائر الميزة » السياسية لاسرائيل فى دوائر الرأى العام العالمى .

على أى حال كانت هذه أبرز معالم أوضاع الجانب العربى فى الحرب مع اسرائيل - وهى فى نفس الوقت ، معالم « الألياقة » الجديدة التى ألزمت رد العدوان الاسرائيلى فى ٦ أكتوبر وخوض حرب تحرير الارض المحتلة .

لنظام ثورة يوليو ، عليه أن يواجه النظام والشارح ، معاً ، والمطالبة هذه الحقيقة آثارها الإيجابية الهائلة والحيوية بالقطع فى حسابات عمل القيادة السياسية الوطنية المبتدة من جمال عبد الناصر الى أنور السادات ، من أجل التغلب على الهزيمة .

● أن القيادة السياسية ومعها القيادة العسكرية الجديدة ، قد بذلا جهدا خارقا للغاية فى عملية إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بكثافة ضخمة على مستوى السلاح واستيعاب السلاح بالتدريبات الشاقة الضرورية . وفى هذا المجال أدت خطوة « تطعيم قاعدة القوات انسلاحة المصرية بالمناصر الشابنة من خريجي الجامعات ، الى اخذال كثير من الوقت فى عمليات التدريب واستيعاب السلاح الحديث . وفى هذا المجال أيضا ، لابد من رصد حقيقة أن الجيش المصرى استطاع أن يتجاوز كل عمليات التشكيك التى حاولتها الدوافع الاستعمارية والرجعية ، سواء فى ممرسته الحقيقية أو فى قيمة السلاح الذى بين يديه .

● أن الرئيس أنور السادات قد حرص بوضوح ، عشية الحرب ٥٥ ، فى خطبه أمام مجلس الشعب واللجنة المركزية لاتحاد الاشتراكيين ، على تأكيد أهداف التجربة المصرية لبناء الاشتراكية ، وقضى بذلك على كل محاولات البلبلة التى جرت فى هذا المجال . ولهذه المسألة اعتباراتها الهامة على صسلاحيات الجبهة الداخلية .

● أن الرئيس أنور السادات قد حرص أيضا ، عشية الحرب على اتخاذ قرارات هامة فى مجال الوحدة الوطنية بعودة الصحفيين المصريين ومسحب قضائيا الطلبة من أمام المحاكم . وكان لذلك نتيجته الإيجابية على وحدة الصف الوطنى : الوصافة الاساسية للجبهة الداخلية .

● أن الرعى العام فى مصر كان قد بلغ شوطا كبيرا فى ادراك كثير من السلبات التى أدت الى تكمسة يونيو ١٩٦٧ . أيقظ هذا الرعى وساهم فيه حركة النقد التى أعربت الهزيمة - بهدف تخطى السلبات وتجاوزها .

● استطاعت القيادة الوطنية المصرية ، بجهد شاق وضخم ، ان توفر حدا اذنى من وحدة الصف العربى ، فى اطار مفهوم يميل على ثلاث جهات : التمسيق أو العمل المشترك أو العمل الموحد .

سلاح البترول

في الحرب الرابعة

د. محمد أحمد عجلان

أن يستخدم فيها العرب كل سلاح لديهم ، بل وكل ما يمكن أن يكون سلاحا .
ولأن ذلك إيمان قد تعمق في ضمير الشعوب العربية ، ولأن البترول سلاح قائم وجاهز للاستعمال ، فقد أصبح مستحila أن تقعد بالعرب وقياداتهم أى اعتبارات عن استعماله .
ولقد قرر وزراء البترول العرب في ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ خفض الإنتاج من البترول فوراً بعد أنى ٥ في المائة تزداد بنسبة ٥ في المائة أخرى كل شهر إلى أن يتم الجلاء عن الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني . كما تقرر أن يطبق هذا الخفض على أمريكا في المقام الأول ، وعلى الدول الصناعية الأخرى التي تساند إسرائيل ، وتقرر أيضا أن تمنح الدول الصديقة للعرب معاملة خاصة تمكنها من الحصول على تصديرها الصالحى من البترول العربى [١] .

تدور على الجبهة المصرية والجبهة السورية حرب ليست من أجل مساحات من الأرض احتلتها إسرائيل في ١٩٦٧ ، ولكنها - في البعد الحقيقى - حرب مصير للشعوب العربية كلها . ليس ذلك من باب المبالغة أو إثارة الحماس ولكنها حقيقة واقعة مهما صورها البعض على مستوى أقل أو حاول احتوائها بتحديد أهداف ضيقة لها . وبالنسبة لما كانت النتيجة نصرا يفتح الطريق إلى معركة أكبر ، معنى معركة التحرير العربى الكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، كما معنى معركة تحدى التخلف والانطلاق إلى آفاق حضارة القرن العشرين . وأما - لا قدر الله - هزيمة تبقى على الشعوب العربية أسيرة الاستعمار في أسوأ صوره استغلالا ، واستيطانا ، ومهانة ، ودلا بمستوى العبودية .

ولأننا معركة بهذه الصورة ، فقد صار واجبا

القراب الرابعة

يملكه ، له إيماده الاقتصادية والمسابية العسكرية ، وله قدراته المتعددة في كل منها . وتكفي حقيقة أنه هو الذي يدفع بدم الحياة في الكيانات الانتاجية لكل أوروبا الغربية واليابان بما لا يقل عن ٦٠ في المائة من احتياجات الأولى ، ٨٠ في المائة من احتياجات الثانية ، أن ابتناعه عن هذه البلاد كغليل بأن يحول مصانعها بل ومبانيها الى كتل خرساء لا قيمة لها ، وأن يحول أسلحتها الى قطع من الحديد يبليلها الصدا ولا تستطيع هي لاحد بلاه . ذلك شأن معظم العالم الغربي الاستعماري . وتبين القياسات العلمية على أن الدول التي لا تعتمد اليوم بدرجة كبيرة على البترول العربي - مثل أمريكا - إنما هي بسبيلها الى نفس الوضع في وقت لا يعدو نهاية السبعينات من القرن الحالي حيث يكون الشرق الاوسط وشمال افريقيا هما تقريبا المصدرين الوحيديين لحركة البترول التجارية المالية .

وسلاح على هذا القدر من الإميه يجب أن يستختم دون انفعال يشعن بالطلقة التي تصيب ، وبالعبوة التي تتلاطم مع الهدف .

ولهذا فهو لابد أن يخضع في استخدامه لعدد من الاعتبارات الأساسية التي يمكن أن نجملها في :

- البعد الحقيقي للمعركة العسكرية الحالية .
- الفهم الكامل باوضاع وقدرات السلاح في الحال والاستقبال .

- استراتيجيه محددة لاصحاب السلاح .
استخدام تكتيكي في نفس الاتجاه الذي تفرسه الاستراتيجية البعيدة .

- ما يمكن أن يستخذه العدو من أسلحة أو تكتيك أو مناورة لأشغال الغاية من استخدام السلاح .

وإذا كنا قد أجملنا هذه الاعتبارات فلا بد من بعض التفصيل حول كل منها للانكاف بسدائها الفعلي .

البعد الحقيقي للمعركة الحالية

ان هذه المعركة على ضراوتها الشديدة ، وأهميتها الفائقة ، وعلى أعلنا أن تنتهي بالنصر ، وعودة إسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، وأقرار حق شعب فلسطين في تقرير المصير ، فإنها رغم هذا كله ليست إلا حلقة في سلسلة طويلة من المعارك العسكرية بدأت منذ وجود إسرائيل ، وفي سلسلة أطول من المعارك السياسية والاقتصادية بدأت منذ سيطرة الاستعمار على بلادنا العربية ، ولن تنتهي

ولعل أهم ظاهرة في هذا القرار ، والجديد فيه فعلا ، أنه قد تم على مستوى الحكومات وأنه قد وضع موضع التنفيذ . لقد قررت الحكومات ذات مرة في بلودان عام ١٩٤٦ أن تحرم الدول التي تساعد على قيام الكيان الصهيوني من البترول العربي ، ولكن بسبب تكوص أحد الدول عن التنفيذ لم يتح للقرار أن يرى النور ، حتى والقتال محتدم على أرض فلسطين . وفي ١٩٥٦ تم تطلع البترول بالفصل وعانت أوروبا شهورا من القسط فيه ، ولكن كان ذلك من عمل العمال العرب وليس الحكومات . وفي ١٩٦٧ حاول العمال العرب مرة أخرى قطعه عن التدفق ، ولكن لم يدم ذلك سوى أيام محدودة فقط وكان نصيب البمض الاعدام في أحد البلاد . وأن يتم اليوم اتخاذ اجراء ما في شأن البترول ، وعلى مستوى الحكومات ، وأن يتفد . . فذلك ما يدل على أن الضغط الشعبي - نتيجة لعدد من العوامل والاسباب - قد ارتفع الى حد لم يعد يمكن منه أن تهمله أو أن تتغاضى عنه الحكومات ، وأن موقف هذه الأخيرة - نتيجة لبمض العوامل والاسباب مرة أخرى - قد حدث له تحول بمض الشيء . ان الانتقال - على المستوى العربي والحكومي بالذات - من مستوى مجرد رفع الشعارات واصدار التصريحات الى مستوى القرار ، وتنفيذ القرار ، ظاهرة جديدة يجب أن توضع في اعتبار العمل الثوري العربي مهما كان الرأي فيه سلبيا أو ايجابيا .

وقد يكون القرار الذي اتخذ أضعف مما كان يريد الكثيرون ، كما قد يكون مقبلة لخطوات أخرى فيما يرجو كثيرون كذلك . ولهذا يصبح من الضروري أن تستمر دراسنا للبترول كتقوة اقتصادية وكسلاح حتى تكون خطواننا أصدق ما يمكن في أنارها ، وأقدر ما يمكن على الوصول الى أهدافها .

ان الممارك الصالية تثبت بجلاه أن المهم ليس وجود السلاح فحسب ، بل مدى تحكم المعرفة العلمية في استخدام السلاح . وتثبت كذلك أن المالمبة المعصية لأي موقف لا تنجح في تحقيق الهدف ، قدر ما يقل ذلك الحساب الملمى الهادي ، وقياس مدى قوة الاضداد ، ورسم خطة للمركة في الميدان ، سواء في ذلك ميدان السياسة والاقتصاد أو ميدان الحرب والاقتال .

الاعتبارات الأساسية في

استخدام البترول سلاحا

ان البترول قد تطور في العصر الحديث وحتى نهاية القرن الحالي الى أن يكون سلاحا ضخما لن

● وأنه يمثل ثلثا الحركة التجارية العالمية فالكثير مما يستخرج في البلاد الأخرى يستهلك في داخلها .

● وأن احتياطياته تمثل ثلثي احتياطيات العالم من هذه المادة الأساسية .

وأنه بسبب ضخامة هذه الاحتياطيات والارتفاع المستمر في الاستهلاك ، وضيق النضوب لعدد من المصادر الحالية سوف يكون البترول العربي مسئولا عن أكثر من ٩٠ في المائة من حركة البترول التجارية العالمية قرب نهاية السبعينات .

● وأن أوروبا الغربية واليابان تعتمدان على البترول العربي اعتمادا شديدا كإعتبارا من الآن بينما أن أمريكا لا تحتاج منه لأكثر من ٨٠ - ٨ في المائة من استهلاكها سوف ترتفع إلى حوالي النصف في ١٩٨٠ ، وإلى ما يقرب من ٧٠ في المائة في ١٩٨٥ .

وأن أهميته كمصدر للطاقة في البلاد العربية مجتمة تنخفض إلى حوالي ١٠ في المائة مما يستخرج توجد في المنطقة محامل التكرير ووسائل النقل التي يمكن أن توفر حركة داخلية عربية لها .

ومن زاوية المصالح المرتبطة به :

نجد أن الشركات الأمريكية مازالت تسيطر حتى الآن على ما لا يقل عن ٦٠ في المائة من إجمالي المستخرج .

● وأن عوائدنا من الاستخراج وحده بحيث تعرض لها كل الرأسمال المستثمر في هذه المرحلة وحدها في عامين تقريبا .

● وأن الشركات الأمريكية هذه - سواء الكبرى الاحتكارية أو ما تسمى بالمتقلبة منها - تسيطر على حوالي ٦٠ في المائة من طاقة التكرير في العالم ، كما تملك ما لا يقل عن ٢٠ في المائة من أسطول نقل البترول العالمي وتستاجر لحسابها نصف الأسطول الباقي تقريبا . ذلك بالإضافة إلى انتشار مراكز التوزيع التابعة لها في جميع أرجاء المعمورة .

● وأن أرباح الشركات من هذه العمليات التالية تفوق مرار عديدة أرباحها من مرحلة الاستخراج التي تشاركها نحن العرب في أرباحها ، ولا صلة لنا تقريبا بما بعد ذلك من عمليات .

● وأن الأرباح تزداد تضاعفا بما ينتج بفضل البترول العربي من بتروليكيويات .

في صورتها المختلفة هذه إلا باستخلاص حريتنا كاملة من بين يرائه . إن الأرضية الاصيلية للصراع العربي الإسرائيلي هي أرضية التناقض المستمر - والذي يزداد حدة مع مرور الوقت - بين الشعوب العربية الراغبة في التحرر الوطني السياسي والاجتماعي والاقتصادي وبين الاستعمار الرأغب في السيطرة وفي مواصلة استغلال العرب جميعا . إن الشعوب العربية رغم أي تناقضات هنا وهناك ، ورغم مواقف بعض الدوائر مخرطة في عملية تاريخية واحدة هي حركة التحرير العربية أو هي الثورة العربية الشاملة .

إن المعركة الحالية صورة واحدة فحسب من صور حركة الجماهير العربية لا لمجرد استخلاص أرض أو رفح راية ، بل للخلاص من الخلف نحو التمدد ، واستخلاص كل من العصرية والارادة كاتجاهات للحركة والثروة كدعامات رئيسية لتحقيق هذا الهدف الذي تقضوي تحته كل الأهداف .

وهذا بالذات هو نوع الحركة التي يعادها الاستثمار بكل الوسائل ، ومن بينها أن يقيم إسرائيل وأن يدفعها بين العين والآخر لضربها وكسر شوكتها وتصفيها حتى لا تصيب مصالح الاستثمار بالدمار والتصفية .

فالمعركة الحالية إذن جزء من معركة أخرى أكبر وأطول مدى ، طرأها الاستثمار من ناحية والشعوب العربية من ناحية أخرى . هدف الأول استمرار استنزاف الثروة العربية ، وهدف العرب استخلاصها لإقامة مجتمع على الأقل غير متخلف ، يستعمل الأول إسرائيل - من بين ما يستعمل من أسلحة - للبقاء على هدفه ، ويسمى العرب لشل هذا السلاح عن العمل . وعليهم من أجل أهدافهم أن يستعملوا أسلحتهم كلهم في معركة طويلة مادام هناك استعمار على الأرض العربية .

أوضاع وهدرات سلاح البترول

وقد يكون الأمر هنا من الضخامة بحيث لا يمكن أن توفيه بضع سطور أو صفحات من هذا المقال ، ويجب في شأنه أن نقصر على عدد من النقاط الرئيسية التي يمكن أن تملأ بعض التقدير لكل من الأوضاع التي تحيط بالبترول العربي وبالقرارات التي له .

فمن زاوية الأهمية نرجو أن نتذكر دائما :

● أن البترول العربي المستخرج الآن يمثل ما يقرب من ٤ في المائة من كل البترول المستخرج في العالم .

القرب الرابع

بتبادل الكميات فيما بينها اذا حدث عجز في توريد أحدها .

● وأن أمريكا تسمى جاهدة منذ بعض الوقت لإيجاد تكتل للدول المستهلكة يقف في وجه أي اتجاهات للدول المنتجة لرفع الاسعار أو خفض الانتاج أو غيرها من الاجراءات التي تستهدف بها مصالحها الخاص .

● وأن دول العالم الثالث تنحى الى الاخرى من سيطرة الشركات الاحتكارية ، وتسمى جاهدة كليا كانت لديها القدرة - سياسيا واقتصاديا - على ذلك الى الارتباط المباشر بالدول المستهلكة .

● وأن الشركات الاحتكارية قد عرضت أخيرا - وقبلت بعض الدول العربية بذلك - بمبدأ : المشاركة في رأسمال الشركات - في مرحلة الاستخراج وحدها - بشروط استهدفت استنزاف قدر من الموائد العربية ، وسط فترة المشاركة سنوات طويلة ، وفي النهاية إيجاد واجهة وطنية تتكفل بالصدى لاي ضغوط شعبية من أجل اجراءات ثورية .

● وأن المصالح البترولية الاميركية قد انتهت تماما من العراق بعد تأميم ما بقي منها في ٧ أكتوبر الماضي على اثر نشوب القتال ، وأن هذه المصالح قد تقلصت الى حد كبير في الجزائر وانخفضت الى النصف على الأقل في ليبيا ، ومن ثم صار القدر الاكبر منها في الكويت والسعودية ومنطقة الخليج العربي .

ويرتبط بالعوامل المحيطة بالبترول العربي موقف الارصدات المالية المقلدة أساسا عنه وحركة التجارة بين أمريكا والبلاد العربية . وفي هذا الشأن يصح أن نتذكر دائما :

● أن الارصدات العربية قد تضخمت كراسمال معطل - على العرب - في بنوك أمريكا وأوروبا ، بينما تدعم هذه الدول بها اقتصادياتها وتستثمرها ،

● وأنه بسبب هذه الارصدات المرتفعة ، فإن الدول العربية لا تحافظ على انتاجها من البترول بهدف الحصول على المال ، بل تستثمر في ضخ البترول ضامنا لاستقرار رفاهية المجتمع الدولي في المقام الاول . وأنه أن كانت الدول العربية تمتطع بهذه الارصدات أن تقيم الحياة على أرضها سنوات فإن انقطاع البترول شهرا فحسب يمكن أن يقضى على تلك الدول .

● بل أن هذه الارصدات وهي حبيسة البنوك الاجنبية تتضائل قيمتها باستمرار تخفيض

● وإته في تقدير أحد كبار الاقتصاديين الحاليين بينما يذهب حوالي ١٦ في المائة من ثمن البترول المساهم في التجارة المالية الى أصحابه فإن الباقي كله يذهب الى دوائر في البلاد المستهلكة .

ومن ثم تكون المصالح البترولية الاميركية - وهي التي تعيننا عن غيرها الآن بحكم موقف أزمة الشرق الاوسط في المرحلة الحالية - تكمن ليس في ما تعتمد عليه من بترولنا العربي لتسيير عجلتها الانتاجية - فهو لا يزيد عن ٨ في المائة يمكنها الحصول عليها من ايران أو نيجيريا بل ومن دول أوروبا ذاتها - بل في أنها بتحكمها في القدر الاكبر من هذا البترول تدبر بها عملية تجارية ضخمة بين البلاد المنتجة والبلاد المستهلكة تحصل على الأرباح فيها من خلال العمليات المقلدة التي تدخلها صناعة البترول ، وفي الرأسمال الذي تستثمره في المنطقة .

ويجب أن نضيف هنا في زاوية المصالح المرتبطة بالبترول العربي عددا آخر من الحقائق هي :

● أن الدول العربية التي كانت الى عهد قريب تعتمد اعتمادا كاملا أو كبيرا على دخل البترول قد توفرت لدى كل منها من الارصدات المالية ما يكفي إنفاقها لسنوات طويلة قادمة .

● وأن هذه العائدات قد تزايدت بفضل رفع نصيب الدول المنتجة الذي تم بعد عام ١٩٧١ ، والذي كانت أزمة الشرق الاوسط والتهديد بانفجار المنطقة هو العامل الرئيس في قبول الشركات الاحتكارية لهذا الرفع .

● وأن الدول المستهلكة للبترول العربي - وهي على الاخص أوروبا الغربية واليابان - تبدى تلميحا كبيرا من السيطرة الوسيطة لشركات الاميركية الاحتكارية على تجارة البترول ، وسعت خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة الى أن توجد لشركاتها موضع قدم في البترول العربي وبشروط أكثر سخاء . وحقيقة أن الثروة التي بالمنطقة تسيل لعاب كل هذه الدوائر - وهي استثمارية حتى المظم من اجسامها - ولكنه تتناقض بين الاستعماريين يجب أن نضعه في حسابنا .

ومن زاوية عوامل ترتبط به :

● أن المخزون منه على سطح الارض لن يزيد عن استهلاك ثلاثة شهور في المتوسط .

● وأن هناك ارتباطا بين الدول المستهلكة

السلات المودعة بها بحيث قد خسرت في العامين الاخيرين ثلاثة أمثال كل الدم الذي قدمته الدول العربية لدول المواجهة .

● ويعتبر بالقالى أن ما تتكلف أمريكا سنويا لدعم الكيان الإسرائيلي قدراً متضائلاً أمام أجمالى العوائد لها من البترول بعملياته المختلفة وما تعود به الأرصدة المالية عليها ، بحيث لا تفرج هذه التكلفة عن كونها أجراً مناسباً لصاية هذا المخل الكبير .

● وأن استخدام الأرصدة في البلاد العربية يمكن أن يدر عوائد مجزية بفضل كون المنطقة أرضاً لم تتطور بعد وامكانيات الاستثمار فيها كبيرة .

● وأن البترول فوق كل شيء ثروة موقوتة سوف تنضب أو تقل قيمتها بنهاية هذا القرن ، ويجب لاستمرار الحياة على الأرض العربية أن يكون هناك بديل له قادر ، على اعاضة هذه الملايين العربية .

● وأنه رغم عوائد البترول التى يشار الى ضخامتها فإن مستوى المعيشة في المجتمع العربى مازال متدنياً الى الحد الذى يثير الضول . بل نضيف الى ذلك أنه لا يوجد مثال واحد في العالم لدولة قد أثرت نتيجة بيع خاماتها بحسب ، وأن الأرصدة العربية الموجودة حتى الآن أضف من أن توفى بالمطلوب لأقامة تنمية بمستوى القرن العشرين على أرض المنطقة .

● وأن البترول يمكن ويجب أن يكون دافعا للتنمية في قطاهه بمراحله المختلفة ومن ثم مغنوا لنشاط اقتصادى واسع في كل الاقتصاد الوطنى والقومى .

ويجب أن نضيف الى كل ما سبق حقيقة :

● أن العلاقات التجارية بين البلاد العربية هامة وأمريكا هي تزايدت مستر منذ ١٩٦٧ بحيث تبلغ الف مليون دولار معظمها من بضائع ومواد استهلاكية .

ذلك عن الاوضاع المحيطة بالبترول العربى ، وما يعود على الاطراف المختلفة التى ترتبط به . ويبقى سؤال آخر :

وماذا عن قدراته ؟

انه يحكم هذه الشبكة الواسعة من العلاقات التى يثيرها البترول بعملياته المختلفة فى الاستخراج والتكرير والنقل وصناعة البتروكيماويات ، ويحكم كونه اضخم عملية

تجارية في العالم لا توازيها حركة المواد الغذائية مثلا فان قدراته تتعدد وتنشعب قدر تعدد علاقاتها وتنشعبها .

وتبدأ قدراته من مرحلة البحث عنه ومن الذى يعطى الترخيص به هل الشركات الاحتكارية ام المستقلة ام الجانب الوطنى سواء بقدراته الخاصة ، أو في صورة عقود للمقاولة تقوم بها شركات متخصصة تسمى عديدة ، منها الشرقى ومنها الغربى ومنها ما يتبع مضم دول العالم الثالث - ثم ترحل حين ينتهى البحث ايجابيا أو سلبا .

واذا تحقق وجود البترول ، فمن الذى يقوم باستغلاله ، وبأى شروط ، ولأى زمن ، ومدى سيطرة الجانب الوطنى على العملية كلها .

واذا تم الاستخراج فبأى سعر يباع ، وأى النقد يكون ثمنا له ، وأين تذهب عوائد الجانب غير الوطنى ، وكمن منها يصرح بخروجه . . الخ . .

واذا استخرج البترول فهل يباع خاما ام تقام الامكانيات لتكريره وتبعا الوسائل الوطنية لنقله ، وكيف يدخل ضمن شبكة اقتصاد وطنى أو قومى متكامل ، وكيف يستغل لتهيئة نشاط اقتصادى دائم ، وكيف يتزايد الاستهلاك الذاتى منه بمعدل يدل على تقدم التنمية .

واذا بيع البترول سواء كان خاما أو مكثرا فكم النسبة من كل منهما ، ولأن يباع ، وبأى الكميات ، وهل لمستهلك مباشر أو لوسيط مطلق ، ومن الذى يقوم بتكريره ونقله الى آخر سلسلة العمليات البترولية .

انها جميعا وغيرها عديد ، قدرات البترول ، ولكن يتوقف تحديد أيها لتج في وقت ما أو في أزمة ما حسب عاملين أساسيين أولهما الاستراتيجية العامة في شأن البترول ومستقبل أصحابها ، والثانى المعطيات الموضوعية ساعة التصديق لأخذ قرار تكتيكى يتلاءم مع مرحلة ضمن الخط الاستراتيجى العام .

الاستراتيجيات من حول

البترول العربى

لقد كانت الاستراتيجية الاستعمارية عامت منذ بداية القرن ، والإمبريكية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية تنقل في ضرورة استمرار السيطرة على منابع البترول العربى وتدفعه بين أيديها تجنى أرباحه استخراجا وتقيم عليه ومن حوله حركة تجارية تتحكم بها في مصالح العالم بأسره .

للتخفيض المستمر وغيرها من الحقائق تؤكد أن الاستراتيجية العربية يجب أن تكون :

« استثمار الثروة الموقوتة في تنمية شاملة في كافة المجالات على المستوى الوطني والقومي ، تهوية الإمكانية لاستمرار الحياة بمستوى مقامي لإبناء المنطقة ، وفي تعاون بناء لا استقلال فيه مع الإنسانية العالمية » .

ولكن ذلك بالفعل هو المضمون العميق لحركة الثورة العربية التي سبق أن قورنا أنه ما يحرص الاستعمار على ألا يحدث ، وأنه في حركتنا نحو هذا الهدف لابد من تضخم برغبة الاستعمار في إبقاء سيطرته على المنطقة لاستغلال هذه الثرواقتصاديه ، وحرمان اصحابها من معظم أو كل إمكاناتها .

ومن ثم تصبح الخطوة الأساسية الأولى هي ضرورة استخلاص الثروة من يد الإعداء ، وتحرير الإرادة العربية في استقلالها .

ويكون التاجيم هو الحل الوحيد الصالح في هذا الاتجاه .

ولأن تحكم طرف أو عدد من الأطراف في حركة البترول العالمية يمكن أن يشكل ضغطا في سوق البترول وتصريفه ، كما أنه سوف يظل يجهس الأرباح الأكبر إذا ما ظلت مراحل البترول بين يديه ، هذا بينما تسعى عوائد بيع الخام وحده من أحداث التنمية المطلوبة . ولأن البترول كمصدر للطاقة وكمحور للتنمية يجب أن يلعب دوره في عملية التنمية المطلوبة ، فإن ذلك لا يمكن أن يتحقق هو الآخر إلا باتباع سياسات محددة هي :

— كسر الطوق من حول البترول العربي بالسعي الدائم والدائب لإيجاد الصلة المباشرة بين المنتج والمستهلك وأخراج الوسيط خارج دائرة التعامل .

وسوف تمثل هذه السياسة بالذات اتجاه الحركة الرئيس في معركة البترول الطويلة .

— دفع النشاط البترولي في البلاد العربية وراء حدود الاستخراج إلى كل العمليات المكملة ، في تعاون متكامل وتخطيط مشترك بين البلاد العربية يتيح الاستثمار حيث يمكن أن يأتي أفضل ثماره .

— استخدام الارصدة العربية لبدء هذه التنمية على الفور .

— الانفتاح الكامل تجاريا على كل بلاد العالم بمحدد أساسي هو زيادة العلاقة مع تلك الدول التي تساعد من ناحية على كسر الطوق الاستعماري حول البترول ، وتساوهم بأكبر قدر في مجالات التنمية المطلوبة .

وان تتبعنا لتاريخ المنطقة وسياسة الاستعمار فيها لتمتلئ الامثلة عديدة وممتلئة من أجل تحقيق ذلك . فتنقسم المنطقة الى دويلات ، وتشجيع اقامة ما يمكن ان نسميه الدولة الحقل أو الحقل الدولة على شواطئ الخليج ، وإثارة الحساسيات والمنازعات بين الدول العربية ، واشياحة القواعد في وقت من الاوقات فيه ، والآن من حوله كاملا ، وغيرها العديد من السياسات ليدل في وضوح على استمرار تلك السياسة .

وليس غريبا أنه حين تتضج الحركة الوطنية العربية بعد الحرب الثانية ، ويعلو فيها شعار بترول العرب للعرب على سبيل المثال ، ان تقام اسرائيل عنقود لتكون اليد القوية في المنطقة . كما أنه ليس غريبا حين تملو دعوة القومية العربية ، وحين تقوم بعض النظم التقدمية هنا وهناك ان تكشف امريكا عن الوجه اللقيح بالاساندة العلنية للوقحة لاسرائيل وأن تساعد كل اتجاهاتها العدوانية لأرهاب العرب اجمعين ولعلز النظم التقدمية عن انتشار اثرها على المنطقة وتستهلك قواها في الحرب بدلا من أن تكتل جهودها لإعطاء أمثلة من مجتمعات متقدمة لتحكم في ثرواتها وتنميتها فتكون مثلا لا لغربها من إبناء المنطقة .

وليس غريبا إذ تتعاطف الحركة الوطنية والقومية العربية بعد النكسة وتأخذ تمبيرها في ارتفاع الصيحة ضد المصالح الامريكية الى حد تأميم قدر منها في الجزائر ، ومضايقتها في ليبيا ، وتأميمها كاملا في العراق . . . ليس غريبا بعد هذا أن يحاول الاستعمار من طريق المشاركة أن يحاول تطبيق شعار « فتحة الحرب » في مجال البترول وفي البلاد العربية لمواجهة الحركة الشورية العربية بقوى أخرى عربية مشاركة في رأس المال تتولى هي كبح جماح الثورة أو كبتها .

الاستعمار ذو الاستراتيجية واضحة ويخطط حركته دائما لتحقيقها ولا يفقد الاتجاه في السير قدما نحوها . وهذا بالضبط هو ما يفتقده العرب في شأن البترول .

فماذا يمكن — بل ويجب — أن تكون عليه الاستراتيجية العربية في شأن البترول ؟

ان عددا من الحقائق التي سبق ذكرها من كون البترول ثروة موقوتة بحدود القرن الحالي ، ومن تدنى مستوى الحياة العربية الى ما لا يليق بالثروة أو بالقرن العشرين ، ومن وجود الإمكانات الواسعة للاستثمار في الوطن العربي ، ومن أن الارصدة العربية في خسائر المنطقة عرضة

طويلة نسبياً ، كما أنه أمر مضمون حدوث اذا ما خاف الخفض بنسبة لا تقل عن ٢٥ في المائة ، ان أن الخفض بأقل من هذه النسبة يتيح للأثار أن تتبدد شهرياً تصل الى العام حتى تردو على أسس الترميم من المصادر غير العربية وهى كثيرة - وان كانت امكانيات زيادتها محدودة *

وتستطيع الدوائر الاستعمارية ان تفرقل بتسويق بتقول أى دولة تتخذ فى شأن البترول موقفاً منفرداً كالتاميم * ولكنه اذا ما صبح العزم بعدد من الدول تتمتع بنسبة معقولة من الانتاج الصالى منى التاميم ومدعومة بالرخما - او بالضغط - من عدد آخر من الدول حتى لا يرتفع انتاجها بما يعرض اللد المزم * فلن تستطيع أى قوة ان تستمر فى العرلة لدة طويلة وعليها أن ترضخ *

فالتاميم اذن ليس بالضرورة ان يتم من مجموع الدول العربية - اذا لم تكن بعضها ترغب ذلك او تستطيع - ولكنه يجب ان يتم من جانب مجموعة منها ، وان تدعمه الاخرى ، مادياً من ناحية ، وبالتسيق الانتاج من ناحية اخرى *

وماذا يملك الاستثمار ازاء التاميم ؟ لقد اثبتت تاميمات الجزائر والعراق ، وموقف ليبيا الاخير من المشاركة ان الاستثمار لا يملك الكثير وانه لابد فى النهاية ان يرضخ *

والواقع - وهذا ما يجب ان نؤكد عليه - ان الاستثمار لن يمارض التاميم بشدة مسادمت سيطرته على الحركة التجارية البترولية العالية هائلة * ان الدراسة اثبتت ان ارباحه الاكبر تاتى من العمليات اللاحقة للاستخراج والتي يسيطر على الجانب الاكبر منها فى العالم * ومسادم البترول المزم سيأخذ طريقه اليه ، فن تتشأ ارباحه كثيراً ، بل انه يستطيع ان يوصها بمحدد من الوسائل فى السوق العالمية *

ان الحاجة الماسة للبترول العربى من ناحية ، وعدم مماس التاميم لقدر كبير من ارباح الاستثمار يجعلانه لا يملك الكثير ازاءه *

ولكن التاميم بالذات ، والتاميم وحده ، هو نقطة الانطلاق من جانب الغرب لكسر الطوق الاستعماري وامكان تحقيق التنمية والسير قدما لتحقيق الاستراتيجية العربية الطويلة المدى *

ويقال بتهديدات باهتلال المنطقة لخصمان استمرار تحفك البترول * ويحمل البعض هذا التهديد محمل الجد على أنه أمر على ويؤدى الى

هذه فى اعتقادنا ما يجب ان تكون عليه الاستراتيجية العربية فى أمر البترول * وكونها استراتيجية فانها تعنى ان تكون الهدف البعيد الذى تتجه الخطوات دائماً نحوه ، والا تتحرف أى منها عن طريق الوصول اليه ، وان يكون هو المحصلة الرئيسية والتجميع النهائى للسياسات والاجراءات التى تتخذ فى المراحل او المواقف المختلفة *

وماذا يملك الطرف الآخر

ازاء البترول العربى ؟

الثابت حتى الان ان العالم لا يستطيع بديلاً عن البترول العربى * ان امكانياته حتى الآن تنحصر فى تطوير الانتاج وزيادته فى مناطق الاسكا وبحر الشمال ، ونيجيريا وأيران * ولكن الكميات المتاحة عندئذ من الضالة نسبياً بحيث لن تغنى عن أى نسبة مقبولة من البترول العربى ، كما ان الاستثمارات المطلوبة فى بعض المناطق من الارتفاع بحيث تؤثر على سعر البترول ولا يصحح بأى شكل فى موقف منافس للبترول الرخيص القادم من الشرق الاوسط *

ويستطيع كذلك ان يزيّد من استعمال الغاز الطبيعى ولكن الاستثمارات مرة اخرى تقف حاجلاً عن ان ينتج منه ومصرعة من غير المناطق العربية ما يجعل له أثراً محسوساً * ذلك فضلاً عن الحاجة الواسعة الى تعيين المصدرات ووسائل الاستخدام لهذا المصدر الجديد ، بحيث ان ذلك ما سوف يحدو ضرورياً فى كل مصنع وكل بيت وكل مجال الاستخدام بما تصبح معه قيمة الاستثمارات صاروخية لا قبل للمستهلكين بها على المدى القصير نسبياً *

ويستطيع ان يصغر ملايين ليحوت حول مصادر جديدة للطاقة ، ولكنها لن تاتى ثمارها فى القريب المنظور - ونعنى نهاية القرن - بحيث تنتج عنها نسبة مقبولة من الاحتياجات بتكلفة مقبولة *

ومن ثم فالحاجة ماسة وضرورية للبترول العربى ، ولا سبيل عنه الى غيره * ان لدى العالم المخزون على سطح الارض وتبادل الكميات فيما بين الدول المستهلكة وذلك بما لا يدم أكثر من شهر ثلاثة على التقريب يبدأ الصراخ وشح القطن من بدايتها ..

ذلك مضمون الحدث اذا ما قرر العرب ، وفى اجماع ان يوقفوا ضخ البترول نهائياً او لفترة

وقد سبق التملق على الإجراء العربى الأخير بأن أهم ظاهرة فيه هو اتحاد الكلبة على المستوى الحكومى ، ثم تنفيذ القرار بالفعل أنها ظاهرة • وأن تنقل أثرها عن المطلوب من جانب الشعوب العربية وعن احتياجات الموقف الحالى - تمتنع الاهتمام من ناحية ، والاشادة بها وتجميعها من ناحية أخرى •

أن القرار بخفض ٥ فى المائة على الأقل من إنتاج البترول رغم جماعيته ورغم أن عددا من الدول قد زاد النسبة عما جاء به ، لن يمكن فى الوقت الحالى أن يمثل أكثر من انداز للجماعة الدولية بأن العرب مستعدون ، ويمكنهم أن يستغنوا ذلك السلاح الكبير من جلبهم •

كما أنه لن يصيب أمريكا بالذات فى كثير • أن انخفاض النسبة من ناحية ، وطبيعة السيطرة على السوق العالمية للبترول ، ووجود مصادر أخرى يمكنها - وسريعا جدا - تعويض هذه النسبة ، واتفاق الدول المستهلكة على تبادل الكميات بينها عند الإزمات ، كل ذلك كفى بأن يجعل أثر القرار على أمريكا كدولة ، وعلى المستهلك الفرد فيها كإنسان - كما حدث من فيتنام فى حربها - محدودا جدا ، وفى الامكان تخفيفه وتفايد أن تكون له آثار مؤثرة •

كما قد تخشى فى ضوء السيطرة الاحتكارية الأمريكية على سوق البترول أن تستغل شركاتها هذا النقص ، وكذلك رفع الأسعار الذى تم لغيرها لتوسيع هوامش التفاضل بينها وبين دول أوروبا الغربية واليابان ، ومن ثم تزداد إمكانيات أمريكا لتكتيل الدول المستهلكة •

أنه يجب علينا ... على العكس - المحافظة على وتوسيع التفاضل بين أوروبا الغربية واليابان من جهة وأمريكا من جهة أخرى فى شأن البترول •

أن اتجاه ضربتنا يجب فى الوقت الحالى أن يوجه نحو أمريكا ، وأمريكا وحدها دون بقية العالم • ويأتى بعدها فى الاعتبار الثنائى تلك الدول التى تقدم جهدا أو تسهيلات للجهود العربى لإسرائيل •

أن الدماء العربية الذكية التى تخضب رمال سيناء وصخور الجولان عزيزة على كل عربى •

وأمل الجميع أن يستعمل العرب أسلحتهم بما يحسم هذا الوضع ، لصالح العرب فالصارون لا يبدلون اللحم من أجل قطعة من الأرض هنا وهناك ولكن من أجل حرية الشعوب العربية جميعا •

هدف الاستثمار باستمرار ضخ البترول • ولكننا نستطيع أن نتطع بأن ذلك ما يوقف البترول بالفعل •

أن السيطرة على آبار البترول ليست تعنى وجود قوات احتلال عسكرية فحسب - أنها تعنى بالنسبة للاستعمار ضرورة نقل شعب بأسره محل شعوبنا فى جميع الأعمال المتضمنة بالبترول أن إجراء كهذا فى ضوء الوضع المتغير بالمنطقة - وفى ضوء حركة شعبية عارمة لابد لتتلاقى أزمه سوف تعنى أن يأتى الاستعمار مع قواته العسكرية بكل من يقود لورى ، أو يمسك بمغانج الإنابيب ، أو حتى ينقل الأكل إلى الفرق العاملة فى الصحراء • أو • • • وإن يكون هؤلاء فى حراسة مستمرة ليل نهار •

أنه لا يجوز أن نصعد دائما كل تهديدات الاستثمار ، بل أن نخضعها للتقييم الدقيق حتى نراها فى منظورها الفعلى •

ويأتى دور الإرصدة العربية ، وهنا حيث قد يملك الاستثمار فى المدى القصير بعض الإجراءات ، مثل أن يجهدها وتاريخه سابق فى هذا الاتجاه - أو أن يقيد حركتها • ولكن لأن لدينا الإجراءات الأكثر حسما فانه لن يستطيع الكثير بشرط أن تتحد الكلمة ، أننا نملك أن نوقف أمداده من البترول حتى يفرج عنها ، وبذلك أن نرفض البيع بملاته بل بالذهب وهى إجراءات ذات آثار مدمرة عليه • أن الاستثمار لا يلوح بمثل هذه الإجراءات إلا لعلنا بأن البعض حريص على أن تبقى الإرصدة لديه • أو أنه لا يجد لها سجلا للاستثمار فى غير بلاده ، أو أن المقد منفرط بين الدول العربية ، وأن وحدة التصرف مفقودة أو ناقصة •

البترول والمعرفة الدائرة

لقد بدأنا الحديث بعنوان البترول والمعرفة الرباعية ، وقد نمينا بعدها فى اتجاهات قد لا تبدو من أول وهلة على ارتباط مباشر بالوضع الحالى جزءا منة ومعبرا إلى إجراءات أخرى تحقق نغظر إلى الموقف فى حدوده الآتية وحسب •

ولأن المعرفة الدائرة جزء من حركة ثورية عربية أكبر وأطول وأكثر اتساعا من جبهة القتال فانه يجب أن نرى تصرفنا فى ضوء امترائيجية ممتدة تجعل الإجراءات التى تتخذ لمعالجة الموقف الحالى جزءا ومعبرا لإجراءات أخرى تحقق على المدى الزمنى تحقيق الاستراتيجية النهائية •

اجمعت الكلمة عليه بين الجميع ، أو بين قدر له وزنه
من هذا الجميع .

تلك الاجراءات يمكن ان تبسطها فيما يلي :

● أن يقوم من لا يستطيع - أو لا يرغب -
التأميم بالهتداء المثل اللبني الأخير بفرض مشاركة
لا تقل عن ٥١ في المائة ويتعويض على أساس
القيمة الخفترية ، وبشكل للادارة يضمن السيطرة
الاساسية للجانب الوطنى .

● قطع الامدادات البترولية كاملة عن أمريكا
وخفض الانتاج عامة بنسبة تجعل من الصعب على
أمريكا التعويض ، وقد تحركت الدول العربية في
هذا الاتجاه فعلا .

● التدرج بخفض العلاقات التجارية الحالية
الى الصفر فى فترة زمنية قصيرة .

ذلك هو مستوى الاجراءات الذى تستلزمه
المحركة الحالية ، والذى يجعل للقرار العربى حين
يتخذ أثرا ملموسا ومريما ، ويحقق فى نفس
الوقت خطوة نحو بناء الكيان العربى المتقدم .

ان هناك اجراءات أخرى من ريع الاسعار ،
وتعديل أسس الحساب ، وتقنين ما تستطيع
الشركات المستفدة أن تنزحه خارج البلاد المنتجة
وغيرها من الاجراءات ولكنها جميعا تقصر فى
اعتقادنا عن أن تتلادم مع الموقف الحالى .

والمرجو الآن والمحركة سوف تسير حتى يتحقق
الهدف .

والمرجو وقد أعطت الدول العربية بقرارها هذا
انذارا .

والمرجو من أجل استمرار وتدعيم حركة الثورة
العربية أثناء وبعد المحركة . أن تتبع الدول العربية
قرارها هذا بأسخر وأكثر يسكون له الأثر
الموجع المطلوب .

لقد اتحدت الكلمة فى هذا القرار ، وما نرجوه
أن تبعه بنا القرارات التالية عن اتحاد الكلمة فى
رفع الشعارات - وقد عشنا ذلك طويلا - الى
اتحادها فى التنفيذ على خط ثورى متصاعد .

ذلك أيضا - وربما فى الأساس - واجب القوى
الاشعبية العربية أن تدفع وأن تضغط من أجله .

وهو أيضا واجب الطليعة العربية التى نراها
فى الدول الثلاث العراق وليبيا والجزائر .

واسرائيل هذه قد وجدت لحماية المصالح
الأمريكية فى الشرق الأوسط .

ولابد أن تصالط مصالح أمريكا فى
الأساس حتى تترك الأيمنة لهذا الحارس المرتقى
ما دام العرب قد حزموا أمرهم .

ومصالح أمريكا تتركز فى الأساس فى رؤوس
الأموال المستثمرة فى المنطقة ، وفى الإرصدة
الراكدة الراكدة فى بنوكها ، وفى حركة تجارية
تجد بها سوقا واسعة لسلعها .

ولنا فرق ذلك استراتيجيتنا العربية بأهدافها
البيدة .

ولن يكون هناك اجراءات اقرب الى تحقيق
استراتيجيتنا وضرب مصالح أمريكا من :

● أن يقوم العرب بتأميم المصالح البترولية
الأمريكية فى بلادهم . أن الفرصة الحالية هي
انضج الفرص لتحقيق ذلك . والتساميم وإدارة
المصالح المؤممة ميسور بفضل التقنيات الفنية
العربية من ناحية : وإى عون فى لزم من دول
العالم سواء منها الصديقة أو مجرد المستهلكة .
وان لم يكن التأميم الكامل فلتكن نسبة كبيرة تؤتى
أثرا موجعا وذلك على طريقة أضغى الإيمان .

● إيقاف كل عقود الاستكشاف المنسوحة
لشركات أمريكية ، وتحويلها الى شركات من دول
صديقة أو على الأقل غير معادية .

● البدء فوراً فى تحريك الإرصدة العربية من
البنوك الأمريكية بالذات الى دول أخرى صديقة أو
على الأقل غير معادية ، وأفضل من هذا الى
الدوائر المالية العربية .

● دفع الصلة المباشرة وتشجيعها بمختلف
الاجراءات مع الدول المستهلكة - وخاصة دول
العالم الثالث - بمضامين البدء فى كسر الطوق
الاستعماري حول البترول العربى .

ان ما سبق هو فى اعتقادنا الخط الثورى
الصحيح الذى يتبنى مع قدر الإزمة القائمة ، وفى
نفس اتجاه الاستراتيجية العربية .

ولكن عملا بالقاعدة العربية التى تقول أن « ما
لا يدرك كله ، لا يترك كله » خاصة وأن الدول
العربية لم تنضج بعد وحدة أهدافها ، كما لم
تتطور الحركة الشعبية الثورية فيها بحيث تصبح
عللا مؤثرا وفعالا فى فرض السياسة التى تتبع ،
فان هناك حدا أدنى يمكن أن يتخون مقبولا فيما لو

العرب عبر الطريق من الهزيمة الى الانتصار

٥٠ رفعت السعيد

وفي ١٩٦٧ اكتفى المؤيدون بكلبيات نصارة
وشمارات حماسية ، واكتفى الشامتون بالشماتة
واللائمون بالولم ، لكن احدا لم يعد يدعى (٥٥)

وفي ١٩٦٧ كانت مقررات الخرطوم هي اقصى
ما يمكن انتزاعه لقد كانت تعبيراً عن توازن حقيقي
للقوى ، فالانظمة التقدمية كانت تعانى من الهزيمة
والمهزوم يملك ان يطلب لكنه لا يملك ان يفرض . . .
وكانت الحركة قد انتهت سرىما قبل ان يستلحق
احد ان يوجه طالبا ، أو ان يلج في توجيه الطلب .

لكن الجرح الذى حققته الهزيمة استطاع ان
يولد ارادة جديدة . . وقد ولدها على ثلاثه حاور :

● القوى الثورية العربية التى ترى ان العدوان
الاسرائيلى هو فى جوهره ضربة موجبة للثورة
العربية ومحاوله لتصفيتها بتصفيه منساراتها
التقديمية ، وتحولها من نماذج باهرة أمام الشعوب
العربية الى نماذج مهزومة وهاجزة .

● القوى الوطنية العربية وهى التعبير المتفجر
لحركة التحرر الوطنى العربية ، والتى عبرت عن
نفسها فى معترك طويل من التضال ضد الاستعمار
وقد الاستعمار الجديد ، وضد الاحتكارات
الامبريالية ، وتسلطها على الثروات العربية ، وقد

لعل الصورة مختلفة تماماً . .

١٩٧٢ يختلف اختلافا تاما عن ١٩٦٧ . . وإذا
كان الفارق واضحا تاما فى مسألة القوات
المصرية والسورية وكفاءتها وقدرتها على الصمود
وعلى تحقيق انتصارات حقيقية ، وإذا كان الفارق جليا
فى كفاءة ادارة الحركة عسكريا وسياسيا وفى
حشد طاقات قادرة على كسر الصورة الزائفة التى
صنعها العدو لنفسه والى عليها بحيث جعلنا نحن
- وتحت وطأة الهزيمة - نصدقها ، أو نيسر
لاتفلسنا كل شيء بتصدقها .

فان التغيير يصل على الصعيد العربى الى مدى
لم يكن من الممكن لاحد ان يتوقعه . .
وإذا عدنا مرة أخرى الى المقارنة بين ١٩٦٧
و ١٩٧٢ فان الفارق يبدو هائلا .

فى ١٩٦٧ دخلت الدول العربية التحارية القتال
وحدها تماما لم يساعدوا أحد من العرب ، بل ان
البعض لم يضع فى اعتباره ان هذه الحرب تسمى
أو يمكنها ان تسمى ، ووقت الهزيمة سرىما ،
وتخلص الجميع من المآزق ببعثرة لومهم هنا أو
هناك لكن احدا لم يجد الفرصة لتسليط الضوء على
ضعف التضامن العربى فى ذلك الحين . . فاللوم
قد أوجد لنفسه مسالك أخرى . .

لشعوب هذه البلدان ، ودفعهم الى ميدان المعركة - ليس فقط كأعداء او حلفاء او أضواء للشعب الفلسطيني - وانما كعدائى عليهم . وهكذا انتقلت شعوب هذه البلدان من موقع المتعاطف مع مظلوم الى موقع المعتدى عليه .

ولقد كان كثيرا جدا على شعب من هذه الشعوب ان يقتل ان تحتل ارض بلاده والى الابد . .

ومن ثم فان اسرائيل بعدوانها سنة ١٩٦٧ قد فجرت الطاقات الوطنية فى هذه البلدان وحشدتها فى المعركة ضدها .

كانت اسرائيل تصور انها تؤمن نفسها بضرب مصر وسوريا ، لكنها فى الحقيقة وضعت نفسها فى خط المجابهة الفعلية مع شعوب هذه البلدان .

وما أصعبها من مواجهة عندما تتم . .

● ان الجرح الذى أحدثه عدوان ١٩٦٧ قد امتد ليلبس كل نفس عربية وكل كبرياء عربى ، فاسرائيل فى شجرة انتصارها الرخيص لجأت الى شن حملة دعائية واسمة تستهدف التهوين من شأن كل ما هو عربى ، معلنة انها الحققت الهزيمة بالمرء جميعا .

لقد بالغت فى الزهو ، ومحاولة ان تستند انتصارها على انه انتصار على مائة مليون عربى ، فاستقرت بذلك مشاعر وكبرياء المائة مليون عربى بالقليل . .

وهنا يكمن الخطأ الاسرائيلى الكبير ، لقد انسأها النصر الرخيص الخاطف حقيقة توازنات القوى فى المنطقة فتسببت بعدوان ١٩٦٧ فى حشد الطاقات الثلاث : حركة القوى الثورية العربية ، حركة التحرر الوطنى العربية ، القوى العربية التقليدية . . فى مجابهة مباشرة معها . .

وعندما قال البعض بدم عدوان ١٩٦٧ ان اسرائيل تحولت ان تتبلغ لفة كبيرة جدا عليها . . تحكم الكثيرون فى اسرائيل وفى الغرب على هذا التعبير . . ومضى عام فى اثر عام واسرائيل تبني المستعمرات ، وتستوطن ، وتقيم خطوطا حصينة وتتهم انها قد ابتليت ، بل وهضبت هذه اللفة الكبيرة . .

لكن الخطأ الفادح الذى ارتكبه الاسرائيليون ومساندوهم هو انهم تجاهلوا فى كل حساباتهم شعوب هذه المنطقة . . واصرارها على رفض الهزيمة . . وتجاهلوا امكانية العمل الموحد والمتسق بين هذه القوى العربية الثلاث .

وجاءت المعركة . . وهنا يبرز عنصر جديد يساعد العناصر الثلاث السابقة على التفجر

وجدت هذه القوى فى اعقاب الهزيمة نورديجا ملهما لها فى حركة التحرر الوطنى للشعب الفلسطينى التى تمثلت فى حركة الكفاح المسلح الفلسطينية ، وقد استماعت حركة الكفاح المسلح الفلسطينية - فى اعقاب الهزيمة مباشرة وبرغم تحفظات من هذا البعض او ذاك - ان تكون ملهما لقوى عديدة فقدت الامل فى الاممك بالطريق الصحيح . .

● القوى العربية التقليدية ، التى قد تختلف مع المحورين السابقين فى تقييم الثورة الاجتماعية وقد ترفضها ، والتى تختلف فى ربط المدون الصهيونى بالامبرياليين الامريكيين ، لكنها وعلى أية حال وبالرغم من كل شيء ترفض الاحتلال الاسرائيلى وتجد نفسها - بناء على ادافع ذاتى لحياتها واحيانا اخرى تحت ضغوط شعبية وقومية عنيفة مضطرة الى مساندة الموكب العربى العام فى معركته ضد العدوان الاسرائيلى . .

ومن هنا يمكن رصد عوامل التفسير فى المحيط العربى فيها يلى :

● ان القوى الثورية العربية ادركت انه لا يمكنها ان تنأى بنفسها عن المعركة مع المعتدى الصهيونى ، ذلك ان اسرائيل ليست فقط ذات مطالب فى هذه القلعة من الارض او تلك ، لكنها وفى الجوه اداة - تحاول اصلحتها ولصصلحة الامبريالية الامريكية - ان تصفى كل الاتجاهات والانظمة والمحاولات التقدمية فى الوطن العربى . انها لا تريد الارض فقط ، لكنها تريد كل المنطقة ضيقة متخلقة مهزومة ، تريد ما مصرها مهددا للاستغلال الابريالى ، ومن هنا كانت خطورة الدور الاسرائيلى بالنسبة للعرب ، ومن هنا كانت أهميته بالنسبة لأمريكا . .

وباختصار ادركت الانظمة التقدمية العربية وكل القوى الثورية العربية ان ازالة العدوان الاسرائيلى واجب اساسى ليس فقط لانه يخرج بصر وسوريا من عنق زجاجة خطير يشل طاقاتها وارادتها ، وانما ارضا لانه السبيل لاقبال المخطط الابريالى لدمر المنطقة كلها ، واخصاصها لمطامع الاستغلاية .

● ان حركة التحرر الوطنى العربية ، قد اشتملت فيها روح المقاومة ، والمقاومة المسلحة بالتحديد ، ودور الاعتماد على الجماهير وتعبئتها وتسليحها لمواجهة اعدائها .

وكما قلت فقد كانت المقاومة الفلسطينية - برغم كل شيء نموذجيا ملهما . .

كذلك فان اجترأ اسرائيل على احتلال اراضي مصر وسوريا والاردن قد جرح الكبرياء الوطنى

ومرحلية ، ولقد تكون كذلك ، لكنها ستترك آثارا هامة وخطيرة على مستقبل المنطقة ومستقبل التوازنات فيها .. وخاصة مستقبل علاقاتها بأمريكا .

نعود مرة أخرى الى المقارنة بين ١٩٦٧ ، و ١٩٧٢ ، فنجد أن الكثير قد تغير ، وأن هذا التغيير الكثير يسير في الاتجاه الصحيح ..

فان العناصر الأساسية متوفرة فيه ..
● فهو يستخدم الطاقات العربية بمحاورها الثلاث استخداما منسقا .
● وهو يستخدم امکانيات العربية في مختلف المجالات ويحشد فيها في المعركة ..

● وهو - وهذا هو المهم - يوجه ذلك كله ليس ضد إسرائيل وحدها ، وإنما ضد سندها الحقيقي أمريكا .

وهكذا نصل الى جوهر الامر ..
ان حركة الشعوب العربية في صعيها من أجل التوحيد قد عرفت كيف تحشد قواها بقدر ما عرفت الى أين توجه هذه القوى وضد من توجهها .. واضمة بذلك الامبريالية الأمريكية والمصالح الأمريكية في وضعها الصحيح كمدور لمعركة التحرير الوطني العربية ..
وفي ذلك ما يفر كل الملاحظات وكل الجزئيات التي قد يلاحظها البعض هنا أو هناك ..

لكن للمعركة تمتد زمنا ومساحة وعسقا ، ومع امتدادها تتصاعد حركة الشعوب العربية وتكتسب هذه الحركة أبعادا جديدة ، وسماكة أكثر أصالة .. ومع تصاعد هذه الحركة تجد الشعوب العربية نفسها تقوض الحلقة الأولى في حرب التحرير الشاملة ..

فالعبور لم يكن مجرد خطوة الى الامام على أرض ينبغي تحريرها ، لأنها جزء عزيز من أرض الوطن ، وإنما كان أيضا عبورا وجدانيا ، كان اجتيازًا لكثير من العواجز والعقبات والموانع .. كان انبعاثًا جديداً لروح الشعوب العربية فهي قد عرفت كيف توحد حركاتها وضد من توجه هذه الحركة ..

والمعركة بقدر ما استطاعت أن تحقق انتصارات عسكرية وسياسية وجدانية .. استطاعت أيضا أن تلقن العرب درسا ثميناً هو .. انهم اقوياء اقوياء جدا اذا عرفوا كيف يفرضون اتحادهم .. وكيف يستخدمون وحدتهم هذه ، وضد من يستخدمونهم ..

ولعل ذلك واحداً من الإبعاد العميقة لمعركة التحرير .. ولعل الآثار والنتائج الحقيقية لهذا البعد سوف تتجلى لبعض الوقت عندما ننضج لتبرز فيما بعد في صورة جديدة قوامها ..

والفعالية هو النجاح في المعركة واستمرارها ذلك الاستمرار والاصرار الذي يجنب في كل يوم قوى جديدة ودماء جديدة ..

وهكذا عبر العرب الطريق من الهزيمة .. الى الانتصار واستطاعوا ان يوحّدوا صفوفهم بالفعل في مواجهة أعدائهم ..

واذا كان لنا أن نحاول رصد ملامح الجديد في الموقف العربي .. فان بعضاً منها يتمثل في :

● المعركة العسكرية تجري على جبهتين : هما مصر وسوريا - وقد اشارت التطورات الى انها يمكن ان تتساقط مشتركة وفي ايّاق واحد ..

● المعركة العسكرية جذبت الى صفها قوى من أكثر من بلد لم تلمسه قبضة العدوان الإسرائيلي فكان ذلك دليلاً على ادراك العرب أن الخطر الإسرائيلي يمتد فيشمل الجميع ..

● البترول الذي كان استخدامه نوعاً من الترهيب التي تصل الى حد الإهلام ، يستخدم الآن .. قد يحاول البعض أن يتخطف على هذا الأسلوب أو ذاك ، أو يحاول أن يفضل هذه الوسيلة أو تلك - لكن الشيء اليقيني هو أن البترول ورقة مستخدمة وفعلياً هي معركة ضد العدوان ..

والخبر في هذا كله هو أن البترول عندما يستخدم إنما يستخدم وبوضوح وصراحة في وجه الامبريالية الأمريكية .. وهكذا يعرف العرب اتجاه ضربتهم الرئيسية ..

العدو ليس إسرائيل وحدها ، إسرائيل مجرد أداة .. مخطب قط ، رها لغتها عدوان ١٩٦٧ من دور الاداة الى دور الشريك ، لكن الامبريالية الأمريكية ظلت وستظل دوماً العدو الأساسي للعرب ، هكذا كانت القوى الثورية ، والوطنية العربية تعلن دوماً ، ولقد بذل الامبرياليون الأمريكيون الكثير لاختفاء دورهم هذا ، ولحصص الصراع بين العرب وإسرائيل ، لكن القبضة الآن موجهة ضد أمريكا وهذا هو الهام والجديد .. وهي موجهة من مكان ومن قوى لم يكن - في مخطط الامبرياليين على الإطلاق أن يتلقوها منه ..

● وليس البترول وحده ، فالبحرين تطلق التسهيلات البحرية الممنوحة للاساطيل الأمريكية ..

وهنا تكمن الأهمية الخاصة لهذا التوحيد العربي ، أنه ليس فقط توحيداً للجهود العربية العسكرية والاقتصادية والجغرافية والسكانية والاستراتيجية في معركة .. ولكنه وهذا - هام جدا - موجه أيضا ضد العدو الحقيقي .. ضد أمريكا .

ولقد يتصور البعض أن هذه مواقف جزئية

الاعطار الدولي لمعركة التحرير

الأبعاد والآفاق

أبو سيف يوسف

الكثيب ، وهو أن نقتل - بدون استئذان - من موقف متطرف الى نقيضه . وعلى سبيل المثال : فإن الذين وقعوا بضمير نية - قبل ٦ أكتوبر في الوهم القاتل بأن الانفراج في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة ليس الا مجرد « مفاوضة » أو « اتفاق » على حساب الامم الصغيرة ، لا يبعد أن يفعلوا - مرة أخرى - في الوهم الخايل ، ومؤداه : أن كل ما قيل عن الانفراج الدولي ، وبداية مرحلة جديدة - على الصعيد الدولي بين الدولتين الكبيرتين ، ليس الا مظهرا خداعا ، أو مناورة ، لم تلبث أن سقطت على صوت المدافع والصواريخ في منطقة القتال والارتفاعات السورية . لاسيما بعد ما تبين القاتلون بهذا الرأي ، أن العسكرية الرئيسية - على النطاق الدولي - قد تحدثت بوضوح بعد بدء المعارك : فالاتحاد السوفيتي يساعد بحزم البلاد العربية في كفاحها التحريري ، ولا يخفى ذلك . والمتحدثون الاسرائيليون تساعدونهم في عدوانهم ، وبكل قوة ، الولايات المتحدة الامريكية ثم تملن عن ذلك بكل سبيل .

الا ان الامر الذي يعنينا هذا ، هو ان نثبت ان

تجرى معركة التحرير الوطنية التي دخلتها مصر وسوريا يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٢ ، في ظروف دولية مؤاتية تماما ، من الناحية الموضوعية ، تسمح بتحقيق أكثر من انتصار عسكري وسياسي على المتدينين الصهيونيين والامبرياليين كما تسمح بتحقيق الاهداف الرئيسية من هذا النضال وهي : تحرير الارض المحتلة والدفاع عن الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي .

وهذه الظروف الدولية ، تتميز أول ما تتميز ، بانتصار مضطرب لمبادئ القمايش السلمية ، وبنفراج عام في العلاقات بين معسكر البلدان الاشتراكية وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، وبين معسكر البلدان الرأسمالية وفي مقدمته الولايات المتحدة الامريكية . على نيل انتصار مبادئ القمايش السلمية تنشأ ظروف أفضل تنمو في ظلها حركة التحرير الوطني ، وتسجل انتصارات تاريخية ومؤكدة .

وهلينا هنا - خصوصا - بعد انفجار الاشتباكات المسلحة في الشرق الاوسط ، أن نحذر من التردى في الوقوع في هذا الموقف الفكري

الحرب الرابعة

السوفيتي من تلقو على الولايات المتحدة في بعض مجالات البحث العلمي والتكنولوجيا .

٢ - ترتب على ما تقدم ، مضافا اليه ضغوط الازمة النقدية الخانقة (١) ، أن الولايات المتحدة بدأت منذ عام ١٩٦٢ تقبل مبدأ الجلوس الى مائدة المفاوضات لمناقشة قضايا الحد من التسليح . ففي تلك السنة وقعت معاهدة موسكو لحظر التجارب الذرية حظرا جزئيا .

ومنذ ذلك التاريخ ، وخلال عشر سنوات مليئة بالتقدم والتراجع وبالنجاح والفشل ، على جبهة المفاوضات ، وصلت الولايات المتحدة في مايو ١٩٧٢ (لقاء بريجينيف ونيكسون) الى أن تسلم بالنص في عدد من الاتفاقات الثنائية مع الاتحاد السوفيتي ، على مبادئ التعاون العلمي . هذه المبادئ التي طالما وصفها الغرب الاستعماري بأنها « خدعة مكررة من قبل الشيوعية الدولية » .

٤ - وهذا التسليم بالنص في المعاهدات الثنائية على مبادئ التعاون العلمي ، لا يعني أن الامبريالية الامريكية قد غيرت طبيعتها العدوانية ، ولكنه يدل - بالإضافة الى الظروف الدوائية الموضوعية المغاظة على حكام امريكا - على صحة الفرضية التي كان قد صاغها ليفين عام ١٩١٧ ، عندما حدد أن دوائر الرأسمالية العالية - مهما كانت نياتها العدوانية - لا تستطيع - في ظروف معينة - أن « تتحرر من الضرورات الاقتصادية الرئيسية » .

ذلك أن هذه الضرورات تؤدي الى ما يلي :

● اضطراب الدول الرأسمالية الى اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع النظام الاشتراكي رغم عدائها لهذا النظام .

● اشتداد التنافس داخل الطبقة البورجوازية الحاكمة (في البلد الرأسمالي المعنى) بين جناحين أو « حزبين » داخل هذه الطبقة : جناح « متدخل » أو « متقل » يرى أن مصالحه الاقتصادية تزدهر أكثر في جو علاقات سلمية بين الدول ، وبين جناح عدواني موغل في رجعيته ، يرى بمصلحه كاملة في ممارسة سياسة الحرب والعدوان وسياسات التسليح . وبالمثل ، فإن دبلوماسية الدول الاشتراكية تتجه الى تشجيع الجناح الاول ، بهدف عزل ومحاصرة الجناح الثاني الذي تمثله - بالاساس - المؤسسة

كلا التصورين خاطيء : سواء كان القول بأن الانفراج أو « الوفاق » توافق ، أو القول بأنه مجرد موتف عابر في السياسة الدولية .

ولقد كان يكفى للدليل على ثبات مساندة الاتحاد السوفيتي وأسرة البلدان الاشتراكية أن نذكر - بالتفصيل - ما قدمه ، ولا يزال يقدم من المساعدات في كافة المجالات السياسية والعسكرية والدبلوماسية ، فوقائع الحياة ، تتحدث بنفسها ، ولا تحتاج الى برهان .

غير أن ما يشغلنا ، بكيفية رئيسية هنا - هو انه لا بد - مع حرصنا على طرح الوقائع المتجددة التي تدل على ثبات مساندة البلدان الاشتراكية لكفاحنا الوطني التحريري - من أن نؤكد ، على الحقائق العامة التي تتضمن الوقائع الجزئية ، ولكن تتجاوزها - في الوقت نفسه - لتسلحنا بتوقع من المعرفة العلمية ، يصعب بدونها أن نرسم استنتاجية صائبة لكفاحنا الوطني التحريري .

فما هي إذن الحقائق الرئيسية التي تحكم العلاقات الدولية ، وتؤثر - بالقياس - تأثيرا مباشرا على مسار حركة التحرر الوطني .

الجواب ، انه في مقبلة هذه الحقائق ظاهرة التراجع - أو الهزيمة التاريخية - لامبريالية العالمية . وهذه الهزيمة وذلك التراجع يتجسدان فيما يلي :

١ - عجز الامبريالية المالية عن سحق النظام العالمي للاشتراكية من خلال اثاره حرب عالمية ، وذلك على الرغم مما اثارته من قبل من حروب ، ومساومات ، ومضططات ، ومؤامرات ، ودعائيات هدامة ، لم تتوقف منذ ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، بل لعلها قد زادت وتكثفت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .

٢ - أدى هذا العجز بالقوى الامبريالية - وبشكل خاص - بالولايات المتحدة الامريكية ، الى أن تتخلي عن السعي الى تحقيق التفوق الاستراتيجي على الاتحاد السوفيتي في ميدان التسليح . ومن ثم اتجهت - في الواقع العملي - الى قبول « مبدأ التكاثر أو التساوي » معه في هذا المجال ، وتم ذلك تحت ضغط عاملين : الاول : هو الانفاق الخرافي الذي لم يسبق له مثيل على صنع الاسلحة الحديثة ، بالكمية التي تتطلب صناعتها على خطر تدمير الموارد الاساسية للمجتمع الامريكي . والعامل الثاني : هو ما أثبتته الاتحاد

(١) اراجع في قضية الوفاق المعلق الذي نشره الكاتب في عدد الطليعة رقم ١٠ - اكتوبر ١٩٧٣ .

هذا البلد العربي أو ذلك . وكانت تسامحها بعض دول الغرب الامبريالية في ذلك ، أو على الأقل لم تكن تعترض .

أما في ظل الانفراج الدولي الحالي ، فكانت الولايات المتحدة رغم تهديدات نيكسون بأن يكررها حدث عام ١٩٥٨ وعام ١٩٧٠ ، إلا أنه عجز عن تنفيذ ذلك لأكثر من سبب . ففضلا عن يقينه بأن مثل هذا التدخل سيحول المنطقة العربية الى فيتنام أخرى ، تقبر فيها - الى الابد - كل مصالح ونفوذ الولايات المتحدة ، تقول بالإضافة الى ذلك ، فقد وجدت الولايات المتحدة نفسها - في مسمانة الاحتلال الاسرائيلي - تقف معزولة عن الموقف الدولي ، حتى من اقرب الحلفاء اليها . فالوقف الرسمي لحكومة فرنسا - مثلا - هو الحياد المطيع بالمعنى على البلدان العربية . والماتيا الغربية التي مولت اسرائيل وسلحتها في فترة الحرب الباردة - خصوصا قبل وبعد ٦٧ - أعلنت الحياد عن الصراع القائم . أما بريطانيا فقد اضطرت تحت دفع الخوف من ضياع البقية الباقية من مصالحها ، الى اتخاذ موقف « محايد » خاص ، حول قضية ارسال السلاح الى بلدان الشرق الاوسط . ولا يغير من قيمة هذه الوقائع ان وسائل الاعلام في بلدان الغرب الرأسمالي كانت - بوجه عام - تبدي انحيازا الى المعتنقين الاسرائيليين لاسباب لا تخفى على احد . كما أنه لا يغير منها ، ان بعض مؤسسات استطلاع الرأي العام قد اشارت الى ان اقسامها كبيرة في بلد - كفرنسا - تبدي تماطفا مع الموقف الاسرائيلي . لكن هذا كله لا يغير - رغم ذلك - من الحقائق التالية :

١ - أنه في حرب ٦ أكتوبر - وفي ظل الانفراج الدولي العام - بدت الولايات المتحدة الامريكية أكثر عزلة وأقل مقدرة على الاستفهام السافر لقواتها المسلحة في القيام بأعمال مباشرة ضد البلدان العربية . وهذا يفسر التخطيط والارتباك الذي ظهر ، بعد الصاعقة الاولى من بدء القتال - في مواقف وتصريحات الرئيس نيكسون . ففي تصريح له أعلن أن الولايات المتحدة لا تتحاز الى طرف ضد طرف آخر من أطراف النزاع ، وفي تصريح آخر ، راح يهدد بالتدخل ، ويعلن عن تقديم مساعدات غير محدودة الى المعتندين .

أما كيسنجر فقد بدأ - بعد نشوب القتال - بالتهديد بالخطر الذي يعترض له « الوفاق » ، ولكنه انتهى في الواقع العملي الى تفضيل أسلوب المفاوضة حول النزاع مع الاتحاد السوفيتي [١٧] .

الصناعية العسكرية في الولايات المتحدة والجنحة اليمينية المتطرفة في بلدان كبريطانيا والماتيا الاتحادية وفرنسا .

صحيح أن جناح المؤسسة الصناعية العسكرية لا يزال هو الاقوى نفوذا بشكل عام ، على توجيه سياسة أمريكا الخارجية ، إلا أن قوته غير مطلقة . ذلك أن الجناح الآخر من البورجوازية الامريكية - يبرهن - أيضا - على مثل خصوس . وعلى سبيل المثال فإن الاحصاءات الغربية تقدر أنه في غضون العلم الماضي وحده زار الاتحاد السوفيتي ثلاثة آلاف من رجال الأعمال الامريكيين ، وقع كثيرون منهم عقودا مع مؤسسات الدولة السوفيتية . كما أن البنوك الكبرى الامريكية تصارع - حتى لا يفوتها القطار - الى فتح ائحة لها في موسكو . ومن هنا نندك ، أن الاذذارات أو « التهديدات » التي أطلقتها هنري كيسنجر باسم « الحفاظ على سياسة الوفاق » ، بهدف الضغط على الاتحاد السوفيتي وتقليص حجم مساندته لمر وسوريا - نقول أن مثل هذه التهديدات ، وأن كانت ليست مستحيلة التنفيذ - هذا صحيح - إلا أنها أيضا ليست سهلة التنفيذ . ويتوقف الامر - في النهاية - على اتجاه الوضع الدولي في لحظة معينة ، وعلى علاقات القوى داخل الطبقة البورجوازية الامريكية ، وداخل المجتمع الامريكي نفسه .

على أية حال ، علينا أن نذكر أن الولايات المتحدة قد فرض عليها السلام فرضا في فيتلزم ، وذلك بفضل كفاح الشعب الفيتنامي ، ومساعدات البلدان الاشتراكية ، والتغييرات الواقعة في جبهة الدول الامبريالية ، وتماطم مقاومة الشعب الامريكي للحرب بما في ذلك مقاومة هذا القسم من البورجوازية الامريكية الذي عارض سياسة المؤسسة العسكرية في فيتنام .

هذا يطرأ السؤال : وماذا عن موقف الولايات المتحدة من حرب الشرق الاوسط ؟

ان الامبريالية الامريكية - كما نعلم - ساندت بالمال ، وبترسانة هائلة من السلاح ، شرعيتها وأذنتها اسرائيل منذ الحظائل الاولى . إلا أن المراقبين يستطيعون أن يربصوا أن ثمة عروقا بين موقف أمريكا أيام اشتداد الحرب الباردة (وعلى سبيل المثال في أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٠) وبين موقفها عند تجدد القتال في ساندس من أكتوبر . ويتضح هذا من الوقائع التالية :

١ - في فترة اشتداد الحرب الباردة لم تكن الولايات المتحدة تردد في ممارسة التدخل المباشر بقواتها المسلحة (مستندة الى حلف الاطلنطي) في

(٢) على أن القول هنا أن الإرادة الذاتية لمر وسوريا وسندتهما على معاودة القتال بحزم وجسارة لها اثرها الكبير على تشكيل موقف الولايات المتحدة .

الحرب الزايعة

التحريرى ضد الصهيونية والإمبريالية - أن تضع في حساباتها القريبة والبعيدة ، ثبات الموقف الذي تتخذه أجرة البلدان الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

بل أن حركة التحرر العربى تستطيع أن تطورها
للأحق أن تعتمد على المزيد من هذا الدعم السياسى
والاقتصادى والعسكرى .

- ٢ -

وتجرى معركة التحرير - أيضا - الرأهنة فى
ظروف دولية مؤاتية تميز - فى نطاق العالم
الثالث :

١ - بنهوض مجدد فى حركة التحرر الوطنى
العالية ، بعد التكتبات التى ألت بها فى عدد من
بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهذا
النهوض يكتسب دفعات أكبر فى ظروف الانفراج
الدولى .

٢ - بتماظم الدور العالمى للدول الوطنية
التقدمية فى آسيا وأفريقيا .

أن هذا نستطيع أن نتعرف عليه من واقع أن
الهجوم الإمبريالى على النظم الوطنية التقدمية
التي قامت فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية إذا كان
قد بلغ ذروته فى الحرب العدوانية التى بدأتها
إسرائيل بتخطيط وبدعم أمريكيين ضد النظامين
الثائمين فى مصر وسوريا . صحيح أن حركة
التحرر الوطنى قد هزمت أمام الاستثمار الجديد
فى أكثر من موقع هام فى أكثر من دولة من الدول
الوطنية والتقدمية ، لكن مقاومتها تتركز من ناحية ،
فى انتصارات حرب التحرير الوطنية فى فيتنام ،
وفى عجز الولايات المتحدة عن أنزال الهزيمة
بشعب فيتنام ، كما تركزت فى الصومال الذى
أبنته النظم التقدمية خصوصا فى مصر وسوريا
رغم وقوع العدوان المسلح فى ٥ يونيو .

وما لبثت حركة التحرر الوطنى أن بدأت تستعيد
زمام المبادرة من استكمال مهامها ، ومنازلة
الإمبريالية العالمية والاستثمار الجديد . ونكتفى
هنا بإشارات سريعة الى :

- حرب التحرير التى أقامت دولة بنجلاديش ،
وأدت الى الانهيار القطى لحلف جنوب شرق
آسيا .

- قيام النظام الوطنى فى ليبيا وتمتعية التواعد
العسكرية ونظام التبعية الإمبريالية فيها ،
ومواصله ضغط الحاصل الاحتكارية الأجنبية .

- تقدم مواقع الثورة الوطنية الديمقراطية فى
العراق بالشكل الذى يمكن شعب العراق من أن

٢ - أنه فى حرب ٦ أكتوبر - وفى ظل الانفراج
الدولى العام ، أمكن تحييد قوى دولية فى الغرب
الرسمالى ، كانت تساند إسرائيل وتشاركها فى
تخطيط وممارسة العدوان المسلح على البلاد
العربية .

ونخلص من هذا كله ، الى أن التوازن الدولى
الراهن فى مجال العلاقات الدولية ، يؤكد على
حقيقة تراجع الإمبريالية العالمية وزعيمها الولايات
المتحدة الأمريكية . وهذه الحقيقة تشكل ظرفا
موضوعيا بالغ الأهمية ، تستطيع مصر وسوريا
فيه - واعتمادا على حد أدنى من وحدة العمل
العربى - أن تضيا قدما فى تحقيق المزيد من
الانتصارات السياسية والعسكرية ، من أجل
تحرير الأرض والمناخ عن حقوق شعب فلسطين .

لكن الوضع الراهن أيضا فى العلاقات الدولية
يبين أن الانقطاعات الخاصة بالانفراج الدولى بين
الاتحاد السوفيتى وبين كل من الولايات المتحدة
والمانيا الغربية وفرنسا ، لم تتم - ولا يمكن أن
تتم - على أساس تنازلات أيديولوجية من قبل
السوفيت ، أى تنازلات تمس المبادئ الأساسية فى
السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، ومن بينها
المبادئ التى تحكم علاقته بحركة التحرر الوطنى
العربية :

١ - فمن ناحية ٢ لم يبادر الاتحاد السوفيتى
الى إمداد مصر وسوريا بمزيد من السلاح
فحسب ، بل لقد أدا موقف أمريكا المساند
للعدوان . ودعا الى قيام وحدة عمل عربى على
جميع المستويات لمساندة مصر وسوريا . ولم
يستثن الاتحاد السوفيتى من ذلك ضرورة أن
يستخدم العرب البترول كسلاح سياسى واقتصادى
للضغط على الدول الإمبريالية ، وهو ما كتبت فيه
البرافدا فى ٩ سبتمبر ١٩٧٣ . وذلك ، مع علم
الاتحاد السوفيتى بالمواقع الهامة التى تحتلها
المصالح الأمريكية فى البترول العربى .

٢ - ومن ناحية أخرى ، ذلل الاتحاد السوفيتى
على أن مساندته لحركة التحرر الوطنى العربية
ليست قضية مرحلية ، بل هى قضية إستراتيجية
ترتبط ارتباطا عضويا :

- بإيديولوجية الحزب الحاكم هناك .

- وبمصالح الاتحاد السوفيتى وأمنه .

- وبمصالحه القريبة والبعيدة على العتوين
السياسى والاقتصادى .

لهذا كله ، يمكن القول بأنه فى ظل الانفراج
الدولى تستطيع البلدان العربية - فى تضامها

يمضي بنجاح في طريق دعم استقلاله الاقتصادي
بإزاء أثرى الاحتكارات الأجنبية .

• اكتساب حركة التحرر الوطني الفلسطينية
اعترافاً اقسام واسعة من الرأي العام العالي
بها .

• تنامي الدور الذي تقوم به منظمة الوحدة
الافريقية في الدفاع عن استقلال الشعوب الافريقية
ومناصرة حركات التحرير الوطني فيها ، والنضال
ضد النظم المنصرمة .

• تأكيد مجموعة دول عدم الانحياز على
المضمون الرئيسي لنضالها وهو مضمون معاد في
جوهره - يشكل علم - للامبريالية و لالاستعمار
الجديد وللصهيونية (مؤتمر الجزائر) .

• لما في امريكا اللاتينية وهي منطقة النفوذ
التقليدية للولايات المتحدة الامريكية ، فكل الرغـم
من الخسارة الفادحة التي تبتلت في ضرب النظام
المتقدمي الذي راسه **سلفاдор الليندي** ، الا ان عدداً
متزايداً من دول امريكا اللاتينية ، تتسامح
مقاومته - للامبريالية الامريكية ، وهو الامر الذي
يبدأ عليها في « مؤتمر مجلس الدفاع المتبادل » لدول
امريكا اللاتينية ، هذا المجلس المكون من وزراء
دفاع جميع دول امريكا وتشترك فيه الولايات
المتحدة وكندا ، ففي ذلك المؤتمر الذي عقد من ٣
الى ٨ سبتمبر من هذا العام ، قاد **رئيس وزراء**
بيرو حملة ضد السيطرة الامريكية التي تستهدف
ربط دول امريكا اللاتينية بالاحلاف العسكرية .

وكان منطلق بيرو في هذا ، هو أن التوازن الدولي
الجديد ، وجو التعايش السلمي ، يحتم على دول
امريكا اللاتينية أن ترفض مزاعم الولايات المتحدة
عن وجود خطر عدوان عليها من « وراء البحار »
وان الخطر الحقيقي الذي تواجهه هذه البلدان هو
خطر نهب ثرواتها والسيطرة على اقتصادها القومي
من قبل دولة يمينية ، وأن من حق كل دولة من دول
امريكا اللاتينية أن تمارس سيادتها على مصادر
ثروتها الطبيعية ، وأن تنتهج سياسة خاسوعية
مستقلة ، فهذا هو الطريق الحق المؤدي الى
تطورها الاقتصادي وإلى ضمان أمن القارة . وقد
بقيت هذه الآراء مساندة قادة القوات المسلحة في
كل من الأرجنتين وشيلي وبنسما وكوبا و
وغنزويلا ، وأدى هذا الى حيز مجلس الدفاع
المتبادل عن اتخاذ أي قرار .

أما في الغارة الافريقية ، فقد شهدت كثير من
دولها نمو اتجاهات حازمة لمناصرة الدور الذي
تقوم به اسرائيل هناك بعد ان ثبت أنها :

• اشتركت في المؤامرة الاخيرة الموجهة ضد
نظام سيكتوتوري (غينيا)

• وقفت الى جانب الانفصاليين في بيافرا

• قامت بنشاط تخريبي في اقتصاد اوغندا

• تعاونت مع العناصر المناهضة للنظام في
بوروندي

• تغلقت بكيفية مقلقة في منظمات العمل
والشباب وفي أجهزة الأمن والبوليس في أكثر من
بلد افريقي .

• ساهمت في تقديم الاسلحة للقذلة البرتغاليين
وللعنصريين في جنوب افريقيا .

وبسبب هذه النشاطات كلها ، وبسبب غيرها ،
أعلنت منظمة الوحدة الافريقية في آخر اجتماع
لها :

ان الدول الافريقية سوف تتخذ اجراءات
سياسية واقتصادية مشتركة ضد اسرائيل ، وذلك
اذا ما اصررت على استمرار احتلالها للأراضي
العربية .

وعندما خاضت مصر وسوريا النضال المسلح
في ٦ أكتوبر فإن ١٦ دولة افريقية ردت على
نشاطات اسرائيل - التي هي جزء من نشاطات
الاستعمار الامريكي الجديد - بقطع علاقاتها مع
الدولة الصهيونية .

كما تقدم كل ، يمكن ان نستخلص فيما يتعلق
بمركزنا ضد العدو الاسرائيلي ما يلي :

١ - ان هذه المعركة تدور في فترة نموض مجدد
لحركة التحرر الوطني ، هذا النهوض الذي يعني :

١ - اضاعاف متزايد لمواقع الامبريالية العالمية ،
ولمواقع العدو الرئيسي الامبريالية الامريكية .

٢ - اسناد متزايد لكفاح الشعوب العربية
بالكيفية التي تسول عليها ان تمارس كفاحها في
جميع المجالات السياسية والعسكرية
والدبلوماسية بغاية أكبر .

٣ - فشل اسرائيل في خلق مؤخرة افريقية ضد
الشعوب العربية ، تستخدمها في الضغط على
الدول العربية التقدمية ، واهمية هذا التفسير دراسة
تصويت الدول الافريقية في هيئة الامم يوم عدوان
٦٧ ، ومقارنة هذا بوائقها اليوم في هذه الهيئة .
ان هذا يبين التحول الكبير لصالح القضية
العربية ، كما يؤكد اهمية دخول اليمع الامريكي
بكيفية ايجابية ومتزايدة في كفاحنا الوطني
التحريري .

٤ - في ظروف فرض التعايش السلمي على
الامبريالية تنكش وتتقاصم فاعلية الاحلاف والكتل

الحرب الرابعة

٢ - أن استراتيجيتنا نحو إسرائيل يجب ألا تتضمن إسقاط نظرية الأمن الإسرائيلية المزعومة فحسب ، بل يجب أن تتجه فوراً إلى مزيد من أحكام العزلة الدولية على إسرائيل . ومن الممكن أن تبذل في هذا الصدد جهوداً متمرة تنتهي لا نستبعد أن تنتهي بوضع إسرائيل كدولة عنصرية عدوانية في نفس الوضع الذي احتلته حكومة جنوب إفريقيا . وسوف نجد أننا لا نقف وحدها في تحقيق هذا الهدف ، فإن المؤسسة الصهيونية العالمية وأداتها إسرائيل تقوم بنشاط عدائي ونفري في البلاد الاشتراكية ، كما تشكل إسرائيل نقطة خطر دائمة على السلم العالمي يمكن أن تثير قلق الدول الأوروبية على مصالحها في المنطقة ، كما تثير قلق المجتمع الأوروبي - شرقه وغربه - على مصائر الأمن والسلام في المنطقة وفي العالم كله .

٣ - أنه إذا استطعنا أن نحافظ على مستوى للعمل العربي المشترك في هذه الأدنى الذي وصل اليه في فترة القتال (خاصة فيما يتعلق باستخدام سلاح البترول) أمكن أن نحقق هدفين :

- فمن ناحية ، فإن هذا يفتح الطريق أمام للشعوب العربية لكي تنتقل إلى مواقع متقدمة في تصفية مواقع الاستعمار الأمريكي الجديد المدعو الرئيسي لحركة التحرير الوطني العربية .

- ومن ناحية أخرى ، فإن مثل هذا الموقف يعمق التناقضات بين الولايات المتحدة وبين دول غرب أوروبا ، ويجعل من الضغط الأوربي على أمريكا سلاحاً من أسلحتنا في الحركة .

٤ - وفي جميع الأحوال ، يجب أن نلتفت في الفترة القادمة إلى كل المحاولات الإبريالية التي تبذل - وبسبيل - لتفريب العلاقات السوفيتية العربية . فمعسكر البلدان الاشتراكية وفي مقدمته الاتحاد السوفيتي ، قد دللوا ، وسوف يدللون على أنهم حلفاء ثابتون في جميع محاربتنا الحالية ، والقادمة ضد الإبريالية والصهيونية .

ولا شك أن ختام هذا المقال لابد وأن يتضمن هذه الفكرة التي مالجها زملاء آخرون في « الطليعة » وهي أننا نستطيع أن نطوع المعطيات الإيجابية في الموقف الدولي ، بقدر ما نوصي دعائم قوتنا الذاتية ، وذلك بالاصرار على شق طريق التقدم الاجتماعي لمصلحة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود ، وبناء اقتصاد قومي مستقل ، وأقامة نظام تعليمي حديث ، وتوفير الاحتياجات والقوى اللازمة لبناء وحدة عربية تقدمية ديموقراطية .

العدوانية التي شكلها الإمبرياليون . فالواقع أن الولايات المتحدة والدول الغربية قد استفادت من ظروف الحرب الباردة لتفرض على كثير من دول العالم الثالث الانضمام إلى أحلاف عسكرية عدوانية بطبيعتها ، ولكن ظروف الانفراج الدولي تقف هذه الأحلاف مبرر وجودها . والواقع أنه باستثناء حلف المعاهدة المركزية (السنكو) الذي تبذل الجهود اليائسة لأحيائه - وهي الجهود التي تسير في اتجاه معاكس لتغيرات عالم اليوم - فإن الأحلاف والكتل الأخرى (حلف جنوب شرق آسيا - مجلس الباسيفيك الآسيوي - منظمة الدول الأمريكية) تسير إلى انهيار كامل ، أو إلى جمود محتمل .

- ٣ -

هذا ثأني في ختام المقال إلى ذلك السؤال الهام وهو : إذا كانت هذه هي أهم الإبعاد الدولية التي يجري فيها كناحننا الوطني التحريري بكل صوره العسكرية والسياسية ، فما هي الآفاق الدولية لهذا الكناحن ، وبالتالي ، ما هي المهام المطلوبة لتحقيق النصر على الأعداء الصهيونيين والإمبرياليين .

لا ندعي أننا نستطيع أن نقدم كل الإجابات المطلوبة ، أو أن نوصي الإبعاد الدولية للصراع العربي الإسرائيلي حقها . وإنما نكتفي ، بتسجيل بعض قضايا أساسية : أن المعركة المسلحة والبأسلة التي خاضتها قوتنا المسلحة في مصر وسوريا بطول وكفاءة تدوشت بقوة أسسواتع سياسي جديد في المنطقة ، وهو واقع يمكن أن تكون له إبعاد وأصداء دولية تضم قضية تحرير الأرض ، وتدفع بقضية شعب فلسطين خطوات إلى الأمام ، وتفتح الطريق لردع فعال لنشاط المؤسسة الصهيونية العدوانية ، وتثير ردود فعل لا تتوقف داخل إسرائيل .

نقول هذا ، في وقت يجتمع فيه مجلس الأمن ليقرر وقف القتال الدائر . وأياً ما كانت التطورات التي ستصاحب تطبيق هذا القرار في المستقبل - فإن تطويع الوضع الدولي لخدم قضية التحرير يتطلب ما يلي :

١ - أن نعرف أن معركة التحرير طويلة وشاقة ومعقدة ، وتجرى في منطقة حساسة تعتمد أوضاعها وتنتابك . وعلى هذا الأساس يجب أن نحدد الأهداف المرحلية والبعيدة لكناحننا العسكري والسياسي ، ويجب أن تتألف من الكناحن على الجبهتين السياسية والعسكرية وحدة فعالة تجد نموذجا قويا لها في مشروع السلام الذي قدمه الرئيس السادات في ظل انتصارات عسكرية ، نموذج استقطب به الرأي العام العالمي الحريص على ثمار الانفراج الدولي والتعايش السلمي .

بعد ٦ أكتوبر :

اسرائيل ٠٠ الى أين ؟

خيرى عزيز

وتتبع القيمة التاريخية لهذه الهزيمة الاستراتيجية الاولى للجيش الاسرائيلى ، من انها تمنى بده تغير ميزان القوى العسكرى والعام فى العلاقات بين العرب واسرائيل ، لصالح الجانب العربى ، الذى كان الجانب المهزوم تقليدياً فى الفترة التاريخية من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٧٢ .

حرب « القواعد » لا « القيادات »

ومن الواضح ، من الشواهد الجينة التى دل عليها القتل الضارى فى الحرب الرابعة ، انه لن يكون بوسع اسرائيل من الآن فصاعداً ان تعتمد فى قتالها ضد العرب وفى خوض حروبها ضدهم ، على مجرد التخطيط العلوى الحكم فى مقرات هيئة الاركان الاسرائيلية ، ولا على مجرد الضربات الخاطفة ، والمناورات الساحقة التى تعد لها القيادة الاسرائيلية على اساس تكتيك « الاقتراب غير المباشر » ، الذى برعوا فى اساعه طوال ربع قرن ، وانما أصبح يتعين على القوات المسلحة الاسرائيلية من الآن فصاعداً ، ان تقترب من

لا شك ان هذه الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل ، انما تعنى بداية النهاية للصهيونية والعدوان ، حتى ولو كان تحقق تلك البداية ، يتم على اتفاق استراتيجى فى المدى الزمنى .

فلقد اثبت تاريخ اسرائيل ، انها اعتمدت دائماً على القوة والارهاب ، فى سبيل لمرض وجودها على الامة العربية ، ولذا فان تعبير ميزان استخدام القوة والردع فى هذه المنطقة من العالم ، من شأنه ان يؤثر على ذلك الاسلوب الرئيسى الذى استخدمته اسرائيل فى الحفاظ على كيائها وجودها ، ومن ثم يؤثر بالتالى على بقاء هذا الكيان والوجود نفسه .

وليس ثمة شك ، فى تاريخ الصدام العسكرى العربى الاسرائيلى ، ان طرد الحشود الاله افلم من الضفة الشرقية لقناة السويس ، بتلك العملية البطولية الرائعة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية ، انما يمثل اول هزيمة استراتيجية لهذا الجيش منذ انشاء اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، خاصة اذا اضعنا اليها الضربات الشجاعة البسلة التى وجهها الجيش السورى الى الجيش الاسرائيلى فى الجبهة الشمالية لهذه الحرب الرابعة .

الخراب الرابعة

من الملقين العسكريين انها وضعت الى حدود الشراسة التي بلغت أكبر معارك المصاحفات على الإطلاق في الحرب العالمية الثانية ، بل انهم ليرون أكثر من ذلك ان استخدام هذه الأعداد الكبيرة من المدرعات على جبهات صغيرة نسبياً ، ومن جانب دول صغيرة نسبياً ، يعتبر حدثاً لم يسبق له مثيل في التاريخ العسكري .

وهذه الحرب الحقيقية الشاملة صعبة وباعطة التكاليف على الاسرائيليين وخاصة في الأرواح والمعدات ، كما انها جديدة كل الجدة عليهم وهم الذين اعتادوا على الانتصارات السريعة الكاسحة . فقد قفلت اسرائيل في الأيام الخمسة الأولى للقتال — طبقاً لتقديرات البنجانون — ١١٠ طائرة و ٤٠٠ دبابة ، وحوالي ٣٠٠٠ قتيل ، وحوالي ألف أسير ، عدا ١٥٠٠٠ جريح ، وفي اليوم السابع للمعارك كانت خسائرها قد بلغت طبقاً لتقديرات المخابرات الأمريكية ، أكثر من ثلث قوتها الجوية الضاربة ، وحوالي ثلث قواها المدرعة . ولذا لم يكن مستغرباً قط ان يصف بيان تلك الحرب بمباراة جديدة ضباباً على الأدبيات العسكرية الاسرائيلية « ان اسرائيل تذهب الآن حرباً لم تحارب مثلاً من قبل ، سواء عام ١٩٥٦ ، أو في معارك الأيام اسبوعه عام ١٩٦٧ » حسب صعبه . معارك المدرعات فيها قاسية ، ومعارك الجو فيها مريعة ، حرب فيلة ينامها ، وقليلة يذمها .

ذلك هو قدر اسرائيل من الواجهة العسكرية انطلاقاً من الحرب الرابعة التي تمتمت بداية مرحلة جديدة في المواجهات العربية الاسرائيلية . لانه سوف يتعين على الجيش الاسرائيلي ان يجابه من الآن فصاعداً ، وخاصة على الجبهة المصرية ، لا مجرد ذلك الجيش الذي كان يشكل القوة الرئيسية لقواته ، أبناء الفلاحين الاميين وشبه الاميين ، وانما أصبح يتعين عليه ان يجابه جيشاً جديداً يشكل المتعلمون والمثقفون والالاف من خريجي الجامعات والمهاد العليا والمتوسطة ، جانبا كبراً من قواته الفعالة . ومن شأن هذا ان يؤثر — دون شك — على نوعية القتال بالامثلة الحديثة المقتدة ، وعلى درجة وهي وإمراك الأفراد في القوات المسلحة ، وان يور كل الامكانيات لتكوين جهاز حربي جديد مختلف ، مزود بكادرات أفضل من الجنود المدربين تكتولوجياً ، وهو وضع لم يجابه اسرائيل من قبل في أي من الحروب التي خاضتها طوال تاريخها ضد الجيوش العربية .

خصوصاً اقتراباً مباشراً ، وأن تجابه القوات المسلحة العربية وجهاً لوجه في معارك ضارية ، لا يمكن كسبها في مقرات القيادة العامة ، وانما يمكن كسبها فحصب على أرض الصدام الضمري المباشر بين قوات الجانبين في ميادين القتال نفسها . وهكذا اضطرت اسرائيل في الحرب الرابعة ان تخفض حرباً لا تدور على مستوى القمة ، ولا تكسب في مقرات القيادة ، وانما حروباً جديدة قاعدية ، حرباً ضروس حقيقية بين قواعد الجيوش المتحاربة بألفها المؤلفة ، وبذلك طرأ قانون ، وقاعدة جديدة على قوانين وقواعد الصراع العسكري العربي الاسرائيلي .

وفي سنة ١٩٤٨ ، انتصر الاسرائيليون نتيجة للتخطيط الحكم للقيادات العسكرية الاسرائيلية ، المدعومة بقوة الحركة الصهيونية العالمية ، وقوى الاستعمار الغربي بصفة عامة ، ونتيجة الخبرة والتأمر على مستوى القمة ايضاً . من جانب أنظمة الحكم العربية السابقة على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وانتهت العمليات الحربية المحدودة للقوات العربية ، بقبول اعلان الهدنة ، وصودر الأوامر للجيش المصري والجيوش العربية الأخرى بالانسحاب من فلسطين دون صدامات متصلة شاملة مع العدو .

وفي العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، لم يك الجيش المصري يصل الى مواقع المجابهة للاسرائيليين في سيناء وعلى الحدود المصرية ، حتى صدرت اليه الأوامر بالانسحاب الفوري السريع لتدخل بريطانيا وفرنسا في الحرب ، ولتلافي الإهانة المتوقعة للجيش بين فكي الكماشة الاسرائيلية من الشرق والبريطانية — الفرنسية من الغرب . وانسحب الجيش المصري من سيناء دون قتال يذكر ، اللهم الا لبضع كتابات لاعاقة تقدم العدو ، ووصل الجيش الاسرائيلي الى قناة السويس دون عناء ، بعد انسحاب القوات المصرية الرئيسية .

وفي صيف ١٩٦٧ ، وجهت اسرائيل ضربتها المخالفة لسلح الطيران المصري ، وصدرت الأوامر مرة أخرى الى الجيش المصري بالانسحاب الكامل من سيناء قبل ان يلتقي بالعدو ، ودون مجابهة حقيقية شاملة معه .

لم تحدث في كل هذه الحروب الثلاث ، مجابهات شاملة بالمدرعات والمشاة والصفية والطيران ، كما تحدث اليوم في الحرب الرابعة ، التي يرى عديد

الهزيمة الأولى للمصرية الاسرائيلية

العدو ، وفوتوا عليه فرص القيام بالناورات التي يجيدها والتي قد تتفعل في محاولة الهجوم على مؤخرة القوات المصرية المتقدمة ، وقطع الطريق عليها ، وعزلها وحصارها .

فشل التكتيك التقليدي

كذلك نجد من ناحية أخرى ان الحرب الرابعة ، أغلقت على الجانب الاسرائيلي ، طريق استخدام تكتيك تقليدي انتهى في يونيو ١٩٦٧ . عندما جابه عدة جبهات عربية مما ، وهو تكتيك الأيام بالهجوم السريع الخاطف في مواجهة كل جبهة على حدة مع محاولة تحييد فاعلية أو نشاط الجبهات الأخرى أثناء تركيزه الهجومي على إحدى الجبهات ، وذلك بواسطة الدفاع الايجابي ، مثلما حدث من تركيز في يونيو ١٩٦٧ على الجبهة المصرية من ٥ الى ٧ يونيو ، ثم الاردنية من ٦ الى ٨ يونيو ، وأخيرا السورية في ٩ و ١٠ يونيو . وقد استهدفت اسرائيل هذه المرة التركيز على الجبهة السورية أولا لتحطيم الجيش السوري ، والقيام بعملية صد في القناة ، ثم رد القوات المصرية عبرها الى الغرب مرة أخرى . ولكن هذا التكتيك فشل الى المرة لان الجيش الاسرائيلي جابه في الجبهة الشمالية صمودا سوريا رائعا ، وهجمات سورية مضادة شرسة لم يسبق لها مثل في تاريخ الصدام السوري الاسرائيلي . لسذا لن يصبح بامكان اسرائيل من الآن فصاعدا ، التعويل على مثل هذا التكتيك ، أو الاطمئنان اليه على أقل تقدير ، فسيتمتع عليها من الآن فصاعدا مجابهة أكثر من جبهة عربية صلبة في نفس الوقت ، مما يهدد باستنزافها في أي صراع طويل المدى . ولكل حقيقة أخرى جديدة من الحقائق التي أضاعتها الحرب الرابعة الى معلم الصراع المستشري العربي - الاسرائيلي .

بناء فوقى يشترك في التسوية

على أنه ينبغي الا يتبادر الى الذهن بحال ، ان اخذ الاسرائيليين على غرة في هذه الحرب الرابعة ، وخاصة في الانقضاض المصري المفاجيء على خط بارليف ، كان نتيجة خطأ في العمل التكتيكي لاجهة المخاضرات الاسرائيلية والامريكية المتعاونة معها فحسب ، وإنما هو كان في الحقيقة ، وليد خطأ في النظرة الاستراتيجية لدى القادة الاسرائيليين أنفسهم كذلك ، واستبناهم ان تسفر مثل التجمعات العربية بأوضاعها الرائدة في مصر وسوريا ويملك أبنيتها الفوقية هذه ، عن هجوم

ان الطريقة التي خاض ويخوض بها العرب حربهم الرابعة ، اثبتت بوضوح ان العسكرية الاسرائيلية يمكن بالفعل هزيمتها . فقد اتسم الهجوم العربي ردا على الاحتلال والاستنزات الاسرائيلية بطابع المفاجأة التام ، وراحت له أنسب وقت وهو عيد الغفران على حسب تعبير ديان تلسه . وكان ذلك الهجوم ، أول هجوم عربي على اسرائيل منذ ١٩٤٨ يشن في وقت واحد على جبهتين ، وفي ظل تنسيق تام ، وبقوات ضخمة . كذلك فقد نجح المصريون والسوريون الى حد كبير ، في الثقل على تفوق سلاح الطيران الاسرائيلي ، باستخدام الواسع الفصل الصواريخ السوفيتية الحديثة ارض - جو ، التي أثبتت قدرة البلدين على توفير دفاع جوي متماسك لقواتها البرية ، كما استبعدت هذه الصواريخ ، فضلا عن الدفعية المضادة للطائرات ، وشيكات الرادار ، والانداز العالية الكفاءة ، أي احتمال لحدوث ضربة جوية مسبقة مفاجئة ، كالتي حققت لاسرائيل تقوفا فوريا في علم ١٩٦٧ . وبذا لم تصبح المواجهة المصرية - الاسرائيلية هذه المرة ، كما كانت تقليديا من قبل ، مراجعة بين جيش يرى جوي [اسرائيلي] ، وجيش يرى فقط [مصري] . وإنما أصبحت مواجهة بين قوتين بريتين جويتين . كذلك استطاع الجيشان العربيان ، مواجهة القدرة التكتيكية لاسرائيل في استخدام اندرعات ، باستخدام الصواريخ السوفيتية الموجهة ، المضادة للدبابات من طراز ساجر ، التي أثبتت قوتها وفاعليتها ضد اندرعات الاسرائيلية .

كذلك اتبع المصريون خطة حرة واثقة في تحريك قواتهم في سيناء ، تغلق الطريق على المناورات الاسرائيلية التقليدية ، بأن صعدوا الى تحرير القوات البرية والدرعة المتقدمة ، على أساس توفير الغطاء الصاروخي والجوي والدفعي لها أولا وقبل كل شيء ، لحمايتها من ناحية ، ولإجبار العدو من ناحية أخرى (على أن يفعل ما نريداه لنت أن يفعل) بحيث يلصق معك في المجال الأكثر ملاءمة والأوفر لمنا يانسبة لقواتك المتقدمة . وقد كان لتلك الخطة اثرها الفعال في اجبار الجيش الاسرائيلي على العمل في المجال الذي تحده القوات المصرية ، الامر الذي كان له اثر كبير في استدراج قوات هذا الجيش ، وتدمير اجزاء كبيرة منها أولا بأول عند رموس حرية الهجوم المصري . ومن ناحية أخرى ، تلافى المصريون التقدم السريع بخطوط طويلة داخل جبهة

نجاح المصريين المعري في الاستيلاء على خط بارليف واحتلال الضفة الشرقية لقناة السويس ، كان ضربة عنيفة ، لهيبة وسيمة و « أسطورة » المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، لا هي داخل إسرائيل فحسب ، وإنما في العالم الخارجي أيضا . بيد أنه من الخطأ - مع ذلك - الاعتقاد بأن هذه الضربة تنال بصفة عامة من مكانة المؤسسة العسكرية نفسها بصفة عامة داخل المجتمع الإسرائيلي ، كجهاز يحتل مركز القلب ، والموود الفكري بها ، لأن الاعتقاد الأرجح - على العكس - هو أن هذه الضربة ، متزيدة من أهمية وخطورة المؤسسة العسكرية في قلب المجتمع الإسرائيلي ، وستساعد ، أكثر من أي وقت مضى ، على تركيز كل الجهود لدعمها ، باعتبارها حصن الأمان لكل والآخر ، ضد عدو تزداد قوته العسكرية ، فعالية واضطرادا . وهذا أمر منطقي تماما بالنسبة لكل متتبع لتطور تاريخ الدولة الإسرائيلية ، لأنه لا يمكن فصل بقاء ووجود هذه الدولة ، عن مؤسساتها العسكرية ، فهما مرتبطان ارتباطا حميميا . ولا يمكن الحديث عن دعم أحد هذه الدولة ، حاليا ومستقبلا ، دون ارتباط بدعم مكانة المؤسسة العسكرية وسيطرتها أولا وقبل كل شيء . ولذا فمن الأصح أن نقول أنه وإن كنت الضربات التي تلقاها الجيش الإسرائيلي في سيناء ، قد أضعفت من مكانة وهيبة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في أعين العالم ، إلا أنها زادت في الوقت نفسه ، من أهميتها وخبرتها القصوى ، في قلب إسرائيل ذاتها .

وإذا حاول أحد أن يبحث عن دور أكبر للمؤسسات المدنية في هذه الدولة ، يعد هذه الضربة التي تلقاها المؤسسة العسكرية ، فإنه على الأرجح بجانب الصواب ، فذلك ضد طبيعة هذه الدولة نفسها . ولا يمكن أن ينظر المؤسسات المدنية دور أكبر في دولة زعزت بالقوة العسكرية والمدوان ، في قلب عالم يتجهز لرفضها ، اللهم إلا إذا كان معنى ذلك انتماع هذه الدولة وفنائها الاختياري ، وهو ما لا نعتقد أن الإسرائيليين قد عقدوا عليه العزم اليوم ، بعد الضربات العربية الأولى التي تلقوها .

ولكن الجانب الذي أصبح حقا من النتائج العسكرية المواجهة لهذه الحرب الرابعة ، فهو القيادات الحالية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، وعلى رأسها موسى ديان الذي ضغطت أسطورةه ، بفعل الضربات العربية السريعة إلى حجبها الحقيقي ، وفقد الكثير من مكانته الأسطورية داخل إسرائيل ذاتها . وليس شمة شك بهذا الصدد ، أن

عسكري استراتيجي على خطوط اتواجه مع إسرائيل . ومعنى ذلك أن الإسرائيليين ، وهذا أمر طبيعي تماما ، قد قدموا في نفس الخط الذي يقع فيه عادة ، كل القادة الاستعماريين والرجعيين ، ألا وهو الفضل التام في أدراك العوامل الكائنة المضطربة في قلب المجتمعات المحتزمة بموالم الثورة والتفجر . وليس شمة شك ، أن مثل هذه الظاهرة ، تستحق دراسة أعمق وأشمل في المستقبل ، وهي : كيف ساهم البناء الضوقى للمجتمع المصري ، بصفة خاصة ، عن قصد أو غير قصد ، في إيقاع العدو الإسرائيلي في هذا الشرك الخداعي الذي أدى إلى تبني فائته لكل هذا النصور الاستراتيجي ؟

بيد أنه لا ينبغي لنا مع ذلك ، أن نفشل حقيقة هامة وهي ، أن فشل أجهزة لخبارات الإسرائيلية والأمريكية في التنبؤ بالهجوم لمصرى المفاجيء ، لم ينبع في الحقيقة من نقص في معلومات عن خشود القوات ، ولكنه ينبع من الضئ القاتل في تفصيلها . لقد نظر الإسرائيليون نازمراء إلى التحركات الضخمة للقوات المصرية غربى القناة ، باعتبارها مناورات روتينية تستهدف شغل الجيش المصري والهائه . ويرغم أنهم وضعوا جيشهم في حلة استعداد وتأهب ، إلا أنهم تروى أن يضي يوم عيد الغفران طبيعيا ، وألا يسكر صفوه استعداد الاحتياطي ، بل أنهم منحوا أظم البدايات من الجنود النظاميين ، إجازات بسبب العيد .

لقد أفرط الجيش الإسرائيلي وقادته في الثقة بأنفسهم ، نتيجة لانتصارهم السهل في حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكانت مشكلتهم الرئيسية في الحقيقة هي أنهم صدقوا أسطورتهم . فقد تحصنوا تحصنا واتقا مطمئنا وراء خط بارليف الذي انفلق عليه مئات الملايين من الدولارات ، وقال عنه بارليف : « أنه لن يهكن مصر من تحقيق أي خور لاستحالة اجتيازه ، والون : « أن خط استحسانا فسي منطقة قناة السويس ، لا يمكن احتراقه ، لا بهجوم مباينة ، ولا بالثقاف من البحر أو الجو » . وديان : « أننا اقوياء بدرجة تكفى لاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف » و « إذا - ارات مصر عبور القناة ، فسوف تتم إبادة قواتها » و « إذا لجأوا إلى استخدام القوة ، عبور قناة السويس ، فإن قواتهم ستتحوّل إلى رمان » .

مصيبر « المؤسسة العسكرية »

كل ذلك كذبتة الوثائق بشكل لا يدحض في حرب الشرق الأوسط الراهنة ، وليس شمة شك أن

المتوافرة لدى المدعي . للاستمرار في قتله المدعى
الراهن ، فذلك هو سبيل تحقيق طول النفس
العريس ، الذي اعتقدها دوما في صراعنا مع هذا
العدو . فعلى مستوى هذه الخوفة ، نجد أن وزير
ماليها يتحاشى سايير يعان أخيرا ، أن إسرائيل
اتخذت الإجراءات اللازمة لتنظيم اقتصادها من
أجل حرب طويلة المدى ، وأنه تم فرض نظام
البطاقات في توزيع المواد الغذائية ، كذلك أصدرت
اللجنة السياسية بالكنيست قرارا برفض قرض
اجباري بمليار ليرة إسرائيلية يموله دافعو
الضرائب ، لتغطية نفقات الحرب ، فضلا عن قرض
اقتناري آخر لجمع مليار ليرة أخرى ، كذلك نجد
أن الدولة قد استفادت من خبرتها وتجاربها في
حرب يونيو ١٩٦٧ ، واتخذت منذ ذلك الوقت بعض
الإجراءات الاحتياطية ، لاي حرب قادمة ، مثلما
فعلت في مجال النقل على سبيل المثال ، حيث
اشترت ٢٠٠٠ سيارة نقل لمواجهة الظروف الطارئة
في حالة الحرب ، كالتحركات التي تنجهاها إسرائيل
اليوم .

ومن الناحية الخارجية ، نجد أن إسرائيل تلقى
كذلك سبلا من المساعدات السخية من الولايات
المتحدة الأمريكية ، والطوائف اليهودية في
العالم . فقد طلب الرئيس الأمريكي نيكسون من
الكونجرس الأمريكي أخيرا ، الموافقة على اعتماد
جديد لبرنامج ضخ من المساعدات العسكرية
الأمريكية لإسرائيل يصل في مجموعه إلى ٢٢٠٠
مليون دولار ، وهو يعادل ضعف ماوصلت عليه
إسرائيل من أمريكا خلال تاريخها كله ، كذلك أعلن
نيكسون أنه أصبح من الضروري تزويد هذه
الدولة بالمعدات العسكرية بالمجان نتيجة لارهاق
إكناياتها المالية . كما هبت الجاليات اليهودية
في العالم لنجدة إسرائيل ، وعلى رأسها الجالية
اليهودية في الولايات المتحدة التي أعلن بخاس
سايير أنه ستعين عليها . وهي أغنى الجاليات
اليهودية وأكبرها أن تحصل الجزء الأساسي من
النفقات الحربية . كذلك أوضح نفس الوزير
الإسرائيلي أن اليهود في جميع أنحاء العالم هم
تلبية لنداء إسرائيل ، مبالغ ضخمة لمساندة الجهود
الحربية الإسرائيلية ، حيث تقوم منظمة النداء
اليهودي الموحد بجمع التبرعات . ولذا تعتقد من
الناحية الواقعية ، ونتيجة لهذه التهيئة المالية
الداخلية والخارجية ، أن الاقتصاد الإسرائيلي ،
سوف يكون قادرا على التغلب على الأزمات الشديدة،
والمشاكل الحادة التي قد تواجهه نتيجة استمرار
أمد الحرب ، ولإنه في أن يغيب عن بالنا بهذا
الصدد أنه إذا كان الإسرائيليون قد نجحوا في
سنة ١٩٤٨ في القتل عدة أشهر ضد العرب ،

استعدادا ١٢ من جنرالات الاحتياط إلى الخدمة
أخيرا ، لم يكن في الحقيقة مجرد « تدعيم للقيادات
العسكرية الحالية » بقدر ما كان يمثل في الواقع ،
عمليات عزل بين تلك القيادات العسكرية ، وبين
رجال الجيل الجديد من المؤسسة العسكرية .
وهكذا نجد بعد كل ذلك ، أنه وإن كانت المؤسسة
العسكرية ، وبشكل أخضر قياداتها ، قد اهتزت
على المستوى التكتيكي بفعل الخبرات العربية ، إلا
أن دورها سيصبح أكثر خطورة وضراوة داخل
إسرائيل ذاتها على المدى الاستراتيجي .

إمكانية متوفرة لمواصلة

حرب طويلة الأمد

لكننا نود أن نتساءل بعد كل ذلك ، عن إمكانات
المجتمع الإسرائيلي في الصمود والاستمرار في
ضوء المعطيات الجديدة التي جاءت وتجيء بها
الحرب الرابعة . وهل سيستطيع هذا المجتمع
امتصاص الضربات التي تلقاها ؟ وهل سيتكبد من
مثمرة حرب قد يطول أمدها ، في مواجهة مصر
وسوريا ؟ لقد أدت صحيفة « واشنطن نيوز »
سغار « بوجهة نظرها في هذا الصدد قائلة : « أن
إسرائيل لا تستطيع من الناحية الاقتصادية أن تثن
الحرب بالمدل الحالي ، لأكثر من ثلاثين يوما ،
وإن عدو إسرائيل هو الوقت بسبب الاستنزاف
الاقتصادي الخطير الذي ستعرض له بتمدها
الذي يبلغ ٣ ملايين نسمة » كذلك أشار موسى
تورنوفر الخبير الاقتصادي الإسرائيلي إلى أن
الحرب الحالية تكلف إسرائيل « نحو ٥٠٠ مليون
جنيه إسرائيلي في الساعة » ، كما وإن التنمية
المرتبة عليها تخلف مشكلات خطيرة للصناعة
والاقتصاد الإسرائيليين ، اللذين يهدد الانتاج
فيها هبوط شديد بعد استثناء أغلب العمال
للحرب ، كذلك فإن الحرب طويلة الأمد مع
إسرائيل ستؤدي إلى استنزاف سريع للقوى
البشرية فيها ، لا تقابله نفس النسبة المثوية في
الجانب العربي . وإن استمرت نتيجة حشد
واستخدام الاحتياط البشري التي تلجأ إليها
الدول العربية سوف تؤدي ضارها المؤكدة في
اضعاف الجانب الإسرائيلي ، والنيل من قواه
بشكل محسوس .

كل هذا صحيح تماما ، ولكن من المهم بالنسبة
لنا نحن العرب ، أن نسترشد في خوض معركتنا
الراهنة ، بالاعتبارات الواقعية ، لا الوهمية أو
المثوية ، وأن نترك بأمان ، الإمكانات الواقعية

الحرب الرابعة

الحاكمة الى ضرب كثير من مظهر الليبرالية السياسية في حياة المجتمع الاسرائيلي في الفترة الزمنية القادمة ، بل ان هناك خطرا كاملا يمتثل في التحول من نظام يأخذ بشكل الديموقراطية البرجوازية الغربية بصفة عامة ، الى نظام يسير نحو الفاشية . هذا الاحتمال قائم ، وقد تتزايد امكانيات تحققه في المستقبل ، فمن الناحية النظرية نجد ان المبادئ العنصرية للصهيونية تقريبا فعلا من الفاشية ، كما انها يتمثلان في عدائهما المبيت للشيوعي وللانحياز الصهيوني ، وى ستخدماهما لومئذ لمقاومة في الازهاب ، الانفردة العنصرية ، والعمل ضد الكفاح التحرري لاشعوب ، ومن الناحية العملية ، ليس من المتوقع نتيجة للحرب الرابعة ومعاركها الكثيرة بالنسبة لاسرائيل ، الا ان يستمر قادة اسرائيل ، بل ان يريخوا من انتهابهم الحريات الديموقراطية ، خاصة مد تعديل قانون الانتخاب لمنع تشكيل الاحزاب الصغيرة فسي البرلمان ، واصدار القوانين التي تنرم الاحزاب ، وتحديد اقامة عشرات من الديموقراطيين والشيوعيين والمستشارين في مجالس البلدية والمناضلين التتاليين والمعلمين والكثبة بصفة دائمة ، بسبب جرائم الرأى . وقد لوصح « ماير ففتر » سكرتير عام الحزب الشيوعي الاسرائيلي في الفترة الاخيرة ان جو الشوفينية القصوى ، ومستيريا الحرب الذي تخلقه الدوائر الحاكمة ، قد دفع بحركة الطبقة العاملة في اسرائيل والحياة الاجتماعية والسياسية فيها عامة ، دفعا نحو اليمين . ويضاف الى كل ذلك تزايد اعمال العنف التي تقوم بها المنظمات والجماعات الفاشية مثل « رابطة الدفاع اليهودي » التي تعتبر تنظيها فاشيا نموذجيا ، يتزعمه الناحام « مافير كاهانا » الذي يعتبر « فوهرر » الرابطة ، ومنظم نشاطها الذي يعد من اسوأ انواع النشاط الازهابي ، والذي يتعاون فيه كاهانا مع حصابة « المافيا » ووكالة المخابرات المركزية الامريكية . ولقد بلغ الامر بعصاة كاهانا حد ترشيح قاضية خاصة بها للمكتسب في انتخابات نوفمبر ١٩٧٣ ، الامر الذي يعني ان الهيكل الاجتماعي السياسي لاسرائيل بدأ يستوعب على نحو طليعي ، تنظيم فاشيا صريحا . خاصة ، اذا لم يغيب عن ناظرنا بهذا الصدد ، ان مافير لانسكي الحقل المبلى للمافيا ، يدفع ميالغ ضخمة مساهمة منه في نشاط حزب الجودات اسرائيل ، الديني ايضا . وهذا كله منطمة « فوف » وهي منظمة « قمع للقوة » التي تبث بتهديتها بالثقل الى الشيوعيين والشخصيات التقدمية ويحدث كل ذلك في الوقت الذي يزداد فيه احتلال الجنرالات للبراكز الهامة ، سواء في قيادة حزب العمل ، او في كتلة جمل ، او

بجهود الوكالة اليهودية ، وفي السوقت الذي لم تكن قد تولدت لهم خير دولة بعد ، فان تلك الامكانية لا تنتفي الآن ، بعد ان أصبحت لهم مثل تلك الدولة التي اثبتت قدراتها العدوانية في سبيل حماية مصالح امريكا البترولية في الشرق الاوسط والتي لن يسنى عليها المستثمر ليناكس يقيض المساعدات الكليل بدفع تبني الحياه في شرايين اقتصادها .

ضعف موقف « الحمام »

ودعم موقف « الصقور »

وفيما يتعلق باوضاع اسرائيل الداخلية ، فان المتوقع كنتيجة للضربات العربية العسكرية الاخيرة ، هو ضعف موقف ومكانة من يسمون « بالحمام » داخل اسرائيل ، ودعم موقف ومراكز من يسمون « بالصقور » . وقد وجه « مناحيم بيجن » زعيم كتلة جمل المعارضة ، وهو من أشد « الصقور » عدوانية ، اللوم الى الحكومة في مقال صحفي اخيرا ، لانها « جعلت الاسرائيليين يصدقون ان العرب لن يهاجموهم ! » وقال بيجن : « ان الحرب اثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان الاراضى العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ كانت بالغة الاهمية بالنسبة للصالح الامن الاسرائيلي الاساسية ، وان لو لم تكن حطوط وقف اطلاق النار حيث كانت ، لدارت العرب الآن في قلب الاراضى الاسرائيلية » . كذلك فقد زادت هذه الحرب ايضا وهي حرب لكره عليها ان العرب لتحرير اراضيهم - زادت من عدم ثقة الامريكيين بالعرب ونواياهم ، وخاصة وان اليمين في اسرائيل قد ردد على مسامعهم طوال سنوات ان اى اتفاقية للسلام مع اى حكومة عربية لن تكون سوى قصاصة من الورق . وان القوة العسكرية هي الدفاع الوحيد الذي يجب ان ترتكز عليه اسرائيل . وقد وجدت هذه العداية صدق اكبر لدى الكثير من الاسرائيليين ، بعد الضربات العسكرية العربية الحسوسة التي تلقاها الجيش الاسرائيلي فسي الالوة الاخيرة .

خطر ضرب الليبرالية

والتحول الى الفاشية

كذلك فمن المتوقع ايضا مع التحديث الصعبة التي ستواجه اسرائيل من الان فصاعدا ، واكثر من اى وقت مضى ، ومع جو الحرب ، والنتائج المؤلمة المفجعة التي تسفر عنها ، ان تتمد الدوائر

على رأس مجالس إدارات الشركات الكبرى . وفي الوقت الذي يتخذ فيه قادة المستودرات المزيد من المواقف الرجعية ، بموافقتهم على القوانين المعادية للعمل والتي تحرمهم من حق الاضراب ، وباغراقهم في الديماغوجية الصهيونية انشوفينية .

كذلك تلاحق الدولة نشاطات التنظيمات والمجموعات مثل « اتحاد الاشتراكيين الصهيونيين اليساريين » ، ومجموعة « هاعولام هازيه - وقوا هاداش » المادية للصهيونية ، و « حركة السلام والامن » و « الشباب المستقل » و « الرابطة الاسرائيلية من أجل الحقوق الإنسانية والمدنية » وغيرها من التنظيمات (١) التي تتخذ مثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » موقف العداء من السياسات المعادية للشعب التي تنتهجها الدوائر الحاكمة ، وتتصدى مثله لهجمات الرجعيين ، وتعمل من أجل حل سلسلي سادل لمشكلة الشرق الاوسط ، وتسمى من أجل علاقات تقوم على أساس حسن الجوار والصداقة مع البلاد العربية .

أما الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » الذي شن حملة عنيفة على الحكومة وحيلها مسئولي « التدهور الذي ادى الى الحرب » نتيجة تمنعها ، واتجاهها التوسعي العدواني ، وإصرارها على احتلال الاراضي العربية بالقوة ، فلا تمتدح - برغم تأثيره المحدود في مجتمع اسرائيل المنصري الشوفيني - انه سيواجه في ظروف اسرائيل المكفورة اليوم ، بغير المزيد من القمع والارهاب ، لانه في عز الانتصارات الاسرائيلية الخاطفة في يونيو ١٩٦٧ وفي قمة ثقة الاسرائيليين الزائدة بأنفسهم ، لم يسلم هذا الحزب من القمع والارهاب ، الذي يلغ من زاوية فردية بحتة - حد

طعن سكرتيهه العلم بالسلاح الابيض في الطريق العام - فما الذي سيكون عليه الحال اليوم ، في ظروف ما تلقاه اسرائيل من هزائم ونكبات ، الامر المرحه هو ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » سوف يجابه بهزيد من القمع والارهاب الاسود ، الا انه من واقع تاريخه الثابت في مساندة القضايا العربية العادلة ، سوف يتبع السياسة التي آمن بها وكافح من أجلها ، برغم العديد من الاساليب والوسائل التي تستخدمها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة لشل نشاطه ، وعزله عن القوى اليسارية الاخرى ، ولارهاب وتحطيم معنويات ممثلي التنظيمات التسديدية ، بالاستقرازاات والاعتقالات ، والتخريب والحبس ، وبرغم حرمان قادة الحزب الشيوعي ، ورابطة الشباب الشيوعي من حق التنقل ، وفصلهم من العمل ، وطردهم من اللجان والمجالس العمالية ، على أن كل صفوف الاضطهاد هذه ليست جديدة على حزب « راكاح » ولم تفلح قط في حربه من مواقف المبدئية العادلة التي تمثلت دوما في معارضة سياسة القمع التي اتبعتها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة ، وفي الكفاح الدائم المستمر من أجل انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، ومن أجل تطبيق قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تطبيقا كاملا . ولم يغير هذا الحزب قط ، تحت أي شكل من أشكال التهديد والارهاب في الاوبة الاحيرة بصفة خاصة شعاره الاساسيين التاليين :

« ضد احتلال الاراضي العربية - ومن أجل السلام » .

« مع الشعوب العربية ضد الامبريالية ، وليس مع الامبريالية ضد الشعوب العربية » .

آراء

ومواقف

في ظلال معركة التحرير الوطنية المجيدة
التي بدأت يوم ٦ أكتوبر ، بالصباح العظيم ،
استجاب عدد من أصدقاء الطلبة وكتباها
وتحركوا وذلك على امتداد جبهة فكرية
وطنية وتقدمية عريضة ، لاختار كل كاتب بحرية
الزاوية التي يكتب منها ، وليعبر بحرية عن
رأيه الخاص .



● سمات هذه الحرب

د. اسماعيل سبرئيل عبد الله

عصر التقدم بالعلم والتفطُّر والعزم وقصر المدى الزمني التي ميزت عبورنا الفناة واقتحام خطوط العدو ، لقد حدث قبل قرن من الزمان أن تجمع الاستعمار الأوروبي كله ضرب تجربة مصر في عهد محمد علي لأنها كانت تعنى نبضة الحياة في جسد الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) وخطر تصدُّد مصر لمهمة التحديث وقيادتها للوطن العربي في هذا الطريق ، وما يفعله جيشنا في الوطن العربي يغوي في أعميته أضعافاً مضاعفة ما حاولته مصر آنذاك ، فنحن ساضل لا لخلاف بين والي وسلطان ولكن تحت شعار الحرية بأوسع مسانيها للوطن والمواطن ، ونحن نناضل لا من أجل مجد حاكم تحيط به طبقة محدودة من اصحاب الامتياز ، ولكن من أجل الرضاء والتقدم لأوسع جماهير الشعب العامل ونحن نناضل لا لنهني امبراطورية ، وإنما لتحقيق الوحدة القومية ، ولذلك فإن شعارات الحرية والاشتراكية والوحدة التي رفعناها تنزع قوى الامبريالية السالبة وتجعلها تساعد اسرائيل لتشل تقدمنا نحو تلك الاهداف القومية ، ولنتصارنا في الصراع الحالي هو انتصار لكل ما ناضلنا من اجله من اهداف شريفة ، وعلينا ان نقال من أجل هذا كله وهو يستحق التضحية مهساً تكن والاضرار ممها كلف .

الاعمال ، ان عدونا تسانده الامبريالية قد صاغ نفسه بهزيج من الميثولوجيا والتكنولوجيا وجوداً مبنياً التفوق المطلق ، وسنطق التوسع والسيطرة والتفوق ، لأنه على حد زعمه الشعب المختار المتكامل عنصرياً يحكم كل ما تردده الاساطير والمعتقدات فعلياً بتملكه ناحية التقدم العلمي والتكنولوجيا الذي اتاحه له أصوله الأوروبية والأمريكية والتوسع والسيطرة ، لأنه كاستعمار استيطاني لا بد ان يفرض وجوده بالازهاب ، ولما كان استيطانه في أرض فقيرة فلا بد من التوسع لاراضى أخرى ، والهدف الاخير هو السيطرة الاقتصادية على المنطقة وكل هذا التصور الذي أسموه « نظرية الامن الاسرائيلي » هو موضوع الصراع في سيناء والجولان وفي وجه هذا الغرور كله تقدم امراً واحداً هو : أمضى الامور ارادة النضال حتى نصل الى ما حدثناه لانفسنا من اهداف مهما يكن الثمن ومهما يطال الزمن .»

وهي حرب تخرج في اطار حركة انتفاض وعنى وقومية استهلتها ثورة ٢٣ يوليو المجيدة فنحن بدورنا لا نقبل المسدود استرداد الارض المحتلة — على بالهذا الطلب في ذاته من قيمة عظمى — بل نؤكد حرية الارادة العربية في تشكيل مستقبل الوطن العربي ، لنؤمن حقنا في ان نقفز عبر سنوات التخلف ، ولنتقحم

من المسير على المرء ان يقف من الاحداث وقفة المحلل ، في حين يصنع رجال باسم والذات تلك الاحداث في سيناء والجولان . ولكن الفكر كالحياة صليبة لا تتوقف ، وفقدان القدرة على الحياة التفكير يفقد القدرة على الحياة كما ينبغي ان تكون الحياة . ومن ثم لا بد من ضبط الشعور وضبط الانفعال واعمال الفكر واختيار الكلمات لتأكيد المعنى الاساسية التي يدور من اجلها القتال ، تشكل اهدافه ويشكل الاسلوب العنيف لضرته بكل مليحيه هذه الحلف من جسارة وفداء .

اننا نحارب حرب تحرير ، وحرب التحرير يقدر ما هي مبرورته وعادلة تكون عياده مبررة وقاسية . انها رد على نصر حقه بتمتص بيمت بوقته ويهلس ارادته ، ويبقى ان يستخفف اعداءه ، ليس في هدفهم فقط ولكنهم في انسانيته ذاتها . والتاريخ يعلمنا ان ذلك دائماً هو شان كل حروب التحرير . ونحن لا نحرق أرضاً اغصبها عدو ، نقبل بيننا وبينه الحصان والمحيطات وتقاس المسافات بالاف الاميال . بل انه عدو زرع الاستعمار بين ظهرانينا ، ولذلك فحرب التحرير تكون على أبوابه وهو يربط بينها وبين وجوده كما تصوره ورسمه وخطط له . ولذلك فإنه لا شك ستمت في القتال ، وليس فقط فيما تبذل به قوانين الحرب وإنما فيما وراء ذلك من أننا

الحرب الرابعة

سلام حقيقي ومستقر ، انه شعار العالم الثالث كله الذي يرفض الحروب المحلية التي يفرضها الاستعماريون أو يثيرونها لاستنزاف قواه . انه مثل على لنا شرف النضال من أجله .

ان هذه السبات تجعل لحربنا هذه أبعادا ودلالات سياسية واجتماعية ، واقتصادية وتاريخية ، يصبح النصر فيها امرا لا بديل له ، مرة أخرى مهما يكن الثمن ، ومهما يطل الزمن .

العدل معناه انتصار الشعوب المظلومة ، وتحقيق السلام القائم على العدل في هذه المرحلة من العالم ستكون له أصداء بعيدة في كل اتجاه العالم . انتقلت يقوى عزيمة من يصفون الاستعمار القديم ويفتح عيون من يدعمه الاستعمار الجديد . ان تحقيق السلام القائم على العدل يشك سابقا جديدة في تاريخ العلاقات الدولية التي قايت على الغضب والفخر وتصفية ارادة العدو ، انه يفتح فصلا جديدا في تاريخ نضال البشرية الطويل من أجل

وهي حرب من أجل السلام ، فنحن لننا دعاء حرب من أجل الحرب ، وليست لنا تسليد التصعب العنصري ولا العسكرية الغاشمة ، وأمجادنا التي تبني أمجادا حضارية ، ولشدك فهي باقية . ومن ثم كان موقفنا رائعا ومستولا حين قدم الرئيس انور السادات بقرحات السلام في الوقت الذي تلهر فيه جنودنا بعد السلاح أرضنا المحتلة . ولكن هذا السلام القاسم على العدل هو أحش ما يشاءه حكام إسرائيل ومن يسانداهم . ان

٦ أكتوبر ١٩٧٣ : ميلاد جديد للشخصية المصرية

جمعة عبده قاسم

أولا : على الواقع والفكر المصري

مع سقوط خط بارليف . سقط وفي نفس اللحظة ما سعى في مصر .. بلذة الاستفراق في تذيب الذات .. وحل محله وفي نفس اللحظة أيضا الاحساس بقوة هذه الذات . رغم كثافة المحب والغيم . وسوف يكون لهذا العامل اشارة اليمسدة الكبيرة على أفكار وسلوكيات ولديها ظروف ست سنوات من الرارة والانتظار والقلق والتربق الضياع . هسلنا الشعب المصري . ورائع الشباب المقتطف بالذات . وهو ينظر الى تلك مساحة أرضه محقة .. وسوف تنكس هذه الاثار مباشرة ويرمى على قسبة الولاة الوطني ، التي لا يمكن لاحد أن ينكر أن السنوات الست الماضية قد هزتها بعنف . ولن نكفنا ذلك سوى نظرة سريمة على أرقام

ومطاردة فلول العصابات الصبيرة الهاربة أمام جسارة وبطولة المقاتل المصري التي تموق في تصورها حدود العقل البشري . تلك البطولات التي سوف تقف أجيال مصر القادمة بل والتاريخ الانساني كله في ساعاتشوق ورمية واكبار كما جاء يوم السادس من أكتوبر . والانتصارات العسكرية متبركة لخبراء الحروب وجنرالاتها . والمكاسب السياسية التي تترتب عليها متبركة أيضا لاستاذة السياسة ودماتها .

ما أريد أن اتحدث فيه . هو أن أثار المساعات الاولى من حرب التحرير . فرضتها على الواقع والفكر المصري والعربي والعالمي .. ولنحاول وسط ما يجيش في صدورنا من انفجالات أن نرتب أفكارنا لقبو هذه الاثار كما يلي :

مع المساعات الاولى من يوم - عيد الغفران - في إسرائيل خرجت طلائع من شباب مصر في قواتها المسلحة لتمزق بقرة وعنف ذلك السميت الرهيب الذي يخيم على إسرائيل في هذا اليوم . ولتلان للعالم كله أن معركة التحرير قد بدأت . وأن جيش مصر قد اجتاز - فعلا - في هذه المساعات القليلة اقوى مساع حربى مائى في العالم وأنه يحطم الان خط دفاعى - إسرائيلى - من اقوى خمس خطوط دفاعية عرفها التاريخ البشرى كله .

ونجح الجيش المصري في تطعيم أسطورة خط بارليف .. ونجح الجيش المصري في تطعيم جيش أسطورة جيش الدفاع الذي لا يقهر .. ونجح الجيش المصري في أن يثبت للعالم كله أن مصر ، هي كيا هي مقبرة الغزاة . وأن رجالها وشبابها ومعهم الحق والعدل والتاريخ قادرين على تحرير أراضيهم

لكي يحيا حياة كريمة غير
الوحدة . وحدة تخلق منهم كيانا
قويا قويا قادرا على فرض
ارادته على عالم تحركه الكيانات
الكبيرة . وسوف تغطي معارك
التحرير في سيناء والجولان
للوحدة العربية دفعة قوية بعيدة
المدى والاثار .

غير ذلك . لا يمكن ان نهمل
بأى حال من الاحوال الاثر المباشر
لهذا الميلاد على فصائل قوات
الثورة الفلسطينية . . في ان
تعمل بروح عالية وثقة ليس لها
حدود في قيمتها وعروبته نحو
هذهما الاول والاخير وهو تحرير
فلسطين .

ثالثا : على الواقع والفكر العالمى

كادت اسرائيل ان تفرض على
الاستراتيجية العسكرية العالمية
مجموعة من الاعتبارات
والقواعد . بعد يونيو ١٩٦٧ .
ولم تكف دعاويها وحججها
لفرض هذه الاعتبارات . لكنها
سقطت منذ اللطحات الاولى من
يونى ١٩٦٧ . . امه هذه
الاعتبارات والدعاوى .

● الحدود الاستراتيجية الآتية
.. فلم تكف اسرائيل عن المطالبة
بها بحجة انها تمثل عائقا
يستحيل على العرب بسجود
استئلاف العرب . لكن بمسور
القوات المصرية لقناة السويس
وتدميرها لسط بارليف الذى
تكلفت تحصيناته ما يقرب من
ثلثمائة مليون دولار . هوت هذه
القاعدة وثبت انه لا يمكن فرض
حدود على شعب دون ارادته .
هما كانت مائة تحصينات هذه
الحدود .

كذلك مياومة فرض الامن
الواقع . . فلقد عمدت اسرائيل
منذ يونيو ١٩٦٧ الى تغيير شكل
الارض المتعصبة . فالحاقت
سواء فى سيناء او مرتفعات
الجولان العديد من المستعمرات
والمشايخ وهجرت اليها الكثر

امكانيات قادرة على ان تحول
مدينة الولايات المتحدة وآلياتها
الى هياكل مهيئة لمشلولة
الحركة . وذلك اذا توقف تدفق
البنترول العربى الذى يمددها
بطاقتها المحركة . كذلك قدرة
على ان تحول الدولارات الامريكى
الى عملة لا تساوى قيمة تكاليف
طباعتها على الورق . وذلك بما
تمتلكه من ارضة نفعية متصل
وفق اوثق التقارير والمراعات
سنة ١٩٨٠ الى ثلث النقد العالمى
المتداول .

ثم اثرا آخر اكثر أهمية
مستقبلا وهو انه لا بديل للحرب

خطاب من الجبهة

رئيس تحرير الطليعة
تحية طيبة وبعد

تحية لكم من سيناء . من ارض
بصر التي ملئت فيها روح مصر
تحية لكم ولكل كلمة شريفة
في هذا اليوم .
وسلامى لاسرة الطليعة .
ونهنئى ايضا لهم بالنصر .
وبالعودة كما هو ظنى « الطليعة »
دائما بانها تفتح قلبها لكل كلمة
صائقة .

لم استطع ان اغنى اتفعلانى
.. وكنت هذه الكلمة المرفقة مع
هذه الرسالة . ارجو ان تجد
لها مكانا بين صفحات منبرنا العز
القوى الطليعة . كما وجدت من
قبل فيهما مكانا فسيحا لها .
اشكرهم عليه .

ارجو لكم كل توفيق وارجو
منكم الدعاء .

ولاهابى المائتين الى مكاتبهم
كل تحية ونهضة .

مقاتل جمعة عبده قاسم
ماجستير فى الاقتصاد

ملاحظة : لا شك انكم
تستنون من هذه الرسالة لنا

بخبرين والبطانين كبيرين
وليس منكم ما يفتقنا . . لنا

تؤمن هذه الأيام بركة الى بكر
الصديق رضى الله عنه الخالدة :
« احرص على الموت توهب

لك الحياة » .
مع تحياتى ، لكم حبى وتندبرى

الهجرة قبل يونيو ١٩٦٧ . وبعده
ثم بعد اكتوبر ١٩٧٢ .

وسوف يكون المكس تمسما
على الجانب الاخر فى اسرائيل
.. فقد سقطت دعوى الجنبه
الايمة الاسرائيلية التي كان لها
اثرا بعيدا فى اغراء اعداد كبيرة
من بشتات اليهود فى الصالم
بالهجرة لاسرائيل . كذلك ايضا
عادت الروح لصر . وسقط جدار
الوهم والخوف من اساسه
وعادت الشخصية المصرية كما
كانت دائما . قتيلى . وتفتنى .
وتصنع الحضارة .

وتعلم الشعب المصرى ايضا
ان الكلمات لا تغنى عن المدفع .
وان الاستغراق فى التهام
الانتماءات والتفتنى بها
وبالمضى . لا يصلح بديلا عن
القوة وامستعاب ومساكنها
وامتلاكها . . لقد هزم - يضم
الهاء - فى مباحات يوم ان
استرخى والظلمن مستقبله . ثم
أفاق على كابوس طويل . ثم هزم
عدوه يوم ان هاش هذا العدو لا
يملك غير نشوة انتصار ساحق
وسريع . وعاش بها وعليها . .
وهذا درس لا يستهان به لامة
تريد ان يكون لها مكانا فى هذا
العالم .

ثانيا : على الواقع والفكر العربى

لقد كان للتجمع العربى
السريع واتشامل قوى اندلاع
حرب التحرير دلائل سافعة
الايمة . من اهمها ان العالم
العربى أدرك بما لا يدع مجالا
لاى شك ان الامبريالية الصالية
وعلى رأسها امريكا لن تخلى عن
مساندتها المسافرة والطلقة
لاسرائيل . . يحكم اعتبارات
محلية وفردية . . دون النظر الى
الاعتبارات الوطنية داخل امريكا
.. ولئن يمكن تغيير هذا الموقف .
بل وفرض تغييره الا اذا ووجهت
بقوة عربية متحدة - مؤثرة -
تصرف كيف تستقل ما فى ايديها
من اوراق . . وما تمتلكه من

تعيش بين «فكي كماشة» عربية. يريدون الإبقاء بها في البحر . وتعدت أجهزة الدعاية الصهيونية على حقيقتها . وظهر حقيقة الوجود الإسرائيلي باعتباره أداة قمع أمريكية في المنطقة . ونقطة ارتكاز ضرب بها الامبريالية الأمريكية ارادات شعوب المنطقة في افريقيا والشرق الاوسط .

بأخسة بطولية مسجلها الجيش المصري . أكبر من أن توصف . وسباني يومها .

يوما من الأيام . شبكات مياه . خطوط مواصلات . تحصينات تنوق حد التصور . مستعمرات أشبه بقلع القرون الوسطى . مشاريع تنقيب عن الماسان والبتترول . محطات ضخ مياه . محطات توليد كهرباء . أغرب من ذلك فنادق وشاليهات سياحية . سقط كل هذا . وأصبحت مياسة فرض الامر الواقع بتغيير بالشكل مستحيلة على الشعوب مهما طل الزمن . وأيضا سقطت وإلى الأبد الدعوى الإسرائيلية الدائمة بأنها

من السكان وضمت خططها التي تمكنها من هذا التغير . وبالتالي تصبح هذه المناطق بمرور الزمن مدنا بأهولة بالسكان ، لن يسكون - من العدل - الهجوم عليها أو المطالبة بها . وإن ما يرى ما أحدثته في سيناء - وصوف يراه العالم والشعب المصري كله قريبا - لا يملك مسوى الدهشة والرهاء لآفكارهم ومعتقداتهم . فلن يمكن لأي انسان ان يتصور أن إسرائيل قد وضعت احتمالا ولو واحدا في الألف في أنها ستترك هذه الأرض

٦ أكتوبر .. وحرب التحرير العربية الشاملة

زكي مراد

الطريق إلى فلسطين التي أصبحت هدفا ثوريا ساميا ولم تدمر جذمية .

المقاومة الفلسطينية وجدت فرصتها الكبرى للعمل المباشر ، أنها جيشنا في مؤخرة العدو ، تنهك أعضائه وتضيق محبته بالشلل . . . أن لها وقت العمل بغير دقيقة واحدة لاختلاف الرأي وانقسام الإرادة . . . وهي تتمتع بالفعل في العمل وتكبد الخسائر الحقيقية ، وتضهر وحدة قواها في حلاوة القتال وممارته .

العراق يؤمم الحصص الأمريكية في بتروله ويرسل الدبابات والطائرات وآلاف الجنود إلى أرض المعركة . . . جنود المغرب يقتلون مع القوات السورية . . . الجزائر توقف خطط التنمية وترسل قوات مسلحة وطلقات وتضع كل امكانياتها تحت تصرف جبهة القتال . . .

الأردن ترسل قوات مسلحة إلى الجبهة السورية . . . هول البترول فنز الولايات المتحدة يقطع البترول عنها . . . ومظاهر أخرى كثيرة خطيرة للضامن ما تزال في جميعه جسامير الشعوب العربية ستعمل حكامها حملا على القيام بها أو تقوم بها بنفسها .

وعلى الجبهة العالية تتحرك القوات الهائلتان ، قوة الثورة الاشتراكية المالية وقوة ثورة التحرير الوطني . .

لقد عبرت نيران ٦ أكتوبر بقوات شعبنا المسلحة الباسلة من ضفة القتال الغربية إلى ضفتها الشرقية لتبدأ زحفها المقدس .

ولكن هذه النيران العظيمة قد عبرت بجماهير شعبنا العربية كلها من حالة سلم إجباري مؤقت متوتر ، ثقل وممن منذ ٩ يونية سنة ١٩٦٧ ، إلى حرب تحرير شاملة تستنهض أروع وأجمل ما في الانسان العربي من حوافز وطاقات وقيم .

ذلك هو المغزى التاريخي الرائع ليوم ٦ أكتوبر الذي صنعته جسارة شعبنا وجيشنا بدءا من قائده الأعلى إلى أصغر جندي فيه ، وجسارة الشعب السوري الشقيق وجيشه الباسل ، وإن هي الا أيام حتى تجسدت كل معالم هذه الحقيقة تحت وهج الرصاص والبارود .

الشعب المصري كله ، على ما كان يقتتل في داخله من توتر وصراع ، ينهض في لحظات ، ويتراخ خلف جنوده هنا وأحدا متمسكا صلبا ، وتشخص أبعاضه وبمسارته جميعا صوب أرض القتال . . . جماهير الشعوب العربية من أقصى المغرب حتى أقصى الشرق ، ومن أقصى جنوب الجزيرة حتى الاسكندرية شمالا ، تنصرف عن مشاغلهما الخاصة ويملا حياتها شاغل واحد هو هذا القتال الدائر في سيناء وفي الجولان في

من النضال .. ان اقتناع كل أفراد الشعب المتزايد يومياً حتى يصبح ايماننا دافعاً الى التضحية بالروح ، واقتناع كل الحلفاء والاصدقاء ووضوح الاهداف المتزايد يوماً بعد يوم ، والتميز القاطع بين الاعداء والاصدقاء على أساس مبدئي .. لامور جوهرية في حرب التحرير .

٢ - وحرب التحرير حرب شاملة يشكل الشعب كله قوتها الاساسية ، وليس الجيش فيها غير طليعة عسكرية اولى كفاءة وأدق نظاماً وأشد تدريباً على القتال بأحدث الأسلحة .. ومن هنا فان كل أفراد الشعب - الفلاح والحامل والمثقف جنود في هذه الحرب ، كلهم قادرون على حمل السلاح واستخدامه مستعدين للعمل العسكري في أي وقت وتحت أي ظرف مفاجيء .. ان الشعب في حرب التحرير مؤخره مسلحة لقواته المتقدمة ، وليس مجرد متفرج كما كان الامر في الحروب النظامية التقليدية .

٣ - ومن السنتين الاولى والثانية تتبع السبة الثالثة لحرب التحرير الشاملة .. انها دفاع عن الوطن وحقه في الحرية والاستقلال ، يقوم به الشعب كله ، وفي مقبضه جيشه النظامي ، ومن هنا فهي حرب منتصرة .. حرب لا نهاية لها الا النصر .. حرب لا تترف الهزيمة لان السبيل الوحيد لهزيمتها هي ابادة الشعب كله وذلك أمر لا يمكن تصوره .

ان شعباً في أرضه لا يمكن أن تهزم قوة وافدة من خارج هذه الأرض .. تلك تجربة كل حروب التحرير ، التي كانت حرب الشعب الفيتنامي البطل نورتها وأروع نماذجها .

٤ - حرب التحرير في عصرنا جزء من ثورة عالمية معادية للامبريالية والاستعمار والاستغلال والتخلف .. ويقدر ما تعتمد حرب التحرير على قوى الشعب الاساسية في الداخل ، فانها تعتمد في الخارج على قوى الثورة العالمية الثلاث ، النظام الاشتراكي العالمي ، وقوى الثورة الاشتراكية والطبقة العاملة في الغرب الرأسمالي ، وقوى التحرر الوطني في العالم .

ان القاعدة السياسية والعسكرية الذهبية في حرب التحرير ، هي تحالف قوى الشعب الاساسية [العمال والفلاحون والشعب العامل] في الداخل ، وقوى الثورة العالمية في المجال الدولي .

هذه هي السمات الرئيسية في كل حرب تحرير شاملة وهي تنطبق تماماً على حربنا الحالية ضد العدو الامبريالي الصهيوني ، وقد يخدح بعض المفكرين مظهر الحرب النظامية الذي تتخذه حربنا حتى الآن .. اذ تبدو وكأنها قتال صحراء بين جيشين كذلك الذي جرى في صحراء العلمين المحارة لنا ، بين جيوش الحلفاء وجيوش

فالاحتاد السوفيتي اكبر وأعظم اصدقاءنا ، يقود حملة فضح عنيفة ضد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية كصعبة من « القتل وقطاع الطرق » ، وبتصدي لحيلتها الامبريالية الامريكية في المحافل الدولية ، ويعد تضالاً بالعدو العسكري البلشع والمساندة السياسية الكاملة .»

وجميع بلاد الاسرة الاشتراكية تنظم القربح بالدم والمؤونة والدواء ، وتكف بقلوبها معنا على خطوط القتال .

وقوى ثورة التحرر الوطني ، الممتدة عبر آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تحملن عن تضامنها الوثيق ، وتقدم سبعة عشر دولة افريقية علاقاتها باسرائيل بعد بدء القتال .. والحركات الاشتراكية والديمقراطية وحركة السلم في أوروبا الغربية ونس داخل الولايات المتحدة نفسها تنظم حملات التضامن مع الشعوب العربية . في حربها الحالية ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية . ومع كل يوم قتال يمر ، تزداد العزلة الخائفة التي يمانها الحلف الامبريالي الصهيوني حتى عن العالم الرأسمالي نفسه . ان طلائع مدافعنا في جبهتي سيناء والجلولان في ٦ أكتوبر العظيم قد انتصحت حرب التحرير العربية الشاملة واستقطبت كل قوى العالم بوضوح لا لبس فيه بين الصديق والعدو .»

سمات حرب التحرير الشاملة

الحرب التي تعيشها بلادنا اليوم انن ليست مجرد حرب نظامية بين دولتين أو بين عدد من الدول ، وليست حرباً بين جيشين منسحب .. انها حرب تحرير شاملة ، وهي ككل حرب تحرير تتسم بعدد من السمات يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - هي حرب عادلة تخوضها جماهير أمة بأكملها ضد عدو امبريالي استعماري عنصري ، يصر على احتلال أرضها والتوسع على حسابها هذه الحرب العادلة تستهدف تحرير الارض وتأمين الاستقلال الوطني ، وضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . ومن هنا فهي حرب تعتمد في الاساس على قوة ايمان المحاربين بالهدف ، وبأنهم يتودون عن الحق .. وفي مثل هذه الحرب ، فان للعمل العسكري وحده - وعلى عظم أهميته وخطورته - ليس كل الحرب .. ان النضال العسكري هنا وجه واحد من وجوه النضال الشامل على كل الجبهات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد يتوقف القتال العسكري بعض الوقت ، وقد يتقدم أو يتراجع ، لكن الحرب تظل قائمة ، في صور وأشكال أخرى

المشروعة لشعب فلسطين ، فان اقتناع كل القوى الحاربية والتحالفية معنا وكل اصداقنا في الحقل الدولي بمدالة هذا الهدف وحققنا المطلق فيه هو سلاحنا الاول والاساسي الذي لا نزل ترسيخه وتحسينه ووضعنا ذاتيا في حالة استخدام نشط في مختلف مجالات النضال . انه اساس كل النشاط السياسي والعسكري والمعنوي المبذول في حربي التحرير ..

وبرغم بساطة الهدف وعدالته ووضوحه ، فانه لا ينبغي لنا أن نتصور انه هدف سهل أو يسير . ان أكثر من ست سنوات من الجهد الدبلوماسي والسياسي المكثف في النطاق الدولي بما في ذلك حرب الاستنزاف التي دامت أكثر من عام - لم يكمل تحقيق هذا الهدف ، برغم توفر جبهة عالمية عريضة تضامنت معنا في سبيله .

ان الامبريالية الامريكية تقتر ب ميدان الشرق الاوسط آخر ميادين الصراع الاساسية بينها وبين جبهة الشعوب المحامية للامبريالية ، ضارح الامريكيتين .. لقد انتصرت هذه الجبهة عليها في آسيا انتصارا ساحقا يضلها حملا على الانسحاب من فيتنام والاعتراف بالصين ، ثم حملها أخيرا على الاعتراف بحق شعب بنجالاديش في الاستقلال .

ومع ذلك الوقت تركزت انظار العالم كله على الصراع في الشرق الاوسط باعتباره المعاصم الحاسم في الصراع العالي حول مختلف قضايا الحرب والسلام ، وقضايا الامبريالية والاستعمار واستقلال الشعوب ، وحقا في الاختيار الحر لطريق تطورها الاجتماعي ..

ذلك كله بالإضافة الى ضخامة الاستثمارات والمصالح الامبريالية والامريكية بالذات في المنطقة ، هذه الاستثمارات والمصالح الذي انيط بامرائيل ومؤسستها العسكرية دور حراستها . يجعل أمر هزيمة التحالف الامبريالي الامريكي الصهيوني ، وحمله حملا على التسليم بهدفا الوطني القومي أمرا شديدا الخطورة صعب المائل ..

وليس في هذا التوضيح ادنى تشاؤم ، لأن ثقتنا بانتصارنا ثقة لا حدود لها ، ولكنه تقدير واقعي لا بدلنا أن نميه لتحقيقه الجيد البشري الهائل التي تفرضه علينا أهدافنا التي أصبحت أهدافا للانسانية التقدمية بأسرها .. ولذلك كان تصور القيادة للحرب انها « حرب ممتدة » .. و « استنزاف نستطيع نحن أن نحمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون » (خطاب أنور السادات في ١٦ أكتوبر) .

ومن هنا يصبح من أوجب واجباتنا أن نوفر لحربنا الضرورية كل مقتضياتها الاساسية ، على

الإنزاية .. ولكن واقع الامر اعظم من ذلك .. ولقد كان الجيش السوفيتي يحارب الجيش النازي ابتداء من الاراضي السوفيتية وانتهاء باحتلال برلين آخر الامر .. وبرغم هذا المظهر النظامي فقد كانت الحرب من جانب السوفيت حرب تحرير يكامل معنى الكلمة ، كانت حربا وطنية كبرى شاركت فيها جماهير الشعوب السوفيتية وشعوب شرق اوربا بمختلف الاشكال (فرق الانصار والمقاومة الشعبية) واذا لمعنا النظر في حربنا الحالية ، فسنجد أن المقاومة الفلسطينية تشكل قوة هامة فيها وهي حركة شعبية ثورية ، وسنجد أن فلاحى مصر وسوريا قد أسهموا منذ الايام الاولى في اس طيارى العدو ، وأن الشكل السليم للوجود لمقاومة ضربة الممن التي قد يلجأ اليها العدو ، حين يضيق عليه الخناق في الجبهة العسكرية ، هو لجان المقاومة الشعبية أو الدفاع الشعبي المشكلة من جماهير الشعب المسلحة .. وكما طال امد القتال كلما اشتدت حاجتنا الى تسليح الشعب كله وتدريب الشعب كله على العمل العسكري ، وكما ازداد دور العمل الفكرى والسياسى داخل صفوف الجيش النظامى .

لذلك كله لا يجوز أن ننخدع بالظاهر ، ونصور حربنا مجرد حرب نظامية بين جيشين .. والا وقمنا في خطأ قاتل .

مقتضيات حرب التحرير الشاملة

لعل أول مقتضيات حرب التحرير ، هو وضوح الهدف وضوحا كاملا لدى الشعب والجيش معا ، حتى يعي كل فرد ، سواء كان من مقاتلى المقدمة أو دافعى المأخرة ، حقيقة ما يحارب من اجله ويستطيع أن يصوغ الهدف في أبسط عبارة . ومن هنا كانت أهمية الخطاب السياسى المسئول الذى القاه الرئيس أنور السادات ، لا في توضيح الهدف بصورة محددة في أذهان شعبنا وجيشنا فحسب ، ولكن في توضيحه كذلك لدى جميع الحلفاء والاصدقاء على كل مكان ..

ذلك أول مقتضى لحرب التحرير ، وأول أسلحة هذه الحرب التي تكمن قوتها الهربية في عدالتها ونزوها عن الحق .. وتوضيح الهدف واجب مستمر ما استمرت الحرب ، إذ ينبغي تأكيد الهدف عند كل تطور من تطورات القتال ، وتحليل الاهداف التكتيكية التي تحققت في الطريق الى هدف الحرب العام ، ومتابعة كل تحركات الاعداء في علاقتها بأهدافنا العامة وأهدافنا التكتيكية ..

فاذا وضع الهدف وتحدد بأن « تحرير الارض المحتلة وإيجاد السبل لاستعادة واحترام الحقوق

جميع جهات الشمال وفي أسرع وقت ممكن ،
ولذلك وحده ضمان النصر ..

وبعد وضوح الهدف فإن القوى التي تبني هذا
الهدف وتعمل من أجله هي قوى جبهتنا الداخلية ،
وقوى جبهتنا العربية ، وقوى الجبهة العالمية
فلنتناول مقتضيات الحرب في كل من هذه الجبهات
الثلاث :

أولا - في الجبهة الداخلية :

لأسلفنا أن الجبهة الداخلية في حروب التحرير
تختلف كل الاختلاف عنها في الحروب النظامية .
فهو في حرب التحرير جبهة مقاتلة ، أو مؤخرة
قتالية ، ولعل مفارقة الفصل التي لجأ إليها
العدو ، توضح لنا مدى أهمية هذه المؤخرة المكونة
من قوى الشعب العاملة كلها ..

إن علينا أن نمسك بالجبهة الداخلية إلى أقصى
درجة ممكنة ..

إن صلابة وحدتنا الوطنية ، قد استعرضت
نفسها منذ الرصاصات الأولى في ٦ أكتوبر ، كما
أشرنا في بداية هذا المقال .. والشعب كله على
اختلاف طبقاته الوطنية يقف اليوم على استعداد
للضخ ، ولا يقلق المصري الآن الا شيء واحد هو
أن يهد مكانا له على خريطة القتال ودورا يقوم
به .. إن لفلانينا ومعلنا ومثقفينا تاريخا عريقا
في الدفاع عن أرض الوطن .. هو مصدر هذا
القلق العظيم لدى أبناء الشعب من الطلاب والعمال
والفلاحين الشبان بحثا عن دور لكل منهم في
مهمته أو مصنع أو قرية أو حي السكني ..

ولا يكفى أن نقول للناس « ادخلوا لجان الدفاع
البلدي » فإن هذه اللجان اليوم قد اكتظت بمن
فيها .. إن تدريب أفراد الشعب على السلاح ،
وعلى الميادى ، الأولية للعمل العسكري يصبح
اليوم وغدا وبعد غد ، أمرا ملحا لكي نضمن سحق
العدو ، هذه أية محاولة له في العمق دون أن نشغل
القوات المسلحة عن واجبه الأساسي في التقدم
والتحرير ..

إن مسائل المقاومة الشعبية والدفاع الشعبي
يجب أن تثار نصيبها الواجب من اهتمامنا .
وكما زادت مشاركة الشعب في العمل
العسكري الفعلي ، كلما زاد تماسك الجبهة
الداخلية ، وتصلبت الوحدة الوطنية أكثر وأكثر .

وقد كان الأمر العسكري باعتباره كل سلاح
يصله أفراد الشعب مرفضا خطوة في الطريق
السليم ، ولكن يظل أمر التدريب الشامل على
السلاح من مراكز تدريب معروفة للجماهير ، وأمر
توفير الأسلحة الصغيرة لهذه الجماهير مسألة في
غاية الأهمية والألحاح ..

إن تجاربنا التاريخية في هذا المجال تؤكد جانب
الثقة بالجماهير والإيمان بوعيها وقدرتها على
استخدام السلاح في موضعه نودا عن الوطن ..
ويكفى أن نتذكر تجربة سنة ١٩٥٦ الرائعة حين
وزع السلاح على الشعب ، ثم قامت الجماهير
بإعادته بنفسها بعد انتهاء المعركة .

أما تجاربنا في غدر العدو واستعداده للمغامرة
في العمق يفرض أحداث دمر مقتتل فهي باتزال
قريبة إلى الذاكرة فيما حدث من هذا العدو خلال
عامي ٦٩ ، ٧٠ ، من أنزال في أماكن نائية داخل
القطر (نجع حمادى وسوهاج وغيرها) ..

إننا في أمس الحاجة إلى اشراك جماهير
الشعب من عمال المصانع وفلاحى القرى وطلاب
المعاهد وموظفى دواوين الحكومة في العمل
العسكري والسياسي معا .. وفي ذلك بالتحديد ،
تكمُن أقوى وسائل مساعدة الشعب لقواته
المسلحة ، والاحتفاظ بمنشويات كل من الشعب
والجيش ، دائما ، في أرفع مستوى . وإن كل تردد
أزاء هذه المهمة ، إنما يعكس مفهوما متخلفا وغير
واقعي لحقيقة حربنا الوطنية القومية ضد العدو
الاستعماري .. وفي مجموع العوامل المؤثرة في
حربنا ، فإن عامل الجبهة الداخلية هو العامل
الأساسي ، وهو مفتاح الانتصار الحقيقي نسي
أبدينا .

ثانيا - في الجبهة العربية :

الحقيقة الأولى في هذا المجال هي الجماهير
الشعبية العربية .

ولقد كانت هذه الجماهير تتوق إلى يوم القتال
بقدر ما يتوق إليه شعبنا .. لذلك فقد نهضت معنا
منذ الرصاصات الأولى في الحرب .

وكانت هذه النهضة العامل الحاسم في تحقيق
أعلى درجة ممكنة من وحدة العمل العربي ، برغم
كل العوامل الواقعية التي لابد من الاعتراف بها في
شان النظم الحاكمة ..

وهذه الجماهير الثورية تشهد لأول مرة في
تاريخها الحديث تنسيقا عسكريا حقيقيا ، بل جبهة
عسكرية واحدة تجمع مصر وسوريا في قتال
مباشر ضد العدو ، وتسمع لقوى الثورة الفلسطينية
بجال العمل في الجبهة السورية وفي داخل خطوط
العدو ، فيزداد استعدادها للبلد والتضحية
والالتفاف حول البلدان المقاتلة .

ولقد كانت وفاة العراق والجزائر منذ اللحظات
الأولى للقتال ، نموذجاً مشرفاً للأنظمة التقدمية في
الوطن العربي .

وقد تمت مبادرات جيدة حتى الآن من غالبية
الدول العربية على اختلاف النظم - ولكن هناك
مبادرات لابد منها لم تتحقق بعد .

والوقت في الحرب عزيز وغال ..

الحرب الزابية

ثورية للطبقة العاملة في بلدان غرب أوروبا الرأسمالية . هذه القوى تنادي بالإمبريالية كما نضالها ، وتتفق مصالحها مع مصالحنا في القضاء على الإمبريالية وحلقتها الصهيونية التي لا تعدو كونها صورة من صور الاستغلال الرأسمالي الاستعماري العنصري الرجعي .

تحالف هذه القوى معنا تحالف ثابت ومضمون وأساسى . . . ومن هنا فإن واجبنا في اتباع سياسة صداقة وتحالف صداقة وواضحة وحازمة مع هذه القوى وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي . هو واجب وطني وقومي بالدرجة الأولى . . . وهو في ظروف القتال مهمة إستراتيجية للتقليل من تضحياتنا قدر الامكان وزيادة خسائر العدو الى اقصى حد ، وضمان النصر لقضيتنا في النهاية .

وكذلك الامر بالنسبة لقوى الثورة الوطنية في العالم ، فهي قوى تتفق مصالحها مع مصالحنا في القضاء على الإمبريالية وعملاتها وجيوبها من امثال اسرائيل وفيتنام الجنوبية وجنوب افريقيا . . . ويرغم ضعف الامكانيات المادية لهذه القوى نسبيا ، فإنها حليف ثابت ضروري في نضالنا في عدد هام من المجالات . . . ويكفي هذا الاثر المعنوي العظيم لقرارات الدول الافريقية المتوالية بقطع العلاقات مع اسرائيل كمثل على مايمكن أن تدبه به هذه القوى حيننا التحريية من مساعدة . .

ثاني هذه الحقائق : أنه بقدر نجاحنا في تأكيد التحالف مع هذه القوى المتفقة المصالح معنا وترسيخه ، يكون نجاحنا في حمل دول رأسمالية مثل دول غرب أوروبا أو اليابان على اتخاذ موقف أكثر عدلا في قضيتنا . أن نجاحنا في التحالفات الأساسية عنصر قوة لنا ، ومصدر احترام . . . وبلااحترام لا بالشفقة يمكننا أن نقفل كتلة الأعداء الى أدنى حد ممكن في المجال الدولي .

ثالث هذه الحقائق : أن انتصارات قتالنا اليومي ، وقدرتنا على عرض انتصاراتنا ونضالاتنا عرضا سليما متفقا مع رغبة الإنسانية كلها في سلام دائم ، هي أقوى أسلحتنا السياسية لزيادة اصدقاتنا الى أقصى حد وتقليل أعدائنا الى أدنى حد . ولقد كان لأسلوب خطاب الرئيس السادات مثلا أثر طيب في المجال الدولي على نقض الاثر الذي تركه خطاب جولدا مائير المليء بالصلف والخوار .

إن التزامنا بعرض قضيتنا بروح الحاد على السلام ، المداغم من الحق ضد المدوان عليه ، المتخلص من كل تصبب عنصري أو فني أو قومي ميال فيه ، سلاح هام من أسلحتنا في الجبهة المالية .

إن قضيتي البترول والنقد العربي القابع في البنوك الامريكية والغربية يجب أن يحسما على الفور . .

إن الولايات المتحدة قد اغتننا من البحث عن الادلة المادية على مساعدتها لعدونا : أنها تصاري بطيارها الى جانبها ، وتعلن ذلك على الملا . . . ولم يعد أمام أي عربي أدنى مبرر للتكفي في اتخاذ القرار . ليس كالحرب لصدقة ، وما هي الدول والنظم التي احتفظت بصداقة امريكا ترى وجهها الحقيقي سافرا وبون أي فتاح . . فهل تقدم هذه الدول دم أبنائها في الجبهة للطيارين الامريكيين دون أن تحرك ساكنا في أمر هذه « الصداقة » ؟

إن كل النظم والحكومات تدخل أمام جماهير شعوبها امتحان الوطنية والقومية وبفضل قتال أبنائنا المستمر الطويل النفس أصبح الامتحان صعبا وعظيما ولا مجال فيه للتخاذل أو التضييل . .

المهم ، بالنسبة لنا نحن الذين نعاني أموال القتال أن نعرف أن قوتنا الأساسية في الوطن العربي تكمن في جماهيره الشعبية التي تتفق مصالحها الأساسية تمام الاتفاق مع مصالح شعبنا الأساسية وبايجاد أحسن الجسور مع هذه الجماهير وقواها المنظمة النقابية والسياسية ، نضمن دائما أصلب جبهة عربية ممكنة على مبادئ النضال العربي وخطه الثوري . .

ومن هنا تتكسب اتصالات العمال المصريين والسيوريين والفلسطينيين بكل العمال العرب من أقصى الشرق العربي الى أقصى الغرب العربي أهمية عاجلة ، وتكتسب اتصالات الطلاب والمثقفين والعمال الزراعيين وغيرهم بزملائهم من قيادة هذه الفئات في كل البلاد العربية أهمية قصوى . . . تلك هي العلاقات الباقية الثابتة التي تكون مؤخرتنا الحقيقية في الجبهة العربية . . . وهي القدرة على حسم أي تردد في المواقف القومية الحاسمة . .

ثالثا - في الجبهة العالمية :

في هذا المجال أيضا يجب أن نفكر بعقل بارد ونبتنضخ تيمانا مع أي وهم أو مبالغة في دور البراعة الجبلوعاسية ، برغم أهمية هذه البراعة ودورها .

يجب أن يكون واضحا في أذهاننا منذ البداية ، بعض الحقائق الأساسية الصلبة في واقع المجتمع الدولي المعاصر . وأول هذه الحقائق أن هناك قوى تقف معنا في جبهة واحدة بحكم وحدة المصالح ووحدة العدو - تلك هي قوى الاشتراكية في العالم سواء كانت دولا ونظما كاسرة الدول الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي ، أو كانت حركات

خاتمة

وفي الختام ، فإن شعب مصر بجيشها ، وشعب سوريا بجيشها قد اقتحما جدار السلم الزائف المفترق ، وفتحوا الثيران في الطريق القديم الى سلم

حقيقتي قائم على الحق والمعدل .. وانطلقت شرارة حرب التحرير العربية الشاملة كقوى وأروع ناتكون الانطلاقة الاولى .. فلنحافظ جميعا على المسيرة المصاعدة لهذه الحرب التاريخية الجيدة حتى ينتقل هذا الوطن العربي العزيز الى غد رائع تصنمه جماهيره بإرادتها الحرة ..

● المعركة .. أبعادها ، وسبل النصر فيها

« كاتب غوثي »

يمكن القول ، بدون تحفظ ، أن المعركة التي تفوضها الأمة العربية بشرف وبسالة ، على الجبهتين المصرية والسورية ، منذ السادس من أكتوبر إلى الحالى قد غيرت ، وبشكل جوهري ، موازين القوى وحساباتها فى المنطقة العربية ، وغى الصعيد الدولى أيضا .

وأعظم انتصار حققته المعركة ، ليس أى انتصار عسكري أحرز حتى الآن أو سيحز مستقبلًا على الجبهتين ، رغم الأهمية الاستثنائية لهذه الانتصارات ، وإنما هو انتصار العرب على أنفسهم ، على الوانغ العربى المقل بركام الهزيمة ، على حالة اليأس والفتور التى خلفتها الهزيمة ، على الضياع والتمزق وفقدان الثقة بالذات التى نهجت عن الهزيمة .

والصية هذا الانتصار تكن فى أنه أعطى الجواب الصحيح والسليم على كيفية مجابهة العدوان الامبريالى الصهيونى على الأمة العربية وحسم بالشكل الوحيد الصحيح النقاش حول طريق الخروج من حالة اللاسلم والحرب التى خلفها العدوان ، ووضع العرب على بداية الطريق

الصحيح لتحرير أراضيهم المحتلة ، وإلى جانب ذلك ، فقد حطمت المعركة منذ نشوبها أسطورة التفوق العسكى الاسرائيلى ، هذه الأسطورة التى بذلت الصهيونية المسالمة والامبريالية كل ما فى طاقتها من أساليب الحرب النفسية لتركيزها فى الأذهان .. وإذا بها تسقط وتتهوى أمام أول ضربة حقيقية توجهها إليها إرادة مقاتلة .. وفى أول فرصة يتاح فيها للقائين العرب أن يقاوتوا مسلحين بالملم والعقل وإرادة القتال .

كما أبرزت المعركة ، أهمية وقاعية التضامن العربى فى مواجهة الهجمة الشرسة التى تواجهها الأمة العربية منذ الغزو الاستيطانى الاستعمارى لىسطين المحتلة وإقامة اسرائيل قاعدة استعمارية عدوانية عن طريق القسب والاحتلال المسلح .. وأن كان ما تحقق من أشكال هذا التضامن حتى الآن ليس فى مستوى المعركة المصرية التى تقرر مصدر كل العرب . وما تزال أسلحة عربية فمسالة اقتصادية وسياسية ومالية بعيدة عن ميدان المعركة .

كما أكتت المعركة على الصعيد الدولى ، ومن خلال التغيير الكبير الذى أحدثته فى الرأى العام العالمى أن الحق المستند إلى القوة هو وحده الذى يفرض احترامه واستاده وليس الحق الضعيف المتخاذل ..

شروط الظفر فى المعركة الراهنة .

لقد وضعت المعركة ، الأمة العربية كلها فى بذية الطريق الصحيح لمجابهة العدوان الصهيونى الامبريالى ، وتحرير أراضيهم المحتلة ..

وأول شرط من شروط الظفر فى هذه المعركة هو استمرار المعركة ذاتها ، مهما بلغت التضحيات ومهما طدل الزمن ، وثانيها عدم اغفال أو تناسى القوانين الثابتة التى تحكم الصراع العربى الاسرائيلى ، وهى القسائم المطلق بين الامبريالية الاجريكية والوجود الاسرائيلى ، والتلازم المطلق بين اسرائيل كقاعدة استعمارية للامبريالية والمصانع الامريكية فى المنطقة ، والترابط القام

القرب الرابعة

وحدثنا ٠٠٠ ان كل الشعوب محسبا ٠٠٠٠ وإذا استطاع التضييل واستطاعت الدعاية الصهيونية والاستعمارية أن تقلب الحقائق وتشوه قتالنا المشروع من أجل التحرير ٠٠ فإن ضعفنا وتقصيرنا الاعلامي قد لعب دورا هاما في تقليل الكثير من بلدان المعالم للحقائق المقلوبة والمشوهة ٠٠ وأن شواهد كثيرة تدل على أن الوضع قد تغير من الآن ٠٠

الحقيقة الثالثة ٠٠ هي أن عصرنا الراهن رغم كل النكسات التي أصابت مسيرة الشعوب في نضالها الظاهر على طريق التحرر والانتفاخ ، هو عصر تحرر الشعوب وانعتاقها .

وإذا كانت القرى المضادة لاتجاه التاريخ وتجاه النصر وحقوق الشعوب قادرة بين الحين والآخر على وضع المعى في عجالات مسيرة الشعوب نحو التحرر والانتفاخ ٠٠ فإنها لن تستطيع أن توقف مجرى التاريخ أو تغير اتجاهه أو تمسده إلى الوراء .

المبادئ والقوانين والحقائق والتاريخ ، تؤكد حتمية انتصار الشعوب المقاتلة على سبيل تحررها وانعتاقها ٠٠

الحقيقة الأولى ٠٠ أن الاحتلال القائم على الغزو والعنوان المسلح ، لا يمكن أن يدوم ، وإذا ظل قادرا على الاحتفاظ بشمار غزوه وعدوانه بعض الوقت ، فلن يستمر ولن يستطيع المحافظة على وجوده غير المشروع كل الوقت ٠٠

والوجه الآخر لهذه الحقيقة هي حتمية انتصار الشعوب المقاتلة المحتلة مهما طال الزمن وبهما امتلك العدو المحتل من وسائل اطالة امد احتلاله ٠٠٠ إذا فصلت برادة القتل ، وعزمت على سلوك طريق التحرير حتى النهاية .

وليس سقوط ، البونبارتية والنازية ، وظفر الثورة الفينمانية الا نملة واضحة على صدق هذه الحقيقة بوجهيها ٠٠

والحقيقة الثانية ٠٠ اننا في سلوكنا الطريق الطبيعي لتحرير اراضينا العربية المحتلة لسنا

المضوى بين أطباع امرائيل التوسعية ، واحتلالها لسلراضي العربية الذي هو امتداد لوجودها القائم على الغصب والعدوان واستخدام القوة ، وبين الامبريالية الامريكية .

وثالث هذه الشروط : هو أن ترتفع درجة انضام العربي الى مستوى المعركة المصيرية الراهنة ، وتستخدم بجد كل الاسلحة العربية الفعالة في المعركة ، وأهمها سلاح البترول ، والارصدة العربية المجددة في الخارج ٠٠ الى جانب ذلك القدرة القتالية العربية في المعركة وعلى جميع الجبهات ٠٠

وأن تتحرك الجياهير العربية لتفرض هذه الشروط على كل الذين يتخلفون عن مواكبة اشرف وأقدس معركة نحوضها الامية العربية .

« حقائق يديئية ٠٠ تحلسم انتصارنا في المعركة ٠٠ »

٠٠ ان شعبنا العربي يخوض حربا عادلة ، لانه يقاتل دفاعا عن ارضه ووطنه ، عدوا بخصما جائها فوق ارضه ووطنه ٠٠ وكل

● لولم أكن عربيا لوددت أن أكون

د . عبد العظيم أمين

وكان الاستعمار يذرون .. أكثر مما كنت تدرك أنسام من جماهيرنا الطيبة - أن مصر هي واسطة العقد في مستقبل الوحدة ، وأن ضرب مصر وحصلها كفيلا أن يرد قضية السودة الى السواء عشرات وعشرات من السنين .

الجاهين تترك ، أن الوحدة العربية خطر ملحق على مستقبله في المنطقة ، على مستقبل ربييته اسرائيل المصرية التوسعية ، على استناباتها في حقول النفط وأربابه التي تقدر بسلالين الملايين ، على ميلائه في الوطن العربي ، وهي بهذا المنظور خطر على مستقبله في أفريقيا !

كانت مؤامرة سنة ٦٧ الاستعمارية ضربة محكمة موجهة الى مستقبل الوحدة العربية ، يقدر ما كانت موجهة الى نظامي الحكم الوطني في مصر وسوريا بهدف تصفيتهما وعزل مصر بالذات عن حولها . وكان الاستعماريون يذرون ، أكثر مصا كانت أقسام . من

فغير مصر - شميتها وتظلمها
الوطنى ومثلها الاشتراكية
ومصانعها المتقدمة وامكانياتها
الكبيرة المدنية ورصيدها
الثقافى ، تصبح الوحدة العربية
فكرة بلا مضمون ، وكيانا بلا
قلب ، واحلاما بلا تحقيق ؟
ثم جاء المقاتل العربى
الاسمر ، المولود فى أزقة القاهرة
وبدمشق وبغداد ، الناشء فى قاع
المدينة فى طنطا وحمص
والبحيرة ، والمعمد بطين حقول
الطنز والقيح والذرة فى ريف
الشرق العربى وحقوقه ..
وكانما انشقت الارض من ابن
هذا الوطن المبارك فانه بضرب
ضربته الحاسمة فى ٦ أكتوبر

فيكتب بدمائه على أرض سيناء
وعلى قم المرتفعات السورية
صفحة باهرة الاشراف فى
مستقبل الوحدة العربية ، وإذا
بحور الزيف والاباطيل تفيض !
قبل ٦ أكتوبر كاد اسم
« العربى » أن يكون مهانة وزواية
- عند العالم الخارجى - كمهانة
اليهودى القائل فى أوروبا القرون
الوسطى ، وبدا صوت المدافعين
من قضية الوحدة وكأنه صوت
تائه فى الصحراء !
وبعد ٦ أكتوبر هاد كل شيء
الى نصايه ، سيطع نور الحقيقة
التاريخية وهاجها من جديد . فى
هذا اليوم الجليل وعلى هذه
الارض العربية المباركة عرفت

الوحدة العربية نفسها - للعالم
أجمع - من جديد كوحدة نضال
بالدم والروح ضد الاستعماريين
والصهيانية ، كوحدة مصير.
للمجاهير العربية التى دفعت
ضريبة الدم فى سبغها ، وأثبتت
بالبرهان القاطع أن صوت
الناضل العربى فى الصحراء
وبمشق - عندما يرتفع بكلمة
الحق - يتداعى له صوت
الناضلين العرب فى كل درب ،
من المغرب العربى على حدود
الاطلس الى اشارة التويت على
الخليج العربى .

نعم ... لو لم يكن حربيا
لوددت ان اكونه ! *

● موقع ٦ أكتوبر فى حركة التاريخ

عبد اللطيف حنفى

حيثما يصف التاريخ
المصرى ما جرى فى اليوم
السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ،
سيتقول « انه فى ذلك اليوم
الجيد رمت الوطنية المصرية
الحسونة فى السبيل هابتها
المنظلة بجراح العدوان والفت
جانب كل الفئود والانتقال التى
حاولت ان تشدها الى الوراء
واندفعت الى الشرق تتسائل
وتحزن وتبسم بالدم مهانة
السنوات الكثيرة » .
صحيح ان التاريخ سوف يصف
تفاصيل ما جرى قبل ذلك اليوم
وبعد ولى كل المجالات على
مائدة البحث العلمى المتأنى ،
ليقيم الأدوار ويستخلص السبر
والدروس ولكنه فى النهاية لن

الجميع « لقد كان كل شيء بمنوطا
بارادة الأمة .. حجم هذه
الارادة وعمق هذه الارادة وماكنا
لنستطيع شيئا وما كان أحد
ليستطيع شيئا لو لم يكن هذا
الشعب ولو لم تكن هذه الأمة
لقد كان الليل طويلا وتغيبا ولكن
الأمة لم تفقد ايمانها ابدا بطلوع
الفجر . وانى لاقول بغير ادعاء
ان التاريخ سوف يسجل لهذه
الأمة أن تكسبتها لم تكن سقوطا
وانما كانت كيوه عارضة وان
حركتها لم تكن مبررانا وانما كانت
ارتقاها شاهدة .. لقد أعطى
شعبنا جدًّا غيًّا محدودا وقدم
شعبنا فصحيات غير محدودة
وأظهر شعبنا وميا غير محدود .
وأهم من ذلك كله أهم من الجهد

يختلف معنا على تلك الحقيقة لان
التاريخ الانسانى كما تعلمنا
ادبيات الفكر العلمى هو حركة
الشعوب المبهورة - تلك الحركة
الازلية الابدية - من اجل التحرر
والتقدم . وماحدث يوم السادس
من أكتوبر العظيم لم يكن مجرد
قرار قائد وطنى يرفض مهانة
البقاء على رأس بلد محتل ؟ ولا
مجرد انتفاضة جيش يثار لشره
المسكرى ، وانما هو فى الاصل
والاساس حركة شعب بامر
ضد العدوان ، الجيش فيها اداة
للارادة الشعبية ، والقرار ايضا
تعبير جسور من هذه الارادة .
وما تزال كليات انور السادات
فى خطابه التاريخى يوم السادس
عشر من اكتوبر تملأ اسبابح

الفعال وبخلاف الوسائل ضد
الاستعمار والاستعمار الجديد.
ومعنى ذلك ببساطة أن ما حدث
ويحدث سوف يفتح بل هو فتح
الباب بالفعل أمام تغييرات هائلة
طال انتظار شعبنا لها .. انه
مقدمت ثورة شاملة ستكون
معركة التحرير هي «الفرارة»
التي اشعلتها»

هي قزوة هذا الصراع الا انها
ليست سوى شكل واحد من
اشكاله المعقدة الاقتصادية
والاجتماعية والسياسية . ولعلنا
لا ننسى أن واحدا من أهم قواطين
التطور الانساني في عصرنا
الراهن هو أن شعوب العالم
الثالث تصنع تقدمها المادي
والاجتماعي من خلال الانفصال

والتضحيات والوعي فان الشعب
احتفظ بانياته غير محدود وكان
ذلك هو الخط الفاصل بين
النكسة وبين الهزيمة » .
ومما لاشك فيه أن مصر التي
تقف كلها الآن مع مقاتلينا ضد
موتع التناقض الرئيسي ضد
الامبريالية العالمية واسرائيل
تعرف جيدا أن الحرب وان تكن

● بين الأسطورة والحقيقة

٣٠ مراد وهبة

عيبه أن عورته أنه انفضاض
والانسان الأعلى ماذا عليه من
عيب ؟
وجوده ليس ممكنا الا بتدبير
وجود الآخر
وماذا عن وجود انسان من
غير آخر ؟
بذوق نرجسية قال عنها فرويد
انها مرض
الصهيونية لأن مرض العصر
والعلاج ماذا يكون ؟
محاصرتها حتى لا تتحول من
مرض إلى وباء
وكيف تكون المحاصرة ؟
بالعرب أم بالاسلم ؟
بكليةما معا
تناقض في القول
ولكنه تناقض مشروع
لماذا ؟
لأن الصهيونية تعبت بمعنى
الحرب ومعنى السلم
والاستجابة كيف تكون ؟

وهم الانسان أنه أعلى من
أخيه الانسان
والنتيجة ؟
استغلال من يتوهم أنه أرقى
لأن يظن أنه أدنى ؟
وماذا بعد ؟
بخار يتصاعد شمس يهوى
ويتلاشى في نهاية المطاف
ودليلك على ذلك ؟
النازية في الحرب العالمية
الثانية
والصلة بين الصهيونية
والنازية ؟
توأمين
وما العلاقة ؟
الأسطورة
أسطورة الانسان الأعلى هند
كليهما مع فارق في الدرجة
الانسان الأعلى عند النازية
هو الجنس الارى
والانسان الأعلى عند
الصهيونية هو الانسان المختار
دون غيره من بني البشر أجمعين

للمعركة الراهنة أكثر من بعد
بعد مصري وبعد عربي وبعد
عالمى
ونسأل :
ماذا تفعل اسرائيل بهذه
الايام ؟
تعبت بأرض مصر
وتستهين بالعرب
وتقف ضد ارادة البشر المحبة
للسلم
وماذا تفعل مصر بهذه
الايام ؟
تحرر أرضها
وتفجر الطاقة العربية
وتضيف إلى أرائتها ارادة
البشر المحبة للسلم
وما الدافع إلى اسرائيل في
أفعالها ؟
الأسطورة ليس إلا
وما الأسطورة ؟
حفنة من أفكار تشعشع خارج
الحقيقة
وما الجاذبية فيها ؟

تصديده « حقيقة » الحرب
و « حقيقة » السلم
وهذا هو مضمون الضمائم
التاريخي لـ « سمات » مصر في
لحظة من لحظاتها المكثفة
والحقيقة ضد الاسطورة

فما الحقيقة وأما الاسطورة
وقد اختارت مصر واختارت
الامة للعربية واختارت القوى
المحبة للسلم :
الحقيقة

واختارت اسرائيل ومعها
أمريكا :
الاسطورة
والاسطورة بخار بمساعد ثم
يهوى ويتلشى في نهائية
المطاف .

● واجبات للاستمرار .. فالمعركة طوييلة

محمد أحمد العقيلي

تد لا اكون مبالغا اذا قلت
انه في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بدأت
ثورة جديدة ، ثورة على النكسة
التي علّشت فينا وداخنا لمدة
ست سنوات ، عانينا منها
الحرارة والام والتمزق ، بدأت
ثورة جديدة على العدو الصهيوني
الذي صور على انه لا يمكن
قتاله والحال الضعيف به ،
ثورة جديدة على الاستعمار
الحدث ، ثورة جديدة من أجل
توحيد الصف الوطني والعربي ،
ثورة على الانهزامية والانهزاميين
وعلى دعاة الاستسلام والتسليم
والذين كانوا يخيفون الناس
بأمريكا وبالقاتلوم والتكنولوجيا .

الاستعمارية قديمة وحديثة ..
ولما كان ايماننا اننا نحارب
هزبا عادلة من أجل تحرير
ارضنا - فان الطبقة العاملة
وحركتها النقابية مدعومة لان
تحدد بوضوح واجباتها ، وأن
تحدد بجدية وواقعية هذه
الواجبات - وأن تتجنب أسلوب
الشعارات البراقة والكبيرة
، الحماسية . والعمل البسيط
الذي يتحول في الممارسة الى عمل
كبير .. المهم ان نتحدد ما هي
واجباتنا وأن نلتزم بها ، ونسعى
الى حشد جماهير العمال الى
تحمل المسؤولية في انجاز هذه
الواجبات .

العمل التطوعى ، وان نتجر
نفس الاعمال التي كان يقوم به
أخواننا العمال الذين استدعتهم
المعركة - ليشاركوا في القتال
وينخرطوا في القوات المسلحة .
وفي نفس الوقت يجب ان يتود
التظيم النقابي العمال من أجل
بذل أقصى جهد حتى يستمر
العمل لانجاز مشروعات خطية
التبعية التي لم تتم بطاقات أكثر
من الطاقة التي كنا نعمل بها
قبل المعركة . وكذلك ان تنظم
التقابات حملة للبنافسة الوطنية
في الإنتاج - تحت شعار زيادة
الإنتاج من أجل المعركة .

ثانيا : ان تبادر التقابات
باعتبارها التنظيمات الديمقراطية
الممثلة للعمال الى ترك جميع
الخطات والمشاكل الخاصة
الان على اساس ان يكون كل جهد
وتشاط يسذل بتركيز من أجل
المعركة - ولعمل النقل في
ذلك تجربة متدا أجسوا في
١٩٥٦ نزاعهم الطويل مع شركة
الترام والذين كانوا يقضيه
المليم الى ما بعد المعركة ،
والتوا نوعا من الاضراب البطيء
كانوا قد بدأوه . وطلب كثير
من العمال تأجيل نظر قضايهم
أمام القضاء حتى تنتهي المعركة ،
ان الطبقة العاملة والتي مرفت
بتضحياتها الجلية طيلة تاريخ
جهادنا الوطني ضد الاستعمار

فالوا : من واقع تجربة
العمال المصريين ، فعندما
أجحت البلاد عدوان ١٩٥٦ -
تطوع العمال من تلقاء أنفسهم
لواجب العمل في الجبهة
الدخيلة لد العسبون لخطوط
القتال - فقرر العمال المصريون
بوعى كامل التطوع بالعمل
ساعات عمل اضافية دون مقابل
والعمل بدل العمال المجندين في
القوات المسلحة او التطوعيين
في المقاومة الشعبية - القيام
بنفس اعمالهم وكانهم يؤدونها
واستمران صرف أجورهم -
ومن هنا فلن أول واجب يواجهنا
هو ان نزيد من طاقتنا الانتاجية ،
وان نقوم باداء كافة أنواع

ويوم بدأت المعركة -
احسست احساسا مميذا
الجرح العميق الذي نرثت منه
دماء الوطن ، سيلث ، ولكن
لانه كان عميقا - فان التنام
سباخذ وقتا طويلا .. اى ان
المعركة التي بدأت ليست معركة
خاطفة او سريعة ، او سهلة
او هينة - فنحن نحارب عدوا
شرسا ومؤيدا من الولايات
المتحدة الاستعمارية والمتعطشة
دائما لسدم الشعوب لتحصى
مساسلحها الراسمالية
والاستعمارية .. فمركزتنا
ليست مع اسرائيل وحدها
ولكنها مع ساداتكك الولايات
المتحدة ومع كل المصالح

البلدان الرأسمالية - واضراب
عمال الشحن في إيطاليا من
شحن وحسدة أمريكية محملة
السلاح - جعلتنا المؤثر لما
يمكن أن تقوم به الحركة النقابية
المصرية - ان نشاطا مكثفا
يجب أن تقوم به نقابات العمال
في سبيل حشد وتعبئة عمال
البرول العرب في المعركة -
وفي مجال التضامن الدولي
يمكن للحركة النقابية المصرية
بالتعاون مع العمال العرب
وعمال البلدان الاشتراكية أن
تتمل الكثر .
وأخيرا لقد بذت مسيرة
حرب التحرير العربية - وبزبد
من الوحدة الوطنية والعمل
التمهيدي المكثف ، والاتحاد مع
قواتنا المسلحة الباسلة - في
الامكان احرار النصر والاستمرار
بخطى ثابتة في حربنا الطويلة
والجريئة مع الامبريالية
والصهيونية .

١٩٦٧ كان هذوانها المؤيد
من قبيل الامريكان من اجل
القضاء على الثورة المصرية
وتطوراتها الاجتماعية والثورية
بعد ١٩٦١ .
وعلى نقابات العمال ان
تنشط في مجال تعبئة الجبهة
الداخلية ، وفي ذلك أمليها
مجالات كثيرة العمل - العناية
بأسر المجندين أعضاء النقابات ،
بالجرحى أعضاء النقابات ، بأسر
الشهداء - بمقاومة حرب العدو
النفسية ، بالمشاركة بفعالية
في الدفاع المدني ، وفي كل
نشاط يحى المؤسسات
والنشآت ، وهناك اشياء كثيرة
في هذا المجال يمكن عملها
وانجازها .
رأبها : يمكن للتنظيم النقابي
ان يبذل جهدا مكثفا في مجال
كسب الرأي العام العمالي
العمالي - وحركة الطبقة
العاملة المسالمة وخاصة في

مدموة اليوم ان تجعل كل
تفكيرها وكل نشاط منطلقاتها
النقابية ونفكرها من اجل المعركة
لان الانتصار في معركة التحرير
كذلك ان يعني فقط الانتصار
على الامبريالية والصهيونية ،
ولكنه يعني في نفس الوقت
استمرار الثورة الاجتماعية بكل
أناقها الوطنية والاشتراكية .
ثالثا : ان التنظيم النقابي
في مصر مدعو لان يكون أكثر
فعالية ونشاط سواء في مجالات
التوعية السياسية بالعباد
المعركة ، والتعريف بالعدو ،
والتعريف بالهدف التحريري
الوطني لهذه الحرب . لان
اسرائيل عندما اعتدت علينا
في ١٩٥٦ مع الاستعماريين
الانجليز والفرنسيين انما كان
ذلك لتتبع انشغال عميلة تأميم
قناة السويس ، ولتتبع تطويع
الثورة الوطنية المصرية الى
مواقع أكثر تقدما وثورية . وفي

قضايا جدية تطرحها المعركة

محمد حلمي ياسين

الجديد ، متبلة فقط في ان تلقى
الجهاهير خلف ظهرها كل
مشكلاتها ومخاطباتها ، وان تتقبل
دون أى اعتراض أو مناقشة
الاجراءات التنظيمية لتثنين
بعض المواد الغرائبية الاساسية
بالبطاقات وغرض ضرائب
اضائية لصالح المعركة .
بل تمثل البعث ايضا - وقبل
كل شيء - في استعادة الثقة
وبالنفس ، وبالقاعدة الناضلة ،
وبالقوات المسلحة الباسلة ،
وان تصبح المعركة المقدسة
واخبارها هي الخبر وهي الحياة
ذاتها .
لقد عبرت جباهير شعبنا
- وحباس - عن ثقها
بناييدها وتضليلها مع الرئيس
انور السادات في القرار

الذاتي بالعجز عن مواجهة
المعتدين .
لقد كشف الحدث التاريخي
يوم ٦ أكتوبر عن جذوة الوطنية
المنتملة في امباق شعبنا ، في
تلوب لبناء الشعب البسطاء
على اختلاف مواقفه في المعينة
او في اعناق الريف ، في المصنع
او في الحقل ، في المدرسة او
في المكتب . هؤلاء الذين طالما
ظلمناهم وحنانهم مسؤوليه كل
سلبية مما ساد حياتنا قبل
٦ أكتوبر ، هم أنفسهم الذين
أطلقوا من صدورهم مارد
الوطنية المصرية في بعث جديد ،
لاسترداد النفس واسترجاع
الارض السليبية من برائن
الامبريالية والصهيونية .
ولم تكن مظاهر هذا البعث

حقيقة رائعة تمشيها ؟ ولم
يستطع أحد ان ينكرها : هي ان
ما حققته قواتنا المسلحة بعبورها
قناة السويس ، واقتحامها خط
بارليف يوم ٦ أكتوبر الماضي . .
كان حدثا من تلك الاحداث
النادرة المبهمة الاثر التي تحدث
في حياة الامم والشعوب مرة
واحدة كل عدة اجيال ، وتشكل
نتائجها منعطفا حاسما في
مسيرة تلك الشعوب ومستقبلها
لقد كان عبور قواتنا المسلحة
لقناة السويس ، واقتحام خط
بارليف ، بداية بعث جديد
لشعبنا . وقد وضع هذا الانجاز
المعكرى المذهل نهاية لليل
الهيبة واليأس والضياع ،
وخلفنا في مسالمت تلبية من
اعتزاز الثقة بالنفس والاقتناع

التسارعتي الذي اتخذته بعبور
الجزيرة إلى شاطئ سيناء ،
شاطئ البعث .

ولم يقف تأييد جماهير شعبنا
عن حد الحماس ، بل لقد شهد
يوم ١ أكتوبر وما بعده من أيام ،
الشيء الذي افتتحناه كثيرا قبل
هذا .. وهو الاندفاع الهائل من
جماهير الشعب إلى مقار
الطغوع وساحات التدريب ، في
محاولة المساهمة في المعركة

بجهد ما ..
ان زيارة واحدة لأي مقر من
مقر الاتحاد الاشتراكي ، أو أي
مركز من مراكز التدريب على
أعمال المقاومة الشعبية وإنشطة
الدفاع المدني ، سوف تقدم
الدليل لن لا زال يبحث من دليل
آخر .. على ان جفوة الفضال
الوطني المارم قد اضطرت
نارها من جديد .

الوفد والوفد من الفتيان
والفتيات ، وسيل لا ينقطع من
المواطنين من كل سن ، جاءوا
يبحثون من مكان لهم في ساحة
التضحية من أجل حرية الوطن
وكرامته .. لم يأتوا بحسنا من
حسب أو جاء أو مظهر .. ولم
يأتوا تقريبا لحاكم أو مسؤول ، أو
ضمانا لمصلح .. وإنما جاءوا
تحركهم روح ما يعد ١ أكتوبر ،
بعد أن نفخوا من على أكتافهم
روح ودافع الوعي الثقائي -
روح السلبية واللامبالاة التي
طالما حلتها منها ، والتي طالما
وقفت مانعا بينهم وبين التنظيم
السياسي .

وعند هذا الحد ، تبدأ
مسئولية الاتحاد الاشتراكي ،
وعليه تقع مسؤولية حشد هذه
الجماهير خلق قواتها المسلحة ،
مسئولية الانتقال بهذه الجماهير
من الحسب الثقافي إلى الحسب
الواعي القائم على الاقتناع
والفهم لإبعاد الموقف واحتلاله
وأداء التزاماته .
وان نجاح الاتحاد الاشتراكي
في هذه المهمة يكون قد ارتفع
بالعمل الشبيبي إلى موازاة

العمل العسكري ، وتخفى
النفوة بينهما .

لقد أكد الرئيس أنور السادات
دائما على أن المعركة هي المجال
الحقيقي لاختبار قدرات الناس
ومواقفهم ، وأنه من خلال
المعركة يمكن اكتشاف القدرات
الحقيقية واستكمال بناء التنظيم
وهو هي الفرصة متاحة اليوم
.. وقد لا تشهد الأجيال الحالية
فرصة بهذا المستوى .. فكيف
يمكن للتنظيم السياسي ان يحقق
حشدا جماهيريا منظما وواعيا ،
يشكل درعا للقوات المسلحة
وسندا لها ، ويستطيع من خلال
هذا الحشد ان يجعل للجماهير
العريضة تقدم كل ما لديها من
طاقات وامكانيات للمعركة ؟
ان السبيل إلى ذلك في
المرحلة الراهنة يتم عبر النضال
السياسي على ثلاث جهات :

● التوعية السياسية
لجماهير بأبعاد المعركة
والتراباتها ، وتدعيم التنظيم .
● أعداد المتطوعين لمختلف
الأنشطة ، أعدادا سياسية ،
وتدعيم الجهات المعنية .
● ترشيد الاستهلاك .
ففي ظروف المعركة الحالية
التي نعيشها ، لن نستطيع أن
نزيد الجماهير حماسا ، ولكن
يجب ان نضع الحماس الجارف
الذي تعيشه الجماهير في أطرافه
الصحيح على أساس على
وموضوعي ، بحيث يتحول إلى
طاقة بذل وعطاء ويغدو ثابتا
لا يهتز أمام أول صدمة أو
صعوبة .

ومن هنا ، فإن المواطن يجب
ان يجد لدى الاتحاد الاشتراكي
الشرح العميق المبسط للتطورات
العسكرية والسياسية فور
وقوعها ، وان يجد المواطن
أيضا الإجابة الموضوعية
الصائقة عن كل تساؤلاته ،
وان تكون أذان التنظيم السياسي
على نبض الجماهير ، وعينه
على حركتها ، ومكان تباداته
في صفوفها ووسط تجمعاتها .

ان الأغرأق في أعمال مكتبية
وإدارية ، أو القيام بأعمال من
صميم واجبات التنظيمات
المساعدة من نقابات واتحادات
وجمعيات نسائية ، أنها يجعل
الاتحاد الاشتراكي بعيدا عن
مواقفه الأصلية في المعركة .

ولا بد للتنظيم السياسي من
استخدام كافة الوسائل المتاحة
لتوصيل كلمته إلى جماهير
شعبنا . فمن خلال الاجتماعات
الجماهيرية على كافة المستويات
.. وبالكتابة المكتوبة ، سواء في
مجلة دورية أو نشرة صغيرة
تتناول موضوعا واحدا ، أو
دراسات مفصلة حول بعض
القضايا الهامة ، ومن خلال
المرحبات والأشعار والأغاني
والأزجال وفرق الأطفال
[الأراجوز والعرائس] ، يقدم
التنظيم السياسي الأفكار البناءة
الهادفة إلى تعزيز طاقات البذل
والنضحية .

ان صدور نشرة يومية بمبادرة
من القيادات العليا ، يجب ان
يتطور ليسبح عملا نفسانيا من
حيث تحريره ، وأعدادها ،
ومدها بأخبار المبادرات الشعبية
والأمثلة الرائدة ثم توزيعها على
أوسع نطاق .. ويمكن ان تقوم
لجان التنقيف المشكلة في
الاقسام والوحدات بعمل كبير
في هذا الشأن .

وفي الاقسام والوحدات لا بد
من توسيع حلة الشعارات ،
ويشكل خاص في مراكز
التجمعات ، وتشجيع مبادرات
لجان الوحدات لنشر مجلات
الضابط ، وإثكاء روح المنافسة
التضالعية بين الوحدات والاقسام
ولكي يتحقق ارتباط المواطن
بالاتحاد الاشتراكي ، لا بد من ان
يتوافر شرطان :

أولهما : ان يقتنع المواطن
بصدق وجدانية ما يقصده له
التنظيم السياسي ، وان يشعر
بالقدوة في سلوك قادة التنظيم
ثانيهما : ان يشعرون المواطن
بان مقر الاتحاد الاشتراكي هو

اختلافات وتأزمات سببها نهم استهلاكي لم يمد مقبولا ولا متفقا مع متطلبات تطورها . ولابد للتنظيم السياسي من أخذ المبادرات اللازمة لتنقيف الناس ، وإعادة تربيتهم بأسلوب الحياة في ظل الحرب . ويجب ألا يترك هذا المجال الحيوي للبيادرات الفردية أو لبعض النزاعات المتفرقة الخشالية من وضوح الهدف ، أو لبعض الاستغزازات من عناصر المتحمسة وغير واعية . بل يجب أن يخطط لحملة شاملة لانتاع الناس بالتخلي عن الكثير من العادات والاساليب التي تؤدي الى زيادة غير طبيعية في الاستهلاك .

ولما كان التنظيم السياسي هو الذي يمسوف يتحمل مسؤولية اعادة البناء والتعبير بعد انتهاء الحرب ، فان تعزيز مواقع الاتحاد وسط الجماهير ، ودعم مراكزه بعناصر جديدة من خلال نضاله في الحركة ، تصبح واجبا أساسيا وهما ، يتحقق من خلال سهره على تنمية الحركة الجماهيرية ، وتنظيمها وارساء علاقاته بالنظميات العمالية والطلابية والنسائية المساعدة على أسس سليمة . فالحركة الحالية هي أنسب الظروف لارساء الأسس السليمة للاستكمال بناء منظمة الشباب ومنظمة نسائية مقتدرة ، وإطلاق طاقات الحركة النقابية والطلابية

على كل القوى « وعلى كل الاطراف » ، وعلى كسل التيارات ، لانها كلها سوف تفي ان هذا الطرف ليس مباراة بين الاجتهادات ، وانها هو صراع بين الفناء والبقاء لامة بأسرها « ولما كان التنظيم السياسي يتحمل عبء تقسيم المتطوعين للجهات المعنية ، فان الألوف من المتطوعين الذين يتقدمون من تلقاء أنفسهم للتطوع ، لمعين بروح التضحية والرفية في المشاركة في الحركة ، هؤلاء ، يشكلون خامة طيبة جدا ، لديها الحد الأدنى اللازم للتحرك السياسي ، ويستطيع التنظيم السياسي ان يشكّلها ويطورها وينمي مداركها السياسية ، ولابد من جهد سياسي قبل الجهد الفني للتدريب . لان دفع هذه العناصر للتدريب مباشرة دون نوعية سياسية ينشئ غالبا بقنور حماس هذه العناصر »

على أن التوعية السياسية سوف تجعل المتطوع أكثر حماسا للتدريب - الذي قد يبدو له أقل مما يريد - وسوف تلبي التوعية السياسية احتياجاته بالعمل السياسي وتقيم رباطا بينه وبين التنظيم السياسي . وترشيد الاستهلاك معركة أساسية . اذا كسبها الاتحاد الاشتراكي ، فانها يرفع عينا نثيلا من على كاهل الدولة ، ويوفر اعتمادات ، ويمنع

المكان الذي يستطيع أن يمسره فيه من نفسه بكل وضوح وحرية . . ومن هنا ملابد من نذب الأسلوب البالي الذي يرفع سيف الإرهاب الفكري ضد كل رأى لا يتطابق مع الرأى الطروح ، ما دام هذا الرأى يدور في إطار معركة المصير واحتياجاتها .

لقد التت الجماهير خلف ظهرها بكل معانيتها ومشكلاتها أمام الواجب الأكبر ، وجسأت للتنظيم السياسي لتشارك في الجهد الوطني ، فلا يجوز ان نضع قيذا على حقها في المناقشة الحرة ، ولا ان نترفع في وجهها مواقف مسبقة قبل أكتوبر . واذا كان هذا الأمر هاما بالنسبة للجماهير عامة ، فانه أكثر أهمية ، بالنسبة لاصحاب النشاط السياسي ، فان الموقف اليوم من أي انسان اثنا يتحدد على أساس موقفه من الحركة وقيادتها السياسية .

وقد أكد الرئيس أسور السادات في خطابه أمام مجلس الشعب على هذا المعنى عندما قال : « كنت أصرف ان الأمم العظيمة عنبا تواجه تحدياتها الكبرى ، فانها قادرة على ان تحدد لنفسها أولياتها بوضوح لا يقبل الشك . . كنت مؤمنا بسلامة الدومة للقومية العربية وكنت مدركا للتفاعلات المختلفة التي تحرك مسيرة أمة واحدة ، ولكنني كنت واثقا من أن وحدة العمل ، سوف تفرض نفسها

● عن معركة أكتوبر التحريرية

د. محمد علي الشاوي

الى دعم أمها العربية ، والتي جبهة أصدقائها وحلفائها الممتدة على نطاق العالم كله ، والتي يشكل المسكر الاشتراكي «

على نحو حي وفعل من معركة التحرير الاخيرة المظفرة التي قادتها الثورة العربية تحت قيادة مصر ضد الاحتلال الصهيوني - الاستعماري ، مستعدة في ذلك

هل هناك ما هو أقوى دالة في البرهنة على وحدة الأمة العربية ، وحركتها الوطنية الصاعدة نحو التحرر والوحدة القوية ، وعلى تجسيد ذلك كله

بقيادة الاتحاد الصهيوني ، أقوى وأهم أركانها .»

لقد أثبتت معركة التحرير التي بدأتها مصر وسوريا في ١ أكتوبر ١٩٧٣ ، من أجل دحر الغزوة الصهيونية الامبريالية من سيناء والجولان التي كانت قد وقعت في قبضتها بمدون ٥ يونيو ١٩٦٧ الخادرس ليس فقط القدرة القتالية العربية الفارقة والمتفوقة ، والتي لم يتح لها قبل ذلك الكشف عنها ، كما أتبع لها تلك هذه المرة ، وإنما أثبتت أيضا القدرة المتميزة والمتفوقة للنظام الاجتماعي الوطني التقدمي الذي امتلكته ومولت النضال المظفر ، والذي خاضه هذه الحركة على النظام الاجتماعي الرأسمالي النازي الحاكم في إسرائيل ، كما دللت على خرافة الدولة والجيش الاسرائيلي اللذين لا يفهران ، وعلى خرافة أن إسرائيل وحدها هي المصدرة على استتيعاب واستخدام التكنولوجيا العربية الحديثة ، وإبطلت في نفس الوقت الزعم القائل بأن التكنولوجيا وحدها هي أداة النصر الحاسمة .»

لقد انضسح جليسا أن التكنولوجيا تكون أكثر ما تكون فعالية عندما توضع في مكابها الطبيعي ودون تزييد ضمن إطار حركة تحرر وتقدم قادرة ناهضة ، ومنسجمة مع حركة التطور التاريخي العام ، وعندما تحدم أهداف هذه الحركة الوطنية والانسانية الشاملة ، وانضسح جليا خلال هذه المعركة أن هناك فضلا أية عربية حية واحدة ، ينتظمها شعور قومي واحد من المشرق إلى المغرب ، ويصرحها قانون اجتباها واحد هو قانون النضال عن نفسها ووجهوها ومصيرها وحققها هي امتسكها تحسروا وهنأها ، واستمرادة سيادتها ، وتحقيق استقلالها السياسي ، وبإلوة شخصيتها

القومية والدولية ، وأتجاز وثيقته الحضارية الجديدة ، وتقديه الاجتماعي الكامل .»

لذلك فإن معركة سيناء لم تكشف مجددا عن استحالة قهر مصر بكل تاريخها الحضاري المريق والشامخ فخط ، والتي عانت اليها روحها بهذه المعركة وخلالها ، والتي انطلقت بها وتمعلقت وحلقت - حسب تعبير الاديب المصري الألمسح نجيب محفوظ في كلمته في الإهمام في ١٠-١١-١٩٧٣ - ولا حسن (الوطنية المصرية) الملقبة فحسب ، ولا عن كليا يرتبط بذلك من معان وقسم تتعلق بشوريته وجوية الشعب المصري المتجددة المستمرة ليس الاء وأمثال ذلك من الحقائق والميس والدلالات التي عبر عنها الكاتب الكبير توفيق الحكيم في كلمته التي نشرتها لسه الإهمام في ٩-١٠-١٩٧٣ بقوله : «عبرنا الهزيمة بيمونا إلى سيناء ومهما تكن نتيجة المارك فان الأهم الوثية . فيها المعنى أن مصر هي دائما مصر ، تصبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تقلم . وإذا هجمت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام . وقد هبت مصر قليلا ، وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع أن تفعل في لحظة من اللحظات ، فلا يخذع أحد في دونها وسكونها . وكانت يدها التي بدرت منها حركة البقطة هي جيشها المقدام ، بصيحة رئيسها الوطني بالقيام . سوف تذكر مصر في تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر . »

لقد كشفت المعركة عما هو أكثر من ذلك كثيرا ، كشفت عن حجم مصر القومي والتحريري الكبير ، وعن دورها القيادي والثوري الضخم على النطاق العربي كله ، وعن مدى التفاف الامة العربية كلها حولها ، ووقوفها الى جانبها ، وميرها

خلفها في هذه المعركة - [القومية] التحريرية معركة تحرير سيناء ، والجولان ، والضفة الغربية والقدس ، ومعركة تحرير الارض والانسان المصري من رقة الاستعمار الصهيوني والامريكي ، ومعركة امتلاك الإرادة الوطنية والسيادة العربية ، كما كشفت عن تسنم الامة العربية بقيادة مصر شرفات عصر جديد مضئية ، عصر ظهور الكيان القومي العربي الملاق على المساحة الدولية ، واحتلاله مكانته التاريخية الأثقة بين الأمم الناهضة التقدمية المعاصرة .

ان هبة الجماهير العربية كلها في نفس اللحظة التي هبت فيها مصر ، كما كانت برهانا مجددا على الوحدة القومية العميقة والاصيلة والقوية التي تشد أطراف وشعوب الامة العربية الى بعضها البعض ، فقد كانت برهانا اضافيا على موقع مصر القيادي البارز داخل هذه الوحدة القومية ، وعلى انها محور الوجود القومي العربي ، وناعدة وطنية حركته التحريرية الوطنية والاجتهابية ، وقاعدته التاريخية والسياسية الثابتة في حلبة الصراع العالمي من أجل ترسيخ هذا الوجود القومي العربي دوليا ، وانتزاع الاعتراف به من قبل كل دول وقوى العالم كبرها وصغيرها

وكما كشفت هذه المعركة عن تلك الزمالة النضالية الوثقسي والقوية والقيمية التي طلت تربط دائما بين مصر وسوريا ، وتتجلى أكثر ما تتجلى خلال الماركات المصرية الحاسمة ، منذ معركة [حطين] أيام صلاح الدين وإلى اليوم . فقد أبطلت اللثام مرة أخرى عن عمق الروابط القومية التي تجمع بين مشرق الوطن العربي ومغربيه ، والتي افسحت عن نفسها بقوة في مشاركة جناحي الامة العربية النضالية في

لذلك فإنه من الحق أن نقول منذ الآن أن معركة أكتوبر ١٩٧٣، التحريرية العظيمة ضد إسرائيل والامبريالية الإمبريالية كانت قمة بمارك الفضل القومي التحرري والتقدمي العربي. قلبنا نار هذه المعركة الضارية والمقدسة نضجت واستوت وتبلورت وشمنت الروح الوطنية والقومية العربية، وذاب كل تناقض قديم بين الانتماء الوطني الخاص، أتون هذه المعركة نسجت وفلتت خيوط الوحدة العربية التي غدت الآن أقرب إلى التحقيق من أي وقت مضى.

ومن الحق - في خاتمة القول - أن نقول أن حركة التحرير والتوحيد القومي العربية التي ظهرت تبشيرها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد اشرفت به بعد رحلة حوالى مائة عام من النضال على بلوغ أهدافها النبيلة - بعد أن ازدادت خلال هذه المرحلة الجيدة والطويلة وضوحا وتبلورا وثاقا واقتربا ومصالح تجسيد آمال ومطامح ومصالح الجماهير الشعبية العربية العريضة في التقدم الاجتماعي والديمقراطية السياسية - هذه الاهداف الممتلئة اليوم في اقامة دولة عربية كبرى موحدة، ناهضة متقدمة، ديمقراطية اشتراكية.

السادات خلال معركة ١٩٧٣ الذي قاد نفس النضال ضد نفس الخصم الصهيوني - الاستعماري والذي - كما كتب نجيب محفوظ أيضا « تقمص في لحظة من الزمان عصارة أرواح الشهداء العظام من زعمائها (مصر) واتخذ قراره ، ووجه ضربه » [الأهرام في ١٠-١-١٩٧٣] والذي غدا بهذه المعركة قائد حركة التحرير والتوحيد القومي العربية في مرحلتها الجديدة

وأضافة إلى ذلك كله فإن الانظمة الوطنية العربية - وبصورة خاصة مصر وسوريا والعراق ، التي تمثرت في السابقي محاولات توحيدها سياسيا بتأثير العوامل الاقليمية والحزبية وغيرها من العوامل الموضوعية والذاتية ، قد حققت بانخراطها معا في معركة التحرير القومية الالهية ضد الصهيونية والاستعمار الامريكى ليس فقط تضامنها النضالي ووحدها الثورية والعملية ، وانما صهرت في ذلك - في لبيب المعركة ذاته كل خلاقات الماضى العارضة ، وازست حجر الاماس لتبثاق وقيام وحدة عربية تحررية حقة ، لن تقتصر عليها وحدها ، وانما ستشمل - بالتاكيد - غيرها من الاقطار الوطنية العربية في مشرق الوطن العربي ومغربه .

المعركة القومية المجيدة الى جانب دول المجابهة - مصر وسوريا - وبذلك كسرت وإلى الأبد تلك الاسطوانة الاستعمارية المشروخة والقديمة التي ظلت تعزف نغمة انفصالية مبعوثة ، هي أن هناك كيانا قوميا عربيا متميزا في المشرق ، وكيانا قوميا عربيا دا

سمات أخرى في المغرب . وإذا كانت معركة السويس عام ١٩٥٦ ضد الغزو الثلاثي الصهيوني - الاستعماري قد مثلت لحظة الميلاد التاريخية لظاهرة القومية العربية التي انفجرت شعوبها والتهبت في هذا الوقت - تفاعلا مع معركة السويس - وباضحت مختلف أشكال النضال تعزيزا ودعما لمر المناضلة التي برزت منذ هذا الوقت أيضا كقائدة تاريخية وثورية مقدامة لحركة التحرير الوطني والتوحيد القومي العربية فإن معركة سيناء والجولان عام ١٩٧٣ كانت لحظة ازدهار وسطوع وتوهج هذه الظاهرة القومية والثورية العربية، ولحظة انتصارها الرائع العظيم على الاستعمار والصهيونية معا .

وكما لمت شخصية جمال عبد الناصر القومية الفذة خلال معركة ١٩٥٦ ، وغدا منذئذ قائد حركة التحرير والتوحيد القومي العربية العترف به ، فلقد لمت شخصية خليفته محمد أنور

الذجاجة الذهبية .. والحرب الرابعة

لطفى الخولى

الدعاء من العرب بالجرارح : وأفقده - بالتالى - هيبته ، وجانبها كبيرا من قرائته لعدوانية ذلك أن هذه « الحرب الرابعة » بين إسرائيل والعرب ، قد خلقت

مجموعة الى ٢٢٠٠ مليون دولار .. فهو لا يتحرك بمنطق هارون الرشيد ، وانما بمنطق ضرورة صلب عود « رجل بوليسه القوى » في المنطقة الذى اخذنه

حين يقتلهم « الرئيس نيكسون » الى الكونجرس الأمريكى يطلب اعتذار برنامج ضخم من المساعدات العسكرية المجانية لإسرائيل يصل فى

« على حد اعتراف نيكسون نفسه - » احتياجات تجاؤز قدرة اسرائيل . » وبالطبع فان استمرار الحرب يعنى تزايد هذه الاحتياجات التى تفوق قدرة اسرائيل ، وهذا كله يعنى ، فى النهاية ، انه بدون التغطية والدعم الأمريكيين ، فان اسرائيل سوف تفقد دورها فى المنطقة كحارس للمصالح الأمريكية ، ومنفذ لاستراتيجيتها فى المنطقة ، يمتلك قبضة فولاذية فى وجه العرب .

ليس غريبا إذن ، هذا التحرك من جانب الرئيس الأمريكى . ولن يكون غريبا - أيضا - أن يسارع الكونجرس بالموافقة على الاعتماد بل والمزايدة عليه .

لكن الغريب ، أن لا نواجه « نحن العرب » هذا التحرك بتحريض مضاد ، أن لم يكن أقوى ، فعلى الأقل فى أسلوبه . ذلك ان علينا أن نفهم هذه الـ « ٢٢٠٠ مليون دولار » مترجمة الى قوة نيران تدميرية تنصب علينا قتلا وتخريبا .

ومع ذلك فان « المضحك المبكى » أن هذه « القوة التدميرية » التى تهربها أمريكا الى اسرائيل ، تموضها السلطات الأمريكية فى الحقيقة من حصيلة ارباح الاحتكارات والاستثمارات الأمريكية فى بلادنا العربية والتى تصب سنويا الى حوالى ٩ مليار دولار .

وانه لمبطل نكس أن ينسق أصحاب « الدجاجة الذهبية » على حارسها ٢ مليار لتمكينه من المحافظة على بيضتها المنيوية ذات التسع مليار دولار .

وهكذا فاننا نقع فى الحقيقة لئسرى لتلك الحلقة الجهنمية ، التى تقوم فى أطرافها يتمويل

أمريكا كى تقدم فى النهاية السلاح الى اسرائيل لقتلنا .

القضية إذن ، تتركز فى كسر هذه الحلقة الجهنمية . . فى تحرير « الدجاجة الذهبية » من مقتنصها الأمريكى ، وحارسها الاسرائيلى على السواء .

والأسلوب الحاسم فى معالجة هذه القضية هو تأمين المصالح الأمريكية فى المنطقة العربية .

ومع ذلك ، فانه بالنظر الى الظروف الموضوعية للمنطقة واختلاف النظم الاجتماعية ومعاداة عدد منها للتأميم ، فاننا

نكتفى - فى إطار خدمة العرب الرابعة - باقتراح أكثر تواضعا ولا يتعارض مع الأسس التى يقوم عليها أى نظام عربى .

ونلخص الاقتراح فى أنه مقابل كل دولار تمنحه أمريكا لاسرائيل نقوم نحن العرب بخصمه ومصادرته من المصالح والمشروعات الأمريكية فى بلادنا .

وفى تقديرى أن هذا الاقتراح يمكن أن تتوجه به أساسا الى الجامعة العربية بساعتبارها مؤسسة قومية تعيش ، لأول مرة ، معسكرة قومية ، شكلا وموضوعا .

الجامعة العربية فى قدرتها وقدره أجهزتها أن تحصر المصالح والاستثمارات الأمريكية فى المنطقة العربية . وعليها بعد ذلك - وبأسرع وقت - أن تدعو دولها الأعضاء الى اجتماع

لتقرير مبدأ وضع اليد العربية على المصالح الأمريكية بما يوازى كل دولار تمنحه امريكا لاسرائيل . وتحدد بالتالى الحصص الواجبه وضع اليد عليها فى كل بلد عربى - اليوم - فى إطار الـ ٢٢٠٠ مليون دولار . ويتكرر ذلك مع كل مساعدات جديدة فى المستقبل .

والبلد العربى ، حر بعد ذلك ، فى أن يعامل حصته ، من وضع اليد كما يشاء ، ووفقا لنظامه الاجتماعى والسياسى وظروفه الاقتصادية .

والطريق أمامه ، فى هذا المجال مفتوح . . من التأميم الى مجرد التهرب .

بمعنى أن يبلد عربيا رأسماليا مثلا ، يمكنه أن يوطد بوضع اليد نظام « رأسمالية الدولة » فيه ، بما يمنحه قوة انتاجية جديدة ومتطورة ، ويمكنه أيضا أن يبيع هذه المصالح الامريكية ، الى الموضوع اليد عليها ، الى مواطنيه . وفى هذا ما يساعده على بلورة رأسمالية وطنية محلية تسهم فى نقل البلاد من حالة التخلف القبلى والاقطاعى الى التقدم الرأسمالى ، وتفسير من الظروف الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية على نحو افضل .

وهكذا ، فان معاداة التأميم - اجتماعيا - لا تقف جانبا دون العمل - قوميا - على ضرب المصالح الامريكية ، والاستفادة - وطنيا - فى تنمية المجتمع العربى وتقدمه فى وقت واحد .

حركة المواجهة العسكرية في

سيناء والجولان والأرض المحتلة

في كل مرة تدعى إسرائيل أن العرب بدأوا العدوان ، ثم يتضح العكس وعلى لسان قادتها •
فبعد عدوان ١٩٦٧ بخمس سنوات • اعترف الجنرال ماتاناهيو بيليد وهو من مينة الاركان أن
إسرائيل لم تكن تتعرض لأي خطر في ١٩٦٧ ، وانها هي التي تفتت العملية لأسباب سياسية •

الساحل الغربي للخليج • وجاء هذا التحرك تأكيداً
لتوقعات القيادة المصرية التي أدركت من متابعتها
للحشود الإسرائيلية الضخمة وتحركاتها على
الضفة الشرقية للقناة طوال الـ ٤٨ ساعة
المايكة • أن عدواناً جديداً يوشك أن يتم •

● وكانت خطة القيادة المصرية هي الردع
الشامل لأي عدوان إسرائيلي ونمعه إلى الضفة
الشرقية • وبالفعل بدأت في الساعة الثانية عملية
عبور ناجحة للقناة - بعد دهر التشكيل
الإسرائيلي - واقتحمت خط بارليف • وتمكنت
قوات العبور من الاستيلاء على الجزء الأكبر من
الجانب الشرقي للقناة وسقطت في أيديها النقاط
الإسرائيلية الحصينة والاستحكامات القوية •
ورفع الجنود فوقها العلم المصري • ولم تستطع
طائرات إسرائيل وقف التقدم لكثافة نيران
الصواريخ المصرية ، وفي الليل جرت معركة
ضارية للدبابات • وعلق فيان على سقوط خط
بارليف بقوله أنه « لم يكن سوى قطعة من الجبن

وفي الحرب الجديدة ، نقلت وكالة الانباء
الفرنسية من تل أبيب عن المستوطنين الإسرائيليين
أن هناك توقراً متزايداً على جميع خطوط وقف
اطلاق النار ، وبصفة خاصة جبهة السويس •
وأضافت أن الحديث يدور في عاصمة كثيرة بما
فيها تل أبيب عن أن إسرائيل تفكر في عملية حربية
لرد اعتبارها الذي اهتز بعد « عملية النعسا » •

وفيما يلي تقدم « الطليعة » الجزء الأول من
رصد العمليات العسكرية في الفترة بين ٦ و ١٩
أكتوبر :

٦ أكتوبر

● سيناء ●

● في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر
حاول تشكيل جوى إسرائيلي مهاجمة قوات مصر
في الزعفرانة والمسخة في خليج السويس ، بينما
كانت بعض الزوارق الحربية تمارس اقتراب من

الجويين فيه من الثقب أكثر مما فيه من الجبن » .

● الجولان ●

● شنت إسرائيل في الثانية بعد الظهر عدوانا على القوات السورية الاممية على طول جبهة وقف اطلاق النيران ، وحاولت مجموعة من مقاتلاتها اختراق المجال الجوي في القطاع الشمالي وردت القوات السورية على مصادر نيران اسرائيل ، ونجحت في وقف الهجوم وانتقلت الى الهجوم المضاد ، وتمكنت من تحرير بعض المواقع منها جبل الشيخ واحتلت عدة مراكز من دفا عاته .

وأعلن الرئيس الابد « لقد كنا يطمين ساهرين ، فربح حركات العدو ونستعد ونناهب لرد عدوانه . فلم نسمح له ان يأخذنا على غرة ، واندفعت قواتنا المسلحة ترد عليه . لنا لسنا دعاء قتل ، وانما نحن ندفع عن امتنا القتل . لسنا معادين ولم تكن قط معادين ، ولكننا كنا وما زلنا ندفع العدوان . اننا لا نريد الموت لاحد ، وانما ندفع الموت عن ابناؤنا » .

● وقد صدر اول بيان من اسرائيل في الساعة الثانية و ٤٢ دقيقة ، جاء فيه « ان مصر وسوريا ضلنا هجوما مضيقا جيد التخطيط » . واعترف راديو اسرائيل بان القوات المصرية اخترقت الدفاعات الاسرائيلية . وقال « انها الصرب » . ونجست مجرد حادث مطلي »

وفي المساء اعلنت جولدا مائير رسميا ان الصرب قد نشبت .

● تم إلغاء اجازات الضباط والجنود في الاسطول السادس الامريكي وأعلن المسئولون فيه انهم لا يستطيعون التحرك نحو منطقة القتال اذا تطور الموقف واستمر القتال مدة طويلة .

١٤ أكتوبر

● سيناء ●

● تم تعمير محاولتين اسرائيليتين للتصدي للقوات المصرية المتقدمة شرق القناة . وضربت اسرائيل ٣٠ طائرة و ٣٢ دبابة ، واستسلم عدد من جنودها . وقالت الاسوشيتدپرس ان موقف اسرائيل خرج للفتاة . وعززت القوات المصرية مواقعها على طول الشاطئ الشرقي ، وغشلت طائرات اسرائيل في ضرب المعابر ، واستمر تدفق القوات المصرية .

١٥ أكتوبر

● أعلن شموئيل جوبين القائد الاسرائيلي للجبهة الجنوبية ، بان المارك « قاصبة جدا بسبب حشود الدفعية المصرية الضخمة بالقرب من منطقة الواجبة » . وقالت الاسوشيتدپرس ان القوات المصرية استلمت التبرك في المواقع التي احتلتها .

● الجولان ●

● تقدمت القوات السورية مسافة ١٥ كم في بعض المواقع في المرتفعات السورية . وكان التقدم واضحا في ٢ مناطق هي الاحمدية ورافد منشية ورامات ماجسيم .

● توغلت الطائرات السورية لمسافة ٦٠ ميلا داخل اسرائيل ، وقصفت منطقة « مجدل هامك » شمال تل ابيب . واعترف المراسل العسكري لاذاعة اسرائيل بوجود حشود سورية في منطقة القنيطرة ، قالت رويتر انها تبلغ ١٠٠٠ دبابة .

● عرض التلفزيون السوري فيلما لعمليات اسقاط الطائرات الاسرائيلية ، وحوارا مع ٧ من الطيارين الاسرى . وقالت رويتر ان السكان اعتادوا مشاهدة الطائرات الاسرائيلية وهي تهوى ، وان الحوادث السورية تشكل مظلة قوية لصاحبة دمشق .

● اعلنت الجزائر ارسال قوات جوية الى الجبهة . وقالت المغرب ان قواتها تشترك في القتال في سوريا وانه سيتم تعزيزها .

● قال مندوب وكالة الانباء الفرنسية في تل ابيب ان أزمة الحياة المحلية ياحية في المدينة ، فالمرور مرتبك والمخلفات مغلقة ، والمواصلات صعبة . وقد اجتمعت الوزارة الاسرائيلية لثالث مرة خلال ٢٤ ساعة . كما اعلن تمدينة الحاضانات لدفن الجنود القتلى .

١٥ أكتوبر

● سيناء ●

● تقدمت القوات المدرعة المصرية الى مسافات بعيدة داخل سيناء ، بعد ان فقدت اسرائيل كل مواقعها على الضفة الشرقية (٢٥ موقعا) واعترف المتحدث الاسرائيلي بالانسحاب الى خط دفاع جديد .

● تم تحرير مدينة القنيطرة وهي اكبر مدن سيناء بعد العريش . ورفضت القوات المصرية علمها فوقها ، بعد استسلام ٢٠ اسرائيليا في اعقاب قتال في الشوارع .

● أعلن الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان المصري ، أن تقدم قوات مصر يتم طبقا لخطة يجري تنفيذها بدقة طبقا لمعدل زمني يحسب لموايل تكتيكية وتعبوية .

● أكد مراسل رويترز في أسرائيل أن الجيش الاسرائيلي يواجه أكثر المعارك برارة في تاريخه . وأن هذه المعارك أبعد ما تكون عن نهايتها وأن القوات الاسرائيلية فوجئت بقوة مصرية في حجم مـ تره حتى الآن ويروج قتالية لم تمرها والاكثر من ذلك فان القوات المصرية مدعومة بمدعات فريدة وبأسلحة حديثة جيدة الصنع . وقتل مراسل اليونينبرس اثنا لها تواجه جيوشا مصرية مكسوزة وانسا جيوشا تفتتح بروج عسالية ، وقالت اسوشيتدبرس أن طيران مصر وسوريا مازال سليما ، إذ لم تتم ابادتهما على الأرض مثلما حدث في ١٩٦٧ .

● الجولان

● انتقلت المارك الضاربة لغرب القبيطرة وشملها وتمكنت القوات السورية من وقف هجوم اسرائيلي مضاد لك الحصار السوري للمنطقة وأعلن متحدث اسرائيلي باسم وزارة الدفاع أن الهجوم المضاد تهاوى أمام الصلبة العربية .

● قامت اسرائيل بغارات على الأهداف المدنية في دمشق وحمص ، ودمرت المركز الثقافي السوفيتي وقتلت عددا من الدبلوماسيين الاجانب ، وحملت سوريا اسرائيل مسئولية ماحدث .

● استخدمت سوريا صاروخا سوفيتيا يصوبه حلف الاطلنطي «فوج» وهو صاروخ ارض ارض مداه ٧٠ كيلو مترا ويحمل رأسا ناسفة وزنها ١١٠٠ رطل .

● أعلنت بواشر البنتاجون العسكرية أن خسائر اسرائيل جسيمة ، وأنها فقدت في ٢ أيام ٥٠ طاقرة و ٩٠ دبابة .

● استدعت اسرائيل قوات جديدة من الاحتياط .

١٠ أكتوبر

● سيناء

● أجرت اسرائيل تغييرات ضخمة في الضادة العليا أثناء المعركة استخدمت ٦ جنرالات من الاحتياط للخدمة في رئاسة الأركان وفي قيادة الجبهة الجنوبية وقيادة سلاح الطيران ، وهم

● استمر تدفق قوات العبور المصرية رغم أن اسرائيل أعلنت في اليوم السابق تدمير المابز وضربت الطائرات المصرية طارئ الفيز وبيسر تمادة وبطاريات صواريخ في بالوظة وتمادة والجدى ومركز قيادة في أم خشيب وأم رحمة .

● هاجمت الطائرات الاسرائيلية أهدافا مدنية في بورسعيد وأعلنت القيادة العامة المصرية أنه « على العدو أن يتحمل نتائج هذه العملية » . وصرح المتحدث العسكري المصري أن خسائر اسرائيل في ٢ أيام بلغت ٨١ طائرة و ١٢٨ دبابة، و ١٢٣ أسيرا ، علاوة على خط بارليف الذي تكلف ٢٢٨ مليون دولار . وقال أن القوات المصرية استولت على الضفة الشرقية كاملة وصفت كـ الجيوب الاسرائيلية فيها . وأعلن المتحدث الاسرائيلي أن اسرائيل تخوض أكبر معركة دفاعية في تاريخها على طول جبهة اقتداء ضد قوات لم تفقد المباداة منذ بدء القتال .

● أعلن متحدث مصري أنه تم تدمير آبار بلاغم البنبرولية .

● الجولان

● وأصلت قوات سوريا تقدمها داخل الجولان ، بعد أن نجحت في الاستيلاء على الجزء الأكبر من القطاع الأوسط ، وانفشت الهجمات الاسرائيلية المضادة . وقالت رويترز أن قوات سوريا تحاول شن هربتها للقبيطرة .

● تم أسر قائد كتيبة دبابات اسرائيلي ، وكذلك ٦ طيارين بعد اسقاط ٢٨ طائرة . وعرض التلفزيون السوري ، فيلما عن المناطق المحررة ، وحوارا مع ٦ أسرى .

● أعلن مراقبو الهدنة أن اسرائيل تستخدم الغنابالم .

٩ أكتوبر

● سيناء

● دارت معارك ضارية ، كسرت فيها قوات مصر موجات متوالية من الهجوم الاسرائيلي بالالوية المدرعة التي حاولت وقف التقدم المصري الذي وصل الى ١٥ كيلو مترا داخل سيناء .

● تم تدمير اللواء المدرع ١٩٠ الاسرائيلي ، واستسلام قائده العقيد عسلف ياچوري ، وكذلك تدمير ١٠٢ دبابة من هجومين للوامين اسرائيليين مدرعين في القطاعين الأوسط والجنوبي . واعترف ياچوري بأن الدبابات انصرية تحارب بكفاءة عالية ، وأن قتالها كان متقوفا وباملا .

حاييم بارليف ويشمياهو جانيش وريحانواوم ريقين وأموس موريف ومورنخاي هود واهارون بارليف ، وأعلنت وكالة الأنباء الفرنسية أن الاستعداد يعني أن القيادة الحالية تمانى متوقفا عصيبا ، وأنها محاولة لاعادة الثقة .

● سيناء ●

● دارت أعنف معركة برية وجوية منذ أن بدأ القتال . ولقد جيسرارد اسوجران مراسل اليونيتديرس أنها أكبر معارك الدبابات في العصر الحديث . وصرح مصدر عسكري مصري أن العدو قذف في سيناء بنحو ١٠٠٠ دبابة اشترك في القتال منها ٨٠٠ دبابة دمر منها ٤٠٠ دبابة .

● ويابورن هاملتون مراسل اليونيتديرس يقول أن القتال العنيف في المنطقة الوسطى يتم غربي منطقة المرات ، وأن كل يوم يمر يجعل مهمة إسرائيل أكثر صعوبة . ومراسل الاسوشيتدبيرس يقول أن الدفاع الجوي المصري يشكل غلالة كثيفة من النيران وصعب اختراقها . كما أن جوين القائد الاسرائيلي للمنطقة الجنوبية من سيناء يقول أن إسرائيل تخوض أعنف قتال منذ ٢٥ عاما .

● الجولان ●

● القتال يزداد خراوة بعد أن دعت إسرائيل بامدادات جديدة لوقف تقدم القوات السورية وشن هجوم مضاد في القطاع الشمالي . لكن القوات السورية دمره له ٦١ دبابة . وقد أعلن رايب لندن أن القيادة الاسرائيلية تخفف بكل قواتها الاحتياطية والجوية . واعترف ميرتزوج المعلق العسكري لرايب إسرائيل ، بأن الجيش السوري مازالت لديه القدرة على القتال رغم كل التمزيزات الاسرائيلية .

● مراسل اليونيتديرس يؤكد أن إسرائيل أخطأت في تقدير سواروخ سام ، وانها فوجئت بالتحسن الذي طرأ على القوات العربية .

● أمريكا تبدأ في شحن طائراتها بالصواريخ والقنابل من قاعدة وسينا الجوية في فرجينيا لارسالها لإسرائيل . وقد أعلن هيسرتوج أن إسرائيل حصلت على ٤٨ قاتوم جديدة .

١٢ أكتوبر

● سيناء ●

● هاجمت القوات المصرية مراكز القيادة الاسرائيلية في أم مريم والطاسة بالصواريخ ، وصدت هجوما باللقنابل .

● دارت معارك عنيفة في القطاع الجنوبي ، تركت في أعقابها قوات إسرائيل أحدث الدبابات الأمريكية (ام - ٦٠) وهي مزودة بمذفع ١٠٥ ملم ودروع قوية ، وتعمل ليللا بالأشعة فوق الحمراء . وكان قتال دبابة لدبابه .

● وبعد معركة في القطاع الأوسط ، انسحبت قوات إسرائيل إلى ما وراء الخط الدفاعي الجديد الذي تتضمن وراءه وهو على بعد ٣٠ كم .

● توسعت طائرات إسرائيل في القاء الشراك الخداعية في الدلتا ، كما دأبت على القاء حمولاتها من القنابل بعيدا عن أهدافها لكثافة الدفاع عنها .

● أعلن ياريف الذي عين حديثا ، أن الدفاع الجوي المصري أسقط عددا كبيرا من الطائرات الاسرائيلية ، وعزا خرابه الإنتاجاوج ارتفاع خسائر إسرائيل إلى أن القوات المصرية تقاتل ببسلاية وخطة علمية منقذة بدقة .

● الجولان ●

● استمرت معارك الدبابات والمدافع والصواريخ حول القنيطرة . بل ولقد ريتشارد جروس مراسل اليونيتديرس أن القتال الشرس يجرى داخل المدينة . وقال مراسل رويتر أنه رأى ١٠ دبابات سنوريون محطبة حول المدينة ، وأن أحداها بدت كما لو أن بدا علاقة سحقها بضربة واحدة .

● أعلن مراسل الوكالة الفرنسية أن القوات السورية تواصل ضغطها ، وتلحق بقوات إسرائيل خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات . وقال أن مدى المدافع السورية يصل إلى ٤٥ كم ، وأن سوريا تطلق مئات القذائف على توافل التموين وعلى المستعمرات وعلى كل شيء .

● أغارت إسرائيل لليوم الثاني على التوالي على الأهداف المدنية في حمص وطرطوس واللاذقية ومطار دمشق . وأعلن مساعد وزير الخارجية السوري أن هذا قد أدى إلى قتل مئات المدنيين .

● أعلن رايب لندن أن القوات المغربية تقاتل في مواقع متقدمة .

● استدعت الأردن قوات الاحتياط .

● أعلنت العراق إسقاط طائرة إسرائيلية في أراضيها ، وأن ١٦ ألف جندي عراقي و ١٠٠ دبابة قد دخلوا إلى سوريا لمعاونتها .

● وقد قدرت المخابرات الأمريكية الضمان الإسرائيلي بـ ٢٠٠٠ قتيل وجريح ، علاوة على مئات الأسرى ومائة طائرة و ٦٠٠ دبابة .
● مراسل اليونيتديرس يقول إن هزيمة إسرائيل عند المعبور تشبه هزيمة الولايات المتحدة في بيرل هاربور . ومراسل اليونيتديرس يقول إن الدبابات المشتركة في القتال بسيداء تفوق تلك التي اشتركت في العلمين ومطالينجراد ، وأن القوات المصرية تكمل استعدادها للمرحلة التالية من القتال .

● الجولان ●

● استمرار معارك المدرعات الضارية في الجولان . وقد اعترف متحدث اسرائيلي بفشل محاولة اختراق صفوف القوات السورية المتقدمة .
● مراسل اليونيتديرس يقول إن تدباط الطائرات للفانتوم يشبه بهرجان الالامب النارية .
● القوات العراقية تشبكه في قتال دموي مع القوات الاسرائيلية في الجولان .
● مصر توجه تحذيرا للولايات المتحدة من دعمها لاسرائيل بالسلاح والمسدات .
● وصيفة « يا » الاسبانية تقول ان ١٥٠ طيارا امريكيًا عن طياري الفانتوم مروا بمطار مفرد في طريقهم لاسرائيل .
● كيسنجر يعترف بأن المغابرات الامريكية والاسرائيلية فشلت في تقدير الموقف ، واعتقدت ان القوات المصرية تقوم بمناورات روتينية ،

١٢ أكتوبر

من ذلك صاروخ سام ٧ المضاد للدبابات والذي يحمله جندي بمفرده على كتفه ويطلقه على اربابيات .
● مراسل الوكالة الفرنسية يقول ان قوات الدفاع الجوي المصري اثابت « حاشطا صلبا من الصواريخ يصعب تخطيه » .
● القوات المصرية تستمر في تدعيم المواقع التي استردتها .

● الجولان ●

● القوات السورية ترغم ثوات اسرائيل على التراجع عن مواقعها بمد هجوم عنيف كسر موجة الهجوم الاسرائيلي . وقد أعلن مرأسل الاداعة البريطانية ان مزاعم اسرائيل عن سير القتال غير صحيحة ، ولقد الصمود الشديد للقوات السورية . وقال ان اقرب موقع للقوات الاسرائيلية يبعد ٢٥ يلا عن خط وقف اطلاق النار .
● الاردن يدخل الى سوريا خيرة تشكيلاته المقاتلة للمشاركة في القتال الى جانباها .
● جولدا مائير تمقد مؤتمرا تقول فيه ان اسرائيل دولة صغيرة تريد السلام ، وأن التصرب فرضت عليها .
● طائرتان امريكيتان للتجسس من طراز س . ر . ٧١ التي تطير على ارتفاع ٢٥ كيلو مترا ، تطيران فوق مصر وسوريا للاستطلاع .
● أمريكا تعلن التزامها بتعميض خصائص اسرائيل .

١٢ أكتوبر

● سيناء ●

● القوات المصرية تشن هجوما شاملا على طول الجبهة وتشترك في معركة ضخمة بالمدرعات تستمر ١٢ ساعة وتحرر مساحات جديدة من أرض سيناء وتدمر ١٥٠ دبابة .
● قوات الدفاع الجوي المصرية تخلي سيناء المعركة من الطائرات الاسرائيلية وتسقط ٢٦ طائرة كما تقصف طائرات مصر مواقع الصواريخ المضادة للدبابات التي تموق تقدم مدركاتها .
● الجنرال ابراهيم منحلر قائد عام المدرعات يلقي مصرعه . وهو أول جنرال اسرائيلي يقتل في المعركة . كذلك اعترف راديو اسرائيل بالهجوم المصري على طول الجبهة . وأعلن هيرتزوج بأن القتال واسع وضيق وبلغ مرحلة حرجية يصعب التنبؤ بنهايتها . كما صرح ديان بأن المعركة الحالية لم تحارب اسرائيل ثلها من قبل ، انها معركة صعبة قاسية ثقيلة بليامها وديابها ، معركة

● سيناء ●

● استمرار معارك الدبابات على طول الجبهة ، مع استمرار طوفان الامدادات المصرية عبر ١١ جسرا على القناة ، وتحريك صواريخ سام الى سيناء . وقد أكد هنري ستانوب مراسل التايمز العسكري ان الجيش الاسرائيلي أخفق في ايجاد طريقة فعالة لإيقاف التمزيزات المصرية لأن طائراته لم تستطع تدمير الماير المصرية .
● استمرار عمليات الكوماندوز المصريين في كل أنحاء سيناء . وقد اعترف هيرتزوج بأن مصر تستخدم تكتيكا جديدا في الحرب بكمكماندوز . وقال كالتان القائد الاسرائيلي لاحد مواقع شمال سيناء بأن القوات المصرية الخامة تدخل سيناء من كل مكان وكل اتجاه وبكل الوسائل وتقاتل بشراسة مستخدمة أحدث الأسلحة ، وذلك لتدمير أكبر قدر من المدرعات وقطع طرق الامداد ، يمكنها

أساسية بثقلها عليها الكثير . وقان أننا نقائل
بقلوب كسيرة ولا نعرف الى متى يستمر هذا .

● الجولان ●

● صعدت القوات السورية هجوما اسرائيليا
واسما ، ودارت معركة عنيفة على عدة محاور
بكافة الاسلحة ، تم فيها تدمير ٥٠ دبابة
اسرائيلية .

● اكدت القوات السورية سيطرتها على
القطاعين الجنوبي والوسط . وعلى مراسس
الوينتديرس ان الاسرائيليين لم يحرروا اي تقدم .
وهنا مراسل الاسوشيتدبيرس بان التقدم الاسرائيلي
تمتدده مقاومة عنيفة ، وأنه فشل في امكات
الدافع السورية بعيدة المدى .

● اعلنت السعودية ارسال بعض قواتها الى
سوريا للاشتراك في القتال الدائر في الجولان .

● اسرائيل تستدعي سابع جنرال من
الاحتياط للخدمة وهو الجنرال مئير عاميت .

● ميشيل كوماي سفير اسرائيل في لندن يشن
حملة للدعوة لوقف اطلاق النار .

١٥ أكتوبر

● سيئاء ●

● وجهت القوات الخاصة المصرية ضربات
قوية للقوات الاسرائيلية ، أصابها عمية انزال في
موقع حصين وراء الخطوط الاسرائيلية ، حيث
اشتبكت في قتال عنيف مع افرادهم والحقت بهم
وبمعداتهم خسائر فادحة .

● قامت القوات المصرية بتعزيز قبضتها على
المواقع التي حررتها في اليوم السابق في القطاعين
الوسط والجنوبي . وفي القطاع الشمالي دارت
معركة للبحرعات . واعان الفريق اول احمد
اسماعيل وزير الحربية المصري ان خسائر اسرائيل
تزيد عن خسائر مصر ٣ مرات في الدبابات و ٥
مرات في الطيران .

● الجولان ●

● فشلت محاولات القوات الاسرائيلية التي
استمرت ٣ أيام ، لاستعادة المواقع التي حررتها
سوريا في الجولان . كما قامت القوات السورية

بقتل التجمعات الاسرائيلية في منطقة سهل الحولة
وشمال بحيرة طبرية .

● القوات السورية تصعد هجوما اسرائيليا في
القطاعين الاوسط والجنوبي . وراسل رويتر
يؤكد ان صفوف قوات سوريا دى الى فشل قوات
اسرائيل في استعادة المواقع محيرة ، وقال ان
مزاعم اسرائيل تحيط بها الشكوك

● اعلن الرئيس الاسد في خطاب له ان القوات
السورية تلاحق القوات الاسرائيلية بضربات
هجومية قوية بعد صد هجوم حصاد قامت به
وتحرر المدن والقرى ومن أبرزها جين والزبد وتل
الفرس والخشمية والجوفدار

● اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان
الامدادات الامريكية بدأت لاسرائيل لاعداء التوازن
للبنطقة وتويع اسرائيل عن حصارها . واعلن
المحدث باسمها انه لا علم به ارسال قوات
امريكية لاسرائيل .

● اعلن نيكسون ان الولايات المتحدة تقدم
الضمان لعدم تعرض استقلال اسرائيل وايضا
للخطر وانها ستقفل كما فعلت مع حذر في ١٩٥٨
ومع الاردن في ١٩٧٠ .

● اعلن الاتحاد السوفيتي التزامه بمساعدة
العرب بكل وسيلة ممكنة لتحرير اراضيهم .

● استدعت اسرائيل ١٢ جهازا جديدا من
الاحتياط للخدمة .

١٦ أكتوبر

● سيئاء ●

● ألقى الرئيس أنور السادات خطابا أعلن فيه
ان الهدف من القتال هو تحرير الارض التي احتلت
في عدوان ١٩٦٧ وايجاد سبيل لاستعادة واحترام
الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . وقال ان مصر
على استعداد لوقف اطلاق النار على اساس
الانسحاب من كل الاراضي المحتلة فوراً وتحت
اشراف دولي الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ،
وغير اتمام الانسحاب ، فان مصر مستعدة لحضور
مؤتمر سلام دولي في الامم المتحدة لوضع ضوابط
للسلام في المنطقة على اساس احترام الحقوق
المشروعة لكل الشعوب ، وقال الرئيس انه على
استعداد لتطهير القناة وفتحها فوراً . واعلن انه
لن يقبل وعدا مبهم او عبارات مطبوعة ، وقال انه
لايد من وضوح الغايات والوسائل .

● القت جولدا مائير خطابا في الكنيست قالت
فيه انها تشترط لوقف اطلاق النار ، ان يتبادل
فورى وكامل لاسرى الحرب .

● صعدت القوات المصرية هجوما مضادا بلواء
مدحر حاول اختراق مواقعها في المنطقة الوسطى ،

وقال أنه لدى القوات المصرية تباينة سوفيتية تماثل
الذبابة الامريكية ام ت ٦٠ أو تفوقها .
● أعلن حاييم ميرتزوج أن القوات المصرية
تتحرك بشكل راسخ .

● الجولان ●

● تالتت القوات السورية بصلابة ضد القوات
الاسرائيلية على طول الجبهة . كما أحبطت
هجومًا قامت به وأجهزتها على الفرار .
● أعلن مراسل رويتر أن القوات السورية
تقاتل بشراسة ، وهي أبعد ما تكون عن اعتبارها
قوات مصسوقة . وأكد رايو لنندن أن اسرائيل لم
تحتل قرية سمسح السورية كما قالت .
● شنت القوات الاردنية في الجولان هجومًا
على القوات الاسرائيلية .
● أعلن الاتحاد السوفيتي لأول مرة أنه يمد
مصر وسوريا بالأسلحة والمعدات لمساعدتها على
تحرير الارض . كما أعلنت وزارة الدفاع
الامريكية أن موسكو عززت اسطولها في البحر
المتوسط . وأعلنت الصحف الامريكية أن الولايات
المتحدة في سياق مع الزمن لتدويع خسائر
اسرائيل .

● أعلن الفخراء المسكرون الغربيون أن
الصاروخ سام ٦ هو ارض جو ، من أكثر
الأسلحة كفاءة ، وأنه غير طبيعي للحرب الجوية
واعاق فاعلية السلاح الجوي الاسرائيلي . وأنه
لم يستحسن الا في الشرق الأوسط ، وأن الاتحاد
السوفيتي لم يعطه لحلفائه في الكتلة الاشتراكية .

١٨ أكتوبر

● سيناء ●

● تحولت المارك الى أكبر صدام بالديابات
في تاريخ حروب العالم ، يدور فيه قتال عنيف
وضار بينات الديابات والمخيمات والمدافع
والصواريخ والطيران . وأكد خبراء وزارة الدفاع
الامريكية أن هذه المعركة قد تكون لها نتائج هامة
في سير القتال كله ، وإنها قد لا تنقضي الا بعد
بضعة أيام . وقال بيان مصري أن القتال ما زال
مستمرًا منذ يومين بضراوة في القطاع الأوسط
وأن القوات المصرية نجحت في احدث خسائر
كبيرة في قوات اسرائيل .
● قتلت القوات المصرية بضرب القوات
المتسللة التي تم حصارها في نقط متفرقة بعد أن
واصلت طوال اليوم السابق ضغطها بشدة على
قوات اسرائيل . وقد أعلنت رويتر أن ثورة الحرب
انتقلت الى سيناء . وأعلن الجنرال العياض رئيس
الاركان أن اسرائيل تركز على سيناء .

ودارت معركة استخدمت فيها كل الأسلحة استمرت
٦ ساعات دمورت فيها معظم القوات المنجمة ، كما
اشتبك طيران الجنائين واسقطت ١١ طائرة
اسرائيلية ، واشتبكت ايضا القوات البحرية في
البحرين الاحمر والابيض ، وأعلنت المصادر
المصرية أن اسرائيل تهدد لهجوم كبير .
● دفعت اسرائيل بوحدة كورمادوز من ٧
دبابات عبر البحيرات المرة الى الجانب الغربي
للقناة ، ثم تدمير ٣ منها وحوصل الباقي .

● الجولان ●

● دارت معارك شرسة بكل الأسلحة غطت ثلثي
الجولان . وتبكتت قوات سوريا من صد هجوم
اسرائيلي معاكس وشنت هجوما مضادا عريضا .
وقال المراسلون الاجانب أن دبابات سوريا تفوق
تلك التي استخدمتها ألمانيا ضد الاتحاد السوفيتي .
● أكد مراسل اليونيتديرس ، أن القوات
الاسرائيلية لم تستول على قرية سمسح التي زعمت
أنها احتلتها وأن قوات سوريا ما زالت متحصنة
بها .

١٧ أكتوبر

● سيناء ●

● جرى صدام واسع ورهيب بالمدفعات في
أضخم معارك الحرب ، اشتبكت فيه مئات الدبابات
والكتائب الكاملة من المدفعات والذخعية والقوات
الجوية واستمرت طوال الليل والنهار . وأعلن
ميرتزوج أن تركيز اسرائيل انتقل الى سيناء ،
وأنها تحاول الافلات من تكتيك القوات المصرية
الذي يهدف الى إلزام قواتها بالدفاع وعدم السماح
لها بحرية المناورة . وقد أكدت أنصار لجناح
الصواريخ المضادة للدبابات .

● أكدت المصادر العسكرية أن المعركة الدائرة
أساسية في الحرب وأن القوات المصرية تصد
الموجات الكثيفة المتتالية من قوات العدو تضغط
على الجبهة الوسطى .

● استطلت قوات الدفاع الجوي المصري طائرة
التجسس من طراز رايلن فاير بي - ١ التي تطير
يبدون طيار على ارتفاع ١٨ كيلو مترا وبسرعة
١١٠٠ كم في الساعة .

● أعلن المتحدث العسكري مصري أنه تم القضاء
كاملا على مجموعة الكوماندوز الاسرائيلية التي
تسللت عبر البحيرات المرة . وقال أن خسائر
اسرائيل بلغت ٢٦٩ طائرة و ١٥ هليكوبتر ، و ٤٩٢
ذخاية و ١٨ قطعة بحرية وعدد يحتمل من الاسرى .

● سيناء ●

● استعمرت المارك عيفة وصارمة خاصة على الحور الأوسط بعد أن دفعت اسرائيل بقوات واسعة لتعميض الخسائر التي منيت بها في الأيام السابقة . وقد انزلت القوات المصرية بالقوات الاسرائيلية خسائر ضخمة في الأفراد والمعدات ، وواصلت طائراته قصف التجمعات الاسرائيلية للدبابات والمدركات .

● اشتبكت القوات المصرية مع القوات التي تسطت ليلا الى الجانب الغربي عبر ابحيرات المرة ودمرت أجزاء منها حول منطقة الدفسوار .

● تم اسقاط ٧ طائرات اسرائيلية وأسر قائد احداها برتبة رائد ، حيث اعترف بأنه وصلت الى اسرائيل قبل اسره مباشرة ٢٥ طائرة قانتوم يقودها طيارون امريكيون .

● الجولان ●

● دارت معارك واسعة اشتركت فيها الدبابات والمدفعية في القطاعين الاوسط والشمالي ، وقد شنت القوات السورية والعراقية والاردنية هجوما برييا واسما لارغام القوات الاسرائيلية على التخلي عن مواقعها ، واستخدمت مئات الدبابات ، ودك في أكبر هجوم مسلح يجري نى الجولان منذ أن بدأت الحرب .

ضربات المقاومة الفلسطينية في أعماق العدو

في جبل ام هواويط وهي من اضخم مستودعات الذخيرة في منطقة الثقب ، ودمرت المستودعات عن آخرها .

● وقام عدد من الثوار بقطع الطريق العام غربي مدينة القدس ونسف عدد من الجارات والجسور امت الى تعطيل الطرق . كما تابت بعض المجموعات الخاصة بنسف قطار محمل بالذخيرة والجنود بالقرب من مدينة خان يونس .

● ودار قتال عنيف بين قوات الثوار الفلسطينية ، والعدو في القطاع الشرقي من الجبهة اللبنانية جنوب جبل الشيخ . وشنت قوات المقاومة هجوما في مرتفعات أبو الروس، استطاعت بعده تحرير كل المرتفعات والتثبت بها ورفع العلم الفلسطيني عليها وبذا أصبحت تهدد مستعمرات العدو الشمالية .

● وقد أعلن وزير الجيش الامريكى أن عبور القوات المصرية في مواجهة التفوق الاسرائيلي في القوة الجوية وهو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية . وقال أنه يتعين ادخال تعديلات فيها .

● الجولان ●

● قامت وحدات سورية هجمات عنيفة على المواقع الاسرائيلية التي حاولت الرد بهجوم معاكس صدته القوات السورية والحق بها خسائر كبيرة ، كما واصلت المدفعية السورية تصفيع مواقع التجمعات والسخفية والصواريخ الاسرائيلية .

● أعلنت رويتر ان الجبهة السورية تتطور الى حرب استنزاف لا يقوم فيها أى من الجانبين بهجوم كبير جديد .

● أعلنت مصادر دولية أن خسائر اسرائيل في سيناء والجولان بلغت ١٠ آلاف قتيل .

● أجرى الجيش كوسيجين رئيس الوزراء السوريتهى عدة اجتماعات مع الرئيس أنسور البسادات خلال الأيام الثلاثة الأخيرة .

● قدمت اسرائيل شكوى الى فالداهيم من تزايد عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل على الخطوط اللبنانية .

● زار الملك حسين القوات الاردنية في الجبهة السورية .

كان الاستنزاف والعدوان الاسرائيلي في الضفة الغربية والسخنة في خليج السويس ، وما أمته من عبور القوات المسلحة المصرية لقتلة السويس ، واستيلائها على خط بارليف ، وكذلك الاعتداءات الاسرائيلية في الجولان التي دفعت بالجيش السوري الى القيام بهجوم مضاد على طول جبهة الجولان ، كان هذان الطرفان الجديان على خطوط المواجهة مع العدو ، فرصة للثوار الفلسطينيين ليسعدوا عملياتهم ضد العدو الاسرائيلي سواء في الاراضى المحتلة او في خطوط العدو الخلفية اوفى عمق اسرائيل ذاتها . وسوف تقدم هنا فحسب أبرز العمليات التي قام بها الثوار الفلسطينيون منذ اندلاع الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل في أكتوبر الماضي:

● ففي ليلة ١٠/٧ قامت بعض المجموعات الانتحارية الخاصة بتدمير مستودعات الذخيرة

● وهاجم الثوار الفلسطينيون مركزا لتجميع قوات العدو الاحتياطية في منطقة سمع .

● وقامت وحدة أخرى من الصواريخ الثقيلة ليلة ١٠/٨ بقصف شبكة الرادار العسكرية للعدو الواقعة على قمة جبل الجرمق في الجليل الغربي واصابتها اصابات مباشرة .

● وتمتدت إحدى المجموعات الفلسطينية لقافلة عسكرية للعدو كانت في طريقها الى جبهة القتال في الجولان واوقعت بها خسائر .

● وتبكن الثوار الفلسطينيون في ١٠/٦ من قتل مساعد مدير البوليس الاسرائيلي في قطاع غزة [مويشي كازمي] بسبب جرائمه المتكررة ضد الشعب الفلسطيني .

● وقامت قوات المقاومة بقصف مدينة الخالعة وخوض ممالك عنيفة في المرقوب .

● كذلك نصبت مساء ١٠/٦ كميناً لقافلة من سيارات التتويين والادادات تتكون من ١٢ سيارة تصفوها بالرشاشات والقنابل اليدوية ودمروا عددا كبيرا منها .

● وقامت مجموعة من القوات الخاصة بهاجمة « باص » عسكري يحمل عددا من الطيارين الصهاينة على طريق الحنفيرة - حيفا وتمكنت المجموعة من ضربه بقذيفة بازوكا .

● واقتحم الثوار مواقع العدو العسكرية في غور بيسان وقصفوا ثلاث مستعمرات له .

● وفي يوم ١٠/٩ قامت وحدات الثوار الفلسطينيين بالهجوم على عدد من المستعمرات في الجليل الاعلى ، وسيطرت على تل السدانة في مرتفعات جبل حوراني ، وقصفت معسكرا لتجميع كليات العدو وافراده في منطقة جبل الشيخ الغربية .

● واشتكت مجموعة من الثوار مع حشود العدو في المنطقة المحيطة بمستعمرة المنارة في الجليل الاعلى قصفت فيه حشود العدو ومستعمراته بالمفعية والصواريخ .

● وكان الثوار قد تلبوا مساء ١٠/٨ باقتحام عدد من مواقع العدو العسكرية في منطقة الصبيحة في الجليل الاعلى ، فدمروها واصابوا عددا من جنودها .

● ونصبوا كميناً في صباح ٩ - ١٠ لقافلة عسكرية للعدو عند تحركها من معسكر فشول العسكري ، ادى الى تدمير عدد من كليات العدو .

● وقام الثوار الفلسطينيون ليلة ١٠/٨ بنسف وتدمير مستودعات النفط الاحتياطي في منطقة كفار حزيم شرقي هيفا ، مما ادى الى تدمير عدد من خزانات الوقود الضخمة .

● وقاموا ايضا بنسف خط انابيب البترول الممتدة من ايلات الى عسقلان ، وادى ذلك الى تدمير مجمع المضخة الرئيسية واشتعلل النيران فيها .

● وقامت بعض المجموعات العالمة في الاراضي المحتلة بتدمير عدد من العبارات والجسور مابين الناصرة والنفولة ، ومابين حيفا وعكا ، ومابين الواد ، والرملة ، وفي منطقة وادي الصرار .

● وقام الثوار كذلك بنسف قضبان السكة الحديد المتجهة الى سبنا ، مابين خان يونس ورمح ، في مسافات كبيرة ، تقطع بمئات الاطنان فتعطل مرور القطارات فضلا عن الهجوم على عديد من المستوطنات في مناطق أخرى .

● وفي فجر ١٠/١٠ قام الثوار بقصف مدينة نهاري وعدادا من المنشآت والمؤسسات ، التي اشتملت فيها النيران . ونصبوا كميناً لقافلة عسكرية للعدو على الطريق بين المالكية والمنارة تكبد فيه العدو خسائر بشرية ومادية كبيرة .

● وتشعلت عدة مجموعات للثوار للهجوم على حشود قوات العدو المدرعة باتجاه هضبة الجولان وادت الى اصابة وتدمير عدد من آلات العدو .

● واقتصمت قوات الثوار مستعمرة المطلة العسكرية ودمروا ثلاث منشآت ونصبوا عدة كائنات على محور المطلة - ابل القع حيث دمرها عددا من كليات العدو وقتلوا وجرحوا من فيها .

● وفي يوم ١٠/١٢ التفت مجموعة ثورية عدة تنال على مطار عسكري في بئر السبع ، ادت الى ايقاع خسائر كبيرة بين افراد العدو . وقامت مجموعة أخرى بنسف محطات المياه في تل أبيب ، ومحطة كهرباء مستخدمة العبوات النافسة ونفذ الثوار عملية استهدفت خزانات الوقود في منطقة

العريش وأخرى ضد ٣ جسور في « شفا ميم » وه جسور في طبريا مستخدمة العبوات النافسة ، وكانت مجموعة الشهيد قيسان كفتاني قد قامت بهاجمة معسكر المظليين في الكويده في جنوب

الرملة مستخدمة الأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية . وتقدر خسائر العدو في هذه العملية بـ ٢٥ قتيلاً وجرحاً من المظليين ، واستشهد ٦ من الثوار من بينهم صديق محمد صديق عضو اللجنة

المركزية للجنة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما قام الثوار بعدة عمليات أخرى استهدفت ٣ جسور وهاجموا عددا من مستعمرات العدو ، كما قابوا

نزرع شسكة الغام على طريق باتيلاس - النبطية في المرتفعات السورية .

● وقام الثوار الفلسطينيون في الايام التالية بتنفيذ عملياتين كبيرتين في قلب تل أبيب قامت بهما القوات الخاصة ، حيث تم وضع عبوات نافسة في المصانع العسكرية التالية :

١ - مصنع القنابل اليدوية الواقع في شارع يورخوف بشمال شرقي المدينة .

٢ - مصنع لاهف لصناعة الأسلحة الخفيفة والمواد المتفجرة والواقع في شارع بتاح تكنا شرق تل أبيب وقد انفجرت العبوات صباح ١٠/١٢ وادت الى تدمير أجزاء كبيرة من المصانع المذكورة واشتعلل النيران فيها ، وتقدرت خسائر العدو بأنها

كما هاجموا مستعمرة كالكوى ومعسكر العباسية
فى سهل الحولة بالتقاذف الصاروخية والهاون .

● وفى ١٠/١٩ ساعد الفوار الفلسطينيون
عملياتهم ضد مواقع العدو ، دهبوا جسرا على
طريق بن سبيع القدس وهاجموا موقعا للهندية
فى تل القسافى ، وأوقعوا فيه خسائر كبيرة ،
واسكت الثوار مواقع هذه الهندية ، بعد اشتباك
استمر ١٢ ساعة ، واقتحموا مستوطنة المنسرة
ومسكاف عام ، وقصفوا مدينة نهاري بالصواريخ
الثقيلة وأوقعوا خسائر فى منشآت العدو ومواقعه ،
وأفرادها ، ودهبوا مستودعا للوقود فى مجدل
شمس ونسفوا جميع الكهراء فى الجليل الأعلى
غدمرو ، وهاجموا مواقع العدو المتقدمة فى المنطقة
الشمالية من الجولان .

● وقام الثوار بعد ذلك بعدة عمليات ناجحة فى
قلب تل أبيب وحيما ، وقطاع غزة وبن سبيع .
فوضعو عبوات ناسفنى مصنع الخبيرة الخفيفة
فى تل الزعتر شرق حيفا ، مما أدى الى تدمير جزء
كبير من المصنع وتعطيل العمل فيه ، وإتلاف كمية
كبيرة من الذخائر وتدمير عدد من السيارات التى
كانت محملة بالذخائر وبعدة لارسلها الى جبهات
القتال ، وقتل وجرح عدد كبير من المهندسين ،
والفنيين ، والعمال . كذلك فجروا عبوات ناسفة
شديدة الانفجار فى مستودع قطع الغيار للطائرات
الحربية تولى مستودع ذخيرة تابع لطيران العدو

وفى قطاع غزة قام الثوار بهجاجة دورية للعدو
بين رفح والشيخ زويد ، كما تم تدمير أربع سيارات
فى مستعمرات « نحال هوز » و « تل جبعة » و
« ريمين » و « تقار غزة » . وعلى طريق الصبانية
هاجم الثوار قلا من دبابات العدو بالرشاشات
والقنابل اليدوية ودهبوا وأعطبوا مسددا منها .

وفى مدينة مكابا هاجموا مطارها ، وهو موقع
لتجميع طائرات العدو الحربية ، وفى بن سبيع
هاجموا عدة سيارات عسكرية للمعدو بالقنابل
اليدوية والرشاشات وتم تدمير عدد كبير منها
وأعطب الآخر . كذلك قام الثوار بقصف مدينة
سعد بالصواريخ الثقيلة وتدمير عدة منشآت فيها ،
كما هاجموا واقتحموا مستعمرات « كفار جلمادى »
و « معسكر نكسول » . وفى الأيام التالية لذلك
وحتى وقف إطلاق النار بين الجيشين المصرى
والسورى وجيش العدو ، كان الثوار الفلسطينيون
يقومون بعمليات عديدة أخرى تدمروا سيارات
العدو فى كمائن نصبوها على الطريق بين مستعمرة
القرى - والعباسية ، كما هاجموا مواقع جنود
العدو فى مستعمرتى مسكاف عام والمنطقة
وقصفوا مستعمرة الخالصة بالصواريخ وأحدثوا
بها تدميرا كبيرا ونصبوا عدة كائنات لآليات العدو
ودهبوا أعدادا منها على طريق رنديس الموصل
الى تل أبيب .

كبيزة جدا ؟ وقد أطلقت صفارات الإنذار بعد قوالى
الانفجارات ، وهرع أهالى تل أبيب الى المخابى .

● كذلك قام الثوار صباح ١٠/١٣ بقصف مركز
بالصواريخ على مصانع إنتاج الطائرات فى بيت
شميس جنوب غربى القدس ونتج من ذلك أصابة
صف تركيب طائرات هراطا - وكومودور جيت ،
واشغال الثوار فى هذه الأقسام وأصاب بعض
القذائف صف تركيب صاروخ كبريل الجبرى ،
وقوات الانفجارات لمدة ساعات .

● وفى ليلة ١٠/١٤ شن الثوار عدة هجمات
مركزة على مواقع العدو الحيوية ومستعمراته
مثل المنارة ، ومسكاف عام ، وأدمك ، وسمنع ،
كما ضربوا موقع الرادار فى منطقة الناصرة
غدمرو ، وأوقعوا خسائر بالعدو فى هذه الهجمات

● وقام الثوار فى نفس الليلة بقصف مدينة
نهاري بالصواريخ الثقيلة ، ومواقع العدو فى التل
يوشع ، ونصبوا كينا للدوريات المادية بين كفار
جلمادى وبيت هليل .

● وفى صباح يوم ١٠/١٥ هاجم الثوار موقع
زادان هود الجوى للعدو فى جبل الرامة . وقامت
مجموعة من القزرات الخاصة بقصف معسكر
الكوباندوز الواقع قرب مستعمرة هاتيتا بالصواريخ
الثقيلة وأصابته أضرارها أصابت مباشرة .

● وفى مساء نفس اليوم قصف الثوار مستعمرة
مزوميت فى الجليل الأعلى ، ودهبوا بعض
منشآتها وأوقعوا خسائر بشرية فى صفوف العدو

● وفى ليلة ١٠/١٦ هاجموا بعض نقاط العدو
المحصنة فى الجليل الأعلى ، ومواقع مخفية العدو
فى وادى « النسل » وقنصود طائرات الهليكوبتر
وفى ممرع لنقل القلى والجرحى .

● وواصلت قوات الثورة الفلسطينية تصعيد
عملياتها فدهزت عدة سيارات عسكرية فى
مستعمرات جلمادى والمالكية وكفار بوهال ،
وهاجم الثوار ودهبوا ٦ سيارات عسكرية للعدو
فى شمال وجنوب غزة وخان يونس ، ونسفوا
محطة المياه المركزية لبعض المستعمرات .

وفى تل أبيب تم نصف معسكر المارتيدلا ؟
وخائنات لصنع الجلود والبلاستيك ؟ ومصنع
الورق . وفى غور الأردن تم تدمير مصنع للسفن
وأصيب العدو فى هذه العمليات بخسائر بشرية
ومادية ، كذلك نصف الثوار محطة تزويد المياه
المرتكزة لعدة مستعمرات ، وهاجموا مجموعة من
٢٦ سيارة بوان واجن على دوران النصيرات مما
أدى الى أصابة جميع أفراد العدو وأعطبوا السيارات

● وفى ١٠/١٨ قام الثوار باقتحام مستعمرة
الخالصة وهجاجة معسكر نكسول وقصفوا مستعمرة
الخالصة ، ومطبخ بيت هليل بالصواريخ الثقيلة .

تقبل أن تنتفضى أربع وعشرون ساعة على اندلاع شرارة الحرب الأخيرة بين الدول العربية وبين إسرائيل ، صرح موسى ديان - وزير الدفاع الاسرائيلى بأن الايام القادمة ستشهد حربا صحراوية بين مصر واسرائيل .

فن حرب الصحراء

عبد القادر ياسين

خصوصية معارك الصحراء

تلعب طبيعة الارض الجافة والظروف الجغرافية والطبيعية القاسية دورا هاما فى معارك الصحراء . فانبساط الارض وانتشارها للموانع والموارد الطبيعية والمياه العذبة ، وصعوبة المواصلات ، وسوء الاحوال الجوية فيها - كل ذلك اضفى على معارك الصحراء سمات ميزتها عن المعارك من الانباط الاخرى .

وعن حرب شمال افريقيا ، قال مرجع عسكري سوفييتى ، ان المسرح الصحراوى اوجد صعوبات جمة امام القوات المتحاربة هناك ، ومن أهمها : « عدم وجود شبكات كائنية من الطرق ، وعدم توفر قواعد ومصادر للتزوين ، وصعوبة توفير المياه للمتزوين ، وصعوبة استخدام العتاد الحربي المختلف ، وقد امستدعى ذلك ضرورة الاستعانة بكل الوسائل لتزوين القوات ، بما فى ذلك الاسطول والطائرات ، وكذلك القيام بأعمال كبيرة لإنشاء الطرق والقواعد التزوينية المختلفة

لم يكن ما قاله ديان الا تمصيل حاصل، فمن الطبيعي ان تكون صحراء سيناء المسرح الرئيسي لنقنات بين الجيش المصرى والجيش الاسرائيلى ، دون ان يعنى ذلك ، ان المناطق الاخرى فى الدولتين ستكون فى مأمن من الحرب.

وما يهينا هنا هو التاء الضوء على ملامح حرب الصحراء . مستفيدين بخبرات اكبر حرب صحراوية تثبت حتى اندلاع الحرب الجديدة ، الا وهى حرب شمال افريقيا بين المحور وبين الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية . والتي يبدو انها ستخلى مكانها - بلا تردد - لحرب سيناء الحالية ، التى لاشك ستفوقها من حيث اتساع مسرح العمليات وضراوة القتال فيها ، وارتفاع مستوى الاسلحة المستخدمة . ولقد كانت حرب شمال افريقيا حقل تجارب ، دفع فيه كلا الطرفين المتحاربين بما فى جعبتيهما من تكتيكات الحرب والاساليب الادارية . كما جرى فى هذه المعارك اختصار التكتيكات المختلفة لدى المحور والحلفاء على حد سواء .»

ولد الاتبايب للتبوين بالمياه والمحزوت « [١] » ،
ويأتى هذا مؤكدا لقول روميل القائد الألماني
الفذ والسذى استحق لقب « ثعلب الصحراء »
لحذقه ومهارته فى حرب الصحراء ، الذى تضمن
« أن الشؤون الادارية فى المعركة الحديثة هى
التي تقرر مصير المعركة » [٢] .

وإذا كانت الصحراء وبلا على رجل الشؤون
الادارية (●) فهو (جنة رجل التكتيك) لأن
ميدانها الواسع وأرضها المكشوفة تمنح لرجل
التكتيك حرية أكثر على الحركة ومجالاً أوسع
للمناورة .

ولحرب الصحراء مشاكل من نوع آخر ، لمل
أبرزها تلك التي أشار إليها الجنرال أريك دورمان
سميث — رئيس أركان الجيش الشان
البريطاني — حين قال « أن المشكلة الكبرى
لحرب الصحراء هى النسبة بين حجم المواجهة
والعمق ، وبين القوات الالهامة والقوات
الاحتياطية . أن الحركة الميكانيكية سهلة للغاية
فى الصحراء ، خاصة وأن العوامل الادارية
تؤدي الى تخفيض حجم الجيوش الميدانية بشكل
كبير ، ولذلك فإن الطرف الذى يجمد على موقف
الدفاع ، يتم تطويقه من جانب خصمه بسهولة .
ويحاول الجانب الدفاع أن يغلب على هذا ، بأن
يزيد امتداد جبهته على حساب العمق والقوات
الاحتياطية » . والمشكلة هى « كيف يمكن تجنب
الوقوع فى شرك الاضطراب النفسى ، السذى
ينتج عن قيام المدو بحركة مفاجئة ضد مؤخرة
الجيش ، أو كيف يمكن — بشكل مضاد —
اعداد الجيش بحيث يستطيع استخدام اسلحته
فى اتجاه جديد دون أن يفقد توازنه » [٣] .

معارك شمال أفريقيا

منذ خريف ١٩٤٠ انتهت شمال أفريقيا بنيران
حرب دامية ، امتدت حتى مايو ١٩٤٣ . ووقعت
معظم معاركها على الشريط الساحلى الشمالى ،
بمعرض لم يتجاوز ٨٠ كم . وتبادل الجانبان
التحاربان الانتصارات والهزائم حتى أكتوبر

١٩٤٣ ، ويرجع الباحث العسكري السوفيتى ،
الجنرال ستروكوف ، هذا التبادل للانتصارات
والهزائم بين الطرفين « الى أن الطرف المهاجم لم
ينجح فى تنظيم مطاردة خصمه ، وفى تحقيق
التآلف العميق يسمح بتطويق وتدمير القوى
الترئيسية المعادية . ونتيجة لذلك كان الخصم
يتمكن من الانسحاب الى خط جديد ، ومن شن
ضربات جوابية جديدة . ويمكن أن نذكر
— أيضاً — أنه خلال الاعمال القتالية الدفاعية
لدى الطرفين ، وخاصة لدى الطليان والإنجليز ،
كان يلاحظ انعدام الثبات والصلاية ، فعمد
التهديد بالتطويق كان الذعر يدب فى الصفوف
وكانت القوات تنسحب دون أية أوامر » [٤] .

وبالرغم من هذا التوازن ، فإن القوات
الاطليانية أحرزت تقدماً ملحوساً وتوغلت فى
الاراضى المصرية نحو ٩٠ كم داحرة أمامها القوات
البريطانية المدعومة .

الا أن القوات البريطانية استفادت من فترة
توقف القتال ، تمحست قواها ، وشنت هجومًا
مضاداً ، صباح التاسع من ديسمبر ١٩٤٢ ،
أوصلها بعد شهرين الى منطقة العقيلة . وقصة
المعركة بعد ذلك معروفة . وما يعيننا منها هى
خبراتها والدروس المستفادة منها .

على أن معارك شمال أفريقيا هذه تعتبر ضمن
العمليات المحدودة ، من حيث مستوى القوات
المشاركة فيها . فبعد أن مرشح العمليات
العربية ذو طبيعة لا تسمح بالمشاركة قوات
كبيرة . وبلغ حجم القوات المشتركة من الناحية
العملية مستوى الجيش الميدانى الذى كان يعمل
على قطاعات ضيقة ، تتراوح بين ٢٥ و ٦٥ كم .
ومع ذلك فإن عمق العمليات تتراوح بين ٥٠
و ٩٠٠ كم وأكثر ، كما أن الهجوم نفذ بايقاعات
عالية ، تراوحت بين ٢٥ و ٥٠ كم فى اليوم .
ويعود ذلك الى التجهيز الجيد للقوات بالعتاد
الدرع وبوسائل النقل وكذلك الى عدم وجود
قوات كافية فى المستوى العملياتى ، لدى الطرف
الدفاعى قادرة على إيقاف العدو المهاجم . وبالرغم
من أن العمليات نفذت الى عمق كبير فإن مهمة
التدمير الكامل للعدو لم تنفذ فى أغلب الأحيان ،
بسبب انعدام الكفاءة فى تنظيم المطاردة وانعدام

[١] الجنرال ستروكوف وآخرون : تاريخ فن الحرب . الجزء الثانى ، نقله من الروسية المبيد الركنه صبح النير
الاناسى ، وزارة الدفاع السورية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٩
[٢] مفكرات روميل . ترجمة ن. بطيخ دار الكتب المصرية ، بيروت ، يونيو [حزيران] ١٩٦٨ ، الجزء الاول ، ص
٢٧٤
* الفسكون الادارية هى تلك التى تخص بالتبوين والامداد والواصلاتصوما اليه
[٣] انظر : محمود عيسى : معارك الطمين الدفاعية . الطليمة ، يناير ١٩٧٢ ، ص ٧٠
[٤] الجنرال ستروكوف وآخرون مصدر سبق ذكره : ص ٦٦٢
* للاطلاع على تفاصيل معارك شمال أفريقيا ، انظر : محمود عيسى ، خبرات فى حروب الصحراء ، الطليمة ، يناير
١٩٦٨ . — محمود عيسى ، معارك الطمين الدفاعية ، مصدر سابق .

روميل^٥ قواعد حرب الصحراء قسى قهس
هى [٧] :

[ا] تطبيق مبادئ الحرب الميكانيكية
والمدركة فى الصحراء .

[ب] المشاة المتحركة تسؤدى الى الهجوم
التكتيكي : كما تصبح غير ذات جدوى قسى
مواجهة عمو محصل او مدرع ، الا اذا احتاجت
مواقع مجهزة . ولو حدث اختراق او تطويق لهذه
المواقع تسؤدى ذلك الى صعوبة انسحابها اجم
هذا العدو المحبل ، ولن يبقى امامها الا التشتت
بمواقعها لآخر ملقة وآخر رجل .

[ج] يجب ان تغطى المدرعات انسحاب
القوات المتحركة .

[د] مبادئ استخدام التشكيلات الميكانيكية
فى المستقبل ، عند محاصرة العدو يمكن تدبيره
فى الاحوال الاتية : اولا - عندما يكون غير
محبل ، او اضطر للقيام بسبب افتقاره للوقود
او عندما تشبل قواته عناصر غير محملة يجب
وضمها فى الاعتبار وعدم التخلي عنها . ثانيا -
عندما تكون قيادة العدو غير ماهرة ، او عندما
تقرر قيادته التضحية بتشكيل معين لانقاذ قوات
اخرى . ثالثا - عندما تكون قوة العدو المختلة
قد تحطمت بالفعل وسادت صفوفه التسوسى
والتمكك .

وفيسما عددا هائلين الاولين محاصر العدو
وتدبيره فى الجيب الفاسى لا يجوز تنفيذه الا بعد
ان يتلقى العدو ضربات قاصمة فى معسارك
منحركة ، بحيث يؤدى هسذا تدبير التنظيم
الرئيسى لقواته . وفى الحرب الميكانيكية يجب ان
تكون الشؤون الادارية للجيش المصادى وتدبير
الهيكل التنظيمى له ، الهدف المباشر لئلا
الخطط .

(هـ) معارك التعرية : وهى العمليات التى
تهدف الى تحطيم قوة العدو وتدرته على
المقاومة .

اولا - التركيز الجهود لحشد قواتنا مكانا
ومكانا ، وان نصل الى فى الوقت نفسه -

التعاون الجيد بين اسلحة الجيش المختلفة .
وكانت المطاردة تتم بشكل جهى ويقوى غير
كبيرة . ولم تنجح محاولات الوصول الى طرق
انسحاب العدو لمعرفه تراجعها وانسحابه ،
وذلك لقله القوى والوسائط المكلفة بهذه المهمة .
وعانت القوى الرئيسية للجيش من مشاكل
التكوين المختلفة ، وخاصة التكوين بالوقود .
وكانت هذه القوى تنتشر على مسافات
شاسعة ، ولم تكن قادرة على المشاركة الجدية
فى المعركة عند التحامها ، بسبب انتشارها
الموسع . وكان نقل القواعد الجوية يتم ببطء ،
مما سبب حرمان القوات المهاجمة من الدعم فى
المرحلة الاخيرة للمعركة الهجومية ، ولم تقدم
الاساطيل البحرية الدعم المطلوب للقوات البرية
المنزلة بحرا . وقد وفر كل ذلك الطرف المدافع
امكانية سحب قواته بشكل سريع الى مسافات
شاسعة ، وتجميعها هناك وخلق بعض التفوق
فى القوى والوسائط ، ثم ايقاف العدو القائم
بالمطاردة وتدبيره على مراحل [٥] .

ومنذ اكتوبر ١٩٤٢ شنت قوات الحلفاء هجوما
على قوات المحور ، واعتبرت خطة الحلفاء
الهجومية على توجيه ضربة بالجيش الثامن
البريطانى من الاراضى المصرية ، مع انزال قوات
اخرى فى تونس والجزائر والمغرب . وفى حين
اندفعت الاولى نحو الغرب طبقت القوات الثانية
على قوات المحور من الغرب . هسذا فى حين
اقتصرت خطة المحور بالطابع الدفاعى البحت .
« وتكون الدفاع الالىنى فى منطقة العلمين من
نقاطين دفاعيين ، واحتوى على اربعة او ستة
انساق من الحواجز والالغام . وبلغ عمق المنطقة
المهادية حوالى ٦ كم ، وكانت مغطاة بالالغام
ايضا ، [٦] .

تكتيكات حرب الصحراء

الصحراء وتنظيمها

ربما كان روميل هو خير من حدد قواعد حرب
الصحراء بعد ان خاض غسار اعنف معاركها
بنفسه ، لذا فالقواعد التى ذكرها تنسم بالحققة
والصق ، وتعكس ذكاء ومهارة قائدين ، ويجدد

[٥] سيزوكوف ، مصر سبق ذكره ، ص ٢٧ - ٢٨

[٦] المصدر نفسه ، ص ٢٦

[٧] مفكرات روميل ، الجزء الاول ، ص ٢٠٥ - ٢١٠ و ٢١٦

تقسيم قوات العدو، في إمكانية متفرقة ، للفتنة عليها في أزمة مختلفة . فان مدى حشد أى جانب لقواته في المكان والزمان المناسبين هو الذى يحسم الأمر في الحرب الميكانيكية .

ثانياً - حماية خطوط مواصلاتنا ، مع ازعاج العدو على خطوط مواصلات العدو ، والاحسن من هذا - طبعاً - تعطيلها ، لان الاسداد هو العنصر الاساسى للمعركة ، ويجب اعطاؤه أكبر قدر ممكن من الحماية .

ثالثاً - المدرعات هي نواة الجيش الميكانيكى ، ولذلك فان حرب التعرية ضد مدرعات العدو يجب خوضها باستخدام وحدات تدعيم الدبابات . أما دباباتنا فتستخدم فقط في توجيه الضربة الحاسمة .

رابعاً - يجب أن تبلغ تقارير الاستطلاع للقائد في أسرع وقت ممكن ، ليتخذ قراراته فوراً وليقوم بتنفيذها بأسرع ما يمكنه . علماً بأن سرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة .

خامساً - سرعة الحركة ، والتمسك بالخطوط التنظيمية للقوات .

سادساً - اخفاء النية للغاية ، بقصد تحقيق المفاجأة لعمليتنا . ويجب استخدام كل وسائل الخداع وتمزيقها ، لاريك القائد المعادى ودفعه الى حوة التردد والبلبلة .

سابعاً - بعد توجيه ضربات قاصمة للعدو ، يستغل النجاح لأجتيان وتدعيم اجزاء كبرى من تشكيلاتنا الميكانيكية . وهنا - مرة أخرى - نجد أن السرعة هي كل شيء . ويجب عدم اعطاء العدو أية فرصة من الوقت لكي يعيد تنظيم قواته . ويجب إعادة التجميع كالبرق ، للمطاردة وإعادة تنظيم الشئون الإدارية لقوات المطاردة .

أما عن النواحي التنظيمية في حرب الصحراء ، فقد نصح روميل بالاهتمام بالنواحي التالية ، فيما يخص المدرعات والدفعية والمشاة [٨]

١ - أهم صفات الدبابات هي تسديتها على المناورة ، وسرعتها ، وحسنها البعيد المدى ، لان الجانب الحائر للبلع الكبير مثل الملاك ذي الذراع الطول ، يستطيع أن يسبق مجوه في الحرب .

٢ - يجب أن تكون الدفعية بعيدة المدى ، خفيفة الحركة ، قادرة على حمل كمية كبيرة من الذخيرة معها

٣ - يجب أن تستخدم المشاة ، فقط ، في احتلال المواقع الدفاعية المعادية ، على أن تكون خفيفة الحركة ، مزودة بقشاد يمكنها من احتلال مواقع دفاعية بسرعة ، ومقاتلة في أرض مفتوحة عند النقاط ذات الأهمية التكتيكية في ميدان المعركة .

أما الدفاع فهو مؤتمت وعساير في معارك الصحراء . صحيح أن الهجوم في تلك المعارك يعطى الأولوية لتدمير القوى البشرية والمعدات العسكرية ، وليس لاحتلال الاراضى ، إذ ليس للاراضى الصحراوية قيمة اقتصادية أو استراتيجية كبيرة ، بل أن السد دفاع عن تلك الاراضى والأقاليم فيها يشكل عبئاً غير هين على القوات . وهدف الدفاع في الصحراء هو الاستعداد لشن هجوم جاسيد ، تستخدم فيه المواقع الدفاعية كنقطة ارتكاز؛ ولوحة قفز تنطلق منها القوات عند هجومها .

وغالباً ما لاتسير الأمور وفق تصور القيادة ، فتضطرب معه الجدال الزمني التي تكون قد وضعتها القيادة قبل المعركة . ويطلب هذا الأمر الاهتمام ببناء مواقع حصينة ، يمكنها الاعتماد على مخزونها من الذخيرة والعتاد والمؤن والمياه لمدد طويلة .

ويقدم لنا روميل نموذجاً للتحصين الدماى ، كان قد لاحظته في فرنسا لدى اشتراكه في الهجوم عليها ، إذ يقول « ١٠٠ » . وكان الفرنسيون يدافعون من مواقع منشأة بمهارة وسلسلة من الاستحكامات والنقاط القوية والخنادق والحصون الصغيرة وواكان المدافع المضادة للدبابات ، وكل هذا يحيط به حقل الألغام المميته . وبمثل هذا التحصين الدفاعى يعتبر منبعاً للغاية ، ولا يسهل التأثير عليه بيران الدفعية أو القصف الجوى ، لان الإصابة المباشرة منها لا تدمر أكثر من خندق قس كل مرة . وقد تستهلك كمية كبيرة من الذخيرة للتأثير على عدو يحتل مثل هذا الموقع القوى [٩] .

ركائز حرب الصحراء

تقوم حرب الصحراء على المدرعات والقرات الجوية والشنوث الادارية ، وسكل من هذه الركائز الثلاثة اهميتها البالغة ، وهى تتكامل مع بعضها البعض ، وربما أدى ضعف احدها الى افلات النصر .

وتد اعتربت المدرعات ، بحق ، عصب معارك شمال افريقيا وقواتها الضاربة الرئيسية . واذا كانت المدرعات قد حاولت فى اختراق الخطوط الامامية للمدو ، جنباً الى جنب مع المشاة ، كما حدث فى معركةطين ، الا ان المجال الرئيسى للمدرعات هو تعزيز الهجوم ، والدفاع فى الصوب الثانية للجويش ، والغسام بالضربات المضادة ، وتعزيز المدفعية المضادة للذبابات . وعموماً فالتنوع فى سلاح المدرعات يورث النصر .

ويرصد لنا روميل - بالدقة التى عرفت عنه - التكتيكات التى اتبناها الانجليز فى معركةطين . وكيف أنهم كانوا يدفعون بدباباتهم الخفيفة الى المقدمة ، ويقتون الذبابات الثقيلة فى الخلف ، لاجتذاب نيران مدافع قوات المحور المضادة للدبابات والمضادة للطائرات والمدرعات . وببجرد أن تكشف مواقع مدافع وذبابات المحور عن أماكنها تسارع الذبابات البريطانية الثقيلة الى فتح نيرانها المدمرة على كل الاهداف التى يكتها تحديدها من مسافات تصل الى ٢٧٠٠ ياردة ، وفى الفسالب يتم هذا من المنحدر الخلفى لاي مرتفع . وبدأ كما لو ان نيرانها كانت توجه دائماً بواسطة قائد القوة . وكانت كميات الذخيرة الضخمة التى يحتاجها هذا الاسلوب تثقل للامام فى حملات المدافع الرشاشة المدرعة [يونيفرسال] . وبهذه الاساليب قام البريطانيون بقتير دباباتنا واوكر المدافع الرشاشة التابعة لنا ، ومواقع مدافعنا المضادة للدبابات والمضادة للطائرات على مسافة لم يكن فى مقدور مدافعنا أن تخترق منها دروع دباباتهم لثقل تدرمها ، ولم يكن فى إمكاننا - على أى حال - أن نستهلك الكميات اللانهاية لتدميرها [١٠] .

ويرى مونتجيمرى « قائد القوات الحليفة فى الصين وغادر قوات روميل فيها » ان خيـسـ وسيلة لتدمير مصفحات المدو هو حملها على الهجوم على مصفحاتنا الموجودة والثابتة لأمها » [١١] .

ويجمع المؤرخون على أرجاع انتصار الحلفاء فى معارك شمال افريقيا - بشكل أساسى - الى السيطرة الجوية للحلفاء . فالطائرات فى ظروف الصحراء تلعب دوراً محورياً فى ابطال دفاعات المدو العميقة ، وحشوده ، واحتياطاته . وعساذه ، وتدمير خطوط مواصلاته . وعليها يقع العبء الأكبر فى الاستطلاع بمختلف أشكاله . والتفوق الحصى لاهد أطراف القتال يهسر تصف وقت الطرف الآخر ، اذ يحرمه من الحركة نهارة ، مما يجعل القوات المتفوقة جويًا تمتلك من الوقت ضعف به تمتلكه القوات العادية ، بما تحمله هذه الميزة الى الحرب الميكانيكية من قوة وتفاعلية . وهى الحرب التى تعتمد على السرعة .

وكان هجوم روميل على قوات الحلفاء قد باء بالفشل ، فى آخر اغسطس وأوائل سبتمبر ١٩٤٢ ، ولرجع القائد الألماني فشله الى قوة المواقع البريطانية ، وسيطرة السلاح الجوى البريطانى بما أدى الى شل حركة قوات المحور ومنعها من الحركة ، واخيراً انتفاع البترول عن قوات روميل [١٢] .

وقد استخلص روميل من هذا الفشل درساً هاماً ، دونه فى مذكراته ، وهو « ان أية أرضية استراتيجية وتكتيكية ستقيد للغاية اذا با استطاع الخصم أن يسيطر على الجو بقوة جوية كبيرة ، واستطاع الاغارة بحشود من الطائرات الثقيلة ، لا يهمه ما قد تصاب به من الضائر » [١٣] . ولعل من الامور التى زادت الطين بلة بالنسبة لهذا الامر ، ان السلاح الجوى الألماني العامل فى شمال افريقيا لم يكن تحت قيادة يميل لافريقيا الذى يتقوده روميل . وقد انتند روميل هذا الامر ببرارة ، ثم حلق قائلا « .. وكان من الأفضل أن يتبع قائد القوة الجوية الألمانية فى افريقيا لافريقيا ، ليقوم بتلبية مطالبه التكتيكية ، بينما

[١٠] مذكرات روميل ، الجزء الثانى ، ص ٥١

[١١] مذكرات المارشال مونتجيمرى . كتب سيجسبة ، الدار القوية للطباعة والنشر ، القاهرة ، كتاب رقم ٢٢٢

ص ٩٢

[١٢] مذكرات روميل ، الجزء الثانى ص ٤٤

[١٣] المصدر نفسه ، ص ٤٤

يقوم الفيلق الجوي العاشر الألماني بالواجبات الاستراتيجية، [١٤] .

فبواسطة ارقص ملامة ؟ ويسدون طائرة واحدة .. تقريبا ، يستطيع جيش مسمم على القتل ان يعيق - على نحو غير محدود - عدوا يتفوق عليه كثيرا في عدد الدبابات والطائرات، [١٦] .

وخلال معارك شمال افريقيا برزت اهمية المدفعية . وقد اكدت خبرة هذه الممارك انه يجب تزويد مدافع الميدان وتلك المضادة للطائرات بقنابل مضادة للدبابات باعداد كبيرة ، لتوجيهها الى الدبابات المعادية المهاجمة ، ويفضل ضرب الدبابات على بعد كبير ، لاريكها ولجبارها على فتح نيرانها من مسافات بعيدة ، كما يجب تعزيز المدفعية المضادة للطائرات ، بغية توفير الطائرات للواجبات القتالية الاخرى .

ولدى تعليقه على اسباب انتصار **مونتجيري** في العامين ، قال **روميل** ، ان البريطانيين « لم يقوموا بأية عمليات ، وانما اعتدوا - ببساطة - وباختصار - على تأثير مدفعيتهم والسلاح الجوي » [١٧] .

ولدى هجومه على العامين ، استخدم **مونتجيري** المدفعية بشكل واسع ، واعترف **روميل** ان المدفعية البريطانية اظهرت مظهرها المهددة . ورصد **روميل** تكتيكات مدفعية **مونتجيري** في العامين فقال « .. ومن المظاهر البارزة في عملياتها ، خفة حركتها الكبيرة وسرعتها في اجابة طلبات القنات المهاجمة » ، ووضح ان الوحدات البريطانية المدرعة كانت تصل معها ضباط ملاحظة اساميين للمدفعية ، لكي يقوموا بنقل احتياجات المدفعية الى الخلف في اقصر وقت ممكن . وبالإضافة الى ميزة توافر كليات ضخمة من الذخيرة ، فان البريطانيين استفادوا كثيرا من المدى الاكبر لمدافعهم ، مماكثهم من ضرب مواقع المدفعية الإيطالية من مسافات لم يكن للمدافع الإيطالية ، ذات المدى الصغير ، ان ترد عليها [وأغلب المدافع الإيطالية كان مداها محدودا بسنة آلاف ياردة فقط] . وحيث ان الجزء الاعظم من مدافعنا كان من هذه المدافع الإيطالية المتبقية ؟ فقد كان هذا هاما هاما في موقفنا المم ، [١٨] .

وتعليقا على المارك بين المحور والحلفاء ، والتي امتدت فيها بين ٢١ أغسطس و٦ سبتمبر ١٩٤٢ ، قال **روميل** « .. من ناحية القيادة فان العدو سيتفوق بالزبايا الاتية : ١ - ستحصل قيادة العدو ، بسبب سيادتها في الجو ، على تقارير استطلاع كاملة وغير منقطعة ب - ستتمكن من العمل بحرية ، وبجراة اكبر ، لانها اذا حدثت أية عمليات طارئة من جانبنا تتمكن - على الاقل - من تعطيلها لحين اتخاذ الاجراءات المضادة اللازمة ج - وكقاعدة عامة ، فأي تعطيل لسرعة العمليات في اي جانب ، يؤدي الى زيادة المعرمة في الجانب المعادي . وحيث ان السرعة من اهم العوامل في الحرب **ايرانية** ، فمن السهل ان نستنتج اثر هذا على العمليات .

» ويضاف الى هذا ان الجانب الذي يتمتع بالتفوق الجوي يستطيع ان يلحق بتساول امداد العدو خسائر فادحة ، بحيث يؤدي هذا الى مشاكل ادارية خطيرة ، وهو يستطيع ان يراقب الطرق المؤدية للجبهة باستمرار ، ما يؤدي الى توقف كل حركة عليها أثناء النهار ، ويجبر عدوه للتحرك ليلا فقط ، وهذا يؤدي الى اضافة وقت ثمين . ولكن سيل الامدادات المستبر ضروري ، وبدونها يتجمد الجيش في امكانه ، ولا يستطيع القيام بأية عمليات .. وای انسان يضطر للقتال ، ولو حتى بأحدث الاسلحة ، ضد عدو يسيطر على الناحية الجوية تماما ، فسوف يقاتل مثل الهنبي في مواجهة قوات اوروبية حديثة ، وتحت الظروف نفسها وبنفس فرس النجاح » [١٥] .

ومن العلاقة بين الدرعيات والطيران في المارك ؟ يقول الكاتب العسكري البريطاني **دوجلاس أورجيل** في دراسة له عن « الدبابات » انه في الهجوم اكثر منه في الدفاع «جون قوة جوية، يصبح استخدام الهجوم للدبابات حاليا امرا غير عملي ، رغم انه يمكن للهجوم في حالة توفر السيادة الجوية ان ينجح حتي في حالة اذا مكثت الدرعيات تلعب دورا ثانويا . أما في الدفاع فالحوض يختلف ..

- [١٤] مذكرات **روميل** ، الجزء الاول ص ٢٠٧
[١٥] مذكرات **روميل** ، الجزء الثاني ص ٤٥ - ٤٦
[١٦] انظر : محمود حمدي ، معارك العامين النافعية . الطليعة ، يناير ١٩٧٢ ، ص ٧٩
[١٧] : مذكرات **روميل** ، الجزء الثاني : ص ٩٠
[١٨] : مذكرات **روميل** ، المصنف نفسه ص ٥١

القابل لتطابق معارك الصحراء وحدات من الهندسين لتطوير حقول الألغام المعادية .

وأحتل عنصر التنويه أهمية خاصة في معارك الصحراء الإفريقية . وقد أمكن ذلك ، فقط ، عندما تم نشر القوات البريطانية والأمريكية على مسافات وأسمعة من الأرض ، ولجديد تنويه المتد ، والقوات ، وفهرت لها التفطية الجوية الكافية ، هذا بالإضافة الى التوسع في استخدام الحشود الوهمية وميكل الوحدات والأجهزة المختلفة .

الدروس المستفادة

عدد كاتب عسكري مصري الدروس المستفادة من معارك شمال أفريقيا ، فيما يلي : (٢٠) .

١ - فرضت طبيعة عمليات حرب الصحراء ، وتباين واجبات الجيش فيها ، امتداد تكتيك « إعادة التجميع » ، مما يتطلب تشكيلات منظمة تنظيميا راقيا ومرنا ، ومضاعفة احتياطيها القتالي والإداري .

٢ - في الحلفاء عن السهول ، برزت أهمية الدبابات ، لمساندة الموقع الدفاعي ، أو حماية جناحي الهجوم ، للعبولة دون تطويق المدول ، واختراقه .

وفي حالة تشكيلة عدد الدبابات ، فإن انتشار الخط الدفاعي على مساحات واسعة ، يزيد من صعوبة تطويقه .

٣ - أما الوسيلة المثلى للدفاع عن الموانئ ، فتكون بالحاطة الميناء بموقع دفاعي يتخذ من البحر جناحي وقاية له .

٤ - أهمية الاستعداد للمعركة ، وفعالية سلاح المدرعات باعتباره عماد حرب الصحراء ، علما بأن خير المدرعات هي تلك المرمية الحركة ، الطويلة النفس ، والشديدة الثيران .

٥ - امتلاك سلاح جوي قوى من شأنه أن يلعب دورا محوريا في حرب الصحراء .

أما لي كولا ، فقد استخلص أربعة دروس من معركة الملين ، هي : (٢١)

١ - القرآن السليبي السريع والعنايب ، هو أساس التخطيط السليم للحرب .

وارتكاز حرب الصحراء على الدبابات والطيران والشئون الإدارية ، لا ينبغي حاجتها الى المشاة الذين تنحصر واجباتهم فيها بالاحتفاظ بالأرض الحرة والتي جرى الاستيلاء عليها ، وتظهر مواقع العدو بعد اقتحام الدبابات لها . وأن كان استخدام المشاة يحتاج - في مثل هذه الحرب - الى أقصى درجات اليقظة والأقدام معا .

وفي معركة الملين استعان مونتيجرى بالمشاة في هجمه . ويقول روميل انه « بعد أن دمرت المدفعية دفاعاتنا ، بالاشتراك مع الدبابات والسلاح الجوي هاجمتنا المشاة البريطانية ، وقامت المدفعية البريطانية بتثبيت نقاطنا الخارجية في أماكننا التي كانت تعرفها منذ زمن طويل بواسطة الاستطلاع الجوي » ثم قام الهندسون البريطانيون - تحت سترات من الختان - بإزالة الألغام ، وفتحوا ممرات هريضة عبر حقول الغابا . ثم بدأ الهجوم بالدبابات تبعية المشاة من قرب . وثناء عمل الدبابات كمدفعية متحركة قامت مجموعات الإقتحام البريطانية بشق طريقها الى مواقعنا الدفاعية ومهاجموا فجأة خنادقنا ومواقمنا بالحارب (المنكسات) ، وكانت كل خطوة تتسم بانتظام ، طبعا لكتب التدريب مكل عملية منفصلة كانت تتم بتفوق كبير تم حشده قبلها . وكانت المدفعية تتبع المشاة لتحطيم أي بقايا للمقاومة . ولم يتم البريطانيون باستغلال النجاح - كالمادة - بمضى وإنما اكتفوا باحتلال المواقع المحتاجة ، التي كانت تصل اليها التعزيزات والمدفعية ، وتقوم باحتلالها للدفاع . واستمرت الهجمات الليلية كاختصاص للبريطانيين « (١٩)

وفي معارك شمال أفريقيا اجتهدت أساطيل الطيران لتأمين مواصلاتهم في البحر الأبيض المتوسط ، بما ييسر لهم الوصول الى القوات المتحاربة ، وإمدادها بالأسلحة والمتاد والمؤن . في حين انحصرت مؤازرة بحرية الطرفين في العمليات العسكرية في أضيق الحدود .

ولعبت الألغام المضادة للدبابات والأفراد دورا في عرقلة تقدم القوات المدرعة . إذ إن حقول الألغام تحتاج الى وقت طويل لفتح ثغرات فيها ، بما يسمح للجند والمدرعات المرور عبرها . وفي

[١٩] المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

[٢٠] فحى عبد الله القير : فلسفة فن القتال [١] ، تحليل معارك الجيش الماشي الإيطالي ، إدارة الشؤون العامة والتوجيه الجنوى ، القاهرة ، رسائل القتالة الحربية [٥] ، ص ٧٤ - ٧٥ وإلى نفسه : تحليل معارك باتل كسي معركة السوم [٢] ، رسائل التضافة الحربية [٥] ، ص ٦٤ - ٦٥ .

[٢١] لي كولا : روميل من الصحراء الى الانطلي [٢] ، نشر : عرض الكتاب لحسد فوزى الوكيل ، الجمهورية القاهرية [١٧] ، ١٩٧٢ ، ص ١٢ ، ١٣ .

٢ - التخطيط الناتج هو ما يرمى الى تدمير قوات العدو القتالية وليس مجرد التمشيت بالأرض .

٣ - الاستطلاع الناتج يمكن القادة من التخطيط السليم والاعداد الصحيح .

٤ - هبة القادة ونجمهم المحبوب يفيدان في حفظ الهمم وفي دعم الروح المعنوية للقوات .

ويقول مونتجمري أن من سوامل نجاح البريطانيين في بداية حرب شمال أفريقيا « الشجاعة ، وخفة الحركة ، وفوق كل ذلك قيادة أوكورنر ، والتعاون الوثيق المتبادل بين الأسلحة الثلاثة » (٢٢) .

لما روميل فقد أرجع فشله في العلمين الى خسارته الحركة للشئون الادارية ، وبسبب التفوق الجوي البريطاني ، وأخيرا بتأثير تلك المقرارات الخاطئة التي كانت تتخذها القيادتين الألمانية والإيطالية المبعدة عن مسرح القتال .

وفي أماكن متفرقة من مذكراته ، ينكر روميل العديد من دروس حرب شمال أفريقيا ، من واقع خبرته الشخصية ، ولعل أهمها : (٢٣) ميل بعض القادة الى التوقف بدون مبرر ، بقصد الامداد بالوقود والخزيرة . أو يقصد سيادة مركباتهم بطريقة بطيئة ، مع العلم بأن حظ الهجوم العاجل في النجاح هو دائما كبير . والهدف الأساسي لأي قائد ، أثناء تنفيذه لعملية معينة ، هو انجازها في الوقت المحدد لها . وعليه استخدام كل قدراته التنفيذية ، لانجاز واجبه خلال هذه المدة المحددة .

كما استخلص روميل من هزيمته في العلمين الشرطين التاليين للصمود : (٢٤)

« الشرط الاول ، لكي يتمكن انجيش من تحمل العبء في المعركة ، أن يكون هناك مخزون كاف من الأسلحة والوقود والخزيرة » وفي الواقع تبدأ المعركة وتنتهي بواسطة رئيس الشؤون الادارية ، قبل أن يبدأ الاشتباك الفعلي . فالشجاع لا يستطيع أن يفعل شيئا بدون مدافع . والمدافع لا تستطيع أن تفعل شيئا بدون خزيرة متوفرة ، ولا تستطيع المدافع ولا الخزيرة أن تكون ذات فائدة تذكر في الحرب الخفيفة الحركة ما لم توجد عربات ووقود كاف ليحركها في كل مكان .

« كما أن الاعاشة يجب أن تكون من حيث الكمية والتنوعية متساوية تقريبا مع ظروف العدو » .

« الشرط الثاني ، لكي يتمكن الجيش من الصمود في المعركة ، لابد أن يكون متعادلا أو متقاربا مع العدو في القوة الجوية . ولو حال العدو المساعدة الجوية واستغلها استغلا كاملا ، فإن القيادة تعاني من القيود ونواحي التقصير التالية :

١ - يستطيع العدو - باستخدامه قواته الجوية الاستراتيجية - أن يمرر امداداتنا ، وخاصة إذا كان من الضروري : فلها بحرا .

٢ - يستطيع العدو أن يخوض معركة التدمير [التدمير التدريجي] من الجو .

٣ - أن استغلال العدو لتفوقه الجوي بدرجة كاملة يؤدي الى قيود تكتيكية خطيرة الاشر لقيادتنا .

« وفي المستقبل تسبق المعركة الجوية المعركة البرية زمنا . وهذا سيقرب أي المقاتلين سيماني من خوض شمار المعركة تحت القيود ونواحي العجز المذكورة » وإذا يضطر أثناء المعركة لتتابع الحلول الوسط للتخلص من هذا المازق » .

وتحدث القائد الألماني نفسه عن من الارتفاع الهائل لنسبة الخسائر في الافراد ، عند التحول من العمليات المتحركة الى قتال المواقع . مبينا أنه في « قتال الحركة نجد أن العنصر المهم هو المعدات كبكل أساسي للمهندسين ، لأن أحسن الجنود كفاءة لا قيمة لهم في حرب الحركة بدون الدبابات والمدافع والصريات . فإذا أمكننا تدمير دبابات أي

قوة خفيفة الحركة استطعنا منعها من الدخول في أية عمليات بالرغم من أنه لن يؤثر هذا كثيرا على القوة البشرية ، وهذا ليس الحال في قتال المواقع . فإذا فقد جندي المشاة - أثناء وجوده في موقعه - بنذيقته أو قنبلته اليدوية ، فهذا لا ينقص من قيمته بشرط حمايته - بالطبع - بواسطة المدافع والمدافع المضادة للدبابات ضد مدركات العدو ، إذ أن الهدف الاول للعدو هو قتل فرد المشاة العادي في موقعه ، ومن هنا نجد أن قتال ادواع عملة عن صراع لتدمير الرجال ، أما بالنسبة لقتال الحركة ، فهو على العكس ، عبارة عن تدمير العدو لا أفراد » (٢٥) .

(٢٢) الفيلد مارشال مونتجمري : الحرب غير التاريخ . ترجمة العميد عبد الله النور ، مكتبة الانجلو العربية ٢

القاهرة ، غير موضح تاريخ النشر ، ص ٧٣١

(٢٣) روميل ، الجزء الاول ، ص ١٨٠

(٢٤) روميل ، الجزء الثاني ، ص ٥٧ - ٥٨

(٢٥) مفكرات روميل ، الجزء الاول ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦

ويقرر روميل أن «القرارات الجريئة تؤدي إلى أحسن احتمالات النصر» . ولكنه يوصي بضرورة التمييز الحقيقي بين الجرأة والمغامرة . ويصف العملية الجريئة بأنها تلك التي «لا يكون نجاحها مؤكداً ، وإنما إذا ما فشلت تترك للقائد القوات الكافية لمواجهة أي موقف قد ينتج عن هذا الفشل» . لها المغامرة «فهي عمية قد تؤدي للنصر أو للخسارة الكاملة للقوات» . ومع ذلك يرى روميل أنه قد تنجم «أحياناً» ، واثق تيرر اللجوء إلى المغامرة «كما يحدث عندما نتأكد أن الهزيمة ستتم حسب سير الأحداث الطبيعي ، وإن العملية عملية وقت ، وينتج من هذا أن كسب الوقت أصبح غير ذي موضوع ، فلابد من اللجوء إلى عملية تتطوّر على مخاطرة كبيرة ، كحل ، أو للحد من الموقف اليأس» . ويحدد ثملب الصحراء الفرصة الوحيدة التي تمكن القائد من تصور سير المعركة مقدماً ، وهي «عندما تكون قواته متفوقة لدرجة أن النصر يصبح مفروغاً منه» (٢٦) .

تحفظات

يعتمد العلم العسكري على الممارسة وعلى الخبرات المكتسبة ، دون أن يقلل ذلك من أهمية الأبحاث النظرية العسكرية . ومعنى العلم العسكري - في الأساس - باستخلاص نتائج علمية من الممارسات الحربية ، والخبرات العسكرية ، وأن كان أثبات صحة هذه النتائج أو خطئها غير ممكن إلا في الحرب نفسها ، مع ملاحظة أنه لا يمكن لكل حرب أن تكون مقياساً صريحاً لتقييم تلك النتائج العملية ، فيما مدّ ذلك للحرب الضاربة التي يخاض حاربها بمعدات وأسلحة قوية من كلا الطرفين المتحاربين ، ويحذر روميل من التقيد الكامل بالمقاييس النظرية العسكرية ، وينبه بأن «المقاييس المبينة على الخبرة العملية في ميدان المعركة تكون ، عادة ، أقل من المقاييس الموضوعية نظرياً ، ولهذا يجب ألا نقس عليها» (٢٧) .

وحتى قواعد الحرب نفسها معرضة للتطور بسبب التقدم التكنولوجي . وإذا كان التسكك بالأساس العملية العسكرية مطلوباً في الاشتباك نفسه ، فإن ذلك غير ملزم للقيادة العسكرية ، إذ يجب على القادة أن يميزوا بين الأفكار النظرية العسكرية وبين الواقع الراهن ، بما يستدعيه من أمور طارئة . ويجب أن يكون القائد مستعداً للتنازل عن هذه الأفكار النظرية عند اللزوم ، مستجيباً بذلك لتطور الأحداث في ميدان المعركة . وفي الحرب كما في السياسة ، لا يجوز نقل الأفكار النظرية والخبرات المكتسبة بالسطرة والمنظلة إلى ميدان القتال ، فهما ليسا أكثر من مرشد عمل .

وفي مجال الخبرات ، يجب الانتفاع بأكثرها معاصرة ، وأشدها اتساعاً ، وأقربها شها بالحرب التي نخوضها ، لا حيث الأسلحة ومصرح العمليات . فمثل هذه الخبرات تقدم للمعركين والاستراتيجيين مادة غنية تعينهم على أعمال الفكر ، وأجراء المقارنات ، واستخلاص القوانين والقواعد .

مع الحذر من أن الحروب لا تطابق سبائتها ، ولا تتشابه أساليبها . ومن ثم فدراسة الحروب السابقة ليست إلا أحد أساليب المعرفة ، لذا كان من واجب الباحث العسكري تسليط الضوء على الظواهر الجديدة في الحروب ، وفي الوقت نفسه على الظواهر الأخرى التي أخذت تفقد قيمتها وأهميتها .

ولدى الإفادة من خبرات الحروب السابقة ، لابد من النظر إليها في إطار أحدث النظريات العسكرية ، وفي ظل الوضع الراهن ، زماناً ومكاناً ومعدات .

ومن البديهي أن الحرب وقوانينها لا تدرس بمعزل عن حياة الشعب الاجتماعية ، ولا عن طبيعة الحرب ، وما إذا كانت عدوانية أم تحريرية عادلة . كما يجب النظر إلى الحرب وقوانينها بارتباط كامل مع السياسة . فما الحرب إلا امتداد للسياسة بوسائل عنيفة . «والسياسة تحدد أهداف الحرب ، وأتجاهها ، وأقسامها ، وتدارس عملها في اختيار أساليبها وأشكالها ، وإدخالها في أساس الفن العسكري بجملة» (٢٨) .

[٢٦] المصدر نفسه ، ص ٢١١

«وقد أشار الخبير العسكري الأمريكي المشهور ، دور ميدلتون ، إلى أن سلاح الصواريخ المستخدم في الحرب العربية الإسرائيلية الحالية قد غير استراتيجيية القتال التي سادت منذ الحرب العالمية الثانية [انظر : مقال الخبير المختور في الإهرام - ١٨/١٩٧٢/١ ، ص ٢]

[٢٧] المصدر نفسه ، ص ١٨٢

[٢٨] المجلة العسكرية السوفيتية : الحرب وطبيعتها . ترجمة الفتيق انيس سليمان ، المجلة العسكرية السورية ، العدد السابع ، السنة التاسعة عشرة ، فبراير [شباط] ١٩٦٩ ، ص ٤٦ - ٤٧

اعصار هائل

٠٠ في مرحلة التسكون

بدايات الصراع بين

الرأسمالية الأمريكية واليابانية

لا يبالغ هذا المقال الفترات الضخمة التي حققها الرأسمالية اليابانية ، وهولت اليابان من دولة مهزومة بل ومحتلة في نهاية الحرب العالمية الثانية الى نأى دول العالم الرأسمالي بعد الولايات المتحدة . والمنافسة الشديدة التي تدور بين اكبر دولتين رأسماليتين منذ هزيمة ألمانيا النازية . ومدى تأثير هذه المنافسة على العلاقة بين البلدين ، بعد ان اتضح لليابان ان السور في ركاب الولايات المتحدة الامريكية لم يعد أمرا ملوونا كما كان في الماضي .

سيرة كسرم

الحرب العالمية الثانية ، الى ثاني دول العالم الرأسمالي بعد الولايات المتحدة . وتحولت بالتالي الى منافس خطير لها في المجالات الحيوية التي كانت تتحرك فيها التجارة الامريكية والاستثمارات الامريكية وحدها . بل تفاقمتم المنافسة الرأسمالية بين اليابان والولايات المتحدة الى حد غزو السلع اليابانية للأسواق الامريكية بصورة خطيرة ، جعلت الميزان التجاري بين البلدين يعمل لصالح اليابان محدثا عجزا بلغ في عام ١٩٧٢ أكثر من ٤٠٠٠ مليون دولار في الميزان التجاري الامريكى .

وبصورة شبه نهائية ، تحولت اليابان ، من الحليف المطيع لأمريكا في شرق آسيا ، الى « وجه قبيح » يتعرض لحملات كراهية شديدة داخل المجتمع الامريكى .

جو الحرب العالمية الثالثة

والجو النفسى بين اليابان والولايات المتحدة يقترب اذن ، من جو الحرب العالمية الثانية عندما كانت اليابان على طرفه ، والولايات المتحدة على الطرف الاخر المهادى مباشرة . والذي يزيد من حدة هذا الجو النفسى ، ان أولئك الذين يفغون في

على الفكر الاشتراكي ان يقصدي بالتحليل منذ الان لواحدة من أعقد العلاقات في العالم الرأسمالي في الوقت الحاضر ، وهي العلاقة بين

يتعين

الولايات المتحدة واليابان ، ليس فقط لان « المعجزة اليابانية » الاقتصادية تشكل تحديا رأسماليا بارزا للنظرية الاشتراكية وللتجربة الاشتراكية في ذهnan الكثيرين ، وانما ايضا لان اجراس الخطر تنق يرفين عال الان منتشرة باخطر منافسة تدور بين دولتين رأسماليتين كبيرتين منذ هزيمة ألمانيا النازية .

وربما يكون قد بدأ لفترة طويلة ان العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة هي علاقة تحالف بحث أو علاقة تبعية . ولكن التطورات الهامة التي دخلت على الحياة الاقتصادية والسياسية في هذين البلدين ، والتطورات الاعمق التي دخلت على عسلاقات القوى بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي . جعلت حقيقة تعقد العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة تطفو واضحة على السطح . وجعلت الوجه الاخر لما كان يبدو تحالفا يحتايطهر في صورة منافسة تصبل في بدورها كل احتمالات الصراع بل والصدام .

لقد تحولت اليابان من دولة مهزومة محطمة اقتصاديا وسياسيا - بل ومحتلة - في نهاية

والحقيقة المؤكدة أن اليابان منذ بداية السبعينات وهي تبحث لنفسها عن سياسة خارجية خاصة بعد انتهاء مرحلة اقتفاء أثر السياسة الخارجية الأمريكية . ففى تلك المرحلة جئت اليابان فرائد هائلة من حربين اثارتها الولايات المتحدة على أرض آسيا - قريبا من اليابان - أولهما : كانت الحرب الكورية [٥ - ١٩٥٣] ، والثانية كانت حرب فيتنام [١٩٦٠ - ١٩٧٢] ومن وراء هاتين الحربين ، جئت اليابان شارا اقتصاديا هائلة . أن الحرب الكورية قد أمدت الاقتصاد الياباني بدفعة قوية نتيجة اتجاه أمريكا لشراء كل مستلزمات هذه الحرب من سلع وخدمات من سوق اليابان . وتلقى الاقتصاد الياباني دفعة قوية مماثلة من وراء حرب فيتنام . زادت صادرات اليابان من ألف مليون دولار عام ١٩٦٠ الى ٣٤٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٥ . وبمرة ثانية الى ٨٣٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٩ .

والآن والوجود العسكري الأمريكي يسير في طريق الانحسار بعد انتهاء الحرب الفيتنامية بشكل أضخم جهاز للحرب عرفه التاريخ . فإن اليابان تميد التفكير في الارتباط الكامل بسياسة الأمريكية الذي عاشت به منذ عام ١٩٤٥ . وربما نلاحظ هنا أن بحث اليابان عن سياسة خاصة نحو أمريكا - قد تأخر عن بحث أوروبا الغربية عن هذه السياسة .

صدمتان : الصين والدولان

وكان يمكن أن يتأخر بحث اليابان عن سياسة خارجية خاصة بها ، لولا أن الولايات المتحدة وجهت إليها صدمتان - خلال فترة وجيزة - وبالتحديد في النصف الثاني من عام ١٩٧١ .

الصدمة الأولى : تلقتها اليابان يوم سمعت - مع باقي دول العالم - بيا اتفاق الولايات المتحدة والصين على أن يقوم الرئيس الأمريكي نيكسون بزيارة لبكين . وقد أعلن بيا هذه الزيارة في يوليو عام ١٩٧١ .

ولقد كانت علاقة اليابان بالولايات المتحدة - قبل هذه الصدمة - توصف بأنها « علاقة زواج كاثوليكي » وعندما علمت اليابان فجأة ببا زيارة نيكسون للصين والترتيبات السرية التي أعدت لها كانت بمثابة من يكتشف خيانة زوجية . وزاد من حدة هذا الضمور لدى اليابان أن الولايات المتحدة انتزعت دولتين أخريين - هما باكستان ورومانيا - على سر تقاريرها الجديد من الصين - رغم أن هاتين الدولتين لا تربطهما بأمريكا علاقات بنفس قوة علاقة اليابان بها .

اليابان منافسين الآن للاقتصاد الأمريكي هم أنفسهم الذين كانوا بمثابة اللحم والدم لاقتصاد العسكرية اليابانية قبل الحرب العالمية الثانية . هم أنفسهم مجموعة المؤسسات الأربع الكبرى اليابانية التي يطلقون عليها اسم « الزايتسو » التي تملك وحدها الآن - كما كانت تملك قبل الحرب العالمية الثانية - أكثر من ٩٠ في المائة من أجمال الإنتاج القومي الياباني .

لقد كانت مؤسسات « الزايتسو » الأربع - ميتسو وميتسوبيشي وسوميتومو ويسودا (حسب ترتيب ضخامتها) هي التي خلقت لليابان في الثلاثينات جهازها الحربي الهائل ، وغزت أحلام التوسع الرأسمالي الياباني وجروعه إلى المواد الخام والأسواق . وكان ميبروها هم المخبطون الحقيقيون لحرب الباسفيك خلال الحرب العالمية الثانية . ولهذا كانت أول ميمنة للاحتلال الأمريكي لليابان بعد هزيمتها في تلك الحرب - هي تدمير « الزايتسو » تماما .

ولكن كل هذه الإجراءات التي اتخذها الاحتلال الأمريكي لم تمنع عودة « الزايتسو » - وبمساعدة الاستثمارات الأمريكية نفسها - لكي تنافس الاقتصاد الأمريكي ، وتوجه إليه ضربات عنيفة بعضها « تحت الحزام » ولقا لما يشكر منه الرأسماليون الأمريكيون .

والسؤال المثار الآن على أوسع نطاق في العالم - وليس في اليابان وأمريكا وحدهما - هو إلى أين تقود هذه التطورات العلاقة بين عملاقى العالم الرأسمالي . . والامم والأهم من ذلك إلى أين تقود هذه التناقضات العالم الرأسمالي كله ؟

المركز الاول لليابان عام ١٩٨٠

والذين يحاولون تقديم اجابات على هذه التساؤلات مجبرون على أن يقدموا قبل هذه الاجابات تقديرهم لاحتمالات واتجاهات تطور للرأسمالية اليابانية والرأسمالية الأمريكية .

والذي نقوله الإرقام شيء بالغ الأهمية والخطورة : في بداية الثمانينات - أن لم يكن قبل ذلك - سيكون متوسط دخل الفرد الياباني أعلى من متوسط دخل الفرد الأمريكي . ففي الوقت الحاضر يبلغ نصيب الفرد من أجمالي الإنتاج القومي الياباني أكثر قليلا من ٣٠٠٠ دولار مقابل ٥٥٠٠ دولار في الولايات المتحدة . فإذا استطاعت اليابان أن تحتفظ بمعدل نموها الحالي - وهو يتراوح بين ٨ الى ١٠ في المائة - فإن المسألة تكون مسألة سنوات قليلة ، ولتخطي اليابان أمريكا لتصبح الدولة الأولى في العالم الرأسمالي (١) .

(١) هنري ووليتش محرر الاقتصادى لـ لجنة نيزويك الأمريكية .

الصدمة الثانية : جاءت لليابان في أغسطس في عام ١٩٧١ - أي بعد شهر واحد من الصدمة الأولى - في قرارات نيكسون الاقتصادية لدعم مركز الدولار ، وكان من بين هذه القرارات فرض رسوم إضافية بنسبة ١٠ في المائة على واردات الولايات المتحدة من الخارج ، وهو قرار أضر أكثر بما أضر بالتجارة اليابانية بالذات لأن ٢٠ في المائة من صادرات اليابان يدخل الولايات المتحدة بالذات .

ولقد يبدو لأول وهلة أن الصدمة الأولى كانت ذات طابع سياسي ، والثانية ذات طابع اقتصادي . ولكن الواقع أن الصدمتين اقتصاديتين فسي محتوماً تشابها . فقد أدركت اليابان سريعا ، أن الولايات المتحدة سيقفها إلى يمكن لتفتيح أبواب أسواقها للتجارة الأمريكية ، قبل أن تسبق اليابان إلى هذه الأسواق بصورة كاملة إليها . والواقع أن اليابان كانت قد وضعت لها قدما في السوق التجارية مع الصين ، قبل ذلك ، ووصل حجم التجارة للتبادل بينهما إلى نحو ١٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ . وهكذا تكون أمريكا قد قصدت إلى سد الطريق على اليابان استعدادا لمرحلة منافسة حادة على أسواق آسيا بين الرأسمالية الأمريكية واليابانية .

وقد تلقت اليابان هذه الصدمة في وقت كانت السياسة الخارجية الأمريكية فيه قد ربطت اليابان بمساعدة أمن مع تايوان (فورموزا) وربطتها بها أيضا بحجم هائل من الاستثمارات أنعمش نظام حكم تشيان كاي تشيك في الجزيرة الصينية ، وأقام سدا سياسيا هائلا بين طوكيو وبكين .

بل الواقع أن الولايات المتحدة كانت قد انتزعت من إيزاكو ساتو - رئيس وزراء اليابان السابق في زيارته للولايات المتحدة في نوفمبر عام ١٩٦٩ تعهدا باعتبار أمن تايوان وكوريا الجنوبية جزءا حيويا من أمن اليابان نفسها . وكان ذلك بمثابة توريث أكثر في سياسة معاداة الصين .

ولهذا كانت مفاجأة زيارة نيكسون للصين بمثابة لليابان أكثر من أي دولة أخرى من أصحاب الولايات المتحدة وحتى أعدائها . ووجدت الحكومة اليابانية (حكومة ساتو وقتها) نفسها عارية من أي دفاع أمام رجال الأعمال اليابانيين الذين ظفروا ليحون طوال السنوات الماضية على ضرورة الاعتراف بالصين رسميا وفتح أبواب التجارة معها على مصراعها . . . بأي ثمن . . .

البحث عن سياسة خارجية جديدة

ولا نبالغ إذا قلنا أن التغيير الحكومي الذي حدث في اليابان باستقالة وتقاعد إيزاكو ساتو - الذي كان رمزا للارتباط الكامل بسياسة أمريكا - وتولى كاكوي تاناكا رئاسة الحزب الحر

الديمقراطي والحكومة اليابانية - وهو يعد الآن رمزا للحيث عن سياسة خارجية جديدة لليابان (وللاقتصاد الياباني بالدرجة الأولى) . هذا التغيير كان ، برعته ، رد فعل الصدمة الأمريكية الأولى لليابان . خاصة وأن الصين كانت قد اعتبرت رحيل ساتو عن المسرح السياسي الياباني شرطها الوحيد لإقامة علاقات طبيعية من جديد مع اليابان . وهو ما تم فعلا ابتداء من زيارة تاناكا لبكين في سبتمبر ١٩٧٢ .

ولكن بحث اليابان عن سياسة خارجية تقلام مع « عملاق اقتصادي » أمر يفرض تساؤلا هاما : هل يعني هذا أن تخرج اليابان كلية من دائرة التحالف مع أمريكا ؟

يرى بعض المحللين الغربيين أن اليابان لن تفكر في الخروج من دائرة التحالف الأمريكي ، حتى ولو صعد إلى السلطة فيها الاشتراكيون ! وسجنهم في هذا أن كلا الطرفين - الياباني وأمريكا - يرى بوضوح المخاطر الجسيمة التي ينطوي عليها سمحهما للثقافس الاقتصادي بينهما لأن يتحول إلى صراع كبير .

ولكن هذا المثلث نفسه لا يستقيم مع ما تريده الولايات المتحدة من اليابان - ومن كل حلفائها الآن - وهو أن يتشاركوا - بنصيب أكبر - في نفقات الدفاع عن « العالم الحر » (العالم الغربي) بعد أن خرجت أمريكا من حربها في فيتنام بجح في ميزان المدفوعات يتجاوز ١٢ ألف مليون دولار .

الواقع أنه حتى هدف الحفاظ على اليابان بدون أسلحة ذرية ، أصبح يتناقض مع أهداف الولايات المتحدة في المرحلة الجديدة من المنافسة الخطيرة بينهما على المركز الأول في العالم الرأسمالي . وهذا أمر تفسره تصريحات ، أدملت بعض المراقبين في آسيا وأمريكا في مايو الماضي ، قالها وليام كليمنتس نائب وزير الدفاع الأمريكي أثناء مقابلة أجراها في واشنطن مع عدد من رجال الأعمال اليابانيين كانوا في زيارة للولايات المتحدة . فقد قال لهم كليمنتس بالحرف الواحد أن على اليابان ألا تستعيد أرمسال قواها إلى الخارج ، وأن تسعى لتعديل مواد دستورها الحالي - الذي وضع أبان الاحتلال الأمريكي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية - تلك المواد التي تمنعها من استخدام قواتها المسلحة في عمليات تجرى وراء البحار .

كذلك فقد اقترح نائب وزير الدفاع الأمريكي على رجال الأعمال اليابانيين في ذلك اللقاء ، أن توسع اليابان بحريتها ، لتحرس ناقلات البترول التي تنقل إمداداتها منه من الشرق الأوسط حتى الجزر اليابانية . وكانت نصيحته لهم عبارة للحكيم الصينيين القديم « أن القواعد توضع لكي تحرق » .

الجلوس تحت المظلة الذرية الامريكية

وإذا نظرنا الى هذه النقطة ، من زاوية رؤية الجانب الياباني ، فلنأتى نجد - حتى الآن - أن اليابان تبدي رسمياً تمسكاً بواصلتها نسوماً الاقتصادى دون عودة لاحياء النزعة العسكرية اليابانية . وإن كانت هناك عناصر تدعو لها وتغذيها .

والرأى الرسمى فى اليابان المؤيد لعدم الحاجة لجهاز حربى ضخم - وخاصة عدم الحاجة للتسلح الذرى - يذهب الى « أن الولايات المتحدة لن تهاجم اليابان على أى الاحوال عسكرياً . والصين لا تملكه بحرية قوية تعتمد عليها فى مهاجمة اليابان . والاتحاد السوفيتى يستطيع - وهو من القوة بحيث لا نأمل فى الوقوف فى وجهه . ولا نستطيع ولا نريد أن نتوسط فى أماكن خارج اليابان . لأن احداً لا يستطيع أن يعرف الى أين يؤدى بنا ذلك . وانظروا الى ما حدث فيفيتنام . ولهذا فسقطنا محاصرون من عمل أى شيء سوى الجلوس تحت المظلة الامريكية - طبعاً عدا اولئك الذين لا يؤمنون منا بالمخلفات على وجه الاطلاق » .

وعند هذا الحد ، قد يبدو أن الخلاف حول السياسة الخارجية ، بين اليابان وامريكا ، ينحصر فى طريقة تطبيق « مبدأ نيكسون » ، وهو مبدأ تحميل الاسيويين مسئولية مواجهة بعضهم بعضاً . فالإيابان تريد لها دوراً فى آسيا ذا طبيعة اقتصادية بحثية . وامريكا تريد أن تقوم اليابان فعلاً بدور فى آسيا يمكن أن يكون ذا طبيعة عسكرية . اليابان تريد دورها فى آسيا لمصلحة صادراتها ، وامريكا تريد الدور اليابانى فى آسيا أن يكون لمصلحة الصادرات الامريكية . ولهذا فأن الولايات المتحدة تريد أن تضرب مصهورين بحجر واحد :

● تريد من اليابان أن تستورد منها مزيداً من الأسلحة لتغطي جزءاً من عجز ميزان مدفوعات الدولى .

● وتريد أمريكا - فى الوقت نفسه - أن تلعب اليابان فى آسيا دور الشريك لامريكا فى استغلال اسواق جنوب شرق آسيا بوجه خاص .

ولتحقيق هذا الهدف المزدوج ترفع الولايات المتحدة شعار « قيام اليابان بدور عالمى يبرز » والذي يهيمها فى الواقع أن تفتتح اليابان على نفس المشاكل التى عانت منها الولايات المتحدة طوال السنوات الماضية . ولكن تصبح اليابان فى مركز تقليبه قدرتها الخطيرة على منافسة الولايات المتحدة اقتصادياً .

والحقيقة أن الولايات المتحدة قيمت من أجل جر اليابان الى هذا الموقف تنازلاً شكلياً بسيطاً هو نقل السيادة على أوكيناوا - التى احتلتها الولايات

المتحدة منذ ختام الحرب العالمية الثانية - من السيادة الامريكية الى السيادة اليابانية . وقد حرصت الولايات المتحدة على أن تحتفظ بقواعدها العسكرية فى أوكيناوا - رغم ذلك - وبمسا لاستخدامها كقوة فى مساواة جديدة قد تضمن لها مستقبلاً فى علاقتها مع اليابان .

وتواجه الولايات المتحدة - رقم والعلاقة الخاصة - التى ربطت اليابان بها على مدى ربع القرن الماضى - واقعاً يضعف من مركزها فى الضغط على رأس المال اليابانى . ذلك أن قيمة الاستثمارات الامريكية فى اليابان لا تتجاوز ١٥٠٠ مليون دولار . وهو رقم يقل مثلاً عن نصف الاستثمارات الامريكية فى استراليا ، وأقل منها فى إيطاليا ودول « البنيلوكس » (بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج) . وفى الوقت نفسه فإنه على الرغم من ضخامة حجم الاستثمارات اليابانية فى الخارج ، بالمقارنة بحجم الاستثمارات الامريكية ، إلا أن معدل الزيادة السنوية فى الاستثمارات اليابانية الضخامة أسرع ٣ أضعاف الاستثمارات الامريكية . ومن المتوقع أن تصل استثمارات اليابان الى ٢٠ الف مليون دولار عام ١٩٨٠ ، بينما تكون الاستثمارات الامريكية (إذا استمرت النسبة الحالية لها) ٨ آلاف مليون دولار .

وهكذا فإن اليابان تقدم مراكزها فى الاسواق الامريكية (داخل الولايات المتحدة وخارجها) رغم مقاومة الاحتكارات الرأسمالية الامريكية لهذا الاتجاه . وتشير التقديرات الأولية الى أنه مع استمرار معدل نمو الصادرات الصالى فى اليابان فستصل الى ١٢ فى المائة من اجمالى صادرات العالم الرأسمالى كله فى منتصف السبعينات وستزيد قيمة السلع المصدرة من اليابان عن ٥٠ ألف مليون دولار . ومعنى هذا أن قيمة السلع اليابانية التى ستغرق الاسواق الامريكية ستصل فى ذلك الوقت الى حوالى ٨٠ ألف مليون دولار .

ومن ناحية أخرى ، فقد ظهرت اليابان - وخاصة مع بداية السبعينات - كمصنوع هام لرأس المال ، وأصبحت تهيئ المركز الثانى فى العالم . وهكذا فإنها فتحت جبهة جديدة للمصادم مع رأس المال الامريكى . ولهذا فإن الولايات المتحدة تريد أن تفرض على اليابان التسليم لها مقدماً فى « الحرب الاقتصادية » التى لاتزال نيرانها تتأجج تحت السطح ، وإن كان تمييز « الحرب الاقتصادية » قد أصبح شائع الاستعمال كثيراً فى التحليلات الامريكية واليابانية ، سواء لطبيعة المرحلة الحالية ، أو للتطورات المنتظرة فى العلاقات بين البلدين .

لما كيف تريد امريكا فرض الاستسلام مسبقاً على اليابان فذلك عن طريق ثلاثة شروط تريد إلزام اليابان بها :

استثمارات اليابان في دول جنوب شرق آسيا خلال السبعينات ١٠ أذنت مليون دولار ، وأن يصبح ٤٠ في المائة أو ٥٠ في المائة من صادرات اليابان و وارداتها مرتبطا بهذه الدول ، ويكفي أن نذكر أن قيمة صادرات دول جنوب شرق آسيا إلى اليابان ، من المنسوجات ، كانت ٨ ملايين من الدولارات فقط عام ١٩٦٦ . ومع ازدياد اتجاه اليابان الاقتصادي نحو هذه الدول ارتفعت هذه الصادرات (من المنسوجات وحدها) إلى ١٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٠ .

وعطفا لحسابات الاقتصاديين الأمريكيين ، فإن تدفئة دوائى أقدام اليابان على « ساحل آسيا الهيدروفيكي » سيوقعها على أن تزيد من مساعداتها الاقتصادية والمالية لبلاد المنطقة التى ظلت لسنوات طويلة تعتمد على المساعدات الأمريكية وحدها تقريبا .

وربما كان في حساب الرأسماليين الأمريكيين - أيضا - أن يؤدي دفع اليابان نحو جنوب شرق آسيا إبعادا لها عن الصين ، حيث يعتقد الأمريكيون بوجود أضخم سوق في العالم حيث يعيش ٨٠٠ مليون نسمة . ولكن الأمر المؤكد - والذي يظهر من النشاط الياباني الكثيف ، وخاصة من جانب رجال الأعمال - مع الصينيين - أن اليابان عازمة على البخور في المنافسة على سوق الصين ضد أمريكا بكل قوة وبدون هراة .

وهكذا فإن الاتجاه الواضح للمصالحات بين اليابان وبين الولايات المتحدة يتدفع نحو صراع حديق لا مهانة فيه ، بين الرأسمالية اليابانية ، والرأسمالية الأمريكية . وهو بالضرورة صراع اقتصادى وسياسى أيضا . ولم يعد المسئولون اليابانيون أنفسهم يخفون ادراكهم لحتمية هذا الاتجاه .

وقد خلق الموقف من حركة الاستثمار الرأسمالى بين اليابان والولايات المتحدة موقفا يتطوى على تناقض مضاعف . فهناك تناقض بين الرأسماليين الأمريكيين أنفسهم حول الرغبة في جذب رؤساء الاموال اليابانية إلى الاستثمار داخل الولايات المتحدة نفسها . بعض الرأسماليين الأمريكيين يؤيد هذا الاتجاه على أساس أنه يضع الاموال اليابانية تحت يد الرأسمالية الأمريكية ، ويوظفها لخدمتها . وفى الوقت نفسه يؤيد على تقليل كميات الدولارات المطروحة في أسواق اليابان عن طريق جذبها إلى الاستثمار داخل أمريكا ، وهو أمر من شأنه أن يقلل من ضعف قيمة الدولار المستمر . فضلا عن أن استثمار رأس المال الياباني في أمريكا يخلق قرص عمل مزيد من الأمريكيين في ظروف تعاني فيه نسبة ٥ ٪ في المائة من القوى العاملة الأمريكية من البطالة الدائمة .

ولكن جانب آخر من الرأسماليين الأمريكيين يعارض بشدة الاستثمارات اليابانية في الولايات المتحدة ويخوض ضدها « حرب مقاومة » عنيفة في

■ أن ترفض اليابان على نفسها اختيارنا قودا تعد من منافسة سلعها للسلع الأمريكية في أسواق الولايات المتحدة . وخاصة المنسوجات والسلع الالكترونية التى حققت اليابان فيها تقدما كبيرا حتى بمقياس المستويات التكنولوجية الأمريكية المتقدمة ، وبأسعار أقل . والهدف من هذا الشرط بطبيعة الحال خفض صادرات اليابان إلى الاسواق الأمريكية . وبالتالي خفض المبالغ الهائلة التى تحصل عليها اليابان من الدولارات مما يؤدي تلقائيا إلى هبوط قيمة الدولار الأمريكى فى الخارج .

■ أن ترفع اليابان القيود عن الواردات الأمريكية وأن تقدم لها معاملة « الدولة الاولى بالرعاية » أى المعاملة التفضيلية الكاملة على الدول الأخرى .

■ أن تشارك اليابان في تصويب كبير في التوقيتات الدفاعية للسياسة الأمريكية في آسيا - بل وفي أوروبا أيضا (وفقا لاقتراح « الميثاق الاطلنطي الجديد » الذى اعلنته الولايات المتحدة في مايو الماضى والذي يقضى بضم اليابان إلى التحالف الاطلنطي) . وأحد أوجه هذه المشاركة بطبيعة الحال شراء مزيد من الأسلحة من الولايات المتحدة . وأحد أوجهها أيضا إلزام اليابان بالانفاد عن تايوان وكوريا الجنوبية ، وأيضا باقى حكومات جنوب شرق آسيا الداخلة في تلك السياسة الأمريكية .

■ ماذا دور أكبر لليابان في آسيا

في إطار هذه السياسة الأمريكية تعمل واشنطن على دفع اليابان بشدة نحو منطقة جنوب شرق آسيا ملتقية في ذلك مع التطلعات العميقة لدى الرأسمالية اليابانية نحو هذه المنطقة باعتبارها « المجال الحيوى » لحركة التجارة والاستثمارات اليابانية . إذ تحتد الولايات المتحدة أن باستماعتها أن تنسق مع اليابان أدوارها في تلك المنطقة على نحو يحقق مصالحهما الرأسمالية مما (والمقصود بطبيعة الحال تحقيق المصالح الأمريكية بالدرجة الاولى) في مواجهة منافسات أخرى ، سواء تلك التى تنجم من جانب العالم الرأسمالى (السوق الأوروبية المشتركة) أو من جانب العالم الاشتراكي (الاتحاد السوفيتى أو الصين) .

وحتى نوضح هدف الولايات المتحدة من دفع اليابان أكثر وأكثر نحو جنوب شرق آسيا ، نقول أن هدف واشنطن هو أن تصبح اليابان - بعد أن تربط بها دول جنوب شرق آسيا اقتصاديا وتجاريا ربطا كاملا - في نفس الموقف الصعب الذى تجد فيه الولايات المتحدة نفسها الآن تجاه اليابان . وبقدر الاقتصاديين الأمريكيون أن تبلغ قيمة

الفترة القصيرة القادمة التي شقيق اللقاء في واشنطن بين رئيس الوزراء الياباني سائتاناكا ، والرئيس الأمريكي نيكسون (يومى ٢٦ يوليو وأول أغسطس) . فإن المخاوف تتزايد في نفوس اليابانيين من احتمالات الضغوط الأمريكية لأرغام اليابان على اتخاذ إجراءات لا تتفق مع المصالح الاقتصادية اليابانية . فضلا عن تزايد الشعور في اليابان - في الوقت نفسه - بأن الولايات المتحدة ليست بالقوة التي كان يظنها اليابانيون ، سواء عسكريا أو اقتصاديا ، أو أن السير في ركابها لم يعد أمرا مأمونا فهما كما كان في الماضي . فهذا على الأقل ما أثبتته أحداث الحرب الفيتنامية ، وتدهور مركز الدولار الأمريكي وخفض قيمته رسميا مرتين في غضون ١٨ شهرا .

والواقع أن إجماع تانكا ونيكسون يعقد في ظل مشكلة أخرى تصيف عنصر خلاف جديد بين البلدين ، وهي مشكلة الطاقة . وقد قاومت اليابان حتى الآن مطالب الولايات المتحدة لتكوين كتلة أمريكية يابانية ، أوروبية ضد الدول المتجهة للبتترول ، وذلك - بطبيعة الحال - أرضاء لدول البترول في الشرق الأوسط التي تحصل اليابان منها على أكثر من ٨٥ في المائة من احتياجاتها البترولية .

وربما في ضوء ادراك اليابان الجسدي بان الضرورات الملحة ليست الأقوى عسكريا ولا الأقوى اقتصاديا في العالم ستحدد اليابان سياساتها الخارجية في السنوات القادمة . وفي هذا الاتجاه لن يعود اعتماد اليابان كليا على الولايات المتحدة . وعلى حد تعبير الصحفي الأمريكي سوزنبرجر فإن اليابان « قد تأخذ بعض يعضها من النملة الأمريكية لتوزعها على إغذاء العالم الجديد » المتهدد الجوانب ، الذي يحل الآن محل العالم الثنائي القديم .

وهذا المنطق نفسه يجعل استمرار معاهدة الأمن المتبادل بين اليابان وأمريكا أمرا غير مقبول . فالمنطق الذي يهيمه العالم في تطلعاته الجديدة هو منطق التعاون الدولي على قدم المساواة الذي ناضت به دائما الدول الاشتراكية .

وقد تفهم اليابان هذا المنطق ففتحت على العالم الذي كانت السريالات المتحصدة قد اغلقت على اليابان .

قد تخرج اليابان لتبادل التعاون الاقتصادي والتجارة مع الاتحاد السوفيتي ، ومع الصين ، ومع دول العالم النامي . ولكن تظل مشكلة المنافسة الخطيرة بين الرأسمالية الأمريكية والرأسمالية اليابانية قائمة وتظل تزداد حدة . والزمن وحده هو الذي سيبين الى أين يمكن أن ينتهي هذا الصراع الذي لا تحكمه قوانين الصراع الداخلي في صفوف الرأسمالية وحدها ، بل تحكمه أيضا قوانين الصراع الأشمل بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي .

أطار حرب شاملة ضد محاولة الرأسمالية اليابانية الأوروبية التهرب لغزو الاقتصاد الأمريكي بسلاح الاستثمار .

وإذا كانت الرأسمالية الأمريكية منقسمة على نفسها بالنسبة للسماح باستثمار رؤوس الأموال اليابانية على نطاق واسع داخل الولايات المتحدة فأنها متفقة تماما على ضرورة « الرقابة الأمريكية عن قرب ، على الاستثمارات اليابانية في الخارج عموما ، وعلى الاستثمارات التي تتوقع الحكومة الأمريكية لها أن تنمو بشكل هائل خلال المستقبل القريب ، ولتحقيق هذه الرقابة الأمريكية على استثمارات اليابان في الخارج تضغط السياسة الاقتصادية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة على النحو الذي أشرنا اليه وبصفة خاصة فيما يتعلق بمنطقه شرق آسيا .

كسر الإغلال الأمريكي

وربما يرى البعض أن علاقة التبعية اليابانية لأمريكا لا تزال قائمة « التبعية للدولار اقتصاديا والتبعية المظلة النظرية الأمريكية عسكريا ، والتبعية لخصوص معاهدة الأمن المتبادل مع أمريكا سياسيا) ولكن من المؤكد أن اليابان بدأت تعمل الآن - ومعذ - صدمة التقارب الأمريكي الصيني » على كسر أطار هذه التبعية شيئا فشيئا . ويساعدها على ذلك ادراكها أن الرأسمالية الأمريكية تريد حل مشكلاتها على حساب اليابان (ربما بدرجة أكبر مما تريد حلها على حساب أوروبا الغربية) ، ويساعدها أيضا بدرجة أكبر أن اليابان فعلا - وكما سبق أن أوضحنا في المقدمة من هذا المقال - هي أكبر منافس في العالم الرأسمالي للولايات المتحدة ، مهما قيل عن النفوذ الأمريكي في واشنطن . ولا شك أن الجانب الأقوى من الرأسمالية اليابانية هو الذي يريد أن يتخلص من « الإغلال الأمريكية » .

وإذا أردنا أن نتلمس انعكاسات ذلك على سياسة اليابان الخارجية ، فإننا نجد أمثلة ما كان يمكن أن توجد في تصريحات المسؤولين اليابانيين ، أو في تعيينات الصحف اليابانية منذ سنوات معدودة ، ولا حتى في أواخر الستينات (باستثناء تصريحات وبيانات الأحزاب اليسارية المعارضة وخاصة الحزب الاشتراكي - أكبر الأحزاب المعارضة - والحزب الشيوعي - الذي يعد الآن « النجم المهاد » في سماء الحياة السياسية في اليابان) .

أمريكا ليست الأقوى

ومن الطبيعي أن تتفجر مشكلة العلاقات اليابانية الأمريكية كمسألة داخلية يابانية خلال

■ العالم العربي

بداية عهد جديد
من التضامن العربي

المنظمات الديمقراطية
العالمية تدين اسرائيل

■ العالم الثالث

على مشارف
تطورات حاسمة

■ الدول الاشتراكية

مساعدة تامة
على كل المستويات

تقارير
الشهر



● جبهوية مصر العربية ●

على الجبهة الداخلية

أصدر الرئيس **قانون المسادات** - استجابة لقانون مجلس الأمن - قراراً بوقف إطلاق النار مساء اليوم الثاني والعشرين من أكتوبر الماضي . وقد أكد الرئيس **المسادات** ، وهو يتخذ قراره ، على أن القادة الوطنية قد برزت وتدعيت بعمل القوات المسلحة العظيم والمجيد - هذا العمل الذي كسر وحده جهود الأزمة - وأنهى للابد صلافة وحماقة القوة للعدو الاسرائيلي الذي ظل يمارسها خمسة عشر عاماً .

كما أن الرئيس **المسادات** قد وضع في اعتباره عند اتخاذ قرار وقف إطلاق النار ، مجموعة من القرارات الهامة ، من بينها :
● أن يشروع القرار الذي وافق عليه المجلس - وقد تقدمت به الدولتان الأعظم : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية - بعد جهود مكثفة على أعلى مستوى .

● أن مجلس الأمن قد وافق على القرار دون أي اعتراض من أي عضو .
● أن المناقشات في المجلس ألفت أضواء هامة للغاية ، وبشكل خاص كان للملاحظات فرنسية والهند أهيتها .

● أن التفسير المصري لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ واضح كل الوضوح فيما يتعلق بالانسحاب من كافة الأراضي المحتلة ، والمحافظة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

● مشروع السلام الذي عرضه الرئيس **المسادات** على الرأي العام العالي والقائم أساساً على أن الانسحاب الكامل أساس أي عمل سياسي .

● الحادثات التي دارت بين الرئيس **المسادات** واليكسي كوسيجين خلال زيارته للتاهرة .

● التأكيدات التي تلقاها الرئيس **المسادات** من ل. بريجنيف في رسالة خاصة تلقاها يوم ٢١ / ١٠ .

● الاتصالات مع عدد من المواقف العربية المهمة مباشرة بالمعركة . وكان الرئيس **أنشور المسادات** قد أعلن [أمام مجلس الشعب] في اليوم الثاني عشر لبدا القتال ، مشروعاً للسلام من خمس نقاط :

١ - الالتزام بقرارات الأمم المتحدة : الجمعية العامة ومجلس الأمن .
٢ - الاستعداد لقبول وقف إطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضي المحتلة فوراً وتحت إشراف دولي إلى خطوط ما قبل يونيو سنة ١٩٦٧ .

٣ - الاستعداد فور انتهاء الانسحاب ، لحضور مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة لوضع قواعد وضوابط مسلمات المنطقة ، تقوم على الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

٤ - الاستعداد للبدء فوراً في تطهير قناة السويس وفتحها أمام الملاحة العالمية لكي تعود إلى دورها في رخاء العالم .

٥ - رفض قبول وعود مبهمات أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير .
وكان الرئيس قد حدد في أول خطاب له بعد بدء القتال ، بأن للحرب هدفين : استعادة أراضينا المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وإيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . وأدان الرئيس في خطابه موقف الولايات المتحدة الأمريكية التي لم يكن لها أن مسلحتها هو الذي يكن اسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل السلمي في أزمة الشرق الأوسط ، فإذا هي - بيننا نحن مقاتل العدوان وتحاول إزاحة كايوسه عن أراضينا المحتلة - تسارع إلى العدوان تعوضه عما خسر وتزوده بما لم يكن لديه . وأعلن الرئيس ثقته وثقة الشعب في القوات المسلحة المصرية « التي ثابتت بمجزة على أساس أي مقياس عسكري يوم المسالين من أكتوبر ،

حين تكتنف من انتحام القناة واجتياح خط بارليف النخ وأتامة رؤوس جسور لها «^{١٠}

كما أكد الرئيس أن القوات المسلحة كان في استطاعتها عام ١٩٦٧ ، أن تخرب بنفس البسالة والصلاة التي تحارب بها اليوم ، لو أن قيادتها العسكرية لم تنقد أعصابها بعد ضربة الطيران التي حذر منها عبد القاصر «^{١١} . أن لو أن تلك القيادة لم تصدر بعد ذلك قرارا بالانسحاب من سيناء دون علم عبد القاصر أيضا «^{١٢}

وعبر الرئيس السادات في خطابه عن مشاعر التقدير العميق للسوريين « أشرف الإصغاء وأشجع المقاتلين » . والجيش السوري العظيم الذي يحارب معركة من أجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للرئيس حافظ الأسد .

هذا ولمور بدء القتال ، ثم اتخاذ طائفة من التدابير الضرورية لمواجهة الموقف ، من بينها «

● تأجيل بدء الدراسة بالجامعات وتعطيلها بالمدارس الإعدادية والإبتدائية ، أما المدارس الثانوية فتحولت إلى مراكز لتدريب طلبتها .

● وقف المظاهرات الرياضية وإغلاق المحلات العامة والمقاهى اعتبارا من الساعة الحادية عشرة مساء .

● تقنين صرف بعض المواد كالسكر والزيت والبنزين .

● قصر بيع اللحوم على يومين في الأسبوع .

● زيادة الضريبة التجارية مؤقتا بنسبة ١/٢ ٪ ، والإيزاد العام ١ ٪ .
ورفع أسعار السجائر والبنزين والمشروبات الكحولية ولجور السفر ، على أن تنقد الزيادة [كضريبة جهاد] .

● وقد وافق مجلس الشعب على مجموعة قوانين خاصة بفرض ضريبة الجهاد .

وهناك إجماع بين كل المراتبين الذين اتبعت لهم فرصة الحياة في مدن مصر وقراها بعد بدء القتال ، على أن تحولا هاما وعميقا قد بدأ يطبع حياة الناس وأهاليهم . وأن عبور قناة السويس وانتحام خط بارليف قد أشعل حماس المواطنين وعجز عزائهم .

واللاحظ أن كل الإجراءات الاقتصادية قد تقبلها المواطنون — رضاه ودون أى اعتراض — وتدفق الألوف من الرجال والنساء على مقار الاتحاد الاشتراكي ومراكز النقابات المهنية والعمالية والاتحادات الطلابية لتسجيل أسمائهم كمتطوعين في أنشطة المقاومة الشعبية والدفاع المدني ، وانسعت بشكل ملحوظ حركة التبرع بالمال وبالدن .

وعبرت جماهير القاهرة عن ثقتها وتأييدها للرئيس ، وللترا الذي اتخذته ليس فقط بألأ البرقيات من الهيئات والمؤسسات والأفراد ، وأنها باستقباله في طريق ذهابه لمجلس الشعب ، استقبالا وصف بأنه كانت فيه « قبة مشاعر الحب والتقدير والعرفان » .

وقد أذاعت الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي بيانا ، أكدت فيه أن المعركة « معركة الوطن كله على اختلاف جبهاته وقواه ومواقفه من العمل الوطني » . ودعمت أهالة الشباب باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، الشباب إلى التطوع للدفاع الشعبي والمدني وخدمة الجبهة العسكرية ، مؤكدة على أن الشباب يجب أن يبذل المزيد من العمل والوحدة والنضال من أجل مصر وراء قواتنا المسلحة وخلف قيادة الرئيس أنور السادات .

وتقرر تشكيل كتائب مركزية من الشباب لخدمة المعركة على المستوى المنهني لتولى مسئوليات رئيسية في مهام الخدمة المعاونة للقوات المسلحة . « وتم اختيار خمسمائة من طلاب جامعات القاهرة والجيزة لهذا الغرض . كما تم تشكيل فرق من الشباب للنزول إلى المصانع الاستهلاكية لترشيد الاستهلاك .

ووجه اتحاد طلاب الجمهورية نداء إلى الطلاب يدعوهم إلى مراكز

تساؤلات الشهر

تفريقت طلاب الجامعات لحمل السلاح والتدريب على أعمال الدفاع المدني والأسعاف والتبريض .

وفي اجتماع النقابات العمالية مع الأمين العام للاتحاد الاشتراكي ، تقرر أن يتولى العمال قيادة حملة شعبية لزيادة الانتاج في مواقع العمل ، بهدف :

● سد الفراغ والنقص في العمالة الذي ترتب على استدعاء بعض العمال للخدمة .

● زيادة الانتاج في كل موقع بمقدار ٥ ٪ على الأقل .

● القيام بحملة شعبية لتقليل الهالك والعماد ، وتوفير استخدام المواد الخام .

● ضرورة أن تتحول لجنة الانتاج في كل مصنع الى لجنة الانتاج من أجل المعركة .

وفي مؤتمر كبير عقده الصحفيون في نقابتهم ، اتخذوا عدة توصيات لا من بينها :

■ أن المعركة ضد إسرائيل في جوهرها معركة ضد قوى الامبريالية التي تصاند إسرائيل والتي حرضتها ومولت عدوانها .

● التأكيد على وحدة كل القوى الوطنية تجاه الهدف المحتل في جبهة القتال .

● الدعوة لتسليح الجماهير في المناطق المتاخمة لمواقع القتال ، وفي المناطق ذات الطبيعة الاستراتيجية والتي تضم اهدافا حيوية - لضرب واقتحام محاولات الاسرائيليين - التي لا شك سيقومون بها في العمق المعمر .

● اصدرت النقابة نشرة يومية باسم المعركة .

وعندما أعلن وقف إطلاق النار ، عبر كثير من المراقبين عن ضرورة البقطة التالية لمؤامرات العدو وتخطيطاته ، والحواء على ضرورة الاستمرار في التعبئة ، ومواصلة الاستعداد والتدريب وسد ما بدا من نقص أو قصور في بعض التواحي . . واعتبار أن ما تم حتى الآن هو الجولة الاولى .

كما ركز البعض ، على ضرورة مواصلة تنمية الحركة الجماهيرية النشطة التي بدت في صفوف العمال والطلاب والنساء . وتدعيمها واستغلال إمكاناتها الفخبة واتاحة الفرصة لباها للمشاركة أكثر فاعلية في مساعدة القوات المسلحة وحماية الجبهة الداخلية .

● العالم العربي ●

بداية عهد جديد من التضامن العربي

ما تزال تطورات الحرب وانتصارات الجيشين المصري والسوري على القوات الإسرائيلية بتير - كل يوم - ردود فعل بعيدة المدى في كافة أرجاء الوطن العربي .

وكان لتأييد عبور القوات المصرية لقناة السويس ، في السادس من شهر أكتوبر الماضي ، واقتحام خط بارليف وتدمير الحصون التي اقامها العدو الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، واشتراك القوات المصرية والسورية في الهجوم على القوات الاسرائيلية في وقت واحد وقع المفاجأة العظيمة بين الجماهير في كل البلدان العربية ، تلك المفاجأة التي عبرت بهم جميعا وفي لحظة واحدة من واقع اليأس والرجاء ، الى واقع الانتصارات والامل وثقة في المستقبل .

ولقد ظهر منذ البداية امكانيات التضامن العربي في هذه الحروب المصرية ، وخاصة من جانب الدول الوطنية والتقدمية . فقد أعلنت حكومة الجبهة الوطنية التقدمية في العراق انها تضع جميع القوات المسلحة العراقية تحت تصرف القيادة المصرية السورية ، و اعلان حالة الطوارئ في البلاد واستدعاء الاحتياطى من العسكريين والفنيين في العراق ، وقد اشاد الرئيسان انور السادات وحافظ الاسد بكفاءة وشجاعة القوات العراقية المشتركة في القتال على الجبهتين المصرية والسورية ، والاشادة بتأميم السراق لحصص امريكا وهولندا في شركة نفط البصرة . كما أعلنت الجمهورية العربية النبية بأنها تضع كل امكانياتها في خدمة المعركة ، وذكر الرئيس معمر القذافي أن ليبيا مستقومة بتحويل المعركة ومد كل من مصر وسوريا باحتياجاتها من البترول لحسين تحقيق النصر . كذلك أعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين ، أن الجزائر تنزع كل امكانياتها وطاقاتها المسلحة والمادية تحت تصرف مصر وسوريا ، وأن الجزائر أوقفت تنفيذ خطة التنمية في الداخل لحين الانتهاء من المعركة .

وتحتل الأردن وضعا خاصا في الحرب الدائرة الآن ضد اسرائيل ، واعتبارها من دول المواجهة مع اسرائيل ، ويوجد جزء كبير من اراضيها ، وهو الضفة الغربية ، تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ . ولقد أرسلت الأردن بعض القوات الخاصة للمشاركة في القتال على الجبهة السورية ، وقد أعلن الملك حسين : أن الأردن لن يتخلى أبدا عن مطلبه في استعادة اراضيها التي فقدها في حرب ١٩٦٧ ، وأن القوات الأردنية تقاتل بصلابة على الجبهة السورية ، وأن العرب سيواصلون القتال حتى يتم تحرير اراضيهم واستعادة القدس . كما تتشارك بعض البلدان العربية الأخرى مثل الكويت والمغرب والسعودية في القتال بقوات رمزية على الجبهتين المصرية والسورية .

ولقد طرح منذ بداية الحرب موضوع البترول العربي ، واتجهت أنظار الجاهية العربية الى البلدان العربية المنتجة للبترول ، حيث عقد بالكويت في ١٧ - ١٠ اجتماع وزراء الدول العربية المنتجة للبترول [١١ دولة] لبحث دور البترول في المعركة الراحنة مع العدو الاسرائيلي . وأصدر المؤتمر قرارا بخفض الدول العربية المنتجة للبترول انتاجها من البترول فوراً بنسبة ٥ في المائة ، زداده بنسبة ٥ في المائة أخرى كل شهر ، الى أن يتم جلاء اسرائيل عن الاراضى التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، على أن يطبق هذا القرار على امريكا في المقام الاول ، والدول الأوروبية الصناعية التي تسند اسرائيل . ثم هاجت كل من أبو ظبي وليبيا والسعودية والجزائر والكويت وقطر والبحرين ودبي وأعلنت بعد ذلك وقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة ، بسبب مساعداتها العسكرية لاسرائيل ، وهددت كل منها باتخاذ اجراء مماثل ضد اية دولة أخرى فساد اسرائيل في حربها العدوانية ضد العرب .

وفي الاراضى العربية المحتلة تبرزت ردود الفعل للانصارات العسكرية على العدو الاسرائيلي في حركة الجماهير العربية التي غمرتها الفرحة بقرب زوال الاحتلال الاسرائيلي ، وتشير الاتباء الى أن تسلط قوات الثورة الفلسطينية كخذ في التزايد والعنف ضد منشآت العدو وقواته المسلحة وتدمير خطوط امداداته ، وتكبيده خسائر كبيرة ، كما يتمثل أيضا في اتساع حركة العصيان المدني بين المواطنين ، وشل الاعمال التي يستفيد منها العدو ، وتواجه السلطات الاسرائيلية في الوقت الحاضر ، مقاومة من جانب العمال العرب لارغامهم بالقوة على العودة الى العمل بالصانع الاسرائيلية ، التي كانوا قد تركوها عند نشوب الحرب . . . وقد ذكر مراسل وكالة الاسوشيتدبرس في تقرير له من غزة ، أن كل الناس في غزة يستمتعون حول الوقت الى رايدو القاهرة ، وأنه منذ بداية القتال تقوم دوريات اسرائيلية في سيارات مصفحة بجولات في شوارع القطاع ، وأن

سكان غزة أصبحوا متنهين بانتصار مصر ، وانهم يتطلعون الى اليوم الذى يتم فيه تحرير اراضيهم .

ومن ناحية اخرى ناشدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السلطات الأردنية ، العمل على ادخال القوات الفلسطينية الى الأردن ، وخاصة فى منطقة الاغوار ، للقيام بواجباتها ضد العدو الصهيونى ، مما سيساهم فى الدفاع عن شرق الأردن ومساندة نضال سكان الاراضى المحتلة ، وقالت المنظمة انها تأمل ان يرتفع الجميع الى مستوى المسئولية القومية فى هذه الظروف الصعبة ، كما اعلنت المنظمة انها ستجلب الى كل الوسائل لادخال قواتها الى الضفة الغربية وبقية الاراضى المحتلة . . وقد اعربت كافة المنظمات الشعبية والقوى الوطنية والصحافة فى العالم العربى ، عن تأييدها لطلب منظمة التحرير الفلسطينية فى هذه الظروف الصعبة ، وهو الشيء الذى لم يتحقق حتى الان .

وتجدر الإشارة فى هذا الصدد الى الجهد الذى تقوم به الامانة العامة لجامعة الدول العربية فى خدمة المعركة ، فقد بعثت الامانة العامة ببرقيات الى الدول الاعضاء ، تذكهم فيها بما جاء فى معاهدة الدفاع العربى المشترك التى تنص على اعتبار العدوان على اى عضو من الدول العربية يعتبر عدوانا على جميع الدول الاعضاء . وتقوم الامانة العامة لجامعة الدول العربية باجراء اتصالات بين الحكومات العربية لاتخاذ موقف موحد ازاء سياسة امريكا الاستعمارية لتجديها السافر للحق العربى بمساندتها لاسرائيل وامدادها بالمقاتلين الامريكيين وبالسلاح والعتاد .

وقد عبرت كافة الجماهير والمنظمات الشعبية والاحزاب الوطنية والتقدمية فى البلدان العربية عن فرحتها الفائرة بانتصارات الجيشين المصرى والسورى وتحتل هذه المشاعر الحاسية الفياضية فى المظاهرات والمسيرات الشعبية وتشكيل الوفود الضخمة الى السفارات المصرية والسورية ، لمساندة وتأييد مصر وتأييدها الرئيس انور السادات ، وتقديم تمللت التطوع الى السفارات المصرية والسورية للمشاركة فى القتال ، وفى الاقبال على التبرع بالمال والدم للمساعدة فى الجهود الحربى .

وقد اصدر كل من الحزب الشيوعى اللبنانى والحزب الشيوعى السورى بياناً ، يدعون فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية والمنظمات الجماهيرية العمالية فى الوطن العربى الى حشد جميع الطاقات والامكانيات والوقوف بحزم وراء مصر وسوريا ومساندتهما بكل الوسائل .

كذلك اتخذت الاتحادات العمالية العربية قرارات هامة تتعلق بموضوع البترول العربى كسلاح فى المعركة ، وغيره من الموضوعات الخاصة بالمعركة مع اسرائيل والاستعمار الامريكى . فقد طلب اتحاد مجال الكويت ان يكونوا على اتم استعداد لتدمير جميع المنشآت البترولى ، اذا اقتضت تطورات الحرب فى الشرق الاوسط ذلك ، كما دعا الاتحاد الدول العربية المنتجة للبترول الى وقف تصدير البترول لجميع الدول التى تؤيد اسرائيل ، واعلن الاتحاد العربى لعمال البترول والتمدين والكيماويات ، ان معان البترول العربى لن يسبحوا لخلفاء اسرائيل واصدقتها بالاستفادة من تركة واحدة من بترول العرب ، وانهم لن يترددوا فى استخدام كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، وان عمال البترول العرب على استعداد تام من اجل ان يحقق البترول العربى دوره الفعال فى المعركة . وقررت نقابة عمال البترول والمناجم فى السودان مقاطعة شركات الطيران الامريكية التى تتوقف طائراتها فى الخرطوم ، وطالب الاتحاد العالم لتقنيات العمال فى المراق الاتحاد الدولى لتقنيات العمال العرب بضرب المصالح الامريكية فى الوطن العربى تنفيذاً للقرارات الاخيرة للجلس المركزى للاتحاد الدولى للعمال العرب . كما وجه الاتحاد العربى لعمال النقل تحفيزاً الى جميع اتحادات النقل الدولية ، من نقل الطيارين والخبراء العسكريين الى اميرائيل لمساعدتها فى عدوانها ضد الامة العربية .

وتولى كافة الاذاعات والصحف العربية اعتقاداً كبيراً لهذا التطور الجديد في المعركة مع العدو الاسرائيلي وقد اجمعت على الاشارة بالانتماءات العربية على جبهة السويس والجلولان ، وبمسألة القوات المصرية والسورية في تحظيم الاسطورة حول استحالة قهر القوات الاسرائيلية .

ودعت الصحف الدول العربية الى التحرك بكل قواتها وان تؤمن وصولها الى ميادين القتال بأسرع وقت لدعم القوات المصرية والسورية في مواجهة العدو المشترك اسرائيل ، وان تضع كل دولة عربية ما تملكه من امكانيات تحت تصرف المعركة ومساندة الحق العربي ، لان المعركة ليست معركة مصر او سوريا وحدهما ، وانما هي معركة الامة العربية كلها .

وركزت معظم الصحف العربية على اهمية سلاح البترول في المعركة الراهنة مع العدو الاسرائيلي والاستحار الامويكي ، وطالبت بوقف ضخ البترول وتأميم الشركات الامريكية اسوة بالعراق التي اهتمت الشركات الامريكية منذ اليوم الاول للقتال ، وقالت الصحف انه اذا كانت الظروف اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ قد حالت دون استخدام هذا السلاح فان المعركة الحالية تتطلب دفع كل امكانيات الامة العربية البترولية والمادية والبشرية لخدمتها .

ويلاحظ المراقبون في العالم العربي ان المساعدات العربية لدول المواجهة مازالت حتى الان دون الحجم المطلوب من الدعم المادي في المعركة المصيرية الراهنة ، خاصة وان دول المواجهة العسكرية يتبع على كاهلها العبء الرئيسي في هذه المعركة ، مما يشكل ضغطاً هائلاً على مواردها واقتصادياتها ، كما ان العرب في حاجة اكثر الى توحيد صفوفهم ، واتخاذ موقف موحد حتى تحقق المعركة النتائج المطلوبة . وقد ذكرت صحيفة الاهرام القاهرية « ان التضامن العربي لا يجوز ان يظل في هذه اللحظات المصرية مقصوراً على « مساهمات رمزية » حتى لو شملت المساهمات في المشاركة العسكرية بل تنتظر الشعوب العربية جميعها ان تتحمل جميع الدول العربية اعباء المواجهة بصورة متكافئة . وان توجهه ضرباتها الى المواقع التي توجع العدو ، وترد تحدي امريكا الصارخ للامة العربية قاطبة باعلائها رسماً لتدخل بالاسلحة ، وليست الاضرار التي يمكن الحثاقتها بالعدو مقصورة على ساحة القتال وحدها ، وان مستقبل خريطة المنطقة يقرر في هذه الايام ، ولا يملك مسئول واحد الامتلات من احكام التاريخ في لحظات المصير » .

وقف اطلاق النار : بداية مرحلة دقيقة

اعلن الرئيس انور السادات في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر الماضي موافقة جمهورية مصر العربية على قرار مجلس الامن الذي يقضي بوقف اطلاق النار في الشرق الاوسط ، بشرط ان توافق عليه اسرائيل ، وذلك بعد حرب شرسة استمرت ١٧ يوماً . استطاعت خلالها القوات المسلحة المصرية والسورية من خلال جهد بطولي ان تكسر الجلود الذي احاط بقضية الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة ، وان ترغم اسرائيل على تغيير موقفها وقبول تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وكان مجلس الامن قد اقترح لجزر يوم ٢٢ اكتوبر على مشروع قرار مشترك مقدم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ويدعو القرار الى وقف القتال في الشرق الاوسط مع احتفاظ القوات المتحاربة على الجبهتين المصرية والسورية بمواقعها ، وقد تمت الموافقة على القرار بأغلبية ١٤ صوتاً وامتناع الصين الشعبية عن التصويت .

ويتضمن مشروع القرار الأمريكي الصوفي ثلاثة بنود أساسية هي كما يلي :

- ١ - يدعو كل الأطراف المشتركة في القتال لوقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكري فوراً في فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة منذ لحظة الموافقة على هذا القرار . وفي المواقع التي يحتلونها الآن .
- ٢ - يدعو الأطراف المعنية لأن تبدأ فوراً بعد وقف إطلاق النار في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل بنوده [والمعروف أن قرار مجلس الأمن ينص على انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي العربية التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧] .
- ٣ - يقرر أن تبدأ فوراً وفي نفس الوقت مع وقف إطلاق النار المحادثات بين الأطراف المعنية تحت الإشراف المناسب بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط .

وكانت إسرائيل هي أول من أعلنت موافقتها على المشروع الأمريكي الصوفي ، فور الاقتراع عليه في مجلس الأمن وذلك شريطة أن توافق الدول العربية عليه . وطالب يوسف تكواه مندوب إسرائيل بأن يطبق وقف إطلاق النار على كل المعارك ضد إسرائيل ، بما في ذلك الأعمال العدائية للمقاومة الفلسطينية ، وإنهاء الحصار المفروض على الممر المائي الدولي - باب المندب - الذي تفرضه جمهورية اليمن الديمقراطية ضد إسرائيل . وقد استقبلت الجماهير في مصر قرار وقف إطلاق النار بفرح من العذو والفرح ، في انتظار ما تسفر عنه التطورات القادمة ، ويشعور من الثقة بالقيادة الوطنية للرئيس أنور السادات وبإعتزاز بقوانينها المسلحة .

وحتى ساعة أعداد هذا التقرير ، لم تكن سوريا قد أعلنت من مرتفعات من قرار مجلس الأمن وقبول وقف إطلاق النار ، كما أعلنت كل من العراق وليبيا والجزائر والمقاومة الفلسطينية أنها ترفض وقف إطلاق النار .

ويلاحظ المراقبون أن قبول مصر لقرار مجلس الأمن ينسجم إلى حد كبير ، مع مشروع السلام الذي طرحه الرئيس أنور السادات في رسالته التي وجهها إلى الرئيس الأمريكي نيكسون في خطابه بتاريخ ١٦/١٠ ، والذي جعل من الانسحاب الكامل أساساً لأي عمل سياسي .

والمعروف أن **الكسي كوسيجين** رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، كان قد عقد مع **الرئيس السادات** خمس جلسات عمل مشترك بالتاهرة ، في الفترة ما بين ١٦ - ١٩ أكتوبر ، وتتعلق بأزمة الشرق الأوسط .

كذلك جرت في موسكو اجتماعات بين **ليونيد بويجينيف** سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي ، وبين **هنري كيسنجر** وزير خارجية الولايات المتحدة واستغرقت مدة يومين وتم فيها التوصل إلى مشروع القرار المشترك .

ويرى المراقبون أن البدء الفعلي لتطبيق قرار مجلس الأمن ، سوف يفتح مرحلة جديدة تماماً في صراع الشرق الأوسط على المستويات السياسية والدبلوماسية لا تقل عنفاً من مرحلة القتال . ويضيف المراقبون أن نتائج أية مفاوضات لتنفيذ قرار مجلس الأمن متوقعة بالحفاظ على مسالة الجبهات الداخلية والقيام بكل جهد ممكن للحفاظ على وحدة العمل العربي ، هذه الوحدة التي بدأت أيام القتال بداية مبشرة .

المنظمات الديمقراطية العالمية تدبّن إسرائيل

فور أن تناقلت وكالات الأنباء العالمية بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ خبر اندلاع حرب التحرير الوطني المصرية - السورية - ضد الاحتلال الإسرائيلي نشطت كل القوى والمنظمات التقدمية والديمقراطية والمحبة للسلام في أنحاء كثيرة من العالم تعبئة قواها الجماهيرية مادياً

ومفويًا لنصرة الحق العربي وتأكيد شرعية الإجراءات المصرية السورية لردع العدوان وتحرير الأرض المسلحة .

وقد أدركت هذه القوى والمنظمات الشعبية أنه بعد نحو ست سنوات ونصف من المحاولات المفلتة والدموية التي بذلتها البلدان العربية لحمل إسرائيل سلبًا على الإصباح للشرعية الدولية فلم يعد هناك من سبيل لردع المعتدى سوى إجباره بالقوة المسلحة على تنفيذ إرادة المجتمع الدولي بالانسحاب من الأرض العربية التي احتلها عام ١٩٦٧ واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

ومن اللحظة الأولى لاتداع حربنا التحريرية العظيمة نشطت المنظمات الجهادية المصرية بدورها لتؤكد للعالم الثناء الإرادة العربية — سلبًا وحربًا — مع إرادة مجتمع الدول ومبادئه وطموحاته من أجل سلام عادل للبشرية جمعاء . ولقد كانت الاستجابة السريعة التي أبدتها المنظمات التقدمية العالمية نتاج طبيعي للعلاقات الوثيقة التي استطاعت منظماتنا العادلة أن تبنيها معها عبر النضال الطويل المشترك من أجل القضايا العادلة لكل الشعوب الكافحة .

ونقلت الأنباء أن رئاسة المجلس العالي للسلام قد بادرت بمقابلة اجتماع طارئ في موسكو للبحث في الوسائل الفعالة لمساندة حرب التحرير العربية حتى تصل إلى تحقيق أهدافها العادلة . وقد وجه الرئيس أنور السادات رسالة إلى هذا الاجتماع قال فيها « نحن نخوض حرب تحرير من أجل إقرار سلام عادل وأن الهدف الموضوع أمام قوات مصر هو تحرير الأرض العربية من الاحتلال الإسرائيلي » وقال الرئيس « لقد بذلت مصر كل ما تستطيع من أجل تحقيق سلام عادل وصبرت طويلًا أملًا في تسوية سلمية تقرر السلام وتعيد الحق إلى أصحابه . لكن إسرائيل رفضت كل هذه المحاولات مدعومة في ذلك من الولايات المتحدة » وحدد الرئيس مطلبًا بأنه « يجب أن يتم انسحاب إسرائيل انسحابًا كاملاً من كل الأراضي التي احتلت عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ ، مع احترام وضممان الحقوق القومية الشرورية للشعب العربي الفلسطيني » وأكد الرئيس في ختام رسالته « إن معركتنا هي في نفس الوقت معركة كل القوى الداعية للدفاع عن السلام العالي والقانون الدولي وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، ونحن على ثقة من التأييد الجماهيري لكل هذه القوى » ومن المجلس المصري للسلام أرسل السيد / خالد محيي الدين السكرتير العام للمجلس وعضو رئاسة المجلس العالي برقية قال في بدايتها «اعتذر عن مشاركتكم في هذا الاجتماع يعوقني عن ذلك عدوان إسرائيل جديد على أرض بلادي » وقال خالد محيي الدين « إن مصر تحرر الآن أرضًا مصرية لا يشك أحد في مصيرها » وأكد وجهة نظر المجلس المصري في « أن أي وقف لأطلاق النار يجب أن يكون مصحوبًا بالانسحاب الإسرائيلي الكامل من كل الأراضي العربية التي احتلت عقب عدوان ١٩٦٧ مع الاحترام الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني » وقال في ختام برقيته « نحن نخوض حرب تحرير، نحن نحارب من أجل السلام العادل . نحن ندرك أنكم معنا ».

كذلك فقد أصدرت المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية الديمقراطية العالمية بيانات عبرت فيها عن التأييد المطلق للعرب في حريهم من أجل تحرير الأرض المحتلة والحفاظ على حقوق شعب فلسطين وقرر الاتحاد العام لعلماء مصر إيفاد مندوبين لعضو المؤتمرات العمالية العالمية التي تعقد في هذه المرحلة لشرح وجهة النظر العربية في المعركة الدائرة الآن . وفي برلين عاصمة ألمانيا الديمقراطية اجتمع اتحاد النساء الديمقراطي العالي وأصدر بيانًا ندد فيه بالعدوان الإسرائيلي وقصفت المذنبين في سوريا ومصر وأعلن عن تضامنه مع الحقوق العربية المشروعة وفي جنيف أصدر المؤتمر البرلماني الدولي الذي حضرته وفود من ٧٠ دولة قرارًا بشجب العدوان والدعوة إلى السلام الدائم والعادل في المنطقة

حشد نقابيين الشهر بسبب

وكان قد حضر هذا المؤتمر وفد برلماني مصري برئاسة الدكتور جمال العليفي وكيل مجلس الشعب عقب البيان التاريخي الذي ألقاه الرئيس أنور السادات أمام المجلس في ١٦ أكتوبر .

وقد تلقت منظمة الشباب الاشتراكي سيلا من برقيات التضامن من مختلف المنظمات الشبابية التقدمية في جميع أنحاء العالم وكانت المنظمة قد بادرت بإرسال نداء إلى هذه المنظمات تدعوها فيه إلى مساندة مصر من أجل رد العدوان ، وفي برقية التأييد التي بعثت بها اللجنة المركزية لمصبة الشباب الشيوعي (الكومسومول) ، ولجنة منظمات الشباب بالاتحاد السوفيتي أعلن الشباب الشيوعي وكل الشباب السوفييتي ثقته في « أن الشعوب العربية سوف تنهض في مصراعها ضد العدوان الإسرائيلي الاجرامى وسوف تحقق حريتها واستقلالها » كما أعلن اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي باسم جميع المنظمات الشبابية الداخلة في عضويته أدانة إسرائيل وعزمه على القيام بحملة تضامن واسعة النطاق لصالح الشعوب العربية المناهضة من أجل الحرية . كذلك فقد أرسل اتحاد الطلاب المصري قد أصدر عقب العدوان الإسرائيلي بيانا دها فيه كل القوى الديمقراطية العالمي الذي يضم ١٠٥ من المنظمات الطلابية برقية إلى الاتحاد العام لطلاب جمهورية مصر العربية أعلن فيها ان ملايين الطلاب في جميع أنحاء العالم يدينون بقوة العدوان الإسرائيلي الأخير ، ويؤيدون بالكامل النضال العربي من أجل تحرير كل الأراضي المحتلة واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني وحق تقرير مصيره في أرضه وكان اتحاد الطلاب المصري قد أصدر عقب العدوان الإسرائيلي بيانا دها فيه كل القوى الشعبية والطلابية الشريفة في العالم للوقوف ضد هذا العدوان وفضحه وإدانته . وإذا كان من الواضح أن إسرائيل قد استغفرت ضد نفسها وبسياساتها الخرقاء كل القوى الديمقراطية والمحبة للسلام فمن الواضح أيضا أن حرب التحرير العربية تكتسب كل يوم المزيد من الإصداق والسماندين في مختلف أنحاء العالم وتبقى القوى والدوائر الإمبريالية وحدها وفي عزلة عن الجميع هي الظهير المتفطرس لسلطان إسرائيل .

المؤتمر النقابي العالمي الثامن

من ١٥ إلى ٢٢ أكتوبر ، انعقد في « فارنا » ببلغاريا المؤتمر النقابي العالمي الثامن ، للاتحاد العالمي للنقابات ، وشهد المؤتمر ممثلون لأكثر من ١٢٠ مليون عامل نقابي منظمين في اتحادات نقابية عضو بالاتحاد العالمي للنقابات . كما شهد المؤتمر ممثلون لاتحادات نقابية دولية وإقليمية عديدة — الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، المؤتمر الدائم لعمل أمريكا اللاتينية ، اتحاد نقابات جميع أفريقيا — ومشرات من الانحدادات والمنظمات النقابية المستقلة .

وانعقد المؤتمر تحت شعار : « الوحدة والتضامن من أجل مستقبل مزدهر من التقدم والحرية والسلام » .

وقد ناقش المؤتمر ، الوضع الدولي الذي تتطور فيه النقابات ، وأزمة العالم الرأسمالي وأزدياد عمقها ، وتقدم البلاد الاشتراكية ، ودور النقابات ، والتحدى الذي يواجهه العصر — التخلف — والوحدة لمواجهة المشاكل المعقدة ، ووضع الاتحاد العالمي للنقابات في واقع المسالمة المعاصر . كما ناقش المؤتمر ميثاق حقوق النقابات والمطالب الاقتصادية والاجتماعية لعمل البلاد الرأسمالية في المرحلة الحالية .

أولا :

- حق تكوين النقابات والانضمام للمنظمات النقابية والاشتراك في جميع النشاطات النقابية .

بين تقارير التفتيش

- حق النشاط النقابي في كافة مواقع العمل .
- حق الاضراب ومنع وتحريم اغلاق المصانع .
- حق توزيع الطبوعات والدعاية النقابية .
- حق العمل في انتخاب قياداتهم بحرية .
- حق الاجتماع في مواقع العمل .
- حق القيام بنشاطات نقابية دولية .

ثانياً - حق العمل :

- الاعتراف بحق العمل في الدساتير والقوانين القومية .
- تحديد وتطبيق سياسة اقتصادية واجتماعية تكفل الاستخدام الرشيد للموارد المادية والبشرية .
- الحماية الاجتماعية لكل شخص يبحث عن العمل ، بمنحه ائانة بطالة تكفل له ولاسرته ظروف حياة مناسبة .
- اعادة التأهيل المهني للعمال والحاقتهم بوظائف جديدة على اساس تأهيل معادل ، وذلك في حالة ادخال تغييرات تكتيكية في الانتاج .

ثالثاً - من الاجور والدخول :

- الحق في اجر مضمون يكفل للعمال واسرته عيشة ملائمة وميسورة .
- الحق في حد ادنى للاجور مضمون محدد على النطاق القومي .
- حد ادنى من الدخل السنوي للعمال واسرته ، بغض النظر عن امراض وحوادث العمل والابراض المهنية والشيخوخة والوضع الاقتصادي .
- ضمان الحفاظ على اطراد القوة الشرائية لكافة دخول العمال .
- انقاص فترة العمل دون تخفيض الاجور .
- وضع نظام ديمقراطي للضرائب يكتل اعادة توزيع الدخل في المجتمع .
- الاعفاء من كل الضرائب بالنسبة للحد الأدنى المضمون لدخل العمال المستقلين او المتقاعدين ، الى جانب حقوق الضمان الاجتماعي والتسهيلات الاجتماعية ، والترفيه والثقافة .

رابعاً - القضاء على التخلف :

- اصلاحات زراعية تقضي على كافة اشكال ومخلفات الملكية الاستعمارية والقطاعية والعقارية ، وتضمن الارض لمن يفلحونها .
- تصنيع يتجه نحو توسيع السوق الداخلية ورفع مستوى معيشة السكان .
- انشاء وتطوير قطاع الدولة الصناعي ، والقضاء على الاحتكارات الخاصة .
- توفير ظروف المساواة في التجارة مع البلدان الرأسمالية المتطورة ، واستقرار اسعار صادرات البلاد المختلفة ، مع القضاء على التكتلات المختلفة ، وتحويل التفتحات العسكرية ونقلات التسلح الى اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- السيادة القومية لكل بلد على موارده الطبيعية ، وحق السيادة للبلدان المختلفة في ان تراقب امستقلال رؤوس الاموال الاجنبية وفق الاحتياجات القومية للتنمية فيها ، وان تؤم المبروعات المملوكة لرأس المال الاجنبي .

وتضمن البرنامج العديد من الواجبات والمطالب النضالية المتعلقة بالنضال ضد الاحتكارات الدولية والشركات متعددة الجنسيات ، والنضال من اجل علاقات اقتصادية وتجارية وتخدم مصالح العمال والشعوب ، وعن ظروف العمل وحماية الصحة ، وتخفيف اعباء العمل ، وتخفيض مسامات العمل ، وعن ارساء الديمقراطية في التعليم والتأهيل المهني ، وعن حقوق المرأة العاملة ، والشباب العامل ، والعمال المهاجرين ، والمهتمسون والكوادر والفنيون ، وتحقيق الديمقراطية الاقتصادية والسياسية .

وكان من اهم الموضوعات التي طرحت على المؤتمر ، وناقشها ممثلو الحركة النقابية العالمية ، قضية الشرق الاوسط ، والتضامن مع العمال

٣٠ تقارير: التشنج

والشعوب العربية في تضالها ضد العدوان الامبريالي الصهيوني على البلدان العربية .

وفي هذا المجال قال الكسندر شيبيلين رئيس المجلس المركزي للثقافات السوفيتية : « أن شعب الاتحاد السوفيتي والثقافات السوفيتية ، بمقترون أن نضال العرب من أجل انهاء الاحتلال الاسرائيلي لبلادهم حق طبيعي ، لهم ، وباعتبار الشعب السوفيتي والثقافات السوفيتية اصدقاء موثوق بهم للشعوب العربية ، فانهم يطالبون باصرار بضرورة الانسحاب الكامل غير المشروط للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة ، وضرورة ضمان حقوق شعوب كل المنطقة - بما فيهم حق الشعب العربي الفلسطيني . وقال : ان اسرائيل قد قامت باستفزات واعمال ارهابية ضد العرب ، وان سياسة اسرائيل المخافرة والعدوانية والدعوية من القوى الرجعية الامبريالية والصهيونية العالمية هي المسئولة عن التوتر الحالي » .

وركز سكرتير الاتحاد العام للثقافات الفلسطينية ، في خطابه امام المؤتمر على النضال الذي تشنه الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي من أجل سلام دائم في الشرق الاوسط . وكما أشار في خطابه الى اهمية المساعدات الاخوية غير المشروطة التي تقدمها البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، من أجل انتصار حقوق الشعوب العربية .

وجاء في القرار الصادر عن المؤتمر حول سياسة اسرائيل العدوانية في الشرق الاوسط « ان المؤتمر ينعقد في وقت يعود فيه اندلاع نيران الحرب من جديد في المنطقة . وقد عبر الاتحاد العالمي للثقافات عن تضامنه مع الشعوب العربية . وادان المenden الاسرائيليين الذين يشنون الغارات الهجومية على الاهداف المدنية ، والذين يواصلون احتلال الاراضي العربية متحدين جميع القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة » . . . وطلب المؤتمر بوقف العدوان على القور وانسحاب جميع القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية . وكما أعلن المؤتمر : ان السلام لا يمكن ان يعود الى المنطقة الا على اساس الاعتراف بالحقوق الشرعية لدول العربية والشعوب التي يعيش فيها ، بما في ذلك الشعب العربي الفلسطيني .

وقد بحث المؤتمر في هذا الصدد دعوة الجماهير العمالية والنظيمات النقابية في مختلف أنحاء العالم لرفع صوت التضامن مع العمال والنقابيين والشعوب في البلدان العربية والذين يقع عليهم العدوان ، وجاء في القرار ان المؤتمر ينادي بضرورة القيام بجهود موحدة من جانب الحركة النقابية من أجل تحقيق سلام دائم وثابت في الشرق الاوسط في اقرب وقت ممكن .

وقد قال بير جنسوس السكرتير العام للاتحاد العالمي للثقافات في خطابه المختار : ان الاتحاد العالمي للثقافات يبذل نشاطا خاصا في دعم نضال الشعوب . وهو اليوم يركز أولا في توجيه نشاطه وعونه الى شعوب البلدان العربية التي تناضل ضد العدوان الاسرائيلي ، الى شعوب الهند الصينية التي تناضل من أجل التصفية النهائية للعدوان وآثاره ، ومن أجل بناء ووحدة بلادهم ، وإلى كل الشعوب المناهضة ضد قهر الاستعمار الحديث والامبريالية والفاشية .

● العالم الثالث ●

على مشارف تطورات حاسمة

عندما بدا القتال لتحرير الاراضي العربية المحتلة % في ٦ اكتوبر الماضي % لم تكن صورة اسرائيل في العالم عامة ، وفي العالم الثالث خاصة هي صورة « الحبل الوديع » الحاط « بذيئ » عربية ، كما حاولت اسرائيل أن تصور نفسها اثناء حربها العدوانية في يونيو ١٩٦٧ ، وانما ظهرت اسرائيل هذه

المرّة على حقيقتها ، كقوة عدوانية تريد قرصن احتلالها غير المشروع لاراضي الغير بالقوة المسلحة . وكان لذلك التصور اثره الكبير في المساعدة التي حظلت بها الجبهة العربية في معركتها .

في الهند وجهت « أنديرا غاندي » رئيسة الوزراء اللوم الى اسرائيل وحملتها مسؤولية اندلاع القتال . وقال بيان أصدرته وزارة الخارجية الهندية ان عناد اسرائيل ورفضها اخلاء الاراضي المحتلة هو السبب الرئيسي في نشوب الاشتباكات . كذلك اعلن عمال الموانئ في بومباي مخططة السفن الاسرائيلية او التي تحمل بضائع من وإلى اسرائيل .

وفي بنجلاديش ندد الشيخ مجيب الرحمن رئيس وزرائها بالعدوان واكد للرئيسين السادات والاسد ، تأييد بنجلاديش وتدعيمها بالعدوان الاسرائيلي . واعلنت الصين الشعبية ان الحكومة والشعب الصيني يفتان جنبا الى جنب مع الشعب العربي والفلسطيني في نضاله العادل ضد العدوان الاسرائيلي . واكدت الصين تأييدها الحازم لمصر وسوريا ولبنان . واعلن شواين لاي ان الصين تؤيد باستمرار الشعبين المصري والسوري والشعب الفلسطيني وكل الشعوب العربية ، في نضالها العادل ضد العدوان الاسرائيلي . كذلك قررت الصين تقديم معونة قدرها عشرة ملايين دولار ومائة ألف طن قمح الى مصر .

وفي اوغندا هدد الرئيس عبيدي امين بقطع علاقات اوغندا الدبلوماسية مع امريكا وطرد جميع الرعايا الامريكيين اذا تدخلت امريكا في القتال في الشرق الاوسط . وتقدم الالف من الطوعيين طالبين المشاركة في الحرب ضد اسرائيل .

كذلك اسد رؤساء وفود الدول غير المتحاذة في الامم المتحدة ببيان طالبا فيه بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة ، كشرط مسبق لاي حل لازمة الشرق الاوسط . وامرؤوا من تأييدهم الكامل لمصر وسوريا في كفاحهما العادل ، وجهودهما البطولية لتحرير ارضيهما المحتلة . ودعا مندوب كينيا في الجمعية العامة الى مبادرة افريقية جديدة لحصل الازمة على اساس وقف القتال وانسحاب اسرائيل فورا من كل الاراضي العربية المحتلة .

كما ندد عزيز احمّد وزير خنارجية باكستان باسرائيل وادّعى ان لدى العرب كل البررات السياسية والاخلاقية لاتخاذ اى خطوات لاستعادة اراضيهم ، واعلن رئيس وزراء باكستان انها ستقوم بمساعدة العرب باكثر من مجرد التأييد السياسي .

كذلك قررت حكومة الصومال ان تقدم الى مصر وسوريا جميع انتاجها من اللحوم والاسماك المحفوظة والمواشي الحية ، وقررت تقديم مليون حبة من الحبوب المحفوظة بصفة عاجلة هدية للشعبين المصري والسوري وتأييدا لهما في كفاحهما النابلس ضد العدوان الصهيوني واكدت الصومال انها تضع كل مواردها وبلا حدود تحت تصرف جمهورية مصر العربية وخاصة كل مواردها من اللحم والسمك والفواكه .

واشترك ممثلو ٧٦ دولة اسلامية من افريقيا وآسيا وبعض دول اوربا وامريكا اللاتينية في ارسال برقيات الى رؤساء الاحزاب الاسلامية ، وزعماء العالم الاسلامي والجمعيات ، والهيئات الاسلامية في جميع انحاء العالم يشرحون فيها موقف مصر البطولي في رد العدوان الاسرائيلي ، والانتصارات التي حقنها الجيش المصري والسوري .

وفي ماليزيا قامت المظاهرات الطلابية مطالبة باغلاق سفارة ماليزيا في لبريكا ، واغلاق مركز « لينكولن » الثنائي ، واعلنوا انهم سيواصلون التظاهر حتى تتوقف امريكا عن مساعدة اسرائيل .

كذلك اعلن المجلس الوطني لاتحاد عمال موريتانيا التبرع باجر يوم مساعدة لمصر وسوريا في نضالهما ضد العدوان ، فضلا عن تضامن موريتانيا هامة مع التضامن العربي ضد اسرائيل .

تساير التهن

وفي القاهرة قام **السنغراء الافريقيون جميعا** [٢٥ سفيرا] بتسليم بيسان الى وزير خارجية مصر بالنيلية ، ايدوا فيه موقف مصر السليم ، وادانوا فيه اسرائيل لمواقفها غير الانسانية او الوحشية .

كما اعلنت **اندونيسيا** انها مستبذلة كل ما في وسعها لمساعدة العرب ضد اسرائيل — واكد **آدم مالك** وزير خارجيتها ان الحكومة الاندونيسية سستقدم المعون والتأييد للسدول العربية التي تخوض نضالا عادلا ضد المعتدين الاسرائيليين .

وفي **مالطة** اعلن متحدث رسمي ان حكومة مالطة توافق على مقترحات السلام التي تقدمها الرئيس ثور السادات .

اما **تاينانيا** فقد قطعت علاقاتها باسرائيل احتلجا على عدوانها على الاراضي العربية . واتخذت كل من **الكامبيرون** و**فولغا العليا** و**تشسباد** موقفا مماثلا .

وفي **ماتيليا بالفيولين** تبرع المسلمون بدماهم لجرى العرب على الجيبين المصرية والسورية واعلنوا تأييدهم للدول العربية ضد العدوان الاسرائيلي . وفي **اثيروبيا** ، اعلن الامبراطور **هيلاسيلاسي** انه لن يمكن تحقيق السلام والاستقرار في الشرق الاوسط ، دون انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها بالقوة في عام ١٩٦٧ واتخذ بمعد ذلك قرار بتقطع العلاقات مع اسرائيل .

وعلى هذا النحو نجد في آسيا ، اجماع معظم دول هذه القارة وخاصة دولها الكبرى من الصين الشعبية الى الهند وبنجلاديش وباكستان وغيرها الى جانب القضية العربية في تحرير الاراضي المحتلة . ولكن الامر الملاحظ في آسيا ان معظم هذه الدول الكبرى ، وخاصة الصين والهند كانت تقف في ١٩٦٧ في صف الشعوب العربية . ولكن التغيرات الكبرى التي طرأت حقا في العالم الثالث ، هي التغيرات التي حدثت في موقف الدول **افريقية**، فبينما كانت مواقف عدد كبير من الدول الافريقية في عدوان ١٩٦٧ تتراوح ما بين تأييد اسرائيل والتعاطف مع او على اكثر تقدير الامتناع من التصويت على القرارات التي تقدم الموقف العربي ، وعدد قليل منها هو الذي تعاطف مع البلاد العربية ، نجد ان الموقف الحالي قد تغير تغيرا كبيرا في داخل هذه القارة لصالح مصر والدول العربية . وبلغ عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها باسرائيل مؤخرا ٢٢ دولة حتى الآن .

وربما تكون تلك التحولات السريعة ضد اسرائيل في القارة الافريقية هي أبرز التحولات في بلدان العالم الثالث ، في ظروف الحرب الراهية ، بالنظر الى أهمية القارة الافريقية بالنسبة للشرق الاوسط وقربها من مواطن النزاع . ولهذا التحول أهميته الكبرى بالنسبة للمخططات الاسرائيلية لانه يعني فشل التكتيك الذي كانت اسرائيل تستهدف من ورائه خلق **مؤخرة افريقية معادية للعرب** ، والعمل لاكتساب تأييد مندوبي افريقيا في الأمم المتحدة ، وتصميم منظمة الوحدة الافريقية ، وعزل الانظمة التقدمية في القارة الافريقية او القضاء عليها .

وهذا التدهور لوضع اسرائيل في افريقيا ، هو الذي حدا بالاسرائيليين لخيرا الى عقد اجتماع لسفرائهم في افريقيا لحالة وقف هذا التدهور ، دون أن يسفر ذلك عن أي نتائج ايجابية بالنسبة لهم .

على ان هذا التدهور في وضع اسرائيل في افريقيا ، لم يتبع لحسب من استنكار الشعوب والدول الافريقية لدورها العدواني المتزايد ضد الشعوب والدول العربية ، وانما تبع ايضا من اكتشاف **الافريقيين المتزايد لحقيقة الدور الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا** . وخاصة ادراك الزعماء الافريقيين والشعوب الافريقية لدورها في تدبير المؤامرة الاخيرة على **غينيا** ، وموقعها الى جانب حركة الانفصاليين في **بيافوا** ، والنشاط التخريبي الذي قام به الخبراء الاسرائيليون ضد الحكم القائم في **أوغندا** ، والمساعدات التي تقدمها اسرائيل للمعسكر الخزي في **بوروندي** ، والذي كان سببا في قطع العلاقات معها .

كذلك انكشفت اخيرا الاكاذيب التي كانت تروجها الدعايات الاسرائيلية ، والاساطير التي تشيعها بين الافريقيين عن المساعدات العملية الفعالة التي تقدمها الدول الافريقية عندما علم ان حصة اسرائيل في كل ما تناله افريقيا من مساعدات من دول العالم لا يشكل في واقع الامر سوى ٥٠٠ و٠٠٠ ويزيد من اهمية الامر الاسرائيلي في افريقيا بالنسبة لنا ان الاسرائيليين كانوا يولون اهمية جبر هناك بتشكيل منظمات شبه عسكرية للتشعب في الدول الافريقية . وكان الخبراء الاسرائيليون يسعون الى ان يشيعوا بين انباء الجبل القاتئ في افريقيا ، روح القتل والبغضاء تجاه الشعوب العربية والاجزاب والحركات التقدمية . كما كانوا يعملون بشكل رئيسي من اجل التسلل في صفوف قوات الجيش ، والبوليس ، واجهزة الامن الداخلي ، والقبائل .

ان اعمال اسرائيل العدوانية ، هي التي كشفت عن وجهها الحقيقي في افريقيا . فقد اجمع الرأي العام في معظم الدول الافريقية على استنكار اعمال اسرائيل الارهابية المشينة منذ حادث اسقاط طائرة الركاب الليبية ، حتى اغتيال زعماء حركة المقاومة الفلسطينية في بيروت . وقد زاد من حدة ذلك الاستنكار ، ما يعرفه الافريقيون عن مساهمة الاسرائيليين في وضع خطط حملات التنكيل ضد احرار غينيا - بيساو ، وانجولا وموزمبيق ، وايضا خبراتهم ، وتقديم اسلحتهم الى الاستعماريين البرتغاليين والفنصريين في جنوب افريقيا وروديسيا .

ولقد أعلنت منظمة الوحدة الافريقية اخيرا ، ان الدول الافريقية سوف تتخذ اجراءات سياسية واقتصادية مشتركة ضد اسرائيل ، اذا اصررت على استمرار احتلالها للأراضي العربية .

وهكذا نجد ان اعمال اسرائيل العدوانية الاجرامية ضد الشعوب العربية والافريقية ، قد كشفت حقيقتها امام الشعوب والدول الافريقية ، وهذه الاعمال والجرائم تدفع الشعوب الافريقية اكثر فاكثرا نحو العمل الموحد مع الشعوب العربية للتصدي معا في وجه المعتدين ، وان تلك الظاهرة تعتبر دون شك من المعالم الايجابية البارزة في العالم الثالث بتأييد ودعمها لنضال الشعوب العربية .

● الدول الاشتراكية ●

مساندة تامة على كل المستويات

يجمع المراقبون السياسيون على ان مواقف الدول الاشتراكية من «عسرب التحرير» التي خاضتها القوات المصرية والمسورية تظهر يوم ٦ أكتوبر ، ردا على «العدوان الاسرائيلي» ، قد تحددت في اطار نقاط اربعة هي :

- ان اسرائيل تتحمل مسئولية «بدء العمليات الحربية» في ٦ أكتوبر ، بسبب السياسة العدوانية الاسرائيلية التي رفضت طوال السنوات الماضية تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ .
- ان الحزب الى يخوضها المصريون والسوريون ، هي حرب عادلة ، لانها تهدف الى تحرير الاراضي العربية المحتلة في ٥ يونيو ١٩٦٧ .
- ان الدول الاشتراكية «تقف بثلث» الى جانب الشعبين في مصر وسوريا ، وتؤيدهما «وتدعمهما في حربيهما العادلة» .

٢٢٢ - تقارير الشهر

● أنه ليس هناك حل « للقضاء على ثورة الحرب في الشرق الأوسط » ،
الأذا أعلنت إسرائيل قبولها الانسحاب من جميع الأراضي المصرية التي
احتلتها في ١٩٦٧ يونيو ولقد تمت على تنفيذ ذلك .
وقد جرى التزام الدول الاشتراكية بهذا الموقف ، سواء على مستوى
التأييد السياسي أو على مستوى الدعم المادي .

فعلى المستوى السياسي ، أذاعت وكالة تاس السوفيتية بياناً رسمياً
للحكومة السوفيتية جاء فيه « أن الاتحاد السوفيتي الأمين لسياسته الجديدة
في مساندة الشعوب الساعية إلى الحرية والاستقلال يقف بثبات صديقاً
أميناً للدول العربية . وأنه إذ يدين سياسة الاحتلال الإسرائيلية بساند بحزم
المطالب الشرعية للدول العربية حول تحرير جميع الأراضي العربية التي
احتلتها إسرائيل » ، ويضحي بيان الحكومة السوفيتية محزناً : « وإذا بقيت
حكومة إسرائيل على مطالبتها التوسعية غير منصاعة لصوت الحكمة ،
وواصلت - كمهدداً - سياسة الاحتلال متشبثة بالأراضي العربية المحتلة
ومتجاهلة لقرارات مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة
ومتحدية الرأي العام العالمي ، فإن ذلك قد يكلف شعب إسرائيل غالياً » .

وعلى المستوى الحزبي ، أعلن ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب
الشيوعي السوفيتي : « أن ما يجري في الشرق الأوسط الآن هو معركة
بين المعتدي وهو إسرائيل وبين ضحايا العدوان وهي مصر وسوريا اللتان
تريدان تحرير أراضيهما . وأن كان مسألتنا نتجه ، بطبيعة الحال ، نحو
الجانب الذي كان ضحية للعدوان . وبالنسبة للاتحاد السوفيتي ، فقد كان
ولا يزال ، يؤيد من اقتناع السلام الصيادل والدائم في الشرق الأوسط
وضمن الأمن لكل البلدان وشعوب المنطقة التي تقع قريباً من حدودنا .
ونحن على استعداد ، مثلما كنا من قبل ، للاسهام في إقامة ذلك السلام » .

وفي كل من كوريا الديمقراطية والميتا الديمقراطية وبلغاريا ويوجوسلافيا
وفيتنام الديمقراطية ورومانيا ومنغوليا الشعبية والمجر وكوبا وبولندا
وتشييكوسلوفاكيا والصين ، أصدرت الأحزاب الشيوعية والحكومات بيانات
رسمية وبعثت برسائل إلى الرئيس شور السادات ، يعلنون فيها أدانة
إسرائيل والوقوف إلى جانب مصر وسوريا ومستفتيها .

وفي الجلسة الطارئة التي عقدها مجلس الأمن لبحث الموقف في ضوء
استئناف القتال ، بناء على طلب من أمريكا ، أعلن مندوب السوفيتي
جكوب مالك « أن الطريق إلى الخروج من الموقف الراهن ينبغي أن يبحث
عنه أولاً وقبل كل شيء في حل مسألة انسحاب القوات الإسرائيلية من
الأراضي العربية المحتلة » .

وبعد أن قامت إسرائيل بالقضاء على القتال على بعض الأهداف الخفية في
مصر وسوريا ، أذانت الدول الاشتراكية في بيانات رسمية لها « هذا العمل
الإجرامي » . ووجهاء في الإنسان الذي أذاعته وكالة تاس السوفيتية
« لا يستطيع الاتحاد السوفيتي أن يتخذ موقف اللامبالاة من الأعمال الإجرامية
التي يرتكبها العسكريون الإسرائيليون والتي كان من نتيجتها أن سقط ضحايا
بين المواطنين السوفيت في سوريا ومصر . ويطالب بوقف عاجل لتصف
الذن المسالة في سوريا ومصر . ويان تراعى إسرائيل بدقة قواعد
القانون الدولي » .

ويضيف البيان « أن استمرار إسرائيل في القيام بأعمال إجرامية ستكون
له آثار مدمرة بالنسبة لإسرائيل نفسها » .

ويجمل المراقبون السياسيون إلى الاعتقاد بأن أبرز معالم مواقف الدول
الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي يتضح بشكل قاطع في مجال أعمال
الدمم العسكرية والمادية . وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي لم يصدر
بياناً رسمياً في مجال تزويد العرب بالأسلحة ، إلا ما جاء في نشرته

أحدى الصحف السوفيتية ردا على محاولات التشكيك التي خَرَّجَتْهَا بها بعض الدوائر الإسيوية المعروفة بمدائها للسوفيت ، واشتمارت فيه الى « أن الاتحاد السوفيتي يزود الدول العربية بالسلح لمساعدتها في تحرير أراضيها التي تحتلها إسرائيل » . وأضافت : أن جهايز الشعب المصرية تربط بشكل مباشر بين زيادة المقدرة القتالية للجيش المصري والسوري وبين المساعدات العسكرية التي قدمها ولا يزال يقدمها الاتحاد السوفيتي .

ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد السوفيتي كان هدفا لحملة هجوم بركزة من واشنطن ومن الصحافة الأمريكية بسبب « استمرار الجسر الجوي في نقل الأسلحة الى مصر وسوريا أثناء العمليات الحربية » كما جاء في الصحف المصرية اليومية .

وقد ركزت وكالات الأنباء والصحف الأجنبية ، والعربية منها بشكل خاص ، على أنواع الصواريخ السوفيتية سواء المضادة للطائرات أو المضادة للدبابات ، هذه الصواريخ التي ناجت تاجت فعاليتها العالية في يد العرب دون أن يكون للاخيرة مقدرة كافية على تجنب فعاليتها العالية .

وجدير بالذكر أن قول الرئيس توفور السادات الى السفير السوفيتي في القاهرة - كما جاء في مقال محمد حسنين هيكل - « لقد عبرنا القناة بأسلحة سوفيتية » يكتب في نظر المراقبين معان بالغة الدلالة .

ومن المعروف أن معظم الدول الاشتراكية قد أرسلت الى كل من مصر وسوريا لطفانا من الادوية كما نقلت بلازما الدم والمساعدات المادية الاخرى . وتقول وكالات الأنباء أن بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا « تقوم بدعم سوريا ومصر بشكل ملحوظ لردع العدوان الاسرائيلي » .

وقد انعقدت في الدول الاشتراكية عدد كبير من المؤتمرات الجماهيرية الواسعة التي نظمتها المؤسسات الحزبية والنقابية ، ليصر فيها المواطنون في هذه البلاد من المصانع والحول عن « تفاسد التام مع شعب مصر وسوريا ، وعن « تاييدهم الكليل » لمطالبهم المشروعة في تحرير أراضيها .

أمريكا .. أوروبا الغربية .. والمعركة

تدفقت الأنباء من المواسم الغربية فور اندلاع القتال في منطقة الشرق الأوسط من جديد ، تحيل ردود فعل متباينة آراء ما يدور في المنطقة من أحداث ملتهبة . ورغم ذلك التباين لقد كان بإمكان أي مراقب أن يلمح من سيل التصريحات والبيانات والتحركات التي تجرى في هذه المواسم أن هناك اتفاق بينها في نقطتين :

النقطة الأولى : هي الشعور بال مفاجأة والدهشة الذي اصيبت به كل دول الغرب نتيجة لجراء القوات المسلحة المصرية وعبرها النجاح - بأي مقياس عسكري - لمنع قناة السويس ثم اقتحامها خط بارليف الأسطورة في مدى ساعدت قليلة من بدء القتال .

النقطة الثانية : هي الرغبة العارمة في وقف الاعمال الحربية فوراً وبأية وسيلة توجسا من الآثار السوءة التي يمكن أن يجلبها استمرار الموقف المتدهور سواء بالنسبة للسلام والامن الدوليين أو بالنسبة للمصالح الغربية في المنطقة بأسرها .

ومن جهة ثانية فإن المراقب يستطيع أن يتبين أيضا أن ردود الفعل القادمة من المواسم الغربية ، لم تحل جديدا فيما يتعلق بالمواقف المعرونة

— تقارير الشهر —

لكل دولة من دول الغرب إزاء الصراع العربي الإسرائيلي ابتداء من الموقف الأمريكي المناهض لاسرائيل وحتى الموقف الفرنسي الذي يدعو إلى تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ على أساس انسحاب إسرائيل من الأرض العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعوب المنطوقة بها فيها الشعب العربي الفلسطيني .

■ **فبالنسبة للموقف الأمريكي :** لاحظ المراقبون أن الولايات المتحدة الأمريكية قد لجأت منذ اللحظة الأولى إلى المناورة . ففي ثلثي أيام القتال قطع الرئيس الأمريكي إجازته وعاد إلى واشنطن ليصدر تعليماته إلى هنري كيسنجر بطلب عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن . وفي هذا الاجتماع طالب المندوب الأمريكي جون سكاللي الأطراف المتحاربة بوقف القتال فوراً والعودة إلى مواقعهم قبل ٦ أكتوبر وبدء جولة من المفاوضات العربية — الإسرائيلية للوصول إلى تسوية على أساس قرار مجلس الأمن الشهير وبسبب هذا الانحياز الفاضح لإسرائيل لجّل المجلس مناقشته اللازمة إلى أجل غير مسمى . وفي نفس الوقت اتكملت الولايات المتحدة جسراً جويًا وبحرياً إلى إسرائيل لاحتها من خلاله بسيل من الأسلحة والمعدات العسكرية والفنيين الذين يعملون في الخطوط الخلفية للقتال بل والطيران أيضاً كما ذكرت بعض وكالات الأنباء الغربية نفسها وذلك تمويهاً عن الضعائير الفادحة التي منيت بها في ميادين القتال . وذكرت الأنباء أنه فضلاً عن مبلغ ٨٢٥ مليون دولار تكلفتها الحكومة الأمريكية بالفعل خلال الاثني عشر يوماً الأولى من القتال ثلثا تلك الإمدادات العسكرية فإن الرئيس نيكسون قد طلب من الكونجرس اعتماد أكثر من ألفي مليون دولار لتحويل احتياجات إسرائيل من الأسلحة والمعونات الاقتصادية . وحتى حينما اضطرت الحكومة الأمريكية إلى البحث عن تسوية شاملة لازمة كشرط تقسيمته الحدود العربية لإنهاء القتال الدائر فلانها اعتبرت — كما صرح المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض — أن أية تسوية لن تكون ممكنة إلا إذا تحسن الموقف العسكري لإسرائيل بعد الضربة السكبيرة التي تلقفتها من القذائف المسلحة المصرية . أما الكونجرس الأمريكي فقد سيطرت عليه تهامة الاتجاهاة المالية لإسرائيل وخصوصاً في مجلس الشيوخ حيث دعت الأغلبية الديمقراطية الحكومة الأمريكية إلى الوقوف بحزم إلى جانب إسرائيل وعدم « كفاية العدوان المصري » على حشد تعبير السناتور الديمقراطي هنري جاكسون السدي طالب بأن تأتي أية تسوية من خلال محادثات تتم وجهاً لوجه بين أطراف النزاع . ولكن هذا لم يمنع من ظهور اتجاهاات تدعو إلى عدم تورط الولايات المتحدة مباشرة في القتال خوفاً من مأساة جديدة كحماة فيقحام وهو الاتجاه الذي عبر عنه السناتور روبرت جريغن بمساعد زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ ، كما لم يمنع من تردد آراء أكثر انصافاً كتلك التي نادى بها السناتور الديمقراطي وليم فولبرايت الذي طالب الأمم المتحدة بإجراء فوري لوقف إطلاق النار وتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وبأن تصبح القدس مدينة دولية بعد انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة . ويرى المراقبون أن الدور الأمريكي في الاتصالات الدولية التي أسفرت عن قرار مجلس الأمن بوقف القتال في ٢٢ أكتوبر لا يعبر عن تغيير في الموقف الحقيقي الذي دأبت الولايات المتحدة على اتخاذه لصالح إسرائيل ولكن حقائق الموقف في ميدان القتال والعاصفة العالمية التي أثارتها الحرب من جديد بكل ما تنطوي عليه من احتمالات خطيرة للصدام مع الاتحاد السوفيتي فضلاً عن الموقف العربي الصلب إزاء العدوان الإسرائيلي ، وإزاء المصالح الأمريكية في وقت واحد كل هذه العوامل تضافرت لتجبر الولايات المتحدة على الانصياع لمصوت القتل بدلاً من المضي في طريق لا يمكن التكهّن بمواقبه الوخيمة .

■ **أما الموقف الفرنسي** فقد كان تعبيراً عن السياسة التي تنتهجها فرنسا منذ عام ١٩٦٧ . فلقد صرح ميشال جوبير وزير خارجية فرنسا معلقاً على تطورات الأمور في الشرق الأوسط قائلاً « نحن لا يمكننا أن نلوم اناساً يريدون استرجاع أراضيهم أو نطالبهم بالحدود » كما حدثت الحكومة الفرنسية وموقفها بأنه لا يمكن وقف إطلاق النار دون تسوية شاملة للامّة . ففي اليوم الخامس للقتال وعلى أثر اجتماع خاص لمجلس الوزراء الفرنسي أعلن **جوزيف كومي** المتحدث الرسمي باسم الحكومة « أن موقف فرنسا تجاه أي وقف محتمل لإطلاق النار لن يكون مبدئياً مجرد الحرص على وقف القتال أو الاعتراف غير المباشر بخط تقسيم ما للأرض وإنما سيكون تابعاً من الرغبة في أن يفتح وقف إطلاق النار الطريق إلى مفاوضات حقيقية وإلى أسلوب يتم تصديده ويساعد على التوصل بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ إلى تسوية نهائية للصراع تكون مقبولة للجميع وتطوّل على كافة الضمانات اللامية » ومن المعروف أن تفسير فرنسا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ هو اقتراب التفسيرات الغربية إلى وجهة النظر العربية حيث ترى فرنسا ضرورة انسحاب إسرائيل من الأرض العربية المحتلة كأساس لأي تسوية عادلة للامّة . وحينما ادعت إسرائيل أن طائرات الميراج التي تبقيها فرنسا للبيبا قد اشتركت في المعركة بهدف إثارة أزمة مفتعلة بين فرنسا والدول العربية فإن الحكومة الفرنسية لم تلتفت كثيراً لهذا الادعاء بعد أن باذرت الدول العربية المقاتلة نفسها بنفية نفياً قاطعاً .

■ **أما الموقف البريطاني** فقد مر بعدد من التطورات ففي البداية كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي أيدت دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لعقد مجلس الأمن كي يصدر أمراً بوقف القتال دون ارتباط ذلك بتسوية شاملة رغم معارضة بقية الدول الأعضاء دون استثناء ولكن بريطانيا عادت بعد انقضاء المجلس ولم تستطع أن تؤيد المشروع الأمريكي الذي كان يدعو الأطراف المتحاربة إلى الانسحاب خلف خطوط ٦ أكتوبر ، ثم حاولت بريطانيا أن تتخلص من تورطها وأن تؤكد أن دعوتها لوقف القتال لم تكن تستهدف الاضرار بالمصالح العربية فاصدرت الحكومة البريطانية قراراً بوقف تصدير الأسلحة إلى جميع الأطراف المشتركة في القتال وهو إجراء — كما يقول الخبراء — ذو أهمية محدودة سواء بالنسبة لإسرائيل أو بالنسبة للدول العربية المشتركة بشكل رئيسي في المعركة . وأبام احتجاج المعارضة في مجلس العموم البريطاني وقف **دوجلاس هوم** وزير الخارجية ليضع الإجراء البريطاني في حجه الصحيح معلناً أن حكومته مستعدة للنظر في هذا القرار إذا ما تعرضت كيان إسرائيل للخطر ومع تدهور الأحداث تغير الموقف البريطاني وأصبح يربط بين وقف القتال وبين الوصول إلى تسوية شاملة للامّة على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . تمشياً مع الاتجاه الصالح الذي أصبح يسود الدوائر العالمية ، ومع ذلك فإن بريطانيا وهي صاحبة مشروع القرار المذكور لم تشأ أن تتقدم بتفسير له — كما طالباها العرب من قبل — يسهل مهمة الأطراف المتباحة حول الأزمة ، وما هو جدير بالذكر أن هوم قد وقف يهاجم القرار الذي أصدرته الدول العربية المنتجة للبتترول بتخفيض إنتاجها منه قائلاً « إن بريطانيا ليست على استعداد لأن تغير سياستها » . ولكنه عاد يستدرك في نهاية حديثه مشيراً إلى « أن القرار على أية حال ليس موجهاً ضد بريطانيا بالذات » ومن المثير للتساؤل حقاً أن يكون هذا هو موقف بريطانيا التي حاولت خلال العامين الآخرين أن تبدي عطفاً متزايداً على العرب وصل إلى حد عرض تزويدهم بالسلاح .

٢٢٧ - تقارير الشهبان

■ أما الملتيا الغربية ؟ فقد أعلنت - على لسان المتحدث الرسمي - أنها لا تدل على القتال وتأييدها للحلول السلمية في مناطق التوتر ، وبعد أسبوع من المعارك صرح المستشار الألماني فيلي براينت بينما كان يتحدث في فرانكفورت بمناسبة سوق الكتاب الخامس والمشرين أنه إذا ما أردنا أن نعمل فرصة حقيقية للسلام في الشرق الأوسط فانه يتعين احترام حق الحياة لجميع الدول في المنطقة . وفي حديث تلفزيوني أكد **فالتر شيل** وزير الخارجية « ان الملتيا - رغم حيادها - لا يمكنها أن تتف مسالمة أزماء هذا النزاع الذي ينطوي على أخطار كبرى » . وقال ان الملتيا الغربية « مستعدة للتشاور مع شركائها الأوروبيين ، لاتخاذ موقف موحد من الصراع في الشرق الأوسط . وبعد هذا التصريح بيوم واحد نقلت وكالات الأنباء ما يفيد بأن الولايات المتحدة تد إسرائيل بالمعدات العسكرية من مخازنها في الملتيا الغربية وتستخدم القواعد الأمريكية هناك كمحطات لطائراتها التي تنقل العتاد الحربي لإسرائيل .

■ وبصفة عامة فقد اشتركت بقية دول أوروبا الغربية في الدعوة إلى إيقاف القتال وإيجاد تسوية شاملة للنزاع على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ويمكن القول بأن المواقف الرسمية للدول الأوروبية عموماً قد عكست ادراك هذه الدول لخطورة استمرار القتال وتفاقمه على نحو سوف يهدد بالتأكد مصالحها الحيوية في المنطقة فضلاً عن أضراره الفادحة بالنسبة للسلام والأمن الدوليين . غير أن ذلك لا ينفى تورط بعض الدول مثل هولندا في مساعدة إسرائيل لسكنها أيضاً لقيت جزاءها بتأجيل حصتها في بنزول العراق .



وبما يتعلق بالمواقف غير الرسمية التي عكستها أجهزة الاعلام وتحركات الرأي العام ومواقف القوى الديمقراطية والأحزاب الشيوعية في الدول الغربية فإن الأمر كان جسد مختلف . فبينما وقعت القوى الديمقراطية والأحزاب الشيوعية والمهالية تناصر الحق العربي على طول الخط فإن أجهزة الاعلام الغربية وغالبية الرأي العام هناك عبرت عن انحيازها للدول الإسرائيلية .

■ ومن البداية ، كان واضحاً ان صحافة الغرب وأجهزة اعلامه الأخرى قد فوجئت بحجم النجاح الذي حققته القوات العربية المقاتلة على جبهتي الجولان وسيناء . وفي حين لم تتوقف هذه الأجهزة عن متاصرة وجهة النظر الإسرائيلية والترويج لدعائياتها فإنها لم تستطع في نفس الوقت أن تخفي أتياء النجاسات التي حققتها القوات المصرية والسورية . وقد كان لتضارب اليقظت التي يدلي بها العدو الإسرائيلي عن سير القتال بل واختلاقتها من الأساس في بعض الأحيان أثراً لا بأس به في دفع الصحافة الغربية إلى التزام بعض الحذر . وعلى سبيل المثال فقد تورطت صحيفة « **لوفينجاو** » الفرنسية في نشر أتياء عن قتال تفوضه القوات الإسرائيلية المرمرة في قلب الدلتا . ولكنهم سرعان ما اضطرت إلى تكذيب هذا النباء مصلصة التهمة بالصادر الإسرائيلية المسئولة على حد تعبير الجريدة نفسها القوات الإسرائيلية صوبه دمشق خلال الأيام الأولى للقتال ثم انتفاح كذب هذه الأنباء بعدها بقليل . يشهدة الزامسليين الغربيين أنفسهم ، ولا بد هنا من الإشارة إلى صحافة القوى الديمقراطية والأحزاب الشيوعية وحرصها على نشر الأنباء الصحيحة لسير العمليات العسكرية من موقع التعاطف والتأييد مع النضال الصادق للشعب العربية فقد كتبت « **يونيف** » صحيفة الحزب الشيوعي الإيطالي تعزى استئناف المسارك إلى توقع هزيمة إسرائيل جديد ضد مصر وسوريا . وقالت الصحيفة « أنه لا يمكن أعقابنا

مصر وسوريا دولتين محتدتين حيث أن سيناء والجولان أجزاء من أراضيها وادلت بغرض اسرائيل للسلام وحملت الولايات المتحدة مسؤولية التفتت الاسرائيلي طوال السنوات الست الماضية حيث هي التي قامت بتسليحها وجبايتها سياسيا وديبلوماسيا ضد ارادة المجتمع الدولي وكل القوى الحق للسلام . وهذا هو نفس الموقف الذي اتخذته « ليومانيته » صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي وغيرها من الصحف الديمقراطية .

■ أما الراى العام الاوروبى فقد اظهر عدد من الاستفتاءات انحيازه الى اسرائيل . ففى استفتاء أجرته صحيفة « لوفجارو » الفرنسية بعد ٩ ايام من اندلاع القتال كتلت النتائج على النحو التالى - ٤٥ ٪ مع اسرائيل ١٦ ٪ مع العرب ٨ ٪ مع الطرفين ٣٠ ٪ لا راي لهم كما اظهر استفتاء زدا على سؤال نزل ما ينبغي أن تفعله فرنسا اذا اتضح أن طائرات الميراج (التي قديمها لليبيا) تستخدم ضد اسرائيل أن ٥٥ ٪ طالبوا بحظر تصدير السلاح الى جميع الدول العربية ، ٩ ٪ طالبوا بغرض عقوبات على ليبيا ، ١١ ٪ طالبوا ببيع الميراج لاسرائيل ولاحتلت الصحيفة أن الدول العربية لم تحصل على اقلية الامسوات بالنسبة للمتعاظفين معها الا من الشيوعيين حيث حصل العرب على ٣٧ ٪ مقابل ٢٦ ٪ لاسرائيل . وفى لندن لم يختلف الامر حيث بلغت نسبة المؤيدين لاسرائيل فى أحد الاستفتاءات ٤٧٥ ٪ مقابل ٥٠ ٪ فقط لصالح العرب ، كذلك فقد اظهر الاستفتاء الذي اجراه معهد جالوب الامريكى أن ٤٧ ٪ يؤيدون اسرائيل مقابل ٦ ٪ يعاطفون مع العرب ، ٢٢ ٪ يرفضون اتخاذ موقف فى صالح أى من الطرفين المتحاربين ، ٢٥ ٪ لا راي لهم . وعلق متحدث باسم معهد جالوب على نتائج هذا الاستفتاء فأعرب عن اعتقاده بأن العدد الكبير من الأشخاص الذين لا راي لهم ، أو الذين يرفضون اتخاذ موقف يعكس خشية الأمريكين من رؤية بلادهم تتورط فى حرب جديدة .

ومهما قل هذا كله يعكس الى أى مدى ما زالت الدعاية الصهيونية هبقة الجذور فى لوساط الراى العام الاوروبى .

■ وفيما يتعلق بالقوى الديمقراطية والاحزاب الشيوعية فى دول الغرب فلقد عبرت كل الاحزاب الشيوعية بلا استثناء عن استنكارها لسياسة اسرائيل التوسعية وتأييدها للحق العربى وجاء فى بيان اصدره الحزب الشيوعى الامريكى « أن حل مشكلة الشرق الأوسط يتثل فى اثناء العدوان الاسرائيلى . . وأن الحل الوحيد العادل والمقبول هو العودة الى خطوط ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب العربى الفلسطينى طبقا لقرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بالشرق الأوسط » كذلك فقد صدر فى باريس بيان من الاجتماع المشترك للجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى ونواب الحزب فى الجمعية الوطنية أكد على سياسة الحزب المبدئية فى تأييد الشعوب المقاتلة من أجل حريتها واستقلالها القومى وعبر من جديد عن تضامنه مع الشعوب العربية التي لها الحق المقدس فى أن تحرر أراضيها التي احتلت فى عدوان ١٩٦٧ » .

كذلك فقد نشطت جمعيات الصداقة مع البلدان العربية وغيرها من القوى الديمقراطية الاخرى تنظم المظاهرات والمسيرات فى مختلف العواصم الغربية تأييدا لمصر وسوريا فى قتالها من أجل تحرير أراضيها المحتلة ولادانة السياسة التوسعية لاسرائيل . وعقب المناوزة الامريكى فى مجلس الأمن فى اليوم الثانى للقتال قام خمسة من كبار الشخصيات البريطانية بتوجيه خطاب الى نيكسون دعوه فيه الى إعادة النظر فى سياسته ازاء الشرق الأوسط حتى يمكن تحقيق السلام فى المنطقة والشخصيات الخمسة هم: دنيس والتر ورئيس لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس العموم واتوني فانجس الوزير السابق ، وكريستوفر مايبورى النائب العمالى والوزير السابق ومايكل أمفاز مدير مجلس تنمية التناهم العربى البريطانى ، وجون ريدواى المدير السابق لوكالة قوت اللاجئين .

علامة هامة على طريق الفكر المعاصر المؤتمر الخامس عشر للفلسفة

فارنا : من أبو سيف يوسف :

الثقافة في القرن العشرين ، فإن هذه الاعمية اثنا
ترجع بالتحديد :

● الى سحنة الاتحاد الدولي للفلسفة . والى
الشمخيات الفلسفية التي ساهمت في اعمال
المؤتمر

● والى الموضوع المطروح للمناقشة
● والى جو النقاش الذي ساد المؤتمر
● والى الاعداد الدقيق الذي صاحب المؤتمر ،
مكرة وشروعا ونقليذا

ولفما يتعلق بالقيادة التي حملت عبء الدعوة
الى المؤتمر وادارة المناقشات فيه ، لانهما تتكون من
اعضاء « لجنة التوجيه » في الاتحاد الدولي
للشمخيات الفلسفية . وفي هذه اللجنة تبين بعض
اسماء : نذكر من بينها

ليوجانبريل [رئيس الاتحاد - غينا] واندريه
مريسيه السخرنير المام للاتحاد [سويسرا] و
ويبرلمان رئيس المهد الدولي للفلسفة [بلجيكا] و
والعالية المسير الفرد آبير زعيم المدرسة الحديثة
للولضية المنطقية واستاذ الميتافيزيقا باكسفورد .
والاستاذ ايونج من كميردج . والاكاديمي ميتين
من موسكو ، ومياموند من جامعة طوكيو .
والاكاديمي جانوفسكي من بلغاريا ، وادم شاف من
بولندا . ودومير من جامعة باريس ، وكون من
ميونخ ، وباسمور من كانبيريا ، وفان بريدان من
جامعة لوفان ، وجيكون من بادوا ، وهينريخ من
هيدلبرج .

كما ساهم في رئاسة الجلسات اساتذة وعلماء
نذكر من بينهم :

ريكون من جامعة باريس ، وفيدوسيف نائب
رئيس اكاديمية العلوم السوفيتية ، ودي مقدولا
[البرازيل] ، وبنديا [الهند] ، وينيديكوفيتش
[يوغسلافيا] ، وشيبياتا [اليابان] ودراميف
[بلغاريا] .

ولقد اثبتت الاساطل الفلسفية والعلمية في أكثر
من بلد بأن توجد أكبر عدد من المشاركين ؟
- الولد السوفيتي ضم ٢٧٨ عضواً ،
والامريكي ١٢ ، وكان هناك ٧١ عضواً في كل من
والفرنسي ٥٠ ، والولد الانجليزي ٢٢ . وضمت

في خلال ستة ايام . امتدت من ١٧ الى ٢٢
سبتمبر ، عقد في مصيف « فارنا » على البحر
الاسود ، المؤتمر الخامس عشر « للاتحاد الدولي
للشمخيات الفلسفية » . وكان الاتحاد قد درج
على أن يعقد مؤتمره كل أربع سنوات ، وذلك منذ
أن تأسس في عام ١٩٠٠ .

وعلى امتداد الايام الستة ، التي سبقها تحضير
بشائر ودقيق ، من قبل اللجنة التوجيهية للاتحاد ،
ومن لجنة النظام البلغارية ، ومن خلال جلسات
طويلة وجادة ، تتابع انمقادها في الصباح وفي
المساء ، ومن المدرج الكبير الذي يسع الآلاف الى
المجرات الصغيرة التي شبت مجموعات للنقاش
والدراسة والبحث ، طرح المؤتمر قضيه
الرئيسية :

« العلم ، التكنولوجيا ، الانسان »

ولقد ننادى الى دراسة هذه المشكلة الراهنة
١٨٧٧ من المشاركين في المؤتمر ، وهو عدد لم
يسبق أن اجتمع من قبل ، من الفلاسفة واماذقة
الفلسفة الجسمانيين ، ومن الملباء والفكرين
والباحثين والمراقبين . جاوا من ٦١ بلداً من
البلاد الاشتراكية وبلدان الغرب الرأسمالية وبلدان
العالم الثالث .

فاذا أضفنا الى الرقم السابق ، عدداً آخر من
المحميين والمهتمين بالدراسات الفلسفية ، ومن
طلاب الفلسفة والعلوم الانسانية ، فسوف يرتفع
الرقم الى ثلاثة آلاف . ثم وجبنا انفسنا بعد ذلك ،
بازاء سحنة صغيرة للفلسفة ، تضمها
قامات « قصر الثقافة والرياضة » ثم يضيق هذا
القصر على سمته ، بنشاطه الجم ، ويجموره .
الضمم ، فتصاف اليه مدرجات ومجرات المبنى
القريب : المعهد العالي للدراسات الاقتصادية .

وربما قيل ، أن مجرد اجتماع هذا العدد الهائل
الذي يمثل كل ثيارات الفكر الفلسفي ومذارسه
يكفي وحده ، لأن يضفي على المؤتمر أهمية
خاصة . ولكن ، لما كان المؤتمر العالمي للفلسفة ،
قد وصف أيضاً ، بأنه حدث من أخطر الاحداث

ونفود رومانيا وبليجيا واسبانيا ٤٧، ٢٦، ٢٢
عضوا على التوالي .

فانما اضيفنا الى ذلك ، ان المثلث من الاكاديميين
والعلماء والاساتذة والاساتذة الساعدين قد
اسهموا بكيفية ايجابية في لجان المؤتمر ، وذلك
بالاوراق أو التقارير أو المناقشات الشفوية ، أمكن
القول ، بان أهمية المؤتمر امتلستعد من النوعيات
الممتازة التي تولت ادارة اعماله ، وساهمت في
مناقشتها .

ثم باني بعد ذلك ، الى الموضوع الذي طرح على
المؤتمر وهو « العلم ، التكنولوجيا ، الانسان » .
ولسوف نجد انه ليس في الواقع شبة قضية من
قضايا الفكر المعاصر ، أكثر الحلا من قضيتنا
هذه ، التي شغلت ، وتشغل ولسوف تظل تشغل
عقولنا طويلة - قطاعات واسعة من العلماء
والفكرين ، سواء في البلاد التي تعاني ثورة العلم
والتكنولوجيا ، أو في تلك البلدان التي تجاهد لثقل
جهاد لثقل بثورة العصر ، فها هنا بقائها
البشرى والحضارى .

هكذا وتحت هذا العنوان الكبير ، بدأ المؤتمر
باربع جلسات عامة عقدها .

وأجتمعت الأولى تحت عنوان « الفلسفة
والعلم » ، وقدمت فيها ثلاث ورقات رئيسية : من
كبرويه عن « وحدة العلوم » ومن مرسويه
عن الفلسفة والمسلم ، ومن امابيتشي
عن « الخلاف في البنية الأساسية بين الفلسفة
وبين العلم » . وأعقب تقديم الاوراق مناقشات
أشترك فيها أعضاء من ألمانيا الاتحادية وبريطانيا
وفرنسا وألمانيا الديمقراطية واليونان .

ثم انعقدت الجلسة الثانية العامة ، للمناقش
موضوع « الأخلاق والثقافة » وكانت القضية
المطروحة وموضع الجدل الحامى هي : ماهى
طبيعة العلاقة بين الاخلاق وبين الثقافة ؟

لقد ذهب بعض المشاركين ، الى أن دور البحث
العلمى - بطبيعته - يتصف بالاطلاق ، فلا تقيد
اعتبارات اللائحة الاخلاقية . ذلك ان العالم اذ
يسمى وراء الحقيقة الموضوعية لا يسأل عما اذا
كان اكتشافه يتفق مع المعايير الاخلاقية أم لا .

ولقى هذا الرأي معارضة . لقد قيل ، ان
المشكلة انما تطرح طرعا خاطئا . وهذا يترتب
عليه نتائج خاطئة بالضرورة أو نكاسة - ورفض
البعض أن يخلع على المعرفة العلمية هذا الطابع
الطلق . كما رفض أن تكون نقطة البدء في البحث
التعارض بين الاخلاق وبين الثقافة ، مؤكداً أنه لا
يمكن للمعرفة العلمية الا أن تتوضع في ظروف
اجتماعية ملموسة . وإذا صبح أن الانسان هو
الهدف الاسمى ، فان تطابق المعرفة العلمية مع خزين

الانسان أو تصادمها معه ، مردها - في نهاية
الامر - الى نوع النظام الاجتماعى السائد في هذا
المجتمع أو ذاك .

وفى خلال هذه المناقشة لفت الاستاذ بهم
لجامعة الينا | الانظار ، بدعوته التي تذكرنا -
مع الفارق - بدعوة قديمة لافلاطون . فقد لاحظ
بهم ، ان عالم اليوم ينقصه الحد الأدنى من
الاتفاق الاخلاقى ، وأن تعيين هذا الحد الأدنى
مطلوب ، وأنه تقع على عاتق الفلاسفة مهمة أن
يقوموا بدور رئيسى في هذا السبيل . ودعا المؤتمر
الدولى لاتحاد الجمعيات الفلسفية الى تكوين لجنة
دائمة تدرس طبيعة هذه المسؤولية وحدودها .

وعندما عاد المؤتمر ليناقش موضوع « الاخلاق
والثقافة » مرة أخرى ، وذلك في نطاق اللجان
وحلقات البحث والنقاش ، احتدم الجدل ايضا ،
وتعددت الاجتهادات . وكان من بين الاراء التي
أبدت :

● ان الانسان قد سبق في الوجود كل من العلم
والتكنولوجيا فلا بد من اعطاء الاولوية لدراسة
الانسان .

● ان عالم الاخلاق يتطلب - كشرط لازم -
الحرية الانسانية ، وهذه الحرية ملازمة للتكوين
الانتولوجى للانسان .

● لما كانت الثقافة ظاهرة انسانية من الطراز
الاول ، فان القضية الاخلاقية تطرح نفسها -
بالضرورة - في كل مستويين مستويين الثقافة .
وانه على الرغم من أن الثقافة في عصرنا الحديث
تتبدى تحت أقمعة التكنولوجيا و « العلمية » ، الا
أن ما يحدد الخطوط الرئيسية للاخلاق هو ذلك
الحافز الصوفي الذي يعلى من شأن الوجود
الانسانى ويضحه في مرتبة تملو على مرتبة النظر
الفعلى .

غير أن هذه الاراء لقيت معارضة تمثلت فيما
يلى :

● ان السلوك الاخلاقى ليس متقصلا ، ولا
يمكن أن يتفصل ، عن البنية الاجتماعية ، وذلك
مها قيل - وهو صحيح - عن تمايز الظواهرات
الاخلاقية عن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

● ان الثقافة ، هي الاخلاق موضوعة موضع
التطبيق . ونشأ فالتنظريات الاخلاقية هي نظريات
اجتماعية ايضا .

● ان انسان العصر الحديث يتعرض لخطر
القيم التي يفرضها مجتمع الاستهلاك . فهذا
المجتمع ، مثله الاطلى فرد بلغ ذروة الكمال في
اعداده المهني . لكن مجتمع الاستهلاك اذ يركز جل
اهتمامه على « الاعداد المهني » للغرد ، أما يدفع

تكيف الإنسان يخلق « تكتيك عقلى » يوازن « التكنولوجيا المادية » .

وأيد الأستاذ جابريل الاكاديمى ميتين « عندما أشار الى أن الثورة الاساسية فى مواقف الفلاسفة الغربيين ، إنما تقبل فى أنهم « ضحايا » الإنسان فى التكنولوجيا . وفى رأيه أن الإنسان « بالمعنى الوجودى - هو القيمة الاساسية . وانضم مع غيره الى رأى القائل بضرورة أن يسيطر الإنسان على التكنولوجيا .

أما غيلبيتش [بلغاريا] فقد أيد رأى القائل بضرورة السيطرة على تطور التكنولوجيا وأضاف أن لهذه السيطرة ثلاثة أوجه : تكتيكي ، عقلى ، واجتماعى .

وعندما انعقدت الجلسة الرابعة العامة ، تفرعت الى ثلاثة اجتماعات بحث مرة أخرى - على التوالي - قضايا : الفلسفة ، العلم ، الاخلاق والثقافة ، التكنولوجيا والإنسان .

وعقب انتهاء الجلسات العامة توزع المؤتمرين على ثلاثة أنواع من الحلقات : حلقات للنقاش ، وحلقات للمشكلات الفلسفية ، وحلقات للبحث . أما حلقات النقاش فقد ركزت على الأوراق المقدمة لها عن :

- المعرفة والقيم فى العصر العلمى والتكنولوجى

- الفلسفة فى عملية الثورة العلمية والتكنولوجية

- التكنولوجيا والسلم والمالكية

- بنية المعرفة العلمية الحديثة ومناهجها

وأما الحلقات الخاصة بالمشكلات الفلسفية ، فقد بلغ عددها تسع ، ناقشت : طبيعة الإنسان ووجوده - اللغة والمنطق والعمل الإنسان والكلمة والتاريخ - المجتمع ومعانيده - الإنسان وحريته الشخصية - المسؤوليات الإبداع فى الفن والأدب - مذهب الجبر ومشكلاته - مستقبل الفلسفة .

وفىما يتعلق بمجموعات البحث ، فقد درست « فلسفة التربية » كما درست مجموعة ثانية رأسها الفيلسوف الفرنسى لوسيان سيف الجوانب الفلسفية فى علم النفس . ودرست مجموعة ثالثة « مشكلة علم المنطق المعاصر » . وقدم عدد كبير من البحوث تحت عنوان : « دراسات معاصرة فى تاريخ الفلسفة » .

وربما تكون قد أطلنا - بعض الشيء - فى الإشارة الى الموضوعات التى نوقشت . ولكن الحقيقة هو أننا اكتفينا بمجرد قراءة عناوين قليلة . وهذا يتضح ، إذا علمنا ، أنه قدم الى المؤتمر أكثر من ألف ورقة وتقرير ، سجل

بالإنانية الى ذروتها . ومن هنا فلابد من معارضة مجتمع الاستهلاك ، مما يمكن أن يسمى بهينه « التثنيف والتربية المستمرة » . لأن التركيز فى هذه المدينة ، صوف يتجه الى تكوين شخصية ، وإثراء مضمون الحياة الإنسانية . وفى الجلسة الثالثة العامة ، كان الموضوع المطروح هو « الإنسان والتكنولوجيا » . وقدمت فيه أوراق من الأستاذة دى جورج [جامعة كانساس] وريكتا [تشيكوسلوفاكيا] وباسبور [استراليا] وميتين [الاتحاد السوفيتى] . ومرة أخرى ، شجرت الخصومة الفكرية حول عدد من القضايا التى طرحها دى جورج فى ورقته .

قضية أولى طرحها دى جورج ، هى أن التكنولوجيا هى الذروة التى يتجهس فيها نشاط العقل التحليلى للإنسان . والمثل النموذجى لهذا النشاط هو الآلات الحاسبة الإلكترونية ، التى هى نتاج هذا العقل التحليلى وأمداده .

قضية ثانية ، هى أنه حتى لا يهرب الإنسان الى اللاعقلية والتصرف من ناحية ، وحتى لا يبالغ فى أمر التكنولوجيا من ناحية أخرى ، يحتاج الإنسان الى أن يضيف - الى العقل التحليلى - العقل التكتيكي والعقل الجذلى .

قضية ثالثة ، هى أن الإنسان أصبح مفتقرا لأنه لاجر على الانعزال للتكنولوجيا . ومن هنا يتعين ألا تخرج التكنولوجيا عن سيطرة الإنسان . وعلى الفلاسفة أن يقوموا بدورهم فى هذا السبيل .

وقد لقي دى جورج معارضة من الفلاسفة الماركسيين الذين أشاروا الى الطابع التوحيق لأراء الأستاذ الأمريكى : فاشار ريكنا الى أن التكنولوجيا تصبح خضعا للإنسان ، فقط ، فى مجتمع يقوم على الاستغلال ، وفى هذا المجتمع تعمل التكنولوجيا على سلب الإنسانية من الإنسان . وشرح الأكاديمى ميتين - بتطويل - كيف أن التناقضات والصراعات التى تطرحها ثورة العلم والتكنولوجيا يمكن أن تحل فى مجتمع يتبنى الثورة الاشتراكية .

أما باسبور [استراليا] فقد رفض ردود الفعل اللاعقلية بآراء تطرح التكنولوجيا ، كما رفض ، فى الوقت نفسه - أن توضع التكنولوجيا فوق الإنسان .

وهنا تدخل رئيس الجلسة « باندنيا » [الهند] ليقول : إن السبب الرئيسى للصراع بين التكنولوجيا وبين الإنسان كامن فى هذه الحقيقة : وهى أن التكنولوجيا قد دامت الإنسان ولم يكن قدتها ملاقفها بعد . واضاف أن المطلوب هو أن يتم

عناوينها ، ولخص عددا كبيرا منها ذلك المجلد القيم الذي وزعته لجنة النظام تحت عنوان « ملخصات » .

ثم نمضى لاستكمال رسم ملامح المؤتمر الخامس عشر للفلسفة ، فنقول . ان أهمية هذا المؤتمر تتأكد بالنظر الى الواقع التالية :

١ - مناخ الحرية الكامل الذي ساد المناقشات في جميع مراحلها ، وذلك على الرغم من تعدد المدارس والمذاهب ، وعلى الرغم من تضاربها ، وتناقضها في المطلقات الاساسية . وقد نوه أكثر من مشترك بأهمية هذا المناخ الذي ساد المناقشات المحترمة .

٢ - ان الاختلافات في الرأي لم تكن قائمة بين المدرسة الفلسفية التي تبين نظيرتها المارخية فحسب ، بل وجدت الخلافات داخل المدرسة الواحدة . وعلى سبيل المثال : بين الفلاسفة السوفييت خلاف حول مفهوم الحقيقة في العلم . فبينما يذهب البعض الى ان الحقائق الموضوعية هي حقائق العلم الطبيعي فحسب ، يخالفهم زملاؤهم في الرأي مقدمين ايضا حقائق العلوم الانسانية .

مثال آخر : الخلاف الذي ثار حول قضية الايتولوجيا ، فبينما استنكر بعض المشاركين من الفلاسفة الغربيين والماركسيين ان يقدم هذا الموضوع على مؤتمر للفلسفة ، ايد فلاسفة امريكيون وماركسيون من البلاد الاشتراكية ان يبحث المؤتمر هذه المشاكل التي تطرحها علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وقالوا انها من صميم الفلسفة .

٣ - ومن الامور ذات الدلالة انه في نطاق المؤتمر ، تم عقد عدد من المناظرات ، اختصم فيها المتحدثون حول عدد من القضايا الجدل عند هيجل وعنده ماركس ، « الديالكتيك » مكانه : في التاريخ أم في الطبيعة ، « المنطق الجدلي والمنطق الشكلى » .

٤ - وفي نطاق المؤتمر ايضا ، كان عدد من الجبهيات والهيئات الفلسفية غير الماركسية تمتد اجتباعاتها :

- الاتحاد الدولي للفلسفة الكاثوليكية

- جمعية هيجل الدولية

- المركز الدولي للبحوث الفلسفية [بلجيكا] وهو المركز الذي يستخدم المقول الالكترونية في ابحاثه .

وليس من شك في ان كل هذه الواقع السابقة ، انما تؤكد ، مرة بعد مرة ، على أهمية المؤتمر الذي تم عقده في ناربنا .

اما التقييم النهائي لحصيلته العلمية ، وربما استلزم تتركها للاوساط الفلسفية والعلمية ، وربما استلزم الحديث الجاد عنها ، ان يتم تقييم تقوم به مجموعة ضخمة من اساتذة الفلسفة والمتخصصين فيها . غير أننا قد لا نركب متن الشطط والمبالغة ، اذا قلنا ان المؤتمر طرحت فيه مساهمات قيمة ، وجديدة ، وإيجابية ، وذلك في جميع الموضوعات التي تطرق اليها .

ثم تبقى بعد ذلك كلمة .

اذا كان المؤتمر الخامس عشر للفلسفة ، هو أول مؤتمر يدعى اليه المشتغلون بالفلسفة من أبناء العالم الثالث ، فهنا يؤثر السؤال :

فكيف نقدر الثقل الحقيقي لجهود العالم الثالث في ذلك المجال ؟

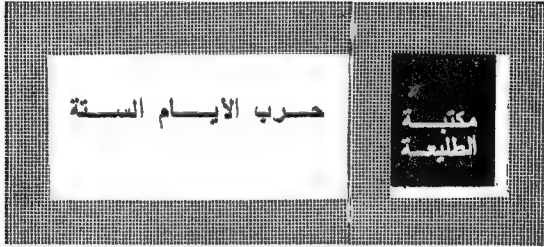
الواقع ، ان الانسان لا يستطيع الا أن يقرر ان صورة العالم الثالث - كانت وباستثناءات فردية وقليلة للغاية - شاحبة الى حد بعيد .

واذا تحدثنا بلغة الأرقام ، قلنا انه جاء من كل بلاد العالم الثالث الى المؤتمر ٨٨ فقط ، بصحة اعضاء مشاركين ومراقبين ، ليمثلوا ١٦٠ مليون من بنى البشر ، وان الأرقام التي نذكرناها من قبل عن عدد وفود بعض البلدان الأخرى تغني عن كل تعليق .

غير ان السؤال الذي ألح علينا في هاربنا ، لم يكن أين هو العالم الثالث ؟ بل كان : أين هي مصر . فقد ذهب من المصريين ، الى هناك ، اثنان اولهما : د . هزاع وهبة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس ، بصفة شخصية ، وقدم بحثا عنوانه « نزعة الاطلافة لانسان القرن العشرين » اما الثاني فهو كاتب هذا المقال ، ذهب مؤنفا من جريدة الاهرام ، يحاول ان يربط بين ما قرأه وسمعه في المؤتمر ، وبين ما درسه من الفلسفة منذ أكثر من ربع قرن .

وكان مهمت الالم الحقيقي بالنسبة لمصر ، ان عدم تواجدها في المؤتمر بالوزن الكافى ، لم يكن راجعا الى فقر في اساتذة الفلسفة أو في كوادر المشتغلين بفروعها الاساسية . فباللنا تلك العدد الانسى الذى يمكنه من أن تشارك بإيجابية ، وأن تسهم مساهمات لها دورها .

فاذا أضفنا الى ذلك ، ان المؤتمر لم يضم المشتغلين بقضايا الفلسفة فحسب ، بل ضم - ايضا - عددا غير قليل من العلماء ، لمسوف يتضح ان خسارتنا ، في هذا السبيل ، لم تكن هينة على أى وجه .



تأليف :

جك كوبان

معرض وتحليل :

كمال السيد

الناشر :

المتشورات الاجتماعية

باريس - ١٩٧٣

كتاب الصحفي الفرنسي جاك كوبان من « حرب الأيام الستة » نسودج مشرف « لائمة » المسكون الأوربي والتزامه بالنهج العلمي وصولا للحقيقة الموضوعية ، في زمن أصبح فيه عدم الاضائة والنطق عن الهوى سمة مميزة لقادة وسائل الاعلام في أوروبا ، خاصة اذا كان الأمن متعلقا بالنزاع العربي الإسرائيلي ، الذي تنحاز فيه كافة احتكارات صناعة الرأي — بكل ما تملكه من وسائل راقية وامكانيات هائلة — الى جانب اسرائيل ، ولا يبقى للعرب سوى قسلة مؤمنة بقيم الحرية والتقدم ، امكانياتها قليلة ولكن صوتها مرتفع لانه صوت الحقيقة القادرة على الاستمرار والصمود والاقناع والانتصار على « الاستحواذ الوقتي » الذي تمارسه أجهزة الاعلام المغرضة على أفئدة ومواقف البسطاء ، بالتزوير والاختلاق .

تكثر من المواطنين الفرنسيين العاديين الذين تجمعوا حول سفارة مصر هنيئة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، يتناولون على بلادنا وعلى قادتها ، بعد ان قرأ في اذهانهم أن مصر محتدية تحت تحريض أجهزة الاعلام [كان مانشيت « فرانس سوار » في ذلك اليوم : « مصر تهاجم »] ، لا شك سيغير رأيه بعد كتاب كوبان الذي أوضح مدة حقائق أبرزها أن اسرائيل قد أعدت للعدوان منذ مدة طويلة ونفذته لتحقيق أهداف توسعية محددة سلفا ، وانها لم تكن تواجه « خطر ابادة » كما ادعت حينذاك

وتساقطتها في ذلك كل وسائل التوجيه والاعلام
الاوربي .

ففي الفصل الاول يورد المؤلف مقترحة من محاضرة
القها في ١٧ مارس ٧٢ ، الجنرال ماتاتياهو بيليد ،
وكان عضوا في هيئة اركان الحرب التي اعدت
لعملية ١٩٦٧ ، القاهها في نادي « افها » في
تل ابيب وجاء فيها « ان النظرية التي تقول ان خطر
الابادة كان يقيم على اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ ،
وانها كانت تصارع في سبيل وجودها المادي ،
ليست سوى خدعة » . وهذا الرجل يعلم جيدا
ما يقول وهو ليس من المعارضة ولم يقف أبدا ضد
سياسة الحكومة ، كما انه عضو قديم في حزب
العمال مع جولدا مائير وديان ، ومشاعره الموالية
لأمريكا والمعادية للسوفييت والعرب معروفة ، وهو
ليس أحد هؤلاء « القوة الاسرائيليين » من اليهود
الذين ادانوا العدوان . واستطرد الجنرال
السابق والاستاذ الحالي في الجامعة قائلا : « لقد
كان سبب الحرب هو محاولة الاتحاد السوفيتي
تعديل الوضع القائم في المنطقة واستبدال النظام
الامريكي الذي كان موجودا في المنطقة منذ ١٩٥٧ ،
بنظام سوفيتي . وانا ارفض تماما القول بان
الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الاعدام ككفار
او كجماعة ، واعتبره قولا زائفا . لقد ركز المصريون
في سببها ١٨٠ ألف جندي ، وعبانا نحن ضدهم
مئات الألوف . وانا متفق تماما بان الحكومة لم
تسبح أبدا من هيئة اركان الحرب بان التهديد
المصري المصري كان خطيرا بالنسبة لاسرائيل ،
لقد اخطت كل هذه القصص لتبرير الحرب .
وعندما بدأ الجيش الاسرائيلي قواه الكاملة وكانت
تتجاوز قوة الجيش المصري عدة مرات ، لم يكن
هناك شخص جاثل يعتقد انه من الضروري لنا ان
ندافع عن انفسنا ضد الخطر المصري . لقد كان
عدم وجود خطر ابادته يثير للحكومة مصاعبا كبيرة ،
في حين ان الحرب يمكن تبريرها فقط اذا ما كان
هناك مثل هذا الخطر ، ان لا يعقل اشغال نيرونا
لأسباب سياسية فقط » . وعندما سأل أحد
الناشريين المحاضر عما اذا كانت اسرائيل قد
تعرضت لخطر هجوم عربي « أجاب هذا بقوله
« لقد حدث هذا في عام ١٩٤٩ حسب » .

وبعد ذلك بيومين في ١٩ مارس ، نشرت
عائزات الحوار ، واثرت المصاصة واجتمع مجلس
الوزراء لدراسة الموضوع . وارسل للرجل من
يجوز بالرجوع عن اتواله فأجاب هذا في مؤتمر
صحفي بقوله « ليس هناك سبب يدعوني الى ان
نخفي حقيقة انه منذ ١٩٤٩ ، لم يجرؤ أحد - او
بصورة أكثر دقة - ان يمكن في مقدور أحد ان يجرؤ
على وضع وجود اسرائيل موضع الجدل . ومع
ذلك ، فقد واسلنا تفنيد الاحساس بالنقص ،
كما لو كنا شعبا ضعيفا وصغيرا ، يعيش في حالة
من القلق على وجوده ويمكن ابادته في كل لحظة »

وتحرك لتصل الخدمة للسرد على الجنرال
بالتبرير والتطبيق ، ومع ذلك فقد اعترفوا بدورهم ،
وبدأ في هذا ثلاث جنرالات هم : ايجال ايدان
الذي كان رئيسا للاركان في حكومة بن جوريون ،
وأريك شارون قائد سببها في يونيو ١٩٦٧ ،
والرئيس الحالي للاركان دافيد ايمانر ، الذي
اعلن للصحف : « ان الصدود السابقة لم تكن
مضمونة ، ومن كان من الصعب الدفاع عن
الميلاد يمثل هذه الحدود . ولو كنا سمحنا للقوات
المسلحة العربية بان تنظم نفسها وان تهاجمنا
اولا ، لحرصنا دولة اسرائيل للهلاك » . وهذا
القول يوضح بدوره من البادية . وفي ٢٩ مارس
اعلن الجنرال مازر ويزمان رئيس الطيران :
« اني متفق مع الرأي القائل بان لم يكن هناك
خطر استئصال لوجود اسرائيل ، ولكن هذا
لا يعنى اننا كنا نستطيع تجنب قيامها بضرب
المصريين والاردنيين والمصريين ، لاننا اذا لم
نعمل ذلك ، لما استمرت دولة اسرائيل بنفس
روحها ومطامعها » . ويرى وزير جولدا مائير هذا
[وكان حينذاك رئيسا لحزب حيروت المظرف]
ان البدء في الحرب لا يستلزم وجود خطر ابادته .
وفي ٤ ابريل كره الجنرال ويزمان في معاريف
« انه لم يكن هناك خطر ابادته » . وفي ١٤ ابريل
اعلن بنتوف وهو وزير سابق في حكومة الائتلاف
التي شكلها اشكول عشية العدوان في صحيفة
علمشمار [جريدة الماي] : « لقد اخترعت قصة
الخطر هذه وضخمت مقدما لتبرير ضم اراضي
جديدة » . كما أكد الجنرال حاييم بارليف وزير
تجارة مائير ورئيس الاركان المساعد ايان العدوان
ثم رئيسها فيما بعد لصحيفة معاريف « لم يكن
هناك خطر ابادته عشية حرب الايام الستة . لم
نفكر في هذا ولم نتحدث فيه . ان مثل هذا الخطر
كان قائما في ١٩٤٨ و ١٩٤٩ فحسب » . وفي ٥
يونيو ١٩٧٢ نظم « صوت اسرائيل » نقاشا حول
حرب يونيو اعلان خلاله حاييم هرتزوغ الرئيس
السابق للخبرات « لم تكن هيئة اركان
الاسرائيلية ، او هيئة اركان البنتاجون ، كما تبين
ذلك مذكرات ليفنوف جونسون رئيس الولايات
المتحدة في ذلك الحين ، تمتدنان في وجود هذا
الخطر » .

ورغم كل هذا - وكما يقول المؤلف - فان الذين
رددوا في اوربا وغيرها حديث اسرائيل من الخطر ،
سكتوا عن هذه الاعترافات ولم يملقوا عليها ، لانهم
مواطنون ، ففي صحيفة ٥ يونيو ١٩٦٧ ابرقت
وكالة الانباء الفرنسية من تل ابيب تقول « هاجم
المصريون اليوم اسرائيل من الجنوب بالطائرات
والمدفعات » ثم قالت « بدأت معارك عنيفة بين
القوات الاسرائيلية والمصرية في اعقاب اختراق
الديابات المصرية لاراضي اسرائيل تسببها

وتنطلق العرب الحزب . ومن بداية شهر مايو
تسطعت صحف الغربى تصوير عبد الناصر على
انه هنتر وكتابه فلسفة الثورة على أنه مثل كتاب
« كفاى » المتضمن فلسفة هتلر . وسامعت
الاذاعات والصحف ومحطات التلفزيون فى أوروبا
على اشاعة مشاعر العطف على شعب إسرائيل
السفير الذى يبنى الاشتراكية ، وتشجيع المشاعر
العنصرية تجاه العرب . ويؤكد المؤلف أن المسألة
كانت فحفا اعد مصر بمقابلة . إذ حشدت إسرائيل
قواتها حول سوريا ، ودفعت أنصارها فى بعض
اجهزة اعلام مدد من الدول العربية الى الحديث
عن تخلى مصر عن نجدة سوريا . وعندما دفعت
مصر ببعض قواتها الى سيناء ، ادانت الصحف
الأوربية ذلك فحشدت « لورور » من تهديدها
للسلام ، وقالت « الفيجارو » أن السلام يتوقف
على تحركات مصر ، وقالت « ديبى دى بيدى »
أن قوات مصر تهدد سلام إسرائيل . وبدأت حملة
صليبية فكرية لصالح إسرائيل اشترك فيها
سبارتر وسيمون دى بوفوار وبير فيدال ،
وايتيميل ، وماهريريت دورا ، الذين لم ينسوا
أن يملئوا انهم « أصدقاء الحرب ومعاونون
للامبريالية الأمريكية » ومع ذلك فقد أكدوا
أيضا أن إسرائيل قد برهنت على حبها
للسلام ، وأحرمت من نفس الموقف صحيفة « تريبون
سوسيسالت » الفاتحة بلسان الحزب الاشتراكى
الموحد ، وقالت أن سبب الحرب هو « مشاهب
داخل مصر وسوريا » . وأعلن كلود لانزمان
المتحدث باسم هؤلاء المثقين فى مؤتمر : « هل
سياتي يوم اضطر فيه الى الهاتقبحاية جونسون لانه
الوحيد الذى يمنع إبادة إسرائيل » . وأعلن اميل
سيرفان شريير فى كوما : « أن العرب يريدون
القيام بغارة على إسرائيل التى فجرت ثروات من
الصمراء للحصول على غنائم فشلوا فى انتاج

مطلبا بجهودهم » . وأعلن جورج لاموس فى
بويلير دى سنتر : « أن إسرائيل تبغى الاشتراكية ،
ومن شأن تكون دولة تسمية أو أدالة لامبريالية » ،
وتحدث اليعون تريبولي الوزير الفرنسى السابق
عن نازية العرب . ونفس الاكثه صحيفة
« لوكاتر » وقال دانييل ماير رئيس رابطة حقوق
الانسان أن العرب يريدون إبادة اليهود كما فعل
النازى . بل شارك فى الصلة جيساك سوسينيل
السفاح الفرنسى فى الجزائر وتحدث عن نازية
القيادة فى مصر (وكان قد زار تل أبيب قبل اعلانه
هذا بـ ١٥ يوما بدعوة من مناجم بيجين) . وأعلن
اتحاد الشباب الديجولى تضامنه مع دولة إسرائيل
بل لقد خالف كثير من قادة الحزب الديجولى
سياسة رئيسه بالتمسك بتوع من الحيداء
واشتركوا فى مظاهرات التضامن مع إسرائيل فى
أول يونيو ٦٧ ، ومنهم أشيل بيريتى رئيس الجمعية
الوطنية وجيساك مايريت الوزير السابق ،
وسلتجونيتى ، وجان كلود سيرفان شريير الذى

الظاربات . . وتبعه دقات زدت اذاعات قرطنا
وأوروبا وأمريكا نفس الخير . وتسطعت الصحف
والاذاعات فى الترويج لفكرة أن مصر هى البادئة
بالعدوان ، واخذت تنقل أخبار تل أبيب وتصريحات
تأنيدها ، مثل اعلان الأمر اليومى الذى أصدره
ديان والذى قال « نحن لانريد غزو الاراضى ، ولكن
نمجد على دعوة الاعتداء فى رد العدوان الوحشى
على حدودنا . أن إسرائيل تريد السلام ولن تهجم
أى بلد عربى وكل ما نفعله هو الدفاع » . وسبحت
الاذاعة الفرنسية لسفير مصر بالحديث ، فأعلن
اعترافاته الطيار الاسرائيلى الذى أسر فى ذلك
اليوم ، بأن أمر القتل صدر له منكرا وقبل الاعلان
من هجوم مصر . . ولكن الاذاعة اعطت فرصة
أكبر لسفير إسرائيل لتقيد ذلك ، واخذ فى ترديد
أقوال حكومته حول بدء مصر للعدوان . ومع ذلك
تلوع راديو أوروبا رقم ١ ليقول أن المسئول هو من
جمل الحرب حتمية [حتى وان لم يبدأها] .
« فظهرت قوات مصرية على الأرض وفى السماء
والبحر ، يجعل مصر هى المعتدية » ، لأنها اجبرت
إسرائيل على الرد . . ولعب راديو لوكسبورج
وتليفزيون فرنسا دورا كبيرا فى إقناع المواطنين
بإدعاءات إسرائيل . مما جعل البعض منهم يعتقدون
بسياسة إسرائيل أمام سفارة مصر وأمام جريدة
لومانيه وهى الوحيدة التى دافعت عنها . وبعد
انتهاء القتال ، ميرت وسائل الاعلام الأوربية - وبعد
احتلالها العنصرى للعرب المهزومين . ومع أن
الصحفيين الأجانب الذين نقلتهم إسرائيل الى إحدى
مستعمرات الحدود ، ليروا بأنفسهم آثار الحرب
على جدرانها ، قد تبينوا أن الأوامر قد صدرت
للسكان بالتوجه للمخابىء مساء ٦ يونيو ساء قبل
العدوان - فاتهم سكتوا عن هذه الواقعة ،
وانطلقوا بؤكون بدء مصر للعدوان .

وفى مساء نفس اليوم بدأ التوقيع على الراتض
فى باريس وعلى طلبات التطوع فى جيش إسرائيل .
وتكثمت إسرائيل فى البدء أثناء انتصاراتها لتستمر
صورة « داود الصغير المعتدى عليه » . وعندما
سأل صحفى أبا إيسان ما إذا كان المصرون
أخفقوا الحدود ، رد بقوله « على كل الاحوال
فان قد انهم قد اخترقتها » . ثم بدأ التبرير وأعلن
راديو لوكسبورج « ما أهمية البحث عن كان
المسئول أولا . لقد أرادت حكومة إسرائيل منع
العدوان » . وأعلن راديو أوروبا رقم ١ أن ناصر
هو المسئول من توسيع الحرب . وقالت صحيفة
« ليزيكو » انه لا أهمية للحديث عن المسئول
وأكدت « الفيجارو » القول نفسه ، ونفس الكلام
ردهته « كوما » . ومع ذلك فقد أكدت نفس الصحيفة
فى بداية تغلبها للاخبار أن مصر هى التى هاجمت.

ويؤكد المؤلف أن الاعداد للحرب بدأ قبل وقوعها
بعدة طويصلة بالترويج لجب إسرائيل للسلام ،

شابيرو ، وشيريف ، ويسهاياو وكلهم أعضاء في حزب العمال . وكان هناك ٩ ما زالون مترددين وهم : **أبا ايان ، وسابير ، واران ، حزب عمال ، وبارزلاي ، وينتوف ، ألبام ، الحزب العمالي الموحد ، وبورج ، وشابيرو ، الحزب الديني ، وكول ، الليبرالي** . آلامهم كانوا يريدون مزيدا من مساعدة أمريكا ، ولهذا أرسل في ٣٠ مايو إلى واشنطن ، رئيس المخابرات الإسرائيلية لجث امكانيات التصديق . وفي أول يونيو تشكلت في إسرائيل حكومة الوحدة الوطنية ودخل فيها **ديان ويبجن** . وفي ٣ يونيو أبرق رئيس المخابرات الإسرائيلي من واشنطن إلى **اشكول** بما يفيد التفاهم ، ومع ذلك فقد تحدث ديان في اليوم نفسه عن انتظار إسرائيل للجهد الدبلوماسي لفترة أخرى . ويوضح المؤلف أن هيئة الأركان الإسرائيلية دون علم **ديجول** ، استخدمت العقول الإلكترونية التي تملكها البحرية الفرنسية في طولون - بوافقة **ميسير** وزير الدفاع - في أعداد خطة الهجوم على مصر ، رغم أن **ديجول** كان قد حذر وزرائه قبل ذلك بيومين من المشاركة مع طرفي النزاع بأي صورة . وفي ٤ يونيو اتخذ مجلس وزراء إسرائيل قرارا يقول « قررت الحكومة القيام بعمل عسكري لتحرير إسرائيل من عقدة العدوان التي تضيق من حولها بالضراد . والحكومة تخول رئيس الوزراء ووزير الدفاع أن يحددوا لجيش الدفاع ساعة البدء » .

ويقول المؤلف أن إسرائيل وعت حقائق الموقف الدولي جيدا واستخدمت الدرس من حملة ١٩٥٦ فقد أعلن **ديان** أن المعركة مع مصر يجب ألا تستغرق أكثر من ٣ أو ٤ أيام ، وأيده في ذلك الجنرال **بوفر** قائد القوات الفرنسية في حملة ١٩٥٦ قائلا : « أن حملة ١٩٦٧ تعتبر نموذجاً للمعمل العسكري الذي يهدف إلى خلق وضع قائم قبل أن يستطيع الرأي العام العالي التدخل » ونفس التأكيد تقدمه القادة العسكريون لآسيا الغربية .

ويوضح **كوبار** في كتابه أن إسرائيل كانت تهدف - علاوة على أغراضها التوسعية - إلى خدمة المخطط الأمريكي في المنطقة . فقد أعلن **هايم هيرتزوج** غداة الحرب « أن الثروات البترولية في الخليج الفارسي وفي صحراء السعودية كانت في خطر . وبما لم تبدأ إسرائيل حرب يونيو لضاعت بلاد كثيرة » ويقول المؤلف أن إسرائيل أرادت بحرب يونيو أن تدافع أيضا عن مصالح حلف الأطلنطي والكارنل البترولي ، بل وأعلن **هيرتزوج** أنها أرادت مساعدة أمريكا على البقاء في آسيا . وتوالت قبل الحرب وبمدها تصريحات قادة إسرائيل التي تؤكد مسؤولية بلادهم في الحفاظ على المصالح الامبريالية والنظم الرجعية في المنطقة . ويقول **كوبار** أن إسرائيل اختارت منذ قيامها في ١٩٤٨ ،

أسس تجمع مساعدة إسرائيل . وفي مساء حضر عدد كبير من هؤلاء النيجوليين اجتماعا عقده صغير إسرائيل . كما عبر عن مسؤولية العرب جان ليكتويره رئيس الوسط الديمقراطي . كما شارك ممثلو حكومة فيشي في الحملة بل وانضم لها أناس عروا بمعاداتهم للسلمية . ووصف **هي موليه** [في الأكسبرس ٢٩ مايو] إسرائيل بالدولة الشجاعة وقال أن السماح بسحبها سيكون ميوينغ أخرى . وأكدت فرانس سوار حالة الحصار التي يعيشها الإسرائيليون . وكثت لومتيه هي الصحيفة الوحيدة التي نهبت في ٢٢ مايو إلى المؤامرة التي تحاك ضد البلدان العربية ، وإلى العدوان الذي يدير عليها « ضد حرية الشعوب وتطلعا للتقدم » .

ويقول المؤلف أن التفكير في العدوان اكتب في ١٩٦٦ عندما نشط العمل الفدائي ، بمقتضى ما أسسته إسرائيل « حق الملاحقة » أي حق تتبع الفلسطينيين ومهاجرة من يساندونهم . فقد أعلن الجنرال **رايين** في جريدة الجيش الإسرائيلي في سبتمبر ١٩٦٦ اعتراف بلاده العدوان على سوريا والأطاحة بنظائرها . والواقع أن اختيار البلد الذي يهاجم لا يتوقف فقط على كونه ينطلقا للفدائيين ، وإنما يتوقف على طبيعة النظام القائم فيه . فقد كان في الأردن ولبنان فدايون ، ولكن إسرائيل لم تعد للأطاحة بالأنظمة فيها . وقد أعلنت إسرائيل حقها هذا في « الملاحقة » بطريقة مبلية ، فأنشاء مناتية الجمعية العامة مشكلة اللاجئين ، اعتدت على قرية ساموا العربية وقتلت عددا من سكانها .

ومنذ نهاية ١٩٦٦ وبداية ١٩٦٧ - بدأ قادة إسرائيل يمدون المدة للتنفيذ الفعلي . وفي ٧ أبريل ١٩٦٧ أشعلوا نيران القتال على الحدود مع سوريا . ومع ذلك ، طفقوا يتحدثون كثيرا عن رغبتهم في السلام . فقد أعلن **اشكول** في الكنيست في ٢٢ مايو : « أريد أن أقول بأعلى صوتي للبلاد العربية خاصة مصر وسوريا ، أنه ليست لدينا نوايا عدوانية ضدها ، وليس لنا مصلحة في المساس بأرضها أو حقوقها المشروعة » ومع أن الرئيس **عبدالناصر** كما يقول المؤلف ، قد أعلن أن مصر لن تدخل القتال إلا إذا تعرضت سوريا والبلاد العربية للعدوان ، فقد تناسلت الصحف الغربية كلمة « لا إذا » وقالت أن مصر تريد الحرب . ويقول المؤلف أن القادة العرب فاتهم « أن تل أبيب تحظى منذ ١٩٥٦ بالتأييد الكامل لواشنطن . وأن جنرالات إسرائيل استفادوا كثيرا من فشل حدوان ١٩٥٦ » .

وفي اجتماع مجلس وزراء إسرائيل في ٢٩ مايو ، دعا أعضاء في المجلس إلى شن الحرب نورا وهم : **ليني اشكول ، وإيجال آلون ، وموشي كارمل ، وجاليلي ، وجيفاني ، وساسون ، و ي .**

معسكرها ٢: وهن المعسكر الامبريالي . وفي ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، شنت غارة على غزة لارهاب النظام الجديد في مصر واخضاعه ، ثم اشتركت في عدوان ١٩٥٦ لمحاربة مصر على التاييم . وبعد مبدأ **ايزنهاور** للء الفراغ في المنطقة في ١٩٥٧ ، وألذى رفضت مصر ، بسدت اسرائيل تعرض خدماتها على امريكا لحماية مصالحها في المنطقة ، ويورد المؤلف رسالة بن جوريون الى دلاس التي تعرض خدمات اسرائيل ، ويقول ان مآثير وأصلت نفس الخط ، فقد التقت بدلاس في ١٩٥٧ لعرض مشروع بالتدخل في سوريا لم يتسن تنفيذه الا في ١٩٦٧ .

ويقول **كوبر** ان مصالح امريكا في المنطقة هائلة فعلا ، وان التدخل يساعد على الاحتفاظ بها ، ومحاولات التهيئة تهدد بالخطر ، ان يعترف **والتر روستو** مستشار **هونفسون** : بان تطور البلدان المتخلفة بشر بالولايات المتحدة ، ويقول ان الشرق الاوسط له أهمية خاصة في ذلك بالنسبة لأمريكا . ولهذا كانت حرب يونيو حرب بترول ، ذلك ان ٧٠٪ من احتياطي البترول في العالم غير الاشتراكي ، موجود في البلاد العربية التي يبلغ متوسط الانتاجية فيها من البئر الواحدة ٣١٨٨ برميلا في اليوم مقابل ٣٦١ في فنزويلا ، ٥٢ في كندا ، ١٢ في أمريكا . وفي ١٩٦٧ كانت تسيطر أمريكا على ٥٨٪ من احتياطي البترول في المنطقة . وقد أكدت دراسة اعدها معهد الشرق الاوسط الأمريكي في ١٩٦٩ ان استثمارات وتجارة أمريكا مع شمال افريقيا تدر لها ٢ مليار دولار ارباح سنويا معظمها من البترول .

وفي مقابل هذا ، فان اسرائيل تحتل مكانة خاصة بين ملاء أمريكا ، من حيث حجم المعونات او نوعها . فقد قدر **دافيد نيس** القائم بالاعمال الأمريكي السابق في القاهرة ان اسرائيل حصلت بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ على ٣٦ مليار دولار معونة ، اي ١٤٠٠ دولار للفرد . في حين ان ١٤ دولة أخرى في المنطقة لم تحصل سوى على ٣٥ مليارا في نفس الفترة . كما ان أمريكا خصصت ٣٣ مليار دولار لمعاونة مجموع الدول الثامية في الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ، وبعد حرب يونيو زادت الهبات : ٨٠٠ مليون في ١٩٧٠ ، حوالي مليار في ١٩٧١ . كما ان أمريكا هي المورد الوحيد للسلاح لاسرائيل بان تصنع معدات حربية الكترونية إيطاليا ٣٠٠ ، اليونان ٢١٦ ، الاسطول السادس

٢٠٠٠ . وفيحتسا بين ١٩٦٩ و ١٩٧١ ٣ محتات أمريكا لاسرائيل حوالي ٩٠٠ مليون دولار اثمان لشراء الاسلحة مقابل ٣٠٠ مليون دولار بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ . وفي نوفمبر ١٩٧٢ وقع اتفاق يسمح لاسرائيل بان تصنع معدات حربية الكترونية أمريكية . كما تساعد أمريكا اسرائيل في مجال تطوير قدراتها الذرية . وتدفع أمريكا الهيئات الدولية التابعة لها لمساعدة اسرائيل مثل البنك الدولي للانشاء والتعمير الذي منح اسرائيل مساعدات بلغت ٢٢٨٣ دولار للفرد ، في حين بلغت مساعداته لسوريا ٢١٣ دولار للفرد وللعراق ٦٧٠٠ ولبلييا ٤٧٠٠ دولار ، ولصر ٦٠ دولارا وفيما بين ١٩٥١ و ١٩٧٢ ، باعت اسرائيل اوراق مالية في أمريكا بلغت قيمتها ٢ مليار و ٢٠٠ مليون دولار . كما يلعب السوق الاسرائيلي دور الوسيط والنازيت في التجارة الأمريكية .

وفي كل عدوان تحصل اسرائيل على مكافأة ، ففي عدوان ١٩٥٦ حصلت على مكافأة تبطل في فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ليزدهر ميناء استولت عليه في ١٩٤٩ منتهكة اتفاقية الهدنة . وفي ١٩٦٧ كانت المكافأة أكبر اذ بلغت نحو ٨٠٠٠ كم : الضفة الغربية ، الجولان ، سيناء ، وهي تمثل خزانا لليد العاملة الرخيصة ٢ نحو ٩٨٢٧٠٠ ، وتضم اراضي خصبة في الضفة الغربية وكذلك البترول في سيناء ، وتضمن لها موقع قدم على القناة ، وطريق الى دمشق وعلى الرغم من تصريحات قادة اسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ من عدم رغبتهم في ضم اراضي عربية ، فقد أقام المعتدون نحو ٥٠ مستعمرة في ١٩٧٢ في الأراضي المحتلة . ولكن الاحتلال ليس بلا تكلفة . وفي هذا يورد المؤلف ارقاما كثيرة تفوض ان للمعدوان نفقاته [١] التي تفوق طاقة اسرائيل لولا مساعدة أمريكا التي تزداد اعبائها مع ازدياد حالة العزلة التي بدأت اسرائيل تشكو منها . في وقت بدأ فيه تقس قطاعات متزايدة من بعض سكان اسرائيل من جراء القيود والأزمات الاقتصادية .

لذلك كله ينادي المؤلف ان بداية الحل تكمن في تنفيذ قرار مجلس الامن بالتنازل عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد حرب يونيو .

والحق ان كتاب كوبر ، مثل طيب على ان العدول والحق له انتصاره في كل مكان ، حتى وان كث اعوان الباطل وعلا صوتهم .

التحالف من أجل التقدم والتكتيك الجديد للامبريالية

شسكار الماشور

وأزاء هذه الأحداث التي استجذت في القارة اللاتينية ، بدأت الرسائل الأمريكية بالانحسار عن اقطار هذه المنطقة . . على الرغم من توافر الاجور المنخفضة وأسعار الاراضى الرخيصة . فهذه المميزات لم تعد كافية مع اندام الثقة بالتطورات السياسية والثورية ، والأوضاع غير المستقرة .

وماتبقى من هذه الرسائل الامبريالية في القارة اللاتينية لم يكن الا مغامرة دينيثة ، تصالول التمسك بمصاد في استثماراتها ، عن طريق اشتراكها في هذه الاستثمارات مع رؤوس الاموال الصلبة أو الخاصة المحلية ، مما يمنحها ميزات عديدة ، ويقدم لها نوها من الضمان ضد الاخطار السياسية (١) .

التكتيك الجديد

بيد أن الامبريالية الأمريكية ، التي بدأت تكلفها حروبها العدوانية في بلدان شرقي آسيا ، ومناوراتها الخبيثة في الشرق الأوسط ، وبقية اصقاع العالم المتيقظ ، الى جانب التناقضات المتفاقمة داخل مجتمعاتها الطبقي ، وتزدحان حالة الطلقة والعمال ، والتفرقة العنصرية . . تحت كل هذه الضغوط وجدت الامبريالية الأمريكية نفسها غير قادرة على

بأى ثمن ، وبأى شكل من الأشكال ، تسمى الامبريالية المالية ، وبالأخص الأمريكية الى الاحتفاظ بثنائية العالم (عالم المواد الأولية وعالم المصنوعات) ، كبحا تتمكن ، الى النهاية من تحقيق اهدافها العدوانية ، على حساب تخلف الشعوب في العالم . وذلك جرى من خلال التطورات التكتيكية الدقيقة ، التي تمارسها الامبريالية باستمرار على استراتيجيتها في مناطق العالم الثالث ، ولا سيما في أمريكا اللاتينية .

فحين قضحت حركات التحرر الوطني في القارة اللاتينية مبدأ (مونرو) في حماية اقطارها من أطماع الدول الأوروبية ، وكذلك حين تقهقرت سياسة (روزفلت) في (المصا الغليظة) ، وما أعقبها من سياسة (حسن الجوار) ، وجدت الامبريالية الأمريكية نفسها محاطة برعى جماهيرى لاتينى يفضح استراتيجيتها العدوانية في تصدير رسايلها الى اقطار أمريكا اللاتينية لتعود محملة بأرباحها الطائلة الى الخزائن الأمريكية ، من ذلك الثورة الكوبية عام ١٩٥٩ ، التي استطاعت ان تصعد مخاوف أمريكا ، وفشل الاعتداءات الأمريكية على هذه الثورة ، التي بدأت تشكل نبراسا وحافزا لاغلب اقطار القارة اللاتينية (٢) .

ثانيًا : الدعوة إلى استمرار مثل هذه البرامج
بأكبر دقة ، من أجل تحويل عملية الثورة الحتمية الشعبية إلى ثورة إصلاحية ، تجد خلالها الابتكارات الأمريكية مرتما خصبا وأمانا .

أن ما قمنا إلى اقتباس هذه الفقرات من خطاب كيندي هذا - بعد ست سنوات من تنفيذ المشروع الجديد - هو إبراز سوء النية في هذا التاكثك الأميركي .. الذي كشفت عنه أمريكا الامبريالية بنفسها .

التحالف من أجل التقدم

ان ما قمنا إلى اقتباس هذه الفقرات من ركز قاعدته **جون كيندي** ، وانشأ منظمته عام ١٩٦١ هو خطة تهدف إلى إخفاء (المبتاع التجاري) والديكتاتورية العسكرية ، التي تؤمن مسيرة الابتكارات الأمريكية ، وتصدير رؤوس الأموال المكثفة ، وذلك خلف قناع من مساعدة أقطار أمريكا اللاتينية ، لتغيير أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة ، وذلك بعد فشل الامبريالية في التدخل المباشر أمام الانتفاضات الجاهلية في هذه الفترة .

وقد وجد مشروع (التحالف من أجل التقدم) مرائع خصبة في مواقف بعض الحكومات العميلة ، مما فتح الطريق أمام الرساميل الاحتكارية لأخذ مواقعها الاستثنائية في بعض أقطار القارة ... مخفية تحت برنامج كيندي الإصلاحية .

وفي الوقت الذي اتجهت فيه الرساميل الأمريكية الفردية ، مدفوعة برخص الأيدى العاملة وانعدام القيود الضريبية والتبادل الحر الذي يسمح باسترجاع الأرباح ، اتجهت المساعدات التي تقدمها منظمة (التحالف) إلى تنفيذ مهمتها « لتطوير الحالة الاجتماعية والاقتصادية » كما تزعم ، ولكن من خلال توظيف هذه المساعدات في استثمارات غير منتجة : الطرق ، المستشفيات ، المدارس ... الخ [٣] ، وذلك حسابا من الامبريالية لدرء الخطر ، الذي قد ينتج من توظيف هذه المساعدات في إمساكتها الحقيقية .. كاستثمارها في الشركات الوطنية المسماة ، أو في تصفية علاقات الانتاج الاستغلالية . بيد أن الامبريالية كانت تخشى أن يضع تطور البروجوازية الوطنية - حين تتولى تحويل المواد الأولية - هذا للميثاق الاستعماري ، ويشجع هذه البروجوازية

تحمّل أعباء كل ذلك ، الا من خلال استراتيجيتها الاحتكارية في أمريكا اللاتينية . فعمدت إلى تمرير ذلك عن طريق برامج المساعدات لاقطار هذه القارة ، متخفية تحت ائمة مساعدة هذه الشعوب والنهوض بها من تخلفها . فراحت الامبريالية تدور حزننا على هذه الشعوب المتخلفة ، وتدعو إلى انقاذها ، وذلك ما يتضح من خلال خطاب « روبرت كيندي » أمام مجلس الشيوخ الأمريكي ، في التاسع من أيار ١٩٦٦ ، في محاولة لاقتناع بعض الشيوخ المتصلبين ، لبعض بمساعدة أخيه الرئيس « جون كيندي » في تنفيذ مشروعه « التحالف من أجل التقدم » ، وذلك بعد مرور ست سنوات على تنفيذ هذا المشروع . حيث قال يصف حال أقطار أمريكا اللاتينية : [٢] اعتبار دول أمريكا اللاتينية على محصول واحد فقط للتصدير ، وانعدام الصناعة سببيا ، وغياب السوق الداخلية القوية ، وعلية الابتكارات الحكومية . والنتيجة النهائية لهذا الشكل من التنمية هي الفقر والاضطراب والبؤس ، وعندما يتجول المرء في أنحاء أمريكا اللاتينية يشاهد واقع البؤس البشري ، هناك أناس في - رصيف - يعيشون في أكواخ بائسة قرب المياه التي يصسبون فيها نفاياتهم وبرازهم ، وفي كل مكان حول كل مدينة كبيرة نوعا ما ، توجد أحياء فقيرة - مزدحمة بالسكان ، وموسومة بالفقر والرديلة ، ولن يقبل هؤلاء الناس بهذه الظروف الحياتية خلال الجيل القادم ، ولا نحن نقبل بها ، وستكون هناك تغييرات ، فقد انطلقت الثورة في مسيرتها ، وهي ثورة سلمية اذا كان لدينا القدر الكافي من الذكاء ، وممتثلة اذا كان لدينا الحذر الضروري ، وناجحة اذا كنا محظوظين ، ولكنها ثورة ستحقق شيئا أم أبينا ، نستطيع أن نؤثر في طابعها ، ولكننا لا نستطيع تغيير حتميتها) .

ان خطاب (روبرت كيندي) هذا جاء بعد مسيرة ست سنوات - كما قلنا - من تنفيذ (التحالف من أجل التقدم) . وإذا كان لنا أن نستنتج من هذا الخطاب شيئا ، فأننا نستنتج شيئين :

أولا : الفشل الذريع الذي تتعرض له الامبريالية الأمريكية في القارة اللاتينية ، حتى من خلال تخفيها وراء مشروع (كالتحالف من أجل التقدم) والذي هو عبارة عن مجموعة من المساعدة التي لا يظهر فيها التدخل العسكري أو المباشر . وذلك ما يدل على سوء النية في أبرام مثل هذه المشاريع .

[٢] جاك رودس - الاستثمار الجديد في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ص ١٢٠

[٣] ريجي دوبريه - ثورة في الثورة ص ١٦٢

على إقامة علاقات تجارية مع جميع الدول ، تقتضى بذلك على الاحتكار التجارى الذى تملكه الولايات المتحدة .

وبذلك نتوصل الى النتيجة الحدوانية التى هدف اليها (التحالف من أجل التقدم) ، وهى اضعاف قطاع الاصلاح غير الناتج على إبرام اتفاق يسمح بتصدير الرساميل الاحتكارية الامريكية بشكل مكثف الى اقطار القارة اللاتينية . . كما تأخذ هذه الرساميل طابع الشرعية ، وبسببها وبسببها الاستقرار .

ويدرج (ريجيه دويريه) فى كتابه (ثورة فى الثورة) بعض الفوائد الاستعمارية التى صاحبت مشروع (التحالف) هذا ، تلك الفوائد التى تبين أهمية هذا الفكتيك الجديد فى خدمة الاستراتيجية الامريكية العدوانية والاستغلالية (٤) :

١ - اشتراط امريكا باستخدام الاموال المفروضة الى اقطار امريكا اللاتينية - فى كل الاحوال - فى شراء منتج امريكية شمالية مصنوعة ، وبأسعار تزيد عن مستوى السوق المالية بنسبة تتراوح بين (٥٠ - ٢٠ بالمائة) .

٢ - ان تصدير الفائض من المنتجات الزراعية الامريكية الشمالية يحقق غايتين : أولاً : انه يخفف من أزمة تزايد فائض الانتاج الوطنى فى الولايات المتحدة ، ثانياً : انه يدر الارباح على شركات الشحن الامريكية الشمالية ، التى تفرض رسوم شحن خيالية .

٣ - على كل دولة تتسلم (المساعدة) من منظمة (التحالف) ان تؤمن من جهتها : اعادة جهاز ضخم من الموظفين والفنيين الامريكيين الشماليين ، يعيشون على مستوى معاشى مرتفع جداً ، وتنفيذ مشاريع الاصلاح العامة ، كشق الطرق وازالة الغابات ، وإنشاء القنوات والانهاء ، فى المناطق التى تعمل فيها الشركات الامريكية ، وحيث توظف الاستثمارات . وتلك طريقة بارعة لتخفيض تكاليف الانتاج ، عن طريق القائها على عاتق الاقطار اللاتينية .

ذلك الى جانب ان الهيئات المقدمة لتكولوجيا واقطار جبال الانديس على شكل سلع (كالحليب المجفف والزبدة الملينة مثلا) على يد (شيالى

السلام) التى تضم ثديانا من امريكا الشمالية ، يتطوعون لتادية دور وظيف من العمل التجسسى والنشاط الكشفي فى هذه المناطق ، ماهى الا أدوات للتغلغل والابتزاز فى اوساط الفلاحين .

ويضاف الى كل ذلك ، تبكّن الامبريالية الامريكية - من طريق هذه المساعدات - من الضغط على اقطار القارة اللاتينية لقطع علاقاتها التجارية بأوروبا والبلدان المجاورة ، والاكتفاء بالاستيراد من امريكا بواسطة مبالغ مساعدات منظمة (التحالف) .

هذه الخطة الدنيئة ومغارقاتها ، والتى عيلت الحركات الثورية الوطنية داخل القارة على تدمير تناقضساتها ، نهض انها أصيبت بالفشل الذريع (تحدث عنه روبرت كيندى ، كما أوضحنا سابقاً) وتعرضت الى عكس ما طلت اليه الامبريالية فى تحويل الثورة الجماهيرية الحتمية الى ثورة سلمية اصلاحية . فقد كشفت حركات التحرر الوطنى : ان تضطيط (التحالف) كان يرمى الى ان تزداد التنمية الاقتصادية بنسبة سنوية تبلغ (٢.٥) فى المائة لكل شخص . وبالرغم من الاعلان بأن هذا الهدف قد تحقق عام ١٩٦٥ ، فان هذه الارقام الرسمية « خادعة نوعاً ما » ، ذلك ان الزيادة لم تزد عن (١.٤ فى المائة) فقط لكل شخص . اضافة الى ان التقارير لم تأخذ بعين الاعتبار التضخم النقدي الذى ساد عدداً من اقطار امريكا اللاتينية . كل ذلك يصحبه الانقلابات العسكرية المدعومة من قبل الامبريالية فى اقطار هذه القارة ، حينما تتسلسل الامبريالية بنسائم اصلاحية ليمض تادتها . ومن أمثلة ذلك الانقلابات العسكرية ضد (غولار) فى البرازيل و (يان اسنيسير) فى بوليفيا ، و (جوان بوش) فى جمهورية الدومينكان (٥) .

نستنتج من ذلك ان (التحالف من أجل التقدم) لم يكن سوى تحالف بين امريكا الشمالية والامريكيين الشماليين فى امريكا اللاتينية . . وسوى تطبيق (مبدأ مونرو) فى خلق قواعد مضادة للثورة الحدية . لذا فقد مدت الامبريالية الامريكية الى دعم مشروعها هذا بالانقلابات العسكرية ، التى تقودها الولايات المتحدة ، وعن طريق انشاء قوات مضادة لحروب « الغوار » الجماهيرية .

(٤) ريجيه دويريه - المصدر السابق من ١٩٦٤

(٥) جاك وورس - المصدر السابق من ١٩٦١

اثر الوعي الجماهيري

اللاتينية ، واعادة النظر في سياسة بلاده التجارية مع هذه الدول ، والعمل « معا » على رفع المستويات المعيشية فيها .

من هذه التطورات الجديدة في تاكتيك الاستراتيجية المعروية الامريكية ، خرج نيكسون ببذنه الجديد المسمى « مبدأ المشاركة » والرابى الى تقديم المساعدات لاقطار القارة اللاتينية ، مع الدعوة الى نشر « الحرية والديمقراطية » فيها . . . مبيتا لهذه الاقطار تحالف الاميرالية مع الانظمة الرجعية والانقلابات العسكرية ، لتدمير تصدير الرساميل الامريكية الشمالية . . . حيث أصبح [التحالف] في عهد نيكسون تحالفا بين الولايات المتحدة والانظمة الرجعية المحلية ، بعد أن كان وجه التحالف بين الولايات المتحدة والامريكيين الشماليين في الاقطار اللاتينية سافرا في عهد جون كيندى . ومع ذلك فقد دعم نيكسون [مبدأ المشاركة والحرية] الذى دعا اليه باشارته الى قرار المؤتمر الاستشارى التمسع عام ١٩٦٤ لوزراء خارجية منظمة الدول الامريكية - عدا المكسيك - الداعى الى قطع علاقاتها السياسية والتجارية مع كوبا ، وذلك كاسلوب للتهديد النكسونى لتلك الاقطار .

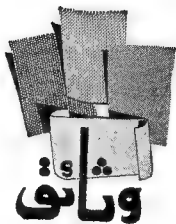
ومن ذلك تظهر بجملاء حقيقة مبدأ [المشاركة] هذا ، من حيث استبرار ربط اقطار أمريكا اللاتينية بمجلة الاحتكارات الامريكية ، مع إعطاء اسم [المشاركة] (الحرية) على غطة [التحالف من أجل التقدم] .

وازاء تنافس الوعي الجماهيري ، بدأت بعض الحكومات في أمريكا اللاتينية بالتحرر المضاد للامبريالية . فقامت ، تحت ضغط الحركات التحررية الوطنية ، الى اعادة النظر في تبعيةها هذه ، فصانرت حكومة بيرو عام ١٩٦٨ موجودات شركة البترول المالحة الامريكية ، وتبعيتها بوليفيا عام ١٩٦٩ . مما سبب مشكلات جديدة أمام الاميرالية ، ومما دعا الى نوع من التحالف بين اقطار القارة اللاتينية ، كيداية لمواجهة القارة للتدخل الامريكى ، وكينطلق للفلسفات الايديولوجية والتناقضات الاقتصادية والسياسية بين الطرفين .

مبدأ المشاركة

في عام ١٩٦٩ ، وبعد زيارة لاقطار أمريكا اللاتينية قام بها « روكفلر » قدم تقريرا الى حكومته ، اعترف فيه بأن الولايات المتحدة كثيرا ما تحدثت عن [التحالف أو الشراكة] ولكنها لم تمارسها ، ودعا الولايات المتحدة الى [اعادة الحياة] مع دول أمريكا اللاتينية ، وطى (أساس جديد وأشكال جديدة واسلوب جديد) . فكان أن قرر الرئيس الامريكى الحالى نيكسون احداث تغيير [جذرى] في طرق تقديم المساعدات غير المشروطة ، واحتواء سيادة وحرية الدول





□ اعتراف من جنرالات

اسرائيل بارتكاب عدوان ٦٧

□ برنامج الجبهة الوطنية

الفلسطينية في الارض المحتلة

في هذا العدد .. والمرب يعيشون جميعا أيام الانتصار .. تقدم «الطليلة» وثيقتين هامتين .. حزميتين من الضوء .. أحدهما وثيقة تعبر عن رفض الاحتلال والأصرار على مجابهته والكفاح ضده .. هي برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة .

.. والثانية ادانة جديدة للعدوان الاسرائيلي في ١٩٦٧ .. اعتراف من مديريه من جنرالات اسرائيل بأن اسرائيل ارتكبت العدوان ، وأنها لم تكن مهددة .. ولا بحاجة الى ضربة وقائية .

وثيقتان .. واحدة تفضح العدوان ، والاخرى ترفضه وتقاومه .

■ برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة

في نداء وزع في الاسبوع الاول من سبتمبر الماضي في جميع انحاء المناطق المحتلة وعلى الصحف ووكالات الانباء اعلنت الاحزاب والهيئات والرجال المناهضة الفلسطينية في المناطق المحتلة من قيام « الجبهة الوطنية في الارض المحتلة » على اعتبار انها « جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية المحتلة في منظمة التحرير الفلسطينية » ، والتي هي جزء من حركة التحرر العربي ، وتضمن النداء « الذي صدر سرا في شكل كراس » برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة «

الشعب العربي الفلسطيني شعب صامد

ويعد ان يستعرض واضع هذا النداء التاريخي امراوة الاحتلال الاسرائيلي ، الذي يقوم « بتجريد جملة الفع الدولية ضد شعبنا العربي الفلسطيني ، وحركته الوطنية داخل الارض المحتلة وخارجها » بتجاهلهم الدم الابري الذي لا حدود له سياسيا واقتصاديا وعسكريا .. ولكنه تحرك قوى الاستسلام والانهاز في انتظار هل اميركي يطبق في واشنطن ويستهدف خدمة وهمية المصالح الاستعمارية الصهيونية في الوطن العربي وتحطيق الاستماع التوسعية الصهيونية على حساب امنا العربية ، وبشكل خاص على حساب شعبنا العربي الفلسطيني وقوفه المقدسة » .

ويعد هذا يؤكد واضع النداء التاريخي ان « هذه الامارات والهجمات ، على نراواتها وخطورتها لم تستطع ان تخضع شعبنا الفلسطيني الضاليل ، رغم ما تكبد من تضحيات جسدية وما يتعرض له من سيلاط وظروف قاسية ، ولم تتسكن من طمس شخصيته وتصليبه قضيته » .

على مستوى التحدي المصري

ولذلك « فان شعبنا الفلسطيني في ارضنا المحتلة يدرك خطورة الموقف ، لانه يلق وجهه امام مخططات التوسع والهيود الصهيونية التي

تلف على حساب ارضه وجوده ، بما يدفعه للتصدي لها ، ومقاومتها والسعي لتوحيد كل قواه لصعد الطوفان الصهيوني الذي يهدد بكتساح كل شيء » .

« ومن هنا نادى العديد من أبناء شعبنا في الارض المحتلة باواجهة الاخطار القاتلة . ويعد التداول وتبادل وجهات النظر قررا تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة باعتبارها الطريق الجرب لتعبئة وتوحيد طاقات شعبنا الكفاحية . وتجاوبا مع نداء المجلس الوطني الفلسطيني الذي اتفقد في القاهرة هذا الصام ، وبالتالي فان الجبهة الوطنية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية ، المنبثقة في منظمة التحرير الفلسطينية ، ولتي هي جزء من حركة التحرر العربي » .

وفيما يلي البرنامج الذي تبنته الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة :

١ - مقاومة الاحتلال الصهيوني والتفصيل في سبيل تحرير ارضنا العربية المحتلة .

٢ - تامين الحقوق المشروعة لشعبنا العربي الفلسطيني ، وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره على ارضه والمودة الى دياره .

٣ - رفض جميع المشاريع القامرية التي تسكوف تصفية قومية شعبنا العربي الفلسطيني والتفريط بحقوقه ، سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطيني والادارة الخفية والحكم الذاتي ومشروع كون ، او مشروع الملك حسين والحلول الدورية ، وما شكلها من التصورات التصفوية الاستسلامية .

٤ - الدفاع عن الاراضي والممتلكات العربية في وجه عمليات المصادرة والاذلال والتهويد .

٥ - حماية اقتصادنا العربي والحفاظ على المشاريع والوحدات الزراعية والصناعية والتجارية العربية امام محاولات المحتلين لتفريصها والاحتاج بالشركات الصهيونية

٦ - حماية ثقافتنا العربية وتاريخنا من العبث والتشويه الصهيونيين ، خصوصا في مجال الفاعح الدراسية .

٧ - الدفاع عن مكتسباتنا كسما نظارات الصهاينة ومساعدتهم لهدمها والاستيلاء عليها .

٨ - احياء تراثنا الشعبي واثب المقاومة لا يهينا من تجسيد لثقافتنا شعبنا بلوحه ونضاله البطولي للدفاع عنها .

٩ - العناية بالمناضلين والمتاصلات من أبناء شعبنا وبناته الذين يرهسون في سجون الصهاينة والقتال كحصين بمحاربتهم والاخراج عنهم ، ورعاية شؤون عائلاتهم والاهتمام باطفالهم ونسائهم ولديهم .

١٠ - دعم المنظمات الجماهيرية كاتحادات العمالية والمهنية واتحادات الطلبة والنساء والاشدية والهياكل الدينية والاجتماعية ومساعدتها في النضال من مصالح القائل التي تبلها وتعبئة طاقاتها في القتال ضد الاحتلال والعمل مع هذه القليلات جميعا لمبارتها من محاولات الصهاينة للتغلغل فيها . والتصدى لسماهي المحتلين لافراق شعبنا بوجاهات التفشخ والاذلال والملاوية .

١١ - تؤكد الجبهة على وحدة الشعبين الفلسطينيين الفلسطيني والارني ، وتعلن ان ارتباطها الوثيق وللاهمها مع الحركة الوطنية الاربانية في القتال من اجل تحويل الاردين الى قاعدة يمنية يستند اليها التفصيل العربي والفلسطيني ضد العدوان الصهيوني الاستعماري .

١٢ - تؤكد الجبهة على ان الحركة الوطنية لشعبنا الفلسطيني داخلها الارض المحتلة وخارجها هي جزءه اصل من حركة التحرير العربي ، كما تؤكد على ان استمرار الاحتلال والعدوان الصهيوني لا يهدد حقوق ومصالح الشعب الفلسطيني وحده ، انما يهدد كذلك حقوق ووجود الشعوب العربية الشقيقة الاخرى .

١٣ - تناقل الجبهة من اجل تعزيز اواصر الصداقة والتعاون مع جميع القوى التقدمية والعربية من العالم ، وفي مقدمتها الدول الاشتراكية ، وتعمل من اجل اكتساب المزيد من الاسداء والمؤيدين لقيمتنا العادلة في المجال الدولي » .

واختتم البرنامج بالتأكيد على اهمية قيام الجبهة الوطنية ، التي من شأنها ان تعزز لفة شعبنا بنفسه

ورفع من متلوى نضاله ضد الاحتلال وتطوع الطريق في مزامم الفراق في الارض المحتلة وتشد من ازر النضال الفلسطيني في الخارج وتؤكد وحده نضال شعبنا الفلسطيني في جميع مواقفه » .

النصر للشعب

وانهى هذا النداء التاريخي بإعلان الفتنة بالمستقبل . وذلك :

« ان عصرنا اليوم هو عصر تحرر الشعوب وانصراف قوى التفرير والتقدم وهزيمة قوى الاستعمار والغزو والصودان والعنصرية . وفي مقدور كل شعب اذا ما حزم امره ووجد جهوده وسلك طريق النضال القادر ان يحرز النصر ويظهر بحريته وحقه في تقرير مصيره ، مهما كانت قوة اعدائه ومهما بلغت اساليب القمع

والارهاب الوحشي التي يستخدونها . هكذا انتصر شعب الجزائر وشعب اليمن الجنوبية بعد كفاح مرير طويل حائل بالنتصيات . وهكذا يشهد العالم اليوم انتصار شعب لفتنام على اعلى قوة استعمارية مثقلة في الابرياليين الابركان امسياد الصهاينة وحباثهم ، وسير شعبنا على نفس الدرب يجعل النصر حليفه الحدي » .



□ اعتراف من جنرالات اسرائيل بارتكاب عدوان ٦٧

بعد خمس سنوات من حرب يونيو ، وقف في ظل ايبي من يعلن : « ان القول التي تزعم ان خطر الابداء كان يخيم علينا في يونيو ١٩٦٧ » ، وان اسرائيل كانت تصارع في سبيل بقائها المادي ، ليست سوى خدعة » . . واشار هذا الحكم صراحة كبيرة - في ذلك المساء - في نادي اها في تل ابيب ، مبين انه صدر من رجل جعله ماضي السياسي والعسكري ، أحد مثقذي الصف الاول لحرب الايام الستة . وكان من الصعب على ساميه ان يشكر في اخلاصه لبلاده او في جدية معلوماته . وكان هؤلاء المستمعون قد جاءوا أصلا للاشتراك في حوار حول آخر كتاب لعموس ايلون : « الاسرائيليون » .

وفي هذا الكتاب يفتي المؤلف الرأي الرسمي ، الذي روحت له الصحافة والإذاعة في العالم أجمع لكسب تأييد الرأي العام للدول ؛ وهو أن داود الصغائر الذي كان يهدد مائة مليون عربي بالابادة ، قد انتصر عليهم انتصار الحق والعدل . وحقت الضحية البريئة العدالة ، وباء الاشرار بالفشل والغزى المبين .

وفي يوم ١٧ مارس ١٩٧٢ هذا ، أي بعد الحرب بخمس سنوات ، قرأ الجنرال ماتتياهو بيليد انه يجب تخليص اسرائيل من تجارة صور المذاب والمخانة التي راجت . ولأنك انه رجل يدرك جيدا ما يقول ويعرف ما يتحدث عنه . فهو أحد صانعي انتصار يونيو ١٩٦٧ الاساسيين .

فقد كان عضوا في هيئة الاركان الاسرائيلية التي اعدت للحرب . وتولى فيها ادارة الشؤون . ومن يقوم بمثل هذا المعب وهو تموين حرب واضحة وصريحة ، لا يمكن أن يكون ممن يلغون القول على عوامته .

فقد توافرت في ايدي الجنرال بيليد كافة تقارير ادارة المخابرات الاسرائيلية حول جهاز الامداد والتموين المصري في سيناء ، واعداد الجنود ، وعدد الوجبات المتاحة لهم . وكان يعرف الى اقرب لقر ، كمية المياه الصالحة للشرب التي كان في مقدور الوحدات المصرية الحصول عليها . ويرف جيدا عدد الاسابيع التي يمكن ان تنقضى قبل ان تبدأ هذه الوحدات في ملأنة صعوبات التتوين ، حسب هذه التقديرات .

وماتتياهو بيليد ليس معارضا لحكومة بلاده . ولم يقف أبدا ضد سياسة الحكومة الاسرائيلية . وهو منذ زمن طويل ، عضو في حزب العمال مع جولدا مائير وموشى نينان . ومشاعره الموالية لأمريكا والمادية للسوفيت وللشيوعية ، معروفة تماما . وهو ليس أحد « اللغوة » الذين ادناوا « العدوان » الاسرائيلي . هكذا كان وما يزال الجنرال المتقاعد والذي يعمل حاليا استاذ في جامعة بار ايلان ، والذي كشف - بكلف وولع - أمام جمهور مذهول ، ما حدث حقا في ١٩٦٧ .

واستطرد الجنرال بيليد : « لقد كان مسبب الحرب ، هي محاولة الاتحاد السوفيتي تغيير الوضع القائم في المنطقة واستبدال النظام الامريكي الذي كان قائما في المنطقة منذ ١٩٥٧ » ، بنظام سوفيتي . . . وانني لارفض تماما ، واعتبره أمرا زائفا كلية ، ذلك القول بأن الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الابداء ككافراد أو كجماعة . لقد ركز المصريون في سيناء ٨٠٠.٠٠٠ جندي ، وعبانا نحن ضدهم مئات الألوف . . . وأنا مقتنع بأن الحكومة لم تسمع أبدا من قبل هيئة الاركان أن التهديد المصري كان خطيرا على اسرائيل ، أو انه لم يكن في مقدور الجيش الاسرائيلي هزيمة الجيش

هؤلاء في ٢٤ مارس في صحيفة معاوية اليومية المسائية بقوله :

« ليس هناك أي سبب لاختفاء حقيقة انه منذ ١٩٤٩ ، لم يجرؤ أحد - أو بصورة أكثر دقة - لم يكن في وسع أحد أن يجرؤ ، على إثارة الشك في وجود إسرائيل - ورغم هذا ، ظلنا ننفذ شعور بالضمة والنقص ، كما لو كنا شعبا خسفيا وصغيرا ، يعيش في قلق وضيق ليضمن وجوده ، ويمكن إبادته في أي لحظة » .

وود على من يذكروته بحذقة وصلافة المثقفي ، وتهديدات « مسوت العرب » وخطب ناصر الالتهية بقوله :

« لقد كان معروفًا للرأي العام ، أن القادة العرب أنفسهم كانوا واعين تماما بجورهم ، وإنهم لم يكونوا يؤمنون بتهديتهم .

وفي ٥ يونيو ، كان زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يحزم حقائبه استعدادا للسفر لواشنطن التي كان مقررا أن يطير إليها في اليوم التالي ليبحث مع الرئيس جونسون الطريق إلى تسوية النزاع دبلوماسيا . وكان فاضل يمتدح أن الامبريالية الأمريكية ، مازالت تحتفظ بنفس « الفطنة » التي أبدتها في ١٩٥٦ ، أيان المدوان الثلاثي الفرنسي الانكليزي الاسرائيلي في اعقاب تأميم قناة السويس » .

ومضى الجنرال يبيد إلى ابعد من هذا فقال : « أن «الحكمة» باختلاق أسباب للحرب ، ولف دوافعها الحقيقية بستار من الضباب والإيهام ، تسمى إلى جعل الشعب يقبل مبدأ ضم الأراضى بجزيئا أو بصورة كاملة اذا كان ذلك ممكنا » .

واضاف الجنرال : « ولتبرير ضم الأراضى العربية ، اثارت الحكمة فى رأى العام مرضا نفسيا ليس له ما يبرره ، وقدمت صورة زائفة عن الظروف التي سبقت حرب الأيام الستة . وذلك لانها ترى في الحصول على اراضى جديدة وصفة شاقية سحرية ، وحلا لكافة مشاكل أمننا » .

وتحرك انصار « الخدعة » - وحاول ثلاث جنرالات تدعيم مقولة الابداء ، وهم الجنرالات ايجال يادين الذي كان رئيسا للاركان في حكومة بن جوريون ، وأوريك شاريون الذى كان يتولى القيادة فى سيناء فى يونيو ١٩٦٧ . ورئيس الاركان الحالى الجنرال دافيد اليانز . فقد صرح دافيد اليانز ، الدافع عن الضم ، لصحيفة بدعوت احلوت بقوله : « ان الحدود السابقة لم تكن مأمونة - ومن ثم كان من المستحيل المضى فى الدفاع عن البلاد بمثل هذه الحدود » . ولو كنا سمعنا للقوات المسلحة العربية بان تنظم نفسها وأن تهاجمنا أولا ، لكنا عرضنا دولة اسرائيل للهلاك » .

المصرى الذى كان مكشوقا ومعرضا للضربات القاصمة من الجيش الاسرائيلي بقباء مدهش » . و اضاف « لقد اخفقت كل هذه القصص ، بعد الحرب ببضعة شهور فقط ، ولم يكن لها أى نصيب فى مجموع الاعتبارات التي رويحت فى تلك الايام . ومن بين هذه القصص ، قصة أن اسرائيل كانت تواجه خطرا رهيبا بسبب حدودها الضيقة . فعندما عبا الجيش الاسرائيلي قواء كاملة ، والتي تجاوزت قوة الجيش المصرى عدة مرات ، لم يكن هناك شخص عاقل يؤمن بأنه كان من الضروري لنا أن ندافع عن أنفسنا ضد تهديد مصرى . لقد كانت هذه القوة ضرورية لاتزال هزيمة حاسمة بالمصريين فى ميدان المعركة ، وبصايرتهم الموفيت فى المجال السياسى . والقول بأن القوة المصرية التي كانت متركزة على حدودنا الجنوبية ، كانت قادرة على تهديد وجود اسرائيل ، ليس فقط أمية لذكاء أى شخص قادر على تقييم مثل هذا الوضع . ولكنه قبل أى شيء آخر اهانة للجيش الاسرائيلي »

واضطرب نادى اهلا واهل واثقل راسا على عقب . فلم يكن متوقعا أن يقوم جنرال « بطل » من ابطال يونيو ١٩٦٧ ، بفرض الادعاء الذى اقيم لتبرير الحرب بمثل هذه الطريقة القاطمة .

واضاف الجنرال « لقد كان عدم وجود خطر ابداء ، يسبب للحكومة سموميات بالغة فى اتناح الرأى العام فى الشكاث بخططها ، إذ أن الحرب يكون لها ما يبررها فقط إذ كان هناك خطر ابداء ، لانه من غير المنسوح به شن حرب لاسباب سياسية » . وكان اصعب الامور ، جعل الناس يعتقدون فى خطر غير موجود .

وطالب شخص ما فى قاعة النادى بيزيد من التحديد ، فسال الجنرال : « فى رأيك ، متى تعرضت اسرائيل لآخر مرة ، لهجوم عربى ؟ » واجاب ماتتياهو يبيد : « اذا رجعت إلى التاريخ ، أقول أن ذلك كان فى ١٩٤٩ » .

وبعد ذلك بيومين ، فى ١٩ مارس ، قدمت هارثو وهي من كبريات صحف اسرائيل ، عرضا وكشف حماسا عن تلك الامسية الادبية فى نادى اهلا . واثار نشر هذه الآراء عاصفة مدوية . لقد أثير الجدل حول مدى نزاهة المتدبة . واستشاطت جولدا مائير غيظا ، وذهبت إلى حد عقد مجلس غير عادى للوزراء لدراسة الاصداء الداخلية والخارجية ، ولم يقتصر الامر على هذا ، فالناخضة والجدل ، كانا قد بدأ فحسب .

وهول الرسل والمبعوثون إلى البيروفسور يبيد ، يدعونه إلى الحدود عن اقواله وتقدير المواقب . وحاولت الصحف امتصاص الصدمة وانكار الحقيقة . ولكن ماتتياهو اجاب على كل

ويضمن هذا القول - بطريقة خبيثة - الاعتراف بأن الجيش الاسرائيلي هو الذي هاجم أولا في فجر ٥ يونيو ، وذلك على النقيض من الادعاء الرسمي الشائع منذ ذلك اليوم -

ولكن لتواصل حاليا بحث هذه المناقشة وآثارها ، فقد تلقى ماثاتياهو بيليد دعما وتأييدا لما قاله ، ففي ٢٩ مارس أيد الجنرال وايزمان قائد الطيران واحد زملاء بيليد في هيئة الاركان ما كشفه هذا الاخير وأعلن في هاترق : « اني متفق مع الرأي الذي يقول بأنه لم يكن هناك خطر اعادة يتهدد وجود اسرائيل ، ولكن هذا لا يعني أنه كان في مقدورنا تجنب قيامنا بضرب المصريين والاردنيين والسوريين : لاننا اذا كنا لم نفعل ذلك ، لما استمرت دولة اسرائيل على نفس الروح والطابع » .

وفي رأي هذا الوزير السابق ، في حكومة جولدا مائير ، والذي كان في ذلك الحين قائدا لمستشارين في حزب حيروت ، ويدعو وبجد علانية اقامة اسرائيل الكبرى ، فانه لا يلزم أن تكون بلد ما مهددة بالابادة ، لكي تشن الحرب . وفيما يتعلق بإسرائيل ، فان طابع الدولة لا يجب تحديده فقط من طريق الحصول على حدود آمنة ، ولكن الحدود يجب رسمها أيضا في الاعتبار ، وعلى المدى الطويل ، المصالح القومية والتاريخية ، وبعد هذا فقط يتعين الاهتمام بتحديد الحدود الآمنة » .

وعلى النقيض من الجنرال بيليد وهو من انصار اعادة الاراضي المفتوحة ، والتي تشكل علاقات القوة حاليا الايقاع فيها على وضع قائم على الطراز الأمريكي ، فان عازر وايزمان ، على العكس من ذلك ، نصير بتعمس لتوسيع خريطة اسرائيل وفق الحقوق التاريخية » التي يدعى حزبه الاستناد اليها .

وله قول مشهور ، يصدد ردود الافعال التي قد يثيرها في المجتمعات اليهودية اكتشاف ان اسرائيل لم تكن مهددة على الاطلاق :

« ان اليهود في الشتات كانوا يريدون لاسباب خاصة بهم ، أن يروا فينا أبطالا محاصرين ظهورهم الى الحائط . ولكن هذه الرغبة لا يمكن أن تغير من الواقع شيئا » .

وفي ٤ ابريل كبر الجنرال وايزمان في معاريف قوله بأنه « لم يكن هناك أبدا خطر اعادة » . وان هذا الافتراض « لم يثر أبدا في أي اجتماع جاد » .

وفي ١٤ ابريل ، اعترف بهذا أيضا وزير سابق آخر في حكومة التحالف التي شكلها لوفي أشكول عشية العدوان ، وذلك في صحيفة عليهمشمل ،

الناطقة بلسان حزبه أنابام (حزب اتحاد العمال ، الذي يشترك أيضا في حكومة جولدا مائير) . فقد اعترف بنقوف بأن « هذه القصة حول خطر الابادة » قد اخترعت بكاملها وضخمت مقدما لتبرير ضم اراضي جديدة » .

وهو هذا وزير آخر ، مازال يمارس عمله الى الان يكشف بدوره السبستر عن « تلك الخدعة » التي دبرت في ١٩٦٧ . وتصريحه لا يكتب اهميته ويثبت من منصبه كوزير للتجارة في حكومة جولدا مائير . بل من انه كان عضوا في هيئة الاركان في ١٩٦٧ . بل لقد كان الرئيس المساعد لها على وجه الدقة : وهو الجنرال حاييم بارليف ، والذي تولى بعد ذلك قيادتها قبل أن يبعد اليه بمنصب وزيرى . فقد صرح لمعاريف بقوله « لا ، لم يكن هناك خطر اعادة حرب الأيام الستة » . لم تفكر في هذا الموضوع ولم نتحدث فيه . ان مثل هذا الفطر كان قائما فحسب في ١٩٤٨ و ١٩٤٩ . بل ولقد اتضح سريما ان هذا الخطر لم يكن جدبا حتى في ذلك الحين » .

وفي ٥ يونيو ١٩٧٢ نظم « صوت اسرائيل » نقاشا حول الذكري الخابية للحرب ، اشترك فيه الجنرال بيليد والمعلق العسكري الرئيس الجنرال حاييم هيرتزوج الرئيس السابق لهيئة المخابرات . واعترف هذا الاخير بأن « هيئة الاركان الاسرائيلية ، وهيئة اركان البنتاجون - كما تدل على ذلك « مذكرات » رئيس الولايات المتحدة في ذلك الحين ، ليفتور جونسون - لم يكن يمتدنان بوجود مثل هذا الخطر » . ويرى الجنرالان أن علاقات القوى في ١٩٦٧ كانت في مصلحة اسرائيل ، ويؤكد ماثاتياهو بيليد بأنه لم يكن هناك أي دليل على أن مصر كان لديها نية مهاجمة اسرائيل .

ولكن بعد ذلك يومين ، تلقى الجنرال هيرتزوج بدوره لوم الحكومة ، التي اهابت « بالاحساس الوطني » لاصديقتها ، لتدعوه الى الصبت ، حتى لا يخطروا بفضح اسرائيل لدى الرأي العام المالي . وأعلن حاييم هيرتزوج انه « يجب وضع حد لهذا النقاش ، لانه يجب ألا تثار الشكوك حول هذه القصة التي اختلتها » .

وبالفعل لاقت النصيحة استجابة . ففي خارج اسرائيل استمر صمت أولئك الذين صلا صراخهم من قبل عن الابادة والاستئصال . لان صورة اسرائيل لن تكون وحدها ، هي موضع النقاش هذه المرة . في حين أنه ينبغي ألا يعرى ويكشف - بأى حال من الاحوال - ميكائيم « الخدعة » . وكذلك ينبغي ألا يفضح موضوعها : فلا بد من اخفاء طبيعة هذه الحرب وأهدافها .

المليحة

الأدب
والفن

ملحق

- من أوراق مقاتل مصري
- ميخائيل رومان .. مسرح شجاع مفتوح العينين
- بابلونيرودا .. الشعر ضرورة الالتزام



بابلونيرودا



في هذا العدد :

- من اوراق مقاتل مصرى
- منشور وطنى على رقم (١)
- ميخائيل رومان : مسرح شجاع مفتوح المينين
- بابلونيرودا .. الشعر وضروة الالتزام

- صفحة من التاريخ
- المروس .. وشجرة الزيتون « قصة قصيرة »
- سلون عالمية « قصة قصيرة »

هذه رسائل مصر

يكتبها - على استحياء - شعراء وفنانون وكاتب ، على استحياء لأن الكلمات التي يمكن أن يكون لها معنى يكتبها الآن مقاتلون في سيناء والجولان . برصاصهم ودمائهم وعرقهم .
هؤلاء كتاب وفنانون بخلافون في الاجيال التي ينتمون اليها ، والثقافات التي اكتسبوها ، والامتعاضات التي ينشغلون بها ، لكنهم يتفقون على حب مصر ، وهذه الرغبة الطاغية في الخلاص من الهزيمة التي احتملناها طويلا حتى كانت تزهق النفوس والارواح .
رأى كل منهم شيئا في هذا الحدث العظيم الذي فجرت به الإرادة العربية ظهير السايكس من أكتوبر .
تحية تقدير واعتزاز لهؤلاء الإبطال الذين خلفوا بدمائهم واقصا جديدا . وقدموا لمصر والعالم - صورة مشرقة للإنسان العربي ، وحطمو - بانقصارهم - خرافة الاسرائيلي الذي لا يغير .

□ هذا الشعب

سليم في جوهره

أول كلام ينبغي أن يقال عن الحركة هو الدورى المسفدة منها ؟
أول درس في اعتقادي هو أن النجاح المصرى في عبور القناة ، وتحطيم خط بارليف ، والتوغل في سيناء ، وتثبيت القواعد . انبعاث دل على أن القوة الذاتية للشعب المصرى لم تنكسر برغم الهزيمة المبررة ، التي لانها مصر في حرب ٦٧ . وقد كان هذا أكثر المواطنين اعتقاد جازم أنهم لا يهابون المواجهة مع الجيوش الإسرائيلية . وهذا لا يمنع أن بعض المواطنين من فرط الحزن - كانوا يعتقدون أنه لابد من أرجاء المعركة حتى تستكمل استعداداتها ، ولكن الجسم الأكبر من الشعب كان يعتقد أنه لم يهزم في حرب ٦٧ ، وإنما هضمت الخطأ هي التي أدت إلى الهزيمة ، وأنه بالتالى إذا أعطى فرصة أخرى فإنه سيجتهد وسيقدم .

الآن وبالرغم من ست سنوات من النزول والانسحاب والحرارة التي كانت - في بعض الأحيان - أن تصل إلى الجاسى . أثبتت معركة أكتوبر أن الشعب المصرى سليم في جوهره . أما الدرس الثانى - وهو لا يقل أهمية من الدرس الأول - وهو أن فشل حار الهزيمة بقوة السلاح قد رد الثقة بالنفس للمصريين نهائيا ، ولو تخسنا ونفقا في أن نستخلص حقوقنا من طريق الحل السلمى ونجيب المجتمع الدولى لتطبيق القرار ٢٤٢ ، وأنه لم تكن هناك هزبات ، أو صف إسرائيلى أو أى شيء من هذا النوع : لظلت هناك دائما علامة استفهام بالنسبة للشعب المصرى ، وللجيوش المصرى ، هل هو قادر ، أو غير قادر ، وفى اعتقادى أن خوض المعركة الأولى بيننا وبين إسرائيل التي نجفنا في تحقيق ما كان يوصف بأنه مستحيل ، هذا النجاح قد رد للشعب المصرى وللجيوش المصرى ثقته وإيمانه بنفسه ، بحيث أنه أيا كانت نتائج هذه المعركة ، سواء هلكة بقتة قضيتنا بالمبادرة السلمية أو أيا كانت النتائج ، فإننا خرجنا بنتيجة واضحة ، وهي أننا لم نعد نهاب القوى الإسرائيلية التي صورناها العرب المنسية ، وأكد أقول الزامه الدولية علينا ، بأنها قوى لا تقهر ، ولا نلصق أنها وجدت بين إسرائيل من يستمع إلى هذه الأصوات الغريبة ، والان نستطيع أن نطمئن إلى أن - حاليا وفى المستقبل - أسطورة أن هناك أعداء لا يتهاونون قد تحدثت إلى الأبد . □

د . لويس عوض

□ الألام .. والشعب العظيم

« لقد عبر الجسدى المصرى مانعا من أصعب الموانع التى قابلت جيشا فى العالم ، حين قرأت هذه العبارة فى مسحف الصباح ، أوجت لى على الفور بان الإنسان المصرى قد عبر أصعب مانع بينه وبين نفسه ، كان ثمة شبه النصارى فى شخصية الإنسان المصرى ، ثمة حاجز بينه وبين نفسه الحقيقية ، وبين تاريخه العتيق ، وبين حضارته العتيقة ، وبين أخوته العرب العتيقين ، كان هذا الانقسام يعطيه احساسا بالهجز ، وكل من سافر الى الخارج رأى هذا العجز منعكسا فى عيون الأجانب

الزرقاء ، ويشير يوغوش الى أن الإنسان المصرى لا يستطيع أن يقاوم أو يصد ، أن ماحدت على جبهة القتال شيء عظيم فعلا ، وأن شعبا أعظم منه قد حدث داخل القس المصرية ، لقد قلنا ست سنوات هزيمة وعشناها ، وعلما تصنع الألام العظيمة الإنسان العظيم ، تصنع الألام العظيمة شعبا عظيمة . ولا يمكن أن يكون هناك شعب يتنصر بامتياز ويصبح شعبا ثويا . الهزيمة والألام هى التى تصنع الإنسان العظيم والشعب العظيم . والشعب المصرى مسر بالألام عظيمة على مر السنين ،

سمة الألف سنة ؟ يمر هذا الشعب بالألام عظيمة ، ويمر أيضا بانتصارات عظيمة . وكلما كانت كذلك كلما كان الانحسار بالانحسار اعظم ، الانتصار فى رأى لم يحدث فى يوم وليلة ، ولكن حدث على مر سنين وأجيال طويلة ، وجموع من الشعب المصرى ، وكفاح طويل للرجال والنساء والأطفال ، كفاح طويل ضد اليأس والاستسلام والهجز فى نفس كل انسان ، رغم الأساس العميق بالهزيمة ، كان كل مصرى يهسى أنه لابد من الانتصار العاصم القسب .

د نوال السعداوى



بداية ثورة رابعة

ان ما حدث فى مصر ولأمر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٢ ، لا يمكن أن نسميه بداية حرب تحرير فقط ، لأن فى هذا قينا له أى حين ، أنه فى الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصرى ، تلك الثورات التى بدأت بثورة أحمد عرابى ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ أكتوبر ١٩٧٢ ، بل أكاد أقول أنها اعظم هذه الثورات جميعا ، لأنها بدأت والشعب المصرى فى اعين اعيان الهزيمة ، بدأت والشعب فى حالة من الابهاس ، وفى حالة من فقدان الشخصية ، وفى حالة من اليأس ، وفى حالة من التردى فى مغارات الخمران ، وانتفعت به من هذه الاعمال كلها ، الى قمة الثورة . وقصة الثورات فى رأى ، هى الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التى يسلك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجهل لوجه ، وينتفضع ليندية ، ودبية لدبابه . وهذا هو ما حدث يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٢ ، لقد قاتنا أنور السادات فى هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا أقول أنها قيادة شخص مادي، ولكنها قيادة بطل تمسح نبض الشعب ، وادرك أنه يفتن فى أميته طاعة وقوة ، قادرون على كبح جماح العدو ، فاضلى الشارة البديع بالمركة ، وكانت شربة ارادة قوية اجرت لها اعمال للشعب ، وكشفت عنها بطولته ، وما نسميه الآن من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما نسميه منها ان يكون جديدا ، لأن هذا الشعب يفتخر بين صفوفه من الاستعمار المالى ، ولكن وكلما كانت هناك مؤامرة من الاستعمار المالى ، والثرى الرجعية ، للحكام الظفان ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى تلفها وعلى افناء الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب أو يتحاشى بمعنى ادق ان يهمل الشعب سلاحه دفاعا

عن حقه فى الثورة ، وهفته فى التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٢٦ ، وأهسى الانجليز ان الشعب على وشك الخلفان ، جلا الانجليز الى منطقة اسيد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فرجنا بأبطال اطلاق النار . وهذا هو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، فاما كانت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يلجئ الشعب من الدفاع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن هويته ، ولهذا نعمن الآن فى فترة من اعظم فترات هذا الشعب ، اننى امشى فى الشوارع ، واصابع الرجوه بناظرى ، فاذا بها حائلة باليشر ، واذا بالألم يفتن ، ولم يحدث أى تغيير يذكر فى حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب اهسى انه لأول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ، ويواجهه عدوه ، انها ثورة . ثورة بالعلمى الكامل للثورة ، وكل ما اتناه ان يفتى هذه الثورة قديما ، لتفكك مصر الجديدة مصر التى بشرنا بها ، والى أننا بها ، والى فاشنا بوجودها ، ان تفلح هذه المرة ذلك الخلق السوى الذى انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذى حلم به عرابى ، لك الذى بشر به سمد زغلزل ، لك الذى كافح من أجله جبال حيد القاصر ، تريد لكل هذا ان يفتن على يد أنور السادات ، وعلى يد الشعب المصرى ، المحرر ، الحر ، المدافع من نفسه ، من امجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه . . الحميد الى الأذهان كل بطولته السابغة من أيام حمس . . الى قنر . . الى أنور السادات ، انى لشيد القنار ، وعظيم الامس . . فى ان كل ما حلينا به ، وما شينا المير من أجله ، سيحقق فى هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصرى .

د يوسف أندرس

الاشاعة قديم جديدة

في الادب والفن

وجاء العبور العظيم .
 جاء بعد ان سادت ادما وثقنا ظواهر برهسية منذ ٦٧ : اسرف الادب في القروض والتعريف وتلثى بين التلويح والاختصاف ، وضرب في مناهات اليأس والميئس . والاحساس بالمهم وانعدام ليرة الجهد الانساني ، واصبحت انفل اعياننا نواحيها فاجعا ، وخمسا ما لا تفلح للوجوه والقنوس ، ولوما لذات رامها بالآخرين .

جاء بعد ان دارت الرؤوس بسرورة الهزيمة فانعكس فيها الانبهار بالمعروف واسمنا - دون ان نعي - في بدوة الظرافة : الا كيف يمكن ان يهزنا ويوقى لدواعيننا، يمكن ان نهر ، او تكون هزيمة في وسع البشر ؟ ، وعن هذا الوهم الذي حسنته وتقبلناه وبعثنا اسراءه بيمت كل الاتجاهات المريضة التي الفت شيحا الكتيب على الادب والفن : هربنا من النظر الى الواقع في عينيه ورهنا نفن رؤوسنا في كل الرمال ، اصبح الذين شموذة ودروشة ، وراحت بين الناس كتب الغرائف والنياس الخلاص في غير هذا العالم ، وتحولت مسارحنا الى اماكن للغز واللبل ، فدوى فيها التلهفات الغائرة والضحكات السفهية والربت الفيلق على الذات الجريحة . وتحولت املينا الى شيء لا ينسب لهذا الواقع باوهي الصلوات ، تغطيها مشاكل الزائلة ، وآلهاهر الزامقة ، واحكام البقطة القهجة ..

ووحنا تقرب في هذه الاتجاهات جميعا حتى كانت ارواحنا ان نزهق ، وانسانينا ان تلوى ، وكاد جسد مصر ان يخلل ، وشتعت في الجو رائحة عفنة ونحطلة ..

ثم جاء العبور العظيم ..
 ووضعتنا اقداما على بداية الطريق الصحيح .

الظلم الصداق ، ونباتات الافات المريضة للشفاة ، وعرفنا كيف تجسد لنا الورهم تقبلناه ، وهين لغتنا رباح المصرية الساخنة وجدها يتبد مثل قيفة للجمحت شمس لاهية ، وايضا ان هذا العدو . الورهم يمكن ان يفسد وان يقهر وان يلقى سلاحه ويولى الالجاب ..

من هذا الصدام الدامي على اشاعة العربية يستلحق قيم جديدة وصحيحة في الادب والفن ، ان نعتز ونتشاك خطانا ، ان نقرب في مناهات اليأس والقنوس بعد ، ان نشاق الجيوب ونظم خلوده ونويل الفلعات فوق ربوبسنا ورؤوس الآخرين ندأوي بها التعمور الايام بالخواء والظن ، ان نخلل من النظر في جوهرنا ووجوه الآخرين ، ولن نحس باننا الانبي بسعد ..

سفسس باننا بشر ، لينا عظيمة الانسان وكبريائه ..

الكلمة .. والطفلة

الذي حدث ويحدث هذه الايام على ارض بلاندا شيء حاشي لا يدعو الى الاعجاب قط بل يؤكد من جديد انسانية صنع تاريخها ببسالة ونبل وصورة ان الحركة الدائرة اليوم ليست جديدة لان الحركة التي بدأت في ١٩٦٧ لم تتوقف ، ولم يكن وقف اطلاق النار ايقافا للمركة ولا للتفلسف الكائن في شمسنا العظيم ، وانما كان وقف اطلاق النار اذانا لنا بان نشط نفسنا ١٠ وان نرتد من روح هذا التفلسف ..

لنا لم نلحارب ولم نقتل في هيوينو ، لماذا نلتفتل من جيش هذه حاله ؟ لاشك انه لو حارب وقتل لسوف يحقق في ذلك مجزوات ، وهذا ماحدث ويحدث منذ ٦ أكتوبر العظيم .

في مساء ٦ أكتوبر تالكت ان الكلبة ليست مثل الطفلة تباعا ، وان الطفلة اقوى تقيرا في كثير من الاحيان ، والاذالكت الكلبة تقف عند اصمليها ناليد ان نلتفتل بان للطفلة دلتاستها انشاء .. كلاما لا يفتي عن الاشر ، ولا لتسلل لاحادها على الاخرى الا بما تحدث من اثر ..

وتعن لا نستطيع اليوم ان نتلصف كثيرا او نكر استخدام الكلية ، بعد ان بدلت الطفلة في صنع لتسلتها ويمدان شرمتا في استخدامنا بتوتركنا نادرين .

نحن بنات حضارة ولنا بنات نمار ، وعمرنا يعادي الحضارة ويشيح الدمار وما نلطفه معه اليوم نمرس يلغى سن نمرس بنات الحضارة والتلتم على شكلين

وقد رأينا البداية الزامقة : اسقط لبيب المصرية تلك الواجهة الزامقة الكاذبة ، اسقط الترهل ، والفخول والفصاح الجوف ، القوافي المسهلقة والايقاعات المكونرة والناهي بنواح وسيل الحان وكلمات مقلدة .. وكل ما يهبط روح الانسان ونطقها ويقعد بها عن التحليل والتفلسف ..

رأينا البداية الزامقة ، ونحن نعرف الا شيء باننا هينا دون نين ، واننا بقدر ما نبلل من جهد قدر ما نلقى من جزاء ، وقدر ما نريق من دم قدر ما نحور من لرغس وارادة وقتل وفكر وقت ..

وضعتنا اقداما على بداية الطريق الصحيح ، الطريق لتعبادة جوهنا الانساني ، وتكامل وجوه روحنا المزعقة ، وسيفيها هله الى غد جديد ، يشرق على الجميع دون تمييز ..

سنصبح بشرا افضل ما كنا ، قاياننا جوهرة ، وجوهنا مشرقة .. نتلصن الاقلى الدامي ، ونلثم وجه الشمس ، فاروق عبد القادر

الشهداء

حق للشهداء

ما ينبغي أن نذكر فيه من الآن ونحن نقول حرباً مصيرية عادلة ، هو كيف نكرم شهدائنا في هذه الحرب ، والتكريم الوحيد للشهيد هو تخليد اسمه ودوره ، وهويته ونكرهه ، فقد قيل أن يلقى في الجبوع ، وأن يمنع كل وجوده وحياته لقومه ، ويضحي بالمرء الوحيد الذي يملكه ، من ارادة والحيار ، في صمت ورها .

ولقد درجنا منذ قرون على منح هذا التخليد بصورة عمومية للشهداء ، في ايمان القتال ، وبعده ، بنصب نكاري للجندي المجهول ، بنجاة هين اسم كل شهيد ودوره ، وحياته وهويته، فكريا الشديدة الفصورية ، او بتخليد بعض الشهداء البارزين لأسباب اجتماعية او عسكرية مختلفة ، وترك الباقين من الشهداء اسمائهم مسجلة في السجلات ، وتليسل منهم من يظل اسمه علينا بين سطور صحيفة ، او دورية من الدوريات .

والنار المقاومة المصرية لاحتلال جيوش نابليون لصر قسم الجيزي يعمل افضل في تخليد الشهداء ، كتب عن كثيرين منهم عمداً ولأهين ونجراً وهزئين وهرباً ، ومنذ ما يقرب من قرنين .

وبوسعنا الآن ، او نبدأ في الاعداد لتخليد شهدائنا واحداً واحداً ، وبالأسم والدور والهوية والحياتة كما تفعل القول المتقدمة ، وبخاصة الدور الاشتراكية مع شهدائها ، ومن صور هذا التخليد الذي هو حق علينا ، مقروض أن نؤديه ، ونلبي به ، لسكل شهيد :

● اقامة نصب تذكري في كل قرية ، ومدينة ، وعاصمة اقليم ، يكتب عليه أسماء شهداء هذه القرية ، او المدينة ، او ذلك الاقليم .

● اعداد ملف خاص في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم ، او ارض معركة كبيرة ، يضع كتابات عن شهداء

القرية او المدينة او الاقليم ، تعرف بهم ، وتكشف عن دورهم الذي أدوه لوطن ، ويضم صوراً مطبوعة لهم ، والمخلفات الشخصية التي حصلوا عليها من المارك التي خاضوها .

● اطلاق أسماء الشهداء في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم على شوارعها ومبانيها والطرق المؤدية اليها ومدارسها ومنشأتها .

● اعداد الافلام تسجيلية للمعارك التي خاضها الشهداء لاستثمارها في الافلام خاصة بهذه الحرب ، ليس فقط لتعبرنا عن المجد الوطني ، وإنما أيضاً وفاء هؤلاء الشهداء بعقودهم في الطلوع ، كأي كاتب ، او عالم ، او فنان ، او زعيم ، او قائل .

وهذه الوسائل والصور لتخليد ذكرى كل شهيد ، يمكن الاعداد لها وتنفيذها ، عن طريق الثقافة الجماهيرية ، والتوجيه الممنوع للنوآت المسلمة ، واهل هؤلاء الشهداء في القرى والمدن وعواصم الاقاليم . ولجارب العالم المتقدم في هذا الموضوع يمكن دراستها والاستفادة منها بما يناسب الواقع المحلي للشعب المصري .

ذلك هو السبيل الوحيد لنحول التسمار « الفلود حق لكل شهيد على الطريق » من كلمات الى افعال ، من تعميم الى تخصيص ، من حباس مؤقت ، الى وفاء دائم ، وبإلى ، لسكل شهيد .

ان شهدائنا هم افضل من خدم مصر ، وهانظ على روها . وتخليدهم ، كل على حدة يعني أننا نقيم شعلة ضيئة لكل احيانا القائمة ، نخزهم على الضحية كلها لمرمت روح مصر وحياتها للخطر ، ارضاً وشعباً ومستقبلاً وحياسة ، ندفعهم الى القول بالفتاء في الجموع ، وبالاستشهاد من اجل الوطن ، وقضاياها الانسانية الصالحة . □

سليمان شياض

د. أحمد حمى



من أوراق

مقاتل

مصرى

فؤاد دواره

« أمام رصاص البنادق الآلية ، وشظايا
الدانات والقنابل ، وتحت طائرات العدو
المفجرة ، ولد انسان مصرى جديد . . » •

يبلغ لي ان التصرف
عنه .. بل لم اره ولا
ره واحده .. ومع ذلك
عند كان اول من خطر
بالي وانا اسمع اخبار
عبور جنودنا للغار الى
سبناء ..

لقد سمعت به لاول
مرة عقب استشهاده
في الجبهة في اليوم
الاول من عام ٧٢ ..
ولفت نظري في كلمت
الثناء التي نشرت عنه
اجعابه على انه قضى
اخسب سنوات شبابه
في خدمة قريته وتقرض
في سبيل ذلك كثير من
العت والاضطهاد ..
ثم عاد داهي الوطن ..
نقل كلامه الي الشرف
ميدان ، وعاش تجربة
الصمود والاستنزاف
كاملة ، وتشارك في
معارك الاندية القسارية
عامي ٦٩ و ١٩٧٠ ،
وسجل جوائز منها في
عمل اذبي اسماء
« متكرات جسدتي
مصري »

الانزام بقضايا الوطن الحوية .. وكيف
تكون العمل الانجي في خدمة الجماهير
منقل الامكانات .. او دون امكانات
على الاطلاق الا الوعي والحياسة ..
ورغم كل المعوقات والمشكلات .. وما
كان اكثرها في حياة احمد حجي
القصيرة ..

ولد احمد حجي في ١٢ فبراير ١٩٤١ ،
وكان ترتيبه الثاني بين ثمانية اخوة ..
ايوم بزراع قنير ، في حيساته اكثر
من دلالة على قوة الرادة والعناد ..
قد بدا حياته اجيرا معهما واحب في
سناه امة احد الانطاقيين ، وبخلفه
الفناء الحب ، يهدده احيا بالقتل ..
فخرج القرية وقد قرر ان يسبح فيها
بملهم ليستطيع مزايجتهم والصمود لهم
بغيتهم ..

واقتصد الاب من اجرة الفسئيل ما
اشترى به التي عشر عدالنا من الاراضي
الور .. اخذت تزداد حصي ثابت
المائتين .. وبالمثل الخساق الدائب
تحولت الارض الجور الى قرية خسية
خيرة .. ولم يكتف بذلك ، بل دخل في
بغاريك وبغاريات مالية لاشك انها
كانت تديرها من اصراره على تحقيق
الثراء الكبير الذي يتهدى به اولئك
الذين حدود وطروده ذات يوم .. غير
ان هذه المخابرات مابيت ان تفت على
كل فروقه وارفعه .. وكنت السن قد
تحتيت به وانفك العمل الشاق ، ولم
يسمه الا ان يستسلم ويقت بخسمة
العتة من لرشه الحدية وزمت عليه
تلبيتا لفتون اصلاح الزراعي ..

وحينا وهي ابتلاه وجوده على هذه
الحل من الثقافة والاستسلام ، وان لم
يسمه الا ان يورثهم جاتها كثيرا من
عناقه القديم واصراره على بلوغ الهدف
بما كانت المشاق والتضحيات ..

يقول محمد حجي انه عرف سوشيتيه
احد - في طوفانها كل مظاهر الفاتنة
والحرمان .. كذا يسيران في ازمة
اقرية حايين وملايسها مزقة .. وفي
بعض الاحيان املاها خاوية .. ومع
ذلك كذا يحسان بشي من القرية بين
الحلال القرية ، نتيجة لثراء ابيها الذي
كان .. وزملته من اهل القرية ..
ويقيم الكبير .. وهو الاثر الوحيد
الباق من نالز الخاير الذي لم يشدها ..
امر ابوها على الاحتفاظ به رغباته

المالية .. وارثها عتدا الاستعاس
بالقرية مزيدا من العناد والاصرار على
ان جوا شيئا .. عات: مصلبيها الثلثي
رثم كل العنت ..
ومن طريق القراة وملاحظه واقع
القرية المحيط بها ، نضج وفي مجده
واحد حجي .. وادركا كثيرا من العقائل
والاوضاع القرية في « سندوب » ..

كان اول ما استلقت نظريها قرية
القاضي في تلك القرية الصغيرة .. الى
بلغ عددها ٢٥ حجي تكتظ منذ الصباح
المكر مدد كبير من الفسلاحيين بطون
يلمون الورق ويتعاطون الكلمات طوال
النهار حين ميل .. وبالنسبة
فيها حقيقة المساة التي كانت تمشيها
سندوب .. وكانت ترجع لي جانب منها
الي واقع الزيف المصري الخلف شكل
عام ، وفي جانب آخر الي ثرون سندوب
الخاصة ..

فتلا خيل الرقعة الزراعية بالثنية
لعدد السكان مشكلة حاية في قري بحر
كلها ، ولكنها لي سندوب اختلفت شكلا
اخطر ، ساهمت ظروف التقدم على
تفاته .. فقد كان زمام ارض القرية
كلها بقسما ذات يوم بين اربعة من
الانطاقيين الاثراك لخير .. وسورالزبن
تفتت هذه الكميات الكبيرة بين الربعة
والدائنين ، ولم يحصل أبناء القرية
من التلاحين على شيء منها .. يقول
نلاح مجوز :

« طول عمر للاحين سندوب ثنية
[اي اجراء] .. واللي يشم نفسه
شوية باجر له توراطين وسي .. »

ولم خير ما يصور مدى لفت ملكية
الراعي الزراعية في سندوب ، ان
تفوق الاصلاح الزراعي لم يتبلق على
اي من ملاكها .. وتقايت هذه المشكلة
بالجداد ومشروعات التجميع بالتمسورة
[وسندوب تلح على مظهرها] لتنتقل
مساحات كبيرة من ارض القرية الزراعية
لليستاد الرياسي والمخير ومعدة احرار
وغيرها من المشرعات .. وفيشي الاك
التدويشات من الحكومة ، في حين كان
تسبب ١٢ الك فلاح معتم المزيد من
الشر والمطلة ..

يوصل التصنيع اخيرا الى القرية ،
وتتر انشاء مسكنين بها ، احدهما
للشعب الحبيبي والاخر للنزل الرابع ..
وقبل وضع حجر الاساس للمسكنين

وكان ذلك كافي في نظري لكي اتصل
بشقيقه الننان المعروف محمد حجي ،
دون سابق معرفة ، وابد لي ريفي
في الاطلاع على مكرات شقيقه ..
فرحب ، وجاشي معها بثلثين آخرين ..
الاول قسم مجسومة من الخصال
والدراسات الادبية والثقافية .. والاخر
يحمل مجموعة من التقارير والرسائل
وتساعات الصحف وعنوانه : « العمل
السياسي والثقافي في سندوب [١٩٦١
- ١٩٦٩] .. بالانسانه الى عدد من
الرسائل الشخصية ، وحب كبير يلا
تله لشقيقه الصغير الرامح ، وسماشة
كاملة لتجربته للخدمة الرادة ..

ومع كل صفة قرانها وجدنتي ايام
يلتف ثوري اصلي « وضع كل طلائع
في خدمة بلاده ، والتسك بالجماهير ،
وتعلم منها ، فترك لنا نوليجا سلوكيا
ونشالها يبنوي وضعه ايام شبابه ،
ليضلوا منه كيف يكون السخاء في
المطاء .. وكيف يكون اصرار في

تخدم قوات الفلاحين بملابس الحشائ
بالعمل .. ولكن حيث انتهى المصنعان
نوجيه ملاهو سندوب بنات العمال
وتوافقوا للعمل بالمصنعين .. جاءوا من
الهدوم والجزيرة .. ومن كل مكان الا من
سندوب .. وحين ناقش المصنعون ادوات
المصنعين كانوا يظنون اجابة واحدة
فتعير :

— لا يمكن تجديد على عمال لراعيين
غير مدربين !

وكانت القيادات السياسية في القرية
قيادات تقليدية من بقايا الاسر النظامية
وقلول الاغزاب البائدة ، لا يتم —
بطبيعة تكوينها — الا بالكاسب الشخصية
ومظاهر الرئاسة ، ولا تفي بالا محاولة
مواجهة مشاكل الجاهيل الحيوية ..
وكان لابد ان يتحرك شيبال القرية الخلف.

اجتمع عدد منهم عام ١٩٥٧ ، وكان
بينهم محمد واحد جوي ، ويدعوا لبلتون
بالفلاحين المأهلين ، ويناقشون معهم
مشاكلهم ، ويخبرونهم على اختيار عناصر
قريبة من بينهم .

وتثبتت القيادات التقليدية الى خطر هذا
التحرك ، فسارعت الى واده بالاساليب
المعمية العنصرية ، فالتصفت بانشيط كمة
الشبيوية والاعتاد ، يقول ده احمد
جوي في إحدى مقالاته :

« .. وكانت النتيجة كسا لبعيا
المرابين ، وكما تمت القيادات الجديدة ،
فقد تواترت في العمل السياسي بالقرية ،
وعشنا نحن — وراحت من حولنا الشكوك
والزيب ، وسامت ملائتنا بالفلاحين .
وكانت تلك رزمة طيبة للمناسبات الانتخابية
لنتمتع حقوق الفلاحين للتراءى في القرية
الصغرى ، ويستعدون البعس الآخر على
خدمات القرية لنفسه ، كان يبني اهدم
سورا حول حافلة المياه ويستخدمها
المنفسه .. »

ورغم ذلك فلم يعرف الياس طريقه
الى تلك المجموعه من الشباب المويين
الواحي ..

في تلك الاثناء كان محمد واحد تد
اتسا لملهيها الثاوي ، وانتقل لاناية
بالقاهرة حيث التقى محمد بكلي التنون
الجميلة ، والتحق احمد بكلي الطيب
البيطري .. ولماذا يتركان منهم .. كنا
اجتبا بيتان على الطوى ليوثريا كتابا
جديدا .. وفي الايام الاخيرة من كسل
لمر كنا يشترين بما يقوى معينا من



كان نحو الايوة تربطهم ملائسياسيا
تدل ان يكون مبلية تعليمية او ترفيهية ..
نتم طريق تعليم حروف الهجاء ككتابوا
ملعون الفلاحين تاريخ بلدهم ومشكلاتها
ويؤهلهم للمشاركة الايجابية في
اخذار مطلبهم في التظاهرات السياسية.
وبعد انشاء المصانع في سندوب اصبح
محو الامة وسيلة الفلاحين للعمل بها
بعد ان اصبحت هذه المصانع هي مصدر
الرزق الوحيد المتاحة لاهلهم ..

واستطاع بعض من محبي امهم ان
يملوا عددا من زملائهم الابين .. ومن
بين هؤلاء الشحات جوي الذي يقول :
« .. كان مدرسو الوزارة يملوننا
ولن نأخذ .. ولكن المصروع كان يملنا
كل ما يميئنا . وكان الدكتور احمد جوي
يملنا اشياء كثيرة من الفلاح وارباعه
ومعالج الحيوانات ، اما مدرسو الوزارة
كان يقول اشياء لا يريد ان امرها .. »

ومن الغريب ان كثيرا من المتعلمين
يقولوا عارضا مشروع محسو الامة
واقاموه .. ومن بينهم عدد من المدرسين ،
عدده منهم كانوا اعضاء لجنة المدرسين
ويسار الفنان ولما منصور — احمد
السبيهي في المصروع — هذه الظاهرة
الغريبة يقول :

« الذين عارضا المشروع كانوا يتركون
المصول على لقوى في مجال تعليم
الفلاحين .. ويفهم الاخر كان يريد
تربيم جيلة لكي لا يملوا بالمصانع ،
ويتلقى ترخيص اليه العاملة في الارض
الزراعية المقيية .. »

ورغم ذلك فقد بقي المصل لم يترديه
واي سنة ١٩٦٢ خرج اكثر من مائتي
تلاح وفلاحة ، وفي العام التالي تخرجت
دعمة اخرى ..

وكانت مجلة الطالع هي الوسيلة
الثابتة التي اخبرها شيبال سندوب
لنهم ، فكانوا يستقيون بها الفلاحين
ويشجعون الكريكاتي للتد والدموس
لنكرهم وطرح مشاكل القرية .. لم
يتكون بها خسر لنش تعلق في جهات
مختلفة من القرية ..

وتعرضت المجلة في الاضرب
لانتقادات القيادات الرسمية ، فكانوا
يرسلون من يترجمها ، ويحدثون العامين
ايها ، ويشرون الضامات والانتهايات
الباطلة حولهم .. ولكن مجموعة الشباب
صمدت وطلت المجلة تصغر وتضيق حتى
وصل طولها الى ٥٠ مقرا ومرفسها

فروش كبة من البطلس ينسلفتها
لنصيح طلمبيا الوده .. الى ان ياتي
الله بالاربع ..

ولم تنقطع صلبها بالقرية .. كنا
يجمعنا بشبابها الثلث ، وينقاشون ،
ويطبلون من اغنائهم ، ويلتون بالفلاحين
في معاصيم ، وعلى المصاطب .. لم
تلت سنة ١٩٦١ حتى كانوا قد انتفوا
الى خطه جديدة مدرسة فوالما العمل
في ثلاثة مجالات :

- نحو الامة .
- مجلة طالع .
- لجنة نسائية .

وفي كل من هذه المجالات كان على
شباب سندوب ان يخوض معركة ضارية ..

لثلاثة ايام، و أوضح اللاعنون بتظهور
ظهور اعدائهم الجديد شرق وجنوبه
من كل عنوان بعد ان احصوا انهم
لسان حالهم الامر من اياهم ومطالهم .
وكذلك حتى سفل الشارع وجعلها
من جلة سندوب الحاطية ، والساحل
بها . . وعرض الشبهون برشها منها
ودعا الى تصيها . . ولم يرش ذلك
القيادات الختلفة الى التربة ، فمستعانت
ببعض المستوطنين الى الحاطية ، وكلاهما
بنايون للقاء على الجلة وابقاها .
فاضطر احمد حجي رئيس دهرها
سنة ١٩٦٨ الى كتابة عدد من الشكاوى
الى المصلح وكبار المستوطنين بالشكهم
حماية الجلة . . ولكن الرجعية انتصرت
وحطمت الجلة بالمر من اجهزة الامن !!



ومع تحول عدد من الفلاحين الى عمال
في المصانع ، وارتفاع تكاليف الحياصة
في القرية تغيرت نظرة الرجل الى المرأة ،
واصبح شبان القرية يقبلون الزواج من
نساء تميل لتساعدهم على مواجهة
مطالبات الحياة . . وكانت كل نسل
سندوب بلا ذيل ، فاحمقون لا تصوم
كل الرجال ، والمصالح لا تفل تشفين ،
فأخذ من ينفق القرية برنابجا لتصيرهم
على التنصيل والتطيرز ويضيق المصالحات
الزولية الخفية بالافسالة الى نحو ابيهم

وبالحد والهاب ليهت الفكره واصبح
عدد انخسبت للجنة النسائية بالقرية
١٥٠ سيدة ولفاة برئاسة السيدة وداة
عمر بمرسة التعبير المتزلي بمفرصة
القرية ، واقامت اللجنة محاضرات للتأج
عضواتها في عيد الثورة سنة ١٩٦٥
١٩٦٦ ، واشتركت بمطالعة في مشروع
الاشعر ، وبمطالعة نودة الفطن ،
وتحرير جلة الماط ، وحملت التوعية
التربية والاجتماعية وللتنظيم الاسرة
واستخرج معظم عضوات اللجنة بطاقات
تحقيق شخصية ، وتقدمن لكتب العمل
بالمشورة بطلبات تدوين في المصانع .

ولم يرفى هذا النجاح اعداء القدم
في القرية فحاولوا يحكون للجنة الاضرار ،
ولكنهم بهم الفسة ان انتزوا نرسية
لثورة انبست في ابريل ١٩٦٦ من تنظيم
الاسرة ، وحضرها اجد عليه الفحين
ولدت الانبياء بمخوبون من مسجلة
الاستملاكات لفرس يوم نسيهم ،
فقبلوا الثمار الكوباني ، والمطافوا
التسالكات الخمسة دور الاحتجاج
واذاعوا ، لقب اولياء حول التفتت

وكبوا حريشة وتكونوا جميعا واعلنوا
بها استنكارهم بهذه التمرات الشائنة ،
ياكونوا تكم الحاطية شسبل القرية
الفتت وتايدهم بتسلهم البله الى اللجبة
النسائية . . يقول احمد حجي عن هذه
الواقعة :

نحن الارواق التي كان يحتفظ بها
المرحوم احمد حجي باحتراز وراحم
جسومة من الخطايا تدعى حشاش
الود والمرفان ، لرسلفنا به حفي
الفلاحت بن اعفاء هذه اللجبة . . تقول
احداهن في سقى يقرر لها اخطاها
الاعلانية :

« . . واعرفك من يوم يسمرت
حضراتي في اى لقوة من التنوات
واعرفك بان الاحتاذ شخيرة القلبي
التوري مليل زى العاوى . كل يوم في
مشغولية وميلش حد وايد يمشي للجنة
والاستاذ احمد حجي سائر واللجنة بت
في ربح حدة . . اللجبة كانت من يملك
با لشي العزيز . . »

ومن خلال المناقشات والتقد الذاتي
انتهى اعفاء اللجنة العقلية بسندوب
الى ان العمل التطبيقي والقتالي لا يقنى
وحده لتحقيق اهدافهم ، وانه لابد من
زيد من العمل الإيجابي وسط الفلاحين
واخذوا جسم القرية للتدابة . .

في القرية فرقة تصيها الى نسين
لايسل بينها سوى كوبري تميم سن
الشعب امتلك وتصب كل يوم تقريبا
في كارة للفلاحين ولبنائهم وبنائهم . .
وكانت القيادات القدية د وعصت اكثر
من مرة باصلاح الكوبري ، وجب بعضهم
لولا ان الفلاحين لولا القرى ولهم
بنلوا شيئا . .

وبعد الدراسة وجب برمكة تلية
حل الشباب الختلف الخطف والفورس
وفرصوا لرجلهم في الطين ودلوا
يعملون مع التلاحين الى تصيهم جسر
جديد من الخراسانة . . وشاركت اللجنة
النسائية في العمل الذي انتهى في فترة
وجيزة ، ولم يتكلف الجسر اكثر من ١٢٠
جنيها من حين ان وازرة الري كانت
تدبر له ١٥٠٠ جني ١!

وللا ذلك افتتح بمرسة مسائية لعمال
المصالح للتفطيم ثابيا وسيسيلوفرامسة
فروخ الحركة العمالية . . وكان احمد
حجي يدعو كبار المنتين لثالث المحاضرات
على عمال سندوب وللاحياء ، ومن بين
من لبي دعوتهم ده حدة ابني وحيد
مودة . .

وتبدأ الحملات الاولى للسندوب
الاسرائيلي العاصم في يونيو ١٩٦٧ حل
لقب سندوب الفتح بسبوتيه كيلة ،
ياخذوا يقدون الدوات لحارية الشائنة
الاعتزالية وربع الروح الحونية بين اهل
القرية ، والمحاطة على شاسك الجبهة
الداخلية . . وقامت جلة الماط بدورها
في هذا الجبل بالافسالة الى المتسورات
وكابة شمرات المسود على جفران
القرية . .

تخرج سعيد حجي في كلية الفنون
اليدية واستطاع ان يشق بابه حرة
كواحد من ابرو الرسامين في صفاة ،
ولدت نتيجة لذلك لزيارته لقرية ، فوقع
الجانب الاكر من صبه العمل التثاني
والسياسي في القرية على احمد ،
ونيس بواجبه على خير وجه ، وتطرت
لذلك راسه بكابة الطب البيطري ،
لتخرج سنة ١٩٦٨ ، اى بعد عشر
سنوات بولا ث حش . . وكان لراثة
التثاقفية الصريحة في الكلية تأثير على
علائقه ببعض اساتذته ، فصحوا اوراقه
بسترة مديدة . .

واذا كانت شراكة محبة الى العمل
بالقرية قد دلت نتيجة لعمله المصغر .
لها لم تتوقف شيئا لحد ثل باسم بركه
ويربته في نشاط ابيه احمد وزلماءه ،
وتولى في الوقت نفسه الجانب الاكبر من
مسؤوليات الاسرة الحدية ، ومن بينها
احتياجات احمد في الكلية وغير ذلك . .
حتى اصبح احصاهم لعدد وتسببه
ياحساس الاب نحو ابنه رغم انه الاصل
بينها سوى احد عشر شيئا . .

لذلك ما كان احمد يخرج ويحيى في
مؤسسة العموم بالمتصورة حتى يسارع
الى اعفاء صبه من معظم مسؤولياته
تجاه الاسرة ، ولولا ذلك ما استطاع
صبه ان يتزوج ويؤث ثا مسفيرا
بالتفارة . .

واذا كان العمل التثاني في سندوب
قد تشر وكاد يوقف نتيجة لفاوة
القيادات الرجعية القدية ، فان تجربة
سندوب كانت ليوها اعتداء كثير من
شباب المدن والقرى المجاورة مثل : لسا
والنزلة وميت النمر وكدر المنسامة
والسلاويون وهم الدوير وغيرها . .
وساعد على ذلك حرص احمد حجي على
تسجيل تجربته مع زملائه في محلات
نشر بمشيمسة في « الطليعة »
« سنابل » . . واستغنى منها
نتائج واسسا نظرية وعملية يمكن ان

يعد منها كل المايك في مجال الخدمة العامة في ريف مصر المتخلى للخدمات من كل نوع ، واهم هذه التسهيلات والنسب هي :

● ان الدعم والجفاف والتفكك في هركتنا التنموية يرجع اساسا الى غياب الهدف المشترك بين الفئتين ، وفي مثل ظروفه لا يبقى ان يكون للحركة التنموية هدف غير العمل من اجل العمال والفلاحين لعدم الاشتراك في القضاء على جيوبس الرعيمة والاستعمار .

● الطريق الوحد لبناء الاشتراكه وتصبح خطى القوة لابد ان يسدا بحركة جماهيرية تشمل الريف المصري كله . والفكر الناس على القيام بهذه الحركة هم الشعب الثوري .

● اول واضطر المشكلات الاقتصادية في بلادنا هي مشكلة الالية التي تعاني منها اكثر من ٧٠ ٪ من اعداء تسعينا معظمهم من الفلاحين والعمال ، والامية ليست عملة تعليمية فقط ، بل هي مضمة قومية يجب ان تكون مواهبها مسؤولة الفئتين اللويين ، والكتاب ، والتنظيم السياسي ، ووزارة التربية والتعليم ، والامانة الثنائية المختلفة .. ونصمكة الالية هي الحقل للقوة التنموية ولهم الفناء الاشتراكي ، وهي بداية الطريق نحو خلق ادب وثق ثوريين بغضالان مع الجماهير الريفية .

● قد يكون من الجدي دعوة مثقفي المدينة للنزول الى القرى لخدمتها ، ولكن الاجدى ان يهي مثقفي الريف في فراههم جسود للقوة الثنائية ، ولا يتركها بمها كالت المرفوعات .

● لا سبيل لقلوه هذه العمليات الا بالعمل من خلال التنظيمات التنموية مع العمل على تنظيم قياداتها بغضاصر ثورية من الشعب المثقف والفلاحين التي يشككون من كلف اهداف القيادات القومية وقبولها . والتفاد الفئتين بقيادة العمل بعيدا عن الفلاحين بمرصهم للعزلة والقتل .

● المشكلات الواقعية التي تلاها هاية الفلاحين الوبعية في الجمعية التنموية وبنك التصنيف ومهندس الري .. الخ . هو التدخل الطبيعى لتفكك الفلاحين وتوحيدهم ، مع ربط هذه المشكلات

البوية بواقع الوطن وتضاياء الصورية . ومحاولة تجاهل هذه المشكلات او الاستغفال بها لابد ان تعزل الشباب عن الفلاحين الذين لا يستجيبون عساده للحديث القزى عن ضرورة القلم والتفقد ما لم يكن موطنا بقضايا الارضى والانتاج وتاريخ القضايل الوطني ، مع الانجتهاد في تدريب الازاء والفكرية بن واقع الفلاح ، وتطويرها بحيث تتكلم مع ظروفه واحتياجاته .

● من عوامل نجاح العمل الثقافي في القرية الاستفادة بالشخصيات البارزة والاشهيرة ذات القالبو الكبير في نفوس الفلاحين ، كرجال الدين وثقافة المدرسة وطبيب الوحدة .. الخ .

● منع بعض المثقفين في خطا كبير حين يحتقرون ثقايد الفلاحين البسيطة واستماليهم في التسفيه والقرع . والواجب تطوير هذه الثقايد والعادات كالاحتفالات الدينية والموالد وصهرات العسر والقصص والالحام الشعبية والاسواق العامة ، والاستفادة منها في العمل الثقافي والسياسي .

● مجلة الحائط ومجلة شفيق جماهيرية عمالة في القرية ، ومن الممكن ان يشارك في تحريرها دارسو لعمول نحو الالية بعد تقديم ، فنيين تربويهم على الفسادة والكتابة بالاشفافة التي شغلهم فيفساد القرية التي تشرها الحيلة .

ويصل د . احمد حبي خلاصة خبرت في العمل الثقافي الحائرة بدول :

« ان صلاح الثقافة في القرية وانسمة لماشكة الاولى في الالية ، ودار للنشر الجماهيرية هي مصلحة المائط ، وبحرصنا هي يشاكل الجماهير التي لابد ان تؤدي الى اعادة تكويننا الثقافي . فشاركنا في نحو الالية ليس صلا هينا يقتصر على التعليم فقط ، بل ينبغي ان يعمدها الى ترويض السيطرة الاجتماعية والاستمرارية في وجدان الشعب ، وشاركنا في تحرير صفح الحائط الجماهيرية هي في الحقيقة مشاركة في اعداد الازاء والكتاب الجدد ، ومعالجة الاحداث والمشكلات المطية والصحية بحم ما يفتي اعبنا ولتوتنا بالتصوير والزيارات .

وهذا العمل المشترك سيؤدي حضا

الى اعداد مجموعات كبيرة من العمال والفلاحين والشباب في كل مكان . رنجدهم في جيشي ثكني عظيم يستعمل من خلق الانسان امرى الجديد المحب لحمل .. والعلم .. والسلاح .. المهم ان يبدأ من حيث تنف الجماهير المتخلفة .

لو اقتصر دور الدكتور احمد حبي على ماكنه منفساله الثقافي والسياسي في قريته لكان جديرا بالثناء . وبان يقدم للشباب المصري كنموذج يحتذى . ولكنه خاض بالإضافة الى ذلك تجربة خصبة اخرى في ميدان القتال : فابلى فيها احسن ابلاء ، وخلف لابينا بولجا ميها يكون مريدا من ادب الحركة .

لقد جند في اوائل عام ١٩٦٦ ، لكان تعلمه :

« ما اشد سعادتني ان يحول كناعي في قريتنا الى نضال على جبهة القتال من اجل مصر .. كم يشرفني ان اكون جديا يشارك في حركة الوطن ضد الصهيونية والاستعمار .. وان اقل عتدي على الاستعمار العالمي الى هذه يصل السلاح ويصوبه على العدو .. »

وام احمد حرة التدريب ببركة التدريب الاساسي لخدمات الطبية ، وخلال تجربته اصدر مجلة حائط بالمرح ، وادبتهاشا لعت نظر قائد المركز ، تعرض طيه ان يمينه الى المركز ليسكون في فريقه المجندين الجدد ، ولكنه رفض وامسح على ان يكون تمييزه في الخط الاول من جبهة القتال ، لقد كان حريصا على ان يخوض تجربة الدماغ من بلاه ومن الضحايا التي آمن بها ، وكان يعتقد ان القتال واجب مقدس على كل نكشت الشعب ، وان محاربة عزل المثقلين من القوات المحتلة كانت من اسباب مزيجنا سنة ١٩٦٧ ، وكان يريد دائما تسوله موشى تونج :

« جيشي بلا ثقافة هو جيشي بلا عقل وجيشي بلا عقل لا يمكنه ان يتصرف »

وبعد ان وصل احمد حبي الى جبهة القتال وهو يستعمل بانتظام مشاهداته ومشامره واتجاهاته وبطولات الجنود والعمليات في مذكرات بن اروع واضحا يخلص في هذا الموضوع . . وقدم لها برفله :

« اذا قدر لي ان اميتن لعملي اقص

على تسميتها بأداة مقاومة العدو ..
ويطولات جهوده وبصانتهم .. أما إذا
تقرر أن تكون نهاية على أرض القاعة
فسيكون مستوحا لاني قنت افكر في
مناخ صحرى ، ولان افكارى وجدت طريقها
الى الناس .. ان هذه الأفكار هسى
صديق الرصاص الذى يجب ان نتكلم
به قسوة شميما في دهر قوى الابريالية
والصهيونية وبنا الاشتراكية العلمية .

وان يحدينا كثيرا ان نصالح هذه
الأفكار بامتيازها نسا ادبيا ونحاول
اختصامها لمقاييس فنية مهيما ، فالأفكار
بصيرتها شكل ادبي من يوسع للمحاضر
للذات والواقع الموضوعية ، ومن حق
كاتبها ان يصف من الفرجا ويرد مايج
احبه ، ويدير حوارا بين الشخصيات
التي يحدتها ويشارك فيه ، ويسترجع
ذكرياته الماضية ويربطها بالحاضر ،
ليرتبط بعد ذلك الى المستقبل .. ومن
حقه ان يسجل الظواهر الاجتماعية ويشيد
بها ، ويلاحظ السلبيات وينتقد ما يشبهها
.. وقد عمل احمد حوى ذلك كله بسوق
واسعة وروى انساني وطنى يرتفع
بالذات والى مستوى الموضوع الادبي
البائبة ، فضلا عن تفردا بوضوحها
بين انتخاب الادبي ..

وأول ظاهرة تلمعت فى الفكر على هذه
الأفكار ان الكاتب يحتوى مصر كلها
فى قلبه .. مصر الوطن .. والناس
والتاريخ .. والعيونات .. والطبيعة ..
والجاني .. وكل قوة تراقب فى ارضها
.. يقول بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٦٦ :

« ولعلنا المربة مع انحدار الطسوق
لنخلل احدى القرى .. وقد اكون غير
دقيق فى هذا التعبير لاني ليست قرية
هامة يسكنها بل هى قرية مهملة .. »
« فطلعت الخفية صوب بعض المنازل ..
بين النعاس الغزيرة صرح بها الضباب الذى
رفعت الزميل ملكا رجل اهلها يحملون
ابشمتهم ودوايهم .. حتى الترافد والابواب
تلقوا الى مكان آخر .. مغارة حبيبة
على كل حائط مزالل تشبا الى القرية ..
قطعت يد سفيرة ، بيوتها ايسدي
اطفال المدرسة الابتدائية ، كليلت
حصول : (الشمس لنا) .. »

ويكتب بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٦ :

« اردت البطو المصروف واحببت

اغلق جميع ازراره لاجنى نشنى من
البرودة القابعة من قانا السوبر والبجيرات
المررة واطراف بحيرة المزلزلة .. فاحتى
تدبى الى شفق نحو القاعة .. سالتس
كتت افرا كتابا من تاريخ حياة السويوس
والالف الذين ماتوا من الفلاحين اثناء
ثبها .. والتاريخ الطويل لمقاومة الاحتلال
الذى كان يطبع الى الاسفالية عليها ..
ان كل الثرى على طول القناة تحصيل
بصمت التاريخ .. تاريخ شق القناة
وتاريخ العمل الدائى لقساوة فلول
الاحتلال الاجبى ..

ارباب المصانير وابو فهدان ترافى
بين المشاش .. وبجاة انطلقت بدافع
العدو تحوى متفحط حيل تعكرى ودرمت
الى ملجأ .. »

والظاهرة الثقافية الهلابة فى الأفكار
ايها الكاتب ببطولة الجندي المصري
وشجاعته وقدرته اللامحدودة على الطفل
والمنطق ، وما اكثر قصص البطولة
والشخصية التي ترونها الأفكار .. قصة
الجندي الذي ظل يطلق مدفعه على طائرات
الاعداء حتى ذاب المدفع وذاب جسده
معه .. قصة البطال الذي قتلوا بمجملات
الصور الاولى المصورة واوقعوا بالعدو
اكبر الخسائر .. قصة رجل الدين الذي
صر الى الجبهة ليحط الجنود ، فلما
نشب القتال ، خلع جنيته ومجاهدته وشارك
فى نقل جثثه الخفيفة للبدائع .. فبين
القهى .. وامام رصاص الخنادق الالهة
وشخاها الذنات والقبول وحدث طائرات
العدو المفجرة .. ولد النسل مصرى
جديد .. تقول الأفكار :

« ان اللحظة التي يعيشها المقاتل بين
اللبب هى التي تخلقه من جديد .. هى
التي تجعله يستغيث بحياته المزعمة
الهائلة الخنادق الغرابية وظلمة الليل
الداكنة بلاشعاع من ضوء ، وقد تحدثت
اقتناء على صوت الحفمية ومدير الدليات
.. ومع ذلك فهو يرى مصر اكثر من غيره
رغم الظلمة ويسمع صوتها اوضح من
غيره رغم هيجان المعارك ..

يا اروعها من لحظات تلك التي يحيل
بها الجندي سلاحه على كتفه وموتيه
تخرق الظلام وقد احس انه حفرس
فجاء يحيل مصر فى ظله ويصير بها
مع خفتها ..

ووراء كل خبر عسكري قصة انسان
ولد من جديد على الجبهة .. وكل يوم

على الجبهة يولد حشد كبير من الناس
الجديد .. ومروغو كيف يجرى مصر وكيف
يكون اداء الواجب ..

ان السكتا الجديد لانه طلاقا
الرصاص ولا يتردد اذاحت العدو
واجبهة حمله من قوة الجيش الاسرائيلي
وعطية صليبه .. ان المختل على
الجبهة يقى بان حل قضية الوطن مع
الابريالية وشكلته الداخلية ان يكون
الا بالزبد من القتال .. »

وتلج « بنكرات جندي مصري » على
سرورة الانتقام بين الشعب ويحييه
من طريق أجهزة الاعلام وزيارات الفيل
والفلاحين والمطالب للجنود الى مواقعهم
على الجبهة ومشاركتهم حياتهم ، كتب
احمد هوى بتاريخ ١٦/٢١/١٩٦٦ :

« فى المساء عدت منكم على رحلة
طويلة جيت بها للمستشفى الموصول على
الادوية اللازمة للجنود .. تحدثت على
الطباية وشهدت بطائية اخرى تسوق
جسدي .. اشملت احد افراس القود
الجلقة مدد ان سمعت له حلبة تنفى
شوره باعدا لفة تيمت الضوء الى
عنى الاستراح القراة .. تحدثت على
اقلب على جريدة قديمة كان احد الجنود
قد احضرها بلذ وبوين وهو مدد من
اجازته .. تصفحها هوى .. اخذها
جانبيا .. اكلى الفطير .. ماكننا نضك
على ذوق بعضنا .. ماكننا بشكلا
المشاكل على نظر مسامتة على كره القدم
.. افردت مفتاح الراديو .. مايزا احمد
فنى .. فلاله بابا على الطباية ..
.. اطفا الراديو .. شهدت الطباية
وغلبت بها راسي .. اسلحة من هذا
الحايز الضخم الذى تقيم أجهزة الاعلام
اقلية بين ماحدث فى الجبهة وبين
الشعب .

هذا الانتقام بين الشعب وقواته
المسلحة تحقق بالفعل فى جبهة القتال فى
اكثر من موقع حين عاد الفلاحون يترجمون
لرؤسهم ويعاونون الجنود فى مهامهم :

« .. لم يمد الفلاحون يديهم خوفا
من الاعتقالات كما كان يحدث من قبل
.. بل انه ترى اسلحنا وسرد شوتين
يجران محرانا ويخط حملة الارض البائبة
الى جوار بعض مواقعهم ..
نطرح القرطلة فى يده تحت الشرايين على

العمل .. في الوقت الذي تكبر فيه الخدمة خريفها للمدو .. بعض النساء يحدثن الزرع .. والأطفال الصغار يعملون في صيد السمك من البصرة .. تدنوهم البيض من قبله .. لاخويا لكن يملكون الى ان خريفنا للمدو مؤثره .. وعنفنا يملكون الى لك يحنى على قبله .. وينطلق صوته باغنيت مدبة .. كم هي مؤثرة .. »

وهكذا ينفك اننا شحسب صناعته الضاهرة حتى وهو يمارب ويداع من ارضه . لايق الفلاح من هوث الارض وحصد الزرع وصيد السمك والزمن يهازيح الحب والسلام ..

والعركة الفسارية التي تخوضها بلادنا ضد الدواش الاسرائيلي لاتنصل - في نظر احمد جدي - من بنائه الاشتراكية في بلادنا .. فهو يقول في رسالتهصادفة لشقيقه الصنبر ابراهيم :

« .. علينا سنكبر مثلى .. وتكون رجلا يمكن ان يستبيدنه الوطن ومن امكاناته .. علينا سنكبر سنحرف اكثر ان الفترة التي يعيشها الشعب المصري هي من اقصى الفترات التاريخية ..

اننا لقراء لاننا نشتري اسلحة نمارب بها اسرائيل .. وعلشان نمارب بالاستعمار كويس ونهزمه لازم نعمل الاشتراكية مصر كويس برهه .. وبناء الاشتراكية حاور رجالة ببنكروا زيك كده .. معنى ببفكروا الى الوطن وفي مشكلة المدواش والفر .. والتخلف اللي للنلاحينمايسين فيه ..

لبيد ان نقرأ كثيراً .. وأن نحرف كل شيء من تاريخ الشعب المصري ونكلمه علشان لما نكر يبقى راجل من الرجالة اللي هينوا الاشتراكية في مصر .. »

وعازوك بالبحر لخلل مايشش حاشي .. ات غصب راحل سديم .. والراحل .. يومهم لازم يكون مسيب كتاب .. »

وما اكثر القضايا والمواقف الممتزة التي تزهو بها المفكرات .. بهيث يحق لنا ان نمجيب لماذا لم تعرف طريقها الى القارىء العربي حتى اليوم رغم ما تغفل به من قيم ثقافية ايجابية نحن في مجلس الخدمة الى نثقلها واستيعابها في ظروف معركتنا المسلحة ضد الصهيونية والاستعمار والرجعية ..

وأخر نقرة من المفكرات لعمل دريج ١٥ اغسطس ١٩٧٠ وتقول :

« في بادئ الامر كنا نضل من ربلانا المختلين كما سالونا من تسليمنا .. فقد كانت مشغيتنا من طراز قسم بالنسبة للأسلحة الحديثة التي يقاتلون بها .. ورغم أن تكاملهم وسفرائهممهميتنا القوية كانت تاكل تلوتنا نقد كنا نحس ان علينا ان نكون رجلا لاننا نضل موقعا خطيرا على شدة الفتاة .. فبما اكثر محاول العدو الصبور من أيام مومتنا ، وفي كل مرة كنا نلحقه في داغ الفتاة .. وذات مساء تعرضنا لهجوم مركز من طائرات المدو .. كان من الواضح انه يهدف به لمحاولة عبور جديدة .. كان الموقف صعبا للغاية .. فالوقت يقضى في لحظات مع شحنت الطائرات .. واستمر افراد الكتبية في القتال .. انشئت نبنا روح لدائية قريبة ..

لم تسكت الخدمة لحظة واحدة .. كنا نأبى بطريقة انتحارية .. علينا يظهر لهب طلقات الدافع كانت الطلقات تنفج علينا واحدة اثر الأخرى يمولونها الكلمة .. ففرد الجنود على الأرض ، وحينما نعد الطائرات يسارع الجنود يحشرو المدافع بدلائل جديدة وأطلاتها وهكذا .. نجحنا في افراق جميع زوارق المدو ولم نكده محميتنا القوية في العمل .. »

ولم تعرف النوم طوال تلك الليلة .. وفي الصباح جانبا لشكر الشهادة العامة وتقديرها لمطولتنا ..

وأخيرا امكن ترويضنا بأسلحة حديثة ، وحضر الامر بتسليم مدافعنا الصديقة للصيانة ..

وفي الليل تحركت العربات تهر المدافع .. وقد امتلأت نفوسنا بالحنن لاسرائيل .. سلاحتنا الذي انلى احسن البلاه في صد المدو رغم كده .. وتفكرنا ونحن بومعه شهداءنا الذين شحوا بأرواحهم في اشرف ميدان .. وجسرحانا الرائدتين في المستشفيات تحتالعلاج .. وبدانا تدريسا على السلاح الجديد يمزجة جبارة .. في انتظار ساعة النصر .. يوم نمر الفتاة بنشير الأرض في فاصيبها .. »



وقد توفي احمد جدي وهو ينظر هذه الساعة بلهجة عارمة ..

واليوبرفتمت الساعه .. وعبراسطاننا الى سبناه ، وشرعوا في تحريرها ببطولة نادره أهلت العدو .. اليوم نذكر احمد جدي .. ونذكر كل شهدائنا ، فلاك ان اروحهم قد بدأت تهدأ وتطمئن في جوار ربها .. بعد ان تذكروا ان الهدف النبيل الذي استشهدوا من اجله قد بات قريب التحقيق .. على ايدي اخوانهم وزملائهم من أبطال قواتنا المسلحة ..

ان احمد جدي ليس نبولجا فريدا نادرا بين شباننا المقاتل من اجل الحريةوالكرامة والاشتراكية .. ولكنه واحد من آلاف .. ويضجون من أجل بلادهم .. واذا كنا قد خصصناه بالحدث في هذا القتال ، لبلانا في حقيقة الامر قد نلقنا فيه كل هؤلاء الملايين من الشباب الراغبين الواعد .. الذي سمعنا بهر الفد .. بهر الكرامة .. بهر الاشتراكية .. بهر الكرامة ..

منشور

وطنى

علمى

رقم

[١]

شعر . أحمد فؤاد نجم

تمرق النور م الصباح

■ لما نصحى فى الصباح
والخلاق مجروحين
تبقي حى على الكفاح
والسلاح يا مظلومين
واما نصحى بالسلام
والخلاق مرتاحين
تبقي حى على الكلام
والناقشه يا انلاطين

● ايها المواطنين
مصرنا ست البنات
هايزه منكوزوقوها

والزيتون

يا حيليبى
يا جنودى
ما عساكم تملعون

● يحكى فى امثال زمان
كل وقت وله اذان
يا بهية وخيرينا
يعنى ايه معنى الادان

● شوف يا استاذ بغيران
يا للى تاعد فى اليراح
والملاحم فى الجولان

ايها المواطنون
ايها المواطنين
مصر بن طول السكات
بتساديكوا
تسمعون ؟

● مطرونى بالبارود
كصلونى باللبس
نفسى اغمض
او افقح
برجع الشوف للميون
والقى مسينا
جوه حضنى
بالتساجم



لو يفيض الصبر بنا
تطغى النار م الأتون
لو يقطى الصعب سينا
والعبور يصبح جنون
فرى يا مصر العزيزه
جسمنا فوق الجنون
يبشى يا مصر: العزيزه
ركبنا فوق المنون
واننى يا مصر الحبيب
منذنا جوه الميون
واحنا يا مصر الجليله
حيننا فوق الظنون
حيننا فوق الظنون «

نور العيون
الحياة والمات
والمشائى والسجون
والكلام
والالام
والدمائر والقانون
والدساكر
والعساكر
كله فى حبك يهون
ليس فينا من جبان
ليس فينا يحزنون
فينا طيبه
زرع طيبه
بسى آه لو تملبون

وانتو اهل المكرمات
مايزه عقد النصر وردى
والخلق بالدلايات
مايزه طرحة ومايزه فرجة
ومايزه ساعة م الساعات
تعجنوا الخنث السويى
من زتون البيارات

●
ما عساكن فاعلات
ايها المواطنين

■
يا حياة الشعب يا
مصر يا



ميخائيل رومان :

مسرح شجاع

مفتوح العينين

نبيل فرج

فقدت الحركة الأدبية فمسى القاهرة ، في أوائل أكتوبر
الماضي ، المسكاتب المسرحي المصري ميخائيل رومان ، قبل
أن يبلغ الخمسين من عمره . وبذلك يحطم أحد الآمال التي كان
ميخائيل رومان يمثلها بالنسبة للمسرح في بلادنا .

لوطيلة المسرح ، ينبع من ظروف الثورة
التي يرى أننا نعيش في مناخها . وهذه
إنه كل عمل فني متكامل مسؤولي الصدق
الذاتي والموضوعي هو بالضرورة يعتر
عملا ثوريا .

وفي ضوء هذا المفهوم . يقول ميخائيل
رومان في حديث نشر بمجلة
د المسرح . . صدد مسابر ١٩٦٧ :
« إذا لا أطلب إلا مسرحا شجاعا مفتوح

ولم يعرف على خشبة المسرح سوى
الآن من نصف ماكتب على رجه التقريب ،
ومسى : . المصباح ١٩٦٢
الحصار . ١٩٦٥ . . لتوافد
١٩٦٦ . . العرض الحلي أو الزجاج
١٩٦٨ . ليلة مصرع جيفارا
١٩٦٩ . ٢٨ سبتمبر المساء
الخامسة ١٩٧٠ .

■ ويخائيل رومان مفهوم متقدم

■ بدأ ميخائيل رومان حياته الأدبية
بالقصة والذات والترجمة ، كما قدم عدة
تمثيليات للإذاعة والتلفزيون . غير أنه
في سن الخامسة والثلاثين اتجه دفعة
واحدة نحو المسرح . وكتب ، في هذه
المرحلة الناشئة ، مجموعة من
المسرحيات ، تحت تأثير رعبه أعماله
حيال الأحداث الوثائقية والمالية
الحاسمة .

العينين والقلب ، محبلا على الحياة كما يرأفها وكما ينبغي أن تكون ، وإن جاز منا .

● ومن هنا وقف ميخائيل يرومان دائما إلى جانب القيم القديمة في هذا العصر ، وصلته العناية المتصلة على كل القوى الراجعة المستبعدة التي تريد قهر الإنسان ، وتحميها ملكاته الخالقة ومعنوياته الرفيعة .

■ أما فكرة الشخصيات المتصصة المتناهية في مسرحه ، التي تنحدر إلى النهاية السحيقة ، اجتماعيا وفكريا وإنسانيا - ولكن ما أقوى الشخصيات المتصصة الإيبية ، المتصدرة على وضعية ووسطها الجمعي ، التي ترهق من التحاقها المخللة ، إن تركت وتقل هذا المصير ، رغم الحسنة العاتكة والضياع والظالم ، لكي تحافظ على حرية الإنسان ، الذي يضرب بجنوده الضعيفة في الأرض ، بتأريهه الطويل ، والذي وجد قبل كل الأجهزة العلمية والمخترعات الحديثة ، التي تحاول الغاء أو سحقه .

وهذه الشخصيات المثقفة غالبا ، المنتمية إلى الطبقة الوسطى ، التي تواجه ، بإرادتها الخاصة الفردية ، صراما حادا مع الناس ومع العالم الخارجي البهريه ، هي التي تعبر عبادة محبوه الكنايب وأعدائه ، وهي التي تجعل مسرحه انصري إلى ينتمي إلى نفس النبع الكلاسيكي الذي تدفق منه المسرح اليوناني القديم .

● وكما يلتقي مسرح ميخائيل يرومان مع مسرح الألفظيل الحديث من ناحية تركيب أحداثه ، وتداخلها ، وهدم فرائطها ، واختلاط الوهم بالواقع ، عبر الانتقال الحر في الزمان والمكان ، على نحو يشهد فهمه إحيانا ، بعدم خضوعه للتفسير الفلسفي ، وإن استطاع ، بالأسعة الرسومية ، أن يحرك في الناس أمواج المشاعر ، ويثير في الذهن أصعب الأفكار .

● على أنه ينكر ، في مسرحية الخطاب ، أن القوة بعد ذاتها هي التي تحمل الخير إلى هي . ولذلك تحول وهو ، . . . بعد أن تلقى شيكا يمال العالم ، من شخص يريد القضاء على الجوع والفاقة والكآب ، إلى طاشية متجبر ومجرم سفاح ، لا يفرق في فترة لاحدة من القوة المهيمنة التي كان يعتقد من قبل أنه من الضروري معارضة القدر الزائد منها ، وتوزيعه على الفقراء المتصاه حتى يمحى الإنسان كله .

والحق أن القوة كطاقة مجردة لاتحمل في ذاتها قيمة الخير أو الشر ، فتباعد تكون خيرة يمثل ما تكون شريرة . ذلك أنها تنوغل على الظلم الذي يظللها ويضعها في إطاره ، فيجعلها في خدمة

الغالبية العظمى من البشر . كما نجد في النظم الاشتراكية ، أو في خدمة نكر قليل ، يملك زمام القوة الاقتصادية والسياسية ، ويقت بها ضد الإنسان كما نجد في النظم الرأسمالية الحالية

ويطابق هذا المفهوم التجريدي للفرد مفهومه للحرية التي لايعترضها شيء . والتي يلج إبطاله في طغيان . ومثل هذه الحرية تكون وبالا على صاحبها لاتنا لا ندرك وجودنا الصحيح إلا من خلال الصراع الاجتماعي ، وواجبنا نحو الآخرين . ولولا الصراع والواجب لعدونا كإنجوانات السائمة ، ولعلنا في الخواء .

إن التطور حرة ، نعم ، ولكنها لا تتوقف أبدا عن بناء أعضائها . وفوق هذا ، لم تكن فيكتيل يرومان رؤية وأعية متكاملة ، مصعدة

الإعجاب ، واضعة المضمون ، للعالم الإنساني الذي يريد تشييده على انقاض العالم القديم المظرب ؛ الذي يرفض إبطائه الانصياع له ، وهم يفرقون في الإفلاق المجهولة .

ولقد تعرض ميخائيل يرومان ، بنسذ كتب المسرح ، لصلة ضاربة من أجل التقاد . لشهد من رفض الإعتراض به ، أساسا ، ووصل إحدى مسرحياته بأنها مجرد شيء ، فوق أدنى مناقشة . غير أنه لم يعلم . في نفس الوقت - من الدفاع يخدم فهمه ، وتقدير أعماله ، والدفاع عنه . وفي مقدمة أولئك التكنون محدث منور ، الذي استقبل عمله الأول ، والشفان ، حين عرضه المسرح القومى ، ببطافة بالية ، وأبرز فكرته الأساسية وطغنا الغائبة ، التي ترسع من قيمتها الفكرية وأسوأها التي ، على أساس من رؤيته النقدية الرجبة .

هي معركة الوجود كله

استطيع أن أقول الآن أنه صار لنا مستقبل هذه الأمة التي عاشت ست سنوات من التيه في الصحراء السوداء . إن الذي عبر القارة ليس هو العيش الحرى فحسب ، وإنما هو أمة بأسمها من الخيط إلى الكنايب عبرت في تلك السنوات الجيدة من شقة لصفة ومن مواقع السكون والجهود . إلى هوية الصراع والحياة .

إن المعركة بيننا وبين إسرائيل ليست معركة على الأرض فقط ، وإنما هي معركة الوجود نصة ، لقد أرادوا لنا أن نكون بونا حيا يتحرك وينفقس لكن بلا ذاكرة وبلا مستقبل . الفصائل هنا لا تقاس بما لغتنا من مدعات أو أسرار لأن المحدثات والأفراد يمكن الإستعاضة عنها ، لكن ما لا يستعاض عنه هو الفكر الداخلي الشامل الذي كان ينهش قلب كل واحد من شباب هذه الأمة .

بالنسبة لنا كانت المعركة امتحان وجود ، أما بالنسبة لقوى الضم والسلام فقد كانت عودة الروح إلى المفسد الأشل في جسد الإنسانية العظيم .

إن مصر تصعد الآن من جديد ، لتثبت للعالم أن طريق الشعوب هو الطريق الصحيح . □

أمل النقل

وكنتم الوطن

في الصباح كنت الصباح ، وللصبي كنت وردة ، وبالكثير كنت الدم والجيرة والوردية المسقطة ، وكنت الظهر والعصر والحرب الجعرة ، لم يلحقني العشاء بسبقته وكنت ليلا ، كنت الفجر الذي انطلقت من جوفه حباية ورماسة وتنبه . ولدت في الصباح صبيها ، وكنت الصبي والفقر وتسمى العصر ، سبقت الغروب وكنت الشروق الذي يحل في جوفه ليلة المياعة ، ويحل في جوفه العمام والوردية والفتيلة . عدوى عدوى : أصبته ، كان عدوى وكنت صبيها . . . وظللا . . . وجرة . . . وردة بشفقة . . . وكنت رجلا . . . وكنت الوطن .

يحيى الظاهر عبد الله

قصّة

قصّة

العروس

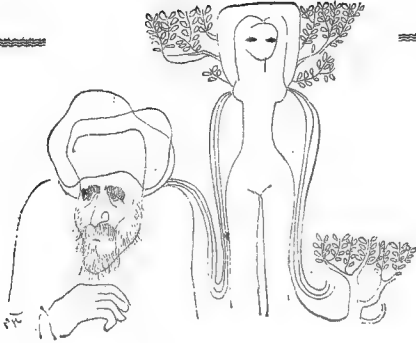
وشجرة الزيتون

سعيد الكفراوي

— كانوا قد رحلوا آنذاك .
وكنت الشمس قد غابت ، واستقر
كف صغير لكته قبل لسعني بأبعد
الغروب .
قال أيضا :
— وصلت الشارع اخيرة غريبة .
لكته في آخر كل نهار — قبل الغروب
نابيا — ينزل إلى الصحراء ويشاهد
تلك الانعكاس البهيمية المسوّدة ،
والمتصقة بالاسلاك "الشبكة" ، وقد
أخذت لون اللّصّ ، والتفتت مبرقة
لباسها المسكوي الأصفر .. كانت أباد
كثيرة بهودة الأصابع تشبين إلى
الطريق .. عبر الصحراء .. كان

تلتجر في صمت النهار صوت كالمصلي
.. ألقى الكيل .
— كانوا يصرخون تلك الليلة .
قال جاره ، وعقل إلى المكان .
لم يكن الطريق موحشا .. لكن كثت
تندفع نوقه لملول حصارية مذمورة ،
وبلايس صفراء ، وبيضاء ، ومواشي
مختلفة الأجسام والأعالي والأتواع .
كان آخر الصفوف سيّدة تركض تحمل
على رأسها مرتها ومناهما التليل ،
وتسحب مللها الصغير .
حيث تقرب الشمس تغيب المبيدة
والطلل الصغير .
هيس الكيل .

بزم الحزن الذي يلفّ الحي كله ،
ولا أنه كان هراء من ذلك الاستبعاد
الذي ترسف في ظله البيوت القديمة
كان الشارع في رابعة النهار أسيرا
لشمس الكوير المكسرة ، الواحة ،
كان يخلو للشيوخ المعجوز الوحيد ،
أن يجلس أمام مكانه الوطى ، ينظر
إلى الطريق الذي لم تتركه — بعد —
الحياة .
رمت مينا الكيل وحدي في الطريق
المتوح على أضلاع الصحراء لمتسوت
عنه الرمال واليابس ، وفحشونه
وحشة خائنة فاسل جنتيه .
ولم جاره بأية الصاج إلى اعلى .



كانت « غرة » العروس تشقوبها
 الاسود فيبين كدياما وقد اندلع شلالان
 من اللين في هروق الصخر لينبش في
 ضوء النهار .. كتندد شفتات الحياة في
 المصغر المنكور .. كانت الشمس رغم
 انقضاء اليوم لا تقرب ، ذائبة في
 بتقصص السماء .. عند ذلك انطلقت
 « اصوات الماكين المحيطة شرقى القفصاء
 الطليق بصوت جديد يصلى هيرستون
 الارض المطشى .. ودانت اجراس
 الكنائس في اديرة الصحراء ، وارتفع
 تشيد من تحت ظن الجبل مجسلا
 بالشوك والدم ، ولاح هبر البحر يسوع
 سطرًا فوق الماء .. كانت في تلك
 اللحظة تتكلم فوق الازف الغسبية
 ملايين الكعب ، والزبن يغير فصوله
 ودوراته ، وفي العوول البعيدة تنفخ
 الانعام وتتفتح المرامي من خفرة بيللة
 .. وحاجرت كوك في تلك اللحظة داخل
 رحم الارض ويهتز النبات وينبثج دوح
 الفيز السالخن .. كانت عروس كثيرة
 - ملايين العروس - تحفش منها وحلا
 ولفسا ..

في تلك اللحظة اصبحت الريح
 واهتزت اغصان الزيتون ، لكن الكيل
 المجوز المتصب القيلة كان ينتظر الى
 الطريق ينتظر الرجال ..

مرشوم في حقلتي الارض نكلمة ملاكية ،
 فصله الشمس شولها الكسح الملتقي
 .. كان يصيح بصوت راعد ملثت كانه
 يحيل النبوذة .. مسبول فصله الريح
 التي تشبست الان .. كلان في مين
 الشمس حتى استلن امان الكيل ..
 مساح فيه ..

.. جرى .. امي تنتظر ..

حده الكيل ، وغلب في صيته ..
 كانت « غرة » غارقة في انتظار
 هريب ، بروح .. كانت محشورة داخل
 اموار كثيرة ، يوجج بذلها صمت
 بتوار ، تحبيلها اشجار الكروم التي
 تعرب بجفورها في الارض المسراء ..
 كانت المزروعات تنفي عند آخر الممار
 ولا يبقى الا الصحراء .. كانت الللال
 واليهساب حاضرة ولكها في هذا
 النهار تتألق نعت ضوء الشمس ..
 لحظة ان دوى انهجار بعيد ، وقف
 الكيل نصف وثقة ثم جلس مرة اخرى ..

خرج الرجل الآخر من دكانه ونظر
 في ميني الكيل ثم عاد ..

اشتد الدوى فنهض الكيل ملتصبا
 مع كلن الطريق يهوى مضينا هذا النهار

يوجع الاضاء التي تضاعفت بكسكل
 خفيف ويواربها الغراب - في هذه
 المحلطات كان يطلق غشاء حزينا كانه
 الرشاء أو التدب - كان شيئا بروما
 وتجربة خيفة جميعك الاشلاء المموتة ..

لكن ميناء لم تلتفتا الطريق ..
 عاد يمدحا وغرس في مروج الارض
 اللصق بمكانه بكرة زيتون ... قال
 في نفسه : « ساروك بالدم »

مر شهر ورفعت الزيتون راسها
 الاخضر فأفادها بالامشاب غنما تهدها
 الخطو الغروب .. فطعت الريح الضوء
 وشمس السنوات .. خرجت الزيتون
 جفورها في الارض ودرعت نشرة خضرة
 غريبة لم يالها - كان النهار يلقى
 ولا ينقش حديثه بها - هي الان تظال
 الدكان ومروج الارض ..

خرج الرجل الآخر من محله ..
 كانوا يصرخون تلك الليلة ..

تعلقت به عينا الكيل ، وفصر وجهه
 في تجاميد ..

.. لقد تغير الزمن ..
 هفت اغصان الزيتون ، وثائق ضوء

النهار ..
 من آخر الشارع امي طفلي يحدو ..

بابلو نيرودا

الشعر

وضرورة

الالتزام



بابلو نيرودا (١٩٠٤ - ١٩٧٣) ، أشهر شعراء
الاسبانية ، وواحد من اعظم شعراء العصر .
شارك شعب شيلي الامة واحلامه ، وشاركه مصيره
الفاجع كذلك . وحين وقع الانقلاب الفاشي الذي
اطاح بحكومة الليندى تساعل الناس في كل
مكان : ولين الشاعر العظيم ؟ هل يتركه الجلاطون
على قيد الحياة ؟

ولم يكل تساؤلهم ، قيل أن يتلقى اسبوعان على
احداث الانقلاب حملت الانباء خبر وفاة الشاعر
العظيم في مستشفى ، وردد الذين عرفوا وتابعوا
شعره : لو بقى نيرودا حيا لقتلوه ، فما كان
لهم ان يتركوا صوتا تردد في ارجاء الضال
الاربعه يقنى للانسان ، ويحمل اليسه الامل في
الانتصار على قوى البغى والظلام ■

جرنيكا

أو

الساعة الخامسة

أحمد عبد المعطي حجازي

• بحارة ماجلان ؟

كنت الشمس التي تلحننا فوق مدار السرطان
زهرة مقرورة فوق مدار الجدى ،
ليست هذه الأرض أذن تلساحة ،
بل مسخرة تفلت منا
في التقاويم التي لم نكتشف أيقاعها الصمب
فمن يوقف هذا الدوران
ساعة تدفن ماجلان فيها
ونشم الريح هل تحبل طعم الشاطئ الآخر
كم تبعد شيلى عن نيويورك ، وعن موسكو
وكم تفر من الساحل للساحل
كم ميل ترى بين الكلاسنكوف والأبدى
وكم يبعد مبنى البرلمان
من سسلاح الطيران ؟

• خطة لوبيناس الأخيرة ؟

كان لوبيناس على مسجادة البهو تتبلا
هذه خطبته الأولى
التي توج فيها بامتشاق السيف أغنياته للحق
لكن •• بعد أن مات الأوان !
سقط السيف من الكف التي كم رغرقت
فوق رؤوس الناس بالحكمة ،
في الستين يا لوبيناس لن تحسن تلك المهنة الأخرى
ولو مسمرت اشتعرا أكيا ،
وقاسمت أرقاء أثينا الخبز والخمر
وهل كنت أخذت القصر بالسيف لكي تمنحه بالسيف ؟
لا بأس إذن أن يقتل الجند خطيبا
تحت سقف البرلمان ؟

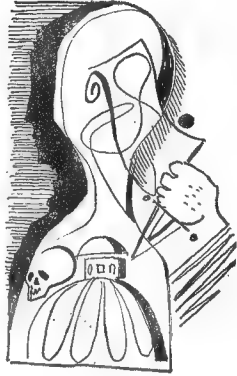
نور لوبيناس شطيط يوناني قديم ، ولد في أثينا حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، كان نصيرا للديموقراطية ؟
وعندما قامت حكومة الثلاثين التي قضت على النظام الديموقراطي في أثينا عام ٤٠٤ ق.م قنص على لوبيناس وشقيقه نهيدا
لإعدامهما ، ونفذ الحكم فعلا في شقيقه ، أما هو فقد استطاع الهرب ليواصل دفاعه عن الديموقراطية حتى انهارت حكومة
الثلاثين بعد عام تقاضاه في أثينا ؟

ويوهي الخطع الأخير من القصيدة : المجتهد الأخير بن فيلمزد •• يتوج بن استنوار الخلفى في العاشر •• البحر ••

واعتقلت أعضاء الكفـاءة الثـراء
 في تلك الثلاثين التي لم تـكر .
 من يغنيك التـسيد الأمـي الآن ؟
 من يدنيك من أرض الـهود الحـمر ؟
 من رائحة الثـرات والخـبز ؟
 ومن ليسـل المـراعي
 لنـشم النـار في العـشب الشـسـائي ؟
 ومن يعطيك أسـماء الذين اسـتـشهدوا قبـلك ؟
 في السـتين يأتـي الثـور في هـيئـته العـصرية النـكراء
 في حـلـته الصـفراء ،
 يأتـي ...
 بيثـما أنت هنا وحـدك ملقـى في درائـش المـرض المـعـون
 ماذا ؟
 قد تأخرت كـثيرا أيـها النـور الخـرافي ؟
 تأخرت كـثيرا
 أيـها النـور الجـبان ؟

● المشهد الأخير من فيلم [زِد] ؟

كان نواب الاتـصـليم
 يشـدون على الأـمين ظل التـبـعات السـود
 في خـسوف مـكاهي ،
 وينسلون في اللـيل فرادى .
 تلك سـيـاراتهم ؟
 مذعورة تـهـرق كالـفيران
 في مـنعطف الوادى الذى يـتـد مثل الأـمـعـوان
 والرئيس الاسـترأى على سـجـادة البهـو بنظـارته ؟
 شـيخ وحيد هـجرته هـيـة المنـصب
 والحراس قـتلـى حـوله ،
 والسـدم ما زال طـسـريا
 وجنـود الاتـصـلاب الجـاهدو الأوجـه
 يلـقون على جـثـته القـبـض ،
 ويصـطفون كالأمـدة الجـوفاء في البـهـو
 ولن تـغـى سـمـوى بـضـمة أسـام ،
 وتأتى غـرق التـنظـيف كى تـغـسل هذا الدـم بالماء
 وتـمـحو من على الجـدران آثار الدخـان
 سـيـدى
 ما رأيـك الآن بإمكان بـناء الاسـترأكية عـبر البرلمان ؟



● بابلو نيرودا :

ها هو النـور الخـرافي ؟
 يقوم الآن من لوحات بيـكاسـو
 ومن أشـعار لوركا
 يبنـها أصـبـحت شـيـخا
 هاجـزا عن أن تـرى رومـته الوحـشية البـكر
 وتلقاه بذات العـنقـوان ؟
 في الثلاثين التي لم تـكر، أبدا
 كنت تـسـاديه ،
 وقـفـريه يـزخـمات السـسـام الحـمر أن يأتى
 وتـعطـيه الأـمـان
 واقتـصا في لـيل غـرامـلة بالجـيتار ،
 أطلـمـعت ريسـاحين الشـيـخـايك

القربان

في بابلو نيرودا

عبد الوهاب البياتي

مع الأفريق في مجاهل الشرق، وقعت وأنا أمارس
السحر، أسيرا، فتملعت من الانتهاز: كيف أحبل
النار إلى زماننا هذا، وأصطاد لك الفرائشة -
الوعل - الفزال - القمر - المنجبون ازدهبوا
في مدن الطفولة - العلاج كان بقبص الدم
محلوبا، وكان قائد « الزنج » على الفرات ينهي
لعبة الخليفة الأبله، لكن ملوك المال والبنول في
« الاندير » حيث الجوع والانجيل والمنشور، كانوا
يقتلون باسم عجل الذهب - الطفلة في كل
المصور حامل القربان التي ورده في النهر -
قال: اشتعلت أيتها الفارة باسم الفقراء
حامل القربان - قال: اشتعلت أيتها القارات -

[٢]

لجوه الحب الذي يكن في العذاب والإبداع
لسيدي الشاعر، لا أقول، وهو يرسل: الوداع

[٣]

أمريكا الشعوب والقصيدة - العاشقة -
القربان جنك بالخبز والمنشور - والسلاح -

[٤]

ماذا أضاف الدم للقابوس لا ركعتان في العشق
رأيت البحر في طفولة الشاعر يسبح في غداث
العاشقة - القصيدة - القربان - كان القراء
يذرفون الدمع في شوارع المدينة العارية، العلاج
قال ساخرا للقتال المجرور: هل سترفع السوط
بوجه الكلمات - الجبل - القابوس في مولاتي

يسلخ جلد الشاة بعد تحبها - لكن جلد ذلك
المنظر - الإنسان، قبل ذبحه، يسلخ في المنازل
الارضية - المحاضر السرية - الملاجئ - المحاكم
المصارف - المسالخ - الشوارع العارية -
السجون، يشوى في جحيم الكلمات - اللفة -
القوالب الجاهزة - القابوس، يستعير من
أوراقه الأجنبية - النساء، كان الثمراء
يطبخون الموت والطيور في رؤوسهم، وكنت في
الجبال أصطاد لك الفرائشة - الوعل - الفزال
- القمر - المنجبون ازدهبوا في مدن الطفولة -
البحر على السواحل - الممالك - الأبواب: هل
غير وهو صابت: لغته وصوته؟ والطنان المنحوت
في وجهك: هل مرق في الحلم فتاع العاشق؟
العلاج كان بقبص الدم مشبوها على القابوس
في ميونه: مدينة أصابها الطامون - ركعتان في
العشق - تعالى - حامل القربان التي ورده في
النهر - قاتلت مع الاسكندر الأكبر في فارس،
لكن مع المراكب - الطيور ابهرت إلى زماننا
هذا: معنى شهادة التلطيم والبطاقة الشخصية.
الانهار كانت ترتدى اكفانها - رأيت « نيرودا »
مع الهنود في مذابح « الانديز » في مطارح القارة
حيث الجوع والانجيل والمنشور في الشوارع
العارية - المسالخ - المسجون حيث المدفع -
الديابة - البيان في الإذاعة - الجريدة الصفراء
ينهي دورة الفصول - يلوى منق الورد - قاتلت



رؤوسهم . وكنت في الجبال اصطاد لك الفراشة
— الوعل — الغزال — القمر . المنجبون ارحموا
في مدن الطفولة . الاسكندر الاكبر باح لي بسر
الوردة الزرقاء . كان « الخضر » في الحلاشية
الكربية . المؤرخون حذقوا اسماء قتلاتنا . اضافوا
بعض اسماء لصومس الخيل . قال خدم الملوك ؟
هل تبيع هذي الوردة الزرقاء ؟ لكني مع المراكب
— الطيور ابهرت . تعالى . شفنى بملح ميلادك
املحت . رايت : الشمس في عيونها يطفئها :
العبيد والمختنون ، ورايت الدم في شوارع القارة
« نيرودا » على خريطة التكوين يستقريء :
اقيار براكين الهندود الحمر ، غابات من النعاس
ليليل البحر يستلقى على امرة العمال في
مناجم النحاس . كان الجنرال — القاتل الماجور
وهو خائف ، يذبح من دبابه ، بيانه الاول . ركعتان
في المشق . تعالى . . حامل القربان التي وردقي
النهر . قال : اشتغلي ايتها الاتهار في القساره
باسم الفقراء : حامل القربان قال : اشرعتعلي
ايتها القسارت .

مستبكي ، عندما يهزمى الخليفة الابله في هذا
السباق القذر المجنون في دائرة الضوء . رايت؟
الشمس في عيونه يصطادها العبيد والمؤرخون :
خدم الملوك في مزابل الشرق . رايت . . الدم
في شوارع القارة مكتوبا به الاتجيل والمنشور
مطبوعا به جبين « نيرودا » على طوابع البريد
والابواب . كان الفقراء يذرفون الدمع في شوارع
الحديثة العازية — القضية — الحكمة — التاريخ
كان الخدم — الثعالب — السادة في العواصم
الكبرى وفي مصانع السلاح والبنوك يفرقون
شعبا كادحا بالدم . كان الجنرال — القاتل
الماجور وهو خائف ، يذبح ، من دبابه ، بيانه الاول
ركعتان في المشق . تعالى . حامل القربان
التي وردة في النهن . لا اتبل ان اعزم في الحب
ولا اتبل ان اسالوم الانهار . قتلت مع الاسكندر
الاكبر في فارس ، لكني مع المراكب — الطيور
ابهرت الى زماننا هذا . وفي العواصم الكبرى
رايت : الشمرء يطبخون الموت والطيور في

خمس قصائد عن الوطن

من شعر

نيرودا

□ الاعلام

أعلام هذا الزمن المظلم
ساعة أن تطرز
ساعة أن تولد
يملؤها السر مثل حب محب
وتخفق فجأة
في الرياح الزرقاء
رياح البارود الحبيب
وطنى مهد كبير
وسماء نجوم
ورمانة ناضجة
فجأة قبلىء الأرض
بالنحل والهبسات
يتناقلها الطوبى والحجن
من يد ليد
يمتلئ الشارع بالأزياء
يترنج مثل شعاع العسل
في الليل ملقحت النار

□ المقاتلون

ولكن اذا سلحت طعامك يا أمريكا الشمالية
لتجبرى هذا الجدار النقى
وتأتى بجزار شيكاجو
ليذبح الموسيقى والنظام الذى نحبه
سنطلع من الحجارة والهواء
نمزق هذا الكيان الغريب
ونطلع من آخر نافذة
نصب عليك انسان
ونطلع من اعقب الامواج
نرمى ونردى
ونطلع من خطوط الأرض
لتجبع بذور النبات
قبضتها كالتدرن
وتفريكم
سننزع الخبز منكم
نؤتبع المساء منكم
ونحرقكم في الجميع .

□ الشهداء



لا ! ! لم يموتوا
انهم في هومة البارود ما زالوا الرجال الواقفين
ما زال في وجدانهم سر اللهب
خطواتهم وظلالهم تبض
طهرا على الارض
في المرح خضيب بالاصيل وبالدباء
وكانهم باتوا ريحا مشرعه
وكانهم باتوا بتاريس الفضب
وكانهم صخر السباء

يا أمهات رزقن ذاكرة البنين
لا ! ! لم يموتوا !
في حقول القمح ما زال الرجال الواقفين
المشرعين على المساحات المريضة
أعلى وأسطح من غضى الظهر العميق
وكانهم دقات اجراس
تنفض من جثث ولجداث
ترجع الانتصار
يا أمهات مسحن كالبارود واستلبت
مكنق ائدة القلوب
لا نفقد الايمان بالمولي من الابناء
لا نفقد الايمان بالشهداء

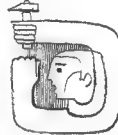
لم يبرحوا مثل الجذور
تحت الحجارة خضبت بالدم
والمطبقين على الرصاص الفم
وعظامهم في الارض اطياقت تنوع
وكان بهرا من حديد يندفع
فوق الزمان وترتفع
ايديهم العليسا
في سلحة الدنيا
ويكذبون الموت

والرقص يسطع في الميرون
والزهر يتسلق مثل البرتقال
تمسك الشيباب
والحب يقيم القلب
والمرعب تقبى
بقيشارتها فوق كل الطرق

□ الحب

متى تزوجت بلادي
يعيونها البحرية الخضراء
وردائها الناصع
انجبت آلاما من الابناء

□ العمال في الجبهة



ابن عمال المناجم والذين
يصنعون الحبال والذين يدبغون الجلود
والذين يطرحون الشباك
أين هم
المنشدون وهم يشيدون البناء
في التراب وفي العرق
والارض تعملو الى السماء
أين هم
الوقاد وسائق القطار
صلب الارادة وصلب الليل
والذين يحملون المؤن
أين هم
حملوا البنادق والسلاح
فوق السهول وتبضها الترامى
ينظرون الى الفمار
مصوبين الى قلب العدو الشرس
كم يريد أن يصيب سواد الشوك
أن يصيب الاكامى
الميلان بهسارا
في شجن الفجر
في وهج الظهر الفضيل

في رسالة منقّ « لينا » عامّة « بيرو »
كتب « جنريش يورفيك » مراسل وكالة نوفوستي
الخاص عن القصيدة الأخيرة التي كتبها بابلو
نيرودا قبل وفاته ، والفروف التي احاطت بها ،
وبجنازة الشاعر الكبير .

نيرودا

الرحلة الأخيرة .. والقصيدة الأخيرة

كولواشي ، « زيمير الجامعة المسابق
، جوان جوليير بيلاس »

وسال براميل إحدى الصحف الرئيسية
لجنة الشاعر كيف تفسر تغريب جنود
حكومة الانقلاب ، لينيسم ، ساجيات
بمسألة : « لا أدري - لا أستطيع أن
أفسر لبقنا لم تكن تعني في هذا البيت
بؤرا ، لأن بابلو لم يكن . مستطيع أن
يستخدم الراج » ولكن بيتنا في
« انسلانجرا » له لهته للتشريع
أيضا : »

ولتدفع المراسل إلى المتحدث الرسمي
لكوّة : الانقلاب وسأله لتفسير ما جابه
الرجل الفاتسني في شمال : « ان
السلطات لم تفسر .. بتغريب شمسنة
نيرودا » وأشعل « ونحن لم نأمر بحرق
الكتب » .

فيل هذا في وقت أحداث فيه مستباحو
وغيره أخرى غيرها برحقا الكتب التي

الكلمات « الرقيق بابلو نيرودا ؟ معنا
اليوم ، وسيكون معنا دائما ! » ولم
يجرؤ الجنود أن ينزفوا الشعر بسن
الإحدى التي كانت ترفده . وتبل أن يدخل
إلى المقابر مخيمو نيرودا في زحلته
الأخيرة ، لخلقوا ينشدون للتشيد
الدولسي « انترناسيونالي » ولتصالح
كلمات تشيد البروليتاريا كشم للشاعر
الوطني الكبير »

ان الراديو الصليبي الذي اعله بتتل
إلى لشيبرا جديدة من شيلي .. بعد
سامعات من وفاة « بابلو نيرودا انقم
الجنود بيته في مستباحو واختفوا يحملون
فيه تخريبا ، وحينما نقل النمش الذي
يعتوى جسد الشاعر إلى الشقة الأخيرة
ظل النمش في مهب الريح ، كانت الرياح
تصل رائحة مأساة شيلي . رائحة
الضمان والبارود ، والقضاء . ووقفت
حول النمش الحاص بالزهور زوجة بابلو
والكاتب التشيلي المعروف فرانسيسكو

حينما أرسلت هذه المطبوع يكون جسد
قد روى القرب في عصره الأسرة
مستباحو ، وقال أنه بعد فترة سيماد
لدى ربات الشاعر الكبير . بناء على
وصيه - في قرية « انسلانجرا » -
التي كان يعيش فيها - وهي قرية ليست
بعيدة من مستباحو .

وكانت حكومة الانقلاب تقش ما قد
بحث أثناء مراسم الجنازة ولهاذافات
مضى نواتها العسكرية بحصار منطقة
المدافن ، وكانت قوات الجنود وفرعات
البنادق ترى وراء كل « مبرة » وتحرك
تطير الجنازة الذي نقل ، النمش من
تلال « سان كريستوبل » - حيث منزل
الشاعر بالكلية - محتشدا بالجنود
والهزم المسلح ، ورغم كل هذا تعد
توصلت مسيرة تطير الجنازة إلى
مظاهرة ، وكانت حكومة الانقلاب تسد
لمرت بالبناء نداء « ريق » رعبها
ولكن بعض من كان حاد - حتى « نيرودا ريق
لغة كتب عليها بخط اليد هذه

الهيئة في الشوارع والبلدات بل من السلطات . ولم يكن جنود حكومة الانقلاب وهم يشعلون بيوت الشيعيين ، يحلون فقط عن يملكون عليهم المشيوعين ويضعون بهم الى الخسار . لعلوا مصرهم بالمراسم ، بل كانوا يهتلون ايضا من المكتبات ويحارون الكتب ويعرفون الكتب في الشك والاضلال . واشعلت الحرائق في الشوارع والبلدات المسنة التيران في السماء شكر البشرية بعرائق الكتب في عهد ألمانيا النازية . حتى ان صحيفة « واشنطن ستار » التي كانت دائما تعارض حكومة اللينين ، رفعت صوتها - منذ ايام - تنذر بان مكتبة ستاجو القومية وهي مكتبة عظيمة وشمسة - مهددة بالتدمير في المستقبل القريب كما حدث لمكتبات البلدية الاخرى التي تدمرها الجنود ، وابتدت الصحيفة رايها في ان استمرار حرق الكتب في الشوارع سيؤدي الى موقف هرج لحكومة الانقلاب !

وفي يوم دن « بابلو نيرودا » اُشعل الجنود حريقا كبيرا للمكتب في

منطقة « سان يورجا » يستجايو ، ومن بين الكتب التي اُحرقت كانت كتب « بابلو نيرودا » .

وقالت لوجة نيرودا للمراسل الفرنسي : « لقد تضرر بابلو بالاحداث التي جرت اخيرا في شيلي . ولانشا ان هذا قد جعل بولائه . وكان يقام المرض بشجاعة ، ثم اخذت صوته وتزداد سودا بعد ١١ سبتمبر ، ولكن حظه ظل يظنا واستمر يعمل . وبعد « لانقلاب الفاشي » بأسرع أخذ الى مستشفى سانتا ماريا في سنتياجو ، ولم يسمح لاحد بزيارته ومنعت عنه زيارات اقاربه » .

لقد عزلت حكومة الانقلاب بابلو من العالم الخارجي فقد كانت السلطات تدعي اي تصريح أو رأي يصدره ويذاع حله . وقد حُرف الآن بالتأكيد أن بابلو نيرودا وزوجته ماتلدا طلبا اللجوء السياسي الى المكسيك ، وقد منح لهما هذا الحق ، ووضع اسمهما في قائمة المسافرين بطائرة شركة مكسيكية كانت ستقوم من سنتياجو الى المكسيك في ٢٤ سبتمبر ، ولكن قلب

بابلو نيرودا توفاه من الحركة يوم ٢٣ سبتمبر الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا .

ومنذ ايام قبل دفن نيرودا جاء رجل الى ادارة تليفزيون لهما ، لم يشأ ان يذكر اسمه ولكنه طلب ان يتأجل محرد قسم الاخبار فلا ان معه رسالة عامة ، وعلمنا قابله المحرر قال له : « هي رسالة حملت الى من شيلي عن طريق الانجليز ، وهي تحوي القصيدة الأخيرة التي كتبها « بابلو نيرودا » قبيل وفاته . لا استطع ان اكون لك ايسر . لكن هذه هي القصيدة » وقد اليه بده بصلحة عليها نص مكتوب على الآلة الكتابية .

في نفس المساء قرأت القصيدة بتليفزيون وإذاعة لهما . وفي الصباح في نفس يوم جنازة نيرودا نشرتها الصحيفة التندبة « اكسپريسو » .

وهذه هي ترجمة القصيدة كلمة بكلمة بصرف مثول :

اليوم ، في سبتمبر الحزين من سنة ثلاث وسبعين .
أشعب وحوش التاريخ أسنانهم في راياننا
كم من دماء أرقتموها
وانتم تسمنون انفسكم في ضياعكم
نهابون تستحقون جحيم الشيطان !
يشترىكم ويبيعكم آلاف الحرات
ثياب من نيويورك .

وسالت محرد صحيفة « اكسپريسو » اذا كان يمكن ان يجرم وأن هذه القصيدة لبابلو نيرودا فاجابني : « لا اشك في هذا » . وهناك تذكيدات من بونيس ايرس والمكسيك » .
وحين اذا كانت هذه القصيدة قد كتبها شاعر آخر ، محرف أو شيعي ، فانه قد كتب تلك الكلمات التي ينتظرها الشعب من بابلو نيرودا ، للكلمات التي كان لابد

ان يقولها قبل وفاته ، وهو قد قالها فعلا ، فانها ايام جمد الزعيم الضراي العظيم سالغوردو اللندى الذي اغتيل في ١١ سبتمبر ، ولما جثة الشاعر والمثني الشعبي الشيلي « فيكتور هارا » الذي اغتيل ايضا في ١١ سبتمبر ، ولا شك انه قالها لتمام جثث المتنازلة حامل السكين استمدهوا ، وهم يدافعون عن موطن ، ولما جثث آلاف الشيعيين الذين استشهدوا في تلك الايام على ايدي حكومة

الانقلاب الكذبية .

ولا ادري ، لمن هذه القصيدة الأخيرة هي التي كان جنود الانقلاب الذين اقتصدوا بيته بعد وفاته يهتلون منها ، ولهم وجدوا قصيدة أخرى وأحرقوها ، وعلى أي حال ، فان هذه الكلمات كان يمكن أن يقولها آخرون ، وهي نفس التي نيرودا العظيم

شئون عائلية

مجيد طويبا

كلت مواعيد العمل الرسمية قد انتهت وانغلت الحكومة بمكاتبها ، فساد ادراجها ولم يسجله الا في اليوم التالي .. وهكذا صرحت انا عند الحكومة اكبر من تولى بزم كابل ، وهذا المكان له شأن كبير فيما تلا ذلك من ايام ..

وليل ايضا اتنا كنا شديدي التشبه في البداية ، لكننا بعد سنوات قليلة صار الخلاف بيننا واضحا ، ورفض احدا ان يلبس مثل الآخر ، وصرخا اني انتقل الى فرجة ازعجت ابي ، فسار بملابنا سافرا بان قدومنا كان نفسا وكان نظرا بقدوم الغلاء الضلعي ، ولم نتم شيئا ووجينا وقد ظننا اتنا ارتكنا خطأ يا .. وعندي عاد ابي الى تكرار ذلك حيث فيه ابي بلا مبادر ومباذبة التحص هذه ، وعنده بترك السدار واللجوء بنا الى مشورتها .. وقالت كلاما كثيرا ان يرد عليه ، بانه الله لا دخل لي او لابي في مسألة القالة هذه وانما السبب الحقيقي هو حرب فلسطين التي جاءت بعد مولدنا بحوالي لثلاثين .. وكانت هذه اول مرة نسمع فيها من شيء اسمه حرب فلسطين ادى الى شكوكي ابي من شيء اسمه القالة ، وجعلنا السكر الابيض المكر يفتني بن عندنا لنستعمله بدلا منه السكر الاصفر !!



شأن من شئون النساء ، ولكنه يا ان عرف خير بولدي حتى سارع بتوجيها الى كيد اعمى المختار لدى الحكومة ، وبعد ان اتيتك اشترى بطيخا وشيئا وتوجه غالدا به الى الدار ، مطيئا الى ان بجهوداته في الاشهر التسعة الماضية لم تذهب بياه ، وبسجد ان وطأ عتبة السدار فر في قساره ان مجهوداته هذه كانت اكثر من اللام ، لقد سمع بدل الامراح صراخين ..

وتبل ايضا ان اخي كان خارجا لنوه في صتب متائم ، وانه وان كان صوتي قد سمع في البر الاخر فلن سمته هو قد وصل اسماع كل اليرين ... ولان ابي لم يكن يتوقع قدور ، فهو لم يكن قد اختار له اسما ، وجلس يفكر وعنما استقر رايه ونهض بتوجيها لتسجيله

السكر :

في التاريخ المروي لاسرتنا قبل التي واخى تد ولدنا في بطن واحدة ، لا قصد من نفس البطن فقط وانما في نفس الولادة ، وهذا يعني انه تولى .. وفيل ايضا اتني خرجت الى الحياة قبله ثلاث ساعات على الاكثر ، وان كانت هذه الحقيقة غير واردة في سجلات الحكومة ، وانني ارحلت ابي كثيرا قبل ان اسلم نفسي اليسرى الى الدنيا كي تسجنني الى هذه الحياة .. وانني قد توفقت على جميع الامثال في كيفية السجيج التي احلتها لحظة الميلاد ، وان مرارتي كان يوصل الى اسبوع الطلطين في البر الاخر ، وانه بمجرد سماع هذا المراح طلمعت الزغاريد من جميع الغريبات والجاربات التجمعت في الدار ، وان احداها توجهت الى النافذة واخبرت الجارات الاخبار بمذكورة المولود فاطلقن على الفور المزيد من زغاريد المججلة .. ثم اخذت المراءخف الاولاد اللاميين في الشارع يوتسة واوصسته بالاسراع الى والدي بلتنا اليوم .. قبل ايضا في تخريب عائلتنا الذي نقلته الرواة ان ابي بمجرد رؤيتهه لدلائل الوضع عند الصباح ترك المسال التزم وغادر البيت مؤمنا بان هذا اليوم



وكانت في اطراف البلدة ارض قفصا
مهجورة الى اتساع ملعب فكلوية المركب
وكانت ملاصقا ارض التلال التي تسرى
فيها كباقي النجر ومازحها ، وفي هذه
الارض تنتشر اطلال الممارد القديمة
وامسام الترامنة .. وكنا واقفان في
عمودنا الى التلبي في الارض المجورة
.. وذات ليل ذهبا اليها كالمعبد
وجدنا حشدا من الرجال يهيمون
ويطوفون فوقها ، فلما انهم سيحولونها
لنا الى ملعب حقيقي ، فبين انهم جاؤوا
في اليوم التالي يمشي البلدية ورواديو
الزبل لوشلوا في خلال يومين طريقا
اسفلنا طريق السيارات نوجي طريقا
جانبه ربات صغيرة غريبة .. ثم
اخذوا كل الاوى باسلاك شائكة لم
فر منها من قبل في بلدنا ، وفيها
ان هذه الارض قد صارت مطارا حربيا ..

وفي المساء خرجت لنا وتولى من
تحدث ابي مع ابي شيئا من تاريخ هذه
الارض لم تكن تعرفه .. قبل انما كانت
فيها مضي مطارا حليا لم يستعمل الا
مرة واحدة ، وانه انشئ خصوسا كي
تهدل فيه طائرة الابيرة — التي كانت
أخذا لليلك الذي طرد من مصر بعد
مؤلفنا بحوالى السنة اعوام — وكانت
قاعدة لحشون زناينة ائمة الاثرياء ،
وان موسيقى المطاير التحسية صدمت
من اجلها وان المصور انشئ مقلا لمن
كفها ، وان الاشارة التي وهي فيسها
للدينة طليا صغيرة بها مضي العلوى
لم يبع اى منها فوق سطح دارنا لسوء
الحظ .. واستحق ابي جلال الابيرة
فانبعثت اى بفراسة الدين واتهمت
الابيرة اى جعلها لم يكن اكثر منبوذة
وموضحة ..

وفي الايام التي تلت ذلك انتقل مكان
لعينا الى ارض التلال ، حيث كنا نصلق
مسكون الميند القروى ونجلس لسوق
اعلى بومة فيه نتخرج على ما يحدت
نوق ارض الخلل الجديد في اندعاش
بالغ .. وتحدثنا كثيرا من التغيرات
وغارنا ، وقلا احد الاولاد ياته عندما
تنتقل مطارتان فان الطيار الذي يمين
في تصوير ينفذته الى راس الطيار
الاخر ويقله يكون هو المنصر وتسطع

الكتابة الاخرى حيلة ..

وذات صباح وعلمنا رائنا للفرر واهنا
في السماء رغم بزوغ الشمس قلا اخى
بان طائرة من هؤلاء يكتها ان صلا في
السماء وتوتع حتى شلا الى حشدا
الخر ومن هناك يستطيع الطيار ان
يؤلف وقتا لو اراد ، فقلنا الى الارض
سافرين من مصادجه .. فلا شيء يمكنه
ان يصل الى التلر البعيد غير مفريت
السندباد .. وسجناه من فوق راس
سلم التلرون وحملناه من يديه وسكبنا
لثقي به وسط مجموعة من ماضى اللجر
ونحن نشطك ، فنهض يدارنا لتكنركنا
لبعض مع الكاى المتكثرة ..

لم حدث ان طرنا الكبار من الالتراب
من هذه المثار لان الحرب قد قابت ،
وذات صباح افترت عليه طائرات الاعداء
فقطعت شظايا فقلنا بعضا من كباش
الاجر الرحة ، وعلمنا صلت الى هناك
بعد ذلك بدائع الفضول رايت حياها
متائرة عند اقدام التلرون .. وعند
النداء مرنا من الراديو ان ثلاثة من
الدول قد اتلفت واعلنت هليسا حربا
اسمها اليونان الثلاثي ، ولان هذه الدول
هي فرنسا واسرائيل ولجوا ..
فصل ابي مستغفرا ان كنا نستطيع
لنح الدول الصغيرة ان تحارب بريطانيا
العظمى ، لكن الراديو كان لايك من
القول بلها لم تحد بمعنى .. ووضعت
اى امسك طريق اللوحة ..

وكانت هذه هي المرة الاولى التي
تكتشف فيها ان بريطانيا هذه هي هي
انجلترا .. وكانت هذه الحرب قد دخلت
اى حياتنا به انا واخى وامسكتنا به
لاول مرة علمنا فقلنا الارض المجورة
التي كنا نلعب فيها بالحرب من الكباش
الزائرة ..

الزومة :



لم تخلف اى سواد الحداد على اى
الا يوم تخرجى وتولى من الجليمة
لجاة بجمت صغيرة لتلقل الزغاريد التي
جذبت الجارات الى دارنا والتي انتهت
بذويغ شربت الورد المظن .. وسرمان
ما م استعداء اخى الى التجليد
مع واج استعدنا انا لثقي اكبره في

التجليات الرسمية يوم كالم ٢ فاكين
ذلك رشيد الاسرة وعلمنا ان بعد رحيل
اى .. ويوجد ان قرب موعد انتماء
تجديده وعودته الى الصبا الذينة انكبت
اى في مهمة لم نللمها منها .. بعد
ذات بحث لكينا من عروس ، وحى
بومة ولا شك كانت عسيرة عليها ،
لن المن صور مدى حرجنا مثلا في
المشور على تفتين مبتكرتين من كل
النواحي كي لايشعر احدنا بالغيرة ان
هو وجد ان عروسه مثلا تلت في الجلال
او في خلة الظل من عروس الاخر ..
وعلمنا حاولت افعالها ان كل واحد
يستزوج بالطريقة التي تريده وسلى
بستوليه ، فبر انها لم تكف فابا عن
جميع محاولاتها هذه الا بعمل طريه
خارج من اراءنا ، اذ زوج باضى بجاة
الى سيناه في حرب سيوت حرب الياهم
السنة من يونيو — حزيران ٧٧ — التي
جسست بالاعداء الى ميساه
القتال .. لفت اى اهتمام اى
بسياس نشرات الاخبار ، بلان ان نسي
ليها شيئا من ممبر ولندا الذي لكثرت
اويته ، والذي مضت ايام انتظارنا لسه
مختاتة مخبة ، ونحن لانعرف ان كان
واتهلت الدروع من ميني اى ، وتلت
حلقنا نسوء الى ان عاد اليها ذات يوم
حار من ايام بولوى ، كشيح الى وضع
التملر ، امسك الزوارى وانع التظرات
مبوق الشباب ، لتستقبله احضان اى
الكاية والتمنيح له البيلة المسجلة ..
الا انه ظل مجددا على السرير محلق
المعين ، ولماضت انا ان يلى تشبه
بشتنات مفتتات بالبراج ، ولم افسا
ان اسلكه من كبرية عوفه ..

ايام قليلة والثابت جراح ذهبه الا
انه يكت قابعا في فرقة يجلل من
مواجهة الناس ، وكان كابوس الممان
قد ركب فوق اكتاف الجيهم .. ورفلس
ان يخرج يضى الى شاطىء التميل
ونكث جلست بمردى والخواير المتوفرة
تلا علفي .. حدثت لنسى ياته يوف
ان اى كان حقا في سفريته من مدى
حظنا ، لكنني قلت ايضا بان هذا العلم
غريب حقا ، كبير ومعد ومترايب ومتناز
وكل شيء فيه يؤثر اى فيه فيه ..
وسرخت : لكن بالذنب اخى وقد وقع في
ايدي قادة ليمسوا على مسنوى المتبولية
٠٠٠٠٠ واقر قساروى بان هناك امورا
كثيرة يجب ان نكتفي ووجوها حسيدة
يجب ان تخفى .. وكانت هذه هي ايام
البزيرة السوداء التي وعيناها شيئا ..
والتي سميت فيها بعد بالكسوة احيانا
وبازية الشرق الاوسط احيانا اخرى ،
وكانت في حقيقة الامر ازمة فضمية
لاى ولاى ولى ، كما اسماها الاعداء
وحرب الياهم السنة سفريه ملا ..

السنة :



أو هزيمة الأحم لا أكثر ١٥ وتتجلبت كثرتها
لبحرية الأعداء وطيرانه في مناورات
مشتركة مع أسطولها السادس ، ويبدو
أن أبي خستد كل ذلك على أنه حديد
لإنهاء وإلزامه بمقاتلته .

من ثلوثه الأربعة وأثروا من وراء ذلك
« وانتشرت الأنار الريفية والفجة »
وشاهد أخى في إحدى اجزائته الصغيرة
ولمّا اسمه أبى لوقى التبريد فقال إنه
ناده ويمسك للتسبيح الذي حدث للناس
من فعله العزبة ، كما حدثت الشبكات
عديدة على جبهات التنا والجران وربما
الأردن ، وثابت دولة جديدة اسمها
بجالدش ، وانتشرت موقعة المسليين
التسيرة جدا ثم موقعة اللامس الطويلة
جدا ، وسمعت آلاف القتات .. وفيها
قال لي أخى إنه ترا من اكتفاب لعالم
إبلاي يقول فيه بأن الحب هو خير
عقل ضد تصلب الشرايين ، ولهذا فإن
أخى — هكذا قال — قد وقع في حب
نفاة تستكن في شارع التيل ودخل مدرسة
وكان وجهه محمرا وهو يخرني بذلك ،
وحى التي تعيش في دارنا الآن منذ أن
تزوجنا تنتظره مع أبي .

وقد كنا في المساء علينا طينا أنه
تد تم مرور قاعة السويين في ست
ساعات ، فجلست أطلب كم لعب هذا
الرقم دورا في حياتنا ، وسمعت أمي
تدعو لأخي ولأشقه بالمودة سائلين إلى
الاجتماع وزوجائهن وإن يتكون هذه الحرب
في آخر العرب إلى ثلاث حياه وحياة
أخى منذ ولدا .. وعلى الفور خلعت
بلى بالي جميع هذه الذكريات المائلة
التي هي من أضي شلوتنا .

وفي خلال هذه الاعوام السنة دك
العدو بمن الفتاة الثلاثة وحرق معمل
تول الزينية وانغار على عمل إيزيد
والعمل مدرسة بدر البتر وعلى الدبر
في سوريا وإبنان والأردن وعلى المطار
عند أطراف بلدنا حيث قتلت للمرة الثانية
معضي كباش الفجر ، وزاد التسيط
على الإصطاب حتى قارب الإنسان أن
يصاب بتسقط الدم أو تصلب الشرايين ،
وفيها أيضا مرت خمسون عاما على ثورة
١٩١٩ ، وصعد الإنسان إلى القمر لأول
مرة ووصفه بأنه كشطليي يملئ فخر
عليه آثار أقدام وتنتشر نوتة الدولت
البركتية والجبال للويرة ، وفيها قرأت
أن عالم المصريات أيرى راسل فتقبة
ربما للووس السادس على النوازي في
محاولة لاكتشاف بقرة أيجوبت الذي
رقمه المصريون لوقى الفرعون والى مرتبه
الآلية — مع أنه لم يكن ملكا من ملوك
مصر — تخديروا منهم ليجربته السد ،
واعتباره رمزاً للطلم في عصر التقنية ..
وعلى خلال هذه الأيام السنة أيضا زاد
نفاذ السبر عند الناس والشباب وخاصة
الثلثة ، كما استعاد بعضي الكثرين

بعد هزيمة الأيام السنة ، مرت علينا
تسنوات سنة ، وهي تعادل ربع عمرى
أو عمر أخى تقريبا .. وقد سمعنا
خلالها مساجلات لأحمر لها ومتمصت لا
أخ لها ، وظلت رغبة أبى في تزويجنا
رفية معطلة ، وقد سار شعراها جميعه
أبيض اللون .. كما وقعت أبور عديدة
لأهنة ، بعضها كان وانحازومتلها كان
سوها .. منها — وهذه بجهة — أن
عمر البشر زاد سنة اعوام حدثت ليها
بلايين الوفيسات والسوالات والطلبات
والأكاذيب والبسكات والأهسان .. وفيها
صار أعضاى أمي ينشرات الأخبار احتيايا
محميا وتداركت أن يحدثنى الخارج
له علاقة وكيفية ملنا ، وقد كومت
أمرىكا بسبب أنها سمعت من انساعها
لعل سلسي كان يسمى إليه مجلس الآن

من الدعم الى المشاركة المسؤولة

هذه أيام نهر العالم . فقلت خاض شعب مصر العظيم الحركة الفاصلة ضد الاستعمار القديم في
الخمسينيات ، وما هو شعب مصر العظيم يخوض هذه الأيام الحركة الفاصلة ضد الاستعمار الجديد .
إن كل الراغبين المسكونين والسياسيين يجهون على أن الحرب الوطنية التحررية التي يخوضها شعبنا الآن
أما هي أهم معلم تاريخي بعد الحرب العالمية الثانية من جهة أنها سددت وفقا لنتائجها مسارات أهم
ظاهرين عالميتين نشأنا بعد تلك الحرب :

- سيدخل وفقا لنتائجها مصير الاستعمار الجديد
- سيدخل وفقا لنتائجها حركة القرار الوطني لكلها في إدارة صراعات هذه المرحلة من تاريخ

العالم .
وهي أيام نهر العالم العربي . فقلت ثابته المكويل والتمتعوب العربية لا هي دعم الحركة كبا
كان الموقف في حالة الاسلام والاحزاب بل الى المشاركة المسؤولة فيها ، وهذه المشاركة هي أكثر
الطروف التاريخية مبنية لتوكيد الروح القوي ، والأول الوجودي ، وضع الطريق واسعا لتقوم الأمة
العربية — في هذا العصر — بدورها في حضارة الإنسان .

وهي أيام نهر مصر . فقلت برزت منذ اللحظة الأولى التي عبر فيها الجنود المصريون الطاقات الانسانية
والحصارية الجسرة الكاملة في الشعب المصري العريق : برز في العمل الداخلي حس وطني راق
وظنه الصراعات والتناقضات من أجل وحدة وطنية مياستة . وبرز في العمل العربي حس قومي ثابا
وجد في الساحة ما لم توجدو السياسة في عشرات السنين . وبرز في العمل القتالي حس إنساني
مسلول ينشد من الحرب وسيلة إلى هدف البشرية كلها : سلام دائم عادل .

إن شعبنا المصري العظيم لا يخوض حريا هدية ، بل هو يدور — مائرا ويساسا — صراعا تاريخيا
عادا : يواصل فيه نضاله الديمقراطي ليخرج الحركة في هذا الصراع أبحاث الديمقراطية الذي يطلسق
بمباراته وإبداعه ، وليخرج التوزيع العادل لابعاد هذا الصراع على كل طبقاته . ويواصل فيه نضاله
الوطني والقومي بالرفض الحازم الأكيد لآى مناورات لوقف إطلاق النار وببوصلة الحرب حتى تتصير
كل الأراضي العربية المحتلة . ويواصل فيه دوره القائد لحركة القرار الوطني ودوره الإنساني في
مواجهة الاستعمار الجديد ، حتى يتحقق حلم البشرية في عالم نبيل شجاع ، وسلام عظيم قائم على العدل
ونفى كل شروب الظهر والاستغلال .

د.ع. عيد النعم تليمة

« ان معركة العرب الحالية ليست مجرد ملحمة عسكرية ضد اسرائيل ، بل هي صراع اقتصادي بالدرجة الاولى ضد اطماع الامبريالية العالمية يرمتها وعلى نتيجة المراع يتوقف مستقبل العالم العربي بقصة وقصيدة . وليكن لنا في دروس الماضي عبرة والتجربة التي تضمها هذه الصفحات لا تختلف كثيرا عن تجربة اليوم . »



حين تحول البحر الأبيض الى

بحيرة على يد

د. محمود اسماعيل

لهم يكن اللام النصرانية شكاً باسمائهم
بقي، من جوانبه ، وأبتلوا شمره للنبح
سائر الأيام نكثت لهم المفاتيح الملوحة
من النبح والخلف ، وملكوا سائر الجزائن
المنظمة من السواحل فيه

ونوبت السيادة العربية على البصر
المتوسط بغير مساقلا هابا وهو ان الخلافة
لم تستطع تحقيق تلك السيادة 'بمسلم
سلطتها في المصريين الراشدين والابوي،
كناولان الخلافة العباسية انتمت بطابعها
الشرقي البحت ، نولت وجهها مصوب

البحر المتوسط وانحدوا الى الاحتياط بها
من طرق اختار نظام التمور الشهير
Themes ، حتى اوائل القرن
الثالث الهجري . .

ويذهب ان تقول تلك السيادة الى
الغزى العربية الاسلامية بعد سلسلة من
الحروب الموقفة التي خاضتها خمس
بينظمة بوحق لابن خلدون ان يقول(١) :
« وكان المسلمون لمهدة للدولة الاسلامية
قد غلبوا على هذا البحر من جيبسج
جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ،

جميع النظريتين الجيوبولوجية القديمة
والحدثه عن ان « وحدة البحر المتوسط »
شاهرة تاريخية ، وقلة في التمس ، بذ حقتها
اليونان عن طريق القوة والسيادة البحرية
Thalassocracy ، وعظمت هذه

الوحدة ، غير منفصلة الى العصر الروماني،
وحسبنا ان الرومان كانوا يطلقون على
البحر المتوسط «بحرنا» Mare Nostrum
وتنامر اباطرتهم بنشر السلام الروماني
Pax Romana ، بين ريوحه .

ومن الرومان ورث البيزنطيون سيادة

المشرق واعلمت ظهرها للبحر المتوسط حتى لم يكن لها حياة نشاط بحري فيه ، تاركه من انحراف وحدة دار الاسلام ، لتداه من نهاية القرن الثامن الهجري وظهور الحركات الاستقلالية ذات الطابع الانبساطي ، كغلب - والامر كذلك - لتفوق الاسلامية المتعددة والمتصارعة في كثير من الايمان تحقيق السيادة البحرية المتوسطية وسط هباتك الظروف ١١

والاجابة على هذا التساؤل كاملة في حقيقتين اساسيتين : الاولى التمسكون المشترك بين القوى العربية في مواجهة الخصم رغم العداء التقليدي بين بعض تلك القوى بحيث يمكن القول بوجود مسود استراتيجيية بحرية اسلامية عامة تضامنت على انتزاع السيادة من العدو البيزنطي.

اما الحقيقة الثانية فتكمن في انشاق استراتيجيات خاصة من الاستراتيجية العامة بما يفهمها ويحقق اهدافها ، فسر ذلك فنقول ان القوى الاسلامية المختلفة المحلطة على سواحل البحر المتوسط تسمت بميدان النشاط البحري فيه وكبرت جهودها لضرب الثغور البيزنطية الواقعة في ميدان كل منها ، فبالقوة الشجرية تركزت على سواحل البحر في منطقة بحر ايجه وحلقت انتصارات بحرية في هذا الميدان فشلت لها تحقيق الاين في سواوله بحر الشام في وقت مضطرب بالاضطرابات السياسية ، ويمكن القول ان الجهود التي بذلت في هذا الميدان كانت داعية بالدرجة الاولى ، ولم يكن بالاكثار التطلع الى دور البحر في الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

وقد يدهش المرء لو علم ان مثل ذلك الدور الضوحي اضطلعت به قوة اسلامية صغرى او هكذا تبدو ، اذنى ما قام به غريب جزيرة كريت من مناجرة الاساطيل البيزنطية الماثبة وفق سياسة هجومية

في المحل الاول ، كتب التاريخ الاسلامي والحوادث البيزنطية جميع على حطبة هذا الدور في الفساح من السواحل المصرية من ناحية والهجوم على السواحل البيزنطية من ناحية اخرى ، لقد كلن حرب كريت بدتوني بولاه امسى للخلافة العباسية ويقيمون والى بحر ادافوا بعد نجاحهم الى الاستيلاء على الجزيرة عام ٢٠٩ هـ من قبضة البيزنطيين ، ولم يكتفوا بهذا القدر انما عولوا على شن غاراتهم المستمرة على سواحل بلاد اليونان النامية لبيزنطة والعراق بها الخراب والدمار (٢) بل كثيرا ما مولت اسمائيل كريت على مساعدة المسلمين الخارية في فتوحاتهم جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، فقد اشتركوا في بعض ايطاليا التي دارت على ارض صقلية حتى تم للشارفة الاستيلاء عليها ، كما حاولت في حصار برنديز عام ٢٢٧ هـ حتى سقطت في ايديهم ٥٥

ولى الحوض الغربي للبحر المتوسط اضطلع بموير الانطلس بدور الرار السيادة الاسلامية بين ريوحه - حقيقة ان البحرية الانطلسية لم تطمح دورا - وجوبها في سياسة البحر المتوسط الا في وقت متأخر ، لكن سبها روع الاشارات التي تلم بها شارلمان - عامل الفرنجة - على السواوله الانطلسية - فضلا من الاستيلاء على جزر البليار وجزيرة كورسيكا وشبها جميعا الى دولتهم في عام ١١٢ هـ ، وعلى من القول ان مجلس شمال افريقية - رغم هداهم السياسي لامير الانطلس - ساعدوا اخوانهم في المعارك البحرية التي دارت في القطاع الغربي من البحر المتوسط (٣)

اما القوة الاسلامية الصليبية التي لعبت الدور الفعال في تحقيق السيادة البحرية فقد تمثلت في دولة الاغالبة بنونس ، وجدير بالذكر ان التاريخ البحري للمغاربة حارة من سلسلة طويلة من

الانتصارات التي تنحدر من كبريايا وحتى عهد قريب ، ولابرز حلقة في تلك السلسلة مثل العصر الاسلامي ، وأول قوة بحرية منظمة في هذا العصر اسمها لسمراه القبرون - ملعبة افريقية - تونس الحالية - في اوائل القرن الثالث الهجري بعد قيام دولة الاغالبة ، والى الاغالبة بنزى الفضل ليس لتسقط في تحقيق انتصارات بخفة على اعظم توتلين اوروبين آتلتها بيزنطية ، ودولة الفرنجة ، انما في مد الفتوح السياسي والحضاري للاسلام الى جنوب اوريا والجزر البحرية في القطاع الاوسط للبحر المتوسط مثل سردينيا وصقلية ورووس ، وحتى نجدد رعا نفسها مقر البوابة ، حتى يمكن ان يقال دون مبالغة ان البحرية الاغالبة كانت اعظم قوى البحر المتوسط على الاطلاق طوال القرن الثالث الهجري ٥

كانت البحرية البيزنطية تهدد السواوله المغربية حوبا حتى اضطر المغاربة الى المدول من الطريق الساحلي في تجارتهم مع الشرق الى السالك الصحراوية الداخلية الوعرة ، بل اضطر كثير من الولاة الى هفادفة البيزنطيين بتقديم الهدايا والاطاف اثناء لشرحهم ، ولم تجد سياسة التهادن الحارس والارطة على السواول في الجبلولة دون توكل البيزنطيين بين العين والاخر داخل الاراضي المغربية بهدف الغلبة والسلب ٥

وكانت جزيرة صقلية - الخاضعة لبيزنطة - منطلقا لتلك الاغارات ، ومن لم حول الاغالبة على الاستيلاء عليها لوحيد نهائي لهذا الخطر الدائم ويحاول بعض الدارسين المغريين (٤) التوطين من فشل النتج الاسلامي لمصطنعية برد اسبابه الى مبرد الجنوب والفرسلة ، لكن التهم الموضوعة لاسباب الفتاح لا يمكن

(٢) عن مزيد من التصيلات راجع Setton : On the raids of the Moslems in the Aegean. American Journal of Archeology. Vol. 58. p. 815 seq.

وانظر ايضا : محمود اسماعيل : الاغالبة من ١١٢ وما بعدها ٥ (٣) مزيد من المعلومات : راجع :

Buckler : Haroun El-Rashid and Charles the Great. p. 89. ابراهيم العنوي : الاساطيل العربية ٥٥٥ - ٧٦ ٥

(٤) راجع : ديموسمين : دائرة المعارف الاسلامية - مادة في الاغالبة - ص ٢٧٨ ،

Marcals : L'Afrique du Nord Française dans l'Histoire. p. 183 & Vonderheyden. La Berberie Orientale sous la dynastie du Bag-L-Arleb. p. 274.

البيزنطية والخلافات الأيبولوية - أهرزت القوى العربية التسلية أسبارات شتى في كافة أرجاء حوض البحر المتوسط . وبرغم ما يبدو من أن هذه الانتصارات لم يشملها ثمة ترابط مكاني أو زمني ، إلا أنه يمكن القول أنها كانت تخدم الإستراتيجية العربية العامة في السيطرة على هذا البحر الذي تحول إلى « بحيرة عربية » فيها السلام الإسلامي Pax Islamica

في وحدة لا تنقسم

ولا هسيرة الوثنية - ساراه مستشرق متحمس مثل هنري بويرن (١) السلي دهم أن « الإسلام مسئول عن قسم وحسدة البحر المتوسط » ، وأن المسلمين لم يكتفهم القيام بدور يينظة السابق في تجارة هذا البحر .

وتكفي بمسما أورد المسؤرخ لويس (١٠) من عدم مسؤولية المسلمين عن عرلة التجارة الممالية حيث يتولى « .. دليل على أن المسلمين اعترضوا سبيل تجارة أوروبا اللاتينية أكثر مما عملوا مع يينظة » ، والواجب إسقاط هذا الزعم باعتبار « خرافة » ، وإذا كان ثمة شك حول هذا الموضوع ، فإن السير بعيداً لو أننا درسنا طريق الحج إلى الأراضي المقدسة حينذاك ، وألوانه أنه لم يحدث أي ازعاج أو اعتراض من قبل حكام المسلمين لطريق الحجاج بدليل ازدياد أعدادهم » ..

وما نود إبرازه هو أن تلك الجهود العسكرية الموقفة لم توقف خط التهديد البيزنطي بحسب أنها أدت إلى سيطرة العرب على طرق التجارة العالمية جنواً رباحتها طائفة اسهمت في ازدهارهم الحضارى ..

كما قضت على القنول البيزنطي في البحرين الأرياني والثيراني .. وشادت في هذا الصدد أيضاً من التكتلت الدولية المعاصرة ، فاكسبت إلى جانبها ومش الذين الإيطالية الساختة على السيطرة البيزنطية ، وحسبنا أن حديثة تالي سامعت الاغالية في ماركسبيد البيزنطيين كما أعادت من الصراع بين التبراطور البيزنطي وبيناً روساً حول السيطرة الدينية في طرد التمسود البيزنطي من إيطاليا ، ثم تهديد روساً نفسها التي حومت مرتين وأوفشت على المستوى في يد الاغالية . تلك البراعة الدبلوماسية كان لها أبلغ الأثر في اتجاه الجهود العسكرية ..

وجدير بالفتكر أن الاغالية استماتوا بأخوانهم حرب كريت في هذه القنول كما الحنا سلفاً . كما لم تتعاس القوة الأيوبية بالانفليس - رغم عدائها القيسلي للاغالية - في تقديم العون والإمدادات القتالية للاغالية أبان معاركهم في صقلية وجنوبي إيطاليا سواء بسواء ، فالحمنة على صقلية تكونت « من العرب والبربر والاندلسيين » ، ولى أثناء الفتح كانت الإمدادات احتصل إلى الجزيرة « من أفريقيا والاندلس (٦) » وحق المؤرخينا المعاصرين القول بأن « المغاربة والاندلسيين اشتركوا في النضوج في البحر المتوسط بفرجة لا يمكن معها الفصل بين جهودهما (٧) » وأن « نشاط الاغالية انسم بانعاون البحرى مع القوى الإسلامية الأخرى » (٨) . بفضل هذا التعاون - رغم العداءات

أن يتجاهل المعلمين الديني واللاتسادى ، فالنور الإغلبى في هذا الصدد استوار لحركة الجهاد الأسلى من أجل نشر الدعوة في احتاج جينسدية ، كما وأن النشاط التجارى الأسلى ما كثر له أن يستمر دون تحقيق الأمن والسلام ، ناهيك مما كانت تتجبع به صقلية من ثراء جريش لأشك في أنه شحد همم للتأمين .

ومما يكن من أمر ، فقد انتهت الاغالية فرمة الدوى السياسية الضرية داخل الجزيرة وأمنوا حملة بريافسحة - أيعرت من مياء سوسة سنة ١١٢ هـ وعلقت الجزيرة ، ثم اشفكت مسح الجوى والأساطيل البيزنطية في مارك دامية استمرت قرابة سبعين عاماً بمسدها استسلت صقلية وتم طرد البيزنطيين منها

والتاريخ العسكري لتلك المارك صفة مشرقة في تراثنا العربى بأعراق المؤرخ سكوت (د) ، ونحن نشيد صفة مشرقة أخرى في الدبلوماسية العربية العاقلة التي استطاعت أن تستغل الختاتصات القولية بين القوى المسيحية المعاصرة وتند منها في خدمة العمليات العسكرية . وعلى سبيل المثال انتهت الاغالية الصراع بين الصنطونية وآخن « اكس لافسلي » - حاسبة الجرامورية الفرنجة - على سادة العالم المسحى فى العيلولة دون احدهما ، ثم حرب كل منها على حدة ..

وبعد الاستيلاء على صقلية انسابت للجيش المغربي داخل شبكة الجزيرة الأوطانية واستولت على أجزائها الجنوبية ،

(٥) راجع الفصل الرابع الذي كتبه في هذا الصدد يكتايه :

History of the Moorish Empire in Europe.

- (٦) أين عذارى : البيان المغربي ١ ص ١٢٢ .
- (٧) حسين يؤنس : الصليون في حوض البحر المتوسط ، الملة التاريخية المصرية مجد ٤ ص ١٠٠
- (٨) إبراهيم المسوى : المسلمون والجرمان ص ٢٧٣ .
- (٩) انظر كتابه :
- (١٠) القوى البحرية والتجارية ص ١٩٠ . عن مزيد من المعلومات حول تقدير أراء بويرن في هذا الصدد راجع كتابنا : الاغالية من ٢٢٤ وما بعدها

مطلع الزاوية التجارية

الذين + ١ قروش

السنة التاسعة - ديسمبر ١٩٧٣

١٣

طهق للباحثين الى الفكر الثورى المعاصر

في مواجهة الامبريالية الكبرى ..
والامبريالية الصغرى

ملف الطبيعة: العلم - التكنولوجيا - الانسان
اعمال المؤتمر العالمى للفلسفة

وثائق : محاكمة جماعة ماتزين
« صورة من داخل اسرائيل »

القهر

المعد الثاني عشر - السنة التاسعة - ديسمبر ١٩٧٣

في مواجهة الامبريالية الكبرى
والامبريالية الصغرى «الافتتاحية»

٥ لطفى الخولي

● حول استراتيجية وتكتيك العدو
الرئيسي في المعركة الوطنية

١٤ د. نسيب مرسى

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر

١٨

— شهادات واقعية للعمال والفلانين
— نصوص نعيم موشوي
— حركة الجماهير الشعبية

١٩

« تعليق للطلبة »

٥١

● تتابع الأحداث ودلائلها

٥٥ سمير خيصال

● موقع إفريقيا من الصراع العربي
الاسرائيلي بعد ٦ أكتوبر : دعوة للحوار

٥٨ حسين شيبان

آراء ومواقف :

— ٦ أكتوبر ٥٥ منطف الطريق

٦٤ عبد التواب يوسف

— القضية هي قضية
الصراع من انقضا

٦٧ جسيميل مهند

— لجان الممارات من اجل المعركة

٦٨ هكيت الفضالي

— اوسع عرض للمشاركة الشعبية

٦٩ تباري عبد الله

● أمريكا اللاتينية بعد « الفيندي » :
جيبلا ٥٥ وديوس الانفصال المؤقت

٧١ سمير موزيز

ملف خاص :

العلم - التكنولوجيا - الانسان

٨٦ د. مزار وهبة

تقارير الشهر :

٩٥

— رسالة موسكو

١٣٤ انجي اغلاطون

— رسالة دمشق

١٣٧ فيصل هوراني

— تقرير خاص : مجنبر
والكولومبية السرية

١٤٠ مصطفى سماني

وثائق :

— تقرير من حكاية
اسرائيلية في اسرائيل

١٤٣ بيير مارتنيز

ملحق الادب والفن :

١٤٧

الطلبة

طريق المتضامين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

وليس التحرير

لطفي الخولي

ان [الطلبة] ميدان مفتوح
لكل راي هر ، وفي اعتقادنا
ان تعامل الآراء الحرة على
اهتمامها هو وهذه الذي
يستطيع ان يطور ويستخلص
وهذه فكرة اصيلة

من هذا المهرم نلتصق
« الطلبة » صماعتها لكل راي
لديه كلمة يقولها - مؤمنة
بشمار المعركة المجيد الذي
اطلقه مولاي في القرن الثامن
عشر [قد اطلق معه في
الراي ولكن على اسنادات لان
ادفع حياتي بنفسك في
الدفاع عن رايك]

طوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة بليون : ٥٦٤٦٤ - ٥٩٠١٠

الاشتراكات :

لصنة بالبريد العادي ٥.٠٠ ج. - دول
الحداد البريد العربي ودول الحداد
البريد ١٢.٠٠ قرضا

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس الجمعية
واسرة لعميرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الافتتاحية

في مواجهة الامبريالية الكبرى .. والامبريالية الصغرى

هل هناك تغيير في الموقف الامريكى ، بعد حرب أكتوبر ، من قضية الصراع العربى - الاسرائيلى ؟

سؤال بات مطروحا فى صور واشكال متعددة ، وذلك بعد صدور قرار مجلس الامن رقم ٢٣٨ بوقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، بناء على مبادرة سوفيتية أمريكية مشتركة . وبعد زيارة الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الامريكى الى عدد من الدول العربية ، وما تمخض عنها من مشروع النقاط الست الذى وصف بانه المدخل نحو السلام فى المنطقة .

من الممكن الاجابة على هذا السؤال ، فى ضوء ما تلحظه العين على سطح حركة الاحداث الجارية ، « ينعم » . هناك تغيير ما .

بيد ان الوقوف عند « نعم السطح » ، يضلل الرؤية الحقيقية والتقييم الواقعى لنوعية هذا التغيير ، ومداه ، وآثاره المباشرة وغير المباشرة على واقع ومستقبل الصراع العربى - الاسرائيلى .

من هنا يصبح ضروريا أن ننفذ الى ماتحت جلد السطح ونضع « نعم » فى اطار الظروف السياسية والاقتصادية للمرحلة الراهنة ، محليا وعاليا ، ولا نكتفى برؤيتها فى جو المجاملات الدبلوماسية التى راح الرئيس الامريكى يبدئها ، مؤخرا ، نحو العرب ، مصحوبة بابتهامات كيسنجر الوفودة .

كيف نحدد مظاهر التغيير فى الموقف الامريكى الراهن ؟

ليس امامنا من سبيل الا عقد مقارنة بين الملامح الاساسية للموقف الامريكى ، قبل وبعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

● ظل الموقف السياسي الأمريكي منذ ١٩٦٧ ، يمنح - في علانية مستفزة عن عمد - مظلة الحماية والمساندة الكاملة لإسرائيل في استمرار احتلال الأرض العربية . كان الاحتلال هو القاعدة والانسحاب هو الاستثناء .

· وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية صوتت في مجلس الأمن لصالح القرار رقم ٢٤٢ ، فإن تعاملها مع القرار ، كان هو ذات التعامل الإسرائيلي . البند الاساسي الوحيد والمقبول فيه هو « الحدود الآمنة والمعترف بها » لإسرائيل . وبذلك بمفهوم القومص الصهيوني .

وفي هذا - الأطار نشطت الولايات المتحدة ، بتعاون عضوي مع إسرائيل في تجميد كل إمكانية لتفتيز القرار وإغتيال معة السفير يارنج ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، وفي أهدار ما سمي بمحادثات الأربعة الكبار الاعضاء بمجلس الأمن ، والمباحثات الثنائية بينها وبين الاتحاد السوفيتي

■ بعد السادس من أكتوبر سرعت الولايات المتحدة الى احياء قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وحرص « كيسنجر » ، في إطار تحديد موقف بلاده ، الى القول بأن أمريكا « تمهت في إطار القرار رقم ٢٣٨ الذي أصدره مجلس الأمن بتأييد تطبيق كافة بنود القرار رقم ٢٤٢ » . كأنه يريد أن يقول أن ما لم تكن نقله بالامس قد أصبحنا نقل به اليوم . ومن هنا حرصه على أن ينص على « كافة بنود القرار » لينفي الموقف السابق الذي انحصر في ضمان حدود القومص المطلوبة لإسرائيل .

· وفي هذا الأطار عانت الولايات المتحدة الأمريكية الى احياء المباحثات الثنائية بينها وبين الاتحاد السوفيتي .

● بقي الموقف الأمريكي ، حتى أكتوبر ١٩٧٣ ، يردد النغمة الاسرائيلية القائلة بأن الباب الوحيد الذي يمكن أن يؤدي الى السلام في المنطقة هو المفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل .

■ بعد ٦ أكتوبر لوحظ شذوذ اللحن الأمريكي عن النغمة الاسرائيلية ، إذ راح يردد أن الباب المتصور الى الحل السلمي هو « مباحثات سلام تحت اشراف مناسب » تارة ، « ومؤتم سلام دولي » تارة أخرى . واخفى من قاموس الدبلوماسية الأمريكية اصطلاح المفاوضات المباشرة .

● حرصت الولايات المتحدة طوال فترة ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ ، على أن لا ينزلق من لسان دبلوماسيتها أي حديث عن « انسحاب » قوات الاحتلال الاسرائيلية من أي بقعة من الأرض المحتلة ، أو « حدود ١٩٦٧ » .

وفي المرة التي أخطأ فيها « روجرز » وزير الخارجية الأمريكي الاسبق وتحدث عن « انسحاب » إسرائيل من الأرض المحتلة ، أنهالت عليه الصفعات الاسرائيلية بقصد اضطره هو الى الانسحاب والاعتذار .

■ بعد أكتوبر توجد حديث في أروقة السياسة الأمريكية عن حدود ١٩٦٧ ، وعن الانسحاب من أراض عربية محتلة . صحيح أن الحديث غامض ومبهم ، وجاء في ارتباط مع حديث آخر عما سمي بحدود أكتوبر ، إلا أنه مع ذلك جدير في لغة السياسة الأمريكية .

ولوحظ - أيضا - أن هنري كيسنجر قد واثته الشجاعة فتحدث في تليفزيون بكين ، خلال زيارته للصين في النصف الاول من نوفمبر ١٩٧٣ ، عن حدود ١٩٦٧ . ورغم أن

جولدا ماير أرعدت وأزبدت - كما فعلت من قبل مع روجرز - إلا أن كيسنجر ظل صامداً ولم يعرف بعد أنه تراجع واعتذر مثلما فعل خلفه روجرز .

● خلال السنوات التسانية لهزيمة ١٩٦٧ ، حرصت الولايات المتحدة على تغطية عمليات المدوان الاسرائيلية المتكررة على البلدان العربية . ورفعت درع الحماية لاسرائيل في وجه غضبة المجتمع الدولي ضدها . ومنعت صدور أى قرار بتوقيع العقاب عليها بسبب انتهاكها الدائم لميثاق الأمم المتحدة . وفى كل مرة اضطر مجلس الأمن الى إصدار قرار ادانة لاسرائيل يتسم بنوع من الحزم . سارعت الولايات المتحدة الى ابطال مفعوله باستخدام حق الفيتو .

■ بعد ٦ أكتوبر ، أسرعت الولايات المتحدة تطلب العون من مجلس الأمن على أساس أن العرب هم المعتون هذه المرة ، ولكنها وجدت نفسها وحيدة ومحزولة فى المجلس ، فاثرت المدول عن مشروعها باستصدار قرار . بل أن كلا من الرئيس الأمريكى ووزير خارجيته ، طلبا صرف النظر عن تعهد من المعتدى ومن المتمدنى عليه فى حرب أكتوبر ، باعتبار أن هذا الأمر غدا ثانوياً بالنسبة للجهد الواجب بذله لوقف الحربى .

وطارت للولايات المتحدة ، ممثلة فى وزير خارجيتها الى موسكو ، ليتفق على التوقف بشروع قرار مشترك الى مجلس الأمن بوقف إطلاق النار . وحين انتهكت اسرائيل قرار وقف إطلاق النار رقم ٢٢٨ ، وعرض الأمر من جديد على المجلس لم تستخدم الولايات المتحدة الاسريكية « الفيتو » كما فعلت . بل منحت صوتها للقرار برقم ٢٣٩ ، الذى يقضى بضرورة احترام اسرائيل لحدود وقف إطلاق النار عند حدود ٢٢ أكتوبر التى اشترطها القرار رقم ٢٢٨ .

● تبنت الولايات المتحدة ، دون تحفظ ، طوال سنوات هزيمة ١٩٦٧ ، الموقف الاسرائيلى الذى يصادر تماماً حقوق الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينة . بل عمدت الولايات المتحدة الى قيادة حملة مسمورة ضد الثورة الفلسطينة تحت اسم « مقاومة الارهاب العربى » الذى يهدد النظام والأمن الدوليين ويعرض حياة الابرياء للخطر .

■ بعد أكتوبر ١٩٧٢ ، تذكرت الولايات المتحدة - على حياء - الشعب الفلسطينى واعترفت - على نقض اسرائيل - بوجوده الواقعى . وطرح هنرى كيسنجر مسا أمساء « المشكلة الفلسطينة » ، بدأ من البنود الخمسة المقترحة فى جدول أعمال مؤتمر السلام . وإن كان قد نزل بها الى آخر القائمة .

● خلال جميع الاتصالات الدبلوماسية ، قبل أكتوبر ، التى جرت بين الدبلوماسيين العرب والأمريكان ، كان الموقف الأمريكى يتحدد فى أنه ليس أمام العرب من طريق للخروج من الأزمة « التى ورطوا أنفسهم فيها » ، إلا بقبول الشروط الأمريكية - الاسرائيلية . بل أن « روجرز » وزير خارجية أمريكا الأسبق استخدم عبارات جارحة خلال لقاءه مع عدد من وزراء الخارجية العرب حين قال لهم بتحد : إذا لم تقبلوا شروطنا ، فليس أمامكم إلا العرب . هل أنتم قادرون على احتمال هزيمة أخرى ؟

■ بعد السادس من أكتوبر غيرت الممارات الأمريكية من جلودها . تصول لمسئها الجارح الخشن الى ناعم باسم . وتبارى الرئيس الأمريكى ووزير خارجيته فى القيام بمجاملات اتسمت بالطابع الشرقى العاطفى تجاه الدبلوماسيين ووزراء الخارجية العرب ، صاحبته رفات على الظهور وكلمات فى العيون تكاد تقول : جربونا هذه المرة تجدوا ما يسركم !

وعلى المؤتمر الصحفي الأخير لهنري كيسنجر الذي عقده بواشنطن بعد جولته في عدد من البلدان العربية ، راح الوزير الأمريكي يعرب عن أمله في « أن تمهل الدول العربية الولايات المتحدة فترة معقولة لكي تتيح لها الفرصة لممارسة ضغط من أجل التوصل إلى تسوية مرضية للأزمة بدلا من أن تحاول هذه الدول ممارسة الضغط على الولايات المتحدة » .

هذه هي الملامح التي أصابها التغيير في الموقف الأمريكي بعد أكتوبر ١٩٧٣ . لكن تبقى هناك ملامح أخرى لم يلق بها أدنى تغيير . ما هي ؟

● يتعد أول هذه الملامح في أن جهاز المدون الإسرائيلي المتمثل نسي « جيش الدفاع » ظل - بعد أكتوبر ، كما كان من قبل - الامتداد العضوي لجهاز المدون الأمريكي ، وترسانة أسلحته الضخمة . وفي أقل من أسبوع فحقت أبواب الترسانة الأمريكية على مصراعها ، لينهل منها الجيش الإسرائيلي كل ما يحتاجه من أسلحة ، تعرضه عما فقدته في المعارك ، وتضيف إليه قسوة جديدة من أسلحة الكترونية حديثة ، مثل « قنبلة سمات » . وتقدم الرئيس الأمريكي بسرعة إلى الكونجرس مطالب بائتمان ٢٢٠ مليون دولار منحه إلى إسرائيل لتلبية احتياجاتها العسكرية . في نفس الوقت الذي يتردد فيه الرئيس عن طلب اعتمادات من الكونجرس لا تزيد في مجموعها عن ١٥٠ مليون دولار لمقاومة حالات الفقر والبطالة في المجتمع الأمريكي ذاته .

● أبا ثلثي هذه الملامح التي لم تتغير على الرغم من أكتوبر ، فهو أن « إسرائيل : دولة وقوة » تحتل مركز الثقل في السياسة الاستراتيجية الأمريكية تجاه البلاد العربية والشرق الأوسط كله . قد يكون هذا الثقل أمم - قلميا - نتيجة أحداث أكتوبر ، لكنه داخل السياسة الأمريكية ، ظل محفوظا بوزنه الضخم . وقد يتبادل الأمريكان والاسرائيليون ، خلال أكتوبر ، وبعده ، عبارات تؤكد على هذا المعنى .

تحدث « كيسنجر » حسن « العلاقات الخاصة التي تربط أمريكا بإسرائيل » .

وتحدث « هايم هيرتزوج » المتحدث العسكري الرسمي ، عن أن الولايات المتحدة تعتبر « وجود وأمن إسرائيل ، قضية وطنية أمريكية » .

من هذا المنطلق أقدم الرئيس نيكسون على مغامرته بإعلان حالة الطوارئ في جميع قواعد القوات المسلحة الأمريكية في العالم ، بعد وقف إطلاق النار ، وذلك في مواجهة التهديد السوفيتي بإبادة قوات المدون الإسرائيلية إذا لم تمتثل لقرار وقف إطلاق النار .

وهي مغامرة ، كان لها - على حد تمثيل الرئيس الأمريكي - ما يبررها إزاء جدية الإنذار السوفيتي لإسرائيل . وذلك على الرغم مما كانت تحمله هذه المغامرة من مخاطر حقيقية على العلاقات السوفيتية الأمريكية الجديدة بعد الانفراج الدولي ، وما سببته بالفعل من تصدع في التحالف الأمريكي الأودي الغربي .

● ويتلور الملح الثالث الذي ظل بعيدا عن التغيير في أن « إسرائيل ما بعد أكتوبر » بالنظر الأمريكي ليست إسرائيل ما قبل ٦٧ « وإنما إسرائيل أخرى » ، ويتعبير آخر إسرائيل وسط ما بين أكتوبر ٧٣ ويونيو ٦٧ . وقد عبر كيسنجر عن ذلك بصراحة عندما قال إن انسحاب القوات الإسرائيلية في إطار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٦ يعني حدودا مختلفة عن خطوط ١٩٧٣ وخطوط ١٩٦٧ .

● **الملح الرابع** للوقوف الامريكى الثابت ، يبرز آراء القضية الفلسطينية .
على الرغم من المياعات الامريكيه الجديدة ، فان المشكله فى المضمون ، تظل
محصورة فى نطاق معالجة مأساة لاجئين . وليست قضية شعب يطالب بحقوقه
القومية .

بهذه الرؤية لما فوق وتحت سطح الموقف الامريكى ، تتحدد ، واقميا ، ملامح التغيير
وملامح الثبات ، فى « صورة أكتوبر » بمقارنتها « بصورة ما بعد ٦٧ » . وبالتالى
فان حصيلة التغيير لم تتعد - بعد - الشكل الى المضمون .

ماذا يعنى هذا ؟

هل يعنى انه « لافائدة » من معاودة الاتصال مع الولايات المتحدة الامريكية ،
لانه كما يقول المثل لابد وان تعود هزيمة «فى نهاية المطاف الى » عاداتها القديمة « .
ام يعنى ان التغيير فى الشكل قد يقود ، مع تبدل الوجوه وصعود نجم كيسنجر مثلاً ،
الى تغيير فى المضمون ؟

لا اعتقد ان هذا او ذاك ، صحيحا . فالرؤية السياسية النضالية ليست ، **اولا** ،
بالرؤية الجامدة التى تتوقف عند حالة معينة من الظاهرة ، وكأنها كل شيء ، لا أمس لها
ولا غد . وهى - **ثانيا** - ليست جزئية تتفرقع عند تفصيل معين من الصورة . وانما
شاملة لكل التفاصيل وفى علاقاتها المتبدله مع بعضها البعض . وهى - **ثالثا** - ليست
مجردة ، تمزلق الظاهرة عما يحيط بها من ظروف تؤثر وتتناثر بها . وهى - **رابعا** -
ليست حسابية المنهج تجمع الاحداث . جغاميكيانكيما وتظل اسيرة لخصيلته ، وانما هى
جدلية مقنعة تربط بين الاحداث ريطادينيكيانكيما ، وتوظف فمالياتها فى مواكبة تطور
الحياة وفرض ارادتها على الاحداث .

اذن ، ماهو الطريق ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، اود ان أسجل ثلاث ملاحظات مبدئية .

الملاحظة الاولى . هى ان تغيير الاشخاص ليس بالضرورة تغييرا فى السياسة . ربما
يصاحب تغيير الوجوه تغييرا فى أسلوب ممارسة السياسة ينبع عن الاختلاف فى
السمات الذاتية والثقافية بين شخص وآخر . التغيير السياسى لا يأتى الا نتيجة
لتغيير فى الظروف أو المصالح التى أرسيت على أساسها سياسة ما فى ظروف محددة .

من هنا عبثية الحديث عن عبقرية كيسنجر العاصم . أو عن أصوله
اليهودية ، التى لا تجعله يخشى الابتزاز الامرائيلى باتهاجه بمعاداة السامية ، مما
يمنحه القدرة على رؤية « العمل » فى قضية الشرق الاوسط ، والقوة على عرضه ،
والحرية فى التصرف . كيسنجر فى النهاية وعلى الرغم من سماته وميزاته الذاتية
يظل ، فى قدرته وقوته وحرته ، أسير حدود السياسة الامريكية ومصالحها الجوهريه .
الساحر ومحروه لا وجود لهما فى عالم السياسة .

الملاحظة الثانية . تتلخص فى أن لعبة الوعود والتصريحات الامريكية المشجعة
والحسوبة بأجل البسمات ، لم تعد قادرة على أن تجذب عواطف العرب فضلا عن
مقوالمهم . خاصة بعد عشرات التجارب المريرة ، وسنوات ما بعد يونيو ١٩٦٧ .

ليس هذا موقف الاشتراكيين العرب من السياسة الامريكية ولكنه موقف الملك فيصل
ساهر المملكة السعودية ذات العلاقات التاريخية الوثيقة مع الولايات المتحدة .

حديثه مع تقى الدين الصلح رئيس وزراء لبنان بالرياض خلال الشهر الماضي ، قال الملك ، الذى كان قد تقابل مع كيسنجر :

« لقد شبعنا من وعود الأميركيين وكلماتهم - لم يتحول وعد واحد أو كلمة واحدة حتى الآن الى عمل واحد ملموس - لا نستطيع بعد اليوم أن نطمئن الى مجرد وعود جديدة » .

الملاحظة الثالثة ، تتعلق بأنه اذا كان لا يمكننا أن نتجاهل - ونحن جزء من هذا العالم وهذا العصر - وجود ووزن الولايات المتحدة الامريكية باعتبارها احدى القوتين العظميتين فى عالمنا وعصرنا ، فاننا بالمقابل لا نستطيع أن نتجاهل أن الولايات المتحدة الامريكية هى قيادة الامبريالية العالمية المعادية لحركة التحرير العربية من ناحية ، وأن اسرائيل - من ناحية أخرى - هى فى جانب من جوانبها الرئيسية ، امتداد وقاعدة للولايات المتحدة فى منطقتنا .

نعود الى سؤال ، ما هو الطريق أنن ؟ أو بتعبير آخر كيف نواجه فى حركتنا المعاصرة الموقف الأمريكى بما تغير وما لم يتغير منه ؟

الجواب فى تقديرى بصفة عامة ، يتحدد فى توظيف ما لدينا من طاقات قتالية واقتصادية وسياسية ، توظيفها واعيلومخططا . وهى طاقات تفجرت مع حرب أكتوبر ، واكتشفناها كأداة داخل انفسنا وبفسى اللحظة والقدرة ، التى اكتشفها الغير هنا ، وذلك حينما تحركنا .

هذا شق من الجواب .

الشق الثانى هو توظيف هذه الطاقات فى ضوء المشاكل التى تمانىها امريكا واسرائيل من ناحية . وهى ضوء التغيرات التى طرأت على علاقات القوى وموازينها فى العالم ، وخاصة بعد تمقيب الانفراج الدولى عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ من ناحية أخرى .

يتركز ما لدينا من طاقات ايجابية ، صابرة قابلة للاستخدام والتوظيف ، فى ثلاث أنواع رئيسية :

● عسكري ، وهو القدرة القتالية حتى التضحية بالنفس التى يتصف بها الجندى العربى .

اذا كان اندلاع حرب أكتوبر هو مفاجأة تكتيكية ناجمة ، فان اقتدار وبسالة الجندى العربى هو المفاجأة الاستراتيجية .

ولعل هذه المفاجأة الاستراتيجية ، كانت العامل الاول فى حسابات الحركة لدى جميع الاطراف المباشرين وغير المباشرين فى الصراع منذ السادس من أكتوبر حتى اليوم .

قبل شهرين من تفجر حرب أكتوبر فمسيب ،لقى موسى ديان محاضرة فى كلية أركان الحرب الاسرائيلية ، صور فيها الوضع القائم للصراع العربى الاسرائيلى واحتمالاته فيما بين أغسطس ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٧ على الاقل ، على النحو التالى :

« ان المناطق التى فى ايدينا - سيناء والصفى والجولان - تكون دافعا قويا بالنسبة لمصر والاردن وسوريا لأن تحاربنا . وبالإضافة الى ذلك فان هذه الدول العربية

اعطيت السلاح والمال والمساعدات الفنية من أجل تقوية جيوشها .. لكن « ميزان القوى بصورة عامة لصالحنا » ، وهذا هو الامر المقرر بالنسبة لاعتبارات ودوافع الدول العربية ، وهو الذى يمنع تجدد الحرب المباشر .

الى هذا الحد ، كان ديان ينظر مايمثله مطمئنا . وكانت الولايات المتحدة مطمئنة ايضا لدرجة ان المخابرات الامريكية أكدت لوزير خارجيتها عشية ٦ اكتوبر ان العرب غير قادرين على الحرب حتى لو أرادوا .

وجاء الجندي العربى ومن خلفه المواطن العربى ليعصفا بهذا الاطمئنان الاسرائيلى - الأمريكى .

انتهت ، من داخل قبلم احكم غلقوا فساد ظروف حياته ، قوة عسكرية - شعبية فى المنطقة قادرة ، اذا امتلكت النفس الطويل والتنظيم على أحدث تغييرات جوهرية .

صحيح ان هذه القوة لم تستطع ان تحقق نصرا حاسما على اسرائيل ، ولكنها مرتها من الداء الذى كانت تتدثر به قوة امبريالية صغرى فى المنطقة مرتبطة بالقوة الامبريالية الكبرى فى العالم .

هذه الطاقة القتالية الجسور ، كانت وما تزال أهم سلاح فى أيدينا . ويتوجب الامر أن يكون جاهزا للاستخدام . فالوضع العسكري على كلى الجبهتين السورية والعربية غير مريح ولا مستقر ، مصوفا بالنسبة للحرب أو بالنسبة لاسرائيل . ولا مفر ، طالما لم تسحب اسرائيل قواتها المتعدية ، من حسمه حربا وقاتلا .

ينتمى الى هذه الطاقة ، قوة شباب الثورة الفلسطينية التى هجرت جبهة ثالثة فى افاق العدو ، بأسلوب حرب المصايبات الثورى ، وما زالت تمارس نضالها دون توقف .

● النوع الثانى اقتصادى ، ويتجسد فى البترول العربى . العالم العربى يخزن ما يزيد على ثلثى احتياضى البترول فى العالم ، وينتج ما يوازى ثلث مجموع الانتاج العالمى من البترول ، ويسيطر على حوالى ٥٥ فى المائة من مجموع صادرات البترول فى العالم . وذلك فى وقت اصبح البترول أهم السلع الاستراتيجية على الاطلاق فى هائلنا المعاصر ، والفترة تمتد الى نهاية القرن تقريبا . فضلا عما يجتازه العالم حاليا ، من أزمة تتصاعد حدثها فى موارد الطاقة .

فى الوقت نفسه ، فان الولايات المتحدة تملك ، وتسيطر عن طريق احتكاراتها على ما يقرب من ثلثى انتاج البترول فى الوطن العربى . وبالتالي فان هذا الوضع ، فضلا عما يوفره لأمريكا من مصالح ضخمة ورئيسية ، يسهم فى منحها القوة الاقتصادية والنفوذ السياسى اللذين تتمتع بهما فى العالم .

مع حرب اكتوبر ، حسم العرب ، لأول مرة ، استخدام سلاح البترول فى المعركة ضد اسرائيل وحلفائهما .

وقع الاستخدام بطريقتين ، احدهما استراتيجى وهو التأميم المباشر للمصنوع الامريكى وحصص هولندا المنحازة لاسرائيل ، الذى أقدم عليه العراق بشجاعة ثورية فى شركة نفط البصرة . والثانى تكتيكى ، استهدف التخفيض التدريجى

للاتنتاج شهريا مع منع ضخه تماما للولايات المتحدة حتى تنسحب اسرائيل انسحابا كاملا من الاراضي العربية المحتلة وتؤمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

لقد ظل الدور الاساسي « لسلامبريالية الامرائيلية الصغرى » فى المنطقة هو دور رجل البوليس القوى الحارس لمصالح وممتلكات « الامبريالية الكبرى » البقرولية .

بيد ان استخدام العرب لسلح البترول ، استراتيجيا وتكتيكيا ، قلب الاوضاع راسا على عقب . واصبح « القترطلى الحارس » هو نفسه مصدر الخطر على المصالح البترولية . ليس فقط بالنسبة الى الدول العربية المعادية بطبيعة نظمها للولايات المتحدة ، وانما ايضا بالنسبة للدول العربية الاخرى ذات العلاقات التقليدية معها .

من هنا ، برزت فى مجرى الاحداث ، حقيقة موضوعية جديدة ، وهى ان الاستئثار الامريكى - الاسرائيلى غدا متناقضا مع الاستئثار الامريكى - البترولى . وعلينا ان ندفع نحو التصاعد فى استخدام هذا السلاح لنعمق هذا التناقض الى درجة التفجير .

● النوع الثالث سياسى ، ويتصل بوضعين اساسيين :

الاول : الممارسة الواعية لما امكن تحقيقه . لاول مرة ، خلال حرب اكتوبر من هذ ادى لوحدة العمل العربى فى مواجهة العدو . وذلك بغض النظر عن اختلاف وتمايز الانتماءات السياسية والاجتماعية فى العالم العربى .

ان توصل الجميع ، من خلال الصدام المصيرى ، الى الفهم النظرى ، والممارسة العملية ، لقانون ان التناقض الرئيسى مع العدو المشترك والمباشر يجب فى هذه المرحلة كل التناقضات الاخرى ويهبط بها الى درجه ثانوية ، هو تطور موضوعى بل وثورى .

ومهمة القوى الثورية ، قبل كل القوى الاخرى فى عالمنا العربى ، تهيئة المناخ للصعى لاستمرار غاطلية هذا القانون ، وسرد كل خطر يتهدهه .

والثانى : المحافظة على استمرار ونمو قوى الراى العالم العالى بمؤسساتها السياسية والشعبية ، المساندة للمسوقف العربى . وذلك من حيث كونه حركة تحرير وطنية محادية للمنصرية والاستعمار ، تضى نفس الوقت ، بمسؤولياتها الدولية تجاه كل من السلام العالمى ، والتعاون الدولى اللذين يحتلان اليوم قلب وعقل الانسانية المعاصرة .

وان يتأتى ذلك بتحريك العرب على المسرح الدولى بأسلوب « شمشون » الذى لا يبالى بأن يهدم « المعبد » فوق رؤوس الجميع ، وانما بأسلوب سباجاكوس محرر العبيد وهوشى منه وجياى وغيرهما من أبطال الشعب الفيتنلى .

استخدامنا لهذه الطاقات الثلاث ، لا يتم فى فراغ ، وانما من خلال عالم جديد ينمو ويتشكل من خلال ظروف جديدة وصياغات جديدة للصراعات .

هذا العالم ، هو عالم الانتراج الدولى والتعاضى السلمى ، الذى فرض قوانينه نرضها على القوى الامبريالية ، بفضل التأثير المتنام لمركة الانسان التقدمية .

فى هذا العالم ، لا تخمد الصراعات أو تسوح القوى الدولية بعضها على بعض ..
وانمسا تميز وتؤكد كل منها طبيعتها ومواقفها .. ان الاتحاد السوفيتى وامريكا
دولتان عظيمتان ، ولكن يظل لكل منهما ، طبيعة وموقف تميز بهما عن الاخرى ، رغم ما يكون
هناك من انصاف على سلوك أساليب معينة تجاه مشكلة دولية محددة كمشكلة
الصراع العربى الاسرائيلى . كيف ؟

يبقى الاتحاد السوفيتى هو صديق وحليف العرب .»

يبقى الولايات المتحدة هى صديق وحليف اسرائيل .
المشكلة بحد ذاتها لا تؤدى الى اشتعال النار عالميا . والطريق امامها هو مبادئ
الشرعية الدولية . لكن فهم وممارسة كل منهما للشرعية الدولية يختلف ويتناقض ،
كما ان فهم كل من العرب واسرائيل حول هذا الطريق يختلف ويتناقض .
لن تكون الغلبة اذن ؟

تتحقق الغلبة لمن يصادف على طاقاته ويواصل استخدامها بكفاءة . ومن يوفر من
خلال التحالف مع اصدقائه قوة وطنية - عالية ترجح على قوة التحالف الاخرى .
وتتبع قيام « طابور خامس » تحت أى صورة وبأى شكل ، يتسلل من موقع القوة المعادية
الى قلب قواه .

ان نتائج حرب أكتوبر ، على الرغم مما شابها من سلبيات ، مضاف اليها كم ونوع
الخصائر ، التى لحقت باسرائيل ولماقت في وئنها حدود احتمالها ، مضافا اليها جراح
امريكا الداخلية والخارجية ، نتيجة حرب فيتنام وازمة النقد والبطانة واعصار
ووترجيت السياسى والاجتماعى ، يخلق ظروفا موضوعية مواتية امام العرب لان
يكسبوا الجولة الراهنة ، فسي حدود معطياتها ، عسكريا وسياسيا . ويفرضوا
- بالتالى - تغييرا فى المضمون ، لا الشكل فحسب ، على المنطقة وذلك على نحو ما
تحقق في جولة فيتنام الراهنة .. التغيير الحقيقى ، لن تكون امريكا مصدره . وانمسا
حركة التحرر العربية .

ومى ذلك نهن مطالبون تاريخيا بان نميلك ، بهزم ومرونة غير مسلوقة منهم
« حرب السلام وسلام الحرب » . بمعنى مشروعية الحرب التحريرية وضرورتها مع
اجساس بشمول بواجباتنا الانسانية نحو السلام العالمى .»

الشيخ محمد

حول استراتيجية وتكتيك العدو الرئيسي في المعركة الوطنية

د. فؤاد مرسى

الاستراتيجية أو على مستوى التكتيك ، فإنا من أجل النجاح في تحديد اتجاه الفرية الرئيسية والتصرف السليم في القوى الفسارية ، يجب أن نكون قد فرغنا من تحديد كل من العدو الرئيسي والحليف الرئيسي بوضوح . ولا اعتقد أن أحدا في بلادنا كلها يمكن أن يختلف اليوم حول حقيقة أن الولايات المتحدة هي العدو الرئيسي ، وأن الاتحاد السوفيتي هو الحليف الرئيسي لنا . فمن المسلم به أن معركتنا الوطنية هي الصراع التاريخي الذي لا يقبل المصالحة بين الامبريالية العالمية بزعامة أمريكا ، وبين الحركة العربية للحرر الوطني والتقدم الاجتماعي . أن العدو الرئيسي في هذه المعركة وهو الامبريالية الأمريكية - أشد قوى الامبريالية العالمية عدوانية - يتحرك حافلا على مصالحه البروقلية والاستراتيجية التي تهددها بالمبع انتصارات حركة التحرر الوطني العربية ، والتحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية في عدد من الدول العربية المتحررة .

ويعلم العدو علم اليقين أن علاقات القوى على نطاق العالم كله تعمل اليوم ، لا في صالح الامبريالية ، وإنما في صالح قوى السلام والتحرر الوطني والاشتراكية ، فيضاعف ذلك من نزعة العدوانية المتزايدة . أن الامبريالية العالمية لا تستطيع أن تفرط بسهولة في المصالح البروقلية والاستراتيجية التي ينطوي عليها الوطن العربي ، والتي تحتل لها أرباحا مذهلة وطاقة وقيرة وسيطرة عالية ، وكل ذلك بأقل التكاليف وحماية هذه المصالح هي الهدف الرئيسي للاستراتيجية الامبريالية .

لنته حرب التحرير بعد ؟ فهي



لا يمكن أن تنتهي قبل أن تتحقق أهدافها الرئيسية ، وفي مقدمتها تحرير الأرض التي يحتلها العدو ، وتجسيد الحقوق القومية لشعب فلسطين . لن تنتهي حرب التحرير المسلحة إلا بدحر العدوان الامبريالي الصهيوني على بلادنا .

ولكم خفنا من حروب تحرير في محاولات مستمرة لصد الغزوات الاستعمارية والامبريالية التي لم تنقطع منذ مطلع القرن الماضي حتى الآن . . ولذلك نستطيع نحن المصريين أن نقول عن خبرة ، أن الامبريالية هي العدو الرئيسي للبشرية وأنها القوة الرئيسية التي تتهرب سبيل تطور الشعوب . كما نستطيع أن نقول عن معرفة أن الامبريالية الأمريكية هي القيادة العليا للامبريالية العالمية ، وأنها أشد قوى الامبريالية عدوانية وأكثرها شراسة ووحشية في تهديد الشعوب وتدعيم الرجيميات في كل مكان من العالم . أنها بوصفها أكبر رأسمال في العالم ، تعتبر المركز الرئيسي - عسكريا وسياسيا واقتصاديا وروحيا - للرجية العالمية على اختلاف أشكالها

حول الاستراتيجية

وفي معركتنا الوطنية ، وسواء اتخذت صورة الحرب أو وقف إطلاق النار أو النضال من أجل المصالح العادل ، وسواء تحركنا على مستوى

وعندما كانت هذه الإمبريالية ما تزال تحتفظ بنظام استثماري عالمي شامل ، كانت تتولى مباشرة ، وبقوة السلاح ، حماية مصالحها البروتية والاستراتيجية في البلاد العربية . لكنها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما أصيب النظام الاستثماري في المستعمرات بالشلل ، بفضل هزيمة الإمبريالية الفاشية ، واتساع رقعة العالم الاشتراكي ، وانتصارات حركة التحرر الوطني في كثير من المستعمرات ، واتساع المستعمرات ، هبت الحركة الوطنية في البلاد العربية - وبخاصة في مصر - وحقت للاستعمار الجديد - زرعوها في المنطقة زرعا يهدف حراسة المصالح الصهيونية المهددة . والتي هذا الهدف مع الأهداف الصهيونية القديمة . . ومن ثم لعبت إسرائيل منذ خلقها دورا مزدوجا في المنطقة ، في خدمة الاحتكارات الاستعمارية العالمية ، وفي خدمة الصهيونية ذات الاطباع التساريفي في التوسيع الاقليمي والسيطرة الاقتصادية .

لقد كانوا بحاجة لاسرائيل لخلقها ، زرعها بريطانيا في فلسطين ، ومحتها أمريكا وجودها الشرق ، وساحتها فرنسا ، ومولتها ألمانيا الغربية . ثم انتهى الامر الى أمريكا لتقسم لها حاليا - على حد قول الرئيس السادات - من رغيف الخبز الى الصاروخ . واصبحت اسرائيل هي القوة الرئيسية للعقد الرئيسي ، القوة الضاربة الرئيسية للاحتفاظ بالمنطقة في حالة طاعة وخضوع وتبعية . تسندها وتلتك حولها وتفخر بها كل قوى التاخر والعنصرية والرجعية في العالم .

ان اسرائيل جزء لا يتجزأ من الإمبريالية العالمية بزعامة أمريكا . انها من نسيج استثماري واحد . فاسرائيل هي تعبير عن الحضور الاستثماري في المنطقة . انها مشروع استيطاني مبني على الايمان بتفوق الحضارة الغربية الرأسمالية ، حضارة الرجل الأبيض المزود بطموح وتكنولوجيا العصر ، هذه الحضارة المستوردة التي لا يكون للعرب في ظلها سوى ان يكونوا قوة عمل رخيصة ليد منها لتعمير الارض وتشغيل المصانع وشراء المنتجات الرخيصة . وتقدم الإمبريالية العالمية رؤوس الاموال لهذا المشروع الاستيطاني . وبالفعل فانها تقض على ناصية الاقتصاد الاسرائيلي الذي يفتقد بذاته لقومات الحياة . ويمثل رأس المال الأمريكي وحده ٦٠ ٪ من مجموع رؤوس الاموال الاجنبية في اسرائيل .

وتقدم اسرائيل من هذه الزاوية صورة طريفة لبلد صغير ، لكنه بلد استثماري . وهناك بلاد

صغيرة أخرى لكنها بلاد استثمارية أيضا ، تشكل نسيجها مضموا واحدا مع الظاهرة الاستثمارية العالمية . ان هولندا أو بلجيكا وغيرها ، بلدان صغيرة واستثمارية - كما ان هناك بلدانا صغيرة أخرى كسويسرا لا تكتفي بتصدير راسمالها الصغير ، وانما تقوم في السوق المالية العالمية بعمليات وسيطة هامة في نقل الاموال من بلد الى بلد . وهي تتلقى رأس المال لتعيد تصديره تحت اسمها المتبول عاليا . انها تتاجر برأس المال المستعار ، وتقوم بالتالي بما يمكن تسميته السياحة المالية التي تنافس ما هو معروف عن سويسرا من سياحة بشرية ، وتنتزع الرأسمالية السويسرية بهارتها ولذاتها الشديدين ، شرائح بخارة وكبيرة من الارباح تحت ائف بورجوازيات الدول الكبرى . وهكذا أصبحت سويسرا مركزا لادارة الاستثمارات الأمريكية في أوروبا الغربية كلها . وتامت بدور الوعاء لرأس المال الألماني الغربي المتجول ، ومسحت له بالدخول الى بلاد عديدة . وتلب اسرائيل دورا قريب الشبه بدور سويسرا فهي تؤدي دور الوسيط بهسارة بين الإمبريالية العالمية ، وبخاصة الأمريكية ، وبين بلاد العالم الثالث . وهي تتلقى رؤوس الاموال لا لتفي باقتصادها محسب ، بل لتعيد تصديرها الى افريقيا وآسيا ، ولحياتها حتى الى أوروبا . كذلك كانت اسرائيل تيارا لألمانيا الغربية التي اتخذتها منفذا الى الشرق ، وأقامت فيها أمريكا وألمانيا الغربية مناعة اسلحة للتصدير في الأساس .

من هنا تحتفظ اسرائيل بطبيعة مزدوجة ، فهي من جانب حارسة للمصالح الاستثمارية ، وهي من جانب آخر مشروع استثماري صهيوني . ومن تفاصيل هذين الجانبين تهمل اسرائيل دور الشريك الاصفر للإمبريالية الأمريكية . وبذلكها اليهود تسمى اسرائيل لثقافة دورها كاستعمار أصيل لا وكيل . وذلك يدخلها بلا شك في دائرة التناقضات الاستثمارية فيها بين قوى الإمبريالية العالمية ، ويجري عليها ما يجري على غيرها داخل الغابات الرأسمالية .

وعلى أية حال ، فان الطبيعة المزدوجة لاسرائيل تظل هي القلق الأساسي الذي يحكم حركتها . وطبقا لهذه الطبيعة المزدوجة ، يستطع المفهوم السطحي الذي يقدم عن اسرائيل في بعض الأحيان ، سواء بوصفها مجرد أداة في أيدي الاستثمار العالمي ، وبالأدوات الأمريكي ، أو بوصفها قوة عالمية تغير حدود تتحكم بواسطة اليهود في العالم ، وتتحكم بالأدوات في ميامية أمريكا . وعلينا هنا ان نستعيد محسب كلمة جورج باندي مستشار الرئيس كينيدي ثم رئيس المكتب الذي شكله الرئيس جونسون في يونيو سنة ١٩٦٧ ، لثقافة الحرب في الشرق الأوسط ٪

الأمريكية في استمرار الوجود الإسرائيلي . وفي هذه الحدود بالذات تصبح أمريكا وإسرائيل شيئا واحدا . فأمريكا لا تدفع لإسرائيل الواف الملائين من الدولارات فحسب ، وانها تضع جهاز مضابراتها في خدمة الجيش الإسرائيلي تبسل السادس من أكتوبر ، ثم ترسل طائرتها للاستطلاع لتوجيه ضربات الجيش الإسرائيلي ، ثم تضع بين يديها أحدث أسلحتها ، وتنتج لها مخازن السلاح تأخذ منها حتى تكفي . وقبل ذلك وبعد ذلك تصدر الحكومة الأمريكية قرارها - استثناء من أحكام القوانين الأمريكية - باحتفاظ الأمريكيين الذين يلتحقون بالقوات المسلحة الإسرائيلية بجنسيتهم الأمريكية . وتلك هي المشاركة الفعلية في القتال .

حول التاكتيك

ومع ذلك كله ، فلقد كان السادس من أكتوبر ضربة في الصميم لإسرائيل بطبيعتها المزدوجة ، وبالأذات لدورها في خدمة الإمبريالية الأمريكية : فلم تستطع القوة العسكرية الإسرائيلية أن تنقض علينا بمنتهى القوة - كما كانوا يأمون - وعلى العكس أثبت الجنود المصريون قدرتهم على القتال لتحرير أرضهم ، واستعاد الشعب المصري ثقته بنفسه ، وازدادت عزلة إسرائيل وأمريكا .

من هنا كان على تكتيك العدو الرئيسي أن يتغير طبقا لظروف المعركة . فشلت تكتيك انقضاض الجيش الإسرائيلي بكل قسوة ، وأصبح مطلوبا أن يحل محله تكتيك التسلسل التدريجي والارهاق المضطرب . ويقوم التكتيك الأمريكي الجديد على العناصر التالية :

أولا : محاولة إحباط حرب التحرير ، وذلك بعدم السماح لنا بانتصار محقق على إسرائيل ، والتأكيد على أن حرب التحرير ليست سوى حرب سياسية لكسر جهود الموقف وتحريك القضية على المستوى الدولي .

ثانيا : محاولة احتكار الحل السياسي ، مع محاولة عزلنا عن جيلنا الرئيسي ، وذلك ابتداء من التأكيد على عدم السماح للسلاح السوفيتي بتحقيق انتصار كبير - ولو غير حاسم - ضد السلاح الأمريكي ، وانتهاء بالتسليم بأن الاتحاد السوفيتي يستطيع أن يعطى السلاح ، لكن الولايات المتحدة هي التي تستطيع أن تعطى الحل .

ثالثا : محاولة الإغراء الاقتصادي ، وذلك بالإيهام بأن التراجع عن المواقع المتقدمة التي وصلت إليها ثورة يوليو ، سيقتل من جانب أمريكا بيزيد من الضغط على إسرائيل ، ويعصر من الرخاء الذي تمسده الرأسمالية العالمية التي تنتظر الإشارة .

مقد تال بمرحلة نادرة عندئذ : « إن سياستنا في تأييد إسرائيل إنما تنبع من مصالحنا القومية » .

إن إسرائيل كيان استعماري موضوع في آن واحد في خدمة مصالح الإمبريالية العالمية وفي خدمة أطباع الرأسمالية اليهودية الصهيونية . من هنا تخدم إسرائيل أهداف أمريكا في المنطقة ، مثلما تسمى لتحقيق أهدافها الصهيونية بالتوسع الأقليمي والسيطرة الاقتصادية لحسابها الخاص . والأهداف جميعها تلتقي عند مهمة مشتركة هي تصفية حركة التحرر الوطني العربية ، وذلك بإسقاط أو تصفية النظم الوطنية وتصفية الكفاح الفلسطيني المسلح . ولهذا فنحن لا ندهش عندما نجد ديان الخنطرس يؤدي دور الوكيل الصريح عندما يعلن في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٨ قائلا : « أود أن أرى نفوسا أمريكيا متزايدا في مصر والعراق وسوريا » .

لهذا كله تضع الإمبريالية العالمية إسرائيل تحت حبايتها . وفي ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ ، كتبت جريدة التايمز البريطانية تحذر قائلة : « لا توجد ظروف يسمح فيها بنصر عربي شامل من غير أن تضطر القوى الغربية للتدخل » . وهو كلام قديم ، تجدد أخيرا على لسان كيسنجر : « لنا علاقة خاصة بإسرائيل . ونحن ملتزمون بحماية أمنها ، ولا نجد في ذلك تضارضا مع صداقة نريد تنميتها وتقويتها معكم » . نطالبا بقتل المصالح البترولية والاستراتيجية للإمبريالية العالمية ، وبخاصة الأمريكية ، ستبقى إسرائيل حارسة لها ، وستبقى الإمبريالية العالمية حارسة لإسرائيل . وقد تضغط الإمبريالية على إسرائيل لاستعمار صهيوني ، لكنها لن تتخلى عنها كحارس استعماري للمصالح الإمبريالية في بترول وأرض العرب . تلك حدود ما تسمح به الطبيعة المزدوجة لإسرائيل . ويزداد هذا التحليل صحة بقدر ما تعمق في إسرائيل نفسها طبيعتها الأولى كحارس للمصالح الاستعمارية . وهو أمر يتأكد أكثر فاكتر في هذه الأيام ، نتيجة ليس فقط لحرب يونيو سنة ١٩٦٧ التي لم تنته ، وللخيارات العسكرية الفاشلة التي تنتجها ، وإنما نتيجة أيضا للضربة المذهلة التي أنزلتها بها القوات المسلحة المصرية في حرب السادس من أكتوبر .

إن ذلك كله يضع إسرائيل بأسرها في موضع التبعية المتزايدة آراء الإمبريالية العالمية وبالأذات آراء الإمبريالية الأمريكية التي غدت اليوم مسئولة عن حياة إسرائيل من يوم إلى يوم . إن الحروب الفاشلة التي شنتها إسرائيل منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ، قد أضفت بها إلى الاعتماد المتزايد على الإمبريالية الأمريكية . لم تعد المسألة مجرد التداخل العضوي بين الرأسمالية الأمريكية وإسرائيل ، وإنما أصبحت مسألة دور المساعدات

فيما بين الطبقات الحاكمة في البلدان الامبريالية ذاتها . وفي الوقت نفسه فان كون قارة باكليا هي اوربا قد عاشت منذ قرابة ثلاثين عاما في ظل السلام ، او على الاقل بلا حروب ، قد صان الشعوب اوروبية من ويلات الحرب ، واطلق في الوقت ذاته قوى الاشتراكية في تنمو . وعلى الرغم من ان البلاد الاشتراكية كانت لسنوات طويلة مضطرة لبذل طاقات غالية في سبيل منع الحرب ، فلقد اخضعت تحقق ممدلات عالية في النمو الاقتصادي . وفيما بين عامي ١٩٥١ و ١٩٧١ ، ارتفع الدخل القومي لبلدان السوق الاشتراكية خمس مرات ، بينما لم يزد الدخل القومي لبلدان السوق المشتركة عن ثلاثة امثاله في الة ذاتها . وكل هذا واقع ملموس لم يعد بوسع الراسمالية العالمية ان تجاهله عند حساب المستقبل .

ان نجاحات النظام الاشتراكي العالمي ، وبخاصة الاتحاد السوفيتي ، ونجاحات حركة الطبقة العاملة العالمية ، وبخاصة في اوربا الغربية ، وانتصارات حركة التحرر الوطني العالمية ، وبخاصة في حرب فيتنام ، هي واقع ملموس يعلن بمراحة ان الامبريالية لن تستطيع استعادة زمام المبادرة التاريخية الذي فقدته . واصبح على الامبريالية امركية نالذ ان تواجه عالما جديدا : فيه عدو يتساوى معها في القوة العسكرية ، ومعهما شركاء يتساوون معها في القوة الاقتصادية . من هنا تغلب منطق التمثل والواقعية ، واصبح على نيكسون بطل الحرب الباردة في الخمسينات ، ان يكون بطل الانفراج الدولي في السبعينات .

وثاني حرب السادس من اكتوبر لتؤكد من جديد على هقيقتين :

الاولى : ان الانفراج الدولي ليس سوى شكل فصال للصراع الطبقي على المستوى العالمي ضد القوى الامبريالية العدوانية ، نشل ايدى المعتدين ، ولا يتبع لهم حرية الحركة التي كانت لهم من قبل .

والثانية : ان قوى السلام اقوى بكثير مما كانت وان الشعوب اكثر ثقة في قدرتها على الهاق الهزيمة بالمعتدين .

ولذلك تزداد عرلة الامبريالية امركية حتى عن اقرب حلفائها . وهذه الامبريالية امركية التي تزداد ضعفا ، وتزداد عدوانية ، هي العدو الرئيسي الذي لا تغفل غيوتنا عنه ابدا . فانا نعلم علم اليقين ان التساكن معها يتغير فهو دائما موضوع في خدمة الاستراتيجية ، تابع لها . ان التاكيد قد يتغير لكن الاستراتيجية تظل ثابتة بلا تغيير .

ولا شك ان التاكيد الجديد بقى هو لى الرجعية القديمة التي كان موقفها دائما هو محاولة تصفية النظام بالتقام مع امريكا . ونحن نعلم انه منذ سنوات طويلة والاستعمار الجديد والرجعية القديمة تركر جميعا على الراسمالية الوطنية ، وتسمى لاجذابها لى مواقع الثورة المضادة . لكنها لم تغل الا فى ضم تلك الاقسام الطبقيية التي تشغل بالومساطلات والتخريب والمضاربة والتخزين . وهى اقسام تفصل عن الراسمالية الوطنية وتصحظفرا عليها يهدد نشاطها الانتاجى والتجارى بالانهيار والافلاس .

ان القسوى السلمية من الامة ، من عمال وفلاحين وحرثيين ومنجيين ومثقفين ورسماليين وطنيين ، تاللى ان تستدجر الى هيل الامريكان . ومع تسليطنا جيعما بفداحة الضسائر التي هلت بالعدو الرئيسى وبقواه الرئيسىة الضارية على كافة المستويات ، فانا جميعا على يقين بان التاكيد قد يتغير لكن الاستراتيجية تظل ثابتة ، تلك حقيقة علمية معروفة . كذلك فانا نعلم علم اليقين ان استراتيجية الامبريالية امركية ارضا لم تتغير ، اولا : لاننا لم تتغير كحركة وطنية ، وثانيا : لان الامبريالية امركية لم تتغير بعد .

ويجب ان نعترف بان الامبريالية الامريكية تحاول ان تبدي فى ثوب السلام الابيض ، لكنها فى الواقع لا يمكن ان تكون قوة من قوى السلام . فلا يمكن ان تكون بداية عصر الانفراج الدولى والتساكنى السلبى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة بحيث تخفى او تطفى على الطبيعة العدوانية للامبريالية امركية . وعندما جلس الفيتناميون الى مائدة المفاوضات مع الامريكان فى باريس ، لم يتغير وضع امريكا بوصفها العدو الرئيسى للشعب الفيتنامى ، لم يتغير وضع امريكا من قوة عدوانية الى قوة سلام . ولقد حرصت امريكا على ان تذكر بحقيقة وضعها كل من حاول ان يتناساه ، وذلك عندما اسقطت على فيتنام من قتال الموت والدمار خلال الالام الاخيرة من المفاوضات وزن جميع ما استطته عليها خلال سنوات الحرب كلها .

والواقع ان بداية عصر الانفراج الدولى والتساكنى السلبى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة انما تعبر عن فشل الامبريالية امركية اكثر مما تعبر عن نجاحها . انما فى الحقيقة تأكيد لواقع معين هو ان المكانة القيادية للولايات المتحدة فى العالم الراسمالي قد ضعفت الى حد كبير . وبدلا من المركز امركى الوجد فى الاقتصاد والسياسة ، يحل محله تدريجيا تعدد المراكز القيادية ، وتزداد المواجهمة حدة بين الاحتكارات امركية وبين الجباعات الاحتكارية النشجة او المتكاملة : السوق الاوربية ، المانيا الغربية ، اليابان .. وتظهر بالنالى تناقضات حادة

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر

كان العبور يوم ٦ أكتوبر يوماً فاصلاً في تاريخ المواجهة بين الشعب العربي وبين الحلف الصهيوني الامبريالي ، ترتبت عليه ردود فعل بعيدة المدى على الاصعدة الدولية والعربية والداخلية . وقد هرعت الطليعة على ان تبض في استكشاف ابعاد حرب ٦ أكتوبر ، خصوصاً في الداخل ، فرأت ان تستطلع ردود الفعل في صفوف الجماهير الشعبية وذلك من خلال عدد من الاسئلة المحدودة توجه الى عدد من العمال والفلاحين .

١ -

التصور الخاص بالمعركة :
هل كانت متوقعة من حيث التوقيت والنتائج ؟

٢ -

وما هو تقييم دور العوامل المساعدة الى جانب الدور الرئيسي الذي اضلعت به القوات المسلحة ؟ وكيف تتحدد محسرات الاصدقاء والاعداء ؟ ما هي بشكل عام انعكاسات الحرب على المجتمع المحيط بالعامل أو الفلاح ؟

٣ -

واذا كان تحقيق النصر النهائي هو الهدف الاساسي . فما هو ؟

— رأى العامل والفلاح — العمل المطلوب :

— من الشعب .

— ومن الحكومة .

— ومن الاشقاء العرب .

الاسم : محمود على خليفة

المهنة : فنان نسيج

محل العمل : شركة وولكس I مصنع البطالين
بروفو القزح I

رؤية العمال

— كنت حارب اننا فى معركة دايمة مع اسرائيل وأمريكا . وما كنتش اتوقع تاريخ
قيام المعركة الأخيرة .

— لما بدنا احنا المعركة أدركت اننا خفصر وكان عندنا ثقة تامة فى الانتصار وان قضيتنا
بدأت تتحرك ناحية الحل الصحيح .

— موقف البلاد العربية هو أكبر انتصار سياسى لمصر فى توحيد البسلام العربية ،
ووقفة البسلام العربية فى المعركة انتصار لوحدنا مهم جدا وده الذى يجب انه يستمر .

— كان عند العمال ثقة دايمة فى الاقتصاد السوفيتى وصداقته لمصر والعرب ، وان
وقوعه بشرف جنبنا فى المعركة الأخيرة كان شىء طبيعى زى كل المعارك الماضية فى سنة

٥٦ ، و٦٧ ومساعدته فى تصنيع ملاذنا وبناء السد العالى وتسليم الجيش وباقى المشاريع
الثانية . وعندنا ثقة ان الاقتصاد السوفيتى حيفت جنبنا فى المستقبل وفى كل وقت ، وهو

يعتبر حارس السلام فى العالم .

— ان عدونا معروف وهو أمريكا . وهى دولة راسمالية استعمارية وهى اسرائيل
شىء واحد . ويجب ناخذ بالنا منها لانها بتاعة لمار العالم . وايه الذى أقوله عن عدونا انه
عدونا وكفاية .

— تأثير المعركة على علينا فى المصنع كانت تظهر فى نشاط العمال فى العمل ؟
كان كل واحد بيعمل بدون مراقبة من رئيسه ، ومش محتاج حد يقول له شد حيك او خد

بالك . كل واحد عارف شغله كويس وشاعرانه بيعمل عشان يزود الانتاج . ودى معناها
ان بلده بتزيد قوتها وتقدر تواجه العدو ، وان الأيام التى تقضا العمال للجهود الحربى

هى على كل حال حاجة بسيطة وفى حدود امكانيات العمال البسيطة . ولعجب اقر انه
زاد الانتاج بفضل العمال فى أيام المعركة زيادة كبيرة من قبل المعركة .

— ككثت الطبقة العاملة ، اياما ابتداء من اول شهر رجب لغاية العيد وكمان دخول
المدارس ، فى المواسم دى تكون لها مطلب بادية . ولما بدأت المعركة نسبت العمال كل

حاجة وماعدتش تفكر الا فى المعركة والانتصار ، وحتى بالمناصة ، كان فيه فى
المصنع ميل لهم اولاد فى الجبهة ، ولكن كانت روحهم المعنوية عالية جدا ومكانتوش

بيفكرو الا فى البسلام والنصر . وانا لى ابن اخت فى الجبهة وأولاد لى اخن تانيين
بيحاربوا فى الجبهة .

— كنا مستعدين لمواجهة الخطر عن طريق الدفاع المبنى والحرس الوطنى من العمال
المصنع المتفرقين .

— ماكانتش حد يصدق الدهايات المضادة . لانتا كنا بنعرف ان هدنيا الشوشرة علينا
وتخريب جبهتنا الداخلية .

● المطلوب :

— لتحقيق النصر هو ان نكون فى حالة استعداد على طول وان نستهزى فى زيادة
الانتاج ، ونواصل البناء والتعمير فى ظروف المعركة فشان تكون تاديين على تحقيق النصر

وان صمود الشعب والتوقف عن المطلب فى الوقت الحاضر ، وده شرط رئيسى لتحقيق
النصر التام على اسرائيل وأمريكا .

— نطلب من الحكومة أن تستقر في سياستها التي بدأت في يوم ٦ أكتوبر . ونرجو أن تستمر على طول روح الرؤساء في العمل في ما كانت في أيام المعركة . وإن تكون السلطة قريبة دايما من العمال، وأن تثق القيادة السياسية في بلدنا في الطبقة العاملة .
— المطلوب من الدول العربية أن تستروقتهم مع مصر . ولأزم بحث عن طرق ثانية تستخدمها ضد أمريكا زى تحويل ثودهم من البنوك الأمريكية وتميم الشركات الأمريكية في البلاد العربية .



الاسم : ماهر عبد السيد

الجهة : هابل في

محل العمل : شركة المصنعة (اسكو)

— كنت أتوقع أن تبدأ المعركة في يوم من الأيام خصوصا بعد السنين الطويلة اللى فاتت الى كنا بنبنى فيها قوتنا العسكرية .

— كان عندي ثقة في انتصار بلادنا لأنها تدافع عن حقها في استرجاع الأرض المحتلة .
— موقف البلاد العربية اللي ساعدتنا ووثقت معنا كلها . كان من الأسيلب المهمة في الانتصار في المعركة على إسرائيل .

— كان تصرف السكان عادي في أيام المعركة ، وخصوصا في الأيام الأولى بعد ما أطيأنا الى انتصار الجيش ، وأصبحوا واثقين من النتيجة .

— قدمت الشركة في المعركة ١٠٠٠ من العمال المشتركين في الجيش التسمي والخدريين على المقاومة الشعبية وهما الآن في جبهة القتال بعد أن طلب الرئيس أنور السادات اشتراك الشعب في المقاومة ضد العدو وحماية جبهتنا الداخلية ، وقدم العمال مبلغ ١٠٥٠٠ جنيه تبرع بلجهود العربي .

● **المطلوب عمله لتحقيق النصر :** أن نستمر جميعا في الصمود الشعب والحكومة والعرب كما كنا ابتداء من يوم ٦ أكتوبر .



الاسم : عوض إبراهيم

الجهة : هابل في لاسكو

محل العمل : إدارة المواصلات الاسكندرية

— كنا نحس أننا في معركة مستمرة مع إسرائيل ، وإننا في مرحلة امتداد وتدريب وبناء عسكري . ولم أكن أتوقع قيام المعركة الأخيرة من حيث التوقيت .

— الانتصارات والنتائج التي تحققت تعتبر معجزة . ولا يجب أن ننسى حجم الدعايلات الأجنبية المعادية التي كانت تثار من قبل حول قوة إسرائيل وخط بارليف والحصون المنيعة التي أقامها العدو في سيناء الخ . وهذا الانتصار الذي تحقق يعتبر فخرا لجيشنا وتحطيه لخطرة إسرائيل والهبوط بسهمتها العسكرية الى الحضيض .

● بالنسبة للعناصر المساعدة في المعركة . وكما يقول المثل في وقت الشدائد يظهر الصديق ، وقد أظهرت المساعدات العربية خلال المعركة سواء من الناحية المادية أو العسكرية أن العرب قلب واحد وروح واحدة ويد واحدة . ومن العناصر المساعدة أيضا

دور الاتحاد السوفيتي الذي ساعدنا بالأسلحة التي استلطنا بها تحقيق نجاحنا ووقوفه الى جانبنا في المجال الدولي . وكذلك الدول الأفريقية التي قطعت علاقاتها بإسرائيل ،

لقد تكشف للدول الأفريقية حقيقة موقف إسرائيل العدواني ضد الشعوب العربية وخاصة موقفها من الشعب الفلسطيني وسلبه حقوقه المشروعة في أرضه ووطنه ، ورفضها لكل المبادئ التي تطالب بحترام الحقوق الشرعية للشعوب وحماية السلام العالمي .

● أن الدول المعادية هي أمريكا في المقام الأول وغيرها من الدول الأوروبية التي تساند إسرائيل، ولقد وجه الهم العرب ما يستحقونه من عقاب . وهذه الدول مضطرة الآن لمراجعة

موقفها وتحسين علاقاتها بالدول العربية .

كانت هناك روح عالية جدا من جانب المواطنين ، والرغبة الصادقة في عمل كل شيء لمساندة اخوانهم في الجبهة . وكان من الطبيعي أنك تلاقى الناس في الطريق

رؤية شعبية لعرب ٦ أكتوبر:

يشجعون الجنود الذين يقابلونهم . ويحسنون بالفخر بجنودنا الذين رفعوا رؤوسنا في العالم ، وأعادوا لنا الاحترام الذي نستحقه والجديرين به . كما كان لزملائنا في العمل أبناء في الجبهة ، وكانوا يحسوا بأن أبناءهم يتبعوا بدور هام في خدمة الوطن .

— كلنا في القسم الذي عمل فيه مدربين على وسائل الدفاع المدني والدفاع الشعبي ، وأنا شخصيا مسؤول فريق الإنقاذ في الدفاع المدني .
— كانت روح الجميع عالية جدا في مواجهة العمليات والإشاعات المضادة التي تستهدف تطهير جبهتنا الداخلية وإشاعة الفتنة بين المواطنين ، وهذه الإشاعات مصدرها الإذاعات الأجنبية على أمل أن تسلاي من يرددها من العناصر الغرضة والسينة والجاهلة .
— وأنا لى أخ يقاتل في الجبهة وأنتى اعترز جدا بدوره الذى يقوم به في خدمة الوطن والمواطنين .

— إن عملنا ليس مرتبطا بالانتاج . ولكن كل واحد منا في العمل كان يؤدي واجبه بروح الأخلاص والتفاني في العمل من أجله .
— المطلوب من الحكومة أن تقوم بتجديد الشباب الجامعي وتدريبه على أعمال الدفاع الشعبي ، والاستفادة في المعركة من الكفاءات والطاقات الموجودة في البلد ، وإنشاء مراكز أو مكاتب في الأحياء لتجميع الكفاءات وتنظيمها والاستفادة منها في خدمة المعركة ، وأيضا المزيد من التوعية للمواطنين .

والملوب من العرب هو زيادة المساهمة في المعركة والفيرة على الشرف العربى والدم العربى لأن المعركة هى سمركتنا جميعا نحن العرب .



الاسم : محمود عبد المطلب

المنه : طبل نسج

محل العمل : شركة ولوكس (مصنع شبرا الخيمة)

— كنت أتوقع المعركة باستمرار، ومهما طال الوقت كان لابد من تحرير الأرض المحتلة % وأن كنا نسال أنفسنا متى تبدأ المعركة ، وهذا كان حديثنا باستمرار في العمل أو المنزل .
— اننا لم نكن نرعى بالاحتلال لبلادنا لأن الاحتلال هدفه انه يمرقل ويمنع طريقنا الى الاشتراكية وتقدمنا . إن سبب اعتداء إسرائيل علينا هو اننا اخترنا النظام الاشتراكي وحل الكثير من مشاكلنا . وإن النفقات الحربية كان من الممكن أن تتحول لبناء المصانع والمدارس وتطوير هياكلنا . وطبعاً ده ياكش يرضي عنه الاستعمار .

— كنت أتوقع النتائج بانتصارنا لأننا نحارب من أجل مبدأ وهو استرداد أرضنا % ولم نكن نحارب للاستعمار أحد ، وكانت الفترة الماضية تعطينا الأمل من ناحية بناء جيشنا واستيعاب السلاح الحديث .

— إن وحدة الشعوب العربية هي الاساس في نجاحنا في المعركة الأخيرة ، وكلها زاف تراط الشعوب العربية زاد انتصارنا ونجاحنا وأن الأمل هو في زيادة وحدة الشعوب العربية وبذلك يمكن القضاء على الاستعمار واستغلاله للبنطقة . وأنه لولا أمريكا لماكش هنالك إسرائيل ، وإن إسرائيل وجدت في العالم العربى لحماية المصالح الأمريكية ، ووحدة الشعوب العربية هي التي تمكننا من القضاء على الاستعمار والأستيلاء على الشركات الاحتكارية البترولية الأمريكية والبريطانية وتحولها لصالح الشعوب العربية .

— اننا نضع في مقدمة أصدقائنا الاتحاد السوفيتى بجانب الشعوب العربية .
— وأن الاتحاد السوفيتى هو الذى قدم لنا السلاح . وكان السلاح ووطنية جنودنا الأبطال وحباسهم لتحرير بلادهم طول مستمنوات كان من العوامل الاساسية في نجاحنا وكذلك الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها بإسرائيل . وكانت السبب في عزل إسرائيل عن العالم .

— إن أعدائنا هم الاستعمار الأمريكى والاستعمار البريطانى . إن أمريكا تريد تطهير استقلالنا وحررتنا وتغير طريقنا الى الاشتراكية سواء بالحرب أو بالأمارات الدموية كما فعلت أخيراً ضد الشعب الشيلي ونظابه التقدمى واغتياله رئيسه الشرعى المنتخب من الشعب سلفادور الليندى . . .

— بالنسبة لتصرف السكان كانوا باستمرار متحسين للمعركة ومتفهمين على أخيار انتصاراتنا على العدو ، وخاصة عندما كانوا يشاهدون الاسرى الاسرائيليين فى التليفزيون — لقد رحب جميع العاملين على اشتغال ايام العيد كما قرروا من جانبهم اشتغال يوم آخر ، وان يخصص حصيلة لصالح الجهود العربى ، وكان الشعور الذى يسود بين العمال ان اسرائيل تحصل على تبرعات كثيرة من أمريكا والبلاد الاستعمارية الأخرى . وان هذه الايام التى يقدمها العمال هى مساهمة بسيطة من العاملين فى المصنع بالنسبة للجنود فى الجبهة الذين يضحون بدمايتهم وأرواحهم ، وان العمال المصريين مستعدين لتقديم كل تضحيات من أجل انتصار جيشنا العظيم .

— وأنا بصفتى عضو فى الدفاع المدنى كنا مستعدين لأسوأ الاحتمالات ، واننا استعدنا من تجربة عدوان اسرائيل على مصنع انوزعيل فى الماضى ، وهذا العدوان الغاشم درس لنا نكون مستعدين لمواجهة الاخطار .

— واحيانا كنا نسمع اشاعات خبيثة وخاصة فى الايام الاخيرة من جيشنا ، وكنا نقاومها بالومى واليقظة المستمرة وإجراء مناقشات علنية داخل المصنع لتوضيح الهدف من الاشاعات التى كان مصدرها راديو صوت أمريكا ولندن ، وهو تحطيم روحنا المعنوية لشعبنا .

— ولّى اقارب فى الجبهة وهم زوج ابنتى ، وزوج ابنة شقيقتى ، واثنين من اولاد شقيقتى الثانية .

المطلوب لتحقيق النصر التام هو تدريب جميع افراد الشعب وكل العاملين فى بلادنا لحماية ارضنا وتوعية الجماهير بالمعركة وظروفها واساليب عدونا فى الخداع ، لى تكون فى وضع قوى لحماية بلادنا ، ولا ننقاد لاشاعة هدفنا تخريب جبهتنا الداخلية . — ان شعبنا اعطى ومستعد ان يعطى دائماً بسخاء وتحمل كل التضحيات من أجل انتصار بلادنا ، وهذه التضحيات يضمها الشعب بين يدى القيادة الوطنية التى يمثلها القائد **أنور السادات** ، وان المطلوب من الحكومة الوقوف بصلابة ضد الاستعمار الأمريكى واسرائيل ، والاستمرار فى المعركة وعدم الاستجابة للتهديد والضغط الاستعماري وان الشعب يقف وراء حكومته الوطنية ومستعد لكل التضحيات اللازمة .

— ان تحقيق وحدة الشعوب العربية وتضامن جميع المنظمات والقوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية والتعاون بينهم امر ضرورى فى المعركة المصرية ، لان هدفنا جميعا واحد وهو تحرير اراضينا وتحقيق التقدم الاشتراكى لشعوبنا العربية .

— كان من الحاجات المؤسفة ان نجد فى ظروف المعركة والتضحيات العظيمة التى يقدمها شعبنا فى ميدان القتال وفى الداخل . ان يوجد بعض العناصر من التجار الجشعين الذين يتركون الشعب ويخون السلع الضرورية وزيادة اسعارها عن الاسعار الرسمية من أجل زيادة ارباحهم على حساب قوت الشعب الضرورى .



الاسم : محمد حجازى حسبو
المهنة : محاسب ببنية السكة الحديد
محل العمل : قسم الزقازيق

لازم كنا نحارب اسرائيل عدوة الانسان والعرب علشان تحرير ارضنا وعلشان حماية اولادنا الجنود وعلشان الدول كلها تحترمنا وتعترف باننا دولة حرة تقاوم الاستعمار واعداها .

والعبور معجزة من عند الله لانهم كانوا محصنين خط بارليف جليل وكنا نسمع انهم صرفوا على بناءه ٥ مليون جنيه .

والدنيا كلها تشهد ان الجندى المصرى الشجاع عبر قناة السويس بطريقة انتصار من قبضته من اسرائيل ومعه امريكا .

والبتروى العربى وقطعه من امريكا والدول التى تتجاهل اسرائيل ساعدنا تماما فى المعركة وكمان وحدة العرب وسلاح الاتحاد السوفيتى اهم حاجة فى معركتنا مع اسرائيل . ونسبح لئن الصين مساعدتنا فى المعركة مساعدة جليدة .

وانا لى ولد فى الجبهة وارسل لى خطاب ملوؤ شجاعة مع انه محاسب فى المستشفى وانا وابه كنا قلقين عليه وكنا ندعو لى بالنصر والسلامة هو و اخوانه الجنود .

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر

— ولازم تعرف اننا كلنا كنا في آخر فرحة أيام القتال ولم نخف من طائرات العدو وإيركا
كنا نلعننا لعنة الله عليها لأنها تساعد إسرائيل علينا بالمسكينة والسياسية .. والنصر
سيحقق إن شاء الله بالسلام .



الشحات عبد العظيم طاحون

المنه : خليل بشرة نسج بوليتس -
محل العمل : شبرا الخيمة

الحرب والمعارك الأخيرة مع إسرائيل لم تكن على باقى أبداً مع إن العمال والطلبة
كانت تطالب بالثأر والحرب مع إسرائيل .
والسبب الذى جعلنى لا أتوقع الحرب هو السكوت بقصد أو بغير قصد من الحسرب
الفعيلة مع عدونا إسرائيل .
وللحق ما كنتش أصدق عملية العبور الهائلة لجيشنا المصرى السائل ولا ضرب خط
بارليف بسبب التحويل الكثير حول مسموعة العسور ومناعة خط بارليف العجيب فى
جربادنا المختلفة .
والمعركة الأخيرة مع إسرائيل أثبتت وجود الدول العربية ووحدةها وبالذات السعودية
والكويت وإمارات الخليج والعراق التى قدمت بترونها ومالها وأولادها ومثلها الجزائر
العظيمة واليمن الشعبية التى تأمت بدورهم فى مساعدة أسطولنا عند باب المنسب
وغلق المياه من الناحية الشرقية على إسرائيل
وفى المعركة وقبلها كل المصريين لابد أن يفهموا الجبل الكبير للاتحاد السوفيتى الدولة
الإشتراكية الصديقة ،
وعلى العموم فالمعركة مع إسرائيل كانت معركة تفرح مع وجود بعض القلق والزعمل
على أخواننا فى الجبهة وأخويا فى الجبهة . ولم يرسل خطابا للأن وأنهى عودته وأخوانه
سالمين .
وجو المعركة عرفنا الشجاعة والصبر وزاد بمجاملة الناس لبعضهم . فالبيت الذى ليس
به أبناء على الجبهة لم يعمل كملك الميدي بمجاملة للجيران الذين أبناؤهم فى الجبهة .
ومررنا المعركة أننا لازم نستمر فى كراهية الاستعمار وإيركا .
وملشان نمشى للنصر نتفاوض ، فلأنا لم نتفع المناوأة فالهروب الحرب ..



الاسم : عطية عبد التعم نادى

المنه : خليل يومية (موسى بمالح القطن)
محل العمل : مهلة البرج — مركز المهلة .

بالحق كنت انتظر الحرب لتحرير أرضنا من إسرائيل والانتقام من هزيمة ١٩٦٧ والانتقام
من ضرب الإهالى والمذنبين بالطائرات يعنى كنا لا بد من الانتقام لعمال مصنع أبو زعبل
وتلاميذ مدرسة بحر البقر .
وتخفية القتال وتحطيم خط بارليف كنت أتوقع حدوثها لبطولة الجندى المصرى الذى رى
أخويا المتطوع والموجود فى الجبهة .
والشدة وأيام المعركة عرفنا أفضل للدول العربية ومساعدتها لنا بكل شىء وقطع البترول
عن أصحاب إسرائيل .
والاتحاد السوفيتى والصين مدونا بالسلاح وبالأكل واللحمة وكل طلباتنا .
وكل وقت المعركة كان وقت تفرح والفارحات لا خوف منها . والنصر بالحرب بس .



الاسم : فاروق سلطان عبد النبى

المنه : خليل بشرة مصر للابان ومضو لجنة وحدة
الاتحاد الإشتراكى بالمعركة

● المعركة كانت حتمية . ونحن التوقيت يجب أن يترك للقيادة السياسية نظرا لأن رؤية
القيادة أوضح وأشمل من رؤية الفرد . وكان الإحساس بالمعركة مستقر نظرا لوجود التحذير

والاعداد العسكرية للقوات المسلحة واستكمال الدفاع المدنى واعداد وتدريب افراد الدفاع الشعبى والمقاومة الشعبية -

لما عن النتائج من ناحية مصر ، فقد كنت اتوقعها تماما نظرا للاعداد والتدريب وتغيير المعاملة بين الجنود والضباط المصريين . ولكن كنت متوقعا خسائر اكبر فى الافراد والمعدات أثناء العبور .

لما من ناحية اسرائيل فالحزبية كانت مؤكدة نظرا للفرور الزائد .
أما عن العناصر المساعدة فى المعركة ، فانها تقمىل أولا فى وحدة الوطن العربى وتجميع شمل العرب التى لم يكن متوقعا بهذه الصورة من قبل ، وتوحيد الهدف وقطع البترول العربى . وثانيا فى موقف الاتحاد السوفيتى فى الدعم العسكرى والمساندة السياسية فى مجلس الامن . كذلك الدور البارز للسول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل التى ظلت تنمى فيها حوالى ٢٠ عاما .

ولاشك ان امريكا تفت فى مقدمة الدول المعادية بسبب دعمها العسكرى لاسرائيل بالمعدات والمال . الخ .

لقد كان تصرف الناس كى احساس بالمسئولية واحساس بالنصر . وكان كل مواطن يحاول ان يقدم نفسه لخدمة المعركة فى الدفاع الشعبى والدفاع المدنى لشرح للبراطين ظروف واعياء المعركة .

وكان احساس كل أسرة لها مقاتل على الجبهة مطمئن وكانت الدعوات على كل لسان بالنصر .

وفى مواقع الانتاج ، ازداد احساس العاملين بأهمية الانتاج للمعركة ودعمها المالى . فكان العمل يتم بصورة مستمرة ، وعدم قيام العاملين بأجازات فى العيد وان العيد الاكبر هو عيد النصر على الاعداء .

وفى مجال مواجهة الخطر ، كى هناك العمل على توفير كل مستلزمات الاسلحة الاولى بكل بيت . ورمى وبعاء وتنفيذ تعليمات الدفاع المدنى بكل بيت .

وكان كل مواطن يعمل على التصدى لكل محاولة اشاعة أو تشكيك فى قدرتنا أو قواشنا المسلحة .

ان لكل بيت أهنا فى الجبهة ومن هنا حرص كل بيت على حياة مؤخره ابناؤه ، ومن عندنا مثلا مقاتلين من اعز اولادنا ، ابن أخى وهو حاصل على دبلوم المدرس الثانوية

الصناعية وزوج بنت أخى العامل الميكانيكى .

● المطلوب بالنسبة لشعب ، فهو يقدم التضحية بعدم استعمال الكماليات والحد من الاسراف . وان يكون كل مواطن فى الموقع المحدد له لتأدية دوره فى المعركة وعدم ترديد الاشاعات أو الاستماع لاذاعات العدو .

ويترك للقيادة السياسية حرية التصرف لاتخاذ ما تراه من ترتيبات واعداد وتجهيزات والقضاء على تجارة السوق السوداء والتصدى لكل منحرف أو مخرب .

وبالنسبة للحكومة ، لايد من القضاء على الرنتين وتطهير مواقع العمل ووضع الشخص المناسب فى المكان المناسب واعطاء الفرصة للقيادات الفنية الشابة لتحمل مسؤولية القيادة وتنظيم توزيع كافة السلع الاستهلاكية حسب ظروف المعركة للحد من استيراد والقضاء على تجار السوق السوداء .

وبالنسبة للعرب ، أن يتمسكوا بقطع البترول والتقاطير الكامل لكل الدول العربى وتجميع القوى العربية وسحب الارصدة العربية من بنوك الدول المعادية واستثمارها فى الدول العربية .



الاسم : أحمد محمد موسى

المهنة : عامل قطع

محل العمل : شركة النصر لصناعة الزجاج والبلاور

ما كانش فيه حد يعلم بيماد بدء المعركة أو الساعة التى حاتقروم هيا عبر القيادة السياسية فى بلدنا .

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر

ومن ناحية النتائج تتمتع دى أول مسرة الجيش المصرى بحارب فيها حرب حقيقية من سنة ١٩٤٨ ويحقق الانتصار على امرائيل .

أما موقف الدول العربية فيعتبر لمسن موقف • ودى أول مرة متحد فيها الدول العربية ، ويعتبر حاليا كل الدول العربية واقفة معنا • وأن الدول الصديقة هي الاقتصاد السوفيتى ، وأن موقف فرنسا هو احسن موقف فى الدول الأوروبية ، ومغيب هناك من الدول المعادية لبنا غير أمريكا •

ومن ناحية تصرف السكان كانت الروح المعنوية للشعب عالية جدا ، وطريقة معاملتهم لبعض طلبة جدا وكل الناس شاعرة أنها تواجه خطر واحد وحيد واحد •

وكانت الشركة اقترحت أن يتبرع العمال ببيع يوم لصالح المجاهد العربى ولكن العمال قرروا التبرع بيوم عمل كامل على مستوى المصنع كله ، ده الى جانب العمل أيام العيد •

وبالنسبة لمواجهة الخطر فيه هناك دفاع مدنى وفرق الانقاذ والحريق وناس مختصة بالاسعاف وكلهم مخربين من قبل الجهات المختصة • وفى وقت الغارة من جهة الاحتياط ينزل العمال الى المخابره ولا يبقى هناك غير العدد اللازم لتشغيل المصنع • ولم يكن أحد يصدق أى اشاعات من العمال لأن الاشاعات دهقا معروف •

ومغيب شك أن الانتاج حقق زيادة كبيرة •

المطلوب عمله لتحقيق النصر : أن يتحمل جميع أفراد الشعب أعباء المعركة ، وأن لا يشغل الناس أنفسهم بحكاية التبوين • وأن هناك دولا كثيرة تصمت سنين طويلة أعباء الحرب وليه احنا ما نكونش زيه •

وأن المطلوب من الحكومة حماية المواطنين والمحافظة على النظام •

ومن ناحية العرب مطلوب استمرار المساعدات من الدول الغنية اللى تفتح البترول ومش من العقول تطلب من الدول الفقيرة أنها تساعدنا • وأن الواجب على الدول المنتجة للبترول أنها تعمل مصانع سلاح وذخيرة وطائرات فى الدول العربية زمن هنا ما نكونش محتاجين لحد ديننا سلاح ، وأن الدول الأوروبية مضطرة تدنا مصانع غصب عنها والا ننتج عنها البترول •

بالنسبة لانكاسات المعركة علينا كضعب كانت مشجعة لبنا • وخلصت الانسان ينسى كل شىء فى نفسه الا المعركة اللى كان يتوقف عليها مصير مصر والالة العربية كابة متفائلة •

وبالنسبة لاسر المجندين حملنا صندوق لمساعدة اسر المجندين منذ سنة ١٩٦٨ ، وشمويله من التبرعات الثابتة اللى تدفع شهريا من العمال ، وهى تبدأ من الدرجة العاشرة وتزيد نسبتها حتى الدرجة الاولى ، ده بالإضافة الى المساعدات الاخرى لصل مشاكلهم الاجتماعية •

من ناحية المطاه للمعركة ، تبرع العمال ببومين عمل بالإضافة الى العمل فى أيام العيد • وأن هناك حوالى ٢٥ فى المائة من عمال الانتاج يشتغلون ساعات عمل اضافية ويعطون فى ودية العمل من أجل زيادة الانتاج • وأن هناك كثيرا من العمال من المتفرجين للجيش الشعبي ساقروا الى الجبهة • ده بالإضافة الى وجود جيش شعبى آخر فى داخل الشركة •

يتولى المحافظة على الاين فى المصنع مجموعة كبيرة من الدفاع المدنى من العمال المدربين على أعمال الدفاع الحصى من انقاذ وحريق وتبريض ، وأن حوالى ٥٠ فى المائة من العمال فى الشركة مخربين على الدفاع المدنى •

وكنا تواجه الاشاعات عن طريق عمل المناقشات اللى كانت تجري دائما بين مجموعات لمواجهة الدعايات المضادة ، ويوجد ميكروفون على نطاق كل قسم الشركة يتولى العمل فيه مخدوبين من النقابة والاقتصاد الاشتراكى للرد على الاشاعات المضادة •



الاسم : خليل خليل الشعراوى

المهنة : عامل نسج

محل العمل : شركة مصر - طوان للفلز والنسيج

كمواطن مصرى كنت اتوقع قيام المعركة وأن تضربت امرائيل باحتلال الاراضى العربية واذلال العرب يجملنا دائما مستمدين لتحرير الارض المحتلة ، أما موعد المعركة فهو فى يد المسؤولين •

قيادة سياسية وعسكرية ، رهى تصرف حسب ظروفها وتحديد ميعاد المعركة ، وكان التوقيت سليم من حيث قيام المعركة .

- والحمد لله كانت النتائج مشرفة وكان الانتصار حليفنا ، وكنا ننتظر عبورنا لقناة السويس وده يرجع لشجاعة ابنائنا والقادة الذين خططوا للمعركة ، ودى كانت أول تحرية لمصر فى الحرب الحقيقية وأنها انتصرت فيها .

١٩٧٢ ، وده يرجع للسياسة الحكيمة ببلادنا .

- عن الدول الصديقة نذكر موقف الاتحاد السوفيتى فى المحل الاول ، ويلييه يوغوسلافيا والدول الاشتراكية بسلاحيه والدول الافريقية .

- أما اعدائنا بالدرجة الاولى همى الولايات المتحدة الامريكية ، والدول التى تصاد إسرائيل كجنوب افريقيا وروديسيا وغيرهم من الدول المعادية .

- لى ابناء وأقارب فى الجبهة .

- الانتاج زاد على ٢٠ فى المائة ، والمشاكل قلت ولم يعد أحد يهتم بمشاكله الشخصية وكان الاهتمام الاول للمعركة .

- والمطلوب من الشعب بتحقيق النصر النهائي أن تكون مترابطين ترابطا كاملا بالنسبة لتحرير الأرض العربية ، وضرورة التضحية فى سبيل النصر .

وأن الحكومة مش مقصرة فى واجبه من ناحية الشعب .

وأن كل اللى أطلبه من الأمة العربية أن تترايط كما هى الان فى المعركة ، وعدم الرضوخ لاي ضغط خارجى .

وإننا عندنا كل الامكانيات لتحقيق النصر ، وأن أهم شئ فى حياة الأمة العربية أنها تعيش هرة .



الاسم : محمود محمد عطا

المهنة : عامل انتاج بشركة مصر للالبان والاسنجة
عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي بشيخة الابرية

كنا نتصور وقوع معركة ولكن لبس فى ذلك الحين الذى وقعت فيه بل كا نظنها بعيدة الى حد ما .

وما كا نتوقع نصرا كبيرا بالنسبة لمصر نظرا لعدم معرفتنا كمستوى معين بمدى قوتنا العسكرية من ناحية ومن ناحية اخرى أن الدول العربية لم تظهر وحدة صفها وطمعها الاثناء المعركة .

وأهم العناصر المساعدة فى المعركة هسى موقف الدول العربية الموحد ، و التخطيط العلمى السليم ، والصبر التابة الملهمة ، وهسى القاعدة بمسئولياتها وتحملها واجباتها .

والثقة موجودة فى الدول العربية والدول الصديقة أما الدول المعادية فهى معروفة .

من أول اعلان بيان عن نشره قال بين مصر وسوريا من ناحية وإسرائيل ، عن الشعب مقاتل والكل يدعو الله بالنصر والكل مستعد للتضحية والفداء .

أما أسر الجنود فكانوا يثبون على الله النصر ، وأن يرجع اليهم ذويهم سالمين وهناك من يتمنى شرف الجهاد والتضحية .

وقد قام الشعب بجمع التبرعات للمعركة ولبوا دماء الدم وكثر المتبرعون بالدم ومحاربة الشائعات . والحد من الاسراف .

وقد استمدت الشعب لمواجهة المخاطر بثبات وصبر وتبوير مع أنه لم تحدث مضاطر .

المطلوب الاهتمام الكامل بالسلع التموينية ومراقبة توزيعها سليما ومردبة السوق السوداء والاخذ على يدى المتلاعبين بشدة للمحافظة على سلامة القاعدة ومعيوباتها .

كذلك قيام التنظيمات السياسية وغيرها بدورها على النمو المطلوب . ونشر الوعى الدينى والسياسى بين افراد الشعب . وإقامة العدل بين الناس والى فى القضايا على وجه السرعة بدون مماطلة .

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر:

وشء آخر مهم جدا وهو تجمع كلمة العرب ووحدهم والمحافظة على مغانهم واستغلالها لصالح قضيتهم وتنمية وتقدم البلاد العربية تتحدا يمتشى مع مصر ومتطلباته .



الاسم : صلاح ابراهيم السيد
الجهة : عامل بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت اتوقع المعركة بالفعل . نحن عرب وحققنا مفتصب بالقوة . وما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

نعم كنت متوقفا النتائج من ناحية مصر ومن ناحية اسرائيل ، ان اجتياز خط بارليف الحصين والمانع الاسرائيلى هو العامل الاساسى للنصر وهو ما لم يتوقعه العالم ولكنه لوجىء بشجاعة الجندي المصرى وبراعته فى عملية مثل هذه العملية الكبرى وهى عملية عبور صعب .

ان موقف البلدان العربية هو العامل الاساسى فى المعركة . ان وحدة الدول العربية قوة ضاربة وعمالة وخصوصا فى مثل هذه الظروف .

الدول الصديقة ، ومثلها الاتحاد السوفيتى ساندنا وساند الحق لاننا اثبتنا للعالم كله اننا لسنا دعاة حرب ولا التوسع نريد ارضنا وحققنا الفتح .

ان الدول المحادية مثل أمريكا انها تؤيد اسرائيل وهى كآلة فى يديها للتوسيع على حساب العرب .

ان الانتصار الذى حققته قواتنا المسلحة وعبير خط بارليف الحصين المنيع لاسرائيل الذى كانت تتحدى به بلاشك آثار انعكاسات على المجتمع العربى كله من المحيط الى الخليج حتى الدول المحبة للسلام وكنا نتوقع ذلك .

وتصرف السكان كان عابدا جدا!

اننا نرى العاهد فى سوع غير ذلك ، لم نسمع اصوات المدفعية ولم نشاهد طيارنا معاديا على اجواء القاهرة . ولم تكن نسمع سوى النبايات المسكويه وكانت هى التقدم دائما وكنا نتابعه باستمرار وحيما سمعنا النبايات اجتياز الخط الحصين والتقدم والخسائر التى لحقت بـ اسرائيل التى اعترفت بها جوبدا مانير اخيرا .

المطلوب عمله لتحقيق النصر النهائي :

بالنسبة للجبهة الداخلية هو الترابط والتكامل وعدم ترويج الاشاعات على ان تظل الجبهة الداخلية صليبه حتى يتم النصر النهائي ويجب ان يكون الشعب سفدا لجبهة القتال .

وان يراعى شعور الجندي على خط النار ويسانده بكل ما يملك حتى يتم النصر النهائي .

اما من ناحية المعركة هار العادة المصريين كما علمت وقرأت انهم يعرفون ان عدوهم غادر ، ويتوقع ذلك فى أى وقت وهم الان يعدون الامدة لحدث أى مفاجأة قد تحدث .



الاسم : بهية حسين
الجهة : عميلة بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت متوقعة اننا سننتصر لاننا اصحاب حق والارض ارضنا ، والهزيمة لاسرائيل لانها ليست صاحبة حق بل بفتضة لارضنا .

موقف التصديق ، موقف روسيا الصديقة ساعدتنا دائما من أجل تحرير ارضنا لان مبدأها تحرير الشعوب من الاستعمار والقضاء عليه فى العالم .

المعركة سببت ارتفاع الروح المعنوية عند الشعب ولم تتجح دعايات العدو . ومحاربة السوق السوداء وزيادة الإنتاج قوى الجبهة الداخلية .

الاسم : دولت حقلى
الهيئة : عميلة بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع المعركة فى اى وقت وكذلك أتوقع النصر وأتوقع هزيمة اسرائيل ولكن ليست بهذه الصورة ، فان اسرائيل القاعدة الاستعمارية لأمريكا قد هزمت شر هزيمة .
موقف الدول العربية واتحادهم واستخدامهم سلاح البترول من أمريكا ، وجعل الدول الغربية تقف بجوارنا من أجل مصالحها ولأننا انتصرنا . وأنا مبسوطة لانتصارنا حتى لا تهددنا أمريكا كل شوية بإسرائيل .
وفى الجبهة الداخلية الروح المعنوية مرتفعة جدا والحرب النفسية لم تنجح فقد وقتت الجبهة الداخلية موقفا موحدا ، وكانت على استعداد لحاربة أى شيء يؤثر عليها .

● ● ●
الاسم : نقيسة إبراهيم
الهيئة : عميلة بورش شركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع النصر لثلاثا أصحاب حق ، وكنت مؤمنة بالنتيجة أيام المعركة .
موقف البلاد العربية واتحادها واستعمالها سلاح البترول جعلنا اقوياء وأثر على موقفنا هائلا
انعكاس لمرجه . سمورى بأن كل الجنود على الجبهة اخواتى ورغبى القوية فى تقديم أى خديه لاسر الجيدين .
وفى الجبهة الداخلية لم تنجح الحروب النفسية لارتفاع الروح المعنوية .

● ● ●
الاسم : فهيمة محمد
الهيئة : عميلة بشركة مصر الجديدة
محل العمل : مصر الجديدة

ما فئش شك كنت أتوقع المعركة لثلاثا لن نقبل الظلم والمردوان :
« إذا اعتدوا فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدى عليكم » .
كنت متوقعة اننا سوف نمبر خط بارليف لان الجندى المصرى مقدم وعنده ايمان والله معنا ودخلنا المعركة وهدفنا الاساسى تحرير ارضنا ولكن اسرائيل ليست ارضها والجندى المصرى داخل الحرب ابنا النصر وابنا الشهادة وانتصر بكفاءة بتربيته .
البلاد العربية تنظر الى مصر على انها الام راي شيء يصيبها يهدد البلاد العربية كلها وكان لازم يعملوا كده ويقفوا موقفا متحدا لان على مدى العصور كانت وحدتهم دائما تؤدى بهم الى النصر وسلاح البترول كانوا يأخذوا البترول ويعملوا السلاح ويضربونا به فمنعنا عنهم البترول حتى لا نضرب نفسنا بسايمونا وخير اتنا .
الدول الصديقة كنا ننتظر منها ابنا تقف بجانب الحق بجانبنا . والدول المعادية غيرت موقفها لانها خائفة على مصالحها وليست من أجل الحق .
كان الشعب خافض راسه تحت ولكن دولت رقتنا رأسنا .
أى مواطن كان يتصرف بكل ما هو مفيد للمعركة بالتبرع بالدم والتطوع فى الهلال الاحمر والعمل بالتريخى .
خطبها فى المعركة .
الطلوب : احنا نفسنا أطول من اسرائيل . مصانعنا شغالة والانتاج اكبر والمزارع شغالة .

الاسم : مكي السيد سليم

الجهة : عائلة بروش شركة بحر الجديدة

محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع النصر . وكان العبور أول نصر وفتح له ولأننا ندافع عن أرضنا فهذا دافع أقوى من دافع اغتصاب حق الغير .

الروح المعنوية مرتفعة . وتدريب الجيش تدريب سليم . والدول العربية أحسن موقف لأنها وقت الشدة يتحدوا وسلاح البترول أقوى سلاح ضد البلاد الاوربية التي كانت تؤيد اسرائيل .

والدول الصديقة نشكرهم وخصوصا الدول التي قطعت علاقاتها باسرائيل ، وروسيا التي مدتنا بالسلاح وهذا مهم جدا لنا وهي واقفة بجانبنا منذ ٦٧ .
الدول المادية ، فأمريكا دولة معادية وبتمساعد اسرائيل لانها قاعدة لها وهي الصديقة الوحيدة لها في الشرق .

داخل البلد كانت الروح المعنوية مرتفعة جدا
وزيارة الجرحى والتطوع في الهلال الاحمر والمقاومة الشعبية والدعايات لم يكن هناك أي صدق لفسار الشعب كان واعيا جدا ،
مطلوب من الجبهة الداخلية محاربة الاشاعات ونزيد الانتاج لتمويض اللشائر
ويجب على الحكومة التعاون مع الشعب وإزالة الفوارق .
وتكون الدول العربية مستبشرة في تعاونها .



الاسم : محمد درويش مصطفى

الجهة : براء

محل العمل : مصر الجديدة

لم أكن أتوقع المعركة في هذا الوقت . وذلك من خطاب الرئيس وكان النصر حاجة مدملة جدا وكان العبور هزيمة خط بارليف الذي قيل عنه انه لن يهزم الا بالقبلة الذرية

وتوقع النصر كان موجودا لأن ده كان طاريليت
كنت منتظرا الهزيمة لاسرائيل لانها مفتضبة أرضنا وحق غيرها .

وحدة الدول العربية وسلاح البترول وهو العامل الاساسي في المعركة الذي جعلنا نبلى شروطنا . وكان هذا السلاح ضد أمريكا وضد أي دولة تتعاون مع اسرائيل مثل هولندا .

موقف الدول الصديقة مثل الاتحاد السوفيتي وثيقو والدول الافريقية وعيدي أمين ، وكان العدو يميل لشاعات عن عدم امداد الاتحاد السوفيتي لنا بالسلاح وبع انه كان يمدنا بالسلاح . ولكن هذه الدعايات والاشاعات لم تنجح لان الشعب قوى ووروجه مرتفعة .

زاد الناس ايمانا بالله لان خط بارليف المنيع حطمنه ولم يكن يصدق أن يتم العبور في ربع ساعة .

والناس روحها كريمة جدا وعابرين يقدموا أي شيء بروح مرتفعة ويتبرعوا بيوم أو بنصف يوم برفض .

الجبهة الداخلية تريد ان تقوم بزيادة الانتاج وأنا عضو نقابة وعرض على التفرغ ولكن رفضت لزيادة الانتاج في وقت الحرب .

والمطلوب من الجبهة الداخلية عمل ندوات وأفلام سينمائية عن العبور تبين مدى قوة الجندى المصرى الذى لا يقهر وكيف واجه الجندى الاسرائيلى واصدار كتيبات عن ذلك .
والملك حسين أتى عندها وجد ان الدول العربية اتحدت وحقت النصر بوجود نفسه سوف

ينعزل عنهم .
وقال عبد القاهر سنخوض معركة في بحر من الدماء وتحت افق مشتعلة بالنيران . وما

أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

الاسم : جمال دبور

الجهة : هليل بورش شركة مصر الجديدة

محل العمل : مصر الجديدة

كنت أتوقع قيام المعركة لأسباب عديدة حدثت في العالم وداخليا وفي العالم العربي .

١ - الموقف السياسي العالمي

٢ - تضامن الدول العربية مع بعضها

٣ - تضامن الدول الافريقية وتأييدها حقوق شعب فلسطين كنت أنتظر هزيمة اسرائيل .

٤ - دول السوق المشتركة وحلف الاطلنطي أخذت موقفا ايجابيا في المعركة بعد استعمالنا سلاح البترول وبعد موقف أمريكا التي أخذت موقف المسيطر ومن أجل مصالحها الخاصة ولأسباب أخرى اقتصادية

نصالح من يصالحنا يجب أن نهد يدنا للصديق يحظر ثام ونقف معه مادام هذا الصديق ليس استعماريا والدول الافريقية والاربية .

موقف أمريكا من اسرائيل كانها جزء من اراضيها في الشرق الاوسط وذلك لاستعمالها كسلاح ضد الدول العربية .

موقف السكان كان مساعدة أسر المقاتلين وتقديم المساعدة لهم وكانت الاسر نفسها مرتاحة يقولون انهم مهم الا الانتصار وتحرير الارض .

موقف الجبهة الداخلية ترعى الجماهير ومصالح التمويل وعدم التكاليف على الجمعيات التعاونية . ومع حرب الاشاعات والحرب النفسية .



الاسم : فتي إبراهيم الحنفي

الجهة : هليل بمصانع شركة مصر - شبين

محل العمل : شبين الكوم

من سنة ١٩٦٧ كان فيه ايداع سياسي ودبلوماسي يهيء الجو للمعركة . وكان فيه اخذ ورد مع كل الدول مع الدول العربية والدول الافريقية والدول الصديقة . ووصلنا الى انهم اصبحوا جميعا يدينوا اسرائيل واحتلالها لارضنا وبعين بقت المسألة : ايا ان اسرائيل تنسحب أو نطردها بالقوة واحنا ضامين تأييد كل الدول لملنا ، واحنا كنا شاعرين دائما ان المعركة حتمية . لكن لما حصلت معارك ٦ اكتوبر كانت مفاجأة كبيرة لنا : من ناحية لان عملية الاستعداد السياسي طالت أكثر من اللازم ، ومن ناحية ثانية لان الرئيس السادات عرف يهوه على الجميع حتى علينا احنا كيان . احنا كنا همنا من الكلام عن المعركة وافتكرنا ان الحكاية لسبدرى عليها وبعد ٦ اكتوبر الوضع اتغير وعرفنا ان الرئيس السادات كان عايز يغاجي العدو

■ كانت الدعاية بتصور لنا الجيش الاسرائيلي على انه الجيش الذي لا يهزم . واحنا كنا عايشين في حالة تمزق وبلبلية ، لكن ما كناش قادرين تصدق هذه الدعايات . والنهاردة اتضح اننا لو تشجعنا وتكاثفنا مع بعض نقدر نسيب لهم خسائر كبيرة . جيشنا هبر الفناء وحرر جزءا من سيناء . وكان سر نجاحنا اننا مؤمنين ببلدنا واننا عايزين نحرر ارضنا بعكس الجيش الاسرائيلي اللي كل هدفه العدوان على العرب واحتلال ارضهم .

رؤية شعبية لحروب ٦ أكتوبر

■ من حيث الدول العربية كنا نسمع كلام كثير عن وقفهم معانا ، لكن ماكانش شايفين فعل . ولما حدثت المعركة ودخلت الدول العربية بثقلها وراينا نفسيتنا ارتاحت . العراق حاربت مع جبهة سوريا والجزائر والكويت اشتركوا معانا والدول المنتجة للبتترول قررت قطع البترول عن كل دولة تستاند اسرائيل والبلدان عن أمريكا . وده كان موقف مشرف لكن العرب وكان له أثر كبير لان الدول اللي بتستاند اسرائيل بدات تفكر من جديد لما مصالحها اهددت وهدات تخلف من العرب وتعمل لهم حساب .

■ صحيح احنا اصدقائنا كثير في العالم كله لكن اهم صديق هو الاتحاد السوفيتي اللي ساهم بكل شئ بالمعدات والتأييد في الامم المتحدة والتدريب على السلاح . وقبل امركه كنا بنسب دعاية أمريكية ضد الاتحاد السوفيتي . كانوا بيقولوا انه مش هيق مع العرب لكن احنا كنا عارفين ان الاتحاد السوفيتي ماشي معانا على حق وان صداقته لنا مثينة .. وظهرت الحقيقة في العرب ووقف معانا وقلة جادة في كل المجالات .

● عدونا هو اسرائيل وأمريكا اللي مصتخية وراها ويتقدمها لاحتلال أرضنا وبتسدها بالسلاح وبالأموال وبكل ما تطلبه واحنا كنا عارفين كده ، ومازلنا عارفين . ولأننا نهجن نفسنا بقوة تقدر تواجه أمريكا واسرائيل مع بعض .. كذلك كل دولة تستاند اسرائيل في عدونا على طول الخط .

■ الناس كلها اهتمت بالمعركة وكل واحد كان بيقدّم اللي يقدر عليه . كل الناس كان نفسها تحارب وكل واحد له ابن أواخ أوترب في الجبهة كان بيدعى له بالنصر ، كان التعلق بيظهر لما تتأخر البيئات اللي بتصرفنا سير المعارك وغير كده ماكانش فيه قلق .

■ العمال في مصانع الشركة زدوا الانتاج . وانا شغلتني أنقل تموين المصانع من بالأت القطن . وكنت بالاحظ ان سحب المصانع بيزيد يوم عن يوم ، والاقسام الطبية توفقت عن العمل واختفى التبارخ ووفرنا الاسوية علشان أبطلنا الجرحى في المعارك . وقدمنا ١٥ ألف جنيه مساهمة في سندات الجهاد ، ونظمنا عملية التبرع بالدم وفرق الانتفاذ الاطباء . الخ ولما اخذوا مجموعات الجيش الشعبي اللي في المصنع وسفروهم الجبهة لتشكلت مجموعات جديدة من الصال والموظفين وحلت محلهم وبعضهم كان غير مدرب تم تدريبه أثناء المعركة بسرعة .

■ في موضوع الاشاعات احنا ماكانش بنسمع اشاعات وكنا مهتمين بالعبور وبس .

■ قبل المعركة كان كل عامل بيطالب برفع الظالم اللي واقعة عليه . ولكن لما بدات المعركة نسينا كل حاجة وبدانا نفكر في اللي بييجري على الجبهة . لاننا عارفين ان نجاحنا في المعركة معناه ان كل عامل هياخذ حقوقه الموضوعة وترفع عنه الظالم اللي وقعت عليه قبل المعركة وهياخذ علاقته ودرجاته في المواعيد .

■ المطلوب : لابد ان يكون ايماننا قويا ولا نياس ليدا ونفضل وافقين على رجلينا للنهاية

■ ثانيا لابد ان كل عامل يتدرب على السلاح ونحرس مصباتنا ببنفسنا ، فمثلا لما اخذوا مجموعات الجيش الشعبي من مصانع الشركة رجعنا شعار ان كل العمال اعضاء في الجيش الشعبي لكن عدد المدربين كان قليلا علشان كده لازم كل العمال يتدربوا .

■ وفي المرحلة الجاية لازم المرتبات الكبيرة تساهم اكثر في الجهود الحربية العايل اللي مرتبه صغير بيدفع قسط سندات الجهاد ٢٥ قرشا كل شهر . والموظف اللي مرتبه اضعاف اضعاف المايل بيدفع ٥٠ قرشا فقط وده مش كفاية لازم كل واحد مرتبه اكثر من ١٠٠ جنيه يدفع ريمهم للمجهود الحربي والباقي كفاية عليه .

■ مطلوب من الحكومة انها تهتم بالقوات المسلحة وترفع كفاءتها واحنا مستعدين نقدم كل التنازلات في سبيل المعركة
■ مطلوب من العرب انهم يستمعوا في تأييدنا مهما طال زمن المعركة .



الاسم : محمد توفيق المكيحي

المهنة : عامل مطبعة بالقاهرة الجاهريية بالقاهرة
محل العمل : القاهرة

■ كان قرار دخول المعركة قرارا حكيما ، رد للشعب المصري وللامة العربية كرامتها . وكبت ادوم المعركة لاننا نعرف تاريخ بلدي في مقاومة الاحتلال والوقوف ضد الاستعمار ولان قلنا ابتنا به تاريخ حافل في مقاومة الاستعمار .

ولو ان تحقيق النصر الكامل لم يتم بعد الا ان نتائج المعركة رد للشعب ثقته بنفسه واكدت ثقة الشعب في ان القيادة لن تدخر جهدا في سبيل اجبار اسرائيل على الانسحاب . ولم يكن ما وصلنا اليه حتى الان مفاجاة كبيرة بالسبب لى فلقد كنت اتى من ناحية في قوة الجيش المصري وشجاعة جنوده وكنت متاكدا اننا سنبصر اسرائيل ومن ناحية اخرى كنت اتوقع ان امريكا ستدخل بكل ثقلها في الجانب الاسرائيلي وهو ما حدث بالفعل وادى الى الموقف الحالي .

■ اما من ناحية العناصر المساعدة للمعركة فان الموقف الحازم للدول العربية المنتجة للبترول كان من العوامل التي ساعدت على عزلة اسرائيل وتشديد الخلاف بين اوربوا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . ومن صواب الراى الان نشدد على الدول الغربية حتى لا تخسر موقفها الذي بدأ يتغير لصالح العرب . كما لابد ان نراعى مصالح الدول البترولية نفسها حتى تستمر في مساعدتنا وهذه مسئولية الذين يخططون للمعركة مع العدو .

■ أما عن الدول الصديقة فان مساندة الاتحاد السوفيتي لنا بكل ثقله كان العامل الذي ارفع امريكا على موقفها الاخير والذي تمثل في الاعتراف بما نص عليه القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ولذلك يعتبر الاتحاد السوفيتي من اخلص اصدقائنا . ومن الاصدقاء ايضا الدول الافريقية وعلينا الا نهملهم يشعرون بالضرر نتيجة موقفهم من اسرائيل وذلك بان نزيد من تعاوننا الفني والاقتصادي والعسكري معهم حتى لا تجد اسرائيل فرصة للتفاحل مرة اخرى في افريقيا .

ومن اد اعدائنا امريكا ، والتاريخ يعلمنا ان الاستعمار كان دائما ضد مصر ويرفض وجود قوة عسكرية كبيرة في مصر ، ولذلك حاربوا محمد علي وحاربوا عرابي وحاربوا جمال عبد الناصر ومن صواب الراى ان نستخدم الولاقي بين امريكا والاتحاد السوفيتي في كشف الحجة التي تستخدمها امريكا لمحاربتنا تحت ستار مقاومة الشيوعية فاذا كانت امريكا تتفق مع الاتحاد السوفيتي فلماذا تكون علاقتنا به نحن منووعة ؟ كذلك من ناحية البترول يجب ان يعلموا اننا لن نشره وانما سنصدره لهم لوكن عليهم ان يتخذوا موقفا عادلا من قضيتنا . تصرف السكان كان في منتهى ثبات الاعصاب والحماس للمعركة اما من اسر الجندين فانهم كانوا يتخرون ان لهم اولاد في المعركة ولم يكن لديهم جرح او قلق من هذه الناحية .

■ أما في مواجهة المخاطر فلقد كانت اعمال الدفاع المدنى غير كافية وارى ضرورة التوسع في هذه النواحي .

■ ومن ناحية الدعايات المضادة فان مسئولية محاربتها تقع اساسا على وسائل اعلامنا فالشعب يمكن ان يسمع الاشاعات ويصدقها . لكن دور وسائل الاعلام ان توضح الحقائق اولاً بأول وبالتالي يصدق الشعب اعلامنا ولا يصدق اعلام الاعداء . فكلما قلنا الحقيقة كلما صدقتا الشعب أكثر ولم يلتفت الى الاتراءات الاستعمارية .

■ حتى يتحقق النصر النهائي ، فلا بد من تدريب كل افراد الشعب القادرين على حمل السلاح واستعماله على ان يتم التدريب على مستوى راق ، وعلى كافة انواع الاسلحة التي

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر

تستخدم في الحروب المتقدمة حتى يكون الشعب كله قوة كبيرة نحقق بها النصر سواء بالسلم أو بالحرب . فمنحن لمننا أقل من فيلقنا ونحن متاكدين من النصر الكامل اذا تمت هذه المسألة . ولا بد أن نفرض عليهم بالقوة الاتساع الكامل من كل الارض العربية المحتلة لاتفنى اخفى ان تطول فترة وقف اطلاق النار وبفضل الضغط السياسي والضغط بالبتروول في تحقيق هذا الهدف وعددنا سيتضح انه لا طريق الا تدريب الشعب كله على السلاح ومحاربة اسرائيل حتى النصر النهائي .



الاسم : عبد الحليم حسين عثمان
المنه : سائق بشركة التيل للصناعة للتوبيس
وسط القدس .

● التصور الخاص بالمعركة

نعم كنت اتوقع المعركة لانه ما كنش قد اينا خيار مع خطرمة العسكرية الاسرائيلية وكنت اتوقع النتائج العسكرية التي حققتها قواتنا المسلحة . لايمانى بكفاءة الجنسدى المصرى ..

● العناصر المساعدة في المعركة

الدول العربية شعوب وحكومات سبيت كل الخلافات وقدمت المساعدات . بل واشترك بعضها اشتراكا فعلياني القتال كذلك كان سلاح البترول من اهم الاسلحة .
اما الدول الصديقة وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي فقد قدمت لنا كل مطلوبات المعركة .
لما الدول المعادية فلم تستطع ان تحقق اى نصر سياسى . ولم عزلنا تماما عن مجتمع الدول ..

● انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :

تصرف السكان والناس بهوده واتبع الجميع تعليمات الدفاع المدنى وكان هناك تكيف مرعب مع جو المعركة ، اما اسر المجننين فكانوا على مستوى المسئولية .. وعملوا على رفع روح ابناءهم المنوية .
والعطاء المقدم للمعركة كان عظيم ظهر في الاسراع بشراء سندات الجهاد .. وتخفيض الاستهلاك وزيادة الانتاج والتبرع بالسدم ومحاربة الاشاعات .
مواجهة المخاطر تتمثل في تنفيذ تعليمات الدفاع المدنى بكل دقة .
● مجابهة الدعايات المضادة : عدم السماح لاذاعات العدو والقضاء على الاشاعات التي ينشرها العدو وعدم اذاعة اى امرار يستفيد منها العدو .

● هل لك اقارب في الجبهة ؟ نعم وحصل على نيشان حيث اصيب في المعارك .

● المطلوب عمله لتحقيق النصر

من الشعب : الاستمرار في تقديم كل عون للمعركة .
من الحكومة : الحذر التام من اى تصرف من جانب العدو .
من العرب : استمرار التضامن العربى ووضع كل الامكانيات في سبيل النصر .



الاسم : فريدة عز الدين احمد
المنه : عاملة بشركة التوبيس وسط القدس

نعم كنت اتوقع قيام المعركة ولكن ليس في هذا التوقيت بالذات .
لم اكن اتوقع نتيجة المعارك بهذه الصورة بالنسبة لاسرائيل .

موقف البلدان العربية كان أكثر مما تصورت أن يكون في أي وقت . ولم تقف هذه البلدان هذه الوقفة من قبل وأخذت هذه البداية في الاتفاق إلى مدى أهمية دورها وإلى أي حد تستطيع أن تلعب دورا له أهميته في العالم ، وتستطيع أن تجعل العالم بأسره يخدم إرادة هذه الدول ، ويقتار بالقرارات التي أحسنها ويحاول جاهدا أن يصل إلى حل للامزجة حتى يمكن أن تعود الدول العربية إلى موقفها السابق .

بالنسبة للدول الصديقة :

كان الموقف الذي أثار اعزائى وتشديدي موقف مجموعة الدول الإفريقية التي هبت لتعلن تأييدها للدول العربية ومطامسة إسرائيل . كما كان موقف الاتحاد السوفيتي عظيمًا سواء من الناحية العسكرية أو الناحية السياسية فقد قام بإبدانها بجميع ما احتجنا إليه من سلاح وهذه النتيجة التي وصلت إليها جنودنا في المعركة كانت بسلاح من الاتحاد السوفيتي عبارة على التأييد السياسي التي لسطنا إياها .

أما بالنسبة للدول المحايدة فقد أصبحت مقصورة على أمريكا وهولندا وكندا ولكن بالضغط على هذه الدول عن طريق الضغوط السياسية والضغوط الاقتصادية .

تصرف السكان كأنهم مثاليون للغاية فقد أظهر هذا الشعب عن معدنه الأصلي في الوقوف خلف قواته المسلحة .

أسر المجندين كانوا متلهفين على سماع الأنباء الخاصة بالمعركة للاطمئنان على البلد وعلى أبنائها . الشعب قدم للمعركة جميع ما احتاجت إليه . وكان عطاء الناس جزيلًا في كل ما طلب وما لم يطلب منهم . اتحد الناس لمواجهة المخاطر وكانوا على استعداد لاحتفال كل شيء طالما أنهم يسمعون من أخبار انتصارات القوات المسلحة .

ولعبت الدعايات المضادة دورًا في التقليل من أهمية ما حدث بالنسبة للقوات المسلحة والنسبة للانتصارات التي حققوها ولكن الناس كانوا على قدر من الوعي بحيث استطاعت مجموعات الناس أن تهم الضط والصواب وترفض الدعايات المغرضة .

المطلوب من الشعب حتى يمكن تحقيق النصر رفض الإشاعات والدعائيات المغرضة ، التماسك والانفعال حول قواتنا المسلحة وتقديم كل ما يحتاجه الوقت الحالي من بذل وعطاء دون أي ضرر أو ضيق .

وعلى الحكومة أن تفلن جيدًا إلى الأساليب الخداعية التي تأسينا منها كثيرًا من عدونا الفاجر ، وعدم التنازل عن أي شبر من الأرض حتى يكون هناك شئ عادل لنهاء أبنائنا والأرواح الغالية التي زهقت على تحرير الأرض .

وعلى العرب أن يستمروا في موقفهم وتقديم كل الإمكانيات التي تحت يدهم وتسخيرها لخدمة المعركة والمضي في حرمان الدول التي تؤيد إسرائيل وتساعدنا من البترول . وإن يعقد مؤتمر قمة يتخذ فيه موقف موحد بالنسبة لجميع الدول العربية لا يحدد منه أحد



الاسم : أحمد فهمي السوقي

التهمة : حاسل بشركة أوبيس وسط اللتسا

- كنت أتوقع قيام المعركة ولكن في غير الموعد الذي قامت فيه .
- وكنت أتوقع النصر للجيش العربية ولكن ليس بالسرعة والصورة التي تمت ، فقد أعطى الجيش المصري أروع الصور للقتل والغداء .
- لما من ناحية إسرائيل ، فإن الدعايات كانت تفقد الروح المعنوية .

العناصر المساعدة في المعركة :

- استمرار التدريب - توحيد القيادة - دقة الخطة - قوة الرجل الذي أصدر الأوامر .
- وإن موقف البلدان بهذه أول مرة نرى فيها الدول العربية تتخذ موقفاً موحداً واعتقد أن قوة الرجال وقوة القرار هو الذي أدى إلى هذه الوحدة .
- ورغم أن الوحدة زادت من قوة وباعلية الدول العربية ، فإنه أيضاً بدأ موقف الدول العربية يوجد أوروبا ذاتها ، وهذا ما وضع من موقف دول السوق الأوروبية .

رؤية شعبية لحزب ٦ أكتوبر

وعن موقف الدول الصديقة فقد بان لها أن المساعدات التي تقدمها إنما تقدمها لدول تستحق التقدير ، فبدلاً من أن كانت الصداقة عطفاً أصبحت الصداقة مبنياً على الاحترام . ومن الدول المحابية ، فإن الموقف قد تغير تباهاً ، وأعيد عصر قاريضها القديم ذات الحضارة ، وأصبح بحسب لها حساب ، وثقلت الموازين الدولية والتكتيكات العسكرية . لأول مرة يتلقى السكان ثبات الحرب بالفرح . فرغم ما للحريصين أخبار مغرزة ، إلا أن الخير كان مصدر فرحة الجميع ، وكان الناس يتصرفون بحكمة خلال المعركة . وأما عن أسر المجندين ، فقد أنزل الله السمكة على قلوبهم وأيدهم بنصر من عنده . وعن المصاة المقدم للمعركة ، فلا بد أن نهب كل ما نملك ونشد الأزيمة على البطون . وكان لوسائل الإعلام في جمهورية مصر والدول العربية والالتزام بذكر الحقائق مما يجعلنا نصدق وسائل الاعلام .

أما عن زيادة الانتاج فلم أر ذلك في شركتنا نظراً لعدم عقد أى مؤتمرات او تروعة ، وكان لابد على التشكيل الاعلى ، وهو اللجنة العامة ، أن تقوم بدور فعال للمعركة . ولتحقيق النصر النهائي مطلوب :

- من الجبهة الداخلية :
- عدم السماح للاشتاعات بالانطلاق وعدم اثرة البلبلة بأية ازمات .
- من الشعب :
- التقيد بالاستهلاك للاشياء الضرورية والتبرع بالدم والمال .
- من الحكومة :
- ما تملنه الحكومة جميل ، ويجب المحافظة عليه وزيادة الربط بين الدول العربية .
- من العرب :

إن الموقف قد وجد أوروبا نفسها ونرجو من الدول العربية الاستمرار في هذا الموقف الموحد .



الاسم : على محمد عيسى

المهنة : الشركة المصرية لصناعة
وسائط النقل الخفيف

قيام المعركة أمر لابد منه ولا مفر فيه ، فإن الأرض المسلوقة او المقصبة بأيدى المعتدين من الاسرائيليين كان لها يوماً لابد وأن تعاد فيها الأرض الى اصحابها بها همسا . طالت الايام والسنوات . فإن توقع قيام المعركة كان امراً عالياً ومتوقفاً من قبل ذلك بزمان .

النتائج كانت مشرفة للغاية ، رفعت لنا رؤوسنا عالية ، وردت لنا كرامتنا التي اهدرت منذ الاعوام الستة . فقد ثبتت النتائج العسكرية والسياسية من النجاح والتوفيق ما لم يكن في الحسبان . وكانت هذه النتائج جميلة خبرة سنوات طويلة ، وشرقة عناصا شباينا وابطنا على الجبهة الى أن وصلت بهم قدراتهم ومهاراتهم واستاداهم الى هذه الدرجة الرائعة من النجاح .

أما بالنسبة لاسرائيل فكان متوقفاً لها الهزيمة لانهم شعب كتب عليه التشرذم والذل منذ نشأة الخليقة . شعب لا ايمان له ولا دين شعب يستحق النال وكان لابد للغادر من نهاية وقد كانت نهايتهم على ايدي العرب المؤمنين .

أما بالنسبة لموقف البلدان العربية المساعدة لنا فقد اثبت أن الامة العربية امة واحدة شعب واحد قضية واحدة وأماننا وأهدافنا نحو تحقيق النصر ورجوع شعب فلسطين امل لا خيار فيه . وقد وقف الجميع بجانبنا وقف الاخ لايه والاب لايه .

وأما الدول الصديقة فهي كالصديق الوفي الذي يمد يد المعون والمساعدة في وقت الازمات والشدة وهامى الايام بيننا تثبت الصديق من العدو .

أما الدول المساعدة فهي تسير في تيار يجرها نحو نهايتها هي الاخرى ، ونست مساعدات اسرائيل بالعامل الكبير الذي يجعلها تعادى العالم العربي والعالم الصديق ، لسنا من أجل ذلك نتميز نهاية صغيرة تصن تحت لرجل غابر سبيل غير مكثرت .

وقد اثبت السكان تضامنهم بكل ما تمتلك الايدي وبكل ما يستطيع ان يقدم من تطوع وتبرع بالدم والهدايا ورعاية الجرحى وانشاء نوادى اصنفاء المقاتلين والرعاية الطبية ومحاربة الاشاعات والفرجة لكل شهيد ضحى بحياته من اجل الوطن ومساعدة الانتاج بالعمل المتواصل فى المجلات الرسمية مثل الاعياد وكل ذلك بروح عالية وثقة كبيرة فى القادة وفى أبطالنا على الجبهة وفى السياسة المثمرة الآن .

” المطلوب الآن الضغط فى جميع الصروفات والكياليات وغير الكياليات فى الجبهة الداخلية لتوفير احتياجات الجبهة الخارجية منها كلغنا ذلك من مشقة “

ومواصلة الضغط السياسى من الحكومة ومواصلة الحرب ضد هؤلاء المعتدين مهما ضحينا فى سبيل ذلك بأبنائنا وازواجنا واخواننا .. مواصلة الحرب حتى النصر ، وإذا كانت اوبى خطواتنا ناجحة ١٠٠ فى المائة فالباقية تأتى والنصر لقريب

وعلى العرب ان تضع يدا عنى يد ، ومساندة الاخوة مع بعضهم حتى النصر النهائى وعودة اهل فلسطين الى ديارهم وأرضهم .

والله معنا والعزة للعرب والنصر لنا جميعا فى رعاية رئيسنا البطل السيد محمد أنور السادات سدد الله خطاه وحياه ورحاه وجعل على يده النصر والله اكبر المزة لمصر .

● ● ●

الاسم : عيسى عبد المصنود خضراوي

الجهة : بواب

● التصور الخاص بالمعركة :

كنت اتوقع قيام المعركة .. قبل هذه الايام بكثير لكن كده كويس .. وكنت اتوقع اننا سوف نتصر .. لاننا نحارب حربا دينية .. ولذلك فريك نصرنا .. وجعل العرب كلهم يلقوا معنا ويمتنوا البترول عن الممر انقار ، كمان مانستاش الدول الصديقة روسيا فقد ساعدتنا كثيرا ..

● انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :

— السكان كانوا يتصرفوا كويس ، وكانوا مبسوطين اننا بنحارب واننا انتصرنا على العدو .. وكمان السكان هنا ماخوش منهم عمل كلك العيد لانه مايفيش سكر .. ومايفيش حد زعل ولا حاجة .

● ما هو المطلوب عمله لتحقيق النصر النهائي ..

— من الشعب : يظل الشعب يطمى من اجل المعركة الى اخرها هذه .

— من الحكومة : اذا اسرائيل مانسحبشى مطلوب ان الحكومة تحاربها .

— العرب كلهم موقفهم كويس .. ويفضلوا على هذا الموقف على طول لغاية ما تنسحب اسرائيل ..



الاسم : على المصطفى

الجهة : باغ فول

● التصور الخاص بالمعركة :

لما كنتش اتوقع قيام المعركة ، وانا فوجئت باننا عبرنا القناة عشان كلن يقرلوا انه مش ممكن اننا نحقر نعدى القناة .. ولذلك ما كنتش اتوقع اننا سننتصر عليهم بالسريعة دى .. ودا كله توفيق من ربك عشان ينصرنا عليهم ..

كمان لاول مرة .. يقف العرب مع بعض ويمتنوا البترول عن امريكا والدول المادية .. ولذلك كان موقف الدول العربية مشرف والاتحاد السوفيتى ساعدنا بالسلاح وثبت انه صديق لان الصديق ينفع فى وقت الشدة ..

اما الدول المادية امريكا قلبا وصلاتهم اخبرنا انتصاراتنا .. راحوا يدوروا على حل .. طب ما كان من الاول ..

● انعكاسات المعركة على المجتمع المحيط :

الناس فرحوا جدا بالمعركة .. واسر المجتدين .. كانوا مشغولين شوية لكن ماخوش كان فاكر غير ان علم مصر رفرف على الضفة الشرقية لقناة السويس ، اما عن السط المقيم

رؤية تنبؤية لحرب ١٩ أكتوبر

للمعركة ٠٠ فأنا تبرعت بالسدم وزوجتى أيضاً ٠٠ وياريت كان عندى فلوس كنت قدمتها
او ولد كنت قدمته للجيش ٠٠

— مواجهة المخاطر مافيش مخاطر: تعرضت لها البلد اثناء الحرب

— الدعاية المضادة كانت فى صوت امريكا ٠٠ وصوت امريكا كان بيزعل الواحد
فبطلت اسمعه ٠

● المطلوب لتحقيق النصر النهائي :

- الشعب ، لازم يبقى على مستوى المسؤولية والتاس ما تزعش ان فيه نقص فى بعض السلع ٠٠ عشان الحرب كده ولازم برضه الناس تتطوع للدفاع الحدى ٠٠ والفدائيين ٠
- الحكومة : مطلوب ان الحكومة تحارب التجار الجشعين اللى بيعفوا السلع ، كمان مطلوب ايضاً ان تظل المعركة مستمرة لان اليهود غدارين
- من العرب : العرب كانوا كويسين ومش عايزين اكثر من اللى عملوه ٠



الاسم : محفوظ محمد حسين

الجهة : عامل ميمار يستقضى — مركز بيت فز

أنا كنت انتظر وقوع الحرب مع اسرائيل وياريت كنت محارب والعبور فى نظرى كيسان
صعب جداً وخط بارليف أصعب ٠ ولكن رسالة الجندى المصرى والعناية الالهية
وسلاح روسيا عبرنا القناة وفتحنا خط بارليف ٠
والبتروال العربى حارب معنا والعرب كلهم كانوا معنا وروسيا كانت معنا
وامريكا عدونا الدود وكلنا ساخطين عليها وعلى الحبيين لها ٠

وفى ايام المعركة كنا كلنا متشجعين لانتخاب الموت ولكن كان فيه بعض التجار مشغولين
بالمسوق السوداء ٠
وكنا نتمنى النصر والنصر جاء بالمفاوضة ، والرئيس انور السادات بينسأدى بالسلام ٠



الاسم : سليم على احمد

الجهة : سائق بشركة انوبس شرق الدنا

اننى كنت اتوقع المعركة مع اسرائيل من اجل تحرير ارضنا وارض اجدادنا ومن اجل تخليص
قناة السويس التى حزنناها بأظافرننا وبأيدي لجدادنا والتى ماتت فى حفرها آلاف الميال
والفلاحين ٠
ومسألة العبور وتحطيم خط بارليف كنت اتوقعه ايضاً لان التدريب كان قريباً ومستمر
والسلاح السوفيتى الحديث معنا ، والجندى المصرى مقاتل شجاع مثل الجندى الانجيزى
الذى عبر بحر المثلث وهجم على فرنسا فى حرب الالمان ، ولان الجندى المصرى ايضاً لا يقل
عن الجندى الالمانى الذى اقتحم خط ماجينسوفى الحرب الماضية ٠
وفى يقينى ان الاتحاد السوفيتى بما تقدمه من سلاح حديث وتدريب قوى هو العنصر
الرئيسى الذى ساعدنا فى المعركة ٠

وطمنا كان البترول العربى وموقف الدول العربية وراءنا عامل مهم فى المعركة مع
اسرائيل

وإنشاء المعركة كانت الروح المعنوية عالية خالص والانتاج في زيادة والمعامل كلهم مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيل المعركة والنصر ..
ولابد ان يعرف الجميع أن النصر النهائي ليس له طريق غير قوة سلاحنا والحرب مع إسرائيل مع تضامن الدول العربية والدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتي .



الاسم : محمد خليل منطلاوي

الجهة : عامل ميمار

محل العمل : بيت عمر

لم اكن انتظر قيام معركة مع إسرائيل لأنني كنت مؤمنا بأننا لسنا على استعداد لحرب إسرائيل ولأننا لم ننتصر من قبل في أي معركة مع إسرائيل ولأن وحدة العرب كانت في نظري بعيدة جدا .. والعبور وضرب خط بارليف كان صعبا امامي ولهذا لم انتظر الخطوة الجبارة التي خطاها جيشنا الباسل بالعبور لقناة السويس . وتحطيم خط بارليف الصهيوني

والذي ساعدنا في ذلك سياسة الرئيس اتور السادات الحكيمة وتأييد الدول العربية بأموالها وأتباعها والبتترول العربي سلاح كبير في المعركة
ولا شك أن السوفيت وسلاح السوفيت عامل كبير في نصرنا وفي المعركة
والجميع كان يرحمنا بالمعركة وكلنا نسينا أولادنا وأصايب أولادنا في أيام المعركة ولكن لم ننس جرائم أمريكا وعداوة أمريكا للعرب
والذي أراه أن السلاح هو طريق النصر .



الاسم : محمد موسى السوداني

الجهة : ملاحظ بشبكة الجارى - بيت عمر

الحرب مع إسرائيل كانت غير متوقعة علشان الركون الشديد في مصر كلها وفي مجتمع مصر كلها ، وشكل الركون انشغال الناس بمصالحها الشخصية
ان الاتحاد السوفيتي الصديق المخلص يعطينا التأييد الشديد والسلاح القسوى والحديث ويساعدنا بالصناعات الحديديّة علشان نقوى ونتطور ونتقدم على إسرائيل ..
وبسبب هذا فالعبور العظيم وكسر خط بارليف ونفخه في الهواء بفضل الجندي المصري العامل والفلاح كان شيئا مفاجئا لي جدا .. لان الصحافة المصرية وبعض الكتب السيئة كانت تضخم امام ميوتنا وعقولنا التسليخ الخاص بإسرائيل وقدرتها الهائلة في العلم وفي الحرب وفي السياسة .. وفيه كتاب اسمه ممنوع التداول شحن مخفا بمجائب إسرائيل ، وكذلك جرائد إسرائيل وتهويلها في كل شيء
وفي المعركة كان موقف الصديق الاتحاد السوفيتي عظيما جدا . ولذلك فان هذا

الموقف لن ينسى على مر التاريخ .

وكان تشكل الدول العربية ساعدنا جدا في المعركة .

وطول المعركة كان أبسط الناس في غاية الفرح والخسارة في جنودنا لم تكن مفزعة حتى بالنسبة لاهلهم .

وكل واحد منا كان مستعدا للمساهمة في المعركة بباله ونفسه ، واقصد بذلك العمال والفلاحين والمثقفين .

وطول المعركة كان الحدق على أميركا يتزايد .. والنصر لن نفاله أبدا إلا باستمرار العرب والقتال ضد إسرائيل .

الاسم : كمال مصباحي عبد الرحمن
الجهة : عامل بهيئة المفوضيات - بيت عمر
محل العمل : بيت عمر

طبعي كنت انتظر حدوث معركة وحرب بيننا وبين اسرائيل ، حتى نتحدد مصير دولتنا وبلدنا *
والرئيس اشبار اكثر من مسرة الى ضرورة الحرب مع اسرائيل حتى تنتهي من الحالة التي
يسمونها حالة اللاهروب واللاسلم الى الحالة الميعة والسيئة .
وان تجديد روح الجيش وتزايد معنوياته وتجديد سلاحه وكثرة تدريبه جعلني اعتقد
واؤكد بإمكانية العبور ونحطيم خط بارليف
وكان تدعيم الدول العربية لنا وترباطها بشكل كامل معنا ساعدنا في المعركة ، وهذا
الترباط لم يحدث من قبل مما ادى الى اشهار سلاح البترول لأول مرة في حربنا مع
الاستعمار والصهيونية
ولن ننسى ان الاتحاد السوفيتي كصديق مدنا بالسلاح وساعدنا في المعركة
وفي كل لحظة في ايام المعركة كانت الجبهة الداخلية تساند جبهة الحرب علشان معنويات
الشعب كانت مرتفعة .
وان سكة النصر النهائية في التصميم على النضال من اجل السلام والنضال بكل الطرق
ضد اسرائيل وامريكا عدوة الشعوب *



الاسم : السعيد علي الشناوي
الجهة : نظار بشركة انويس وسط الدلتا

المعركة مع اسرائيل كنت اتوقع قيامها ، علشان اسرائيل كانت ديما ترفض كلام مجلس
الامن ولم تحترم اي نولة تصب السلام العادل . وطبعيا ان مالخذ بالقوة لا يأتي بغير
القوة . وكنت انتظر عبور قناة السويس وكسر خط بارليف بواسطة جنودنا الانطال
اولاد العمال والفلاحين ، وكنت في الوقت نفسه متعيب المعركة مع تقني في الله وفي
الجندي المصري كبيرة ، والاتحاد السوفيتي وسلاحه وتأييده ساعدنا خالص في المعركة
بجانب تأييد الدول العربية والدول الاشتراكية وقطع البترول عن الدول التي تساعد اسرائيل *
وكنا في المعركة بطولنا وارواحنا ولم نطلق من الجيب الذي احدثته اسرائيل لان الحرب
كر وفر ، ومن الطبيعي في الحرب وفي الضخامة ان القلب حول العدو والعدو يلف حواي *
وكل عاب وكل فلاح كان في شجاعة وقت المعركة وكنا في انتظار نزول جنود اسرائيليين
من الطائرات الى لفة علشان نعلمهم شجاعة المصري ورجولته .
وحضر العيد واغلب البيوت لم تصلح ككل العيد علشان جنودنا الموجودين في الجبهة
وفي ايام المعركة لاحظت الاهتمام بزيادة الانتاج ، ولاحظت غضب الاهالي على امريكا
شيحطان الشياطين
وفي رايي بعد المعركة ان الحرب وبيس هي الطريق للنصر الخالص *

رؤية الصلاحين

الاسم: أحمد السيد الصياد

المهنة : فلاح (الملكية فدان واحد)
الميلاد : الدلتا - محافظة المنوفية

● قبل الحرب كنا متبرجلين ، وحالتنا النفسية تعبانة جدا خصوصا ان المدة كانت طالت من ١٩٦٧ لغاية النهاردة . لان طيما من ناحية كان فيه اسرائيل محتلة أرضنا والنكسة الى احنا شغفناها في اموالنا وأموال الدولة . وأمريكا ، من ناحية ثانية بتساعد اسرائيل من غير حدود . صحيح كان فيه محاولات لتأييدنا من دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتي لكن برضه تعبناين لان ما كانش فيه حل . وكنا عايزين نحارب بساى طريقة .. زهقنا من الانتظار احنا عايزين نحارب . اولادنا في الجيش عايزين يحاربوا طيب ليه ساكتين ؟ لكن مع ذلك انا كنت متوقع الحركة .. امتى بالضبط ؟ ما أعرفش لكن عارف ان احنا لازم نحارب . أيام الرئيس عبد الناصر كان دايما يوضح لنا ويلهمنا ولما جه الرئيس السادات كان بيميل - في صمت - وقال الصبر والصمت وكنا مصدقينه لكن كان الصمت بيقلقنا . احنا عارفين اسرائيل كويس ولا يمكن نخلص منها الا بالقوة .. وطول ما فيه احتلال كنت متوقع ان فيه معركة . كمان احنا عرب لنا تاريخنا ولنا ماضيانا ولا يمكن يهون على الانسان تاريخه وكان لازم نحارب .

■ من حيث نتائج القتال فانا لما شفت جنودنا في التلفزيون وهم في الضفة الشرقية وراهمين العلم المصري ويقولوا الله اكبر والدياية يكتبون عليها الله اكبر عيني فرت منها الدمع وبقي نفسي اقوم اهدف نفسي معاهم على الجبهة بأى وسيلة وأى طريقة . ولما شفت الاسرائيليين وشفت « عساف » القائد بتاعهم قلت لنفسي هيه دول اللي بيقولوا عليهم جيش لا يتهرأهم ولادنا تهرؤهم وأسروهم . ولما سمعت ان عملية العبور اللي قام بها الجيش المصري متدرس في المعاهد العسكرية في العالم بقيت فرحان . اما حكاية **الفارسوار** ما همفناش لانهم لو جاورا لنا هنا في **الدلتا** من حاربهم بايدينا ، ومع الايمان القوى لا يمكن الشعب ينهمز ابدا .

■ بالنسبة لاشغالنا العرب كانت وقفهم بحانا ممتازة وأنا أحب اقول انه قبل موضوع البترول القوات العراقية اشتركت في الحرب والقوات المغربية والفوات الجزائرية .. الجزائر وضع نفسه كلى وجزئى في المعركة وأوقف مشروعات التنمية من اجل المعركة ومن اول طلقة ابنتت الجهود المصرية تظهر على الشاشة على طول .. قبل البترول كانت الحاجات دى وبمعين چه الملك فيصل وأمير الكويت وكل العرب بالبترول . وانا كتبت بالقول اننا لو حاربنا يرمين وانتصرنا فيهم كل العرب متوقف معانا لان هيبتنا تهزى ولان الشعوب العربية متتشجع .

■ أمريكا لنا باعتبارها عدو لنا على طول الخط ، والضربة اللي خدتها اسرائيل في الحرب تعتبر ضربة لإمريكا .. ويقولوا ان اليهود لهم نفوذ في أمريكا وده السبب في انها واقفة جنب اسرائيل . طيب ماهو فرنسا فيها يهود لكن موقفها غير موقف أمريكا . وانجلترا اللي هيه موقفها من العرب اتحسن فيها برضه يهود لكن لما وجدت مصالحها مهددة حسنت موقفها اذن أمريكا عدو لدود والمسالمة يا هياش مجرد نفوذ اليهود هناك »

■ بالنسبة لاصدقائنا ، الفضل يرجع لرؤسائنا الرئيس جمال الله برحه كان له اثر كبير لان لما قامت ثورتنا بدا العالم كله يحس بمقاومتها للاستعمار وبدا الرئيس جمال عبد الناصر يجمع دول عدم الانحياز ويعدن في افريقيا ساعد على بناء منظمة الوحدة الافريقية ويعدن على علاقات مع روسيا التي ما كناش نسمع عليها زمان . كل ده جعل العالم يحس بالظلم اللي بتعمله امريكا علينا وعلى غيرنا من الشعوب وكان له الفضل الاول في وقوف كل الدول دى معنا ولما جه الرئيس السادات المؤس انور السادات سار في نفس الخط وبقينا كل ما نسمع منه كل ما يدخل قلبنا اكثر ونطمئن على سياستنا ومستقبلنا .

■ وبالنسبة للاتحاد السوفيتي ايسام الرئيس انور السادات ما اخبر الخبيرات السوفيت اننا كنت بقول ان دى سياسته واننا لا يمكن نستغنى عن صداقة الاتحاد السوفيتي والزيادة اتضح ان الاتحاد السوفيتي ليه الفضل الاعظم في السلاح والتأييد السياسي وفي عملية وقف القتال اتخذ موقف بطولي وقال لأمريكا لايد بن وقف القتال وان كل واحد يأخذ حقه ولما اسرائيل خوقت وقف النار ارسل الرئيس بريجنيف انذارا لأمريكا واسرائيل وده طبعاً كان جزء من انتصارنا .

■ بلدنا تعدادها حوالي ٣ آلاف مواطن منهم حوالي ٢٠٠ في القوات المسلحة ما بين مجندين ومطلوعين وضباط وما كناش خافين عليهم لكن كنا بتدعيمهم بالنصر او الشهادة . والموت لا يمكنه يمنعه ما احنا هنا بنموت في البيوت والفضل لنا نموت في الجبهة في سبيل البلد ومن رابع يوم المعركة اتجمعنا وشكلنا فرقة للانقاذ وفرقة للحراق وفرقة للدفاع المدني اشتبك فيها العمال واللاحون وبعض الطلبة وقمنا بجمع تبرعات وما زالت العملية دى ماثية وحدها فصائل الدم لكن قالوا ان المستشفيات استكلت .

■ كان فيه بعض الناس بيحاولوا يقللوا بن اهمية الدفاع المدني على اساس ان قريتنا بعيدة عن الميدان . لكن اتصدنا لهم وقتنا لهم ان كل حته في مصر جزء من الميدان . ولما علقت اسرائيل غارة على قويسنا وقتلت اللاعن ، الناس دى ما قدرتش تتكلم . ولما كان واحد يردد اشاعات رافيد لندن ، وصوت امريكا كنا بنسكه . لكن برحه بهم قوى ان اذا عتقتا تقبل لنا على كل حاجة . واحنا اصبحنا غير زمان اصبح عندنا وعى وثقة في جيشنا وفي قيادتنا وجارفين ان العرب معارك وكر وفر وتضحيات يعني ما هياش حلو على طول علينا ندفعش من النصر .

■ مطلوب مؤنساً نستثمر نفسى سياستنا « نصادق من يصارقنا ونمادى من يهادينا » . واحنا واقفين غير رئيسنا وخطواته وعارفين انها هتكون كلها في مصلحتنا ، واللى اظهره الشعب ده مش كفاية عليكم ؟ احنا شمرنا هو اننا هايزين نضحي الى آخر حد ولازم تستمر المعركة حتى يتحقق النصر الكامل لان اللي حققنا كان خطوة كوسة ولازم نكمل الطريق .

■ ومطلوب من الحكومة اولاً انها تعارب كل مستغل يحاول يتقنى على حساب المعركة وعلى هجاب الشعب . وكل انسان يحاول يشوه المعركة تقف ضده على الخط المستقيم . والحاجة الثانية انها تدرب الفلاحين على السلاح علشان يدافعوا عن نفسهم . انا هايين مدفع جنب الزراعة . هايين اكون فلاح وعسكري في نفس الوقت . كمان احنا جنينا مصنع الفزل ، وفيه عيال من المصنع راهو الجبهة طيب ليه ما نطليش الفلاحين صيلية الفزل علشان يحلوا محلهم ويكده يبقى فيه تعاون بين الكل .

■ اما العرب فمطلوب انهم يحافظوا على وحدتهم اللي ظهرت اثناء المعركة . وانهم ياخذوا درس وينتوا جيوش قوية في كل بلد عربي علشان تكون كلها رصيد للامبارك اللي جاية بشرط انها تكون جيوش موحدة . وعموما اللي عند العرب بالهش حدود ولازم ان نستجدها ضد الاعداء اكثر واكثر .

■ مطلوب من الاصدقاء . انهم يستمروا في تأييدنا بكل الطرق . وان الاتحاد السوفيتي يستمر في توريد السلاح لنا علشان نقدر نواجه اسرائيل وأمريكا بنجاح اكبر واكبر . . فيه

يأس كانت تقول أن اللى حصل معجزة من عند ربنا، وأنا شخصيا وقعت للناس دول وقتلهم صحيح أن كل حاجة بمشيئة الله لكن ربنا كان هينصرنا من غير السلاح والتدريب والتضحيات اللى قدموها أخواننا فى الجبهة ؟ أبدا الحاجات دى شرط أساسى للنصر وربنا قال « واعدوا لهم ما استعملتم من قوة » احنا بنزرع الحية فى الأرض ونشقى لغاية ما نأخذ منها المحصول ومش ممكن ننام وننصبر أن الحية ممكن تنزرع وتبقى محصول لوحدنا أو بمعجزة من عند ربنا..»



الاسم : حسن إبراهيم خميس
المهنة : عامل زراعى
البلد : شنوان

■ صحيح أنا توجئت بالمعركة لكن أنا فاهم أن ده شئ طبيعى لأنه لابد نحارب إسرائيل علشان نحرر الأرض المحتلة وبغير كده إسرائيل مش هتفرج

■ ولم أكن أتصور أننا نذهبن مرة ثانية لأننا خدنا درس من حرب ١٩٦٧ علشان كده كان عبور الجيش المصرى وتحطيم خط بارليف شرف كبير لنا كلنا . وإذا كانوا جم غرب القناة فاحنا لازم نطردهم تانى من كل أرضنا وده ما يقللش من البطولات اللى علوها العساكر والضباط المصريين فى سيناء .

■ موقف البلاد العربية رفع روحنا المعنوية إما باشتراكهم فى الحرب زى العراق مما اشتركت من جبهة سوريا أو قطع البترول عن الدول اللى بتؤيد إسرائيل .

■ الاتحاد السوفيتى هو صديقنا الأساسى ، والدعايات اللى كانت بتقول انه مش هيقف جنبنا ثبت انها غلط وأعطانا السلاح اللى حاربنا به وحطلنا خط بارليف فالفضل يرجع للاتحاد السوفيتى .

■ أمريكا ساعدت إسرائيل وأعطتها السلاح الحديث . وده كان وضع ضدنا لأنه ممكنها من التوسع فى أرضنا وقتل أخواننا فى الجبهة وفى القرى والمدن زى ما حصل فى بنها وقويسنا

■ من خلال احتكاكى بالناس كنت بارد كل واحد يتكلم كلمة غلط اى حد كان يتكلم عن السكر أو الشاى كنت أراجعهم لأن القموين كفاية علينا . وبعد كده لازم نتحصل وما نزودش من القموين . وطبعاً كان فيه بعض الناس الاغنياء خزنوا شاى وسكر لكن أغلبية الشعب رفضت التخزين .

■ وبعض الناس كانت خائفة من الحرب على أموالها اللى همه العالم الكبار وأنا شفت ناس من النوع ده . ولما كنت أتكلم معاهم كانوا بيقولولى انت ما تعرض فى المسائل دى . لكن بعضهم كان يقبل الكلام وكان بيوافقنى على أن المعركة أهم من كل شئ . وأنا عن نفسى كنت بتأتنى أى تكون مع الجنود ولو أملك أى شئ غير القوات الضرورى كنت ابتعت به . وكل الناس الماديين كانوا مثلى مستعدين للتضحية وكثاوا فرحانين بالمعركة .

■ كنا بنرد على الإشاعات ، ومثلاً لما ضربوا على طريق قويسنا طلعت إشاعة بتقول أن قويسنة انضربت فاحنا وضحنا الحقيقة وإن قويسنا سليمة وكان هدفنا أن الناس لا تتردد أو تصاب بالخوف .

■ أحياناً بلدنا تمدها أكثر من ٤٥ ألف نسمة غير المهجرين ومع ذلك ما فيها ش صناعات إنذار وبالنسبة للدفاع المدنى ما كانتش عنده أى استعدادات لا فى الاتقاذ ولا فى إطفاء الحرائق ولا مواجهة الغارات ولا دفاع شعبى للدفاع عن البلد لو حصل اى حاجة وواجب الحكومة توفر الاشياء الناقصة والشعب ممكن يماوتها..»

■ لاحظت أن فيه عدد كبير من الشباب العاطل في شتوان وما أمكنش الاستفادة منهم لانهم عازين يشتغلوا بالجرة ياكلوها منها . والنفع المذني بدون لجرة وده معناه أن فيه اعداد كبيرة من الناس في كل قرية قاعدين بدون عمل في الوقت اللي البلد محتاجة كل مجهود في أعمال كثير ، والحكومة واجبتها تستفيد من الناس دول وتقيدهم في نفس الوقت بأنهم يحصلوا على لقمة عيش شريفة وفي مصلحة البلد .

■ العرب لازم يقدموا للمعركة أكثر وأكثر لأن اللي عملوه وان كان كويس ورفع روحنا المعوية إلا أنهم يجب يبسرو جيوشهم ويقدموها تساهم في الحرب مع مصر وسوريا حتى نهزم إسرائيل هزيمة نهائية .



الاسم : السيد محمد صقر

المهنة : فلاح (لا يقرأ ولا يكتب)
البلد : الدلتون

■ صحيح المعركة كانت مفاجأة لنا .. لأن احنا كنا بنقول أن الرئيس مش عايز يحارب علشان خايف على اولادنا اللي في الجبهة . لكن فوجئنا بالحرب ، واحنا عارفين أن العمر واحد والرب واحد . علشان كده ما كنش عنقنا أي خوف . واتهزينا قوى لما سمعنا بيان العبور وعرفنا أن قواتنا رفعت العلم المصري على أرض سيناء وحسبنا أننا اتخلطنا من جديد ، والوعي دب في عروقنا وعقولنا واصبحنا مستعدين لأي حاجة .

■ واحنا ما كناش متعشين أننا نمبر الثغرة نتيجة الدعايات اللي قبل المعركة عن جيش اسرائيل وعن خط بارليف وغيره ، لكن اللي حصل لغاية بلوقت كويس الا نقطة الدفرمسوار وواجبنا نرجعهم ثانی ونطردهم من كل الأرض اللي خدوها سنة ١٩٦٧ أو السنة دي .

● الدول العربية وقتت موقف كويس سوريا حاربت في الجولان ومماها العراق ، ودول البنرون قطعته عن أمريكا وعن كل اللي بيسانده اسرائيل وده ساهم في النصر .

■ أما الاتحاد السوفيتي فالفصل له وله في التموين بالأسلحة الحديثة اللي استخدمناها في الحرب والعبور . وكل الدول اللي أيدتنا في افريقيا وعدم الاتحياز هي دول صديقة .
■ اسرائيل بتحاربنا وأمريكا بتدعمها بالأسلحة وهي حوز أعداءنا . لكن كان احساسنا أننا لازم نفضل نحارب حتى مع أمريكا .. فيقتام ظلمت أمريكا واحنا مش أقل من فيقتام .

■ أهل البلد ماكانش لهم كلام غير المعركة . وكل فلاح في أرضه بيشتغل علشان المعركة . واحنا قمننا تبرعات وعملنا دفاع مدني وماحدث طلب منا حاجة أكثر من كده . وعموما أنا لي ولدني ببحاربوا واحد في سلاح المهندسين اللي عمل كباري العبور والثلاثي في الخدمات الطبية .

■ كل واحد كان بيحاول يستغل ظروف المعركة كتنا بنقف ضده . واحنا بلدنا صغيرة وكلنا عارفين بعض . وكان فيه بقالين حنولوا يستغلوا الظروف لكن الكنا بنسكت عليه قبل الحرب ما يمشش نسكت عليه أثناء الحرب فبلغنا فيهم واتحولوا للثانية العسكرية .

■ أما من موضوع الإشاعات ماكانش فيه إشاعات . كان فيه نكت على موسى ديان وعلى الاسرى الاسرائيليين .

■ مطلوب من الشعب أن كل واحد يجتهد في عمله ويؤيده بأبانة . الفلاح والمساليل والموظف كلنا نزود الانتاج ونوحد صفوفنا ونقف ضد أي انحراف في طريقنا وإي استقلال لقوت الشعب ، وما نسكتش على الغلط .

● المطلوب من الحكومة انها تجتهد في الجبهة العسكرية واحنا مستعدين كلنا نشيل السلاح .. نزرع الأرض ونوقع الطائرات زي فيقتام .. كمان السياسة الخارجية لازم نحافظ على اصدقائنا ونزودهم لازم نحذر من أعدائنا ومن الاعبيهم السياسية .

■ أما العرب فمطلوب منهم الاستمرار في قطع البترول . وزى ما احنا ينقصى بدم اولادنا وبدمنا يضحوا همه ولبترول لغاية مايحقق النصر الكامل وتتسبب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة .



الاسم : عطيات حجازى سعودى

المهنة : خالصة (عضو لجنة الاتصال
الاشتراكى بالقوية عن التنظيم النسائى)
القوية : الدلائل *

كنت اتوقع المعركة فلم يكن من الممكن ان يظل اثنائنا واقفين على الجبهة فى الشمس وفى الخطر بلا نهاية . ولكن الرئيس السادات اخذ درساً من الماضى ، ومن الظروف التى كنا عايشينها فظل يقيم السر الى ان غلجا العدو وطبعاً كانت مفاجأة لنا أيضاً .

■ واحنا كنا ضايفين لانهم صوروا لنا اننا سنفسخ فى العبور ضماير كبيرة ولكن المفاجأة اذهلتهم والعسكرى المصرى اثبت كفاءته واثبت انه عنده صبير وصلابة وقوة تحمل اكثر من العسكرى الاسرائيلى ، وهذا وحده نصر لنا .

■ ارتباط العرب ببعضهم اظهروا انهم قوة كبيرة تستطيع التأثير ضد العدو وهذا كان من اسباب امتزاز موقف اسرائيل . وكنا نتمنى ان يدخل الاردن بكل قواته فى المعركة لان هذا يخفف العبء من القوات المصرية السورية ويزيد من ضماير العدو . والحقيقة ان قطع البترول كان مفاجأة غير متوقعة وهذا اريك البلاد التى تؤيد اسرائيل واشاع الخلاعات فى صفوفهم .

■ روسيا دولة تحب السلام ولا تحب العدوان على الدول الاخرى ولذلك شجعنا وايضا بالسلح وبالدعمية لتضيقا على كل مكان ووقفت ضد احتلال اسرائيل لارضنا . امريكا وقفت مع اسرائيل رى عاقبتها وهذا تصرف لم يكن ضمنيا وحينا بل ضد العالم كله زى ما قال الرئيس السادات وعموما احنا عارفين ان امريكا هى التى بتحاربنا اصلا اما اسرائيل لمى مجرد أداة أو قطارة لدور امريكا ضدنا

■ بمجرد قيام الحرب الناس سادهم شعور بالاخوة والترايط كان فيه خلافات باقية من انتخابات الاتحاد الاشتراكى الاخيرة انتهت وظهر التعاون بين الناس فى جميع المجالات فى الدفاع المدنى والتبرع بالدم . كل واحد كان عايز ياخذ فرصة لخدمة بلده اثناء الحرب واولادنا المقاتلين على الجبهة كنا بندملهم بالنصر وماكانش قلقين عليهم بالعكس كنا نخفون بهم وطبعاً الصورة كان فيها الابيض والاسود ممزلا فى الوقت الذى الفلاحين فيسه بتصميمين للتضحية بكل حاجة كنا بنلاى قتالين بيحاولوا يستغلوا الظروف قمعنا بالتبليغ منهم وقبضت عليهم مباحث التمييز .

■ الناس ماكانش عندها أزمة فى حاجة . والناس كانوا مستعدين يضحوا بكل شئ لكن الذى بيخلق الأزمة همه الثجار الجشعين والناس اللى بتحطب التخزين ومايهبهاشى بصلصة الوطن .

■ التنظيم النسائى فى القرية ماكانش له نشاط كبير لان المعركة انتهت بسرعة وعموما احنا كنا بنومى الناس بالمعركة .

● مطلوب من الشعب انه يستمر فى التضحية لكن لايد تقتاسب التضحية بسع الفصل . يعنى الانعفاء يسامهوا اكثر لان دخلهم اكبر والناس الفقراء يسامهوا طبعى وكفاية فقرهم .. يعنى هو الفقر ده مش تضحية ؟ فلو ان تكاليف الحرب اتصرفت على تنمية البلد كانوا همه اول فئة هتستفيد . لكن الحرب بتأخذ كل شئ ولذلك همه خسرايين ومع ذلك شكل واحد يسامى بالشء اللى يستطعمه بدمه أو ببهدمه اى بماله فى غير بخل ولا رائئته .

رؤية شعبية لحرب ٦ أكتوبر :-

■ مطلوب من الحكومة انها تزود قوة الجيش بكل الوسائل ، وانهم يظلوا يقاتلون للعدو حتى لا يفاجئهم بأى عمل يهد لللى احنا عملناه فى المبور والشعب كله مستعد يتدرب ويدافع من بلده وهذه مسئولية الحكومة .



الاسم : الشيخ محمد عزب بحيرى

المهنة : فلاح

البلد : دمنهور الريحى — مركز زفتى

الكلام من الحرب مع اسرائيل كان موجود . وهذا الكلام كان متوقع حدوثه لان حقنا منهونج بواسطة اسرائيل ، والحق المنهوب لا يعود الا بالحرب . وما أخذ بالسيف يأتى بالسيف . وكنت باشوف المبور فوق قناة السويس سيتحقق ولو ضمنا كلنا . ولو لم تحدث المعركة والمبور لا نستحق ان نعيش .

وفى المعركة كان معنا ربنا ومعانا روسيا بنفسها واخلصها وسلاحها . وكل ايام الحرب كنا عال العالم ، ماكنش ناقصنا حاجة .

وكل المطلوب من المعركة والحرب مع اسرائيل المدالة ، وعمر العدالة لا تأتى الا بالحرب .



الاسم : عزت حماد زعيم

المهنة : فلاح

البلد : طنون — مركز زفتى

حربنا ومعركتنا الحالية مع اسرائيل لم تكن على بال اهد ولا فى نية اهد لعدم وجود استعداد ، وعدم وجود أسلحة بالحرب . وهذا كلام كنا نصيحه كثير كثير .

وعبور جيشنا القناة ، وفتح خط بارليف كانت خطوة غير متوقعة وان كنت متوقع انه فى يوم من الايام سوف لشرب من دم الاستعمار والصهيونية لاننا مغلولين من نكسة ١٩٦٧ ، وضياح ارضنا .

وروسيا غنقنا بالسلاح ولم تؤخر عنا اى شىء . وامريكا المجرمة لا تستحق الا ضرب العدو .

واحنا فى ايام المعركة كنا جاسدين خالصين وكانت الطيارات تزن فوق رؤوسنا ولا أهمسة بها .

والنصر علشان تشوفه العين لازم بالحرب ونق اسرائيل « لا تيجى فى السلب لا فى الخشب » .



الاسم : سعد زعلول البرى

المهنة : فلاح

البلد : بشاوش — مركز ميت فمرو

الحرب لما قامت مع اسرائيل فى يوم ٦ أكتوبر كنت منتظرها من زمان لان شعبنا وشبابنا كان صبرهم نرغ ولازم يحاربو . والحرب مع اسرائيل لا تقزع أبدا لان الجندى الاسرائيلى جبان وغير شجاع وقد عرفته فى حرب عام ١٩٤٨ . وكل ميزة الجندى الاسرائيلى هو الخدمة .

وتخطية جيشنا المجرى البطال لقناة السويس كنت متوقعه باية فى الماية ، وكذلك الاستيلاء على خط الضواجة بارليف لان الموت افضل الفدامة من قلة تخطية القناة وتكسير خط الضواجة بارليف .

• أول هام الاتحاد السوفيتى معنا بالسلاح الجبار . وتلقى هام قطع البترول واتحاد العرب مساعدتنا فى المعركة وقوى نفسنا على اسرائيل وأمريكا .
وفى القتال كانت الروح عالية .
وكمك العيد كان قليل فى البيوت علشان العيد الحقيقى اللى نعمل فيه الكمك هو النضر الذى لن ياتى الا بالحرب على طول .

● ● ●
الاسم : لطفي أحمد موسى

المهنة : ملاح
— حنون — مركز زقى

لم تكن المعركة مع الصهيونية فى دماغى لعدم تحديد بمادلهما من جانب الحكومة . وفى نظرى ان الحرب مع اسرائيل بعيدة خالص لعدم التجهيز اللازم للحرب . ولذلك فان العبور وبمسك خط بارليف قدرة من الله وقدرة الهية بجانب شجاعة الجيش والجنود المصريين .
وتكفل الدول العربية مساعدتنا فى النضر . وتأييد الدول الاشتراكية وروسيا التى مدتنا بالسلاح مساعدتنا كما فى النضر . ومنع البترول عن أمريكا والدول التى تساعد اسرائيل ههنا الصهيونية وقطع نفسها .
والمعركة لم تعطل شغلنا فى الغيط أبدا .
والناس كلها مع المعركة اذلك فاكتر اهالى حنون لم تعمل كمك العيد مع انها سنة شرعية .
والطريق فى نظرى الى النضر على اسرائيل هو بالحرب .

● ● ●
الاسم : محمد عبد الحميد ناصف

المهنة : ملاح
الميلاد : صنفور الوهش — مركز زقى

لازم كانت تقوم الحرب ضد اسرائيل لان مصر وشعبها عزم على أن لا يضع من أرضه شبر واحد . وهذا الكلام كان عبوة الجميع فى كل وقت ولن يستطيع أى رئيس للبلاد أن يرجع من عبوة تحرير الأرض وطرد اسرائيل .
وكان رأى أن عبور قناة السويس وكسر خط بارليف ممكن ولكن بضمان كبيرة جدا .
وكان تصميم الجندى المصرى المطالب بثار بلده هو الذى نفذ العبور وحطم خط بارليف وان مطلبنا كان هو الأرض والثار . ولهذا كنت انتظر النضر بإذن الله .
والاشياء التى شجعتنا فى المعركة كثيرة : مثل موقف الدول العربية المشرف وشن حرب البترول وتأييد الاتحاد السوفيتى بالسلاح والمعدات .
والحرب الاخيرة مع اسرائيل كانت سببا فى اننا عرفنا شجاعتنا وروحنا المنوية العالية فلا الغارات تهم ولا الطائرات تخوف .
ولكن المعركة طويلة والنضر ياتى بالمل فى انحاء العالم مع التمسك بالدين .

● ● ●
الاسم : محمد أبو الخير إبراهيم نصي

(يصرف القراءة والكتابة)

المهنة : ملاح
الميلاد : مركز الزقازيق

كنا نتوقع قيام المعركة لانها نتيجة حتمية لحرب ٥ يونيو . لكن لم يكن ممكن تحديد الموعد ولاننا نعرف بقدار قدر العدو .
وكنا نتوقع كل ما حدث . وهو كسر جمود المشكلة — وإثبتنا أننا شعب على لا قوى .
وهكت أتوقع ما حدث من الدول الصديقة ، لأن موقف الصديق يظهر فى الشدة .

رؤية شعبية لهرّب ٦ أكتوبر

تقبل السكان المعركة بنفس راضية نتيجة للنتائج التي أسفرت عنها الحرب وكذلك لما شئت من قدرة القوة المسلحة .
وأمر المجندين كانت سليمة . وكان الاب والاقارب يمشون ان يذهبوا الى الحرب لكي يشبوا انهم اعطوا للمعركة . وأنا لى اقارب كثيرة في الجبهة .
والعطاء المقدم للمعركة كساف لاثبتت أن الجماهير واعية وذلك في التبرع بالدم وجمع المال للمعركة وكذلك مندات الجهاد .
ومخاطر المعركة الكن تقلبها بنجاحة حاسمة ، وهذا ما بثت سهر الجماهير على الحراسة والابتعاد عن المخاطر .
وكل انسان كان يتقبل الدعايات المضادة على أنها خفض للروح المعنوية ولا تعمل الا سوى لعمل صراعات الجبهة الداخلية وتفتيت في الرأي العام .
الطلوب من الشعب .
ان يعمل اللازم نحو الحفاظ على ما انجزه يوم ٦ أكتوبر وتوقع المعركة في أى لحظة لان طليعة العدو الغدر .
الطلوب من الحكومة :
عمل اللازم نحو تدريب مغلبية شباب العمال والفلاحين والطلاب على السلاح .
الطلوب من العرب :
ان يلتزموا بتعهداتهم تجاه المعركة وتجاه دول المواجهة ولا يتفزعوا الى مشاكل جانبية والحفاظ على حقوق شعب فلسطين .



الاسم : شوقي أحمد محمد عبد الكريم
المنه : فلاح (يعرف القراءة والكتابة)
الميلاد : البيرود - محافظة الشرقية

في الحقيقة معظمنا ماكانش يتوقع الحرب ، لكن كان فيه في البلد ناس رأيهم أن القيادة لا يمتد توافق على استبرار الوضع على ما هو عليه ، وأن البشائر لسه جاية .
في موضوع العرب تاريخ الدول العربية بين دايا انها كانت تتخطى جميع الخلافات ولا تفكر الا في الاخطار التي بتواجهها .
وبالنسبة للدول الصديقة تمسحنا في الصديق خير دايا .
وبالنسبة للعدو موقف الانجليز والعربيين كان مفاجأة لنا .
وعن حالة الاهالي جيت اللسطة التي انتظرنا ما يفروغ صبر . فلابد أن اكسون في خدمة المعركة . لابد عمل وازود الانتاج علفشان الوصول للنصر القريب .
وأما أمر المجندين فكل أسرة تتشرف بأن لها قريب أو أحد افرادها ان ماكانش اكثر على الجبهة . وأنا لى سبع اقارب في المعركة .
المطرب : جهد متواصل . المتبرعون بالدم كثير كثير واحنا في الانتظار للتبرع وما اعرفش فيه ما جاش علينا الدور .
ولكنا مستعدين للتضحية . ودا كانت فيه طريقة للوقاية والدفاع الذنى فامنا نتجيبه ،
واذا ما غيش فامنا نقل التضحية .
في حكاية الدعايات المضادة أولا : لنا عقليمن ويطرد اى محاولة لاضعاف روحنا المعنوية ، ثم ان الافراد ضعاف الكفوس معروفين ولا تستمع اليهم ونعاملهم كهرى ، ونعرف جميع الافراد بيهم .

الطلوب عمله من الشعب :

اتباع الارشادات من الجهات المستولة
قبول زيادة من التضحيات ، وفي مواد التموين وغيرها
الوقوف ضد محاولات اضعاف الروح المعنوية

الطلوب عمله من الحكومة :

الاتصال المباشر بين جميع الهيئات الرسمية لعدم التعارض مع قرارات مختلفت الهيئات
علشان الاجهزة تأخذ تعليمات وأوامر متشابهة ولا يحصل تعارض

المطلوب من العرب :

أولاً : المسمود نسي موقفهم المشرف ، واستمراره الى النهاية التى نتمناها . ومطلوب اجراءات أكثر ضد أعدائنا .

الاسم : محمد أحمد ابن إلهيم راجح

الجهة : فلاح

نكر الصمام - مركز الزقازيق

كنت أتوقع قيام المعركة فى أى لحظة بعد طول الانتظار
كنت أتوقع النتائج من ناحية البلاد العربية والدول الصديقة
خرج السكان للمساعدة فى المعركة بدافع الوطنية .
أسر المجندين كانت روحهم المئوية عالية والكل يدعو بالنصر
الجميع قدم كل ما يملك من أجل المعركة - الكل وقف يستمد لاستقبال أى مخاطب
قام الفلاح والعامل بزيادة الانتاج
المطلوب لتحقيق النصر النهائي :
من الجبهة الداخلية تماسك وثقة بالقيادة
من الحكومة : تلبية مطالب الشعب بقدر المستطاع .
من العرب : تقديم كافة المعونة ، والمساعدة للقوات المسلحة .

الاسم : محمد عيسى التجدى سويلم

الجهة : فلاح [يعرف القراءة والكتابة]
الغاز

كنت أنتظر قيام المعركة
وفى موضوع البلاد العربية لم أتوقع هذا الموقف الرائع
وفى موضوع البلاد الصديقة أيضاً لم أتوقع هذا الموقف وبالطبع كنت أتوقع موقف المؤيدين
للعرب
وبالنسبة للسكان فأتوقع أن يقفوا هذا الموقف الرائع فى هذا الطرف العصيب .
وبالنسبة لآسر المجندين توقعت ان أرى منهم روح التضحية بالمال والنفس والدم والولد .
وبالنسبة لمطاء الشعب لم أتوقع هذا المطاء الرائع والتسهيلات التى فاقت الوصف والحدود .

الاسم : محمد فضلى فهمي

الجهة : أمين شبيب ام الزين

نعم ، كنت أتوقع المعركة لان الحرب هى الحل الوحيد والامثل لاسترداد حقوقنا
وخصوصاً بعد فشل كل المحاولات التى بذلت لتحقيق السلام .
لم أكن أتوقع النتائج من بعض البلدان العربية وذلك للسياسة التى كانت تنتهجها كل
دولة ، أما بالنسبة لدول الاتحاد فأتوقع هو ما حدث وأكثر . والدول الصديقة كان المتوقع منها
ذلك وخصوصاً بعد الكسب السيامى والدبلوماسى للقضية العربية على مستوى
شعوب العالم ومجلس الامن . أما الدول المعادية فلم أكن أتوقع منها هذه النتائج وذلك
لعدم تفهمها قضيتنا الابقوة السلاح .
كانت المعركة متوقعة من السكان ، وذلك لحالة الاستعداد المجايع لقوات الاحتياط
المصرية فقبلوا الاخيار بسكن رضى ومرور - وخصوصاً - لان مطلبهم استعادة الارض
لا أكثر من ذلك . وكان أسر المجندين يهللون بالتكبير والهتاف والدعاء بالنصر .
وقدم الجميع كل ما يمكن تقديمه ، وتحدى الشعب المخاطر ورفض كل تحد للشائعات
ووقف بالرصاد للشائعات . وأصبح هناك وعى وإدراك كامل بالمعركة .
ولى أقارب كثيرون بالجبهة .

رؤية تسمية الحرب ٦ أكتوبر

وقد زاد الانتاج بطريقة ملحوظة وزيادة الواردات والعمل ليل نهار في خدمة المعركة والجهود الحربية .
لا بديل للحرب لتحقيق النصر النهائي وهذا واضح ومعروف وبذل كل جهد وبما يشاء حالة الحرب والاقتصاد في السلع التموينية ومعرفة كل واحد واجبه حتى يؤديه على الوجه الاكمل وينظم ووعي وادراك .
وفي الجبهة الداخلية : تجهيز أنفسنا بالسلح والعمل في كل المجالات بضمسين واخلاص . وتقبل الشعب كل شيء ويعلم أننا في حالة حرب^{١٠} .
وتبذل الحكومة كل العناية وكل الجهود لخدمة المعركة^{١١} .
والجبهة الخارجية ان تصر وتستمر على هذا الموقف حتى يتم تحرير الارض كاملة وعودة حقوق شعب فلسطين المشروعة^{١٢} .



الاسم : محمد بيومي الخليل

المهنة : فلاح

البلد : بنيلوس مركز الخالديين

لم أكن أتوقع قيام المعركة في الايام التي قامت فيها .
ولم أكن أتوقع هذه النتائج . لان كل ما حدث من تحول بالنسبة للدول العربية والدول الاجنبية كان متوقفا على نتائج المعركة فغير قواتنا للضفة الاخرى من القناة كانت سببا من اسباب هذا التحول وهذا يؤكد مبدأ ان العالم لا يحترم الا الاقوياء .
تصرف السكان في المعركة كان حبيدا خاصة بعد النتائج الاولى للمعركة التي رشدت سلوك الناس .

أمر المجندين كان لديهم ايمان يقصدية المعركة^{١٣} .
قدم كل المواطنين للمعركة كل حسب جهده وطاقته ، بل وكثير من جهده وطاقته^{١٤} .
مواجهة المخاطر : كان لدى المواطنين ومازال القدرة على مجابهتها .
مواجهة الدعايات المضادة : كان للشباب الدور الاكبر في القضاء على هذه الدعايات^{١٥} .
زيادة الانتاج : كان للفلاح والمامل وكل فئات الشعب الحرص على زيادتها .
المطلوب منه لتحقيق النصر النهائي :

— من الشعب : التماسك والتلاحم وزيادة الانتاج ، والوعي والاحتفاظ بروح ٦ أكتوبر ١٩٧٢ .
— من الحكومة : القضاء على الروتين وحل مشاكل الجماهير .
— من العرب : الالتزام بقطع البترول — مساعدة الدول الصديقة للصرب — دور الارصاد العربية^{١٦} .



الاسم : سليم أبو العلا شاهين

المهنة : جناني بالتعليم الزواحي

البلد : ميت عمر

الحقيقة بتامة رينا ما كنتش أتوقع الحرب مع اسرائيل علشان اسرائيل معاسها أمريكا الظالمة بئالها وسلحتها ورجالها . . والمبور عملية صعبة ولكن ريك كريم . انتهت المعركة في نصف ساعة ميرنا قاة السويس وكسنا خط بلاريف .
وكانت وقعة الدول العربية وثقة اخوات ووقفة اخلاص سامعنا في المعركة . . وكميان سلاح قطع البترول من أمريكا واصحاب اسرائيل كان زي السلاح الذري .
وروسيا والصين شجعونا في المعركة بالسلاح وكل حاجة .
ولى في الجيش ولد منطوع ولى جوز ابنتي وكنت في قلق شوية ولكن الله سلم^{١٧} .
واقول اذا كنا خسرنا اولادنا أو تخسرهم ونكسب المعركة والحرب نكون مبسوطين^{١٨} .
وجه العيد ولم يدخل الكمك بيتنا علشان المعركة كانت هي كل شيء .
— السلام كويس وهو يلج النصر .

الاسم : السيد عبد المنعم السيد

الجهة : عامل بلقي - بيت غير
البلد : بيت غير

كنت شاكياً ان المعركة لازم تقوم مع اسرائيل لان الارض المفتصة ليد ان تسترد
ولاننا لو تركنا اسرائيل فسوف تتوسع في الاراضي العربية في السعودية والاردن
وسوريا ومصر
ولم اكن انتظر تحطيم خط بارليف وكنت انتظر العبور بس لان الجرايد عرفتنا ان خط بارليف
صعب ومحصن جداً .
وأول مساعد وسعاون لنا في المعركة مع اسرائيل هو الاتحاد السوفيتي الذي اعطانا
السلح والتأييد والسلح السوفيتي هو الذي ميرنا به القناة
وايضا فان تأييد الدول العربية والافريقية ساعدنا جداً في المعركة
وطول المعركة كانت الدعوات في كل بيت ملشان النصر لجيشنا واولادنا في الجبهة
والتيه الطلو شجاعة كل الناس ايسام المعركة وزيادة الانتاج .
ورأى ملشان النصر النهائي على الصهيونية لازم نستأنف القتال على طول على
طول .



الاسم : محمد عبده سباع

الجهة : سائق جرار زراعي
البلد : بشالوش

كنت متأكداً من حصول معركة مع اسرائيل علشان لازم تحرر ارضنا ، وأنا اعرف القنال
وارس سينا العزيزة التي مشيت فيها كثير على قديا . . وكنت متأكداً من العبور انه
سوف يتم بسلام مع انه عبور صعب لان العبور مش تخطية مياه القناة بس فيه سد
ترابي بجانب القناة وفيه خط بارليف
وروسيا بتاهتنا والدول العربية بتساعدنا وتقوا معنا
وفي المعركة كنا بخير وان كان أهالي الجنود زعلتين شوية ولذلك تأغللب البيوت لم
تعمل كلك العيد المتعاد
وفي المعركة كمان كنا عارفين ان امريكا هي سبب الازية وسبب المصائب
والنصر موش ممكن نراه الا يخطط اسرائيل والاستعمار ، والخطط هو الحرب علشان ننفض
منهم .



الاسم : محمود منصور سالم

الجهة : عامل زراعي
البلد : بركة السبع - منوبة

كل الناس اللي بتلهم كانت تنتظر المعركة مع اسرائيل علشان تحرر ارض بلادنا وقرباب
بلادنا ونضرب خصمنا الملعون اسرائيل .
والعبور وسد بارليف كنت اتوقع ان الجندي المصري سيكسح كل شيء علشان عندنا رجالة
وعندنا شجاعة واخلص وعلشان عندنا تجهيز عمره سبع سنوات .
وماكنش انتظر ابدا دخول جيش اسرائيل في ناحيتنا وكلنا زعلنا علشان هذه الدخلة
الخبينة
وفي المعركة ظهرت شمسامة العسرب ورجولتهم ، وظهر اخلاص روسيا التي مدتنا
بالسلح وكل حاجة
والحرب لم تهزنا ، وانا في اولاد في الجيش وفي الجبهة وفي اولاد جيراننا وكلهم اولادى
ولذلك لما وصلت خطابات من اولادى ولم تصلهم خطابات رفضنا عمل الكلك علشان كلنا
واحد ، وكلنا اهل .
ولازم تكون روحنا عالية ونعرف صاحبنا من عدونا فالصاحب هم روسيا والعدو هم امريكا
لمنة الله على اسمها . .
واللى اعرفه ان الحرب هو طريقنا للنصر على اسرائيل وعلى كل الظالمين *

تليق الفلاحية

نحو تقييم موضوعي لحركة الجماهير الشعبية

ربما كان أول الأسئلة التي تطرح حول هذه الشهادات : ولماذا الشهادات الواقعية من العمال والفلاحين ؟ ولماذا الاهتمام بالتعرف على رؤيتهم الخاصة لحرب ٦ أكتوبر التحريرية ، في ملابسها ، وفي ملايحها العابة والرئيسية ، وحول القوى المساعدة لبلادنا ، والمضادة لها ، على الصميين العربى والى . وما هو مطلوب لتحقيق النصر النهائي من الشعب والحكومة مما ؟

والاجابة هي : أنه صحيح ان العمال والفلاحين يندرجون تحت هذه المتولة العلمية : « الجماهير الشعبية » . وصحيح - ايضا - ان هذه المتولة يندرج تحتها - بالإضافة الى العمال والفلاحين - الصريون والمتقنون والفرائح المتوسطة والصغيرة فى الدنية ، كما تدخل فيها الشرائع الوطنية والمعادية للاستعمار من الرأسمالية . الا ان الاهتمام برؤية العمال والفلاحين - هنا - هدفه التعرف على ملامح الموقف السياسى الاساسى ، بشكل خاص - والموقف الفكرى - بشكل عام - لهذه القوى الاجتماعية التى تتميز بانها تحتل المواقع الاساسية فى الإنتاج المادى ، والتى تخلق بجهدهما الخيرات فى السريف والدنية . ولعل من الامور البديهية ، بدهذا ، ان تابين الإنتاج فى جبيع المجالات ، ورفع معدلات الاداء خاصة فى زمن الحرب ، يشكلان الارضية الصلبة التى تؤمن استمرار أى جهد عسكري ناجح .

على أنه قيل ان نثجوع فى التعليق على مضمون هذه الشهادات ، ربما تعين ان نبدا ببعض ملاحظات منهجية :

الملاحظة الاولى : هو ان مسددالشهادات التى تمثل رأى العمال يسزبد زيادة واضحة من مسدد الشهادات التى تمكس رؤية الفلاحين . ومن باب الامانة مان هذا يجعلنا اكثر اطمئنانا الى -مانستخلصه من الشهادات العمالية ، وذلك على الرغم من أن العدد الاقل من الشهادات الفلاحية يعكس ايضا رؤية صحيحة نرجح انها تمثل - الى حدكبير - موقف الفلاحين .

الملاحظة الثانية: هى ان هذهالشهادات تتفاوت فيها بينا . ويستطيع المشتغلون بعلم الاجتماع أن يروا الفروق الواضحة بين مجموع الشهادات التى تعبر من رأى العمال ، وبين الشهادات التى تنطق برأى الفلاحين . وهذا ما يمكن ان نلمسه - على سبيل المثال - فى اجابةكل مجموعة على الاسئلة الخاصة بالحركة : هل كان يتوقعها ؟ ولماذا ؟ فبينما انجبت اجابات العمال - بشكل عام - الى تقديم اسباب ذات « طابع عقلانى » مثل : « - اننا فى معركة مستمرة مع اسرائيل وأمريكا »

— أمريكا تريد حرفنا عن الطريق الاشتراكي .
— البلاد تدافع عن حقها في تحرير الأرض .
— لان الاستعداد السياسي والدبلوماسي والعسكري كان يجري منذ ١٩٦٧ .
اذ نرى بوضوح ان اجابات الفلاحين كانت مليئة بالشحنات الانفعالية والعاطفية
في تركيز على :

« الأرض المذهسوية » و « الفسار » و « الانتقام » لما حدث عام ١٩٦٧ .
الملاحظة الثالثة : هي ان الفروق توجد — مع ذلك — في داخل كل مجموعة من
الشهادات على حدة . فهناك شهادات يمكن ان نعتبرها « نموذجية » ولا تمثل
المتوسط العام لرؤية العمال ، كما ان هناك شهادات « نموذجية » ايضا ، ولا تمثل
المستوى العام لرؤية الفلاحين . ومع ذلك تظل هذه الشهادات النموذجية صادقة ،
لانه توجد في جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية ، عناصر أكثر تقدما فسي
الوعي . ولن يعجزنا ، في الواقع ، ان نجد تفسيراً لهذه الظاهرة لاسيما وانها
ترتبط — فسيما يتعلق بالشهادات المطروحة — بظروف موضوعية
محددة . فمن بين العمال ، سنجد ان العمال الفتيين وعمال الانتاج [خصوصاً
من سكان المدن الكبرى] يتميزون — بشكل عام — بوعي أرفع . كما ان من
بين الفلاحين من يتقدم في الوعي . والغالبية من هؤلاء من ينتمون الى
الاجيال الشسابة (بين العشرين والثلاثين) ، ومن يعرفون القراءة
والكتابة .

اما الملاحظة الرابعة والاخيرة ، فهي ان هذه الشهادات ربما بدت — في
الظاهر — مكسرة ، او (متطابقة سويالتي) ، لا تثير الاهتمام . فبسر ان
الواقع — في اعتقادنا — غير هذا ، لان قراءة ملخصة ، سوف تضع ايدينا على
النواة الصلبة التي تقسم ما نسميه فسي العادة بصود الجبهة الداخلية . وهذه
النواة عبارة عن الحد الأدنى من المبادئ والافكار ، او المنطلقات الأساسية
والراسخة رسوخ الجبال ، في عقلية الشعب ، والتي تشكل رؤية مشتركة
سياسية في المحل الأول — وايدولوجية في المحل الثاني — للوضع الراهن وما
يفرضه من مهمات .

فما هي الأركان الأساسية لهذه الرؤية المشتركة للعمال والفلاحين ؟

يمكن من واقع الاجابات ان نعيد ترتيبها على الوضع التالي :

- ١ — منذ ٦ سنوات تتعرض البلاد لعدوان اسرائيلي أمريكي مستمر ضاع
بسببه جزء من الأرض .^{١١}
- ٢ — لابد من استرجاع هذه الأرض لان هذا ما يحته البدا ، والشرف ، والثان
للكرامة الوطنية .
- ٣ — في هذه المعركة تصدحت المعسكرات ، يقف مع شعبنا الشعوب
العربية الشقيقة والاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية . ويقف في معسكر العدو
الاسرائيلي الولايات المتحدة ودول استعمارية أخرى .
- ٤ — تحرير الأرض مسكن مهمها غلت التضحيات . وذلك بفضل :
— بطولة القوات المسلحة وحسن تدريبيها .
- ثبات الشعب وارتفاع روحه المعنوية وقدرته غير المحدودة على العطشاء
والتضحية .

- وقوف الإنسانية المحبة للعسجل والحرية بجانب قضيتنا .^{١٢}
- قدرة الدول العربية على الضغط على المصالح الاستعمارية .^{١٣}
- ٥ — البرنامج اللازم لتحقيق النصر النهائي .
- ٦ — في الداخل : **حماسية الوحدة الوطنية وهذا يعني :**
— مزيد من توعية الشعب بالمسكة وظروفها وأساليب خداع الاعداء فيها .
— تسليح الشعب وخلصه شيباب العمال والفلاحين والمتقنين .
— زيادة الانتاج ومواصلة النساو والتعمير في ظل المعركة .
— حماية الشعب من المستغلين الذين يتاجرون في مواد التعمين الأساسية
والمساواة في التضحية بين جميع الطبقات .^{١٤}

٢. في المجال العربي :

— حماية التضامن الذي تحقق منذ ٦ أكتوبر ودفعه الى الامام من اجل المزيد من مساهمة الدول والشعوب العربية .
— مواصلة الضغط على المصالح الاقتصادية للابريالية .

٣. في المجال الدولي :

— دعم علاقات الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية والافريقية .

هذه الرؤية الشعبية في نقاطها المحددة هي التي تمثل — في اعتقادنا — الموقف الحقيقي والراهن للجماهير العمال والفلاحين ، وذلك على الرغم من ان حظها من الوضوح والتكامل قد تفاوتت من طبقة الى طبقة ، ومن شريحة اجتماعية الى شريحة اجتماعية داخل هذه الطبقة اوتلك . لكنها تمثل الموقف العام والمناخ الرئيسي التي تحكم الحركة وردود الفعل في مراكز الانتاج العمالية والفلاحية . وهذه الرؤية تتميز بانها « واقعية » ، وان ابرازها — كما هي — وبدون تهوين او تعويل ، من شأنه ان يستبعد في الواقع مفهومي « خاسطين » عن « الجماهير الشعبية » .

المفهوم الاول : هو وجهة النظر المحافظة والرجعية التي لا ترى في الجماهير غير « الدماء » و « السواد » ، والكتلة الصماء التي لا تؤثر تأثيرا يذكر في مجمل التطور الاجتماعي .

المفهوم الثاني : هو المفهوم الرومانسي الذي يجرّد « الجماهير الشعبية » من اطار الامان المحدد والمكان المحدد ، وينسب اليها القدرة على صنع « المعجزات » و « الخوارق » دون ان تتوافر الظروف الموضوعية او الذاتية التي تؤهلها لذلك .

اما التصور الاول الذي يقلل من فاعلية القوى المنتجة في المجتمع ، وعلى راسها العمال والفلّاحون ، فيمكن تقنيته بالاستناد الى الحقائق الغالبة التي اصبحت منذ عدوان يونيو جزءا من حياة الشعب .

الحقيقة الاولى : هي ان الحرب تعلم للناس العاديين السياسية ، وتقلع هذ بطرقة مكتنة للغاية . فالتناس البسطاء من العمال والفلاحين تدنسوا وتربوا على التعلق بحب التراب الوطني وربطوا بين هذا الحب وبين قيم الشرف والكرامة كما يمارسونها في حياتهم . . . وعندما تعرض الوطن للخطر بعد هزيمة يونيو ، اصبحت هذه القصة شغلهم الشاغل ، او « غيرة كل الناس » كما يقول احد الفلاحين . . .

وعندما شرعت البلاد تعد نفسها لتخوض معركة التحرير كان العمال والفلاحون في مركز هذا الاعداد وفي بؤرته الرئيسية ، بحكم موقفهم الرئيسي من الانتعاج . فالعمال الذين عملوا للجبهة وللقسوات المسلحة ، وبنوا قواعد المصاريع ،

والفلاحون الذين طلب اليهم مزيد من الانتاج من اجل القضية . والذين انخرطوا والفلاحون الذين تدربوا في الجيش الشعبي والدفاع المدني ، والذين انخرطوا في صفوف المقاومة الشعبية ، وقبل ذلك ارسلوا ابنائهم واخوتهم واتارهم الى جبهة القتال ، كل هؤلاء قد جذبتهم بمسكرة التحرير ، والحرب ، الى السياسة بقوة لا تقاوم ، وفرضت عليهم ان يحددوا مواقفهم العسكرية والسياسية ولقد فعلوا هذا بطريقة ، وعبروا عنه ببسط الكلمات اشدّها تركيزا ، واكثرها بدءا عن التصنع والافتعال . وعنتها جاءوا الى السياسة فقد تعلموا كل الدروس من المعسكرات الحليفة والمعادية ، وعن دور التضامن العربي ، وسلاح البترول ، وحقوق شعب فلسطين ، وزيادة الانتعاج ، والرغبة الصادقة في السلام الذي يؤدي الى التحرير . وكما قال احد الفلاحين « كل المطلوب العدالة » .

وعندما جاءوا الى السياسة ، رتبوا لانفسهم مطالبوا بحقوق المشاركة والمساواة والرقابة ، وفعلوا ذلك ، في اكثر من موقف ، بطريقة ايجابية .

الحقيقة الثانية : هي انه مرت بمصر ، بعد ٥ يونيو ، لحظات حرجة هائلة ، لم يكن من الميسور اجتيازها ، الا بفضل انضباط اوسع الجماهير الشعبية ، وفي مقدمتها جماهير العمال والفلاحين . ولنذكر رفض الشعب للوزمة وتصحية للدفاع عن بقاء النظام الذي اقامته ثورة يوليو . ولنذكر قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، ان الامن الداخلي كان في ايام ١٠، ٩، ٨ يونيو ، وما قبلها ، في حماية حقيقية

بفضل الحركة الهائلة والتلقائية التي قامت بها جماهير العمال والفلاحين وغيرهم من الجماهير الوطنية . ونستطيع أن نستطرد إلى أحداث أخرى هائلة مرت ببلادنا . لكن يكفي أن نذكر مظاهر الانضباط الذاتي المفوي للجماهير وهي تسنم لبنان المبور إلى ميناء . هذه المظاهر التي يعبر عنها الشهادات الواقعية بمسارات « التماسك » و « السوعي بالمعركة » وحماية الجبهة الداخلية من الاضاعات والإذاعات المعادية . وربما نذكر في نهاية هذا ، شهادة المسؤولين عن الأمن وتولهم بأن أقل الأحداث أخلاقاً بالأمن كانت في أيام المعارك .

الحقيقة الثالثة : هي أن ما قدمته جماهير العمال والفلاحين من عطاء يؤكد أنهم يقنون عند مستوى من الوعي السياسي بمصالح الوطن العمامة ، يمثل ضماناً حقيقية لاستمرار المارك المسلحة ضد العدو . أن اهتمامهم بزيادة الإنتاج ، وتزاهلهم المؤقت من تقديم مطالب جديدة ، والعمل المطوع ، والانخراط في صفوف المقاومة والجيش الشعبي ، كل هذا يشكل جانباً من الفعالية الهائلة الكامنة في أعماق هذه القوى المنتجة .

وأخيراً ، فإن مهال مصر وفلاحها لا بد وأن ينظر إلى حركتهم ، وإلى ردود أفعالهم نحو معركة التحرير ، في الإطار التاريخي العام ، ويعتبرهم يمثلون غالبية هذا الشعب الذي لم يفتخر في داخله تجارب الكفاح ضد المستعمرين والمستغلين فحسب ، بل ترى أيضاً هيسر آلاف السفين ، في ظل حضارة مريقة تعلو من سان العمل الإنساني وتقدس ، وتفضل السلم في ظل الاستقلال والتحرر .

ومن كل ما تقدم يمكن القول بأن الجنود والضباط بشجاعتهم وبالأعمال الجيدة التي قاموا بها ، إنما هم الأمتداد الحقيقى للجماهير الشعبية ، وللمسايين من العمال والفلاحين ، وأنهم أذ يدايعون من حق هذه الجماهير في التصور والتقدم ، إنما يمثلون ذلك تحت المظلة التي تنشرها الجماهير الشعبية عليهم :

بغلة الإنتاج ، والأمن والعطاء هيسر المحدود .

وإن إبراز هذا الدور للجماهير الشعبية والتأكيد عليه ، هو فضلاً عن أنه تأكيد لحقيقة ملية ، يعد الشرط الرئيسى والحاسم في تحقيق النصر النهائي على الصهيونية والإمبريالية .

على أن الحقائق التي أشرنا إليها لا يمكن أن تعطينا أيضاً من نقد التصورات الرومانسية التي تذهب إلى أن الجماهير الشعبية قادرة بحركتها العنوية أن تفعل كل شيء في كل زمان ومكان .

والواقع أن فعالية الجماهير الشعبية في حسم التطور لصالح التقدم تضيق وتتسع وفقاً للظروف الموضوعية والذاتية السائدة . ونستطيع من خلال الشهادات المنشورة أن نؤكد على بعض هذه الظروف :

١ - فلا أحد - مثلاً - يستطيع أن يزعم أننا استشرنا بكيفية جيدة وكاملة الامكانيات التي لا تحد من استعداد الجماهير المحلية والسلاحية لسريادة الإنتاج ، وللتغلب على معوقاته ولابتكارات بل آلاف الحلول الذاتية لمشكلات تتجدد بتجدد الحياة نفسها .

٢ - ولا أحد يستطيع أن يزعم أن الطاقة الهائلة لهذه الجماهير الشعبية التي يشبهونها أحياناً بقوى الطبيعة الجبارة ، تجد المنافذ والقنوات للتظهير اللازمة التي تسوهم حركتها اليومية وتسردها ، ويستفيد من رقابتها الفعالة في ضرب أي اشاعة أو حركة معادية ، وفي القضاء على السوق السوداء .

٣ - ولا أحد يستطيع أن يزعم أن الحماس الوطنى السائد في الجماهير - الذى يستطيع أن يحرز الجبال - قد أحسن استغلاله ليقيم الشعب بعملية عبور أخرى هائلة ، نحو تصفية الأمية ، والقضاء على الأمراض المتوسطة ، ورفع مستوى الأداء ، ونشر الثقافة العلمية والتكنيكية .

٤ - وعندما نستمتع إلى بعض الشهادات وهي تؤكد على أن قيتا جديدة تسود العلاقات بين المواطنين قد ولت في ظل المعركة ، فإن أحد لا يستطيع أن يزعم أننا قد أخذنا وضع الاستعداد لأطلاق مبادرات الجماهير انطلاقاً من الثقة بأنها تتحلّى بالفعل بروح المسؤولية في بنساة الوطن والحفاظ عليه ، وهي الروح التي تؤكد حقها في أن تفتح بثمار « التعليم العصري والثقافة الديموقراطية » .

« الملطمة »

تتابع الأحداث

ودلائها

سعيد خيال

القتال في بعض الاوقات . كان ضغط الجماهير مارما من اجل المعركة . دون حساب للنتائج ولا عيب في هذا ، فواجب الجماهير ان تقاتل لتصفية الاحتلال مهما كانت التضحيات . اما الحسنيات والتنظيم فمسئولية القيادات .

ان الثقة والحصانة وشجاعة الجنود والضباط لا تصنعها الاناشيد والمقالات وخطب المنابر .. ان اسبيلها الحقيقية تكن في نظري في عملية التحول الاشتراكي . فقوانين اصلاح الزراعي ، وتأييم الرأسمال الاجنبي والمصري المستقل تدفع من المواطنين انتقل نير للاستغلال والتحكم . ومضى الوقت الذي كان يستطيع فيه احد ، ايا كان ، ان يخل المواطن نفسه اشد انتقام . بخلاف لهذا انتشار الثقافة والتعليم ، وكثرة

والانفتاح الرأسمالي . وثار الخلاف حول المتغيرات الدولية ، واهمية العلاقة مع الاقتصاد السوفيتي . وكفاءة السلاح الذي بدنا به . كنا نواجه مراجعة نه كل الاسس .

في ٦ اكتوبر وقعت المفاجأة . واهتز العالم كله امام النجاح العظيم في عبور المانع المائي والاستيلاء على خط بارليف الحصين . وليس مثل النجاح حافظ على التقدم . رفع المصري راسه الذي اثقلها طويلا هزيمة سنة ١٩٦٧ ، ولا أقول عادت الثقة ، فجماهير الشعب كانت على الدوام مستعدة للبذل والتضحية ، واثقة من توافر ابكيات تحقيق النصر الحاسم .. لم يكن الشرخ في الثقة ، واتها كان في الكبرياء ، ومن هنا كان الاصرار على خوض المعركة .. ولعل ما حير الناس كثيرا هو التعارض بين هذه الثقة وما بدا من تردد وانصراف من

لماذا لم يكن احد يتوقع الحرب ؟ .. فباستثناء القيادة طبعاً لم يشعر احد في مصر ولا خارج مصر بان المعركة وشيكة الوقوع . ويقول الدكتور هنري كيسنجر في حديثه مع الأستاذ محمد حسنين هيكل .. « قبل ٦ اكتوبر ، كانت كل معلوماتنا تستبعد احتمال قيام الحرب » .

وهذه شهادة على ان التنبؤ وكتبان الاسرار العسكرية كان محكما . والحرب خدمة كانوا .. ومع ان التنباس كانوا يصفطون طيلة السنوات الماضية من اجل معركة التحرير ، الا انه لم يظهر ما يسدل على الاقتراب منها ، وكل الظواهر كانت تنبئ بانها لا تزال بعيدة الاحتمال . كان الناس في مصر مشغولين بالجدل حول مسائل داخلية جرتهم اليها اومساطر رجعية . فكثرت الشد والجذب حول موافيق الثورة والتحصيل الاشتراكي

المتصلمين ؟ جامعين ؟
جامعين في صفوف الجيش .
هذا هو المصري الجديد الذي
اعتز بنفسه حين بنى المسد
المائي وفيه من المشروعات
والذي خاض حرب أكتوبر في
بطولة شهد بها الأعداء ، وحقا
كانت الشهادة .

تتخطى الأجسام والأوزان .
وما فعلته البحرين ، حيث انثرت
الولايات المتحدة بضرورة تصفية
قاعيتها هناك ، غربة قوية
للأميرالية الأمريكية ، تعزز بها
البحرين استقلالها وتحرر
أرادتها .

بلاد البترول التي بدأت تقس
أقدامها على الطريق الصحيح
المؤدي إلى تطهير الوطن من
نفوذ الأميرالية وتخليصه من
استغلال الاحتكارات الدولية ،
وتدعيم الاستقلال الحقيقي
السياسي والاقتصادي .

وفي سوريا ، كما في مصر ،
حباس الشعب وعطاؤه كان
بغير حدود . . هاجم الجيش
السوري ودافع في قتال بطولي
وبشجاعة ومضحية شمت انتظار
العالم كله إليه ، وبخاصة في
مراحل الاستيلاك رجلا لرجل
بالسلاح الأبيض .

يبقى بعد ذلك تقييم دور
البلاد المحافظة أو دول البترول
.. المملكة العربية السعودية ،
والكويت ، ودولة الإمارات الخليج
.. ان أهمية موقف هذه البلاد
لا يتحدد فقط باستخدام سلاح
البترول على قوته ، انها بلاد
تربطها بالولايات المتحدة علاقات
وثيقة ، سياسية واقتصادية
وعسكرية . . وكان في حسابات
الولايات المتحدة انه اذا قامت
الحرب فستتحرك هذه البلاد . .
نعم . . لاستحالة الحياد وعدم
التعاطف . . ولكن تبقى حركتها
مظهرية لا تخرج على الصداقة
والولاء ، ولا تمس المصالح
الاستراتيجية . . وحدث ما لم
يكن في الحساب . . تهردت
هذه الدول على الولايات المتحدة
وحرمتها هي ومؤيدي اسرائيل
في الحركة من البترول . .
وانقصت استفراجه بقيمة الربع
انقصت أرباح الشركات . ضربة
مزدوجة . والخطر من ذلك ان
هذه البلاد تمسك في أيديها
المصالح الاستراتيجية الأمريكية
وتلوح بالاتجاه إلى الشرق . .

ومما لا شك فيه ان الشعوب
الشقيقة في هذه البلاد تشمر
بنفسوة الاستغلال الاجنبى
لثرواتها ، وتطلع لتحسين
معيشتها وتقسم أوطانها ، وهم
بداية يتابعون نجاح اخوانهم في
مصر وغيرها من البلاد الخيرة
كما ان جنودهم وفسباطهم
والخفيفين لا يطلون من زملائهم في
البلاد العربية من حيث تاجع
الشعور الوطني والمصالح
المصرية . . وأما الرأسمالية
الوطنية فقد عانت كثيرا من
تقلبات سعر الدولار وانها في
مركزه الدولي .

نستطيع ان نقرر ان
هزيمة سنة ١٩٦٧ - وان كانت
لا تزال جانبية على الأرض - الا
ان آثارها قد أثرت تماما من
نفوس المواطنين في مصر
وسوريا وباتى بلاد العرب . .
وبالتالى فإن قوة استمورية
معلقة قد أطلقتها حرب أكتوبر .
فيها الضهان ، وفيها الأمان ،
والويل لمن لا يحسب لها ألف
حساب !

التضامن العربي :

تضامن لا يقاس بحجم
الأسهم والمساعدات . . لأن
العدالة التي تقول من كل حسب
قدرته ، وينتهي إلى فساد
التقدير . وعلى سبيل المثال فإن
دور الجزائر - رغم عدم معرفة
تقدير الناس له لما هموا ان
العراق منبأ سبع من الإذاعات
بقيام العرب ، لم يتردد في
إرسال قواته إلى الجبهة
السورية لا لكسر الهجوم
الاسرائيلي المضاد ، كذلك فإن
وضع اليمن الشعبية ميناء عدن
تحت تصرف البحرية المصرية ،
ومشاركتها لها بقواتها في قتل
مخسني باب المنجب له أهمية

وتضغط لاسترجاع القدس
العربية والانسحاب وحقوق
شعب فلسطين . وبذلك توحّد
الموقف العربي من المحيط إلى
الخليج ، وجب في قوته واثرة
الوحدة الدستورية . . واتسع
ميدان المعركة كما يجب أن يتسع
لأن المعركة لا تنحصر في قتال
اسرائيل ، وانما تشمل المصالح
الأمريكية التي تحرمها اسرائيل
والتي هي سبب هذه العلاقة
الخاصة بينهما .

ولعل هذه العوامل تفسر ؟
ولو إلى حد ما ، تحدى دول
البترول لأمريكا . فهل تسكت
الولايات المتحدة على هذا
التحدى . . لا بد ان ننتفض
- طلبا لليقظة والحرص - انها
لن تفت مكتوفة اليدين . وهنا
تبرز أيضا أهمية الوحدة الوطنية
الديموقراطية والتضامن العربي
الكامل .

وعلى الصعيد الدولي :

كان مجلس الأمن مسرحا
سياسيا يعكس إلى حد كبير
حقيقة الأوضاع في ميادين القتال
كما يكشف عن حركة موازين
القوى الدولية .

أمام نجاح الهجوم المصري
والسوري ، طلبت الولايات
المتحدة من مجلس الأمن ان
يصدر قرارا بوقف إطلاق النار ؟
والعودة إلى مفاوضات .
ويصل هذا على ان الموقف
العسكري في الجبهة حينئذ في
غير صالح اسرائيل .

ولهذا التطور أهميته بالنسبة
للمستقبل . فقد كشف عن
فاعلية حركة التحرر الوطني في

وفي ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٣ صدر من المجلس القرار رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار والفخول في مفاوضات سلام تحت الاشراف الدولي لتقلية سلام عادل في المنطقة ، بتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة

١٩٦٧ بحدافيره . ويمكس هذا ان التتسلل مسلحاً وإلى نفس الوقت يدل على ميل الميزان في صالح العرب وضد اسرائيل .

لم تحترم اسرائيل وقف إطلاق النار رغم قبولها للقرار ، وبمساعدة الولايات المتحدة خاصة في الطيارين ، استمرت تزحف في الجولان وغرب القناة . ولما طلب الرئيس السادات من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ارسال قوات لراقية وقف إطلاق النار ، وافق الاتحاد السوفيتي ورفضت الولايات المتحدة . ورفضها طبعاً كان بهدف مرقلة الجهود الدولية ، واتاحة الفرصة لتوغل اسرائيل

وفي صباح يوم ٢٥ أكتوبر ، أصدر الاتحاد السوفيتي اذاره الشهر بلغة وحشية ، كما قال بعض المسؤولين والمثليين الأمريكان ، وأعلن أنه سيتدخل لردع العدوان ، وتنفيذ قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار . وجاء في خطاب برجنيف في اليوم التالي امام مؤتمر السلام ، ان الاتحاد السوفيتي ارسل رجسالة ، تلبية لنداء الرئيس السادات ، لم يتفق التهديد الذرى وأعلان حالة الاستعداد القصوى بين القوات الامريكية في جميع أنحاء العالم . فراجع الأمريكان ، وأصدر المجلس قراره رقم ٣٣٩ يوم ٢٥ أكتوبر ، بضرورة التقييد بوقف إطلاق النار والانسحاب لمواقع ٢٢ أكتوبر يوم صدور القرار لأول المصار اليه . ولكن تصادى المواجهة النووية .

وينكرنا هذا بما حدث عام ١٩٦٧ ، حيث كان لوقف الاتحاد

السوفيتي الأثر الحاسم في وقف زحف اسرائيل عند البر الشرقي للقناة . وهذه حقيقة أكدها الرئيس الراحل جونسون بتصريحه يوم ١/٢٨/١٩٦٨ ، قال :

« انه خلال حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، تم استخدام الخط التليفوني المباشر بين البيت الأبيض والكرملين لأول مرة في التاريخ ، وأنه أمكن تحقيق وقف إطلاق النار دون مواجهة بين الدول الكبرى » .

ان تتبع ما جرى في مجلس الأمن على النحو السابق ، يومسكتنا لنتيجة تلخص في الحقيقة النجاح الكبير الذي حققته حرب أكتوبر . وليبيان ذلك تشير الى ما كان منذ هزيمة سنة ١٩٦٧ ، لقد صدر القرار رقم ٢٤٢ ، لكنه لم يوضع موضع التنفيذ ، رغم جهود السفير جونار براونج ، ثم لجنة الاربعة الكبرى - الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا - وقد عطلتها الولايات المتحدة بمقاطعة الاجتماعات .

وتعرض القرار رقم ٢٤٢ لحاولات الطمس والنسيان ، ورغبت اسرائيل شمساعها بالمفاوضات المباشرة دون شروط مسبقة ، والمقصود دون التقيد بالقرار . وأيدتها الولايات المتحدة ، بحجة أنه لا يمكن فرض حل من الخارج . . وردت على الجهود السلمية المصرية ، فأوصت في وجهها الباب قاتلة ان على المهزوم أن يدفع الثمن .

اين نحن من هذا الآن ؟ . . لقد عدلت حرب أكتوبر الميزان ، وعسلدت اسرائيل والولايات المتحدة الى صوابها ، بطي الذراع وللى العنق . فاعترفتا قسراً بالقرار رقم ٢٤٢ ، هذا انتصار كبير لنا . . للحق والعدل والسلام .

ولم تلتق الحرب ؟ لأننا في مرحلة وقف إطلاق النار ، وتمتع مصر والعرب لمحدثات مؤتمر السلام ، متمسكين بالانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة ، والحصول على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

في هذه المرحلة سسكت السلاح ليسدا الحصار تحت الاشراف الدولي المناسب . وسيكون الحوار قويا متمسكا بأهداف العرب ، ما دام يدور في ظل قوة السلاح . وممسكاً قوتنا نحن العرب معروفة . . منها سلامة قوتنا واستعدادها الدائم لإدارة الحصار بالنسر ، ومنها وحدة وطنية بلا ثغرات ، وليست هي وحدة الصمت وانها وحدة بالديموقراطية على حسب الظروف ومتنضي الحال ، ومنها حزم الضمان العربي وصلابته والتخطيط لامكانياته الكبيرة الانتصافية والتجارية والسياسية ، والمسكرية ، واستخذابها بشعار « نعددين يعادينا ونساق من يصادفنا » ، ومن أجل التخلص من السيطرة الأجنبية . وقوتنا ايضا في تعزيز المصادقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الاشتراكية ، من أجل التحرير . . وكذلك في تعزيز التعاون مع بلاد افريقيا العظيمة ، وكتلة صدم الانحياز وغيرها .

ان معركتنا الأساسية نحن العرب لا ترال قائمة ، وتحقيق النجاح ممكن تماماً اذا تمسكنا بأسباب القوة وتركنا أسباب اللفرقة والانتقام .

وان واجب جميع القوى الوطنية وقيادات الرأي العام أن تلتقي لتبادل الرأي فيما يجب عمله ، ووضع خطة عمل وتحركاً ثابتاً للحق العربي . ولا يجوز ترك القضية كلها على كاهل القبة العربية ، لان الشعوب في عصرنا هي مسائمة المجزأت .

موقع أفريقيا من الصراع العربي الاسرائيلي

بعد ٦ أكتوبر

دعوة للحوار

حسين شعاعن

عملية لا تبدأ في هذه المرحلة - عند الطرفين - من نقطة الصفر أو فوق موقع شفاف لا ظلال عليه . بل أنها تبدأ بالفعل من « جغرافية » معقدة ومتشابكة لحل أبسط تعقيدات ميراث ونتاج أكثر من ١٥ عاما . فيها من الإيجابيات والسلبيات لكل طرف ما تلزمه بالدراسة الدقيقة ، وهي دراسة ذات مطلبين متناقضين : عبق وشمول الدراسة وسرعة الاستنتاجات لوضعها في التطبيق .

ومفترق طريق المواجهة المنتهية ، سوف تبدأ عند محطيات الموقف الراهن :

❶ ان إسرائيل لن ترضى بقبول الواقع الحالي . وسوف تسارع بالعمل على أن تكون بداية المواجهة من منطلق له ملامحه المختلفة .

❷ ان العرب لن يفرطوا في الوهن الحالي ، وسوف يتشبثون بالحفاظ على المعنى السياسي للموقف الحالي كبدية لمنطلق لتأفاق وملاحم أبعد .

على أن محصلة إدارة الصراع من حول هذين الموقفين ، سوف تكون لحساب الطرف الذي يستطيع من الآن أن يتوصل الى تصور استراتيجي أدق على ضوء احتمالات « ما بعد مؤتمر السلام » وليس على ضوء ما قبل ذلك .

وأول دواعي العمل على وضع مثل هذا

على عكس ما يتصور البعض ، فإن أقدام ٢٩ دولة افريقية على قطع [أو تجميد] علاقاتها بإسرائيل ، يعني - في رأيي - البداية الحقيقية لانتهاء الصراع العربي الاسرائيلي فوق أراضي القارة . ذلك أن افريقيا كانت - وسوف تبقى - ساحة أساسية لجريبات هذا الصراع ، وحلقة هامة من حلقاته . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن مسار علاقة افريقيا بأحداث الصراع العربي الاسرائيلي ، هو بمثابة ترمومتر لا يخطئ في التعبير عن مدى اقتدار كل طرف في هذا الصراع ، على إدارة مسار هذه العلاقة وفق حسابات دقيقة لمصالحه ، أو على حساب مصالحه .

وقد يعتقد البعض أن « البداية المنتهية » التي نضعها تمود الى مجرد واقع قطع العلاقات القائم الآن . لكن ربما كان من مخاطر هذا الاعتقاد أن يبقى أسير « التهازل » الحاضر دون أن يبتلك من « بعد الرؤية » ما يؤهله لتصور استراتيجي تجاه تطورات متغيرة سريعة الإيقاع . ذلك أنه من المتصور أن تتخذ « جغرافية » الصراع العربي الاسرائيلي ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، فوق الساحة الافريقية ، ملاحم جديدة سوف تمسك بالضرورة المعطيات المفترضة لمؤتمر السلام ، المحتمل انعقاده بحضور أطراف متعددة منها طرفا الصراع الباشران : العرب وإسرائيل .

ويؤكد من حدة التهازل هذه المواجهة ، أنها

التصور ، يتطلب ضرورة تجنب - بل إننا - بعض المفاهيم أو المعاني التي ربما تدخل في إطار « الدعاية » ولكنها بالتأكيد لا تدخل في إطار « مسئولية سياسية » جادة كذلك المسئولية .

ومن أمثلة هذه المعاني أو المفاهيم ما صاد كثيرا من التعليقات التي عالجت الموقف الامريكي الأخير .

فالحقول - مثلا - بأن إسرائيل قد تلقت ضربة قاصمة في افريقيا لن تقوم منها « قول يستجيب لأغراءات العمل الدعائي حين يظن حط انفسنا نخاطب انفسنا لننقع انفسنا » ، أو اننا نخاطب عقولا على درجة أقل من الدراية ! . لأن مثل هذا القول يقلل - دونما مبرر كاف - من أعمال وجهد كبيرين قام بهما العدو الامرياني . حسومات اعتدت أكثر من ١٥ عاما استطاع خلالها أن ينسج في بعض المواقع علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية قوية نفخت الى ما هو أكثر من السطح . وهو قول يبالغ - من جهة أخرى - في تصور « اللحظة الحالية » ليحمل منها « زيانا » كاملا لا يتحرك . انه يخطئ - آخر الامر - بين فهم موقف « قطع العلاقة » وبين فهم موقف « سحب الاعتراف » فقطع العلاقة وضع « كمي » مؤقت يمكن أن يتصاعد - بشروط - ويمكن أن يتراجع بشروط . أما سحب الاعتراف فوضع يفيد بتغير « كيمي » يمكن منه ان تقوم بالضربة القاصمة .

والقول بأن الدول الافريقية قد اتخذت موقفا بعد ان تبين لها الزيف الاسرائيلي وهداهه يقول يستجيب لعنون العلاقات « الشخصية » لا لعنون العلاقات « السياسية » بين الدول . فمصر - مثلا - عندما اتخذت قرارها في عام ١٩٦٧ بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع امريكا ، لم يكن ذلك بسبب « الزيف والخداع » الامريكي . بل كان موقفا مصريا محددا في مواجهة موقف امريكي محدد يهدف الى تحقيق اغراض مصعدة . والخداع والزيف ، الفاظ لها معاني نسبية تختلف من فرد لفرد ، فما بالك من دولة لدولة . لكن خطورة مثل هذه الأقوال ، لا تكمن في مشكلة عدم القدرة على اجداد التعبير بانتقاء اللفظ ، ولكن في كونها انعكاسا لمفهوم في العمل السياسي تغيب عليه مقاييس « التسطيط » ، والخطأ بين الموقف « الذاتي » والموقف « الموضوعي » .

ولعل أكثر هذه الأقوال « قصورا » عند الحديث عن « حول مستقبل العلاقات الاقتصادية مع دول افريقيا » ، القول الذي ينفذ اقسامه

العلاقات الاقتصادية على أساس « تصنيف قوامها » من العلاقات السياسية » ، ويذهب الى حد اعتبار أن هذه الأساس السياسية كانت « أحد العوامل التي تركت أثرا سلبية على العلاقات بيننا وبين الدول الافريقية بعد ذلك » . ثم يضع هذا القول تصوره : « أن تقوم العلاقات على أساس اقتصادية وبعبدا عن التقلبات السياسية التي كثيرا ما تضر أكثر مما تنفع » !!

والواقع أن مثل هذا القول ينكرنا - لمجرد التشبيه - بالاتجاه الاقتصادي في الحركة النقابية . فضلا عن أنه من المستحيل أن نزل بين العلاقات الاقتصادية والعلاقات السياسية ، فإن هذا القول لم ينضج بعد لمستوى رؤية أن العلاقة الاقتصادية نفسها هدف سياسي ولحظة أهداف سياسية . وهي كذلك في كل النظم سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية . والفرق الوحيد يكمن في نوع الأهداف السياسية التي تخفيها العلاقة الاقتصادية . أما إذا كان المعنى الذي يهدف له هذا القول ، أن نقيم العلاقات الاقتصادية مع النظم المستقرة وحدها وبغض النظر عن نوع هذه النظم وطبيعتها ومواقفها . . الخ ، فذلك هو الخطر بعينه لأنه مع مفاهيم هذا المنطق سوف نجد انفسنا نطرق أبواب جنوب افريقيا - جلا - حيث الطرق ملغوبة ومتغيرة بل ومضمية . ويتجاهل هذا القول - كذلك - أن العلاقة الاقتصادية ليست رغبة طرف واحد ولكنها رغبة طرفين . وحتى أن افترضنا إمكانية أن تتصل بين أهدافك السياسية وبين علاقاتك الاقتصادية ، فإن الطرف الآخر لن يفعل نفس الشيء . اللهم الا اذا كان ذلك القول دعوة خلفية - جدا - الى تغيير في أوضاعنا السياسية نفسها . وهذا شيء آخر .



على أية حال ، فإن الأهم - الآن - هو تلخيص الخطوط العامة لتصور أهداف « مرحلة ما بعد ٦ أكتوبر » في المجال الافريقي سواء على الجانب الاسرائيلي أو على الجانب العربي ، وأخصمين في الاعتبار - كضرورة - العمليات المفترضة المؤتمر السلام المحتمل .

ومن الأهمية هنا الاعتراف مقدما - من باب اقرار الحقيقة أن ذلك جهد يفوق جهد أي فرد مهما بلغت درايته .

وجهة نظر

ولعلنا نعلم بأن بداية وضع تصور للأهداف

تتطلب تقييم ورصد أسباب ونتائج الموقف الإسرائيلي الذي اتخذ صورة قطع العلاقات - أو تجديدها - مع إسرائيل .

حين نصلو لذلك ، لابد أن نذكر هنا أن معظم الكتابات التي تناولت هذه الأسباب ، قد ردت إلى أسباب «خارجية» . وذلك مقولة خطيرة لأنها - دون أن تدرك - لا تؤمن بقدرات حقيقية للحياة السياسية العامة في القارة ، وبقناعات إيجابية ممكنة لمنظمة الوحدة الإفريقية . بل تكاد لا تؤمن بالقبة الحقيقية لما أنجزته مصر في ٦ أكتوبر وتأثيراته الإيجابية على مجريات الأحداث - فترة يردون الموقف الإسرائيلي إلى «تأثير أمسوال عربية» - مرة ثانية إلى «تأثير وقف فرنسا أو بريطانيا» الذي تجنب اتخاذ مواقف منحازة لإسرائيل - مرة ثالثة إلى «محاولة رؤساء بعض الدول الإفريقية تجسيد مساعدات دول عربية لبعض حركات التحرير الإفريقية العاملة ضده» - مرة رابعة إلى «وعود مغرطة في الإفراء» . الخ .

قد يكون هذا السبب أو ذلك - بشكل جزئي تماما - له دوره أو تأثيره - إلا أن القول بأن تلك هي الأسباب الحقيقية ، فيه تبن كبير على كثيرين يقدروا فيه من التجني على أنفسنا .

الواقع أن هناك أسبابا هامة - شاركها مع غيره من الإفريقيين في صنع خلفياتها خلال سنوات طويلة - وهي جميعها ، قد شكلت الإطار المرنى للمواقف الكائنة وراء الموقف الإفريقي - ككل - وبعض النظر عن كثير من التفاصيل .

فأولا : المناخ السياسي العام في إفريقيا اليوم ، يختلف كثيرا من مثيله في ١٩٦٧ ، حيث كانت المهجمة الاستعمارية الضادة تطبع بمصيبتها كثيرا من ملامح الصورة الإفريقية السامة ، وذلك في مسمط من عدم الاستقرار السياسي . وعلى امتداد السنوات الماضية ، وبسبب بعض الظلال ، استطاعت حركة التحرير الوطني الإفريقية وخاصة في مواقع الكفاح المسلح ، أن تحرز انتصارات وتقدم ملحوظا ، فقد نجح عدد من الثورات الوطنية في تولي السلطة - ويجب أن نركز هنا بشكل خاص - بالنسبة لوسط وشرق إفريقيا - على التأثيرات الإيجابية البارزة للتطورات التقدمية للثورة في الصومال وفي الكونغو برازافيل ، وشروها في أنجاز تطبيقات محلية لمساهيم ومبادئ «الاشتراكية العلمية» . وكذلك فشلت

محاولة الغزو الاستعمارية ضد غينيا وأثر ذلك . كما أنه يعد عام ١٩٦٧ ، اندلعت حركة الكفاح الوطني المسلح في بومبيسا . وأحرزت حركة الكفاح المسلح في موزمبيق وأنجولا بعض الانتصارات الهزئية . على أنها لم تكن غينيا «بيساو» تمكنت من تحرير معظم أراضي غينيا وأعلنت قيام الدولة الجديدة التي سارعت كثير من الدول إلى الاعتراف بها .

ويكفي أن نعرض في هذا المجال ، أنه قد تم إقرار «بيان لوزاكا» (أبريل ١٩٦٦) ثم «إعلان مقسيمبيو» (أكتوبر ١٩٧١) ، ثم «العهد بالتضامن» (سبتمبر ١٩٧٢ في دار السلام) ثم «إعلان لوزاكا» (يناير ١٩٧٣) . وهي من أهم وأخطر وثائق حركة التحرير الوطني الإفريقية ككل ، وذلك من زاوية ، أنها قد صاغت المبادئ الإفريقية لمساعدة حركات التحرير من مفهوم «المعالم السياسية» وحسده إلى مفهوم «الكفاح المسلح» كطريق وحيد لانتزاع الحرية والاستقلال من المستعمرات والقوى الاستعمارية ، وإقرار هذه الوثائق ، من خلال منظمة الوحدة ، يعني الالتزام - على نحو أو آخر - بما ورد فيها .

في هذا المناخ المواتي ، وجد «أنجاز الجيش المصري صداه السريع» . وإذا كان «القرار المصري» بالقتال تجسيدا لمبادئ «إعلان لوزاكا» ، فإن «القرار الإفريقي» ، تجسيدا لمبادئ «العهد بالتضامن» . على أن الاستجابة الإفريقية على هذا النحو من السرعة والاتساع ، لم تكن ممكنة بدون «الإنجاز» المصري .

ثانيا : كان طبيعيا أن يثير واقع احتلال إسرائيل للأراضي المصرية منذ ١٩٦٧ حتى اليوم ، مشكلة حول إفريقيا وفق حصاد خبرتها مع الاستعمار . لقد كان الاحتلال الإسرائيلي تجسيدا جديدا للبربرية وأطماعها . والواقع أن سياسة اكتساب الأراضي وتغيير الحدود بقوة السلاح وتجزئة أرض دولة إفريقية ، تشكل تهديدا حقيقيا لكل الدول الإفريقية . خاصة وأن معظم هذه الدول تعاني مشكلات «الحدود» و «التجزئة» . وذلك قضية أفريقية ببالغة الحساسية . وكان إقرار «المنطق» الإسرائيلي بشأن الأرض ، يعني تسليم كثير من دول إفريقيا بتجزئة حدودها أو عدم استردادها . بعض آخر منها - بأراضي تعتبرها جزءا من أراضيها .

ثالثا : أن أقدم إسرائيل على احتلال جزء من

الصفة الغربية للقناة ، قد أسقط كل التحفظات
التي كانت تثيرها بعض الدول الأفريقية حول
احتمال شبه جزيرة سيناء « كفضية إفريقية » .
فتمسك إسرائيل إلى الصفة القبية واحتلال جزء
بمها ، أبرز الطابع الأفريقي لمشكلته عند عدد من
الدول كانت تعتقد هذه القناة .

وأما : أن لأفريقيا تجربتها المباشرة في هذا
المجال ، فقد سبق أن تكثرت من خلال سلطة
الوحدة الأفريقية ، « بحية الحماة » التي صمدت
١٠ رؤساء دول أفريقية ، حاولوا إيجاد حل سياسي
للمشكلة بتطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . لكن
محاولتهم اصطدمت - وقتها - بالفطرسه
الإسرائيلية التي أدت إلى فشل اللجنة في مهمتها .
ومن هنا ، فقد كان افتتاح هؤلاء الرؤساء مع
غيرهم ، بعدالة قضية مصر ، افتتاعا عمليا سيجع
لتجريبه عملية مباشرة . لقد سبق لمصر أن
أوصحت - بقت الطرق - أمامها في السلام القائم
على العدل ، ووضوح هذه الرغبة لدى دول
الغرب ، لم يبدوره في حصار المنطق الإسرائيلي .
ومن هنا كان طبيعيا أن تقف أفريقيا إلى جانب
مصر عندما لجأت إلى حقها المشروع باستعادة
أراضيها .

خاتمة : أن أصرار مصر على مواصلة تاييدها
لحركة التحرير الأفريقية ، من جهة ، والجهود
السياسية الكثيفة التي بذلتها مصر خلال مؤتمرات
القمة الأفريقية ومؤتمر عدم الانحياز ، من جهة
أخرى ، قد ساهم ذلك كله في تحقيق الوامع
الأفريقي الحالي . أن الموقف الأفريقي الحالي
المساند لمصر ، ليس إلا واحدا هاما من منجزات
السياسة التي صاغتها ثورة ٢٣ يوليو في مواثيقها
السياسية ، والحرص على تأكيد هذه السياسة
وممارستها ، مصفولية يفرضها الحرص على
حماية الموقف الأفريقي والنصاعده .

وجه آخر للصورة

وإذا كان هذا الواقع الحالي ، يمثل « الوجه
الأفريقي » للموقف ، فإن هناك وجهاً آخر ينبغي ألا
يفوتنا رصده بل والاعتزاز به . واقصد
هنا « الوجه المصري » للموقف .

واعني بذلك أن هذا الإيجاز الأفريقي الضخم ،
يكتنف بل يؤكد من جديد مدى حجم وتأثير كل
إنجاز وطني مصري على الحركة العامة للحياة
السياسية في إفريقيا .

فعلما كان لقيام الثورة الوطنية المصرية [يوليو

١٩٥٢] ، وأزمة تأميم قناة السويس [١٩٥٦] ،
آثار كبيرة على نهوض وانتعاش حركة التحرير
الوطني الأفريقية ، حيث انضمت الحركات الوطنية
وبدأت تحقق استقلال بعض البلدان الأفريقية في
١٩٥٧ ليتصاعد الموقف الوطني العام في
١٩٦٠ [عام استقلال أفريقيا كما يسمى] بعد
حصول أكثر من ٣٠ دولة على استقلالها السياسي ،
تقول إذا كان ذلك قد أثبت أن لمصر دورا قياديا
هاما في حركة التحرر الأفريقي فإن الإنجاز
الوطني المصري في ٦ أكتوبر سوف يفتح آفاقا
واسعة نحو استنهاض جديد للتحرر الأفريقي ولعمل
أدق الأخير ، ينبغي عن بوافره المؤكدة .
وهكذا ، تأخذ مصر وتعلمي . وهكذا أيضا تبدو
النية الحقيقية لأن تأخذ مصر زمام المبادرة
الوطنية ، حيث أن هذه المبادرة لا تكتسب بعدا
عربيا نصيب بل وبعدا أفريقيا كذلك . وهكذا
أيضا . . تؤكد التجربة العملية بمدقوت كل دعاوى
العزلة أو الانغلاق على الذات أيا كانت حججه .

هدف إسرائيل واساليبها

إذا كنا نسلم بأن إفريقيا ، ستظل محورا هاما
من محاور الصراع العربي الإسرائيلي ، فإن وضع
أي تصور للمواجهة السياسية المنتهية المحتمة ،
يفترض التعرف على الهدف العام للعمل
الإسرائيلي في إفريقيا والاساليب التي حاولت بها
تحقيق هذا الهدف وتمكنت بها من تحقيق نجاحات
ملحوظة .

فأفريقيا تملك ثلث مقاعد الأمم المتحدة . وهي -
ببدا الواقع - تملك صنع ثلث قرار المجتمع
الدولي . وذلك مسألة هامة لإسرائيل منذ ١٩٥٦
حين وحدت - أمام العالم - بين مصالحتها
ومصالح بريطانيا وفرنسا خلال العدوان الثلاثي .
وكانت الجهود العربية قد نشطت لوصم إسرائيل
بانها « أداة » للإمبريالية . كذلك فإن ظهور حركة
التضامن الآسيوي الإفريقي - منذ
باندونغ (١٩٥٥) - كانت تهدد بعزل إسرائيل
ومن هنا كانت مساعيها في إفريقيا ، محاولة منها
لتحصين وضعها الدولي . وراحت تبحث عن
الوسائل التي تحقق بها « القفز من فوق أسوار
الحصار العربي » والبحث عن حلفاء تخترق عن
طريق علاقتها بهم « التحالف الوليد » بين
القويات الأفريقية - الآسيوية .

ولما كان هذا الهدف يعكس احتياجات ومصالح
الاستعمار الجديد - بزعماء أمريكا هذه المرة -
فقد قامت إسرائيل بتحديد برنامج ، تسانده وبزوله
أمريكا ، يدعى أنه يتفق تماما مع التطلعات

الافريقية ، وينتفى تحت مظلة ان له « مهنة مثالية » . وكانت اسرائيل تحقق بذلك اهدافها ومصالحها من جهة ، وتدعم من جهة اخرى علاقاتها الضرورية بالمرىكا « بأن تكون « الجسر » بين المستعمرات السابقة والاحتعمار الجديد .

وكان هذا البرنامج الاسرائيلى ، « للمساعدات الفنية والاقتصادية » ، يركز فى المجالات الاستراتيجية الهامة ويصفه خصاصة تدريب « الكادر » سواء فى المجال العسكرى او المدنى واقابة مشروعات مشتركة ، او خصاصة وتوسيع علاقاتها التجارية . ورغم ان هذه المساعدات لم تكن كبيرة من الناحية الاحصائية ، الا ان العمل من خلال « تخطيط شامل » و « يكابر تنفيذى » مقتدر ، عوض الحجم المحدود للمساعدات وحقق نتائج لا تتكرر .

وفى المجال السياسى والايديولوجى ، من خلال النقابات ومنظمات الشباب ، عملت اسرائيل على الترويج للافكار المناهضة للاشتراكية ، وللدول الاشتراكية كمدخل لفرس الافكار المعادية للتحضر الوطنى والداعية الى « نموذج راسمبالى » للتطور . وباختصار سمعت الى تصدير مسا يسمى « بالتجربة » الاسرائيلية وحتى طابعمها العسكرى فى الزراعة وتربية الشباب .. الخ .

ولسوف تتصور اسرائيل - بعد مؤتمر السلام اذ تم - ان الظروف اكثر مواتاة لها فى العمل . واذا كان من مقضيات تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٦٢ - المفترض طرح تطبيقه فى مؤتمر السلام - ان تشمل بنوده انتهاء حالة الحرب ، فان اسرائيل سوف تعمل على ان ينسحب هذا البند على موقف قطع العلاقات الافريقية معها ، فلما معها ان المنطق العربى فى حصار اسرائيل ، سوف يكون ضعيفا فى نظر دول القارة . ومن المتوقع ان تسعى - بهذا الفهم - الى توسيع علاقاتها الامريقية ودعمها ، بل وربما تسعى الى اللذان الى البلاد العربية من خلال انريقيا . وهنا تصبح قضية البناء الاقتصادى ونموذجها ، هى القضية الاولى . أى نموذج المياد سوف يفتح دول القارة بشارة للتعامل معه بشكل اوسع ومحاربة الاستفادة منها وتكراره .

الهدف العربى واساليه

اما الهدف العربى فينبع من واقع ان مصالح الامن الوطنى المصرى جزء من مصالح حركة التحرر الوطنى الامريقية - مثمما فى جزء من مصالح حركة التحرر العربية . ويقرر نجسج واتساع أى منهما - او نجاحهما معا - بقدر ما

يمكن أن تطلعن مصر الى حماية مصالحها الوطنية العليا وامنها الوطنى . هذا بالإضافة الى الاعتبارات القومية من جهة واعتبارات دوانع حركة الوحدة الافريقية ومتطلباتها وآفاقها أيضا .

ان تصفية الاستعمار فى افريقيا ، ضمان اكيد لحماية ودعم استقلال مصر الوطنى . وتحرر دول افريقيا ، اقتصاديا وثقافيا ، واحد اكيد مسن ضمانات اعادة صياغة العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية على أساس جديدة تنبش مع مصالح وامانى شعوب الدول النامية فى الحاق بمنجزات العصر العلمى والتكنولوجيا . كما ان التحرر الثقافى للقارة ، واحد اكيد أيضا من ضمانات بعث الحضارات الامريقية لتساهم بدورها فى ببناء الحضارة البشرية وفق روح مصر .

وتحرر افريقيا - من الزاوية القومية لمصر - واحد من مداخل اقرار الحقوق القومية لشعب فلسطين وحمايتها .

على ان قصور هذه المهام يلفظ بالضرورة بعض التصورات الساذجة من مصالح اقتصادية بمنطق « المجال الحيوى » . ان النظام المصرى ، الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، نظام للتحرر الوطنى وجزء من حركة التحرر الوطنى العالمية . ومن هنا فانه بطبيعته ويحكم مساره التاريخى ، لا بد وان يلفظ مثل تلك التصورات التى لا تتخلف عن ايقاع العصر ونهجه فحسب ، بل وتصل الامور ما لا تطيق ولا تقدر عليه .

من الجائز فى اطار هذا التصور ، ان تطرح قضية التعاون الاقتصادى والمصالح الاقتصادية المشتركة ، فى اطار معرفة قدرات مصر وامكانياتها التى يمكن ان تقدمها وتساهم بها . على انه من وجهة النظر هذه ، يصعب الحديث عن مساعدات كبيرة او استثمارات علمية او خاصة . ربما يجوز الحديث عن مساعدات عربية كبيرة الى استثمارات عامة عربية لكن تلك قضية اخرى تتجاوز حدود مصر .

الواقع ان اهم ما تستطيع ان تقدمه مصر كخليفة لكل « عملها الافريقى » ، هو ان تقدم - ومن مؤهلات محددة - نموذج للتقدم الاجتماعى والاقتصادى ناجح ، [يقع الحكومات الوطنية بالاخذ به] وتقدمى [يقع شعوب القارة بالحماس له والدفاع عنه والاخذ به] . وخيرة العصر تقول ان النظام الناجح - لدول النامية - هو حفظ النظام الثقافى . وباختصار ان الاشتراكية لا تحل فقط

مشاكل شعبنا وانما تؤهله أيضا لإقامة علاقات ناجحة وقوية ومؤثرة مع الشعوب الأخرى لتحقيق المصالح المتبادلة .

وبمكثنا أن نحدد اساليبنا أيضا من خلال واقع أن دول افريقيا يمكن تصنيفها - إذا جاز هذا التعبير الى : مجموعة دول التحرر الوطنى ، سواء الدول المستقلة ذات النظم التقدمية الساعية لبناء تطورها ، او تلك التى تناهض حركات كفاف المصلح الوطنى فيها من أجل تحررها . ومن امثلة دول هذه المجموعة [غينيا - الكونجو برازافيل - الصومال - تنزانيا - غينيا - بيساو] - حركات التحرر فى انجولا وموزمبيق ورونديسيا وجنوب افريقيا ..] والمجموعة الأخرى ، دول لا تزال تعاني من النفوذ الاجنبى فى أشكال متعددة ، ودول تعاني من الوقوع فى جيب النظم العنصرية .

مع المجموعة الاولى ، نقدم لها النموذج الاجتماعى للتطور الاقتصادى والسياسى والخبرات الفنية وتدريب كادرها الوطنى فى مختلف المجالات ، مع التقدم - من خلال خطة عربية - بالمساعدات الاقتصادية الممكنة فى اطار أن مصر ما تزال تقوم بمهام تنفيذ خطتها فى التنمية . وفى هذا المجال أيضا ، لا بد من إيجاد جهد « منسق » مع الدول الاشتراكية التى أثبتت تجربتها معها اخلاصها فى تقديم المساعدات ونجاح مشروعاتنا المشتركة فى بلادها ، أن مسئوليتنا الوطنية تجاه افريقيا تقتضى منا - كذلك - نقل هذه الخبرة فى التعامل مع هذه الدول ونجاح انجازات هذه العلاقة .

اما دول المجموعة الثانية ، فهى بحاجة الى تقديم كل الامكانيات المستطاعة لتقليص النفوذ الاستعمارى فيها ومطاردته من خلال برنامج عام مشترك - على مستوى منظمة الوحدة والمستويات الثنائية والاقليمية - وإيران دور اسرائيل « كوسيط » بين الاستثمار العالمى وتحقيق مطالبه فى هذه الدول . وهنا يمكن لصر أن تمتلك أسلحة مؤثرة ، بإبراز الوجه العنصرى لاسرائيل كجزء مشترك من عملية النضال ضد النظم العنصرية فى افريقيا . وهنا لا بد من التركيز على علاقات اسرائيل بهذه النظم العنصرية وخاصة مع جنوب افريقيا ، ودور اسرائيل فى الحركات الانفصالية

فى القارة ودورها فى محاربة حركات الكفاف المسلح .. الخ .

أن إقامة أوسع العلاقات وأعماقها مع المؤسسات السياسية الجماهيرية فى افريقيا ، هو بالتأكيد مجال تستطيع أن تلعب فيه دورا مؤثرا وفعالا ، وربما تؤتى هذه العلاقات شأرا تفوق كثيرا شأرا « العلاقات المولوية » . وفى هذا المجال ، لا بد وأن تثار مسألة « الكادر » القادر على إقامة هذه العلاقات « والاساليب » التى تضمن تحقيق النجاح . ولعل « ندوة افريقيا : حركة التحرر الوطنى والاشتراكية » التى أقيمت فى أكتوبر ١٩٦٦ فى القارة ، مثالا بارزا للأثر الذى يمكن أن تحققه مثل هذه الاعمال الناجحة .

على أن كل هذه التصورات تصبح مجرد خيال ، اذا ظلت المؤسسات العلمية والنقابية والاعلامية .. الخ على ما هى عليه . أن واقع وحجم ومضمون « معهد الدراسات الافريقية » الحالى وبرامجه الدراسية ، لقاصرة كل القصور عن تلبية متطلبات أى تصور ولو محدود عن علاقاتنا بافريقيا . أن دور الاتحاد العام للنقابات ومؤسساته ذات الصلة بافريقيا ، ليجتاز بالفعل الى إعادة نظر شاملة فى ضوء مثل هذه التصورات . اليس غريبا أن القاهرة لا تعرف حتى الآن منبرا افريقيا أو جهاز اعلامى افريقيا « للكادر وللجماهير » اليس غريبا أن تكون صورة افريقيا حتى اليوم - فى الاذاعة والتلفزيون اذا قدم برنامجا عنها - وهذا نادر - هى صورة الطبول ورقص شبه المرأة المحموم لا اليس غريبا أن معظم اخبار القارة لا تجد مكانا شافيا لها على صفحات صحفنا ومجلاتنا حتى اليوم ؟ .. الخ .. الخ .

لقد كانت هذه السطور ، كما قلنا فى البداية ، مجرد دعوة الى ضرورة لا غنى عنها . وفى بالقطع ضرورة وطنية تفوق مسئولياتها جسد الأفراد وتحتاج الى جهد المؤسسات .

لنعتبر ذلك كله دعوة الى النقاش نظريها امام مؤسسات وجهات لها سمعتها واحترامها . لنعتبره دعوة الى النقاش مع معهد الدراسات الافريقية والجمعية الافريقية ومركز الدراسات الاستراتيجية [الأهرام] ، ومراكز البحوث بالمؤسسات المصرية العاملة فى افريقيا ، ومع كل الشخصيات المهتمة بالشئون الافريقية ، ومع غيرهم كثيرين يتعمقون بكل تقدير للمسئولية .

تواصل الطليعة - في ظلال معركة التحرير
الوطنية الجيدة التي بدأت في السادس من
أكتوبر نشر ما كتبه أصدقاء الطليعة ، كل من
الزاوية التي اختارها ليعبر بحرية عن رايه الخاص.

آراء
ومواقف

● ٦ أكتوبر .. منعطف الطريق

عيد التواب يوسف *

بالشمارات ، الا انه كان واضحا
اننا عشنا الهزيمة ، وتبادينا في
تعذيب النفس بصورة رهيبه .

وظهر السادس من أكتوبر ،
سقطت طائرة على إحدى قرى
محافظه المنصورة ، أحرقت
العديد من بيوتها ، واستشهد
عدد من أبناءها ، وجرح كثيرون
.. وأضحت القرية كلها في ماتم
كبير ، وسارعت عربات الإطفاء
والإسعاف والنجدة لكى تشارك
فى تخفيف المصاب .. وخلال
ذلك انطلقت من قلب القرية
زغرودة .. وفزع البعض ، فان
ترانا عرفت الحزن كاملا اذا
حدثت فيها حادثة وفاة واحدة ؟
فما بالكم بهذه الكارثة .. وذهل
الناس ، خاصة من قدموا
للمساعدة .. ولكنها لحظات
قليلة وانقلبت القرية كلها الى
مظاهرة تهف وتزفر .. ان
جنودنا قد عبروا القناة ورسوا
العلم على مسيئنا .. وكان أن

واضحة . ان اجزاء غالية من
بلادنا محتلة ، وان « قدرا ادنى »
من التفاهم بين الاخوة من أجل
نظرة موضوعية لأمورهم التي
أصبحت مصائرنا فى ايد غريبة
منهم ، تحركها فى فين صالحهم
.. وعلى المستوى الأفريقي ،
كانت القارة غارقة فى نوم طويل
تاريخى ، لم توقظها منه دقات
الطبول على مدى السنوات
الآخيرة ، ولم تلفت أنظارها ذلك
الرايسات التي خفقت لترمز
للاستقلال ، فانها خرجت من
برائين الاستعمار القديم لتسقط
غريسة بين يدي « اسرائيل » ،
العنصرية ، الاستغلالية ، رأس
الحرية الإمبريالية .. وعلى
المستوى المحلى فى بلادنا :
مصر ، تهزقنا طويلا ، ولم تكن
هزيمتنا فى سيناء وحدها ، ولكن
اسرائيل نجحت فى ان تحتل فى
نفس كل منارقة ، كانت مظلمة
قائمة ، مهما حاول البعض ان
يستترها مرة بالكليات ، ومرة

عندما يستعرض المرء
« بانورايا » الفترة الماضية ،
تشده بضع صور ، يقف عندها
مبهورا ، فان لها دلالات كبيرة
.. اننا حين نقول ان « ٦
أكتوبر » منعطف تاريخى كبير ،
فنحن لا نتجاوز الحقيقة .. اذ
على المستوى العالمى ، كانت
الدنيا تسخر منا حين نقول ان
مشكلة الشرق الاوسط تهدد
السلام العالمى ، فانها كانت ترى
ان هذه المشكلة قد أصبحت
« جنة » هابدة ، لن تتحرك ، ولم
يكن أحد يرى انها تهدد حتى
سلام المنطقة ، فان العدو قد
لوى فراغنا ، فى يونيو
سنة ١٩٦٧ .. ووضع القضية
برمتها فى الجبس ، فتجمدت
.. وعلى المستوى العربى كانت
هناك قضايا فرميمة تتفجر ،
وانتهلمت بتساقط لا آخر لها
ولا أول ، ومناقشات بينظلية
تدور هنا وهناك كأنها تستهدف
أبعاد أنظارنا عن حقيقة كبرى

شى الناس كل شىء ، اللهم الا
المبور ، والعلم الذى خلق ..
وانعطف بهم الطريق !

● وعالمنا ، كان ايضا مثل
هذه القرية الصغيرة ، عندما
انعطف به الطريق ، فقد ظلس
ببصور ان قضية الشرق الاوسط
قد ماتت ، وشبعت موتا ، وانها
دفنت او تم تحنيطها من طريق
« الاسطورة التى لا تقهر » ،
و « الجيش الذى لا يهزم » ..

ولفلق الصلالم على ان
« الاسطورة » ، لا تتجاوز حجيها
الحقيقى : انها اسطورية خيالية
وهيية ، خلفتها عقول مريضة ،
مرضها ناجم من رغبها الشديدة
فى العزلة ، واستغلال العالم
لصلالح « شعب الله المختار » !
.. اتفق الصلالم للواجهة التى
كادحت تحدث بين الدول الكبرى ،
ورفعت حالة التأهب بين الجنود
واستغل الخط المسافن ،
وعقدت اجتماعات مجلس الامن ،
وتحركت الدنيا ، فان الطريق
الذى كانت تسير فيه ، كانت
تتودها فيه « مصابة » تريد ان
تميش على حساب دمار عالمنا
كله . وكانت تضسع على عيني
الدنيا ، وبالأذات على عيني
امريكا « مصابة » تخلى عنها
انها تمضى الى هاوية .

● ووطننا العربى ، كان هو
ايضا هذه القرية ، التى انعطف
بها التاريخ .. احس بان الطاقة
التي يعطيها لأمريكا ، وللدنيا ،
توضع فى الفانتوم ليقتل بها
أطفال بصر البقر ، وعيال
أبى زميل ، ولكى يضمها فى
قوارب يرسو بها على شواطئ
بيروت ليعرمد فيها ويقتل أزواجا
تحت سبعم وصر زوجاتهم ،
ولينسف أبطالا فى سياراتهم ..
وكان ان قرر العرب ان يحتوا
الطاقة وان يحفظوها لانفسهم
ولصالحهم ومستقبلهم ، وكان ان
احسوا ان المال يسرق منهم ،
وان مروتهم يتخر ويضيع ، فضلا
عن الكرامة والشرف ، فكان ان

جمعوا أمركم .. والتقت كلمتهم
حول قضيتهم .. ارضهم .. وطنهم
وكانوا الى عهد قريب يتنكبون
بالألقاب وكانوا يتزودون احياء ،
ويترخسون أحيانا أخرى ، ولكن
هزيمة يونيو كانت قد وصلت
منهم الى النخاع .. وكان لابد
من سحقه لينعطف بهم الطريق
تجاه التضامن والوحدة الحقيقية ،
فما من طريق أخسر فى عالم
الكيانات الكبرى ..

● وكانت القارة الأفريقية
ايضا ، هى هذه القرية ، التى
انعطف بها الطريق .. فقد دفنت
الطويل لتعلن ثورات أفريقية
اجهضت فى كثير من البلدان ،
وخرج الاستعمار من البسباب
ليعود من النفاذة ، وما كانت
أفريقيا لتستطيع ان تتخذ لنفسها
قرارا ، وما كان فى استطاعتها
ان ترفع صوتها فى وجه سيدها
« الأبيض » فقد خرج الجنود ،
وانابوا عنهم اسرائيل .. تدعى
الخبرة ، وتسرق ، وتنهب ، وتستغل
بل وتحكم وتتحكم .. وانتهى
الامر بالقارة الى انها استجارت
من الرمضاء بالنار ، وكان لابد من
صحة حقيقية ، تفيق منها الى
الابد .. ان اسرائيل يجب ان
تخرج من القارة ، والى الابد ..
وليس فقط الى ان تجلوا اسرائيل
من الاراضى العربية المحتلة عام
٦٧ .. ان اسرائيل يجب ان تعود
قط الى أفريقيا .. يجب ان تضع
قدمها على الارض العذراء من
جديد ..

● وعلى المستوى المحلى ،
كانت مصر كلها هذه القرية ..
التي انعطف بها التاريخ من
الصراخ والكاء على كارتها ،
الى الهتاف والزغاريد لانتصارها
.. وما من قرية ، او مدينة فى
بلدنا الا وكان من السهل علينا
ان نبين ان هذا المنعطف قد حدث
لها .. ولقد اتيت لى خلال
المبارك ان اشهد مسور هذا
المنعطف ، غير انه كان واضحا
بشكل مؤثر فى واحدة من

مدن المواجهة « الاسماعيلية » .
ولقد سمعت كثيرا عن المدن
الصاعدة ، والبلاتى الصاعدة ،
وقرأت ان الاشجار توت واقفة ،
ولم اتحقق من صحة هذه
السيرات الا وانا اجوس خلال
شوارع الاسماعيلية ، واصابع
الاصدقاء تشير الى بان اخترقها
القفاز ، ولكنها صاعدة .. مبنى
ارشاد السفن التابع لهيئة
قناة السويس .. مبنى
الترانستور .. مبنى .
كلها صاعدة ، اما الاشجار
فأذهلتنى خضرتها بعد السنوات
الست ، بل رأيت شجرة أطارها
قذيفة فاذا بها تطير عن جذعها ،
ولكنها تظل واقفة مستندة الى
عمود اضواء ! .. وامال
الاصدقاء عن البطولات ، فاذ بهم
لا يحكون قطع بطولات فريده ..
بل يقولون .. ان مسئولى الايحاء
كانوا فى اجتماع يتدارسون فيه
اتجاهات الراى العام ويناقشون
القضية من زواياها المظلمة حين
وصلت الاخبار ان الدبابات فى
طريقها الى المدينة ، وانتهى
الشباب يحمل السلاح ، ويقل
كل واحد الآخر ، ووداع الى
لقاء فى الجنة ، وقسم الا تدخل
دبلة المدينة الا على اجسادهم .
ويرون بالقسم .. وفى المدينة
مخبز واحد يمسك ، والذين
ينعشون بالخبز اتانس انتزعوا
من وسط أسرهم وابنائهم حيث
يسيشون فى قرى التهجير ،
ويحصلون على الاعاشية من
وزارة الشؤون ، ويدعون كل ذلك
لكى يقفوا أمام النيران الملتهبة ،
وتحت وابل القنابل المضادة نكى
يصنعوا الخبز للقوات المسلحة ،
وللمقاومة الشعبية ، وللمدينة ،
ويعمل الواحد منهم أربعين وعشرين
ساعة ، بل ويجاوزها ، وهو
خلال ذلك يقضى لمر ..

واقبل اجوس فى المدينة ..
كنت قد زرتها يوما اشهد مبنى
المحافظة القديم الذى هدسه
قوات الإمبراطورية البريطانية فى
٢٥ يناير ٥٢ ، قبل حريق القاهرة

بيوم ، على رجال الشرطة الإطّلال
الصناديد .. وكنت قد زرتها مرة
أخرى أشهد رحيل قوات بريطانية
عن معسكر كبير يحيل اسم
معسكر الجلاء ، وكم أذهلتني أن
يحمل الانجليز وهم يمشون عن
أرضنا اللاتفة التي اعدناها
لنفسها على المعسكر ..
سرقوها ! .. ثم أفضى في المدينة
بعد السادس من أكتوبر عوفال
لى : المجلس الشعبي والمجلس
التنفيذي في اجتماع للنقشة
أمر المستقبل .. ولجد « عبان
أحمد مشين » ابن الأسمايلية
— على رأس الاجتماع يقول في
هدهو .. عبر رجالنا الفتاة ،
ويجب أن يعبرها النيل إلى
سيناء .. كان النيل ، وبيماه ،
يصل إلى القبة ورأس المشى ..
الثينة هذه أصلا : الطينة .. من
طوى النيل .. أن عبور النيل
للفئة أصبح ضرورة استراتيجية
... سبب في اتفاق بين النيل
يضم سكة حديد ، وقناة من الشرق
وطريق للسيارات .. مسيئاه
ستكون حلقة تدخل في حلقة
القناة ، وهذه تدخل في حلقة
الدلتا .. مثل شعار التعاون ،
حلقات متداخلة لا انفصام
ولا انفصل بينها .. الخسائر
موضوعة .. هنا ستكون ميناء
... وهنا مصنع .. وهنا .. وهنا .
وهنا في الأسمايلية سيكون
مقر وزارة التمير .. كانت
وزارة السد في أسوان ،
ومعلقة السد سوف يكونون
عمالة سيناء والقناة .. يتم هذا
الاجتماع ، وألقى بنظرة إلى
الموجودين ، وإذا بالطلبع العام
لهم : الكاكي .. لبس الميدان ..
وأحسب أن الاجتماع ترجمة
حقيقية لشعار : يد تحارب ،
ويد تبني ..

واتجول في الحمية بالحقا من
قصص البطولة .. أروها لابنائى
.. لأطفالى .. في مصر كلها ..
واقف أمام الديابات .. بل الفلاح

المحرّكة — التي محاولت بها
اسرائيل أن تدخل المدينة ، والتي
دمرتها يد الانسان .. يد المقاتل
يد البطل المصرى وعندها سمع
قصة إبراهيم الدسوقي ..
البطل الذي دبر أولى هذه
الديابات ، واستشهد معها ..
واسمع قصص المجند « قنرى »
.. والرتيب « فيث » .. وعشرات
من الاسماء التي يحى الانسان
رأسه لها .. كلهم شهداء ، اما
الاحياء فلا احد منهم يتصور
نفسه بطلا .. جميعهم يتكبرون
ذاتهم .. لا يتكبرون أسماءهم ..
ان بطولات قوتانا المسلحة كانت
أسطورية بحق .. ويذهلتني أن
يشيد واحد من الضباط بزيارتنا
لهم .. زيارة !؟ .. واصمق
وهو يقول انكم ترفعون روحنا
المعنوية ! ، ويقول ذلك بتواضع
حقيقى ، مع انى أعلم جيدا انه
شارك في معركة الديابات ، وأن
دمارها كان على يديه ، ولكنه
يحس ان البطولة للشعب ، وأن
القوات المسلحة تمثل جزءا من
هذا الشعب ، جلتا من بطولته
.. واهتز لهذا البطل الذى من
حقه اليوم أن يرفع رأسه ، فقد
ظل على مدى سنوات يتجصرع
سجوم الكليلت .. ويمر هذا
البطل أن يروى لى بطولة سيدة
.. امرأة فلاحه .. طردتها قوات
اسرائيل من قريتها ، وضلال
رحلتها الى الأسمايلية كانت
ميوها بالقطعة تجمع المعلومات
.. وقد نقلتها الى البطلس ،
وأحس بدقتها ، وشعر بفائدتها
القوى له ، فإذا به يلجأ لها
بأنه فى حاجة اليها لكي تدخل
القرية من جديد لتجمع له بعض
المعلومات ، فإذا بها تتحسب ..
ويحزنها من حقول الانعام التي
زرعت حول القرية ، فيزيدها
ذلك حماسة ، وينبها الى أنهم
قد يشكون فيها ، فإذا بها تحيل
فلذة كبدها ، اينها الرضيع ،
تمويهها ، وتسير به وسط حقول
الانعام ، وتدخل القرية وتعود

بما تطلبه بياناته وعلمها ..
واسأل عن اسمها فيقول ببساطة
لم تذكر اسمها .. واسأله :
ماذا اعطيتها مقابل ما فعلت ،
يجيب : حرمت عليها ببرقالة ،
واعترفت عنها ! ..

قلت ، وأقول ، وسأقول :
ان ٦ أكتوبر منعطف طريق أمام
الإنسانية ، وأمام العالم .. وليس
جديدا علينا أن نصلح في تاريخها
وتاريخه منعطفات الطريق ،
فليس بعيدا عام ١٩٥٦ الذى
انزلنا فيه دولا من الدرجة الاولى
الى دول من الدرجة الثانية
والثالثة ، ويستطيع العالم أن
يتلمس طريقه الجديد نحو
السلام الابنى على العدل اذا هو
نجح في استيعاب درس ٦ أكتوبر
وأذا هو عبر الازمة الى آفاق
الحرية .. و ٦ أكتوبر منعطف
أمام العرب ، اذا هم استبروا
فى جميع صفوفهم ، ولم تسلمهم
وتوحيد كلمتهم ، وتضامنوا لى
يصبحوا القوة العظمى السادسة
في عالمنا ، فما من منطقة فى العالم
مهيأة لهذا ، كالوطن العربى ،
بأبكانياته ، بطائفه ، بأمواله ،
باراضيه .. ثم فوق كل ذلك
بالانسان فيه ، انسان السادس
من أكتوبر .. و ٦ أكتوبر منعطف
أمام قارة افريقيا ، فان الاعلام
التي ترغف ليست هي كل الحرية ،
ليست هي كل الاستقلال ، أن
مسير القارة يجب أن يكون فى
يدها ، ويجب أن تنفض عنها هذا
التخريب الذى تصنعه اسرائيل
تحت اسم « الخبرة » و « المونة » ،
الى آخر هذه التسميات التي هي
في واقع الامر استعمار
واستنزاف .. و ٦ أكتوبر منعطف
أمام بلاندا .. منعطف طريق
للاضد تجاه الحرية كل الحرية
للراعى ، والشعب .. تجاه
الوحدة كل الوحدة للوطن ، والامة
العربية .. تجاه الاشتراكية ،
كل الاشتراكية لجماهيرنا التي
أعطيت الدم بسفاه .. لكن
منعطفنا صاعدا نحو كل القيم التي
تقائنا من أجلها .»

● القضية هي قضية التعبير عن واقعنا

جبريل محمد *

ان الشعب يعرفه عدوه ..
ويعرف ايضا صديقه .. وهو
يستطيع ان يفرق بين كليهما ..
انه يصرّف من معه وبن ينف
ضده .. ومثل هذا النوع من
المسار ، وهو في هذه الايام
سمة بارزة لمناقشات الجماهير ،
يدعونا الى ان نحدد موقفنا .

ولست اعتقد ان فترة يمكن
لامه فيها ان نحدد مواقفنا تماما
- مثل هذه الفترة الحاسمة
والخطيرة في حياتنا ، وربما
لاجيال قادمة .

وليس بالتشخيص نحدد الشعوب
مسمارها .. وليس ايضا
بالمواطف .. وانما بالدهم
والوحي السكاليين ، وايضا
بالتجربة .. لكن ايدا لا يجب ان
تكون من تلك التجارب التي تقبل
الخطا والصواب .. ذلك انه
عندما تتسرن بمسائر الامم
والشعوب .. تنهي تماما كل
محاولات تلوين الصورة او
اغسلها رتوش اليها او يبعث
آخر الواقع في اندح الاخطاء
وهو الثمن .. ويصدق تماما
قول شاعر مصر :

وما نيل المطلب بالتعني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وهكذا تصبح القضية اذن ..
هي قضية التعبير عن واقعنا ..
دراسة هذا الواقع .. قيادة
هذا الواقع في خط ثوري
اشتراكي صاعد .

المعالي للموقف العربي ؟ فان
هذا كله لن يغير من سياسة
امريكا .. ويبقى التسلب في
حديثه ، ويقدم الدلائل هلى
حجية كلامه بان امريكا عنجبا
شعرت بتدهور موقف اسرائيل
المسكرى في الايام العشرة
الاولى من الحرب ، دعمت
بأحدث عتادها وسلاحها .. بل
وبالمطعمين في شكل الطيارين
والقتالين والمننيين ، لكي تمنع
هزيمة تكراء لاسرائيل .. الى
حد اعلان وزير الدفاع الامريكي
ان يحزون الاسلحة لدى الجيش
الامريكي تناقص بشكل خطير ،
بسبب الشحنات الضخمة التي
ارسلت الى اسرائيل بعد يوم ١٥
اكتوبر ، ثم يستطرد الشاب في
بسطلة شديدة قتلا .. كيف
اذن تبارس امريكا مسغطا على
اسرائيل ، بينها تزودها بأحدث
ما لتتجنه ترساناتها الحربية من
الاسلحة ؟ .. ثم يفي في
بسطلة ايضا .. وهل يمقل هذا
بينما السلاح الامريكي بالتاكيد
جاء لقتل اخوتنا وابنائنا في
الساحة ؟؟

ويهنر المعجوز راسه ..
ويحاول ان يرسم ابتسامة على
شفتيه ، ولا يملك الا ان يقول
.. سوف تثبت الايام صدق
ما اتقول .

هذه اللقطة واحدة من الآلاف
لللقطات التي يمارسها الشعب
الان في هذه المرحلة ، تطمى
انطباعا بوعي شعبنا وبالطريقة
التي يفكر بها ..

الزبان .. كان بعد ٦ اكتوبر
الخالد .
والمكان .. مقهى من آلاف
المقاهى التي تعبر بها بلادنا ..
في حي من اشرق أحياء
الاسكندرية .. في كرموز ..
وحينا لا يضم غير الكادحين
من العمال والصيادين والمتجبن
.. باختصار لا يضم ، رغم
تمداده الضخم ، غير هؤلاء
الذين يبذلون بسوا ادهم وعرة هم
لكي يوفروا اسباب الحياة للابناء
والنساء .. ويوما بيوم .

وكان الحديث .. واى حديث
لا يكون الا عن الحركة .. كان
الحديث .. وعلى غير العادة -
لا تتخلله فرقة « الكونثينة »
.. ويطلا .. رجل قارب الستين
.. وشباب لم يتعد بعد
الخامسة والعشرين .

كان المعجوز مصرى على ان
الموقف لن تحله الا امريكا ..
ويضيف : ان امريكا تلعب دورا
كبيراً لانها النزاع سلميا ، وانها
سوف تفرض عودة القوات
الاسرائيلية الى مواقع ٤ يونيو
سنة ١٩٦٧ ، على حكام اسرائيل

وعلى العكس تماما كان منطق
الشباب .. فهو يقول ان امريكا
لا يمكن ان تغير من سياستها بين
يوم وليلة من اجل سواد عيوننا
.. وحتى بالضغط الذى تمارسه
الدول العربية ، وفي يدها سلاح
الديتول .. واحساس لوريا
بالخطر الذى يتهددها من جراء
استعمال هذا السلاح ، والتأييد

الكاتب - وأيقنا متأسفوناً ؟
اشفاقها على آلاف الامريكيين
السذج العليين والكراء من
تمخين جهدهم لخدمة اسرائيل ،
وشراء السلاح لها .

ويعد . . فقد عرضت
لصورتين . . الاولى صورة
لشعب ، بكل أصالته ووعيه
وشجاعته . .

أما الصورة الثنائية ، فهي
بالتأكيد ليست صورة الشعب ؟
ولا تتبع الا من واتسع الذين
يحملون عبودة الزمن الى الراء
.. وأبدأ ان يعود . . انها صورة
مرفوضة ومحكوم عليها . .
وقطعا لا تستحق الا الانتفاق .

الوقت الذي ظهتر قينة قمع
الموقف الامريكي وضعه ، تعلن
ثلاث مرات في مقعدة كلامها
الذي ينضوى على مغالطات
ومفارقات مذهلة . . . ترحيبها
بواحد من أخطر وأسمى ومنفذى
السياسة الامريكية . .

وتصوروا ان مجبل ما قررته
هذه الكاتبة . . انها غير مشفقة
على المشردين والتعساء من لبناء
فلسطين ، ولا على الرجال الذين
يحاربون . . . ولا على هذه الامة
التي وقفت - وربما لأول مرة
في تاريخها المعاصر وتنجرت من
وقتها انتهاءها الى قوميتها
العربية . . . وانما - وهذا كلام

ولقد كانت رؤيا هيادتنا
السياسية شفقة وصادقة . .
ولم تغفل الامور عليها ؟ رغم
محاولات اشاعة الضباب التي
كانت بعض القطاعات - من
خلال مواقعها الطبقية -
ومواقفها التي حاولت بها ان
توهم - ولا توهم الا نفسها -
ان الموقف في يد الولايات المتحدة
الامريكية . . . وليس هناك حل
الا عن طريق واشنطن . .
وخرجت بعض العيوانات من
جسورها . . . لفرجة ان
أهدى الصحف انشرت اخبارا
جديدا دعت اليه بإشارة بارزة
في صفحتها الاولى لكاتبة . . في

● لجان العمارات من أجل المعركة

حكمت الفزالي

اتناء الفارات لا وهذا بطريق
لجان العمارات .

لجنة العبارة مسئولة عن
الدفاع الذنى والمتاومة الشعبية
داخل العبارة - بالتعاون مع
شبابها - والتبرع للمجهود
الحربى ورعاية أسر المجندين ؟
وكذلك فهي مسئولة عن التكوين
فى الحى . . ولجنة العبارة
هى القاعدة الاساسية للتنظيم
النسبائى فى المدينة ، وهى
القاعدة الواسعة النابعة من
الجاهير النسائية ، وتجد ان أى
تنظيم مسيلى ما هو الا ميل
ضخم نتيجة لجهد كبير ، ففصال
المرأة من أجل تحرير الارض حمل
عظيم للدفاع من بلدها وبناء
مجتمعا ، فبهذا العمل الضخم
الذى تقوم به المرأة يجمع
المجتمع بغير نظرت لها ، فترتفع
بتنظيمها الى أعلى مستوى

لقادات انصهرت فى المماركة
اليومية من أجل ان تحمى الارض
.. فعلى المرأة دور أساسى فى
المعركة ، لا يقل عن دور الرجل ؟
فعليها ان تحمى الجبهة الداخلية
من الحرب النفسية ، والقضاء
على الدمايات الكاذبة التى تنشر
الذمر بين الناس ، وضجة
الجرى ورملة أسر الشهداء
والمجندين والمهجرين ، والعمل
على مراقبة التسوين فى
الجمعيات الاستهلاكية ، وتجار
القطاع الخاص ، ومحاربة المتخرفين
والمجنزين بأفراء الشعب ، والتدريب
على الدفاع الذنى للدفاع
من العمارات والأحياء مع
الشبل المسئول من الدفاع
الذنى ، وحراسة المنشآت
الاقتصادية للدولة عندما يترك
الرجال أماكنهم للذهاب الى خط
النار ، ورعاية الطفولة والمسنين

ان المرحلة الحالية - مرحلة
المد الثورى - التى تجتازها
البلاد لمواجهة الاستعمار
الامريكي - الاسرائيلى ؟ تقتضى
منا حشد كافة القوى القادرة
على الممبل لمواجهة قوى الشر
والطفيلان ، سواء فى الجبهة
على خطوط النار ، أو فى الجبهة
الداخلية . . ولما كان الشبل
والرجال يقومون بالدور الرئيسى
فى ميدان المعركة . . فانه تبرز
أهمية قيام المرأة بدورها
السياسى والإجباى ، وتنظيم
صنوعها ، حتى تقوم بدورها
جانب الرجل ، تشدد أزره
وتسد الفراغ الذى يتركه الرجل
فى ميدان العمل الداخلى ، ولما
كان التنظيم النسبائى يتطلب
قادات نسائية تحمل أفكارا علميا
متطورا ، تابعا من دراسات
تاريخية للحركات الشعبية فى
مصر والعالم ، فهو كذلك يحتاج

منسياسي ؟ تتأخذ حقوقها
الاجتماعية كاملة .

كما انها يجب ان تخرج من
المعركة بكاندرات نسائية مدربة ،
فاهمة لاهداف التنظيم النسائي ،
مدركة لفساياته ، مؤمنة به
وبسياسته واعماله .

وهنا تجربة تمنا بها في حي
منشية البكرى ، بتكوين لجان
المعارات من اجل المعركة ،
ولتكون قاعدة اساسية للتنظيم
النسائي في الحي .. ولجنة
المعار في منشية البكرى تتكون
من مفررة عن المعارة ، ومعهما
مدد من سكان المعارة يتحدد
طبقا لعدد شقق المعارة وحجبا
.. واهداف اللجنة هي :

١ عمل شئطة اسعاف ،
وتدريب بعض فتيات
المعاراة على الاسعاف

والتمريض لرعاية متناكن
المعاراة أثناء الفارة او
التطوع في المستشفيات .

٢ جمع التبرعات لرعاية امر
المجنسين في الحي ،
ومساعدتهم .

٣ زيارة الجرحى وتقدير
الهدايا لهم بالتعاون مع
لجنة الشياخة .

٤ التعاون مع الدفاع المدني
أثناء الفارة وتنفيذ تعليماته
وتدريب الفتيات على اعمال
المقاومة الشعبية والدفاع
المدني .

٥ مراقبة التبوين في الحي من
داخل المعارة ، بأخذ رأى
السكان في التبوين
ومشاكله ، وكيفية الاشراف
عليه ، حتى تخرج برأى

متساوية لارائة التبوين على
مستوى الحي ، وتكون
مفكرة المعارة هي المسئولة
من تغفل آراء وشكاوى
السكان الى لجنة التبوين
على مستوى الحي .

٦ توعية سكان المعارة ضد
الاشاعات الكاذبة والحرب
النفسية .

وكذلك لا ننسى في هذه
الرحلة التي نأبذل فيها لحرير
الارض ، توعية نساء المعارة
بأهمية التنظيم النسائي واهدافه ،
لنربط التنظيم النسائي بالنضال
الوطني .. وقد نجحت هذه

التجربة في منشية البكرى
بالنسبة للمعارات التي تكونت
فيها هذه اللجان ، بديل اقبال
السيدات على تكوين لجان
معارات جديدة يوميا .

● أوسع فرص المشاركة الشعبية

تقبارى عبد الله

● ونظرا لان اسرائيل هي
بؤرة الحرب في الشرق الاوسط،

● وأن الولايات المتحدة
الامريكية ومنذ عام ١٩٦٦، قد
قررت استخدام العنف ضد
الحركة الوطنية العربية بعد أن
فشلت محاولاتها المتكررة لاحتواء
هذه الحركة والسيطرة عليها .

● ولأن اسرائيل قد احتلت في
عام ١٩٦٧ سيناء والجولان
والضفة الغربية للاردن وانهسا

● للرد على المبادرة المصرية
والعربية في ٦ أكتوبر .

● ولواجهة الموقف المصري
التاريخي خلال فترة الحرب وبعد
وقف اطلاق النار .

● ولوقف المد الوطني العربي
الواسع والذي دفعته حرب
اكتوبر بقوة الى الامام فانها بعد ان
العدة في ظلستار الدخان الذي
يطلقته حول نواياها السلوية
لتدبير اعتداءات عسكرية جديدة
على بلادنا .

دخلت الحركة الوطنية المصرية
والعربية بحرب اكتوبر مرحلة
جديدة وحاسمة في تاريخها .
وبرغم الموقف الرسمي لاطلاق
النار فان المعركة بين العرب
وبين اسرائيل وامريكا ستزداد
ضراوة في المرحلة القادمة على
كافة الجبهات السياسية
والعسكرية والاقتصادية .

ان الولايات المتحدة الامريكية
وادانها اسرائيل في محاولة
جديدة :

شربت قملًا في القسم النسائي لهذه الأراضي تحقيق الهدف الأعلى للسياسة الإسرائيلية في إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

فإن النضال الوطني في مصر والعالم العربي سيأخذ ولفترة طويلة شكل حرب التحرير والمقاومة الوطنية وسوف ينفجر القتال بين لحظة وأخرى .

إن التاريخ لا يعود إلى الوراء وإن النصر النهائي والحاسم هو مستقبل قوى التحرر والتقدم مهما تعمّرت خطواتها في البداية . ولست أمنا العربية مستثناء من حكم التاريخ ، بل على العكس من ذلك فقد أثبتت خبرة النضال الوطني ضد كل الدور الاستعمارية فيها متى كما أكتت حرب أكتوبر أن أمنا العربية تلك كل شروط الصرول بما يلزمنا فقط هو وضع المخطط الاستراتيجي والتكتيكية الصحيحة وأن هذه الخطط لابد وأن تبني على العناصر التالية :

١- حرب تحرير طويلة .

٢- استئناد الجيوش النظامية على شعوب مسلحة .

٣- الاعتماد على القوة الذاتية المصرية والعربية كأساس .

٤- أن البعد القومي أساس وفعال للغاية وأنه لابد من وجود استراتيجية عربية واحدة وصحيحة .

٥- استنادا إلى أوسع جبهة عالمية مؤيدة للحق المصري في تحرير أراضيهم بقوة السلاح وأنه في ظل نشوب القتال فعلاكتسب المزيد من الانصر . وأن إرادة القتال الحازمة هي الأساس في توفير كل هذه العناصر للنصر . ولكي ما تكون إرادة القتال لدى

كل الشعوب والنظم والتسوي السياسية المصرية حازمة ورأسخة لا تتزعزع فلتنا يجب أن نواجهها بقوى حد من الصراحة قضيتين رئيسيتين :

الأولى ، وهي الموقف من التهديدات الإريكية . إن القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية الأمريكية قوة هائلة ، وقد هدد الرئيس نيكسون فعلا في الأيام الأولى من حرب أكتوبر بالتدخل على نحو ما فعلت أمريكا عام ١٩٥٨ في لبنان . ولتشاء الحرب الأهلية بين النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠ ، . . . ولكن القوة لاستعمارية الأمريكية قوة بلا مستقبل وتحمل بين طياتها كل قوة استعمارية في التاريخ عوايل ضعفتها وقد بدأت مكانة أمريكا عسكريا وسياسيا واقتصاديا في التدهور ، فقد تلقت ضربات عسكرية مؤثرة من حركات التحرير في الشرق الأقصى أجبرتها على التراجع ويعاني اقتصادها من أزمة طاحنة وتنشب التناقضات الحادة بينها وبين حلفائها في غرب أوروبا . وهي باختصار ليست بالقوة الخرافية التي لا تقاوم .

إن أمريكا ليست مطلقة اليد في التدخل المباشر ، كما أن التدخل المباشر ليس مطروح طالما أن القوة العسكرية الإسرائيلية ما تزال قادرة على العمل . ولكن علينا أن نكون مستعدين لمواجهة التدخل المباشر إذا حدث . إن التراجع أمام التهديدات الإريكية لأن التراجع سيؤدي الاستعماريون الإريكيون تهمسكا بأهدافهم الاستعمارية في المنطقة العربية . . . وسيقع العالم فريسة سهلة للاستعمار الإريكي إذا ما أقرعته التهديدات الإريكية .

إن الاستعمار الإريكي على المدى الطويل ، والمستوى

الاستراتيجي عظيمه المؤسسية النهائية ويجب أن لا يخالفنا شك في ذلك ، أما على المدى القصير ، والمستوى التكتيكي فيجب أن لا نستعين بالقوة الأمريكية دون أن نتراجع أمامها بل يجب مواجهتها بخطة صحيحة خطة حرب طويلة .

أما النقطة الثانية فهي تعبئة كل طاقات شعوبنا ضد العدو . إن النصر على عدونا الإسرائيلي الإريكي لا يكفي لتحقيق جزء من طاقات شعبنا المصري أو شعوبنا العربية ، ولا كل طاقات هذه الشعوب يستوعبها الصلي . إن ذلك يتطلب كل طاقات شعبنا المصري وشعوبنا العربية ، بل يتطلب مضاعفة هذه الطاقات اضعا مضاعفة أي رفع مستوى الكفاءة الفردية والجماعية في كافة المجالات القتالية والسياسية والاقتصادية والثقافية اضعا مضاعفة . وذلك كله مروهون باتاحة أوسع فرص المشاركة الشعبية في الحياة العامة على كل الجبهات . ولابد لذلك من تحقيق شرطين ضروريين :

١- توسيع مجالات الحريات العامة وخاصة بحرية الرأي والنشر والصحافة إلا ما يتعلق بالأسرار العسكرية .

٢- تنظيم الشعب في الأشكال الملائمة والقادرة على حشد كل القوى وتعبئتها وإثارة حماسها ، وإطلاق إمكانياتها المبدعة .

إن جنونا وضباطنا الذين اقتحموا قنساء السويس وخط بارليف ، وإبناء شعبنا الذين تدفقوا على مراكز التدريب والذين يتحرقون شوقا لمواجهة العدو جديرون بتحقيق كل شروط النصر وتحمل كل ما يتطلبه من تضحيات .



أمريكا اللاتينية بعد «الليندي»

جيفارا .. ودروس الاخفاق المؤقت

في الأرجنتين

والكونجو ..

وبوليفيا ..

خيرى عزيز

يأتى الآن لينفى تجارب النضال السلمى والمسلح أيضا من أجل الاشتراكية ، والنضال السياسى العام من أجلها .

فليس ثمة شك فى ان التآمر الرجعى والاستعمارى المسلح الاطاحة بحكم الرئيس الليندى ، واغتياله شخصيا ، قد أضف جديدا بالنمى الى رصيد الدوافع المنطقية العادلة ، التى تدفع كثيرا من الفصائل الثورية فى هذه القارة ، الى طريق الكفاح المسلح . والامر الذى يطغى على مفارقة سياسية ملحوظة هنا هو انه فى حين أعقب استشهاده «تشى جيفارا» الرائد البارز لخط الكفاح المسلح ، خفوت وضعف مؤقت لحركة الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية عامة ، فان من شأن استشهاده الرئيس «علفادور الليندى» الرائد البارز لخط الكفاح السياسى السلمى ان يقضى

على التطورات الاخيرة فى أمريكا اللاتينية ، ونعنى بها على وجه التحديد ، التطورات التى أدت الى اسقاط حكم الرئيس التشيلى

«سلفادور الليندى» تانى لتثرى مرة أخرى - الأخيرة الثورية لشعوب ومناضلى هذه القارة الغامضة بالبطولات والاساطير . ونثرى - ايضا - انخبرة الثورية للشعوب المناضلة عامة ، وشعوب العالم الثالث بصفة خاصة .

فكما كان اغتيال واستشهاده انماض الثورى «تشى جيفارا» فى بوليفيا عام ١٩٦٧ ، حافلا بالمعبر والدروس للحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية والعالم ، وخلاصة تلك الفصائل الثورية التى تبنت خط الكفاح المسلح ، فان اغتيال واستشهاده الرئيس «تشى» «سلفادور الليندى»

ها

فيه : « ان التجربة العملية في كوبا أثبتت إمكانية تخليص البلاد المتخلفة من قبضة الاستعمار ، حتى اذا لم تحقق جميع الشروط الموضوعية والذاتية للثورة » ، وذلك في الوقت الذي أثبتت فيه تحديات ودراسات محلي الثورة الكوبية ودارسها ، ان هذه الثورة ، ما كانت تتجحجج هذا النجاح انفذ الباهر ، لو لم تتوفر الشروط الموضوعية والذاتية اللازمة لنجاحها تماما ، سواء في ربح المصير الكوبي المحتل المتفخخ في ظل ديكتاتوريات باتيستا ، او في نموذج القيادة الثورية الفذة البارعة ، الذي قيسه نأتدها لتعظيم الاعلى : فيدل كاسترو ، وهي نقطة مفوت تعرض اليها بمفصل بحدود بعد قليل .

ان المشكلة التي اوفعت كثيرا من حركات الكفاح المسلح في امريكا اللاتينية في الفتره المنصرمة ، في طريق مسدود ، وقادتھا الى مهوى الاطبات والفشل ، قد تبلت بوجه من الوجوه ، في التقييم الخاطيء من جانب قادة هذه الحركات لحقيقة الظروف الموضوعية في بلاد امريكا اللاتينية عامة ، ومدى ملائمتھا لتغيير ثورة شاملة على نطاق القارة بأسرها . فقد اتجه ، ولأه القادة في تحليلهم لواقع ظروف تلك القارة ، الى التعميم ، دون التحديد ، في الوقت الذي يكس فيه جواهر ومحتوى اى تحليل ثوري علمي ، في ذلك المبدأ البالغ الاهمية في حياطة اى انسان .

« ثورة . . » **التحليل المحد للظروف المحددة** . لكن العديد من قادة هذه الحركات ، غدوا في الحقيقة ، مساهبه نظرية ، لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفكر الثوري في العالم - اللهم الا في بعض المساهمات الثروتسكية - حول توفر الشروط ، اللازمة لاتداع الثورة على طاق القارة اللاتينية بأسرها في حقبة تاريخية واحدة . ونحن بانقطع لا نبحث هنا ، عن مقاربات تاريخية حاسرة وطامة ، حين نقول ان فكرة الثورة الشاملة على نطاق قارة بأسرها ، وعلى نطاق العالم بأسره في وقت واحد ، لم تبرز في الانبيات الماركسية الا من خيال نظرية « ليون تروتسكي » عن الثورة الشاملة على نطاق القارة الاوربية كدھا بعد الثورة الروسية ، ثم على نطاق العالم بأسره ، حد ذلك وفق مفهوم تروتسكي عن « الثورة الدائمة » ، ذلك المفهوم الذي خاض « ستالين » ومن وراءه الحزب الشيوعي السوفيتي ، بكل ترائه الثوري ، وخبرته العميقة ، نضالا مظلما ضده ، بنجاحها عمليا في تحقيق الانتصار « لائتلافية في بلد واحد » ، ولا على عكس مقاهيم وتبوتات « تروتسكي » . بيد انه اذا كان أحد بالطبع ، لا دجه رغبة « التروتسكية » او يطبع بوصفيتها ، نضال بباطل رافتمون بلخضر ، وثوار عظم كايطل ويوار هذه القارة الكبرى ، الا ان التماثل التاريخي بين هاتين الفكرتين في الحقيقة أمر لا يمكن انكاره .

لقد اعتقد قادة كثير من حركات الكفاح المسلح

بقوة متطردة ايديا خط الكفاح المسلح في قارة تتسم القوى الرجعية فيها بعنفها المموى العاتل ، على أنه اذا كانت الحصيلة المحددة تجريتي « جيفارا » و « الليندي » في كل من بوليفيا وشيلي ، ومن واقع التطورات السياسية المحددة في هذين البلدين ، هي حصيلة سلبية مؤقتة نظرا لاستمرار سيطرة القوى الرجعية والاونجاركية في بوليفيا كما كان العهد قبل حركة جيفارا المسلحة ، ونظرا لنجاح قوى الثورة المضادة في الاسلاد على السلطة في شيلي والاطاحة بحكم السدي المتقضى ، فان تلك الحصيلة السلبية المؤقتة على نطاق البلدين ، انما تتطلب الآن أكثر من اى وقت مضى ، اعادة نظر نقدية شاملة ، لطريق الذي سلكته كل من حركة الكفاح المسلح ، وحركة الكفاح السياسي السلمى في هذين البلدين في الحقبة الاخيرة علما بان التعرض النقدي لتجارب جيفارا المسلحة ، لا يعنى بحال فقد خط واحتياز الكفاح المسلح في حد ذاته والذي يتبدى اهميته وضروبه اليوم أكثر من اى وقت مضى ، كما وان فقد تجربة الليندي في شيلي لا يعنى بحال ايضا نفي إمكانية التحول السلمى الى الاشتراكية نفا قاطما ، اذا توفرت ظروف ضرورية معينة .

ونستحاول في هذا المقال ، ان نقوم بعملية اعادة نظر نقدية للسبل النظرية والتطبيقية التى اتخذتها ، تجارب جيفارا المسلحة ، سواء نسي داخل امريكا اللاتينية او في خارجها ، على ان نستكمل في مقال تال ، الجانب الثانى من الموضوع ، الأوه التعرض النقدي لتجربة الليندي في تشيلي من الناحيتين النظرية والتطبيقية . رهي ضوء الخبرة التاريخية ، والخبرة الثورية السليقة لشعوب امريكا اللاتينية نفسها ، ولشعوب العالم وحركاته الثورية عامة .

اهمال ضرورة توفر

الظروف الموضوعية

ليس شبه شك في ان المقلد الاساسي الذي ضربت به حركات الكفاح المسلح ، او بمعنى أكثر دقة ، محاولات اشمال الثورات في امريكا اللاتينية بعد ثورة كوبا ، قد تمشل في رفض او اهمال هذه الحركات او المحاولات ، للمفهوم الماركسي اللينيني عن ضرورة توفر الظروف الموضوعية اللازمة للثورة في بلد من البلدان حتى يمكن نجاح هذه الثورة ، وحتى تشي جيفارا نفسه ، ذلك الدأثد الثوري الفذ ، الثاقب لائظر ، والمناقد الصميرة ، الذي اتسق في كل حياته واعماله دوما ، مع مصالح الثورة ، فشارك ، بوجه من الوجوه ، في شيوخ هذا المفهوم ، ولقد تضمنت جوانب من فكره وفق هذا المفهوم أيضا في الحوار الهام الذي أجزته معه الطليعة في عام ١٩٦٥ ، والذي قال

وتتبدل نقطة الضعف الأساسية لدى أنصار هذه المفهوم وعلى رأسهم « ريجي نويريه » في أنهم تناولوا قضية الثورة من جانبها الذاتي أساساً . يقول ريجي نويريه موجزاً أمثال شتي : « الظروف الموضوعية متوافرة في جميع الدول تقريبا ، لكن الظروف الذاتية متعقدة » . وهكذا أقرروا بفرضية تناسوا فيها إلى حد كبير دور العوامل الموضوعية ذات القدرة الجبرية القسرية في تحديد مسار التطور التاريخي ، أو - على أكثر تقدير - اقتصر على توفر هذه الظروف الموضوعية ، في الوقت الذي لم تكن موجودة فيه واقعا ، وركزوا بمشكلة الثورة في أمريكا اللاتينية محسب - في مشكلة توفر الطرف الذاتي ، في مشكلة إيجاد الطليعة الثورية للعمل المسلح في مختلف البلدان ، وذلك بغض النظر عما إذا كانت الظروف المهيمنة منسجح بنجاح الجهود المسلحة لهذه الطليعة أم لا ، وبغض النظر عن طريقة تشكيل هذه الطليعة ، وما إذا كانت تتجلبوا موضوعيا ناهيا - بشكل طليعي - من خضم الصراع الاجتماعي الحلي ، ومن رحم التناقضات الاجتماعية المحلية المستمدة ، أو مفروضا بشكل ذاتي تحكمي من صنع من الخارج ، أو يدفع من الرمح الثوري العالي مغلف من الإبطال الرومانسيين المسليحين ، ابتغاء تطبيع مفهوم « البؤرة الثورية » .

هنا يكون الخطأ التاريخي الذي يقع فيه مثل هؤلاء الإبطال الكبار منتحلا في أنهم حاولوا فرض طلائع مسلحة متقدمة جدا ، على واقع ثوري متخلف ، حاولوا فرض حالة ديناميكية محتمة ، على واقع سياسي هامد ومباكث ، وبهذا صيغوا الترابط الجبلي الساسي « بين الذاتي والموضوعي » وكان الاحباط نصيبهم في ختام الامر .

من هنا نعتقد ان ما هو أكثر أهمية - لنجاح حركات الكفاح المسلح في الحقيقة - ليس هو مجرد خلق البؤرة الثورية ، كما تصور معظم قادة هذه الحركات في الفترة السابقة ، ليس هو أبؤرة الثورية في حد ذاتها ، لأنها لا يمكن أن تتشكل بالرفعات الذاتية لأي مجموعة من المناضلين معتد عزما على بدء الكفاح المسلح ، وإنما الأكثر أهمية لنجاح حركات الكفاح المسلح ، فهو ضرورة توفر الظروف الموضوعية العامة التي يتبع للنضال المسلح لهذه الثورة ، أن يؤولت ثماره في مدى زمني طائل أم قصير ، على نطاق المجتمع بأسره . من طريق الالتحام الثوري الحقيقي في نهاية الامر بين مناضلي الطليعة في المقدمة ، وبين الجماهير الشعبية الواسعة ، كتعاودة انطلاق للثورة الشاملة في هذا المجتمع ولن يأتى امره ذلك إلا من خلال تحليل على ثوري التناقضات الأساسية والثانوية الحقيقية التي تحكم مسار هذا المجتمع . والتي تكشف الامكانيات الحقيقية المتوفرة عملا لاحداث تغيير ثوري استراتيجي ، وتوجيه ثورة شاملة .

في أمريكا اللاتينية في الفترة المضرومة - بصورتها الذاتية - ان الظروف الموضوعية للثورة ، متوفرة في جميع بلدان أمريكا اللاتينية ، وإنما ينقص هذه البلدان تمسب . فهو الطرف الذاتي المنجرة للثورة ، والطلائع الثورية التي تشمل نازها ، وبذا خلط هؤلاء القادة بين الظلم الاجتماعي كحقيقة ميكانيكية سائدة ، وبين الثورة على هذا الظلم ، كعمل واجديلى حى ، خطوا بين الظلم ، والاحساس بالظلم في حياة المجتمعات الانسانية بصفة عامة . لأنه اذا كان صحيحا ان تلك البلدان التي نشبت فيها الحركات الثورية المسلحة في أمريكا اللاتينية ، مثل بوليفيا ، والأرجنتين ، وجواتيمالا ، وكولومبيا ، وغيرها ، تنقسم جميعا بحكم الاقليات الاوليغاركية الطائفة ، وبالقيم الوحشي والبوليسي ، وبالفقر والبؤس والفساد التي تعيش فيها الملايين ، فمن الصحيح أيضا ، ان كل هذه الظالم الموضوعية ، لا يخلق ثورات ، بعد ذاتها . ولا تحتاج تلك البنية الى مزيد تأكيد ، وهى ان الثورات لا تقوم ، مجرد نتيجة للظالم الاجتماعية محسب ، وإنما نتيجة للحركات الثورية المنتفضة لطبقات التي تترضى للظلم الاجتماعي ، ونتيجة للولادة التاريخية الطليعة لقيادة هذه الطبقات والحركات ، من رحم المجتمع الذي ينشأ من قسوة الظلم الاجتماعي أولا وقبل كل شيء .

استخدام خاطئ لمفهوم :

« البؤرة الثورية »

ولكن المشكلة التي تعرضت لها حركات الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية بعد ثورة كوبا ، ومنها الحركات التي قادها جيفارا نفسه ، قد نعمت بوجه من الوجوه ، من عمليات التطوير الثوري التي أعقبت نجاح الثورة الكوبية ، ومحاولاة الاسمرشاد بهذا التطوير في تقليد النموذج الكوبي ميكانيكيا . وهكذا ، نجدانه بدلا من ان يكون نجاح الثورة الكوبية تأكيدا جديدا لصفة الفكرة الماركسية اللينينية عن ضرورة توفر الظروف الموضوعية والذاتية الثلاثة لنجاح الثورات - وهى الظروف الموضوعية والذاتية التي توفرت بالفعل في كوبا - نجد ان تجارب هذه الثورة تستخدم لفرض صيغة نظرية جاهزة للثورة في أمريكا اللاتينية تمثلت في تقليد النموذج الكوبي بتطبيق مفهوم « البؤرة الثورية » ، هذا المفهوم الذي يركز مشكلة الثورة في تلك القارة ، في مجرد خلق بؤرة ثورية ، في مختلف البلدان ، ينطلق منها رجال العصاميات من الثغمين الثوريين والملاحين القراء ، للقيام بالدعاية المسلحة ، والذارة الضعيف ، ودفعه للقيام بالثورة بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية في النهاية .

وهكذا نجد أن **بيريدو** البوليفي الوحيدة التي شرادة الثورة البوليفية بجسد نفس الوضع الاستثنائي الذي مثله جيفارا ، الأرجنتيني الوحيد في قيادة الثورة الكوبية ، ولكن على نحو معكوس تماما . فبينما كان جيفارا ، هو الاستثناء « الإيجابي » الوحيد في القيادة الكوبية الوطنية ، كان **بيريدو** هو الاستثناء « الوطني » الوحيد في القيادة البوليفية « الأجنبية » ، مما يأن ذلك لا يشكل سوى الإطلاق اعتراضا على مساهمة العناصر الثورية الاممية في أي نضال ثوري في أي بقعة ومكان .

لكن القاعدة التاريخية تد اكدت حوما ، في تشكيل قيادات كل ثورة عظيمة ، أن العناصر الوطنية كانت هي أساسها وبها وجوهرها . أما المناضلون الامميون « الأجانب » ، فهم محاسن استثنائية مبدية على طريق هاديا . ولم يثبت التاريخ قط ، ان عناصر الاستثناء الاممي ، كانت هي الأساس واللب والجوهر ، في قيادة أي ثورة كبرى حتى الآن . ولم يثبت أمريكا اللاتينية العكس . لأن الثورة حدث لايفتح فيه التمثيل النيابي ، ولا يفجره احد نيابة عن أحد ، ولا شعب نيابة عن شعب آخر . فالثورة طاهرة وطنية أولا ، ومن ثم فهي أممية .

ان لحد الالة الكبرى . هي تاهل كويا موضوعيا للثورة ، انها افترت بصراعها ، وتنشأتها ، واحتدامها الثوري الكامن ، دون غيرها من بلاد أمريكا اللاتينية الأخرى . قائدها ، **فيدل كاسترو** ، بكل واهيه السيدسية والعسكرية الثورية الفاتحة ، وذلك لير لا يتسم قط بأهمية محدودة ، لأن افراز : نوعية قيادية كبرى مثل كاسترو ، بشكل طبيعي من رحم المجتمع الكوبي ، كان معنى . في سلك التطور الماريخي - أن هذا البلد مؤهل حقا للثورة . ذلك أن قادة الثورات ، والأفراد العظيم ، لا يشاؤون عذ صدفة ، أو علو الخاطر ، في التاريخ . وإنما يشاؤون كتنويع لاحتياجات موضوعية معينة ، وكتمبير مركز عن نمو طبقات جديدة صاعدة . بل أنه حتى نشي جيفارا نفسه ، وإبرازه كمناضل ثوري كبير من خلال دوره البطولي « الجيد في » الثورة الكوبية ، قد جاء في البداية والأصل ، نتاجا خصبيا مديعا ، لنشاط الثوار الكوبيين في المنفى أساسا . بعد كان **فيدل** « ابن كويا » هو الذي قام بتجديد نشي جيفارا لصوف الثورة الكوبية . أن « الوطني » هو الذي جند الاممي ، للثورة التي أضاف إليها نشي رصيدا ثوريا هائلا بمواهبه ، وأبداعه انثوري الفائق إلى جانب قائدها الأعلى . وهكذا نجد أيضا ، أنه حتى تجديد قائد ثوري كبير مثل نشي في صفوف الثورة الكوبية ، قد جاء - كذلك - نتاجا موضوعيا للمكانيات السياسية الموضوعية والذاتية ، التي توفرت لهذه الثورة في ابداع

لقد نجم فثلال حركات التحسين المتخصصة الفترة الماضية بالتحديد ، نتيجة لاستخدام **الخطاير** لفكرة **الثورة الثورية** ، بغض النظر عن توفر الظروف الموضوعية الملائمة ، بدفع هذه الثورة قدما على طريق النجاح في تفسير بورة مشابهة ، أو عدم توفرها . ساهمة دان فهوم للثورة الثورية يأخذ طابع « تصغير الثورة » ، عندما تكون هذه الثورة متبودة . لا خافرا طبيعي موضوعي ثوري من رحم المجتمع الذي تنصل فيه ، وإنما عندما تكون ولادة الإرادة الفاتحة الذاتية للرومانسيين المسلحين ، وعندما تكون محاولة « بمصلنمة » وأن تكن مخلصا بالقطع ، من جانب هؤلاء الإبطال ، لفرضها فرضا على رحم المجتمع الذي يحاولون « زرعها » فيه .

لقد كانت الثورة . ككوبية نتاجا ثوريا موضوعيا طبيعيا للمجتمع الكوبي المعظم بالمعصف والتناقضات ، وهذا يعمر - فليل غيره - من انصارها الظاهر ، في الوقت الذي فشلت فيه المحاولات الثورية الأخرى . لقد حقق المجتمع الكوبي المحتدم بالثورة - التتجر ، ثواره وإبطاله الوطنيين أولا وقيل كل شيء ، ولم تستورد كويا قيادتها من أي مصدر خارجي . مهما كانت روعة واتقاه اشعاعه الثوري ، رأى حرة مقارنة بين قيادة الثورة الكوبية برهانية كاسترو . وقيادة الحركة البوليفية المسلحة بزعامة جيفارا ، والحركة الأرجنتينية المسلحة برهانية ماسيبي ، تكشف لنا عن الفارق الجوهرى الموضوعي . بين ثورة تتولد نتيجة احتدام : لتخصصات سيبرسية موضوعية ، وتفجر في اصصف صفات النظم الاوليغارشيك في أمريكا اللاتينية « نظام باليستا الديكتاتوري » ، وبين ثورة أخرى - يحاول الإبطال « زرعها » . وتلجبرها ، مبادئ دأبية مسبقة ، يدفعها حلم رومانسي عريض يتبعي كما قال جيفارا « الإسراع بحجلة التطور التاريخي ، لا القبول بمجرأ الثوري الطبيعي المعتمى .

وإذا كنا نريد أن نسترشد حقا بهذه المقارنة التاريخية كما أوضحنا فلنأنا دون بهذا : انصعد ، أن نتساءل : من هم في هذه المقارنة الهامة ابن ، القائد الكبار للثورة الثورية « هم هينل كاسترو ، وراؤول كاسترو ، وجوان بعدا ، وكاميلو سينيفويوس وكلهم كوبيون ، باستثناء جيفارا ، الأرجنتيني الوحيد .

أما القادة الكبار لحركة البوليفية المسلحة ، فمن هم إذن ، بخلاف نشي جيفارا ؟ : انهم : « خوان نوفييز ، وأورلاندو تاجاسو ، وإيليسيو رودريجيز ، وجوسيفاسو ماشين ، والبرتسو سالتشيز ، وخيسوس كاجول ريكهم كوبيون ، باستثناء بيريدو ، البوليفي الوحيد .

ومواهب تلك الشخصية القيادية المطيبة : فيدل كاسترو .

وهكذا نجد - على نحو اجمالي عام - ان الثورة الكوبية ، لم تتوحد بحقيقة موضوعية نتيجة تطبيق المفهوم المسبق « للثورة الثورية » وانما نجد ان « الثورة الثورية » هي التي نجحت واقعا في كوبا ، لان الظروف الموضوعية والذاتية هناك ، كانت كفيلا بجراح حظ « كفاح المسلح » بمعنى ان كوبا الثورة الكائنة ، هي التي خلقت الثورة الثورية اولا وتبل كل شيء ، وليس العكس باى حال ومن ثم نجد ان الثورة الكوبية ، لم تنقض الفكرة الماركسية اللينينية من ضرورة توفر الظروف الموضوعية والذاتية اللازمة لسبج الثورات ، وانما اكتشدها لان الحفنة من الرجال المستعدين بقيادة كاسترو ، لم تمثل فسد بنطق الظروف الموضوعية والذاتية الكائنة في رحم المجتمع الكوبي ، وانما عملت في اتصاف ثائري في تسامحها ، وهذا هو سر نجاحها الفائق .

الإضافة الكوبية الجديدة :

ان الجديد الذي جاءت به الثورة الكوبية ليس هو قط مفهوم « الثورة الثورية » نفس هو ذلك الاعتقاد بان خلق « الثورة الثورية » كليل بتغيير ثورات شعبية شاملة في اى بقعة ومكان في تلك القارة الرحبة ، فقد ثبت في التعطيق ان ذلك غير صحيح ، لان مفهوم « الثورة الثورية » في حقيقةه ، ليس الا عملية تنظيم ، رد تاثير نظري ولسنته الذاتي من الكفاح : مسلح : لتمايح الذي قام به كاسترو وجيفارا في كوبا ، يطوى على افعال للجانب الموضوعى الذى لعب دورا اساسيا في نجاح هذا الكفاح . وهذا هو السر في انه عندما تلقف بعض قادة حركات الكفاح المسلح هذا المفهوم ، « كوصفة ثورية » و « صيغة نظرية » جاهزة لفتح لكل ثوري ثائر على حسن السلاح في القارة اللاتينية ، بغاليق النصر والظفر ، فانه لم يتمكنوا من تحقيق بش هذا لفهم الموعود ، ولم تؤد كلمة هذه الحركات الى نجاح الكفاح المسلح في تغيير ثورة اخرى بعد الثورة الكوبية منذ ١٩٥٩ حتى الآن .

لما الجديد الذى جاءت به اثورة الحوية حقا ، والاضافة الجديدة التي قدبتها للماركسية اللينينية حقا ، ففتتبل في اثبات تلك الحقيقة التاريخية الحية الخلاقة وهي انه اذا عجز احد انحزب الطبقة العاملة ، احد الاحزاب الشيوعية المنحية عن التمييز عن المخططات التاريخية الضرورية التي يحتتها الصراع الطبقي في مجتمع ما ، أو هو بمعنى ادق ، اذا تخلف عن القيام بدور طليعة

الشعب في هذا المجتمع : فان الصراع الطبقي لا يتوقف باى حال من الأحوال ، وانما يخلق لنفسه اداة جديدة تكون تمهيرا تاريخيا جديدا عن العملية ، واداة جديدة لتحقيق مهماتها ، وهي الاداة التي تجسدت في كوبا ، هي حركة ٢٦ يوليو التي قادها كاسترو ، والتي أدت الى نجاح الكفاح المسلح ، وتغيير الثورة الشاملة في البلاد .

على انه اذا اردنا ان نجد الحقائق النظرية المذكورة سالفا عن الثورة الكوبية تجسدا . معددا مختصرا نقول : لقد نجح هذا كاسترو في تغيير الثورة في كوبا ، لانه تمكن من الاستفادة من الظروف المحيطه به ومن استغلال التناقضات التي يتحدا واقع كوبا الموضوعي . استغلا لثباتها جديدا ، فلقد تمكن بمهارته السياسية من ان يحظى بدعم مادي ومعنوي حتى من « الميساريين » الليبراليين التقليديين ، الذين كان يبدو لهم - كمنافس من أجل الديمقراطية - حشد ديكتاتورية بتأثيرها . كذلك استطاع حركة كاسترو (حركة ٢٦ يوليو) ان تحظى بدعم خارجي ، وان تجتمع الثمرات باسم « حقوق الانسان » حتى من الولايات المتحدة نفسها ، وان تتلقى مرمونة مالية من رئيس جمهورية كولومبيا باسم الدافع عن الديمقراطية ومن فنزويلا ايضا وان تدرس نفسها حماية عالمية ضخمة ، عن طريق مجلات عريقة عالمية كبرى ، لقد حش كاسترو لانه لجا الى استغلال التوتر الضخمة الذي كثر سائدا في كوبا ، لصالحه ، كما انه حش - بهذه المناسبة - حاسمة في كل حرب عصيان ثورية - في كسب الفلاحين في جبال سيرا مايسترا الى جانبته بخلا من انضمام مجموعات من الوريوزاوية الصغيرة اليه واعترافا به ، كذلك لقد تمكن فيما بعد من الحصول على دعم مجموعة أخرى من البرجوازية التي تسكن من عزلها عن البرجوازية الكبيرة ، وهي المجموعة التي كانت تعمل مع بورجوازية استغلال مشروب الدم ، واستغلال السكر ، وتربية الماشية ، وزراعة النخيل ، ويمكن من دفعها الى المصادة لحكم باتيستيا وديكتاتوريته لولعها الى الاتجاه الى دعم موقفه هو بالذات ، كذلك تم يكن في اتجاه كاسترو حينذاك اي اثر « للميسارية » يخيف البرجوازية بل على العكس كانت تثق به تماما . كما انه تمكن من الحصول على دعم بعض رجال الدين ، وهم فئة ذات أهمية وتأثير قسالي . وهكذا نجد انه في الوقت الذي نجح فيه في كسب تعاطف الفلاحين ، والخص الفلاحين الفقراء ، فانه نجح ايضا في كسب كثير من القوى البرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الأخرى ، وفي تحييد كثير من القوى التي كان يمكن ان تقف ضده ، وبإختصار فانه نجح في ان يربط حركته المسلحة بالريف الكوبي اولا ثم بالبلد الكوبي ، حتى تمكن في النهاية من الاستيلاء على

هاتان؟ واسقاط الحكم الرجمي؟ واتابة السلطة الثورية في البلاد .

ولكن الامور لم تمر على هذا النحو ، في الحركات التي تصدرها جيفارا بشكل مباشر أو غير مباشر ، سواء في الأرجنتين أو الكونجوا بوليفيا .

الأرجنتين : الغاية الغراء

تقبل « ماسيستي »

فألى الأرجنتين بحث جيفارا بصديقه المصميم وصفيه الأرجنتيني الأصل « خورخو ماسيستي » الذي كان يعمل محررا لوكالة « برنسا لاتينا » للكوبية للأنباء ، ليهبط لقدمه إلى الأرجنتين ، وقيادة الحرب الثورية هناك . وكان ماسيستي قد تدارس مع جيفارا نظرية الاخير الاستراتيجية التي أوضح فيها أنه : « من الممكن إقامة ثورة حرب عصابات في الأرض الأرجنتينية ، انطلاقا من قاعدة موجودة في بوليفيا » . وكان جيفارا موثقا أن الوضع في الأرجنتين يتطلب في اتجاه التفاضية شبيهة ذات طابع ثوري . وقبل في حديث مع صديقه المصميم « ريكاردو روخو » ضمنه الأخير في كتابه عن « تشي » : « أن الشروط الموضوعية للضخام بدأت تظهر في الأرجنتين ، فالبطانة تسود ، والناس في جوع ، وهذا يؤدي إلى تحرك الطبقة الكادحة في رد فعل لا يلبث بدوره أن يدفع إلى عمليات قمع تهدف إلى خنق أصوات الاحتجاج ، يخلق جو من الأرهاب ، ولكن القمع يثير الحدق ، وفي هذه اللحظة بالذات ، يأتي دور الشروط الذاتية إلى جانب الشروط الموضوعية ، يأتي دور الوعي بأن الانتصار مستطاع ، بالمعنف ، تجاه الامبرياليين وحلفائهم في الداخل » .

وكان ريكاردو روخو الذي استعدها جيفارا من الأرجنتين ليستشير به في مسألة بدء الحرب الثورية فيها ، يمارض ذلك الرأي ، وقد حاول دون طائل ولعدة شهرين ، اقناع جيفارا بعدم جدوى هذا العمل ، لأن « روخو » كان يعتقد أن الأرجنتين ليست - بحسب - حالة استثنائية تخرج عن المخطط النظري العام الذي يدعو إليه جيفارا ، وإنما هي أيضا تقضي كامل النموذج الكوبي . ولكن جيفارا لم يقبل بذلك الرأي ، وكان في كل مناقشته معه ، يرفض أية إمكانية للاستثناء ، بسبب خشيتيه من أن يقلب هذا الاستثناء نزيمة للاحزاب والحركات اليسارية في أمريكا اللاتينية تجبر بها قعودها عن العمل الثوري .

لقد رفض جيفارا في الحقيقة أن يفرض بين وضع

الجيش الارجنتيني والوضع الاستثنائي الذي كان عليه الجيش الكوبي قبل الثورة . فبداد الجيش لم يكونا يتشابهان الا في كونهما فحسب مكتسبي التجهيز ، وكثيري العدد نسبيا . ولكن الجيش الارجنتيني لم يكن على مستوى تفسيخ وتطل جيش باتيسا الكوبي ، الذي كانت تحكمه المصاابة لو يفتقر رجاله إلى التضامن ، فيما بينهم ، فضلا عن افتقاده لاية تقاليد تاريخية ، وإعادة تنظيمه ٢ مرات في فترة قصيرة على أسس لم يرض عنها المسكرون أنفسهم . كذلك فسرغم أن الجيش الارجنتيني ، كان قد أقرز عددا من غلاة الرجعيين في البلاد ، الا أن الرئيس جوان بيرون بشميته الواسعة ، كان يمتص إليه ، وكان لا يزال يؤلف عقبة أمام أولئك الذين قد يهكرون بالقتال ضد الجيش .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن جيفارا قد تعامل مع الواقع الارجنتيني بفكر مسبق في الحقيقة . لذا لم يكن بوسمه أن يقبل أو يستجيب لحاجة الأرجنتين الموضوعية إلى تنظيم ثوري على الصعيد الوطني أولا وقبل كل شيء . لأنه لو فعل ذلك لكان معناه قبوله بالنظرية التي يرفضها ، والتي تقول أن انشاء الحزب ينبغي له بالضرورة أن يسبق بداية الكفاح المسلح . كذلك نجد أنه إذا كان - من ناحية أخرى - يصر على القول باستحالة انشاء حزب يمثل تحفلا بين طبقات تكون أهدافه قومية ومعادية للاستعمار ، فهو بذلك سينتهي إلى نتيجة لا يمكن أن ترخصه ، وهي أن يخطط الحزب الثوري اختلاطا بعيد المدى بالحزب الشيوعي ، الذي كان هو قد أضاع كل رجاء في أن يكون لهذا الحزب الأخير طاقة على الثورة .

وفضلا عن ذلك وكما أوضح « روخو » ، كان « جيفارا » يرى فيما يتعلق بالأرجنتين ، أن تنظيم الكفاح المسلح يجب أن يتم في المناطق الريفية ، مادامت الزراعة هي القطاع الاقتصادي الأكثر أهمية . كان يتصور جيشا من الفلاحين يستولى على المدن . وكان يرفض أن يقبل أن هيكل الملكية الزراعية في الأرجنتين يتألف - بحسب الأغلب - من ملاك عدد أفرادها ، وهذا عامل آخر مزارعين يدفعون إيجارا متواضعا نسبيا ، وأن هذه الفئة من الناس ، هي ذات الوزن الرئيسي في مناطق الأرجنتين الأكثر أهمية ، سواء من حيث ثروتها أو من حيث عدد أفرادها ، وهذا عامل آخر كان جيفارا يرفضه قدره ، ربما لأنه كان ، على غير وعى منه ، ينقل ، بصورة آلية ، ظروف الزراعة الكوبية إلى بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى ، ناسيا ما تتميز به الزراعة في الأرجنتين من طابع شديد الخصوصية : ففي الأرجنتين ، وحسبما يرى المقامعون لأوضاعها الاقتصادية عامة لا تجد بعض

ولكن ماسيتي كان قد اختار طريقة ، وبدأ في معسكر على حدود الأرجنتين توافد أوائل القاديين للانتحاق بجيش الثوار الشعبي ، وكان رفاق ماسيتي يسمونه « المعلنون » ولم يكن ذلك اسما حركيا فحسب ، بل اسما مقصودا من شأنه تذكير الجميع بان هناك قائدا علما ، وإن كان غائبا بصورة مؤقتة ، ولم يكن هذا القائد العام سوى « تشي » .

وعلى ماسيتي آماله على امتناع العسكريين الأرجنتينيين عن تسليم السلطة للرئيس المنتخب « أرغورو أيليا » مرشح الحزب الراديكالي لانه لو حدث ذلك لاصبح عدد المنظمات السياسية والاقابية والشخصيات التي تكون قد فقدت كل أثر في تحول الحياة العامة في الأرجنتين نحو الديمقراطية ، كبيرا ويمثل قوة محيية ، لن تلبث أن تصطدم بالعسكريين المغمضين فبدأ العنف فتدبره الغضب الشعبية وبمدها قبح أشد بطشا

بغية خنق الممارسة - ولكن العسكريين الأرجنتينيين حينذاك خبىوا هذا الشئ ، وغدا واضحا ، أنهم صادقون في صرحهم على تسليم الحكم للذكور « أيليا » ، عندئذ فهم ماسيتي أن النموذج الكوبي لن يتكرر ، وانه لن يكون عليه أن يقاتل ديكتاتورا مثل باتيستا ، بل رئيسا مدنيا متواضعا ، مستعد للدخول في مفاوضات وتسويات مع كل الكتل الضاغطة في الأرجنتين وغير مستعد أبدا لاستخدام العنف كوسيلة للحكم .

وفي أواخر سبتمبر ١٩٦٣ ، اجتاز أفراد الحملة الحدود ، ودخلوا أراضي الأرجنتين - وبمدها بقليل ، حرر ماسيتي « كتابا مفتوحا » يطلب فيه من الرئيس الجديد أن يستقبل ، وأن يعترف بأن انتخابه ، جاء ثمة لصفحة غير شريفة وغير ديموقراطية في الأساس ، ممادامت القوة ذات الأكثرية - وهي البيرونية - منعت من التصويت لرشحيها . . . ونشر « الكتاب المفتوح » في مجلة « الرقيق » الأسبوعية التي يصدرها اليسار البيروني ، فأحدث ضجة محدودة في أوساط اليسار السياسية ، ولكن صوت ماسيتي ، كما يوضح روجو ، « بدأ مخفوقا أبع في تلك المرحلة التي لا سبيل إلى المقارنة بينها ، وبين الصحافة التي أيدت كاسترو ضد باتيستا ، مجلة « بوهيميا » الكوبية الواسعة الانتشار » .

ولكن « الكتاب المفتوح » - وهذا هو الاخطر - فتح أعين دوائر المخابرات في الجيش والشرطة ، أن قررت فرض رقابة منظمة ، بغية معرفة أهمية جماعة ماسيتي ، على حقيقتها ، وقيم وكرادق

الروح « البروليتارية » لدى العمال الزراعيين ، إلا في حقول القطن ، وفي مزارع قصب السكر وغابات « الكيكرانشو » (اشجار تشبه البوط) . ولكن سعة الأرجنتين جغرافيا ، تحول هذه المراكز إلى جزر منعزلة يسهل حصارها وحسبها إذا ما حاولت أية حركة ثورية أن تقوم فيها . وبالتالي ، فإن مختلف المنظمات التي تنبض ببعض الحيوية الثورية ، لن يدفعها إلى التمدد الأدنى وبصورة متناقصة ، التنظيم اعلى يكون ذا نفوذ مؤثر على الصعيد الوطني . ثم أن مكان الريف الأرجنتيني يتصفون اجتماعيا من حيث الصلوط العامة يمثل خصائص سكان المدن ، فالمنصر المهين فيهم يظل طبقة متوسطى وصغار الملاك وكذلك طبقة المزارعين المستأجرين الذين يعيشون حياة لا تقل رخاء عن حياة أولئك ، فإذا كان صحيحا أن هذه الكتلة من الناس تمنى أيضا من مشكلات كبيرة . لكن أغلب الظن أنها ليست على استعداد لأن تنبى للثورة ، إلا من كان من شبابها ، ذا شجاعة فائقة .

وعلى أية حال فقد تسلسل مرسومي في يونيو ١٩٦٣ إلى بوليفيا ، يصحبه ثلاثة من الضباط الكوبيين من هيئة أركان « تشي » ، وأهمهم المقدم « هرمس بينيتوريس » . ولكن وصولهم إلى بوليفيا ، جاء في أعقاب حدثين خطيرين ، أدخل الاضطراب على الإطار الذي خان ماسيتي دعم العمل فيه ، الأول هو اعتقال أنزعيم الطلابي هوجو يلانكو زعيم فلاحى وأدى « كوسكو » في بيرو ، في مايو ، وبداية اضطراب حركته ، الأمر الذي اعتبر منذ البداية ، ضربة للمشروع الذى كان محوره ، خلق سلسلة من يؤر رجال العصايات تمتد من بيرو حتى شمال الأرجنتين ، وهو مشروع كان أحد مقادرات الحرب الثورية ، كسما صورتها أسلاف جيفارا .

أما الحدث الثانى - وكان غير متوقع - فيتمثل في أن العسكريين الأرجنتينيين الذين تمعوا من الشقاق والتنافس فيما بينهم ، انفجروا في نهاية الامر على أن يسلبوا السلطة لحكومة مدنية تاتى نتيجة لانتخابات « مراقبة » في يوليو ١٩٦٣ . وتوفر لها بعض الضمانات الدستورية ، وكان معنى ذلك فى الحقيقة أن الأرجنتين مقدمة على مرحلة انتقال هي دون شك ، أمل الظروف مواتة لاختيار طريق جديد .

وهكذا ، لم يد باستطاعة ماسيتي منذ البداية ، الغلو في آماله بشأن تطور الحرب الثورية بعد هذه الضربة في بيرو ، وبعد التحولات السياسية فى الأرجنتين التي كانت تشير إلى بدء حقبة دستورية يبط خلالها توفر الشروط المسبقة المثالية لتضع برجال العصايات بالتأييد الشعبي .

روخو (١) الأسباب شعور ماسيتي بالقنوط في هذه المرحلة المبكرة من كفاحه منسج الاوجنتين فيقول: «لقد وصل الى هناك من اجل تفجير الازمة السياسية والاجتماعية الطوية التي كانت تخفي فيها الارجنتين ، فاذا مناورات الاخرين تضع على رأس السلطة رجلا لا يؤذي ولا ينفع ، ولا سيول ايدا الى وصمه بالديكتاتورية . فكان ماسيتي ، كاتب وقع في مصيدة للفئران ، ولكن اسوأ ما في الامر ، أنه - هو نفسه - لم يحاول النجاة من ورطته ، اذ رفض أن يعتبر نفسه في حل من عهده مع جيغارا ، مع أن انقلاب الموقف السياسي على تلك الصورة غير الملائمة ، كان يمنحه الحق المطلق في تقص هذا العهد » .

والذي قائم الموقف أكثر من ذلك ، فيما يبدو ، أن ماسيتي لم يحاول التعاون مع المنظمات السياسية القائمة في الارجنتين ، بل تم بسع حتى الى الاتصال بها حقا ، مما كان يمثل خروجا صريحا على التكتيك الكوي ، إذ أن كاسترو كان قد عقد المفارقات والاتفاقات مع كل الأحزاب السياسية والمنظمات المتنوعة التي أظهرت استعدادا للتعامل معه .

ولقد فضل ماسيتي أن يختار جنوده من فئتين ، الطلاب والمنشوقون من الحزب الشيوعي ، وهؤلاء اولئك ، كان يوسعهم أن يزودوه برجال مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل النكث الثورية ، وهو ما حدث بالفعل ، ولكن كلما الفتنتين ، كانتا عاجزتين عن أن تقدموا له تنظيميا في المدن ، فهما كانت ضالته ، للقيام بعمليات التصف والتدمير والتعريض السياسي ، وبالتالي ، فإن ما أنشأه كان قوة حرب مصابات مؤلفة من أفراد يغلب أن تكون لهم شخصيات ممتازة ، ولكنهم في الحقيقة ، مجرد أفراد ، منفصلين كلية عن قوى البلد الاجتماعية .

وقضلا عن ذلك ، كانت الظروف الطبيعية في الارجنتين مختلفة ، مما كانت عليه في كوبا ، فقد كانت الحياة في الغالبية العنواء في بوليفيا ، ثم في ولاية « سالتا » أقصى بكثير من كل ما كان رجال المصابات الكوبيين الذين يصبحون ماسيتي قد توقعوه ، على كل ما عركهم من شدايد ، أثناء الحرب الثورية الكوبية . كانوا مثلا قد ألفوا في كوبا ، أكل « الملائحة » تلك الفككة المنورة في الغابات الكوبية ، فذاقوا ثمرة شبيهة بها في

الغابة الارجنتينية العذراء ، فاذا هي ثمرة منسجة عانى الذين أكلوا منها تشنجات وآلاما مبرحة ، وظل بعضهم مريضا بسببها حتى سساته الأخيرة .

والتي سوء الطالع السياسي ، مع افتقار مقومات البقاء على تنكيد جيش الجماعة الصغيرة التي لم تكن قد أتت لها بعد ، أن تشو في معركة واحدة . فبدأت تثبط تدريجيا عزيمة رجالها ، وفكر أحدهم في الهرب ، فقدم للمحاكمة ، وقضت عليه محكمة الثوار بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم فعلا .

وكان الكابتن هرمس نزار ماسيتي الابن ، يقوم بتدريب هذا الخليل المتنوع من الجبود ، بينما كان رئيسه يجتر اسمه ، كان لا يستطيع صرف رجاله دون قتال ، ولكنه لم يكن يجد عدوا يقاتله ، ولذلك كان التوتر العصبي يبلغ به درجة التفجر ، فيزداد انطواء على نفسه كل يوم .

وفي فبراير ١٩٦٤ ، عادت أزمة المعلومات تدب كالحصى في أعصاب الثوار أنفسهم ، وصدر حكم جديد على ثائر آخر انتهك الانضباط . واصرف عن المناقب الثورية ، بالاعدام . وكان فتي « يكاد يبلغ التاسعة عشرة من العمر ، طلب أن يحسم بالرصاص وهو في زى المحارب ، ووعد رفاهة أن يموت كما يموت الرجال . وأطلق النذر عليه ثلاثة من الثوار ، فاضترقت جسده رصاصا على ارتفاع الضلعين الرابع والخامس ، ثم أجهز عليه « الكابتن هرمس » برصاصه مزعت خذ الابن ، وخرجت من جبهته .

فهل كانت تلك هي حرب المصابات الثورية التي حلم ماسيتي ، « جيغارا » أن يهزأ بها الارجنتيني لا بكل تأكيد لا . والقائد « المان » كان يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه كان يفتش عبثا عن طريقه للاتصال بالجبابرة لفق أسرار المزة الموحشة التي كان يحياها ، والتي كانت قد أصبحت مثقلة بالفنر . وزاد منها - على الصعيد النفسي - تعذر اتهامه اتصال لاسلكي مع الخارج ، إذ يثق لهم منذ الأيام الأولى أن الجاه الذي كانوا يملكون أن يصلهم حتى بهاتفنا ، لم يكن يصلح لشيء .

وخلال تلك الفترة ، كانت أجهزة المخابرات قد اندخلت اثنين من عملاتها بين المنطوعين في الجيش الثوري ، واكتشفت السلطات مقر الحركة ، وبدأت حملة ابادتها ، ومقط عدد من الثوار أسرى في

أبدى حرص الهندوز، ثم انقلعت مؤازرة التعلم حين أحكم الحصار حول الثوار، فأخذوا وقد عضهم الجوع، وانقطاع السوراد قسما، يستسلمون الواحد إثر الآخر، عقيب أن مات ثلاثة منهم خورا، بعد أن حاولوا مقاومة الجوع بآكل النباتات البرية.

وفي حوالى منتصف إبريل، اصطدم الكليتين هرمس وأحد مرافقيه بخفر أمامى للحرس فقتلا أحد جنوده. «ولك كانت المناوشة الحقيقية الوحيدة التي خاضها الثوار الأرجنتيون، ولكن الحرس استطاعوا تحديد مكان «هرمس» وحاصروه فظل يقاتل هو ورفيقه حتى سقطا صريعين».

وكان ١٤ آخرون من الثوار قد وقعوا أسرى بين يدى رجال الجيش الذين ما يومهم هذا ليما. جريا ضمتهم منهم من شعرهم ثم غطسوا رؤوسهم في أنشاء أولئك الذين سبقوهم إلى الموت، وهم يخلطون القهقهات الماجنة بالشتائم المقدسة. وخلال ذلك كان «ماسيتي» يزداد توغلا في الغابة المذراة الكثيفة، غاية «جوق» وهى جهنم أشروك، وحيوانات كاسرة، أجش فيها النبت وتمالى، حتى لنبتى فيها ليما دون أن ترى الشمس. ثم لم يعد أبدا بعد ذلك، ولا سمح أحد ببناء عنه، لقد ابتلعته الغابة المذراة».

فل، هى قصة «حرب المصبات» الأرجنتينية الحزينة، التي انقلبت إلى كارثة مفاجئة، كان لها وقعها المؤلم على نفس تشى جيفارا، لأن أبرز ما لاحظه الذين التقوا به فى مطلع ١٩٦٥، كان هو شدة تأثره لولاعة صديقه الصميمين «ماسيتي»، و«هرمس» اللذين ماتا ميتة الثوار الشجعان، وكانا على مستوى صديقها البطوى. ولكن فيما عدا ذلك، ماذا كانت عيرة العملية، وماذا كان جوابها على نظرية «البؤرة الثورية» وكيف نحلل أخفاها؟

لقد كان من المستحيل أن تنضم جماهير الفلاحين إلى ماسيتي أو أن ينضم هو إليها، لسبب واحد، هو أن مثل هذه الجماهير لاأوجد لها فى شبال الأرجنتين، كثقافة السكان فى الأرجنتين منخفضة بصورة عامة، ولكنها ضعيفة أقصى الضعف فى مناطق الشمال الريفية. ولئن وجدت تجمعات لا بأس بها فى مناطق زراعة تصب السكر والقطن واستغلال الغابات، فهذه ليست أكثر من جزر معزولة فى قلب صحارى حقيقية، جرداء كلها أو شاذكة بغطائها النبت البرى، فما يمتكنها هليا أحد. وإذا ما كن لرسالة ماسيتي إذن أن تقابل ألا بالحذر، خالفة حوله فراغا لا سبيل إلى ملئه.

خاصة وقد كانت جماهير الضواحي المصنالية المحيطة بالمدن الأرجنتينية تجهل - عمليا - أن جيشا ثوريا بدأ نشاطه فى الشمال. كذلك، فعلى الرغم من أن ماسيتي حاول اتباع تعاليم جيفارا عن حرب المصبات، إلا أن عشرة شهور من التضحيات على أرض جاحدة يصعب تصور مثل قصوتها، لم تبلغ بقوته المقاتلة، ثلاثين رجلا، ثم أغرقت العزلة هؤلاء الرجال فى قنوط صيق.

ومن هذه الناحية نقول، فيما يتعلق بكوبا، أن الحركة الكوبية كانت أسعد حظا بكثير من المغامرة الأرجنتينية. فلقد كان «فيديل كاسترو» شخصية معروفة جدا فى الجزيرة قبل غزوة «جرانما»، وكان مرشحا لأن يكون نائبا عن حزب «بريو سوكراس» رئيس كوبا قبل باتيمنا والذي عاد إليها بعد انتصار الثورة «بارز النشاط فى أوساط الفعادات الطلابية، وكانت دراسته فى مدرسة ثانوية أرستقراطية، قد جعلت منه صديقا لعدد من الفتيان كانوا، يوم بدأ الثورة يهيمنون على المشروعات، وعلى مكاتب الصماء الأكثر نفوذا، والأعلى مكانة فى كوبا»، أما «ماسيتي» فلم يكن يجهل الناس فصيح، بل كان شبه مجهول حتى فى وسط الصفاة الضيق، وكسان قد أمضى القسم الأكبر من حياته المهنية خارج الأرجنتين، فلم تنشأ له صداقات بين ذوى المراكز الريفية، وللاصلاات سياسية متينة. وبالتالى لم يكن يستطيع أن يطبع بتأييد تلقائى له فى المدن، كما حدث فى كوبا مع حركة ٢٦ يوليو.

وعلى أية حال، لقد هزنت الكارثة الأرجنتينية قش الذى كان يأمل فى أن يهد ماسيتي لقدمه فيما بعد. وشعر قش بأن عليه أن يلتزم لفشل ماسيتي، على الرغم من أنه لم يكن مسئولا عنه مباشرة، أكثر من مسئولية فيدل هن فشل تشى الخاص فى بوليفيا. فعلى الرغم من ما انتهت إليه هذه المسألة، لم يكن إلا نكسة تشترط بها الثورة فى أمريكا اللاتينية، إلا أن جيفارا أمتصهما ككزيمة شخصية له.

لن نبحث بالتفصيل بعد ذلك العوامل الداخلية المتعلقة بوضع جيفارا الشخصى فى كوبا، وتلك المتعلقة بدور «قش» الخارجى، وبمسألة خاصة جولاته الدبلوماسية سواء فى الاتحاد السوفيتى أو فى دول أوروبا الشرقية، أو فى دول العالم الثالث، والإخفاقات التي نجمت عن بعض الخطوط التي اتبعها «قش» فى الجناح الاقتصادى الكوبى، وتقييم كاسترو لكل ذلك. لن نبحث ذلك جميعه، فقد كان له دون شك أثره فى دفع جيفارا إلى الطريق الذى سلكه بعد فشل المحاولة الأرجنتينية، والذي تمثل على وجه التحديد، فى

تلكه كويبا ، وتشاركته في النضال المسلح في الكونجو ، ومحاوله اشغال الثورة في بوليفيا عن طريق البدء بحركة كفاح مسلح هناك .

جيفارا في الكونجو : انتهاء

مهمة قبل اكتمال اهدافها

في ١٩ فبراير ١٩٦٥ ، اجتمع جيفارا في القاهرة ، بجاستون سومبالو احد زعماء الثورة الكونجولية ، الذي كان قد اعين في سبتمبر ١٩٦٤ ، قيام « جمهورية الكونجو الشعبية » وعاصمتها « ستانلي فيل » ، وكان وزيرا للدفاع في حكومة هذه الجمهورية ، كما كان دائم التنقل بين ستانلي فيل والقاهرة ، حيث كان للحكومة الثورية مقر في حي الزمالك بالقاهرة ، ينفذ فيه المجلس الاعلى للثورة ، تحت قيادة مكتب كان « سومبالو » رئيسه ، « بيبير موليلي » و « لوران كايالا » نائبين له . وكانوا ثلاثتهم ينظرون الى حرب المصبات نفس نظرة جيفارا . كانوا يفتقدون الكوادر السياسية في المدن ، ولذلك قرروا خلق جيش حقيقي في الاشل مقتنعين بان المدن لا بد لها آخر الامر ان تستسلم . وتبادل جيفارا وسومبالو الدعوات . فدعى الاخير لزيارة كويبا حيث كانت الثورة في السلطة ، ودعى جيفارا الى القتال في الكونجو . وكان موليلي يقود الكفاح المسلح في « ليوبولد فيل » و « كاساسي » ، وكان كايالا يتزعم العصيان في كانتنجا وكيفو ، ولكن الثورة لم تكن حقيقة مؤكدة بعد ، كما كانت المظاهرات القبلية تزيد من تمديد الوضع السياسي .

وفي بداية مارس ١٩٦٥ استأنف جيفارا في القاهرة ، مرة اخرى ، محادثاته مع شوار الكونجو . وكان تدهور الاوضاع في القارة بشكل او باخر حينذاك ، حافزا له ، ليعيد النظر في جماع شبكة المحالفات الكوبية في القارة الافريقية التي كان قد نسجها خلال رحلته الطويلة في مطلع ذلك العام . وبدأ للكوبيين عامة ، ان الثورة الافريقية تشرف على الغرق ، وبدأ الاستعمار الجديد ، وبدأت الفوضى تفرض هيكلها ، فقرر جيفارا ان يحمل هذه المسؤولية الجديدة : مسؤولية الذهاب الى قلب القسرة السوداء ، ليقيم للثورة عونه الشخصي ، فيساعد على منعها من ان تنرق .

وقد غادر جيفارا كويبا ، بعد يوليو ١٩٦٥ ، قاصدا الكونجو . وقامت بالعدلية باعداد رحلته الشرطة السياسية الكوبية التي يرأسها « القومندان ماتويلو بينيرو » المشهور بلقب « ماريا

روخا » (اللحية الشقراء) ، غلى يونيو ١٩٦٥ بينما كان جيفارا يوشك ان يسافر الى القاهرة ، استطاع الكوبيون ان يهربوا « خبرا سرا » الى مكتب رئيس اللجنة العسكرية الحاكمة في سان دومنجو ، يقول « ان « تشي » وصل الى سان دومنجو في اليوم الذي وقع فيه التمرد العسكري ، في ابريل من ذلك العام ، ونزل في فندق امباسادور تحت اسم « اوسكار اورتيز » ، ثم انتقل بعد ذلك الى « الفندق التجاري » ، وانه قتل خلال احدى معارك الشوارع ، وبذلك تم صرف انظار العالم كله ، عن حقيقة مكان جيفارا ، في الوقت الذي كان يواصل فيه رحلته في اتجاه الكونجو .

وفي الكونجو ، كانت الجبهات المسلحة التي يتسودها موليلي وسومبالو تتسائل مرتزقة « تشومبي » الذين كان بينهم فئة حسنة التدريب ، من الطيارين الكوبيين من اعدام كاسترو . ووصل جيفارا الى برانفيل ، وقابل الرئيس « ماسيبيلانيا » وكان قد سيفه عدد لا بأس به من الكوبيين ، اخذوا يشتركون في انشاء قوة عسكرية تملك من الاستعداد ما يكفيها للصمود بنجاح في وجه هجمات المجرمين الاوربيين والامريكيين المروحيين باسم « المرتزقة » ، وفي الاسابيع التالية ، انضم عدد اخر من الكوبيين الى مواطنيهم الماربين الى جانب الثورة ، ولكن مجموعهم لم يصل قط الى بضعة آلاف كما زعم بعض الصحفيين ، اذ لم ترسل كوب قط في اوج مساعدتها لثوار الكونجو ، اكثر من مائتي رجل ، كانت مهمتهم في الغالب ، تدريب الفدائيين على حرب المصبات .

وقد قضى تشي في الكونجو ، حوالي تسعة اشهر ، واشترك في عدد من « معارك » ولا سيما في تلك التي واجهت فيها قوات الثورة مباشرة ، المرتزقة البيض المحيذين بالمتعاد الحديث . وقد اثار في نفسه اميق الاضطراب ، تقليد شعائري افريقي ، هو ان ياكل المتصرون ، قاب الماربين الاعداء المقتولين في المعركة ، بحيث تنقل الى المنتصر ، شجاعة المارب القتيل ، فيزداد بهذه الطلقة الجديدة ، خراوق روحا قتالية ، ومن المؤكد ان انشلا مثل جيفارا يتسبون الى مجتمعات اكثر تطورا بمرحل ، لم يكونوا قادرين على احتمال مشهد من هذا النوع .

وفي فبراير ١٩٦٦ ، بحث جيفارا من برانفيل ، برسالة الى ابنته الكبرى (١٠ سنوات حينذاك) يخبرها فيها بأنه سيظل بعيدا عنها حقبة طويلة . ولكن ذلك لم يتحقق ، اذ لم يلبث ان غادر الكونجو بعد ذلك بقليل ، وانتهت مهمته في برانفيل قبل ان تكتمل اهدافها .

محاوله جيفارا الثورية الثانية فى الكونجو،^{١٣} فالحقيقة أنه ما كان يوسع جهود جيفارا الذاتية - أيا كانت قيمتها - إن تدفع بالثورة الاشتراكية والكونجولية الى أبعد من واقعها الموضوعى وامكانياتها الحقيقية ، فقد حاول جيفارا مسح التوبين الاخرين - مثلا - تدريب الكونجوليين على القتال المنطور لحرب العصابات ، ولكنهم وجدوا أن متطلباتهم خسارة فظيرة ، وكانت حصيلة الشهور التسعة التى قضاهما جيفارا فى الكونجو مزيجاً من الاخفاق والاحباط .

بوليفيا « قشى يكرر طريق ماسيتى »

فى مارس ١٩٦٦ ، عاد جيفارا خفية من الكونجو الى كوبا ، « عاد اليها بصحة أكثر اعتدالا ، وبمرارة مؤزوم لم يكن يسمه أن يجعل منها شعورا بالنصر ، الا على سميد وجدانه الشخصى لحسب » ، اذ ذاك حزم امره على العودة الى حلمه القديم ، حلم اثارة شعوب امريكا اللاتينية ، انطلاقاً من بوليفيا او من شسالى الارجننتين ، او من جنوب بيرو ، ذلك المشروع الذى كان يطابق الى حد كبير ، مشروع ماسيتى الذى انتهى الى الفضل عام ١٩٦٤ . وبعد ان قام جيفارا بدراسة الاوضاع فى الارجننتين وبيرو وبوليفيا ، وقع اختياره على بوليفيا ، للبدء بشن الكفاح المسلح هناك .

فى الالوجنتين كان « أرفورو ايليا » الطبيب المسلم الاصلاحى لا يزال فى السلطة ، والجو لا يبدو ملائماً للتمرك رغم ما طهر على الوضع من بداية تدهور ، وفى بيرو كانت توجد حكومة مدنية غير ديكتاتورية ، برهنت على نشاطها فى مكافحة حركات حرب العصابات ، وقتلت او اعتقلت أبرز الزعماء الشوريين ، لما فى بوليفيا فقد كان من الممكن هناك أن يسقط الحكم المسكرى فى أى لحظة ، وكان الاضطراب يسود المناجم .

ولكن كانت أولى نواحي القصور التى وقع فيها جيفارا فى بوليفيا ، هى أن اختيار وحشد العدد الأكبر من رجال المصاليات قد تم بين صفوف عمال المناجم المتمردين والمواطنين فى العمل فى المدن . وقد واجه هؤلاء العمال الولودون على الهضاب أو فى وديانها ، مصاعب لا طاعة لهم بهذا حين فزلوا الى المنطقة الاستوائية ، مما يعنى أن

وقد قدم لنا « ن » و « ر » تفسيره لاسباب مغادرة قشى الكونجو دونما أى تمييز ملموس فى وضع الثورة الكونجولية ، ودون اكتمال أى هدف اراد قشى تحقيقه هناك ، فلوغص [٢] ، « أن الازمة فى العلاقات بين بكين وهافانا - (اتهام كاسترو للصينيين بتعرض الجيش الكوبى على التمرد ، ودعايتهم المضادة للسوفيت بين انضباط) - كانت ذات أثر قوى على مصير جيفارا فى الكونجو . وهناك رواية تقول أن الصينيين طلبوا من « سوميالى » و « مولاي » حليفهم الرئيسيين فى الكونجو ، أن يطلبوا من الكوبيين ، للتوقف عن المشاركة فى المعركة الافريقية ، وفى المقابل ، هناك آخرون يؤكدون أن السوفيت هم الذين نصحوا كاسترو بسحب بعثته العسكرية من الكونجو . وهناك مزيج من هذين الافتراضين من شأنه أن يقودنا الى تفسير ثالث كان سوميالى اذ ذاك نفس القاهرة ، وهو - اذا صح هذا التفسير - قد طلب من كاسترو أن يأمر جيفارا بمساعدة برازافيل فورا ، اذا أراد تفادى فضح وجوده فى الكونجو هنا ، وهو أمر لو تم لكان له أن يصغر من فضيحة دولية . »

« وفى البداية ، رفض جيفارا أن يغادر افريقيا » فالبعوث الذى حمل اليه رسالة « فيدل كاسترو » ، هو نفسه الذى عاد الى هافانا ، يحمل رسالة « قشى » الى ابنته . ولكن سوميالى ازداد لاجاة ، وفى آخر فبراير ، وصل الى القاهرة ، ومنها الى برازافيل ، رجلاً من أخلص أعوان كاسترو وأصدقاء جيفارا هما : القومندان «ميليو أراجونيس » ، أحد الوجوه البارزة فى حكومة هافانا و « القومندان دوك » الضابط فى الجيش الكوبى . واستعرض هذان الرجلان الموقف مع جيفارا ، أوفهما ضرورة الانصياع فورا ، ودون نقاش ، لأوامر هافانا ، اذا أراد أن لا يفاخر بمصير كوبا كله . وفى مارس ١٩٦٦ غادر قشى ومساعدوه الاقربون فى حرب المصاليات أرض الكونجو ، بعد حوالى ٩ أشهر من وصولهم . غادروها ، كما قدموا اليها ، فى اطار من السرية المطلقة . »

وهكذا ضربت لاسباب موضوعية وذاتية ، نتج من درجة تطور الثورة الكونجوليين أنفسهم ، وطبيعة الصراعات التى تتنازلهم ، فضلاً عن السياسات الخاصة بالمرح الصينى - السوفيتى ، والتطورات الداخلية فى كوبا نفسها ،

عنتقلى الحركة ، لم يتألموا كمرثة الكيفية البدنية الا قليلا جدا من اهتمامهم ، خاصة وان احدا لم يحاول فى هذه المرحلة الاولى ان يبرز بومرغوية ، تأييد جماهير الفلاحين للحكومة ، هذا التأييد الذى كان محسوسا آنذاك ، بدليل اختيار أغلبية المقاتلين من العمال .

ومن ناحية أخرى ، فقد ارتكب جيفارا فى بوليفيا خطأ آخر - غير مقصود بالطبع - يتمثل فى « الطابع الاجنبى » الذى اعطاه لقيادة الحركة ، فهو لم يقدر حق القدر ، المحاولات الرجمية التقليدية فى أمريكا اللاتينية ، لاستغلال النزعات الوطنية لتشويه حركات انكفاح السلع وتصوير نشاطها الثورى على انه عملية غزو اجنبية ، فقد كان قتي قائد الحركة ارجنتينيا ، وكانت هيئة اركانه كويبة ، وقد حدث احتكاك داخل مجموعة الثوار نفسها بين الرفاق الكوبيين والبوليوين ، فى حين ارتاب اليهود البوليوين بالكوبيين واعتبرهم ليسوا غرباء محسوب ، بل ايضا الرجال البيض الكانبيين . كذلك كان قد سبق لبوليفيا ان قامت باصلاح زراعى ابان نظام حكمها القومى السابق ، واليهود البوليوين وان كانوا غفرا الى حد الفحاسة ، الا انهم لاول مرة امتلكوا ، بفضل هذا الاصلاح ، ارضهم الجرداء ، وذلك منذ ٣٠ عام فكان فقدان فى اليد يساوى أى حلم على الشجرة بالنسبة للهندي البوليوين . وكان هشل قتي فى تشييد فلاح واحد الى جانب قضية الثوار خلال الأحد عشر شهرا من النهضة والقتال ، هو السبب الرئيسى فى انهزامه .

يقول « انفر وسنكلير » فى كتابه عن جيفارا [٣] تعليقاً على هذه النقطة : « لقد سبق لفيل ان رفض اصطحاب عدد كبير من غير الكوبيين الى جرافما ، خوفا من ان ينقل الى ثورته على انها غزو اجنبى ، غير ان قتي لم يكن حكيماً الى هذا الحد وأكثر من ذلك فقد تجلى فطنه الاكبر فى فقدانه للبرونة السياسية . كان عليه ان يتوصل الى تقام مع رجل واحد هو « ماريو مونجى » (زعيم الحزب الشيوعى البوليفى) كى ينهى عزله ، ويضع حدا لاختناق مجموعته على يد قوى جبرية » . وكان هذا الحزب يستطيع ان يلعب دورا حاسما من طريق جهازه وشبكاته تنويته ومواصلته وعضائه العاملين ، وخاصة من أجل الحيلولة دون عزل حركة الكفاف المسلح ، ومساعدتها بالثارة الحركات الثورية فى المناجم

وفى لايال : « ولكن قتي رفض العمل على التوصل الى تسوية مع مونجى . فقلنا طلب الأخير ان يتولى الحزب الشيوعى البوليفى قيادة الحركة المسلحة ، رفض قتي ذلك بصرا على تولي القيادة بنفسه ، حسب النظرية الكويبة التى كانت تطبق هنا بطريقة مصطنعة ، ظم يكن قتي حقا ، هو كلسترو بوليفيا . »

ومن المؤكد - كما يرى العديد من حللوا موقفه فى بوليفيا - ان جيفارا قد ذهب ضحية اخراجه فى التصليب ، فلم يحاول البحث ، كما فعل كاسترو عام ١٩٥٨ ، عن تحالف مع احزاب المارضة لتحميل الطوق السياسى ، ونفادى الاختناق داخله . لقد وقع كاسترو مع الاحزاب البورجوازية فى كوبا « « بياق كراكاس » ، فاقى به قناعا كسلا على الاهداف السياسية لحركته . ولم يجعلها مقبولة فحسب ، بل وجديرة بان يدافع عنها السياسيون المحترقون . وقد سمحت له هذه المناورة فيما بعد ، ان يقاوش القادة العسكريين الذين كانوا يدافعون عن باتيستا ، والذين هدا السياسيون من روعهم بعد ان اطمأن اليه هؤلاء أنفسهم بتوقيع اليثاق . لقد كان فيدل داهية بحق عندما اصلى الضمانات للسياسيين المخنثين كى يحصل على تأييدهم . ولطالما تحدث جيفارا عن أعجابه بها اتصف به كاسترو من موهبة سياسية خلقة . وربما أدرك فى اللحظات العرجة التى مرت به مدى افتقاره الى مثل هذه الموهبة . فلى ان كاسترو كان فى موضعه ، لكان من المؤكد الا يترك نفسه يقع فى مثل هذا الموقف المستعصى ، ولعله فى موقف كهذا ، كان سيرضى بتسليم القيادة لماريو مونجى ، شريطة ان يخطر فى القضية كل جهاز الحزب الشيوعى ، لقاء ذلك ، وهذا ما لم يفعله جيفارا . »

ثم يضاف الى هذه العوامل - أيضا - افتقار منطقة عمليات الثوار لاي كثافة سكانية ، فولاية سانتا كروز التى كانوا يعملون بها ، لا يوجد على خريطةها أى تجمع سكاني ، لسبب وحيد ، هو أنه لا وجود عمليا للبشر فى هذه المنطقة . فهذه الولاية البوليفية ، التى تعادل مساحتها ، مساحة بريطانيا وبلجيكا وكوبا مجتمعة ، لا يكاد عدد سكانها يبلغ ٣٤٠ ألف نسمة ، أى أقل من شخص واحد ، فى الكيلومتر المربع . ومزرعة « نيانكاواسو » التى كانت مقر القيادة العامة للثوار ، مزرعة متفرقة فى وسط هذه الأرض الفقيرة بالسكان ، والزاهرة

بالقبات الضاربي ، والأدغال الكثيفة الشائكة
بشجيراتنا وأوراقها الصفنة كالمنشار ، تمزق
الثياب والإسجاد .

كذلك يرجع جانب كبير من الشقاق الذي حب في
معسكر الثوار الأخر المبعيد عن قيادة تشي يرجع
بصورة رئيسية إلى افتقاد الأغنية ، وإلى انقطاع
الصلة عمليا مع العالم الخارجي . فقد كانت كل
الحدود في بوليفيا حونا للحكومة القلائمة ضد
الثوار . ولم تكن هناك منطقة مؤخرة آمنة ، كالتي
توفرت للصينيين في حدود الاتحاد السوفيتي
إثناء الحرب الشعبية الصينية ، أو التي توفرت
للفيتناميين في حدود الصين ، أثناء حرب فيتنام ،
ذلك أن جيوش الأرجنتين والبرازيل وبيرو ، كانت
تؤلف خطا متصلا للثوار على حدود البلاد ،
وخان من غير المتصور إمكانية وصول أي وحدات
حاسمة للثوار ، متسلسلة عبر هذا الجدار من
القوات المعادية ، كما حدث في « السيرا
مايستر » يوم استطاعت طائرة أن تحمل إلى
كاسغرو ، شحنة كاملة من السلاح .

ومن الأسباب التي أدت إلى اخفاق تشي أيضا ،
تلك الصبرية التي تملأها في ابريل ١٩٦٧ ، حين
أعلن الرئيس البوليفي للمسابق « إسبان
أستفسو » ، (مؤسس الحركة القومية الثورية)
الذي كان يعيش منفيا في ليما بعد أن أسقطه
المسكروين « أن حركة رجال العصابات مؤامرات
شيوعية ، وبالتالي فإن الشعب لن ينجسها
تأييده » . وكان معنى هذا أن عجز جيفارا عن
الحوار مع أهم الأحزاب الشعبية في البلاد ، قد
دفع زعماء هذا الحزب إلى المشاركة العلنية في
مقاومة حركة الثوار المسلحة . وهكذا زاد من
عزله تشي ، أن أبرز الكوادر المعنية بالسياسة في
بوليفيا ، كانوا إما أعضاء في الحزب إتشيو أو
في الحركة القومية الثورية ، وقد قرر هذان
الحزبان ترك الحركة المسلحة لحصيرها المعالي .

سوف لا نتحدث هنا عن التفاصيل العسكرية
لحرب العصابات البوليفية بقيادة جيفارا ، فقد
ضمنها هو في يومياته في بوليفيا بكل تفصيل ،
وهي تتضمن عناصر قتالية أكثر إيجابية وشوة
بكثير من مغامرة صاميتي الماشلة في الأرجنتين ،
لأن حركة جيفارا البوليفية ، دخلت بالفعل في
مناوشات ومعارك مع رجال الجيش قتلت واسرت
فيها أعدادا من جنوده ، بلغت ذروتها في المنورة
التي قام بها « أكوفيا فونيز » [عضو اللجنة
المرخية للحزب الشيوعي الكوبي] عندما احتل
قرية « سامايليتا » لفترة من الوقت ، وقطع
الطريق بين « كوتشا بلابا » و « سامتا كروز » .

وأستولى من القرية على كل ما كانت قواته بحاجة
إليه ، وهو حدث كان له آثار سياسية مبموسة لأنه
هن الرأي العام البوليفي ، وأدى إلى إغلاق حدود
بيرو والأرجنتين ، وإعلان التهمة في جيشيهما .

ولكن مثل هذه المناوشات والمعارك تحدث عادة
في مختلف حركات الكفاح 'السليح' ، وأما الأمر
الذي يهينا فهو عوامل اخفاق جيفارا في بوليفيا ،
ولا شك أنه يضاف إلى العوامل السابقة ، عامل
الخيالة ، فبعد أن كان الثوار قد استهلكوا تقريبا
كل مدخراتهم من الاطعمة ، لم يعودوا يسمعون
بأي نيا من الرجل المكلف بتأمين الحركة . وقد عرف
جيفارا بعد قليل ، أن هذا المسول الذي لم يقع عليه
الاختيار ، إلا ما كان يوحي به من ثقة قد ضاهاه في
تلك اللحظة العرجة وهرب حاملا معه ٢٥٠ ألف
دولار ، كان قد استلها ليشتري بها المؤن
وليوصلها إلى تيانكا هواسو . وبعد نقص
الغذاء ، بدأت نذر السوء في الأفق عندما هرب
اثنان من صفوف الثوار وفقد بعض السلاح . ومن
هذه الناحية تقول ، أنه وإن كان من المستحيل
مقدما ، الجيلة دون أعمال الخيانة هذه كجريمة
غريبة ، إلا أن نقص الرجال موضع الثقة الحقيقية
في حركة ثورية يكس شكل ما مدى شميبتها
واتساع جماهيريتها ، وتغلغلها في صفوف
الطبقات الثورية ، أي يعكس بالتالي حالة
موضوعية .

كذلك فضمن الأعمال التي أدت بالحركة ،
وشاية الفلاحين . في آخر فبراير ١٩٦٧ ، قام ٥
كوادر ، منهم كوبيان على الأقل باتصالات متفرقة
مع الفلاحين ، فاستقبلهم هؤلاء بحذر ، إذ كانوا
يرون فيهم غرباء ، وتجربتهم الطويلة عليهم إلا
ينتظروا من الغرباء سوى الشر ، وقد دلوه على
الطريق إلى « ريوجراندي » فكان ما أن ابتعدوا
عنهم ، حتى كانوا يلهون الجيش بأمرهم .

وبعدما في ١٦ مارس ١٩٦٧ ، هرب اثنان من
عبال المناجم اضناها الحويان وحاج أمليها لعدم
وقوع معارك فعلية . ودلا على مكان أحد
المستودعات السرية التي عثر فيها الجيش على
ثياب مخفية تكفي ١٠ أشخاص عيها شارأت « محل
ألبينون بهاالانا » فافين الجيش بوجود كوبيين في
الحركة قد يكون من بينهم « تشي » فثار ذلك كل
أجهزة الأمن في كل أنحاء القارة . وذهب رئيس
أركان سلاح الطيران البوليفي ، إلى الأرجنتين
والبرازيل طالبا حونا يقتناسب مع مكانته
الشخصيات القوية العاملة على «شاه المنورة» في
بوليفيا ، وبخاصة تشي ، الذي كان وزبر خارجية
بوليفيا قد كشف في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٧ عن حقيقة

وجوده في بوليفيا أمام اجتماع « منظمة الدول
الأمريكية » .

كذلك من الإخفاص القاتلة التي وقعت فيها
الحركة ، اكتشاف مقر قيادتها في نيناكا هواسو
في وقت مبكر نتيجة للخطأ الذي وقع فيه القومندان
« انطونيو دياز » الكوبي ، إذ تجنب قتال وحدات
الجيش التي اكتشفت مكان مخفئة المتقدم ، على
أساس أنه لم يلق أمراً بالقتال ، واختار أسلوباً
أكثر خطورة للفلات ، هو التراجع إلى مقر القيادة
الغاية في نيناكا هواسو ، وكان يكمن الجيش أن
يقضي أثره ليصل إلى مقر القيادة .

وقد أدى إلى المزيد من عزلة قشي أيضاً ،
مخاطبته غير المأمونة ، بإخراج « ريجي دوبريه »
الصمغى والكاتب الثوري الفرنسي ، وزميله
الارجنتيني سيرو يوستوس من ممبره في ظروف
كان محاسراً فيها بقوى الجيش من كل جانب .
وقد وقع الاثنان في أيدي الجيش ، بينما كانا
يجتازان إحدى القرى ، وكان في ذلك كما يرى
العديد من المحللين ، سوء فهم ، ندم قش عليه ،
لأن السلطات قبضت في شخصيهما على
هاترين ، كانا يمثلان حينذاك المصل أدوات
اتصاله المباشر مع الخارج .

كذلك لم يستطع قشي الاستفادة من الانتفاضة
الطورية التي وقعت بين عمل المناجم ، والتي
تعرضت للقمع الوحشي على يد الجيش (٤٠ قتيلًا
وأكثر من ١٠٠ جريح) . فقد خلقت عزلته وضما
رهيباً جعل حركتين متوازيتين تنزلقان نحو
الخسارة لمجزهما عن التناغم والتعاون . ويرى
« انثرو سكلير » في كتابه عن جيفارا [٤] : « أنه
لو كان قشي أكثر عدوانية في تلك اللحظة ، فلهجم
برجائه الواحد والمفجرين ، حقول الزيت
والمواصلات التي تتسم بالفوضى في بوليفيا ،
لجلبت أسطورة الثوار المتنامية ، والتي لا تقهر
مقطوعين جددا ، ولربما سببت أيضاً سقوط
ماريغويوس الذي كان أعداءه يتربصون به
الفرص ، مستفيدين من السخط الشعبي . ولكن
قشي كان حذراً للغاية » . وبدأت استراتيجية
الجيش البوليفي في التحصن نوعياً ، وبدأ الثوار
يقعون في الكمائن ، وأصبح قشي خلال الأشهر

الثلاثة الأخيرة من حملته ، في حالة هزيمة
وخسارة مستمرة .

ومن ناحية أخرى ، فإن البيان السياسي الذي
أصدره وهو « من جيش التحرير الوطني ، إلى
شعب بوليفيا » ، لم ينشر عملياً في بوليفيا ، إلا في
دوائر سياسية خفية ، على الرغم من أنه عبر
الحدود ونشر في بلدان مختلفة ، ولكنه لم يغير
شيئاً من انطباع ذوي البصيرة من الوضع
حينذاك ، وهو أن الثوار كانوا واقعين في
مصيدة ، وغدا تحت رحمة جيش يتزايد قوة على
القتال في الغابة الاستوائية .

وضالت على الثوار ، حلقة العنصر ، ففي ٢٦
سبتمبر ١٩٦٧ ، خاضوا معركة طويلة في وضج
النهار بالقرب من وادي نور يورو ، قتل خلالها
الزعيم البوليفي « روبرتو بيريتو » ، وبعد هذه
المعركة ، أخذت جماعة قشي الصغيرة (١٧ رجلاً)
تتفرق خلال النهار ، ليكون أفرادها أقدر على
الحركة في مواجهة ١٥٠٠ من رجال المصاعقة
أرسلهم الجيش في لثرم ، ثم تعود الجماعة لتقتل
في الليل في أمكنة يتفق عليها من قبل . كان على
قشي أن يتصرف جيداً في المنطقة التي يتنقل فيها ،
قبل أن يختار اتجاهه . وهذا ماكان يشغله يومى
٧٦ أكتوبر بعد انقضاء ١١ شهراً على بدء العمليات
المسكرية . وقد مر الثوار في ذلك اليوم ببعض
الفلاحين فتبادلوا معهم الحديث ، وقالت لهم عيون
تحرس عنزة ، أنها لم تر جنوداً في المنطقة ، ولكنهم
لم يطمئنوا إلى صدق قولها . وفي ٨ أكتوبر ، قالت
أحدى القرويات للجيش أنها سمعت أصواتاً يارب
مصينور « يورو » ، فأرسل العسكريون عدة دوريات
للاستطلاع وحوالي الساعة الواحدة والنصف بعد
الظهر ، كانت طلائق رشاش تملن أن رجالاً
المصاعقة قد اكتشفوا مكان الثوار .

كان الثوار طابورا في طبيعته عامل المناجم
البوليفي « سيمون كوبا » وهو من أمهر الرماة
وكان يطلق النار حتى يفرغ سلاحه ، ثم يخفي
بسرعة ، وخلفه كان قشي الذي أطلق النار هو
الأخر ، ولكنه تلقى بضع رصاصات في ساقه ،
وإذ ذاك حمله سيمون كوبا على ظهره ، وحاول
الابتعاد به عن خط النار ، ولكن رصاصة أخرى
أصابته قشي ، فألقاه كوبا إلى الأرض ، وعاد
ليستأنف إطلاق النار . ولكن رجال المصاعقة

أحاطوا به من مسافة تقل عن « ٦ أمتار » وأخطروه بوابل من الرصاص . أما قتي ، فعلى الرغم من أنه كان في موقف ميئوس منه ، إلا أنه حاول أن يقاوم مرة أخرى ، فاستند بأحدى يديه ، وأمسك بتدقيته بالأخرى ، محاولاً إطلاق النار منها ، برغم ثقلها ، ولكنه لم يستطع استخدامها أكثر من بضعة دقائق ، إذ أصابته رصاصة جديدة في ساقه اليمنى ، بينما كسرت رصاصة أخرى عقب الهندقية ، وسقطت الهندقية من يده ، واستقرت الرصاصة الجديدة في ساعده الأيمن . إذ ذاك أحاط به الجنود وأمسوه .

ودارت مشاورات بين قيادة القوات العسكرية المحلية ، وبين القيادة العليا في « لإمبال » بشأن مصيره طوال ليلة ٨ - ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، وفي فجر التاسع من أكتوبر ، انتهت المشاورات وصدر الأمر بأعدام « قتي » في الصباح نفسه ، في المكان الذي كان أسيراً فيه بـ مدرسة قرية « هيجويرا » .

دخل رجلان العجزة التي كان يجلس على أرضها ، مستقداً بجانبه إلى الجدار ، يتنفس بشيقة ، واقترب أحدهما من خلفه (الكاتبان جاري برادو) ، وأمرغ في ظهره رصاص وشاشه من أعلى إلى أسفل ، فأصابته ٤ طلقات ، أما الآخر « الكولونيل سلفيتش » ، فلم يطلق إلا رصاصة واحدة من مسدسه ، اخترقت القلب وأحدهى الرئتين ، وكانت تلك رصاصة الرحمة . ومات قتي .

والآن ، وبعد أن استشهد أيضاً الرئيس

التشيلي السالم « سلفادور ألييندي » على أيدي عضابات الميلاء ، القتلة والمجرمين ، تبرز أكثر من أي وقت مضى ، أهمية وحكمة وضرورة خطة الكفاح المسلح في هذه القارة الغاصبة بالعبث الرجعي الدموي . ولم يكن الفرع الرئيس من هذا الاستعراض النقدي لدروس الاختناق في تلك التجارب المسلحة ، إلا المزيد من التزود بتزودة موضوعية لشبل ، وأكمل ، وأكثر عامية من هذه التجارب الثمينة الغالية ، تحمل لنا هي طياتها ، الرجاء الثوري والامل ، في تخطي الشركات الثورية مستقبلاً ، لكل الثغرات القاتلة التي أدت ببعض الرواد العظيم إلى طريق مسدود . كل ذلك من أجل اندفاع جديد أكثر ثمة وخطراً ، للثورة ، ضد كل صف رجعي استعماري في هذه القارة التي لم تعد « متعصية » كما كانت من قبل ولا يغيب عن أذهاننا بهذا الصدد ، ان الغاية الاسمية لأي كفاح مسلح ، ليست هي مجرد خلق أروغ نساذج للتضحية والبطولة والفداء ، ليست هي شن الكفاح المسلح في حد ذاته وإنما قيادة هذا الكفاح إلى الظفر والنصر بهدف تحرير الشعوب من أغلال المصف والمعبودية ، تلك هي الغاية الاسمية ، وأنبأ الاهداف التي لن تتحقق الا بقيادة نضال ظافر ، يضم العلم الى جانب الجراءة ، الايداع والمهارة السياسية ، الى جانب البطولية ، وحتى يكبل بالانتصار في آخر الامر نضال أولئك المسلحين المغاوير ، الذين يقدمون هدايتهم وأرواحهم طواعية واختياراً ، من أجل الآخرين ، ولتحرير المظلومين المستعبدين ، والذين اعتبرهم جيفاروا بصديق وحق : « أرقى أنواع الجيش البشري » .

ملف

الطبعة

العلم - التكنولوجيا - الانسان

مراع الافكار
في المؤتمر العالمي
الخامس عشر للفلسفة
فارتا - بلغاريا



مراع افكار
مراع افكار

أولا : قصة المؤتمر

وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ومن ثم انضم هذا المؤتمر بالمالية ، وهى السمة المميزة للفكر الفلسفى منذ تقديم الزمان .

وجاء فى الخطاب الذى أرسله أندريه مرسيه [السكرتير العام للاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية] إلى فلاسفة العالم فى ديسمبر عام ١٩٧٢ « أن هذا اللقاء بين المفكرين من كل أنحاء العالم هو مناسبة فريدة لتبادل الراى حول مختلف المسائل ، وكذلك حول القضايا الهامة فى الفكر المعاصر . ويتم هذا اللقاء فى مناخ روى من شأنه أن يفرز ما هو أفضل . وقد بذل رفائقا البلغاريون كل سائى وسعهم لتأمين الصرية اللازمة لآى حوار فلسفى » .

ثم استطرد قائلا « أن هذه المناسبة لن تتكرر لمدة سنوات . وسبب ذلك مردود إلى أن هذا اللقاء يتم فى موقع يتسم بجمعال طبيعى مائق للغاية يواكبه اتجاه تكنولوجى متقدم لا يعد حد الأمر الذى يمنح فارنا سحر القديم والحديث فى آن واحد ، وتؤاثر كل ذلك الرغبة فى معرفة ما يدور من فكر فى أعماق رفاقنا من مختلف البلدان وذلك بغضل الاتصال المباشر » .

ويختم خطبه بقوله : « أن مؤتمر فارنا حدث فى تاريخ الفلسفة العالمية فى نهاية هذا القرن حيث تواجه التيارات الفكرية بعضها البعض فى جو من الصداقة والتفاهم المتبادل . وفى مواجهة توتر سياسى عالمى ينبغى أن تكون الفلسفة الحققة قادرة على المعارضة والمقاومة » .

وتتضمن المؤتمر الرئيسية :

العلم - التكنولوجيا - الإنسان

ويتفرع من هذه القضية ثلاث :

للمؤتمرات الفلسفية قصة بدايتها القرن العشرين ، فقد انعقد أول مؤتمر فلسفى دولى عام ١٩٠٠ فى باريس برئاسة الفيلسوف الفرنسى اميل بوئرو وتتابعته بعده ثلاثة مؤتمرات فى جنيف ١٩٠٤ وهيدلبرج ١٩٠٨ وبولونيا ١٩١١ ثم توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٢٤ حيث انعقد المؤتمر الخامس فى نابولى . ومن بعد هذا المؤتمر بعامين اتجه الفلاسفة مير الاطلنطى إلى هارلارد ، ومن بعد ذلك ثلاثة مؤتمرات : فى اكسفورد ١٩٣٠ وفى براغ ١٩٣٤ وفى باريس ١٩٣٧ « مؤتمر ديكارت » بمناسبة مرور ثلثمائة عام على كتاب « مقال فى المنهج » .

وتوقفت المؤتمرات الفلسفية الدولية للمرة الثانية بسبب الحرب العالمية الثانية . وفى عام ١٩٤٨ انعقد المؤتمر المباشر فى امستردام وفيه تم تأسيس الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية ويضم أربعين جمعية فلسفية وطنية فى إحدى وعشرين دولة ، بالإضافة إلى إحدى عشرة جمعية دولية ، ومن بعد امستردام انتظم انعقاد المؤتمر الدولى للفلسفة كل خمس سنوات : ١٩٥٣ فى بروكسل ، ١٩٥٨ فى فينيسيا ، ١٩٦٣ فى المكسيك ، ١٩٦٨ فى فيينا .

وفى هذا العام ، انعقد المؤتمر الخامس عشر فى فارنا . بيد أنه نتيج وحده ، إذ هو قد ضم لأول مرة فلاسفة من دول العالم الثالث : إفريقيا

٥- جراد وهيئة

- إسحاق الفلسفة فى كلية التربية جامعة عين شمس - مؤلفاته :

- المذهب فى فلسفة برجسون (دار المعارف ١٩٦٠)
- لغة الفلسفة (دار المعارف ١٩٦٧)
- المعجم الفلسفى - الطبعة الثانية - دار الثقافة الجديدة ١٩٧١]
- مقالات فلسفية وسياسية [الإجلو المصرية - ١٩٧١]
- المذهب عند كائط [بالفرنسية - الإجلو المصرية - ١٩٧١]

- شارك فى مؤتمر الايدان الذى عقد فى موسكو ١٩٦٩ ومؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع بالقاهرة ١٩٧١

والمؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة بفارنا ١٩٧٢

- ١ - الفلسفة والعلم .
- ٢ - الأخلاق والتقاليد .
- ٣ - الإنسان والتكنولوجيا .

وتناقش القضية الرئيسية في حلقات أربع
تناول زوايا محددة هي على النحو التالي :

- ١ - العقل والعمل في تغيير العالم .
 - ٢ - الفلسفة في مضمار الثورة العلمية والتكنولوجية .
 - ٣ - المعرفة والقيم في عصر العلم والتكنولوجيا .
 - ٤ - بنية ومناهج المعرفة العلمية المعاصرة .
- وثمة مشكلات متخمة من القضية الرئيسية هي على النحو التالي :

- ١ - طبيعة الإنسان ووجوده .
- ٢ - اللغة والمنطق والعمل .
- ٣ - الإنسان واللغوس والتاريخ .
- ٤ - المجتمع وقيمه - الإنسان وحرية الشخصية .
- ٥ - المسؤولية والإبداع في الفن والأدب .
- ٦ - مشكلات القضية .
- ٧ - مستقبل الفلسفة .

وثمة مشكلات ليست متسمة بالضرورة من
القضية الرئيسية ومع ذلك تقرر مناقشتها وهي
على النحو التالي :

- ١ - المنطق ومناهج العلوم .
- ٢ - الفلسفة والدين .
- ٣ - اللغويات والأنثروبولوجيا .
- ٤ - الميتافيزيقا المعاصرة .
- ٥ - الدراسات المعاصرة في تاريخ الفلسفة .
- ٦ - الجوانب الفلسفية في علم النفس .
- ٧ - فلسفة التربية .
- ٨ - فلسفة القانون وفلسفة السياسة .

هذا بالإضافة الى مناقشت جانبية دارت
على قضايا حددتها لجنة المؤتمر وأشرفت عليها
جميعيات فلسفية :

- ١ - « الديالكتيك » بإشراف المعهد الدولي للفلسفة .
- ٢ - « التكنولوجيا والسلام والمركبة المعاصرة » بإشراف جمعية دراسة المادية الديالكتيكية .

وفي مفتح الجلسة الاولى للمؤتمر ، تحدث
تودور بافلوف رئيس اللجنة البلغارية المنظبة
للمؤتمر ورئيس شرف الأكاديمية البلغارية للعلوم

ومدير معهد الفلسفة التابع لهذه الأكاديمية
قال : « أننا جئنا الى هذا المؤتمر بإرادة خيرة
ورغبة مخلصه للنقاش بصراحة القضية التي
تهبنا جميعا » ثم استطرد قائلا « ينبغي أن نمهد
الطريق لعصر يسوده سلام دائم وتعاون دولي »

وبمسد ذلك قرئت رسالة بعث بها رئيس
جمهورية بلغاريا الشعبية تودور جيفيكوف الى
المؤتمر ، رحب فيها بأجتماع الفلاسفة من جميع
أنحاء العالم في بقعة جبيلة تقع على شاطئ
البحر الاسود لمناقشة قضايا العصر . وفي ختام
رسالته أشار الى سقراط وإلى مبدئه القتال
بان « معرفة الفسائل ضرورية ولكنها ليست
كافية » اذ ينبغي ان نحيا وفقا لقوانينها ، وفي
عالم اليوم ليس من فضيلة اعظم من هذه ؟
النضال من أجل تحقيق السلام والتعاون بين
الدول ، والنضال من أجل وضع المنجزات
الهائلة للثورة العلمية والتكنولوجية في خدمة
الإنسان وفي خدمة التقدم الاجتماعي .

ثم القى رئيس الاتحاد الدولي للجمعية
الفلسفية ليوجيريل كلمة جاء فيها ان « المؤتمر
العالمي الخامس عشر يقع على قبة الأحداث في
حياتنا الثقافية في هذا العصر » ثم أعرب عن
اعتباطه لاتاحة الفرصة لمثل المذاهب المتباينة
في ممارسة حوار خصب . واختتم كلمته بإسداء
الشكر العميق للجنة البلغارية المنظمة للمؤتمر
بسبب الجهد المذهل الذي بذلته لتنظيم المؤتمر
على أفضل ما يكون .

وبمذالك قرأ رينيه كيشي رئيس شعبة الفلسفة
التابعة لهيئة اليونسكو رسالة موجهة من مدير
الهيئة وفيه ما هيو . أعقبها كلمة من عبدة مدينة
نارنا مستأنوى يونيف رحب فيها بأعضاء المؤتمر
وتمنى لهم اقامة طيبة على شاطئ البحر
الاسود .

ثانيا : أبحاث المؤتمر

أ - الفلسفة والعلم

نوجز عرضها مع بيان الاتفاق والافتراق بين
الأراء . وتأتي قضية الصلة بين الفلسفة والعلم
في مقدمة القضايا المطروحة . وقد دارت الأبحاث
فيها على مسألتين :

الأولى من حوزة الديالكتيك في تطور المعرفة العلمية الحديثة .

والثانية عن المصالحة بين العلم والفلسفة .

عن المسألة الأولى يذهب كورف (الاتحاد السوفيتي في بحثه « في التآليف بين العلوم » الى أن لزوم الديالكتيك نابع من تطور العلم ذاته . فالتآليف ملازم للعلم ، والتآليف بين العلوم انمسا هو تعبير عن مبدأ الديالكتيك : وحدة الازداد .

تفصيل ذلك :

ثمة نوعان من التآليف :

تآليف برأى [ت بر] حيث العلوم الطبيعية اجزاء من كل يشملها . وهذا حاصل كذلك بالنسبة الى العلوم الاجتماعية .

وتآليف جواني [ت ح] لا يصلح الا للعلوم الطبيعية [ومن بينها العلوم الرياضية] ويفسد الربط بين هذه العلوم ، أو يكون مقصورا على علم واحد بمفرده .

والنوع الثاني يتكشف عن خاصية التناقض الملازمة للتآليف ذاته من حيث انه لا يوجد بين العناصر المتباينة حسب ، بل ايضا بين العناصر المتضادة وهو على النحو التالي :

١ - بين الكلى والجزئى ، وبين العلوم الكلية [الرياضيات] والعلوم الجزئية [الطبيعيات] .

ب - بين الادنى والاعلى في المعرفة حيث الادنى موكد للاعلى .

ج - تحقيق هوية الازداد [تغير الشيء وفبائه] و [النظري والمبلى] للنشاط الانساني

وربع التناقض مطلوب ، وهذا الربع على انواع :

ربع التناقض بين الجزئى والكلى يتم بفضل اكتشاف نظرية جديدة من حيث أن الجزئى يعنى الواقع المعزولة ، والكلى يفيد التصميم الذى يأخذ شكل القانون أو النظرية [ت بى] .

واكتشاف القانون أو النظرية لا يفضى فقط الى التآليف في العلم ذاته . وانما ايضا الى التآليف بين العلوم .

والتآليف ذاته متطور لا يقف عند حد ، وتطوره يسمح باكتشاف قوانين جديدة ، كما انه يسمح بارتقاء المعرفة من الأدنى الى الأعلى .

والقانون الجديد له خاصية الديالكتيك ، ذلك انه يتجاوز القانون القديم من حيث له خاصية الاحادية في تأويل الواقع . وليس من الضروري أن يكون الصالح على بنية من خاصية الديالكتيك كما هو الحال عند داروين ومندليف ولوى دى

بروي . فالعلم ليس هو الشكل وانما المضمون الذى هو المفرد الاساسى في القوانين الذاتية اذ هي من شأنها أن تعبر عن التناقض الواقعى التكمين في الظواهر الطبيعية . بيد ان هذا التناقض لا يدرك الا على هيئة الوحدة التي تنطوي على الجوانب المتضادة . ولهذا السبب فإن النظرية الجديدة ليست مجرد تطبيق بين تصورات متعارضة ، وليست مجرد توفيق بين وجهات نظر متضادة وانما هي في تضاد مع ما سبقها من نظريات ، ومن ثم فهي ولادة الصراع . ودليل كورف على ذلك نظرية الكم - ميكانيكية للضوء ، اذ هي ليست مجرد تجميع للنظريتين المتضادتين : النظرية الجسيمية والنظرية الموجية

وفي رأى كورف ان الديالكتيك ليس مقصورا على كونه مجرد مبدأ للتآليف ، وانما هو علم عام يحوى الثلاث مجموعات التي تنقسم اليها المعرفة العلمية :

١ - العلوم الطبيعية وموضوعها الطبيعية ،

٢ - العلوم الاقتصادية والاجتماعية وموضوعها المجتمع .

٣ - العلوم التي تبحث في العقل والروح وهي الفلسفة وعلم النفس .

وهذه العلوم ليست منفصلة وانما هي متصلة ، ولكن اتصالها ليس مباشرا وانما غير مباشر عن طريق علوم متوسطة . فالعلوم التكتيكية هي هبة الوصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والاقتصادية . هي على صلة بالعلوم الطبيعية من حيث أن غايتها - أى غاية العلوم التكتيكية - هي الابداء العملية من القوانين الطبيعية . ثم هي على صلة بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية من حيث أن مصالح البشر وتطلعاتهم هي التي تحدد الغاية من الابداء من القوانين الطبيعية .

بيد ان العلم الوحيد الذي لا يلزمه قسمون عابرة الى العلوم الاخرى هي الفلسفة الديالكتيكية من حيث هي علم القوانين الصالحة للحركة في الطبيعة والمجتمع والعقل . ومعنى ذلك ان الفلسفة الديالكتيكية هي آلة التآليف النظري بين العلوم . ومن ثم فيكون لدينا في نهاية المطاف ت بى أى التآليف بالفلسفة ورمزه ت ح/ك ين ذلك ان العلاقة برأى [بر] بين علم كلى [ك] هو الفلسفة وعلوم جزئية [د] .

أما تودور بافلوف [بلغاريا] فيعرض لقضية العلاقة بين الفلسفة والعلم من زاوية الحقيقة فيستألف فيفتح مقاله « عن الحقائق والحقيقة » ما الحقيقة ؟

وجواب بالعودة على النحو التالي ٥

إن الحقيقة عملية ديكالتيكية يقترب فيها الفكر الانساني على الدوام من موضوعية الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، ومن تفسيرها وتغييرها ، ومن ثم تانيصها .

ومعنى ذلك أن الحقيقة ليست مجرد نسق من التصورات والمقولات والقوانين ، وإنما هي حركة ديكالتيكية ، وتغيير للنسق . ولهذا فإن المعلم الذي يعلن من نفسه أنه نسق من التصورات والمقولات والمبادئ الثابتة ليس جديرا بأن يكون علما .

والحقيقة العلمية ، من حيث هي حركة ديكالتيكية لتفسير العالم وتغييره سلاح فعال في يد الانسان لبناء نظام اشتراكي على درجة عالية من التقدم التكنولوجي والثقافي والروحي وخلا من الصراع الطبقي .

وتأسيسا على ذلك يمكن تحديد العلاقة بين الفلسفة والعلم على أنها علاقة اتصال وليست علاقة انفصال بمعنى أن الفلسفة من غير العلم مجرد تجريد ، والعلم بدون الفلسفة مجرد تأمل تجريبي سلبى . وكذلك بمعنى أن ثمة وحدة قائمة بين المعرفة الانسانية وتغيير العالم من زاوية الفلسفة والعلم . ولهذا يتفق بافلوف مع قول العالم الفزيائى هيزنبرج بأن « الفزياء الذرية الحديثة قد أثارت جدلا حول القضايا الأساسية للفلسفة والأخلاق والسياسة » . ومن ثم فمن الخطأ القول بأن عصرنا هو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ، لأن من شأن هذا القول حذف الانسان وتحويل النظم الاجتماعية الى نظم آلية تحكمها حاسبات الكترونية ، فيختل الصراع الأيديولوجى . وواقع الحال يناقض هذا القول ، فعصرنا هو عصر الثورة الاشتراكية حيث يتحكم الانسان فى آليات الثورة العلمية والتكنولوجية تحكما اجتماعيا من أجل القضاء على التناقضات الطبقة والطبالة وخلق حضارة انسانية تخطو من الحروب واستغلال الانسان لأخيه الانسان .

الحقيقة إذن ليست إلا العلم ذاته منظورا اليه فى وحدته الديالتيكية .

والوحدة الديالتيكية تنطوى على ثلاثة عناصر :

- ١ - نسق من التصورات والمقولات والقوانين
- ٢ - منهج المعرفة .
- ٣ - الارتباط بالممارسة العملية كنقطة بداية ونهاية .

وحذف أى من هذه العناصر يمتنع العلم معه . إن يكون علما بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة % أى بمعنى الحقيقة %

وفى تواضع يفتنم بأفلوكة مقالة عن الحقيقة %
« العلم على خطأ »

يبد أن تواضعه يتنسق مع مذهبه حيث الحقيقة حد وسط بين التزمت والتشكك .

أما مرسية [سويسرا] فى بحثه « الفلسفة والعلم » يتخذ موقفا معارضا من الوضعية المنطقية .

وهو فى هذا الموقف يقترب سببا من وجهة نظر كدرف وبافلوف . فهو يعترض على رد الفلسفة الى العلم ، وعلى كونها مجرد فلسفة علوم . فالفلسفة فى مثل هذا الوضع ، إنما هي فلسفة مزيفة ، والعلم كذلك ، فى مثل هذا الوضع إنما يتحول الى معتقد .

الفلسفة إذن ليست هي العلم ، ولكنها مع ذلك ليست غريبة على العلم . ثمة أساليب أربعة للمعرفة فى رأى مرسية :

- الاسلوب الموضوعى وهو ما يميز العلم .
- الاسلوب الذاتى وهو ما يتسم به الفن .
- الاسلوب الجيايحى وهو ما تتصف به الأخلاق
- الاسلوب التأملى وهو ما يختص به التصوف .

ومعنى ذلك ، أن الاسلوب الموضوعى ليس هو الاسلوب الوحيد للمعرفة الانسانية . ويخطئه من يقف ضد هذا المعنى ، والخطأ قائم بالعمل فى هذه النزعة التى تجعل من العلم كل شيء فى الحياة . والعلم ، فى هذه النزعة ، هو علم

مزيف ، بل هو الفين الشعوب . أما العلم الحق فهو العلم الذى يفسح مجالا للعلوم الأخرى من أخلاق وفن وتصوف ، وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يقدم أى خدمة لأى من هذه ومع ذلك ثمة تعاون يمكن أن يقوم بين العلم من جهة والأخلاق والفن والتصوف من جهة أخرى ، مع ملاحظة أن هذا التعاون يتسم بالديالتيكية .

ثم يتساءل مرسية :

أين موقع الفلسفة من هذه الأساليب الأربعة للمعرفة ؟

وكيف يمكن طرح قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم ؟

ثم يجب بأن الفلسفة هي نقطة الالتقاء بين الأساليب الأربعة . وحيث أن اللقاء الجزئى بين العلم والأخلاق يكون مائسيمي بالتكتيك فالفلسفة إذن هي التكتيك المثالى حيث يتمسك الصراع ويتلاشى فى سلام الروح ورضا الانسانية المفكرة والفاعلة ، وبذلك يتحقق الانسجام التام بين الفكر والفعل طبقا للأساليب الأربعة .

بحثه حقيقة يقول : الفلسفة ليست علما والعلم ليس فلسفة ما ولا هو الفلسفة .

أما ميودراج سيكتش (يوغوسلافيا) فهو يركّز في بحثه « الفلسفة والعلم » على نقد الوضعية المنطقية ، فهو يرفض قول الوضعية المنطقية أن الفلسفة علم . فتحة اختلاف بين الفلسفة والعلم من حيث المنهج ومن حيث نقطة البداية .

من حيث المنهج العلم تجريبي أما الفلسفة فتخلو من التجريب . أن المنهج الفلسفي قد يكون ترنسدنتاليا وقد يكون دياكتيكا وقد يكون حدسيًا ، وقد يكون فينومينولوجيا ، وقد يكون شكيا «يدان المنهج الرئيسي ، في رأى سيكتش ، هو منهج الشك ، أما المناهج الأخرى فليست إلا تصويرا لهذا المنهج . وقد يقال ، ردا على سيكتش ، أن «الحس السليم ، يمكن أن يعد منهجا فلسفيا كاليا . ولكن ليس هذا القول بالصحيح . أنه منهج فلسفي ولكنه ليس كافيا لأنه ليس منهجا نقديا ، والشك هو المنهج الذي يسمح لتأجيلين أسلوب رويبتا للأشياء ، ويتعمق فهما للعالم »

ولاختلاف المنهج بين الفلسفة والعلم يلزم منه اختلاف نقطة البداية . فالعلم يبدأ من المعطيات المباشرة ، أما الفلسفة فلا تبدأ من الموجود ، إذ تشكك فيه . ولكن هذا الشك ليس واقعا لأن المريض نفسيا هو الذي يشك واقعا في الموجود وهو لهذا في حاجة إلى طبيب للأعراض النفسية . أما الشك المقصود ، في رأى سيكتش ، فهو الشك الذي يسمح لنا بالتفلسف وكان العالم غير موجود ، لكي نرى بعد ذلك ماذا يترتب على هذا الفرض من نتائج .

ولكن هل يعني هذا الاختلاف بين الفلسفة والعلم انها منفصلان ؟

جواب سيكتش بالسلب لأن الفلسفة نظرية شاملة للكون لا تقوى عليها العلم ولكنها في نفس الوقت تستند الى نتائج العلم بالإضافة الى منجزات الأخلاق والفن والحياة الاجتماعية . ومع ذلك ينبغي الفصل بين ما هو فلسفي وما هو علمي حتى يمكن تقدير ما هو علمي في العلم وما هو فلسفي في الفلسفة . ولهذا ليس من المطلوب أن تتسائل من الخلفية الفلسفية للعالم ، أو عن الخلفية العلمية للفيلسوف ، وإنما المطلوب البحث عن أصالة التفكير ومقمتها .

ويخلص سيكتش من ذلك الى أن فلسفة العلم ليست علما كما تزم الوضعية المنطقية ، ولكنها إحدى وظائف النشاط الفلسفي النظري . فمع حق الفلسفة أن تتخذ من العلم موضوعا لها كما

وليكن جعلنى ذلك أن تتصفّ الفلسفة بأنها « ما فوق العلم » أو « ما فوق الأخلاق » أو « ما فوق الفن » أو « ما فوق التأمل » . ولكن معناه أن تحجم الفلسفة عن البحث عن القيم لهذه مهمة الأساليب الأربعة ، وأن تقصر ههنا على أن تكون أسلوب حياة يتصف بالنقد والالتزام ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، تعد الفلسفة منطلقا متكاملًا ورابطة وجودية وامتبولوجية ، وأنطولوجية ديناميكية . ومن ثم فلتل الإنسان من الوتوع في براثن المذهب المطلق حيث ينعم بعدة موضوعات الفكر ويختفى الصراع بين أساليب المعرفة ويقنع الإنسان بالوقوف عند « أية » ما . ISM. وتنهيا الفلسفة بصد ذلك للاختفاء . ومن هنا تنشأ أهمية إثارة قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم لكي نؤكد من جديد قيمة الفلسفة من حيث انها القوة المحركة للعقل وما أساليب المعرفة الأربعة إلا العناصر المكونة لهذه القوة .

وحين انتهى مرسيه من لقاء بحثه وجه اليه **الفريد آيزر** - وهو من قادة الفلسفة التحليلية - نقدا ساخرا مفاده أنه ليس ثمة فلسفة قائمة بذاتها وإنما ثمة فلسفة علم تواهيا البحث في قضايا العلم من حيث هي تعبيرات لغوية ، وثمة علم واحد ترد اليه باقي العلوم هو العلم الفزيائي

ثم اعترض **مرسيه** قائلا : أن ما يقوله آيزر تبسيط مزيّف . ثمة علوم وليس علم واحد ، ومرد هذا التعدد الى تعدد درجات التجريد . ثم أن ما يذهب اليه آيزر من الاكتفاء بالعلم يجعل منه مؤسسة مطلقة تقوم بالرد على كل مايدور في عقل الإنسان . وهذا خطأ وقع فيه كل من المعسكرين الراسمالي والإشتراكي . وهو خطأ مماثل للخطأ الذي وقع فيه هيجل حين جعل من الدولة مؤسسة مطلقة .

وفي رأى ، أن اشكال مرسيه يقوم فيرفضه فلسفات العصر بدعوى انها مطلقات تأخذ شكل « آيات » علمية فيضيف الى الأسلوب الموضوعي الأسلوب الذاتي ، ولكنه يعزلها بدعوى أن الأسلوب الموضوعي يخص العلم والأسلوب الذاتي يميز الفن . ومع ذلك فهو يقرر أن قيمة الجميل قيمة كلية وليست شخصية بل هي مكلة لقيمة الحق .

ومن المعروف أن العلم هو معرفة ما يتصف بالكلية في مقابل الجزئي دون تجاهل العيني . وهذا هو قول مرسيه ذاته . ومنطق هذا القول يفرض عليه طرح قضية الأساس العلمي لأساليب المعرفة ، كما يفرض عليه إعادة النظر في مفتتح

فعل ذلك مع الأخلاق والفن والدين . فكما أن
التناول الفلسفي للدين ليس ديناً فكذلك التناول
الفلسفي للعلم ليس علماً .

ويزداد الهجوم على الوضعية المنطقية ، وما
يمثلها من فلسفات في بحث نفقولاى أرباجاكوف
[بلغاريا] وهو يتبعها جميعاً بأنها فلسفات مثالية
ومعادية للفلسفة لأنها تزعم أن الفلسفة ليست
تشكلاً من أشكال المعرفة العقلية وليست علماً
وليست معرفة للواقع . فجميع تفضيهاها ليست
مستخلصة من الملاحظة أو التجربة .

وأرباجاكوف يرى أن هذا الزعم لا يصح
على الفلسفة المادية الديالكتيكية . صحيح أن
تقول بأن الفيلسوف لا يستطيع التجارب ليبرهن
على تفضيهاها ، ولكن ليس من الصحيح أن نخلس
من ذلك إلى انتفاء النسبة التجريبية من الفلسفة
المادية الديالكتيكية ، وذلك لسببين :

ـ السبب الأول أن ثمة علوماً لا تستعين ، بل
ليس في إمكانها أن تستعين بالمنهج التجريبي ومع
ذلك فهي علوم .

ـ السبب الثاني أن الفلسفة المادية الديالكتيكية
تستند إلى الخبرة الإنسانية في تاريخها الاجتماعي
والتي منجزات العلوم وبكتشفاتها . ومن هنا
نفسه علاقة حيوية بين الفلسفة والعلوم والفنون
والأخلاق والقانون وجميع الانشطة الروحية
الأخرى .

ويتساءل أرباجاكوف :

كيف نفسر هذه العلاقة الحيوية ؟

ليس من جواب سوى أن الفلسفة هي الأساس
المنهجي لجميع العلوم وكأنه الانشطة الروحية .
ومن ثم فإن الفلسفة أن يكتب لها القضاء .

وهنا يتساءل أرباجاكوف :

أية فلسفة ؟

والجواب بالطبع : الفلسفة المادية
الديالكتيكية ووظيفتها مزدوجة ، إذ هي تصف
ينهج وبمنظرة كونية .

ولكن أية نظرية كونية ؟

ثمة عدة نظرات كونية وهي كلها ذات خصائص
اجتماعية ، ثم هي كلها أسلحة حادة في الصراع
الاجتماعي . ويتربص على ذلك أن الفلسفة
بالضرورة ملتزمة . والقول بأن الفلسفة يمكن
أن تكون غير ملتزمة وهم . وبهذا يخطئ كثير
من فلاسفة الغرب في الدعوة إلى فلسفة تأملية
أو إلى فلسفة حالية من طرح تفضيهاها تفضي الحياة
الاجتماعية . فإن مثل هذه الدعوة أمن محال .
وأرباجاكوف يلقم المادية الديالكتيكية كتصوير
من نظرتها الكونية لأنها تتميز ببساطة ثلاث :

ـ أولاً : لأنها تتبنى المادية وتطبقها ليس فقط
على المعرفة والطبيعة بل أيضاً على الحياة
الاجتماعية والتاريخية .

ثانياً : لأنها تطرح الديالكتيك « لأول مرة »
على أساس مادي وتتناوله على أنه علم القوانين
المعامة للطبيعة والمجتمع والمعرفة الإنسانية .

ثالثاً : لأنها تتميز بالتناول العلمي للخصائص
الفلسفية مع مزجها بالفلسفالف الفوري للطبيعة
المعامة لتحقيق الاشتراكية .

وهذه الميزات الثلاث متداخلة تداخلاً عضوياً
بمعنى أن المادية التاريخية تتبع من الطابع
الديالكتيكي للفلسفة الماركسية ، وأنها من حيث
هي فلسفة الفعل الثوري تصدر عن المادية
والمادية الديالكتيكية في آن واحد . وهذا
التداخل العضوي يمتنع معه تكوين مذهب مغلق
ينطوى على الحقيقة المطلقة من العالم ومن
الإنسان ، ولكنه يسمح بتكوين مذهب مفتوح
يستند إلى التراث الإيجابي للفكر الفلسفي وينتظم
بتأثير من المعرفة العلمية والنظرة العمليّة للتاريخ
الاجتماعي .

ويتضح من سياق هذا العرض أن الوضعية
المنطقية هي العدو الرئيسي اليوم للماركسية
وقد حدثت تضاد فلسفية بين آير وأرباجاكوف
أثر قول آير أن ماركس ليس فيلسوفاً وإنما هو
عالم اجتماع . ورد أرباجاكوف بأن ماركس قام
بتحليل عدة تصورات مثل المادة والشعور
والضرورة والحرية وتساءل عن معنى الإنسان
والمجتمع والطبيعة . وبالنظر التحليلي للوضعية
المنطقية فإن ماركس ينبغي أن يمد فيلسوفاً .
والقول بغير ذلك ليس من الموضوعية في شيء ،
بل هي ليس إلا تميزاً من ليوبرووازية . ذلك
أن فلاسفة الوضعية المنطقية يقومون هم أيضاً
بتحليل هذه التصورات للكشف عن معانيها .

وهنا تغيرت نسبة آير وقال : ربما كان ماركس
فيلسوفاً .

ونقد الوضعية المنطقية ليس مقصوراً على
الماركسيين وإنما يمتد إلى نفر من فلاسفة الغرب
فيرو لابلزلي (أمريكا) في بحثه « فلسفة
الانسقة : مسح لنمط يتطور من الفكر المعاصر »
ضرورة تأسيس فلسفة علمية يطلق عليها اسم
« فلسفة الانسقة » وهي فلسفة تكالبية تنطوي
على نظرية كونية تستعين في تكوينها بالتطورات
العلمية وتتغير مع تغيرها . بيد أن هذه الفلسفة
لا تقدم قواعد لصنع فلسفة ما ولكنها تقدم أطراً
تصورياً يسمح بالبداع الفلسفي ، والعلوم
التجريبية التي ينطوي عليها هذا الإطار التصوري
محدودة إلى العلوم ، والتفضيها المطروحة هي
تفضيها بمتصلة بالإنسان ، والفلسفة التحليلية
عاجزة عن تناولها بفرداها .

ب - الاخلاق والثقافة

في مفتتح هذه الحلقة تحدث فيدو سيف [الاتحاد السوفيتي] عن « الاخلاق والثقافة » وعن العلاقة بينهما من حيث انها من القضايا الرئيسية في الحياة الاجتماعية الحديثة . وقارن بين فلاسفة المسكرين الراسملي والاشتراكي في تناولهما لهذه القضية . فلاسفة المسكر الراسملي يفصلون بين الاخلاق والثقافة بدموى انها متناقضان ، في حين ان فلاسفة المسكر الاشتراكي يقررون ان ثمة وحدة عضوية بينهما تولد من جراء التغير الاجتماعي ، والقضاء على جميع اشكال الاستغلال .

وفي ختام حديثه اشار فيدو سيف الى التناقض المترتب على معارضة الثقافة للأخلاق وهو دفع المعرفة العلمية الى المطلق وعزلها عن الظروف الاجتماعية المعينة .

وتناول لوشي باهم [امريكا] مسألة العلاقة بين الاخلاق ومهمة الفلاسفة وارتاب انه ازاء التهديد بازالة الانسانية فليس ايمانسوي الاتفاق على حد ادنى من القيم الاخلاقية . بيد ان هذا الاتفاق ليس متحققا بسبب التدور المتواصل للقيم التقليدية الامر الذي يؤدي الى انتشار الجريمة والى نسبية الثقافة التي يتمتع معها الاتفاق على حد ادنى من القيم الاخلاقية . وعلى الفلاسفة تقع مهمة معالجة هذه المسألة .

ولكن اي منظمة من المنظمات الفلسفية تقع عليها هذه المسؤولية ؟

في راي باهم انه هذا المؤتمر العالمي مثلا في الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية [ا.د. ح. ف]

واللاحظ على هذه الآراء انها تعبير عن امل يراود صاحبها في ان يمسك الفلاسفة بزمام المسألة الاخلاقية حتى يضمن اصلاح العالم ، وهو امل ينكرنا بطوح افلاطوني انتقضت عليه عدة ترون دون ان يتحقق . واغلب الظن ان عدم تحققه مردود الى انقضاء التحليل العلمي للوعي الاجتماعي ومن ثم للوعي الاخلاقي .

وقد حاول اجراء هذا النوع من التحليل « لوبومير درماليف » في بحثه « مكانة الاخلاق ودورها في نسق القيم الروحية » فهو ، في هذا البحث ، ذهب الى ان الوعي الاجتماعي ينطوي على ثلاثة عناصر : الحياة العقلية للمجتمع ، حياته الثقافية ، والقيم الروحية .

وايتم هذه الفلسفة الجديدة « فلسفة الانسقة » بمسائل مطلوب حسنها من بينها تحديد المعاني الاساسية مثل النسق والمسلقة والبنية وعلاقة الجزء بالكل ثم بناء منطق علاقت وتطويع استدلال ، وتطويع مناهج الانسقة، وليس من مبرر لعدم الحسم سوى ان هذه الفلسفة حديثة النشأة ، فقد نشأت في نهاية الستينات كرد فعل ضد الوضعية المنطقية ، وضد تيار « معاداة النسق » الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد تعرض لهذا التيار « اولوج نوتكو [تركيا] في بحثه « معاداة النسق والنسق المفتوح في الفلسفة » .

وقد نشأ هذا التيار ، تيار معاداة النسق ، كرد فعل ضد الانسقة الكبرى السبابة بالمشالية الالمانية . وقد انقسم الى اتجاهين متناقضين : **الاتجاه الاول** ، يقلل من شأن العقل، فيذهبى تطرفه الى معسادة العلم فيتولد عنه ثلاث تيارات : الفرعة التاريخية والفينومولوجيا والوجودية .

الاتجاه الثاني ، يبالغ في قيمة العقل فيبعد الطريق الى الفلسفة من خلال انه لم يتخذ اسما له هو المادية الديالكتيكية . ولم يكن الغرض من طرح هذا الاسم ان يتحول الاتجاه الى « اية » وانما ان يكون مجرد علامة على مجبوعة من الانكار . ذلك ان السد « اية » تلازمها الحقيقة المطلقة ، والحقيقة المطلقة منافية لروح البحث العلمي .

المادية الديالكتيكية اذن ليست نسقا مغلقا وانما هي نسق مفتوح في مواجهة معاداة النسق .

وثمة مضيلة آراء النسق المفتوح . ذلك ان المعنى التقليدي للنسق يلزم منه انه مغلق . فالنسق يعنى الكل ، والادعاء بعرفة السكل هو ادعاء بعرفة حقيقة مطلقة ، ومن ثم يعلق الياب ايام اي بحث . والفلسفة ليس في امكانها استبعاد فكرة الكل ، وفي ذات الوقت ، ليس في مقدورها الزعم بانها حاصلة على معرفة كاملة للكل . بيد ان تجاهل الفلسفة لهذه الفكرة او تفهيا يعنى اكفاء الفلسفة بمسألة التحليل اللغوى للتصورات .

وليس من سبيل لحل هذه المعضلة مسوي القول بان مبادئ الفلسفة متطورة بفضل الاهية المتواصلة بالكتشفات العلمية الجديدة .

بيد ان هذا الحل لا يعنى ان تكون لدينا فلسفة علمية .

والقيمة ليست متجاوزة لما هو اجتماعي ؟ ومن ثم فعمل القيم هو في صميم الحياة الواقعية للإنسان .

والقيم ظواهر اجتماعية تهدف الى اشباع الحاجات الانسانية ، ومن ثم فهي - أي القيم - باعتبارها « موضوعا » اجتماعيا ليست منفصلة عن حاجات ورغبات وافعال الانسان من حيث هو « ذات » .

والقيم على ضربين رئيسيين : روعي ومادي القيم الروحية على ضروب منها الكشف العلمية والاداب والفنون والنظريات الفلسفية والاخلاقية والقانونية والسياسية ، وهذه القيم تشبع حاجات ذهنية .

ولهذا فان القيم الروحية تواكب الثقافة الروحية .

وحيث ان الثقافة الروحية جزء من القيم الروحية فان القيم الاخلاقية ينبغي ان تكون متعارضة مع ثقافة المجتمع .

ثم يتساءل **درماليف** :

ما هي الطبيعة الاجتماعية للقيم الروحية وما دورها من حيث احتوائها للقيم الاخلاقية ؟

والجواب عن هذا السؤال لازم من السؤالين من البناء الاساسي للوعي الاجتماعي . وتحديد هذا البناء من تحديد « مجالات » و « اشكال » الوعي الاجتماعي :

- من حيث معرفة العالم الخارجي ، والتحكم فيه ثمة مجالان : وعي الجاهير ، والوعي المنطري - ومن حيث وظيفة الوعي الاجتماعي ثمة وظيفتان : المعرفي والتقوي .

والوعي المنطري وهو اعلى مستوى للوعي له مجالان :

معرفي وتقوي . والتقوي ليس الا الوعي الايديولوجي .

اما اشكال الوعي فتتحدد على المستوى المنطري ، وعلى مستوى العمل الذهني .

وهذه الاشكال على صلة بالملاقات الاجتماعية المادية اي بالاساس الاقتصادي . وهكذا ترتبط الاخلاق والايديولوجيا السياسية والقانون بهذا الاساس وتتأثر به ، وذلك ينتهي **درماليف** الى ما انتهى اليه انجاز في خطابه الى شبيدات عام ١٨٩٠ حيث اشار الى العلاقة المتداخلة بين اشكال الوعي الاجتماعي والاقتصاد .

ولهذا فالاخلاق ، وهي من اشكال الوعي الاجتماعي ، تملس وظيفتها في الجساعات الاجتماعية بشرط ان يتوفر لاجزاء هذه الجساعات مصالح مشتركة . ومن ثم فالسلوك الاخلاقي

ليس تمثلا منفصلا عن التماسك الاجتماعي فهو يعكس قيم هذا التماسك . وبذلك يتحدد دور الاخلاق في اطار نسق القيم الروحية .

وازاء هذا التحديد الحاسم للاخلاق عند **درماليف** نلاحظ نوعا من التناقض والترحف في بحث مقدم من **شيليب** (امريكا) عنوانه : « هل في الامكان اعطاء الانسان اسبقية » ؟ فهو يتساءل : ما الانسان ؟

ولكن ليس من مجيب لماذا ؟

لاكثر من سبب .

فالانسان صانع العلم والتكنولوجيا ، ومع ذلك فهما متقدمان عليه . وصياغة الموضوع الرئيسي لهذا المؤتمر شاهدة على ذلك : « العلم - التكنولوجيا - الانسان » ، فالانسان هنا يأتي في المؤخرة .

والانسان صانع القرار في مجال العلم ، وفي مجال التكنولوجيا .

ولكن على اي اساس يتخذ الانسان اي قرار ؟ في مجال العلم ، الاساس هو البحث عن الحقيقة ، وهذه مسألة ايستيمولوجية لم يتخصص فيها شيليب .

اما في مجال التكنولوجيا ، فالاساس هو كيفية الافادة ، وتحديد الافادة يلزم منه تحديد قيمة الخير والشر ، وهذا التحديد لم يتفق عليه الفلاسفة منذ قديم الزمان حتى اليوم .

ما العمل الآن ؟

الاجابة عن اميق سؤال ؟

ما الانسان ؟

وهذا هو رأي **شيليب** .

اما **سومرفيل** (امريكا) في بحثه « علم الاخلاق وامراض الثقافة » ، فلهذه نبرة تناول ازاء امكان تأسيس علم للاخلاق ، ومن هذه الزاوية يقدر **سومرفيل** **كارل ماركس** . صحيح ان اعمال **ماركس** لم تكن تنطوي على اي محاولة لتأسيس علم للاخلاق ، ولكنها تفترض مقدما امكان تأسيس مثل هذا العلم . كما انها تنطوي على اسس هذه الامكانية . ولهذا يمكن القول بان اعمال **ماركس** ليس لها من معنى ان كان ثمة استحالة في تأسيس مثل هذا العلم . كذا اننا نخطيء لهم **ماركس** حين نقصور ان **ماركس** يدعوا الى انسانية وليس الى انسانية علمية ، ذلك ان **البراكسيس** عند **ماركس** هو في آن واحد مصدر تجريبي للنظرية ومقياس للحكم على صحة النظرية ، وان الانسان في مقوره ان يبرهن عقليا على الممارق بين **البراكسيس** **الانسان** **البراكسيس** **والانسان** **الانسان** ، واذا لم يكن الامر على هذا النحو ؟

ج - التكنولوجيا و الإنسان

في بداية الحلقة الثالثة ، تحدث **دي جورج** [أمريكا] عن « التكنولوجيا والعقل » ، نكرته المصورية ان الانسان مغترب لانه محكوم بالتكنولوجيا ، والفروض ان يكون الحال على الضد من ذلك ، أي ان تكون التكنولوجيا مخكومة بالانسان .

والسؤال الآن :

لماذا يكون الانسان محكوما بالتكنولوجيا ؟

للإجابة عن هذا السؤال ، يلزم النظر في طبيعة العقل الإنساني ، فثمة هوية بين التكنولوجيا والعقل في نظر الكثيرين ، ولا أدل على ذلك من ان الفهم على التكنولوجيا يعد في نفس الوقت تهجبا على العقل ، ودعوة الى اللاعقلانية . ومعنى ذلك ان التكنولوجيا قيمة العقلانية ، وان العقل التحليلي النموذج الأمي للعقل الإنساني ، وان الحاسب الإلكتروني هو أول مثال على استخدام العقل التحليلي في التطبيق .

والنتيجة ماذا تكون ؟

تحول العقل التحليلي الى اسطورة .

واسطورة العقل التحليلي تعني انه **العقل** بمعنى الكلمة ، وان به وحده يتحقق التقدم .

وهذا وهم ، لان العقل التحليلي يعجز عن رؤية الكل اذ هو يلف عند الجزء .

ورؤية الكل ضرورية ، لان الانسان يبحث عن تكوين الانسنة حيث الاجزاء مترابطة . ومن هنا - وهذا ليس من شأن العقل التحليلي ، بل من وظيفة العقل التركيبي .

ومع ذلك فليس ثمة انفراد لواحد دون الآخر ، بل ثمة معية ، ولكنها معية مفسوية ، أي عدم إمكان الانسان الوقوف عند أي منهما . ومن ثم يفسيف دي جورج الى العقل التحليلي والعقل التركيبي ، العقل الديالكتيكي . من شأن هذا العقل الأخير ان يصفنا من الرضا بأحد العقلين الآخرين ، اذ هو ينتقل من وجهة نظر الى وجهة نظر أخرى ، دون ان يلف منذ حد ، فيمتنع منه تكوين نسق منطقي أو حقيقة مطلقة .

والنتيجة بعد ذلك كله ماذا تكون ؟

تحكم الانسان في التكنولوجيا ليس باستبعاد العقل، ولكن باستخدامه على نطاق أوسع مما يبدو للتكنولوجيا ، وبذلك يمكن النظر في بعض مشاكل التكنولوجيا على انها مشاكل إنسانية ، وليست مشاكل تكنولوجيا ، فمبنيهم في حلها الفلاسفة ؟ وهذا هو دورهم .

وإذا هابت الاحكام الاخلاقية على مناهضات انفعالية ، فكيف يمكن مواجهة كل من نيتشه و **دستيفسكي** . . الأول بدعوته الى ارادة القوة ، والثاني بتساؤله من تقدم العلم والتكنولوجيا ؟

جواب **سومرفيل** بالنسبة الى نيتشه ، ان الاسلحة النووية قد كشفت ان الصراع من اجل القوة كغاية في ذاتها يعني نهاية الانسان .

وجواب **سومرفيل** بالنسبة الى **دستيفسكي** ، ان ليس ثمة مبرر للخوف من تحول الانسان الى مجرد حاسب الكتروني أو من تكيم القواعد الاخلاقية ، وبالتالي من اخفاء الحرية . . صحيح ان الانسان قد استعان بالعلم والعقل لاستغلال أخيه الانسان ، ولكن هذا لا يعني ان على الانسان الاختيار بين العلم والحرية ، وانما يعني الاختيار بين استخدام العلم لتدعيم الاستغلال والعبودية ، أو بين استخدامه للتحريز منها .

ومن ثم فالمطلوب ، في رأي **سومرفيل** ، هو تصديق مسملي التحرر والحرية . . فنحن نقول التحرر من . . . ونقول الحرية من أجل . . . وعلى سبيل المثال نحن نقول التحرر من البؤس ، والحرية من أجل السعادة .

والمطلوب بعد ذلك ، في رأي **سومرفيل** ، هو بيان الخطوات اللازمة لتأسيس علم الاخلاق .

ان الخطوة الاولى هي تحديد الماتى . . فليس ثمة معنى مطلق ، أي ليس ثمة مبرر من قول تحرر من كل شيء ، وحرية من أجل أي شيء ، وسبب ذلك هو ان الوجود الإنساني مقاه ، أي انه لا يعمل من غير ملة . . فليس الفارق بين الانسان والالة الموسيقية ان الاول يفعل باختيارات مستقلة عن أي ملة ، في حين ان الثانية تعمل بملة . . ذلك ان الاختيارات هي الاخرى في حاجة الى علل . ونحن نقول من اختياراتنا انها حرة حين تكون على وعي بانها اختيارات ، ونقبل اخلاصا العمل التي تدخل في صنعها .

والخطوة الثانية هي تكيم القيم ، أي قياس درجات الحرية والاستغلال ، السعادة والشقاء ، للذة والام ، ومن غير هذا التماس نظر في مرحلة ما قبل العلم .

وثمة ملاحظة أخيرة يختم بها **سومرفيل** بحثه ، هي الشكوى من تقسيم متزايد في العلم ، مقابل تقدم بطيء في الاخلاق .

فنحن نفساهل .

ما السبب في ذلك ؟

والاجدر بنا ان نتساءل ؟

كيف يمكن ان يكون الامر على خلاف ذلك ، طالما اننا نحرم الاخلاق من امكانيات العلم ؟

والملاحظة على آراء دي جوج انه يميز تقنية العلاقة بين التكنولوجيا والمقبل عن النظم الاجتماعية ، ويتناولها على انها مجرد نظرية في المعرفة ، الامر الذي دفعه ، انشاء مناقشة آرائه ، الى مسمد التفرقة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، بدعوى ان مشاكلهما متباعدة ، ولم يكن في امكان هيلين [الاتحاد السوفيتي] ان يترك المسألة من غير تعليق . وفي تعليقه اوجها الى اعتماد المؤثر في مدينة ساحرة وجبيلة ، هي مدينة غارنا ، والفضل في ذلك مردود الى التحكم الاجتماعي في التكنولوجيا . وابسده في ذلك رئيس المؤثر **ليو جبريل** [النمسا] ، قائلا ان عيب الفلسفة الغربية هي انها تدمج الانسان في التكنولوجيا ، في حين ان الانسان هو القيمة العظمى . ودعا الى ضرورة تحكم الانسان في التكنولوجيا .

واوضح رهسا [شيكوسلوفاكيا] ، في بحثه « **الانسان والتكنولوجيا** » ، ان التناقض بين التكنولوجيا والانسان قائم في المجتمع المورجوازي لانه مضجع يسلب الانسانية من الانسان ، وليس من علاج سوى التغيير الجذري للمجتمع .

يبد ان باسبور [استراليا] له رأى آخر في بحث له عنوانه : « **الانسان والتكنولوجيا** » . . . يبدأ بطرح اتجاهين نحو التكنولوجيا ، هما : التشاؤم التكنولوجي ، والتناؤل التكنولوجي .

التشاؤم التكنولوجي نمر عليه لدى **رويسو** ولدى الشاعر **وليم بليك** في تصميته « الطواحين الشيطانية المظلمة » ، التي اقتحمت تربة انجلترا الخضراء ، والشابرة **ماري شيلي** في تصويرها **لفرنكشتاين** على انه شبح يخيف من خلق التكنولوجيا لتدمير الانسان . كما نمر عليه لدى الاتجاه المحافظ القديم القائل بأنه ينبغي على الانسان ان يهتم من تغيير العالم الذي خلقه الله سواء كان هذا التغيير لصلحة الانسان ام لضرره بدعوى ان الطبيعة مقدسة ، وانها تعرف ما تريد على اكمل وجه . في حين ان اكتشافات الانسان لا تخلو من عنصر المفارقة ، ومن النتائج السيئة التي يجهل حدوثها . وقد اعترض انجاز على هذا الاتجاه ، قائلا ان الجهل بالنتائج السيئة مسألة مؤقتة ، نمرعان ما نصحجها بالعلم .

اما التساؤل التكنولوجي فهو مرتبط باسم **فرنسيس بيكون** ، حيث يقول انه يفضل التكنولوجيا ليعتمد الانسان سلطانه الذي كان حاصل عليه في بداية الخليقة ، حيث كان يشكل الطبيعة على النحو الذي يريد ، كما لو كانت قطعة من الشمع . ويجب هذا الاتجاه انه يفترض سلطة الانسان المطلقة على الطبيعة . ذلك ان العلاقة بين الطبيعة والانسان هي على غرار :

العلاقة بين الحصان والسائس . فكل ما يتفلقينه السائس هو التحكم في الحصان الى حد ما ، مع ادخال عنصر التعاون . ابا اذا تجاوز السائس الحد المطلوب ، فان الحصان قد يتخلص منه ، ابا بقتفه الى بعيد ، او قتله تحت قدميه . اذن كل من التشاؤم التكنولوجي ، والتساؤل التكنولوجي مرفوض .

وما البديل ؟

الحكمة التكنولوجية . . هكذا **يجيب باسبور** ، والحكمة التكنولوجية مزيتها انها تدخل في اعتبارها الاثار الاجتماعية والبيولوجية للتكنولوجيا ومن ثم لا تلقى اللوم على التكنولوجيا ، وانما على الانسان . . مثال ذلك : الانتاج بالجملة . فالقول الشائع ان هذا النوع من الانتاج يحيل الانسان الى مجرد آلة ، فخصف قدرته على الابتكار والابداع . ولكن هذا القول مردود عليه ، اذ في الابكان تنظيم عملية الانتاج بالجملة بأسلوب مبان للأسلوب الراهن ، بحيث يستطيع العامل ان يعمل ويكر على نمط الصانع الفنان ، وليس على نمط الآلة .

وقد يدل ان التكنولوجيا الصناعية تدمر الجبال الطبيعي ، بل تدمر الاشكال الرئيسية للبيئة الانسانية . ورد باسبور ان هذا التدمير ليس من انتاج التكنولوجيا ، وانما هو من انتاج جهل الانسان وشراعته .

ويخلص **باسبور** من كل ذلك الى ان التكنولوجيا من غير حكمة مدبرة للبشرية ؟ اي ان التكنولوجيا سلاح ذو حدين ؟ والقول بأنها ذو حد واحد خطأ لا يعادله آخر . فالاداع مغامرة ، ولكن ليست الحياة كذلك ، بل ليس الحب هو كذلك ؟

ومع ذلك يبقى سؤال لم يطرحه **باسبور** ؟ ومتى تتوفر الحكمة التكنولوجية ؟ وشة بحث يؤيد بوضوح التشاؤم التكنولوجي ؟ وعنوانه : « **الانسان والتكنيك** » ، بقلم **جوزيه ماسانابريا** [المكسيك] ؟ يتجاوز سؤال ؟ ما الانسان ؟ . . الى سؤال : ما هو مصير الانسان ؟ . . وهذا التساؤل مردود الى اسباب ثلاثة ؟

السبب الاول : هجزا الفلسفة من الاجابة من ماهية الانسان منذ **هرقليطس** الى يومنا هذا . **والسبب الثاني** : هجزا العلم من ادراك الوجود ، اذ هو لا يدرك الا ما هو براني ، ومن ثم لا يقدم الا تفسيراً جزئياً للواقع . **والسبب الثالث** : ان عصرنا هو عصر السيبرنتيقا وعصر التكنيك . ولهذا التساؤل الحقيقي هو : هل من مكان للانسان ؟

فريق **يجيب** بالاجاب : بدعوى ان الانسان هو صانع التكنولوجيا وهو حاكمها .

والتاريخ يجب بالصلب على أساس آله
في طريقها إلى تدمير الإنسان .

وينحاز مسانبريا إلى الفريق الثاني ، وحيثه في ذلك أن التفكير في الأصل من صنع الإنسان ، وهو الوسيط بين الإنسان والطبيعة . ومع ذلك فقد تجاوز حدوده ، وتحول إلى شيء على الإنسان أن يدخل في علاقة معه . وهنا المغفلة ، بمعنى أن التفكير يفرض ذاته على الإنسان ، في حين أنه من خلق الإنسان . ومن ثم نشأ ظاهرة اغتراب الإنسان ويقف الحاسب الإلكتروني ضد الإنسان . وحين تصبح المغفلة مجرد تكنولوجيا ، تكون المغفلة للحاسب الإلكتروني . ويتحول شعار « استغلال الإنسان للإنسان » إلى « استغلال الحاسب الإلكتروني للإنسان » ، ومعنى هذا التحول أن يصبح الإنسان عبدا ، بدلا من أن يكون سيده . ومع ذلك فالمذنب لا يقع على الآلة ، وإنما على الإنسان .

ويبقى بعد ذلك سؤال :

ما سبب هذه الأزمة ؟

جواب مسانبريا : الفكر الروحي هو الذي يقضي إلى آليه الحياة .

ولى تقديرى أن جواب مسانبريا ليس علميا ، فالمعلمية ضد التفسير الأحادي ، إذ لابد من البحث من عدة عوامل متداخلة ومتشابكة في إطار نظام اجتماعي معين .

وقد فعل ذلك **دوبرياف** [بلشاريا] في بحثه « التكنولوجيا في المجتمع » ، بعد أن حدد معنى التكنولوجيا والتفكير .

فالتكنولوجيا هي نسق من المصنوعات المستخدمة كوسائل في أنشطة الإنسان المتعددة والتي تنطوي على خبرات العمل في المجتمع وفي التاريخ .

والتفكير هو المعرفة ، وقد تجسدت في الواقع المادى لتحقيق غايات معينة .

وهكذا التحديد يفسر منسبه التفرقة بين التكنولوجيا والتفكير ، فالتفكير هو الأسلوب المتبع لاستخراج القوة الانتاجية الكامنة في التكنولوجيا . ومعنى ذلك أن التكنولوجيا عنصر هام من عناصر قوى الانتاج ، شريطة أن تكون في قبضة الإنسان من حيث هو كائن منتج — أي العامل — إذ هو أول قوة انتاجية من بين بنى البشر اجمعين ، وهو صانع التكنولوجيا . ومن هذه الزاوية ، فإن التكنولوجيا تمكس قوة الإنسان الاجتماعية والتاريخية .

لأن التقدم التكنيكي يجسد درجة تطور العلاقات الاجتماعية ، ولكنه في ذات الوقت يؤثر في هذا التطور ، بحيث يدفعه إلى الأمام . ولهذا يقول **ماركس** : « أنتميان الفترات الاقتصادية ليس مرجعه تبسيان المنتجات ، وإنما سببه تبين كيفية الانتاج ، وتبين وسائل العمل ، ولهذا أهم **ماركس** بدراسية دور قوى الانتاج ، ومن

يقبها التكنولوجيا في وحدتها التكنولوجية » مع علاقات الانتاج . وهذه الوحدة هي الأساس الحقيقي لتطور جميع العلاقات الاجتماعية لتحديد مراحل تطور المجتمع . وعند مرحلة ما من مراحل التطور ، تدخل قوى الانتاج في تناقص مع علاقات الانتاج ، وتتوقف خاصية التناقض على خاصية النظام الاجتماعي . فمثلا في ظل ظروف تناقص حر ، فإن التناقض يتبين بأنه معداى ، ويظهر على هيئة بحالة وتدمير مصباح الديوجنازية الصغيرة . والنورة الاشتراكية كغاية بالتغضاء على مثل هذا النوع من التناقض ، فتضيق الخناق على القطاع الخاص ، وتفتح آفاقا جديدة لتطور سريع ومتواصل لقوى الانتاج . ومن ثم فالاشتراكية تفرز مقدما أساسا تكيفي متقدم وتزايد مطرد لقدرات العمال وعدد كبير من اصحاب الخبرات الفنية العالية تتلق ومجزات العلم والتكنولوجيا .

ومعنى ذلك أن التقدم العلمى والتكنيكي والاشتراكية في وحدة لا تنقسم مرها .

ومستقبل البشرية مرهون بهذه الوحدة .

وهذا المعنى يقيد تعاطف العامل الانساني في ظل النورة العلمية والتكنولوجية ، الامر الذي دفع الفلاسفة الى الاهتمام بدراسة الانسان الفرد وليس فقط الانسان العام .

وفي بحث تقدمت به عنوانه : « انسان — آية القرن العشرين » ، ربطت فيه بين الانسان والـ « آية » ربطا عضويا ، بمعنى أن الـ « آية » في صميم كينونة الانسان ، يحكم القدرة على مجاوزة الواقع بغضل عملية التجريد الحاصل عليها العقل الانساني ، وهذه المجاوزة تسر لنا امكان تغيير الواقع ، وهي مهمة الفلسفة على النمط الماركسي . ومن ثم تربط الفلسفة بالايديولوجيا ، لأن الايديولوجيا تؤثر في مسار التاريخ . والمجازوة تدفع الايديولوجيا الى المعرفة الشاملة ، وهذه الشاملة بدورها تحيل الايديولوجيا الى مطلق ، الى « آية » .

بيد أن الـ « آية » تتطور بالضرورة ، والا تحجر الواقع ، وتطورها يمر بمرطتين :

المرحلة الاولى : سلب الـ « آية » ، والسلب هنا يعنى معارضة تطابق الايديولوجيا ، إذ أن من شأن هذا التطابق الوقوف عند حقيقة بخلفة ، وهذه بدورها تدفع الانسان الى الشاملة ، ومنها الى التفكرية ، ومنها الى تقويض الحرية . ومن أجل ذلك فإن الايديولوجيا ينبغي ألا تكون غاية في ذاتها ، وإنما وسيلة الى تحرير الانسان من الاغتراب الذي يعنى فصل منتجت الانسان عن ذات الانسان .

ولكن سلب الـ « آية » لا يعنى تقويضها والاستغناء عنها كلية ، وإنما يعنى اعادة مياعتها ، وهذه هي **المرحلة الثانية** .

بيد ان ثمة قيما متعادلة في الولايات المتحدة الأمريكية يهدف الى الوقوف عند المرحلة الاولى ، أى عند سلب الـ « آية » ، والاقتصار على التكنولوجيا كبدل للإيديولوجيا ، إلا ان هذا الاقتصار على التكنولوجيا هو إيديولوجيا ، فتحول التكنولوجيا الى تكنولوجيا « آية » ، أى الى « آية » مزيفة . ومع ذلك فإن هذه الـ « آية » المزيفة تساعد حق على عدم الاستغناء عن الإيديولوجيا .

وهنا ثمة سؤال لابد ان يثار :

أى « آية » يريدنا انسان القرن العشرين ؟

انها « آية » مفتوحة وليست مغلقة .

وهل ثمة إيمان ؟

نعم . . اذا نظرنا الى الانسان على انه غلبة فى ذاته وليس على انه وسيلة .

ويقرر فروولوف [الاتحاد السوفيتى] فى بحثه « العلم المعاصر والانسانية » ، ان الانسان هو الغاية العظمى من التطور الاجتماعى .

والعلم المعاصر ينحو نحواً جديداً فى تناول الانسان ، ليس من حيث هو موضوع ، او من حيث هو ذات فى نسق التقدم العلمى والتكنولوجى ولكن من حيث هو ذات وموضوع متداخلان تداخلاً ديكالكتيكاً ، ومن ثم تغيرت العلاقة بين الانسان والتكنولوجيا . فلم تعد المسألة مجرد تكييف الآلة للانسان ، بل تتشكل قدرات الانسان لمواكبة التطور التكنولوجى ، الامر الذى ادى الى ابتكار علم جديد يدرس خصائص الفرد واتجاهاته لزيادة غاياته ونفع تطوره الروحى والفكرى ، وهذا العلم الجديد ينطوى على البيولوجيا النووية وعلم الوراثة والبيوسيرنطيقا . ولهذا يطلق فروولوف على هذا العصر اسم « العصر البيولوجى » ، ولكنه يضيف الى هذه العلوم ، حيث الانسان هو الموضوع ، نظرة كونية اجتماعية وفلسفية .

أما ساساها جانوفسكى [بلغاريا] ، فيقرر فى بحثه « المفهوم الفلسفى للانسان » ، ان الانسان هو نقطة البداية فى التحليل الفلسفى . بيد ان هذه القضية قد حدث لها تطور فى الآونة الحاضرة فى الفلسفة الغربية الحديثة . فثمة تصور مثالى للانسان يفسر العالم من خلال الانسان ، وليس الانسان من خلال العالم . وثمة تصور مادى للانسان يطرح فيها صحتها للمجتمع والطبيعة ، ويكشف عن الكيفية السلبية التى تحقق الوحدة بين الانسان والطبيعة . ولكن يعاب على هذا التصور انه ينظر الى الانسان على انه كائن طبيعى ، أى جزء من الطبيعة ، يقع فى حدود المادية الميتافيزيقية التى تقفل من دور القدرات الفعالة للانسان ، فظهر الماركسية وتصحح هذا العيب ، لتكشف عن الخاصية الأساسية للانسان من حيث هو كائن اجتماعى . ومن ثم تتناول فى علاقاته الطبيعية والاجتماعية .

والعمل هو « خزانة الوصل » بين ما نعو ظاهرياً وما هو اجتماعى فى الانسان ، ثم هو الذى يحول الحاجات البيولوجية الى حاجات اجتماعية . ولهذا فغاية الانسان لا تتحدد بالإنشاء البيوجاى ، وانما تتحدد بالفاعلية الاجتماعية . . وتأخذ الوجودية على الماركسية انها ترد الانسان الى ماهيته ، وتتجاهل وجوده . . وتأخذ الفرويدية على الماركسية انها تحدد الانسان بجملة عوامل اجتماعية ، والاصح ان تصدده بالفرائز اللاشعورية . ويرفض جانوفسكى المأخذين ، لانها يجهلان الديالكتيك بين الجوانب والبرانى ، بين الذاتى والموضوعى ، بين الماهية والوجود . كما انها يجهلان ان العالم الجوانى للفرد فى وحدة مع العوامل الاجتماعية والثقافية . ومن هنا أهمية تعريف ماركس الماهية الانسان بانها « جملة علاقات اجتماعية » .

وثمة بحث طريف مقدم من هيوارد بارمسنز [أمريكا] عنوانه « التكنولوجيا وأزمة تدوير الانسان فى الولايات المتحدة الأمريكية » ، يقرر فيه ان أزمة المجتمع الأمريكى هى فى تدوير الانسان بفشل ما لديه من اقتصاد محكوم بقلة ، وموجه الى غايات غير انسانية . ومن شواهد هذه الأزمة انتشار الفقر والمجاعة بنسبة ٤٠ ٪ . . [١٥ مليوناً من الأطفال يعانون من اضطرابات عقلية ، ١٨ مليوناً يمدون اهتمام القهر ، ٨ ملايين يتعاملون المارجوانا ، ٢٠ مليوناً يعانون من الإيالة الوظيفية ، تزايد الجرائم وفساد البوليس ورجل القاتلون ، وفشاد الروابط الاسرية] . . وهذه كلها شواهد تدل على انهيار معظم للمجتمع الأمريكى ، وقد جاء هذا البحث كدليل على ان التكنولوجيا فى نظام رأسمالى تنفى الى تدوير الانسان ، وعلى ان الوسائل التكنولوجية للانتاج ينبغى تأميمها لصالح الطبقات الكادحة .

د - العقل والعمل فى تغيير العالم

فى بحث طريف لسانسكوبسكى [بولندا] عنوانه « تخارج الانسان كوسيلة الى الابداع الذاتى والى معرفة الذات » ، ثمة مبدآن رئيسيان . . **المبدأ الاول :** ان العمل يسبق الفكر ، **والمبدأ الثانى :** ان التغيير التكميى يؤدي الى تغيير كمى .

عن المبدأ الاول يرى صاحب البحث ان نمو الانسان يقاس بزيادة قدرة تحكمه فى الطبيعة . والعلامة الاساسية على هذا التحكم هى كمية الطاقة التى يستثمرها الانسان من حيث هو فرد ، ومن حيث هو عضو فى جماعة . وهذه الطاقة المستثمرة لا تكشف فقط عن درجة تحكم الانسان فى الطبيعة ، وانما أيضا عن نمو قدراته المنظمة

هى ان الايديولوجية الضياعية لا يمكن ان تنصف بالملمية ، ومن يزعم غير ذلك فهو يروج لخدعة ذلك ان الايديولوجيا تفسر الماهى وأسقاط لمستقبل ، استنادا الى فهم ملى للحاضر ، أى ان الماضى والمستقبل يتحددان بالحاضر ، والحاضر ذاته غير محدد .

وواضح من هذا البحث ان صاحبه يوجه نقدا للماركسية بطريقة خفية ، الامر الذى يدفعنا الى القول بان تفرقة بين النظرية والممارسة العملية لها خلفية ايديولوجية ، أى خلفية لا علمية بتقاس صاحب البحث نفسه .

ومع ذلك نثمة سؤال آل جوهري كان ينبغي طرحه والاجابة عنه :

هل الاحكام التقويمية مستقلة عن الاحكام النظرية ؟ ؟ أى هل ثمة علاقة بين القيمة والملم ؟

ه - الفلسفة فى مضمار الثورة

العلمية والتكنولوجيا

الى كوفن [قرنس] بحثا عنوانه : « ملاحظة حول التناقضات الزائفة لمفهوم البورجوازية من المعرفة الموضوعية » . الفكرة المحورية ان ثمة اتجاهين متعارضين فى المعسكر الراسمالى ازاء امكن المعرفة الموضوعية .

اتجاه تبنه الرضعية الجديدة ، ويستند الى الرياضيات ، والمنطق الصورى الحديث ، يقن موضوعية المعرفة ، ولكنه يقف ضد تكوين اية رؤية كونية موحدة .

واتجاه آخر لاعقلانى ، ينسك على المعرفة العلمية أى قيمة اجتماعية ، بل ينسك عليها الموضوعية .

وفلسفة هيجر هى المعبر الامين من انكار المعرفة الموضوعية .

وفى ختام البحث يرى كوفن انه حين تتخلل البورجوازية فى العصر الاميرالى عن تكوين رؤية كونية ، وحين تصير منها اتجاهات متعارضة فان يبقى امامها من سلاح ايديولوجى سوى سلاح واحد لا يتمس الا بالتناقض وعدم الانساق . وي طرح جيسوى برستلينو [ايطاليا] فى بحثه المعلنون : « الفلسفة فى مضمار الثورة العلمية والتكنولوجيا » سؤالاين :

السؤال الاول : هل مفهوم العلم يتحدد بالاستخدام الاجتماعى ؟

والسؤال الثانى : واذا كان ذلك كذلك ، فهل معنى ذلك خضوع الطبيعة للنظام الاجتماعى ، سواء الراسمالى منه أو الاشتراكى ؟

والجئكة . . . بمعنى ذلك ان « قوة » عقل الانسان تدرك بفضل القوى التى يتحكم فيها هذا العقل . ومن ثم نسان فهم طبيعة الصدرات المعرفية والتنظيمية للانسان تستلزم الالتفات الى طبيعة وبنية نشاطه المادى [العلمى] .

ومن المبدأ الثانى ، يرى صاحب البحث ان الانسان ، مع تعاطف تنوء ، استطاع استيعاب الطلاقة الكامنة فى ابنية خارج حدود الجهاز العضوى . واستفاد هذه الطلاقة الخارجية كان يعد حفا ثوريا فى التاريخ البشرى ، بل ثورة كفية ، لانها اضلقت طاقة جديدة الى طلاقة الانسان ذاته . بيد ان هذه الطلاقة الجديدة لم تغل من طلاقة الانسان . ومع نشأة الثورة الصناعية ، المتصلة فى منتجات الانسان من كهرباء وسدود مصنامية وتغيير فى التركيب الذرى ، وتحولت الثورة الكيفية الى ثورة كفية ، بمعنى ان الطلاقة الكامنة فى هذه المنتجات قد خففت من طلاقة الانسان الفزيقية . ولكن قد يقال ان هذا الانخفاض يقابله الارتفاع فى نسبة الطلاقة الذهنية الا ان صاحب البحث يرى ان النسبة متساوية بين انخفاض الطلاقة الفزيقية وارتفاع الطلاقة الذهنية .

واللاحظ على المبدأ الثانى انه محكوس أحد قوانين الديالككتيك القائل بان التراكم الكفى يؤدى الى تغير كفى ، الامر الذى يستلزم مزيدا من التاصيل النظرى .

على الضد من هذا البحث ، بحث آخر بقلم مانف [انجلترا] عنوانه « العلاقة بين النظرية والممارسة العلمية » ، يقدم بتعريف للنظرية على انها جملة مبادئ ، بفضلها تصبح التجربة معقولة . ثم يبنى بتعريف للممارسة العملية على انها نوع من السلوك ، يقصد به تغيير العالم المحيط بنا ، ومن ثم فالممارسة العملية فى تغير متصل ولن يكتبل مقدها على الاطلاق .

وتأسيسا على ذلك ، فان النظرية هى التفسير بالعة ، والممارسة العملية هى القدرة على التحكم فى الاحداث . ومن ثم فالنظرية فى حد ذاتها تظل من المنفعة ، بمعنى انه من اللعب ان تبحث عن حل لشكلة ميكانيكية فى كتاب عن الالكترونيات ، بل ثمة مشاكل لا يمكن ان نجد لها حلا بالعلم على الاطلاق . فمن يرغب السفر الى جهة با ، فى حاجة الى معلومات من موعد سير القطار ، ولكنه ليس فى حاجة الى معلومات تخبره عن السبب الذى يحرك القطار . اما الممارسة العملية فهى وان كانت تستثمر النتائج العلمية ، الا انها لا تنصف بالملمية .

ثم ان الممارسة العملية تقوم على احكام تقويمية فى حين ان الامر ليس كذلك بالنسبة للنظرية العلمية .

ويرتب مانف على هذا الفصل الحاد بين النظرية العلمية والممارسة العلمية ، نتيجة هامة :

وتعيب الحقبة التكنولوجية كذلك أنها تقوّى استقلال العلم والتكنولوجى عن الإنسان . وعلى الضد من ذلك يرى صاحب البحث أنها بلورة لقوى الإنسان الجوهرية . وحين يقال من العلم انه من نتاج تطور العقل الإنسانى ، فانه يقال من التكنولوجيا انها تجسيد للضرورة البشرية المترتبة على عمليات الانتاج . ومن ثم فالتكنولوجيا شكل خاص من حركة الإنسانى ، والعلاقات المرتبطة بها هي علاقات انسانية خاصة ، وهذه العلاقات لها استقلالها النسبى ، ولكنها ليست مستقلة عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية للبشر .

ونختتم هذه الحلقة ببحث **ليرلى** [تشيكوسلوفاكيا] ، عنوانه : « النورات العلمية والتغيرات فى أسس التفكير العلمى » . وي طرح صاحب البحث فى البداية تعريطين أحدهما للثورة العلمية ، والاخر للمعرفة العلمية .

يعرف الثورة العلمية بأنها ظاهرة معقدة تتطوى على جوانب تاريخية وعلمية وأستراتيجية واجتماعية . ومن ثم فالتحليل النظرى للثورة العلمية يستلزم مهما لجميع هذه الجوانب فى علاقاتها المتشابكة وتأثيراتها المتبادلة .

ثم يعرف المعرفة العلمية من وجهة نظر المادية الديالكتيكية ، بأنها تعكس الواقع الموضوعى ، وبأنها تتحرك بركة ديالكتيكية بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية . وصاحب البحث من هذه الزاوية يرفض نظرة الموضوعية المنطقية فى رد أسس العلم الى أسس الرياضيات والمنطق الصورى الحديث ، وهي نظرية مردودة الى القول بأن النظريات العلمية ليست الا تطبيقات للرياضيات .

وبعد ذلك ي طرح خصائص أسس التفكير العلمى من خلال ما يسميه بانهاض المقولة ، وهي على ثلاثة ضروب :

الضرب الاول : دعا اليه أرسطو ، ويشتمل يانه « تأبلى » .

والضرب الثانى : نادى به ديكارت ، ويتصف بأنه لا تاريخى ، ويقوم على اليانافزيا .

والضرب الثالث : ظهر مع حركة الطبقة العاملة الثورية ، ويتميز بأنه تاريخى وعلمى ، ويقوم على نفى اليانافزيا ، وعلى اصرار الديالكتيك بين الذات المعرفة والموضوع المعروف فتكون الذات فاعلة وليست منفصلة .

تبقى بعد ذلك ملاحظة هي ان الضرب الثالث فى حاجة الى تاصيل نظرى حتى يمكن التوفيق بين نظرية الانعكاس من جهة ، وفاعلية الذات المعرفة من جهة أخرى .

الجواب عن السؤالين يشترط تفصيلا فلسفيا لانسس العلوم الفزيقية والرياضية . وهنا يستعين صاحب البحث بكل من **انجلز** و**ماركس** ، ينقل من **انجلز** قوله ان ثلاثى انتاج متضمنين : الطبيعة والإنسان ، والإنسان منظورا اليه من حيث علاقته بالطبيعة ، ومن حيث علاقته ببنى البشر . . ويتأثر **ماركس** بهذا القول فيخلص منه الى ان الغاية الاصلية من الانتاج ، انتاج المنتج لذاته فى احضان الظروف الموضوعية . أما التطور الذى واليكى للانتاج فلهيئة ثانوية ملحقه بالغاية الاصلية . ومن ثم فالثروة ، على حد قول **ماركس** ليست الا تطورا لتحكم الإنسان فى قوى الطبيعة مسواء الطبيعة المصنوعة او الطبيعة بمعنى الكلمة .

وعلى **«فرد دوهريج»** يقرر **انجلز** ان الاستخدام الرأسمالى للعلم يفجر قوى الطبيعة ، ولكنه عاجز عن التحكم فيها فى غياب التنظيم العقلى لعلاقات الانتاج .

ويخلص **ماركس** من ذلك الى الربط بين العلم والقوى المنتجة . ولكن من الخطأ القول بأن **ماركس** يحدد اربعة هوية بين العلوم والتكنولوجيا بل يعقد ان الاستخدام التكنولوجى للعلم هو الذى يقع فى دائرة القوى المنتجة .

وعكذا يرى صاحب البحث انه على هذا النحو قد انجذب من السؤالين اللذين طرحهما فى بداية البحث . فلهذا استخدم اجتماعى للعلم ، ونية انطلاق محكوم للقوى الطبيعية فى ظل الاشتراكية . وفى رأى ان الاجابة لا ترقى الى مستوى السؤالين ، اذ هي تستند الى مجرد انتقاء نصوص من **انجلز** و**ماركس** ، دون ان يواكب تاصيل نظرى اما بحث **ترنفاكليف** [بلفساريا] وعنوانه : « التكنيكى كشكل من حركة الاجتماعى » ، فيركز على نقد العمية التكنولوجية ، حيث يتطرق للتكنيكى ، فيرى الى ان يكون الضابط الكل لما يحدث من تغيرات اجتماعية .

ويعيب العمية التكنولوجية انها عاجزة عن تفسير الظروف التى مستفم الثورة العلمية والتكنولوجية الى نظام عالمى للانتاج الاجتماعى . انها تتجاهل الثورة الاجتماعية التى سحدثت تغيرا جذريا فى الانتقال من بنية اقتصادية عالية الى بنية اقتصادية جديدة ، ويكون من شأن هذه الثورة سرعة نفوذ الطريق الجديد للانتاج . وسيواكب الثورة فى المجال الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ثورة ثقافية ، تهدف الى تحرير الوعى الإنسانى من العوائق . والذى يشر بحدوث هذه الثورة هو ما يشاهد الان من تضافر بين قوى الانتاج المصاهرة وعلاقات الانتاج الرأسمالية .

و - المعرفة والقيم في

عصر العلم والتكنولوجيا

ينطوي على ضرورة التركيب بين العلوم الطبيعية والاجتماعية مع إبراز تكاملها ، فالعلوم الطبيعية (البيولوجيا والفسيولوجيا . الخ) تعالج الإنسان من حيث هو كائن بيولوجي ، وعلم النفس لا يمتنع من الإنسان إلا أنه حائل لخصائص نفسية مترتبة بموامل فسيولوجية واجتماعية . وعلم الاجتماع يفحص الشخصية الانسانية من حيث انها وجود فردي ذو علاقات اجتماعية مع غيره من بني البشر الأخلاقي تتناول الإنسان من حيث هو كائن أخلاقي فمعرض لدور الاخلاق في الحياة الاجتماعية . والفلسفة تكشف عن قوانين التفاعل بين الإنسان ، من حيث هو ذات ، وبين العالم الموضوعي ، كما انها تعرض للعلاقة القائمة بين الروحاني والمادي في بنية الإنسان .»

ولهذا كله فإن الفلسفة الماركسية هي الأسس المنهجية لجميع هذه العلوم التي تعرض لقيمة الإنسان من زوايا متعددة

وفي نفس الاتجاه يسير دواينسكي * الإجماع السوفييتي [في بحث له بعنوان « العلم والقيم : الوضع الراهن للمشكلة مع إعادة صياغتها »] ، والوضع الراهن للمفهوم العلم محصور بين الوضعيتين الجسدية والماركسية . الوضعيتين الجسدية ، ابتداء من الذرية المنطقية حتى الفلسفة التحليلية ، تعزل طبيعة الإنسان عن العلم بدعوى أن بحث الغايات العليا للإنسان يتجاوز حدود العلم . صحيح أن العلم في مقدوره التنبؤ بنتائج الأفعال الانسانية ولكن ليس في مقدوره تقويم هذه النتائج ، أي المفاضلة بينها . ومعنى ذلك أن العلم « محايد » وهن هذه المحايدة نشأت المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع بزعمه المسالين الأمريكيين ياروسوفز وهرقن تجرد القيم من النظرية الاجتماعية فيتحول علم الاجتماع الى مجرد هندسة اجتماعية ، أو مجرد تشكيل للمنظيم الاجتماعي وتعالج المشاكل الاجتماعية من زاوية الوضع القائم ، وتطرح القيم من حيث علاقتها الوظيفية بالجماعة . ويبنى موضوع الفلسفة :»

أما الماركسية فتقوّر ان المعرفة العلمية تصلح أن تكون أساساً للقيم . ذلك انها تنظر الى الإنسان من حيث هو موجود تاريخي كما انها تنظر الى المعرفة على انها نوع من أنصاف ادراك العالم وعلى انها الوعي الذاتي التاريخي للإنسان . وهكذا يمكن ان تنسر القيم على انها شكل من أشكال سلوك الإنسان الروحي المعمل تجاه العالم .

وفي بحث فرونيديز (أمريكا) بعنوان « هل للعلم علاقة بالقيم ؟ » التركيز يدور على العلاقة بين القيم والوقائع ويقرر صاحب البحث في البداية أن التراث الفلسفي التجليزي يتأثير من دفيديهم ينكر مثل هذه العلاقة بدعوى أن القيم لا تستند لا

افتتح هذه الحلقة إيفاندرو اجازي [ايطاليا] ببحث عنوانه « المعرفة والقيم في عصر النسيم والتكنولوجيا » . الفكرة المحورية فيه ان العلم وحده ليس يكفي ، وأن ماهو خارج نطاق العلم ليس زائفاً بالضرورة فالتحليل الفلسفي للمعرفة العلمية يخلص الى أنها نتيجة مواجهة ديالكتيكية بين التجربة والمثل ، ومن ثم فهي تميز بانها فرضية (أي ان الفروض في حاجة الى التجريبات أجل التحقق من صحتها) ولها نسبية [أي انها محدودة] ولهذا فالحقيقة العلمية تقف عند حد لا تتجاوزه . ولكن ينبغي التنويه بأن ممارسة البحث العلمي تتطلب على قيم معينة من بينها « الامانة العقلية » أي التزام الموضوعية وتجنب الدجبايلية ، والنظر الى البحث العلمي على ان غايته خدمة الحقيقة والإنسان . ومعنى ذلك أن العلم وسيلة الى كشف القيم ، ولكنه مع ذلك عاجز عن صياغة أحكام القيمة . وقد تبدو هذه المسألة غريبة ، إلا أن الغرابية تزول حين نعرف أن العلم يبحث في « ماهو كائن » بينما أحكام القيمة تدور على « ما لحق أن يكون »

والتكنولوجيا في هذه المسألة مبالغة للملم ، صحيح انها نشأت من وجه لغاية ولكنها هي في حد ذاتها ليست حائزة أي قيمة

ثم يزيد الأمر اوضحاً فيقول ان القضايا العلمية محكومة بالوقائع في حين أن القيم هي التي تحكم الوقائع ويترتب على ذلك أن من الخطأ تربية الإنسان بالعلم وحده .

ومع ذلك يبقى ثمة سؤال في حاجة الى جواب :

ما هو مقياس التفرقة بين قيمة انسانية وقيمة لا انسانية بصير العلم ؟

ليس في الامكان ، طبعاً لما يذهب اليه صاحب البحث .

اذن ماذا ؟

ليس من جواب في حدود هذا البحث ثم اعقبه ستيفان انجيلف [بلنسايا] ببحث عنوانه « تناول معتد نحو معرفة الانسان » يذهب على الضد من سابقه الى التداخل ، رغم التمايز ، بين التناول العلمي والتناول التقويمي للإنسان ، ادعيا جتبان لرؤية واحدة . وليس افضل من الانسان كشاهد على الوحدة بين الحقيقة والقيمة .

ومعنى ذلك أن تناول الانسان المعقد ان هو

* نوفي في ٢ مارس ١٩٧٢ اثرهات ، اذ تحطمت الطائرة التي كانت تقله بن صوفيا الى موسكو ، ومات كل من فيها .

الى الوقائع ولا الى العقل وانما الى الماشع
والانفعالات ، كما ان كلا من النزعتين الوضعية
والطبيعية في القرن التاسع عشر اتجهت الى
تحرير الوقائع عن القيم حتى يمكن تطبيق مناهج
العلم الطبيعي على جميع مجالات التجربة
الانسانية وفي القرن العشرين انتصت الهوة بين
الوقائع والقيم بفضل دعوى الوجودية والوضعية
المنطقية .

ثم يطرح صاحب البحث السؤال الاتي :
هل العلم لا تعنيه مسألة القيمة ؟

للجواب عن هذا السؤال يقسم الباحث القيم الى
ضريبتين : قيم وسلية وقيم جوانبية . ثم يستلزم
قائلا ان العلاقة واضحة بين العلم والقيم الوضعية
بمعنى انه يهتم بتحسين الوسائل التي يستخدمها
الانسان لتحقيق رغائيه ، أي يهتم بمادية هذه
الوسائل . بيد ان الفاعلية لا علاقة لها بالقيم
الجوانبية بسبب ذلك واضح . فنه نقتض غاية
نسعى الى تحقيقها ، ثم نتساءل عن كيفية هذا
التحقيق ، وهذا السؤال التجريبي . والعلم
هو ارقى صورة للمعرفة التجريبية . ولكن العلم
يمتد حين نبهت عن القيم الجوانبية كان نبهت
مثلا عن اخلاقية الفعل او السلام او المحبة .

ومن اجل ذلك ينتقد الباحث جون ديوي لانه ينكر
التفرقة بين القيم الوضعية والقيم الجوانبية بدعوى
ان الغايات تتحول باستمرار الى وسائل ، ومعنى
ذلك انه ليس لدينا سوى قيم وسلية . وحذا
ديوي ، في رأى الباحث ، يقوم في انه يوحد بين
القيم الجوانبية والقيم الابدئية المطلقة . وحيث انه
ينكر هذه فهو بالتالي ينكر تلك . بيد ان القيم
الجوانبية لا تعني انها ليست متغيرة وانما تعني
انها ليست وسائل لغايات ، فالمحب مثلا - وهو
قيمة جوانبية - ليس وسيلة الى غاية ، واذا تحول
الى وسيلة فلن يكون حيا بل دعارة .

والرأى عند صاحب البحث ان القيم تستند الى
الوقائع والوقائع ليست مستقلة عن القيم حتى
الادراكات البسيطة لا تخلو من القيمة ، ويستعين
صاحب البحث بمفهوم الجشطلت لتدعيم رأيه ،
بمعنى ان أي موقف انساني انما ينطوى على
الوقائع والقيم معا . وبذلك يمكن للعلم ان يتناول
القيم الجوانبية شريطة تطوير مفهوم « العقل »
ومفهوم « الذات » . ولم يتحدث صاحب البحث عن
هذا المفهوم المتطور .

ولكن المسألة يجب ألا تقف عند حد التساؤل عن
امكان ايجاد علاقة بين العلم والقيم وانما ينبغي ان
نتجه الى التساؤل عن امكان تأسيس علم القيم .
وهذا هو مضمون بحث مقدم من روبرت
هارتمان [المكسك] بعنوان « تكنولوجيا القيمة »
وحيث ان التكنولوجيا تقاسم على العلم فيقول ان

اقران علم القيم سابق على تكنولوجيا القيم
ولكن ثمة سؤال لابد ان يثار :
مالعلم ؟

وفي رأى هارتمان ان العلم - سواء طبيعي ، أو
اخلاقي - ليس الا فلسفة قد تطورت الى نسق
اجرائي على الواقع ، أي ان النسق الاجرائي هو
الجسر الذي تعبر عليه الفلسفة حين تستحيل الى
علم . فالرياضيات مثلامى النسق الاجرائي
الخاص باستحالة الفلسفة الطبيعية الى علم
طبيعي . وعلى نفس المنوال يمكن القول بان علم
القيم او منطق القيم هو النسق الاجرائي الذي
سوف يحيل الفلسفة الخلقية الى علم اخلاق .

وكما يزعم التكنولوجيا الطبيعية من
الرياضيات في مجال العلم الطبيعي ، كذلك ستزعم
تكنولوجيا القيم الاخلاقية الكمعة من منطق القيم
في مجال علم الاخلاق .

وما عا ثمة سؤال :

لماذا لم تبرز حتى اليوم تكنولوجيا القيم ؟
لان علم الاخلاق لم يبرز بعد .
ولماذا لم يبرز بعد ؟

لعمد تطبيق منهج نيوتن في مجال القيم
الانسانية ، والاكتفاء بتطبيقه في مجال الوقائع
ونتيجة ذلك تأسس علم طبيعي أحدث ثورة علمية
كان من شأنها تفجير ارادة الفعل وفي بعد ذلك
تأسيس علم اخلاقي لاحداث ثورة اخلاقية يكون من
شأنها تفجير ارادة الحياة .

وممارسة الحياة فن يستلزم تأسيس تكنولوجيا
القيم وتكنولوجيا القيم تتجاوز جميع
الايديولوجيات .

والملاحظ على هذا الباحث انه يهدف من وراء
بحثه الى الاكتفاء بالتكنولوجيا دون الايديولوجيا
وهو تيار مساند الآن في الولايات المتحدة
الامريكية يهدف الى اخفاء معالم الصراع
الايديولوجي .

ز - بيئة المعرفة العلمية

المعاصرة ومنهاجها

في بداية طرح هذه القضية الى جيسون
[استراليا] بحثا عنوانه « تعليق على النسبية في
العلم ونتائجها » يدافع فيه عن العقل لانه في خطر
بسبب شيوع جدأ النسبية في العلم .

وثمة خمس ذرائع لتبرير النسبية ، بيد ان
جيسون يركز على اثنتين منها :

الى مفهوم اجرائى للممارسة العلمية » . وتأسيسا على هذا المنهج يرفض لادريير مذهبى « التجريبية المفرطة » و « الواحية المنطقية » .

المذهب الاول يبين بين قضاي الاستنباط ، وقضايا التجربة . قضاي التجربة تبدأ من معطيات بسيطة ومباشرة ، اووقائع خالصة . بيد ان هذه البداياتفى رأى لادريير وهى مهمة لتأسيس ثلاثة :

السبب الاول انه ليس ثمة معطيات بسيطة .

السبب الثانى ان التجسرية تفترض مقدسما نظرية .

السبب الثالث ان النتائج التى تستجدها لفسا الاجهزة العلمية لابد من تأويلها ، والتأويل من عمل العقل .

والنتيجة ان الاتصال المباشر بالواقع يزول . مثال ذلك : لدينا نظرية ولكن ن ١ نريد اثباتها ، ولدينا نظرية ن ٢ وهى جملة القضايا النظرية التى نستعين بها فى اجراء التجارب لبرهنه على ن ١ فنحصل اما على اتفاق او افتراق بين ن ١ ، ن ٢ . وليس بين ن ٢ والواقع .

اما المذهب الثانى فينظر الى الوجود، على انه لوغوس ، ومن ثم تتشظى اللغة ، وهذه مسألية مرفوضة .

والفارق بين المذهبين ان الاول يتسم بالتحليل حيث نقطة البداية البسيط وحيث التماسك بين الاجزاء . والثانى يتصف بالتركيب حيث نقطه البداية بناء تصورى محيطى .

ولكن فى رأى لادريير ان المسيرة العلمية ترفض هذا وذلك ، لذى مرتبط بالواقع المعلى الذى لا يمكن رده الى البناء الوصفى سواء قول عن هذا البناء انه تحليلى او تركيبى . فثمة تفاعل بين النظرية والواقع المعين او التجريبية . ولكن ههنا التفاعل ليس مجرد ذهاب واياب . انه عملية ديكالكتيكية ، وهو شبيه بالفعل الذى ينظم ذاته بذاته . وسبب هذا التنظيم هو السباق الفعل مع ذاته . غير انه ليس اتساقا يخلو من التناقض وانما هو قدرة الفعل على التركيب . ولهذا فان الفعل فى حالة فتر وبحث عن اشكال أكثر بامعية فى تحقيق التكامل . ولكن ينبغي الان نتمى ان هذا الفعل هو فى الحقيقة تفاعل . انه ليس منعقلا عن الواقع المعين وانما هو محايث فيه كما لو كان هو اللحظة المغيرة للواقع .

ومن حيث ان الفعل هو المعنى الذى يفعله ينغمس الوجود الانسانى فى الكسوس فسن خاصية الاتساق الكائنة فى الفعل تصور البحث فى اشكال أكثر خصومية يكون بمقتضاها استدعاء العملية الخاصة بتكسوس الانسان

Cogmisation de l'homme

ويناقش « كراچوسكى » (بولندا) ففسر بحثه « الانباطالميتانية لنظريةالردعضية ، مثارفى بولندا فى هذه الأيام لانها مسألة هامة فى تزيام

الذرية الاولى تقدر ان المتقدات من نتائج ظروف اجتماعية وتنسبة وليست من نتائج البداية العقلية . ومعنى ذلك ان المتقدات العلمية جزء لا يتجزا من الايديولوجيات . وهذه الذرية تروج لها « مسيولوجيا المعرفة » .

ويلاحظ جيسون ان هذه الذرية امتداد لنظرية الماركسية فى الايديولوجيا . ولكن كان ينبغي التمييز بين الايديولوجيا والعلم ، وهو امر وارد فى مؤلفات ماركس ، فقد كان يؤلف فى الاقتصاد، من حيث هو علم ، لكى يكشف عن اخطاء علم الاقتصاد الكلاسيكى . وكان رايه ان هذه الاخطاء مردودة الى مؤثرات ايديولوجية .

وقد اخطأت « مسيولوجيا المعرفة » فى تصميم مفهوم الايديولوجيا .

والسؤال الان :

لماذا هذا التصميم ؟

للجواب على ميداد البداية العقلية . وما الذى يدع مسيولوجيا المعرفة الى انكار مبدأ البداية العقلية ؟

انها تفترض مقدما ان معتقداتنا العقلية لا تستند الى علة تفسرها .

ثم انها تقر ان اى ظاهرة اجتماعية لابد ان تكون لها علة تفسرها .

فتخلص الى انكار المتقدات العقلية وبالتالي البداية العقلية .

والخطا هنا ، فى رأى جيسون ، يكمن فى الافتراض ، فما المتضمن وجود معتقدات عقلية لها علة ، وهذه العلة هى البداية .

اما الذرية الثانية فتقر ان قواعد الاستدلال العلمى ليست حاسمة فى استبعاد فروض معينة . فمثلا اذا كان لدينا فرضان احدهما يعمر وقائع اكثر ، فى حين ان الاخر ايسر مناختيارنا لحدس الفرضين يتوقف علينا . ومعنى ذلك ان الاختيار مسألة ذوق . وفى رأى جيسون ان :مسألة ليست كذلك . فمن الممكن ان يكون الاختيار حاسما ، واذا لم يكن ممكنا ، خاصة فى الظواهر المعقدة ، فالبدليل هو الحس والخبرة الطويلة .

والالاحظ على هذا البحث ان صلحه يوجد بين نقد النسبية والدفاع عن العقل فيستعين فى النقد والدفاع الى اقرار البداية او الحدس . بيد ان بدليل النسبية هو المطلق

والسؤال انن :

هل فى إمكان العقل ادراك المطلق ؟

وكان من الواجب على جيسون طرح هذا السؤال ، واغلب الظن ان المنع من هذا الطرح هو اغفال منهج الديالكتيك حيث يور لنا هذا المنهج اقرار النسبية مع عدم الشك فى المطلق .

وقد أخذ بهذا المنهج ، بنهج «الديالكتيك» ، جان لادريير [بلجيكا] فى بحثه « من مفهوم تصورى

القرن العشرين^{١٠}، قلنا مثلاً: إن زمت الميكانيكا الكلاسيكية، أي ميكانيكا نيوتن إلى النظرية الخاصة بالنسبية، أي نظرية أينشتاين، وحدث كذلك أن هذه الميكانيكا بعينها زمت إلى ميكانيكا الكوانتم.

وفي رأى العالم الفزيائي نيلز بور أن الربط بين النظريات القديمة والنظريات الجديدة في الفيزياء المعاصرة إنما يتم وفقاً « لبدا المراسلة » . وفي رأيه كذلك أن النظرية الجديدة أهم من النظرية القديمة، ولكنها أكثر واقعية . أي أن الجديدة تعيين للقديمة .

والرد قد يتم داخل النسق الواحد أو بين عدة نسخة . والذي يهم الفلاسفة هو النوع الثاني ، بتلك ذلك رد النظريات البيولوجية إلى النظريات الفيزيائية والكيميائية . وينقسم الفلاسفة والعلماء إزاء هذا النوع الثاني إلى فريقين : فريق يؤيد ونريق يرفض . ومن المؤيدين أصحاب المذهب الحيوي ، والمذهب الروحي والمبداء الديالكتيكية حيث يركزون على خصوصية العمليات العلمية وخصوصية الكل أو النسق .

وفي رأى أن أهمية هذه المسألة ، مسألة الرد ، مبرودة إلى ما تنادى به الوضعية المنطقية ، المؤثرة إلى قطاع كبير من أعلام الأوربي والأمريكي ، يزيد العلوم جميعاً إلى علم الفيزياء ، وقصرية الفلسفة على تحليل قضايا هذا العلم . وشبه بحث آخر مقسم من فلاسفة المير **نوفاك** [تشيكوسلوفاكيا] عنسوانه مبداء الاجتماعية وخصوبته الفلسفي ، يقر فيه صاحبه أن تبة رابطة بين البيولوجيا وقوانين الديالكتيك بعض مبداء الاجتماعية . وهذا المبدأ ملازم الحياة من أدنى صورها إلى أعلاها ، ودعا إليه كثير من علماء البيولوجيا والاجتماع والفلاسفة من أمثال هيكل وفوربس وويلر وتيار دي شاردان .

ويحاول **نوفاك** في هذا البحث الربط بين مبداء الاجتماعية وقوانين الديالكتيك بهدف فهم عملية الانتقال من الصورة الكيميائية لمركبة إلى صورتها البيولوجية ومن صورتها البيولوجية إلى صورتها السيكر اجتماعية .

كما يحاول كذلك تفسير الانتخاب الطبيعي في ضوء مبدأ الاجتماعية . والذي يدفعه إلى ذلك ما يبدو له أنه تفسير خاطئ لمفهوم الانتخاب الطبيعي حين يقلل أنه مشروط بالصراع بين التزاوج الحيوانية ، والغاية من هذا القول تبرير الفاشية والنزعات العنصرية والرأسمالية الليبرالية .

لما التفسير الصحيح في رأى نوفاك ، فهو القول بأن التزاوج بين أفراد النوع وبين الأنواع بعضها وبعض هو العامل الرئيس لانتخاب الطبيعي . وهذا التفسير الصحيح ينطوي على نتائج لصالح التقدم البشري إذ هو يكشف عن

الدونية البيولوجية للثانياتها الاجتماعية ويجيب إشكال الاستغلال السياسي . ثم هو يدعو إلى وضع الضبط للتغلب على الصراعات الطبقيّة في داخل المجتمع الإنساني وتحقيق سلام دائم . وكل ذلك ممكن التحقيق ، ولكن إمكانيته مشروطة بعدم تدمير الإنسان لنفسه .

وأهمية هذا البحث تأتي من أن صاحبه ينتمي إلى دولة اشتراكية تستند في فلسفتها على مبدأ الصراع الطبقي وعلى أنه من بين المبادئ الضرورية لتغيير الثورة الاشتراكية ، وصاحب هذا البحث يرفض هذا المبدأ ومع ذلك يفر قوانين الديالكتيك الأربعة ومن بينها قانون وحدة الصراع الاضداد

هذه مقارقة في حاجة إلى تفسير .

ثالثاً : تقييم المؤتمر

هذا المؤتمر شاهد على العصر ، فهو يشهد على أن الإنسان هو القيمة العليا ، وعلى أن العلم والتكنولوجيا هما بالضرورة في خدمة الإنسان . ولكن من هو هذا الإنسان ؟

أنه في هذا العصر ليس الإنسان المجرد وإنما هو الإنسان العيني المحدود بالزمان والمكان واللا محدود بقدرةاته المبدعة . ومن ثم مباداه هو بالضرورة أنساني الطابع ، ومن ثم فهو ينسج حتى يشمل الانسانية كلها .

ولكن أي إنسانية ؟

هنا ينقسم فلاسفة المؤتمر إلى فريقين : فريق يجردنا من مضمون العصر ، وهو مضمون اجتماعي بالضرورة بحكم الصراع الإيديولوجي بين الأنظمة الاجتماعية المتبلية ، وفريق آخر يلتزم هذا المضمون الاجتماعي .

وبالطبع ليس من شأن هذا المؤتمر وقد بلغ عدد المشتركين فيه ١٨٧٧ أن يحسم هذا الخلاف ، ولكن من شأنه أن يبين الإنسانية إلى حقيقة صراعها مع ذاتها . وهكذا تظل الفلسفة محتفظة بمسائلها وهي تعجز الوحي الإنساني دون أن ترقى إلى مستوى التحكم في هذا الوحي ، وأن كان ثمة تطلع لدى بعض الفلاسفة إلى ضرورة ممارسة هذا التحكم بدعوى أن الإنسانية مدفوعة إلى تدمير ذاتها بسبب ما تحمله في طبيعتها من رعب نووي . وبرؤية رومانتيكية يمكن القول بأن هذا التطلع مشروع .

ولكن برؤية علمية فهو غير مشروع لأن التطور الاجتماعي محكوم بالقاعدة أكثر مما هو محكوم بالقبة . والفيلسوف موقعه الدائم عند القبة .

■ جمهورية مصر العربية ■

المقاومة الشعبية تؤكد
ضرورة تسليح الشعب

■ الوطن العربي ■

مرة أخرى : خطأ في
الحسابات الامريكية

■ اسرائيل ■

هل تستمر « حكومة كل'
العصور » بوجه جديدة ؟

■ رسالة دمشق ■

سوريا في مرآة ٦ أكتوبر

■ رسالة موسكو ■

قضية الشرق الاوسط
في جمعية عمومية لشعوب العالم

■ تقرير خاص : ■

هنري كيسنجر *
والدبلوماسية السريعة

تقارير الشهر



■ جمهورية مصر العربية ■

المقاومة الشعبية تؤكد ضرورة أهمية تسليح الشعب

إذا كان عبور تواتنا المسلحة لقناة السويس واقتحامها لخط بارليف ، يوم ٦ أكتوبر قد هز الكثير من الادعاءات التي دأبت على ترويجها الدوائر الاستعمارية والصهيونية عن الروح القتالية للمصري فقد جاء اشتراك قسوات المقاومة الشعبية فى القتال غرب قناة السويس - ليحسم جدلا طويلا شهده بلائنا - منذ عدوان ١٩٦٧ - حول دور الجماهير المسلحة ، وضروته جنبا الى جنب . مع القوات المسلحة - فى هزيمة العدوان الاسرائيلى

فى اليوم الثالث والعشرين من شهر اكتوبر - اليوم التالى لقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار - وفى أعقاب ما ظهر من استغلال العدو لالتزام مصر بقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار - اصدر الرئيس لوزر الساعات توجيهها بـاشتراك قسوات المقاومة الشعبية فى مختلف انحاء مصر مع زملائهم من قوات القلوة الشعبية بمنطقة غرب القناة ، ليستاندوا القنات البطولى الذى يقوم به الجيش المصرى ضد العدو الاسرائيلى .

وقرر اذاعة توجيه الرئيس السادات ، تدفق على مفسر الاتحاد الاشتراكي الالف من الشباب الذين سبق تدريبهم تدريبا راقيا من عام ٦٨ حتى ٧٢ على مختلف أنواع الأسلحة . وكان قد تم استدعائهم فور اذاعة توجيه الرئيس .

ولقد ابدى الجميع اصرارا على السفر ضمن الافواج الاولى ، وكانت المشكلة الحقيقية امام المنظمين - هى اقتناع الشباب لـشتمل بالخاص - بأن ينتظر دوره . ولأحظ المراقبون ، أن عددا غير قليل من الشباب ، حضروا دون أن يتم اخطار شفصى لهم ، أى أنهم حضروا فور معرفتهم بتوجيه الرئيس كما شوهدت اعداد من المتطوعين (ممن بهم اصابات عمل أو مرضى) ومع ذلك ، كان اصرارهم شديدا على السفر ، وعلى أخذ مكانهم لـحين استكمال لياقتهم ، ولم تقف أى ظروف عمل أو مصدر رزق أو مشكلات عائلية حائلا دون ان يتقدم سائقو تاكسى ، وعمل فى محلات تجارية قطاع خاص ، أو فى ورش ، أو حتى من الشباب المصافين من الخدمة العسكرية بحكم أنهم وحيدى أبويهم .

وقبل ان تتحرك الافواج المسافرة الى جبهة القتال ، كانت هناك الوف أخرى من الشباب والشابات يلحون فى الذهاب الى الجبهة سواء للخدمة فى صفوف القوات المسلحة ، أو للعمل فى مواقع الخدمات ، وإقداما بملء استمارات التطوع لهذه الاغراض ، مؤكدين اصرارهم على الذهاب الى جبهة القتال .

كما توجه المئات من طلاب وطالبات الجامعات والمعاهد العليا الى ادارات الجامعات مطالبين باتاحة الفرصة لهم للمشاركة فى المعركة . وقد تم افتتاح أربعة مراكز لتدريب الطلاب على أعمال المقاومة الشعبية . وتلقت اهلقة الشباب بالقاهرة طلبات من المهجرين يطلبون اعطائهم الاولوية فى الذهاب الى الجبهة للمشاركة فى القتال على أساس انه كان قد سبق تدريبهم .

وعلى الرغم من أن الفرصة التى أتاحت حتى الان لـاشتراك المقاومة الشعبية كانت لايام محدودة ، وفى منطقة محدودة ، الا انها كانت كافية لتدشين مولد المقاومة الشعبية المسلحة فى وجه الغزاة . كما تحقق من خلالها بطولات شعبية رائعة تكمل بطولات القوات المسلحة .

فعندما دفع العدو بجباياته من الدفرسوان ، عزب القنلة في اتجاه مدينة السويس ، في محاولة منه لاقتحام المدينة ، استطاعت القوات المسلحة 'التلاحم مع تسولت القسامة الضمنية بالمدينة وجموع الشباب من سكان المدينة والفلاحين والاهالي المسلحين - ان تمنع الدبابات الاسرائيلية من اقتحام المدينة ، وأن تجبر ما بقي من هذه الدبابات على التراجع شمالا داخل صحراء السويس الى مسافة ١٢ كيلو مترا . وأبنت جموع التسبيب والفلاحين بطولات في القتال عند مشارف السويس وعجروا وكشك الموابد وفايذ وكبريت وكسفرية وجنيقة .

وفي بورسعيد والاسماعيلية ودمياط والفردقة وسفاجة - كانت عناصر المقاومة والدفاع الشعبي تتم مجهود دفاعات الجيش في عدم تمكين قوات العدو البحرية من الاقتراب من الشواطئ ، وكانت تقرب المثل للمواطنين في السبود في وجه الغارات المكثفة وفي اليقظة ضد المتسللين ، ومواصلة الحياة تحت وهج القتال .

وشاهد الصحفيون سمكريا من رجال المقاومة يحمل حقيبة أدواته وعلى كتفه بندقية ، وشاهدوا مهندسا يقود سيارة لجمع المجارى ، بدلا من السائق الذي استدعى الخدمة العسكرية - وعمل التليفونات يصلحون الاعطال على قمة الصواري في ظل الغارات .

وفور وقف اطلاق النار ، بدأت كتائب الشباب وهي الكتائب المشكلة من الشباب المتطوعين من الذين لم ينلهم شرف حمل السلاح . بدأت في إزالة الانقاض التي تحلت في منطقة بورسعيد . كما تم توزيع ٦٠٠ من طلبة وطالبات السنوات النهائية بكلية الطب على مستشفيات الجبهة .

وخرب الماملون في عدد من المصانع مثلا ثوريا على وحدة النضال في وجه الغزو الصهيوني بين الجبهة والمؤخرة . فقد بادر العمال الى جميع تبرعات من جميع المبلين وكذلك من الادارات - وقامت لجان التبرعات بشراء اللوازم التي يحتاجها أبناء الوحدة المتطوعين في المقاومة الشعبية والذين توجهوا الى جبهة السويس .

وعلى ضوء التجربة التي عاشتها منطقة القناة طلعت امانة الشؤون السياسية باللجنة المركزية بتسليح جميع المدن والقرى المصرية واعدادها للمشاركة في المعركة ولواجهة أي احتمال . كما طالبت لجان الاتحاد الاشتراكي في محافظة سيناء بتسليح اهالي سيناء . وأعلن معزوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية أنه تقرر الترخيص لاهالي سيناء بعد التحرير بحمل السلاح .

ولقد أكد واحد من كبار المعلقين السياسيين المصريين على اشتراك رجال المقاومة الشعبية في القتال بقوله :

« ان هذه الفترة الحرجة يجب أن تتميز باستخدام كل الطاقات وحشد كل القوى من أجل التدريب السريع على احسن أنواع السلاح التي يمكن الحصول عليها وعلى اعداد موجات بشرية اضافية يعرف العدو دائما انها ستكون جاهزة للاشتباك به في أي لحظة » .

وعلى ضوء ما اكدته مصر بعد وقف اطلاق النار ، حق الاهالي والسكان في مقاومة الاحتلال ، هذا الحق الذي يستند الى هم شرعية الاحتلال العربي طبقا لقواعد قانون الحرب . وأن حق الدفاع عن النفس مشروع في ميثاق الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن والجمعية العامة وكلها تمنح شرعية لمقاومة الاهالي للاحتلال » .

وعلى ضوء التوقعات من مختلف الدوائر بأن اسرائيل لا يستعيد أن تقدم على عدوان غادر مستقلة قرار وقف اطلاق النار . فإن المقاومة الشعبية ودورها الفعال تصبح قضية الى اكبر جانب من الاهمية ويشكل خاص بمد وصول القوات الاسرائيلية الى غرب القناة وعلى مشارف محافظات

الذلتا • ومن هنا يطرح - على الفور - مسألة التطبيق الجاد والفوري لتوجيه الرئيس السادات : « إن المعركة هي معركة كل الشعب ، وتتفق مع تقاليدنا التاريخية العريقة في دفع الغزوات البربرية بكل ماملكه من أفراد ووسائل وسلاح »

الحمل السياسي على الجبهة الدولية نتائج ... واحتمالات

لم يحدث أن تحركت مصر في ظل مثل هذه المظلة من التأييد العالمي الواسع ..

وحتى عندما اعتدى الاسرائيليون عدوانا سافرا على ثلاثة بلدان واحتلوا اراضيها بالقوة ، وتحدا كل القوانين الدولية وقرارات الأمم ، وتهاجروا بعدوانهم • حتى في هذه الاثناء كانت اسرائيل قادرة على كسب لطاعات من الرأي العام العالمي .. ويمر قتل ان العدوان الاسرائيلي هو اول عدوان في العصر الحديث يجري في ظل تأييد عالمي ..

ولكن كما تغيرت الصورة في ميدان القتال تغيرت أيضا في ميدان السياسة •

ففي الايام الماضية كانت « مصر » تتحرك بسرعة .. وفي أكثر من موقع • لتستكمل خطتها في تعبئة الرأي العام العالمي الى جانب الحق العربي ..

● حوار عربي مكثف ومؤتمر قمة لبلورة النتائج

فقد تيليبت ردود الفعل القاسية من المواقف العربية المختلفة ازاء قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٨ لسنة ١٩٧٣ وهو القرار الذي يقضي بوقف إطلاق النار بين الاطراف المتحاربة والميل فورا على تطبيق القرار رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٦٧ بكل بنوده ، فقد عارضت بعض الدول العربية هذا القرار مطالبة باستمرار القتال مهما كانت الظروف وبدا الموقف العربي خلال الايام القليلة التالية لموقف القتال منذرا بخطر شديد ، ومع ذلك فقد لعب التحرك السياسي والدبلوماسي النشط الذي اشتركت فيه كل المواقف العربية ومعظم الملوك والرؤساء العرب دورا هاما في حصر نطاق الخطر تمهيدا للتغلب عليه • ولقد حدد التحرك السياسي والدبلوماسي المصري في الساحة العربية خلال تلك الايام الصعبة هدفه الاستراتيجي بأنه المحافظة بكل الوسائل على الموقف العربي الموحد الذي ظهر من قلب معارك اكتوبر وتتميز هذا الموقف بما يحقق حشد الامكانيات العربية لاجبار اسرائيل على الانسحاب النهائي من الاراضي العربية المحتلة واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني •

وكان الموقف المصري كما حدد الرئيس السادات في اجتماعاته مع الملوك والرؤساء العرب أو كما صرحه مبعوثيه العديدين الى مختلف المواقف العربية واضعا على النحو التالي :

أولا : أن قرار وقف القتال بالصورة التي صدر بها هو قرار مصري مائة بالمائة تبناه الاتحاد السوفيتي بكل ثقله واشتركت فيه الولايات المتحدة تحت وطأة الضغط السوفيتي وموازن القوى المحلية والعالمية في المنطقة •

ثانيا : أن توقف القتال لا يعني أن المعركة قد انتهت وأن القتل يمكن ان يستأنف في أي لحظة اذا لم تتحقق الاهداف العربية المشروعة •

ثالثا : أن الجهد العربي في المعركة جهد أساسي واستمراره عامل هام في تحقيق النصر النهائي على العدو •

ويرى عديد من المراقبين أن التحرك السياسي المصري قد حقق لنجابه الاكبر من اهدافه وأن الموقف العربي الذي بدا في أعقاب وقف إطلاق النار منذرا بالخطر قد تحرك الى اوضاع افضل وأن تكن ما تزال في حاجة الى

● ابتداء من ٢٢ نوفمبر الماضي نظم اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي واتحاد الطلاب العالمي بالاتفاق مع منظمة الشباب الاشتراكي في جمهورية مصر العربية اسبوعا هائلا للتضامن مع الشعوب العربية •

وتشمل حملة التضامن الواسعة الدعوة الى انشاء « مندوب التضامن الدولي مع الدول العربية » ، وإيجاد لجنة من النشطاء العالميين لتضيء الحقائق في البلاد العربية ، ودعوة وفد من الصحفيين اثنين الى منظمات الشباب والطلاب العالمية ، خصوصا من أوروبا الغربية ، لزيارة الدول العربية في مهمات توثيق تنظيم حملة التضامن تدوة دولية تنظم في القاهرة في ١٥ يناير ١٩٧٤ ، على أن تتحول الدعوة الى مؤتمر دولي لكل اقسام الحركة الشبابية العالمية للتضامن مع الشعب العربي •

وقد تبرع اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي بـ ٢٠ ألف فلورين قاهرة لشعوب مصر وسوريا والشعب الفلسطيني ، كما تبرع اتحاد الطلاب العالمي بـ ٢٠ ألف كرون لتسليح الفرض •

مزيد من الجهد لأعادته إلى التماسك • ويشير المراقبون إلى المؤتمر الذي عقدته الدول العربية المنتجة للبترو في ٤ نوفمبر الماضي وما توصل إليه من نتائج ايجابية تقضي باستمرار الحصار البترولي راحكاه ضد الدول المساندة لإسرائيل وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وهوذا باعتباره بادرة أساسية في هذا الاتجاه ولقد برزت الصلجة إلى عاد مؤتمر عربي على مستوى القمة تجرى فيه بلورة النتائج التي تبخض عنها تحركات العربي المكثف الذي جرى خلال تلك الاتصالات بما يمكن من الاتفاق على الخطوط الاستراتيجية للعمل العربي خلال المرحلة المقبلة ويترك في نفس الوقت فرصة مناسبة أمام الدول الحاربية أو اجهة الظروف المتغيرة في مختلف ميادين الصراع العسكري والعالي •

وبناء على دعوة مشتركة من الرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد تقرن أن ينمقد مؤتمر القمة العربي لبحث الموقف من جميع جوانبه • وخلال الجولة التي قام بها الرئيس الجزائري هواري بومدين في كل من مصر وسوريا والعراق والكويت والسعودية جرى الاتفاق على أن تستضيف الجزائر مؤتمر القمة العربي الذي تعهد مواعده يوم ٢٦ نوفمبر على أن يسبقه هناك أيضا مؤتمر تمهيدي من وزراء الخارجية والخف: العرب يوم ٢٤ من نفس الشهر •

وجدير بالذكر أن الوزراء قد تلقوا ورقة عمل اقترحها محمود رياض الأمين العام لجامعة الدول العربية وتتضمن البنود الآتية :
أولا : متابعة العمل العربي أثناء المارك وتقييم نتائجه •
ثانيا : تنظيم خطوات المرحلة القادمة •

(ويتصل بهذين الموضوعين : استخدام الطاقة العربية - علاقات العرب بالدول الأجنبية على أساس مواقفها من الحركة) •

ثالثا : دعم العمل الاقتصادي المشترك كقوة مؤثرة جديدة في الحركة (ويخيل في هذا الموضوع : الاستثمارات العربية والمشروعات المشتركة في تنمية الاقتصاد العربي) •

رابعا : التصحر الاعلى في ضوء السبلات التي حدثت أثناء المارك بحيث لم يستطع الاعلام العربي مواكبة المارك التاريخية التي شغلت المسائل كلها •

ويرى هديد من المراقبين أن فرص النجاح أمام مؤتمر القمة العربي يمكن أن تكون الآن أوسع منها في أي وقت مضى • فالعرب يمتدون مؤتمرهم وقد حققوا لأول مرة نجاحا عسكريا لا شك فيه ضد إسرائيل • وهم من ناحية ثانية قد لسوا عمليا قيمة مايملكونه من امكانيات ومدى ماتمده هذه الامكانيات من آثار واسعة المدى في العالم كله اذا ما استخدم الاستخدام الصحيح وفي الوقت المناسب وهم من ناحية ثالثة يتحركون تحت مظلة من التأييد والتضامن العالمي مع قضيتهم فاقت كل التوقفت وامتكت على جبهة عربية من الدول الافريقية إلى دول عدم الانحياز إلى امرة البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي بكل امكانياته وثقله العالمي •

وحتى كتابة هذا التقرير كانت سبعة عشر دولة عربية بما فيها فلسطين قد أعلنت موافقتها على حضور مؤتمر الجزائر وكانت العراق وليبيا قد أعلنتا وغضبا الحضور • وهوما فإن العرب سواء بمؤتمر التمة أو بغيره يواجهون الآن تحديا دقيقا ، فلما أن ينجح العدو في تمزيق ماحقوه بتضامنهم منذ معارك ٦ أكتوبر ، ولما أن ينجحوا هم في الثبات على مواقفهم وتطويرها بما يحقق في النهاية امدافهم في هزيمة العدوان •

● الزيات • لندن - باريس - بلجراد

عندما وصل د • الزيات إلى باريس أدلى أحد مرافقيه قسي مطار « لا يورجيه » ببيان قال فيه : « إن الرئيس السادات قد أرسلني لأوضح الوضع الزاهن في الشرق الأوسط للرئيس بومبيدو ، وقال أنه قد جاء إلى

● أصدرت ثمانية وقود عمالية عربية اجتمعت في طرابلس بعد اجتياح دعا اليه الاتحاد القوي لفتيات العمال العرب - مجموعة التوصيات جاء فيها :

● بعد تأييد العراق لحصة شركتي سستلاند أويل أوله نيرجيس - أوكسن - وموبيل أويل كويروشن - تبين أن نائب الرئيس التنفيذي لشركة أوكسن هو هوارد بايج الذي عين قبل شهر رئيسا لجلسي أمناء الجامعة البريكية في بيروت •

فرنسا أولا لان فرنسا تتمتع بوضع خاص في أوروبا ، وبوضع خاص بالنسبة
لبحر والبلاد العربية الاخرى (يونيتيرس ٥ - ١١ - ١٩٧٣) .

وقد لاحظت وكالات الأنباء ان زيارة الدكتور الزيات لباريس أول زيارة
لمستول عربي الى أوروبا الغربية بعد وقف إطلاق النار . وقد حرصت
وكالات الأنباء على التلميح بأن مصر تمل على أن تفتح قلبها لأوروبا الغربية
في وقت تشعر فيه دول أوروبا الغربية بالهتانة نتيجة لمحاولة تجاهلها في
محاولات إيجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط .

فقلت رويتر « ربما كانت الزيارة لفرنسا وإنجلترا محاولة لتهنئة أوروبا
الغربية التي تشع بعدم الرضا نظرا لتولى القوتين الكبيرتين وحدهما
مسئولية التوصل الى تسوية لازمة الشرق الاوسط » (رويتر - ١٤ - ١٩٧٣) .

وفي نفس البرقية التي أرسلتها وكالة يونيتيرس من باريس عن زيارة
الزيات اضافت قائلة « ان الصحيفة الدبلوماسية « لانتاسيون » نشرت ان السفير
الغربي في واشنطن قد قابل كيسنجر والحق عليه « في أن الأوروبيين لديهم
ما هو أكثر المستويات الإقليمية في هذا الجزء من العالم » .

وقد حرص الدكتور الزيات على أن يؤكد ذلك ايضا ، فقد صرح لدى وصوله
الى باريس « ان مصر تريد أن تتبادل وجهات النظر مع فرنسا وإنجلترا
اللتان تلبسان دورا هاما في منطقة البحر الابيض وفي الشرق الاوسط » .

وقال ان رحلته هذه هي جزء من بحث القاهرة عن « السلام المعلن » .
وقد توقف المعلقون كثيرا عند تصريح د . الزيات الذي أدى به قبيل
مخادرته لباريس « ان العرب أمام الصعابين » عن أمه في أن تكون أوروبا
ارادة مستقلة . ألا تؤيدنا أي تؤيد إسرائيل ولكن تؤيد سلاما عادلا في
المنطقة . وقال لقد جئنا لتقديم المعلومات وطالب النصيحة » .
(ا ش - ١٠ - ١٤ - ١٩٧٣) .

ويربط المعلقون هذه التصريحات بالتناقضات الظاهرة بين دول أوروبا
الغربية وبين الولايات المتحدة الأمريكية . الامر الذي دفع بيسكون الى
مهاجمة حلفائه الغربيين ودفع هؤلاء الحلفاء الى اتخاذ موقف مستقل ،
يرفض الانفتاح الأمريكي في تأييد إسرائيل ، ذلك الاندفاع الذي دفع الدول
العربية الاعضاء في حلف الاطلنطي الى الشعور بخطر حقيقي من ارتباطها
مع امريكا في حلف الاطلنطي . وقد علق واظف شيل على مرار نيكسون
باعتقائه القوات الأمريكية في الخارج ، أي القوات الأمريكية التابعة لحلف
الاطنطي دون أن يأخذ رأي الدول الأوروبية النذمية الى هذا الحلف ، بل دون
أن يعلمها بقراره قائلا : « انه لو قدر لاجراء نيكسون هذا ان يتصور فعلا الى
انذار عربي لكانت دول حلف الاطلنطي ستجر مرخصة الى مغفرة عسكرية
خطيرة المواقف دون علمها وبالرغم من ارادتها » (الصياح ٢٥ نوفمبر
١٩٧٣) .

واذا كانت معركة البترول تبال أحد الجوانب المهمة لنصرع بالنسبة
لأوروبا الغربية . فان زيارة الزيات كانت تستهدف ابضا عناية كل من
باريس ولندن من هذه الناحية .

وفي باريس صرح الزيات « انه لا ينبغي لفرنسا أن تشع رائ قل فيما
يتعلق بحصولها على البترول » (ا ش - ١٠ - ١٤ - ١٩٧٣) .

ويعد أن سلم الزيات رسالة من الرئيس السادات الى الرئيس يوميندو
واجتمع معه ٧٠ دقيقة، التقي لفترة أطول مع وزير خارجيته ، ثم غادر
باريس الى لندن حيث سلم ايضا رسالة الى إدوارد هيث . واجتمع بالسير
هيوم وزير الخارجية . وكان المتطرفون اليهود قد شعروا أن البترول
موضوع هام في رحلة الزيات فتجمعوا أمام رئاسة الوزراء يحملون لافتات
تمير هيث بأنه باع إسرائيل مقابل البترول . . .

● دعمت القيادة المركزية للجمعية
الوطنية التقدمية في الجمهورية
العربية السورية في بيان
أصدرته في الشهر الماضي الى
عبد مسكري عربي من قصى
المسرب الى قصى الشرق
يتواجد على خطوط وفي اطلاق
النار .

وهذا البيان من ان العدو
الاسرائيلي ان يوقف مسوانه
المسلح خلال المرحلة القليلة
وسيعاود بسك الوسائل ان
يجردنا مما كسبناه خلال
المعارك الاخيرة .

واكد بيان الجبهة التي تضم
ممثلين من جميع الاصزاب
والثقلات السياسية في سوريا
ان القوات السورية المسلحة
خرجت أقوى واعمل تصورية
وأقدر على مواصلة الصراع
مما كانت عليه في بدايته
وسنمو القوى المدنية والروح
الثقافية لهذه القوات خلال
الايام القليلة .

ونكر البيان : ان اقتشاط
في المجال السياسي لا يلقى
الصراع العسكري ولا يوقفه .
واننا نعرف ان عدونا غادر
وانه لولا الفرق النبوي الذي
اصنائه به لأول مرة في تاريخ
صراعنا مع الصهيونية لمسا
واقف على وقف اطلاق النار .

● أعلنت « البرابا »
السيوفية - أن تخلص أوروبا
الغربية من السياسة الأوروبية
الوالية « لاسرائيل » قد تزيد
بسبب استخدام العرب للنفط
كسلاح سياسي . وقالت
الصحيفة : أنه بالرغم من
المحاولات الأمريكية لم تخفذه
الدول موقفا موحدا مع الولايات
المتحدة عند عرض مشكلة نفط
النفط في اجتماع « لجنة
النفط » المبنية عن منظمة
التعاون الاقتصادي الأوروبي
في باريس أخيرا .

وأعلنت الصحيفة أن هذه
الاضرابات قد أوضحت أن
أزمة الطاقة في الغرب ليست
قضية اقتصادية فقط ولكنها
مسألة سياسية أيضا .
وأشارت : أن الاستخدام
العربي للنفط للنفط العربي
كسلاح سياسي من شأنه إجبار
الدول الغربية على الانحدار
المتزايد من السياسة الحزبية
لإسرائيل التي تنتهجها الولايات
المتحدة .

نقير أن المباحثات مضت بنجاح .. وصرح الدكتور الزيات « فإنه قد جاء
إلى لندن ليضع بريطانيا في الصورة » وقال « لقد وفيت بريطانيا باعتبارها
عضوا في مجلس الأمن بلفتانها خلال الحرب على نحو جيد جدا »
وكان سير هوم قد صرح قبلها « بأن مباحثاته مع الدكتور الزيات ستوفر
فرصة طيبة بشأن كيفية أماكن تذليل بعض العقبات قبل البدء في مباحثات
السلام » (الأهرام ١٦-١١-١٩٧٣)
حرصا بذلك على أن يفتح أمام لندن
دورا تقوم به في حل الأزمة .

كذلك لا يمكن أن نتجاهل علاقة هذه الزيارة التي قام بها « الزيات
باجتماع وزراء خارجية الدول الأوروبية التسع الأعضاء في السوق
المشتركة » وبالقراوات الهامة التي اتخذت في هذا الاجتماع .

وقد صرح ميشيل جوبيير وزير خارجية فرنسا عقب بقاءته للزيات « بأنه
سوف يبلغ وزراء خارجية دول المجموعة الأوروبية أثناء اجتماعهم في
بروكسل يومسبون ما دار في حديثه مع الدبلوماسي المصري » (١٥-١١-١٩٧٣) .

ومن لندن إلى بجراد طار الدكتور الزيات حيث سلم الرئيس تيتو رسالة
من الرئيس السادات ، ومنها إلى المغرب فتونس .

ويلاحظ المراقبون أن دول أوروبا الغربية قد راحت الموقف في الشرق
الوسط بدرجة بالغة ، ومهارة كاهنتين لأن تقلل خسائرها من الأزمة دون أن
تقدم شيئا . فهي قد حرصت على موقف مهادن مضيق بالمعطف على القضية
العربية دون أن تتخذ أي إجراء مثير لإسرائيل أو ضار بها ، وفي نفس الوقت
ضمنت - باستثناء هولندا التي تساند إسرائيل بسفور - أن تقلل من آثار
أزمة الطاقة .. خاصة وبعد أن قرر اجتماع وزراء البنون العرب في
اجتماعهم ببينا عدم تطبيق نسبة الخفض في الإنتاج البترولي المقررة عن
شهر ديسمبر بالنسبة لدول السوق الأوروبية المشتركة فبدأ هذا هولندا وذلك
تقديرًا لوقف هذه الدول من الأزمة ..

● الاتحاد السوفيتي

كوزنتسوف في القاهرة ..

ولعل العلاقات تجاه الاتحاد السوفيتي والمشاورات معه أكثر من تلك
التي تشاهد على السطح ، وعلى أية حال فقد جاءت زيارة كوزنتسوف
الغائب الأول لوزير الخارجية السوفيتي - كمبعوث خاص - إلى القاهرة في
مرحلة هامة .. ويبدو أيضا أنها قد حققت نتائج هامة .. وقد استقبل
الرئيس السادات كوزنتسوف بمد ساعته من وصوله إلى القاهرة حيث
استمع منه « إلى تقرير كامل عن تصور القيادة السوفيتية للصوفيتية
للموقف » (الأهرام ٣١-١٠-١٩٧٣) .

وتأتي زيارة كوزنتسوف في أعقاب الزيارة الهامة التي قام بها كوسيجين
للقاهرة وبعد سفر كوسيجين « تسلم الرئيس السادات رسائل من الزعيم
السوفيتي يوجينيف حملها إليه السفير السوفيتي في القاهرة » ثم قررت
التنادة السياسية السوفيتية أن توفد مبعوثا خالصا لمقابلة الرئيس السادات
ولتقديم تقرير كامل ومفصل عن تصور القيادة السياسية السوفيتية للموقف
بكل تطوراتها » (الأهرام ٣١-١٠-١٩٧٣) .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الزيارة التي تمكن فيها كوزنتسوف من مقابلة
الرئيس السادات أربع مرات .. قال الأهرام بعدها « أن المبعوث السوفيتي
قد أطلع الرئيس السادات على تفصيلات كافة الاتصالات التي جرت بين
موسكو وواشنطن ، كما جرت مناقشة تنفيذ قرارات مجلس الأمن ،
والخطوات المقبلة لإقرار السلام في المنطقة » (الأهرام ٢-١١-١٩٧٣) .
وفي ٣ نوفمبر طار كوزنتسوف إلى دمشق حيث أجرى مباحثات مع
المستولين السوريين هناك تتعلق بنفس المهمة التي أتى بها إلى القاهرة ..

وقد صرح مسئول سوري عقب انتهاء الزيارة « بأن مباحثات كوزنيتسوف مع المسؤولين السوريين تناولت الصراع العربي الإسرائيلي وموقف الاتحاد السوفيتي المؤيد للقضية العربية » (و ١٠ ف ٦ - ١١ - ١٩٧٣) .
 وجدير بالذكر ان الاتحاد السوفيتي قد حرص في كل المناسبات على تأكيد مواقفه المؤيدة للحق العربي العادل ففي الزيارة التي قام بها الرئيس اليوغسلافي تيتو الى الاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من نوفمبر أكد ليونيد بريجنيف وقوف الشعب السوفيتي وحزبه وحكومته الى جانب العرب ودعمهم بكل الاساليب حتى يحققوا اهدافهم المشروعة في تحرير اراضيهم وضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

● اسماعيل فهمي .. الى واشنطن

وكجزء من التحرك السياسي المصري الذي شمل جميع الجبهات أولف الرئيس أنور السادات يوم ٢٨ أكتوبر الماضي السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية الى واشنطن حيث سلم رسالة خاصة الى الرئيس الأمريكي ليكسون وأجرى مباحثات مطولة مع هنري كيسنجر وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي تناولت دور الولايات المتحدة في تنفيذ القرارات التي اصدرها مجلس الأمن لوقف إطلاق النار وكذلك القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ والذي يحمل أسس حل الأزمة كلها . وقد استمرت زيارة البعثات المصرية لواشنطن سبعة أيام اجتمع خلالها مع هنري كيسنجر عدة اجتماعات وصفها بأنها « كانت ودية للغاية وصريحة » والجدير بالذكر ان جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قد أعلنت فجأة سفرها الى واشنطن لمقابلة كيسنجر بينما البعثات المصرية لم يكن قد انتهى بعد محادثاته هناك . وقد أجمعت الدوائر السياسية على ان الاتصالات التي كانت تجري في واشنطن بخصوص الأزمة قد طرا عليها عامل جديد بوصول « مائير » الى العاصمة الامريكية حيث تبادل هنري كيسنجر الاجتماعات مع كل من اسماعيل فهمي ورئيسة وزراء اسرائيل . وقد عقب هنري كيسنجر على هذه المحادثات بقوله « اعتقد أننا نحرز تقدماً في محاولات تحقيق السلام في الشرق الأوسط » ولقد عبر هنري كيسنجر عن رؤيته للموقف حينما جزأ المشكلة في تصريح قال فيه « أننا نواجه مشكلتين الأولى هي استقرار وقف إطلاق النار والثانية هي التحرك من وقف إطلاق النار الى سلام دائم » ويبدو ان هذا هو نفس المنطق الذي حكم كيسنجر خلال المباحثات التي اجراها في القاهرة بعد ذلك بأيام قليلة وعيها فقد حذرت الدوائر العربية من ان الفصل بين المسألتين قد يكون مقدمة لتجميد القضية برمتها تحت مظلة وقف إطلاق النار وهو ما ترفضه البلدان العربية بامصر .

● كيسنجر في القاهرة

.. لقد وصل كيسنجر الى القاهرة ليعبر عن مشاركة الولايات المتحدة في محاولة التوصل الى تسوية للأزمة . وذلك كجزء من جولة استعراضية شاملة حاول ان يبرز نفسه فيها كفارس الاحلام لكل قضايا العالم . . . ابتداءً من الشرق الأوسط . . . حتى باكستان . . . الى الصين .
 وإذا كان هنري كاتر مراسل نيويورك تايمز قد استقبل كيسنجر في القاهرة بمقتال عنوانه « كيسنجر يصل الى عاصمة مستعدة للقتال » فان اللجو الذي أحاط به كيسنجر ومرافقوه أنفسهم قد حاول الايحاء بأنهم يهيئون المسرح لاتفاق سلام ، ابتداءً من الخط الساخن مع واشنطن ، الى تأجيل جولدا مائير لزيارتها امام الكنيست . الى الصند الهائل من الصحفيين الذي غص به مطار القاهرة في القاهرة - « ٥٠٠ صحفي » (الاهرام ٧ - ١١ - ١٩٧٣) الى اعلان احد مساعدي كيسنجر انه لن يحضر حفل تسميته جائزة نوبل للسلام « بسبب مشاغله الدولية العسيلة » (الاهرام ٧ - ١١ - ١٩٧٣) .

● قرر الحزب الشيوعي العراقي وحزب « نودة » الإيراني تعزيز العلاقات فيما بينهما . وقد جاء ذلك في بيان صدر على اثر المباحثات التي جرت بين وفد من حزب - نودة - برلمانية أرباج - اسكندر العسكري الأول للحزب ووفد من الحزب الشيوعي العراقي برئاسة عزيز محمد سكرتير الحزب .

وقد نشرت صحيفة - طريق الشعب - القاهرة باسم الحزب الشيوعي العراقي هذا البيان مؤخراً وقالت ان الاجتماع عقد بين الوفدين في بداية الشهر الحالي دون ان تتسبب الى المكان الذي عقد فيه .

وإدان الحزبان في بينهما العدوان الإسرائيلي على الدول العربية بمساندة الإمبريالية الامريكية . واعلنا تاييدهما لقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ . كما اعرضا عن مساعدتهما للنضال الشعب الفلسطيني من اجل استعادة وطنه وهبة في تقرير مصيره .

● بوى الخبراء الاقتصاديين ان الصناعة المعرعة للضرر اكثر في الولايات المتحدة نتيجة القيود العربية على تصدير البترول للولايات المتحدة هي الصناعة البتروكيماوية وقطاع النخل وصناعة الصلب التي قد يصل انخفاض الإنتاج فيها الى 15% في الوقت الذي تزداد فيه التكاليف داخل الحكومة الأمريكية نفسها باحتمال حدوث انكماش للاقتصاد الأمريكي ، بسبب احتمالات انغلاق المصانع ، وانخفاض المصالح بالجملة .

وعلى أية حال فقد أسفرت زيارة كيسنجر الى القاهرة عن إعلان من روبرت ماكلوفسكي المتحدث الصحفي باسم وزارة الخارجية الأمريكية قال فيه « ان المباحثات قد حققت تقدماً غير متوقع .. وأن هذا التقدم هو الذي دعانا الى ارسال سيسكو الى إسرائيل في مهمة تستهدف المشاكل المعالجة ، كما تستهدف المشاكل الأخرى البعيدة الأمد التي يغطى عليها نزاع الشرق الأوسط » (الامراء ٨ - ١١ - ١٩٧٢)

ويمكن تلخيص زيارة كيسنجر الى القاهرة في نتيجتين أساسيتين .. أحدهما هي « اتفاقية لتثبيت قرار وقف إطلاق النار » تنص على انسحاب القوات الإسرائيلية الى خطوط ٢٢ أكتوبر مع الشروع في تباديل الاسرى والثانية هي اتفاق كل من مصر والولايات المتحدة من حيث المبدأ على إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وإذا كانت النتيجة الثانية قد شرع على الفور في تنفيذها حيث جرى بالفعل تبادل مبعوثين على مستوى السفراء ، فإن المهمة الأولى لازالت تقترش .. فقد وقعت إسرائيل وهي تحاول ان تجدى تمنعها على الاتفاقية .. وقد بدى بالفعل في تنفيذ بعض بنودها وأن كان البند : لاسمى فيها لم يحز أى تقدم .. وهنا نعود مرة أخرى الى التساؤل ، هل كان كيسنجر يطبع بزيارته الى كسب سياسى سريع ، ومحاولة تثبيت الأوضاع : الرامنة ، وهي محاولة مقضى عليها بالضرورة بالفشل ، أم أنه كان حقاً يعنى تنفيذ بنود الاتفاقية التي ارتبطت باسمه وزيارته .. هنا سيكون كيسنجر بحاجة الى دفعة جديدة من النشاط .. ليس في القاهرة وإنما في تل أبيب .

● وفد الكونجرس : زيارة للقوى الحافقة

وقد وصل الى القاهرة في ٢١ نوفمبر وفد من الكونجرس الأمريكي يضم ٢٧ عضواً من أعضاء الكونجرس وثمانية مستشارين في زيارة هدفها .. كما أعلن مستر صموئيل ستراتون رئيس الوفد - تقصى حقائق الموقف في المنطقة - وقد عقد الوفد عدة اجتماعات مع عدد من المسؤولين السياسيين والبرلمانيين بالقاهرة من بينها اجتماع مع أعضاء اللجنة الدائمة لمجلس الشعب وآخر مع عدد من أعضاء أمانة الاتحاد الاشتراكي وثالث مع الدكتور عبد العزيز حجازي نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد . وقد استقبل : الرئيس فور السادات أعضاء الوفد البرلماني الأمريكي وتحدث اليهم وأجاب على أسئلتهم وقد صرح الرئيس الوفد عقب هذا اللقاء قائلاً : لقد أصبح فهمنا للامور الآن متوازناً « ويقم كثير من المراقبين هذه الزيارة باعتبارها عملاً ليس له سوى قيمة اعلامية حيث يكاد الكونجرس الأمريكي أن يكون واقفاً بالكامل تحت سيطرة جماعات الضغط الصهيونية أو الموالية لإسرائيل على طول الخط ، ومع ذلك فإن هناك من يرى في استعداد القاهرة لاستقبال هذا الوفد أو غيره علامة على رغبتها في تأكيد حرصها على السلام مع وعيها في نفس الوقت بان السلام لن يتحقق مع عدو من نوع إسرائيل الابالقة »

● اليابان .. باخرة جديدة لصالح الحق العربي

منذ قوت البلدان العربية المنتجة للبترول تخفيض انتاجها بشكل تصاعدي (٥ في المائة شهرياً) بعد نسبة الخفض الأولى (٢٥ في المائة) التي تقرر في مؤتمر ٤ نوفمبر اخذت اليابان تجري حساباتها بسرعة درءاً للاخطار المتوقعة على صناعاتها الرئيسية من جراء نقص امدادات البترول . ومع اقتراب موعد الخفض الجديد في أول ديسمبر اقتربت الاخطار من المصناعات اليابانية وعلى رأسها المصناعات البترولية بعد أن اندرتها شركة البترول الفرنسية بأنها ستتوقف عن امدادها بالبترول اعتباراً من شهر ديسمبر وكان على اليابان أن توازن بين الضغوط للضغط الصهيوني والأمريكي الذي يدعوها الى عدم التحرك في أى اتجاه من شأنه الضغط على إسرائيل وهو الامر الذي سيؤدي بها الى المعاناة من نقص

امدادات البترول وسيؤثر بلا شك على جزء كبير من صناعاتها الرئيسية لى
تخضع حذو دول السوق الأوروبية المشتركة فى محاولة اتضاد موقف أكثر
عدلا وإيجابية للضغط على إسرائيل من أجل تطبيق قرارات مجلس الأمن
بشأن أزمة الشرق الأوسط ، ومن ثم تحصل على نفس المعاملة التى حصلت
عليها دول السوق (عدا هولندا) حينما قررت البلدان العربية اعفائها من
الخفض الجديد المقرر فى لوائل هذا الشهر وتشير الانباء الى أن اليابان وقد
أعصت بمجدية الموقف العربى لم تجد مفرأ من محاولة اتخاذ موقف مؤيد
للمحق العربى إزاء عدوان إسرائيل فقد أصدرت الحكومة اليابانية فى ٢٢
توفمبر بيانا حددت فيه موقفها من أزمة الشرق الأوسط فى أربع نقاط :

١ - عدم جواز الاستيلاء والاحتلال لى أرض بالقوة .
٢ - ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى العربية
المحتلة فى حرب ١٩٦٧ .

٣ - احترام السلامة والأمن لأراضى كل الدول فى المنطقة وضرورة إيجاد
ضمانات لهذا الغرض .

٤ - الاعتراف الكامل لحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى تقرير
مسيره بموجب ميثاق الأمم المتحدة .

وأكد البيان أن الحكومه اليابانية سوف تكون مضطرة الى اعاده النظر
فى سياستها تجاه إسرائيل فى حالة عدم تنفيذها لقرار مجلس الأمن رقم
٢٤٢ كما أعلن وزير الخارجيه اليابانى مساهمة بلاده بحصة ملايين دولار
فى صندوق الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين فى العام القادم بينما
كانت مساهمتها فى العام الحالى ١٠ ملايين دولار فقط .

وقد سارعت إسرائيل الى استنكار هذا البيان اليابانى وأعلنت أنها
ستدعى المنظمات الاقتصادية الصهيونية الى مقاطعة اليابان اقتصاديا ،
كما أعلن وليم بورتر المتحدث الرسمى الأمريكى احتياج بلاده رسميا على
هذا الموقف اليابانى الجديد مسجلا بذلك استقرازا آخر للبلدان العربية .

والجدير بالذكر أن الشيخ أحمد زكى اليمسانى وزير البترول
السعودى كان قد أعلن أن على اليابان أن تقطع علاقاتها بإسرائيل « إذا
أرادت أن تستثنى من قرار خفض امدادات البترول العربى » ومع ذلك فإن
كثيرا من المراقبين يرون أن البلدان العربية ربما اكتفت مرحليا بهذه المبادرة
اليابانية كمبرر لاعفائها من الخفض القدام خلال ديسمبر الحالى دون أن
يعنى ذلك الكف عن مطالبة اليابان بقطع العلاقات مع إسرائيل ويستند العرب
فى ذلك - كما يقول هؤلاء المراقبون - الى أن عملية خفض التصاعدى
المقررة سوف تتيح فرصا متعددة شهرية للضغط على اليابان من أجل تحقيق
هذا الاجراء أو غيره من الاجراءات طبقا لخطوات الأمور بالنسبة لقضية
احتلال إسرائيل للأراضى العربية .

● انيس إيايا - مؤتمرو وزراء خارجية أفريقيا

ويؤكد المراقبون أن دعوة الجزائر الى عقد مؤتمر طارئ لوزراء خارجية
الدول الأفريقية ، دعوة جاءت فى وقتها تماما حيث كانت الدول الأفريقية فى
محملها قد أعلنت عزمها على مساندة البلدان العربية عمليا بقطع العلاقات
الديبلوماسية مع إسرائيل ، وأصبح من المفيد أن تتحول هذه الخطوة لتصبح
قائمة لتطوير التضامن العربى - الأفريقى ووضعه على أسس سليمة وقابلة
للاستمرار والتصاعد . بدلا من تركها عرضة لموامل الضفط والتعريه
الاستعمارية التى تحول بلا شك بتجديد آثارها فى الهواء . وبعد الاتصالات
المكثفة التى قام بها الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وزير خالها القاهره
اتفق على عقد هذا المؤتمر فى العاصمة الأثيوبية انيس إيايا يوم ١٩
نوفمبر ، وقد حضره وزراء خارجية ٢٨ دولة أفريقية رافعتحه الامبراطور
هيلسلاسى بكلمة قال فيها « أن استمرار الحكم الاجيى على الاراضى

● أعلن وزير الدفاع فى
هكومة جنوب أفريقيا أن
بلاده تشعمر بتعلق عيين
مع إسرائيل فى العرب الدائرة،
وأنها تؤمن بأن ما يحدث
لإسرائيل اليوم قد يحدث لها
لهكومة جنوب أفريقيا .
وقال وزير الدفاع فى اجتماع
تضامن مع الجالية اليهودية
فى جورج تاون أن حكومته
أرسلت معلومات تقنية وطبية
للى إيبيا .

العربية المحتلة موقف لا يتماشى مع القيم التي تؤمن بها كإفريقيين ، وقدلقى وزير الخارجية المصري خطباً أكد فيه تقدير مصر لمواقف الدول الإفريقية التي طمعت علاقاتها بإسرائيل ، ودعا إلى اتخاذ مزيد من الخطوات لإجبارها على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره *

وقد أصدر المؤتمر قراراته في ٢٢ نوفمبر مؤكداً إدانة الدول الإفريقية الثمانية والثلاثين المشتركة في المؤتمر لإسرائيل باعتبارها نظم حكم عنصري استعماري يقف على قدم المساواة مع النظام العنصري الاستعماري في المقارة ومتخذاً أسلوب المواجهة الشاملة الفردية والجماعية باعتباره الوسيلة الوحيدة للتضامن الحقيقي مع البلدان العربية من أجل إجبار إسرائيل على الجلاء عن الأراضي المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين

وكان من بين ما دعت إليه قرارات المؤتمر :

١ - تعزيز الإجراءات الفردية والجماعية من أجل زيادة هزيمة إسرائيل في المجالات السياسية والاقتصادية والمسكرية والثقافية حتى يتم التوصل إلى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط *

٢ - الإبقاء على قطع العلاقات مع إسرائيل ، حتى يتم الجلاء من جميع الأراضي العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق الوطنية المطروحة للشعب فلسطين *

٣ - الارتباط بين قرار وقف إطلاق النار وبين التنفيذ الفوري للقرار رقم ٢٤٣ لسنة ١٩٦٧ ، الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة *

٤ - الاعتراف بشرعية نضال الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية بكل الوسائل التي يملكها والتأييد التام لقضية الشعب الفلسطيني العاملة ورفضه أي تمثيل في وضع القدس وبطلان أية إجراءات كانت قد اتخذت لضم المدينة *

٥ - فرض حظر اقتصادي شامل على إسرائيل وخاصة على النفط بالنسبة لها وللبيرغال وجنوب إفريقيا وحكومة الأقلية المنصرية في روديسيا *

٦ - إدانة الاعتداء العشوائي على المدنيين للعرب الأبرياء من جانب إسرائيل طوال حرب أكتوبر بما يتنافى مع اتفاقيات جنيف ونظم القانون الدولي *

وقد أعلن المؤتمر عن تشكيل لجنة سباعية تضم غانا وقانزانيا والكاميرون ومالي وبنسوانا والسودان وزائير لأجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق الجامعة العربية لإزالة آثار الحظر البترولي عن الدول الإفريقية التي أضطرت من جراء ذلك ، كما دعا رؤساء الوفود بقوة إلى مزيد من العمل الموحد بين العرب والشعوب الإفريقية لمواجهة التواطؤ المتشوف بين إسرائيل والولايات المتحدة والبرغال وجنوب إفريقيا وروديسيا الجنوبية ضد النضال العربي والإفريقي من أجل التحرر *

ومن الجدير بالانتباه أن مسئولية المحافظة على هذا الموقف الإفريقي المبتاز وحمايته من أية تأثيرات هي بالإساس مسئولية عربية حيث يتعين على الدول العربية ألا تتأخر في بناء شبكة من العلاقات السياسية والاقتصادية والفنية والمالية مع دول إفريقيا كبدل لدور الاستثمار الذي كان إسرائيل تلعبه في البلدان الإفريقية * ومما لاشك فيه أن الدول العربية الإفريقية تتحمل مسئولية خاصة في هذا السبيل ، باعتبارها جسر الاتصال بين النضال الإفريقي والنضال العربي ضد الاستعمار والمنصرية

● إسرائيل تهمل ٠٠ وكينسج يهدد

خلاصة الموقف إذن - كما يراه العديد من المراقبين - أن التحرك السياسي المصري - العربي النشط على مختلف الجبهات يحكم حلقة الحصار على

إسرائيل ويسد الطرق أمام محاولاتها للأفلات من إطار الشرعية الدولية إلا يكسر هذا الإطار على رأى ومسح من كل البلدان والقوى المحبة للمسيح والعدل في العالم وهذا سوف يسبب لها ولاصنفاقتها وحفانها والمطافين عليها مزيد من الأضرار البالغة بمصالحهم في المنطقة العربية وغيرها من المناطق المتفجرة بالنضال المعادي للامبريالية في اسلم وبإذات في أفريقيا * وسوف يتولى في نفس الوقت من الدعم الذي تقدمه اسرة البلدان الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي المصدق *

ومع ذلك فمن الواضح ان إسرائيل ما تزال تسوف وتماطل في تنفيذ قرارات مجلس الأمن الخاصة بالعودة الى الواقع التي كانت عليها القوات المتحاربة يوم ٢٢ أكتوبر وهو ما يعوق عملية الفصل بين القوات المتحاربة ويهدد بإندلاع القتال في أية لحظة نتيجة لاستمرار هذا الوضع * وبفضلنا عن ذلك فإن التصريحات ما تزال تتوالى من قل أبيب عن رفض إسرائيل انعماد مؤتمر السلام الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية في ٢٦ ديسمبر القادم * وتذكر إسرائيل جيدا ان كل هذه المحاولات لن تثني مصر خطوه واحدة عن أهدافها في تحقيق السلام العادل ولو أدى بها الأمر لعودة الى القتال * بمعنى ذلك ان إسرائيل تماطل لتكسب وقتا من أجل الاستعداد للحرب * جديد * وعلى الجانب الآخر نجد أن الولايات المتحدة التي ادعت الرغبة في المساهمة في اقرار السلام في المنطقة تهدد الدول العربية بفرض حظر على المنتجات الغذائية الأمريكية مقابل الحظر الذي تفرضه هذه الدول على البترول * فبدلا من ان تضغط على إسرائيل من أجل الانسحاب وهو الأمر الذي سيخفف بالتأكيد من الأزمة الناتجة من الحظر العربي على البترول فهي تتجه الى تهديد الدول العربية فيعلن كيمسجر الذي حاول ان يبدو من خلال جولته في المنطقة كرجل سلام * انه من الواضح انا استمرار قطع البترول العربي عن الولايات المتحدة بدون اسباب وإلى أجل غير محدد * فان على أمريكا ان تتخذ قرارا بشأن الوسائل المضادة الضرورية *

وهذا ما يضرب ظلالا كثيفة من الشك حول حقيقة النوايا الأمريكية ومدى صدق ما ادعته من رغبة في القيام بدور من أجل اقرار السلام في المنطقة * ويجعل من حديث هتوى كيمسجر ومطالته للعرب بضبط النفس ومسددم التعميل محاولة خادعة تستهدف تبريد النقائج الإيجابية التي حققتها معارك أكتوبر محليا وعربيا وعالميا تمهيدا للعمل على تفكيكها أو تصفيتها خثانيا اذا أمكن وجبر الأزمة من جديد الى دوامة بلا نهاية * * وذلك وضرب تضمه الدوائر العربية بلاشك في بؤرة الحمص *

الذكرى الخامسة والعشرون للاعلان العالمي لحقوق الانسان

بمناسبة الاجفال بالذكرى الخامسة والعشرين للاعلان العالمي لحقوق الانسان * وجهت الدعوة لاتحاد المحامين العرب للمشاركة في الندوتين اللتين ستقامان بهذه المناسبة * احدهما في مقر الامم المتحدة بنيويورك * وتنظمها المنظمات غير الحكومية حول موضوع « الإعلان العالمي لحقوق الانسان - آماني وانجازات » والاخرى في قصر اليونيسكو بباريس وتشرف عليها منظمة العفو الدولية * وقد بمثابة تدشين لحملة عالمية من أجل حظر التعذيب *

دعا النائب عبدالمطلب الكائن في ريس اللجنة المالية في مجلس الأمة بالتكويث الى مقاطعة تامة للاقتصاد الأمريكي وسحب رؤوس الاموال العربية من البنوك والمؤسسات المالية الأمريكية . وقال ان هذه الاجراءات بكله لوقت تصدير القلط * ويجب ان تطبق بأسرع مايمكن *

وقد قدم الأستاذ « عبد الرحمن اليوسفي » الامين العام المساعد لاتحاد المحامين العرب تقريراً عن هذه الذكرى ، وعن قضايا الحريات وسيدة القانون في الوطن العربي ، دعا فيه الى القيام بحملة واسعة في العالم العربي ، يقوم بها المحامون العرب بالتعاون مع كافة المحققين ، لحمل الحكومات العربية على المصادقة على الاتفاقيتين الدوليتين المتمثلتين بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وعلى البروتوكول الاختياري المضاف الى الاتفاقية الاولى حول الحقوق المدنية والسياسية .

وقد أشار الأستاذ « عبد الرحمن اليوسفي » في تقريره الى أنه يتعين على العرب أكثر من أي وقت مضى ، أن يربطوا كفاحهم ضد الاستعمار الصهيوني بنضالهم ضد الاستعمار العنصري الجاثم على شعوب أنجولا وموزامبيق وزيمبابوي وناميبيا وجنوب أفريقيا ، خاصة وقد جعلت الأمم المتحدة من يوم ١٠ ديسمبر القادم (يوم الذكرى الخمسة والعشرين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان) يوم بدء النضال لقتل لكافة التمييز العنصري الذي يعاني منه العرب والافارقة وكافة الشعوب المبرية . وأكد اليوسفي دعوته هذه مشيراً الى بروز التضامن العربي الافريقي في أعظم مظاهره في الفترة الاخيرة ، وطالب الأستاذ اليوسفي أيضاً بتطوير وتنشيط اللجنة العربية الدائمة لحقوق الانسان ، بتنظيم ندوة دراسية خلال العام القادم .

وأشار في تقريره أيضاً الى أن اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان التي كان مجلس الجامعة العربية قد أنشأها في سبتمبر ١٩٦٨ لم تجتمع سوى مرة واحدة فحسب في أبريل ١٩٦٩ ، بالإضافة الى أن اختصاصات هذه اللجنة تنقسم - أيضاً - بالمفوض . وتتخلص حصية عنها حتى الآن في تحرير « مشروع اعلان حقوق المواطن في الدول والبلاد العربية » .

هذا وقد قدمت المنظمات الدولية غير الحكومية مذكرة حول مشروع البروتوكولين الإضافيين لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ ، أعدها فريق عمل اشترك فيه ممثلون عن اتحاد المحامين العرب ، لمرضاها رسمياً على المؤتمر الدبلوماسي حول إعادة تأكيد وتطوير القانون الدولي الانساني الواجب تطبيقه في النزاعات المسلحة ، والزمع عقده في جنيف في فبراير - مارس ١٩٧٤ .

ودعت هذه المذكرة الى وجوب تطبيق المبادئ الانسانية الاساسية في جميع النزاعات المسلحة ، الداخلية والدولية ، وذلك على أساس أنه ليس للأطراف في النزاعات ولاعضاء قواتها المسلحة حق غير محدود في اختيار وسائل القتال وطرقه ، والاهداف التي تهاجم . كما دعت الى وجوب تمتع السكان المدنيين بحماية خاصة ووضعهم كغير محاربين ، وتؤمن الاحوال التي لاغنى عنها للإبقاء على حياتهم في جميع النزاعات المسلحة . ودعت المذكرة أيضاً الى وجوب حظر استعمال الاسلحة ووسائل وطرق القتال التي تصيب أو تؤثر بلا تمييز في السكان المدنيين والمقاتلين ، أو التي تنقسم بطابع القسوة البالغة أو تسبب آلاماً مبرحة .

وقد طالب مشروع البروتوكول الإضافي لاتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ بشأن حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية ، بمدة تعديلات وإضافات على نصوص المادة ٤٧ جاء فيها أن إعضاء حركات التحرير يجب أن يتمتعوا بنفس الحماية التي تتمتع بها القوات النظامية المسلحة . كذلك أكد مشروع البروتوكول على الفقرة التي تحظر المهاجمة بلا تمييز وكيفية واحد ، بطريق القصف أو أية طريقة أخرى لطلقة تحتوي على عدة اهداف عسكرية كائنة في جهات أملة بالسكان ، ويقع كل منها على بعض المسافة من الآخر . وطالب مشروع البروتوكول ، بحماية خاصة للنساء والاطفال

في حالات الحرب ، وحق الطفل ، في أن يكون بين أوائل من يتلقون الغوث ، وعدم إصدار حكم بالاعدام على أمهات الأطفال ، أو على نساء مسئولات عن رعايتهم ، كما طالب بوجود عدم اعتبار الأحداث دون سن الـ ١٥ الذين أسروا بعد اشتراكهم في العمليات العدائية مسئولين عن هذا النشاط ، ومن ثم يجب الاتويع عليهم أية عقوبة لهذا السبب .

■ الوطن العربي ■

مرة أخرى : خطاً في الحسابات الامريكية

■ خلال زيارة هنري كيسنجر وزير خارجية الامريكي للسعودية ، لم تطفح محاولاته في زحمة الملك فيصل عن موقفه في استعمال البترول كسلاح ، واهمره على استمرار قطع البترول العربي عن الولايات المتحدة الى أن يتم تحرير كل الاراضي العربية المحتلة .

وكتب « هنري برانسون » مراسل « الصنداي تايمز » في واشنطن معلقاً على هذا الموقف يقول : « لقد نجح كيسنجر في تدعيم وقف إطلاق النار ، غير أنه فشل في الحصول على تعاون من جانب العرب » في الوقت الراهن على الأقل ، في المملكة العربية السعودية . وما زال من المشكوك فيه أن يكون كيسنجر قد نجح في اقناع الملك فيصل بالإبقاء على المستوى الراهن من انتاج البترول . والغاء المرحلة التالية من التخفيض بنسبة ٥ في المائة من الانتاج الصافي ، وهو ما يمكن أن يؤدي الى أحداث آثار مدمرة على الاقتصاد الامريكي .

وكان هذا مظهراً لنجاح « سلاح البترول » الذي استخدمته الدول العربية المنتجة للبترول وتأثيره على الغرب . فكيف استخدم العرب هذا السلاح ؟

الواقع أن سيل البلاغات العسكرية الصادرة من سيناء والجولان على اهميتها الكبرى لم تلغ على خبر موجز - من بغداد - حول قرار مجلس قيادة الثورة العراقي بتأميم ملكية شركتي البترول الامريكيتين العامتين في العراق وهما : « ستاندارد أويل أوف نيجيريا » و « موبيل أويل كورپوريشين » . فقد علقت « التايمز » اللندنية على قرار العراق بقولها : « ان العالم العربي قد أظهر عزماً صلباً على استخدام موارده البترولية سلاحاً في الميدان الدولي » .

ثم بدأ الحديث يتردد عن استخدام الدول العربية البترول كسلاح . هنا قالت « الغايتشمال تايمز » « ان هذه الدعوة خطر حقيقي ينذر بأن البلدان العربية باسكانها ان تقدم على تقليص صادراتها النفطية الى الغرب » . ثم بدأ بالفعل استخدام هذا السلاح عندما عقد وزراء البترول العرب (عشرة وزراء) أول اجتماع لهم لمناقشة كيفية استخدام هذا السلاح . وبعد أقل من شهرين يوماً دعي نفس الوزراء الى اجتماع آخر طارئ عقد في الكويت أيضاً يومى ٥ نوفمبر .

■ وفي الاجتماع الأول الذي عقد خلال معارك التحرير تقرر البدء على الفور بخفض انتاج الدول العربية من البترول بنسبة لا تقل عن ٥ في المائة على أن تستمر شهرياً ثم اوصى الوزراء بأن ينال الولايات المتحدة أكبر تخفيض من الانتاج العربي ، وأن يؤدي ذلك الى قطع امدادات امريكا بالبترول من كل دولة عربية منتجة على حدة . وقرر الوزراء كذلك اتخاذ موقف من الدول التي تساند اسرائيل ، وفرض الحظر بالفعل على واردات البترول العربي المتجهة الى هولندا .

وفي الاجتماع الثاني للمجلس الوزاري لرابطة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، صدر بعد جلسة عمل استمرت ٧ ساعات البيان الرسمي

التالى : « اجتمع وزراء البترول العرب للمرة الثانية فى الكويت يومى ١ و٢ نوفمبر عام ١٩٧٢ ، وتدارسوا الطريقة التى تم بها تنفيذ قراراتهم الاولى والاثر التى ترتبت عليه واخذوا قرارات منها :

■ أن يكون مجموع تخفيض الانتاج من كل دولة عربية منفذة للقرار هو ٢٥ فى المائة من انتاج شهر سبتمبر ، داخلا فيها الكميات المخصصة نتيجة قطع البترول عن أمريكا وعن السوق الهولندية . ثم يستمر التخفيض بعد ذلك فى شهر ديسمبر بنسبة ٥ فى المائة من انتاج نوفمبر ، على ألا يؤثر أى تخفيض على الحصص التى كانت كل دولة صديقة تستوردها من كل دولة عربية مصدرة للبترول خلال التسعة اشهر الاولى من السنة الحالية .

■ تقرر ايضاً كل من وزير الطاقة الجزائرى ووزير البترول السعودى الى العواصم الغربية لشرح وجهة النظر العربية من القرارات البترولية .

■ تقرر أن تصعد اجتماعات فى المستقبل من وقت لآخر حسب الحاجة لمتابعة تنفيذ القرارات وآثارها .

وقد حددت القضايا فى الاجتماع الثانى بشكل أوضح من القرارات العامة التى اتخذت فى الاجتماع الاول ، ومن هنا اتفق على أن يضع وزراء الخارجية قائمة بأسماء الدول التى اتخذت موقفاً صديقاً للعرب فى نزاع الشرق الاوسط ، وأخرى بأسماء الدول المعادية ، والتى سوف تخضع لقرارات حظر البترول العربى ، والتى تم تطبيقها على الولايات المتحدة وهولندا . وكذلك قرر الوزراء تشكيل لجنة وزارية تتولى مراقبة تدفق البترول العربى فى الاسواق بحيث لا يتسرب عند وصوله الى أية دولة أخرى بخلاف عليها الحظر . ويتم ذلك ، بقيام الشركات باثبات وجهة كل شحنة بترول يقومون بتصديرها من موانئ الشحن العربية ، الى جانب مراقبة عمليات التسويق التى تقوم بها محالل التكرير فى أوروبا . وفى الوقت نفسه فإن قرار الحظر الذى فرضته الدول العربية يستد لىس الى البترول الخام فحسب وإنما كذلك الى منتجاتها التى يتم تكريرها فى المحالل .

وقد عبرت إحدى الصحف السويسرية المعادية عن رغود القمل فى الغرب بإزاء مجموع هذه القرارات بكلماتى : « مضمة عميقة » . فلم تعد القضية الآن هى قضية تأميم الشركات الغربية ، أو التخلي - هنا وهناك - عن امتيازاتها السابقة فى الممارك الضارية التى دارت - وما زالت تدور - بين الدول المنتجة والشركات الاحتكارية ، بل أن القضية تعدت ذلك الى مسألة التزود بالبترول عموماً . فنقول « النفوزويك » الأمريكية : « إن الولايات المتحدة يزداد اعتمادها أكثر فأكثر على البترول السعودى حتى فى العقد الحالى . وفى عام ١٩٨٠ ينتظر أن يبلغ استهلاك البترول فى الولايات المتحدة ٢٤ مليون برميل فى اليوم الواحد ، أما استخراج البترول من الولايات المتحدة ذاتها فمن المتوقع ألا يزيد الا قليلا من المستوى الزاهى ان لم يقل ، وهو ١١ مليون برميل فى اليوم .

ونضيف هنا ، الى أن هناك أصلاً مشكلة طلاقة كثر الحديث عنها حتى قبل معارك أكتوبر . ذلك أن حاجة الدول الصناعية المتقدمة الى البترول تزداد يوماً بعد يوم ، الأمر الذى سيضطرها - فى نهاية السبعينات - الى استيراد مقادير من البترول تصل الى ٦٠ مليون برميل يومياً . وتقول « النفوزويك » الأمريكية « لته نظراً الى أن جنوباً كبيراً من هذا البترول سيجرى من الشرق الاوسط ، عاباً أو من المملكة العربية السعودية ، بشكل خاص ، فإن كل هذا أدى الى صراع جنوبى للغاية حول البترول العربى » .

وتستورد أوروبا الغربية الآن من الدول العربية حوالى ٧٠ فى المائة من بترولها ولا يزيد رصيدها الحالى لأكثر من ٦٠ الى ٧٠ يوماً . أما اليابان فبعيد ٨٠ فى المائة من بترولها على العرب . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستورد أكثر من ٧ فى المائة من احتياجاتها البترولية من

● مصدر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في ٩ أكتوبر الماضي قرارا خاصا بالشرق الأوسط، جاء فيه ، لقد اشتملت الحرب في الشرق الأوسط ، وتوسع مسئوليتها بالصلة المباشرة على الزعماء اليمينيين في الدولة اليهودية ، الذين يرغبون منذ اعوام كثيرة تطبيق قرارات الامم المتحدة التي تنص بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في شهر يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقائق الوطنية للشعب العربي في فلسطين ، وجاء في القرار ان : « الحزب الشيوعي الفرنسي العربي على سياسته الجذلية التي حملته دائما على ان ينفذ بتسريع الى جانب الشعب التي تناهض من اجل هريتها وسيادتها الوطنية ، يؤكد مرة اخرى تضامنه مع الشعب العربي التي لها الحق المقدس في استعادة كافة اراضيها التي اغتصبها عدوان ١٩٦٧ »

الدول العربية الا انها تستورد كمية بمائلة تقريبا من البترول العربي من دول اوربا الغربية بطريقة غير مباشرة او بعد تكريره ، كذلك تستعمل هذه النسبة الى حوالي ٥٠ في المائة تقريبا عام ١٩٨٠ . أما فيكسون فقد اوضح في خطابه الذي اذيع يوم ٩ سبتمبر : - « ان تأمين كمية كافية من الطاقة الان وفي المستقبل هو المجال الذي يؤثر قلقنا » وقد ظهرت لدينا هذا الصيف موجة فزع بسبب النقص في البنزين ، وفي هذا الشتاء ربما يظهر نقص جدى في البترول لاغراض التدفئة . واذا لم نتم بعمل سريع وفعال ، فاني اشك في اننا نستطيع ان نعمل على ان النقص في الوقود سيقل في السنوات القادمة » ولكن جاءت احداث الشرق الاوسط لتدفع بمشكلة الطاقة الى منعطف اخر . فتحدثت « الفابنشنيل تايز » عن هذا بقولها : « ان العنصر الجديد في الوضع الراهن يكمن في ان العالم كله قد ادرك فجأة ان لدى العرب ملاحا بتروليا . وسواء صح هذا ام لم يصح ، فان العرب اخذوا يعرفون في الاونة الاخيرة اكثر فاكثر بان أزمة الطاقة في امريكا والغرب - والتي كثر الحديث عنها في الاونة الاخيرة - تتيح لهم فرصة فريدة ، لكي يظهرها للعالم كله انهم مستعدون للاندفاع على كل شيء ، وقد استخدم سلاح البترول بالفعل ؟ »

ماذا كانت نتيجة استخدام العرب « لسلاح البترول » ؟ نتج الدول العربية (المنتجة للبترول) ٨٠٠ مليون طن من البترول سنويا ، بينما لا تنتج الولايات المتحدة سوى ٤٧٠ مليون طن وليس هناك اي امل يوحى بزيادته . بل على العكس هناك من يقول انه سينتقص حتى لقد اشار نيكسون في خطابه الذي وجهه للشعب الامريكى يوم ٨ نوفمبر الى : « ان الولايات المتحدة الامريكية تواجه بسبب قطع الدول العربية لامداداتها من البترول لأمريكا اسوأ أزمة طاقة منذ الحرب العالمية الثانية ، قد تستدعي توزيع البنزين بالبطاقات لاول مرة منذ الاربعينات » وفي نفس الوقت زيادة اسعار البترول بنسبة ٢٠٠ في المائة . واطن جون لاف مستشار الرئيس نيكسون لشئون الطاقة يوم ١٠ نوفمبر ان خطر عدم ارسال البترول العربي الى امريكا ليس في مجرد البرد القارس الذي سيضرب به الامريكيون في بيوتهم هذا الشتاء ، ولا في نقص البنزين ، ولكن الاضرار من ذلك ان الاقتصاد الامريكى ذاته اصبح مهددا . ويهدد بحدوث انكماش اقتصادى خطير في البلاد ويخفض معدل النمو فيها بنسب مئوية قد تصل الى ٩٠ في المائة . . ان صناعة الصلب مثلا مهددة بخفض ما يصلها من امدادات الطاقة بنسبة قد تصل الى ١٥ في المائة في العام القادم اذا استمرت الدول العربية في استخدام البترول كسلاح في الحركة .

واعلن « كلود تريونجا » وزير النقل الامريكى في نفس اليوم « ان اختطاف البترول العربي يمكن ان يستمر لفترة طويلة ان يؤدي الى أزمة خطيرة في الامن القومي الامريكى والتاثير على القوات المسلحة الامريكية لان نسبة ما تستورده امريكا من البترول العربي سوف تزيد كثيرا في السنوات القليلة القادمة » .

ثم قررت الولايات المتحدة في ١١ نوفمبر فرض نظام اجبارى لتوزيع البترول بمختلف أنواعه بالبطاقات وهذا قرار من نوعه تتخذه الولايات المتحدة في تاريخها . ونحن هنا لن نتحدث باستنفاضة عن تقييد الاضواء وتحديد استهلاك الفرد من بنزين السيارات وغيرها من الاجراءات التي اتخذت في الولايات المتحدة وعدد من دول اوربا الغربية ، حيث قالت « الفرانس سوار » الفرنسية :

« لقد بدأت « حرب البترول » هذه المرة بالفعل ، وهي حرب اقتصادية وسياسية . ان صناعة البترول متشابكة ومعقدة ، لدرجة انه لو هانى

جيراننا من نقص البترول ، فأننا أيضا «شعاني» ، حتى لو اتخذت الدول العربية المنتجة قرارها بعدم قطع البترول عن فرنسا الصديقة ؟

■ أما هولندا فسيشل القرار الذي اتخذ بشأنها لوقفها المادي الصارخ نصف طاقة ميناء روتردام إذ يمثل البترول حوالي ٦٩ في المائة من إجمالي السلع التي تمر بهذا الميناء ، ونصيب البترول المرسى منه أكثر من ٧٠ في المائة . وتستورد هولندا البترول وتقوم بتكريره ثم تصديره إلى ألمانيا الغربية وبلجيكا وبريطانيا . وهي تستورد ٦٨ مليون طن من البترول الخام :

١٩ مليون طن من السعودية

١٢ مليون طن من الكويت .

٤ مليون طن من قطر

٤ ملايين طن من ليبيا .

١٣ مليون طن من العراق

١ مليون طن من الجزائر

٥ مليون طن من مصر

٢٠ مليون طن من دول عربية أخرى .

أي أنها تستورد من الدول العربية حوالي ٤٧ مليون طن (أرقام هام ١٩٧٢) ثم تحصل على الباقي وهو حوالي ٢١ مليون طن من نيجيريا وإيران وفنزويلا . وتقوم بتكريره وتصديره إلى دول أوروبا الغربية حيث يتولى ميناء روتردام تكرير ربيع «البترول الخام في أوروبا الغربية» ، وعليها أن تصنوع معنى المقاطعة العربية الآن .

■ ونتيجة لهذا ، اقترحت هولندا توحيد موارد السوق الأوروبية المشتركة من البترول بفرض امداد بلدانها بالبترول . وقد رفضت الدول هذا الاقتراح وخاصة بريطانيا وفرنسا وفضلت كل دولة «السير في طريقها الخاص وفقا لمصالحها» كما قالت «الاقليم» البريطانية .

■ وتفاقت أزمة الطاقة في الولايات المتحدة الأمريكية بعدما أعلن «رونالد ماكدونالد» وزير الطاقة الفيدرالي الكندي يوم ٦ نوفمبر أن بلاده على استعداد لقطع صادراتها البترولية إلى الولايات المتحدة إذا فرضت الدول العربية المنتجة للبترول هذا كشرط أساسي لاستمرار تدفق بترولها الخام إلى معامل التكرير الكندية . ولكي نفهم هذا نقول : إن كندا هي الدولة الصناعية الوحيدة في الغرب التي تنتج من البترول أكثر مما تستهلك . ولكن المشكلة أن البترول يوجد في غربها ويميش سكانها في شرقها ، لذلك بدأ أصحاب الاحتكارات البترولية الكندية بمد أنابيب بترول إلى إقليم الوسط الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية «المجاور للآبار الكندية» وفي الوقت نفسه تقوم كندا باستيراد ما يحتاجه شرقها من بترول ، نصفه من فنزويلا و ٢ في المائة من الدول العربية ، وهذا أرخص من تكاليف نقل بترولها من الغرب إلى الشرق . وعلى أي الأحوال كان «بيير ثورود» رئيس وزراء كندا قد أعلن في سبتمبر الماضي «عن سياسة بترولية جديدة يواجه بها الولايات المتحدة» لذا لم يكن قراره الأخير مفاجئا لها رغم تأثيره الضار عليها

■ وأصدرت حكومة الفلبينين لوائحها إلى شركات البترول الأمريكية العاملة في أراضيها وفي ممتلكاتها شركة «اسو» بالامتياز عن تزويد القواعد العسكرية الأمريكية في الفلبينين بالبترول وذلك احترازا لقرارات دول البترول العربية بحظر امداد الولايات المتحدة بالبترول العربي .

■ وأعلنت حكومة سنغافورة أنها ستقطع كل امداداتها من البترول عن القوات الأمريكية الموجودة في المحيط الهندي بعد تهديدات الدول العربية بوقف امدادات البترول التي ترسل إلى سنغافورة ويتأثر بهذا القرار وحدات الاسطول السابع الأمريكي والقواعد الأمريكية في تايلاند وغيرها

هذا المجال - على أن إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة تحاولان الآن تنفيذ خطة تستهدف الائتلاف حول الإنجازات التي حققها حرب تشرين الأول من خلال الترويج لمشاريع وحلول تصفية جزئية ترمي إلى فرض الاستسلام على الشعوب العربية .

إن الأمانة العامة للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية إذ تقدر وتقديرًا عاليًا الامكانيات التي تملكها الأمة العربية في مواجهتها للحلف الإسرائيلي الأمريكي ، وأذ تدرك أن الظروف العربية والفعالية لم تكن هي أي يوم من الأيام موالية لشحن نضال حازم وطويل النفس ضد الاغتراب الصهيوني والسيطرة الاستعمارية مطلقا هي موالية اليوم ، ترى بوضوح أن المعركة لم تنته بعد ، وأن الهجمة الإسرائيلية الأمريكية مستمرة ، بمختلف الأشكال ، تستدعي أعلى درجات اليقظة والاستعداد ، وحشد القوى من أجل احباط محاولات تكريس نتائج العدوان الصهيوني ، وتصفية الحقوق القومية للشعب الفلسطيني العربي ، واخضاع المنطقة لنفوذ هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تمرير مشاريعها هذه .

وليس النظام الأردني في هذا المجال نور رأس الحركة الموجهة إلى صدر الشعب الفلسطيني وجميع الشعوب العربية .
إن إعلان كيسنجر ، من الدور الرئيسي الذي سوف يضطلع به الأردن في أزمة الشرق الأوسط ، ليس إلا إشارة في مجلة الاشارات إلى الصيغة التي تنهيا إلى عقدتها النظام الأردني كأداة إسرائيلية يجرى استثمارها لتصفية الحقوق القومية لشعب فلسطين ، وطمس شخصيته القومية وضرب مسيرته النضالية التحررية .

إن الأمانة العامة انطلاقًا من ادراكها لهذه الحقائق جميعًا تقدر ما يلي :
أولاً : مواصلة النضال ، بمختلف الوسائل ، وإلى جميع الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية ، هي أداة الطريق الصحيح والمؤدي لنصر الهجمة الإسرائيلية الأمريكية المستمرة ، واحباط المشاريع الرامية إلى تهر الشعوب العربية من جديد ، وذلك يتطلب استمرار مضاعفة الجهد لتعبئة القوى وحشد الامكانيات لتحرير الاراضي العربية المحتلة وحماية الحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

ثانياً : رفض كل التصويات التي تنطوي على تصفية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، أو ترمي إلى هدر حقه في مواصلة كبحه بمختلف الاشكال المسلحة والسياسية والجماعية ، من أجل تحريره الكامل لتراه الوطني .

ثالثاً : مقاومة جميع المحاولات الرامية إلى حرمان الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير مصيره ، وعودته إلى وطنه ، سواء بفرض الوصاية عليه ، أو اقتناع جهات مزورة تدعى النطق بلسانه . والتأكيد على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي وحدها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني العربي . ودموة جميع القوى والانظمة الوطنية إلى القيام بدور فعال في منع تنفيذ المخطط الأمريكي الإسرائيلي الذي يقوم النظام الملكي الأردني بدور أساسي فيه والرامي إلى تصفية القضية الفلسطينية من أساسها .

رابعاً : مواصلة النضال من أجل المزيد من تنظيم استخدام النقط العربي سلاحاً فعالاً في المعركة وتصعيد الاجراءات المتخذة في هذا النطاق نحو تأييد جميع المصالح البترولية الأمريكية في المنطقة العربية .

خامساً : اعتماد وتأييد مقررات مؤتمر الاقتصاد الدولي لبقايات العمال العرب ، فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة ، والدول المعادية للحركة العربية الوطنية ، وسحب الارصدة العربية من المصارف الأمريكية .

سادساً : التأكيد على وحدة جميع القوى العربية المناهضة كاساس لا بديل عنه لفرض استمرار انجواء التعبئة وحشد القوى والنضالين العرب الذي

يؤمن بتوظيف جميع الطاقات في المعركة والتأكيد على أهمية وتضرورة المشاركة العربية الشاملة في جميع القضايا والشئون المصرية .
مناجيا : تحية جريح القوى العالية والصديقة ، وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وسائر البلدان الاشتراكية ، التي وقفت - وما تزال تقف - الى جانب الشعب العربي في معركته المصرية ، والتفويه بموقف السلطان الافريقية التي سارعت بقطع علاقاتها بإسرائيل في إطار مستدة الفضل العربي .

ثامنا : تدعو الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية كل فروع الجبهة وجميع المنظمات الاعضاء فيها الى تنظيم سيلة نشاط جماهيرية واسعة بمختلف الوسائل من أجل رفع درجة الاستعداد واليقظة والتعبئة في صفوف الجياهير العربية وتصعيد الدعم والمساندة لمعركة المقاومة الفلسطينية في نضالها المصري خلال هذه المرحلة الحاسمة .



■ اس اس امم سمم سمم ■

حتى اذ اناسة المسمدون غمير معتملة لماذا يضطهدون حزب « راکاح » في اسرائيل ؟

في استفتاء أجرته الجبهة العبرية في القدس ، وافق ٧٣ في المائة من المشركيين في الاستفتاء على قرار وقف اطلاق النار ، وأعلن ٥٢ في المائة أن العرب يستحقون للمسلم (كانوا ٢٦ في المائة قبل الحرب الاخيرة) ، وقال ٤٤ في المائة أنه يجب إعادة سيناء مقابل اتفاق سلام .
والواقع أن كثيرون في اسرائيل بدأوا يحسمون أن الامور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه . ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الاولى الى دهاية اليسار الاسرائيلي ، خاصة للحزب الشيوعي الاسرائيلي راکاح الذي تعرض سكرتيره العام « مايير فلور » بسبب هذا لطعنة سكين من أحد المتطرفين في يونيو ١٩٦٧ ، وفي حرب أكتوبر اعتدى عليه بالشرب ثلاثة من زملائه في البرلمان من نواب لـحزب اليمين ومخذ اليوم الاول للحرب الاخيرة أعلن الحزب ضرورة وقف الحرب ، واقامة سلام دائم على أساس إعادة الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ ، والاعتراف للفلسطينيين بحقوقهم . وفي يوم ٩ أكتوبر اعتقل البوليس ٥ من أعضاء الحزب بالصفوف اعلانات تقضين قرار المكتب السياسي للحزب الذي يدعو لهذا . وعقب هذا اقتحم البوليس مقر لجنته المركزية ، وقلم باستمواب واعتقل عدد من الأشخاص ، لم يخرج منهم الا عندما احتج سكرتيره على ذلك في البرلمان ، وأن كانوا ما زالوا رهن التحقيق . وأسندت للجنة المركزية بياناً حول هذا أعلنت فيه ان ما تم انتهاك صلاخ للحقوق الديمقراطية ومحاوله لاضهاد سموت المقل والسلام وعمران الشعب من معرفة حقيقة السياسة اللاقوية لحكومة اسرائيل .

واستمرارا لهذا السط نثر « مايير فلور » السكرتير العام لحزب راکاح مقالاً في جريدة الحزب جاء فيه :

● بدا العدو الاسرائيلي في اثناء مزيد من الخبايا والجدوان الواقعة في مختلف اتجاه مدينة تل ابيب . وفكرت الانباء ان مجلس بلدية تل ابيب اجتمع وقرر بناء المزيد من الخبايا والنفقات داخل المدينة . كما تم ايضا بحث اقامة امنية ومواقف للسيارات تحت الارض .

القدس المحتلة

« نحن الشيوعيون الاسرائيليون نعلن للشعب مع احساننا العميق بالامم لكل يهودي او عربي يموت في هذه الحرب الدامية ، ويمثل احساننا بالمشيوية القومية : ان الحل موجود والمخرج متوافر ، ويمثل في الكف عن اراقة الدماء ، ووضع حد للاحتلال والسياسة التوسيع ، واقبله سلام عادل ودائم . ويمكن اقامة هذا السلام ، اذا تغيرت السياسة الاسرائيلية . وليس هناك سوى طريق واحد لذلك هو الاستجابة لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وللقرارات الاخرى التي اتخذتها بعد ذلك الامم المتحدة والتي يؤدي تطبيقها الى اقامة سلام عادل ودائم ، عن طريق انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي التي احتلت في ١٩٦٧ ، والاعتراف لدول اسرائيل بحق الوجود ذي السيادة وبالحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني .

ولقد كان في الامكان منع الحرب . فقد تحدث اقتراحات مختلفة لتحقيق السلام . لكن حكومة « جولدا مائير » رفضت هذه المقترحات ، وهاضمت وعزلت بكل الطرق تحقيق التقدم في طريق السلام ، وسمعت للتوسيع في الاراضي العربية وضمتها لدولة اسرائيل . وبدون المساعدة العسكرية والمالية والسياسية لواشنطن ، لما استطاعت الحكومة هرطقة اعاد السلام وتحدي الرأي العام العالمي . لقد شنت الحرب بهدف التوسيع الاقليمي ، وفرض سيطرة اسرائيل على الجولان السورية وعلى شبه جزيرة سيناء المصرية ، ولتحقيق المصالح الشاملة للامبريالية الامريكية .

« ونحن الشيوعيون ندمو جميع الرجال الناضجين سياسيا الى ان يوحدا جهودهم لوقف الفتن الابريالية ونهر لاهداف والسياسة التوسعية . ان سياسة حكومة اسرائيل مقضى عليها في نهاية المطاف ، بالفشل والخذلان .

وقد تأكد هذا الموقف لحزب راكاح في المناقشة التي جرت في البرلمان في اعقاب بيان جولدا مائير . فقد اعترض على سياسة الحكومة عند التصويت عليها ثلاث نواب شيوعيين فقط ، أما نواب الاحزاب المنضمة للائتلاف الحكومي وكذلك نواب « المعارضة » فقد اقبلوا اتحادا مقفما ، حول اهداف الحرب التي اعلنتها جولدا مائير .

وقد قدمت الهيئة البرلمانية للحزب الشيوعي الى الكنيست ، قرارا يطالب بوقف الحرب الدائرة في الشرق الاوسط . وينص القرار على ان السياسة العدوانية للحكومة الاسرائيلية هي السبب الرئيسي في هذه الحرب . ويطالب مشروع القرار بتطبيق قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والذي ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة .

وللحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) سياسة شئمة هي هذا الصدد عبر عنها في التقرير التمهيدى لمؤتمر الخامس عشر في ١٩٦٥ ، والذي جاء فيه :

« اننا نرفض النظرية القائلة بان اساس وسبب النزاع الاسرائيلي العربي ، يتمثل في وجود صدام بين قوميتين ، كل منهما ترفض الاعتراف بحقوق الاخرى . ان هذه النظرية تخفي دور الابريالية في خلق النزاع . وتخفي هذه النظرية من الناحية الموضوعية ، مخاطر :سياسة الرسمية لاسرائيل . ان نظرية الصراع بين قوميتين جعلت ممتقنة هذه النظرية يؤمنون بان السياسة المعادية للابريالية والتحولات الاجتماعية في بعض البلدان العربية وتضالها من اجل الحقوق المشروعة بشعب فلسطين ، بمثابة تطلعات قومية متطرفة ، تهدف الى تدمير دولة اسرائيل . وبدا لهم الامر كما لو ان السياسة العربية ونضالات الشعب العربية موجهة جميعها نحو اسرائيل . قد تكون هناك بعض الاتجاهات الشيوعية داخل

حركة التمرد العربية ، لكن هذه الظاهرة السلبية في قلب حركة التحرر العربي ليست سوى أمرا مؤقتا وغير أساسي ، ويجب على إسرائيل أن تكون هي البائدة بالاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي . وهكذا فإن مفتاح حل مشكلة فلسطين ، يوجد بين أيدي حكومة إسرائيل » .

كذلك فقد أعد الحزب عريضة جمع عليها توقيع امهات وزوجات الجنود ، وجاء في هذه العريضة « اننا والقلق يختصرنا على مصير أترينا ، وتحركتنا الرغبة في الا يكتب علينا ان تصبح أرامل وامهات نكلى بكيك ابناءهن ، نطالب بوقف اراقة الدماء فوراً . وبذل كل الجهود لمنع سقوط ضحايا جدد ، ووقف عمليات التدجير الجديدة » .

ولثناء مناقشة سياسة الحكومة في البرلمان ، هجم ثلاثة من نواب اليمين المتطرف على **هاير فلتر** سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي [راتاح] وضربه وهو على المنصة ، يتحدث عن مسئولية حكومة اسرائيل عن اراقة الدماء . وفي حديثه هذا الموجه لشعب اسرائيل ، اقتبس فلتر عبارة **انقول غرانسي** التي تقول : « انهم يعتقدون انهم يقاتلون في سبيل الوطن : لكنهم في الحقيقة يقاتلون في سبيل رجال الصناعة » وقال فلتر : يجب أن نضيف الى المعادلة السابقة « انهم يقاتلون في سبيل الاستعمار » . وبعد ضرب فلتر **رفش إيجال آلون** نائب رئيس الوزراء أعطاه الكلمة من جديد لفلتر ومع ذلك فقد نشرت صحيفة « **زوهاديويش** » في ١٥ أكتوبر ، رأى فلتر الذي قال فيه : ان تجنب الحرب كان ممكنا ، لو قبلت الحكومة مقترحات السلام التي تقدمت اليها . وأضاف : « ان الحكومة لم ترفض فقط كل مبادرة السلام ، وانما اتبعت ايضا سياسة دؤوبة لاستعمار الاراضي العربية المحتلة » ان ما يسمى « وثيقة جاليلي والتي تنهاى الائتلاف الموجود في السلطة (ائتلاف حكومي من حزبي العمل والمابام) كبرنامج رسمي ، قد أغلقت أبواب السلام .

« وأكثر من هذا ، فإن الحكومة قد قامت بصورة منتظمة بعمليات حربية ، واعتداءات عسكرية مبيتة ضد سوريا ولبنان (غارة القوات الجوية الاسرائيلية على سوريا ، اسقاط طائرة مدنية لبنانية ، الغارات والهجمات على بيروت) وبذلت كل جهدها لزيادة التوتر والاستفزاز » .
« وهكذا ، فمن الواضح تماما ان حكومة جولدا مائير قد رفضت كل تقدم نحو السلام ، بسبب رغبة في التوسع في الاراضي العربية المحتلة وضربا لدولة اسرائيل » .

« ومع ذلك فلا يمكن أن نفهم تهميد الحرب ، ما لم نضع في اعتبارنا المالح الامبريالي الأمريكي . فبدون أسلحة ونقود واشنطن وتاييها السياسي ، ما كانت الحكومة الاسرائيلية بقادرة على رفض السلام ، وعلى استفزاز الرأي العلم المالي بأسره ، وتهدى قرارات الامم المتحدة بوقاحة ، ولما استطاعت أن تظل غير محايدة بمزلقها السياسية » .
« ان الامبريالية الأمريكية لم تتخل عن اهدافها الاساسية في الشرق الاوسط وفي العالم العربي ، منذ أن دبرت مع حكومة اسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧ » . لقد كانت هذه الاهداف وما زالت . تتمثل في الاطاحة بالنظام المصادية للامبريالية في مصر وسوريا وفي البلاد العربية الاخرى » .

« وفي ١٠ أكتوبر نشر الجسرنال الاحتياطي **ماتياتياهو بيليد** بتالا معاديا للحرب والموسوفيت في معايرف بعنوان « الهدف السياسي » فما هو هذا الهدف في رأى الجنرال ؟ يقول ان الهزيمة العسكرية [لمصر وسوريا] حتى ولو لم يترتب عليها أى كسب ستؤدى الى تغييرات في المدى الطويل في هيكل النظامين في مصر وسوريا ، والى علاقات مختلفة بينهما وبين العالم أجمع ، وبين هذين البلدين وبعضهما البعض » .

« وهذا هو - حقا - الهدف النهائي لمن قاموا بمبادرة حرب ١٩٦٧ : تغيير السياسة الداخلية والخارجية للدول العربية المعادية للامبريالية »

« وفي سبيل هذا الهدف الشامل لاصحاب الميخيرات الامريكيين ، وللبقاء على التوسع الاقليمي والقضاء على الحقوق القومية لشعب فلسطين العربي ، يدعى الشبان الاسرائيليون للتضحية بأرواحهم ، لأنها ليست حربا في سبيل وجود اسرائيل وأمنها ، بلان بلدان العالم اجمع ، بما فيها البلدان العربية المجاورة ، لم تطرح قضية وجود دولة اسرائيل » .
« ان ما كنا نخشاه ، قد حدث . ان الحكومة الاسرائيلية تتفاوض علاقات القوى الحقيقية في العالم ولا تترك التغيير الذي طرأ عليها في الشرق الاوسط ، وتستمر في تطبيق سياسة مغامرة غير مسؤولة على الشاطئ القومي » .

« ونحن الشيوعيون نهبى بالوعى السياسي للجميع ونناشد الاحساس بالمسؤولية نحو مصير شعب اسرائيل ، لوقف الجنود العسكري التوسعي » .

وفي حديث أجراه جون فينكور مراسل الاسوشيتد برس مع هانز ليبريخت (٥٨ سنة) عضو اللجنة المركزية لحزب (راكم) ، قال ليبريخت ان أيام الحرب السبعة عشر الاخيرة لم تكن سهلة بالنسبة لقيادة الحزب ، لكن الوضع كان مختلفا للغاية منه في حرب الأيام الستة في ١٩٦٧ حيث كان الشيوعيون معزولين للغاية . أما هذه المرة ، لكل الناس كانوا ودودين تجاهي . ان الناس الى الحى الذى إعتن فيه يعرفون من أنا ، وكانوا عادة يستوقفونى ليسألونى الراى ، وتبينت هذه المرة ان اعدادا متزايدة من الاسرائيليين ادركت ان الامور لا يمكن ان تستمر على هذا النحو .

ان حزب راكم يريد ارجاع كافة الاراضى التى احتلت فى ١٩٦٧ الى العرب ، بالإضافة الى اعطاء اللاجئين الفلسطينيين الاراضى التى يطالبونها . ويقول ليبريخت انه موضع مراقبة مستمرة من الشرطة ، وأن ألفا من الماعطين على الحزب محددة لقامتهم . وعندما سأل المراسل هل يريد أن تضرب اسرائيل العرب ؟ قال : « أريد أن تقف فوراً ارافة الدماء » . لقد أعلن أن حرب ١٩٦٧ كانت حرباً عدوانية من جانب حكومة اسرائيل ، التى كانت تهدف الى قلب الحكومتين التقدميتين للمعادية فى مصر وسوريا . وقد نشبت الحرب الجديدة لان اسرائيل احتفظت بالاراضى المختصة فى ١٩٦٧ . وإذا كان بعض العرب يدعون لتدمير اسرائيل ، فهم تلة غير واقعية . ان المصريين واقعيون جدا . ولا اعتقد أن الحكومات العربية تهدف الى تدمير اسرائيل . ان سياسة اسرائيل التى تصر على الانطلاق من موقع القوة ، قد جعلت لها للعزلة فى العالم . بل ان الولايات المتحدة نفسها تزاد عزلة لتأييدها اسرائيل » . ويقول ليبريخت ان سياسة اسرائيل الحالية لن تزدى الا الى معارك جديدة ، ويؤكد ان الحزب قوسل الى اتناع الكثيرون بانهم لا يحاربون فى سبيل وجودهم » .

وفي المناقشة التى أجراها التكتيست حول اسرى الحرب ، منع « ماير فلور » من الكلام . ومن ثم أصدر الحزب بياناً مطبوعاً قال فيه : « للمتجهول بتسوية مسألة اسرى الحرب ، يجب على حكومة اسرائيل ان تنفذ اولويقة البند الاول فى قرار مجلس الامن رقم ٢٣٨ الصادر فى ٢٢ اكتوبر . ويطلب هذا القرار بوقف اطلاق النار فى المواقع التى يحتلها الطرفان فى ذلك اليوم ، وهذا يعنى انتمساح القوات من المواقع والاراضى التى احتلتها بعد هذا التاريخ . ان تنفيذ البند الاول من الاتفاق يسمح بالانتقال لتنفيذ البندين الاخرين : تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والفورضات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف المناسب لاقامة سلام هادئ ووطيد فى الشرق الاوسط . ولهذا فان انتمساح القوات من الاراضى التى تم غزوها بعد

● أعلن ماير لانسكى الذى يسمى وزير مالية مصالحة انفسا تبرعه بمليسون دولر لاسرائيل . وكان لانسكى قد تبرع لاسرائيل فى حرب ١٩٦٧ .

● وكان لانسكى قد حرب من اقبى عليه فى الولايات المتحدة ولجا الى اسرائيل ، ولكن اراء الفجة التى اثيرت حوله اضطر وزير داخلية اسرائيل الى منعه من التمتع بحقوق « قانسون العودة » واخراجا من البلاد واعتفى بأنه « العقل المالى » لعصابة الخلفاء . ومع ذلك تسلم منه بنحاس سايير وزير مالية اسرائيل التبرع . وصرح لانسكى للتصفيين بقوله « أنا يهودى قبل أى شىء ، وأن هذه الية شىء طبيعى عندما نقاتل اسرائيل فى سبيل وجودها » .

●

تطبيق قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ، هو المسألة الأساسية في الوقت الراهن ، التي تكفل تسويتها طرولاً أفضل للمضي إلى السلام الذي طال انتظاره » .

وفي زيارة لوفد حزب [زاكاح] لموسكو برئاسة « توفيق طوبى » عضو المكتب السياسى أعلن في بيان مشترك ضرورة « التنفيذ الدقيق لقرارات مجلس الأمن في ٢٢ و ٢٣ أكتوبر الماضى » . وصرح رئيس الوفد بأن الحرب الأخيرة قد أظهرت « أفلاس السياسة العدوانية للقادة الإسرائيليين الذين تساندتهم الأوساط الامبريالية في الولايات المتحدة » وقال إن أمن إسرائيل يتوقف « على سلام عادل مع البلاد العربية ، يكفل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى ولكانة دول المنطلة » بما فى ذلك حق إسرائيل » .



اليونان

انقلاب حتى على الديمقراطية الزائفة

على نمت انقلابات أمريكا اللاتينية التقليدية بجىء انقلاب اليونان العسكرى ضد سلطات عسكرية ليذفع بالموقف فى اليونان نحو منحى أشد خطورة مما كان عليه منذ وقوع الانقلاب العسكرى الأول فيها فى ٢١ أبريل عام ١٩٦٧ . وكما أن انقلاب ٢٥ نوفمبر ١٩٧٢ لن يكون نهاية أحداث الصراع بين القوى البيينية العسكرية والقوى الديمقراطية فى اليونان ، فانه لا ينبغي أن نغفل عن بدايات الأحداث التي عجلت بهذا الانقلاب الجديد ، لأنها ترسم الأسهم التي تشير إلى الأحداث المتوقعة بعده .

فى البداية كانت المناسبة الاحتفال - يوم ٤ نوفمبر - بذكرى وفاة رئيس الوزراء الأسبق جورج باباندريو عندما انفجرت المظاهرات فى أثينا ضد الحكومة اليونانية . وقد أوضحت هذه المظاهرات التى انفجرت بشكل فجائى أن الموقف لم يكن يحتاج لأكثر من مناسبة .

ورغم تصدى السلطات العسكرية بالقوة لهذه المظاهرة فإن المظاهرات لم تلبث أن تجددت ، وكما فى المظاهرة الأولى كان عنصر الشباب هو الغالب عليها . ولكن مظاهرات منتصف نوفمبر اتخذت شكلاً أشد عنفاً . واتضح خلالها أن وراءها قاعدة شعبية مؤيدة ، وأن منظمات المقاومة اليونانية التى اضطلعت فى السنوات الماضية منذ الانقلاب العسكرى فى أبريل ١٩٦٧ إلى اتخاذ مراكز لها خارج الاراضى اليونانية قد استطاعت أن تربط نشاطها بداخل اليونان .

وأوضحت أحداث منتصف نوفمبر أن السياسة القدامى الذين اتخذوا على مدى السنوات الماضية موقفاً سلبياً غالباً قد شجعتهم المظاهرات الشعبية ، وأن كان موقفهم الجديد أيضاً اتسم بالازدواجية . فعلى حين دافعوا عن حق الشباب فى طلب جو ديمقراطى إلا أنهم لم يبنوا عن التمرض بما أسسوه بالشمارات المتطرفة التى ظهرت خلال المظاهرات . وكانت هذه إشارة غير محايدة ، لأنهم لم يشيروا إلى بيئتهم - الذى أذاعه نيابة عنهم ياناس يوتس كاستيلو بولوس رئيس الوزراء وقت وقوع الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٧ - إلى تطرف إجراءات البوليس ثم الجيش ضد المتظاهرين .

وقد بررت الحكومة اليونانية مسلكتها ضد المظاهرات وسماحها بتدخل الجيش بعد كل ما اتخذته من إجراءات « لإعادة الحكم المدنى » . بما فى

● فى اجتماع حاشد فى مدينة بولونيا الإيطالية أعلن انريكو برلينغوير المسكرير العام للحزب الشيوعى الإيطالى - أن أحداث الأسابيع الأخيرة فى المنطقة العربية تشهد على أن الإمبريالية لم تغفل بعد عن سياسة التهديد والعدوان وتأييد العدوان .

● سلمت بريطانيا عدداً من طائرات الهليكوبتر المقاتلة إلى السلطات العسكرية الفاشية فى ليبيا . والمصروف أن مجموعات أخرى من هذه الطائرات ستسلم إلى حكومة ليبيا . كما طلبت الحكومة العسكرية شراء طائرات جيتن البريطانية من الحكومة البريطانية » .

● نواصل حكومة الانقلاب العسكري الفاشي في شسلي
تصفية المكتسبات التقدمية التي
تمكّنت في عهد حكومة الوحدة
الشعبية برئاسة الرئيس
الشهيد سلفادور الليندي
وكانت حكومة الانقلاب قد
مرت في الفترة الأخيرة إعادة
فلسبات الشركات المملوكة إلى
أصحابها الرسميين الأجانب
والمحليين

وتستخدم الحكومة العسكرية اساليب وحشية في قمع اشرار الطبقة العاملة النشوية حيث تقوم بقتل العمال المناضلين وتشويه جثثهم والقائها عند محطات الاوتوبيس والاماكن العامة ، وخاصة في الاهياء القليلة في العاصمة صنعاء.

ذلك استنفاذ الجمهورية - بأنها رأت أنّ التظاهرين أرادوا تصويق الإجراءات القاعدية الرامية إلى إجراء انتخابات عامة - وقد حاولت بهذا أن تتصور قيادات المظاهرات الشعبية بأنها محلدية للديمقراطية . ولكن هذه القيادات نفسها أبصرتهم من بينات لم تخف أنّ تلك تفت يد الإجراءات الحكومية الرامية إلى انتخابات عامة . ولكن ذلك كان ينطبق مختلف .

فقد أعلن بيانهم الرئيسى « أن الشرط الاول لحل مشكلات الشعب هو السقوط الفورى لحكم المجلس العسكرى المستبد واقامة سيادة الشعب » . كما ربط البيان هذا المطلب الاولى بضرورة « استعادة الاستقلال الوطنى من المصالح الاجنبية التى تؤيد هذا الاستبداد فى بلادنا منذ سنوات » .

ومن ناحية أخرى كشفت بيانات جهازها المتطاهرين - التي كانت تمثل الاتهامات وعلى خلفية مختلفة - أن إجراء الانتخابات في ظل نظام الحكم القائم يفضي على هذا النظام شرعية دون أن يقدم ضمانات كافية للشعب بأن تكون لهم السلطة التشريعية بسبب طبيعة الدستور الذي أعده المستكبرون، والذي يعطي الرئيس الجمهورية - جورج يانبا دويوبولوس زعيم الانقلاب العسكري - نفسه - سلطات تنفيذية وتشريعية واسعة.

كذلك فإن القوى الشعبية تخشى أن تؤدي مثل هذه الانتخابات الى جعل نظام الحكم اليوناني مقبولا من المنظمات الدولية العديدة التي وقفت حتى الآن ضد اجراءاته غير الديمقراطية .

ومن الواضح بعد هذا كله أن القوى التي قامت بالانقلاب العسكري - حتى وإن كانت بعض المصادر تشير إلى أنها « مدنية » للملك تسيطر - لم تقنع بالحدود العنيفة التي مارستها حكومة إبانو بيولوس في مواجهة المظاهرات الجماهيرية . كما أنها لم ترضى عن وجود حكومة مختبة يبارس المكيرون والسلطة من وراء واجهتها . وهذا العاملان يفسرها - تفسيراً سياسياً واضحاً - بيان قيادة الانقلاب الجديد الذي أعلن أن الجيش سبق أن تدخل عام ١٩٦٧ لانقاذ البلاد من الفوضى . وبدلاً من ذلك فقد وجهت جهود القاطنين على الحكم إلى إبعاد القوات المسلحة عن رسالتها الوطنية . *

وهكذا فإن مظاهرات الجماهير في منتصف نوفمبر قد أشعرت المسؤولين اليونانيين بأن القضية الاستراتيجية على السطحة ليست بالقوة التي كانت بها قبل تكوين حكومة مذنية، وإن جورج بابادوبولوس يعد أن اضطر إلى الإجراءات التي كفلت له أن يصبح رئيسا للجمهورية أصبح ملزما بالانزواء الشكلي بتصرفات الحكومات المذنية، وأصبح يتحدث كثيرا عن الانتخابات والنظام البرلماني.

ومع ذلك فينبغي أن لا نغفل عن حقيقة أساسية هي أن حكومة بايادوبولوس هي التي حفرت قبرها بنفسها عندما لجأت إلى القوات المسلحة مباشرة لمواجهة مظاهرات الجماهير في منتصف نوفمبر - ولقد كانت أحداث انقلاب عام ١٩٦٧ قد ظهرت بوضوح أن العناصر اليمينية هي القوات المسلحة اليونانية - ولها اليد الأعلى فيها - لن تكفي بدور حماية الحكومات ومساعدتها على البقاء - لقد قرر المسكريون في عام ١٩٦٧ أن يكون الحكم لهم مباشرة - وفي عام ١٩٧٣ فلانهم أرادوا تأكيد هذا القرار وهم ابتعادهم عن مجرمة واحدة -

وربما كان لهذا الغرض بذات قرارهم بإعادة الشعور العسكري للدولة الذي اتخذ منذ انقلاب عام ١٩٦٧ والذي لم يبلغ الا بعد " الاستفتاء " الذي افضى الى تولي ماياكوبولوس رئاسة الجمهورية .

والشيء المؤكد بعد ذلك أن الشيء الذي نبحث فيه المظاهرات الجماهيرية في منتصف نوفمبر - وأن بدا أنها عجلت بالانقلاب العسكري الجديد - هو أنها كشفت أمام العالم كيف اتفقت إجراءات إعادة اليونان إلى الديمقراطية، وأكدت أنه - رغم كل شيء - فإن المقاومة مستمرة.

■ أوروبا القوية ■

فشل أمريكي في التوسيع مع أوروبا الغربية

هناك معلومات تقول أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ندمت خطة لحلفائها في حلف الاطلنطي ، تتضمن الإجراءات الطارئة التي يجب اتخاذها في حالة اندلاع حرب جديدة في منطقة الشرق الاوسط ، وقد كشف النقاب أيضا عن هذه الخطة . وقبل أن نعرض هذه الخطة نحب أن نقول أن الدول أعضاء حلف الاطلنطي هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والدانمرك والنرويج ولوكسمبرج وإيسلندة وتركيا والبرتغال واليونان ، ثم بريطانيا وأخيرا فرنسا التي تتخذ موقفا خاصا في الحلف ، ومن القضايا الدولية بشكل عام .

لقد نوقت طريقة مواجهة الازمة البترولية عند احتمالات نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط ، داخل حلف الاطلنطي ، وكانت نتيجة المناقشات :

أولا : على دول أوروبا الغربية أن تخفف جزئيا من البترول المستهلك . ويصاد تصدير البترول من الدول الغربية إلى الولايات المتحدة ، وفي حالات الضرورة تفرز ناقلات البترول طريقها لتذهب فوراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ثانياً : اتفقت الدول أعضاء حلف الاطلنطي على أن تعطي أولوية التزود بالبترول ، في حالة تجدد القتال في الشرق الاوسط ، لاسطول الولايات المتحدة الأمريكية . ويمكن أن يستخدم هذا البترول ، ليس في الأغراض العسكرية المحدودة للحلف فحسب ، ولكن في نفس الوقت يمكن للولايات المتحدة أن تستخدمه في أغراضها الاستراتيجية العسكرية . وقد اتفق المستوطنون في الحلف على استخدام مخزون الحلف من البترول في حالة الطوارئ ، لسد الاحتياجات المباشرة للولايات المتحدة (وعلى سبيل المثال في حالة نقص موارد البترول الأمريكية بسبب التهديد من الخارج) .

وقد تأسست هذه الخطة نتيجة للاعتقاد بتفوق الجيش الاسرائيلي وقدرته على الردع ، وعدم قدرة العرب على القيام بأي هجوم على اسرائيل . أي أن الخطة كانت قائمة على أنه في حالة نشوب حرب جديدة ، ستكون هذه الحرب خاطفة ومريعة ، كما وضعت اسرائيل في استراتيجيتها .

وعلى هذا الأساس ، وطبقاً للاتفاقيات السرية الموقعة بين أعضاء حلف الاطلنطي ، أعلن نيكسون وكيسنجر أنه ليس هناك أدنى خطر من أزمة البترول على الولايات المتحدة الأمريكية . وعلى هذه ، لاتفاقيات أيضا اعتبرت الولايات المتحدة في تزويد اسرائيل بالسلاح عن طريق جسر جوي عبر البحر الأبيض ، عندما تجدد القتال في سيناء والجلان .

ولم تأت هذه الاتفاقات عرضاً ، فالتعاون بين أعضاء الحلف ، أو على وجه الدقة بين بعض دول أوروبا الغربية وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، في مجال البترول في حالة تجدد نشوب القتال في الشرق الاوسط ، هو نتيجة سياسة أمريكية وضعتها عدد من الخبراء الأمريكيين المتخصصين ، وأهمهم وأشهرهم الآن ، جيمس إيكينز الذي قال عنه ستيفن روزفيلد في مقال له في « الواشنطن بوست » (٣ - ٢ - ٧٢) :

« جيمس إيكينز ، دبلوماسي ذكي ألمى إلى درجة كبيرة ، علم بموضوعه متعمق في تخصصه . وقد أدى كل هذا إلى تكليفه في العام الماضي بأعداد تقرير لنيكسون عن أزمة الطاقة في الولايات المتحدة الأمريكية » .

وقد ركز ستيفن روزفيلد على أهمية هذا الخبر الأمريكي ، وعبقريته

● نشرت وكالة انباء المانيا الديمقراطية تقريراً من المساعدات العسكرية الضخمة التي تقدمها الولايات المتحدة والمانيا الغربية إلى اسرائيل، وكذلك المساعدات الأمريكية لتعزيز قطاع الصناعات الحربية بإسرائيل .

وقد جاء في التقرير أن الولايات المتحدة قد استوفت حوالي ثمانية آلاف مليون دولار في اسرائيل منذ استقلالها عام ١٩٤٨ وحتى يونيو ١٩٧٧ . وأن هذا القدر من الاستثمارات قد تضاعف خلال العامين التاليين لعام ١٩٧٧ ، وبالنسبة لعدد سكان اسرائيل فإن هذه المبالغ تعتبر أكبر مبالغ استثمرتها الولايات المتحدة في بلد أجنبي . أما حكومة المانيا الغربية فقد قدمت لاسرائيل حوالي ٢ آلاف و٥٠٠ مليون مارك في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٥ وذلك في نطاق مايسمى بالقرعة الصمودية . ولقد رأت هذه المساعدات بدء عام ١٩٧٧ بدرجة كبيرة .

● اتفاق كلوس شويتز
مبدع برلين الغربية إلى جانب
الولايات المتحدة في النزاع
بينها وبين ألمانيا الغربية بشأن
نسخات الأسلحة النووية إلى
إسرائيل عن طريق أراضي ألمانيا
الغربية . وقال - وقتها -
في حديث لصحيفة (مورجن
بوست) الألمانية الغربية
بأنه يجب أن يكون في الامكان
الجمع بين العباد المسيحية
وبمساعدة الإصدقاء في وقت
الحاجة .

وكما أن الغرب المسيحي
الديمقراطي المعارض انتقد
موقف غيلى برانت - وذكر
نعتهم رسمي باسم الغرب ،
أن الحكومة بدلا من أن تنف
إلى جانب الولايات المتحدة
فإنها تمنحها علانية .

في رسم السياسة البترولية خلال الأزمات مع عدد من رجال الحكومة
الأمريكية المسؤولين ، الذين قالوا أنهم « يشكون في صحة وجود أزمة طاقة
حقيقية في الولايات المتحدة » .

ولقد كانت مجهودات روزفيلد للتعريف بليكيزن تشيخ مع أهداف
بعض الجماعات في الولايات المتحدة ، تلك الجماعات التي تصارع من
أجل « سياسة تعاونية » ، وبالأذات في مجال استهلاك البترول ، للتنسيق
مع دول أوروبا الغربية ، وما يستدعي ذلك من عدم تخطيها والقفز من
فوقها .

ثم دارت مناقشات حول التنسيق مع دول أوروبا الغربية وأعضاء حلف
الاطلنتي في السياسة البترولية ، لتستفيد الولايات المتحدة في حالة
حدوث أي طوارئ في الشرق الأوسط . ولنذكر هنا بالعرف ما قاله
هاتفيلد عضو لجنة الشؤون الداخلية بالكونجرس الأمريكي - لقد أعلن
أمام الكونجرس في ٢٣ يناير ١٩٧٢ :

« إن استهلاك الولايات المتحدة للبترول استهلاك « نهم » ، لقد كان عام
١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل في اليوم الواحد . ويرتفع هذا الرقم ليصل
إلى ٢٤ مليون برميل في عام ١٩٨٠ ، وهذا طبقا لما يقوله الخبير الدولي
ايكينز في محاضرة له بمعهد البترول الأمريكي يلويس انجيليس بكاليفورنيا
في ٦ يونيو ١٩٧٢ . وحتى نفى بهذه الإحتياجات ، فنحن لا ننتج سوى
١١٢ مليون برميل (إحصائيات عام ١٩٧١) وسنقود الباقي من كندا
وفنزويلا والشرق الأوسط . ونأمل أن يزداد معدل إنتاجنا بأكثر من نصف
مليون برميل يوميا خلال عام ١٩٨٥ . والحقيقة أن هناك تقديرات أقل
تفلاؤا من هذه تقول بأن إنتاجنا سيقل بنسبة ٣٠ في المئة بين عامي ١٩٧٠
و ١٩٨٥ . ولهذا فإنه لما كان طلبنا على البترول يرتفع بشكل هائل ،
ويرتفع إنتاجنا بشكل طفيف وحتى قد يتخفف ، فسيضاعف ما سنسوقه
من البترول ثلاث مرات في عام ١٩٨٠ ، وقد يتضاعف خمس مرات عام
١٩٨٥ . وهذا يعني بوضوح زيادة اعتمادنا على الحكومات الأجنبية
المنتجة للبترول . ويستثناء كندا وفنزويلا ، فإن ٧٠ في المئة من وارداتنا
من البترول ستكون من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا » .

ثم رسم السيناتور هاتفيلد صورة للموقف البترولي لدول أوروبا الغربية
واليابان وركز على ضرورة رسم سياسة بترولية أمريكية يمكنها أن تواجه
احتمالات المستقبل . ولكن لعل أقرب توقعات السيناتور كانت بخصوص
بترول الدول العربية واستخدامه كسلاح في وجه الولايات المتحدة
وسياستها الإمبريالية المؤيدة لإسرائيل في حالة قيام حرب . ويبدو أن
حسابات السيناتور كانت بنظ العقول الالكترونية التي قامت بالحسابات
الأمريكية والتوقعات في فينتام . فقد توقع السيناتور ألا يستخدم العرب
البترول كسلاح - لاحظ أن الخطاب في يناير الماضي .

« أن آخر ماتوقعه من العرب هو أن يوقفوا ضخ البترول » ثم
علق « هنري كيسنجر » في رده على بعض الأسئلة في هذا المجال بقوله:
« إن علاقتنا مع أهم مصادر استيرادنا من بترول الشرق الأوسط
وهي السعودية وإيران حسنة جدا ، ونستفيد حدوث تطورات في المستقبل
تجعلهم يقطعون أمداداتنا البترولية » .

■ سياسة جديدة

من هنا نقول ، أن هناك مجموعة في الكونجرس الأمريكي ومن
المسؤولين الأمريكيين ، كانوا جادين في وضع معالم « سياسة بترولية
جديدة » للولايات المتحدة الأمريكية . وكانت هذه السياسة تعتمد - قبل ٦
أكتوبر - ، وبطبيعة الحال ، على إسرائيل « كبلطجي » لحراسة المصالح
الأمريكية في المنطقة . ولكنها في نفس الوقت تعتمد على إجراء بعض

التغيرات في علاقة الولايات المتحدة بالدول العربية وخاصة تلك المنتجة للبتروöl ، يقول هاتفيلد :

« ان مسار هذه السياسة ليس سرا خافيا على احد * غالبية اسرائيل ، فاننا نؤكد ونعلن باستمرار تمهينا لوجودها ، وتمهينا هذا يجب وسيستمر كجزء اساسي من سياستنا ، ولكن اسرائيل ستستفيد ، كما ستستفيد نحن من سياستنا الايجابية نحو العرب * لاذ اعتمد الوجود الاسرائيلي سياسيا واقتصاديا على الولايات المتحدة * من هنا فلو تعرض الاقتصاد الأمريكي ، وقوة الدولار ، وأمن وثروة هذه الأمة للخطر ، فان اسرائيل ستعرض له بالمثل »

هذه السياسة الجديدة تتجسد في خطة « جيمس ايكنز » * ومن أجل معارضة أفكار ايكنز تنشر ال « يو اس بوليتيكال ساينس » عددا من الدراسات والمقالات ، بينها مقال بقلم جون كميل وهيلين خاروس تحت عنوان « الغرب والشرق الاوسط » نشره « مكتب العلاقات الخارجية » ، والجزء الاخير هو أهم جزء في هذه الدراسة ، وهو تحت عنوان : « الدول المتقدمة : سياسات منفصلة أم مترابطة ؟ » * ويوضح الكاتبان هذا السؤال :

هل بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية واليابان ، صراعات مصالح ، أم طرق مختلفة في النظر الى المصالح التي يتقاسمونها ؟ انهم يجب ان يتوصلوا الى طريقة للعمل المشترك ، والا فستكون هناك سياسات مختلفة ومنفصلة ؟ »

وتركز الدراسة على واجب الدول الغربية الاربعة في قبول « سياسة التنسيق والتعاون » مع الولايات المتحدة ، حتى في المجالات التي قد لا تخدم فيها مصالح أوروبا الغربية واضحة * ان وجود القوات الاربعة تحت علم حلف الاطلسي يتطلب فهم الولايات المتحدة عن غرض واجدها ، كذلك فتم دول أوروبا الغربية بالهمة المزدوجة للاستطول السادس في البحر الابيض المتوسط لانجاز مهمات حلف الاطلسي وايضا لحماية المصالح الأمريكية في الشرق الاوسط ، تلك المصالح التي ليس لها علاقة بحلف الاطلسي أو أوروبا * فلو ارادت الولايات المتحدة - على سبيل المثال - ان يتحرك الاستطول السادس الى نقطة ما في شرق البحر الابيض المتوسط لتحول دون تحرك عسكري ضد اسرائيل ، فانها لا تتوقع تعاون الوحدات الاربعة الغربية الا في حالة موافقة الدول المعنية على الهدف السياسي * ان الدفاع العسكري يدفع بالتالي الدول الاربعة لفهمه لنفسه سياسيا ، والمصلحة الاممية لأوروبا هي بطبيعة الحال الا تقوم بحرب في الشرق الاوسط ، وان تتم تسوية المشكلة حتى لا تؤثر بشكل أو بآخر على أمن أو تزويد الاسواق الاربعة بالبتروöl * « لهذا فمن الضروري للولايات المتحدة ان تعمل جنبا الى جنب مع أوروبا العربية على طريق سياسة بتروولية طويلة المدى تؤدي الى تقليل اعتماد الجميع على بتروöl الشرق الاوسط وشمال افريقيا * وماذا لو لم تتسق الدول المنتجة سياساتها البتروولية معا ؟ ستكون النتيجة ان تصبح الولايات المتحدة ، وحدها تحاول ان تتاور بين اسرائيل وبين العرب والروس دون فرصة للنجاح أو للخروج من الازمة * ولان كل دولة من دول أوروبا الغربية تنظر الى مصالحها الخاصة ستكون النتيجة محاولة كل منها ان تخلص من سياسات الولايات المتحدة التي تساند اسرائيل أكثر منها ، وتثير سحب الحرب الباردة * وقد تستدير الدول الاربعة لترتب امورها مع الدول العربية على حساب كل من اسرائيل والمصالح الأمريكية * ومعنى هذا في المسائل البتروولية ، ان يؤدي ذلك الى احتمال الاحتكاك بين شركات البتروöl الأمريكية وشركات البتروöl الاربعة والفرنسية ، وبين واشنطن وحلفائها

وتكون النتيجة الحتمية هي استغلال حكومات دول الشرق الأوسط والكرومين لهذه الخلافات !

■ الخطة في التطبيق

ولكن اتضح ان هذه الخطة التي قدمها السيد « ايكيڤ » خطة خيالية لم تضع في اعتبارها كثيرا من التغيرات التي اجتاحت العالم ، والتي ظهرت بعد ذلك في الصراع بين قوى الامبريالية والصهيونية من جانب وقوى التحرر الوطني العربي من الجانب الاخر في الشرق الاوسط .
فالحرب الرابعة كانت مفاجئة لاسرائيل وللولايات المتحدة الامريكية كذلك وهي نفس الوقت طالت الحرب الى درجة تمنى منها اسرائيل ويحاشي منها اقتصادها .

ولقد كانت « امريكا متأكدة بانها مهما عملت فقلنا سنظل نرسل النفط والنفود اليها » . ولم تضع في خطتها ان تقطع عنها الدول امريكية المنتجة للبتروول ، امداداتها البتروولية .

وتحصل الولايات المتحدة على ٦ في المائة فقط من بتروولها بصورة مباشرة من الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، وهو ما يساوي مليونا من استهلاكها اليومي الذي يبلغ ١٨ مليون برميل . كما ان هناك ٥٠٠ الف برميل أخرى من البتروول الخام أو منتجات البتروول تصل اليها على نحو غير مباشر عن طريق أوروبا .
وجدير بالذكر ان نقاط الشحن الرئيسية للبتروول هي إيطاليا وبلجيكا وهولندا - وقد قررت إيطاليا بالفعل وقف تصدير الكيروسين والجازولين ، بينما أعلنت كل من بلجيكا وهولندا فرض متطلبات خاصة لاصدار تصاريح تصدير البتروول .
وفي العادة ، فإن الولايات المتحدة تشتري كميات ضخمة من البتروول الذي يستخدم وقودا للتدفئة من أوروبا في هذا الوقت من السنة ، ويمكن أن يؤدي الحظر المفروض على التصدير الى تفاقم النقص الذي سيجاني منه الأمريكيون هذا العام . (المصدر السابق)

لقد كان من أهم نتائج حرب ٦ أكتوبر ان انفجرت التناقضات بين دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة .
« ولم تكن علاقات أمريكا مع بريطانيا وأوروبا الغربية أموا أبدا مما هي الآن منذ حرب السويس السابقة قبل ١٧، عاما بحت .
وقد بدأ خلال الأسبوع الماضي أن ادوار عام ١٩٥٦ قد قلبت رأسا على عقب .
فالولايات المتحدة تبدي نفس الازدراء والغضب تجاه حلفائها في حلف الاطلنطي بسبب افتقارهم المزعوم الى التأييد فيما يتعلق بالشرق الاوسط على النحو الذي ابداه كل من انتقوني ايذن وجي موليه تجاه الرئيس ايزنهاور ، ابان حرب السويس .
ان اسباب الصراع هي نفسها : الصدام بين مصالح أوروبا البتروولية في الشرق الاوسط وقلق الاستراتيجية المالية الامريكية من القوة السوفيتية وشرها على اسرائيل والدول العربية .
ولكن الوسائل التي استخدمها الأوروبيون ، وتلك التي استخدمها الأمريكيون للسمي الى مصالحهم ، قد تحولت بالكامل » (مقال روبرت ستيفنز ٩ - ١١ - ١٩٧٣)

النتيجة إذن ليست خطة يجتمع عليها اعضاء الحلف ، بل تناقضات حادة ازدادت بنشوب الحرب ، وتوَّج هذه التناقضات بدعوة الرئيس بوبيندو الى مؤتمر قمة أوربي لكي ترسم ١٧ دولة أوروبية غربية سياسة مشتركة تعرب عن مصالحها وبالأذات البتروولية ،

ولقد كان اجتماع وزراء خارجية الدول الأوروبية التسع ، وقرار الذي أصدره ضربة ميسامية خطيرة سواء للموقف الأمريكي أو للموقف الاسرائيلي ، ولعل أوضح تعبير عن وجهة النظر الاسرائيلية تجاه هذا الموقف هو تصريح « موشيه آلون » سفير اسرائيل لدى المصوف المشتركة الذي أعرب فيه عن دهشته واستنائه من بيان الدول التسع ووصفه بأنه « بيان احادي الجانب ، بل وموأل للحرب » (رويترز - ٧ - ١١ - ١٩٧٣) .

قضية الشرق الأوسط في جمعية عمومية لشعوب العالم

موسكو : من انجي افلاطون :

● أكثر من ٧٠ حزبا شيوعيا وعاليا (ويمثلهم ٥٥٠ شخص) .

أما باقى المندوبين فكانوا يمثلون ٩ منظمات دولية ، غير حكومية تابعة للأمم المتحدة ، و ١٧٧ منظمة دولية وإقليمية . وعددا كبيرا من مهلات الاتحادات النسائية الجماهيرية والاتحادات العمالية والنقابية ، وشخصيات بارزة فى عالم العلوم والفنون والآداب ، وكلهم حريصون كل الحرص على تحقيق نفس الهدف ، ألا وهو الدفاع عن السلام ، وإنقاذ العالم من ويلات حرب نووية مدمرة .

« إن مؤتمرا ليس تذكارا للماضى ، انه شيء جديد ، شيء لم يحصل إطلاقا من قبل » . هكذا ، قال روميش شاندورا ، رئيس المؤتمر العالمى للقوى المحبة للسلام ، فى كلمته يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٢ ، يوم افتتاحه فى قصر الاجتماعات فى الكرملين ، فمبر - بقوله هذا - من رأى وإحساس أغلب المندوبين .

لماذا ٥٥٠ وما هو الجديد فى هذا المؤتمر ؟

الأعداد للمؤتمر الدولى للقوى المحبة للسلام

وإذا صح أن « مجلس السلام العالمى » هو الذى يادر بطرح فكرة هذا المؤتمر الواسع الكبير ، فلم ينبغ من ذهنه - لحظة واحدة - أهمية تكوين « لجنة تحضيرية دولية » ، تضم عددا كبيرا من منظمات وشخصيات جديدة بارزة ، ذات نفوذ وتأثير على قطاع واسع من الرأى العام العالمى ، وكل ذلك من أجل تحضير وتنظيم أوسع مؤتمر عالمى لقوى السلام عقد حتى اليوم .

وفى الوقت نفسه ، أرسل المجلس الى كافة المجالس ، والى لجان السلام الاقليمية ، توصية ملحة ، تطالبها بتكوين لجان تحضيرية واسعة فى كل بلد على حدة . حتى يشمل التحضير أوسع القوى الممكنة ، وكافة الاتجاهات السياسية والاجتماعية فى تلك البلدان ، طالما أن هدفا واحدا يجمعها : هو قضية حماية السلام .

وقد تمكنت اللجنة التحضيرية ، طوال الفترة السابقة للمؤتمر ، بأربع كلمات أو شعارات ذات دلالة عميقة هي :

جنبا الى جنب ، والانفتاح ، والحوار ، والعمل
النشط المستمر .

وتمنى هذه الكلمات الأربع ، أهمية الانفتاح على منظمات وتكتلات تضم جماهير واسعة واجدية ، كانت بعيدة - فعلا - حتى عن مؤتمرات واجتماعات مجلس السلام العالمى ،

فلاول مرة ، منذ أن تأسس مجلس السلام العالمى عام ١٩٤٩ ، بل ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، يجتمع هذا العدد الضخم (٢٢٠٠ مندوب) يمثلون كافة الاتجاهات والتيارات السياسية والاجتماعية ، ومن ١٤٤ دولة ذات نظم اجتماعية مختلفة . وفود من أنصار السلام من الدول الاشتراكية ، ومن الدول الرأسمالية ، ومن الدول النامية ، ومن البلدان التى لازالت تناضل من أجل الاستقلال والديمقراطية والتحرور الوطنى . كما جاء الى المؤتمر ١٢٢ منظمة عالمية وإقليمية وأكثر من ٢٠٠ أعضاء مجالس نيابية قومية .

ولكى ندرك التركيب السياسى الحقيقى للمؤتمر ، ومدى تنوع القوى المشتركة فيه لأول مرة ، سنعطى بعض الأرقام :

● ١٠٠ منظمة تنتمى الى الاتجاه الحزبى الديسوتراطى الشيوعى والليبرالى والفلاحى (وهذه المنظمات كان يمثلها تقريبا ٦٠٠ شخص) .

● أكثر من ٣٠ حزبا اشتراكيا ، واشتراكيا وديمقراطى وطنى (يمثلهم ٢٠٠ شخص) .

● أكثر من ٦٠ حزبا ومنظمة للتحرر الوطنى وديمقراطى وطنى (يمثلهم ٣٠٠ شخص) .

بالرغم من تقارب أهدافها . كانت تعنى تمجيد الكمال مع مجلس السلام العالمي مسئولية حماية السلام ، والعمل النشط من أجله ، بالرغم من الاختلافات في الآراء والمعتقدات والأهداف السياسية .

وبالحوار الواسع والحر ، على الصميين الاقليمي والعالمي ، يمكن أن نهي الخلافات التي تعتبر ثانوية ، اذا قيسبت بحماية الهدف الرئيسي ، وهو أهمية النضال من أجل سلام عادل قائم على احترام مصالح وحقوق جميع الشعوب . فبدون هذا السلام العادل ، تصبح القيم والثروات الهائلة الموجودة - اليوم - في العالم ، مهددة تهديدا مباشرا بالزوال والخراب ، بل وبالتهديم المطلق .

عصر انصارات الشعوب

فاذا سألنا بعد ذلك : لماذا أمكن - اليوم فقط - تنظيم وإنجاح هذا النوع من التجمع الهائل ، هذه الجمعية العمومية لشعوب العالم . . في موسكو ، ولماذا لم يكن من الممكن أن يعقد من قبل . فإن الرد لابد وأن يرتبط ارتباطا وثيقا بالملحظة التاريخية الحاسمة التي يمر بها العالم ، والتي تتميز بتعاظم قوى السلام والاشتراكية والتحرر الوطني ، وبتمتعهم بالنضال المثير البطولي للشعوب ضد قوى الإمبريالية والحرب في كل مكان .

« فاذا تمحيضا عن الامم ، فإن خطر نشوب حرب عالمية توتوية ، هذا الخطر الذي ظل يتهدد البشرية منذ النصف الثاني من الاربعينات قد أخذ يتقلص ، وتصبح آفاق الحفاظ على السلام العالمي أفضل ، كما يصبح مضمونه ، أرحب مما كانت منذ عشرة أو اثني عشرة سنة مضت . وببكتنا أن نقول ذلك بكل ثقة » - (من خطاب ليونيد بريجنيف ، في المؤتمر العالمي للقوى المحبة للسلام في موسكو) .

فاذا سألنا - أيضا - ولماذا اختيرت موسكو عاصمة الاتحاد السوفيتي مكانا لاتعقد هذا المؤتمر الكبير للقوى المحبة للسلام ، فإنه لن يكون من قبيل التعميف أن نجيب على هذا التساؤل بأن أول مرسوم أصدرته أول دولة اشتراكية في العالم منذ ٥٦ سنة ، وفي غيار الحرب المالية الأولى ، هو «مرسوم السلام» الذي صاغه لينين . لقد كان « السلام للشعوب » أحد الشعارات الأساسية للدولة السوفيتية الفتية .

- وفي هذه الوثيقة التاريخية توجهت حكومة العمال والفلاحين لروسيا السوفيتية لا إلى الحكومات فحسب ، بل إلى شعوب جميع البلدان ، محبرة من الطوبخ الذي لا يتزعزع لدولتنا نحو سلام ديموقراطي عادل . ولوكذ : نحو سلام عادل ، سلام ديموقراطي أي قائم على أساس احترام حقوق ومصالح جميع الشعوب - وخلال السنوات التي مرت بعد ثورة أكتوبر العظمى كنا

نناضل على الدوام بدباب وما زلنا نناضل من أجل انتصار مثل هذا السلام على كوكبنا - (من خطاب بريجنيف في المؤتمر) .

إن النضال المستمر والعنيد للشعب السوفيتي من أجل انتصار السلام العادل في العالم ، بل ومساندته الفعالة والمبدئية لجميع الشعوب التي تكافح من أجل التحرر والسيادة الوطنية والديموقراطية ، أن هذا خير مثال يذكى مدينة موسكو لتكون المقر المناسب لذلك الحشد السالدي الكبير . كما يذكى أيضا حرارة الاستقبال الذي شعرنا به ، نحن العرب ، وباقي الوفود ، أثناء وجودنا ، وحاس الملايين من أفراد الشعب السوفيتي الذين ساهموا واشتركوا اشتراكا فعليا في تحضير وإنجاح هذا المؤتمر الكبير .

وأخيرا فإنه مما يدل على الأهمية التي كان يملتها المسئولون السوفيتي على هذا المؤتمر التاريخي أن لجنة الرئاسة للحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة السوفيتية ، حرصت على أن تحضر جلسات المؤتمر بكامل هيئتها يومين متتاليين : في مساء يوم الافتتاح في ٢٥ أكتوبر ثم في اليوم التالي حينما ألقى الرفيق بريجنيف خطابه الهام الذي استغرق ساعتين ونصف الساعة .

لقد وضعت اللجنة التحضيرية الدولية لإلحة عمل تتضمن أسلوب عمل جديد يتماشى مع المتطلبات الجديدة لهذا المؤتمر الكبير ، فنصت لألحة العمل - التي ووفق عليها بالإجماع منذ بدأ المؤتمر - على إصدار تقارير وبيانات (وليس قرارات) حتى تجس القاريين معبر عن مختلف اتجاهات ممثلي الرأي العام العالمي ، وحتى تضمن تسجيل جميع الآراء التي أيدت أو التي لقيت تأييد الحاضرين . لها طريقة إصدار هذه التقارير ، فتكون من خلال اللجان الفرعية للمؤتمر ، وهي اللجان التي تفرعت إلى ١٤ لجنة ، تم انتخاب هيئاتها الرئيسية في جلسة عامة للمؤتمر .

أما اللجان فهي :

- ١ - لجنة التعليم السلمي والامن الدولي
- ٢ - الهند الصينية - ٣ - الشرق الاوسط
- ٤ - الامن والتعاون في أوروبا - ٥ - السلم والامن في آسيا - ٦ - نزح السلاح - ٧ - حركة التحرر الوطني والنضال ضد الاستعمار والعنصرية - ٨ - النمو والاستقلال الاقتصادي
- ٩ - حماية البيئة الطبيعية - ١٠ - التعاون في مجال التعليم والثقافة - ١١ - التعاون الاقتصادي والتكنولوجي العلمي - ١٢ - القضايا الاجتماعية وحقوق الإنسان والسلام - ١٣ - التعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية
- ١٤ - شيلي .

ثم جرى توزيع أعضاء المؤتمر على هذه اللجان وفقا لرغبتهم وأهماساتهم ، وجدير بالذكر ، أن لجنة الشرق الاوسط كانت من أكثر اللجان التي

جذبت الاهتمام ؟ ولم يكن من قبيل الصدفة بعد ذلك أن تضم ١٠٠٠ عضو . كما انضم ١٠٤٠ عضوا إلى لجنة القضايا الاجتماعية وحقوق الإنسان . وضمت لجنة الهندسة المدنية ٧٠٠ عضو ، ومثل هذا العدد انضم إلى لجنة التعاون في مجال التعليم والثقافة .

وكان الوفد المصري قد قرر في اجتماع داخلي له - يرأسه خالد محيي الدين السكرتير العام للجلس المصري للسلام ، ورئيس الوفد المصري وعضو مكتب رئاسة المؤتمر ، أن يتوزع أعضاء الوفود بقدر الامكان على جميع لجان المؤتمر . مع مراعاة التركيز - أساسا على لجنة الشرق الأوسط ، فقد كان من المفيد ، حقا ، بل من الضروري أن يتواجد أعضاء الوفد المصري في جميع المناقشات التي كانت ستدور في هذه اللجان والتي كان من شأنها أن تؤثر - حتما - على مضمون التقارير المرفوعة للمؤتمر في النهاية .

كذلك تقرر القيام بتسييق العمل - مع جميع الوفود العربية لتوحيد خطتنا وموقفنا أمام المؤتمر - وتبت هذه الخطوة بنجاح كبير ولاول مرة - منذ زمن طويل انكسبت الخلافات بيننا وبين اشقاتنا العرب - والواقع أن اندلاع القتال باليسل للجيش المصري والسوري من أجل تحرير الأراضي المحتلة وحيثان حقوق شعب فلسطين في العودة وتقرير المصير ، كل هذا ، خلق على الفور نقطة التماس كاملة بيننا وبين الوفود الشقيقة في المؤتمر ، جعلتنا نسير على خط واحد يصعبنا على مستوى المسئولية والاحداث الكبرى .

وقد دعا المؤتمر الى مزيد من الضغط واليقظة ضد خرق هذه الاتفاقيات من طسرف المتمدنين الامريكيين وعملائهم ، ومساندة شعوب لاس وكيبسوديا وبيتسليم التي تناضل من أجل الاستقلال والسلام .

وكذلك كان على رأس اهتمامات المؤتمر الإنعلااب المدوى الفاشي ضد حكومة سلفانور الليندى الشرعية في شيلي . فهذا الانقلاب الممسرى للرجعي المسند مباشرة من الاحتكارات المالية والاستثمار الامريكي بشكلخطرا كبيرا على السلام في العالم - فهو ينذر مرة أخرى بمدى خطورة الهجوم المضاد للقوى الرجعية والاستعمارية العالمية على الحكومات الشعبية الشرعية التي تسير في طريق الاستقلال والتحرر والتقدم الاجتماعي .

ولقد قابل الحاضرون بتصفيق عاصف كلمة السيدة الشجاعة هورنسيا الليندى زوجة الرئيس الشهيد وميلة كفاحه ، وذلك عندما كشفت الجرائم البشعة «الظلمة العسكرية» التي تتوس على حقوق الإنسان والتي تحضر الآن من وراء الشيعي ، مسورا فاشميتيا تنزع به ملكية الشعب

لتعديها الى قبضة المقتصديين ثم لتصفى - كلية - ككاسب شعب شيلي البطل .

وعندما أعلنت السيدة الليندى اننا سنستمع الى شريط كان قد سجل عليه النداء الاخير الذي وجهه الرئيس الفقيه من راديو شيلي وهو يرتقب الموت في القصر ، تحت قصف المدافع وابفجارات القنابل ، عند ذلك تحول التصفيق الى مظاهرة حسابية ، فهب الحضور واقفين ، وهم يهتفون باسم الليندى وبالبونيرودا :

« حقا سوف يعيش شعب شيلي ، ولن تقتصر الاطعمة العسكرية الفاشستية » .

وحينما قفزت قضية الشرق الاوسط الى الامام ، واصبحت - كما قلنا من قبل - بتثير الفسق والاهتمام البالغين من ناحية ، كما تثير الانحرام لتضال الشعوب العربية ، من ناحية أخرى - امكن في هذا الجو ان يتم عزل بعض عناصر الصهيونية الدولية التي تمكنت من التسلل الى المؤتمر عن طريق بعض الهيئات الدولية والاحزاب السياسية في الغرب . ومن ثم لم يكن من قبيل الصدفة ان تدبى الغالبية الساحقة من المندوبين - في اللجان المختلفة - العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية ، وان تقلل ذلك بجم .

وحينما أعلن عن وصول رسالة تحية من الرئيس اتور السادات الى المؤتمر فويل الخبر بتصفيق حار من المندوبين :

« تحيات حارة ابعثها اليكم باسم شعب مصر الذي يناضل في سبيل قضية السلام ، تلك القضية التي اجمعتم هنا من اجلها ، واؤكد لكم اننا نسير معكم على نفس طريق النضال الذي نخوضونه بهدف تدعيم قواعد السلام الدائم والمعادل في كافة اركان العالم ، تلك القواعد التي تقوم اساسا على حق الشعوب في تقرير مصيرها واحترام أمن وسلامة وسيادة الدول على اختلاف نظمها الاجتماعية » . . . وقد ختم الرئيس رسالته بهذه التحية المعبرة القوية : « واننا نؤمن ايضا بانكم قوة شريفة تناضل من أجل اخطر واكثر احكام البشرية في تحقيق سلام دائم وعادل في العالم كجميع . . انكم ستعرفون طريقكم لدعم هذه القضية فقد كنتم دائما مقدرين لستويليتكم ، ولقد كانت شعوبنا دائما مقبرة لجهودكم . وانتمى المؤتمركم الفجاح والتوفيق في تحقيق اهدافكم السامية » .

وهكذا فان هذا المؤتمر العظيم الذي وضعت مشكلة الشرق الاوسط في مركز اهتمامه - يطالبنا نحن الشعوب العربية ، بأن ندرس بجدي وثاقه وقراراته ، حتى نسهم في وضع هذه القرارات موضع التنفيذ الفعلي ، وحتى نتمكن من بناء اوسع جبهة على الصعيدين العالي ، جبهة من كل الناس الشرفاء الذين يساندون بلادنا ، في نضالها التحريري ، من أجل السلام العالمى على العدل .

سوريا في مرحلة ٦ أكتوبر

دمشق : من فيصل حوراني :

تشهد سورية ، منذ توقف إطلاق النار ، موجة من النشاط السياسي الواسع النطاق ، وهي موجة يحفزها القتال ، وحفزتها التناحُر التي تترتبت عليه . وإذا كان النشاط السياسي الواسع النطاق ليس أمراً جديداً بالنسبة لسورية ، التي تعيش منذ الاستقلال إلى اليوم ممارك سياسية وغير سياسية متصلة ، فإن الجديد في الموجة الراهنة أمران :

● حجم هذا النشاط الذي تشترك فيه كواثر وقواعد حزب البعث العربي الاشتراكي والارباب والقوى السياسية الأخرى ، الممتدة في الجبهة الوطنية التقدمية ، والذي يجتذب إليه أعداداً متزايدة من المستقلين ، وجماهير المنظمات الشعبية العديدة ، التي تمثل مختلف قطاعات الشعب العربي السوري .

● نوع المسائل التي وضعتها الحرب وتناجها أمام القوى السياسية ، وأمام الفكر السياسي في سورية ، خاصة بالنسبة لحزب البعث والقوى التي يتطابق موقفها مع موقفه ، وبينها مسائل جديدة تكلية في هذا المجال ، وفي مجال فهم واقع ومستقبل القضية الفلسطينية والموقف من تورات الأمم المتحدة بشأن الشرق الأوسط على وجه التحديد .

وقبل الاستفاضة في الحديث عن هذا النشاط ومن بواعثه وظواهره ، يجدر بنا أن نتوقف أمام الوقائع الأساسية المتعلقة بسير الحرب ذاتها ، وبمراحل النشاطات التي دارت في الأيام الجديدة من شهر تشرين الأول - أكتوبر - المنصرم . لأن متابعة تلك الوقائع ، ببندهاتها وتطوراتها ، بشكل يفتح فهم الموقف الراهن برئته مع الجبهة السورية ، ولأن الحديث عن هذه الأمور يجري في كل مكان في البلاد .

دخلت سورية الحرب ، ملجأ فعلت مصر ، وقد وضعت لنفسها هدفين تحدد بوضوح لم يترك مجالاً للايهام : تحرير الأراضي العربية المحتلة في حزيران - يونيو - ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق الممنوعة للشعب العربي الفلسطيني . وفقد تم الإعلان عن هدفين هذين الهدفين في كافة الميادين ، والوثائق السياسية الأخرى ، التي صدرت قبل أو أبان الحرب .

وأهمية ذلك ، بالنسبة لسورية بالذات ، أن تحديد هدفين هذين ، وبهذا الوضوح وبموافقة القوى المبتلة في الجبهة الوطنية التقدمية بما فيها حزب البعث ، القائد المترف به للجبهة ، قد أدى من جهة إلى غياب الشعارات الأخرى التي كانت فيما مضى تعطى الانطباع بأن ثمة خلافاً في الرأي بشأن المستقبل بين سورية ومصر ، وإلى بروز وجود وفعالية التنسيق السوري - المصري ، وأدى من جهة أخرى إلى تنشيط أوسع قدر ممكن من المبادرات والقدرات الشعبية ، فضلاً عن العسكرية ، في ظل وخدمة سياسة مفهومة ، وفي ظل وخدمة شعارات يثق أكبر عدد من الناس ، ليس بعدالتها فقط ، بل بإمكانية تحقيقها استناداً لميزان القوى الراهن .

وهكذا دخلت سورية الحرب ، وتصدت للمردان ، وهي تملك ثقة أكبر بالقدرة على تحقيق هدفين مرسومين بوضوح ، وتملك أقصى ما أمكن حشد من وسائل عسكرية وسياسية ؛ تملك الجيش الذي نما وكبر وجرى تسليحه ، وحاصه في السنتين الماضيتين ، بأبسله وأفره وحدثه ؛ وتملك المؤسسات الدستورية التي طال غيابها فيما مضى ، وتملك جبهتها الوطنية التقدمية ، بما نذله من تعاون بين كافة الأحزاب والقوى التي ظلت مسالكة التصدي للمردان الإسرائيلي والأعداء للمجاهبة مع العدو تشكل شاغلها الأول .

ومثلما حدث في مصر ، اندفع جيش سورية ، وبمع الوحدات المتواجدة على أرض سورية من القوات الفلسطينية ، والوحدة التي سبق أن قدمت من المغرب الأقصى ، اندفع الجيش 'المعلم بالثقة وبالحماس' ، فاجتاز مضربة ناجحة خطوط وقف إطلاق النار خلال الساعات الأولى للقتال وبعد تهديد مناصب بالقصف المدفسي ، واجتاز الخندق الحصين الذي أقامه الإسرائيليون على امتداد تلك الخطوط ، واندفعت - بل الوقت نفسه - الوحدات العديدة من القوات الخاصة التي أوكلت إليها القيادة السورية ، في إطار خطتها الاستترسية الشاملة ، مهمة مهاجمة أو مشاطة مواقع حصينة معينة داخل الجولان .

وقد هاجم السوريون على امتداد الجبهة ، التي تستند من جهة إلى سفوح جبل الشيخ وتستند من جهة أخرى إلى الواديان الفاصلة بين سورية والأردن .

جام حقه على الاحياء السكنية والمنشآت الاقتصادية المبنية مولدات الكهرباء ، مصفاة النفط ، ومستودعاته ... قتل في احداث اى تأثير ضد الطارات والوانى التى هاجمها . وظلت هذه المنشآت الجوية بلجهد العسكرية بعمل بذل طاقاتها ، طيلة ايام القتال ، بالرغم من كثافة الغارات التى استهدفتها ، ومن تلاحفها .

وقد اسهم ذلك الصراع الجيد ، الذى اتبع لسكان العاصمة ومدن اخرى أن يتباهوه ، فى رفع المعنويات وفى تزايد ثقة المواطنين بقدراتهم المسلحة . ومن الذى يمكن أن يفقد الثقة حين يتاح له أن يرى ذلك الطيار الذى اسقط بطائرة ميج ١٧ طائرة فانتوم فوق بصر دمشق وسمعا ٩٠ أو حين يتاح له أن يرى قائد ميج ٢١ يقذف طائرة فانتوم ويسقطها فى بساتين دمشق ثم يهب سائلا بظلمته لانه قصف الفانتوم كان صاروخ منها قسد اصاب طائرته بالذات !

لقد اصبح الكثير من الواقع معروفا ، وسوف يمكن الكشف عن المزيد منها ، ويمكن القول - بإيجاز - ان السوريين قاتلوا بكل الاسلحة فى التقدم ، وفى التراجع ، فى الجو ، وفى البر ، ونظرا لوضوح الجغرافيا يمكن للمواطنين أن يروا جانبها هاما من وقائع القتال . وقد اوجد ذلك كله لدى الجيش مثملا لدى الجماهير - احساسا عاليا بالمسئولية الوطنية ، ساعد ، وسوف يساعد أيضا ، على جعل تناول اية اخطاء ارتكبت ، تناولا مسفولا ، يهف ، قبل اى شئ آخر ، الرغبة فى تلافي تلك الاخطاء .

كيف جرت الامور على الجبهة الداخلية ؟ لقد اهدت البلاد للمحرب فى الاشهر الاخيرة ، بقدر الاحكام ، وقد تم ذلك فى ظل الحرص الشديد على التكتّم ، مخزون التموين كان كافيا ومن أجل ضمان سلامة توزيعه نشطت قبل الحرب ، وحتى فى ايام القتال وتحت القصف الجوى ، علية افتتاح محلات البيع بالفارق التى تديرها الدولة ، وتبيع فيها للمواطنين المواد الضرورية كافة ، وتم تسليح عناصر الجيش الشعبي وتكليفها مع عناصر الدفاع المدنى بالخدمات الضرورية فى المدن والقرى . وخلال ايام القتال كان تدريب القاطنين على السلاح يجرى حيثما ، وتقرر أن تعمل كافة دوائر ومؤسسات الدولة طيلة الاربعة والمنظمات ساعة من كل يوم ، وقامت الاحزاب والمنظمات الشعبية بتنظيم المبادرات فى مجال الخدمات الصحية والتطوع للعمل فى المصانع ورعاية أسر الجنود ، وتنظيم توزيع المواد الغذائية ، ويمكن القول ان ذلك جرى بحد من الاتقان لم يسبق له مثل فى تاريخ البلاد .

ويسود الجميع الان احساس بان روح المبادرة التى حفزها القتال يجب ان يحافظ عليها ، خاصة وان الصراع ما يزال محتدما ، ويصاحبه الى استمرار التلاحم الداخلى ، وان احتمالات لجند

وإدى الهجوم السوري الذى اشتركت فيه كل صفوف الاسلحة البرية والجوية ، الى التقدم السريع على عمق بعيد امام القطاع الجنوبي من الجبهة ، وإلى عمق متوسط امام القطاع الاوسط ، الا ان التقدم لم يحقق المهمات المرجوة له على القطاع الشمالى ، فتمتصر فى هذا القطاع لوحدة المنطقة ، ولقوة التحصينات الاسرائيلية وكثافة اسلحتها . ولان محاور هذا القطاع تقويع كيلومترات قليلة الى قلب اسرائيل عبر القسم الشمالى من نهر الاردن ، فقد حصنه الاسرائيليون ، بدياة ، تحصينا واسعا . وقد بانروا - بعد ان التقطوا أنفاسهم وحشدوا الاحتياطى - الى تركيز قوتهم الرئيسية عليه من أجل وقف التقدم السوري ، ثم فيما بعد ، من أجل احداث الخرق على محور القنيطرة دمشق ، والتهديد باحتلال الحاصبة السورية ، التى كانت قبل الحرب اصلا على بعد حوالى خمسين كيلومترا من خط وقف اطلاق النار السابق ، فى تلك المنطقة .

وكما قال رئيس الجمهورية ، القائد العظام للجيش ، الفريق حافظ الأسد فى خطاب وجهه للشعب بعد حدوث الخرق ، أثرت القيادة السورية عدم الاعلان عن تفاصيل المعارك التى خاضتها أو عن المناطق التى حرقتها فى ايام الحرب الا لى . كان السوريين - كما بدأ واضحما - بصغور فى الحصان اسوأ الاحتمالات ، مثملا وضموا احسنتها ، وعندما جرى التراجع تحت مسطع التركيز الاسرائيلى الكثيف للغاية ، اعتم الشعب ذلك من قبل رئيس الجمهورية الذى دعا الشعب والقاتل المسلحة للاستئصال فى مسد الهجوم وايقاف التقدم الاسرائيلى على طريق ممتنع ، ونشطت الى أقصى الحدود اجراءات الدفاع على الجبهة وفى الحاصبة .

وقد خاضت الدفاعات الجوية السورية ، والطائرات ، والوحدات الخاصة وصنوف السلاح الاخرى ، امجد معاركها فى تلك الايام ، حيث بلغ النهوض الوطنى احدى ذرواته الرائعة ، وحيث اشتركت الوحدات العراقية التى يمكن وصولها فى تلك الايام جنبا الى جنب مع المقاتلين على الجبهة : وحيث بدت دمشق ، وهى مهددة تعرض للغارات الهيمية المتواصلة ، أكثر صلياة ، وأعظم ثقة بانفس ، وأكثر احساسا بالعودة الوطنية ، مما كانت فى اى يوم آخر من ايام تاريخها الطويل .

فى الجو دارت معارك من نوعين : الصراع بين الدفاعات الجوية والطائرات الاسرائيلية المفجرة ، والصراع بين المقاتلات السورية والمسندة . ولم يكن الاعلام السوري مبالغا حين وصف كيف كانت الطائرات الاسرائيلية تنهال ، وقد اتبع للمصاحبة السورية ولندن الساحل السوري ، ولناطق اخرى جديدة فى البلاد أن تتابع بالعين المجردة ومسمع هذا الصراع . وفشل العدوان الاسرائيلى الذى صب

القتال واردة في كل ذهن ، وإن سورية ، أيا كانت احتمالات ، قد بدأت بحركة إعادة البناء ليرميم وتجديد ما دهرته الحرب ، ولتضي قدماً في عملية التنمية الواسعة .

وكيف جرت الأمور على الجبهة السياسية ؟
تعتبر الجبهة التقدمية السورية ، إلى جانب قيادة حزب البعث التي يشترك كثير من أعضائها في اللجنة المركزية للجبهة ، القيادة السياسية العليا للبلاد ، وقد قامت هذه الجبهة ، كما هو معروف ، بمذاهب الحركة التي قادها الرئيس الأسد في ١٦ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٠ .

وقبل قيام الحرب كان التعاون قائماً بين فرقاء الجبهة ، وخاصة بين طرفيها الرئيسيين : البعثيين والشوريين ، وكانت الأمل كبيرة بأن هذا التعاون يتعمق ويترسخ بعضى الأيام .

وقد أعطى للجبهة زمام المبادرة السياسية خلال الحرب .

عن الجبهة ، وفقاً لثقافتها ، انبثقت قرارات الحرب والسلام ، وفي جو النهوض الوطني المارم الذي فجرته الحرب حدث أمران متوازيان : زياده الثقة بالقيادة السياسية ، وزياده التعاون بين فرقائها ، وهو عامل ستكون له آثاره العميقة على مستقبل البلاد .

وكان هذا واحداً من النتائج الإيجابية التي تخففت عن القتال ، ويجري الحديث في كل مكان حول تقييم نتائج المعركة ، ورصد آثارها الإيجابية ، وتحديد المظاهر السلبية التي ينبغي تجاوزها ، وهذا الحديث ، بكل ما يشتمل عليه ، يحدد معالم النشاط السياسي الواسع الدائر في البلاد ، داخل كل حزب وكل قوة سياسية ، وكل تنظيم ، وبين هذه الأحزاب والتنظيمات وعلى صعيد التثقيف والتعبئة والصلة بال جماهير .

إن محاولة إلغاء نظرة شاملة على هذا النشاط الواسع والممتد لا يمكن أن تستوعبها رسالة كهذه ، ولذا سأكتفي بمرء أبرز النقاط التي يجري الحديث عنها في المجال السياسي والعسكري ، وسيكون ثمة فيما بعد متسع لاقاء نظرة أكثر تفصيلاً .

لقد أدى القتال إلى تثبيت النقاط التالية :
كسح حواجز الخوف ، والوهام التي كانت سائدة بشأن القوة العسكرية لإسرائيل ، ووضع البداية لإعادة موازين القوى إلى ما ينبغي أن تكون عليه ، وفقاً لمجموع القوى الحقيقية ، الفعالة والممكنة .

● بروز الكفاءة العالية التي أبدتها المقاتل العربي ، والقدرة على استخدام الأسلحة الحديثة ، والتقدم الذي حققه فن الحرب العربي ، وهو تقدم ، إن لم يؤد إلى التفوق ، فقد جعل إمكانية الوصول إلى التفوق واردة في ذهن كل من يمينهم الأمر .

● الفشل الذريع في استراتيجية إسرائيل التي استهدفت ضرب الأنظمة الوطنية التقدمية وبروز دور هذه الأنظمة ، بوصفها الدور الرئيس في معارك المجابهة مع العدو ، وبوصفها القاعدة الرئيسية لجعل حركة التحرر العربي .

● بروز التضامن العربي المادي للاستعمار والصهيونية كحقيقة قائمة الآن . لم يكن من الممكن التوصل إليها ، لولا القتال ولولا الصلابة التي أبدتها المقاتلون ، في حالة التقدم وفي حالة التراجع على حد سواء .

وفي هذا المجال ، وفي حالة الوضع السوري بالذات ، أدى التدخل العراقي في الحرب إلى فتح الطريق أمام تعاون توسع بين أنفطرين المتجاورين ، وإلى وضع الأساس لإزالة كثير من العقبات التي كانت تحول دون وجود مثل هذا التعاون . من الحق أن قرار الانسحاب العراقي قد أضعف هذا الأمل بعض الشيء ، ولكن ليس إلى الحد الذي يمكن أن ينفي إمكانية استمرار وتنشيط التعاون .

● رسوخ أسس الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى ، لنسب اجتازت هذه الصداقة امتحاناً جديداً ، وخرجت منه أكثر ثباتاً ، وقد اتضح لكل من يمينهم الأمر أن العرب يستندون إلى حليف قوي ومقتدر ، في السلم وفي الحرب !

● رسوخ السياسة الحكيمة التي دارت الحرب في ظلها ، لقد كان لهذا وسيكون له تأثيره البالغ على حاضر ومستقبل العمل السياسي داخل سورية . مثلبا كان له وسيكون ، دور بارز في ترسيخ عدالة القضية العربية وعدالة الأهداف التي تقاوت دولتنا المجابهة من أجل تحقيقها .

● وقبل ذلك ، ويمده برز تماسك الجبهة الداخلية السورية كحقيقة ساطعة ، كانت أساساً للثبات في القتال ، وكانت أساساً لحفز مظاهر التضامن العربي ، وشككت الأساس الراسخ الذي يمكن أن يجعل تزايد مظاهر الدعم والتفهم الدوليين للكفاح العربي التحريري أكثر فعالية وجدوى .

إن هذه الحقيقة التي يجع الكل على ضرورة التمسك بها ، واستمرارها ، تشق الطريق نحو مزيد من ثقة القوات المسلحة بنفسها وبشعبها ، ونحو مزيد من ثقة النظام بقوة ، وبوصحة السياسة التي انتهجتها ، وتفتح الطريق بصفة خاصة أمام مزيد من التعاون بين القوى الوطنية في المسالمة .

هنري كيسنجر : والدبلوماسية السرية

مصطفى سامي

هارفارد ، مغللاً دراسيته كان يشرف وينظم مجموعة عرفت باسم « نقوة هارفارد للشؤون الدولية » ، وكانت المخابرات المركزية تشرف على هذه الندوة وتقوم بتحويلها . ودفعه هذا العمل الى ان يهتم بالدراسات الاستراتيجية ، وقام بنشر كتابه « السلاح النووي والسياسة الخارجية » عام ١٩٥٤ Nuclear Weapons and Foreign Policy .

وفي هذا الكتاب ، دافع كيسنجر ، بحارة ، عن سياسة الحروب المحلية المعتمدة على الابتزاز النووي ، ودخل ضمن مجموعة الباحثين والخبراء الأكاديميين ويقتي الصلة بوكالة المخابرات ، ثم رقى بعد ذلك مستشارا لمدير مكتب الاستراتيجية السيكلوجية الذي كان يتبع مجلس الامن القومي وعمل كيسنجر مستشارا لكل من ايزنهاور وكيندي ، وجونسون ، لكنه لم يتول اي منصب رسمي في هذه الحكومات ، وظل يحتفظ بعمله الاساسي كاستاذ لنظم الحكم بجامعة هارفارد ، حتى استقال في يناير سنة ١٩٧١ من عمله الجاهلي ليقترع للعمل مع نيكسون مستشارا للامن القومي ، ويشرفا على سيرة السهاسة الدفاعية في البيت الابيض . ولكن هل كانت لشخصاته وظروفه العائلية اى اثر في تشكيل شخصيته ؟

لقد امضى هنري الفريد كيسنجر ، وهذا هو اسمه الكامل ، سنيناته المبكرة الاولى في بلدة فورث الألمانية . وكان أبوه يعمل مدرسا في مدرسة للبنات ، أما أمه فكانت تنتمي الى احدى أسر الطبقة المتوسطة . . وقد نشأ خلال السنوات المضطربة التي مرت بألمانيا ، حيث الارهاب النازي والتضخم الاقتصادي ، وينفى كيسنجر ان طرد أبوه من وطنه ، ثم طرده هو بعد ذلك من المدرسة التي كان يتعلم بها ، وأرغمه على الالتحاق بمدرسة كل تلاميذها من الأطفال اليهود . . تقول انه ينفي ان تكون هذه الاحداث قد تركت اى تأثير هيق على آرائه السياسية .

وكيسنجر هذه أسماء ، فاسمه الاساسى هو « هاينز » - غيره بعد ذلك الى هنري ، ويطلق عليه أحيانا .

أما على المستوى الرسمي فيطلق عليه اسم « ميتونيك الرئيس نيكسون » . وفي احد الايام نشرت مجلة « كوزموبوليتان » الأمريكية الشهيرة صورة لرجل عار تماما وأطلقت عليه اسم « رجل الشهر » ، وقد أوجت هذه الصورة لطيفة جادة.

لا يتألف اذا قلنا ان طومان الغالات الذى كتب من هنري كيسنجر ، ظاهرة تستحق التأمل . وقد تناولت هذه الغالات وزير الخارجية الامريكية من زوايا مختلفة ، تراوحت بين المنهج الواقعى فى محاولة فهم أسلوب الرجل وتفكيره ، وبين الاتارة الصحفية التى حاولت ان تخلق « أسطورة لكيسنجر » جذابة وسحرية .

والاهتمام بالكتابة من هنري كيسنجر ، امر مفهوم فى حدود أنه وزير خارجية الدولة الكبرى التى تقع عليها مسؤولية فاحشة فى اثبات جديتها فى تنفيذ قرارات مجلس الامن من أجل اقامة سلام عادل فى منطقة الشرق الاوسط . ومن ثم يظل الحكم الصحيح فى الحكم على الافراد ، مهما كانت مواهبهم ومعتقداتهم ، هو الانفعال لا الاقوال أما التسعوب العريضة التى تطف فى خط المواجهة ، فمحتاج دائما الى ان ترى الامور على حقيقتها ، لا تحب ان تفسدها دعائيات موجهة ، ولا تحب ان تظلم انسانا كئيبا من كان .

ومن هنا ، فإن التزام جائب الحقيقة التاريخية سيظل عاصبا ، من التردى فى اية اوهام ، وفى وضع الامور فى جهبا الصحيح .

ومن هذا المنطلق ، نحاول فى هذا المقال ان نقدم صورة واقعية لهنري كيسنجر ، نضع الرجل وسياسته فى الاطار الذى يحكم تصرفاته ، وهو اطار السياسة الخارجية العامة للولايات المتحدة . فالامر المقطوع به هو انه اذا صح ان كيسنجر من صناعات هذه السياسة ، ومن المؤثرين فيها ، الا انه لا يستطيع ان يفكر لها او يخرج عليها .

يبدو ان الفترة الطويلة التى عاشها كيسنجر ، فى ادارة المخابرات المركزية - منذ بدء حياته العملية - حتى تعيينه مستشارا للرئيس نيكسون لشئون الامن القومي - قد لعبت دورا فى تشكيل سلوكه وشخصيته . فهو يقوم دائما باعماله الدبلوماسية سرا ، وتجده بعيدا عن الاضواء لقد انفسم كيسنجر الى وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٤٣ ، وهو برتبة جاويز اثناساء فترة تجنيده ، بعد خمس سنوات من هجرته الى الولايات المتحدة . وكان يعمل بتدريس تاريخ ألمانيا فى احدى مدارس المخابرات العسكرية ، وكان هذا العمل بداية مسلة كيسنجر بوكالة المخابرات المركزية ، وهى المسلة التى استمرت بعد ذلك وهو طالب يدرس نظم الحكم فى جامعة

نارغارد بفكرة استخدام هذا الرجل الغامض في جلدهم الجامعية ، تقطعوا رأس هذه الصورة ووضعوا بدلاً منها رأس «العزيز هنري كينسجر» استأذمهم السابق ، والفاتي القويب الساجن في ميدان الدبلوماسية الأمريكية ، وقد أحدث نشر الصورة ضجة كبيرة في الولايات المتحدة ، ولكن كينسجر كان أول من استغرق في الضحك عندما وقعت عليها عيناه ، ولم يساوره الغضب عندما وجد نفسه يظهر في صورة «رجل الشهر» . وعندما بدأ يشتهر بأنه نموذج «للسفير العائيق» فقد اعتبر نشر الصورة تحية له ، بل أنه اعترف بأنه دخل الدبلوماسية عن طريق الحب الإفلاطوني الذي يصل إلى حد الوله للسيسى الفرنسي الشهير تاليران ، ثم للسيسى النمساوي الداهية ميترنيج .

وأول عمل سيسى ارتبط باسم كينسجر ، ولغت اليه انتظار الصالح ، كان في فتح أبواب الصين التي ظلت مغلقة في وجه الولايات المتحدة طوال العشرين عاماً الماضية . وهناك تحققت المقابلة التاريخية التي لم يكن أحد يتصور حدوثها بين هاوتسي تونج ونيكسون . والغريب أن العالم فوجئ بغير زيارة كينسجر للصين ومحادثاته مع الزعماء الصينيين طوال ثلاثة أيام بعد عودته إلى واشنطن بأيام ، لقد أخطى من الانتظار بعد أن أعلن بأنه أصيب بالأم شديدة في إمعائه في نفس الوقت الذي كانت الطائرة تحله إلى بكين للقاء شيواين لاي ، وسفر وقتها الكاتب الأمريكي «آرت بكوالد» من تصرف كينسجر وبن توجيهه على الصحفيين ، فكتب يقول : «إذا أصيب كينسجر بالأم حقيقية في معدته ، فمن الذي يصنعه ؟» . ورداً على هذا التساؤل تغيل «بكوالد» بمداة في البيت الأبيض ، وهنري كينسجر يندفع إليها ويشكو للطبيب من آلام مبرحة في أمعائه ، ولكن الطبيب ينفجر ضاحكاً ويسأل كينسجر : «لعلك تنوي الذهاب إلى البانيا في الأسبوع القادم !!

الأهم من ذلك كان كينسجر يقوم بهماه الدبلوماسية دون رجوع إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، مما أثار ثائرة وزيرالخارجية الأمريكي في ذلك الوقت ويليم روجرز والذي عرف بزيارته للصين بعد عودته بأيام . وقد تكرر نفس الأسلوب ، بعد ذلك ، في زيارته السرية لموسكو التي تمت في أبريل عام ١٩٧٢ ، وقد تحدثت مجلة «لايف» عن الزيارة فقالت : «أن السفارة الأمريكية لم تعلم بوجود كينسجر في موسكو إلا بعد أربعة أيام من وصوله بسبب القيود السرية التي فرضت حولها» .

كتب جورج ميتان في مجلة «باري ماثس» ، في ديسمبر عام ١٩٧٢ ، مقالاً بعنوان : «كينسجر المعجب» ، قال فيه :

«... وجاء عام ١٩٦٨ » واستنقذت الولايات المتحدة لحيلة الانتخابات ، وعزم روكفلر الوسيم على ترشيح نفسه لتصب الرئاسة ، واختار هنري كينسجر ليكتب له خطبه . . ولكن من كان منافساً لروكفلر ؟ . لقد كان منافسه هو ريتشارد نيكسون ، وكتب كينسجر حلة شعواء في خطبه على نيكسون ووصفه بأوصاف حادة « . . . وقد سألت صحفي في ذلك الوقت كينسجر عن رايه في نيكسون كإنسان ، فقال : أنه يثير السخرية ! » «... وعندما منسأله رايه في نيكسون كرئيس للولايات المتحدة ، رد كينسجر قائلاً : والكلام لا يزال لجورج ميتان : أنه حينئذ سيكون أشد سخرية» . .

ولم تهن على أقوال كينسجر هذه بشعة أشهر ، حتى انتخب ريتشارد نيكسون رئيساً للولايات المتحدة ، وكانت الهوة قد أصبحت عميقة بين الاثنين ، وبدأ أن الخلاف بينهما ما لا يمكن إصلاحه .

وبعد انتخاب نيكسون ، كتب هنري براندون : «الملحق السيسى للمصداق تاليز البريطانية يقول : أنه لم يندش أحد ، أكثر من هنري كينسجر نفسه ، عندما عرض عليه الرئيس نيكسون هذا الدور الهام . أما أولئك الذين يعربون آراء كينسجر في الرئيس نيكسون فقد أصيبوا بدشة أكبر عندما قبل هذا الدور » . . . ويقول براندون في نفس المقال : «أذكر في عام ١٩٦٨ ، أن دخلت في حوار تليفوني طويل مع هنري كينسجر في مبنى البيت ، بعد أن اختار مؤثر الحزب الجمهوري نيكسون في انتخابات الرئاسة » وناقشنا ما شخصية الرشح الجمهوري وآراؤه ومؤهلاته ، ولم يؤكد كينسجر كل شيء وكفى ومخاوفي فحسب ، بل زاد عليها . فكان يشاركني عدم تقنى في الرجل وشخصيته !!

وكيف حدث إذن أن وقع اختيار نيكسون على كينسجر ؟ . . ولماذا قرر كينسجر أن يعمل في خدمة رجل لا يثق فيه تماماً ؟ ولا يعتقد أن لديه الثقة الكافية والأمن اللذين يحتاج اليهما أي زعيم ؟؟

لكن من الواضح أن نيكسون كان من أكثر المتحمسين لكينسجر حتى قبل توليه الرئاسة بسنوات ، وكانت كتابات كينسجر تثير اهتمام نيكسون . وكتب اليه مرتين من قبيل الجملة : «لكي يعبر له عن انقلته مع آرائه» مرة بعد نشر كتاب كينسجر «الأسلحة النووية والسياسة الخارجية» ، والمرة الثانية بعد مقال نشره عن مزاج أوروبا في صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر في ديسمبر عام ١٩٥٩ ، أما الفقرة التي أثارت نائب الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت في هذا المقال فهي انتقاد كينسجر لسياسة إيزنهاور الأوروبية التي وصفها بأنها «عقيمة» و «فاقية للغاية» ، وبخى كينسجر يقول : «أنا نبدو كبا

الصناديق في يناير/نيسان ١٩٦٩ « تحت عنوان « المفاوضات الفيتنامية » ، وهذا المقال يعبر عن المقترحات التي بعث بها نيكولاس كاتزيناخ وكيل وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت إلى السفير الأمريكي في سايجون . وهي المقترحات التي أطلع عليها كيسنجر . ولا شك ان نيكسون وكيسنجر كانا يتفكران على « انتهاء الحرب بطريقة مشرقة » أمر أساسي من أجل السلام العالمي .

أما « الطريقة المشرفة » في نظر كيسنجر فهي تحقيق النصر على الثوار الفيتناميين . ويقول كيسنجر في نفس المقال : « لما كانت هانوي لا تستطيع أرغامنا على الانسحاب فلابد ان تتفاوض بشأن هذه المسألة » . ومع ان مقال كيسنجر كان يقض في بعض جوانبه تحليلًا دقيقًا للموقف ، إلا انه وقع في نفس الخطأ الذي سبق وقوع فيه - بشكل هام - مجموع السياسة الأمريكية ، ألا وهو التقليل من شأن قوة الفيتناميين الشماليين وتصميمهم على توحيد فيتنام .

لقد كان محور فلسفة نيكسون الدبلوماسية بالنسبة للمشكلة الفيتنامية يدور حول فكرة ان المفاوضات يجب ان تقتصر بالتهديد باستخدام القوة ، وذلك حتى يصبح التهديد فعالاً . فعندما استؤنفت محادثات باريس بين كيسنجر ولي دوك تو ، تعرضت فيتنام الشمالية - طوال أكثر من عشرة أسابيع - لأشد الغارات الأمريكية عنفا ، التي نتجت خلالها مئات الاطنان من القنابل ، وهو الامر الذي لم يسبق حدوثه في تاريخ الحروب ، إلا ان موقف هانوي - في المباحثات - لم يطرأ عليه أي تعديل ، وذلك رغم هذا التصف الجوى العنيف الذي أدى الى قتل المئات من الإبرياء في المدن والقرى الفيتنامية . ويبدو ان كيسنجر لم ينتبه الى ان التهديد باستخدام القوة في بداية المباحثات قد فقد فعليته عند البدء في تنفيذه ، ثم فشل تماما في تحقيق هدفه . وهذا وحده يفسر اسباب تقلص هبة كيسنجر في نظر مفوضيه الفيتناميين . إلا ان هذا يثير في نفس الوقت التساؤل حول دوره في هذه القضية ، وهل كان كيسنجر فعلا « رجل سلام » استحق على عمله جائزة نوبل ؟ . والجواب الوحيد على هذا التساؤل هو ان كيسنجر حاول فرض « السلام الأمريكي » على الفيتناميين ، ولكنه فشل أمام اصرار حكومة هانوي على تحرير بلادها بها كان الحرب الذي دفعه ويدفعه أهلها من دماهم وأراضيهم التي ضربها الأمريكيون بمنتهى العنف والقسوة - والمفاوضات دائرة في باريس - دون مراعاة لأي اعتبارات أو قيم إنسانية . ولكن التماس الفيتنامي الشعبي نجح ، وفشل « السلام الأمريكي » القائم على العدوان ، والذي كان يعبر عنه كيسنجر ويتفاوض من أجل فرضه .

لوكلا انترفي القروقة ولتتأ صانعيها » . وقد ذاعت شهرة كيسنجر كخبير في السياسة الخارجية ، وأحد الاستراتيجيين العسكريين ، بعد نشر كتابه ، وحاول ان يثبت في هذا الكتاب ان استخدام الأسلحة النووية - في نطاق محدود - ام ممكن من الناحية العملية . ولما كان الكتاب حقق رواجاً كبيراً ، فقد عاد عليه بأموال كثيرة ، كما اتاح له الاتصال بعدد كبير من الشخصيات الهامة ، ويضخك كيسنجر عندما يتحدث من هذا الكتاب قائلا : « انه أكثر الكتب غير المقروءة رواجاً منذ توبيني » .

وكان نيكسون يعرف - أيضاً - كتابات كيسنجر التي تقول انها يشتركان في نفس النظرة عن الكيفية التي ينبغي ان تتعامل بها الولايات المتحدة مع السوفييت والصينيين لا كدول ابدولية ، وإنما على أساس المصلحة المتبادلة وهما متفكران أيضاً في عدم انتهائهما في وزارة الخارجية الأمريكية . وحاول كيسنجر ان يستخدم النزاع الصيني - السوفيتي من أجل مصالح بلاده ، وكشف عن آرائه حتى قبل دخوله البيت الأبيض ، ففي أثناء حضوره مؤتمراً دولياً للعلوم السياسية بمدينة سوبوت في بولندا في سبتمبر عام ١٩٦٦ ، صرح كيسنجر - وكان لا يزال استاذاً بجامعة هارفارد « بأن الخطر الذي كان يهدد الاتحاد السوفيتي على أوروبا انخفض الى حد كبير بسبب ازدياد حدة الصراع بين موسكو وبيكين ، وقال ان هذا الصراع سيستمر ما دام ماوتسي تونغ يحكم الصين » . ثم استدرك قائلا : « لكن هذا لا يعني انه يمكن اعتبار ان الاتحاد السوفيتي يمكن ان يصبح حليفاً للغرب »

كذلك ، يشترك نيكسون مع كيسنجر في حبهما للدبلوماسية السرية وكراهيتهما للبيروقراطية . وقد كتب كيسنجر في إحدى الصحف : « ان البيروقراطية تعتبر الابتكار عملاً غير مأمون المواقف » .

ان كل هذا يوضح لماذا اختار نيكسون كيسنجر - أرضاء لنزعاتها الأساسية - وهو الولع بالدبلوماسية السرية . وكان كيسنجر - بسبب معرفته العميقة للدبلوماسية الأوروبية في القرن التاسع عشر - يفضل توجيه السياسة الخارجية بعيداً عن أعين الناس ، وبعبداً عن الكونجرس ، ومن البيروقراطية التي يحقرها ، ولكنه أصبح واقعياً بدرجته جعلته يدرك ان عليه ان يتقبل الحلول الوسط عندما تنازم الأمور .

وقد مارس كيسنجر الحرب في فيتنام على أساس انها افراط في الالتزامات . ولكن ، كان من رايه ، ان مسح القوات الأمريكية يجب ان يتم بصورة تتفق مع مقدرة الفيتناميين الجنوبيين على تحمل مسؤولية الدفاع عن أنفسهم . وقد وضع كيسنجر آراءه عن انتهاء الحرب في مقال نشر بمجلة «Foreign Affairs» في العدد

وثائق

تقرير عن محاكمة اسرائيلية في اسرائيل

بقلم

بيير مارتنز

[الأستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة بروكسل وعضو رابطة الحقوقيين الديموقراطيين لحضرة قضية « شبكة التمييز اليهودية العربية » أمام محكمة حيفا في ٢٠ - ٢٣ مايو ١٩٧٢ ، مراقب قانوني]

تنشر الطلبة في هذا العدد ، تقرير **بيير مارتنز** الأستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة بروكسل ، عن « قضية حيفا » ، وهي القضية الرابعة التي عرضت على المحاكم الاسرائيلية بعد اكتشاف ماسبي « شبكة التجسس اليهودية العربية » منذ بضعة شهور . وكانت رابطة الحقوقيين الديموقراطيين ، قد أودعت الاستاذ **بيير مارتنز** لتابعة هذه القضية ، كمراقب قانوني أمام محكمة حيفا في الفترة من ٢٠ الى ٢٣ مايو ١٩٧٢ . ويكشف هذا التقرير [الوثيقة] عن طبيعة القضاء الاسرائيلي ، واسلوب المساومات غير القانونية وغير الاخلاقية التي يلجأ اليها ممثلو الادعاء مع ممثلي الدفاع في هذا القضاء الامر الذي يؤثر دون شك على المسار القانوني الطبيعي - للقضايا والذي يفترض في النهاية الوصول الى عدالة المحاكمة وعدالة الحكم . كذلك تكشف هذه الوثيقة مرة أخرى عن طبيعة المعاملة التي يلقاها العرب في هذه الدولة التي لا يعاملون فيها بحسب كرميا « من الدرجة الثانية » بل وكاجانب أيضا . لان المفهم العربي في هذه القضايا قد استخدم «كوسيلة ابضاح» تستهدف عمليات التمييز الحقيقية ، لارهاب المتهمين الاسرائيليين عن بعد . وذلك بقصد الحصول منهم على الاعترافات المطلوبة . وبرغم اختلاف « الطلبة » مع المناهج السياسية لهذه المجموعة الا انها تقدم هذه « الوثيقة » كتعبير كاف عن الجرائم التي ترتكب في اسرائيل و قياس القانون « ضد اي صوت معارض » .



« هذا كان القضية الراهنة التي تظلمه المحاكم الإسرائيلية بعد اكتشاف شبكة التجسس اليهودية العربية » منذ بضعة شهور . وقد أثار هذا الموضوع حينذاك نسبة كبيرة لوجود عناصر يهودية ضمن هذه المجموعة ، وهي عناصر اخفرت ، لاسباب إيديولوجية ، للفصل إلى جانب العرب ، بل ان بعضها أدى الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي ، وهناك منها من ينتهي إلى بعض الكيويترات العالية . ويمكن القول بوجه عام ان كل هؤلاء الفلسطينيين يدينون بإيديولوجية يمينية متطرفة — مع تفاوت محسوس في عمق الانحياز — وبنتيجة إيديولوجية إلى إعادة النشاز في نظم دولة إسرائيل . وهكذا تجمعت كل هذه العناصر في ظروف وإلى مدى يصعب تحديدها أحيانا ، حول « الجبهة الحمراء » التي يتزعمها داوود تركي . وكان بعضهم ينافس في صفوف جامعة بشارية هي « التحالف الشيوعي الثوري » .

ولقد كان هذا كله كليا بأن يلقى إلى بؤس فيه الكثير من « الخلط » فقد كان ثمة خشية من تنظيم « قسسية » استعراضية كبرى . يتم من خلالها تقوية صورة المعارضة اليسارية في إسرائيل في مجيئها ، في تلك الفترة التي سبقت الانتخابات العامة في إسرائيل . لكن المراتى لم يقصر بغير من ذلك ، فرفع هو الأتارة البالغة الذي صاحب اكتشاف الشبكة ، ورغم الاهتمام البالغ الذي أحاط بالقضية الأولى التي حوكم فيها زعماء الشبكة من أمثال داوود تركي ، فالتنا تستطيع ان تقول ان القضية الجديدة — والرابطة في سلسلة المحاكمات — كانت تجري في جو سام من اللبالات وعدم الاكتراث . لكن هذا يوجب ألا يغفلنا على الظن بأنه كانت هناك محاولات « لاسدال حجاب على القضية » على هذا النحو ، فقد نتج هذه القضية إلى بدات جلساتها في ١٠ مارس مشكلة من المستربيين القانونيين الجانب وهم الأستاذ كسلود ووكرز وكاتب هذا التقرير من رابطة المحققين الديمقراطييين العالية والأستاذ جاسون أميلارت من (الاتحاد الفرنسي لرجال القضاء من أعضاء المناقشة . وكانت الرابطة قد أرسلت برافيا آخر لعضو أحدى القضايا السابقة وهي التي نظرتها محكمة حيفا في أبريل الماضي .

والغريب في الأمر ان هؤلاء المراتبيين وأن كانوا قد استقبلوا بأدب جم من جانب القضاء ، فقد اصطفوا بمعداء مريح من جانب محرري الصحف الفلسطينية الذين كانوا يلقونون الفلسطينيين ، والذين كانوا يرون ان مجرد حضور هؤلاء الأجانب ينطوي على اهانة للشعاع الإسرائيلي ، بل ان أحد الصحفيين سألني هذا أذا كنا

قد أديننا يوزا يا شيئا من الاتهام بمسور الجاليات اليهودية في السجون العربية ، وهنا كان من حقى ان احذتهم بجهة ادبنا شخصيا في هذا الصدد في أكتوبر ونومبر ١٩٦٧ ، أي في الوقت الذي لم يكن يلبه غير سوى القليل جدا من المراتبين بهذا الوضع .

الاتهام

كان هناك تسعة متهمين ، منهم تسعة من العرب هم :

واسان اجباري ٢٢ سنة

حسن جبرين ٢٢ سنة

صلاح جبرين ٢٦ سنة

أحمد المصري ٢٢ سنة

فاسم محبيلة ٢٢ سنة

ديب ميسم ٢٧ سنة

تيم الرهاش ٢٢ سنة

والثان من اليهود :

راسي ليدان ٢٧ سنة

مولى ليرمان ٢٧ سنة

وكانت الأهم الموجهة إلى العرب هي :

١ - الإنتهاء لجامعة غير مشروعة

٢ - عدم الإبلاغ عن نشاط هذه الجماعة

٣ - إبداء اللية في القيام بعمل ضد المنظمة القائمة في دولة إسرائيل .

أما الاتهام اليهوديان فلم توجه لهما جهة الاتهام إلى « الشبكة » بل الاتصال بممثل أجنيبي .

وكان الاتهام تقابا على أساس الافتراءات في هذا إذا استثنينا حيلة البعض لمشاورات دعائية غير مشروعة وكان الشهود المحدثون هم رجال الشرطة الذين تولوا القبض على المتهمين . وهنا تقرر — منذ البداية — قضية جوهرية وهي : في أية ظروف أدى الاتهامين بهذه الافتراءات ؟ ويؤيد من أهمية هذا السؤال ان الموقوف عليهم لا يظنون بأنهم — حسب الإجراءات المتبعة في إسرائيل — أمام قضية تحقيق بل أمام رجال البوليس ، فيواجه الاتهامات الشخص الموقوف معدا من رجال شرطة الأمن تكون مهمتهم هي الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تتعلق بالآمن القومي ، ثم يحلون بعد ذلك إلى رجال شرطة يظنون أمامهم بأنهم «

وأذا كان المتهمون — فيما أعلم — لم تصغر عليهم أية شكوى من مسلح هذا « البوليس العادي » بهم ، بل الأمر لم يكن كذلك فيما يتعلق برجال أجهزة الأمن . فقد أكد أكثر من منهم ان رجال الأمن الاسرائيليين ساءوا معاملتهم وعرضهم لفسوقات نفسية لا تحتفل . ولاحظ ان هذا الموضوع له أهمية البالغة . فما هي في الواقع تسبب الافتراءات كدلة اتهام إذا كانت قد انتزعت في ظل هذه الظروف ؟ أنها تمتد بأكمله ويصعب كل اثر قانوني لها .

وقد انفي ذلك إلى فتح « قضية صافية » في إطار القضية الإسرائيلية بمسألة التعذيب . وسأرى فيما يلي ماهو الغرار الذي انشأ في هذه القضية للبرهان .

ويبقى ان نلاحظ ان كل إجراءات المحاكمة تمت أمام محكمة صافية هي محكمة حيفا .

ويبدو ان إجراءات المحاكمة تمت وفقا لشرح تقديم هو « إجراءات الفصاع في حالة الطوارئ » الصادر — المصانف — في عام ١٩٤٥ ، والذي كان يطبقا إبان الانتداب البريطاني ، وكان يبدو حينذاك بلينا بلوجه الانتكاد سواء في نظن القوانين اليهود أو الفلسطينيين .

« جو » المحاكمة

كانت المحاكمة شبه ملثية . فكان يسودها فقط — من حيث المبدأ — بصفور الذين من اقرب كل منهم . وأن كنت قد لاحظت أكثر من مرة ان البوليس يتحاور من التفسير العربي لهذا الإجراء ويسمح بدخول أكثر من اثنين من أفراد الأسرة إلى قاعة المحاكمة . بل ان العديد من رفاق المتهمين — وخاصة من الفلسطينيين المرحومين بآبائهم — إلى « الرابطة الشيوعية الثورية » كانوا يتكئون على حضور الجلسات بعد الحصول على تصريح بتجدي يزوي . وقد تمت واحد منهم من المدخل في إحدى المرات ، ولكن الراتب تدخل لمساعده وكرر المعلومات التي يستطيع هذا الشخص ان يقدمها إليه . وفي انفسها سبب له بصفور الجلسة وكان يسودها لأفراة وأصدقاء المتهمين يتحدث إليهم خلال فترات ريق الجلسات والاستراحات وتصلهم الصحف والخطبات والديا . وفي حضور رجال البوليس . وقد طمت انه كان يسودها للمتهمين خلال فترة الحبس الاحتياطي بأن يزورهم أهليهم واصفقاؤهم في السجن مرة كل اسبوع

هنا إلا بزيّ مدد الزائرين في كلّ مرة من ثلاثة أشخاص .

وقد سمح للبرابرين بإحضار المحكّلة دون مصاصب ، وقد تابسوا بمطبخة التفتي فريمان ، لكّته لم يدل لهم بأية تصريحات ، لكنّ التفتية لم تزل منظورة بعد . وهو الأمر الذي شرّحه لهم بأب جـ . أبا دانيه بمثل الامعاء - السدى لم يكن هناك ما يفسّره الى عدم اعلان موكله مع فقد رائق أول الأمر على الإجابة على أسئلة المرافع . لكّته حاله بعد ذلك - وبعد صوبه طويل - الى النائب العام لكي يرد على أسئلته . كذلك فقد رفض الطلب الذي تقدم بهه المرافع الترتبي كلود دوكرز والمرافع البوليسي للتمسح مع المتهمين أثناء فترة راح الجلسه . وكان التفتي قد وانفرا في البداية على هذا التلقا ، ولكنهم طوبوا أن يوافق بمثلّ الامعاء على هذا الطلب . وقد طلب مصطفى فايد مجلة التفكير أبلغ بمدى المرافعين . لكّته بعد استشارة شرطة الابن لا يكتسه الاستجابة لهذا الطلب . وليس من المألوف أن يلجأ بمثلّ للنائب العام ، عند احتضار قرار من هذا النوع ، الى رجال البوليس ليساهم المشورة .

الإجراءات

قولى الدفاع عن المتهمين مجموعة من المحامين الذين وكلّهم مائتات ليم ، ولكن كان هناك أيضا بعض المحامين ممن المختلفين بالمسجلة [منهم الاستشارة لمطيسا لأجر حضور حزب ركاح والاستشارة لها مستويل عضو المائتين والاستشارة لفايى]

ولذكرا الإجراءات التي اتبعت في المحاكمه بإجراءات « اختبار مسجعة الانوار » الممتعة في نظم القضاء الاعلالي مع مسكوني . فكان الحضور القضائي شغلا ومرعبا ومليها . وقد بقوا لأول وحلة انه كئيل بأن يظلم - القضاة أمام القضاء - ولكن ما ليث ان انفضح انه يمكن ان يؤدي الى « اصطيات ميرة » تمتد بين الدفاع والاعلام قبل لظن القضاة ، ويمكن أن يتم احتضان القضاة « لعبة » غريبة جدا تفتن الانصاف على حلول وسطية وجيادل المتعصم والصفتان بين الطرفين [كان بعض احد المحامين من الاستعانة في بعض التصوص القانونية أو يتفائل من حق ميكله في فكر بعض الوقائع . . ويعد مثل النيابة عن مدلل ذلك عن توجيه بعض التهم أو يطالب بمعوية مختلفة . . الخ . .]

وبعد بدء القضية أراد المحامى الذى كان يتراعى عن حسن جبرين ان يشرح طبيعة الاساليب التى خدمته الى هذه

« المسئفة » مع مثلاً التهام ؟ رغم ان موكله لم يرتكب كل الاصل التي اتهم بها ، وكان رد سلومير رئيس المحكمة بانّك المند ضد هذا الأسلوب في الدفاع . وقال انه ليس هناك من يمكنه ان يجبر أو يحث شخصا على الاعتراف بوقائع يرى انه لم يرتكبها . وان هذا يصق بوجه خاص على هيئة المحكمة . وفى النهاية وائق التهم على الالتزام ببنود هذا « الاتقي » الينئى وعلى تحصيل مستوالية الامثال التي وجهت اليه تهمة ارتكباها .

ونستطيع ان نذكر من هذه الواقعة - بادى ذى بدء - جوانب الضوضى العديدة التي تتلوى عليها مثل هذه الإجراءات ، كما نتستطيع ان نذكر بعد ذلك حقيقة الواقعة التي حدثت بعد ذلك والتي اخذت ابعادا كبيرة . ويكفى ان نذكر هنا السلاح الاساسية لهذه الواقعة . فقد شكّا التهم راسى لينيى التفتيب الذي تعرض له أثناء التحقيق على يد رجال شرطة الابن الفلين شريوه وزعروا عنه بلاسه واحاطوه وقتل انه تعرض لضغوط معنوية شديدة لإجباره على الإدلاء باعترافات .

والترتب منكم تقسيمية التفتيب الجسدي والمعنوي التي تعرض لها المتهمون حتى يفلوا باعترافاتهم ، وفترت المحكمة الفصل في هذه الدهوى على حدة . وتمتعت داخل القضية باطلعت عليه اسم « القضية للمسرى » . وطلبت المحمية لمطيسا لأجر التي كانت تدافع عن المتهم راسى لينيى استدعاء شوقى التفتيب للاستفادة .

وكان قد حكم على هذا الاخير في القضية السابقة بالجسب حشر سنوات ولم يكن قد اشرط قط خلال محاكمته الى سوء المحملة التي تعرض لها . ولكنه قدم كشاهد بعض المعلومات الجديدة في هذا الصدد . فقال انه تعرض لتهديدات بفضاضة لم يترجمها لخصيات كبريائية نصيبه بالمجز ، لم يمسد بالشراب على راسه يخرب ويصم ويضعه في هوش به ماء ملتح بأكادته عني في النهاية وبمضات كبريائية . وكان الهدف من هذه المحملة مزدوجا ، اذ ارادوا من التفتيب من خلال تعذيبه ويضعه في هوش به ماء ملتح بأكادته عني في النهاية وبمضات كبريائية . وكان الهدف من هذه المحملة مزدوجا ، اذ ارادوا من التفتيب من خلال تعذيبه ويضعه في هوش به ماء ملتح بأكادته عني في النهاية وبمضات كبريائية . وكان الهدف من هذه المحملة مزدوجا ، اذ ارادوا من التفتيب من خلال تعذيبه ويضعه في هوش به ماء ملتح بأكادته عني في النهاية وبمضات كبريائية .

ولكن قد نتاصل : لماذا لم يتم البوليس بتعذيبه هو على نفس النحو ولا بن تعذيب صحيقه ؟ يقول الدفاع

ان الشرطة الابن لم ترتكب في الذنوب بهذه الصورة لحد اليهود خاصة وان والده عضو في البرلمان عن حزب ركاح ، وفسطوا التعريض لمسيره وتعذيبه . فلما سمع ذلك فان محملا هذه التفتية في المحملة لكّته بشهادة « المحملة » التي يترجم لها المتهمون . اما الاساليب التي رفضه التفتيب الى السمت ابوى ان محمليه قد اتفق بسبع الاتهام وحصل على بعض المرافع الصبح التفتيب تغير مكانه عن ترد وتالبع التفتيب الذي تعرض له .

وتالت المحكمة ان التفتيب ما كان ينبغي له ان يجبل مثل هذا الاتهام وكان لجهه ان يظهر الحقيقة . كما وجهت الزام المحمية لمطيسا لأجر لتعسا نقل من كبرية لميول لها عن المحامي لنيون الذي فترى الدفاع عن التفتيب وليس كانت مساعدة عدم افتر موضوع انتهى بمسد ابرام القسماي سرى قد رويته لما علقرت المحمية لمطيسا يتعلق بشوقى التفتيب .

ولمّن هذا يوضح الاضرار التي تعرضت لها الحقيقة القانونية في ظل مثل هذه الإجراءات التي تطورتها كالمادة الاسرائيلية والتجلبو مسكونية على هذا سواء .

تلقى الاعترافات

في هذه المحلة التي اضرنا اليها كك في غيرها من الحالات التي المجهون من الامزيات قد انتزعت بالفت والضغوط النفسية وقد سبق الاشارة الى ذلك خلال قضية سايك [مثل حالة دان نيريد واحمد مسراوى وعلى شليارى] ولكن لا يمكن القول ان كل الصمم المتصلة بالتفتيب كتكت بمثابة هزيمة ، فقد بدت بعض التكتيدات مثل التي قدمها « ريسان اجبريى » ويعدت فابعض البعض وغير متعلقة وتطوى حتى على الشىء التكتيدات . وفى هذه الحالات رات المحكمة ان الابن لا يحد ان يكون « خيال واعدا » . لكن من المؤسف انه عدم افتر هذا الامر في التكتيست [البرلمان] فله لم يوافق على تشكيل لجنة تحقيق كما طلب الشعب لنيون ولم شكلت هذه اللجنة لاستطاعت ان تجلو الضوضى من كثير من الاحداث . ولكننا هنا يصعد اوراق مهم واتهم شرطي ، وكلاهما قد حلف البين . ابن يصدق القضاء ؟ أو من يهينوا الى تصحيحه ؟ لالكّته انه من الصعب على المتهمين افتراف المسخرين بمصدق تكتيداتهم .

من المهم ان نتحدث عن شهادة راسى لينيى وشوقى التفتيب : لقد كسبت شهادتهما واضحة وثيقة ومتناسكة

وَلَمْ يَكُنْهُ إِذْ تُكَفَى كُلُّهُ السَّيْئَاتِ
الْمَعْدَةِ . وَبِئْسَ عُذْرُ أَفْرَتِ الشَّهَادَةِ
الَّتِي أَجْلَبَا بِهَا . وَهَلِي التَّحْوِ الَّذِي
فَكَّرْنَا . فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْكُكُ فِي
مَعْرِضِ الْخَبِيرِينَ لِلْمُخَلِّبِ .

لَكِنْ بِمِثْلِ التَّيْلِبَةِ حَافِلُ أَنْ يَتَلَّيْ مِنْ
شَأْنِ هَذَا الْمُخَلِّبِ . لَيْسَ أَنْ رَوَى
رَأْسِي لِبَيْنِ كَيْفِ اجْتِبَاهِهِ الْفَرْطِي حَسْبِي
خَلَسَ بِمَلِيشَتِهِ . ثُمَّ اخْتَصَّ بِفَرْهِهِ فِي
الْإِجَازِ لِلْحَسَابَةِ ، قَالَ لَهُ الْهَدْمُ :
أَعِذَا مَا تَصْبِيهِ تَعْلِيْبُ ؟ فَأَجَابَهُ لِبَيْنُ
بِبِلَافَةٍ : « وَهَلْ سَبَقَ لِسَيَافِكُمْ التَّمْرِشُ
إِلَّا هَذِهِ التَّجْوِيَةُ ؟ »

وَعَلَيْكَ سَأَلُهُ بِمِثْلِ التَّيْلِبَةِ لِمَاذَا
لَمْ يَسْجُلْ بِمَحَابِيهِ الْوَقَائِعَ الَّتِي أَكْثَرُ
أَلْيَهَا الْخَطِيْبُ . وَلَكِنْ الْفَسَادَ طَلَبُوا
مِنْهُ عَمَّ التَّمْرِشُ لِهَذَا الْوُضُوعِ
الشَّكْلُ .

وَأَيَا كَانَ الْإِسْرَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ الْحِكْمَةُ
أَعْتَرَا لِمَتِ رَأْسِي لِبَيْنُ صَحِيحَةً وَتَهْتَرَجُ
يَافِقَةُ .

حَدَّثَانِ لِهَذَا مَقَرِّي

أَنْ خُصِيَتْ نَحْنُ مِنْ تَحَايَةِ الرِّسَالَةِ
سَ تَتَبَرَّكُ الشُّكَّ حَوْلَ رَمَائِي دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ ،
وَيُضْفِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ، وَالْبَيْضُ الْفَرْطُ
مِنْ الْمَرْبِ ، أِنْ الْخَبِيرِينَ الْمَرْبِيَّاتِ ،
الَّذِينَ مَثَلُوا أَمَامَ الْحِكْمَةِ الْجَزَائِمَةِ ،
قَدْ مَرَوْا بِهَذِهِ الْأَعْرَاضَاتِ كَانَهُمْ أَجْزَابُ
وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ وَاضِحَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ
بَعْضِي مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَأَنْ كَانَ مِنَ الْضَرُورِيِّ
الْتِمَازُ عَلَى هَذَا الْجَعْبِ مِنْ الْمَسْأَلِ
الَّذِي كَانَتْ لَهُ عَوَاقِبُ عَدِيدَةٌ ، وَسَتُضْرَبُ
لِلَّذَلِكَ مَثَلَيْنِ كَأَنَّ

عَدَدًا كَانَ الْحَاكِمِيُّ عَلَى زَعَمِ يَدَأْنَسُ
مِنْ وَاحِدٍ مِنْ مَوَاقِيهِ وَيَدْعِي تَقْسِمَ
بِمَصَالِحَةٍ ، أَجْرِي لِرَجُلِ الْبُولِيْسِ الَّذِي
كَانَ قَدْ تَلَّى أَعْرَاضَاتِ بِمَصَالِحَةٍ اخْتِيارًا
بِئْرًا لِلْأَعْمَالِ . وَيَدَأُ بِالْفَتَشِكَةِ فِي
أَنْ يَكُونُ نَصِ الْأَعْرَاضَاتِ الَّذِي وَضَعَ
عَلَيْهِ بِمَصَالِحَةٍ قَدْ تَرَجِمَ بِالنَّمْلِ إِلَى الْفَلَةِ
الْمَرْبِيَةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حُدِّدَهُ الْمُعَقِّقُ .
وَذَكَرَ رَجُلُ الْبُولِيْسِ بِأَنَّهُ يَدْعِي بِشَهَادَتِهِ
يَعِدُ أَنْ أَتَمُّ الْهَبِينَ ، وَاجْبِرُهُ عَلَى
الْإِعْتَرَا فِي بَنَةِ . وَقَدْ عَلِمَ أَنْ بِمَصَالِحَةٍ
يَحْرَلُ بَعْضُ كَلِمَاتٍ عَوِيَّةٍ — لَمْ يَهْتَمِ
بِأَنْ يَتَرَجِمَ نَصِ الْأَعْرَاضَاتِ إِلَى لَفْظَةٍ
كَلِمَةٍ كَلِمَةٍ . وَمِنْ بَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ
يَكُنْ مَخْلُودًا مِنْ أَنَّهُ تَرَجِمَهَا فَوَجَدَ بِمَرَاتٍ
بِمِثْلِ [اِرْهَاب] ، وَ [خَرْب] ،
و [تَضَرُّب] ، وَفِي ذَلِكَ مَا كَانَ يَنْتَفِضُ
بِصَفَةٍ خَاصَةٍ أَنْ يَهْتَمُّ الشَّخْصُ الْمَسْجُوبُ ،
مَعْنَاً الْفَتَقِ لَأَنَّهُ هِيَ أَسَاسُ الْإِتْمَانِ
الْوَجْهَةِ إِلَيْهِ .

وَلَحَ الْمَحَاسِي لِلْإِسْتِزْنِ إِلَى أَنْ مَعْتَقًا
أَخْرَجَ سَجَلُ — بِمِجَارَاتٍ مِنْ فَهْمِهِ —
بَعْضُ الْأَقْوَالِ الَّتِي أَقْلَى بِهَا مَوَاقِيهِ .
وَالْأَنْ فَرَسَ فِي الصُّورَةِ الْمُبَيِّزَةِ لِوَاحِدٍ
مِنْ الْخَبِيرِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ اِسْتِغْفَالًا
بِالسِّيَاسَةِ . أَنَّهُ رَأْسَانِ أَجْبَرِي .
وَجِلَّ أَنْ يَبْدَأَ نَظْرُ [الْقَضِيَةِ الْمَرْفُوعِ]
الْخَاصَّةَ بِالْمُخَلِّبِ وَالْمَحَالَةِ الْمَسْئَلَةِ
رَفِضُ الْمَعْنَى الْفَصْلِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَسْأَلَتَيْنِ
الْمَسْأَلِ الْأَسَاسِيَةِ الَّتِي تَتَوَرَّحُ حَوْلَهَا
الْقَضِيَةُ . وَعَنْفِيَا يَدَأُ نَظْرُ « الْقَضِيَةِ
الْمَرْفُوعِ » وَاتَّجَهَتْ لَهُ فُرْصَةُ الْحَدِيثِ
مِنْ الْمَحَالَةِ الْمَسْئَلَةِ الَّتِي يَدْعِي أَنَّهُ
لِغَيْبِهَا ، لَمْ يَشَأْ أَجْبَرِي هَذِهِ الْمَرَّةَ
أَيْضًا أَنْ يَهْتَمُّ فِي الْحَدِيثِ عَنْهَا دُونَ

أَنْ يَتَجِدَّ إِلَى الْأَهْلَانِ كَرَامَةِ الْإِيْثُولُوجِيَةِ
الَّتِي يَمْتَنِعُهَا . وَقَدْ أَعْتَمَرُ أَنْ يَسْجُلَ
هَذَا الْمَسْأَلُ عَلَى الرَّهْمِ ، لَيْسَ فَقَطْ مِنْ
الدَّوْعَةِ لِلْهَدْوِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَيْهِ الْقَضَاةُ
بَلْ كَتْلُكَ مِنَ التَّوَصِيَّاتِ الَّتِي سَدَرَتْ
إِلَيْهِ مِنْ بِمَحَابِيهِ أَثْنَاءَ اسْتِجْوَابِهِ .

فَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَحْمُودُونَ يَشْكُونُ حَقًّا
أَنْ يَبْدَأَ هَذَا الْوَقْفُ سَخَطَ التَّضَاقُوتِ
فِي النَّهَايَةِ مِنْ صَدَقِ التَّكَلِّدَاتِ بِشَأْنِ
الْمَحَالَةِ السَّيْلَةِ .

وَقَدْ رَدَّ إِلَيْهِمْ بِمِثْلَةِ أَنَّهُ « لِإِبْشَاحِ
نَحْنُ وَلَا إِلَهَ عَلَى الْإِثْلَاقِ فَبَيْنَ يَتَوَلَّوْنَ
بِمَحْكَمَتِهِ » ، وَأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُمْ « جَزِينِ
النَّظَامِ يَطْلُبُ إِلَى ذَلِكَ بِمِثْلِ رَجَالِ
الْبُولِيْسِ » . وَيَكُونُ أَنْ تَقُولَ أَنْ هَذَا
مَوْفَقٌ كَانَ لِأَدَائِهِ لَهُ وَبَيْنَ شَأْنِهِ أَنْ
يَحْرَلُ جِهَودَ الْحَاكِمِينَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ
الضَّلَاحَ مِنْهُ وَيَمُوقُ أَظْهَارَ الْحَقِيقَةِ أَيْضًا
الْقَضَاةُ . وَلَمْ يَحْدِثْ مَبْلَغًا أَنْ كَانَتْ
هَنَّاكَ لِحَنَةً أَنْسَبَ مِنْ هَذِهِ لِمَعْنَى الرِّسَالِ
الْبَالِغِ الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَى شَأْنِهَا بِالسَّيْ
يَحْسُ أَنَّهُ غَرِيبٌ عَلَى الْبِلَادِ الَّذِي يَمِيشُ
الْقَاتُونِ « لَمْ يَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ النَّمِيَةِ عَلَى
أَتْبَاقِ طُفُوسٍ لِمَعْنَى لَهَا وَتَتَأَلَّى لَا يَكُنْ
مِنْ خِلَافَتِهِ أَنْ تَطْهَرُ الْحَقِيقَةُ الَّتِي يَزِينُ
بِهَا هُوَ .

وَلَعَلَّ هَذَا يُوَكِّدُ — إِذَا كَانَ ثَمَّةُ
حَاجَةٍ لِذَا التَّكَلِّدِ — بِعَدَى الصُّورَةِ
الَّتِي نَسَافَعُهَا حِينَ نَحَاوُلُ أَنْ نَلْفِظَ
بَيْنَ مُنَاقَشَةِ قَانُونِيَّةٍ كَبْدَةٍ وَبَيْنَ دَوَائِمِهَا
وَحُلَايَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ .

المليحة

الأدب
والفن

ملحق

التفكير الخرافي والمسئولية الاجتماعية
عن العبور «قصة قصيرة»



طه حسين



في هذا العدد :

— التفكير الخرافي والمثالية الاجتماعية

طه حسين

في الفكر الاجتماعي والمواقف

● مؤرخ صدر الإسلام

● مدخل لدراسة فكره الأدبي

● السيرة الذاتية والرواية

● قائمة بأعماله المنشورة

— من العبور « قصة قصيرة »

الفكر الخرافي والمسئولية الاجتماعية

د. فؤاد زكريا

والفكر الخرافي كثيرا ما يحدث داخل
الذين الواحد ، وليس اتباع المنهج العلمي
في العمل ، أو تكوين حقيقة
من المعلومات العلمية - ليس في كل
الاحوال عاصيا للذين ان يكون ،
في جانب من جوانب ، بل في الغالب ،
واضحا بتفسير بعض الظواهر على نحو
لا علاقة له ، من قريب أو من بعيد ،
بما تنهج العلم الذي يجيد استخدامه .

وهكذا نجد ان اكثر المجتمعات تتشابه
فيها من الناحية بالخرافة تتشابه في احوالها
مكان الصداقة ، في كثير من المصالح ،
للحوادث التي تبدو خارقة للطبيعة ،
وفي استمرار ظهور اعمدة من اثنان
فصلك هذا الصباح » أو هذا الاسبوع » ،
وفي التشاؤم من الرقم ١٣ ، وفي
استخدام الكثيرين لعبارة « اسبلك
الخبث » ، إلى آخر هذه المظاهر
التي تقل على أن التفكير الخرافي
مزال في عصر الصعود إلى القمر ،
تشبها بكثير من مواقفه .

ولقد ظهرت تطورات متعددة ، وعيانية
الانجاء ، لتفسير استمرار بار الأفاعيل
في مسارها الخفي تحت سطح المغالطة
الظاهرة للجميع الحديث ، وأصغر
الغيبات على ألا تخفى من حياة الإنسان
الحديث ، وربما كانت التطورات النفسية
أكثر انشراحا : فهناك من يتولون أن

بلا عهد كؤلة ؟ ويعد أن أجدتها في
صميم عمر العلم ، نجد الخرافة لا تزال
ضاربة أطرافها بيننا ، ونرى انفسنا
مضطرين إلى استخدام كل ما لدينا من
أسلحة عقلية من أجل محاربة هذا
النفس المنهد .

وهكذا يبدو أن من الضروري تصور
العلاقة بين التفكير الخرافي والتفكير العلمي
لا على أنها مرحلتان متعاقبتان في
عصرين مختلفين من عصرين تطورت
الإنسان المحلي نفسي ، بل على أنها
لنظام يمكن أن يعيش بما في العصر
الولادة ، على الرغم من أن كل منهما
ينتمي إلى عهد مختلف من عهود التفكير
البشري . فيما للشمس بالطبقات
الجيولوجية التي نودها بمراسمة بعضها
نوع الهمس في الجيل الولد ، والتي
ترجع كل طبقة لها إلى زمن مختلف .

هذه المتشابه بين العلم والخرافة
لا يقتصر على المجتمعات التي يوجد فيها
تبادل واضح بين أغلبية مستقرة وأقلية
مختلفة ، ذلك لأن الخرافة تتلخص في
حتى في تلك المجتمعات التي يتسبح
وصنها بأنها مجتمعات متقدمة ، أو التي
يقال أن أغلبية سكانها قد نالوا حظا
معتولا من العلم ، وربما حظا معتولا من
الثقافة أيضا ، ويؤاد الوقت تحقيدا
إذا لاحظنا أن الجمع بين التفكير العلمي

قد لا يكون أدق وصف يوصلنا إلى
التفكير الخرافي هو أنه تفكير مضطرب
أو باطل ، بل ربما كان الأصح أن
يقال عنه أنه تفكير متخلف عن العصر .
ذلك لأن الطابع الخرافي للتفكير أمر
نسبي ، بمعنى أن ما يعد اليوم خرافة
كان بالأمس تسبيرا للعلم يبدو معتولا
في نظر أصحبه ، أو على الأقل يبدو
في نظره مقبلا وكافيا ، ولا بد من ذلك
أن يعيشوا عن بديل له ، فالتفكير الخرافي
كان في وقت ما من نظرة متكاملة
إلى العالم ، يمكن من خلالها إيجاد
تفسير لكل شيء ، ووضع كل شيء في
مكانه المحدد ، وذلك على أساس من
الأساطير أو الخرافات التي تقدم للعقلية
البدائية إرشاد كافلا .

ولتدعوا لبعض التفكير بآسيا وجست
كوتة - أن يضع قانونا لمرحلة تطور
البشرية ، يبدأ بمرحلة الخرافة (التي
ترتبط عند كوتة بالمرحلة اللاهوتية) ،
وتبدأ (وينتهي بالمرحلة العلمية) ، مروراً
بالمرحلة الميتافيزيقية . ولم يكن ما يهيب
تانون أوجست كوتة هو طبيعة الأراحل
التي اختارها ، بقدر ما كان تصور أن
كل مرحلة على المرحلة المسبقة ،
وامتدادها بأن سيادة المرحلة العلمية في
عصرنا الحاضر كقيلة بأن تؤدي إلى
استبعاد المرحلتين السابقتين . فما نحن
أولاء ، بعد ما يقرب من ثرين ونصف قرن ،

١ - د. فؤاد هسن زكريا : ٢٦ سنة ، استاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس . من أهم
أعماله : الإنسان والخرافة ، التعبير الموسيقي ، اسينورا ، جاز الدولة الشعبية - ١٩٦٤ ، دراسة
لجمهورية لاطلون . ومن أهم ترجمات : المنطق وفلسفة العلوم ، الفلسفة التجريبية في مادة عام ، نشأة الفلسفة
العلمية ، جمهورية لاطلون ، التناول المجتمعي عبر التاريخ ، العقل والثورة

يجزؤون من فهم القوى التي تحكم في مسار حياتهم ، وينظرون إلى المستقبل نظرة تائهة ، ويصوبون إلى الكائنات توهك أن نصيب الإنسان ، وأن قوى الشر السوداء تمثل طليعة حركة لإجرام البشر لمواجهة أحد ، وأن نوعا من المحبة الكونية يظلل العالم ، ويحكم عليه بالتوتر والصراع الدائم ، وما على الإنسان إلا أن يستسلم لحسره المجهول، أو أن يحارب هذه القوى الخفية بقوة أخرى أشد منها خفاء .

هذه النظاهرة ، على الرغم من مبعث انتشارها في مجتمعات مكتفية ، لاتعد مع ذلك خطرا دائما على هذه المجتمعات ، بل كل لها في المجتمع الصناعي المتقدم تظل ، مما انتشرت ، ظاهرة عكسية : تنوع الحياة التي تصود المجتمع الصناعي تحول دون أن يصبح التفكير الفردي خطرا مؤكدا على المجتمع ككل ، ويجعل هذا التفكير ظاهرة منعزلة لا خطر منها إلا على من يمارسوها فحسب ، نأسا

النظم العام للبحث ، والمسار الذي يتجه فيه ، يمثل في مبرمه سلما . ذلك أن الصناعات ذاتها مرافقة للتربية والتعليم ، والممارسة اليومية للحياة ، العلمية ، في بحث كذا ، وحالة بنشاط الاختبار والدفق المبهجة على تخليق علمي محروبي ، بل أن مبدأ الصناعات تنقسم ، على حكم الإنسان بوعي فيما يتوجه ، واعتصاده على مجهوده وموارده وتكثيره وتفتيليه من أجل انتاج مايلزمه ، بحيث لا يمكن هناك عنصر غير محسوب ، أو غير مبهر ، أو غير متوقع ، كل حسده فضلات مؤكدة تصمم المجتمع الصناعي من أضرار التفكير الفردي بها كانت درجة انتشاره على المستوى الفردي ، وتميز هذا التفكير من الجري المسام للخاصة .

أما في المجتمع الزراعي فإن خطر المرض للفراغة الشد يتكسر ، لأن العوامل المؤدية إلى انتشار الأسلوب الفردي في التفكير تنقسم إلى صميمين : الحياة الزرعية ، وتربط ارتباطا عضويا بنمط الحياة الزراعية ، فلي الزراعة عنصر أساسي من عدم التوقع ، ومن المفارقة ، ومن عدم القدرة على الحكم في كل العوامل المرتبطة بالانتاج ، ومنها بئز الإنتاج من جهد ، ومسبل حساب لكل الأوقات المحيطة ، فمن الممكن أن تظهر في أكثر لحظة أزمة غير متوقعة % أو : فيضاض مايلزمه % أو :

هو الذي كان يدفع المثل إلى تحليل الظواهر التي لا يفهمها بارتب الظواهر إليه ، كالشاعر الإنسانية أو تصرفت الحيوانات المحيطة به ، فيمثل كسوف الشمس ، مثلا ، بغضب الآلهة ، أو بعزل الزلازل بأن للور الذي يحبل الأرض على قرونها قد نطقا من ترنسه الأيمن إلى قرنه الأيسر .

أما في المجتمعات الحديثة غسان الشعور بالمعجز أصبح له طابع اجتماعي قول كل شيء . فلم تعد المسألة متعلقة بالقهر أو المعرفة ، وقد أن توصل الإنسان منذ مطلع العصر الحديث إلى قدر من المعرفة يتيح له أن يجد إجابات علمية عن الأسئلة الأساسية التي كان يعجز عن قبل من فهمها . غير أن ثوابر هذا الفكر المغلول من المعرفة لم يؤد إلى إخفاء التفكير الفردي ، لأنهما أكثر من المعجز أصبح ماثلا أمام وعي الإنسان ، وهاتلا بينه وبين المعجز في طريق العقلانية إلى مده الكمال .

هذا القوع الجديد من المعجز يتجلى في عدم القدرة على التحكم الزواحي في مسار المجتمع ، وفي القوى التي تسيطر عليه . وربما كان ذلك هو التعميل الرئيسي لاستمرار ظهور التفكير الفردي في مجتمعات لا يمكن القول أن المعجز مازال مهيما عليها ، أو أن الفكر يمس مغلول الناس لها من التفكير إلى اتجاه سليم . وأوضح مائل على ذلك هو الولايات المتحدة الأمريكية : ففي هذا البلد الذي يتورد حركة التكنولوجيا المتقدمة في العالم ، والذي بلغ مستوى المعيشة المتوسطة هذا لم يبله في أي مجتمع آخر على مدى التاريخ ، والذي تظهر فيه كل يوم الول اكتشافات علمية التي تهللها على العالم جامعاته ومعاهده الهائلة العدد ، الحكمة التنظيم - في هذا البلد بالذات ينتشر التفكير الفردي بشكل كبير ، إلى حد وجود جامعات منظمة تدارس العلوم ما من السحر والخيالوس الغربية في طلب اعظم المجتمعات الصناعية كتبا . وفي مجتمع الوفرة ، هذا توجد أكبر نسبة من الجمعيات الروحية لا يلمنى المشهود لهذا النمط ، وتزدهر الاتجاهات اللاعقلانية وينتشر المعتقدات المبالغتوص الشرق الإنسي بما فيه من زهد ومزور من الغنى وانتعاش من الملم . وليس الناس ، بالرغم مما توارر لديهم من بحرية ومن مستوى عالٍ للمعيشة ،

الإحلام ، في حياة الإنسان ، مصدرهم للفراغة ، إذ أن الصور الخيالية ، غير الخرابطة وغير الواقعية ، التي تتراعى في الأحلام ، يمكن أن تخطط بالواقع ، وتكتسب من حياة النفس طليعا بجسدا يتخذ شكل الفراغة . وربما كان تأثير الإحلام ، والاستعداد للخلق بينها وبين الواقع ، أقوى ظهورا لدى بعض أصحاب الحالات المرضية ، ممن لا يدورمون عن تأكيد رؤيتهم للإشباح أو أرواح مجرد أن صورة معينة تكررت في أحلامهم والمخططات بواقعيهم . ولا جدال في أن استطلاع علم النفس الرويدي لآلات اللاشعور تد اعطى دفعة قوية لمحاولات استكشاف أسباب استمرار التفكير الفردي في عصر تروم حياته أسسها على العلم . ذلك أن الفراغة ، في ضوء التحليل النفسي ، لاتظهر بوصفها شيئا مغيبا لم يعد له مكان في حياة الإنسان وألها في جزء من التفكير النفسي للاسفسن ، وظل كلبنا في اللاشعور إلى أن تطرا ظروف تقدمه إلى السطح الخارجي .

على أن التحليل المستند من مجال علم النفس ، والتحليل النفسي بوجه خاص ، ربما لم يكن كائيا إلا لإشباح جانب واحد من جوانب مشكلة استمرار التفكير الفردي في المجتمع الحديث ، حتى لو سلينا بالإشباح الذي تقبته بحسرة التحليل النفسي ، سيلا علينا أن نعرف تلك الظروف التي تهيئت الفراغة من أبعاد اللاشعور إلى المظاهر الواضحة للتفكير أو السلوك . هذه الظروف هي ، في واقع الأمر ، ظروف تنقسم إلى طليعة المجتمع ، ونوع القيم السائدة فيه ، والعوامل الاجتماعية التي تحكم في تحديد عدد التهم .

وفي اعتقادي أن الأساس بالمعجز هو التحليل النفسي في ظهور الفراغة . وهذا الشعور بالمعجز يتخذ في العصور المختلفة اشكالا مختلفة ، ولكن نتيجة دائما واحدة ، هي أن يلجأ الإنسان ، في تحليله لظهور الحوادث ، إلى قوى غيبية لامعية ، تساعده في التخلص من المشكلات التي تواجهه فخلسا وهيبا ، بدلا من أن تساعده على حلها أو حتى مواجهةا بطريقة واقعية .

ومن الممكن القول ، بصورة مبجلة ، أن الشعور بالمعجز في العصور القديمة ، وفي المجتمعات التي تخضع للتفصيلات عنيفة ، كان في أساسه شعورا بالمعجز من التهم . فالمشكلة في هذه الحالة مشكلة تصور في المعرفة ، وهذا التصور

أحوال بجمعية كثر نواتية ، تتدفق على كل ميليل من جهد ، وهذا يستدق ، بطبيعة الحال ، على الأساليب التقليدية في الزراعة أكثر بما يستدق على الأساليب الحديثة التي تكاد تقترب من الأساليب الحديثة في الزراعة « ولكن ، أيا كان الأمر ، فإن في الزراعة بها تكلفت عمرا مجهول غير متوقع ، يزيد من تعرض المظلة الزينية لأخطار التفكير الميئي والخرافي ، لأن عدم القدرة على التحكم وعلى التوقع تزيد من شعور الإنسان بالعجز ، وهو الشعور الذي يرد إليه ، كما قلنا من قبل — كل تفكير خرافي .

ولو شئنا أن نحدد موقع مجتمعنا من حيث مدى تعرفه لخطر هذا النوع من التفكير ، لكن من الواجب أن ندرجه ، بالنتيجة إلى هذا الموضوع بالذات في إطار المجتمعات الزراعية ، وبطبيعة الحال فإن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ، التقدي هو أنني أجاهل حركة التصنيع الواسعة ، التي تزدهر أحياتها في مجتمعنا يوما بعد يوم ، والتي أصبحت تشكل خطرا بظرف من مناهضة الطاع الزراعي في أحيته . وربما ظن مثل هذا القارئ — فضلا عن ذلك — أنني أنظر إلى مجتمعنا نظرة سكونية ، تنسك بها هو موجود بالفعل ، أو بما كان موجودا من قبل ، وتجاهل بظور التغيير التي تستلزم آثارها بمسورة مؤكدة في المستقبل ، وأن لم تكن قد ظهرت بوضوح في الحاضر .

على أن ادراجي لجمعية هسن المجتمعات الزراعية في موضوع التفكير الخرافي لإبرج على الإطلاق إلى تجاهل الحركة التصنيع أو لتجاهل المستقر على بلاندا ، وأنها هو يتم من خلال وهي كليل بهذه الحقائق ، وكل ما في الأمر أن حركة التصنيع ملندا حديثة العهد إلى حد أن تهيما الخاصة لم تضع بعد ، ومزات معظم القيم التي تهيما عليها ، حتى في مذهب الدين ، وفي قلب الحياة الصنعية ، تيار زينية ، ومن المروى أن حركة القيم أبدا من حيث التفكير في نمط الإنتاج ، بحيث يمكن ، أنيسر هذا المنبر إلى اتجاه لا تلاخذه فيه القيم إلا بعد بضع وقت طويل . وهذا بالفعل ما حدث في تحولها إلى التصنيع ، إذ أن نوع المظلة المسيطر في هذا التحول ، ونوع القيم السائدة فيه ، بازالت إلى حد بعيد فيها ريفية ، ولابد أن نتنظر وقتا غير قصير حتى تتبين قيم العصر

الصناعي — من مثالية ودقة وانضباط وموضوعية لا شخصية — من توليد اندماها في المجتمع .

هذا الشخصيات لطبيعة القيم السائدة في مجتمعنا ، يحدد بوضوح دور الفكر في مثل هذا المجتمع . ذلك لأن الفكر الذي يدرك من وعي نوع الرسالة التي يضطلع بها بوصفه صوتا مبعرا عن أباي المجتمع وتعلقته إلى مستقبل أفضل ، لابد أن يعمل على التمجيد بنشر القيم التي تساعد على تطور المجتمع ونموه . وإذا كان المفكر من فضل في فترة تاريخية كذلك التي تعيش فيها ، فإن هذا الفصل ينبغي أن يتبلل في قدرته على استشفاف اتجاه المستقبل ، والأسهام في توليد دعائم القيم الجديدة التي لاتزال تحتاج إلى صراع وتضال من أجل تأكيد ذاتها في وجه التباينة التي نشد المجتمع إلى الوراء .

وربما اختلف الناس في تحديد نوع القيم التي تلائم المستقبل وتلك التي تربطنا بالماضي ، ولكن لائق أن أحدا يجادل في أن التفكير الخرافي ، والظنرة الأسطورية إلى الأمور ، تنحصر في سيموها إلى الماضي الذي ينبغي التخلي عنه ، ولا مكان لها في المستقبل الذي نتشده . ولذلك فإن من حل المرء أن يتجنب بغير مكر في مجتمع كجتمنا يدعو بمحاسبة إلى التفكير الخرافي ، بل ويحمل على نشره على أوسع نطاق ممكن ، ويضع وراء هذا اللون من التفكير كل السلطة التي يكتسبها الفكر والكتاب المشهور في مجتمع يقدس الشهرة ويثن أصحابها بمصومين من الخطأ .

ومن المآلم هنا أن هدا من مفكرينا لايجدون غشلفة في الدعوة إلى التفكير الخرافي ولا يبالون بالاضرار العقلية التي تلحق بجمعتنا من جراء انتشار أمثال هذه الأفكار . والأشد من ذلك أيا ما أن هذه الأفكار تنتشر بالفعل وعلى أوسع نطاق ، إذ أن الفرافة مريضة ، وهي تقدم أجابة جاهزة سريعة ، كلها توائل واركان ، على الاسئلة التي تثيرنا ، على حين أن التفكير العقلي والفتقى أمر شاق ، يحتاج إلى جهد ومعالجة ، ومقاومة لليل الطبيعي إلى اختيار الحلول السهلة والردود السريعة ، وفيه يعتمد الإنسان على نفسه اعتمادا نلبا ، فلا يجد شئنا يرتكن إليه سوى جهد الفاني . لذلك فإن انتشار أمثال هذه الكتابات لإبرج إلى فضل لسي

هؤلاء الكتاب ، بقدر ما يرجع إلى الكسل العقلي والميل إلى الاعتماد على سلطة الغير لدى قرائهم .

وعلى الرغم من أن فكرة هذا النوع من الكتابات طويلا ، فكتيبتي هنا أن أشير إلى واحد منها أعده كتابا ذا دلالة خاصة ، هو كتاب الأستاذ أبيس منصور « أرواح والشباح » ، الذي صدر في بيروت في بمثل هذا العام . أما الدلالة الخاصة لهذا الكتاب فترجع إلى أن مؤلفه يشجع بقدر من الشبهة والشبهة يتبع لكتابه أوسع قدر من الانتشار في أفسر الأوقات ، فليسان أن تتلفه الواسعة — التي تجلس في كتابات أخرى — لابد أن تدعى على ما يكتبه سلطة يجعله أقوى تأثيرا في النفوس ، ولأسيها بين جمهور من القراء يحقق كل مفسر الصفحة اليومية ، وكل ما يتوله أي كاتب مشهور .

في هذا الكتاب من الأقوال الخرافية ، لا أرى حاجة إلى ملاحظته ، لأن الدخول في نقاش حول فراع لترقيتي التي مؤرات دالة بعد ثلاثة الألف سنة ، أو حول الملكة « كن بسولين » ذات الانداه الثلاثة ، أو حول الفرجات التي تكبر وتفتضح حتى تتحول إلى إمبراطورة ، أو الأصابع التي تتحول إلى أظفار سافرة ، أو الدخول في نقاش خرافات كيد ، حتى لو كان تلكا نقاشا ، يعني أخذها بأخذ الجد ، والوقوف على نفس الأرض التي تركت عليها . ولكن الذي ينبغي هنا هو المنع القبيح من إبطال هذه الكتابات ، والأسس الفلسفية التي تترك عليها . فلكثر الميارات تكرار في الكتاب هي « يقال أن ... » ، « والتقصي كلها تساق على أسس كذبة » ، « يقال » ، « بلا شواهد » ، « بلا أدلة » ، « مثل هذا الكتاب لم يكتب إلا للفتارى » ، « لا يستطيع ، في أية مرحلة من مراحل الفراء ، أن يساند ، إلا بجزء من هذه الكتابات كلها ملعة ! »

هذا الدفاع من التفكير الخرافي ، تساق له أحيانا أدلة ذات مظهر علمي ، فترى دعاما من وجود ظواهر فيسر مغوية ولا معقولة على أساس « أن هذا الكتاب من العلماء لايرفون الإتياء الغربية اللا معقولة ، لأن العلم لايرفون ما لا يفهم ، أنه يفهم من يتلقته حتى يؤمن به أو حتى ينكره » . ولأسست

أدري من أين أتى هذا الأيد الخائف « أن العلم لا يرفض ما لا يفهم » ، ولكنه

شبهات كتابية تحول دون استحضار التفكير الخرافي وإبتداع تأثيره الهدام على أوسع نطاق . ولا وجود في مجتمعنا لهذه الضوابط التي تجمل المجتمعات المتخامية المتقدمة نظما إلى

الخرافة من أن لاخر كروع من الترويح من النفس أو تخيير النبط المتسللي والطمى الملائق للحياء ، دون أن نتاح لها فرصة تجاوز هذه المصعود التي تفرسها طبيعة المجتمع نفسه . بل ان الاتجاه الاصلى للتفكير في مجتمعنا ، يحكم ثراث طويل من الاضطهاد والفسور بالظلم والتعرض لآفات الشر والجهل والمرض ، هو الاتجاه الى التمسيد

الخرافي للاشياء ، ولابد لتفسير هذه الاتجاه من جهد واع يركز على شعور الفكر بالمسؤولية تجاه مجتمعه في اللحظة

حيث يمكنه فيها طيه لكي يبتعد شيئا سخره الناس بالآلوف وربما بالملايين . ان الدخاخ عن العقل قد لا يكون جذابا بقدر الدخاخ عن اللامعقول ، والدخاخ عن اطلاق العقل وعن وجود اسباب الظواهر قد لا يكون خفيف الظل كالسداع من الاشباح والظواهر التي تحدث بلا سبب ، وتنفى بلا سبب ، ولكن الامر في

النهاية يعود الى ضمير الكاتب ، والى

الاضفار الاساسي الذي لابد ان كل كاتب

قد واجهه في مرحلة مبكرة من حياته :

هل أنا كاتب لكسب ، أم أن الكتابة

عند رسالة ؟ وهل اكتب لاسفر من

عقول الناس ، أم لكي اساعدها على

مواجهة مشاكلاتها بيزيد من السومي

واليقظة ؟ هذا الاختيار هو الذي

سيفرض ، في نهاية الامر ، ان كان

الكاتب من انصار الخرافة أم من انصار

العقل .

الخرافة ؟ هو كريمة له ، على ما يتلوه بالحين . . . ان هناك عالما آخر يتقصده عالم الاشباح [. . . وان هناك ائلة كثيرة على ذلك] ولكن هذه الائلة تحتاج الى توضيح لكي يبين بها كل النفس . . . ان الايمان ثمين بها . . . لميل بعد تركيزا للذين ان تربط بينه وبين الاعتقاد بالاشباح الخفية والارواح التي تنجسد في عصور مختلفة والاشخاص الذين يوجدون في مكائين في وقت واحد . الهست اكبر اسادة تلحق بالذين ان يرتبط على اي نحو بالجهل والخلقة ؟ على أية حال ينبغي ان نلاحظ ان هناك ، في الطرف الآخر ، فئة اخرى من الكتاب الذين تنشر مؤلفاتهم بدورها انتشارا كبيرا في هذه الأيام ، يحاول افرادها ان يثبتوا ان كل النظريات العلمية ، قديمها وحديثها ، موجودة في الذين ، وكان النص الديني كتاب في الفزياء

الذرية أو في الطب أو البيولوجيا . وعلى الرغم من ان المؤرخين بما على خطأ لا فقد أردنا من هذه الممارسة ان نسير الى التعالبي بين أولئك الذين يصورون ان ما يدهن قضية للذين تأكيد تصور العقل ووجود عالم من الاشباح يتخلل في عاقلنا المظنور ، أي بالاختصار ، تأكيد الجهل والخرافة ، وأولئك الذين يدعون الدين من طريق تأكيد انطوائه على كل نظرية علمية وصل إليها العقل البشري وسيمثل إليها في المستقبل .

وعلى أية حال فليس هذا هو بيت القصيد ، وإنما المشكلة الحقيقية ، في رأيي ، هي مشكلة مسؤولية الكاتب في مجتمع مثل مجتمعنا . نحن ، كما قلت من قبل ، نمش في مجتمع لا توجد فيه

على أية حال مبدأ خطير لو اخذ به العلم فكان تاريخه كله يصرفا الى هتافته الخرافات التي لا يترك الناس من طرحتها ، ولما استطاع أن يتقدم خطوة واحدة في طريق المعرفة المصبوطة . ومن الائلة الاخرى ذات المظهر العلمي الدخاخ ، بلحاح قرب نهاية الكتاب بن اثنا ١٠٠٠ نعرف أكثر الا اذا تصالنا أكثر . . . فلا علم بخير دحضه ؟ هذا كلام أولئك عليه من كل طلي ، ولكن المشكلة هي ان الخرافات التي يحمل بها الكتاب لن تؤدي الى تلك الدحض التي تولد المعرفة ، بل انها تنتج العيب على مصراميه لدحضه ابلاها والمجزوء صديق كل المجانب والخراب التي تخرج من تلقا للهم السليم . يا التسلل فان التفكير الخرافي يثني عليه من اسفله لانه بطبيعته تفكير تصديقي سلاج ، ولو كان يتصلل لاصبح علما .

على انه اذا كانت المعلومات السابقة تتضمن محاولة مستعجلة هي الدفاع عن الخرافة من خلال جمع « حليسة » المظهر ، فان الكتاب يستعمل بجوارات اخرى تتضمن هجوما على العلم ، وحيلة على الحياة المفسرة المسومة التي جلبها لنا العلم ، وهي حيلرات اراها اصرح تعبيراً عن موقف انصار الارواح والاشباح من تلك التي تتخذ مظهر الدفاع عن العلم . واقل ما يابل من هذا الهجوم

والضاحل انه ينطوي على دعوة ضمنية الى الرجوع الى مصر ما قبل العلم ، وهي دعوة لا أمل منها لأن مسار التاريخ لا رجعة فيه .

والإنس « الفلسفي » الذي — الى جانب العلم — لهذا الدفاع من



طه حسين

لاكثر من اربعين عاما ، فرض الدكتور طه حسين
ظله على الحياة الثقافية العربية : مفكرا وناقدا
ومؤرخا واديبا * ولم يكن طه حسين رجل فكر معزول
عن الواقع ، بل كانت مواقفه واعماله وحسنة
متسقة مع الواقع ، ملهبة لاحتياجه ، وحين اتبع
له ان يكون مسئولا في الجامعة وفي وزارة المعارف
حاول ان يضع مكان يؤمن به موضع التطبيق .

وقد عاش طه حسين حياته الطويلة القصية مؤيدا
ببيع العقل والعلم والحرية ، وخلص الممارك الطويلة
— الحرية — ضد اعدائها ، ولقي من الجادين
والحافدين منا وارعاقا ، لكنه لم يشف ولم يهن ،
وحق له ان يقول عن نفسه — في آخر صفحات
سيرته الذاتية — انه كان « يعرف نفسه حين يشق
في سبيل ما يرى انه الحق ، وينكرها الشد الاكثار ،
بل يرفضها الشد اليغى اذا نعم بالخفى واللين
لانه صانع او داجي او جهر بغير مايسر ، او آخر
رضا السلطان على رضا الضمير .. »

وسيقول التاريخ كلمته في طه حسين، وقد اقبل
عطاءه برحله من مالنا — وما اكثر ما سيقول —
لكن في اثناء اللقنين المصريين لدينا لثلالته حسين
نعا منهم الا من استبد من نور عقله قيسا ، بل ان
اجيالا بكاملها كان يمكن ان تفق حيويتها في غير
جدي لولا ايمان هذا الرجل العظيم بحق الانسان
في العلم والحرية ..

وقدما يلي تقدم « الطليعة » اربعة هوامش على
من طه حسين ..
ونواصل تقديم بقية الهوامش في العدد القادم
وما نحس ابدا اننا اوفياء دينه ، انما الوفاء
ان نرضي القلم الذي آمن بها وان نظورها ونقدم بها
هذه هو الوفاء الحقيقي لكل ما آمن به ، وعاش
له العقل المصري العظيم : طه حسين ..

١ فكر طه حسين الاجتماعي ومواقفه

د. عبد العظيم أنيس

يؤمن بأن على التاريخ أن يساهم في التقدم البشري كما يساهم العلوم الطبيعية ، كما كان يعتبر أن القوى المحركة للتقدم الاجتماعي ثلاث : المعرفة العلمية ، الأخلاق ، والدين ، وعلى هذا فإن التاريخ يمر في رتبة ثلاث مراحل ؟ المرحلة التكنولوجية [وهي مرحلة سيطرة الدين ونظم المجتمعات المبدئية والائتمانية] ، المرحلة الجنائزوية [وهي مرحلة سقوط المجتمعات الاقطاعية والتكنولوجية] ثم المرحلة الإيجابية [نظام المستقبل الاجتماعي القائم على العلم] . وعلى الرغم من صرب بعض آثار الفكر المثالي إلى نظره للتاريخ فإن هذا لم يمنعه من الانتعاش بأن التقدم الاجتماعي عملية موضوعية ، وأن بشيء بشكل واضح إلى دور الملكية والطبقات في التطور الاجتماعي .

ووفقا لسان سبيون فإن مجتمع المستقبل سوف يقوم على صناعة كبيرة منظمة وخاضعة للتخطيط العلمي ، وسوف يكون الدور القيادي في هذا المجتمع الطبقة والشغلين بالثقافة [ومنهم العمال] وسوف يتم هذا التخطيط لصالح غالبية المجتمع وخصوصا الفقراء ومجمودي الدخل . وعلى مثل هذا المجتمع سوف ينتهي التحكم الاجتماعي لطبقة من الطبقات ويدار المجتمع وانتاجه لصالح الجميع .

ولعل هذا التعريف الموجز بشأن سبيون يشير إلى أحد المصادر الأساسية للفكر الاجتماعي لطه حسين في أول

سببهم أن يأتوا بين نتائج العلم على اختلافها وبين حاجيات الناس وطاقتهم واستعدادهم للتطور والعنى في سبيل الرقي » . ومن الواضح أن دور كليم كان شديد الإعجاب بسان سبيون بفنونه به هو الآخر ، كما كان لطيفة طه حسين باستاذة ، ولذا ما أتفق عليها كليل في دراسة لنيلسون وأحد معسرون ، بمنحه ونظرته الاجتماعية كسانسبيون .

من هو المَن سان سبيون السَّي ؟ لا يقول طه حسين عنه إلا أقل القليل ؟ يعرف كل المتحمسين لتساريخ الحركة الاشتراكية في العالم أن سان سبيون [١٨٦٥ - ١٨٢٥] كان مفكرا اشتراكيا وثقرا ، وأن كانت اشتراكه من النوع الطوباوي بسبب مجرّه من أدراك الدور التاريخي للطبقة العاملة ، ولم يكن سان سبيون مفكرا اشتراكيا نضاب ، وإنما كان مناضلا مياليا أيضا . لقد كان وثيق الصلة بأشد أجنحة الثورة الفرنسية راديكالية [الديمقراطية] وشارك شخصيا في سلاح في حرب الاستقلال الأمريكية .

وبن الناحية الفكرية تسمى سان سبيون لفكر الحرية المادية الفرنسية في الفلسفة وعلاش يعنى الفلسفة المثالية [الحقيقية] كما دافع عن النظرية الجبرية مستندا بها إلى التطبيع إلى تطور المجتمع البشري وأهم احتياجا خاصا بقوله أن التاريخ تحكمه القوانين ، وكان سان سبيون

لا أظن أن استلذا من استاذة طه حسين قد أثر فيه ، في مرحلة الدراسة - كما أن دور كليم استلذا علم الاجتماع بجامعة السوربون في فترة الحرب العالمية الأولى . وليس هذا الظن من قبيل الزعم بالغيب ، وإنما يشير طه حسين إلى هذا بصورة شبه صريحة في الجزء الثالث من كتابه « الأيام » فهو يقول في صفحة ١٣٦ « كان الفاني لاستاذة محبا وبه محبا امجبا يوشك أن يبلغ الفنون » وذلك أدركه هنر جميل عندما علم بوفاة وهو يعد رسالة الدكتوراه عن ابن خلدون . وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب وعنوانه « أيام بالثورة » يمدح طه حسين إلى دور كليم مرة أخرى فيقول أنه « كان شديد التأثر بدروس دور كليم في علم الاجتماع » ويشير في أماكن متعددة إلى فضل دور كليم في توجيه رسالته عن « الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون » .

وربما تكون هذه النقطه بالذات - صلة طه حسين بدور كليم - مغلّا بناسا لنحت فكر طه حسين الاجتماعي في أولى مراحلها . فلذا دعنا إلى كتاب الأيام مرة أخرى نجد طه حسين يذكر مراحلة أن دوركليم « أتفق ميا كليل يدرس لتأليفه مذهب الفيلسوف الفرنسي سان سبيون الذي يقوم على أن أمور الحكم الصالح أنتج الذي يحق العدل ويكفل رضى الشعب ويتبع للإنسانية أن تقدم للألم ما يجب أن يصير إلى العلماء لأنهم هم الذين



لنقله حله حسين في هذا المجال ان
مقرر بين تناوله لهذه المرحلة وتناول
كتاب آخر - مثل هياكل العقول - للنفس
المرحلة في كتابه « عقيدة علي » لدينا
نجد العقاد يشغولنا بتفسيرات فلسفية
أو غيبية في فهم هذه المرحلة ، الامر
الذي أدى به الى موقف لطيف واضح
نجد حله حسين يقدم صورة أكثر حيوية
واقعا بسبب وضوح رؤيته في الانسجام
الاجتماعي للتاريخ . ومع ان حله حسين
قد اذعن عن اصدار حكم اخلاقي نهائي
على واحد من المسألة الذين استغرقوا
في احداث التنقل ، وامسحوا في حياته
هذا بكلمة سعد بن ابي وقاص « لا تاتل
حتى تاتوني بسيف يمل ريمس يقول
أصب هذا واقفا ذاك » ، الا انه
تداول هؤلاء الصالحا جميعا [عثمان
علي ، طاعة ، الزبير ...] بيزان
انسانيا واقفا تاليه اي منهم .

نستطيع إذن ان نقول ان فكر طه
حسين الاجتماعي كله بدأ في استقيل
حياته بفكرة الجبر التاريخي ، واتى
دعا الى فكرة الأساس الاجتماعي في
التفسير التاريخي ولم ينقل عن هذا
الفكر ابدا ، وأنه طرح في تطور حياته
الفكرة الميكانيكية في هذا التفكير وجعل
بين العوامل الموضوعية والذاتية في
النظر والتدخل . ولقد ذهب الى ابعاد
من ذلك غارم انخرطه حسين ومراقف
العناية لم نقل من آثار الفكر الاشتراكي
الخيالي للفكر الفرنسي سان ميسون
وعنما وصفه مجلة « للبر الجديد »

اليسارية التي كانت تصدر في
الاربعينات بأنه كاتب بورجوازي ليبرالي
سارطريه حسين بقره مفكرا بورجوازيه
ويؤكد فكره اليساري وصحيح ان حله
حسين كان حريصا - ايمان التفسير
الذي - بشكل عام حله مداراة هذا
الجانب في فكره ، بل لعلنا نجد في
كتابه ايضا ثغرات يحاول ان يني
بها عن نفسه شيعة ان يوضع في مداف
« الاشتراكيين » ، على كتاب « المثلثون
في الافرى » يقول في « مرحلة » ان
هذا الحديث يدل - فيما لظن - دالة
واضحة على ان بين المحافظين
المعتدين في المحافظين ، ومن اصحاب
اليمين الذين لا يهتدون بأحد كسا
يهتدون بأحد الشغل » ، الا ان
هذه الثغرات لم تكن في راي الاستاذ
يرد ان يحس نفسه من ينشئ السلطان

ويرد عليه ، واذا التشخيص البشري
بمستطيق فنيها ويظهر حله حسين بهذه
الكلمات « يشاء الله كان ، وعالم
يشأ لم يكن . الله اكبر على الصلح
والإيمان . حضرتك مسلم ! » ويهم طه
حسين ان يرد ، غير ان استغفاره
سكتلنا بوقته بلمسة في كتفه قللا
بالعربية « اسكت ، اسكت ، ايفرك ! »
من الواضح ان ان حله حسين قد
بدأ تفكيره في « الجبر التاريخي » قبل
ذهابه الى فرنسا ، ومن المرجح المرحلة
فراسته على المستشرقين في الجامعة
المرية قبل سفره قد ساعدته على ذلك ،
الا ان تلميذه على دور كليم في « سويون
وانشغاله بالفكر الاشتراكي الفرنسي
سان ميسون مليا كلالا قد اضيق فكرة
في هذا الاتجاه ، ومنعه دعاية عقلية
جديدة لم تتوار له قبل سفره . وربما
خلقت حياته الفكرية في فرنسا بعض
هذا الفكر الميكانيكي في النظر الى
التاريخ ، لئلا نجد حله حسين يعمدونه
يفتح تدريجيا من صرامته العقلية ذات
الفطرة الاحادية الجلب في التاريخ ،
ويصبح يحدد العوامل في مسيافة
الظواهر الاجتماعية والتاريخية ولا يفر
على العوامل الخارجية بحسب وانسا
ينادي ايضا بان العوامل الذاتية والنفسية
الى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية
في التطور التاريخي . ولكن طه حسين
يقتل مع ذلك محيطا الموائل المادية
اقتصادية واجتماعية الاثر الاول كحرك
لتطور المجتمعات .

ولعل دليلنا على هذا التطور في فكر
طه حسين الاجتماعي ونفسه يبرز بشكل
خاص في فرائسته القصصية في كتابته
« القصة الكبرى » : عثمان ، وعلي وبنوه .

ان طه حسين ليس بالفكر الوحيد -
من القدامى أو المحدثين - الذي تعرض
لتكثيف هذه المرحلة الهائلة من تاريخ
المجتمع الاسلامي ، ولكنه كان اكثرهم
اقناعا ، لانه لم يكن مجرد مسكر
للاحداث فحسب وانسا أعاد صياغتها
وتربيتها على نحو ينطلي عقل ، أي انه
أعاد بناء هيكل تاريخي كامل ، وجعل
نكل من العوامل الذاتية والنفسية
دورها مزج بينها مزجا بمتقنا في تفسير
كثير من الظواهر .

ولقد يكفي لكي نذكره الامتياز الرابع

مراحل حياته الفكرية وما بعد ذلك .
ولسا نريد بذلك ان ندعي ان طه حسين
- قبل سفره الى فرنسا - كان خالص
الذهن من هذه الانكسار الفلسفية
والاجتماعية ، فالحق ان ذهن طه حسين
- في مرحلة فرائسته بالآثر - كان
يشغولنا بعدد من القضايا التي اثارها
المعتلة في الاسلام ، وفي مقتبسا
نفسية الجبر والاختيار ، ومن الحق
ايضا ان مرحلة فرائسته بالعلمية
المرية قد انضجت مسددا من عهده
الانكسار . فرائسة الدكتوراه التي تدعى
للجامعة المرية عام ١٩١٤ من ابي
العلاء كان عكس ايمانه به - « الجبر
التاريخي » او كما يقول : « بان الحياة
الاجتماعية انما تأخذ اشكالها المختلفة
وتنزل مغالبا المشغلة بتأثير الملل
والاسباب التي لا يمكنها التماسن ،
ولا يتسلط لها دعما ولا اكسابا »
ويقتضى هذا الجبر التاريخي يرى طه
حسين ان « العقلية التاريخية والعقيدة
القصورية والعقيدة ... كل اولئك
نسيج من عقل الاجتماعي والكونية
يفتح للتخيل فروع المادة لمعلم
الكيمياء » .

ومع ان هذه الفطرة تكاد تعمد العوامل
الذاتية في التطور الاجتماعي وتغلبها
بشكل ميكانيكي ، الا انه يقي الجانب
الاجتماعي في فكر طه حسين متضامنا
بان التطور الاجتماعي تحكمه قوانين
كما تحكم علم الكيمياء ، وان التاريخ
ليس مجرد مجموعة من الاحداث
المشوائية التي لا تقبل تفسيرا وانسا
تحكم مجموعة من القوانين كذلك .
ونستطيع ان نجد ابتكاره بهذه الفكرة
واضحا ليس في كتابته فحسب ، وانسا
في موارفه وجدالاته ايضا . ويترك
طه حسين حين ذكرته في الاسم
انه ايمان فرائسته في الجامعة المرية
أيدى أحد أسلافه من المستشرقين
الاجاب [الأستاذ سكتلنا] رفيعه
في حضور درس من فروع الآثر ،
منحجه الى الوثائق العديدة حيث كان
الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري يلقى
درسه في التفسير ، وكان يهتد بالتشغول
بتفسير آية كريمة من سورة الاعلام .
ولقد جره تلمين الآلة الى التوضي في
حديث الجبر والاختيار وجعل يرد على
الحجج ويدهج مخالفهم . فذا حله
حسين يجلد الشيخ البشري فيما يتبادله

لأن كتاب « الملوك في الأرض » يرى في دلائله المؤرخية التي للمشور السياسي الثوري ، والنص الصريح على الثورة على النظام الملكي والأتاقيين ، ممسا غلغت عبارته بترجمة إصلاحية ركيكة ، ودعوة إلى زيادة الضرائب على الأغنياء .

ومع ثورة عام ١٩٤٢ والقضاء على النظام الملكي نجد أنه حين أكثر اتزاناً في تحديد موقفه الفكري مما يجري في العالم من صراعات بين الرأسمالية والاشتراكية ، ففي كتاب « النهضة الكبرى » [ملان] الذي صدر عام ١٩٤٢ يتقدم له حسن للكتاب قائلًا « أن الديمقراطية (يعنى الديمقراطية الرأسمالية) قد هضمت للناس شيئاً من الحرية وتبلى من المساواة أمام القانون ، ولكنها لم تكن تفسد لهم من المسد

الاجتماعى شيئاً ، والشيوعية تخسنت للناس قليلاً أو كثيراً من العمل الاجتماعي كالتفكير ما بينهم من فروق ، واتسعت للملايين منهم أن يعملوا ويتقدموا بدرجة عليهم ، واتسعت للملايين منهم أن يعيشوا غير محرومين للذة أوغصمة أو حزن . ولكنها هضمت في سبيل ذلك بحريتهم كلها فلم تدع لهم شيئاً شيئاً أولئك تدع أ م منها شيئاً وللناسية قد هضمت بحرية والعدل جميعاً ٢٠٠٠ »

وهذه المقالة هي في جوهرها نظرية الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الغرب أو علمياً نظرة بعض اجتماعها . ويشير له حسين - في المرة الوحيدة فيما أعلم - إلى ثورة أكتوبر الروسية إشارة إلى دلائلها عندما يقول في الجزء الثالث من الأيام « وفي أثناء تلك الحرب إلى يحد الحرب العالمية الأولى] كتبت ثورة لم يعرف التاريخ لها نظيراً إلا الثورة الروسية والفرنسية في القرن الثامن عشر . وقد حاولت هذه الثورة أن تحقق نظاماً كان الناس يترقبونه في الكتب ويعتقدون أنه من المثل المبهمة التي لا سبيل إلى تحقيقها » .

وأيا كانت كتاباته في العهد الملكي أو ما بعد ذلك إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن حياته ومواقفه العملية ظلت دائماً داعماً متصلاً من الفتره ورغبا صريحا للنظام الاجتماعي الذي لا يكتفى هؤلاء منهم في الغذاء والسكن والدواء والتعليم . وقد يكون من ثائلا المتحول

أن تشير إلى شجاعته العظيمة في دعوة « الماء والهواء » في التعليم ، وهي أسلحة دعوة لتعليم الفئران في جميع مراحل التعليم ، أو أن تشير إلى الفترات الثورية التي يتبدل بها كتاب « الملوك في الأرض » عندما يهاجم أئامية الإغنياء « المشغولين بجمع المال إلى المال ورغم الشراء إلى الثراء » وبالملاذات التي لا يفرغون منها إلا ليتبؤوا على بعضهم الآخر ... ثم لم يخطر لأحد منهم - وليس يرجى أن يخطر لأحد منهم - أن يؤس اليائسين وأعداء المحدثين لإيجر الشؤى عليهم بقدان ما يجد الفؤى على وطنهم كله ، ولا يستحقون لهذا الخيل من الصبرين أن يؤسم في عين الأجنى بالآخرة المكرة التي تفسد من صاحبها وتجعله خليقا أن يردى ويحترق ٢٠٠٠ »

وهو يصرح في آخر فصل من الكتاب بعنوان « مصر المربشة » إشارة إلى ويا الكواكب قفلا » وتقبل العيد فلذا الترون يعلنون على عيدهم كبا أبل عليهم عيدهم ، لا يشعرون أن ملكاً من الاسر في ملك من المدن والقرى قد كاتت تنظر العيد كاتوا ينتظرونه ويتشوق إليه أكثر مما كاتوا يتشوقون إليه ، ولكن العيد اختلهم ومعه وأرسل إليهم الموت ثانياً عنده ٢٠٠٠ . ثم لا يشعرون أن أبهم مصر مربشة ، وأن مربشة هو الترف المهلك ، ولكمالاتنق حنا وأبنا تزل إيتامنا ويتأثم نزا » .

ولقد كان من الطبيعي أن يصدر مثل هذا الكتاب في مصر ، وأن يدل على رأس صاحب قسب السلطان . وكما تعرض له حسين طوال حياته لاضطهاد السلطان ٢٠٠٠ »

في الجمعية التشريعية إبان الحرب العالمية الأولى حاكم بعض النواب له حسين وتقدموا بترافع فصله من الجلسة للامكار « الملهدة » التي جبر عنها في رسائله من أبي الملاء . وبعد أن صاد من ترسنا ونشر كتابه « في الشعر الجاهلي » عام ١٩٢٦ ملحت الدنيا كلها عليه لرائته المسجدة وبنهجه الذكاري في البحث ، وقلت القليلة في مجلس النواب وسبق له حسين إلى النيابة القومية وقرى عليه مسحب الكتاب من الأسواق ولم ينشر بعد ذلك إلا بعد تحذيره وحلف بعض قراءه . ولولا أن بعض المسؤولين تصفوا للناح

منه ، ولولا أن رئيس الوزراء هدد بالاستقالة إذا حوكم له حسين لكان بصيره إلى السجن حتماً . وفي عهد سعدى أخرج طه حسين من الجامعة لأنه دافع عن الحرية والديمقراطية وال دستور ويرغب أن يستجيب لأوامر سعدى وأرأهيه في داخل الجامعة . وفي إبان النظام الملكي صودرت كتبه وحورب على رزقه فلم ظن له فلة وظل شاكى السلاح شجاعاً في فكره متقدماً في مواقفه العملية رغم بأسه فقد أن بصره ورغم زواجه من سيدة فرنسية غريبة عن مصر شامت الاكدار أن تبحت اجتماعاً مسيراً خلال مواقفه ككفر وبنايل وصاحب رسالة .

وفي كل هذه الاختبارات صيد صيدوا رافعا ، وأثبت بالفعل لا بالقول أخلاسه الشديد لفكره ، ووجدت شخصيته العظيمة في الفكر والعمل ، فلم يداهن ولم ينافق ولم يفلت من مسكر إلى آخر تمت هضمت العيلة أو طابا لرشا السلطان . وكما بدأ الكثيرون من كتابنا وبكبرنا كما بدأ طه حسين - ثورا وبجدتين ولكن ما أسرع ما لاقوا في زوايا التسيان أو انتقلوا إلى مسكر المحلفين انصار السلطان - وفي فترة من أروع ما كتبيله حسين بثران في كتاب « الأيام » بين هؤلاء المقتنين وبين عالة هذا الشعب أول ملحة الفطر والاختيار فيقول وكان أول ملحة الفطر بعد أن أقام وقتاً تصبراً في بحر ، أن الأمر كان يخطأ بين الذين كاتوا يرون أنفسهم ملهاً ومكبرين وبين عالة التمس والشباب منهم خاصة . أما أولئك فكاتوا يؤمنون بالثورة ولكهم كافر يؤمنون بأنفسهم أيضا ، وهم من أجل ذلك لا ينظرون إلى الأحداث ولا يشاركون فيها خالسين في غير تردد وأبنا كاتوا يثدرون لأجلهم وأوصهم قبل الظو ٢٠٠٠ أما عالة التمس والشباب منهم خاصة فكاتوا يؤمنون بالثورة قد أخلصوا لها نوسهم وقلوبهم وأيديهم أيضا ، لا يكتفون في عاقبتهم ولا يثادون هؤلاء معها يكن ، وهم كاتوا يعرضون صبورهم لرسماس الإنجليز ويثامرون بعيناتهم مفخرة وأثمة ٢٠٠٠ »

ويقدم طه حسين هذا الفصل الرابع من كتاب الأيام بالرد على الذين يؤمنون بأنه فرق في السياسة إلى أكنه وكان جديراً أن يرفع للعلم والتعليم ، وألا يكتف



اليوناني وشجبه على الكتبة في « الجريدة » . أما السبب الثاني فهو أن حزب الوفد كان حزباً حديث التكوين ليس له برنامج إجتماعي واضح يحسم قضية ما في الفكر الإجتماعي ، بل أن موقف حزب الوفد أراء الطرب الاشتراكي الذي ظهر بعد الثورة كان موقفاً رجعياً شديد الرجعية ، ومن هنا بدأ طلبة حسين أن الترقى بين والاهرار والاداسوريين ليس إلا فرقا بين شخصيات الغداة ، وأن الصراع بين القباطين ذو طابع شفهي بحت ، ولقد وجد طلبة حسين بلاء الفكرى عند هذه الملتحين المرجلين بالاهرار والاداسوريين الذين كنفوا على استخدام اللغات حسن حرية طلبة حسين الفكرية ، أما السبب الثالث فهو اختلافه الشخصية الوترية بلطى السيد وبمائلة عبد الرزاق ، الى درجة أن طلبة حسين — علما بما حسن — تزل بالانكسرية فى كمر حسن بلطى عبد الرزاق محافظ الفكر آنذاك . وأقام عدده أياها ، ثم يبنى بعد ذلك الحلقه الذاتى فى الصراع بين شخصيتين ميلاتين كمله حسين وسعد زغلول ، ومن الحق أن سعد زغلول دليل طلبة حسين [عندما ذهب لزيارته فى باريس أبان مؤتمر الصلح] .

فى فكر وشيخ ولم يربح بمقايه لا وأن هذا اللقاء الفار ومادار اليه من نقاش قد ملا قلب طلبة حسين شيئا بسعد وأراضاه عنه .

ولكن طلبة حسين فاته أن حزب الوفد كان الحزب الشيوعي الوحيد فى مصر بعد الحرب الأولى بمصر . وأن أصحاب « المصالح العتيقة » قد انكشروا من الوفد أنهم كانوا تخمين من الاستقلال بالاسم وليس بالجوهر ، وأن سعد زغلول كان مثل الكوار العقبيين من أجل الاستقلال ، وأنه بهذه الصفة كان رداً لئلاء ومصلحا الحقيقة وليس لصالح القباطين .

وإذا كان قد غلت طلبة حسين عن هذه فى حياة سعد فله لم يفته بعد وفاة سعد أن يصبح موقفه ، وأن يلقى طريقته الى صفوف القادة الشعبية فى سهولة وسر . وأن يلعب دوره الرابع فى ثبات منافسا من أجل الديمقراطية والاستقلال ، ومن أجل العدل الإجتماعي .

فى نظمة متأخرين هذا الكتاب استجابة تسمية أخته فى كتاب « فى الشعر الجامعي » ، وهو فى جوهره دعوة الى املاش الفكر الإنسانى الإلاح على حريته والتبرد على المحافظة والسلبية والوجود والذي يتر « شجرة البرس » . سوف يلتص هذا بالهدا الإجتماعى فى أحداث القصة وعمق ادراك طلبة حسين لما يصنعه التطور فى المجتمع من متناقضات ومفارقات لا تسمى حياة التجار فصب وإنما تسمى أمم اعياي حياتهم الشخصية وحياة ابتاعهم من زواج وطلاق وما ينطه الخابريون والذين والصراع الإجتماعى نى حياة الناس من هم تليل .

وأخيرا وليس آخرا ، نقي مفارقة موقف طلبة حسين من سعد وحزب الوفد فى أول انشائه من المقارقات الهامة فى حياة طلبة حسين وفى فكره ونفصاله . لقد اتصل طلبة حسين بحزب الوفد منذ عام ١٩٣٠ . وأربط به طلبة نظية هذا الحزب ، وكان هذا الحلقه منطقتيا ويمتصا مع تنسالة من أجل الحرية وديمقراطية التنظيم والإصلاح الإجتماعي . أما جالا يندو منطقتيا ومفويا فهو صلته على سعد والوفد فى أوائل العشرينيات وإنميازه الى أعداء البوء ، وخصوصا حزب الاهرار والصفوريين . وفى رأى أن هذا الموقف من جانب طلبة حسين كان خطا تاريخيا فى مياله السياسي ، ولكننا يمكن أن ننسب له الأسباب فى عدم موقفه هذا . فمتعبا انشئت الجامعة الاطية عام ١٩٠٨ . وجد طلبة حسين أبلى حياته فى التحول من الدراسة الزهرية المحافظة الى دراسة أكثر تحيرا وأرعب وكرا ، وكانت للجامعة نى يد الطبيعة الحكة آنذاك ، فكان الأمير أحمد فؤاد هو رئيس الجامعة ، وكان مجلس ادارته يضم عددا كبيرا من أعضاء حزب الكتبة وإنساره ، هؤلاء احتفظوا طلبة حسين وسامدوه فى السفر الى باريس لدراسة الدكتوراه . ولقد كان طلبة حسين حريا أن يعرف فضل هؤلاء جميعا من تشجيعه على الحصول على الدكتوراه فى مصر وفى السفر الى باريس ، وأن يندو فى التشايق عليهم ويبدؤ استاذهم لطى السيد الذى فتح له أكتافا فى الفكر

لا فى طلابه وكثيره غالبا . أن بعض الظروف تحيط بالشعوب لتجعل الحودة يلقاها الى بعض انشائها أنها لا يفتقر الحودة فى ذلك الوقت جينا ونفقا

من هذا المطلق على طلبة حسين بالشباب وأخذ يوده وحاول أن يوجهه وأن يوجهه . وأغلب الظن أن هناك مثلث من الذين اتصلوا فى شبابه بطله حسين وكان له عليهم فضل التوجيه أو المساعدة أو التشجيع . وبمحمل هذه المواقف لطله حسين غير منشورة ولا معروفة . لقد كانت حياة طلبة حسين فكرا ونفصالا متصلا وكان فكره حياة متمسكة ، وكان اختلافه بالسياسة موقفا واضحا من فكر صدم على أن يفتل على جانب الشعب ، والفقاء منهم خاصة .

يبقى عدة ملحوظات فى ختام هذا المجال الذى يعرض فكر طلبة حسين الإجتماعى ومواقفه وأولها موقفه من قضية تحرير المرأة ، ولعل سوف أرى بمكر من هذه القضية هو أحد الاختبارات الأساسية . تهاى مدى تدميته : وطه حسين كان دائما — أبلى مسلفه الى فرنسا بكثير — نصيرا لحرية المرأة شاذيا بالمساواة بينها وبين الرجل ، وله فى هذا مقالات عديدة معروفة جرت عليه فصب عنها الرجعيين وتكلم . واعتقد أن موقف طلبة حسين من المرأة كما هو ينعكس فى قصصه جدير بدراسة خاصة وأن كان هذا ليس موضوعنا اليوم .

والاختلاف القاتية تتللى بقصصه وأدبه ، وصلة هذا بموقفه الإجتماعي . ولست أظن أن أبلغ عندما أقول أن قصص طلبة حسين ذات صلة وثيقة بظروفه الإجتماعية ، وأنه من خلال هذه القصص حاول أن يعلن تروده على حالة النخل الإجتماعى والفكرى التى كانت تسير على الجنب المصرى — فى أوائل هذا القرن — ملية وفى الربف خاصة . وليس كتاب « الأيام » عندما صدر على هيئة الفصول عام ١٩٢٦ فى مجلة « الهلال » إلا صرخة أدبية وعقنية من حالة الزيق بأمرامه وفكره وبؤسسه وسيطرة بعض رجال الفن على فكره الذى دون أن يكون هناك مبرر لذلك من دين أو عقيدة . ولقد اعتزل طلبة حسين نفسه

٦ طه حسين :

مؤرخ صدر الاسلام

د. محمود اسماعيل

والصدق والتكليف وترجيح ما يمكن ترجيحه واسقاط ما يمكن استخاذه ، والشك فيما يجب الشك فيه . فليس علينا بأس ان نسلك الطريق التي سلكوها ، وان نضيف الى القواعد التي عرفوها ما عرفه المحدثون من القواعد الجديدة التي يستعينون بها على تحقيق التماسك وتحليلها وتعليقها » (٢) ..

وقد ان نناقش كيف توصل طه حسين الى هذا المنهج الذي مكن به نفسه تاريخ صدر الاسلام ؟

نعتقد انه اعاد من التداوي والمحدثين كذلك ، والذين يتنازع الى ابن خلدون على اقله ، لكن القليل ان ابن خلدون لم يظهر من فراغ ، وانما سبقته تجارب منهجية وضع اصولها حنلة بن مؤرخي الاسلام الطبري والبلاذري والمسعودي وغيرهم ممن اشد بهم ابن خلدون في بحثه (٣) . وجدير بالذكر ان طه حسين قد اعتمد على اعمال اولئك المؤرخين في تاريخه لمدى الاسلام دون تاريخ ابن خلدون المتأخر . ولا بد انه تأثر بمشاهير من قبل او كثير ، فمن الطبري عرف الامانة العلمية في تسمية الروايات التي ثوبها ، ومن البلاذري وقف على تحري الصدق وتبني المسلسل ، ومن البلاذري ذكر طه حسين (٤) « البلاذري يروي الخبر متحفظا متريضا للمسند ما استطاع ، وهو كثيرا ما يروي بشي

ان الفكر المتخالف الذي رآه على حيائنا ثرونا عديدة من الزمان ، والذي يستبد وجوده من دسيسة رائقة اكتسبها بحق التاريخ ، ما كان يحتكره الوصيلة عليه وسعوا لاثبات طه حسين بالتولوج في رمقه للكشف عن حقيقة ، فسلح السلاح والحرمان الذي طالما استغفنه التقيسة في الصور الواسطي لواء الفكر العرطل بشيرا في ايدي « الكابروس » يستغفونه سوط عذاب لسلك من وام بخلا كسر احتكار الفكر وتحريره من اسار الكهنة ..

كان طه حسين - بحق - برومبوس « العصر الذي ناضل من اجل رسالة غرابها فريد الفكر الغربي ، وبعث للحوادث الوضاعة في التراث العربي واحكام المسلة بينا وبين الفكر الليرالي الغربي . لقد كان من اولئك التفسر من المسكرين الهويين الذين يؤمنون بفرضيات دوح المسطرة ومنجولها عبر الزمان والكان . ومن ثم لم يجد طاهسا اليقة بين الامالة والمفسرة ، فلوقة الفكرية العربية ان تكتفي بال « نندارك ما لمسنا من التراث القديم ... ونستدرك ماكاننا من العلم الحديث » (١) ، ولاغروا بالمنهج التاريخي في نظره يقوم على اساسي من التفسير العلمي ، وهو فلسم مشترك بين الشياء والمحدثين على السواء » « فالحقنا ، التفسر وضعوا قواعد التمديل والتجريح

ناتى قيمة طه حسين في حيائنا الثقافية ليس فقط من كونه مفكرا مبرزاً شرب يسهم واقر في اثناء ميدان الانسانيات باعمال مبتكرة ودراستات موسوعة متنوعة الخاخي بل لتجلي هذه القيمة باعتباره داعية للتطوير وصاحب رسالة تروم وضع حيائنا الثقافية برمتها على المسار الصحيح ومن هذه الزاوية نعتبره امتدادا طبيعيما ومنطقيا لرواد التطوير من امثال الطهطاوي ومحمد عيده .

ويذكر ان تصرف يوم رسل التطوير والدرجة الاولى نحو عدم ركليات الاثنية الفكرية التقليدية واشهار مجزهاواغلاصها تهيؤا لنباء ركائز الفكر الجديد على اساس سليمة ، وهذه الرحلة الهامة هي التي اطلق عليها طه حسين مرحلة « هم المهم » ..

ونحن ان بتصور سهولة تلك المهمة المعروفة بالمخاطر ، وحسينا مال اليه بصير اصحابها ابداء بالطوطون في نفي روجل واضطهاد ، ولم يسلم طه حسين نفسه من شرو تلك المخاطر ، فحياته سلسلة بخسلة من الممارك التي جرت عليه مزيدا من الخائب .

[١] طه حسين : مائة الاسلامي ص ٢٠٨ .

[٢] الفتنة الكبرى ص ١٧٢ .

[٣] مقدمة ابن خلدون ص ١ المكتبة التجارية . ص ٤

[٤] الفتنة الكبرى ص ٢٧٤ ص ٩١ ، ٩٢ .



المثلث أو البناء المريم ، فلذا ارتنا ان
تقدر شيئا مختلفا في العلوم كان من
الغريزي ان نرشع في العمل من جديد
نطرح كل ما دخل عقلنا من محارف ونشك
في جميع طرق العلم واساليب ، مثلنا
مال البناء برقع الاكتشاف والارض
حتى يصل الى الصخر الذي يقم عليه
غاده الاساس الذي نريد الوصول اليه
وهو العمل مجردا جامدا .

والد افاد طه حسين من ديكرات في
مرحلة التحقيق ، فقد افاد من ماركس
ودور كايم وفرويد في مرحلة التفسير ،
ويخيل الى انه مزج بينهم جميعا ، قد
اسمح حركا لاهية العمل الاقتصادي
في مرحلة التاريخ وخاصة في كتبه من
اللغة الكبرى ، كما ابرز دور الملل
النفس في تكوين الشخصيات

اسهمت في تشكيل الأحداث ، مزج بين
العاملين معا في عملية تارة وتارة
بمثال مسترشدا بفلسفة دور تارة التي
ترى في الظاهرة الاجتماعية نتاجا لوجدان
اجناسي يتغير من الوجدانات الفردية
واعلى منها (٦) . ولعل هذا النشاط
والرجح بما قد يؤخذ عليه ، ولعله انما
كان سببا في اختلاف الدارسين حول
كثرة نظرية التاريخية (١٠) فانهي
وهدى في كتابه « استنلا لنظر الى
وقائع التاريخ الاسلامي من زاوية الحدية
التاريخية او التفسير المادي للتاريخ »
استنلا متكاملا يمهلا على استنباط
والهفي الآخر (١١) رأى فيه مؤرخا
« يجمع بين العوامل الخطية الذاتية
والخارجية » في تفسير التاريخ . ومهما
كان الامر ، فالحق لاشك فيه ان طه
حسين يعد اول مؤرخ عربي يقيم وزنا
للعامل الاقتصادي الاجتماعي في تفسير
وقايع التاريخ الاسلامي ، وان كان
بعض المستشرقين قد سبوه في هذا
السبيل [١٢] ، ولعله تكرر بكتابات

مرحلتين : الاولى هي التحقيق وذلك
بأعمال العقل في الروايات التاريخية
ولغا ملا يستقيم منها والمثلث ، ثلث ذلك
مرحلة التفسير وهي البحث في الاسباب
والمثلث التي تقف وراء الظاهرة التاريخية ،
والتي هنا دراسة الخلفية الاجتماعية
التي تدعى الحدث التاريخي .

هذا عن الاصول الاساسية التي استقى
منها طه حسين منهجه في البحث
التاريخي ، فلماذا عن المؤثرات الاجنبية ؟
لاشك انه افاد من الفكر الاوروبي
الحديث بامثاليته ، والدارسون يجمعون
على تارة ديكرات على وجه الخصوص ،
حتى لقد زعم البعض [٦] ان منهجه
حسين - بلا حرج - هو المنهج الديكارتي
على وجه البين . . . وربما كان الصواب
فيها ذهب اليه البعض الآخر من ان [٧]
« تأثر طه حسين بديكرات لم يتجاوز
حد استعانة بمنهج بديل كثير من الواجه ،
فلم يكن الشك الديكارتي عنده غير جانب
من منهجه العالي » . . .

ومما كان الامر ، فللشك
انه درس فلسفة ديكرات ،
ووجد التشكك الديكارتي المنطوق
استجابة من نفس شاكاة قلقة يلتمسها
تطمع من « ايام » طه حسين متى
برمه منذ وقت مبكر باسم مناهج العلوم
الازهرية ونشكته في استنباطها ، وعلى
ذلك ، فالحق ديكرات يميز الفضل في
بأورة تلك الوسواس والشكوك النظرية
والمكتسبة على اساس من الفلسفة العلم ،
وسرى فيها بعد كيف ان آراء طه حسين
في هذا الصدد مدى لذهب التشكك
الديكارتي حيث يقول صاحبه [٨] « ان
عقلنا مشحون بأحكام الفناء في عهد
الفتولة او قبلها من الحقلين مل شام
النسج والرشد . وإذا نظرنا في الموم
الفيما تكونت وتفتحت شيئا فشيئا
بنايون رجال مخطئين ، فهاجت كاثوب

الاحاديث لم يعقب عليها بما يظهر الشك
فيها » . .

ابا المسموي ، عند صالح في كتبه
مروج الذهب الجغرافيا والمثل والنسج
والنواهي الاقتصادية والاجتماعية الى
جانب التاريخ السياسي ، وهو امر
انمكس على منهج طه حسين في الالة
من دراسة المجتمع الاساسي للتفسير
وقائمه السياسية .

لكن مقبلة ابن خلدون في فلسفة
التاريخ نقل حجر الزاوية في تأثيرها على
رؤية طه حسين التاريخية ، ولا غرو
فقد درسها من كتب واحد رسالة جامعية
حولها ، واذا اجزم بان جل آراء طه
حسين في مناهج البحث مستفاعة من منهجة
ابن خلدون ، هناك بعض اصولها
يقول ابن خلدون [٥] « التاريخ لا يزيد
في تافهه عن الالام والذلول والسوابق
من القرون الازل وفي علمته
نظر وتحقيق وتمايل لكائنات ومبانيها
دقيق ، وعلم بكليات الواقع واسنانيا
مريب مشكلة التاريخ الاسلامي

عنده « ان تحول المؤرخين في الاسلام
قد استوهبوا اثار الالام وجسموها . . .
وخلطها المخطئون بحسنات من الباطل
وهوا فيها وابتدعوها ، وزخرف من
الروايات المصنفة لاعتوا ووشعوا »
واقضى تلك الالام الكثير من مدهم
وابتصرها . . . بالتحقيق قليل ، والنظ
والزوم نسب لاشبار وظليل وملاح
المشكلة يكن في النقد الذاتي اعتيادا
على حسالة المؤرخ الذي يمشي الأحداث
على طبيعة المجتمع . . . فالتساد
البصري نسبلس نفسه في ترتيبها فيها
يتلون . . . نظيران طالع في احواله
ترجع اليها الاباء وتحيل عليها الروايات
والالار . . .
فالمشكلة التاريخية عند ابن خلدون
« كما هي عند طه حسين - نفسها

[٥] سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ط ١ ، ص ١٨ من المقدمة
[٦] كتاب طه حسين « دار الهلال » مقال بعنوان المنهج الفكري عند طه حسين لكاتب زهيرى ص ١٤٤

[٧] المصدر نفسه مقال محمود ابين العالم بعنوان طه حسين مفكر ص ١٢٨ - ١٢٩ .

[٨] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة - دار المعارف ط ١ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

[٩] المصدر نفسه ص ٢٢ .

[١٠] انظر : فاضل : التاريخ الاسلامي والمذهب الحنفي في التفسير الكويت ص ٧ .

[١١] محمود المالم : طه حسين مفكرا - ص ١٢٧ .

[١٢] Lewis, B: Some observations on the significance of hersey in the history of Islam, Stugia Islamica, 1, p. 46.

الإلهي بالذات برغم اختلاف كل منها في الأسس والتجديرات التي اعتمدها عليها [١٣] .

تلك إذن هي المسائل الإنشائية التي استقى منها طه حسين منهجه في دراسة التاريخ : فإلى أي مدى نجح في تطبيق هذا المنهج وهو يعالج تاريخ صدر الإسلام ؟

الف طه حسين عدة مصطلحات في اللغة النبوية وعصر الراشدين : هي :

- [١] على هامش السيرة (٢ أجزاء)
- [٢] ألوه الحق (جزء)
- [٣] الشيفان (جزء)
- [٤] الفتنة الكبرى (جزآن)
- [٥] امرأة الإسلام (جزء)

ويلاحظ أنه لم ينجح نهج المؤرخين الأكاديميين في تناول الموضوع من حيث تقسيمه إلى أبواب وفصول ، كما لم يفرّد حوافي يثبت فيها مراحله ، إنما حول على تقديم صور مختلفة متباينة تكون في مجموعها صورة كلية للعمى على "أسس انتقاء الروايات التي لا يشك في صحتها دون أن يشغل باله طويلا بإيراد الروايات المغيرة . وهذا المنهج اعتداه مؤرخ معاصر له هو المعروف الأستاذ عبد الحميد الهادي ، حتى أنه أن هذا الأسلوب في المعالجة تدل لأقصى الأكاديميين فلا يفترونه تاريخيا بالمعيار النقدي ، لكنه في رأينا عظيم الخطورة من راويين :

الأولى تقديم صورة واضحة أصغر حركة "لتاريخ الإسلامي مصفاة من كداس النيبات والخوارق والكرامات والمجرات والأساطير التي تراكتت بمرور الزمن تمسكت بمعلم الحقيقة طيمسا يستكاد بكون تابا .

والثانية السيف التنويري التعلمي الذي أخذ المؤلف على حالته وكركس

له — هو ويسعى بزيادته من التمسك بالاسلافين عبد الحميد الهادي واحد أمين [١٤] — جهود في تخفية سريمة وملحة للتاريخ الإسلامي بعد إعادة تكميم ومراجعة .

ويجلى الجف التنويري بوضوح في كتابه « على هامش السيرة » الذي لا يعد تاريخا بأي حال من الأحوال ، بل مجرد « صفح لم تكتب للملء ولا للمؤرخين لأنني لم أرد بها إلى العلم ولم أقصد بها إلى التاريخ » حسب قوله [١٥] وإلى انشكك في الهدف الذي يسوقه طه حسين ويعلن منه صراحه في المقدمة ذاته « يقدمها إلى الطب والشعور على أنها ثمرة لمواظف الغير صرفة عن بواعث الشر سمعية على اتفاق الوقت واحتشال انتحال الصفاة وتكليف العقل ٠٠ » [١٦] فالهدف في ظني أكبر من ذلك والمطر ، وإكاد أجزم أنه تعد أظهار مقل وأشعار الناس بالروايات التطبيقية المتواترة من أعظم حداث في التاريخ الإسلامي — وهو البصحة النبوية — بما انطوت عليه من غرائز وفجريات عبد المؤلف إلى لفرها كسبا وردت عند الطبري وأثبت سعد وابن هشام وفهرم . وليس محسولا أن يفرق مذكر عتلاتي قد كله حسين إلى سوق « مجموعة من الأخبار والأحداث التي لا يسيغها العقل ولا يرفهاها » [١٧] جزافا ، أو لجرد المبرة والموعظة

المصنة كما يذهب أحد تلامذته [١٨] . وليس محسولا أيضا خرج به اليمن [١٩] من تفسير مؤاده تشكك طه حسين في قيمة العمل كمصدر للمعرفة . . . إنما المؤكد أن طه حسين بهذا العمل استبد دابة ذكية برطة فكرية تضالعية استبد الخرافة والتقليد وسيلته فيها عسوس مسمامة الفسرافة والتكذيب عرغسا

« كاريكاتوريا » دون تعليق لنكتة من نفسها بنسبا .

ومما يزيدني إصرارا على هذا الزعم أن طه حسين لم يشأ تجريح تلك الروايات صراحة — ولم يكن بوسعه أن يعلل ذلك — من باب « التفتة » ، ولو أقدم على ذلك لجر على نفسه نمة تد لالتهم مقبها .

وهذا يفسر أحجابه — في مرحلة تالية من نقد مثل تلك الروايات صراحة حين عرض للبيئة النبوية في كتابه « مرآة الإسلام » ، لكنه — وبذلك شديد أيضا — ألج إلى مسخها وزيفها ، فطالما كانت الأخبار تتفق ويطلق العقل ، كان يفضي إلى عرض الأحداث دون اشتراط إلى مصداقها ، أما تلك التي كان يشكك في صحتها ، نقد أرودها بمسوقة بحسابة « حدث أصحاب الأخبار » أو قال الرواة ، أو وحدث رواية السبيسية . . الخ » [٢٠] .

فإذا ما انتهي من عرض سيرة الرسول فلوعد البصرة على نقد الأخبار صراحة [٢١] ودون تعرج ، وسببه التند والتجريح تشكك من وجهها سائرة لي كتابي « الشيفان » و « الفتنة الكبرى » ، لقد خرج مؤرخنا مظهرا من بعض محاربه مع « المعمين » ، ووجدت آراؤه أذنا صافية لأنني مصر وحدها بل لي العلم العربي كذلك . ومن هنا وائته الفرصة ليعلن ما أبطن في مؤلفاته السبلية ، وحسبنا قوله [٢٢] : أن نظم الحكم أيام النبي لم يكن نيونيرطية معدمة ، وإنباكان أمرا من أمور الناس ياتح فيه الخط والصواب ويحتاج للناس أن يعرفوا به وإن ينكروا وإن يرفضوا عنه ويستخطوا عليه . . . وبالتالي لم يوجد غشقة في نقد شقوق الظلم بعض النظر من مكانتهم في نفوس المسلمين به

[١٣] جورجيو ديلايلا : طه حسين المؤرخ . مقال بكتاب دار الهلال من طه حسين ص ١٠٢ .

[١٤] أنظر : مقدمة طه حسين لكتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ص ١٠٠ ل .

[١٥] على هامش السيرة ١٤٠ . دار المعارف ص ٥٥ .

[١٦] المصدر نفسه ص ٤٠ .

[١٧] المصدر نفسه ص ١٠ .

[١٨] أنظر : إبراهيم الأبياري : طه حسين المؤرخ الإسلامي . مقال بكتاب دار الهلال سلكه الذكن ص ٩٠ .

[١٩] أنظر : محمود المالم : طه حسين ينكر ص ١٢٩ .

[٢٠] انظر على سبيل المثال لالحصر : برآن الإسلام ص ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٠ .

[٢١] المصدر نفسه ص ٥١ .

[٢٢] الفتنة الكبرى ج ١ ص ٧٧ .



في الاعتبار ونحن نقيم أعماله على مدينتيه
فيها ينطق بصخر الإسلام . كال أخرى
دارجل ان يقدم كتابا يعالج فيه بأسبق
ان حقيقه وفق نظرة شسوييه عسليه
Macrostad قصر تاريخ تلك العرة .

واذا كان بعض [٢٩] تلميذه يرون
في كتابه « برآة الاسلام » تحديدا لهذه
الغلبة « حيث طوى فيه المورخ تلك
الخطب .. ليجعل منه خلا على هذا
كله » فنحن نرى في الكتاب رأيا آخر ،
لم يكن اكثر من عرض تاريخي او مره
للاحداث لا يربط الى مبرله كتابيه من
الشخين والفتنة الكبرى حيث تفسر ثورة
الكتاب ويستمر منهجه . بل طوى فيه
محلة سريرة لام معالم التاريخ الاسلامي
حتى التوت الحاضر لتتشى قليلا . وبما
ورد فيه من معلومات من صدر الاسلام
لم يحقق غاية المؤلف في تكديم « برآة
سابقة للمصر والبيئة الذين عاثت فيها
النس واصمليه » [٣٠]

وانجازات طه حسين في مجال
التفسير سكما يتضح في برآة الاسلام
يطلب عليها الطابع الخالي ، وتفسير
ذلك « فيما نرجوه اعتياده على النص
القرآني كيصغر اسلبي اسلبي منه
معلوماته من العصر الجاهلي والفتنة
القبوية ، وقد اثار ذلك على منهجه تاثيرا
واضحا حين صنف القوي المناوئة للدعوة
بفس القسيف القرآني ، فعرى تدهود
والقصرى والتفكر والشرى والمخالفين
بمعدل عن الشية الاجتماعية ، وبديهي
انه حول التاريخ — بهذه الطريقة —
من موضوع اسلبي يخضع للبحث الى
عمل مسلوى من صنع الله ، وبالتالى
قصر الاحداث والوقائع بعلمها الاولى ،
تابل تولد [٣١] ونظرة سريرة الى
بلدا الاسلام طيه من مكة ، وما انتمى
اليه في المدينة في هذا التوت القصر ،

وهنا من ناحية تفكر بامدادا من ناحية
أخرى . كما ان بعضها كل نتيجته
المعالم والفتنات التالية — ، فطلق
القصرى والاشاريون المثال لخسليم
يشدون مآثر قتالهم وينددون بامدادا .
بصاف الى ذلك فساد القيم والخلق بها
جمل الاخيرين يربون الحقائق بخصيل
الاول والوشاوى [٣٢] . ناهيك عن
الشموية وما جرته من صراع حضري
اتمكى على تدوين التاريخ الذى تمى
وقت متأخر وما نجم من ذلك من اخلاء
وتحريفات تنمى شغل الذاكرة [٣٣] .

استنطاق طه حسين — وقد وقف على
موطن الاداء — ان يقدم صورة محققة
لتاريخ صدر الاسلام قوامها الروايات
المستقيمة مع التذوق العمل بمد ان تسمى
عنها تلك التى لاتستقيم ، وهذا الدور
الحمد في قرله تاريخ صدر الاسم
تسبب بجلده بين مؤرخى الاسلام
قائمة . ومن طالع مؤلفاته يستلج دور
لاى ان يتف على أهمية هذا الحيد الذى
بلده الحق الايمان وهضبة انصافه ،
واحد من كنه لاختلاص من اثر ليد الجهد
يشهد على ذلك تلك العبارات الشائعة
مثل « ومن الحق » ، « والحقيقة ان ..
وليس يد من ان تبين وجه الحق ...
وواضح بانى هذا من الكتب .. وهذا
وهم .. الخ » .

نأتى بمد ذلك قضية التفسير ، ومن
الاحصاء ان نذكر ان احدا من مؤرخى
الاسلام — قبل طه حسين — لم يلج
هذا الميدان ، فالتنظريات الجروفة في
تفسير التاريخ من محصلات العلم الحديث ،
وابن خلفون تفسله الذى الطوت مخيفه
على مبادئ التفسير الحديث والبولوى
نعت من اصداء لها في تزييه فلا
نجد لها اثرا .
ومن هنا وجب ان نأخذ تلك الحقنة

وكانت حجتة في ذلك ان « الاحداث التى
حدثت والنتائج التى قرنت عليها كانت
اكبر واوسع واغنى من الأشخاص الذين
شاركوا فيها من قريب او بعيد [٣٤] » .
وبى جرة وجسرة نعى على المؤرخين
التداسى والمخيلين فواطهم على الكتب
والقصص ما بين بحر لاصل الصحلة
على حالها ، ان ملق بالنبعة على عصر
رامت بالاسلام كيدا كسد الله بن سبا
ومن لد لفة . وبى صراحة كابلة يعلن
ان منهجه صابر لثبؤا ولولئك
« واننا لاتستطيع ان نذهب هذا الذهب
او ذاك ، فنحن لاجب الكسل ولا نطمان
الى الزاحة . ولا نفلو في نقدى الناس
الى هذا الحد البعيد ، ولا نرى في
اصحاب القبي مالم يكونوا يرون في
التفسير ، فهم كانوا يرون انهم بشر
يعرضون لما يتعرضون له غيرهم من اخطايا
والاثام [٣٥] » .

قصرى القول ان طه حسين في
معالجة عصر التفسيرين « نظر الى
القضية نظرة خاصة مجردة ، لاتستمر
من هائلة ولا هوى ، ولا تتأثر بالايام
ولا بالدين ، وانما هى نظرة المورخ
الذى يجرد نفسه لجردا كليل من التزعمت
والمواقف والاهواء ، مباحنظها صامرا
ومصادرها وجلياتها » [٣٥] .

وبهذا المنهج طر بأصول البحث في
التاريخ الاسلامى طرفة هائلة اذ خرج به
من نطاق التفسيرات والمحظورات والخرات
الى موضوع يفسح للبحث والتحليل
خضوع المادة لمعلم الكهية . وبذلك حير
التاريخ الاسلامى من كابر من الاوامم
والخرافات التى علفت به وطعم فيها
براى صريح [٣٦] . وبى رايه ان تلك
الواهم نشتت نتيجة ظهور الفرق
الاسلامية وانتصارها وانتعل كل منها
الاحاديث النبوية والمؤثرات لتبرر محق

- [٢٢] المصدر نفسه ص ٤٠ .
- [٢٤] المصدر نفسه ص ١٧١ .
- [٢٥] المصدر نفسه ص ٥٤ .
- [٢٦] الفتنة الكبرى ج ١ ص ٩١ .
- [٢٧] المصدر نفسه ص ٩٢ ، ٩٣ .
- [٢٨] طه حسين : الشيفان ج ٤ ص ٣٥٢ .
- [٢٩] ابراهيم الابهارى : طه حسين المورخ الاسلامى ص ٩٣ ، ٩٤ .
- [٣٠] برآة الاسلام ص ١١٥ .
- [٣١] برآة الاسلام ص ١٢١ .

علم الاجتماع الماركسي مثل: « استغلال الطبقة الحاكمة » [٤٢] في دراسته للتاريخ الإسلامي ، الأمر الذي يؤكد انمايته من المادية التاريخية في تفسير تاريخ صدر الإسلام بما لا يذع للشك سبيلًا . وهيبه في نهاية الأمر أنه كان - حسب قيسوله - أول مؤرخ إسلامي يفتح إلى خطورة المسائل الاقتصادية في الحياة السياسية للمسلمين ، أكثر من هذا اعتباره عاملا له الإيجابية والصداوة على الصواميل الأخرى ، يقول في هذا الصدد موفضا تكميل: الموامل المحركة للتاريخ الإسلامي « .. ظروف الحياة السياسية ذاتها ، وظروف الملازمة بين أصول الدين ومفادته وبين طبيعة الحضارة التي اضطر المسلمون إلى لاعتها وممارستها في آخر الأمر » .

الخلاصة أن طه حسين المؤرخ بمنهجيه وروايته للتاريخ الإسلامي كان له فضل سبق الريادة في وضع هذا التاريخ على الطريق القويم ، ومهد بذلك الطريق « لعلمية » هذا الفرع من الدراسات الإسلامية الذي ظل لقرون طويلة حييوس سحبت كثيفة من الخرافات والأساطير .

وإذا كان طه حسين قد خلف في حياتنا الفكرية مآدوس في شتى نواحي المعرفة التي ارتادها ، فإن أبتداه في حل الدراسات التاريخية الإسلامية يمثل في نظر من الدارسين طفولا المشعل وساروا على نفس الدرب ، لعل منهم عبدالرحمن الشرفاوي وأحمد عباس صالح وكتابه هذا القليل . حنا أن طه حسين « قال مؤرخ في كل العقول » [٤٣]

كان معنويا نشأ من تفتين النفس العربية متأثر الإسلام ، فكأنه كان تطورا من داخل إلى خارج ، تفتتت النفس العربية تنفتت الحياة المادية للعرب - وعكسه ثباتون الحل على هذه الصورة لينتص من قدره كرائه به للتفسير الاجتماعي ، بعد اعترفتين صراع القوى الاجتماعية كحكمة لعلمية التاريخية ، غير أن هذه القوى - في طره - تشكل جينا على أساس التوجزاني ، وحيثما أخرج على أساس طبقي ، وفي كلا الحالتين تتصارع ون خلال الصراع تتم حركة التاريخ . بمصادق ذلك أنه نظر إلى الصراع بين الرسول وقريش نظرة اجتماعية « فقد عرض عليها نوعا من المعدل لا يلائم بنسلف مساندتها وكبرائها [٢٨] » كما عسر حركة الردة من الإسلام من خلال الصراع التقليدي بين لطحان وعذنان [٢٩] . وحيث بين التفردين بما - الطيفية والأنتوجزانية - في تحليل الفئة الكبرى ، فاعترفتينجية طبيعية للتطور الاقتصادي والاجتماعي في العالم الإسلامي بعد حركة الفسوح الكبرى ، فأبرز دور الوالي - المسلمين من غير العرب - في أحداث العصر جينا إلى جنب [٤٠] [تكوين طبقة استرراتيجية شورتراطية عربية انتتت الضياغ الواسعة وتطلعت إلى الصداوة السيلة [٤١] [وانتهى إلى حقيقة غاية في الأهمية ، وهي أن ظهور الرأسمالية المتطورة أوجت نظام الخلافة الإسلامية ، بنفس الدرجة التي أسهمت لوبا « اللاتيونديا » - الضياغ الواسعة» في القضاء على الجمهورية الرومانية [٤٢] . بل أنه أحيانا يستخدم مصطلحات

تبين في جلاء أن قوة علميا أرادت لهذا الذين أن يقوى وينتشر « - وجهي والأمر كذلك أن يعترف بقوى القبيح في جسم قسسايا الصراع ، كالطهر الأبائيليس والصوامع ، والمملكة ... الخ [٢٢] ، وفي أحيان أخرى مزي تحولات تاريخية هائلة إلى مواقف شخصية بحتة [٢٣] . لم يعود لويط الاختصاص دورهم وينسب إلى الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام « الله وفاء الرسول كان أن يندثر « لولا أن الله عز وجل هو الذي نزل الذكر وأنه حافظ له ... » [٢٤]]

ومع ذلك لم يعدم كتساب « مراء الإسلام » وجود تفسيرات علمية بحتة ، من ذلك الربط بين حرص قريش على وتنتها وبين مصالحها الاقتصادية [٢٥] ، ودراسة القوى الاجتماعية في الهجر كركيزة لهم تاريخ الدعوة الإسلامية [٢٦]

وهذا في الواقع يثير قضية التفسير الاجتماعي عند طه حسين المؤرخ ، ذلك التفرع من التفسير الذي أسمه فيمنصيب الولاء ، فزعم ولومه بالكلسيكيات وما فاطوى عليه من أظهار دور الفرد البطل في التاريخ لم يفتح طه حسين بهذا الدور إلا في إطار محدود ، إنما كان اقرب إلى مدرسة التفسير الاجتماعي . وليس معنى ذلك أنه أفسد بالمادية التاريخية على طول الخط رغم أبعته « بالحب » و « الضرورة » و « جدلية الملازمة بين الإبنية المتبعة والتوفيق » في صياغة الترائع الاجتماعي . فظفره إلى التاريخ الإسلامي القصور إلى « الجدلية » منها إلى المادية التاريخية . وحسبنا قوله [٢٧] « أن التطور العرس.

- ١ [٢٢] : المصدر نفسه ص ٢٢ .
- ٢ [٢٣] : المصدر نفسه ص ١٢٢ .
- ٣ [٢٤] : المصدر نفسه ص ١٢٤ .
- ٤ [٢٥] : المصدر نفسه ص ١٦ .
- ٥ [٢٦] : المصدر نفسه ص ١٨ ، ١٩ .
- ٦ [٢٧] : الفئة الكبرى ج ١ ص ٢٠ .
- ٧ [٢٨] : الفئة الكبرى ج ١ ص ١١ .
- ٨ [٢٩] : الشيفان ص ١٤ .
- ٩ [٣٠] : المصدر نفسه ص ١٢ .
- ١٠ [٤١] : الفئة الكبرى ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
- ١ [٣٢] : المصدر نفسه ص ١٠٩ .
- ٢ [٣٣] : المصدر نفسه ص ١١٥ .
- ٣ [٤٤] : انظر : « هذا بهذا العنوان للشارع عبد الحملي ججاري بمجلة روزا ليوستعدد ٢٣٩٩ »



٣ طه حسين :

مدخل الى دراسة فكره الأدبي

د. عبد المنعم تليمة

الاعلى لحداء التبللج الفنية الموروثة .
وكانت المرحلة الثانية تتركز على نفي النسخ الملائقات
الراسيالية والطبقة البيروقراطية ، وتمكن
الى هذه المرحلة نزوع تليمة ليرى الى
كان وجهه الادبي والفني الرئيسية ،
وكان مثله الفكري بمثابة « الله » والكشف
عن الجوانب العقلية والكشف عن
الشخصيات « المحيرة » ، كما كان مثله
الفني المثل « تفصيل » التفصيل والتفصيل
الموروثة والكشف عن الشخصيات النفسية
« المتردة » في ذلك الوقت ، « المرحلة »
الثالثة تتركز عليها - وفقدت اجناسا
على التماس في سبيل علاقات اشتراكية
الى تجاوز الموقف النقدي الى رؤية
للشخصيات « أسسها الثورة الاجتماعية ،
والى بناء التاريخ الثقافي القوي على
التكوين ، و « طلع » الجوانب المختلفة
والغريبة - بعد تجميعها وبين بالأسس
وموقعها في سياق ذلك البناء - وعلى
فصل الجوانب التبريرية والتشعبية
والعلمية والعقلانية والتبريرية الى هذا
التاريخ ، وعلى محاولة وضع هذا البناء
الثقافي موضع من السيقان الفكرية
والفكرية التأسيسية . لقد حدد التراث
في ظل العلاقات الإقطاعية التقليدية ، والحلب
الديني منه ، وفقد التعامل معه باعتباره
الإنشاء ، وطرح - في هذا التعامل -
بعض مفاهيم اولى ، لكنه استلزم في ذلك
العلم الديني غالبا . وتحدد التراث في
ظل العلاقات البيروقراطية الحديثة الجائدين
الفكري والادبي بصورة علمية ، وكان
التعامل مع هذين الجانبين تفكيكا عقلانيا
بصورة علمية . ويجعل النظرة العلمية
تراث الية كل ، سقط الى وعيا الحاضر
من كل تجريدها التاريخية ، وتوسع من

المجموعات التاريخية الأخرى المستمرة
انها تستند على مستوى التطور التاريخي
والاجتماعي لهذا الشعب ، ذلك لان إعادة
بناء التاريخ الثقافي للشعب ، وعرضه ،
يتحددان وفق الواقع الطبقي للبيئة ،
من مكرين ومجهدين وعلماء ، ان حاجات
التجديد وأثباته يتحكم في تصوير التراث
ويحدد نوع احياله ، وعلى الرغم من
وحدة التاريخ الثقافي للشعب ، فان النظر
الى هذا التاريخ - في كل مرحلة من مراحل
تفصيله وعرضه ، ونهض على حاجات التجديد
لدى كل طبقة ، وعلى وجهتها في تفسير
التاريخ والجنس والتفكير ، لذا فان كل
طبقة من طبقات الشعب تصير التاريخ
الثقافي لاجلها - وتاريخها عتبة لتفسيرها ،
وبين ثم فان التراث - من حيث مفهومه
وتحديد مفهومه ونهج احياله - انما
يرتبط بحركة كل طبقة ومطالبها ونظريتها
الاجتماعية والفلسفية . وعلى ذلك فان
الحاضر هو الذي « يخلق » الماضي وان
سعت هذه البفارة ، أو ان الحاضر هو
الذي يفسر الماضي ، وليس العكس . ان
الوجهة في التجديد هي التي تحدد الوجهة
في التعامل مع التراث ، وتنتج عن
تغير هذا الامر من مسار النهضة الفكرية
العربية الحديثة في القرنين الماضي والحالي
كما نستطيع التمييز في هذا المسار بين
مرحلتين ثلاثة علمية : كانت المرحلة الأولى
في ظل سيادة العلاقات الإقطاعية التقليدية
والى بدء ملاقات بيروقراطية راسيالية
فكرية ، ولقد تم في هذه المرحلة نزوع
احيالي سلفي حاتم ، كان وجهه الادبي
والفني الكلاسيكية الجديدة او الحديثة ،
وكان مثله الفكري بمثابة « التل » والسير
على السنين القديمة ، كما كان مثله الفني

يلتزم تراثا حسين - بجوانبه الفكرية
والادبية والنسبة والاجتماعية والتربوية
والتاريخية - الحس الراي الميقلرجل
الشعب . ولست هنا يبحث اقل عن هذه
الجوانب كلها ، لهذا امر لانتظر عليه الا
مجموعة من العلماء والباحثين ، فخطت
لصليها وتصيلها بينها ، انما لفتت عند الفكر
الادبي في تراث الحظ العظيم ، وعلى
في هذه الزاوية ، فالتى اقوم لخصب
بمحاولة لدرس هذا الجانب من تلك التراث
الكبير . وعلى الرغم من هذا الاحتراز
لان الدارس للفكر الادبي في تراث طه حسين
بخطر ان يقترب من التبع المائل هذا
التراث ، ولذلك امرين : اولهما ان الفكر
الادبي وجه من وجوه « الفلسفة العلمية »
السايدة في المجتمع ، او جزء من السروح
العلم في المجتمع ، وعنصر من عناصر
البناء الثقافي في هذا المجتمع ، ولقد كان
لتراث طه حسين - كما ذكرت - الدور
البارز في تخلص هذا الروح العلم ،
ولذا فان فكرة الادبي ليشكن التبريرية
الا مرتبطا بهذه الفلسفة العلمية او الروح
العلم ، ثانيا ان النهضة احياء وانتشاء
احياء لتدعيم ، وانتشاء لتجديد - والهمة
الاولى لرجال النهضة ان يعمدوا ببناء
التاريخ الثقافي لمجتمعهم ، محددين
للأصاحب الصالحة لتجربة اجتم روحيا
وفنيا وفكريا ونوينا حضريا ، وان يؤسسوا
على هذا البناء جديدا يرون استجابه
وحقائق هذا البناء . ولقد كان طه حسين
واحد من أبرز هؤلاء الرجال في تاريخنا
الثقافي الحديث .

ان حركة البناء الثقافي لشعبه من
الشعب ، وهي تنهجه نحو النهوض -
الى نحو الاحياء والاشخاص ومصلحتهم

مفهومه لنبرز كل جوانبه الديمقراطية والعلمية والفكرية والفنية والتجريبية ، أي أنها - أي هذه الطريقة العلمية - تجعل مفهوم مجرد إدراعي جديده وتعامل هذه التفرقة مع التاريخ التكني تصميلا جادا ، إذ نرى أن العمل الفكري المثير بالنسبة للتراث الوطني والفكري هو جمعه وتصنيفه بنهجها ثم درسه وتلويحه عليها ، على أن تغشئ المؤسسات والاجسزة الرسمية بهمة الجميع والتصنيف وفق خطة قوية ماثلة بدروسه ، وأن تقصص الجملعات والمجملع والمراكز العلمية والفنية بهمة الدرس والتطوير . وتعد هذه النظرة الأصرة الحقبة بين التاريخ التكني وللشعب الخاصة بالمشكلة الفصول التي كل مراحل حياتها يفرها من العلم والمجملع للتاريخية الأخرى . أن بناء التاريخ والتأريخ والتأريخ بمر الأند خلا - التاريخين - ، ويوجد هذا الجدا في تقرير حقيقة وهي أن التراث الخاص بأمة معينة هو نتاج تطورها الذاتي من ناحية ، وتاريخها بغيرها من الأمم من ناحية أخرى ، وأن ثمر التكامم ببسبب تشاات الأمم هو تامل دال على خبرة البشر على هذه الأرض : هو تراث الإنسان أتراحت الأمة هو مؤازرا الحافظ لسبيلها الذاتية ، وهو في ذات الوقت جزء من كل هو معنى من التجربة البشرية للعالمية . أن بناء التاريخ التكني للشعب وظل جزيلا ونافعا وصحيا - وربما غصريا - طالما ظل محدودا بالآلات السطحية التطبيقية ، والمتماجم البروجوازية البربرية ، ولتكنيل ولا يكتب طيلمه الإنساني إلا بمتجهينه ، على ندرى .

ولقد كان طه حسين أملا غير مبالغ للتفكير الدوروازي العربي الحديث ومن ثم فهو أبرز بناة تاريخنا الثقافي الوطني والفكري من وجهة البروجوازية ونهجها في التفكير والإبداع ، وفلسفتها في التاريخ والإنسان والمجتمع . وقد أبدت به الممر عناصر برأهله الفهمية الفكرية العربية برأهله التراث ، كتفكان علما على المرحلة الثانية التجديدية : وهي المرحلة التي سادت - بصورة غالبية - ما بين الحربين العالميتين . لقد قاد طه حسين المجددين في معاركهم الإحيائية كما كانت له مواقفه مع العلميين . ومن يقنع فكره الأدبي - وهو قطعة هامة في تراثه -

ينتهي إلى تصور للتكر الإبي العربي الحديث علمية .

أولا - الإحياء

الإحياء - بناء التاريخ التكني على بعض النقل والاعتداء - موقف كلاسيكي يستند إلى تفكك اقتصادي واجتماعي ، تسود فيه ملامك اجتماعية اقتصادية تشبه الطغامة ، وديابات مبكرة لمصالحات بورجوازية . ولقد نهضت في المصلم العربي - في النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل هذا القرن العشرين - حركة إحيائية قوية ، توجهت إلى استعادة بناء التاريخ التكني العربي ، على الجانب الفني من التراث ، بل وشيخت حسدا الجانب فوكت منه عند الفناء واصحاب علم الأصول ، وسجنوه أهل السنة علمة والمتشددة منهم خاصة ، فكان إبن خزيمة وإغراهه الثيرين لديها ، وكانت تفسكر التكنية والمتشددة ، وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد توجهت أساسا إلى الجانب الفني من التراث ، إلا أنها صرحت جهدا في الجانب الإبي منه ، وأن كانت قد حلت على الجانبين الفني والفكري غالبا ولأية الإحياء فكر ادبي يطلب النشر « الفني » والجويل والشعر « المظبوط » ، ويصعد أراء الأتواع الأدبية المستغفلة . وغكرم الأدبي لا يبعد في سجله عن التراث البلاغي والتدعي القديم . فهم - كما يسود ميل إسلامهم الأديبين « لابل » يتفنون من مناصر المير الشعري ، ولا يبعد نظرم إلى طبيعته - أي التمس برصودن الطفسر اللغوية والعروضية والبلاغية في العمل ويمدون أو يعاملون القول فيها ، دون البحث في « مائة » الشعر بحثا نظريا . ويركر هذا التامل على اللغة من حيث الصحة والسلاسة ، وينسج من « تصفي » هذه اللغة وينسج على التقطيع الرأعي بالتأثير ، ويوصي بحفظ التباديل المبتذلة في الشعر القديم ويحراسها والتوفيق على ملازمها أو إسائها بالشعر - هنا - شرب من الكلاسيكيس على التكتيد الاعتداء الذكي للتدعي ، وهو - أي الشعر - صناعة لها إدراكها الخاصة ، وللتفقد دور توجيهي على الإنتاج الشعري ، إذ لابد لكل صناعة من توافق يقوم عليها الحذاق والطاء ، وهذه التوافق مجموعة أساسا من العناصر التكنية المشتركة لشعر الفحول السليبين ومكازبل على النظرات التكنية متداكية الإحياء التطبيق الجزي ، والعناية بصير

التقليد الفنية من الموروث القديم ، وشبها وتكتينها وشخصها من إبدعي الشعراء لتكون لهم هاديا في « مساعدهم وكان كثير من النقاد الإحيائين على وفي بهمهم اللوجيبية الصيلة أراء الشعر والشعراء . وتوجه فريق من الإحيائيين - خاصة في الشام والعراق ومصر - وجهة جولة في خدمة التراث وإداعته سطقا . وعرفت من هذا الطريق فلتا صيرة إبهات الكتب وفداوين الشعراء ، وعلى تحقيق ونشره نثرا دقيقا ، وتحت هذه التلة بالقدرة والطلم والفيرة والمفيرة كمالخت نفسها بشدة الشعر والنصيص والضبط ، ولدت أعمالها على علم تحقيق الأساليب ، ويواصلص الصصة ، ومواضص التفتيش في الإخبار والروايات ، وعلى غيرة بهم التصوص ويون مستقيها من متناقضها وصحيحها من وادها . ولكن لهذه الصلابة - على ضرورتها ونقمة الطلم العظيم للارحية والكفوية - لغة خبيثة ، فهي تجعل صاحبها - مالم يكن مزدوا بروي فكرى وفكر رصيب - يقع على أول طريق خبيث ينتهي به إلى العلية داخل النص القديم لا يتعداه ولا يفي ما حوله من مالم وتضمرات ، ولا في ريبا انتهى به هذا الطريق إلى سلفية متشددة تقصص المأني - من خلال التصوص والجزيات - تندبسا . يسك على صاحبها سبيل العلم لما أحاط بذلك المأني من شروف وإلماست .

كل الاتجاهات - في اتجاهه الصحيح الأسفلي - موقفا ضروريا في برازكتها الفنية ، واستجابة لحاجاتها ومطلوبها في دفع الفزوات الفكرية الاستعمارية والتعرف على الآات القومية وبناء الثقافة الوطنية والفوقية . وكان للتجاه الإبي الصحيح فضل عمت الوجة المتألي المتدني من التفكير العربي القديم وهو الوجه الذي مبر عنه - بشكل عام - بتكولو الملمة في مبادي الفكر الأدبي والتألسي والنثى على السواء ، ولقد حاول - محمد عبده بمنع التهج الاعتدالي - بل - لحد حلول - تطبيقيا - نفس ماكن تسببه - بالمصطلح الأسفلي - علم - كالمجديد . وفي هذه المحاولة نتج مجابي بسى إلى أعمال العقل في التمسور ، والإيجاد في تخريجه وقتا لحاجات النهضة كبر تصوروا الإنم . كذلك كان لهذا الاتجاه الإحيائي الصحيح جهد متعالي نكرى



التيار الليبرالية الفكرية (التطوير الأول)

وتحمل البورجوازية - أبدا - لواء
[تعقيل] الفكر ، ، ونفضل - أبدا -
في نهجته [علميا] ، أي أن البورجوازية
تنقل في الفكر من « النهج التقني » إلى
« النهج العقلي » ، لكن الانتقال ليس
« النهج العلمي » أننا يكون من مهام
الفكر الثوري . ونية ملاحظة هنا في الفكر
العربي الحديث ، تصميم تلك الملاحظة
التي سبقت في المجتمع العربي الحديث ،
والملاحظة هنا أن هذا الفكر العربي
البورجوازي لم يمسس إلى غايته من
« التعقيل » ، على الرغم من التفكير
- على الصوت - بالمثل ، لقد طبع
الفكر العربي الحديث - في محاولته بناء
التاريخ الثقافي المتصل بين ماضي وحاضر
- إلى أن يتخذ من النهج العقلي الأسس
أداة وأساسا للنهضة العربية الحديثة ،
كما كان - في ظن هذا الفكر العربي
الحديث - أداة للذهار الفكري العلمي
« العظيم » وكما كان أداة للنهضة الأوروبية
الحديثة ... فلت نظري في أرسطو أنه
أول من ابتعد علم المنطق وأكبر مؤلف
له أثر خالد في العلوم والأداب ، ولما
كانت مديرا لدار الكتب المصرية قد عثرت
مع بعض أصحابي في وجوب تأسيس
نوعها العلمية على الترجمة قبل التأليف
كما حدث في النهضة الأوروبية ، نقد
مد رجال هذه النهضة إلى درس فلسفة
أرسطو على نصوصها الأصلية ، فكانت
بمقتضا للتفكير المصري الذي أخرج كثيرا
من الأذهاب الفلسفية الحديثة . ولما كانت
الفلسفة العربية قد قبلت على لفظة
أرسطو ، لا أجزم أن أراءه وبخيه أشد
الأذهاب اتفاقا مع مؤلفاتها الأصلية ،
والطريق الأترب إلى نقل العلم في بلادنا
وتأليف لها رجاء أن ينتج في النهضة
الترشيدية مثل ما أنتج في النهضة الغربية
وفي الحق أن أرسطو لم يكن كثيره معلما
في نوع خاص من العلوم دون سواه -
بل هو معلم في الفلسفة معلم ناسي
السياسة والإنتاج ، فهو كإنجليز العرب
يقع « المعلم الأول » على الإطلاق ...
ولقد أثير النهج العقلي - سواء رجوع
إلى أرسطو أو رجوع إلى الفكر الليبرالي

الرجعية هذا السبيل في محاربة الاجتماعات
الديماغوجية والرايكاكية والثوري في الفكر
والجنوع على السواء . النتيجة الأولى
أن يطع الأمة من وشائجها الحضارية ،
والنتيجة الثانية أنه يطع المنهج من
وشائجها وابتداده في الحاضر . ولا يستطيع
مثل هذا الموقف أن يبنى - أحياء ولنشأه
- التاريخ الثقافي للأمة .

ثانيا - التجديد

تحمل البورجوازية - أبدا - لواء
[تحديث] المجتمع ، ونفضل - أبدا -
في حصول لواء المصلحة . أي أن
البورجوازية تحمل أعباء القوة الوطنية
الديماغوجية التي تنقل المجتمع من العلاقات
الإقطاعية التقليدية إلى العلاقات
البورجوازية الرأسمالية الحديثة . لكن
الانتقال إلى العلاقات الاشتراكية إنما
يتم بقيادة الطبقة العاملة . ونية ملاحظة
هنا - وتكون حالية في تطور البلاد
العربية في العصر الحديث - وهي أن
البورجوازيات العربية ، لم تمسس
« بالتحديث » إلى غايته ، ويرتد هذا
إلى ملامسات نشأة هذه البورجوازيات
وتطورها . ولعل هذا الأمر يبدو
في أكثر المجتمعات العربية نفسا ،
وهو المجتمع المصري ، فللبورجوازية
المصرية نشأة زراعية ، ولهذا لم
يبرز تلقائيا واضح بينها وبين القطاع كما
أن طموح هذه البورجوازية إلى أن تحل
بحل رأس المال الأجنبي - بين سنة ١٩١٩
وسنة ١٩٥٢ - لم يؤد - لثمة خيرتها
وشألة مؤاردها ولقسوة الاستغلال
الرأسمالي الاحتكاري الاستعماري - إلى
تطور رأسمالي مصري قوي ، ويسر هذا
الأمران معا بقاء الانطباع واستمراره
إلى جانب مع نمو الرأسمالية المصرية
وتطورها على طول الطريق . لهذا كانت
العلاقات في مصر سنة ١٩٥٢ شبيهة
إقطاعية - شبه رأسمالية . ومعنى هذا
أن البورجوازية المصرية انتقلت إلى أسس
المالدي للمجتمع المصري انتقلت كبيرة
نحو العلاقات الرأسمالية الحديثة ، لكنها
لم تستطع أن تبرز ثورة صناعية واضحة .
مسيرة أخرى لم تنجح هذه البورجوازية
في أن تصل إلى غايتها من « تحديث »
المجتمع .

يتجاوز معنى النقل وظواهر التمسوس
ويجهد ديمقراطي ملتقى ضد الاستبداد
الانطباعي الفكري والمالي ، ويجهد حتى
في السعي إلى تمييز الحزب الأدبي من
المجروش القديم من الجانب الديني . غير
أن هذه المؤلف الإيجالي السلفي الذي
كان في اتجاهه العقائتي الطبقي -
استجابة صحيحة - وصحيحة - للحزب
النهضة في لغيرها أصبح حلبة لاجتالها
لقد انتهى هذا الاتجاه - نتيجة التطور
الاجتماعي والنقل الديمقراطي السعي
حسن فرائي منطوق بوعي بوعي ، الاكتفاء
التقني الذاتي ، « ويقلق التاريخ الثقافي
للأمة على ذاته ويحمله بكتيا بهذه الدلات
ولقد سبق القول أن التطور في هذا
السبيل أقر هذا التاريخ الثقافي ليدت
بله إلا عند الجانب الديني ، بل لقد أقر
هذا الجانب فلم يفسره إلا تفسيراً خياليا
خياليا ، وراح أصحابه يفتقدون مصلحة
وتوحيها آليين بين قيم التاريخ الثقافي
الوحيي بحسب تفسيرهم سطحي الحاضر المعمر
وطبعيا أن ينتهي هذا النهج إلى ضرب غير
صحي من الفتنة بالذات للثوية ، وإلى
شرب آخر أشد برسا وخفرا ، إذ يمكن
أن يخلص إلى أن ماضي الأمة خير من
حاضرها وربما خلس - طردا لوجهة -
إلى أن حاضرها خير من مستقبلها ، ولا
يبرأ إلا ذلك التشاؤم من الحاضر والياس
من المستقبل . فهو يفسد حجم الماضي
تفخضا يهمل منه سدا هائلا أمام حركة
الحاضر ونموه ، وأمام ولادة المستقبل
وتطوره . فهو يرى تاريخ البنية زراعية ، وليس
ليس بين يديها في حاضر تصلحه ، وليس
أمام نظرها في مستقبل تزيجه . والحق
أن تعليق النصر - منبها - برافدهي
« واده » في تاريخ الأمة ، يفسد ضرورة
إلى هاتين التتجيين . فهو من ناجية
يذهل من مبدأ التأثير والانتار - بل أنه
لينكره - لا يرى رؤية صحيحة - سوع
تراث الأمة من حيث هو حلقة من حلقات
الحضارة الإنسانية ولا يستطيع أن يسن
مؤرخها جديتها ، ومن ثم يله لإصيل
إلى تحديد دورها في التاريخ . وهو من
ناحية ثانية يفسد التاريخ الجديدة ،
ويحكم على الأجيال الحديثة بالبوروازم
وكثيرا ما أعددت السلطة والقوى

الحديث» في كافة مجالات النهضة العربية ووجودها، فكان أداة للتسليين الجائبين الروحي والزماني في الإسلام، وللدعوة إلى المفاهيم السياسية الليبرالية والحريات الديمقراطية، والتسامح الديني وطنانية الثرية، وحرية المرأة، والتعبير بحرية البحث والفكر وحقوق الفرد وحرية فكرهته... الخ. وعلى الرغم من ذلك فإن حركة «التفكير» لم تبلغ غيظها كما ذكرت، فتلذت نواحيات الملائكة الاجتماعية للعبية والملائكة البورجوازية الحديثة في المجتمع، كما تواركت المفاهيم التطهيرية والمفاهيم الحديثة في الفكر، ولقد انتهى ذلك إلى سيادة التوافق بين النثل والفعل، وبين التطهيرة والحدائق. ولقد كان ثمار الحديث والتفكير طيفتي الحياة الأدبية وفي مناحي الفكر الأدبي ومناهجها العقلية. وكان لثقل البورجوازية (المثقف والقلب) صدق ميق في الآراء بما : توجه الفكر إلى تحرير الفرد الأدبي من القناعات الأخلاقية السريعة. وإلى الاستغفال بالثقل النفسي في طبيعة الفن وكأثره وإلى الضيق المجهي في التفكير والتأمل، كما توجه هذا الفكر إلى طلب أن يتحقق (الوجدان) في الفن، ويستند عند هذا التسليم، لكن هنا استلحظة قد تتسجم مع الملاحظين السابقين في هذا المجتمع والفكر، والملاحظة هنا هي أن هذا «الحديث» في الفكر والأدب كان يفتقر إلى الأساس المنطوق بالثبات - في الفكر: وضع المنور الأولى للثورة الفكرية الحديثة والمفاهيم الأكاديمية. وفي الأدب: نقل الفن العربي الأدبي الأول «الشعر» إلى أدب حديث ثرية، ونشأة الأوراع الأدبية الجديدة «أدب المسرحية» والرواية، والفلسفة الصغرى - إلا أنه لم يمس إلى غايته في إعادة بناء التاريخ الفكري العربي : يواصل إليه أنه تعاليم حسب مع الجانب الأدبي من ذلك التاريخ، ومعالج هذا الجانب بمسور جزئية وجود فردية وفلسفة تنية غير علمية. ويمكن أن يصل بنا هذا السياق من «حديث» المجتمع، و«تفكير» الفكر، و«تجديد» الأدب، إلى أن البورجوازية في بلادنا - مع جهدها التثري في هذه السبل - لم

تته إلى الأرامل المتخلفة من قديمها» في مجتمع ديكتاتوري حيث «فكر علمي متعالي، ونظرية في الثقافة الوطنية والتوجه، وبناء للتاريخ الفني للبلاد».

المثقف يلقي صوت القلب

قام طه حسين - مع أفراد من جيله - بجهود أصيل في تأسيس فكر الثورة الوطنية البورجوازية في ماينا المصري الحديث. لقد برز النهج المتعالي في خرائط طه حسين بهذا أمياله الفكرية، وليس بمصادفة أن يرتبط هذا المعلم الرائد بدرس أبي العلاء المعري، وأن يواصل هذا الدرس - منذ رسائله من شاعر المعرة سنة ١٩١٤ - قطعة كبيرة من حياته الشخصية. وليس بمصادفة كذلك أن يرتبط بدرس ابن خلدون - رسالة : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : سنة ١٩١٨ - نقول ليس بمصادفة أن يرتبط طه حسين بدرس ملحن المطين المتطهين، أو من العلوم في تاريخنا الأدبي والفكري أن أبا العلاء أقرب شعراء العربية إلى أن يكون مصلح «موقف» على مما تكن طبيعة هذا الموقف، وأن ابن خلدون علم في تراث العرب على التفكير المادي المتقدم في فلسفة التاريخ والاحتجاج. وتستطيع القول أن «عقلانية» طه حسين - وهي استجابة فكرية لتطور الاجتماعي الذي نشط طه حسين خلاله - إنما استمدت على ما استوعبه من الجوانب العقلانية في التراث العربي ابتداء من المعتزلة إلى أبي العلاء وابن خلدون، وعلى ما افتتح عليه تلك الجوانب في التراث الغربي ابتداء من أرسطو إلى ديكارت، دور كليم. ولقد أتى على طه حسينين من الدهر، وأرى فيه أن التفهيم التي شارك بشاركة قوية في تأجيل نهجها، قد أصبحت حقيقة مألوفة : ... أن نهضتنا آية من آيات هذا العصر الحديث ... فقد خلقنا أنفسنا خلقاً جديداً، وأكرهنا العلم الأوربي لا على أن يمتدح بنا ويؤيد لنا بأبحاثه النفسية إقتية نصب، بل على أن يصيب لنا حسبا. ويستيقن بأن العالم الحديث لن يستطيع أن يعيش بغير جهودنا، ولا أحد يصغى من مشاركتنا في أحضار

هذه «الإعتناء للأفكار التي تنزعها الحضارة على الشعوب الرافعة» ٢٢ «٢٣» غير أننا قد ذكرنا في موضع سابق أن هذه النهضة لم تبلغ غايته، إذ خلقت الملائكة الاجتماعية التطهيرة، و«أجسة للملائكة الحديثة»، كما أن ثنائية الفكر البورجوازي قد وقعت توفيقا متمصا بين النثل والتقدم وبين المثق والفوجدان، والأفراد، وأنها فصلت اجتماعا مميلا حادا بين ما لا ينفصل، وزاوجت أحيانا بين أمرين في أمور ملاوطة آلية «بشاعة الملائكة القديمة جعل الأبر» بمسألة» بين القديم والحديث، أكثر منه تأسيسا لهذا الحديث. والثالثة جملة «الجد» غايته، وهو حركة الظواهر - هذان الأمران يعملان الجدل بين الفرد والجماعة بمصلحة وتوفيقا بينهما حقيقة هذا الملائكة... «مناقش» بدميون يتصل هذا الموضوع بحسينين متطهين أشد الفانيين، أريد أثناء كما أراد غيري من المؤرخين الحديث أن توسط بينهما وأن كخذ من كل منهما خلاصة. فمن الناس من يخلو في أكار الجماعة والبيئة وأهامة كل شيء البهائم واستيطال كل شيء، منها : حتى يتسلي الفرد تسهلا ثابا، من تذكره مائسا يلكره على أنه أداة من الأدوات ويظفرون من المظاهر ليس له قوة ولا عمل ولا أرادة. ومنهم من يبتلوي أكار الفرد فيصيف إليه كل شيء ويصر عليه كل ملية، ويعني الجماعة فيكيا يدينه السابقون في الجماعة. أولئك يحسون الفرد بمحو. هؤلاء يمتدون الجماعة لها أفرما في تكوين القوة الاجتماعية، بل لها أفرما العظيم في تكوين هذه القوة. وأمن فليس من البحث العلمي القيم في شيء أن تعبر هذا الفرد كما ميملا. وليس من البحث العلمي القيم في شيء أن تجعل الفرد كل شيء وتكون الجماعة التي تلتكته وكونته محوا، أنها السبيل أن تتكسر الجماعة وتقترب الفرد، وأن تجتهد ساء استطعت في تحديد الصلة بينهما، وفي



بن الفلأوي قطع الآن الأدبي عن حقائق
 القصور الاجتماعي . فهو لا يملك لف غلاة
 المثنيين بذكر الوجود الموضوعي ويعمل
 منه خلقا ذاتيا . ومع ذلك فهو يعتبر
 من تصور الذاتيات وهو في هذا الغريب
 لا يتطابق مع ذلك القلق المثالي الذي جعل
 العالم الموضوعي مجموع عوامل بسعد
 الذات المدركة ، ولكن طه حسين يتأخذ
 لغعية الذات ودورها التشط في الفكر
 وخصوصية تصورهما لعالمها . ويبلغ
 حد التصور عنده تحليله من الخصوصية
 في الفن . ان حالة الفنان بالمعنى
 لديه - ما تقوم على « الوعي العائلي »
 من جهة الفنان أي على نشاطه الإدراكي
 القائم على الشعور والوجدان .
 ان ذكر الأمور أصالة في الإنسان وجدانه
 وشاعره وصورتية ، أي عالمه الباطني
 وان ذكر الأمور أصالة في الفن ما « مير »
 من هذا العالم الباطني ... « الشعر الجيد
 يتأخر حل كل شيء بأنه يأخر ما في نفس
 الشاعر من عاطفة ، براحتل هذه العلاقة
 نكرا نظريا بريئا من العطف ... فإذا كنت
 نفس الشاعر من عاطفة أو عزت هذه
 العلاقة من أن تحلق لسان الشاعر يسا
 بيلها فليس هناك شعر وإنما هناك نظم
 لافانيه » ٧٥ « الإنسان - في هذا الفكر
 - قوى متضاربة ، أبرزها اثنتان : الضياء
 والطب ، أو الزبابة بين الرأس ، والزرية
 بين الباطن ، العقل والحدس ، وبين
 العالم المادي والمجرد ، المحسوس والروحي
 الواضح والبهيم . وبكشف الإنسان المادي
 والمحسوس والواضح وبين رأسه ،
 وبكشف المجرود والروحي والمهم من بينه .
 والن اداء « مغرية » حتمية . لكن طه
 حسين ليس فيلسوف ، بل هو - في
 الأدب - دارسوناك ومؤرخ ، له آهنا
 اتجاهات نظرية مهمة ، نمتدحا حسا
 في محاولة إبان خفة لدروس فكر الأدبي
 واذا ذكرت انه في هذه الاتجاهات لا
 يذهب بمذهب غلاة التائيين وان تؤهجه
 بصورة عامة - فهو يمتدح - إلى جانب
 فلسفة الرومانيون الثلاثة - الوعي

مجرد « وثائق » أو « شواهد » حلي
 تلك التوالم . يجد الدارس في ثراث هذا
 المعلم العظيم كل ذلك ، ويجد أيضا
 اشترأت إلى أفاق جديدة للدرس الأدبي
 ويرتد إلى تعقيد بعض هذه الاشترأت
 يعد توجيها إلى درس الأدب الصلبة
 والشعبية وتوجيها إلى دراسات مقارنة
 لبين الصلات التاريخية الفكرية للأدب
 العربي وغيره من الأدب العالمية القديمة
 والوسيلة والحديثة . ولقد يرى بعض
 الدارسين في مقاربة « في الأدب الجاهلي »
 نصوصا صريحة وقوية على النهج العائلي
 الذي أخذ طه حسين به نفسه في الدرس
 الأدبي ، مثل قوله في تلك المقدمة : ...
 « أريد أن أصطنع في الأدب هذا النهج
 الفلسفي الذي استحدثته بذكرت لميت
 من حقائق الأشياء في أول هذا العصر
 الحديث . والفلس جميعا يملكون ان
 القاعدة الفلسفية لهذا النهج هي ان
 يتجود الياض من كل شيء كان يملح من
 قبل وان يستقبل موضوع بحثه خالي
 الذهن بما قبل خلقها . والفلس
 جميعا يملكون ان هذا النهج الذي سيطر
 عليه انصار القديم في الدين والفلسفة
 ظهر قد كان من أحص المباح والمحرمة
 وأصنفا أورا ، وأنه قد جسد العلم
 والفلسفة تديدا ، وأنه قد غير مذاهب
 الأنبياء في أديهم والفكرتين في فترتهم وأنه
 هو الطبع الذي يتأخر به هذا العصر
 الحديث » ٧٦ « لكن الحق أن هذا النهج إنما
 يندى في الكثير من أفعال طه حسين
 النظرية والتطبيقية . وتتجاوز الجهود
 العلمية المعاصرة الأصول الفكرية
 والاجتماعية الجسالية التي تلام
 عليها هذا النهج ، لكن نظرا لورة طه حسين
 المنهجية حقيقة تاريخية في ثراثا التريب
 بل في ثراثا الفكر كله .

وعلى الرغم من أن طه حسين يصدر
 في فكره علمية عن وجهة مثالية . وفي
 فكره الأدبي عن نظرة رومانية . فنان
 دوره التويري ، ومستوفية في قيادة
 الفصل الفكري الديمقراطي . قد عصاه

حينما يكتبها من اثر في الأدب الإراء
 الفلسفية والنظم الاجتماعية والسلمية
 المخططة « كما أن حفي الأبرين يفسيان
 إلى « توسط » بين القديم والحديث ، هو
 في حقيقته - هذا التوسط - لصالح
 القديم ... بيننا وبين الماضي اسباب
 بعلة ، وبيننا وبين المستقبل اسباب
 يستعمل ، مائلا لا نتمتع بهذا المكانة التي
 وضعنا فيها القيمة فلا نسرف في التمدد
 ولا نسرف في التأخر ؟ أبحث القديم
 ولا أكتف من الحديث ، وأبنا أرى اني
 وسلا من التدوير الحديث » ٧٧ « أوالعلاية
 التي شر بها بسوت عال ، لا يمكن ان
 تحقق غاياتها كما بشر بها ، ما دامت
 الملائك الاجتماعية التقليدية قائمة .

ولقد استجبت مقاربة طه حسين على
 نظره الأدبي ، فقصر مفهوم الأدب لديه
 واتسمت دائرته ، ووضعت ثوره منهجية
 أكاديمية في تاريخها ومناهج تده . وكشفت
 طه حسين في جهده الطبيعي من شخصيات
 أدبية في ثراثا كانت متوارية في ثواريت
 الأدب القديم ، كما اكتشف نصوصا من
 ذلك الثراث وقدمها تقديمها سلفا ميقا .
 ووضع هذا الثراث القروني الحديثة
 الإسلامية في التاريخ الأدبي ، والدراسة
 الأدبية . والقند الأدبي ، ويستطيع
 الدارس ان يقع في ثراث طه حسين على
 هذه الفروض الأساسية من جهة ملاكات
 النص الأدبي ، وصلات الكتبي ،
 والموالم النعلة في التاريخ الأدبي .
 سمجد الدارس لهذا الثراث ان طه حسين
 يلح الحقيقة « النفسية » دون ارتباط
 إلى جسم الجسم « نفسانية » من اداتس الممار
 وسجد اسهلج الملاكات القروية في النص
 دون ان يجعل من النص الأدبي مجردة
 لغوية أو صناعة لغوية ، وسجد الدارس
 لهذا الثراث ان طه حسين يلح بعض
 حقائق التشكيل الجسالي في النص ، دون
 ان يرى النص حقيقة « جسالية » حقة ،
 وسجد الدارس لهذا الثراث ان طه حسين
 يشير إلى التوالم المعقدة في التاريخ
 الأدبي ، دون ان يرى في نتاج هذا التاريخ

[٤] طه حسين : قادة الفكر ص ٨

[٥] طه حسين : حديث الأرياء ، الجزء الثالث ، ص ١٢ ، وراجع لفطه حسين ذلك مقالته [العقل المصري الحديث مجلة [الهلال] العدد الخاص بالإسلام سنة ١٩٢٩ م

[٦] طه حسين : في الأدب الجاهلي ص ٦٧ م

[٧] طه حسين حافظ وشوقي ص ٩٠

العالمى — الجانب الوامى فى الحياة
الإبداع ... أن الإبداع الفنية إذا كانت
أثرا من آثار الشعور، ومظهرا من مظاهر
الحس القوى والمواظف الدقيقة والذخيل
الغضب، فمضى لغو إذا لم تستند هذا
من العقل والعلم «أ» وهو أحيانا يتناول
مشكلة القيمة تناولاً يربط عليه وتقليصاً
الفن الأدبى، «والفن عليه» لقد برى أن
حسك تيبا «نسبية» هى وسائل السى
تحقيق غايت، ولذلك فمى تخطف من مكان
الى مكان ومن زمان الى زمان، وأن هناك
تيبا «بطلنة» هى غايت مضافها
زمان ولا مكان. وقد برى — أحيانا — أن
وظيفة الفن أنبا تأسس على هذه القيم
الأخيرة المثلثة، وأن الفن قيمة «فردية»
لارتباطه بالخلق والمثالة كما يربطها بالخلق
ولا ترتبط بالتمسك الزمان والمكان، وأنها
تتبع المقاييس الفنية من قيم للجمال والحق
مطلقة ثابتة — قد برى طه حسين ذلك فى
مبحثه ملة «لكته فى مجلد جهده الفكرى
متمحور بمسئوليته الفكرية جاول المواجهة
بين الحلق والنسبى» : «المثل الأعلى
الفن» أنها موهذا التبو الذى يحققها
الجمال الفنى الضيق الواحد فى أحسن
صورتهى أشدها بذاق اتصالاً وللنفس
ملازمة ... والمثل الأعلى فى الشعر هو
هذا الكلام الموسيقى الذى يحقق للجمال
الخالق فى شكل بلائم ذوق العصر الذى
قبل فيه، ويتصل بنفوس الناس السخون
بشده بينهم «٩» له لد تبتدى الحقيقة
الاجتماعية للتناج الفنى فى جهده طه حسين

أن يصور الحياة وهو يعجزها ولا يعزى
من أسرارها ودخلتها ولا من ظواهرها
وتوانيتها ... وربما كانت لفظة «الحياة»
هنا — وفى كثير من التكتيكات — من الغموض
بحيث لا تصح من وجهة محددة فى الفكر
الاجتماعى أو الفلسفى أو التنى، لاسكها
عملية تدل على فكر مسئول لتبتدى بجبل
تراث طه حسين .

الكلمة الضائعة الباقية

«صحيفة الجمهورية سنة ١٩٥٤» «ب» مطر
ذلك تعلق هذا الرائد مع الفن الجسديت
تعلقا رحيما وتعلق نتاج كثير من الشباب
تعبلا تيبلا، وحده الساحة الزمنية لتلوة
جيلة بالتمل الأول من هذا القرن العشرين
مكأن هذا وميامنه بثورة أخرى فى النصف
الثانى من هذا القرن : «٥» أن الدين
طويروا اللوق الأدبى فى النصف الأول لهذا
القرن لم يكونوا كما ظن كثير من الناس
فى هذه الأيام يعيشون فى البروج المعاجية
ولا يتناولون الحياة الشعبية ولا يتناولون
من الأحوال من آلام الناس وآلامهم ،
ولا يملكون قدراتهم وطاقتهم ، وانسكوا
يمشون مع الشعب ، بل يعيشون بالشعب
والشعب — يعيشون له أيام كانوا يعيشون
من ذاتكته — يصورون لم آلام طاهرهم
عليها ويوجد فى تعاطفها ويبحثون لها أماتا
جديدة من الأبل يسرع إليها ويسمونها
ويصورون له الآلة ليس من نفسه أنالها
... وأيسر القراءة فيها ككوا يكتبون
بين ذلك فى غير لبس ولا يهوى : «٥٥»
وليس من شك فى أن ثورة طه حسين
الفكرية — بعدوها الليبرالية والبرجوازية
ونهجها التذنى العقلانى . ويعطى لها التعليم
فى الأدب واللغة والفن والفيزياء والتاريخ
والفكر المبسلى والخصارى والاجتماعى
قد كتبت أقسى تعبير عن معنى
«الهداية» فى مجتمعتنا المعزى : «أى هن
انتقال هذا المجتمع من العصور الوسيطة إلى
العصور الحديثة . وليس لك شك فى
أن هذه الثورة الفكرية الكبرى قد سالت
الامات العامة للثورة الوطنية الديمقراطية
فى المجتمع المعزى الحديث ، والأسول
الكبرى للبناء الثقافى لهذا المجتمع حتى
العرب المعاصرة الحديثة . ماذا كانت هذه
الثورة — لمعتقتها اللبينية ونهجها الفلسفى
العام ، أليس من هذه الحقيقة — لم
تبين التاريخ الثقافى القوسى — أنالها — ملا
ربب — أهم معلم فى هذا التاريخ منذ
القرن الخامس الهجرى .»

[٨] المرجع السابق ص ١١٩

[٩] المرجع السابق ص ٢٧

[١٠] طه حسين : فصول فى الأدب والتذنى ص ٨

وراجع له كذلك الفصل الأول من : مع المتن

[١١] طه حسين ، (نهضتنا الأدبية) الحثار إليه سلفا

[١٢] طه حسين : بن أمينا المعاصر ص ١٦٤



٤ طه حسين : السيرة الذاتية

والرواية

فاروق عبد القادر

تضطرب بها الغربة والمدينة الغريبة ،
ثم الصراع بين هذه الثقافة والدراسات
المدينة في الجزء الثاني ، وأخيراً ،
انتماء طه حسين إلى هذه المدينة في
الجزء الثالث والأخير .

وله حسين - في الأيام - رأي
عن نفسه ومما أصاب من نجاح يرفى
اتساعاً ويصطف أحراراً ، يستطري ذاته
القلقة المضطربة بلذاعة قصة نجاحه
بين الناس ، يختار لها في الجزء الأول
صور العزيم التي تعرف لها والتي
تجس في أن يثقل عليها ، وفي الثاني
يفسحها في وسط فضاء يخطو ، كأن
لا بد أن يتقدم ويخلفه من تحقيق
بما يسمون إليه ، وفي الجزء الثالث
في تلك المعاني المضطربة التي ينيرى
لها في أرواح لا تعرف اللين أو التردد
لهذا يقول في نهاية صفحات الأيام
توتل الأرواح من نفسه ، الذي يرى أنه
كان مصيباً في كل ما أخذ من الأمن
وما ترك ، لو استوفى الأمر من حيث
ابتداء لاستأنس سيرته التي سكرها ، لم
يغير منها شيئاً ، ولم يترك منها شيئاً
أو كثيراً . [٥] . وذلك مرحلة من
مرحلة الرضا من النفس لا يفلح إلا
من خلف نضالاً يحل الذي خلصه طه
حسين : صبي خريف تغير من قربة
مديدة ، ويصحب به قبل أن يبلغ الثلاثين

يقته يقرأ عملاً جليلاً فيه عناصر من
الرواية - بشرطها الفنية المكتبة -
بعض من السيرة الذاتية ، [٦] بما
فيها بعض الصفحات التي تجعل طابع
الاعتراف الفصيح [٧] ، يهتف دافع
يسمى إليه الكاتب : يتخذ في الجزء
الأول صورة كشف أبنية الثقافة الغريبة
التي تفسد الذي وجد الريف في
أواخر القرن الماضي ولوائل هذا القرن
وفي الجزء الثاني تقديم النماذج لتلك
الشخصيات من أبناء الريف [٨] التي
كثرت فقد على الداهية لتعرض العلم
والدين في الأزهر ، فتصيب من العلم
والدين ما تستطيع ، ولكنها تصيب معها
قولا من مثل الأجسام والأشياء
والمتول [٩] . ويتخذ في الجزء
الثالث كشف مختلف المشاكل المعقدة
والعملية التي يواجهها الطلاب المصريون
- ذكور التعليم المنقطع والفتاة
التطعية - حسين يواجهون المتاعج
والدراسات الحديثة في جامعات الغرب .
لكن القوة الصلبة التي تصدر عنها
عناصر الأيام جديماً يمكن أن نجدها في
تلك الرقبة الطافية في العلم والنظم ، يثقل
في سبيلها طه حسين - صبياً ثم فتي
ثم شاباً - الجهد الذي يستثمره والذي
لا يستطيع - يثقل أولاً في تعليمه
بمختلف ألوان الثقافة التعليمية التي

● يقول طه حسين في تقديمه « لجنة
التحقيق » : « ، والذي يقرأون
بالذهن من الناس من الكتب منذ أكثر
من ربع قرن يستطيعون ... أن يابنوا
في وفهمهم وحسبهم إلى استجيب
حسين كعب - وحسين كعب في
الأدب خاصة - لشخصين اثنين :
أحدهما ما يرى من رأى أو أجد من
مصلحة وشعور ، والأخر احتمال قدرة
اللغة العربية على أن تتقبل فنونا من
الأدب لم يطرقها القدماء ... » [١٠]
وأذا أخذنا بما يقوله بعض دارسيه [١١]
فلنا أن نمدر الجزء الأول من الأيام -
الذي مستغرق سنة ١٩٢٩ ونشر
بمستلزام في أصول قبل ذلك - استجابة
طه حسين الفنية والنفسية لتلك الصلة
الطالقة والروعة التي تعرف لها بعد
كتابه « في الشعر الجاهلي » [١٢]
لقد مرته هذه الصلة هزا عنها ،
وأحببت في نفسه الصلابة كل الأم
المعنى وبراءاته ، فراح يلى هذه
الصلابة ، يسلح بها جراح نفسه ،
ويكبد لن كادوا له ، ويبدى رايه -
من خلف مستر شريف - في طبيعة
هذه القوى التي تواته صبياً ، وتكاد
الآن - في رجولة - أن تحرقه كثره .
وقاربه « الأيام » باجرائها الثالثة [١٣]
لا يملك أن يدفع من نفسه الانعكاس

- [١] لجنة الشوك : دار المعارف ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠ .
[٢] أنظر : د . عبد الحسنى بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠٢ .
وكذلك : د . عبد الحليم يوسف : طه حسين بين شعير القلق وشعير التكامل ، كتاب : طه حسين كما يعرفه
كتاب عصره ، دار الهلال ، ص ٦٣ .
[٣] صدر الجزء الثاني في ١٩٢٩ ، وصدر الثالث بعنوان « مذكرات طه حسين » [٤] دار الأدباء ، بيروت ، في
١٩٦٧ ، وأعادت دار المعارف طبعه بعنوان « الأيام ، الجزء الثالث » في ١٩٧٢ .
[٥] الأيام ، ج [٦] ، ص ٧٣ .
[٦] الأيام ، ج [٧] ، ص ١٧٢ .

من عجزه» مع كتابها بلغة النسخ والبصر حصل على أول درجة طبية تمنحها الجامعة المصرية ، وأول رئيسة في الآداب بلغة جامعة فرنسية لطالب مصري ، وفكورة في الآداب من نفس الجامعة ، إلى جانب دراسة جيدة للتراث العربي وطوبه « الأصولية » ومعرفة بنتاج الفكر الحديث وأصولها الأفريقية والرومانية ، وقدره على النقد والجدل ، ونفس ثائرة تدفعه دوما إلى الأرياء والتحدى ، وحياة ملتزمة مشبعة مستمرة صلاها تلك التي جعلته من اليأس نحيبا ومن اليأس أملا ، ومن اللغز غنى ، ومن اليأس سعادة وحسنا .

١٥١

وفي « الأيام » نرى ملامح هسدا التكون تتكشف شيئا فشيئا ، تتوارى هنا وتتداخل هنا آخر :

● التكون الثقافي والفكري :

بعد أن علمه حسين المكونات الثقافية في بيئته الأولى ، تلك التي استصح اليها ووعاما بأنها قصص الغزوات والتروج ، والخيال منفر ، والظواهر ببرس ، وأخبار الأتية والنسب والصفين ، وكتب الوفا والسنن ، وأخبار الملأين والزنتيين ، وأغاني النساء وتعددين ، وأرواد الجسد العجوز وأدبيته ، ثم القرآن . وقد كان طه حسين في طولفه ـ مثل الناس جميعا في فريته وبديته ـ يقدس العلماء ويراهم من طبعة بشافة غير طبعة البشر ، أول من تزيين هؤلاء هو «سيناء» صاحب الكتب ونقشه هليلج يدين نهم لكرشي ، كالب يقسم أنطخ الأيمان وهو موطن له كالب ، أصم يصيب نفسه مجبرا ، ومكر يصعب نفسه حسن الصوت ، وسعادة وعريته سيه الضل لم يوق في حياته لخير ، حاول الإعيا كلها فلم يفلح في شيء ، محقق في الجميع ، كالب متضل فاسد مرتش ، وليس طباه الإنسية الزسبين ـ كتب المعقدة وأيام المسجد والتساجر ـ وغير

الترصين مع ومن يلهي يخلط بخيل وحسن مقتضب وألى يفتي الناس في شؤون دينهم ودينامهم ـ بأفضل من لقبه الكتاب وهرينه ، لها القواء أو « حيلة كتاب الله » لهم يأخذون عليهم من القرآن بيائرة « يلومونه كما يستليبون » لا كما هو ، ولا كما ينبغي أن يلوم « » [٦] . وهناك أخيرا مشايخ الطرق ، ويصف لنا طه حسين واحدا منهم ، شره ، يلقى إلى الناس كلبت شاذية يصارون في تاولها ، ويهشون في ذلك إلى شتى المذاهب ، وليلته شر لا بد منها ، ترحل الناس من أرجح عمرا ، ويثلك للمضي لن أيمان أبيه بهذا الشيخ « لم يكن يظن من الشك ومن الأزدراء » وكان الصبي يخلط في هؤلاء جميعا ، حتى اجتمع له من ذلك مقدار من العلم فحس مختلف بضطرب بمتساكن ما أحسب إلا أنه قبل ميلا غير قليل من تكوين عقله الذي لم يخلص من اضطراب واختلاف وتناقض .. » [٧] ولم يبق إلا عند هذه تكوين عقله هذا بل تجاوزه إلى الخبرة الشخصية فقد أعجب الصبي بالسحر والتالاسم والتعصوف ، ليس الأثران مرتبطين يادوم كلاهما على تجاوز حدود القوانين الطبيعية ؟ ، وفلعة أبوه إلى ذلك فلما ، فقد كان شيئا كثير الحاجات عند الله ، يستعين على قضايتها بالصلاة والدعاء والاستخارة ، ويستغفر في سبيلها صبيبه هذا الصغير .

ويكون مقصد الفتش الأرواعي إلى القرية بشيرا لمعرفه الصبي بوجود لون أكر من العلم والثقافة ، فهو مطرشي بعيد الفرنسية ، تفرج من مخربسة الننون والصنائع ، وهو كذلك يحفظ القرآن ويحوره « وكان خلفه الفضل جذبا .. » وبوصول هذا الفتش إلى القرية ، وبوصول طه حسين إلى الأرم واستماعه لأول دروسه فيه ، ينشأ اليها الكتاب وقصه التام لهذا اللون من العلم القام على النقل والخرانة ومجاعة النقل والنوق .. » وقد انسم

لي بعد ذلك أنه احتك العلم منذ ذلك اليوم « » .

ولكن كان عليه أن يخصص في هذا العلم حتى أنشيه وأن يدرس النكس والخلق والتوحيد والأمسول ، وأن يحسن « الفطنة » وأن يشار في علوم الأهر ، فبدأ أيام المكوف إلا أن يدرس في الأهر حتى ينال الدرجة ، ينال أرغلتها وتروشها ، أو أن يجر بفقران في البيوت ؟

وتتخلق عوامل متعددة كي تصل بطه حسين إلى نقطة التحول الرئيسية في تكونه الثقافي والفكري : يزداد شغفه بشيخ الأهر وملايه لما يسمعه عنهم ، لم يك يسلم من هذه الميوب أنهم ، فغير في نفسه الشغب من الأزدراء وخيبة الأمل : ثمة العتد والمكر والكررة والانتق والتناظر بين الأشخاص في الأمم ، التعليم إلى عشق بمعنى الشيوخ لطلاب من طلابهم ، حتى شيخ الأهر نفسه « كان لنا لنباين » [٩] ويصل إلى دراسة الآداب ، ويعجب بدرسه ـ للشيخ سيد المرصني ـ الذي لعب في حياته دورا هابا ، فهو يسفر من الأهريين وطريقتهم في الدراسة ، ويساهم في تعليم القنود الأهرية الدعوة إلى الشورى على الشيوخ في عليهم وذوقهم وسيرتهم والماديين ، كان المرصني استادا وأديبا ، بها حياة غيرة لكنها حرة سخافة ، اضطر أن يهجن الأهريين على كره منه « كي بالك الميش .. » [١٠]

وهين كتب طه حسين أول مختل يهاجم فيه الأهر ، ومضى به إلى لطفي السيد كي ينشره في الجريدة كان قد اختار اختياره اليهودي العباس : أن يدير ظهره للأهر بما فيه ومن فيه ، وأن يصر من تلك التاذلة التقليدية العقيمة التي تقوم على النقل لا العمل وتلك الحاجز العقيم في التعليم والتدريس وأن يولي وجهه وجهة أخرى ، نحو « بيلة » الطريشين ، والتدريس من الثقافة الحديثة .. كان بتر في الإجازة

- [٦] الأيام ، ج ٢١ ، ص ٩٦ .
- [٧] الأيام ، ج ١١ ، ص ٨٧ .
- [٨] الأيام ، ج ١١ ، ص ١٢٤ .
- [٩] الأيام ، ج ١٢ ، ص ١٢٢ .



محب خائيق ، وبينه وبين الطبيعة قلب موصد ، وبينه وبين الناس شفت وخوف وقلق واضطراب . هذا الرجل الذي عرف نفسه ، بهذا البداية ، غير اهل لان يأخذ الحب ويعطيه ، تكسوم حالته بالناس - الغربيين واليهوديين - على مزيج من الاعتناق والرهاء ، وشيء من الزبانية والاستغناء ، لا ترتبط قلبه نفسه المتجربة ملطفة انسانية ، ويستجيب هو لهذا الجفانة المحرق بالسكره - والسفرية والحيث وبدائرة النفس واسامة الظن بالراء هذا الرجل ذو التسبح العالي والاحباب العاطفي يلقى القول من محبته له ، حلا وعاطفة وجسدا ووجودا من الصعب هذا ان لنصور حياة اخرى لهُ حسين لا تكون لها صاحبة هذا الصوت المذهب ، لقد نجحت في ان تكرر الطلة الانسانية في وجود صاحبها ، وحين يذكر عنها طه حسين - اكثر من مرة - انها قد بدلت ظليته بورا فهو انما يعني شيئا واحدا : انها قد نجحت في ان تلتقي من وجوده تلك الالة البيضاء التي وقتت بينه وبين الحياة والاحباب والاشياء ، كان يضل اليه ان سويتا يكشف له من حقائق كانت سحيفة عليه ، ولم تكن غريبة بلقائس اليه كمنه قد مر بها في الزمان الاول البعيد ، ثم نسجها دحرا طويلا ، فهو ينكرها بعد ان طل موده بها . . . عاها في دنياه واحده : لقد رقت لقيه ابصار عينيه المظلمتين ، وانتهت له ان بعد صياغة ملائكة بقلعهم ، لا تقوم على الخوف والتوجس ، في ليقوم على قاعدة انسانية من الاكل والعشاء .

● نهط الاستجابة : اتحدى وتكبد الذات :

في الجزء الثاني بروي لثسا طه حسين حادثة يمكن ان نعتبرها

كبيرة ، آيا الاولى فهي اذراء تلك المنطق الزرأمي ، وكانت صبيبة في ظل من طه حسين ، نشأت بينهما « مودة ساذجة » حيث آله الاختلاف الى هذا البيت ، ليجود القرآن في ظاهر الامر ، وليظن الى هذه الصبيبة ساعة او بعض ساعة بديران بينهما هذا الحديث السلاخ في حقيقة الامر . اما الثانية فكانت هي : قدر هذا الرجل من اللتين ان يسعوا اليها ويملطوا بها ، وان ترك في نفس كل منهم اثر . وما لهم لا يمحجون بها ويفتقون ، هم الفارحين من اصول ريفية خالصة لم يجلسوا من قبل الى امرأة بريرة تخالط الرجال وتخالطهم وتمازجهم في صوت آسر وفنم ساهر . . . مسرح اللهي . . . وانصرف وفي نفسه من الصوت وبما قرأ شيء كثير . . . »

ثم لاح له الحب الكبير ، وينتار قصة هذا الحب كما هي مرويبة الى الجزء الثالث من « الأيام » ١٢٥ لا يملك ان يفلح من نفسه شيئا من الدفعة : لهذا الرجل الذي اقرب من اللاتين ، واستولى نفسه المظلي كآولي ما يكون التفسح ، وخاض التفاضل الطويل المتصل من أجل ان يهره وان يكون شيئا ، يبدى ساذجة واضحة الى شكون طيه : حين يشطره الوجد الى البوح بحبه فهو لا يريد لهذا الحب مدي او جوابا يكتي ان يهبها هو ، وان دائن له بذلك ، وماله لا يمل وقد كان حبه يستحي حتى من نفسه فبكرها ، ويكره ان يتحدث به الى نفسه ، وقد استعان انه لم يخلق لكل هذا الضمور وان يمل هذا الضمور لم يخلق له . . . » ١٣٥ .

طبيعي ان حين ياتي القول ان يتغير تغيرا كاملا ، وان يكون هذا القول نقطة التحول في توكله العاطفي والانفصالي ، لنجد ان - بشل هذا الرجل الذي أحب ان يتوجه به بخل عرف حقيقه واجل على شمره : أبي الملاء المجرى - « اتنى الولادة » وحش الفريزة ، « بينه وبين العالم

ويكفر » . . . لا بما فزح نفسي كذاكون من الفرنسية ، وما كان السباي يهريج من التجسيلية ، وما كان جورجى زيدان يكتب في الهلال من مقالات ، وما كان ينشر من محمى ، وما كان يلقى من كسب في تاريخ الانب والمصارة ، وما كان يعقوب مبرور يكتب في المقتل ، وما كان الشيخ رشيد يكتب في المثار . . . وكتب قاسم أمين وكثيرا من اكلر الاستاذ ايام ، وهذه القصص الكثيرة التي كتبت تترجم لطيفة الغراء . . . » ١٤٥ .

وكانا على مودة . . . نعمت الجميلة الاطيلة [١٩٠٨] ، ووجد طه حسين - الذي بلغ الخامسة عشرة - فضالته الحقيقية . وفي الجامعة الجديدة بفتح عيشه المشوق للحرية على دروس في تاريخ الادب والفلسفة والمصارة والنفات الطبية والجغرافيا والتاريخ الاسلامي ، ويعتر ان يعلم الفرنسية ليعين فهمه والطمح .

وفشى أحداث قهيم على نحو ما هو معروف ، وفي فرنسا يستوى معرفته بالفرنسية ، ويعلم اللاتينية ، ويعترف الى الدراسات الانشائية والانسانية ومناجم البيت ، وتاريخ المعصور القديمة والظرون الموسي ، والتاريخ الحديث والمعاصر ، والفلسفة ، ويوم باللغة الانجليزية ، الى جانب معرفة جيدة بالكتابة الانجليزية والمصاصرة الرومانية والادب الفرنسي الحديث والقديم .

وهذا تعدد المكونات اللغائية والفكرية لمعقبة لغرض طها على الثقافة العربية والادب العربي اربعين عاما ، واستطاعت ان تكون نقطة انطلاق عميد من الدراسات في فروع المعرفة المختلفة في نقد الادبي والتاريخ الادبي والتاريخ الاسي ونفاسة التربية والتعليم :

● التكوين العاطفي والانفعالي : قبل قصة حبه ، الاولى والاخيرة ، والتي حكاهها طه حسين في الجزء الثالث من « الأيام » ، تلك منطلات سيرته ان تظفر من حديث القلب . . . عسا اشرفان مابران تردان على استصدار

- [١٥٠] الأيام ، ج [٢] ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
[١٥١] الأيام ، ج [٢] ، ص ٢٠ .
[١٥٢] ص ١٠٩ وما بعدها .
[١٥٣] الأيام ، ج [٢] ، ص ١١٦ .
[١٥٤] الأيام ، ج [٢] ، ص ١١٢ .

والقره • الجذ يخفى الى ثلب الحبى %
 اكره على التوى اكراما حين لم يجد
 شيئا يعبث بها ، والاب كاذب احيانا ،
 خادع معبث تاس احبسا اخرى ••
 « وما هي الا ايام حتى سئم لذب الشبح
 وكره ان يدعى به ، واهسى ان الحياة
 مملوءة بالظلم والكلب ، وان الانسان
 يظلمه حتى ابوه ، وان الابوة والابوة
 لا تصمم الاب والام من الثلب والميت
 والخداع •• » [١٧] ، والاخ الزهرى
 الاكبر منصرف من اللتى الى اصحابه
 وكنته ، لا يحس الا له حتى ينفعه
 دفعا الى ان يجهش بالبكاء ، والاخر
 يكتب ويترك ويستولى على ما كان الاب
 يرسله للتى — انتاه بعثته — من مال
 قليل ، وطلاب الارض وشيوخه جيسا
 قد اسلموا اليه الاثبات الى نفوسهم او
 عقولهم او خلعهم •

لا يتعامل طه حسين الا مع ثومين
 من الشخصيات : هؤلاء الذين قدر لهم
 ان يلعبوا اهم الانوار في حياته العقلية
 والعلمية ، وامهم الشيخ سيد المرصى
 ولطفى السيد ، •• ، اصبح للتى
 استاذان يخصصهما بجهته واعجابه ،
 احدهما يذكره بلاتية البصرة والسكوة
 وهو الشيخ سيد المرصى ، والاخر
 يذكره ببلاتية البوئان الذين مسح
 اسماهم الى الزهرى ، وجعل يدرس
 اطرافا من فلسفهم الى الجبسة وهو
 لطفى السيد •• » [١٨] .

التوح الاخخر يمثل فى مساهميا تلك
 البيئة القاسية الجاهلة المتخلفة التى
 لففتها بصره ، فسحيا ذلك « الملم
 الائم » كيا سوسيه ، علم النساء والصباء
 النساء ، فيسببه مقصد هو عليه ،
 وسببه ايضا فكتت اخفص الصرى
 حياتها •• ، كتت خفية الروح ملقة
 الوجه نصيحة النسان خدية الصديت
 قوتة الخيال •• » ، مرشت حدة ايام
 دون ان يضى بها احسد •• فيستطيع
 الشيخ ان يثلث القرائن ، ويصطليح هذه
 الام ان تتدرج ، ومن غريب الامر ان
 احدا من هؤلاء الناس جيسا لم يكن

الرفاه •• وان يتنامى هذه الافة كلما
 استطاع الى ذلك سبيلا •• •• لسكتها
 كانت تأبى الا ان تنظمر له بين حين
 وحين انها اقوى منه وابشى من حربه
 واصعب مراسا بن كل ما يفتق له
 نكلوه بن حيلة •• » [١٩] ، ففى كتكن
 له لم يباغتته فى بعض الطريق ، لئلا
 نفسه ، وتفرغ عليه ان يقضى ليله
 ساعرا محزونا : حين يقول له المذعن
 فى الزهرى : « ليل يا امى •• » ،
 وحين يبلغ حرس الجبسة الاحلية خفيه
 من ان يصفيه حتى مكان المحاضرة ،
 وحين تتردد ادارتها فى ان تبته البعثة
 خشية مضاعفة التلقة ، وحين يمسأل
 الاستاذ فى الجبسة الفرنسية رفاهه :
 « اماسكم بكوف آ » لانه لم يرفع
 قبته وهو يخطل مكان المحاضرة ، وحين
 ييم به « الاير » لعيد زؤاد وينيه
 بان حنك مؤثرا سيمتد للكولفين ،
 فيرده عنه فى لحظة بادية وكبرياء جريح .

ارست هذه الافة الى نيط استجابته
 الرئيس : المكوف على الذات ، ثم
 قبول التحدى •• ، ففان حدت جبال
 حركته ورويته ، فكان عليه ان يعوفى
 شيق مجال الحركة بتطلق الخيال حرا
 لا تهدد حدود ، ويترهق بنية هواسه
 جيسا فلا تقوته مما يتسع فى مجال
 افراكها فلفقة ، ليسو بظا الصى ،
 حسن الاستماع ، يبعد الرؤية بلقنيته
 وائله ، [انظر الى تلك الصفحات التى
 يصف فيها طريقه من الريح الى الارض
 فى الجزء الثانى من « الايام »] ، وهو
 يائف الاشياء ويطنش اليها ويوجد بينه
 وبينها مودة ، وكمر حرج حين رد اليه
 المستوف الذى حين عليه حزنا شديدا
 حين حرم منه فى فترته البعيدة ••

ويقدر ما يائف الاشياء ويطنش اليها
 يقدر ما يخفى التامى ويوجس منهم ••
 وماذا لقي منهم غير ما يكره ••

ان الايام •• باجزائها الثلاثة •• لا تتقدم
 البنا شخصية يتعامل معها الفتى تعلفنا
 انسانيا كايلا غير صاحبة الصوت الطيب .
 اما بقية الشخصيات فهى للسفر والهز

تولوجية فى الدلالة على نيط استجابته
 للاحداث : حاد الى القربة بعد ان قفى
 هبنا الى الزهرى ، اختلف خسلاله الى
 تدويحه ، وسبع منهم ، وحفظ بعض
 الكلمات والمبارات ، ويرجع بهذا كله
 وقد استتر فى نفسه انه قد امسح
 مالا يستحق بكافة المالم ، لكنه اكتفى
 ليه لا زال كما كان قبل ان يرحق القربة
 « قليل الفطر ، خنيسل انشان ،
 لا يستحق حناية به ولا سؤالا عنه ،
 ماذى ذلك غروره » ، وقد كان غروره
 شديدا ، وزاده ذلك امعنا الى الصبت
 وعكوبا على نفسه وانصراما
 اليها •• » [٢٠] ، « تلك هى المرحلة
 الاولى بن استجابته ، صرمان ماستنفع
 بعدما الى البكبات الذات وتاكدها •• »
 بدا يتكلم بعض المسلمات الى مسده
 التعلالة الدينية التقليدية ، ولم تخرج
 من ان يعلم •• سوبنا •• لابه •• لم
 استمت دائرة لشده وانسكاره فشلت
 ادعية ابيه واوراده ، وتجاوزتها حتى
 بلغت المذبة ، فغال التلى فيها هذه
 القولة التى ردها الرجيمون والجايدون
 واعدام التتعم بعد ذلك جرارا من طه
 حسين : « انما هو غاسد بفسد ،
 شال مثل — الخ » ، لكن اللتى
 حق بهذا نجاحه الاوان فانتمس
 وخرج من منزلته ••

ولا شكت فى ان اقتضج الملقى
 والاستقرار الملقى قد رقنا من هذه
 الانقذافة الرهسية ، لكن نيط الاستجابة
 ظل كما هو : مكوف على الذات ان
 اهدت شيئا يهدد كبريائها ، ثم اندفاع
 بعد ذلك الى التحدى والمضى فيه الى
 آخر الطريق ••

ولا شك ايضا فى ان جذور هذا
 التتعم من الاستجابة قدس فخرست فى
 طفولته الاولى ، حين فطد بصره ، وبدا
 ينبوع الشفاء الذى « لن يقضى حتى
 تقضى حياته نفسها •• » ، فقد الزته
 هذه الافة ان يكتف رغباته كيتا شديدا
 وان يأنذ نفسه بالنسوة اخذا منها
 ولا يجعل من نفسه محط للشفقة او

- [١٥] الايام ، ج [٢] ، ص ١٢٢ •
 [١٦] الايام ، ج [٣] ، ص ١٠١ •
 [١٧] الايام ، ج [١] ، ص ٢٨ •
 [١٨] الايام ، ج [٢] ، ص ١٢٢ •



كانها بين الزميين الثالث والرابع ٢
 فهي تحكى فترة اختلاف طه حسين إلى
 الجامعة الأمية ثم منفره إلى فرنسا ،
 لكن هذا لتقلبه الخارجى ويؤكد وبمعنه
 تشابه آخر : أن طه حسين يفتن كثيرا
 من الجبروت كى يتسلل من وراء صاحبه لا
 ينحكي من ذكرياته له هي ذكريات طه
 حسين نفسه ، فيجعله من قرية تربية
 من قريته ، وهو قد تعلم فى الكتائب
 نفسه وعرف بعض أسفورة صاحبه ،
 وهما يرتحلان معا — بلخيل المطلق
 هنا وبالرسائل حيناً آخر — إلى مراتع
 الطولة والصبا ، ويقفان على أرض
 الذكريات المشتركة ٠٠ ، يقول طه
 حسين : « والغريب أنه كان يتحدث
 ليثير في نفسى مآلى ما يثير فى نفسه
 من الذكري ، ثم يتحدث على ومسا
 لىب مكاتبنا أنا أحدثه بنفسى ٠٠ » (٢١) ،
 ويصلى التلاوي بين الصديقين بين تغلقان
 على ضرورة السفر إلى فرنسا لاستكمال
 دراسهما ، وحين يقوم بينهما نوع من
 التمازج العظمى ، يعلم طه حسين
 صاحبه بمعنى علوم الأهرام ، ويعلمه
 صاحبه الفرنسية ٠

والشئ الذى لاثلك فيه أن لشخصية
 « أديب » أصولا فى حياة طه حسين ،
 وأنه لم يخلطها من عند نفسه فلفا ،
 فنحن نقرأ فى الأيام ، شيئا منه حين
 يتحدث طه حسين عن استعداده للندم
 للندم أنى للالتبية ، وأن يثرى ذلك
 الصعوبة التى لم يفرها مصرى من قبل :
 « وكان ثلاثة من المصريين قد أزعوا
 أن يفرها هذه الصعوبة ، ويتحدوا
 هذه العجبة ويدرسوا اللغة اللاتينية ٠٠
 فلما أعدمهم فقد جد وكند وتقدم للاندحان
 فاشفق ، ثم أخذ يستعد ليزيد الاندحان
 فى العام المقبل ، وتكلى الأسباب تطمت
 بينه وبين ذلك ، أثمرته الطة لمضطرب
 لبره وأخلط مقله ورد إلى مصر فالتقى
 فيها أبايا كتيبة بأسة ، فاستأثرت به
 رحمة أثار أحسنه من أنسائل
 العجبة ٠٠ (٢٢) ، لك طه حسين
 قد صاغ شروط وجودها على نحو يجعل

مبتوها له بحكم عاقته ، يجب أن
 يتحول إلى أمثال وتروق ٠
 وفى الأيام بعد ذلك صورة صداقة
 لتلك الفترة التى عاشها طه حسين منذ
 أواخر القرن المائى حتى هشرينات هذا
 القرن ٠ كان الطابع العام لهذه الفترة
 هي الاختيار الثورى الذى تجرى سنة
 ١٩١٩ ، والتدو التدريجى للطبقة
 الوسطى وتقدمها حتى أصبحت لها قاعدة
 قوية عريضة اقرب للجماهير ، وتحكى
 الأيام قصة صعود طه حسين — ابن
 الشريعة الدنيا فى هذه الطفة — ليكون
 — بالمثل والقول — واحدا من الصلوة
 فى الحاصية ٠

وفى الأيام أيضا هذه الصور التى
 استخلصها طه حسين من قصة العلم :
 صورة الحياة فى تلك الفترة الذاتية من
 ترى الصمدى فى أواخر القرن المائى
 وأوائل هذا القرن ، وصورة الأهرام وما
 يحيط به وما يضطرب فيه من طبائى
 وشيوخ وطولم وبناج ، وصورة بعض
 أحياء القاهرة آنذاك ، وبعض تساليج
 المتكتلين نيبا ، وما حول هذا كله من
 صور الحياة فى مصر قبل ١٩١٩ وبمدها
 بقليل ٠٠

يتراوح أسلوب النص فى الأيام بين
 التصوير والتقرير ، ويسودها هذا
 الأسلوب الذى مرل به طه حسين فى
 أعماله جميعا ، الذى يتميز بالأصالة
 والتأثر بأعمال الآتية من كتبه المصرب
 الداس ، وخاصة الجاحظ ، ولأسلوبه
 موسيقاه الخاصة ، واضحا على
 التراف والتكرار ، وتتمك باستخدام
 المصطلح المطلق وأفعال ٠٠ (٢٠) .

وسيلقى الأيام دائما ، وثيقة تكون
 طه حسين مقلًا وتقليًا ، وصورة للحياة
 الحصرية المحيطة للفترة فى أواخر القرن
 المائى وأوائل هذا القرن .

ومن بين أعمال طه حسين الإبداعية
 تنتمي « أديب » بصانها الوثيقة بسيرة
 الذاتية ، من هنا يفضل البعض اعتبارها
 جزءا من « ريعية » الأيام ، ويقس

فى الطبيب « ١٩ » ٠ ثم مائة ٠ وكأنها
 كان موت الأخ الشاب بمدها هو قلبه
 هذه الأسرة الفارقة فى جعلها وتخلها
 وعلمها الأم ٠٠ كان أديب الأسرة
 وانكسار وارثها تلبا وأصناما طمسا
 وأبرها بأه وارثها بأبه وارثها بسفر
 أخوته وأخوانه ٠٠ ٠٠ بموته الناجح
 دفيرت نسبية الصبى تثيرا فلما ٠٠
 عرف الله هذا وحرص على الترف إليه
 وعرف كذلك التحمل المروعة وأرق الليل
 أن تاملط طه حسين مع هذا الأخ
 وهذه الاخت أنها هو رثا الذات بمنأيه
 وصرفة اصحاب ضد هذه الهيئة القوية
 الجاهلة ، القبيية المختلفة من القافية
 الأخرى ٠

وانكسار هذا النمط الأساسى على
 احساسه بما يلقى من الناس والجماعة ،
 أن الرحمة واللين يرتبطان بالآزوار طه
 والاعمال له ، والاتفاق يشوبه الأزوار
 لهذا لم يعرف لدة لا يتخلطها الأم ،
 ولم يعرف لما لا تشجعه للذة ، وكان
 فى كل الأحوال محتال صلبا ، ومنيدا
 ذا كبرياء مرفه ، ومساخرا ، فى
 نسوة — بين الحياة والاحياء ٠

●●●

« الأيام » مزيج من الرواية والسيرة
 الذاتية ، يبدو جاذب الرواية ، بمعنى
 تتابع الفصول حسب منطق على لا يتلم
 سرد الأحداث فى تسليمة الزمنى أو
 المكائى ، بل حسب تتابعها فى وهى
 التى كبا تصل إليه ، يبدو هذا
 الجانب واضحا فى الجزء الأول ، وتبدو
 حركة الجبانة وراءه رابكة مستلكة
 فى الجزء الثانى يزداد نصيب صفحات
 السيرة ، وتضعف نوع من التتابع
 الزمنى ، ويضعف هذا أكثر وأكثر فى
 الجزء الثالث حين تغنى الحركة ويسرع
 الإيقاع ، ولا يعود التلى — وقد أصبح
 شلبا — يظل إلى نفسه كثيرا ، أنها
 عليه أن يلاحق بشكلات حياته هذه
 الجديدة : من الأهرام إلى الجميلة
 ومن القاهرة إلى فرنسا مرة مرة مرة
 وعلميه أن يعلق أن ما كان أباويا

[١٩] الأيام ، ج [١] ، ص ١٢٢ .

[٢٠] د. عبد الحمن بدر ، المرجع السابق ص ٣١٢ .

[٢١] أديب ، دار المعارف ١٩٦١ ، ص ٢٠ .

[٢٢] الأيام ، ج [٢] ، ص ١٢٥ ، وأنظر كذلك : الجزء نفسه ص ١٤٥ .

فعلها فنقصية فنية مغلقة ، ففرقت لها أسباب الحياة من ناحية ويزيرا وحملها المؤلدة بدلالة التمثل من وجودها الواقعي من الناحية الأخرى .

وأذا نحن اعرفنا عن تلك الصفحات التي يمكن ردها إلى «الأيام» (٢٢) ونظرنا إلى صياغة شخصية «الأيوب» نفسه فلماذا نرى ! ..

رجل قبيح الوجهة غليظ الصوت ، يرفض وجوده على طه حسين - وهو آنذاك يختلف بين الأثر والجماعة ، وما يزال به حتى يصاحبه ويخذ لنفسه عليه حقوقا ، ثم هو يسبقه إلى فرنسا للدراسة لتتوزع حياته بين البلد واللبر نحو لمحة تتفلقها معاهد العلم ومنازل العلم ، يضي أضواء في الفرس حتى يتجنى فيها يفتق لمبة الكتيرون ، ويضي كل شيء أحيانا بين فراشي امرأة أو زجاجة خمر . يرى الجنون مكيلا عليه لكنه لا يملك أن يقدمه من نفسه ، فيستسلم له كثيرا ويرثك وراه «لينا» رائحة حزينا صريحا ، لا عهد للفتنة بملته يباينها أدبها والمحدثون ..» (٢٤).

وفي أسعدى رسائله إلى صاحبه يقول الأديب : « أشعر بأن تشائي في مصر في التي تمنعني إلى هذا كله جمعا ونرست على هذا كله فرنسا ، لأنني لم أنشأ نشأة منظمة ، ولم أسيطر على تربيته وتعلمي أصول مستقيمة متروكة ، وإنما كانت حياتي كلها مضطربة كلها أشد الاضطراب ، تمنعني إلى بيني وبينكم في شلال ، وتفت إلى أحيانا بين ذلك ..» (٢٥) .

على أنه لم يكن يوما بين المتعلمين آنذاك ، إنما كان واحدا منهم يمكن أن يدل عليهم : أين صدة ميسور ، أتم تعليمه التقوي وعمل كتابي في إحدى الوزارات ، يلقق نهاره في عياله ، وليله في قرأة ما كان متسلحا من ألوان الثلاثة آنذاك ، ثم هو زوج سعيدة بزوجته ، مستقر في بيته ذلك على رابية فوق الحنية ، لكنه « مضطرب ، ملو ، شديد الاضطراب » الأنوار .. »

نرى نحن من وجوه اضطرابه والتواتر اسرا في الحديث ، والاستعداد ، وانطلاق الخيال رحبا بغير حدود ، ونفسا شاعرة مرعفة الحس .

لكن هذا لا يكفي كي يبلغ طه حسين بأدبيته أن يكون شخصية فنية مغلقة من جانب ، ويزيرا يتجاوز وجوده الواقعي من الجانب الآخر . لهذا خلق نفسه حسين في نفس بطله هذا الصراع بين زوجته « حبيدة » التي أرغم نفسه على طلاقها من أجل أن يسافر إلى فرنسا وبين « فرند » أول فتاة يقرر لها أن يراها ويحادثها في فرنسا ، ثم «الين» التي عرفها بعد ذلك فكان بين فراعيها تمييه ودماره . ونحن لا نعرف أي من هاته النسوة الثلاث ، نعرف من خارج لو صح التعبير ، نعرف من وجه دلالة كل منهما في هذا الصراع . ليس هذا ممسا ، المهم أن يتجنى طه حسين بطله إلى أن يرتكب أثبا [هو ضلخته لفرانه] وأن يتجنب من أجله [في هذا التزلزل الرهيب بين دور المعلم ومجلس اللبر] ثم أن يكره نفسه ويظهر منه [بالجنون الذي ينهش إليه]

لقد حاول طه حسين أن يخلق من أدبيته بطلا نراجيديا على نحو ما عرف أبطال التراجيديات الإفرقية ، فهو يفتي ، لا لشر فيه أو نقصية ، ولكن لجعل يبول بسمى إليه ، وتظل نفسه موزعة بين طرفي هذا الصراع ، وكلته أرادته أو مسمى إليه سميا .. « ولست بع هذا كله بفضحا لشيطان الغم » هذا الذي يطمئني ، ولا منكرا عليه ، فلما أعطى الحق من نفسي وأقبل راضيا أو كرها ما ليس من يتوله يد ، فلما قد اتفرت الأثم ، ولا بد أن اجعل لثامه وأدجر الآله ..» [٢٦] ، وهو يفتو - من ثم - إلى دماره وتكثيره كخلاص وحيد لا خلاص غيره ..» إلى لائو الان من فرنسا خلقا رجسلا شديد التشاؤم ، لا انتظر خيرا ولا نجما ، وأنسا انتظر شرا كثيرا وأخسنا شتينا ..» [٢٧] .

لكن نتيجة هذا الصراع مهددة سلبا هدها « قدر كوني » لا محبوب منه ولا سبيل إلى تغييره . قدر كوني قد جدم أن تلوام « حبيدة » في هذا الصراع ، وأن يتوارى شبهها باليس حين تشرق فرند أو الين أو لبة امرأة فرنسية أخرى ، يهجر الصراع ، ولب رواية « أديب » كلها في الموت نفسه - إنما هو في هذا اللقاء بين حفارة حربة ، تلابدية وغيبية ، حساسة وغيبية ، وأخرى فتيسة منطلقة ، تؤين بالانظام والإطراف ، والمسلم والين وانسانية الانسان . يقول أديب لصاحبه في إحدى رسائله : « أذهب إلى الأهرام ، فما أكن تلك ذهبت إليها قط ، والنذ الذي أصالح اليوم الكبر ، مستضيئ بسمة بالحياء ومستضيئ بك الحياة ، ومستضيئ باختلاف واستيعاب جسدي حسرا ، ومستضيئ اليك تلك تصيل ثقل هذا البزخ العظيم ، وإن يكاد يهلك ، ثم ألتزم من أحيال هذا اليوم واستقبل الهواء الطلق الطيف ، وأعلم بعد ذلك أن الحياة في مصر هي الحياة في أمثال اليوم ، وأن الحياة في باريس هي الحياة بعد أن تخرج من هذه الأحياء ..» [٢٨] .

ويبدو في رسالة أخرى - بعد أن تأتت الحرب ورفض أن يخلو من باريس وأن يذهب به ذلك إلى الموت - بأنه يفتو بنفسه أمام تصيل باريس وصغارها وسامعها ويكره في أن توما يفرحون عليها يفرحون بها السود ، ولا يفرحون ولطمهم يحيون أن يمتصوها محبسا ، ويستحوها سحفا ، ليفسوا من أبر باريس ، وليفتوا من أبر فرنسا ، دون أن يخلصوا بأنهم أن يخلصوا سيفسوا من أبر الحضارة كلها ، ويستطون في القرن الثم الطيرين كما أعلن التارخ في أول التاريخ السجى أن عهد الحضارة والمسلم والفتنة والتفكير والين قد كنى بزال ، وأن الاستقية قد أن لها أن تسرح من جودها الغضب المتيف ، وأن تعود إلى هذه الراحة المجيدة التي يسلها

[٢٢] وصف طه حسين للطريق المؤدى إلى بيت صاحبه ، ووسائل صاحب إليه بن الصميد ، وهدية من الصمار الشيخ أو الشيخ الحمار ، وجو القهورة والقاهرة في الليل ... الخ .

- [٢٤] أديب ، ص ١٨٢ .
- [٢٥] أديب ، ص ١٦٨-١٦٩ م .
- [٢٦] أديب ، ص ١٢٠ .
- [٢٧] أديب ، ص ١٢٠ .
- [٢٨] أديب ، ص ١٥١ .



الكروان (٢٢) ، وليس صحيحاً أن هذه الرواية بُنِيَت لتسلي على أسس فنية « كما يجحد الواقع ولا يفتخر به » ، ويشتد من هذا الجهد أسلوباً نيساً وجيراً للبناء ٥٠ « فذك الصلحات الطبيعية التي يرسم فيها المؤلف شخصيات واقعية ، ويصور أجواء واقعية ، ويصنع أحداثاً بتفاصيل واقعية كرمسه شخصيات هاته النسوة الثلاث : المربية والدالة والعزلة . والاولى بوجه خاص] ، وصورته الجوهرى بيوت إرباء الرب « ، الذين لإياخذون من ذرف الحضارة الا بايسره وأخوته » محققين بما التوا من هذه الحياة الزبانية التي لا حدة فيها ولا رقة ولا لئنان ، في أرماف الذوق ٥٠ » ، والجو الذي يهيئ خطبة الفتيات في أسر الطبقة الوسطى ، ووصفه مثل شيخ الخمر في القرية التي لجأت اليها أخته مع أميسا وأختها [يصر الظفر من وظيفة هذا الحادث في التصيد للماجدة الحيلة] — أول من لم يكن ذلك متخاضاً مع ذلك الأسلوب التسميى المرقى في الصياغة المجددة وبموسيقى المولودجات أجنبية الطويلة وطويلة لشاعرها حتى أدق خلجاتها .

فلك لأن الرواية قد منع البطلة وعيه هو ، ولم يفلح لها وفيها الخاص الذي نلتقى منه روايتها . نوهي المؤلف هو ما نلتقى به حين ندر أمانة استنبهنا الاخلاقي يبين تنجندنا في أن شكوا نطيلتين ، لكنا تكشف ضرورية وجود قدر من الشر المحسوب ، يسارع المؤلف ليرد يدونه بأنه من كيد النساء [وشي هزت المرأة من أن يبلغ من لسكر والكيد ما فريد «] ، وهو ما نلتقى به في فداعنا من سرقة الكتب وأختلاسها كى تتراعى بعيداً من أصابع اليوت ، ووهي المؤلف هو ما نلتقى به في ذلك الفصل الاحباشى لحياة أتراب الرينة وكبر موسى الحكمة في العزلة الاولى من هذا القرن ، وهو ما نلتقى به في

الكروان « تنقص على اللون كل نجاح الرواية ونشلا ، كل ميزاتها ومعيوبها . في هذه الصفحات نلتقى بموقف « الثرى » يشير الى الطبع البودراسى للعائلة الرئيسية في الرواية ، وبجيلة تشير الى هدفها التعليمى والاخلاقي ، وبالصياغة الشعرية الخطيبية التي مستخدم أسلوبها الفني وتناولها ليرسوها وبالرحلة التي تلمتها البطلة محددة : دلالتها الاجتماعية السلبية .

على أن المشكلة الحقيقية في هذه الرواية أن بها صدماً رئيسياً يند لوشيل موضوعها وطريقة تمثيلها من هذا الموضوع مما « أبا الموضوع فزيق أتق يترف : كيف يمكن التطوير والحب وكيف يكون الصراع بين الحب والكبرياء يدور في نفس قروية بدوية ، لا تزال في آخر السبيا وأول الشيلاب ، لم قبل من الحياة شيئا ، ولم تر لها شيئا غير مضطرب فيبلتها على أطراف الريف وذلك اليوت من المدينة التي عشت بها ريثا . لكنا تغير هذا الصراع باقتدان حتى تنصر فيه ، وهي تسمى نفسها وتفكر في نفسها « و « نذكر ما مضى على علم به وتكسدهر له ، وتستقبل ما سياتى في روية وبمسرة واستعداد للاحتلال ٥٠ » [٢١] - هذا الصدمى شخصية أخته يحاول طه حسين أن يربيه بأن يجعل لأخته حظاً من التعليم ليس تختلف مع سجدتها الصغيرة الى الكتاب ، وهي تلتقى معها فدرس المعلم بل ويصر حقائق اللغة الفرنسية على أن يجعل لأخته حظاً منها ، فهي تتعلمها مع سجدتها وهي تقرا بها كذلك « . وحسب طه حسين أن أمانة قد أصبحت « فناة فرنسية » فاستقم لها مقددة فرنسية خالصة كى تدور روايتها حولها بلا شك في أن الموضوع على هذا النحو غريب كل الغريبة عن الواقع المصرى آنذاك في تلك البيئة البعيدة من مدن التعليم ، ولا يجنبنا الحقيقة هذا الدناع البليغ الذي يسوقه الدكتور على السراوى في دراسته لدهماء

الذلل والألم واللون ٥٥ « [٢٩] . لقد استغذى الأديب في مواجهة هذه للخصارة استغذاء كايلاً ونهائياً ، فبلا كبا لعل لحظة رأى فناة الفتى ، يكتب واحداً كى يد اخبته في هذا الفتى أيلها ، ولكن يهيم بهسبا في محوه وسكره ، وليست هي — بعد — سوى فناة تهب ابستلنها ورقة حديثها لكل زليل هابر .

لقد كتب طه حسين « أديب » بعد أزمة أخراجه من الجامعة [١٩٢٢] ، وهو يعترف صراحة في مسطورها الأخيرة بأنه كتبها بعد أن اتاح له « الطالبون » شيئاً من فراغ ، وهو ينسب على الجامعة يعلم في أكثر من موضع منها « ٢٠ » ثم هو يهديها الى محبته هذا الذي كان أول المحبين له حين أخرجه الظلم من الجامعة ، وأول المحبين حين أصفده العدل اليها . ولعل هذا كله أن يجعل منها استجابة الفنية والانسائية لذلك الأزمة الحادة من لزمات حياته : لقد أرغى بها نفسه حين عرض هذا الوجه من وجود الشبان الذين يسانرون لطبى العلم فيستربون بين الجد واللغو وينسبى بهم الامر الى الانحلال والخيال ، وهو قد قبل فيها رايأ كذلك ، هو رايه في موقف « المراقق » الشرقى من حضارة أوروبا الناصبة ، تاله مستقراً مغسراً من وراء قناع شليل ، ليؤتله بعد ذلك صراحة في صدل لا ينسب الى اللن بل ينسب الى فلسفة الحضارة والتربية هو « مستقبل الثقافة في مصر » بعد ثلاث سنوات فقط من صدور « أديب » ٥٥

[٥]

كانت « أديب » هيلاً روائياً وثيق الصلة بسيرة كاتبه الذاتية ، لكنه قدم لنا ، كذلك ، هلمين روائيتين خالصين هما « دماء السكروان » [١٩٢٤] و « شجرة الزؤس » [١٩٥٤] .

[٢٩] أديب « ص ١٥٢ ، ص ١٥٢ .

[٢٥] ص ١٥٢ — ١٥٨ على سبيل المثال .

[٢١] دماء الكروان ، الطبعة الثالثة عشرة ، ص ١٢٨ .

[٢٢] د . على الراعى : دراسات في الرواية المصرية ، التفسيرية والإرشاد التومى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٤٠ .

ص ١٥٦ .

تلك اللاحية الكبيرة التي تضمها الليلة على الكتب والتلعة ٥٠ التي لم تفسد حين خرجت من بيت المايور لا انتجت من ترف لكنها تأسف على ما تركت من كتب مبرلة — بالعربية والترنسية — ذات طبع جميل وجدل ثقي ، وومي المؤلف هو ما تلقى به في تأكيد ان هذه الكتب هي ما يمكن ان تفتح لن يفيد منها تلك الحركة الاجتماعية من مرتبة الفهم الى مرتبة السادة ، وهو ما تلقى به ايضا في هذا التفسير الرائع لنبات اللبلب والشملة وينوع الفهم التبحر حول آفة يمد ان شهدت مصرع لخلها ٥

والانوار محددة لتحديد وانحسا في هذا الحدث المظفراني : آيتمسة في الليل السدي يخلق لتساره بالمرية والزادة والميسرة في ادارة الصراع العاطلي ، والمفهم هو رمز القوابة الذي يحترق بلهبه الحب لخلق خلصا وجيدا ، وحادي هي المشجة البرينة من مقلتها تهبتم صحوه الليل ، والفلح جسد الشر [للشيطان كما تصفه آينة دالبا بين موازية] ٥٥ وهكذا ، ثم تأتي النهاية السعيدة — بعد مشاهد للتلل والفرار وللشاه في الصب — لتصح الذبوع وتلكا المعنى المابللحدث

وسيتبقى آئين شره في دعامالكروان و هو تلك الصفحات التي تحلل فيها آينة بشاعرها ، فتفوض الى امليها ، وبقية الضوء على كل خلجة من خلجلها ٥٥ « ولو اني سمعت نبي ، وتبينت شرارة تصويري ارايت مرة يا له من شر ، ولشهدت هولاء يا له من هول ، ولحوت اني لم اكن اني لكشي ولا لصحتي ، وانبا كنت اوتر تكسب بما اراه خيرا وشر ، وانبا حسدك التلل المظفرة الخالجة على نفس واميلها من ان يحترق بها احد كغري ٥٥ » [٢٣] ٥

واذا كنت كلفا بأسلوب طه حسين ، بنسجه العربي الفخلص ، وموسيقيته

تسكيك الفترات والمباراة ، وجرس اللفظ المتقي بناية وحسري ، غانك سجد في « دعام الكروان » زادا كثيرا وما اجمل الصفحات التي تصف بنسك الليل والشملة ، او طريق العودة الى اطراف الصحراء وما تراه العين من مشاهد الريف ، لكنني لا اكتبك ايضا انك سجدت تكلفا في صياغة بعض الجمل والمباراة ، قد يرقى هذا آفة البلالغة القدامى ، ولعله اليوم لا يرضينا ٥ انار الى تولد آينة تصد الجنيس : « انبا هو سادد يحتمل القيتل احتيالا ، ويخطبون اختلايا ، يعرفون من الجادة ، ويخبرون بين من القصد ، حتى اذا بلغ منهم ما يزعمه فيمن على يوتن وبين ما ينتظر من الموت او من حياة في شر من الموت ٥٥ » [٢٤] ٥

لقد ارد طه حسين ان يكتب رواية معرية ، مهاد بموشوع فرانسى خالص ، ونسطه على الواقع المصري لمضاق به وتعمرت « دعام الكروان » بين صياغتها العربية التقليدية وموشوعها الغربي ، لهذا لم تلح دورا في تطوير الرواية العربية ، ولم يبق منها سوى صفحات ثرية من اجل ما كتب بالعربية كتب حديث ٥

●

وكان علينا ان ننتظر مشرين عاما اخرى كي يقدم طه حسين روايته الثانية « شجرة اليزس » ٥٥

وشجرة اليزس هي تلك الشجيرة التي وضعت بلوتها حين ابر شسبح الطيرك بتزويج خالد من لفسية على فيجها ودميلها ٥٥ وكان حنيا ان تدر هذه الشجرة ثمرات مرة ، بتلجمسا الكاتب جبال بعد جيل ، والرواية هي حركة هذه الاجيال الخالقية وتطورها الاجتماعي ، وهي من بين اعمال طه حسين اكثرها تقنيا نحو حركة الملتجع الذي عرفته من الاقاليم — والقاهرة — في اواخر القرن الماضي والائل هذا

القرن ٥ يتابع الكاتب هذه الحركة خلال عرشه للملج من ثلاثة اجيال : جيل الآباء ، يملكون بالتجارة ، وبراكوس التروات ، ويتكلمون بالترن ، ويخضعون في تقدير امورهم كلا لبناء بملاسك من القيم التقليدية والدينية ، وفي حسدا البناء يلعب « شيخ الطريق » السفور الرئوس ، فهو يمسرف كل شره من تلاذته واتهامه وعريده ، اليه يلجون ان احزوم اسر ، وهو يخفي في شلونهن بكميت طفلة غامضة ويجهون في تأويلها شئ المسذاهب ، ويخط مسارهم ويتحكم بعما فون ان يجر واحد على الاضرار ، هو مندهم صوت الله وسوله ، « وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا كفى الله رسولهم امرا ان يكون لهم الفرة — ام برم ٥٥ » وعلى هذا التصر باسم للشبح فرس شجرة اليزس هذه تفسرس ويلى جيل الابناء منها عايبا موصولا ٥

ولا يكاد هذا الجيل — جيل الابناء — يخطف من آفته كثيرا ، لقد اصابه فدرا من التعليم المنظم او غير المنظم وحين تكسد تجارة الآباء بدهج الانشاء الى العمل في الوظائف الحكومية الملحة ، في الخيرية والمراكز والمحكم والذارة السنية ٥٥ « لم تعد دجارة الآباء رالجة لان هؤلاء الشياطين القادمين من القاهرة ومن وراء البحار يلهمون هذه التاجر الجديدة » التي اخفت نشأ في الحديثة على غللة من اطلسا لا يرون كيف جاءت اليهم ولا كيف استقرت يوم ، وانبا هو بناء بقال لا يعرف اهل الحديثة من فيهم ولا ان ينام ، ثم ينظرون فاذا معرة فحبة خشبة قد ارفلعت شائعة في السماء سبعة في الفضاء ، وقد اقبل عليها قوم غرهاب جاورا من القاهرة ليلالها بفسالغ وعروفا ، ولماطوها بالوان من الزينة والبهجة دعموا للثمن وتقرروم بها ٥٥ » [٢٥] ٥

وعجز الفكر التقليدي وانماذ الفاتحة التقليدية عن مواجهة هذا الذي حدث ٥

[٢٣] دعام الكروان الا هي ٥٥

[٢٤] دعام الكروان ، ٩٩ ٥

[٢٥] شجرة اليزس ، الطبعة الخامسة هي ٥٢ ٥



يقدم هذا الحديث إلى أن نعرف شيئاً من أمر حسين الرجلين الذين كانا يتتبعان « » (٣٩) وهو يواجه اليوم بحاضرة طويلة في نسخة التاريخ وانتقاء الحوادث ذات الدلالة حتى يبرع من روايته « » أن محاولة إحصاء الإقليم والبلد موت و ماحولة إحصاء بائع أبداً من الحوادث والصلوب سبب، فالخبر أن يلوى من ذلك كله ما يجب أن يلوى ألا نعلم من ذلك كله إلا عند ما يستحق أن نثق بهذه ونترك فيه ، ونحن نصح ذلك لا نحسن تمييز اليوم ذي الخطر من اليوم الذي لا خطر فيه ، ولا التفرق بين الحادثة ذات الأثر البعيد والحادثة التي ليس لها أثر قريب أو بعيد « » وهو ليس في بداية صفحات روايته أنه حدثنا عن الأمير [أ] أبي خالد [حتى انتهت حياته «] ثم يبعث لنا بعد ذلك ويرجع يتابع زواجه وملائته وكساد تجارته « »

لا عجب ، بعد ذلك ، أن رأينا في « شجرة الوؤس » نوعاً من التزلزل في بنائها الفني يبعد بها عن الأحكام ، ويسبقها أين ما فيها تلك الصفحات التي تصور شيخ الطريق وطفرسه ، وتصور الحياة اليومية لجبل الآباء في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن .

(●●)

كان لله حسين رائداً عظيماً لا وُلدَ حاول كل ألوان الكتابة ، و حاول الرواية كذلك . وإذا كانت أصلاً به حسين الرواية لن يتجر طويلاً إلا فاج تزلزل في تطور الرواية العربية تأثيراً كبيراً فسيصير أنه كان رائداً في هذا المجال أيضاً . إلى جانب مجالات أخرى من المسح الأدبي والتفدي «

إنياد الفلاحين وأرتكبت الناس « أكثبا انشئت إنياد الأتراك والسكوات من المصريين ، فقد يلقبها منها وأسلمهم إلى الصناعات بطولهم منهم حرفاً بسيطة يشتون بها في حياتهم من بعد ، وهو يقول لأخيه وهو يحاوره : « ولكن من كل أسرة فرع واحد مستأز ، ولا يمكن أن يكون جميع الناس محذرين «

أن تقوى أبنية الحياة العقلية ، وتكون الطبقة الوسطى الجديدة ونموها السريع هو الإطار الواسع الذي تدور داخله أحداث « شجرة الوؤس » ، وهو الذي يصيها من أن تتحول لمكافئة خرافية من هكليات الجدات ، وتبسط الأنوار الألبيسية فيها شيخ الطريق وعفريت الجن ، وما البشر « بعد « سوى أنوار بين أيديهم »

وهي تقدم له حسين نصوص أخرى الواقع الأضامني ليجعله إطار روايته إخبار لون الواقع الذي عرفه وعاشه ورواه ، وليس مدعياً أن يعرف من جبل الآباء ، في تفاصيل حياته اليومية ، أكثر مما نعرف من جبل الإنياد ثم الإحصاء لنا هذا الجيل هو الذي عايشه به حسين وتفتح وفيه عليه ، أما الإنياد والاحتداد « ولعلنا بعض هؤلاء الآخرين لهم حولنا « نراهم ونعرفهم فما حاجتنا إليهم ؟ أيا « هي صورة الحياة في أعظم من أقاليم مصر آخر القرن الماضي وأول هذا القرن « » (٣٨) ، استخلصها لنا طه حسين من تيفه العم ، وعنه البنا بأسلوبه المألوف وطريقته في النص التي كان يضيف إليها أشد الصيق بتأثير تلك وفودهم في بناء الرواية ، فهو يتحدث إلى قرائه مباشرة في الصفحات الأولى « » وانظرك في حجة تزلزل أن

لم تستلج أن تعلم معنى كوتة هذه الراسبالية التافهة على الطراز الغربي واكتفوا بأن يستمدوا بالله من شر هذه الشياطين التي تعمل على ترويض أسس حياتهم جميعاً ، ويدأوا يلتبسون المزاء في عالم آخر : « ثم سموا إلى شيخهم وتخلوا إليه في ذلك ، فإذا هو يرى مثل ما يرون ، ويعد بفسل ما يجدون ، ويقول كما كانوا يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل « » ثم بعدتهم من أضرار السامة ويذكرهم بأيام الله ، ويظهر أينما بهم التي ويجب إليهم الشر ، ويؤكد لهم أن أكثر أهل الجنة من الفراء « وأن أكثر أهل النار من الإغنياء « » (٣٦) .

ولا يبعد هذا كله شيئاً ، استعبر نفوس هذا الإنياد التقليدي ، ومن قبله بدأ تكون الطبقة الوسطى الجديدة التي راحت تلتق طريقها بسرعة إلى مراكز الصدارة في المجتمع ، ويؤكد طه حسين هنا هكليه المفصلة ، أن التعليم هو السلاح الذي يمكن إنياد هذه الطبقة من التقدم وإتمام الصعود ، يثقل هذا في الاختلاف بين أبناء الآخرين : خالد وسليم ، أيا خلد فقد انضم صموده لتبروه وطبوس زوجة وكسد صم على أن يتبع إنياده أربع مستوى يمكن من التعليم في القاهرة « » ولا يفتح لهم بالمشاهدات البسيطة والمتاسب التي تثل بطلان من الجهد ونفس على أمحائها روائب خبيثة يراها أمل الإنياد شيئاً عظيماً وهي في حقيقة الأمر لا تقدم الأرد ولا تحصى من الجوع ، فضلاً عن أن تبني إحصائها ما هم أصل له من السخرى وخلف المش « » (٣٧) ، أيا الفود صام لاذ كان يرى ابن هذه الحادسي لم تلتقا

[٣٦] « شجرة الوؤس » ص ٥٩ «

[٣٧] « شجرة الوؤس » ص ١٧١ «

[٣٨] « شجرة الوؤس » ص ٥ «

[٣٩] « شجرة الوؤس » ص ٤ «

عن

العبور

محمود عبد الوهاب

دنت

التماعة فتجدلوا آباءها
الرفاق .. وليخرج كل
منكم على صورة أبيه
ويذهب الصغير وليتسر
على الوجعين الحبيبين
وتدبرات على مهرها
الفاطمة ظل تراقب من
غروب وشيك وانتحبوا
دونيا خجل فلن يطركم
من من الرفاق الامر
اليكاه تمسوا للعة
اليودة في حلقست
البسالة المسندنة

الفتيلة من رفك
وليل كل منكم رقبه
الخصور على دائرة
الرماس الكفيه فهاها
تيره وهاها المجد
واكابل الفار ودليل
الاهل المتبين من
السيارين الماشات *

أعراوا ما تذكرونه من آيات مقدسة
فقد تدن عليكم ان تكونوا جثا وحفاري
تيور رسلي مراسيم * تجملوا
وليتبل كل منكم بالزهر المناسيم موتا
تزه الطبول وتمسككم عليه غران
التجارب .. موتا تمرنوا انه بلا هزاه
عائش الذي من ان تدومك السكيات
الكبيرة : الوطى .. التاريخ ..
المستقبل .. الخلود .. ومع ذلك من
يجهى قد تذكركم سطور تلية في كتاب

الموجر وقد جيفن بكسكم في بكائية
مجزو خيرية ليلة شتاء كتيب ثم ..
لا شيء .. لسينم في النهاية الا حفنة
من التمساح وما اكثر ما تعجل دلتار
مورخيا بمكيات التمساح * بل
لسنا في النهاية الا شعبا يماني منذ
اليلا حشرة احتضن طويلة * بلاننا
يا رفاق لم نعرف الا حسي الغروب :
أهرانا مقلير ومسلجنا لغرسة
وابتاهات الاجراس في كلاسنا حزينة
حتى ملوكنا الترامين جين ارادوا ان
تخلدهم الفنايل اختاروا لحظة كانوا
يشبهون النيازات *

مد الجسور فوق الجسور

سيناء يا سيناء .. اختلق اليك
سوق السقيم الى الموت .. شوق
البنا المصمذ الى حفن الارض
وشوق المطام النشرة الى قرب
الجود * هناك دفنت ابي وما لذا
أعود كي اضيه الى مدري للفتنة
أخيرة : هيكلا ربيلا لكه حبيب وجها
مويكتيا لكه حبيب * وهكذا قدر لي
يا ابي ان احقق في اجوات جسيمة
حين اود ان ارى ابتسامة وجهك
تري من يصدق ان وجهي حسدا
التهم السفر في جاني اكتفاه كان
يلك ويا طوامية ان يتيسم وان
يفسك بل ان يتوهج حبسا وبشرا
بالي هؤلاء الجنود * كان ذلك في تلك

الايام البعيدة حين كان لي اب وهين
كنت قادرا على الزوم به * كان
حكيا وطيبا وسخي العطاء وكسا
جميعا بريل في بعرجه من نخيره
الويسر .. كل يملطني الصو والحكة
.. نيل الفارس وشجاعة المحارب ..
وكان يعطي البعسر بال .. للمريش
نواه .. للماثر اجابه وللصيف صفرا
رحيبا .. لأحجار بيتنا رسوخا وللنونة
المجوز مراقبة .. لطين حنلا رحما
خصيبا ولاء النور نطفة ولود .. نمت
لبان ظله وفي شيا حضوره كسبا
نفسك ونلب .. نلام وحواء سكينة
وسلام يلا ممدورنا من انناسه ..
تمصوا في التجر نراة : بسم خيرة
الخفول بعينين تفهسان بدع لبثان ..
يحتاج صوته باتات من الفران ..
يحنو على افراخ الصام ويبارك رؤوس
الانفار .. يلق فارعا رسوخا * كعبية
الغب * ويبد يده فقط يمد يده فتجلبج
بين اسلميه حيرة النفود التدية ..
اصب له ماء الوشود ليسكب من
بين يديه نهما طهورا .. يسلي منيم
فناه البيت بعملة ونفحات محسنا
حطوف المصفاة الرؤوم حول جلال
جرسها الرخيم ..
وكان نكر الفسك لكن انشاسا
هاكنا يشع دافئا من وجهه الوسيم :
يوزع حين القابل فجر استلاره ..
يكن نجبا بعيدا حين يسلركا ثثرة
التصانق وسفطنا الذنوى .. ويخسر



لشاه واسع والمعدة في جود الامر
في آن - قسم اليها الابا ويامين هودا
سفروا تريق في يملحه اسخلامه
من هشة الارض الفتيبة .. احسان
الى اوراق ذابطة والى دوائر سفراء
فاكة حول ساق المود الليل ..
تراخت دراهاه وعسد خذيمن وجه
ابي بئيل سجات .. هل ابي :
- ترى لمن تسلي الان كي تعود
الحياة الى المود الذابل .. اقترح ان
نصلي معا لايوريس .. اي ايوريس
رب الغضب والتهاء .. علينا الكثير
ولكن ..

.. رعية السكون .. انبثت اشجار
التين الشوكي في الفلاء وحيدة ..
حيه الطفرة .. انسل على جدران
الدير بنيا راحله من شمس راحت
تقريب خلف التلال البعيدة .. شذخ
سيت للمعراء مرير اليك العتيق ..
لاح الابا بنيلين برعسا ملبسا ..
تعلل وجهه الميجور وراح يتكسنا ..
انجست فوق الجدران من لجوات
الغصه حول المصيرح المستيرة وجوه
وحمة قيصم في اجثال حزي ..
ميرنا الدعليق الى غناء الدير ولم تقل
فهيما انفسية الميرون المظلمة في

حين الميوس لكنه لا ينلني لدا ..
ونفسي الحماة بنا واحداك حياكنا من
حوله امواج لمن يتعسجر في رتابة
لا تطعمها الا شحكة النافرة : تداح
فوانرها البهجة على وجوهنا آهليا
طويلة وما ان تهدأ حتى نحاول انصالحها
من جديد ..
- قلنا انت حكاية اهلك مع الابا
بنيلين ..
شباكت احسان النخل في نفس
التروب وران على الامدة الشامعة
في المجد الترموني سبت ميبه ..
انصمت املينا الصعراء جليلة السيت

أشرق الأب يتكلم وقال يا أمتي سلم
- أين لا أمي
نظي أبي مليا إلى وجه الشمس
ثم قال

- لا حيلة .. حدى الدواء

تعال وجه الأب ينهلني فمسكت
أبي .. أحبل الكفين للفتيات فيضيه
ود روح يحنه وأصداء من سمعته
لا تزال تتحدر إلى صوته .. عندما
عندنا مير الدهيل العيون العيون وقد
شف حزنا القديم وأضاعت نظره
أخنان هادي رؤين *

القوات الخاصة تهاجم نطق القاموس

ألسي عليكم أيها الرفاق .. ها ألتهم
نسمون لي معربا هذا الشعر ملهم
بطولة وفاء .. ها ألتهم ترغصون
بنا من سجع وحلث الضمير إلى ذرى
ريمية فوق قديم التوبة الجصور ولكتم
أن نلبثوا طويلا حتى تكتشفوا مصلى
أنتك تهازون على أرض جزير صغيرة
تظلمت من الطولان .. لئلا يا أبحلي
من أهل هذا الزمان وما قصونه
الشجاعة ليس إلا سبنا محلا يهرمه
فارس نحاس يطنل حلماتا شخبيا
ويجاري لي جرات التامع طواحين
الدواء .. مخرن يا أبي أعرل أنتي
أصغر منك ولكن يا حيلتي وقد ذابت
تحت جهم سبنا كل أصليك ..

تسبست ظفيرة السحاب الرقيقة من
هيكلا الميود فالذا بها كريمة من طين
شسمر رخو .. شجاعتكم يا أبي قد
شلا صدر الترميز لغريمه لي هزل
الذرة .. قد قطع البلاي في فابر الزمان
حيث خلق الألام المقدسة على أوتية
الذليل والمقتول .. قد شاسب زمنا
كان للآلة فيه انتفاة البشر .. في
زمتنا هذا للآلة طوب معدنية ..

هيون توش بعكة الكبرياء .. أصابع
فولانية تفتح اللقاع من وجه القمر
مذبذكة وجه العجري السحيم ..
والأسلح حقا أنتي حين بذات العنبر
على هذا الصالح الجود كسد
لفقتك .. يوما بعد يوم كئت الشمس
فطلق شوهها الفاصح على عسري

ميكلي القدر .. ينهر ماء الصنبور
على شرة الكتابة الهلعة على وجي
.. انزلي على السالمة الصلعة تفضلي
فأذرة الجدران .. أصعد لها بلاطيات
الشارع المختصر فاجلني شامكا في
خاع الجسدان الضعيف .. أنتي من
جريدة الصباح ركاب الأثرة اللطافة
فنبهني في الورة الفلكسية ملين
الصبت اللصوح الأيتيم من فراغ
اختنالك .. اجلسي هابدا في تامة
التدريب وعيناي تتابع باحتلام شبكة
الخطوط المقتدة في رأس ميود هذا
العمر .. أبل ذلك رغم ثغوري من

صعق التظ المتني لا كان يكتفي
الصعق النافذ إلى عبق أصملي منذ
تفتت حقيقة يوفك ..

قوات الجيش تغير القناة إلى سيناء

ملا مينا يا أبحلي .. خفوا
تليلا من غلواء هذا الاندفاع وأغروا
لي أني لا ألتهم بغير سمعتكم ..
علشي الآلام الخشونة من الحسكة
يا اللال جسدي بكل أبرام الشيفوخة
غدا .. وفي رحلة المودة .. مستعجلون
إلى كل ما أصغر تدوم من قوتكم وهينذا
من يملك انفسا أكثر سكتكم لسه
التجاة *

يا التجزاة حتى الآن تكفي لمتعبته
سبالة التفرسان أيا ما سواجهم بعد
ذلك فلا بد له من جيش .. لمن
تعرف هذا النوع من تجسات الجنود
أيا الجيش .. حسنا يبدو أن قرب
الطلس هو ما يفسدنا شيئا في هذه
الخطوات .. قدر علينا أن تعلم في
اللحظة ما بين اختراق الرصاصية
عظام المسدور ولتكنها بالقب .. هينذا
تفرقه العظيمة البسيطة أيا وصى
تنويع فيه نبالة خوره .. تشرق دون
لفادة إذ يمدحنا شبا بلهم الظلام *

الاستبناك مع قوات العدو

تباركت يا سنوات الذل ها قد
صمتت على أجفنا تشرة صلبة لم
نسطح منا بعد رغم خراوة النيران ..
تباركت يا حنا المكوت ها قد منحتنا
فراشة أن تكن قصيرة العمر سماعه
الهجوم لقد يطول عمرها ساعة المصود
تباركت يا أعلانا المقدسة عما أنت
ترفعين من قيم عاكك القديم لتنبئني
أنه هذا الزمان لحظلت غالية من
كبرياء شخبج تباركت يا رفيقا الطبيب
ها نحن نباح من تكلم تلامبا عرفنا
ساعة الهريق وحين يخر بنا الثور ..
تلامبا يا أسرع أن يلقته .. ولكنه
سيفلتنا حتما من حار الفراق فسد
كلونا على أي حال *

المعركة تزداد عنفا

من أين لنا هذا الروسخ .. من
أين لأدأنا هذا التثبث المنيسد
بالأرض .. كئت أصبنا نظرا ينو
على مستنقع وما لذا اكتشف أننا
أشجر ولنا جاور وأنا نقاوم مواسف
الزيران لا نفض أن تهازق ولسكنا
نرمضي أن نطلق .. ترى هل هم
الشهداء يسقطون من حولنا تلتجر
بملهم في عروفا نيران غسفسب
وميثاق انتقل *

معارك لم يشهدها من قبل ميدان قتال

صيننا أصفارا حريقة الجذور نل
يكتنا الصود شابة .. وأجنا الوحر
أنفرادا متعلمين غمسل يتلقى من
أصابتنا كائن جديد ليس له خبث
الوحي وشانته ولكنه بالله قاتل مني
البشلي بليتنار .. كائن قد يجرح ..
قد تثير أمشقا ولكنه لا يشترط أبدا
.. كائن له نفس صالحة الجسد الواحد
للغرباب بهاكل المثل الواهسد ..
ها لذا أتني فأري الآنية لحظسة
تخلقت في رأسي وأما على أرض
الملم .. ها نحن تتلصم سدا صخريا
بعد مواسف جهنم .. نجابه تلاما
بنية صم السمن اليوناني الفسوب
.. تكسر على سجع دروسا موارف
الدواء الهائج .. تتصلب على سدور
جبلتنا البشيرة صخور اللهب البهال
من سبساتنا الجحيم .. ترتد من
ورسخنا الراسخ جفائل النبل البشري
الوهور .. حل أن نحن نزرع طوفانا
شامعا على جوران التلحة التولالة ..
تعال فيضنا الحديدية على أسوار
الحصن الشيطاني المنيع .. تلمس
أبادينا التطلوة وأسر الوحي الموارغ
.. تجطل نعمة ارتطم مسدورنا
ومسره السخري المجهج .. قصدي
صالة سوافنا الجصور ليهيبسه
الوحيية الهجوع .. كعت اندامه
أواجنا الدامية انتفضتة لعلامة
الترسة تنطلق من عبق مسيق
في سدورنا صبة أمينسبال عسات
جصور *

رصاصة تخترق القلب

دوي الأصوات شامق .. لمسبح
.. ينهر دلق شلالات من زحف ملايين
الجوع .. يصبان في أسفاره ثياب
.. وصبة .. وتصلب في أحدة شائعة
.. يورغ بينا راسفا في ميون
الترامين .. تنظم أيقاماته وقبح
ظومهم الثابت الرصين .. يهتق لي
دقات الإعراس نقيد يهتق ويحسر
تجابه .. يخت قص البشير البشري
.. ينساب نيسلا هادي الزين ..
يأنس لي القوتول نهرا لخصر ..
يارفري لي خفن الغروب أفصمان
.. يبلج لي حيرة النفود
التية .. يخي لي العيون الوديمة
تنترة أبلشان هادي رؤين يترنق
سلامه وتختل مخائرا حليف صلمانه
رؤوم حول جلال جرسها الرخم ..
يشرق فجر استمره في وجه وسيم ..
يكتم الجوع والبسة فائدة لا تنتفض
بصاس .. يتأخر والبسة هائلة
لا تحرب أبدا رغم قبلة الجيوس ..
أنا أعرل هذا الوجه .. أعرل هاتين
العينين وأعرل هذا الصوت .. أعرل
حنا ويثنا لكى لا أذكر أين عرفته
أو كيف .. ترى هل أذكر ؟ لي

مطابق المرسوم الملكي رقم

التمن ١٠ قروشي

Bibliotheca Alexandrina



0531938